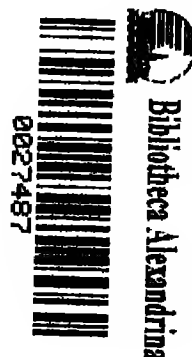


عُيُونُ الْأَنْبَاءِ
فِي

طَبَقَاتِ الْأَطِبَّاءِ

إِنَّ أَتَى أَصْلِيَّه

مَشْرُوعَاتُ دَارِ مَكْتَبَةِ الْحَيَاةِ - بَيْرُوت



Bibliotheca Alexandrina

عَمِيُونُ الْأَنْبَاءِ
طَبَقَاتُ الْأَطْبَاءِ

عُيُونُ الْأَنْبَاءِ فِي طَبَقَاتِ الْأَطِبَّاءِ

تأليف
موفق الدين أبي العباس أحمد بن
القاسم بن خليفة بن يونس السعدي
الخرزجي المعروف بـ
ابن أبي أصيبعة

شرح وتحقيق
الدكتور سريلا رضا

منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت

ابن أبي أصيبعة

من اطباء العرب المعروفين وادباؤهم المرموقين رجل ترجم في كتاب واحد ، لم يؤلف غيره ، اطباء العالم المشهورين منذ بدء التاريخ حتى يومه الذي هو فيه . انه موفق الدين ابو العباس احمد بن القاسم ابن ابي اصيبعة السعدي الخزرجي .

ولد موفق الدين في مدينة دمشق في عام ٦٠٠ للهجرة في بيت علم وأدب ، فقد كان والده من امهر الكاثلين (اطباء العميون) في دمشق .

وبعد ان اتقن العلوم اللسانية على علماء زمانه انصرف الى تلقي علوم الطب عن والده ولكنه رأى ان ما يحسنه والده لا يشفي غليلاً فانصرف الى تلقي العلوم التي تبحث في شتى امراض العميون على كل من يحسنها . وكانت القاهرة في عهده تنتهى السبل وملتقى العلماء ، والدولة الأيوبية في عز مجدها وسؤدها . فسافر الى القاهرة والتحق في المارستان الناصري الذي أنشأه الملك الناصر صلاح الدين في القاهرة وأخذ يعمل ليلاً نهاراً على تحصيل العلم فاشتهر بذلكه وحسن مداواته لامراض العميون واستلفت نبوغه الجالس على كرسي الملك فألحقه بخدمة الدولة .

لكن شهرته وصلت الى اسماع عز الدين وهو في صرخد ، احدى مدن جبال حوران ، فأرسل في طلبه ، فرحل اليه واعجبه مناخ صرخد فكث فيها حتى وافته المنية عام ٦٦٨ للهجرة .

وقد ترك ذكراً خالداً ومؤلفاً ضخماً ألفه لامين الدولة وزير الملك الصالح وهو أحسن كتاب في التراجم لا يشبهه الا كتاب اخبار الحكماء لكنه يمتاز عليه بأنه اوسع وأوفر مادة جمعه وقاسى في جمعه الصعاب وقضى السنين الطوال محققاً ومدققاً حتى تمكن من تأليف كتابه هذا وقد اسماه عميون الانباء في طبقات الاطباء .

ابتدأ بترجمة كبار الاطباء زمن الاغريق والرومان والهنود ، وقسمه الى عدة اقسام وهو يحوي ما ينوف عن ٤٠٠ ترجمة .

ترجم أولاً اطباء اليونان وغيرهم . وهو لا يترك شاردة ولا واردة إلا ويذكرها . ولا يكتفي بذكر ما قام به المترجم له من اعمال بل يأتي على شيء من آرائه في الطب لكنه لا يذكر سنة الولادة ولا سنة الوفاة على انه اذا تمكن من معرفة سنة الوفاة ذكرها والا تكلم عن صاحب الترجمة ذاكراً ما وصل اليه . ويذكر ايضاً ما ألفه المترجم له من كتب أو ما نقله الى اللسان العربي من الكتب يذكرها بوضوح ويتكلم عنها بمعرفة .

ثم يتكلم عن الاطباء العرب والمعجم والهنود والمغرب وأطباء مصر والشام كل قطر على حدة . ويذكر في كتابه الكثير من الشعر العربي الذي نظمه الاطباء الذين ترجم لهم ، وترى بين التراجم عدداً كبيراً من المشاهير الذين لم يعرفوا بانهم اطباء ، لكنك حين تقرأ كتاب ابن ابي اصيبعة تعلم عند ذلك ان هؤلاء كانوا اطباء الى جانب كونهم ادباء أو شعراء أو من مشاهير الصوفية .

وقد استلقت هذا الكتاب نظر الافرنج فتبسموه وقام المستشرق الالماني مولر بطبعه نقلاً عن نسختين خطيتين عثر عليها وذلك في عام ١٨٨٤ وفي عام ١٢٩٩ هـ قامت المطابع المصرية بطبع الكتاب نقلاً عن طبعة المستشرق مولر وهي الطبعة الاولى والوحيدة من هذا الكتاب وقد اصبحت نادرة الوجود .

ولا شك ان العالم العربي سوف يقبل على اقتناء هذا الكتاب الفريد في نوعه والذي لا تقدر المعلومات التي يحتويها بثمن .

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ناشر الامم ومنشر الرمم ، بارىء النسم ومبرىء السقم ، سعاثد من فضله بسوابغ النعم ، الموعد من عصاه باليم العقاب والنقم ، مخرج الخلائق بلطف صنعه الى الوجود من العدم ، مقدر الادواء ومنزل الدواء بأتم الصنع وأتقن الحكم ، وأشهد ان لا إله الا الله شهادة خالصة بوفاء الذمم ، مخلصنا من موبقات الخطل والتندم . وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث يحوامع الكلم ، المرسل الى كافة العرب والعجم ، الذي أثار بلألاء نور مبعثه حنادس الظلم ، وأباد بسيف معجزه من تجبر وظلم ، وقطع ببرهان دلالة نبوته داء الشرك وحسم . صلى الله عليه صلاة دائمة باقية ما لمعت البروق وهمت الديم ، وعلى آله أولى الفضل والكرم ، وعلى أصحابه الذين جعلوا شريعته لهم أمم ، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين المبرآت من الدنس ، وشرف وكرم .

وبعد ، فانه لما كانت صناعة الطب من أشرف الصنائع وأربح البضائع ، وقد ورد تفصيلها في الكتب الالهية والأوامر الشرعية ، حتى جعل علم الابدان قريناً لعلم الاديان . وقد قالت الحكماء : ان المطالب نوعان : خير ولذة ، وهذان الشيطان انما يتم حصولهما للانسان بوجود الصحة . لان اللذة المستفادة من هذه الدنيا ، والخير المرجو في الدار الاخرى ، لا يصل الواصل اليهما الا بدوام صحته وقوة بنيته . وذلك انما يتم بالصناعة الطبية لانها حافظة للصحة الموجودة ، ورادة للصحة المفقودة ، فوجب ، اذ كانت صناعة الطب من الشرف بهذا المكان وعموم الحاجة اليه داعية في كل وقت وزمان ، ان يكون الاعتناء بها أشد ، والرغبة في تحصيل قوانينها الشكلية والجزئية أكد وأجد . وانه لما كان قد ورد كثير من المشتغلين بها والراغبين في مباحث اصولها وتطلبها ، منذ أول ظهورها والى وقتنا هذا ، وكان فيهم جماعة من اكابر أهل هذه الصناعة ، وأولي النظر فيها والبراعة ، ممن قد تواترت الاخبار بفضلهم ، ونقلت الآثار بعلوم قدرهم ونبلهم ، وشهدت لهم بذلك مصنفاتهم ، ودلت عليهم مؤلفاتهم ، ولم اجد لأحد من أربابها ولا من انعم الاعتناء بها كتاباً جامعاً في معرفة طبقات الأطباء وفي ذكر أحوالهم على الولاء ، رأيت ان اذكر في هذا الكتاب نكتاً وعيوناً في مراتب المميزين من الأطباء القدماء والحديثين ، ومعرفة طبقاتهم على توالي ازمنتهم واورقاتهم ، وان اودعه ايضاً نبذاً من اقوالهم وحكاياتهم ، ونواديرهم ومحاوراتهم ، وذكر شيء من اسماء كتبهم ، ليستدل بذلك على ما خصهم

الله تعالى به من العلم ، وحباهم به من جودة الفريضة والفهم ، فإن كثيراً منهم وان قدمت أزمانهم ، وفتاوتت أوقاتهم ، فان لهم علينا من النعم فيما صنفوه ، والمائن فيما قد جمعوه في كتبهم من علم هذه الصناعة ووضعوه ، ما هو تفضل المعلم على تلميذه والمحسن الى من أحسن اليه . وقد أودعت هذا الكتاب أيضاً ذكر جماعة من الحكماء والفلاسفة ، ممن لهم نظر وعناية بصناعة الطب ، وجلا من احوالهم ونواديرهم واسماء كتبهم ، وجعلت ذكر كل واحد منهم في الموضع الأليق به على حسب طبقاتهم ومراتبهم .

فأما ذكر جميع الحكماء واصحاب التعاليم وغيرهم من ارباب النظر في سائر العلوم ، فاني اذكر ذلك ان شاء الله تعالى مستقصى في كتاب « معالم الامم » واخبار ذوي الحكم .

وأما هذا الكتاب الذي قصدت حينئذ الى تأليفه ، فاني جعلته منقسماً الى خمسة عشر باباً وسميته « كتاب عيون الأنباء في طبقات الاطباء » وخدمت به خزانة المولى صاحب ، الوزير العالم العادل ، الرئيس الكامل ، سيد الوزراء ، ملك الحكماء ، إمام العلماء ، شمس الشريعة ، أمين الدولة ، كمال الدين ، شرف الملة أبي الحسن بن غزال بن أبي سعيد أدام الله سعادته ، وبلغه في الدارين ارادته .

ومن الله تعالى استمد التوفيق والمعونة ، انه ولي ذلك والقادر عليه .

وهذا عدد الابواب :

- الباب الاول : في كيفية وجود صناعة الطب وأول حدوثها .
- الباب الثاني : في طبقات الاطباء الذين ظهرت لهم أجزاء من صناعة الطب وكانوا المبتدئين بها .
- الباب الثالث : في طبقات الاطباء اليونانيين الذين هم من نسل أسقليبيوس ^(١) .
- الباب الرابع : في طبقات الاطباء اليونانيين الذين اذاع أبقرات فيهم صناعة الطب .
- الباب الخامس : في طبقات الاطباء الذين كانوا منذ زمان بجالينوس وقريباً منه .
- الباب السادس : في طبقات الاطباء الاسكندرانيين ومن كان في زمنهم من الاطباء النصاري وغيرهم .
- الباب السابع : في طبقات الاطباء الذين كانوا في اول ظهور الاسلام من اطباء العرب .
- الباب الثامن : في طبقات الاطباء السريانيين الذين كانوا في ابتداء ظهور دولة بني العباس .
- الباب التاسع : في طبقات الاطباء النقلة الذين نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان اليوناني الى

(١) هو إله الطب ابن ابولون . لم يرخص فقط بشفاء المرضى ، كما تقول الخرافة ، بل احيا الموتى . وقد اثار ذلك جوبيتر فدمره بناء لرجاء اخيه بلوطون إله الجحيم الذي خاف ان تصبح مملكته صحراء . (ن . د)

اللسان العربي وذكر الذين نقلوا لهم .

الباب العاشر : في طبقات الاطباء العراقيين واطباء الجزيرة وديار بكر .

الباب الحادي عشر : في طبقات الاطباء الذين ظهروا في بلاد العجم :

الباب الثاني عشر : في طبقات الاطباء الذين كانوا من الهند .

الباب الثالث عشر : في طبقات الاطباء الذين ظهروا في بلاد المغرب واقاموا بها .

الباب الرابع عشر : في طبقات الاطباء المشهورين من اطباء ديار مصر .

الباب الخامس عشر : في طبقات الاطباء المشهورين من اطباء الشام .



الباب الأول

كيفية وجود صناعة الطب وأول حدوثها

أقول : ان الكلام في تحقيق هذا المعنى يعسر لوجوه :

أحدها بعد العهد به ، فان كل ما بعد عهده وخصوصاً ما كان من هذا القبيل ، فان النظر فيه عسر جداً .

الثاني : اننا لم نجد للقديما والمتميزين وذوي^(١) الآراء الصادقة لا واحداً ساداً في هذا متفقاً عليه فنتبعه .

الثالث : ان المتكلمين في هذا لما كانوا فرقاً وكانوا كثيري الاختلاف جداً بحسب ما وقع الى كل واحد منهم ، أشكل^(٢) التوجيه في أي اقوالهم هو الحق .

وقد ذكر جالينوس في تفسيره لكتاب الايمان لابقراط ، ان البحث فيما بين القدماء عن اول من وجد صناعة الطب لم يكن بحثاً يسيراً . ولنبدأ أولاً بأبواب ما ذكره مع ما الحقناه به في جهة الحصر لهذه الآراء المختلفة .

وذلك ان القول في وجود صناعة الطب ينقسم الى قسمين أولين : فقوم يقولون بقدمه ، وقوم يقولون بحدوثه .

فالذين يعتقدون حدوث الاجسام يقولون ان صناعة الطب محدثة ، لأن الاجسام التي يستعمل فيها الطب محدثة .

١ - سديداً ومصيباً - ٢ - التيس (ن . ر)

والذين يعتقدون القِدَمَ ، يعتقدون في الطب قِدَمَهُ . ويقولون أن صناعة الطب قديمة لم تزل منذ كانت ، كاحد الاشياء القديمة لم تزل ، مثل خلق الانسان .

واما اصحاب الحدوث فينقسم قولهم الى قسمين ، فبعضهم يقول ان الطب 'خلق مع خلق الانسان ، اذ كان من احد الاشياء التي بها صلاح الانسان . وبعضهم يقول وهم الجمهور ان الطب استخرج بعد . وهؤلاء ايضا ينقسمون قسمين : فمنهم من يقول ان الله تعالى اهتمها للناس ، واصحاب هذا الرأي على ما يقوله جالينوس وابقراط وجميع اصحاب القياس وشعراء اليونانيين .

ومنهم من يقول ان الناس استخرجوها . وهؤلاء قوم من اصحاب التجربة واصحاب الحيل وثالس المغالط وفيلن ، وهم ايضا مختلفون في الوضع الذي به استخرجت وبماذا استخرجت . فبعضهم يقول ان اهل مصر استخرجوها ، ويصحون ذلك من الدواء المسمى باليونانية الأني وهو الراسن^(١) وبعضهم يقول ان هرمس^(٢) استخرج سائر الصنائع والفلسفة والطب ، وبعضهم يقول ان اهل فولوس استخرجوها من الادوية التي ألقتها القابلة لامرأة الملك فكان بها برؤها ، وبعضهم يقول ان اهل موسيا وأفروجيا استخرجوها ، وذلك ان هؤلاء اول من استخرج الزمر ، فكانوا يشفون بتلك الالحان والايقاعات آلام النفس ، ويشفي آلام النفس ما يشفي به البدن . وبعضهم يقول ان المستخرج لها الحكماء من اهل قو ، وهي الجزيرة التي كان بها ابقراط وآبؤه ، واعني آل اسقليبيوس .

وقد ذكر كثير من القدماء ان الطب ظهر في ثلاث جزائر في وسط الاقليم الرابع احداها تسمى رودس^(٣) والثانية تسمى قنيدس^(٤) ، والثالثة تسمى قو^(٥) ، ومن هذه كان ابقراط .

وبعضهم يرى ان المستخرج لها الكلدانيون . وبعضهم يقول ان المستخرج لها السحرة من اهل اليمن . وبعضهم يقول بل السحرة من بابل أو السحرة من فارس . وبعضهم يقول ان المستخرج لها الهند ، وبعضهم يقول ان المستخرج لها اهل أقریطش^(٦) ، الذين ينسب لافتيمون اليهم ، وبعضهم يقول اهل طورسينا^(٧) .

فالذين قالوا ان الطب من الله تعالى ، قال بعضهم : هو إلهام بالرؤيا . واحتجوا بان جماعة رأوا في الاحلام أدوية استعملوها في اليقظة فشفتهم من امراض صعبة ، وشفت كل من استعملها .

١ - النفس . قال في الفبروزا يادي وهو نبات طيب الرائحة ينفع في جميع الآلام والارجاع الباردة والماليخوليا ووجع الظهر والمفاصل . جلاء مفرح ملين مقو للقلب والمعدة بالسل لموق ، جيد للسعال وعسر التنفس ، يذهب القيظ ويبعد من الآفات . (وفارسيته الراسن)

٢ - هرمس هو الاسم اليوناني لمركبور بن جوبيتر ، وسول الآلهة . وهو ايضا إله الفصاحة والتجارة والصوص .

٣ - جزيرة شرقي الارخبيل اليوناني ٤ - جزيرة صغيرة في الدوديكانيز ٥ - جزيرة في بحر ايجه موطن ابقراط والرسام آبل .

٦ - او كريت جزيرة يونانية في المتوسط اشتهرت بمدينةها القديمة . ٧ - بلدة واقعة في شبه جزيرة سيناء .

وقال قوم الهما الله تعالى بالتجربة ثم زاد الامر في ذلك وقوي ، واحتجوا ان امرأة كانت بمصر وكانت شديدة الحزن والهم ، مبتلاة بالغنظ ^(١) والدرد ، ^(٢) ومع ذلك فكانت ضعيفة المعدة ، وصدرها مملوء اخلاطاً رديئة ، وكان حيضها محتبساً ، فاتفق لها ان أكلت الراسن مراراً كثيرة بشهوة منها له ، فذهب عنها جميع ما كان بها ورجعت الى صحتها ، وجميع من كان به شيء مما كان بها لما استعمله برأ به . فاستعمل الناس التجربة على سائر الاشياء .

والذين قالوا ان الله تعالى خلق صناعة الطب ، احتجوا في ذلك بأنه لا يمكن في هذا العلم الجليل ان يستخرجه عقل انسان ، وهذا الرأي هو رأي جالينوس ، وهذا نص ما ذكره في تفسيره لكتاب الايمان لابقراط ، قال :

« واما نحن فالاصوب عندنا والاولى ان نقول ان الله تبارك وتعالى خلق صناعة الطب والهما الناس ، وذلك انه لا يمكن في مثل هذا العلم الجليل ان يدركه عقل الانسان ، لكن الله تبارك وتعالى هو الخالق الذي هو بالحقيقة فقط يمكنه خلقه ، وذلك انا لا نجد الطب أحسن من الفلسفة التي يرون أن استخراجها كان من عند الله تبارك وتعالى . »

ووجدت في كتاب الشيخ موفق الدين اسعد بن الياس بن المطران ^(٣) الذي وسمه ببستان الاطباء وروضة الالباء ، كلاماً نقله عن ابي جابر المغربي وهو هذا ، قال :

« سبب وجود هذه الصناعة وحي والهام ، والدليل على ذلك ان هذه الصناعة موضوعة للعناية بأشخاص الناس ، إما لان تفيدهم الصحة عند المرض ، واما لان تحفظ الصحة عليهم . وممتنع ان تعني الصناعة بالأشخاص بذاتها دون ان تكون مقرونة بعلم امر هذه الاشخاص التي خصت العناية بها . ومن البين ان الاشخاص ذوات مبدأ ^(٤) لوقوعها تحت العدد وكل معدود فأوله واحد تكثر ، ولا يجوز ان تكون اشخاص الناس الى ما لا نهاية له لأن خروج ما لا نهاية له الى الفعل محال . قال ابن المطران : ليس كل ما لا يقدر على حصره فلا نهاية له ، بل قد تكون له نهاية يضعف عن حصرها . »

قال ابو جابر : « واذا كانت الاشخاص التي لا تقوم هذه الصناعة إلا بها ذوات مبدأ ضرورة ، فالصناعة ذات مبدأ ضرورة . ومن البين ان الشخص الذي هو اول الكثرة مفتقر اليها كافتقار سائرهم . ومن البين ايضاً انه لا يأتي من اول شخص وجد علم هذه الصناعة استنباطاً لقصر عمره وطول الصناعة ، ولا يجوز ان يجتمعوا في مبدأ الكثرة على استنباطها من اجل ان الصناعة متقنة محكمة . وكل أمر متقن لا يستنبط بالاختلاف بل بالاتفاق . والاشخاص التي

١ - الكرب والهم الملازم
٢ - ذهاب الانسان او تكسرها .
٣ - هو الحكيم الامام سيد الحكماء وارشد العلماء نشأ في دمشق وله تصانيف كثيرة
٤ - اي ذوات اصل (ن . ر)

هي أول في الكثرة لا يجوز ان تجتمع على امر متقن، من أجل ان كل شخص لا يساوي كل شخص من جميع الجهات . واذا لم تتساو من جهة آرائها لم يحز ان تجتمع على امر محكم .

قال ابن المطران : «هذا يؤدي ايضاً في باقي العلوم والصناعات الى انها إلهام، لانها ذوات اتقان ايضاً» وقوله ايضاً ان الاشخاص لا يجوز ان تجتمع على امر متقن، ليس بشيء^(١) ، بل اجتماعها لا يكون إلا على أمر متقن . وانما الاختلاف يقع مع عدم الاتقان .

قال ابو جابر : « فقد بان ان الاشخاص في مبدأ الكثرة لا يتأتى منها استنباط هذه الصناعة ، وكذلك عند نهاية الكثرة لتباينهم وافتراقهم ، ووقوع الخلف بينهم » .

ونقول ايضاً : يجوز ان يشك شاك فيقول : هل يتأتى عندك ان يعرف انسان من الناس او كثير منهم ، منابت الحشائش والعقاقير ، ومواضع المعادن وخواصها ، وقوى اعضاء سائر الحيوان وخواصها ومضارها ومنافعها ويعرف سائر الامراض والبلدان واختلاف امزجة أهلها مع تفريق ديارهم ؟ ويعرف القوة التي ينتجها تركيب الادوية ، وما يضاد قوة قوة من قوى الادوية ، وما يلئم مزاجاً مزاجاً وما يضاده ، مع ما يتبع ذلك من سائر صناعة الطب فان سهل ذلك وهونه كذب ، وان صعب أمره في علمه من جهة المعرفة قلنا استنباطه ممتنع . واذا لم يكن للصناعة الطبية لابتدائها الا الاستنباط أو الوحي أو الإلهام ، وكان لا سبيل الى استنباط هذه الصناعة بقي ان تكون موجودة بطريق الوحي والالهام .

قال ابن المطران : « هذا كلام مشوش كله مضطرب ، وان كان جالينوس قال في تفسيره «المهد» : ان هذه الصناعة وحيية إلهامية . وقال فلاطن في كتاب « السياسة أن اسقليبيوس كان رجلاً مؤيداً ملهماً » .

لكن تبعيد حصول هذه الصناعة باستنباط العقول خطأ ، وتضعيف العقول التي استنبطت أجل من صناعة الطب . ولننزل ان أول العالم كان واحداً محتاجاً الى صناعة الطب كحاجة هذا العالم الجرم الغفير اليوم ، وانه ثقل عليه جسمه واحمرت عيناه واصابه علامات الامتلاء الدموي ، ولا يدري ما يفعل ، فاصابه من قوته الرعاف^(٢) فزال عنه ما كان يجده فعرّف ذلك ، فعاوده في وقت آخر ذلك بعينه ، فبادر الى انفه فخذشه فجري منه الدم فسكن عنه ما كان يجده ، فصار ذلك عنده محفوظاً يعلمه كل من وجدته من ولده ونسله . ولطفت حواشي الصناعة حتى فتح العرق بلطافة ذهن ورقة حس .

ولو نزلنا لفتح العرق ، ان آخر ، من هذه صفته ، انجرح او انخدش فجري منه الدم فكان له ما ذكرنا من النفع ، ولطفت الازدهان في استخراج^(٣) الفصد ، جاز فصار هذا باباً من الطب . وآخر امتلاً من الطعام امتلاء مفرطاً فأصابه من طبيعته أحد الاستفراغين ، أما القيء واما الاسهال بعد غثيان^(٤)

(١) ليس بما يصح ان يعلم ويخبر عنه .

(٢) الدم يخرج من الأنف .

(٣) تفجير الدم من العرق .

(٤) جيشان النفس واندفاعها للقيء (ن . ر)

وكرَّب^(١) ، وقلق وتروع^(٢) ومنص وقرقر^(٣) وريح جواله في البطن ، فعند ذلك الاستفراغ سكن جميع ما كان يحده . وقد كان آخر من الناس عبث ببعض اليتوعات^(٤) فمفصه ، فأسهله وقيأه أسهالاً وقيئاً كثيراً ، وصارت عنده معرفة ان هذه الحشيشة تفعل هذا الفعل ، وان هذا الحادث يخفف لتلك الاعراض مزيل لها ، فذكره لذلك الشخص ، وحثه على استعمال القليل منه لما تعوق عليه القيء والاسهال ، وصعبت عليه الاعراض فأداه الى غرضه منها ، وخفف عنه ما لقي من شر تلك الاعراض . ولطفت الصناعة ورقت حواشيه ، ونظرت في باقي الحشائش الشبيهة بتلك ، ما منها يفعل ذلك ، وما منها لا يفعله ، وما منها يفعله بعنف ، وما منها يفعله بضعف . وجاء صفاء العقول فنظر في الدواء الذي يفعل ذلك اي الطعوم طعمه ، واي الكيفيات يسبق الى اللسان منه ، وايها يتبعها ، فجعل ذلك سباره^(٥) ويستخرج منه . واعانتة التجربة واخرجت ما وقع له من القول الى الفعل ، وكذبت ما غلط فيه ، وصححت ما حدس^(٦) عليه حدساً صحيحاً ، حتى اكتفى من ذلك . واذا نزلت ان مسهولاً^(٧) لا يعلم أي الأدوية وأي الاغذية ينفعه أو يضره ، استعمل بالاتفاق سماً في غذائه فانتفع به ودام عليه فأبراه ، فأحب ان يعلم بماذا أبراه ، فقطعه فوجده حامضاً قابضاً ، فلم أنه لا يخلو من ان يكون حمضه نفعه او قبضه ، فذاق غيره بما فيه حموضة محضة فقط ، واستعمله في غيره ممن به مثل ما كان به ، فوجده لا يفيد ما أفاده هو ، فعمد الى شيء آخر طعمه قابض فقط ، فاستعمله في ذلك الشخص بعينه ، فوجد فائدته فيه أكثر من فائدة الحامض المطلق ، فلم ان ذلك الطعم مفيد في تلك الحالة وسماه قابضاً ، وسمى ذلك استفراغاً ، وقال أن القابض ينفع من الاستفراغ .

« ولطفت الصناعة ورقت حواشيه في ذلك ، حتى استخرجت العجائب ، واستنبطت البدائع . وأتى الثاني فوجد الاول وقد استخرج شيئاً جرَّبه فوجده حقاً ، فاحتفظ به وقاس عليه ، وتم حتى استكملت الصناعة . ولو نزلنا مجيئه بخالف وجدنا كثيرين موافقين ، واذا غلط متقدم سدد متأخر ، واذا قصر قديم تمم محدث . هكذا في جميع الصناعات ، كذا الغالب على ظني .

قال : قال حبيش^(٨) الاسم : ان رجلاً اشترى كبداً طرية من جزار ومضى الى بيته ، فاحتاج ان ينصرف في حاجة اخرى ، فوضع تلك الكبدة التي كانت معه على اوراق نبات مبسوطة كانت على وجه الارض ، ثم قضى حاجته وعاد ليأخذ الكبدة فوجدها قد ذابت وسالت دماً فأخذ تلك الاوراق وعرف ذلك النبات وصار يبيعه دواء للتلف حتى فطن به وأمر بقتله .

(١) الحزن يأخذ بالنفس (٢) التقيؤ بتكلف (٣) واحدها قرقرة وهي صوت البطن .

(٤) واحدها يتروع ويتشوع : كل نبات له لبن دار مسهل يحرق مقطع وكل اليتوعات اذا استعملت على غير وجهها اهلكته .

(٥) السبار : فتية تجعل في الجرح (٦) توهم وظن وخمن (٧) مصاباً بالاسهال

(٨) عاش في أيام المتوكل وبعده اي في القرن التاسع . ونقل الى العربية قسم بقراط والمياه لبقرات ، وكتاب الفواكه لجالينوس ولدوسقوريدس (ن ر) .

أقول : هذه الحكاية كانت في وقت جالينوس . وقال انه كان السبب في مسك ذلك الرجل وفي توديته الى الحاكم حتى أمر بقتله .

قال جالينوس : وأمرت ايضاً في وقت مروره الى القتل ان تشد عيناه حتى لا ينظر الى ذلك النبات ، او ان يشير الى احد سواه فيتعلمه منه . ذكر ذلك في كتابه في الادوية المسهلة .

وحدثني جمال الدين النقاش السعودي ان في لحف الجبل الذي باسعد ، على الجانب الآخر منه قريباً من الميدان ، عشباً كثيراً . وان بعض الفقراء من مشايخ اهل المدينة اتى الى ذلك الموضع ، ونام على نبات هناك ، ولم يزل نائماً الى ان عبر عليه جماعة ، فوجدوه كذلك ، وتحتة دماً سائحاً من انفه ومن ناحية المخرج ، فأنبهوه وبقوا متعجبين من ذلك ، الى ان ظهر لهم انه من النبات الذي نام عليه . واخبرني انه خرج الى ذلك الموضع ورأى ذلك النبات ، وذكر من صفته انه على شكل الهندباء^(١) غير انه مشرف الجوانب ، وهو مر المذاق . قال: وقد شاهدت كثيراً ممن يدنيه الى أنفه ويستنشقه مرات ، فانه يحدث له رعافاً في الوقت . هذا ما ذكره ، ولم يتحقق عندي في أمر هذا النبات ، هل هو الذي أشار اليه جالينوس أو غيره .

قال ابن المطران : فأقول حينئذ ان النفس الفاضلة المفيدة للخير ، نَظَرَتْ حينئذ فملمت . وكما ان الدواء فعل ذلك الفعل ، فلا بد وأن يكون خَلَقَ دواء آخر ينفع هذا العضو ، ويقاوم هذا الدواء ، ففتش عليه بالتجربة ، ولم يزل يطلب في كل يوم أو في كل وقت حيواناً فيعطيه الدواء الاول ثم الثاني ، فان دفع ضرره فقد حصل مراده ، وان لم ينفع فيه طلب غيره ، حتى وقع على ذلك الدواء . وفي استخراج الترياق اعظم دليل على ما قلت ، اذ لم يكن الترياق سوى حب الغار وعسل ، ثم صار الى ما صار اليه من الكثرة والنفع ، لا بوحى ولا الهام ، ولكن بقياس وصفاء عقول وفي مدد طويلة . «

فان قلت : من أين علم ان الدواء لا بد له من ضد . قلنا : انهم لما نظروا الى قاتل البيش^(٢) ، وهو نبات يطلع فاذا وقع على البيش جففه وأتلفه ، علموا ان مثله في غيره فطلبوه . والعالم الفطن يقدر على علم كيفية استخراج شيء من المعلومات اذا نظر فيه ، على قياسنا الذي وضعناه له . وقد عمل جالينوس كتاباً في كيف كان استخراج جميع الصناعات ، فما زاد فيه على النحو الذي ذكرنا .

اقول : وانما نقلنا هذه الآراء التي تقدم ذكرها على اختلافها وتنوعها ، لكون مقصودنا حينئذ ان نذكر جل ما ذهب اليه كل فريق . ولما كان الخلف والتباين في هذا على ما ترى صار طلب أوله

(١) بقل معروف يؤكل .

(٢) نبات كالزنجبيل وطباً وياساً وفيه سم قتال لكل حيوان وترياقه فأرة البيش وهي فأرة تنغذى به . (ن. ر)

عسراً جداً . إلا ان الانسان العاقل اذا فكر في ذلك بحسب معقوله ، فانه يجد صناعة الطب لا يبعد ان تكون أوائلها قد تحصلت من هذه الاشياء التي قد تقدمت أو من اكثرها . وذلك انا نقول ان صناعة الطب أمر ضروري للناس منوطه بهم حيث وجدوا ومتى وجدوا ، إلا انها قد تختلف عندهم بحسب المواضع وكثرة التغذي وقوة التمييز ، فتكون الحاجة اليها أمس عند قوم دون قوم . وذلك انه لما كانت بعض النواحي قد يعرض فيها كثيراً امراض ما لاهل تلك الناحية ، وخصوصاً كلما كانوا اكثر تنوعاً في الاغذية ، وهم ادموم اكلا للفواكه ، فان ابدانهم تبقى متهيئة للأمراض ، وربما لم يفلت منهم أحد في سائر اوقاته من مرض يعتره ، فيكون امثال هؤلاء مضطرين الى الصناعة الطبية اكثر من غيرهم ، ممن هم في نواحي أصح هواء ، وأغذيتهم أقل تنوعاً ، وهم مع ذلك قليلو الاغتناء بما عندهم . ثم ان الناس ايضاً لما كانوا متفاضلين في قوة التمييز النطقي ، كان اتمهم تمييزاً وأقوامهم حنكة ، وافضلهم رأياً أدرك وأحفظ لما يمر بهم من الامور التجريبية وغيرها ، لمقابلة الأمراض بما يعالجها به من الأدوية دون غيره . فاذا اتفق في بعض النواحي ان يكون أهلها تعرض لهم الامراض كثيراً ، وكان فيهم جماعة عدة بمثابة من أشرنا اليه اولاً فانهم يتسلطون بقوة ادراكهم وجودة قرائنهم ، وبما عندهم من الامور التجريبية وغيرها على سبيل المداواة ، فيجتمع عندهم على الطول اشياء كثيرة من صناعة الطب .

ولنذكر حينئذ اقساماً في مبدئية هذه الصناعة بقدر الممكن ، فنقول :

القسم الاول

ان احد الأقسام في ذلك انه قد يكون حصل لهم شيء منها عن الانبياء والاصفياء ، عليهم السلام ، بما خصهم الله تعالى به من التأييد الالهي .

روى ابن عباس ^(١) رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

كان سليمان بن داودَ عليهما السلام ، اذا صلى رأى شجرة ثابتة بين يديه ، فيسألها ما اسمك ؟ فان كانت لغرس غرست وان كانت لدواء كتبت .

وقال قوم من اليهود : ان الله عز وجل أنزل على موسى عليه السلام سفر الأشفية .

والصابئة ^(٢) تقول : ان الشفاء كان يؤخذ من هياكلهم على يد كهانهم وصلحائهم ، بعض بالرؤيا

(١) ابن عم النبي . ولد قبل الهجرة . ولقب حبر الامة . وهو من رواية الحديث المشهورين . ناصر علياً ثم والى الامويين وقوفي في الكوفة سنة ٦٨٨ .

(٢) قوم يزعمون انهم على دين نوح عليه السلام . وقبلتهم من مهب الشمال عند منتصف النهار .

ربعض بالالهام . ومنهم من قال انه كان يوجد مكتوباً في الهياكل لا يعلم من كتبه ، ومنهم من قال انها كانت تخرج يد بيضاء مكتوب عليها الطب ، ونقل عنهم ان شيت^(١) اظهر الطب ، وانه ورثه عن آدم ، عليهما الصلاة والسلام .

فأما الجوس فانها تقول ان زرادشت^(٢) الذي تدعي انه نبيهم ، جاء بكتب علوم أربعة زعموا انها جلدت باثني عشر الف جلد جاموس ، الف منها طب .

وأما نبط^(٣) العراق والسورانيون والكلدانيون والكسديون وغيرهم من أصناف النبط القدم ، فيدعى لهم . انهم اكتشفوا مبادئ صناعة الطب . وان هرمس^(٤) الهرامسة المثلث بالحكمة كان بينهم ويعرف علومهم ، فخرج حينئذ الى مصر وبث في اهلها العلوم والصنائع ، وبنى الاهرام والبرابي^(٥) ثم انتقل العلم منهم الى اليونانيين .

وقال الامير أبو الوفاء المبرور بن فاتك^(٦) في كتاب « مختار الحكم ومحاسن الكلم » : « ان الاسكندر^(٧) لما غلب مملكة دارا^(٨) ، واحتوى على فارس ، أحرق كتب دين الجوسية وعمد الى كتب النجوم والطب والفلسفة ، فنقلها الى اللسان اليوناني وانفذها الى بلاده ، واحرق اصولها .

وقال الشيخ ابو سليمان المنطقي^(٩) : قال لي ابن عدي : ان الهند لهم علوم جليلة من علوم الفلسفة ، وانه وقع اليه ان العلم من ثم وصل الى اليونانيين . وقال الشيخ ابو سليمان : ولست ادري من اين وقع له ذلك .

وقال بعض علماء الاسرائيليين ان الذي استخرج صناعة الطب يوقال بن لامخ بن متوشالغ

(١) ثالث ابناء آدم وحواء

(٢) ولد في بلاد مادي وهو مصلح الديانة القديمة في ايران ومنشئ الماچوسية (٦٦٠ - ٥٨٣ ق م)

(٣) قوم من العرب كانوا من التجار وكان بينهم شعراء واطباء . عبدوا الاصنام ومنها اللات .

(٤) هو الاسم اليوناني للاله المصري طوت . وهو من حكماء مصر (ق . م)

(٥) ابنة عجيبة في مصر فيها تماثيل وصور .

(٦) هو الامير محمود الدولة ابو الوفاء المبرور بن فاتك الآمري لازم علماء عصره واخذ عنهم العلوم الحكيمة .

(٧) ملك مقدونيا ولد سنة ٣٥٦ ق م وتعلم على ارسطوطاليس ، قهر جيوش داريوس واخضع صور وصيدا ومصر فبنى الاسكندرية ثم عبر دجلة والفرات واستولى على بابل . واراد التقدم ايضاً ولكن المقدونيين رفضوا التقدم فرجع الى بابل حيث مات بالحمل وكان له من العمر ٣٣ سنة

(٨) هو دارا الثالث الذي ملك الفرس (٣٣٦ - ٣٣٠ ق م) وانتصر عليه الاسكندر في موقعة آسيا الصغرى سنة ٣٣٤ ق م . وفي معركة ايسوس واربيل (مدينة في آشور القديمة) وباغتياله انتهت الامبراطورية الفارسية .

(٩) هو ابو سليمان السجستاني المنطقي اجتمع بيجي بن عدي واخذ عنه وكان الى جانب تعمقه في العلوم الحكيمة أدبياً وشاعراً . (ن . ر) .

القسم الثاني

ان يكون قد حصل لهم شيء منها بالرؤيا الصادقة، مثل ما حكى جالينوس في كتابه في الفصد، من فصده للعرق الضارب الذي أمر به . وذلك انه قال :

« اني أمرت في منامي مرتين بفصد العرق الضارب الذي بين السبابة والابهام من اليد اليمنى ، فلما أصبحت فصدت هذا العرق وتركت الدم يجري الى ان انقطع من تلقاء نفسه ، لأنني كذلك أمرت في منامي . فكان ما جرى أقل من رطل^(١) ، فسكن عني بذلك على المكان وجع كنت أجده قديماً في الموضع الذي يتصل به الكبد بالحجاب . وكنت في وقت ما عرض لي هذا غلاماً . قال : وأعرف انساناً بمدينة فرغامس ، شفاه الله تعالى من وجع مزمن كان به في جنبه ، بفصد العرق الضارب من كفه ، والذي دعا ذلك الرجل الى ان يفعل ذلك رؤياً رآها » .

وقال في المقالة الرابعة عشرة من كتابه « في حيلة البرء » : « قد رأيت لساناً عظم وانتفخ حتى لم يسعه الفم ، وكان الذي أصابه ذلك رجلاً لم يعتد اخراج الدم قط ، وكان من ابناء ستين سنة ، وكان الوقت الذي رأيته فيه اول مرة الساعة العاشرة من النهار ، فرأيت انه ينبغي لي ان أسهله بهذا الحب الذي قد جرت العادة باستعماله ، وهو الحب المتخذ بالصبر^(٢) والسقمونيا^(٣) وشحم الحنظل^(٤) ، فسقيته الدواء نحو العشاء ، واشرت عليه ان يضع على العضو العليل بعض الاشياء التي تبرّد . وقلت له افعل هذا حتى انظر ما يحدث ، فاقدر المداواة على حسبه . ولم يساعدني على ذلك رجل حضره من الاطباء ، فبهذا السبب أخذ الرجل ذلك الحب ، وتأخر النظر في امر ما يداوي به العضو نفسه الى الغد .. وكنا نطمع جميعاً ان يكون قد تبين فيه حسن أثر الشيء الذي يداوى به ونجربه عليه . اذ كان فيه يكون البدن قد استفرغ كله ، والشيء المنصب الى العضو قد انحدر الى اسفل .

(١) ثقل يوزن به وهو على نوعين : الرطل الشرعي وهو $\frac{1}{128}$ الدرهم ويمادل بالغرام : ٣٠٩٠٢٨١ ؛ والرطل العراقي وهو ١٣٠ درهماً ، يعادل : ٣١٢٠٧١٨ غ . وهو غير الرطل الشامي المعروف والذي يزن اقلتين ويمادل : ٢٥٦٥٨٩٠ غ « ن . ر »

(٢) الصبر : عصارة شجر مر . وجاء في معجم الشهابي : جنس نباتات من فصيلة الزنبقيات تنبت في البلاد الحارة ، منها انواع تزرع في الحدائق للتزيين ، واخرى كالصبر السقطري (نسبة الى جزيرة سقطرى) يستخرجون من اوراقها للحمية عصارة راتنجية مرة تستعمل في الطب للاسهال « ن . ر » .

(٣) Convulvulus scammonia (المفردات) : نوع من النباتات العشبية والنسف خشبية معظمها معترش من فصيلة اللبلاب ، يستخرج منه صمغ راتنجي شديد الاسهال (ن . ر)

(٤) نبات معترش ثمرته بحجم البرتقالة والمختار منه اصفره ، وشحمه يسهل البلغم الغليظ المنصب في المفاصل شرباً او الغاء في الحلق . نافع للملنخوليا والصرع والوسواس وداء الثعلب والجذام ، ومن لسع الافاعي والعقارب ، ولوجع السن تبخراً محبة ، ولقتل البراغيث رشاً بطبخه ، وللنسا دلوكاً بأخضره (ن . ر)

ففي ليلته رأى في حلمه رؤيا ظاهرة بيئة ، فحمد مشورتي واتخذ مشورتي مادة في ذلك الدواء ، وذلك انه رأى النائم آمراً يأمره بان يمسك في فيه عصارة الخس ، فاستعمل هذه العصارة كما امره وبرأ براء تاماً ، ولم يحتاج معها الى شيء آخر يتداوى به .

وقال في شرحه لكتاب « الايمان » لابقراط : « وعامة الناس يشهدون على ان الله تبارك وتعالى هو الملم لهم صناعة الطب من الاحلام والرؤيا التي تنقذهم من الامراض الصعبة . من ذلك انا نجد خلقاً كثيراً ممن لا يحصى عددهم اتاهم الشفاء من عند الله تبارك وتعالى ، بعضهم على يد سارافس^(١) ، وبعضهم على يد اسقليبيوس بمدينة أفيداروس ومدينة قو ومدينة فرغامس ، وهي مدينتي . وبالجملة فقد يوجد في جميع الهياكل التي لليونانيين وغيرهم من سائر الناس ، الشفاء من الامراض الصعبة التي تأتي بالاحلام والرؤيا .

وأريباسيوس يحكي في كناعته الكبير ان رجلاً عرض له في المئانة حجر عظيم . قال : ودأوته بكل دواء مستصلح لتفتيت الحجر ، فلم ينتفع البتة وأشرف على الهلاك . فرأى في النوم كأن انساناً اقبل عليه وفي يده طائر صنير الجنة ، وقال له ان هذا الطائر اسمه صفراغون^(٢) ، ويكون بمواضع السباحات والآجام ، فخذنه واحرقه وتناول من رماده حتى تسلم من هذه العلة . فلما انتبه فعل ذلك ، فاخرج الحجر من مئانته متفتتاً كالرماد ، وبرأ براء تاماً .

وبما حصل ايضاً من ذلك بالرؤيا الصادقة ان بعض خلفاء المغرب مرض مرضاً طويلاً ، وتداوى بمداواة كثيرة فلم ينتفع بها ، فلما كان في بعض الليالي رأى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في نومه وشكى اليه ما يحده ، فقال له صلى الله عليه وسلم : ادهن بلا ، وكل لا ، تبرأ ، فلما انتبه من نومه بقي متعجباً من ذلك ولم يفهم ما معناه . فسأل المعبرين^(٣) عنه ، فكل منهم عجز عن تأويله ، ما خلا علي بن ابي طالب القيراني ، فانه قال يا امير المؤمنين : ان النبي صلى الله عليه وسلم ، امرك ان تدهن بالزيت وتأكل منه فتبرأ . فلما سأله من اين له معرفة ذلك . قال من قول الله عز وجل : من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار . فلما استعمل ذلك صلح به وبرأ براء تاماً .

ونقلت من خط علي بن رضوان^(٤) ، في شرحه لكتاب جالينوس في فرق الطب ما هذا نصه :

(١) الله مصري من عصر بطليموس والرومان ، تولد عن اختلاط اوزيريس آيئس مع اله غريب عن مصر . واخيراً اصبح سارافس مشابهاً لبلوطون واسقليبيوس وجوبيتر .

(٢) بالفرنسية Troglodyte وهو الوصع : طائر صغير جداً هو اصفر العصافير في العالم القديم واسمه في الشام ذكركه وسكسوكه . وقال الرازي في كتاب الوافي : انه عصفور صغير اصفر من جميع المصافير ، اكثر ما يظهر في الشتاء ، لونه بين الرماد والصفرة ، وفي جناحيه ريش ذهبي ، ومنقاره دقيق ، وفي ذنبه نقط بيض . له حركات دائمة ، وهو دائم الصغير قليل الطيران . وقال الحاروي انه يسمى بالفرنسية صفراغون . (ن . ر)

(٣) المفسرين .

(٤) علي بن رضوان المصري ولد في الجزيرة سنة ١٠٦٨ وكان مبصراً على الطرقات ثم تعلم الطب واصبح طبيب الخليفة لجامك بامر الله هو ابو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر ولد في مصر بالجزيرة ونشأ بمدينة مصر وكان ابوه قرانياً وأكبر

قال : « وقد كان عرض لي منذ سنين صداع مبرح عن امتلاء في عروق الرأس ، فقصدت فلم يسكن ، وأعدت القصد مراراً وهو باق على حاله ، فرأيت جالينوس في النوم ، وقد امرني ان اقرأ عليه حيلة البرء ، فقرأت عليه منها سبع مقالات فلما بلغت الى آخر السابعة ، قال : نسيت ما بك من الصداع؟ وأمرني ان احجم القمَحْدُوَّة ^(١) من الرأس . ثم استيقظت فحجمنتها ، فبرأت من الصداع على المكان .

وقال عبدالله بن زهر ^(٢) في كتاب «التيسير» : « انني كنت قد اعتل بصري من قيسء بحراني ^(٣) افرط علي ، فعرض لي انتشار في الحدقتين دفعة ، فشغل بذلك بالي ، فرأيت فيما يرى النائم من كان في حياته يعني بأعمال الطب ، فأمرني في النوم بالاحتجال بشراب الورد ، وكنت في ذلك الزمان طالباً قد حذقت ، ولم تكن لي حنكة في الصناعة ، فأخبرت ابي فنظر في الأمر ملياً ثم قال لي : استعمل ما امرت به في نومك . فانتفعت به . ثم لم ازل استعمله الى وقت وضعي هذا الكتاب في تقوية الابصار .

اقول : « ومثل هذا ايضاً كثير مما يحصل بالرؤيا الصادقة ، فانه قد يعرض احياناً لبعض الناس ان يروا في منامهم صفات ادوية ممن يوجد لهم اياها ، فيكون بها برؤهم ، ثم تشتهر المداواة بتلك الادوية فيما بعد .

القسم الثالث

ان يكون قد حصل لهم شيء منها ايضاً بالاتفاق والمصادفة، مثل المعرفة التي حصلت لاندروماخس الثاني في القائه لحوم الأفاعي في الترياق . والذي نشطه لذلك وأفرد ذهنه لتأليفه ، ثلاثة اسباب جرت على غير قصد ، وهذا كلامه ، قال :

« اما التجربة الاولى ، فانه كان يعمل عندي في بعض ضياعي في الموضع المعروف ببورنوس ،

على النظر والاشتغال الى ان ذاع صيته وخدم الحاكم فجعله رئيساً على سائر المتطببين . وكان يرد على معاصريه من الاطباء بسفاهة وتشنيع . وقد اصاب بعقله ، وكانت وفاته في سنة اربعمائة وثلاث وخسين بمصر في خلافة المستنصر بالله . وله من الكتب الشيء الكثير .

(١) مؤخر القذال - جماع مؤخر الراس - من الرأس .

(٢) هو ابو مروان بن ابي العلاء ولد في اشبيلية وقد سماه الافرنج Avenzoar . له اختراعات في علم الجراحة . وله كتاب

« الاقتصاد » وكتاب «التيسير» البعيد التأثير في الطب الاوربي .

(٣) دموي خالص (ن. ر)

حرثون يحرثون الارض للزرع ، وكان بيني وبين الموضع نحو فرسخين ^(١) ، وكنت ابكر اليهم لأنظر ما يعملون ، وارجع اذا فرغوا . وكنت احمل لهم معي على الدابة التي تحت الفيلام زاداً وشراباً لتطيب انفسهم ، ويتجلدوا على العمل . فما زلت كذلك الى ان حلت الغداء في بعض الايام ، وكنت قد اخرجت اليهم بستوقة ^(٢) خضراء ، وفيها خر ، مطينة الرأس لم تفتح ، مع زاد . فلما اكلوا الزاد قدموا البستوقة وفتحوها ، فلما ادخل احد يده مع كوز ليغرف منها الشراب وجد فيها أفعى قد تهرأ ، فأمسكوا عن الشراب ، وقالوا : ان ههنا في هذه القرية رجلاً مجذوماً ^(٣) يتمنى الموت من شدة ما به ، فذسقيه من هذا الشراب ليموت ، ويكون لنا في ذلك أجر اذ نريجه من وصبه ^(٤) . فمضوا اليه بزاد وسقوه من ذلك الشراب ، متيقنين انه لا يعيش يومه ذلك ، فلما كان قريب الليل انتفخ جسمه نفخاً عظيماً وبقي الى الغداة ثم سقط عنه الجلد الخارج ، وظهر الجلد الداخلى الاحمر ، ولم يزل حتى صلب جلده وبرأ وعاش دهرأ طويلاً من غير ان يشكو علة ، حتى مات الموت الطبيعي الذي هو فناء الحرارة الغريزية . فهذا دليل على ان لحوم الافاعي تنفع من الاوصاب الشديدة والامراض العتيقة في الابدان .

واما التجربة الثانية فان أخى ابولونيوس كان ماسحاً من قبل الملك على الضياع ، وكان كثيراً ما يخرج اليها في الاوقات الوعرة الرديئة في الصيف والشتاء ، فخرج ذات يوم الى بعض القرى على سبعة فراسخ ، فنزل يستريح عند أصل شجرة ، وكان الزمان شديد الحر ، وانه نام فاجتازته افعى فنهشته في يده ، وكان قد القى يده على الارض من شدة تعبته ، فانتبه بفزع وعلم ان الآفة قد لحقته ، ولم يكن به على القيام طاقة ليقتل الافعى ، واخذ الكرب والغشي ^(٥) فكتب وصية وضمنها اسمه ونسبه ، وموضع منزله وصفته ، وعلق ذلك على الشجرة ، كي اذا مات واجتاز به انسان ، ورأى الرقعة يأخذها ويقرأها ويعلم أهله ، ثم استسلم للموت . وكان بالقرب منه ماء قد حصل منه فضلة يسيرة ، في جوبة ^(٦) في أصل تلك الشجرة التي علق عليها الرقعة ، وكان قد غلبه العطش ، فشرب من ذلك الماء شرباً كثيراً . فلم يلبث الماء في جوفه حتى سكن ألمه ، وما كان يحده من ضربة الافعى ، ثم برأ فبقى متعجباً ولم يعلم ما كان في الماء . فقطع عوداً من الشجرة وأقبل يفتش به الماء ، لانه

(١) الفرسخ : ثلاثة اميال ، والميل يختلف ١) باعتباره ٤٠٠٠ ذراع شرعي يساري في القياس المتري ١٩٢٠ متراً ٢٠)
باعتباره ٣٠٠٠ ذراع اي ١٦٨٠ متراً . وباعتباره ٣٠٠٠ ذراع اي ١٤٤٠ متراً . فيكون الفرسخ على ذلك ١) ٥٧٦٠٠
متراً ٢) : ٥٠٤٠٠ - ٣٠ : ٤٣٢٠

(٢) ائاه من خرف معرب بستو

(٣) مصاباً بمرض الجذام ، وهو مرض وخيم ربما انتهى الى تقطع اطراف البدن وسقوطها عن تقرح ، ويفسد مزاج الاعضاء وهيئتها .

(٤) مرضه .

(٥) الاغماء

(٦) الحفرة المستديرة الواسعة .

كره ان يفتشه بيده لثلا يكون فيه ايضاً شيء يؤذيه ، فوجد فيه أفعين قد اقتتلا ووقعا جميعاً في الماء وتهرأ ، فاقبل اخي الى منزلنا صحيحاً سالماً ايام حياته ، وترك ذلك العمل الذي كان فيه ، واقتصر بلازمتي . وكان هذا ايضاً دليلاً على ان لحوم الافاعي تنفع من نهش « الافاعي » والحيات والسباع الضارية .

وأما التجربة الثالثة فانه كان للملك يبولوس غلام ، وكان شريراً ^(١) غمازاً خناناً ^(٢) فيه كل بلاء ، وكان كبيراً عند الملك يحبه لذلك ، وكان قد آذى اكثر الناس ، فاجتمع الوزراء والقواد والرؤساء على قتله ، فلم يتهياً لهم ذلك لمكانته عند الملك . فاحتال بعضهم وقال : اذهبوا فاسحقوا وزن درهمين افينونا ^(٣) وأطعموه اياه في طعامه ، او اسقوه في شرابه ، فان الموت السريع يلحق الناس كثيراً ، فاذا مات حملتموه الى الملك وليس به جراحة ولا قلبه ^(٤) . فدعوه الى بعض البساتين ، فلم يتهياً لهم ان يفعلوا ذلك في الطعام فسقوه في الشراب ، فلم يلبث الا قليلاً ان مات ، فقالوا نتركه في بعض البيوت ونختم عليه ، ونوكل الفعلة بباب البيت ، حتى نمضي الى الملك نعلمه انه قد مات فجأة ليعث ثقافته ينظرونه . فلما صاروا باجمعهم الى الملك نظر الفعلة الى افعى قد خرج من بين الحجر ، ودخل الى البيت الذي فيه الغلام ، فلم يتهياً لهم ان يدخلوا خلفه ويقتلوه لان الباب كان مختوماً فلم يلبثوا إلا ساعة والغلام يصبح بهم لم قفلتم على الباب ؟ أعينوني قد لسعتني افعى ! ومد الباب من داخل وأعانه قوأم البستان من خارج فكسروه فخرج وليس به 'قلبه' . وكان هذا ايضاً دليلاً على ان لحوم الافاعي تنفع من شرب الادوية القتالة المهلكة . هذا جملة ما ذكره اندروماخس .

ومثل هذا ايضاً ، أعني ما حصل بالاتفاق والمصادفة ، انه كان بعض المرضى بالبصرة ، وكان قد استسقى ^(٥) ويش أهل من حياته ودأوه بوصفات كثيرة من ادوية الاطباء ، فيئسوا منه وقالوا لا حيلة في برئه ، فسمع ذلك من اهله ، فقال لهم : دعوني الآن اتزود من الدنيا وآكل كل ما عن لي ولا تقتلونني بالحيلة . فقالوا له : كل ما تريد ! فكان يجلس بباب الدار فمهما جاز اشترى منه وأكل . فمر به رجل يبيع جراداً مطبوخاً فاشترى منه كثيراً ، فلما اكله انسهل بطنه من الماء الاصفر في ثلاثة ايام ما كاد به ان يتلف لافراطه . ثم انه عندما انقطع القيام زال كل ما كان في جوفه من المرض ، وثابت قوته فبرأ ، وخرج يتصرف في حوائجه . فرآه بعض الاطباء فمجب من أمره ، وسأله عن الخبر فعرفه ، فقال : ان الجراد ليس من طبعه ان يفعل هذا ، فدلني على بائع الجراد فدلته عليه ، فقال له من أين تصطاد هذا الجراد ؟ فخرج به الى المكان ، فوجد الجراد في ارض أكثر نباتها المازريون ^(٦) ، وهو من دواء الاستسقاء ، واذا دفع الى مريض منه وزن درهم اسهل اسهالاً

(١) يطعن في الناس (٢) يقول بالحدس والظن .

(٣) عصير الشخصاخاص وخاصة الخشخاش الابيض وله خاصية مخدرة ومنومه .

(٤) الحرة فيه .

(٥) اصيب بمرض الاستسقاء وهو تجمع الماء في البطن عن مرض (٦) جنس من النباتات يستعمل للتزوين وهو بالافرنجية

ذريعاً لا يكاد ان يضبط والعلاج به خطر ، ولذلك ما تكاد تصفه الاطباء . فلما وقع الجراد على هذه الحشيشة ، ونضجت في جوفه ، ثم طبخ الجراد ، ضعف فعلها . وأكل الجراد فعوفي بسببها .

ومثل هذا ايضاً ، أي مما حصل من طريق المصادفة والاتفاق ، أنه كان بافلوالن من سلية اسقليبيوس ورم حار في ذراعه ، مؤلم ألماً شديداً ، فلما اشفى منه ارتاحت نفسه الى الخروج الى شاطئ نهر كان عليه النبات المسمي حي العالم ، ^(١) وانه وضعها عليه تبرداً به فخف بذلك ألمه ، فاستطال وضع يده عليه ، واصبح من غد فعمل مثل ذلك فبرأ برء تاماً . فلما رأى الناس سرعة برئه علموا انه انما كان بهذا الدواء وهو على ما قيل اول ما عرف من الأدوية .

وأشبه هذه الأمثلة التي قد ذكرنا كثيرة .

القسم الرابع

ان يكون قد حصل شيء منها ايضاً بما شاهده الناس من الحيوانات ، واقتدى بأفعالها وتشبه بها وذلك مثل ما ذكره الرازي ^(٢) في كتاب (الخواص) ان الخطاف ^(٣) اذا وقع بفراخه اليرقان ^(٤) ، مضى فجاء بحجر اليرقان ، وهو حجر أبيض صغير يعرفه ، فجعله في عشه فيبرأوا . وان الانسان اذا اراد ذلك الحجر طلى فراخه بالزعفران ، فيظن انه قد اصابهم اليرقان ، فيمضي فيجىء به فيؤخذ ذلك الحجر ويلقى على من به اليرقان ، فينتفع به .

وكذلك ايضاً شأن العقاب الانثى ، انه اذا تعسر عليها بيضها وخروجه ، وصعب حتى تبلغ الموت ، ورأى ذكرها فلك طار واحضر حجراً يعرف بالقلقل ، لانه اذا حرك تقلقل في داخله ، فاذا كسر لم يوجد فيه شيء ، وكل قطعه منه اذا حركت تقلقلت مثل صحيحه ، واكثر الناس تعرفه بحجر العقاب ، ويضعه فيسهل على الانثى بيضها . والناس يستعملونه في عسر الولادة على ما استنبطوه من العقاب .

ومثل ذلك ايضاً ان الحيات اذا اظلمت اعينهن لكونهن في الشتاء في ظلمة بطن الارض ، وخرجن من مكامنهن في وقت ما يدفأ الوقت طلبن نبات الرازيانج ^(٥) ، وامررن عيونهن عليه فيصلح ما بها .

(١) قال الشهابي في معجمه عن كتاب المفردات : كان القدماء يطلقون لفظ حي المسالم على انواع من جنس Orpin وانواع من جنس Sempervivum وهو ما سميت الخلة وهو بالفرنسية Joubarbe . وهو جنس نباتات معمرة للتزين .
(٢) هو ابو بكر محمد بن زكريا الرازي جالينوس العرب رسيأى الكلام عنه . (٣) طائر يشبه السنونو طويل الجناحين قصير الرجلين (٤) مرض يصيب الزرع والانسان يتغير منه لون البدن فاحشاً الى صفرة او سواد يميزان الخلط الاصفر والاسود الى الجلد وما يليه بلا عفونة ،
(٥) من الفارسية وهي الشاز جنس بقول من فصيلة الخيميات جذورها مسهلة . (ن ر)

فلما رأى الناس ذلك وجربوه وجدوا من خاصيته اذهاب ظلمة البصر اذا اكتحل بمائه .

وذكر جالينوس في كتابه في الحقن عن ارودوطس ، ان طائراً يدعي أيبس^(١) هو الذي دل على علم الحقن ، وزعم ان هذا الطير كثير الاغتذاء لا يترك شيئاً من اللحوم الا اكله ، فيحتبس بطنه لاجتماع الاخلاط الرديئة وكثرتها فيه ، فاذا اشتد ذلك عليه توجه الى البحر ، فأخذ بمنقاره من ماء البحر ثم ادخله في دبره ، فيخرج بذلك الماء الاخلاط المحتقنة في بطنه ، ثم يعود الى طعامه الذي عادته الاغتذاء به .

القسم الخامس

ان يكون حصل شيء منها ايضاً بطريق الالهام كما هو لكثير من الحيوانات . فانه يقال ان البازي اذا اشتكى جوفه عمد الى طائر معروف يسميه اليونانيون ذريفوس ، فيصيده ويأكل من كبده فيسكن وجعه على الحال .

وكما تشاهد عليه ايضاً السنابير^(٢) ، فانها في اوقات الربيع تأكل الحشيش ، فان عذمت الحشيش عدلت الى خوص^(٣) المكانس فتأكله ، ومعلوم ان ذلك ليس مما كانت تغتذي به اولاً ، وانما دعاها الى ذلك الالهام لفعل ما جعله الله تعالى سبباً لصحة ابدانها ، ولا تزال كذلك الى ان تحس بالصحة المأموس اليها بالطبع ، فتكف عن اكله . وكذلك ايضاً متى نالها اذى من بعض الحيوانات المؤذية ذات السموم ، واكلت شيئاً منها فانها تقصد الى السيرج^(٤) والى مواضع الزيت فتقتال منه ، ذلك يسكن عنها سورة^(٥) ما تجده .

ويحكى ان الدواب اذا اكلت الدفلى^(٦) في ربيعها اضر ذلك بها ، فتسارع الى حشيشة هي بادزهر^(٧) للدفلى فترقعها ، ويكون بها برؤها . وبما يحقق ذلك حالة جرت من قريب ، وهي ان بهاء الدين بن

(١) Ibis طائر مائي طويل الرجلين والعنق ، له منقار طويل . وهو من طيور البلاد المعتدلة ابيض اللون جسداً اسوده رأساً وعنقاً ومنقاراً ويعرف بالعربية بابي منجل . وعنده المصريون لانه يهلك الحيات التي تغزو ضفاف النيل . وموطنه مصر والشام والعراق واسمه في العراق على ما روى جيزمان سلندر، وحسب رواية الكرمل: عنز. وعند عامة المصريين اللقلق الاسود (٢) جمع سنور وهو الهر . (٣) ورق النخل .

(٤) دهن السمسم .

(٥) حدة .

(٦) نبت مر لا يأكله شيء ، زهره كالورد ومنه ابيض ، ينبت في شواطئ الانهار وفي الخرابات . وقال ابن الاعرابي: من الشجر الدفلى وهو الآء والآلاء والحبن ، وكله الدفلى .

(٧) هو في الاساس تجمدات مرضية كروية او بيضية تتكون في الحيوانات قالوا انها مضادة للسم .

نفادة الكاتب حكى انه لما كان متوجهاً الى الكرك^(١) كان في طريقه بالطليل وهي منزلة كثيرة نبات الدفلى ، فنزل هو وآخر في مكان منها والى جانبهم هذا النبات ، فربط الغلمان دوابهم هنالك ؛ وجعلت الدواب ترعى ما يقرب منها واكلت من الدفلى ، فأما دوابه فان غلمانهم غفلوا عنها فسابت ورعت من مواضع متفرقة ، واما دواب الآخر فأنها بقيت في موضعها لم تقدر على التنقل منه ، ولما اصبحوا وجدت دوابه في عافية ودواب الآخرين قد ماتت بأسرها في ذلك الموضع .

وحكى ديسقوريدس^(٢) في كتابه ان المعزى البرية باقريطش اذا رميت بالنبل وبقيت في ابدانها فانها ترعى النبات الذي يقال له المشكطرامشير ، وهو نوع من الفوتنج^(٣) فيتساقط عنها ما رميت به ، ولم يضرها شيء منه .

وحدثني القاضي نجم الدين عمر بن محمد بن الكرندي ، ان اللقلق يمشى في اعلى القباب والمواضع المرتفعة ، وان له عدواً من الطيور يتقصده ابدأ ، ويأتي الى عشه ويكسر البيض الذي فيه . قال : وان ثم حشيشة من خاصيتها ان عدو اللقلق اذا شم رائحتها ينمى ، فيأتي بها اللقلق الى عشه ويجعلها تحت بيضه ، فلا يقدر العدو عليها .

وذكر أوحده الزمان^(٤) في المعبر ان القنفذ لبيته ابواب يسدها ويفتحها عند هبوب الرياح التي تؤذيه وتوافقه . وحكى ان انساناً رأى الجباري^(٥) تقاتل الافعى ، وتنهزم عنها الى بقلة تتناول منها ، ثم تعود لقتالها . وان هذا الانسان عاينها فنهض الى البقلة فقطعها عند اشتغال الجباري بالقتال ، فعادت الجباري الى منبتها ففقدتها وطافت عليها فلم تجدها فخرت ميتة . فقد كانت تتعالج بها . قال : وابن عرس يستظهر في قتال الحية باكل السذاب^(٦) . والكلاب اذا دردت بطونها اكلت السبل وتقيأت واستطلقت^(٧) ، واذا جرح اللقلق داوى جراحه بالصعتر الجبلي^(٨) . والثور يفرق بين الحشائش المتشابهة في صورها ، ويعرف ما يوافقه منها فيرعه ، وما لا يوافقه فيتركه ، مع نهمه وكثرة اكله وبلادة ذهنه . ومثل هذا كثير .

(١) مدينة اردنية كانت قاعدة لدولة المماليك، حصنها يشرف على طريق التجارة والحج،

(٢) طيب يوناني في القرن الاول من تاريخنا اشهر مؤلفاته في علم النبات .

(٣) ورد في القاموس الفوذج وهو ينبت حول المناقع ويسميه ايضاً نعنغ الماء . ورد اسمه في معجم الشهابي الفوتنج كما هو هذا

(٤) ابو البركات هبة الله بن علي ملكا البلدي ولد ببلد ثم اقام ببغداد وكان يهودياً فاسلم . اخذ صناعة الطب عن ابي الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين وكان شديد الذكاء .

(٥) طائر من طيور البر بمظم الدجاجة طويلة العنق والذنب مستدلة الرجلين ومن اسمائها دجاجة البر (والجباري في الالفاظ الفارسية العربية تعريب أبره ، ويقال لها بالفارسية جزر) « عن عجائب المخلوقات » .

(٦) بقل يسمى الفيحن له خواص تستعمل في الطب .

(٧) اسهلت . (٨) نبات عطر طبي من الفصيلة النعنعية من الشفويات . (ن . ر)

فاذا كانت الحيوانات التي لا عقول لها الهمت مصالحها ومنافعها، كان الانسان العاقل المميز المكلف، الذي هو افضل الحيوان ، أولى بذلك . وهذا اكبر حجة لمن يعتقد ان الطب انما هو الهام وهداية من الله سبحانه لخلقه .

وبالجملة فانه قد يكون من هذا وبما وقع بالتجربة والاتفاق والمصادفة اكثر ما حصلوه من هذه الصناعة . ثم تكاثر ذلك بينهم وعضده القياس بحسب ما شاهدوه ، وادتهم اليه فطرتهم ، فاجتمع لهم من جميع تلك الاجزاء التي حصلت لهم بهذه الطرق المتقننة المختلفة اشياء كثيرة . ثم انهم تأملوا تلك الاشياء واستخرجوا عليها والمناسبات التي بينها ، فتحصل لهم من ذلك قوانين كلية ومبادئ منها يبتدأ بالتعلم والتعليم ، والى ما ادركوه منها اولاً يقتضى . فعند الكمال يتدرج في التعليم من الكليات الى الجزئيات ، وعند استنباطها يتدرج من الجزئيات الى الكليات ، واقول ايضاً وقد اشرنا الى ذلك من قبل ، انه ليس يلزم ان يكون اول هذا مختصاً بموضع دون موضع ، ولا يفرد به قوم دون آخرين الا بحسب الاكثر والاقول ، وبحسب تنوع المداواة . ولهذا فان كل قوم هم مصطلحون على ادوية يالفونها ويتداولون بها ، وارى انهم انما اختلفوا في نسبة صناعة الطب الى قوم بحسب ما قد كان يتجدد عند قوم فينسب اليهم ، فانه قد يمكن ان تكون صناعة الطب في امة او في بقعة من الارض ، فتدثر وتبيد باسباب سماوية او ارضية ، كالطواعين المفنية والقحوط المحلية ، والحروب المبيدة ، والملوك المتغلبة ، والسير المخالفة . فاذا انقرضت في امة ونشأت في امة اخرى ، وتطاول الزمان عليها نسي ما تقدم ، وصارت الصناعة تنسب الى الامة الثانية دون الاولى ، ويعتبر اولها بالقياس اليهم فقط ، فيقال لها منذ ظهرت كذا وكذا وانما يعنى في الحقيقة منذ ظهرت في هذه الامة خاصة ، وهذا بما لا يبعد . فانه على ما تواترت به الآثار ، وخصوصاً ما حكاه جالينوس وغيره ، ان ابقرات لما رأى صناعة الطب قد كادت ان تبيد ، وانه قد درست معالمها عن آل اسقليبيوس ، الذين ابقرات منهم ، تداركها بأن أظهرها وبشها في الغرباء ، وقواها ونشرها وشهرها بأن اثبتها بالكتب . فلماذا يقال ايضاً على ما ذهب اليه كثير من الناس ، ان ابقرات اول من وضع صناعة الطب واول من دونها وليس الحق ، على ما تواترت به الآثار ، إلا انه اول من دونها من آل اسقليبيوس لتعليم كل من يصلح لتعلمها من الناس كافة ، ومثله سلك الاطباء من بعده واستمر الى الآن . واسقليبيوس الأول هو أول من تكلم في شيء من الطب على ما سيأتي ذكره .

الباب الثاني

طبقات الأطباء الذين ظهرت لهم أجزاء من صناعة الطب وكانوا المبتدئين بها

اسقليبيوس

قد اتفق كثير من قدماء الفلاسفة والمتطبيين على ان اسقليبيوس ، كما اشرنا اليه اولاً ، هو اول من ذكر من الاطباء واول من تكلم في شيء من الطب على طريق التجربة . وكان يونانياً ، واليونان منسوبون الى يونان ، وهي جزيرة كانت الحكماء من الروم ينزلونها . وقال ابو معشر ^(١) في المقالة الثانية من كتاب (الالوف) ان بلدة من المغرب كانت تسمى في قديم الدهر ارغس ^(٢) ، وكان اهلها يسمون ارغيو ، وسميت المدينة بعد ذلك ايونيا ، وسموا اهلها يونانيين باسم بلدهم ، وكان ملكها احد ملوك الطوائف . ويقال ان اول من اجتمع له ملك مدينة ايونيا من ملوك اليونانيين كان اسمه ايوليوس ^(٣) ، وكان لقبه دقاطر ، ملكهم ثماني عشرة سنة ، ووضع لليونانيين سنناً كثيرة مستعملة عندهم .

وقال الشيخ الجليل ابو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني ^(٤) المنطقي في «تعاليقه» : ان

-
- (١) ويدعوه الافرنج Albumasar . ولد في بلخ (خراسان) . وهو منجم انصرف الى علم الحديث والى رصد النجوم ومنها رمتدى الى الكشف عن الحبايا . ولد في سنة ٨٨٥
- (٢) مدينة من مملكة اليونان الحالية وتدعى اليوم بلانيتزا . وكانت عاصمة ارغوليد القديمة خضعت فيما بعد لاسباطة . وقد لعبت ارغس دوراً هاماً في قصص الاساطير . وقد قتل بيروس اثناء حصارها (٣٧٢ ق م) .
- (٣) هو ما يرى فيه اليونانيون الجذ الخرافي للابوليين الذين طردوا دوريان من بلوونيز واستوطنوا آسيا الصغرى
- (٤) هو احد الاطباء الذين ظهوروا في بلاد العجم . وكان فاضلاً اديباً الى جانب تعمقه في العلوم الحكمية واطلاعه الواسع على دقائقها . اخذ عن يحيى بن عدي وله عدة كتب في شتى الفنون اهمها تعاليق حكمية .

اسقليبيوس بن زيوس ، قالوا مولده روحاني ، وهو امام الطب ، وابو اكثر الفلاسفة ؛ قال : واقليدس ينسب اليه ، وافلاطون وارسطوطاليس وبقراط واكثر اليونانية ؛ قال : وبقراط كان السادس عشر من اولاده ، يعني البطن السادس عشر من اولاده ؛ وقال : سولون^(١) اخو اسقليبيوس ، وهو ابو واضع النواميس .

اقول : وترجمة اسقليبيوس بالعربي منع اليبس ، وقيل ان اصل هذا الاسم في لسان اليونانيين مشتق من البهاء والنور . وكان اسقليبيوس ، على ما وجد في اخبار الجبارة بالسريانية ، ذكي الطبع ، قوي الفهم ، حريصاً مجتهداً في علم صناعة الطب . واتفقت له اتفاقات حميدة معينة على التمهيد في هذه الصناعة ، وانكشفت له أمور عجيبة من احوال العلاج بالهام من الله عز وجل .

وحكي انه وجد علم الطب في هيكل كان لهم برمية ، يعرف بهيكل ابلن^(٢) وهو للشمس ، ويقال ان اسقليبيوس هو الذي اوضح هذا الهيكل ويعرف بهيكل اسقليبيوس . وبما يحقق ذلك ان جالينوس قال في كتابه في فينكس : ان الله عز اسمه لما خلصني من دويلة^(٣) قتالة كانت عرضت لي ، حججت الى بيته المسمى بهيكل اسقليبيوس . وقال جالينوس في كتابه « حيلة البرء » في صدر الكتاب : « مما يجب ان يحقق الطب عند العامة ما يروونه من الطب الالهي في هيكل اسقليبيوس ، على ما حكاه هروسيوس صاحب القصص ، بيت كان بمدينة رومية كانت فيه صورة تكلمهم عندما يسألونها ، وكان المستنبط لها في القديم اسقليبيوس . » وزعم مجوس روميه ان تلك الصورة كانت منصوبة على حركات نجومية ، وانه كان فيها روحانية كوكب من الكواكب السبعة . وكان دين النصرانية في رومية قبل عبادة النجوم ، كذا حكى هروسيوس .

وذكر جالينوس ايضاً في مواضع كثيرة ، ان طب اسقليبيوس كان طباً الهياً . وقال : « ان قياس الطب الالهي الى طبننا قياس طبننا الى طب الطرقات » . وذكر ايضاً في حق اسقليبيوس في كتابه الذي ألفه في الحث على تعلم صناعة الطب : « ان الله تعالى اوحى الى اسقليبيوس اني الى ان اسميك ملكاً اقرب منك الى ان اسميك انساناً » . وقال أبقراط : « ان الله تعالى رفعه اليه في الهواء في عمود من نور » . وقال غيره : ان اسقليبيوس كان معظماً عند اليونانيين ، وكانوا يستشفون بقبوره . ويقال انه كان يسرج^(٤) على قبره كل ليلة الف قنديل . وكان الملوك من نسله تدعى له النبوة .

(١) هو مشارع اثينا واحد حكماء اليونان السبعة (٦٤٠ - ٥٥٨ ق م) تعالى بالفكر الوطني عند الاثينيين ، وخفف افعال المواطنين الفقراء وهكذا جدد الالفة في المدينة التي اعطاها دستوراً اكثر ديمقراطية . وذهب اسمه على الاسن كحكم ومشارع .

(٢) وكان في مدينة ابيدور احدي مدن اركوليد القديمة (اليونان) على شاطئ بحر ايجه . وكان يقصده جميع المرضى من جميع انحاء اليونان .

(٣) داء يجتمع في الجوف او خراج دمل كبير فيه ، وربما قتل صاحبه . (ن . ر) .

(٤) يوقد .

وذكر افلاطون في كتابه المعروف « بالنواميس » عن اسقليبيوس اشياء عدة من اخباره بمغيبات ، وحكايات عجيبة ظهرت عنه بتأييد إلهي ، وشاهدها الناس كما قاله واخبر به . وقال في المقالة الثالثة من كتاب « السياسة » : إن اسقليبيوس كان هو واولاده عالين بالسياسة . وكان اولاده جنداً فرهة وكانوا عالين بالطب . وقال : ان اسقليبيوس كان يرى ان من كان به مرض يبرأ منه عاجله ، ومن كان مرضه قاتلاً لم يطل حياته التي لا تنفعه ولا تنفع غيره ، اي يترك علاجه له .

وقال الامير ابو الوفاء المبشر بن فاتك^(١) في كتاب « مختار الحكم ومحاسن الكلم » : « ان اسقليبيوس هذا كان تلميذ هرمس ، وكان يسافر معه . فلما خرجا من بلاد الهند وجاءا الى فارس ، خلفه ببابل ليضبط الشرع فيهم . قال : واما هرمس هذا فهو هرمس الاول ، ولفظه أرمس ، وهو اسم عطارد . ويسمى عند اليونانيين أطرسمين ، وعند العرب ادريس ، وعند العبرانيين اخنوخ ، وهو ابن يارد بن مهلائيل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم عليهم السلام . ومولده بمصر في مدينة منف منها . قال : وكانت مدته على الارض اثنتين وثمانين سنة ، وقال غيره ثلاثاً وخمسة وستين سنة . قال المبشر ابن فاتك : وكان عليه السلام رجلاً آدم^(٢) اللون ، تام القامة ، اجلح ، حسن الوجه ، كث اللحية ، مليح التخاذيط ، تام الباع^(٣) ، عريض المنكبين ، ضخم العظام ، قليل اللحم ، براق العين اكحل ، متأنياً في كلامه ، كثير الصمت ، ساكن الاعضاء ، اذا مشى اكثر نظره الى الارض ، كثير الفكرة ، به حدة وعبسة ، يحرك اذا تكلم سبابته .

وقال غيره : ان اسقليبيوس كان قبل الطوفان الكبير ، وهو تلميذ اغاثوديمون المصري ، وكان اغاثوديمون احد انبياء اليونانيين والمصريين ، وتفسير اغاثوديمون السعيد الجد . وكان اسقليبيوس هذا هو البادئ بصناعة الطب في اليونانيين ، علمها بنيه وحذر عليهم ان يعلموها الغرباء .

واما ابو معشر البلخي المنجم فانه ذكر في « كتاب الالوف » : « ان اسقليبيوس هذا لم يكن بالمتأله^(٤) الاول في صناعة الطب ولا بالمبتدئ بها ، بل انه عن غيره اخذ ، وعلى نهج من سبقه سلك . » وذكر انه كان تلميذ هرمس المصري . وقال ان الهرامسة كانوا ثلاثة .

اما - (هرمس الاول) وهو المثلث بالنعيم فإنه كان قبل الطوفان ، ومعنى هرمس لقب كما يقال قيصر وكسرى . وتسميه الفرس في سيرها اللهجد ، وتفسيره ذو عدل . وهو الذي تذكر الحرانية

(١) هو الامير محمود الدولة ابو الوفاء المبشر بن فاتك الآمري . لازم اكبر علماء عصره واخذ عنهم العلوم الحكيمة . ركان محباً للعلم وله خزائن كتب لا يفارقها فقد كان لا دأب له إلا المطالعة . وكان من تلاميذه ابو الخير سلامة ابن مبارك بن رحون . وله كتب كثيرة منها : كتاب في الطب ، وكتاب الرصايا والامثال ، والموجز من محكم الاقوال ، وكتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم . (٢) اسمر .

(٣) قدر مد الين ويراد بتمام الباع هنا القوة وكال الخلق .

(٤) المتكلف اللوهمية .

نبوته ؛ وتذكر الفرس ان جده كيومرث وهو آدم . ويذكر العبرانيون انه اخذوه وهو بالعربية ادريس

قال ابو معشر « هو اول من تكلم في الاشياء العلوية من الحركات النجومية ، وان جده كيومرث وهو آدم علمه ساعات الليل والنهار ، وهو اول من بنى الهياكل ومجد الله فيها ؛ واول من نظر في الطب وتكلم فيه . وانه ألف لأهل زمانه كتباً كثيرة باشعار موزونة وقواف معلومة بلغة أهل زمانه في معرفة الاشياء الارضية والعلوية . وهو اول من انذر بالطوفان ، ورأى ان آفة سماوية تلحق الارض من الماء والنار ، وكان مسكنه صعيد مصر ، تخير ذلك فبنى هناك الاهرام ومدائن القراب ، وخاف ذهاب العلم بالطوفان فبنى البرابي^(١) وهو الجبل المعروف بالبرابر بأخيم^(٢) وصور فيها جميع الصناعات وصناعتها نقشاً وصور جميع آلات الصناعات ، وأشار الى صفات العلوم لمن بعده برسوم حرصاً منه على تخليد العلوم لمن بعده ، وخيفة ان يذهب رسم ذلك من العالم .

وثبت في الاثر المروي عن السلف: « ان ادريس اول من درس الكتب ، ونظر في العلوم ، وانزل الله عليه ثلاثين صحيفة ، وهو اول من خاط الثياب ولبسها ورفع الله مكاناً علياً » .

واما (هرمس الثاني) فانه من أهل بابل ، سكن مدينة الكلدانيين وهي بابل ، وكان بعد الطوفان في زمن نيزيغال الذي هو اول من بنى مدينة بابل بعد غمرود^(٣) بن كوش . وكان بارعاً في علم الطب والفلسفة ، وعارفاً بطبائع الاعداد ، وكان تلميذه فيثاغورس الارتماطيقي^(٤) . وهرمس هذا جدد من علم الطب والفلسفة وعلم العدد ما كان قد درس^(٥) بالطوفان ببابل ، ومدينة الكلدانيين هذه مدينة الفلاسفة من أهل المشرق ، وفلاسفتهم أول من حدد الحدود، ورتب القوانين .

واما (هرمس الثالث) فانه سكن مدينة مصر وكان بعد الطوفان ، وهو صاحب كتاب (الحيوانات ذوات السموم) وكان طبيباً فيلسوفاً وعالماً بطبائع الادوية القتالة والحيوانات المؤذية ، وكان جوالاً في البلاد طوافاً بها ، عالماً بنصبة المدائن وطبائعها وأهلها . وله كلام حسن في صناعة الكيمياء نفيس يتعلق^(٦) منه الى صناعات كثيرة ، كالزجاج والخرز والغضار^(٧) وما اشبه ذلك . وكان له

(١) ابنية عجيبة فيها تماثيل وصور .

(٢) بلد في صعيد مصر على النيل .

(٣) هو غمرود بن كوش بن خام ورد ذكره في كتب العرب وقالوا انه كان خصماً لابراهيم واشتهر بولوعه في الصيد هو ملك كلدنة حسب ما ورد في الاساطير التي تسميه الصياد القادر امام الخالد .

(٤) فيلسوف ورياضي يوناني في القرن السادس قبل المسيح . وهو مؤسس المذهب الفيثاغوري ، ولا يعرف شيء عن اكتشافاته الرياضية والهندسية والفلكية ولكن يميز اليه جدول الضرب في علم الحساب .

(٥) عفى واعى .

(٦) في الاصل يتعلق ولا معنى لها والارجح انها ينطلق كما ادى .

(٧) الطين اللارب الاخضر او الطين الحر يتخذ منه الخزف . (ن.د)

تلميذ يعرف باسقليبيوس ، وكان مسكنه بارض الشام .

رجع الكلام الى ذكر اسقليبيوس

وبلغ من أمر اسقليبيوس ان ابرأ المرضى الذين يشس الناس من برهم . ولما شاهده الناس من افعاله ظن العامة انه يحيي الموتى . وأنشد فيه شعراء اليونانيين الاشعار السجبية ، وضمنوها انه يحيي الموتى ، ويرد كل من مات الى الدنيا ^(١) . وزعموا ان الله تعالى رفعه اليه تكرامة له واجلالا ، وصيره في عديد الملائكة ، ويقال انه ادريس عليه السلام .

وقال يحيى النحوي : « ان اسقليبيوس عاش تسعين سنة ، منها صبي وقبل ان تفتح له القوة الالهية خمسين سنة ، وعالم معلم اربعين سنة ، وخلف ابنين ماهرين في صناعة الطب ، وعهد اليها ان لا يعلمنا الطب إلا لاولادها وأهل بيته ، وان لا يدخلوا في صناعة الطب غريباً ، وعهد الى من يأتي بعده كذلك وأمرهم بأمرين : احدهما ان يسكنوا وسط المعمور من ارض اليونانيين ، وذلك في ثلاث جزائر : منها قو جزيرة ابقراط . والثاني ان لا تخرج صناعة الطب الى الغرياء ، بل يعلمها الآباء الابناء . وكان ابنا اسقليبيوس مع اغامنون ^(٢) لما سار لفتح طرياس ^(٣) ، وكانت يكرمها غاية الكرامة ، ويشرفها لعلو محلها في العلم . »

ومن خط ثابت بن قرة الحراني ^(٤) لما ذكر البقارطة ^(٥) قال : ويقال انه كان في جميع اقاليم الارض لاسقليبيوس اثنا عشر الف تلميذ ، وانه كان يعلم الطب مشافهة . وكان آل اسقليبيوس يتوارثون صناعة الطب ، الى ان تضعض الأمر في صناعة الطب على زمن بقراط ، ورأى ان اهل بيته وشيعته قد قلوا ، ولم يأمن ان تنقرض الصناعة ، فابتدأ في تأليف الكتب على جهة الايجاز . وقد ذكر جالينوس في تفسيره لكتاب ايمان ابقراط وعهده من أمر اسقليبيوس ما هذا نصه . قال : الذي تنهى الينا من قصة اسقليبيوس قولان احدهما لغز والآخر طبعي .

اما اللغز فيذهب فيه الى انه قوة من قوى الله تبارك وتعالى واشتق لها هذا الاسم من فعلها وهو

(١) الى الحياة الدنيا .

(٢) ابن آتري وشقيق مينيلاس ، وهو ملك اسطوري لمكينا (ميسين قديماً) وارغوس ، ورئيس ابطال اليونان الذين حاصروا طروادة . ولم يتأخر عن التضحية بابنته افيجني ليخفف غضب ديانا الشديد وتمنع الرياح المضادة التي تبقي اسطوله في المياه اليونانية . ولقد اغتالته امرأته بعد رجوعه من طروادة بالاتفاق مع عشيقها .

(٣) طروادة .

(٤) كان صيرفياً بجران من الصابئة . قرأ على محمد بن موسى . ولم يكن في زمنه من يائله في صناعة الطب .

(٥) تلاميذ واصحاب بقراط . (ن. ر)

منع اليبس . قال حنين ^(١) : « لما كان الموت انما يعرض عند غلبة اليبس والبرد ، وكان هذان جميعاً يحفظان البدن الميت ، سميت بهذا السبب المهنة التي تحفظ على الابدان القائمة حرارتها ورطوبتها ، كما تلبث على الحياة باسم يدل على عدمان اليبس . »

وقال جالينوس : « فيقولون انه ابن افولان ^(٢) وابن فلاغواس وفورونس مهاديته ، وانه مركب من مائت وغير قابل للموت . فيدلون بهذا القول على ان عنايته بالناس لأنهم من جنسه وان له طبيعة لا تموت افضل من طبيعة الانسان . وانما اشتق له الشاعر هذا الاسم اعني اسقليبيوس من اعمال الطب ؛ واما قولهم انه ابن فلاغواس ، فلأن هذا الاسم مشتق من اسم اللهيب اعني ابن القوة الملهبة الحيوانية . » قال حنين : « انما سمي بهذا الاسم لان الحياة تكون بحفظ الحرارة الغريزية التي في القلب والكبد ؛ اشتق لها اسم من اللهيب لانها من جنس النار . »

قال جالينوس : « وأما قولهم انه ابن قورونس ؛ فلأن هذا الاسم مشتق من الشبع واستفادة الصحة . » قال حنين : « انما سمي بهذا الاسم ليدل على ان الشبع من الطعام والشراب انما يتم للانسان بصناعة الطب اذا انهم طعمامه ؛ لان حفظ الصحة انما يكون بهذه المهنة ، وكذلك ايضاً ردها اذا زالت . » قال جالينوس : « وأما قولهم انه ابن افولان فلأن الطبيب يحتاج ان يكون معه شيء من التكهن ، لانه ليس من الواجب ان يخلو الطبيب الفاضل من معرفة الاشياء الحادثة فيما بعد . قال حنين : يعني مقدمة المعرفة الطبية . قال جالينوس : وقد آن لنا ايضاً ان نتكلم في صورة اسقليبيوس وثيابه وتمكنه . وذلك ان الاقاريل التي نجدها مكتوبة في تأله انما تليق بالحرافات لا بالحق . ومن المشهور من امره انه رفع الى الملائكة في عمود من نار كما يقال في ديونوسس ^(٣) وايرقليس ^(٤) وسائر من اشبهها ممن عني بنفع الناس واجتهد في ذلك . وبالحكمة يقال ان الله تبارك وتعالى فعل باسقليبيوس وسائر من اشبهه هذا الفعل كما يقنى الجزء الميت الارضي منه بالنار ، ثم يحتذب بعد ذلك جزءه الذي لا يقبل الموت ، ويرفع نفسه الى السماء . » قال حنين : « جالينوس في هذا الموضع يبين كيف يكون تشبه الانسان بالله تبارك وتعالى . وذلك انه يقول : « ان الانسان اذا أباد شهواته الجسدية بنار الصبر والامساك عنها ، وهي التي يريد بها جزءه الميت الارضي ، وزين نفسه الناطقة بعد النفي من هذه الشهوات بالفضائل ، وهي التي يريد بها الارتفاع الى السماء ، كان شبيهاً بالله تبارك وتعالى . »

قال جالينوس : « وأما صورته فصورة رجل ملتحم متزين بجمة ^(٥) ذات ذوائب . ومما يبحث من

(١) هو حنين بن اسحاق العبادي من الاطباء السريانيين زمن الدول العباسية .

(٢) افولون إله الشمس والنور والفنون والطب والتكهن عند الاغريق .

(٣) هو باخوس عند الرومان

(٤) اكبر الابطال الاسطوريين اليونان ابن جوبيتر وآلومين

(٥) مجتمع شعر للرأس

امر السبب في تصويره ملتجياً وتصوير ابيه أمرد ، فبعض الناس يقول انه صور وصيغ بهذه الحال ، لانه في وقت ما اصعده الله اليه كان كذلك . والبعض قال : ان السبب في ذلك ان صناعته تحتاج الى العفة والشيخوخة . وبعض الناس قال : ان السبب في تجاوزه ، في الخدق بصناعة الطب ، اياه . واذا تأملته وجدته قائماً متشمرأ بمجموع الثياب ، فيدل بهذا الشكل على انه ينبغي للأطباء ان يتفلسفوا في جميع الاوقات . وترى الاعضاء منه التي يُستحى من تكشفها مستورة ، والاعضاء التي يحتاج الى استعمال الصناعة بها معرفة مكشوفة . ويصور آخذاً بيده عصاً ، معوجة ذات شعب ، من شجرة الخطمي فيدل بذلك على انه يمكن في صناعة الطب ان يبلغ بمن استعملها من السن ان يحتاج الى عصا يتكئ عليها ؛ او لأن من اعطاه الله تبارك وتعالى بعض العطايا يؤهل لاعطاء عصا ، بمنزلة ما وهب لافاسطس وزوس وهرمس ، وهذه العصا نجد زوس يقر أعين من يحب من الناس ، فينبه بها أيضاً النيام . واما تصويرهم تلك العصا من شجر الخطمي ، فلانه بطرد وينفي كل مرض .

قال حنين : « نبات الخطمي لما كان دواء يُسخن اسخناً معتدلاً ، تهيأ فيه ان يكون علاجاً كثير المنافع اذا استعمل مفرداً وحده واذا خلط بمواد أخر ، ما أسخن منه وما أبرد ، كما بين ذلك ديسقوريدس وسائر من تكلم فيه . ولهذا السبب نجد اسمه في اللسان اليوناني مشتقاً من اسم العلاجات . وذلك انهم يدلون بهذا الاسم على ان الخطمي فيه منافع كثيرة . »

وقال جالينوس : واما اعوجاجها وكثرة شعبها فتدل على كثرة الاصناف والتفنن الموجود في صناعة الطب . ولن نجدهم ايضاً تركوا تلك العصا بغير زينة ولا تهيئة ، لكنهم صوروا عليها صورة حيوان طويل العمر ، ملتف عليها وهو التنين . ويقرب هذا الحيوان من اسقليبيوس لاسباب كثيرة ، أحدها انه حيوان حاد النظر ، كثير السهر ، لا ينام في وقت من الاوقات . وقد ينبغي لمن قصد تعلم صناعة الطب ان لا يتشاغل عنها بالنوم ، ويكون في غاية الذكاء ليتمكن ان يتقدم فينذر بما هو حاضر ، وبما من شأنه ان يحدث . وذلك انك تجد ابقراط يشير بهذا الفعل في قوله : اني ارى انه من افضل الامور ان يستعمل الطبيب سابق النظر ، وذلك انه اذا سبق فعمل وتقدم ، فانذر المرضى بالشيء الحاضر بما بهم ، وما مضى وما يستأنف .

وقد يقال ايضاً في تصوير التنين على العصا ، الماسك لها اسقليبيوس ، قول آخر وهو هذا : قالوا هذا الحيوان ، اعني التنين ، طويل العمر جداً ، حتى ان حياته يقال انها الدهر كله ؛ وقد يمكن في المستعملين لصناعة الطب ان تطول اعمارهم . من ذلك أن نجد ديموقريطس ^(١) وايرودوطس ^(٢) عندما استعملوا الوصايا التي تأمر بها صناعة الطب طالت حياتهم جداً . فكما ان هذا الحيوان ، اعني التنين ،

(١) فيلسوف يوناني من القرن الخامس قبل المسيح . وكان يضحك دائماً من الجنون البشري فهو في تضاد مع هيراكليت الذي كان يبكي للسبب نفسه .

(٢) مؤرخ يوناني هو ابو التاريخ (من ٤٨٤ - الى ٤٢٥) .

يسلخ عنه لبابه الذي يسميه اليونانيون الشيخوخة ، كذلك ايضاً قد يمكن الناس ، باستعمال صناعة الطب اذا سلخوا عنهم الشيخوخة التي تقيدهم اياها الامراض ، ان يستفيدوا الصحة . واذا صوروا اسقليبيوس 'جعل على رأسه اكليل متخذ من شجر الغار ^(١) ، لان هذه الشجرة تذهب بالحزن ، ولهذا نجد هرمس اذ سمي المهيّب كل بمثل هذا الاكليل ، فان الاطباء ينبغي لهم ان يصرفوا عنهم الاحزان . كذلك كل اسقليبيوس باكليل يذهب بالحزن ، او لان الاكليل كان يعم صناعة الطب والكهانة ، وأوا انه ينبغي ان يكون الاكليل الذي يتكلم به الاطباء والمتكهنون اكليلاً واحداً بعينه ؛ او لان هذه الشجرة ايضاً فيها قوة تشفي الامراض . من ذلك انك تجدوها اذا القيت في بعض المواضع هربت من ذلك الموضع الهوام ذوات السموم وكذلك ايضاً الثبت المسمى قونورا ، وثمره هذه الشجرة ايضاً وهي التي تسمى حب الغار ، اذا مرخ ^(٢) بها البدن فعلت فيه شيئاً بفعل الجند بيدستر ^(٣) . واذا صوروا ذلك التين جعلوا بيده بيضه ، يومون بذلك الى ان هذا العالم كله يحتاج الى الطب ، ومثال الكل مثال البيضة .

وقد ينبغي لنا ان نتكلم ايضاً في الذبائح التي تذبح باسم اسقليبيوس تقرباً الى الله تبارك وتعالى ، فنقول انه لم يوجد احد قرب لله قرباناً باسم اسقليبيوس ، في وقت من الاوقات ، شيئاً من الماعز ، وذلك لأن شعر هذا الحيوان لا يسهل غزله بمنزلة الصوف . ومن اكثر من لحمه سهل وقوعه في امراض الصرع ^(٤) لان الغذاء المتولد عنه رديء الكيموس ^(٥) ، يحفف غليظ حريف ^(٦) ، يميل الى الدم السوداءوي .

قال جالينوس : بل انما نجد الناس يقربون الى الله تبارك وتعالى باسم اسقليبيوس ديكاة ، ويرون ايضاً ان سقراط قرب له هذه الذبيحة فهذه الحال علم هذا الرجل الالهي الناس صناعة الطب ، قنية ^(٧) ثابتة افضل كثيراً من الاشياء التي استخرجها ديونوسس وديميتر . قال حنين : يعني باستخراج ديونوسس الخمر ، وذلك ان اليونانيين يرون ان اول من استخرج الخمر ديونوسس ويومي الشعراء بهذا الاسم الى القوة ، التي اذا غيرت الماء في الكرمة اعدته ليكون الخمرة والسروور المتولد عنها في شرايها ، واما استخراج ديميتر فالحب وسائر الحبوب التي يتخذ منها ، ولهذا نجدهم يسمون هذه الحبوب بهذا الاسم . وقد تسمى الشعراء بهذا الاسم ايضاً الارض المخرجة للحبوب . واما استخراج اسقليبيوس فيعني به الصحة ، وهي التي لا يمكن دونها ان يقتنى شيء من الاشياء التي ينتفع بها او يلتذ .

قال جالينوس : وذلك ان ما استخرجه هذان لا ينتفع به ما لم يكن استخراج اسقليبيوس موجوداً .

واما صورة الكرسي الذي يقعد عليه اسقليبيوس فصورة القوة التي تستفاد بها الصحة ، وهي اشرف

(١) ضرب من الشجر او شجر عظام له اوراق طوال وحمل اصفر من البندق اسود يستخرج منه الزيت ، وورقه طيب الريح . ومنه نوع في جبل عامل يعرف بالغورل . (ن.ر)

(٢) دهن (٣) او الجند بادستر « كله دخيلة » ، مائة حيوان بري بحري يكون في الانهار يسمى القندر

(٤) علة تمنع الاعضاء النفسانية عن افعالها منعا غير تام بسبب سدة في بمض بطون الدماغ وفي مجاري الاعصاب الحركة من خلط غليظ او لزج كثير فتمتنع الروح عن السلوك فيها سلوكاً طبيعياً فتتشنج الاعضاء .

(٥) كلمة مريانية معناها الخلط اما هنا فهي الطعام الذي انهضم في المعدة بواسطة المخاطر والمصارات قبل ان يدفع الى المعج .

(٦) يلذغ اللسان بمرارته . (٧) ما اكتسب .

القوى كما قال بعض الشعراء وذلك انا نجد الشعراء باجمعهم يمدحون هذه القوة ويمجدونها ، اما احدهم ففي قوله انها المقدمة في الشرف على جميع الابرار « في خيرك اكون باقي حياتي » . واما شاعر آخر فقال انها المقدمة في الشرف على جميع الابرار « اياك اسأل ان اؤهل قبل جميع الخيرات » . وبالجملة فقول القائل ، اي الخيرات من اليسار او الابناء او الملك يتساوى في القوة عند سائر الناس ؟ أليس كله شيئاً انما يكون ناصراً ملتزماً للخيرات بسبب الصحة ، انها البرة ^(١) المؤهلة لهذا الاسم . وانما ذلك لأن الصحة خير في غاية التمام ، لا متوسط فيها بين الخير والشر . ولا في الدرجة الثانية من الخير ، كما ظن قوم من الفلاسفة ، وهم المعروفون بالمشائين ^(٢) ، وباصحاب المظلة ^(٣) . وذلك ان شرف سائر الفضائل التي يعنى بها الناس عناية بالغة في جميع ايام حياتهم ، انما هي بسبب الصحة . من ذلك انا نجد من رام ان يبين شجاعة وشدة ومحاربة للأعداء ، ودفعهم عن الاولياء ، جهاداً دونهم ، انما يفعل ذلك باستعماله قوة البدن . واستعمال الانسان العدل بأن يعطي كل ذي حق حقه ، ويفعل كل ما يجب أن يفعل ، ويحفظ النوميس ، ويصحح في كل ما يراه ويفعله ، لا يمكن ان يتم خلوا من الصحة . وسبب الخلاص ايضاً انما يرى ان تمامه انما يكون بالصحة ، وذلك انه بمنزلة المولود عنها . وبالجملة فأني الناس رام ان يقول بسبب اعتقاد رأي من الآراء واقناع باطل بموه ، ان قصده ليس هو اقتناء الصحة ، فانما ذلك القول منه بلسانه فقط ؛ فاذا اقر بالحق قال ان الصحة بالحقيقة هي الخير الذي في غاية التمام . فهذه القوة أولها الناس ان تكون كرسيا للانسان المدبر لصناعة الطب ، واسم هذه القوة ايضاً مشتق على الحقيقة ، وذلك ان اسمها في اللسان اليوناني مشتق من اسم الرطوبة ، لان الصحة انما تتم لنا بالرطوبة ، كما دل على ذلك في بعض المواضع احد الشعراء في قوله : « الانسان الرطب » .

واذا تأملت صورة اسقليبيوس وجدته قاعداً متكئاً على رجال مصورين حوله ، وذلك واجب لانه ينبغي ان يكون ثابتاً لا يزول من بين الناس ، ويصور عليه تين ملتف حوله وقد خبرت سبب ذلك فيما تقدم .

« ومن الآداب والحكم ، التي لاسقليبيوس »

بما ذكره الامير ابو الوفاء المبرور بن فاتك في كتاب « مختار الحكم ومحاسن الكلم » قال اسقليبيوس :

من عرف الايام لم يغفل الاستعداد . وقال :

-
- (١) البرة : كل حلقة من سوار تجعل في لحم انف البعير وهي الخزامة .
 (٢) المشاء مبالغة من المشي ويطلق هذا الاسم على الفلاسفة الذين يقولون بفلسفة اريسطو لانه كان يعلم وهو يشي .
 (٣) وسماوا باصحاب المظلة لانهم كانوا يجلسون تحت الشجرة .

ان أحدكم بين نعمة من بآرثه وبين ذنب عمله ، وما يصلح هاتين الحالتين الا الحمد للنعمة والاستغفار من الذنب . وقال : كم من دهر ذنبتوه فلما صرتم الى غيره حمدتوه ؛ وكم من أمر أبغضت أوائله وبكى عند أواخره عليه .

وقال : المتعبد بغير معرفة كحمار الطاحون يدور ولا يبرح ، ولا يدري ما هو فاعل .

وقال : فوت (١) الحاجة خير من طلبها الى غير أهلها .

وقال : اعطاء الفاجر تقوية له على فجوره ؛ والصنعة عند الكفور (٢) اضاعه للنعمة ؛ وتعليم الجاهل ازدياد في الجهل ؛ ومسألة اللئيم اهانة للمرض .

وقال : اني لأعجب ممن يحتمي من الماء كل الرديئة مخافة الضرر ، ولا يدع الذنوب مخافة الآخرة .

وقال : اكثروا من الصمت فانه سلامة من المقت (٣) ، واستعملوا الصدق فانه زين النطق .

وقيل له صف لنا الدنيا فقال : امس اجل ، واليوم عمل ، وغدا أمل .

وقال : المشفق عليكم يسيء الظن بكم ، والزاري عليكم كثير العتب لكم ، وذو البغضاء لكم قليل النصيحة لكم .

وقال : سبيل من له دين ومروءة ان يبذل لصديقه نفسه وماله ، ولئن يعرفه طلاقه وجهه وحسن محضه ، ولعدوه العدل ، وان يتصاون (٤) عن كل حال يعيب .

أيلق

ويقال له أيلة . قال سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل (٥) : « ان هذا اول حكيم تكلم في الطب ببلد الروم والفرس ، وهو اول من استنبط كتاب الاغريقي لهيامس الملك ، وتكلم في الطب ، وقاسه وعمل به . وكان بعد موسى ، عليه الصلاة والسلام ، في زمان بنذاق الحاكم ، وله آثار عظيمة واخبار شنيعة وهو يعد في كثرة العجائب كاسقليبيوس . »

(١) امتناع .

(٢) مبالغة كافر وهو الجاحد للنعمة .

(٣) البغض الشديد .

(٤) تصاون عن العيب ؛ حفظ نفسه منه .

(٥) ابو داود سليمان بن حسان وكان طبيباً فاضلاً متمكناً في صناعة الطب وخبيراً بفن المعالجات .

الباب الثالث

طبقات الأطباء اليونانيين الذين هم من نسل اسقليبيوس

وذلك ان اسقليبيوس كما ذكرنا اولاً لما حصلت له معرفة صناعة الطب بالتجربة وبقيت عنده امور منها ، وشرع في تعليمها لأولاده وأقاربه ، عهد اليهم ألا يعلموا هذه الصناعة لأحد إلا لأولادهم ، ولأن هو من نسل اسقليبيوس لا غير ، وكان الذي خلفه اسقليبيوس من التلاميذ من ولد وقرابة ستة وهم : ماغينس ، وسقراطون ، وخروسيس الطبيب ، ومهراريس المكذوب عليه المزور نسبه في الكتب الأولى ، وانه لحق سليمان بن داود وهذا حديث خرافة لان بينهما الف من السنين ، وموريدس ، وميساوس .

وكان كل واحد من هؤلاء ينتحل رأي أستاذه اسقليبيوس وهو رأي التجربة . اذا كان الطب انما خرج له بالتجربة ، ولم يزل الطب ينتقل من هؤلاء التلاميذ الى من علموه من الاهل ، الى ان ظهر :

غورس

غورس هو الثاني من الاطباء الخذاق المشهورين الذين اسقليبيوس اولهم ، على ما ذكره يحيى النحوي وذلك انه قال :

الاطباء المشهورون الذين كان يقتدى بهم في صناعة الطب من اليونانيين على ما تنهاى الينا ثمانية

وهم : اسقليبيوس الاول ، وغورس ، وميتس ، وبرمانيدس ، وافلاطن الطبيب واسقليبيوس الثاني ، وأبقراط ، وجالينوس .

وكانت مدة حياة غورس سبعة واربعين سنة منها صبي ومتعلم سبع عشرة سنة ؛ وعالم معلم ثلاثين سنة . وكان منذ وقت وفاة اسقليبيوس الاول ، الى وقت ظهور غورس ثمانمائة وخمسين سنة .

وكان في هذه الفترة بين اسقليبيوس وبين غورس من الاطباء المذكورين : سورندوس ، ومانوس ، وساوثاوس ، ومسيانديس ، وسقوريدس الاول ، وسيفلوس ، وسمرياس ، وانطياخس ، وقلغيموس ، واغانيس ، وايرقلس ، واسطورس الطبيب .

ولما ظهر غورس نظر في رأي التجربة وقواه وخلف من التلاميذ من بين ولد وقريب سبعة وهم : مرقس ، وجورجيس ، ومالسطس ، وفولس ، وماهالس ، وأراسطوطس الاول ، وسقوريوس . وكان كل واحد من هؤلاء ينتحل رأي استاذة وهو رأي التجربة . ولم يزل الطب ينتقل من هؤلاء الى من علموه من ولد وقريب الى ان ظهر

مينس

ومينس هو الثالث من الاطباء المشهورين الثانية الذين تقدم ذكرهم ، وكانت مدة حياته اربعاً وثمانين سنة منها : صبي ومتعلم اربعاً وستين سنة ، وعالم معلم عشرين سنة . وكان منذ وقت وفاة غورس الى ظهور مينس خمسمائة وستين سنة .

وكان في هذه الفترة التي بين غورس ومينس من الاطباء المذكورين : أبيقورس ، وسقوريدوس الثاني ، وأخطيفون ، وأسقوريس ، وراوس ، واسفلس ، وموطيمس ، وافلاطن الاول الطبيب وابقراط الاول ابن غنوسيديقوس .

ولما ظهر مينس نظر في مقالات من تقدم ، فاذا التجربة خطأ عنده ، فضم اليها القياس ، وقال : « لا يجب ان تكون تجربة بلا قياس لانها تكون خطراً ؛ ولما توفي خلف من التلاميذ اربعة وهم : قطرطس ، وامينس ، وسورانس ، ومثيناوس القديم . ورأي هؤلاء القياس والتجربة . ولم يزل الطب ينتقل من هؤلاء التلاميذ الى من علموه وخلفوه ، الى ان ظهر ،

برمانيدس

وبرمانيدس هو الرابع من الاطباء المشهورين الثانية الذين تقدم ذكرهم ، وكانت مدة حياته

أربعين سنة ، منها : صبي ومتعلم خمساً وعشرين سنة ، وكامل معلّم خمس عشرة سنة . وكان منذ وقت وفاة مينس ، الى ظهور برمانيدس سبعمائة وخمس عشرة سنة . وكانت في هذه الفترة التي بين مينس وبرمانيدس من الاطباء المذكورين : سمانس ، وغوانس ، وأبيقورس ، واسطفانس ، وأنيقولس وسوارس ، وحوراطيمس ، وفولوس ، وسوانيديقوس ، وساموس ، ومثينانوس الثاني ، وأفيطافلون ، وسوناخس ، وسويازيوس ، ومامالس .

ولما ظهر برمانيدس قال : « ان التجربة وحدها كانت او مع القياس خطر . » فأسقطها وانتحل القياس وحده .

ولما توفي خلف من التلاميذ ثلاثة نفر وهم : ثالس ، وأفرن ، وديوفيلس ، فوقع بينهم المنازعات والخلف وانفصلوا ثلاث فرق ، فأدعى أفرن التجربة وحدها ، وادعى ديوفيلس القياس وحده . وادعى ثالس الحيل ، وذكر ان الطب انما هو حيلة . ولم تزل هذه الحال بينهم الى ان ظهر

افلاطن الطبيب

وأفلاطن الطبيب هو الخامس من الاطباء المشهورين الثانية الذين تقدم ذكرهم وكانت مدة حياته ستين سنة ، منها : صبي ومتعلم أربعين سنة ، وعالم معلّم عشرين سنة . وكانت منذ وقت وفاة برمانيدس الى ظهور افلاطن سبعمائة وخمس وثلاثون سنة . وكان الاطباء المذكورون في هذه الفترة التي بين برمانيدس وافلاطن الطبيب قد تقسموا ثلاثة أقسام :

أصحاب التجربة وهم : أفرن الاقراغنطي ، وبنتلخس ، وأنقلس ، وفيلنيس ، وغافرطيمس ، والحسدروس ، وملسيس .

واصحاب الحيل وهم : ماناخس ، وماساوس ، وغوريانس ، وغرغوريس ، وقونيس .

واصحاب القياس وهم : انكساغورس ، وفولوطيمس ، وماخاخس ، وسقولوس ، وسوفورس .

ولما ظهر افلاطن نظر في هذه المقالات وعلم ان التجربة وحدها رديئة وخطرة ، والقياس وحده لا يصح ، فانتحل الرأيين جميعاً . قال يحبي النحوي : « وان افلاطون أحرق الكتب التي ألفها ثالس واصحابه ^(١) ومن انتحل رأياً واحداً من التجربة والقياس ، وترك الكتب القديمة ، التي فيها الرأيان جميعاً . »

وأقول : ان يحبي النحوي فيما ذكره من هذه الكتب ، وانها قد الفت ، فان كان لها حقيقة

(١) وهم الذين قالوا بالحيل وإنما الطب حيلة .

فذلك ينافي قول من يرى ان صناعة الطب اول من دونها وأثبتها في الكتب ابقرات ، اذ كان هؤلاء الذين قد ألفوا هذه الكتب من قبل أبقرات بمدة طويلة .

ولما توفي أفلاطون خلف من تلاميذه من اولاده وأقربائه ستة وهم : ميرونس وأفرده بالحكم على الامراض ؛ وفورونوس وأفرده بالتدبير للابدان ، وفوراس وأفرده بالفصد والكي ؛ وثافوروس وأفرده بعلاج الجراحات ؛ وسرجس وأفرده بعلاج العين ، وفانيس وأفرده بجبر العظام المكسورة واصلاح الخلوعة . ولم يزل الطب يجري أمره على سداد بين هؤلاء التلاميذ وبين من خلفوه الى ان ظهر :

أسقليبيوس الثاني

واسقليبيوس الثاني هو السادس من الاطباء المشهورين الثمانية الذين تقدم ذكرهم ، وكانت مدة حياته مائة وعشر سنين منها صبي ومتعلم خمس عشرة سنة ، وعالم ومعلم خمساً وتسعين سنة ، منها عطل خمس سنين . وكان منذ وقت وفاة أفلاطون والى ظهور اسقليبيوس الثاني ألف واربعائة وعشرون سنة . وكان في هذه الفترة التي بين أفلاطون واسقليبيوس الثاني من الاطباء المذكورين : ميلن الاقراغنطي ، وثامسيطوس الطبيب ، واقتينوس ، وفرديقولوس ، واندروماخس القديم وهو اول من صنع الترياق وعاش اربعين سنة ، وايراقليدس الاول وعاش ستين سنة ، وفلاغورس وعاش خمساً وثلاثين سنة ، وماخيس ، ونسطس ، وسيقورس ، وغالوس ، وما باطياس ، وايرقلس الطبيب وعاش مائة سنة ، وماناطيس ، وفيثاغورس الطبيب وعاش سبعين سنة ، ومارينوس وعاش مائة سنة .

ولما ظهر اسقليبيوس الثاني نظر في الآراء القديمة فوجد ان الذي يجب ان يعتقد هو رأي افلاطون فانتحله . ثم توفي وخلف ثلاثة تلاميذ من أهل بيته ، لا غريب فيهم ولا طبيب سوام ، وهم : ابقرات ابن ايراقليدس ، وماغارينس ، وأرخس .

ولم تمض عدة اشهر حتى توفي ماغارينس ولحقه أرخس ، وبقي ابقرات وحيد دهره طبيباً كامل الفضائل تضرب به الامثال ، الطبيب الفيلسوف ، الى ان بلغ به الامر الى ان عبد وهو الذي قوى صناعة القياس والتجربة تقوية عظيمة عجيبة لا يتهاى لطاعن ان يخلها ولا يهتكها ، وعلم الغرباء الطب وجعلهم شبيهاً بأولاده لما خاف على الطب ان يفنى ويبعد من العالم . كما يتبين امره في هذا الباب الذي يأتي .

الباب الرابع

طبقات الأطباء اليونانيين الذين أذاع أبقرات فيهم صناعة الطب

أبقرات

ولنبتديء أولاً بذكر شيء من أخبار أبقرات على حيالها وما كان عليه من التأييد الإلهي ، ونذكر بعد ذلك جملاً من أمر الأطباء اليونانيين الذين أذاع أبقرات فيهم هذه الصناعة ، وإن لم يكونوا من نسل اسقليبيوس فنقول :

إن أبقرات ، على ما تقدم ذكره ، وهو السابع من الأطباء الكبار المذكورين الذين اسقليبيوس أولهم . وأبقرات هو من أشرف أهل بيته وإعلام نسبه ، وذلك على ما وجدته في بعض المواضع المنقولة من اليوناني ، أنه أبقرات بن أيراقليدس بن أبقرات بن غنوسيديقوس بن نبروس بن سوسطراطس بن ثاوذروس بن قلاوموطاداس بن قريساميس الملك ، فهو بالطبع الشريف الفاضل نسباً لأنه التاسع من قريساميس الملك والثامن عشر من اسقليبيوس والعشرون من زاوس . واهمه فركسيثا بنت فيناريطي من بيت أيراقليس . فهو من جنس فاضل لأن أباه من آل اسقليبيوس واهمه من آل أيراقليس . وتعلم صناعة الطب من أبيه أيراقليدس ومن جده أبقرات ، وهما أسرا إليه أصول صناعة الطب .

وكانت مدة حياة أبقرات خمساً وتسعين سنة منها صبي ومتعلم ست عشرة سنة ، وعالم معلم تسعاً وسبعين سنة . وكان منذ وقت وفاة اسقليبيوس الثاني وإلى ظهور أبقرات سنتين .

ولما نظر أبقرات في صناعة الطب وخاف عليها أن تنقرض عندما رأى أنها قد بادت من أكثر المواضع التي كان اسقليبيوس الأول أسس فيها التعليم . وذلك أن المواضع التي يتعلم فيها صناعة الطب

كانت على ما ذكره جالينوس في تفسيره لكتاب « الايمان » لأبقراط ثلاثة : احدها بمدينة رودس ، والثاني بمدينة قنيدس ، والثالث بمدينة قو^(١).

فأما التعليم الذي كان بمدينة رودس فإنه باد بسرعة لأنه لم يكن لاربابه وارث .

وأما الذي كان منه بمدينة قنيدس فطُفئ لان الوارثين له كانوا نقرأ يسيراً .

وأما الذي كان منه بمدينة قو ، وهي التي كان يسكنها أبقراط ، فثبت وبقي منه بقايا يسيرة لقلة الوارثين له .

فلما نظر أبقراط في صناعة الطب ووجدها قد كادت ان تبديد لقلة الابناء المتوارثين لها من آل اسقليبيوس ، رأى ان يذيعها في جميع الارض ، وينقلها الى سائر الناس ، ويعلمها المستحقين لها حتى لا تبديد . وقال : « ان الجود بالخير يجب ان يكون على كل أحد يستحقه قريباً كان او بعيداً . » واتخذ الغرباء وعلمهم هذه الصناعة الجليلة ، وعهد اليهم العهد الذي كتبه ، وأحلفهم بالايمان المذكورة فيه ان لا يخالفوا ما شرطه عليهم ، وان لا يعلموا هذا العلم احداً الا بعد اخذ هذا العهد عليه .

وقال ابو الحسن علي^(٢) بن رضوان : « كانت صناعة الطب قبل ابقراط كنزاً و ذخيرة يكتزها الآباء ويدّخرونها للابناء ، وكانت في أهل بيت واحد منسوب الى اسقليبيوس .

« وهذا الامم ، أعني اسقليبيوس ، اما ان يكون اسماً للملك بعثه الله فعلمت الناس الطب ، واما ان يكون قوة لله عز وجل علمت الناس الطب . وكيف صرفت الحال فهو اول من علم صناعة الطب . ونسب المتعلم الاول اليه على عادة القدماء في تسمية المعلم أباً للمتعلم . وتناسل من المتعلم الاول اهل هذا البيت المنسوبون الى اسقليبيوس . وكان ملوك اليونانيين والعظماء منهم ، ولم يكونوا يمكنوا غيرهم من تعليم صناعة الطب ، بل كانت الصناعة فيهم خاصة يعلم الرجل منهم ولده أو ولد ولده فقط . وكان تعليمهم بالمخاطبة ، ولم يكونوا يدونونها في الكتب . وما احتاجوا الى تدوينه في الكتب دونوه بلغز حتى لا يفهمه أحد سواهم ، فيفسر ذلك اللغز الاب للابن . وكان الطب في الملوك والزهاد فقط يقصدون به الاحسان الى الناس من غير اجرة ولا شرط .

ولم يزل كذلك الى ان نشأ ابقراط من اهل قو ، ودمقراط من أهل أبديرا ، وكافا متعاصرين ، فأما ديمقراط فزهّد وترك تدبير مدينته ، وأما ابقراط فرأى اهل بيته قد اختلفوا في صناعة الطب ، وتخوف ان يكون ذلك سبباً لفساد الطب ، فعمد على ان دونه باغماض في الكتب . وكان له ولدان فاضلان وهما ثاسلس وذراقن وتلميذ فاضل وهو فولوبس ، فعلمهم هذه الصناعة وشعر أنها قد تخرج عن أهل اسقليبيوس الى غيرهم ، فوضع عهداً استحلف فيه المتعلم لها على ان يكون لازماً للطهارة

(١) جزيرة في بحر ايجه هي موطن ابقراط .

(٢) هو ابو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر . ولد ونشأ في مصر ، وبها تعلم الطب .

والفضيلة . ثم وضع ناموساً عرف فيه من الذي ينبغي له ان يشعل صناعة الطب . ثم وضع وصية عرف فيها جميع ما يحتاج اليه الطبيب في نفسه .

أقول وهذه نسخة العهد الذي وضعه أبقرات (١) .

قسم أبقرات

قال أبقرات : « اني اقسم بالله رب الحياة والموت ، وواهب الصحة ، وخالق الشفاء وكل علاج .

وأقسم بإسقليبيوس . وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعاً . وأشهدم جميعاً على أني اني بهذه اليمين وهذا الشرط . وأرى ان المعلم لي هذه الصناعة بمنزلة آبائي ، وأواسيه في معاشي ، واذا احتاج الى مال واسيته وواصلته من مالي .

« وأما الجنس المتناسل منه فأرى انه مساو لآخوتي ، واعلمهم هذه الصناعة ان احتاجوا الى تعلمها بغير اجرة ولا شرط . وأشرك اولادي واولاد المعلم لي والتلاميذ الذين كتب عليهم الشرط او حلفوا بالناموس الطبي في الوسايا والعلوم وسائر ما في الصناعة . واما غير هؤلاء فلا افعل به ذلك ، وأقصد في جميع التدابير ، بقدر طاقتي ، منفعة المرضى .

« واما الاشياء التي تضر بهم وتدني منهم بالجور عليهم فامنع منها بحسب رأيي . ولا اعطي اذا طلب مني دواء قتالا ، ولا اشير ايضاً بمثل هذه المشورة . وكذلك ايضاً لا أرى ان أدني من النسوة فرجة (٢) تسقط الجنين . وأحفظ نفسي في تدبيرتي وصناعتي على الزكاة والطهارة ، ولا أشق ايضاً عمن في مثانتهم حجارة ، ولكن أترك ذلك الى من كانت حرفته هذا العمل . وكل المنازل التي أدخلها انما ادخل اليها لمنفعة المرضى ، وانا بحال خارجة عن كل جور وظلم وفساد إرادي مقصود اليه في سائر الاشياء ، وفي الجماع للنساء والرجال ، الاحرار منهم والعبيد . واما الاشياء التي اعاينها في اوقات علاج المرضى أو أسمعها ، في غير اوقات علاجهم في تصرف الناس بين الاشياء التي لا ينطق بها خارجاً فامسك عنها ، وأرى ان أمثالها لا ينطق به .

فمن أكمل هذه اليمين ولم يفسد شيئاً كان له ان يكمل تدبيره وصناعته على أفضل الاحوال واجملها ، وان يحمده جميع الناس فيما يأتي من الزمان دائماً ، ومن تجاوز ذلك كان بضده .

(١) ويدعى قسم أبقرات .

(٢) شيء يتداوى به النساء .

ناموس الطب لابقرات

وهذه نسخة ناموس الطب لابقرات . قال ابقرات :

« ان الطب اشرف الصنائع كلها إلا أن نقص فهم من ينتحلها صار سبباً لسلب الناس اياها ، لانه لم يوجد لها في جميع المدن عيب غير جهل من يدعيها بمن ليس باهل للتسمي بها اذ كانوا يُشبهون الاشباح التي يحضرها اصحاب الحكاية ليلهاوا الناس بها ، فكما أنها صور لا حقيقة لها ، كذلك هؤلاء الاطباء ، بالاسم كثير ، وبالفعل قليل جداً .

« وينبغي لمن أراد تعلم صناعة الطب أن يكون ذا طبيعة جيدة مؤاتية ، وحرص شديد ورغبة تامة ، وأفضل ذلك كله الطبيعة لانها اذا كانت مؤاتية فينبغي ان يقبل على التعليم ولا يضجر لينطبع في فكره ويثمر ثماراً حسنة ، مثل ما يرى في نبات الارض . اما الطبيعة فمثل التربة ، واما منفعة التعليم فمثل الزرع ، واما تربية التعليم فمثل وقوع البذر في الارض الجيدة . فمَنْ قدمت العناية في صناعة الطب بما ذكرنا ، ثم صاروا الى المدن لم يكونوا اطباء بالاسم بل بالفعل . والعلم بالطب كنز جيد وذخيرة فاخرة لمن علمه ، مملوء سروراً ، سرّاً وجهراً ، والجهل به لمن انتحله صناعة سوء ، وذخيرة ردية ، عديم السرور ، دائم الجزع والتهور . والجزع دليل على الضعف ، والتهور دليل على قلة الخبر بالصناعة .

وصية ابقرات

وهذه نسخة وصية أبقرات المعروفة بترتيب الطب . قال أبقرات :

« ينبغي ان يكون المتعلم للطب ، في جنسه حراً ، وفي طبعه جيداً ، حديث السن ، معتدل القامة ، متناسب الاعضاء ، جيد الفهم ، حسن الحديث ، صحيح الرأي عند المشورة ، عفيفاً شجاعاً ، غير محب للفضة ، مالكاً لنفسه عند الغضب ، ولا يكون تاركاً له في الغاية ، ولا يكون بليداً .

وينبغي ان يكون مشاركاً للعليل مشفقاً عليه ، حافظاً للاسرار ، لان كثيراً من المرضى يوقفونا على امراضهم لا يحبون ان يقف عليها غيرهم .

وينبغي ان يكون محتماً للشتيمة ، لان قوماً من المبرسمين ^(١) واصحاب الوسواس ^(٢) السوداوي

(١) المصابون بالبرسام وهي علة يهذى فيها .

(٢) حديث النفس والشيطان بما لا نفع ولا خير .

يقابلونا بذلك ، وينبغي لنا ان نحتلمهم عليه ، ونعلم انه ليس منهم ، وان السبب فيه المرض الخارج عن الطبيعة .

وينبغي ان يكون حلق رأسه معتدلاً مستويا ، لا يحلقه ولا يدعه كالجملة ، ولا يستقصي ^(١) قص أظافر يديه ، ولا يتركها تعلو على أطراف أصابعه .

وينبغي ان تكون ثيابه بيضاء نقية لينة ، ولا يكون في مشيه مستعجلاً ، لان ذلك دليل على الطيش ، ولا متباطئاً لانه يدل على فتور النفس . واذا دعي الى المريض فليقعد متربعا ويختبر منه حاله بسكون وتأن ، لا بقلق واضطراب ، فان هذا الشكل والزي والترتيب عندي أفضل من غيره . قال جالينوس ، في المقالة الثالثة من كتابه في اخلاق النفس :

« ان ابقرات كان يعلم مع ما كان يعلم من الطب من أمر النجوم ما لم يكن يدانيه فيه احد من اهل زمانه . وكان يعلم أمر الاركان التي منها تركيب أبدان الحيوان ، وكون جميع الاجسام التي تقبل الكون والفساد ، وفسادها ، وهو أول من برهن ببراين حقيقة هذه الاشياء التي ذكرنا . وبرهن كيف يكون المرض والصحة في جميع الحيوان وفي النبات . وهو الذي استنبط اجناس الامراض وجهاً مداواتها .

اقول : « فأما معالجة أبقرات ومداواته للامراض فانه أبدأ كانت له العناية البالغة في نفع المرضى وفي مداواتهم . ويقال انه أول من جدّد البيارستان ^(٢) واخترعه وأوجده . وذلك انه عمل بالقرب من داره في موضع من بستان كان له ، موضعاً مفرداً للمرضى ، وجعل فيه خدماً يقومون بمداواتهم ، وسماه أخسندوكين أي جمع المرضى - وكذلك أيضاً معنى لفظة البيارستان ، وهو فارسي ، وذلك ان البيار بالفارسي هو المرضى ، وستان هو الموضع ، أي موضع المرضى .

ولم يكن لأبقرات دأب على هذه الوتيرة ، في مدة حياته وطول بقائه ، إلا النظر في صناعة الطب وايجاد قوانينها ومداواة المرضى ، وايصال الراحة اليهم وانقاذهم من علالهم وامراضهم . وقد ذكر كثيراً من قصص مرضى عالجهم في كتابه المعروف بأبيديما وتفسير ابديديما الامراض الواقعة .

« ولم يكن لأبقرات رغبة في خدمة احد من الملوك لطلب الغنى ، ولا في زيادة مال يفضل عن احتياجه الضروري . وفي ذلك قال جالينوس : « ان ابقرات لم يجب احد ملوك الفرس العظيم الشأن المعروف عند اليونانيين بأرطخششت ^(٣) ، - وهو أزدشير الفارسي جد دارا بن دارا - فانه عرض في ايام هذا الملك للفرس وباء ، فوجه الى عامله بمدينة فاوان ان يحمل الى ابقرات مائة قنطار ذهباً ويحملة بكرامة عظيمة واجلال ، وان يكون هذا المال مقدمة له ، ويضمن له اقطاعاً بثمنها .

(١) يبلغ النفاية في .

(٢) المكان المعد لمداواة المرضى .

(٣) ملك الفرس حكم من سنة ٤٦٥ الى ٤٢٥ قبل المسيح .

وكتب الى ملك اليونانيين يستعين به على اخراجه اليه ، وضمن له مهادنة سبع سنين متى اخرج ابقرات اليه . فلم يجب ابقرات الى الخروج عن بلده الى الفرس . فلما ألح عليه ملك اليونانيين في الخروج قال له ابقرات : « لست ابدل الفضيلة بالمال » . ولما عالج بردقس^(١) الملك من امراض مرضها لم يقيم عنده دهره كله . وانصرف الى علاج المساكين والفقراء الذين كانوا في بلده ، وفي مدن أخرى وان صغرت . ودار هو بنفسه جميع مدن اليونانيين ، حتى وضع لهم كتاباً في الأهوية والبلدان . قال جالينوس : ومن هذه حاله ليس انما يستخف بالغنى فقط ، بل بالخفص^(٢) والدعة^(٣) ، ويؤثر التعب والنصب^(٤) عليها في جنب الفضيلة .

ومن بعض التواريخ القديمة ان ابقرات كان في زمن بهمن بن أزدشير وكان بهمن قد اعتل ، فأنفذ الى أهل بلد ابقرات يستدعيه فامتنعوا من ذلك ، وقالوا ان اخرج ابقرات من مدينتنا ، خرجنا جميعاً وقتلنا دونه ، فرق لهم بهمن واقره عندهم . وظهر ابقرات سنة ست وتسعين لبختنصر^(٥) وهي سنة أربع عشرة للملك بهمن .

قال سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل : ورأيت حكاية طريفة لأبقرات استحلينا ذكرها لنذل بها على فضله ، وذلك ان أفليمون صاحب الفراسة^(٦) كان يزعم في فراسته انه يستدل بتركيب الانسان على اخلاق نفسه ، فاجتمع تلاميذ ابقرات وقال بعضهم لبعض : هل تعلمون في دهرنا افضل من هذا المرء الفاضل ؟ فقالوا ما نعلم . فقال بعضهم : تعالوا نمتحن به أفليمون فيما يدعيه من الفراسة فصوروا صورة ابقرات ، ثم نهضوا بها الى أفليمون . فقالوا له : ايها الفاضل ، انظر هذا الشخص واحكم على اخلاق نفسه من تركيبه . فنظر اليه ، وقرن أعضائه بعضها ببعض ، ثم حكم ، فقال : رجل يحب الزنا . فقالوا له : كذبت ، هذه صورة ابقرات الحكيم . فقال لهم : لا بد لعلمي ان يصدق ، فاسألوه فان المرء لا يرضى بالكذب . فرجعوا الى ابقرات واخبروه بالخبر وما صنعوا وما قال لهم أفليمون ، فقال ابقرات : صدق أفليمون ! أحب الزنا ، ولكني أملك نفسي .

فهذا يدل على فضل ابقرات وملكه لنفسه ، ورياضته لها بالفضيلة . أقول : وقد تنسب هذه الحكاية الى سقراط الفيلسوف وتلامذته .

فأما تفسير اسم ابقرات فان معناه ضابط الخيل ، وقيل معناه ماسك الصحة ، وقيل ماسك

(١) ملك مقدونيا .

(٢) لين العيش وسعته .

(٣) الترفه .

(٤) البلاء والشر .

(٥) ملك الكلدانيين (٦٠٤ - ٥٦١)

(٦) علم ادراك الباطن من نظر الظاهر .

الارواح . واصل اسمه باليونانية ايفوقراطيس ، ويقال هو بقراطيس ، وانما العرب عادتھا تخفيف الاسماء واختصار المعاني ، فخففت هذا الاسم فقالوا ابقراط وبقراط أيضاً . وقد جرى ذلك كثيراً في الشعر ويقال ايضاً بالتاء أبقرات وبقرات .

وقال المبشر بن فاتك في كتاب « مختار الحكم ومحاسن الكلم » .

ان ابقراط كان ربعة ، ابيض ، حسن الصورة ، أشبل العينين ، غليظ العظام ، ذا عصب ، معتدل اللحية أبيضها ، منحني الظهر ، عظيم الهامة ، بطيء الحركة . اذا التفت التفت بكلية ، كثير الأطراق ، مصيب القول ، متأنياً في كلامه ، يكرر على السامع منه . ونعلاه ابدأ بين يديه اذا جلس ؛ وان 'كلم اجاب وان 'سكت عنه سأل ؛ وان جلس كان نظره الى الارض ، ممة مداعبة ، كثير الصوم ، قليل الاكل ، بيده ابدأ إما مبضع ^(١) ولما مرود ^(٢) .

وقال حنين بن اسحاق ، في كتاب نواذر الفلاسفة والحكماء : انه كان منقوشاً على فص خاتم أبقرات : « المريض الذي يشتهي أرجى عندي من الصحيح الذي لا يشتهي شيئاً » .

ويقال ان ابقراط مات بالفالج وأوصى ان يدفن معه درج ^(٣) من عاج لا يعلم ما فيه ، فلما اجتاز قيصر الملك بقبوره رآه قبراً ذليلاً ، فأمر بتجديده لانه كان من عادة الملوك ان يفتقدوا احوال الحكماء في حياتهم وبعد وفاتهم ، لانهم كانوا عندهم أجل الناس وأقربهم اليهم . فأمر قيصر الملك بحفره ، فلما حفره لينظر اليه استخرج الدرج ، فوجد فيه الخمس والعشرين قضية في الموت التي لا يعلم العلة فيها لانه حكم فيها بالموت الى اوقات معينة وأيام معلومة . وهي موجودة بالعربي .

ويقال ان جالينوس فسرھا ، وهذا بما استبعده . وإلا فلو كان ذلك حقاً ووجد تفسير جالينوس لنقل الى العربي كما قد فعل ذلك بغيره من كتب ابقراط التي فسرھا جالينوس ، فانها نقلت بأسرها الى العربي .

ومن ألفاظ أبقرات الحكمة ونواذره المفردة في الطب ، قال ابقراط : الطب قياس وتجربة . وقال : لو خلق الانسان من طبيعة واحدة لما مرض احد لانه لم يكن هناك شيء يضادها فيمرض .

وقال : العادة اذا قدمت صارت طبيعة ثانية . والزجر والقأل حس نفساني .

وقال : احذق الناس باحكام النجوم أعرفهم بطبائعها وآخذهم بالتشبيه .

وقال : الانسان ما دام في عالم الحس فلا بد من ان يأخذ من الحس بنصيب قل أو كثر .

(١) آلة البضع وهي سكين الجراح

(٢) الميل يكتحل به .

(٣) الدرج : سفيط صغير تدخر فيه المرأة طبيها وادواتها وعم به جمع مصر كل وعاء غير منقول لكتب او غيرها وترجم

به Tiroir وتطلق عليه العامة الجارور .

- وقال : كل مرض معروف السبب موجود الشفاء .
- وقال : ان الناس اغتذوا في حال الصحة باغذية السباع فأمرضتهم ، فغذوناهم باغذية الطير فصحوا .
- وقال : انما نأكل لنعيش ، ولا نعيش لنأكل .
- وقال : لا تأكل حتى كفاك .
- وقال : يتداوى كل عليل بعقاقير أرضه ، فان الطبيعة تفزع الى عادتها .
- وقال : الحمة صديقة الجسم ، والتفاحة صديقة النفس .
- وقيل له : لم أثور ما يكون البدن اذا شرب الانسان الدواء ؟ قال : لأن أشد ما يكون البيت غباراً اذا كنس ،
- وقال : لا تشرب الدواء الا وأنت محتاج اليه ، فان شربته من غير حاجة ولم يجد داء يعمل فيه وجد صحة يعمل فيها فيحدث مرضاً .
- وقال : مَثَلُ المني في الظهر كَمَثَلِ الماء في البئر ، إن نزلته فار وإن تركته غار .
- وقال : ان الجامع يقتدح من ماء الحياة . وسئل في كم ينبغي للانسان ان يجمع ؟ قال : في كل سنة مرة . قيل له : فان لم يقدر ؟ قال : في كل شهر مرة . قيل له : فان لم يقدر ؟ قال : في كل اسبوع مرة . قيل له : فان لم يقدر ؟ قال : هي روحه اي وقت شاء يخرجها .
- وقال : امهات لذات الدنيا أربع : لذة الطعام ، ولذة الشراب ، ولذة الجماع ، ولذة السماع ؛ فاللذات الثلاث لا يتوصل اليها ولا الى شيء منها إلا بتعب ومشقة ولها مضار اذا استكثر منها ، ولذة السماع قلت او كثرت صافية من التعب ، خالصة من النصب .
- ومن كلامه قال : اذا كان الغدر بالناس طباعاً ، كانت الثقة بكل احد عجزاً ؛ واذا كان الرزق مقسوماً ، كان الحرص باطلاً .
- وقال : قلة العيال احد اليسارين .
- وقال : العافية ملك خفي لا يعرف قدرها إلا من عدمها .
- وقيل له اي العيش خير ؟ فقال : الأمن مع الفقر ، خير من الغنى مع الخوف .
- ورأى قوماً يدفنون امرأة فقال : نعم الصهر صاهره .
- وحكي عنه انه أقبل ^(١) بالتعليم على حدث من تلامذته ، فعاتبه الشيوخ على تقديمه اياه عليهم ، فقال لهم : الا تعلموا ما السبب في تقديمه عليكم ؟ قالوا : لا . فقال لهم : ما اعجب ما في الدنيا ؟ فقال احدهم : السماء والافلاك والكواكب . وقال آخر : الارض وما فيها من الحيوانات والنبات . وقال آخر : الانسان وتركيبه . ولم يزل كل واحد منهم يقول شيئاً وهو يقول لا . فقال للصبي :

(١) أقبل عليه أي ولاه قبل وجهه ، وكفله.

ما اعجب ما في الدنيا ؟ فقال : أيها الحكيم ، اذا كان كل ما في الدنيا عجباً فلا عجب . فقال الحكيم : لاجل هذا قدمته ، لفطنته .

ومن كلامه قال : محاربة الشهوة أيسر^(١) من معالجة العلة . وقال : التخلص من الامراض الصعبة صناعة كبيرة .

ودخل على عليل فقال : أنا والعلة وأنت ثلاثة : فان أعنتني عليها بالقبول مني لما تسمع صرنا اثنين ، وانفردت العلة فقويننا عليها ؛ والاثنان اذا اجتمعا على واحد غلباه .

ولما حضرته الوفاة قال : خذوا جامع العلم مني : من كثر نومه ولانث طبيعته ، ونديت جلده طال عمره .

ومن كلامه ، مما ذكره حنين بن اسحق في كتاب نواذر الفلاسفة ، انه قال : منزلة لطافة القلب في الابدان ، كمنزلة النواظر في الاجفان .

وقال : للقلب آفتان وهما الغم والههم ، فالغم يعرض منه النوم ، والههم يعرض منه السهر . وذلك بان الههم فيه فكر في الخوف بما سيكون ، فممنه يكون السهر . والغم لا فكر فيه ، لانه انما يكون بما قد مضى وانقضى . وقال : القلب من دم جامد ، والغم يهيج الحرارة الغريزية ، فتلك الحرارة تذيب جامد الدم ، ولذلك كره الغم خوف العوارض المكروهة التي تهيج الحرارة ، وتحمي المزاج ، فيحل جامد الدم ، فينتقض التركيب .

وقال : من صحب السلطان فلا يجزع من قوته ، كما لا يجزع الغواص من ملوحة البحر .

وقال : من احب لنفسه الحياة أماتها .

وقال : العلم كثير والعمر قصير ، فخذ من العلم ما يبلغك قليله الى كثير .

وقال : ان الحجة قد تقع بين العاقلين من باب تشاكلها^(٢) في العقل ، ولا تقع بين الأحقن من باب تشاكلها في الحق . لان العقل يجري على ترتيب فيجوز ان يتفق فيه اثنان على طريق واحد ؛ والحق لا يجري على ترتيب فلا يجوز ان يقع به اتفاق بين اثنين .

ومن كلامه في العشق قال : « العشق طمع يتولد في القلب وتجتمع فيه مواد من الحرص . فكلما قوي ازداد صاحبه في الاهتياج واللجاج وشدة القلق وكثرة السهر ، وعند ذلك يكون احتراق الدم ، واستحالتة الى السوداء^(٣) ، والتهاب الصفراء وانقلابها الى السوداء ؛ ومن طغيان السوداء فساد الفكر ؛ ومع فساد يكون الفدامة^(٤) ونقصان العقل ، ورجاء ما لم يكن ، وتغني ما لم يتم حتى يؤدي ذلك الى

(١) أمور .

(٢) التباسها .

(٣) من اخلاط البدن الاربعة منشؤها من الطحال .

(٤) التي عن الحجة مع قلة فهم .

الجنون . فحينئذ ربما قتل العاشق نفسه ، وربما مات غماً . وربما وصل الى معشوقه فيموت فرحاً او اسفاً . وربما شق شهقة فتختفي منها روحه ارباعاً وعشرين ساعة، فيظن انه قد مات فيقبر وهو حي . وربما تنفس الصعداء ^(١) فتختنق نفسه في ثامور ^(٢) قلبه ، ويضم عليها القلب فلا تنفجر حتى يموت . وربما ارتاح وتشوق للنظر ، ورأى من يحب فجأة فتخرج نفسه فجأة دفعة واحدة .

وانت ترى العاشق اذا سمع بذكر من يحب كيف يهرب دمه ويستحيل لونه ، وزوال ذلك عن هذه حاله بلطف من رب العالمين ، لا بتدبير من الآدميين . وذلك ان المكروه العارض من سبب قائم منفرد بنفسه يتهاى التلطف بإزالته بإزالة سببه . فاذا وقع السببان وكل واحد منهما علة لصاحبه ، لم يكن الى زوال واحد منهما سبيل . واذا كانت السوداء سبباً لاتصال الفكر، وكان اتصال الفكر سبباً لاحتراق الدم والصفراء وميلها الى السوداء . والسوداء كلما قويت قوت الفكر ، والفكر كلما قوي قوى السوداء . فهذا الداء العياء الذي يعجز عن معالجته الأطباء .

ومن كلامه قال : الجسد يعالج جملة من خمسة أضرب : ما في الرأس بالغرغرة ؛ وما في المعدة بالقيء؛ وما في البدن بإسهال البطن؛ وما بين الجليدين بالعرق؛ وما في العمق وداخل العروق بإرسال الدم .

وقال : الصفراء ^(٣) بيتها المرارة ^(٤) وسلطانها ^(٥) في الكبد والبلغم ^(٦) بيته المعدة وسلطانها في الصدر ، والسوداء بيتها الطحال ^(٧) وسلطانها في القلب . والدم بيته القلب وسلطانها في الرأس .

وقال لتلميذه : ليكون افضل وسيلتك الى الناس محبتك لهم ، والتفقد لأموالهم ، ومعرفة حالهم ، واصطناع المعروف اليهم .

ومن كتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم ، للمبشرين فائق من كلام أبقراط ايضاً وآدابه قال : استدامة الصحة تكون بترك التكاسل عن التعب ، وبترك الامتلاء عن الطعام والشراب .

وقال : ان انت فعلت ما ينبغي على ما ينبغي ان يفعل فلم يكن ما ينبغي ، فلا تنتقل عما انت عليه ما دام ما رأيته اول الأمر ثابتاً .

وقال : الاقلال من الضار خير من الاكثار من النافع .

وقال : اما العقلاء فيجب ان يسقوا الخمر ، واما الحمقى فيجب ان يسقوا الخربق ^(٨) .

وقال : ليس معي من فضيلة العلم الا علمي بائي لست بعالم .

(١) التنفس الطويل من هم اربع ثعب . او هو تنفس محدود . (٢) غلاف القلب .

(٣) المرة وهي من اخلاط البدن الاربعة (٤) هنة - شبه كيس - لاصقة بالكبد فيها ماء اخضر مر . (٥) هنا بمعنى مقرها ومكان تكونها (٦) من اخلاط البدن (٧) من الاحشاء كائن في الجهة اليسرى بين المعدة والاضلاع الكاذبة .

(٨) وهو بالفرنسية Hellebore نبات ورقه كلسان الحمل ، ابيض واسود ينفع في الصرع والجنون والمفاصل والبهق والفالج .. ويسهل الفضول للزوجة . وربما اورث تشنجا وافراطه مهلك . وهو سم للكلاب والخنائير ، وان نبت يجنب كرامة اسهلت خرة عنها « ن - ر » .

وقال : اقنعوا بالقوت ، والنوا عنكم اللجاجة ، لتكون لكم قربي الى الله عز وجل . لان الله سبحانه وتعالى غير محتاج الى شيء ، فكلمنا احتجتم اكثر كنتم منه أبعد . واهربوا من الشرور ، ذروا (١) المآثم ، واطلبوا من الخيرات الغايات .

وقال : المالك للشيء هو المسلط عليه . فمن أحب ان يكون حراً فلا هو ما ليس له ، وليهرب منه والا صار له عبداً .

وقال : ينبغي للمرء ان يكون في دنياه كالمدعو في الوليمة . اذا أته الكأس تناولها ، وان جازته (٢) لم يرصدها (٣) ولم يقصد لطلبها . وكذلك يفعل في الامل والمال والولد .

وقال لتلميذ له : ان أحببت ان لا تقوتك شهوتك فاشته ما يمكنك .
وسئل عن اشيء قبيحة فسكت عنها ، فقيل له : لم لا تجيب عنها ؟ فقال : جوابها السكوت عنها .
وقال : الدنيا غير باقية ، فاذا امكن الخير فاصطنعوه ، واذا عدتم ذلك فتحمدوا ، واتخذوا من الذكر أحسنه .

وقال : لولا العمل لم يطلب العلم ؛ ولولا العلم لم يطلب العمل . ولأن ادع الحق جهلا به احب الي من ان ادعه زهداً فيه .

وقال : لا ينبغي ان تكون علة صديقك وان طالت آلم به من تعاهدك له .
وكان يقول العلم روح والعمل بدن ؛ والعلم أصل والعمل فرع ؛ والعلم والد والعمل مولود ؛ وكان العمل لمكان العلم ، ولم يكن العلم لمكان العمل . وكان يقول : العمل خادم العلم والعلم غاية ، والعلم رائد والعمل مرسل .

وقال : اعطاء المريض بعض ما يشتهي أنفع من أخذه بكل ما لا يشتهي .
اقول : وابقراط هو اول من دون صناعة الطب ، وشهرها واطهرها كما قلنا قبل . وجعل اسلوبه في تأليف كتبه على ثلاث طرائق من طرق التعليم : أحداها على سبيل اللغز ؛ والثانية على غاية الاليجاز والاختصار ؛ والثالثة على طريق التساهل والتبيين .

والذي انتهى اليه ذكره ووجدناه من كتب أبقراط الصحيحة يكون نحو ثلاثين كتاباً . والذي يدرس من كتبه لمن يقرأ صناعة الطب ، اذا كان درسه على اصل صحيح وترتيب جيد ، اثنا عشر كتاباً وهي المشهورة من سائر كتبه .

(١) دعوا واتركوا .

(٢) تعدته .

(٣) يرقبها .

- الاول - كتاب الاجنة^(١) وهو ثلاث مقالات : المقالة الاولى تتضمن القول في كون المني^(٢) والمقالة الثانية تتضمن القول في تكون الجنين . والمقالة الثالثة تتضمن القول في تكون الاعضاء .
- الثاني - كتاب طبيعة الانسان ، مقالتان . وهو يتضمن القول في طبائع الابدان وبماذا تركبت .
- الثالث - كتاب الاموية والمياه والبلدان ، وهو ثلاث مقالات ، المقالة الاولى يعرف فيها كيف نتعرف أمزجة البلدان وما تولد من الامراض البلديسة ، والمقالة الثانية يعرف فيها كيف نتعرف أمزجة المياه المشروبة وفصول السنة ، وما تولد من الامراض البلوية . والمقالة الثالثة يعرف فيها كيفية ما يبقى من الاشياء التي تولد الامراض البلوية كائنات ما كانت .
- الرابع - كتاب الفصول ، سبع مقالات ، وضمنه تعريف جل الطب لتكون قوانين في نفس الطبيب يقف بها على ما يتلقاه من اعمال الطب . وهو يحتوي على بجمل ما أودعه في سائر كتبه .
- وهذا ظاهر لمن تأمل فصوله فانها تنتظم جملاً وجوامع من كتابه « مقدمة المعرفة » ، وكتاب « الادوية والبلدان » ، وكتاب « الامراض الحادة » ، ونكتاً وعيوناً من كتابه المعنون « بابيديا » وتفسيره الامراض الوافدة . وفصولاً من كتابه في « اوجاع النساء » وغير ذلك من سائر كتبه الأخر.
- الخامس - كتاب مقدمة المعرفة ، ثلاث مقالات ، وضمنه تعريف العلامات التي يقف بها الطبيب على احوال مرض في الازمان الثلاثة للماضي والحاضر والمستقبل . وعرف انه اذا أخبر بالماضي وثق به المريض فاستسلم له فتمكن بذلك من علاجه على ما توجبه الصناعة . واذا عرف الحاضر قابله بما ينبغي من الادوية وغيرها . واذا عرف المستقبل استعد له بجميع ما يقابله به قبل ان يهجم عليه بما لا يمهله في ان يتلقاه بما ينبغي .
- السادس - كتاب الامراض الحادة ، وهو ثلاث مقالات ، المقالة الاولى ، تتضمن القول في تدبير الغذاء . والاستقراغ في الامراض الحادة . والمقالة الثانية ، تتضمن المداواة بالتكيد والفصد وتركيب الادوية المسهلة ونحو ذلك. والمقالة الثالثة تتضمن القول في التدبير بالحر وماء العسل والسكنجبين^(٣) والماء البارد والاستحمام .
- السابع - كتاب اوجاع النساء مقالتان ضمنه اولا تعريف ما يعرض للمرأة من العلل بسبب احتباس الطمث^(٤) ونزيفه ؛ ثم ذكر ما يعرض في وقت الحمل وبعده من الاسقام التي تعرض كثيراً .
- الثامن - كتاب الامراض الوافدة ويسمى إبيديا ، وهو سبع مقالات . ضمنه تعريف الامراض

(١) واحدها جنين وهو الولد ما دام في بطن امه .
 (٢) ماء الرجل وهو مادة لوزجة تتكون في الجهاز التناسلي عند الذكر . وتسبح فيه الحيويونات المنوية وهي تلقح البيضة عند المرأة فيتكون من ذلك الجنين (ن.ر).
 (٣) معرب مركب من شراب يتخذ من خل وعسل (ن.ر) .
 (٤) الحيض وهو العادة الشهرية للمرأة .

الرافدة وتديرها وعلاجها ، وذكر انها صنفان : احدهما مرض واحد فقط ، والآخر مرض قتال يسمى الموتان ^(١) . ليتلقى الطبيب كل واحد منها بما ينبغي . وذكر في هذا الكتاب تذاكير .

وجالينوس يقول : اني وغيري من المفسرين نعلم ان المقالة الرابعة والخامسة والسابعة من هذا الكتاب مدلسة ^(٢) ، ليست من كلام ابقراط . ويثبت ان المقالة الاولى والثالثة فيها القول في الامراض الوافدة ؛ وان المقالة الثانية والسادسة تذاكير ابقراط ، اما ان يكون ابقراط وضعها ، واما ان يكون ولده اثبت لنفسه ما سمعه من ابيه على سبيل التذاكير ، ومن أجل ما بينه . وقال جالينوس : اطرح ^(٣) الناس النظر في المقالة الرابعة والخامسة والسابعة من هذا الكتاب فاندurst .

التاسع - كتاب الاخلاط . وهو ثلاث مقالات . ويتعرف من هذا الكتاب حال الاخلاط ، اعني كميتها وكيفيتها ، وتقدمة المعرفة بالاعراض اللاحقة بها ، والحيلة ، والتأني في علاج كل واحد منها .

العاشر - كتاب الغذاء وهو اربع مقالات . ويستفاد من هذا الكتاب علل واسباب مواد الاخلاط . أعني علل الاغذية واسبابها التي بها تزيد في البدن وتنمي ، وتخلف عليه بدل ما انحل منه .

الحادي عشر - كتاب « قاطيطريون » اي حانوت الطبيب ، وهو ثلاث مقالات . ويستفاد من هذا الكتاب ما يحتاج اليه من اعمال الطب التي تختص بعمل اليدين دون غيرها من الربط ، والشد ، والجبر ، والحياطة ، ورد الخلع ، والتنطيل ، والتكيد ، وجميع ما يحتاج اليه .

وقال جالينوس : ان ابقراط بنى امره على ان هذا الكتاب اول كتاب يقرأ من كتبه ، وكذلك ظن به جميع المفسرين ، وانا واحد منهم . وسماه الحانوت الذي يجلس فيه الطبيب لعلاج المرضى . والاجود أن تجعل ترجمته كتاب الاشياء التي تعمل في حانوت الطبيب .

الثاني عشر - كتاب الكسر والجبر ، وهو ثلاث مقالات . تتضمن كل ما يحتاج اليه الطبيب من هذا الفن .

ولأبقراط ايضاً من الكتب وبعضها منحول اليه : كتاب اوجاع العذارى ؛ كتاب في مواضع الجسد ، كتاب في القلب ؛ كتاب في نبات الاسنان ؛ كتاب في العين ؛ كتاب الى بساوس ؛ كتاب في سيلان الدم ؛ كتاب في النفخ ؛ كتاب في الحمى المحرقة ، كتاب في الغدد ؛ رسالة الى ديمطريوس الملك ويعرف كتابه هذا بالمقال الشافي ؛ كتاب منافع الرطوبات ؛ كتاب الوصايا ؛ كتاب العهد ويعرف ايضاً بكتاب الايمان وضعه ابقراط للمتعلمين ، ولمن يعلمونه ايضاً ليقتدوا به ، وان لا يخالفوا ما شرطه عليهم فيه ، وان ينفي بما ذكره الشنعة عليه في نقله هذه الصناعة من الوراثة الى الاذاعة ؛ كتاب ناموس الطب ؛ كتاب الوصية المعروفة بترتيب الطب ، ذكر فيها ما يجب ان يكون الطبيب عليه من الشكل والزي والترتيب ، وغير ذلك ؛ كتاب الخلع ؛ كتاب جراحات الرأس ؛ كتاب

«١» الفناء يصيب الناس والحيوان .

«٢» الاصل في الدلس اختلاط الظلام وهنا يقصد بمدلسة انها منسوبة غير صحيحة .

«٣» ترك - ن . ر -

للحوم ؛ كتاب في مقدمة معرفة الامراض الكائنة من تغير الهواء ؛ كتاب طبائع الحيوان ؛ كتاب علامات القضايا ، وهو الخمس والعشرون قضية الدالة على الموت ؛ كتاب علامات البُحران ^(١) ؛ كتاب في حَبَل على حبل ؛ كتاب في المدخل الى الطب ؛ كتاب في المولودين لسبعة اشهر ؛ كتاب في الجراح ؛ كتاب في الاسابيع ؛ كتاب في الجنون ؛ كتاب في البثور ^(٢) ؛ كتاب المولودين لثمانية اشهر ؛ كتاب في الفصد ^(٣) والحجامة ^(٤) ؛ كتاب في الابطى ؛ رسالة في مسنونات أفلاطن على أرس ؛ كتاب في البول ؛ كتاب في الالوان ؛ كتاب الى أنطيقن الملك في حفظ الصحة ؛ كتاب في الامراض ؛ كتاب في الاحداث ؛ كتاب في المرض الاهلي — وذكر جالينوس في المقالة الاولى من شرح مقدمة المعرفة عن هذا الكتاب ، ان أبقرات يردّ فيه على من ظن ان الله تبارك وتعالى يكون سبب مرض من الامراض .

كتاب الى اقطيغيوذكس قيصر ملك الروم في قسمة الانسان على مزاج السنة ؛ كتاب طب الوحي . وهذا الكتاب ذكروا انه يتضمن كل ما كان يقع في قلبه فيستعمله ، فيكون كما وقع له ؛ رسالة الى أرطحششت الكبير ملك فارس لما عرض في ايامه للفرس الموتان ؛ رسالة الى جماعة من اهل ابديرا ^(٥) ، مدينة ديمقراطيس الحكيم ، جواباً عن رسالتهم اليه لاستدعائه وحضوره لعلاج ديمقراطيس ؛ كتاب اختلاف الازمنة واصلاح الاغذية ؛ كتاب تركيب الانسان ؛ كتاب في استخراج النصول ؛ كتاب مقدمة القول الاول ؛ كتاب مقدمة القول الثاني .

ولما توفي أبقرات خلف من الاولاد والتلاميذ من آل اسقليديوس وغيرهم اربعة عشر .

اما اولاده فهم اربعة : ثاسلوس ، ودراقن ، وابناهما : أبقرات بن ثاسلوس ، بن ابقرات ؛ وأبقرات بن دراقن بن ابقرات . فكل واحد من ولديه كان له ولد سماه أبقرات باسم جده .

واما تلامذته من اهل بيته وغيرهم فهم عشرة : لاون ، وامامرجس ، ومينانوس ، وقولويس وهو أجلّ تلاميذه وخليفته من اهل بيته ، واملانيسون ، واسطاث ، وساروري ، وغورس ، وسنبليقيوس ، وثالثس . هذا قول يحيى النحوي . وقال غيره ان ابقرات كان له اثنا عشر تلميذاً لا يزيد عليهم الا بعد الموت ، ولا ينقص منهم . وبقوا على تلك السنة حيناً في بلاد الروم في الرواق الذي كان يدرس فيه .

ووجدتُ ببعض المواضيع ان ابقرات كانت له ابنة تسمى مالانا أرسا ، وكان لها براعة في صناعة

«١» التغير الذي يحدث دفعة في الامراض الحادة .

«٢» واحدها بثر وهي خراجات صغيرة وتسميها العامة الحبوب .

«٣» شق العرق .

«٤» المداواة والمعالجة بالحجم وهو كالكأس يوضع على الجلد فيحدث فيه تيجاً ويجذب الدم او المادة بقرة «ن.ر» .

«٥» مدينة قديمة على بحر ايجه اشتهر اهلها بمحافاتهم «ن.ر» .

الطب ويقال انها كانت ابرع من اخوها .

والاطباء المذكورون في الفترة التي بين أبقرات وجالينوس، خلا تلاميذ أبقرات في نفسه واولاده، فهم سنبليوس المفسر لكتب ابقرات ، وانقيلالوس الاول الطبيب ، وارسيسطراطس الثاني القياسي ، ولوقس ، وميلن الثاني ، وغالوس ، وميرتديطوس صاحب العقاقير ، وسقالس المفسر لكتب ابقرات، ومانطلياس المفسر ايضاً لكتاب ابقرات ، وغولس الطارنطائي ، ومغنس الحمصي صاحب كتاب البول وعاش تسعين سنة ، واندروماخس القريب العهد وعاش تسعين سنة ؛ وأبراس الملقب بالبعيد ، وسوناخس الاثيني صاحب الادوية والصيدلة ، وروفس الكبير وكان من مدينة افسس ، ولم يكن في زمانه احد مثله في صناعة الطب وقد ذكره جالينوس في بعض كتبه وفضله ونقل عنه .

ولروفس من الكتب : كتاب المالبخوليا مقالتان ، وهو من اجل كتبه ؛ وكتاب الاربعين مقالة ؛ كتاب تسمية اعضاء الانسان ؛ مقالة في العلة التي يعرض معها الفزع من الماء ؛ مقالة في اليرقان والمرار ؛ مقالة في الامراض التي تعرض في المفاصل ؛ مقالة في تنقيص اللحم ؛ كتاب تدبير من لا يحضره طبيب ، مقالتان ؛ مقالة في الذبحة ؛ كتاب طب ابقرات ؛ مقالة في استعمال الشراب ؛ مقالة في علاج اللواتي لا يجبلن ؛ مقالة في قضايا حفظ الصحة ؛ مقالة في الصرع ؛ مقالة في الحمى الربع ^(١) ؛ مقالة في ذات الجنب وذات الرئة ؛ كتاب التدبير مقالتان ؛ كتاب الباه ^(٢) ؛ مقالة ؛ كتاب الطب ؛ مقالة في الاعمال التي تعمل في البيمارستانات ؛ مقالة في اللبن ؛ مقالة في الفواق ^(٣) ، مقالة في الابكار ؛ مقالة في التين ؛ مقالة في تدبير المسافر ؛ مقالة في البخر ^(٤) ؛ مقالة في القيء ؛ مقالة في الادوية القاتلة ؛ مقالة في ادوية علل الكلى والمثانة ^(٥) ؛ مقالة في هل كثرة شرب الماء في الولايم نافع ؛ مقالة في الاورام الصلبة ؛ مقالة في الحفظ ؛ مقالة في علة ديونوسوس وهو القيح ؛ مقالة في الجراحات ؛ مقالة في تدبير الشيخوخة ؛ مقالة في وصايا الاطباء ؛ مقالة في الحقن ؛ مقالة في الولادة ؛ مقالة في الخلع ؛ مقالة في علاج احتباس الطمث ؛ مقالة في الامراض المزمنة على رأي ابقرات ؛ مقالة في مراتب الادوية ؛ مقالة فيما ينبغي للطبيب ان يسأل عنه العليل ؛ مقالة في تربية الاطفال ؛ مقالة في دوران الرأس ؛ مقالة في البول ؛ مقالة في العقار الذي يدعى سوساً ؛ مقالة في النزلة الى الرئة ؛ مقالة في علل الكبد المزمنة ؛ مقالة في ان يعرض للرجال انقطاع التنفس ؛ مقالة في شرى الممالك ؛ مقالة في علاج صبي يصرع ؛ مقالة في تدبير الحبالى ؛ مقالة في التخمة ؛ مقالة في السذاب ^(٦) ؛ مقالة في العرق ؛ مقالة في ايلالوس ؛ مقالة في ابلسيا .

«١» التي تأتي يوماً وتترك يومين وتعود في الرابع .

«٢» النكاح .

«٣» ما يأخذ المحتضر عند النزح .

«٤» رائحة الفم الكريهة .

«٥» حوصلة هي مستقر البول في الانسان والحيوان .

«٦» نبت ورقه كالصعتر كريحه الرائحة وهو الفيجن «ن.و» .

وكان من الاطباء المذكورين ايضا في العترة التي بين ابقراط وجالينوس: ابولونيوس ، وارثيجانس وله ايضا كتب عدة في صناعة الطب . ووجدت له من ذلك مما نقل الى العربي: كتاب اسقام الارحام وعلاجها ؛ كتاب طبيعة الانسان ؛ كتاب في النقرس (١) .

ومن اولئك الاطباء ايضا دياسقوريدس الاول المفسر لكتب ابقراط ، وطلياس الفلسطيني المفسر لكتب ابقراط ايضا ؛ ونياديطوس الملقب بموهبة الله في المعونات ؛ وميسياس المعروف بالمقسم للطب ؛ ومارس الحيلي الملقب بثاسلس باسم ذلك الذي ذكرناه في اصحاب الحيل - وذلك لانه وقع اليه كتاب بعد احراق كتب ثاسلس الاول من كتب الحيليين فانتحله وقال لا صناعة غير صناعة الحيل وهي صناعة الطب الصحيحة ، وأراد ان يفسد الناس ويخرجهم عن اعتقادهم للقياس والتجربة ، ووضع في الحيل من ذلك الكتاب كتباً كثيرة ، فلم تزل مع الاطباء فبعض يقبلها وبعض لا ، حتى ظهر جالينوس فناقضه عليها وأفسدها ، وأحرق ما وجد منها ، وأبطل هذه الصناعة الحيلية - واقريطن الملقب بالمزين وهو صاحب كتاب الزينة - وقد نقل جالينوس عنه اشياء من كتابه في كتاب الميامر - واقاقوس ، وجارمكسانس ، وأرثيائوس ، وماريطوس ؛ وقاقولونس ؛ ومرقس ؛ وبرغالس ؛ وهرمس الطبيب ، ويولاس ، وحاحونا ، وحلمانس (هؤلاء الاثنا عشر من الاطباء الذين اولهم اقريطن يعرفون بمعاودة بعضهم لبعض ، وباتصال بعضهم ببعض في تأليف الادوية لمنفعة الناس بالبروج الاثني عشر لانها متصلة بعضها ببعض) وفيلس الخلقدوني الملقب بالقادر - من قبل انه كان يتجرأ على العلاجات الصعبة ويشفيها ، ويعلو عليها ويقتدر ولا يخطئ له علاج - وديمقراطيس الثاني ؛ وافروسيس ؛ وأكسانقراطس ، وافروديس ؛ وبطليموس الطبيب ؛ وسقراطس الطبيب ؛ ومارقس الملقب بماشق العلوم ؛ وسوروس ؛ وفوريس قادح العيون ؛ ونيادريطوس الملقب بالساهر ؛ وفرفوريوس التاليفي صاحب الكتب الكثيرة لانه كان مع فلسفته مبرزاً في الطب بارعاً فيه قوياً ، فمن قبل ذلك يسميه بعض الناس الفيلسوف وبعضهم الطبيب ؛ ودياسقوريدس (٢) العين زربي (٣) صاحب النفس الزكية النافع للناس المنفعة الجليلة ، المتعرب المنصور السائح في البلاد ، المقتبس لعلوم الادوية المفردة من البراري والجزائر والبحار ، المنصور لها المحرب المعدد لمنافعها قبل المسألة من افاعيلها ، حتى اذا صحت عنده بالتجربة فوجدتها قد خرجت بالمسألة غير مختلفة عن التجربة اثبت ذلك وصوره من مثله ، وهو رأس كل دواء مفرد ، وعنه اخذ جميع من جاء بعده ، ومنه ثقفوا على سائر ما يحتاجون اليه من الادوية المفردة ، وطوبى لتلك النفس الطيبة التي شقيت بالتعب من محبتها لا يصلح الخيرات الى الناس كلهم .

وقال حنين بن اسحق : « ان دياسقوريدس كان اسمه عند قومه أزدش نياديش ومعناه بلغتهم

«١» رجع او روم في مفاصل القدم واهلها .

«٢» ويدعى ديسقوريدس بيزانيوس من القرن الاول ولد في عين زربي .

«٣» او عين زربه ثغر قرب المصيصه - بلد في الشام او ثغر من ثغور الروم .

الحارج عنا » . قال حنين : « وذلك انه كان معتزلاً عن قومه متعلفاً بالجبال ومواضع النبات ، مقيماً بها في كل الازمنة ، لا يدخل الى قومه في طاعة ولا مشورة ولا حكم . فلما كان ذلك سماه قومه بهذا الاسم . ومعنى ديسقوري باليونانية اشجار ، ودوس باليونانية : الله ، ومعناه اي ملهمه الله للشجر والحشائش .

اقول : وبما يؤيد ان دياسقوريدس كان متنقلاً في البلدان لمعرفة الحشائش والنظر اليها وفي منابها قوله في صدر كتابه يخاطب الذي ألف الكتاب له : « واما نحن فانه كانت لنا ، كما علمت ، في الصغر شهوة لا تقدر في معرفة هيولى العلاج وتجولنا في ذلك بلدانا كثيرة ؛ وكان دهرنا كما قد علمت ، دهر من ليس له مقام في موضع واحد » .

وكتاب دياسقوريدس هذا خمس مقالات ويوجد متصلاً به ايضاً مقالتان في سموم الحيوانات تنسب اليه وانها سادسة وسابعة .

وهذا ذكر اغراض مقالات كتاب دياسقوريدس :

المقالة الاولى تشتمل على ذكر ادوية عطرة الرائحة وافاويه وادهان وصبوغ واشجار كبار .
المقالة الثانية تشتمل على ذكر الحيوانات ورطوبات الحيوان والحبوب والقطاني والبقول المأكولة والبقول الحريفة وادوية حريفة .
المقالة الثالثة تشتمل على ذكر اصول النبات وعلى نبات شوكي وعلى بزور وصبوغ وعلى حشائش بازهرية .

المقالة الرابعة تشتمل على ذكر ادوية اكثرها حشائش باردة ، وعلى حشائش حارة مسهلة ومقيئة ، وعلى حشائش نافعة من السموم وهو ختام المقالة .

المقالة الخامسة تشتمل على ذكر الكرم وعلى انواع الاثربة وعلى الادوية المعدنية .

وجالينوس يقول عن هذا الكتاب : « اني تصفحت اربعة عشر مصحفاً في الادوية المفردة لأقوام شتى فما رأيت فيها أتم من كتاب ديسقوريدس الذي من أهل عين زربة . » .

وكان من الاطباء المذكورين ايضاً في الفترة التي بين ابقرات وجالينوس : بلاديوس المفسر لكتب ابقرات ؛ وكلاوبطرة امرأة طبيبة فارهة اخذ عنها جالينوس أدوية كثيرة وعلاجات شتى ، وخاصة ما كان من ذلك من أمور النساء ؛ واسقليبيادس^(١) ؛ وسورانوس الملقب بالذهبي ؛ وايراقليس الطارنطي ؛ واديمس الكحال الملقب بالملك ؛ ونساروس الفلسطيني ، وغالس الحمصي ، وكسانوقراطس ، وقوطانس وديوجانس الطبيب الملقب بالفرازي ، واسقليبيادس الثاني ، وبقرطيس الجوارشني ، ولاون الطرسوسي ،

(١) من مشاهير الاطباء اليونان اسس في روما مدرسة قاوم فيها تعاليم ابقرات (٢١٢ - ٩٦ ق م) .

واربوس الطرسوسي ، وقيمن الحراني ؛ وموسقوس الاثيني ؛ واقليدس المعروف بالمهدي للضالين ؛ وايراقليس المعروف بالهادي ، وبطروس ، وفروادس ؛ ومانطلياس الفاسد ؛ وثافراطس العين زربي ، وانطيباطوس المصيصي ، وخروسبس المعروف بالفقي ، واربوس المعروف بالمضاد ، وفيلون الطرسوسي ، وفاسيوس المصري ، وطولس الاسكندراني ، واولينس ، وسقورس الملقب بالمطاع وانما لقب بذلك لان الادوية كانت تطاوعه فيما يستعملها ؛ وتامور الحراني .

وجميع هؤلاء الاطباء اصحاب ادوية مركبة اخذ جالينوس عنهم كتبه في الادوية المركبة ، وعن الذين من قبلهم ممن سميناه اولاً مثل ايولس وارشيجانس وغيرهما .

وكان قبل جالينوس ايضاً طرالينوس وهو الاسكندروس الطبيب ، وله من الكتب : كتاب علل العين وعلاجها ثلاث مقالات ، كتاب البرسام ؛ كتاب الضبان والحيات التي تتولد في البطن والديدان .

وكان في ذلك الزمان ايضاً وما قبله جماعة من عظماء الفلاسفة وأكابرهم على ما ذكره اسحق بن حنين مثل : فوثاغرس ، وديوفيلس ، وثاوت ، وانبادقلس ، واقليدس ^(١) ، وساورى ، وطهاثوس ^(٢) وانكسيانس ^(٣) ، وديمقراطيس ^(٤) ، وثاليس ^(٥) . قال : وكان الشعراء ايضاً في ذلك الوقت اوميرس ^(٦) وقاقلس ومارقس ، وتلام ايضاً من الفلاسفة زينون الكبير وزينون الصغير ^(٧) ، واقراطوس الملقب بالموسيقي ، ورامون المنطقي ، واغلوغن البنضي ، وسقراط ، وافلاطن ، وديمقراط ، وارسطوطاليس ، وثاوفرطس ابن اخته ، واذيس ، وأفانس ، وخروسبس ، وديوجانس ^(٨) ، وقيلاطس ، وفيماطوس ، وسنبليقيوس ، وارمينس معلم جالينوس ، وغلوغن ، والاسكندر الملك ، والاسكندر الافروديسي ^(٩) وفرفوريوس الصوري ^(١٠) ، وايراقليدس الافلاطوني ، وطاليوس

«١» واضع مبادئ علم الهندسة السطحية وعلم في مدرسة الاسكندرية على عهد بطليموس «٣٠٦ - ٢٨٣» .

«٢» كاتب ابوه وثنياً وامه يهودية .

«٣» فيلسوف يوناني «٥٨٥ - ٥٢٨» قال ان الهواء هو اصل الاشياء كلها ، وانه مادة غير متناهية ، وانه من جنس النفس البشرية . اما السبب في تكوين العالم فهو تخلخل الهواء وتكاثفه .

«٤» فيلسوف يوناني في القرن الخامس كانت تعاليمه الادبية عالية نبيلة منها ان السعادة بضبط اهواء النفس .

«٥» فيلسوف وعالم بالحساب من المدرسة الايونية اشتهر بالنظرية الهندسية المعروفة باسمه «Thalès» «٦٤٠ - ٥٤٨ ق م» .

«٦» لعله يقصد هوميرس اشهر شعراء اليونان الاقدمين من القرن التاسع قبل المسيح .

«٧» ربما هو زينون الايلياني «ولد بين ٤٩٠ - ٤٨٥ ق م» فيلسوف تعلم على برميندس . وانه زينون سبيوم الذي ولد في قبرص في اواخر القرن الرابع قبل المسيح وهو مؤسس المذهب الرواقي . وربما كان زينون الصغير هو زينون الصيداي فيلسوف زعيم المذهب الايبكوري ومعلم شيشرون .

«٨» هو ديوجين الكلي فيلسوف اليوناني .

«٩» من فلاسفة القرن الثاني وهو من ام شراح ارسطوطاليس نعت ابن سينا بافضل التأخرين واعتد بأرائه . وقد خالفه ابن رشد .

«١٠» ولد في صور . فيلسوف من اتباع الافلاطونية الجديدة وتلميذ افلاطون . وعلم في روما «٢٣٣ - ٣٠٤» .

الاسكندراني ، وموسى الاسكندراني ، ورودس الافلاطوني ، واسطفانس المصري ، وسنجس ، ورامن . ويتلو هؤلاء ايضاً من الفلاسفة : ثامسطيوس ، وفرفوديس المصري ، ويحيى النحوي ^(١) الاسكندراني ، وداريوس ، وانقيلالوس المختصر لكتب ارسطوطاليس ، وامونيوس ، وفولوس ، وافروطوخس ، واوديس الاسكندراني ، وياغات العين زربي ، وثيادوس الاثيني ، وادي الطرسوسي . وقال القاضي ابو القاسم صاعد ^(٢) بن احمد بن صاعد في كتاب طبقات الامم : ان الفلاسفة اليونانيين من ارفع الناس طبقة واجل اهل العلم منزلة ، لما ظهر منهم من الاعتناء الصحيح بفنون الحكمة من العلوم الرياضية والمنطقية ، والمعارف الطبيعية والالهية ، والسياسات المنزلية والمدنية . قال : واعظم هؤلاء الفلاسفة قدراً عند اليونانيين خمسة ، فأولهم زمانا : بندقليس ثم فيثاغورس ثم سقراط ثم افلاطون ثم ارسطوطاليس ابن نيقوماخس . اقول وسنذكر جملاً من احوال هؤلاء الخمسة وغيرهم ان شاء الله تعالى .

بندقليس

قال القاضي صاعد : ان بندقليس كان في زمن داود النبي عليه السلام على ما ذكره العلماء بتواريخ الامم ، وكان أخذ الحكمة عن لقمان الحكيم بالشام ، ثم انصرف الى بلاد اليونانيين فتكلم في خلق العالم باشياء يقدرها في امر المعاد ، فهجره لذلك بعضهم ، وطائفة من الباطنية تنتمي الى حكمته ، وتزعم ان له رموزاً قلما يوقف عليها . قال : وكان محمد بن عبد الله بن مرة الجبلي الباطني من أهل قرطبة كلفاً بفلسفته دؤوباً على دراستها .

قال : وبندقليس اول من ذهب الى الجمع بين معاني صفات الله تعالى ، وانها كلها تؤدي الى شيء واحد ، وانه وان وصف بالعلم والجود والقدرة فليس هو ذا معان متميزة تختص بهذه الاسماء المختلفة ، بل الواحد بالحقيقة الذي لا يتكرر بوجه ما اصلاً ، بخلاف سائر الموجودات فان الوجدانيات العالمية معرضة للتكثير اما باجزائها واما بمعانيها واما بنظائرها ، وذات الباري متعالية عن هذا كله . قال : والى هذا المذهب في الصفات ذهب ابو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف البصري . ولبندقليس من الكتب : كتاب فيما بعد الطبيعة ، كتاب الميامر .

فيثاغورس

ويقال فوثاغوراس وفوثاغوريا ، وقال القاضي صاعد في كتاب طبقات الامم : ان فيثاغورس كان

«١» كان اسقفاً في اول امره في مصر يعقوب المذهب . وكان طبيباً ماهراً . ولحق الاسلام .

«٢» هو صاعد الاندلسي ولد في المربة ودرس في قرطبة وتولى القضاء في طليطلة . اشتهر بالفقه والتاريخ والحساب والهيئة .

بعد بندقليس بزمان ، واخذ الحكمة عن اصحاب سليمان بن داود عليهما السلام بمصر حين دخلوا اليها من بلاد الشام ، وكان قد اخذ الهندسة قبلهم عن المصريين ، ثم رجع الى بلاد اليونان وادخل عندهم علم الهندسة وعلم الطبيعة وعلم الدين ، واستخرج بذكائه علم الألحان وتأليف النغم وأوقعها تحت النسب العددية ، وادعى انه استفاد ذلك من مشكاة النبوة .

وله في نضد العالم وترتيبه على خواص العدد ومراتبه ، رموز عجيبة ، واغراض بعيدة . وله في شأن المعاد مذاهب قارب فيها بندقليس من أن فوق عالم الطبيعة عالماً روحانياً نورانياً لا يدرك العقل حسنه وبهائه ، وان الانفس الزكية تشتاق اليه ؛ وان كل انسان أحسن تقويم نفسه بالتبري من المعجب والتجبر والرياء والحسد وغيرها من الشهوات الجسدانية ، فقد صار أهلاً ان يلحق بالعالم الروحاني ، ويطلع على ما يشاء من جواهره من الحكمة الالهية . وان الاشياء المألوفة للنفس تأتيه حينئذ ارسالاً كالألحان الموسيقية الآتية الى حاسة السمع ، فلا يحتاج ان يتكلف لها طلباً . ولفيثاغورس تأليف شريعة الارغاطيقي والموسيقي وغير ذلك ، هذا آخر قوله .

وذكر غيره عن الحكيم فيثاغورس انه كان يرى السياحة ، واجتناب مماسة القتاتل والمقتول . وأنه أمر بتقديس الحواس ، وتعلم العمل بالعدل وجميع الفضائل ، والكف عن الخطايا ، والبحث عن العطية الانسية ليعرف طبيعة كل شيء وأمر بالتحابب والتأدب بشرح العلوم العلوية ، ومجاهدة المعاصي وعصمة النفوس ، وتعلم الجهاد ، واكثار الصيام ، والعود على الكراسي ، والمواظبة على قراءة الكتب ، وان يعلم الرجال الرجال وتعلم النساء والنساء ، وامر بجودة المنطق ومواعظ الملوك ، وكان يقول ببقاء النفس وكونها فيما بعد في ثواب او عقاب على رأي الحكماء الالهيين ، ولما رأس الحكيم فيثاغورس على الهياكل وصار رئيس الكهنة ، جمل يفتندي بالاغذية غير المجوعة وغير المعطشة .

اما الغذاء غير المجوع فكان يهيئه من بزر ميقونيون ومسم ، وقشر اسقال مغسول غسلاً مستقصى حتى ينبتاً ^(١) قلبه ^(٢) ، واثتاريقون ، واسفودالن ، والفيطون ، وحص ، وشعير ، من كل واحد جزء بالتحرير كان يسحقها ويعجنها يحنس من العسل يسمى اميطيو .

واما غير المعطش فكان يهيئه من بزر القثاء ، وزبيب سمين منزوع العجم ^(٣) ، وزهر قوريون ، وبزر ملوخيا وبزر اسوفا ، وأندراخين ، ونوع من الخبز يدعى فيلظاموس ، ودقيق أوليس ، وكان يعجنها بعسل حابوق .

وذكر الحكيم ان هرقلس تعلم هاتين الصفتين من ديميتر ، وكان فيثاغورس قد الزم نفسه عادة موزونة فلم يكن مرة صحيحاً ومرة سقيماً ، ولا كان مرة يسمن ومرة يهزل . وكانت نفسه لطيفة جداً ، ولم يكن يفرح بافراط ولا يحزن بافراط ولا رآه احد قط ضاحكاً ولا باكياً ، وكان يقدم اخوانه على نفسه .

«١» يرتفع «٢» القلب من الشجر : مارخص من اجوافها «٣» كل ما كان في جوف مأكول اي بزره .

ويحكى انه اول من قال ان اموال الاخلاء مشاعة غير مقسومة وكان يحافظ على صحة الاصحاء ويبرئ المسقومي الابدان ، وكان يبرئ النفوس الآلة ، منها بالتكهن ، ومنها بالاحان الالهية التي كان يحيي بها آلام البدن . وكان يأمر باداء الامانة في الوديعة لا المال فقط ، والكلمة المستودعة المحقة وصدق الوعد .

وذكر فرفورينوس في المقالة الاولى من كتابه في اخبار الفلاسفة وقصصهم وآرائهم حكايات عجيبة، ظهرت عن فيثاغورس مما تكهن به ومن اخباره بمغيبات سمعت منه وشهدت ، كما قاله .

كلمات حكمية

وكان يرمز حكمته ويسترها، فمن الغازه انه كان يقول : لا تعتمد في الميزان ، اي اجتنب الافراط . ولا تحرك النار بالسكين لانها قد حمت فيها مرة ، اي اجتنب الكلام المحرض عند الغضب المغناط . ولا تجلس على قفيز ، اي لا تعش في البطالة . ولا تمر بغياض الليوث ، اي لا تقتد برأي المردة . ولا تعمّر الخطاطيف البيوت ، اي لا تقتد باصحاب الطرمذه ^(١) والبقبة ^(٢) من الناس غير المالكين لألسنتهم . وان لا يلقي الحمل عن حامله لكن يعان على حمله ، اي لا يغفل احد اعمال نفسه في الفضائل في الطاعات . وان لا تلبس ثماثيل الملائكة على فصوص الخواتم ، اي لا تجهز بديانتك وتدع اسرار العلوم الالهية عند الجهال .

قال الامير المبشر بن فائق : كان لفيثاغورس أب اسمه منيسارخوس من اهل صور ، وكان له أخوان اسم الاكبر منها أونوسطوس ، والاخر طورينوس ، وكان اسم أمه بوثايس بنت رجل اسمه اجقاويس من سكان ساموس ^(٣) ولما غلب على صور ثلاث قبائل ليمنون ^(٤) ويمقرون وسقرون ، واستوطنوها وجلا أهلها منها ، جلا والد فيثاغورس فيمن جلا وسكن البحيرة ، وسافر منها الى ساموس ملتصقاً كسباً ، واقام بها وصار فيها مكرماً ولما سافر منها الى انطاكيا أخذ فيثاغورس معه ليتفرج عليها لأنها كانت نزهة جداً كثيرة الخصب . وذكروا ان فيثاغورس انما عاد اليها فسكنها ، لما رأى من طيبها اول مرة . ولما جلا منيسارخوس عن صور سكن ساموس ومعه اولاده أونوسطوس وطورينوس وفيثاغورس . فتبنى أندروقلوس رئيس ساموس فيثاغورس وكفله ، لانه كان اخذت الاخوة واسلمه من صغره في تعليم الآداب واللغة والموسيقى ، فلما التحى وجه به الى مدينة ميليطون

(١) المفاخرون الميامون بما ليس عندهم

(٢) الكثيرو الكلام

(٣) جزيرة يونانية من جزر الارخبيل موطن فيثاغورس .

(٤) سكان جزيرة ليمنوس قديماً - اليوم يسمونه Lemmo .

واسلمه الى أناكسياندرس الحكيم ليعلمه الهندسة والمساحة والنجوم ، فلما أحكم فيثاغورس هاتين الصناعتين اشتد حبه للعلوم والحكمة فسافر الى بلدان شتى طالباً لذلك ، فورد على الكلدانيين والمصريين وغيرهم ، ورابط الكهنة وتعلم منهم الحكمة وحذق لغة المصريين بثلاثة أصناف من الخط : خط العامة ، وخط الخاصة وهو خط الكهنة المختصر ، وخط الملوك . وعندما كان في أراقليا^(١) كان مرابطاً للملكها ، ولما صار الى بابل رابط رؤساء خذايون ودرس على زارباطا فبصره بما يجب على الصديقين ، واسمعه سماع الكيان وعلمه أوائل الكل^(٢) ايما هي . فمن ذلك فضلت حكمة فيثاغورس وبه وُجد السبيل الى هداية الامم وردم عن الخطايا ، لكثرة ما اقتنى من العلوم من كل امة ومكان .

وورد على قاراقوديس الحكيم السرياني في بداية امره في مدينة اسمها ديلون من سورية ، وخرج عنها قاراقوديس فسكن ساموس ، وكان قد عرض له مرض شديد حتى ان القمل كانت ينتعش في جسمه ، فلما عظم به وساء مثواه حمله تلاميذه الى افسس^(٣) ، ولما تزايد ذلك عليه رغب الى اهل افسس وأقسم عليهم ان يحولوه عن مدينتهم ، فأخرجوه الى ماغانسيا . وعنى تلاميذه بخدمته حتى مات ، فدفنوه وكتبوا قصته على قبره .

ورجع فيثاغورس الى مدينة ساموس ودرس بعده على ارمودامانيطس الحكيم البهي المتأله المكنى بقراوفوليو بمدينة ساموس . ولقي ايضاً بها ارمودامانيطس الحكيم المكنى افروقوليم فرابطه زماناً وكانت طرانة ساموس قد صارت لفولوقراطيس الاطرون ، واشتاق فيثاغورس الى الاجتماع بالكهنة الذين بمصر ، فابتهل الى فولوقراطيس ان يكون له على ذلك معيناً ، فكتب له الى أماسيس^(٤) ملك مصر كتاباً يخبره بما تاق اليه فيثاغورس ويعلمه أنه صديق لأصدقائه ، ويسأله ان يجود عليه بالذي طلب وان يتحنن عليه ، فأحسن أماسيس قبوله ، وكتب له الى رؤساء الكهنة بما اراد ، فورد على اهل مدينة الشمس وهي المعروفة بزماننا بعين شمس^(٥) ، بكتب ملكهم ، فقبلوه قبولاً كريهاً واخذوا في امتحانه زماناً فلم يجدوا عليه نقصاً ولا قصيراً ، فوجهوا به الى كهنة منف^(٥) كي يبالغوا في امتحانه فقبلوه قبولاً على كراهية واستقصوا امتحانه فلم يجدوا عليه معيباً ولا أصابوا له عثرة ، فبعثوا به الى اهل دوسبولس ليمتحنوه فلم يجدوا عليه طريقاً ولا الى ادحاضه سبيلاً لعناية ملكهم به ، فعرضوا عليه فرائض صعبة مخالفة لفرائض اليونانيين كما يمتنع من قبولها فيدحضوه ويحرموه طلبه ، فقبل ذلك وقام به ، فاشتد اعجابهم منه ، وفشا بمصر ورعه حتى بلغ ذكره الى أماسيس ، فأعطاه سلطاناً على الضحايا للرب تعالى وعلى سائر قرابينهم ، ولم يعط ذلك لغريب قط .

(١) مدينة قديمة في آسيا الصغرى - بيزنطيا - وهي اليوم ايركلي (ن . ر) .

(٢) مدينة قديمة على شاطئ بحر ايجه كان بها هيكل لديانا وهي اليوم ركام من الخراب .

(٣) ملك مصر من السلالة الثامنة عشرة .

(٤) موضع بمصر بالطرية .

(٥) ارمنفيس : عاصمة مصر قديماً بالقرب من القاهرة . ولا يوجد فيها اليوم إلا الاثر في موضع يدعى عين شمس انقاض

كنائس قديمة . (ن . ر) .

ثم مضى فيثاغورس من مصر راجعاً الى بلاده ، وبنى له بمدينة ايونية منزلاً للتعليم ، فكان اهل ساموس يأتون اليه ويأخذون من حكمته ، واعدت له خارجاً من تلك المدينة ، انطرونا جعله مجمعا خاصاً لحكته ، فكان يربط فيه مع قليل من اصحابه اكثر اوقاته . ولما اتت عليه اربعون سنة وممادت طرانة فولوقراطيس ، وكان قد استخلفه عليهم حيناً طويلاً واستكفاه ففكر ورأى انه لا يحسن بالمرء الحكيم المكث على لزوم الطرانة والسلطان، فرحل الى ايطاليا وسار منها الى قروطونيا^(١) ودخلها ، فرأى اهلها حسن منظره ومنطقه ونبله ، وسعة علمه ، وصحة سيرته ، مع كثرة يساره وتكامله في جميع خصاله ، واجتماع الفضائل كلها فيه ، فانقاد له اهل قروطونيا انقياد الطاعة العلمية، فالزمهم عصمة القدماء ، وهدى نفوسهم ، ووعظهم بالصالحات ، وأمر الراكنة^(٢) ان يضعوا للأحداث كتب الآداب الحكيمة وتعليمهم اياها . فكان الرجال والنساء يجتمعون اليه ليسمعوا مواعظه وينتفعوا بحكمته . فعظم مجده وكبر شأنه ، وصير كثيراً من اهل تلك المدينة مهرة بالعلوم ، وانتشر الخبر حتى ان عامة ملوك البربر وردوا عليه ليسمعوا حكمته ويستوعبوا من علمه .

ثم ان فيثاغورس جال في مدن ايطاليا وسيفليا^(٣) ، وكان الجور والتمرد قد غلب عليهم فصاروا سماعيه وصدّيقه من اهل طاورورمانيون وغير ذلك . فاستأصل الفتنة منهم ومن نسلهم الى احقاب كثيرة . وكان منطقهم طارداً لكل منكر ، ولما سمع حكمته ومواعظه سماخس اطرون قانطوريبا خرج من ملكه وخلف امواله بعضها لاخيه وبعضها لاهل مدينته .

وذكر ان باندس الذي كان جنسه من فرمس وكان ملك فوثو وكان من ولد فيثاغورس ، وكان لفيثاغورس ، وهو باقروطونيا ، بنت بتول كانت تعلم عذارى المدينة شرائع الدين وفرائضه وسنته من حلاله وحرامه . وكانت ايضاً زوجته تعلم سائر النساء . ولما توفي فيثاغورس عمد ديميطوديس المؤمن الى منزل الحكيم فجعله هيكلًا لأهل قروطونيا .

وذكروا ان فيثاغورس كان على عهد كورس حدثاً وكان ملكه ثلاثين سنة ، وملك بعده ابنه قامبوسيس وفيثاغورس في الحياة . وان فيثاغورس لبث بساموس ستين سنة ثم سافر الى ايطاليا ، ثم توجه منها الى ماطاينطيون ، فمكث بها خمس سنين وتوفي .

وكان غذاؤه عسلاً وسمناً ، وعشاؤه خبز قاصخجرون وبقول نيثة ومطبوخة ، ولم يكن يأكل من اللحم إلا ما كان من أضحية^(٤) كهوته بما كان يقرب الله تعالى .

(١) مدينة قديمة في ايطاليا (اليونان الكبرى) موطن فيثاغورس .

(٢) واحدها الاركون وهو الرئيس المقدم والدهقان العظيم .

(٣) جزيرة كبيرة في البحر المتوسط تبلغ مساحتها ٢٥٧٤٠ ميلاً مربعاً وهي قسم من الجمهورية الايطالية اليوم .

(٤) جمع ضحية وهي ما يقدم تقرباً من العبود .

فلما ان رأس على الهياكل وصار رئيس الكهنة جعل يفتدي بالأغذية غير المجموعة وغير المعطشة . وكان اذا ورد عليه وارد ليسمع كلامه يكلمه على احد وجهين : إما بالاحتجاج والدراس ؛ وإما بالموعظة والمشورة ، فكان لتعليمه شكل ذو فنين .

وحضره سفر الى بعض الاماكن ، فأراد ان يؤنس اصحابه بنفسه قبل فراقهم ، فاجتمعوا في بيت رجل يقال له ميلن ، فبينما هم في البيت مجتمعون اذ هجم عليهم رجل من اهل قروطونيا اسمه قولون ، وكان له شرف وحسب ومال عظيم . وكان يستطيل بذلك على الناس ويتمرد عليهم ويفتر بالجور . وكان قد دخل على فيثاغورس وجعل يمدح نفسه فزجره بين يدي جلسائه ، وأشار اليه باكتساب خلاص نفسه ، فاشتد غيظ قولون عليه فجمع اخلاء وقذف فيثاغورس عندهم ونسبه الى الكفر ، ووافقهم على قتله واصحابه ، ولما هجم عليه قتل منهم اربعين انساناً وهرب باقيهم ، فعنهم من ادرك وقتل ، ومنهم من افلت واختفى . ودامت السعاية بهم والطلب لهم ، وخافوا على فيثاغورس القتل ، فأفردوا له قوماً منهم واحتالوا له حتى اخرجوه من تلك المدينة بالليل ، ووجهوا معه بعضهم حتى أوصلوه الى قاولونيا ، ومن هناك الى لوقروس ، فانتهدت الشناعة فيه الى اهل هذه المدينة ، فوجهوا اليه مشايخ منهم فقالوا له : « اما انت يا فيثاغورس فحكيم فيما نرى ، واما الشناعة عنك فسمجة جداً . لكننا لا نجد في نواويسنا ما يلزمك القتل ونحن متمسكون بشرائعنا ، فخذ منا ضيافتك ونفقة لطريقك وارحل عن بلدنا تسلم » . فرحل عنها الى طارنطا^(١) ، ففاجأه هناك قوم من اهل قروطونيا فكادوا ان يخنقوه واصحابه ، فرحل الى ميطابونطيون . وتكاثر الهيج في البلاد بسببه حتى صار يذكر ذلك اهل تلك البلاد سفينة كثيرة . ثم انحاز الى هيكل الاسنان المسمى هيكل الموسن فتحصن فيه واصحابه ، ولبت فيه اربعين يوماً لم يغتذ ، فضرى الهيكل الذي كان فيه بالنار . فلما احس اصحابه بذلك عمدوا اليه فجعلوه في وسطهم واحدقوا به ليقوه النار بأجسامهم ؛ فعندما امتدت النار في الهيكل واشتد لهبها ، غشي على الحكيم من ألم حرارتها ومن الخواء فسقط ميتاً . ثم ان تلك الآفة عمتهم أجمعين فاحترقوا كلهم ، وكان ذلك سبب موته .

وذكروا أنه صنف مائتين وثمانين كتاباً ، وخلف من التلاميذ خلقاً كثيراً ، وكان نقش خاتمه « شر لا يدوم خير من خير لا يدوم » ، أي شر ينتظر زواله ألد من خير ينتظر زواله . وعلى منطقته : « الصمت سلامة من الندامة » .

من آداب فيثاغورس ومواعظه ، نقلت ذلك من كتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم ، للامير محمود الدولة أبي الوفاء المبشر بن فاتك . قال فيثاغورس :

كما ان بدء وجودنا وخلقنا من الله سبحانه ، هكذا ينبغي ان تكون نفوسنا منصرفة الى الله تعالى وقال : الفكرة لله خاصة فمحبته متصلة بمحبة الله تعالى ، ومن أحب الله سبحانه عمل بمحابه ،

(١) مدينة في جنوب إيطاليا على الخليج المسمى باسمها .

- ومن عمل بحجابه قرب منه ، ومن قرب منه نجا وفاز .
- وقال : ليس الضحايا والقرايين كرامات الله تعالى ذكره ، لكن الاعتقاد الذي يليق به هو الذي يكتفي به في تكريمته .
- وقال : الاقوال الكثيرة في الله سبحانه علامة تقصير الانسان عن معرفته .
- وقال : ما انفع للانسان ان يتكلم بالاشياء الجليلة النفيسة ، فان لم يمكنه فليسمع قائلها .
- وقال : احذر ان تركب قبيحاً من الامر لا في خلوة ولا مع غيرك ، وليكن استحيائك من نفسك اكثر من استحيائك من كل احد .
- وقال : ليكن قصدك بالمال في اكتسابه من حلال وانفاقه في مثله .
- وقال : اذا سمعت كذباً فهون على نفسك الصبر عليه .
- وقال : لا ينبغي لك أن تهمل امر صحة بدنك لكن ينبغي القصد في الطعام والشراب والنكاح والرياضة .
- وقال : لا تكن متلافاً بمنزلة من لا خبرة له بقدر ما في يده ، ولا تكن شحيحاً فتخرج عن الحرية ، بل الافضل في الأمور كلها هو القصد فيها .
- وقال : كن متيقظاً في آرائك ايام حياتك ، فان سبات الرأي مشارك للموت في الجنس .
- وقال : ما لا ينبغي ان تفعله احذر ان تخطره ببالك .
- وقال : لا تدنس لسانك بالقذف ، ولا تصنع بأذنيك الى مثل ذلك .
- وقال : عسر على الانسان ان يكون حراً ، وهو ينصاع للأفعال القبيحة الجارية مجرى العادة .
- وقال : ليس ينبغي للانسان ان يلتمس القنية ^(١) العالية ، والابنية المشيدة ، لأنها من بعد موته تلتقي على حدود طباعها ، ويتصرف غيره فيها ، لكن يطلب من القنية ما ينفعه بعد المفارقة والتصرف فيها .
- وقال : الاشكال المزخرفة ، والامور الموهمة ^(٢) ، في اقصر الزمان تتبهرج ^(٣) . وقال : اعتقد ان أس مخافة الله سبحانه الرحمة .
- وقال : متى التمتست فعلاً من الأفعال فابدأ الى ربك بالابتنال في النجح فيه .
- وقال : الانسان الذي اختبرته بالتجربة فوجدته لا يصلح ان يكون صديقاً وخلاً ، احذر من ان تجعله لك عدواً .
- وقال : ما احسن بالانسان ان لا يخطيء ، وان اخطأ فما اكثر انتفاعه بأن يكون عالماً بأنه اخطأ ، ويحرص في ان لا يعاود .

(١) ما اكتسب (٢) المطلية . (٣) تنزيف .

- وقال : الاخلق بالانسان ان يفعل ما ينبغي لا ما يشتهي .
- وقال : ينبغي ان يعرف الوقت الذي يحسن فيه الكلام ، والوقت الذي يحسن فيه السكوت .
- وقال : الحر هو الذي لا يضيع حرفاً من حروف النفس لشهوة من شهوات الطبيعة .
- وقال : بقدر ما تطلب تعلم ، وبقدر ما تعلم تطلب .
- وقال : ليس من شرائط الحكيم ان لا يضجر ، ولكن يضجر بوزن .
- وقال : ليس الحكيم من حمل عليه بقدر ما يطيق فصبر واحتمل ، ولكن الحكيم من حمل عليه اكثر مما تحتمل الطبيعة فصبر .
- وقال : الدنيا دول ، مرة لك واخرى عليك ، فان توليت فأحسن وان تولوك فقلن .
- وكان يقول : ان اكثر الآفات انما تعرض للحيوانات لعدمها الكلام ، وتعرض للانسان من قبل الكلام .
- وكان يقول : من استطاع ان يمنع نفسه من اربعة اشياء فهو خليق ان لا ينزل به المكروه كما ينزل بغيره : العجلة واللجاجة والعجب والتواني ، ثمرة العجلة الندامة ، وثمره اللجاجة الحيرة ، وثمره العجب البغضاء ، وثمره التواني الذلة .
- ونظر الى رجل عليه ثياب فاخرة يتكلم فيلحن في كلامه فقال له : اما انت تتكلم بكلام يشبه لباسك او تلبس لباساً يشبه كلامك .
- وقال لتلاميذه : لا تطلبوا من الاشياء ما يكون بحسب محبتكم ، ولكن أحبوا من الاشياء ما هي محبوبة في انفسها .
- وقال : اصبر على النوائب اذا أتتك من غير ان تنذر ، بل اطلب مداواتها بقدر ما تطيق .
- وقال : استعملوا الفكر قبل العمل .
- وقال : كثرة العدو تقلل الهدوء .
- وكان فيثاغورس اذا جلس على كرسية أوصى بهذه السبع الوصايا : « قوموا موازينكم واعترفوا اوزانها ؛ عدلوا الخط تصحبكم السلامة ؛ لا تشعلوا النار حيث ترون السكين تقطع ؛ عدلوا شهواتكم تديموا الصحة ؛ استعملوا المدل تحط بكم المحبة ؛ عاملوا الزمان كاللولة الذين يستعملون عليكم ويُعزلون عنكم ؛ لا تترفوا^(١) ابدانكم وانفسكم فتفقدوها في اوقات الشدائد اذ اوردت عليكم . »

(١) لا تبطروا او تفسدوا .

وذكر المال عنده ومدح فقال : « وما حاجتي الى ما يعطيه الحظ ، ويحفظه اللؤم ، ويهلكه السخاء .

وقال : وقد نظر الى شيخ يحب النظر في العلم ويستحي ان يرى متعلماً : يا هذا ! استحي ان تكون في آخر عمرك افضل منك في أوله ؟ وقال : انكى شيء لعدوك ان لا تربيه انك تتخذه عدواً . وحضر امرأته الوفاة في أرض غربة ، فجعل اصحابه يتحزنون على موتها في أرض غربة فقال : يا معشر الاخوان ليس بين الموت في الغربة والوطن فرق ، وذلك ان الطريق الى الآخرة واحد من جميع النواحي .

وقيل له : ما احلى الاشياء ؟ فقال : الذي يشتهي الانسان .

وقال : الرجل المحبوب عند الله تعالى الذي لا يدعن لافكاره القبيحة .

ونقلت من كتاب فرفوروس في اخبار الفلاسفة وقصصهم وآرائهم قال : « واما كتب فيثاغورس الحكيم ، التي انفرد بجمعها ارخوطس ^(١) الفيلسوف الطارنطيني فتكون ثمانين كتاباً . فأما التي اجتهد بكلية جهده في التقاطها وتأليفها وجمعها من جميع الكهول الذين كانوا من جنس فيثاغورس الفيلسوف وحزبه وورثه علومه رجل فرجل ، فتكون مئتي كتاب عدداً فمن انفرد بصفوة عقله وعزل منها الكتب الكاذبة المقولة على لسان الحكيم واسمه التي اختلقها أناس فجرة ، وهي : كتاب المناجاة ، وكتاب وصف المهن السيئة ، وكتاب علم المخاريق ^(٢) وكتاب احكام تصوير مجالس الخمر ، وكتاب تهينة الطبول والصنوج ^(٣) والمعازف ^(٤) ، وكتاب الميامر ^(٥) الكهنوتية ، وكتاب بذر الزروع ، وكتاب الآلات ، وكتاب القصائد ، وكتاب تكوين العالم ، وكتاب الايادي ، وكتاب المروءة ، وكتب اخرى كثيرة تشا كل هذه الكتب مما اختلق حديثاً ؛ فيسعد سعادة الابد .

وقال : وأما الرجال الائمة الذين اختلقوا هذه الكتب الكاذبة التي ذكرناها فانهم على ما ادت الينا الروايات : ارستيبوس المحدث ، ونقوس الذي كان يكنى عين الناقص ، ورجل من اهل اقرطية ^(٦) يقال له قونيوس ، وماغياوس ، وفوخجواقا مع آخرين اطفى منهم . وكان الذي دعاهم الى اختلاق هذه الكتب الكاذبة على لسان فيثاغورس الفيلسوف واسمه ، كي يقبلوا عند الاحداث بسببه فيكرموا او يؤثروا ويواسوا .

(١) هو ارخيتاس Archytas ولد في طارنطا (ايطاليا سنة ٤٣٠ ق م) وهو فيلسوف على المذهب الفيثاغوري ينسب اليه اختراع البرغي وبكرة الدلو وعالم بالحساب ميز بين المتواليات الحسابية والهندسية .

(٢) جمع مخراق وهو المتصرف بالامور او الذي لا يقع في أمر الا عرف كيف يخرج منه .

(٣) واحدها صنغ وهي صحيفة مدورة من نحاس اصفر تضرب على اخرى للطرب .

(٤) آلات الطرب كالطنبور والعود والقيثارة

(٥) التراتيل الكنسية واحدها ميمر (سرانية) .

(٦) جزيرة كريت (ت ر) .

فأما كتب الحكيم التي لا ريب فيها فهي مائتان رثا لثلاث كتاباً ، وقد كانت منسية ، حتى جاء للكيان بقوم حكماء ذوي نية وورع فحصلوها وجمعوها وألفوها . ولم تكن قبل ذلك مشهورة ببلدة لكنها كانت مخزونة في إيطاليا .

وقال فلوطرخس ان فيثاغورس اول من سمى الفلاسفة بهذا الاسم . ومما يوجد لفيثاغورس من الكتب : كتاب الارثا طيقي ؛ كتاب الالواح ، كتاب في النوم واليقظة ؛ كتاب في كيفية النفس والجسد ، رسالة الى متمرد حقلية ، الرسالة الذهبية وسميت بهذا الاسم لان جالينوس كان يكتبها بالذهب اعظماً لها واجلالاً وكان يواظب على دراستها وقراءتها في كل يوم ؛ رسالة الى سقايس في استخراج المعاني ، رسالة في السياسة العقلية وقد تمام هذه الرسالة بتفسير امليخس ؛ رسالة الى فيمدوسيوس .

سقراط

قال القاضي صاعد في طبقات الامم :

ان سقراط كان من تلاميذ فيثاغورس . اقتصر من الفلسفة على العلوم الالهية ، واعرض عن ملاذ الدنيا ورفضها ، واعان بخلافه اليونانيين في عبادتهم الاصنام ، وقابل رؤساءهم بالحجاج والأدلة الالهية فتوروا العادة عليه واضطروا ملكهم الى قتله ، فاودعه الملك الحبس تحمداً اليهم ، ثم سقاه السم تفادياً من شره . ومن آثاره مناظرات جرت له مع الملك محفظة ، وله وصايا شريفة ، وآداب فاضلة ، وحكم مشهورة ، ومذاهب في الصفات قريبة من مذاهب فيثاغورس وبندقليس ، الا ان له في شأن المعاد آراء ضعيفة بعيدة عن محض الفلسفة خارجة عن المذاهب المحققة .

وقال الامير المبشر بن فائق في كتاب «مختار الحكم ومحاسن الكلم» : معنى سقراطيس باليونانية المعتمد بالعدل ، وهو ابن سفرونسقس^(١) ، ومولده ومنشأه ومنبته بأثينية . وخلف من الولد ثلاثة ذكور ، ولما الزم التزويج على عاداتهم الجارية في الزام الافاضل بالتزويج ليبقى نسله بينهم ، طلب تزويجه المرأة السفينة التي لم يكن في بلده أسلط منها ، ليعتاد جهلها والصبر على سوء خلقها ، ليقدر ان يحتمل جهل العامة والخاصة .

وبلغ من تعظيمه الحكمة مبلغاً اضر بمن بعده من محبي الحكمة ، لانه كان من رأيه ان لا تستودع الحكمة الصحف والقراطيس تنزيهاً لها عن ذلك . ويقول ان الحكمة طاهرة مقدسة ، غير فاسدة ولا دنسة ، فلا ينبغي لنا ان نستودعها الا الانفس الحية ، وننزهها عن الجلود الميتة ، ونصونها عن القلوب

(١) وكان نحاساً .

المتعمدة . ولم يصنف كتاباً ولا امل على احد من تلاميذه ما أثبتته في قرطاس ؛ وانما كان يلقنهم علمه تلقيناً لا غير . وتعلم ذلك من استاذة طيغاثاوس فإنه قال له في صباه . «لم لا تدعني أدون ما اسمع منك من الحكمة ؟ » فقال له : « ما أوثقك بجلود البهائم الميتة ، وأزهدك في الخواطر الحية ! هب ان انساناً لقيك في طريق فسألك عن شيء من العلم ، هل كان يحسن ان تحيله على الرجوع الى منزلك ، والنظر في كتبك ؟ فان كان لا يحسن فالزم الحفظ . » فلزمها سقراط .

وكان سقراط زاهداً في الدنيا قليل المبالاة بها ، وكان من رسوم ملوك اليونانيين اذا حاربوا أخرجوا حكامهم معهم في اسفارهم . فاخرج الملك سقراط معه في سفرة خرج فيها لبعض مهاته ، فكان سقراط يأوي في عسكر ذلك الملك الى زير^(١) مكسور يسكن فيه من البرد ، واذا طلعت الشمس خرج منه فجلس عليه يستدفئ بالشمس . ولجل ذلك سمي سقراط الحب .

فمر به الملك يوماً وهو على ذلك الزير فوقف عليه ، وقال : ما لنا لا نراك يا سقراط ، وما يمنعك من المصير اليها ؟ فقال : « الشغل أيها الملك » فقال : بماذا ؟ قال : بما يقيم الحياة ، قال : فصير اليها فان هذا لك عندنا معد ابداً . قال : لو علمت أيها الملك أني اجد ذلك عندك لم أدعه . قال : بلغني انك تقول ان عبادة الاصنام ضارة . قال : لم اقل هكذا ! قال : فكيف قلت ؟ قال : انما قلت ان عبادة الاصنام نافعة للملك ضارة لسقراط ، لأن الملك يصلح بها رعيته ويستخرج بها خراجها ، وسقراط يعلم انها لا تضره ولا تنفعه ؛ اذ كان مقرأ بأن له خالفاً يرزقه ويحزيه بما قدم من سيء أو حسن . قال : فهل لك من حاجة ؟ قال : نعم . تصرف عنان دابتك عني فقد سترتني جيوشك من ضوء الشمس .

قددعا الملك بكسوة^(٢) فاخرة من ديباج^(٣) وغيره ، ويجوهر ودنانير كثيرة ليجزيه بذلك . فقال له سقراط : أيها الملك وعدت بما يقيم الحياة ، وبذلت ما يقيم الموت ، ليس لسقراط حاجة الى حجارة الارض ، وهشم النبت ولعاب الدود . والذي يحتاج اليه سقراط هو معه حيث توجه .

وكان سقراط يرمز في كلامه مثل ما كان بفعل فيثاغورس . فمن كلامه المرموز قوله :

«عندما فتشت عن علة الحياة ألفت^(٤) الموت ؛ وعندما وجدت الموت عرفت حينئذ كيف ينبغي لي ان أعيش . أي ان الذي يريد ان يحيا حياة الهية ، ينبغي ان يميت جسمه من جميع الافعال الحسية على قدر القوة التي منحها ، فإنه حينئذ يتهاى له بان يعيش حياة الحق . »

وقال : تكلم بالليل حيث لا يكون أعشاش الخفافيش . أي ينبغي ان يكون كلامك عند خلوتك

(١) الدن وهو الراقد العظيم كالحب اي الجرة العظيمة .

(٢) اللباس . (٣) ثوب لفته وسداه حرير .

(٤) وجدت .

لنفسك ، وان تجمع فكرك ؛ وامنع نفسك ان تتطلع في شيء من امور الهبولانيات ^(١) .

وقال : أسد الخس الكوى لىضى مسكن العلة ، اى اغض حواسك الخس عن الجولان فى لا
ىجدى لنضى نفسك .

وقال : املأ الوعاء طىبا . أى أوع عقلك بىانا وفها وحة .

وقال : افرغ الخوض المثلث من القلال الفارغة . اى اقص عن قلبك جىع الآلام العارضة ، فى
الثلاثة الاجناس من قوى النفس ، التى هى أصل جىع الشر .

وقال : لا تأكل الأسود الذنب . اى احذر الخطىئة .

وقال : لا تتجاوز المىزان ، أى لا تتجاوز الحق .

وقال : عند المات لا تكن نمة ، أى فى وقت امانتك لنفسك لا تقن ذخائر الخس .

وقال : ىنبغى ان تعلم انه لىس زمان من الأزمنة ىفقد فىه زمان الربىع . اى لا مانع لك فى كل
زمان من اكتساب الفضائل .

وقال : افحص عن ثلاثة سبل فاذا لم تجدها فارض ان تنام لها نومة المستغرق . أى ، افحص عن
علم الاجسام ، وعلم ما لا جسم له ، وعلم الذى وان كان لا جسم له فهو موجود مع الاجسام ، وما
اعتاص ^(٢) منها علىك فارض بالامساك عنه .

وقال : لىست التسعة بأكل من واحد . اى العشرة هى عقد من العدد وهى اكثر من تسعة ، وانما
تكل التسعة لتكون عشرة بالواحد ، وكذلك الفضائل التسع تتم وتكل ىخوف الله عز وجل وعفته
ومراقبته

وقال اقن بالاثنى عشر إثنى عشر . ىعنى بالاثنى عشر عضواً التى بها ىكتسب البر والاثم اكتسب
الفضائل وهى : العىنان ، والاذنان ، والمنخران ، واللسان ، والىدان ، والرجلان ، والفرج ؛ وابضاً
بالاثنى عشر شهراً اكتسب انواع الاشياء المحمودة المكلمة للانسان فى تدبیره ومعرفته فى هذا العالم .

وقال: ازرع بالاسود واحصد بالابىض . أى ازرع بالبكاء واحصد بالسرور .

وقال لا تشىلن الاكلیل وتهتكه ؛ أى للسن الجمیلة لا ترفضها لانها تحوط جىع الامم كحىاطة
الاکلیل للرأس .

وكان أهل دهره لما سأله عن عبادة الاصنام صدم عنها وأبطلها ونهى الناس عن عبادتها. وأمرهم
بعبادة الاله الواحد الصمد البارئ الخالق للعالم بما فيه الحكيم القدير ، لا الحجر المنحوت الذى لا

(١) الاصل والمادة

(٢) عصاك .

ينطق ولا يسمع ولا يحس بشيء من الآلات . وحض الناس على البر وفعل الخيرات . وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن الفواحش والمنكرات ، في ثقته من أهل زمانه ، ولم يقصد استكمال صواب التدابير لعلمه بأنهم لا يقبلون ذلك منة . فلما علم الرؤساء في وقته من الكهنة والاراكنة ^(٢) ما رآه من دعوته، وأن رأيه نفي الاصنام ورد الناس عن عبادتها ، شهدوا عليه بوجوب القتل . وكان الموجهون عليه القتل قضاة اثينس ^(٣) الاحد عشر . وسقي السم الذي يقال له قونيون ، لان الملك ، لما اوجب القضاة عليه القتل ، ساءه ذلك ولم يمكنه مخالفتهم ، فقال له : اختر أي قتلة شئت ؟ فقال له : بالسم ، فاجابه الى ذلك .

والذي أخر قتل سقراط شهوراً بعدما أوجبه عليه منه ، ان المركب الذي كان يبعث به في كل سنة الى هيكلا افولون ، ويحمل اليه ما يحمل ، عرض له حبس شديد لتعذر الرياح ، فأبطأ شهوراً . وكان من عادتهم ان لا يراق دم ولا غيره حتى يرجع المركب من الهيكل الى اثينس .

وكان اصحابه يختلفون اليه في الحبس طول تلك المدة ، فدخلوا اليه يوماً فقال له أقريطون منهم : « ان المركب داخل غداً او بعد غد ، وقد اجتهدنا في ان ندفع عنك مالا الى هؤلاء القوم ونخرج سراً فنصير الى رومية فتقيم بها حيث لا سبيل لهم عليك » فقال له : « قد تعلم انه لا يبلغ ملكي أربعمائة درهم » .

فقال له أقريطون : « لم أقل لك هذا القول على انك تغرم شيئاً لانا نعلم انه ليس في وسعك ما سأل القوم ، ولكن في أموالنا سعة لذلك وأضعافه ، وانفسنا طيبة بأدائه لنجاتك ، وان لا نفع بك » .

قال له سقراط : « يا أقريطون هذا البلد الذي فعل بي ما فعل هو بلدي وبلد جنسي ، وقد نالني فيه من حبسي ما رأيت ، وأوجب علي فيه القتل . ولم يوجب ذلك علي لامر استحققته ، بل لخالفتي الجور ، وطعني على الافعال الجائرة وأهلها ؛ من كفرهم بالباري سبحانه ، وعبادتهم الاوثان من دونه . والحال التي أوجب علي بها عندم القتل هي معي حيث توجهت . واني لا أدع نصرة الحق ، والطعن على الباطل والمبطلين حيث كنت . وأهل رومية أبعد مني رحماً من أهل مدينتي . فهذا الأمر اذا كان باعته علي الحق ونصرة الحق حيث توجهت ، فغير مأمون علي هناك مثل الذي انا فيه . قال له أقريطون : « فتذكر ولدك وعيالك وما تخلف عليهم من الضيعة » .

فقال له : « الذي يلحقهم برومية مثل ذلك ، الا انكم هنا ، فهم احرى ان لا يضيعوا معكم .

ولما كان اليوم الثالث بكر تلاميذه اليه على العادة ، وجاء قيم السجن ففتح الباب ، وجاء القضاة الأحد عشر فدخلوا اليه ، وأقاموا ملياً . ثم خرجوا من عنده وقد أزالوا الحديد عن رجله . وخرج

(٢) واحدهما أركون وهو ديمقان القرية العظيم

(٣) اي أثينا .

السجان الى تلاميذه ، فأدخل بهم اليه فسادوا عليه وجلسوا عنده . فنزل سقراط عن السرير وقبده على الارض ثم كشف عن ساقيه فمسحها وحكها ، وقال : « ما اعجب فعل السياسة الالهية حيث ورننت الاضداد بعضها ببعض ، فانه لا يكاد ان تكون لذة إلا يتبعها ألم ، ولا ألم إلا يتبعه لذة .

وصار هذا القول سبباً لدوران الكلام بينهم ، فسأله سيمياس وفيدون عن شيء من الافعال النفسية . وكثرت المذاكرة بينهم حتى استوعب الكلام في النفس بالقول المتقن المستقصى . وهو على ما كان يعهد عليه في حال سروره وبهجته ومرحه في بعض المواضع . والجماعة يتعجبون من صرامته وشدة استهائته بالموت . ولم ينكل عن تقصي الحق في موضعه ، ولم يترك شيئاً من اخلاقه واحوال نفسه التي كان عليها في زمان امنه من الموت . وهم من الكمد والحزن لفراقه على حال عظيمة . فقال له سيمياس :

« ان في التقصي في السؤال عليك مع هذه الحال لثقلنا علينا شديداً ، وقبحاً في العشرة ، وان الامساك عن التقصي في البحث لحسرة غداً عظيمة ، مع ما نعدم في الارض من وجود الفاتح لما نريد .

قال له سقراط : « يا سيمياس ، لا تدعن التقصي لشيء اردته ، فان تقصيك لذلك هو الذي أسر به ، وليس بين هذه الحال عندي وبين الحال الاخرى فرق في الحرص على تقصي الحق ، فإنا وإن كنا نعدم اصحاباً ورفقاء اشرافاً محمودين فاضلين ، فإنا ايضاً إذ كنا معتقدين ومتيقنين للأقوال التي لم تزل تسمع منا ، فإنا ايضاً نصير الى اخوان اخر فاضلين اشراف محمودين ، منهم اسلاوس وأيارس وارقليس ، وجميع من سلف من ذوي الفضائل النفسانية .

ولما تصرم القول في النفس وبلغوا فيها الغرض الذي اراد ، وسألوه عن هيئة العالم وحركات الافلاك وتركيب الاسطوانات^(١) ، فأجابهم عن جميعه . ثم قص عليهم قصصاً كثيرة من العلوم الالهية والاسرار الربانية . ولما فرغ من ذلك قال :

« اما الآن فأظنه قد حضر الوقت الذي ينبغي لنا ان نستحم فيه ونصلي ما امكننا ولا نكلف احداً احام الموتى ، فان الارماماني قد دعانا ونحن ماضون الى زواس ، وأما أنتم فتتصرفون الى اهاليكم » .

ثم نهض ودخل بيتاً واستحم فيه ، وصلى وأطال اللبث^(٢) ، والقوم يتذكرون عظيم المصيبة بما نزل به وبهم من فقدته ، وانهم يفقدون فيه حكيماً عظيماً وأباً شقيقاً ، ويبقون بعده كاليتامى . ثم خرج فدعا بولده ونسائه ، وكان له ابن كبير وابنان صغيران ، فودعهم ووصاهم وصرفهم . فقال له اقريطون :

« فما الذي تأمرنا ان نفعله في اهلك وولدك وغير ذلك من امرك ؟ »

(١) واحدها اسطس دخيلة يونانية ومعناها الاصل .

(٢) المكوث .

قال : « لست آمركم بشيء جديد ، بل هو الذي لم ازل آمركم به قديماً من الاجتهاد في اصلاح انفسكم ، فانكم اذا فعلتم ذلك فقد سررتموني وسررتم كل من هو مني بسبيل » .
ثم سكت ملياً وسكتت الجماعة .

واقبل خادم الاحد عشر قاضياً فقال له : يا سقراط ا انك جريء مع ما اراه منك ، وانك تعلم اني لست علة موتك ، وان علة موتك القضاة الاحد عشر ، وأنا مأمور بذلك مضطراً اليه ، وانك افضل من جميع من صار الى هذا الموضع فاشرب الدواء بطيبة نفس ، واصبر على الاضطرار اللازم .
ثم ذرفت عيناه وانصرف . فقال سقراط : « نفعل وليس انت بلوم » . ثم سكت هنيهة والتفت الى اقريطون فقال : « مر الرجل ان يأتيني بشرية موتي » . فقال للغلام : « ادع الرجل » فدعاه ، فدخل ومعه الشربة منه فشربها . فلما رآوه قد شربها غلبهم من البكاء والاسف ما لم يملكوا معه انفسهم ، فعلت اصواتهم بالبكاء فأقبل عليهم سقراط يلومهم ويعظمهم . وقال :

« انما صرفنا النساء لئلا يكون منهن مثل هذا » . فأمسكوا استحياء منه ، وقصدوا للطاعة له ، على مضض شديد منهم في فقد مثله . وأخذ سقراط في المشي والتردد هنيهة ، ثم قال للخادم : قد ثقلت رجلاي علي . فقال له : استلق . فاستلقى : وجعل الغلام يحس قدميه ويغزهما ويقول له : هل تحس غمزي لهما ؟ قال : لا . ثم غمز غمزاً شديداً ، فقال له : هل تحس ؟ فقال : لا . ثم غمز ساقيه وجعل يسأله ساعة بعد ساعة ، وهو يقول لا ، وأخذ يحمد اولاً فأولاً ويشدد برده ، حتى انتهى ذلك الى حقويه فقال الخادم لنا اذا انتهى البرد الى قلبه مضى . فقال له اقريطون : يا امام الحكمة ، ما أرى عقولنا لا تبعد عن عقلك فاعهد لنا . فقال : عليكم بما أمرتكم به اولاً ثم مد يده الى يد اقريطون فوضعا على خده فقال له : مرني بما تحب . فلم يجبه بشيء ، ثم شخص ببصره وقال : اسلمت نفسي الى قابض انفس الحكماء . ومات . فأطبق اقريطون عينيه وشد لحية ، ولم يكن افلاطون حاضراً معهم لأنه كان مريضاً . وذكر ان سقراط هلك عن اثني عشر الف تلميذ وتلميذة تلميذ .

قال المبشر بن فائق : « وكان سقراط رجلاً ابيض اشقر ازرق ، جيد العظام ، قبيح الوجه ، ضيق ما بين المنكبين ، بطيء الحركة ، سريع الجواب ، شعث ^(١) اللحية ، غير طويل ، اذا سئل اطرق ^(٢) حيناً ثم يجيب بالفاظ مقنعة . كثير التوحد ، قليل الأكل والشرب . شديد التعبد بكثير ذكر الموت ، قليل الاسفار مجداً لرياضة بدنه ، خسيس الملبس ، مهيباً ، حسن المنطق ، لا يوجد فيه خلل . مات بالسم وله مائة سنة وبضع سنين »

(١) متلبدة مغبرة غير منتظمة .

(٢) سكت ولم يتكلم .

أقول : ووجدت في كتاب افلاطون المسمى احتجاج سقراط على اهل أثينية ، وهو يحكي قول سقراط بهذا اللفظ قال : « ما تمنيت مجلس الحكم قط قبل هذه المرة ، على اني قد بلغت من السن سبعين سنة » وهذا الاحتجاج الذي كان بينه وبين اهل أثينية انما كان قبل موته بمدة يسيرة .

ومن خط اسحق^(١) بن حنين : « عاش سقراط قريباً مما عاش افلاطون . ومن خط اسحق : « عاش افلاطون ثمانين سنة » . وقال حنين^(٢) بن اسحق في كتاب « نوادر الفلاسفة والحكمة » ، انه كان منقوشاً على فص خاتم سقراط « من غاب عقله هواه افترض » .

ومن آداب سقراط

بما ذكره الامير المبشر بن فاتك في كتابه ، قال سقراط : عجباً لمن عرف فناء الدنيا كيف تلهيه عما ليس له فناء

وقال : النفوس اشكال ، فما تشا كل منها اتفق وما تضاد منها اختلف .

وقال : اتفاق النفوس باتفاق هممها ، واختلافها باختلاف مرادها .

وقال : النفس جامعة لكل شيء ، فمن عرف نفسه عرف كل شيء ، ومن جهل نفسه جهل كل شيء .

وقال : من بخل على نفسه فهو على غيره البخل ؛ ومن جاد على نفسه فذلك المرجو جوده .

وقال : ما ضاع من عرف نفسه ، وما اضيع من جهل نفسه .

وقال : النفس الخيرة مجتزنة^(٣) بالقليل من الادب ، والنفس الشريرة لا ينجع^(٤) فيها كثير من الادب لسوء مغرسها .

وقال : لو سكت من لا يعلم لسقط الاختلاف .

وقال : ستة لا تفارقهم الكتابة : الحقود ، والحسود ، وحديث عهد بغنى ، وغنى يخاف الفقر ، وطالب رتبة يقصر قدره عنها ، وجليس اهل الادب وليس منهم .

وقال : من ملك سره خفي على الناس امره .

وقال : خير من الخير من عمل به ، وشر من الشر من عمل به .

وقال : العقول مواهب ، والعلوم مكاسب . وقال : لا تكون كاملاً حتى يأمنك عدوك ، فكيف

(١) هو احد الاطباء السريان في الدولة العباسية . وكان يتقن اللغات .

(٢) اشتغل بصناعة الطب وكان الى جانب ذلك فصيحاً بارعاً في الشعر وقد تلمذ على الخليل بن احمد .

(٣) مكتفية .

(٤) يفيده . (ن . ر) .

بك اذا كنت لا يأمنك صديقك . وقال : اتقوا من تبغضه قلوبكم ، وقال : الدنيا سجن لمن زهد فيها وجنة لمن احبها . وقال : لكل شيء ثمرة ، وثمره قلة القنية ^(١) . تعجيل الراحة ، وطيب النفس الزكية .

وقال : الدنيا كنار مضرمة على نخمة ^(٢) ، فمن اقتبس منها ما يستضيء به في طريقه سلم من شرها ، ومن جلس ليحتكر منها احرقته بجرها . وقال : من اهتم بالدنيا ضيع نفسه ، ومن اهتم بنفسه زهد في الدنيا . وقال : طالب الدنيا ان قال ما امل تركه لغيره ، وان لم ينل ما امله مات بغضته .

وقال : لا تردن على ذي خطأ خطاه فانه يستفيد منك علماً ويتخذك عدواً .

وقيل لسقراط : ما رأيك قط مغموماً ! فقال : لانه ليس لي شيء متى ضاع مني وعدمته اغتمت عليه . وقال : من احب ان لا تقوته شهرته فليشته ما يمكنه .

وقال : أئن على ذي المودة خيراً عند من لقيت ، فان رأس المودة حسن الثناء ، كما ان رأس العداوة سوء الثناء . وقال : اذا وليت امرأ فأبعد عنك الاشرار ، فان جميع عيوبهم منسوبة اليك . وقال له رجل شريف الجنس وضيع الخلائق : اما تأنف يا سقراط من خسارة جنسك ؟ فأجاب : جنسك عندك الشيء ، وجنسي مني .

وقال : خير الامور اوسطها . وقال : انما اهل الدنيا كصور في صحيفة ، كلما نشر بعضها طوي بعضها . وقال : الصبر يعين على كل عمل . وقال : من اسرع يوشك ان يكثر عثاره . وقال : اذا لم يكن عقل الرجل اغلب الاشياء عليه كان هلاكه في اغلب الاشياء عليه . وقال : لا يكون الحكيم حكيماً حتى يغلب شهوات الجسم . وقال : كن مع والدك كما تحب ان يكون بنوك معك . وقال : ينبغي للعاقل ان يخاطب الجاهل مخاطبة الطبيب للمريض . وقال : طالب الدنيا قصير العمر كثير الفكر . وكان يقول : القنية مخدومة ومن خدم غير ذاته فليس بحر .

وقيل له : ما اقرب شيء ؟ فقال : الأجل . وما ابعد شيء ؟ فقال : الامل . وما آنس شيء ؟ فقال : صاحب المؤاتي . وما اوحش شيء ؟ قال : الموت .

وقال من كان شريراً فالموت سبب راحة العالم من شره .

وقال : انما جعل للانسان لسان واحد واذنان ، ليكون ما يسمعه أكثر مما يتكلم به .

وقال : الملك الاعظم هو الغالب لشهواته . وقيل له أي الأشياء الذ ؟ فقال : استفادة الادب ، واستماع اخبار لم تكن سمعت .

وقال : انفس ما لزمه الاحداث الادب ، واول نفعه لهم انه يقطعهم عن الافعال الرديئة .

(١) ما تقتنيه .

(٢) المكان الفائز .

وقال : انفع ما اقتناه الانسان الصديق المخلص . وقال : الصامت ينسب الى العي ويسلم ، والمتكلم ينسب الى الفضول ويندم . وقال : استهينوا بالموت فان مرارته في خوفه . وقيل : له ما القنية المحموده ؟ فقال : ما ينمو على الاتفاق .

وقال : المشكور من كتم سرأ لمن يتكتمه ، واما من استكتم سرأ فذلك واجب عليه . وقال : اكنتم سر غيرك كما تحب ان يكتهم غيرك سر . واذا ضاق صدرك بسرك فصدر غيرك به اضيق .

وقيل له : لم صار العاقل يستشير ؟ فقال : العلة في ذلك تجريد الرأي عن الهوى ، وانما استشار تخوفاً من شوائب (١) الهوى . وقال : من حسن خلقه طابت عيشته ، ودامت سلامته ، وتأكدت في النفوس محبته ؛ ومن ساء خلقه تنكدت عيشته ، ودامت بغضته ، ونفرت النفوس منه . وقال : حسن الخلق يغطي غيره من القبائح ، وسوء الخلق يقبح غيره من المحاسن . وقال : رأس الحكمة حسن الخلق . وقال : النوم مودة خفيفة ، والموت نوم طويل .

وقال لتلميذ له : لا تركن (٢) الى الزمان فانه سريع الخيانة لمن ركن اليه . وقال : من سره الزمان في حال ساءه في اخرى .

وقال : من اهتم نفسه حب الدنيا امتلأ قلبه من ثلاث خلال : فقر لا يدرك غناه ، وامل لا يبلغ منتهاه ، وشغل لا يدرك فناه . وقال : من احتجت ان تستكتمه سر فلا تسره اليه .

وسئل سقراط : لم صار ماء البحر مالحاً ؟ فقال للذي سأله : ان اعلمتني المنفعة التي تنالك من علم ذلك اعلمتك السبب فيه .

وقال : لا ضرر (٣) اضر من الجهل ، ولا شر اضر من النساء .

ونظر الى صبية تتعلم الكتابة فقال : لا تزيدوا الشر شرأ ، وقال : من اراد النجاة من مكائد الشيطان فلا يطيعن امرأة ، فان النساء سلم منصوب ليس للشيطان حيلة إلا بالصعود عليه . وقال لتلميذه : يا بني ان كان لا بد لك من النساء فاجعل لقاءك لهن كأكل الميتة ، لا تأكل منها إلا عند الضرورة ، فتأخذ منها بقدر ما يقيم الرمتى (٤) ، فإن اخذ اخذ منها فوق الحاجة أسقمته وقتلته . وقيل له : ما تقول في النساء ؟ فقال : هن كشجر الدفلى له رونق وبهاء ، فاذا أكله الغر قتله . وقيل له : كيف يحوز لك ان تدم النساء ولولا هن لم تكن انت ولا امثالك من الحكماء ؟ فقال : انما المرأة مثل النخلة ذات السلاع (٥) ، ان دخل في بدن انسان عقره ، وحلها الرطب الجني .

(١) العيوب والادناس .

(٢) مال اليه ووثق به . (٣) ضد النفع : الضيق وسوء الحال .

(٤) بقية الروح .

(٥) السلاع : جمع سلعة واصلها الشجره في الرأس كائنة ما كانت وشبه بها عقد جذع النخلة .

وقال له أرشيجانس : ان الكلام الذي كلمت به أهل المدينة لا يقبل ! فقال : ليس يكربني ^(١) ان يكون لا يقبل ، وأنا يكربني ان لا يكون صواباً . وقال : من لا يستحي فلا تخطره ببالك . وقال : لا يصدنك عن الاحسان جحود جاحد للنعمة . وقال : الجاهل من عثر بجحر مرتين . وقال : كفى بالتجارب تأديباً ، وبقلب الايام عظة ، وبأخلاق من عاشرت معرفة . وقال : اعلم انك في أثر من مضى سائر ، وفي محل من فات مقيم ، والى العنصر الذي بدأت منه تعود .

وقال : لأهل الاعتبار في صروف الدهر كفاية ، وكل يوم يأتي عليه منه علم جديد . وقال : بعوارض الآفات تكدر النعم على المنتمين ، وقال : من قل همه على ما فاته ، استراحت نفسه وصفا ذهنه . وقال : من لم يشكر على ما انعم به عليه ، اوشك ان لا تزيد نعمته . وقال : رب متحرز ^(٢) من الشيء تكون منه آفته .

وقال : داووا الغضب بالصمت . وقال : الذكر الصالح خير من المال ، فان المال ينفذ والذكر يبقى ؛ والحكمة غنى لا يعدم ولا يضمحل ، وقال : استحب الفقر مع الحلال عن الغنى مع الحرام . وقال : افضل السيرة طيب المكسب وتقدير الاتفاق . وقال : من يجرب يزدد علماً ، ومن يؤمن يزدد يقيناً ، ومن يستيقن يعمل جاهداً ، ومن يحرص على العمل يزدد قوة ، ومن يكسل يزدد فترة ، ومن يتردد يزدد شكاً .

وان لسقراط بيتاً وزن بالعربية :

انما الدنيا وإن ومقت ^(٣) خطرة ^(٤) من لحظ ^(٥) ملتفت

وقال : ما كان في نفسك فلا تبده لكل احد ، فما أقبح ان تحفي الناس أمتعتهم في البيوت ويظهرون ما في قلوبهم .

قال : لولا ان في قولي اني لا أعلم إخباراً اني أعلم لقلت اني لا اعلم . وقال : القنية ينبوع الاحزان ، فلا تقتنوا الأحزان . وكان يقول قللوا القنية تقل مصائبكم .

وينسب الى سقراط من الكتب رسالة الى اخوانه في المقايسة بين السنة والفلسفة ؛ كتاب معاقبة النفس ؛ مقالة في السياسة . وقيل ان رسالته في السيرة الجميلة هي صحيح له .

أفلاطون

يقال فلاتن وافلاطن وأفلاطون . قال سليمان بن حسان المعروف بابن جليجل في كتابه :

(١) يشق علي ، رينمني .

(٢) التوقي .

(٣) أحبت . (٤) لمة خاطفة . (٥) عين .

« افلاطن الحكيم من اهل مدينة أثينا ، رومي فيلسوف يوناني طيبي ؛ عالم بالهندسة وطبائع الأعداد ، وله في الطب كتاب بعثه الى طياوس تلميذه ؛ وله في الفلسفة كتب واشعار ، وله في التأليف كلام لم يسبقه احد اليه ، استنبط به صنعة الديباج ، وهو الكلام المنسوب الى الخمس النسب التأليفية التي لا سبيل الى وجود غيرها في جميع الموجودات المؤتلفات . فلما أحاط علماً بطبائع الأعداد ومعرفة الخمس النسب التأليفية استشرف الى علم العالم كله ، وعرف موانع الاجزاء المؤتلفات الممتزجات باختلاف الوانها واصباغها ، واثلافاها على قدر النسبة ، فوصل بذلك الى علم التصوير ، فوضع اول حركة جامعة لجميع الحركات ثم صنفها بالنسبة العددية ، ووضع الاجزاء المؤتلفة على ذلك فصار الى علم تصوير التصويرات . فقامت له صناعة الديباج وصناعة كل مؤتلف به . « وألف في ذلك كتاباً .

« وله في الفلسفة كلام عجيب ، وهو بمن وضع لاهل زمانه سنناً وحدوداً . وله كتاب السياسة في ذلك ، وكتاب النواميس . وكان في دولة دارياطو^(١) ، وهو والد دارا الذي قتله الاسكندر ، فكان بعد ابقرات في دولة والد الاسكندر ، فيليبس^(٢) . وكانت الفرس يومئذ تملك الروم واليونانيين .

وقال المبشر بن فائق ، في « كتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم » : « معنى افلاطون وتفسيره في لغتهم : العميم الواسع . وكان اسم ابيه ارسطن ، وكان ابواه من اشراف اليونانيين من ولد اسقليبيوس جميعاً ، وكانت امه خاصة من نسل سولون^(٣) صاحب الشرائع .

« وكان قد اخذ في اول امره في تعلم علم الشعر واللغة ، فبلغ في ذلك مبلغاً عظيماً الى ان حضر يوماً سقراطيس وهو يثلب^(٤) صناعة الشعر ، فاعجبه ما سمع منه ، وزهد فيما كان عنده منه ، ولزم سقراط وسمع منه خمس سنين . ثم مات سقراط ، فبلغه ان يصير قوماً من أصحاب فيثاغورس ، فسار اليهم حتى اخذ عنهم ، وكان يميل في الحكمة ، قبل ان يصحب سقراط ، الى رأي ايرقليطس^(٥) ، ولما صحب سقراط زهد في مذهب ايرقليطس وكان يتبعه في الاشياء المحسوسة ، وكان يتبع فيثاغورس في الاشياء المعقولة ، وكان يتبع سقراطيس في امور التدبير . ثم رجع افلاطن من مصر الى اثينية ، ونصب فيها بيتي حكمة ، وعلم الناس فيها . ثم سار الى سيقليا فجرت له قصة مع ديونوسيوس^(٦) المتغلب الذي كان بها ، وبلي منه باشياء صعبة ، ثم تخلص منه وعاد الى اثينية ، فسار فيهم احسن سيرة ، وارضى الجميع ، وأعان الضعفاء . وراموه ان يتولي تدبير امورهم فامتنع لانه

(١) هو داريوس الثاني ملك الفرس (٤٢٤ - ٤٠٦) وقد ساعد اسبارطه ضد اليونان .

(٢) هو ملك مقدونيا ووالد الاسكندر الكبير ولد سنة ٣٨٢ .

(٣) احد حكماء اثينية السبعة وهو مشرع عظيم (٦٤٠ - ٥٥٨ ق م)

(٤) يعيب ويلوم ويثلم .

(٥) فيلسوف يوناني (٥٧٦ - ٤٨٠ ق م) وكانت النار عنده العنصر الاول للمادة الخاضعة لتحول دائم .

(٦) طاغية سيرقوزه (سقليا) ، (٤٠٥ - ٣٦٧ ق م) وكان لا ينام ليلة في سرير واحد تحرزاً من اعدائه .

وجدهم على تدبير غير التدبير الذي يراه صواباً ، وقد اعتادوه وتمكن من نفوسهم ، فلم انه لا يمكنهم نقلهم عنه ، وانه لو رام نقلهم عما هم عليه لكان يهلك كما هلك استاذة سقراط . على ان سقراط لم يكن قد رام استكمال صواب التدبير .

وبلغ افلاطون من العمر احدى وثمانين سنة ، وكان حسن الاخلاق ، كريم الافعال ، كثير الاحسان الى كل ذي قرابة منه والى الغرباء ، متشداً^(١) حليماً صبوراً . وكان له تلاميذ كثيرة ، وقولى التدريس بعده رجلان احدهما بأثينية في الموضع المعروف بأقاديميا^(٢) وهو كسانوقراطيس ؛ والاخر بلوقين من عمل اثينية ايضاً وهو ارسطوطاليس .

وكان يرمز حكيمته وبسترها ويتكلم بها ملغوزة ، حتى لا يظهر مقصده لذوي الحكمة . وكان درسه وتعلمه على طيماوس وسقراطيس وعنهما اخذ اكثر آرائه .

وصنف كتباً كثيرة ، منها ما بلغنا اسمه ستة وخمسون كتاباً ، وفيها كتب كبار يكون فيها عدة مقالات . وكتبه يتصل بعضها ببعض اربعة اربعة يجمعها غرض واحد ، ويخص كل واحد منها غرض خاص يشتمل عليه ذلك الغرض العام ، ويسمى كل واحد منها رابوعاً ، وكل رابوع منها يتصل بالرابوع الذي قبله .

وكان رجلاً اسمر اللون ، معتدل القامة ، حسن الصورة ، تام التخاطيط ، حسن اللحية ، قليل شعر العارضين ، ساكتاً خافضاً ، اشمل العينين براق بياضها ، في ذقنه الاسفل خال أسود ؛ تام الباع ، لطيف الكلمة ، محباً للفلاوات والصحارى والوحدة . وكان يستدل في الحال الاكثر على موضعه بصوت بكائه ، ويسمع منه على نحو ميلين في الفيافي والصحارى .

ومن خط اسحق بن حنين : عاش افلاطون ثمانين سنة . وقال حنين بن اسحق في كتاب نوادر الفلاسفة والحكماء : كان منقوشاً على فص خاتم افلاطون : « تحريك الساكن أسهل من تسكين المتحرك »

مواعظ افلاطون

ومن آداب افلاطون ومواعظه ، بما ذكره المبشر بن فاتك رحمه الله في كتابه ، قال افلاطون : « للعادة على كل شيء سلطان ، وقال : اذا هرب الحكيم من الناس فاطلبه ، واذا طلبهم فاهرب منه . وقال : من لا يواس الاخوان عند دولته خذله عند فاقتة .

وقيل له : لم لا تجتمع الحكمة والمال ؟ فقال : لعز الكمال . وسئل : من احق الناس ان يؤتمن على تدبير المدينة ؟ فقال : من كان في تدبير نفسه حسن المذهب .

(١) التأني المترن

(٢) حدائق كان يجتمع بها الفلاسفة .

وقيل له : من يسلم من سائر العيوب وقبيح الافعال ؟ فقال : من جعل عقله امينه ، وحذره وزيره ، والمواظ على زمامه والصبر قائده ، والاعتصام بالتوقي ظهيره ^(١) ، وخوف الله جليسه ، وذكر الموت انيسه .

وقال : المليك هو كالنهر الاعظم تستمد منه الانهار الصغار ، فان كان عذبا عذبت ، وان كان ملحا ملحت .

وقال : اذا اردت ان تدوم لك اللذة فلا تستوف الملتذ ابدأ ، بل دع فيه فضله ^(٢) ، قدوم لك اللذة .

وقال : اياك في وقت الحرب ان تستعمل النجدة وتدع العقل ، فان للعقل مواقف قد تتم بلا حاجة الى النجدة ، ولا ترى للنجدة غنى عن العقل . وقال : غناية الادب ان يستحي المرء من نفسه . وقال : ما ألت نفسي الا من ثلاث : من غني افتقر ، وعزيز ذل ، وحكيم تلاعبت به الجهال .

وقال : لا تصحبوا الاشرار فانهم يبنون عليكم بالسلامة منهم . وقال : لا تطلب سرعة العمل واطلب تجريده ، فان الناس لا يسألون في كم فرغ من هذا العمل : وانما يسألون عن جودة صنعه .

وقال : احسانك الى الحر يحركه على المكافأة ، واحسانك الى الخسيس يحركه على معاودة المسألة . وقال : الاشرار يتبعون مساريء الناس ويتركون محاسنهم ، كما يتتبع الذباب المواضع الفاسدة من الجسد ويترك الصحيح منه . وقال : لا تستصغر عدوك فيقتحم عليك المكروه من زيادة مقداره على تقديرك فيه . وقال : ليس تكلل خيرية الرجل حتى يكون صديقا للمتعادين .

وقال : اطلب في الحياة العلم والمال تحز الرأس على الناس ، لانهم بين خاص وعام ، فالخاصة تفضلك بما تحسن ، والعامه تفضلك بما تملك .

وقال : من جمع الى شرف اصله شرف نفسه فقد قضى الحق عليه . واستدعى التفضيل بالحجة ؛ ومن أغفل نفسه واعتمد على شرف آباءه فقد عقم ^(٣) واستحق ان لا يقدم بهم على غيره .

وقال : لا تتناعن مملوكا قوي الشهوة فان له مولى غيرك ، ولا غضوبا ^(٤) فانه يقلق في ملكك ، ولا قوي الرأي فيستعمل الحيلة عليك .

وقال : استعمل مع فرط النصيحة ما تستعمله الخونة من حسن المداراة ، ولا تدخل عليك العجب ^(٥) لفضلك على اكفائك فيفسد عليك ثمرة ما فضلت به .

(١) المين .

(٢) ما فضل من الشيء .

(٣) شق طاعتهم وعصاهم .

(٤) السريع الهياج .

(٥) الزهو والتكبر .

وقال : لا تنظر الى احد بالموضع الذي رتبته فيه زمانه ، وانظر اليه بقيمته في الحقيقة فانها مكانه الطبيعي .

وقال : اذا خبت الزمان كسدت ^(١) الفضائل وضرت ، ونفقت الرذائل ونفقت ، وكان خوف المومس ^(٢) اشد من خوف المومس ^(٣)

وقال لا يزال الجائر مهلاً حتى يتخطى الى اركان العبادة ومباني الشريعة ، واذا اقصد ^(٤) لها تحرك عليه قيّم العالم فأباده . وقال : اذا طابق الكلام نية المتكلم حرك نية السامع ، وان خالفها لم يحسن موقعه ممن اريد به . وقال : افضل الملوك من بقي بالعدل ذكره واستعمل من اتى بعده بفضائله .

وقال رجل جاهل لأفلاطون : كيف قدرت على كثرة ما تعلمت ؟ فقال : لاني افنيت من الزيت بمقدار ما افنيتك انت من الشراب . وقال : عين الحب عمياء عن عيوب المحبوب .

وقال : اذا خاطبت من هو اعلم منك فجرد له المعاني ، ولا تكلف ^(٥) باطالة اللفظ ولا تحسينه ؛ واذا خاطبت من هو دونك في المعرفة فأبسط ^(٦) كلامك ليلحق في اواخره ما اعجزه في أوائله . وقال : الحلم لا ينسب الا الى من قدر على السطوة ، والزهد لا ينسب الا الى من ترك بعد القدرة .

وقال : العزيز النفس هو الذي يذل للفاقة . وقال : الحسن الخلق من صبر على السيئ الخلق . وقال : اشرف الناس من شرفته الفضائل ، لا من تشرف بالفضائل ، وذلك ان من كانت الفضائل فيه جوهرية فهي تشرفه ومن كانت فيه عرضية تشرف بها ولم تشرفه .

وقال : الحياء اذا توسط اوقف الانسان عما عابه ، واذا افرط اوقفه عما يحتاج اليه ، واذا قصر خلع عنه ثوب التجميل في كثير من احواله .

وقال : اذا حصل عدوك في قدرتك خرج من جملة اعدائك ، ودخل في عدة حشمك .

وقال : ينبغي للمرء ان ينظر وجهه في المرأة ، فان كان حسناً استقبح ان يضيف اليه فعلاً قبيحاً ، وان كان قبيحاً استقبح ان يجمع بين قبحين .

وقال : لا تصحب الشرير فان طبعك يسرق من طبعه شراً وانت لا تدري .

وقال : اذا قامت حجتك في المناظرة على كريم أكرمك ووقرك ، واذا قامت على خسيس عاداك واصطنعها ^(٧) عليك .

(١) لم تلتق ، راصل المعنى الفساد .

(٢) الغني

(٣) من قلت ذات يده .

(٤) اي استمر على عملها .

(٥) قولع .

(٦) جعله بسيطاً سهلاً .

(٧) هكذا في الاصل واظنها اضطنعها اي طواها على حقد . (ن . ر)

وقال : من مدحك بما ليس فيك من الجميل وهو راض عنك ذمك بما ليس فيك من القبيح وهو ساخط عليك .

وقال انما صار التقليد واجباً في العالم لان الضعف فيه قائم في الناس .

وقال : من تعلم العلم لفضيلته لم يوحشه كساده ، ومن تعلمه لجدواه ^(١) انصرف بانصراف الحظ عن اهله الى ما يكسبه .

وقال : ليكون خوفك من تدبيرك على عدوك اكثر من خوفك من تدبير عدوك عليك .

وقال : رب مغبوط بنعمة هي بلاؤه ، ورب محسود على حال هي داؤه .

وقال : شهوات الناس تتحرك بحسب شهوات الملك وارادته .

وقال : ما معي من فضيلة العلم الا علمي بانني لست بعالم . وقال : الامل خداع الناس . وقال : احفظ الناموس يحفظك . وقال : اذا صادقت رجلاً وجب ان تكون صديق صديقه ، وليس يجب عليك ان تكون عدو عدوه .

وقال : المشورة تريك طبع المستشار . وقال : ينبغي للعاقل ان لا يتكسب الا بأزيد ما فيه ، ولا يخدم الا المقارب له في خلقه .

وقال : اكثر الفضائل مرة المبادي حلوة العواقب ، واكثر الرذائل حلوة المبادي مرة العواقب .

وقال : لا تستكثرون من عشرة حملة عيوب الناس ، فانهم يتسقطون ^(٢) ما غفلت عنه وينقلونه الى غيرك كما ينقلون عنه اليك .

وقال:الظفر شافع المذنبين الى الكرماء .

وقال:ينبغي للحازم ان يعد للامر الذي يلتزمه كل ما اوجبه الرأي في طلبه ، ولا يتكل فيه على الأسباب الخارجة عن سعية بما يدعوا اليه الامل وما جرت به العادة ، فانها ليست له وانما هي للاتفاق الذي لا تثق به الحزمة .

وقيل لافلاطون : لم صار الرجل يقتني مالا وهو شيخ ؟ فقال : لأن يموت الانسان فيخلف مالا لاعدائه ، خير له من ان يحتاج في حياته الى اصدقائه .

ورأى طبيباً جاهلاً فقال : هذا محب مزعج للموت .

وقال : الافراط في النصيحة يهجم بصاحبها على كثير من الظنة ^(٣) . وقال : ليس ينبغي للرجل ان يشغل قلبه بما ذهب منه ، ولكن يعتني بحفظ ما بقي عليه .

(١) لنفمه وعطائه .

(٢) تسقط الخبر : اخذه شيئاً بعد شيء .

(٣) التهمة . (ن.ر)

وسأله ارسطوطاليس : بماذا يعرف الحكيم انه قد صار حكيماً ؟ فقال : اذا لم يكن بما يصيب من الرأي معجباً ، ولا لما يأتي من الأمر متكلفاً ، ولم يستغزه عند الذم الغضب ، ولا يدخله عند المرح النخوة . وسئل : مم ينبغي ان يحترس ^(١) ؟ فقال : من العدو القادر ، والصديق المكدر ، والمسلط الغاضب . وسئل : اي شيء أنفع للانسان ؟ فقال : ان يعنى بتقويم نفسه اكثر من عنايته بتقويم غيره .

وقال : الشرير العالم يسره الطعن على من تقدمه من العلماء ، ويسوؤه بقاء من في عصره منهم ، لانه يحب ان لا يعرف بالعلم غيره ؛ لان الاغلب عليه شهوة الرئاسة ؛ والخير العالم يسوؤه فقد احد من طبقته في المعرفة ، لان رغبته في الازدياد واحياء علمه بالذاكرة اكثر من رغبته في الرئاسة والغلبة .

وقال : تبكيت ^(٢) الرجل بالذنب بعد العفو عنه ازراء ^(٣) بالصنعة ، وانما يكون قبل هبة الجرم له .

وقال : اطلب في حياتك العلم والمال والعمل الصالح ، فان الخاصة تفضلك بما تحسن ، والعامية بما تملك ، والجميع بما تعمل .

وسئل افلاطون عند موته عن الدنيا فقال : خرجت اليها مضطراً ، وعشت فيها متعجراً ، وها انا اخرج منها كارهاً ؛ ولم اعلم فيها الا أنني لم اعلم .

كتب افلاطون

ولفلاطون من الكتب : كتاب احتجاج سقراط على أهل اثينية ؛ كتاب فأذن في النفس ؛ كتاب السياسة المدنية ؛ كتاب طياوس الروحاني في ترتيب العوالم الثلاثة العقلية ، التي هي عالم الربوبية وعالم العقل وعالم النفس ؛ كتاب طياوس الطبيعي ؛ أربع مقالات في تركيب عالم الطبيعة . - كتب يهذين الكتابين الى تلميذ له يسمى طياوس ، وغرض فلاطون في كتابه هذا ان يصف جميع العلم الطبيعي .

اقول وذكر جالينوس في المقالة الثامنة من كتابه «من آراء أبوقراطوفلاطون» ان كتاب طياوس قد شرحه كثير من المفسرين وأطنبوا في ذلك ، حتى جاوزوا المقصد الذي ينبغي ما خلا الأقاويل الطبية التي فيه ، فانه قل من رام شرحها ، ومن رام شرحها أيضاً لم يحسن فيما كتب فيها . وجالينوس كتاب ينقسم الى أربع مقالات فسر فيه ما في كتاب طياوس من علم الطب .

كتاب الاقوال الافلاطونية ؛ كتاب اونقرن ؛ كتاب اقريطن ؛ كتاب قراطلس ؛ كتاب ثاطيطس ؛ كتاب سوفسطس ؛ كتاب فوليطيقوس ؛ كتاب برمينيدس ؛ كتاب فلبس ؛ كتاب ممبوسين ، كتاب

(١) يتوقى .

(٢) تمنيف .

(٣) تحقير . (ن.د)

القيبيادس الاول ؛ كتاب القبييادس الثاني ؛ كتاب أبرخس ؛ كتاب ارسطو في الفلسفة ؛ كتاب
ثاجيس في الفلسفة ؛ كتاب اوثوديموس ؛ كتاب لايخس في الشجاعة ؛ كتاب لوسيس ؛ كتاب
افروطاغورس ؛ كتاب غورجياس ؛ كتاب مانون ؛ كتابان مسميان أبيا ؛ كتاب أين ؛ كتاب
منكسانس ، كتاب فليطفون ، كتاب الفلسفي ؛ كتاب أقريطياس ؛ كتاب مينس ؛ كتاب أفينومس ؛
كتاب النواميس ؛ اثنا عشر كتاباً في الفلسفة ؛ كتاب فيما ينبغي ؛ كتاب في الاشياء العالية ؛ كتاب
خرميدس في العفة ؛ كتاب فدروس ؛ كتاب المناسبات ؛ كتاب التوحيد ؛ كتاب في النفس والعقل
والجوهر والفرس ؛ كتاب الحس واللذة ، مقالة ؛ كتاب تأديب الاحداث ووصاياهم ؛ كتاب معاقبة
النفس ؛ كتاب اصول الهندسة .

ارسطوطاليس^(١)

هو ارسطوطاليس بن نيقوماخس الجراسني النيشاغوري وتفسير نيقوماخس : قاهر الخصم ، وتفسير
ارسطوطاليس : تام الفضيلة ، حكى ذلك أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي^(٢) .

كان نيقوماخس فيثاغوري المذهب ، وله تأليف مشهور في الارثماطقي .

قال سليمان بن حسان المعروف بابن جليل في كتابه عن ارسطوطاليس : انه كان فيلسوف الروم
وعالمها وجهبها ونحريها وخطيبها وطبيبها . قال : وكان أوحداً في الطب ، وغلب عليه علم الفلسفة .

وقال بطليموس^(٣) في كتابه الى غلس ، في سيرة ارسطوطاليس وخبره ووصيته وفهرست كتبه
المشهوره : إنه كان أصل ارسطوطاليس من المدينة التي تسمى اسطاغيرا^(٤) ، وهي من البلاد التي يقال
لها خليفديق^(٥) ، بما يلي بلاد تراقية^(٦) بالقرب من اولنش وماثوني ، وكان اسم امه افسطيا . قال : وكان
نيقوماخس ابو ارسطوطاليس طبيب امنطس أبي فيلبس ، وفيلبس هذا هو أبو الاسكندر الملك ،
وكان نيقوماخس يرجع في نسبه الى اسقليبيوس ، وكان اسقليبيوس هذا أباً ماخاون ، وماخاون ابو
اسقليبيوس ، وكان اصل امه افسطيا يرجع في النسبة ايضاً الى اسقليبيوس .

(١) فيلسوف يوناني ولد في استاغير Stagire في مقدونيا . وكان مؤدب وصديق الاسكندر الكبير . وهو مؤسس
المدرسة المشائية Peripatéticienne (٣٨٤ - ٣٢٢ ق م) .

(٢) مؤرخ وجغرافي عربي نشأ في بغداد .

(٣) فلكي يوناني ولد في مصر في القرن الثاني بعد المسيح وقد سادت نظرياته في الرياضيات والهندسة في العصور الوسطى وهو
الذي حدد مكان الارض في مركز نصف الكون وقال بأنها ثابتة ولكن نظريته هذه قلبت رأساً على عقب من قبل كوبرنيك .

(٤) مدينة في مقدونيا هي موطن ارسطو .

(٥) خليفديق : شبه جزيرة في شبه جزيرة البلقان بين خليج البوسفور وادرفانو .

(٦) قديماً البلاد الارمنية شمالي اليونان . (ن . ر)

ويقال انه لما توفي نيقوماخس ابوه اسلمه برقسانس ، وكيل ابيه ، وهو حدث لافلاطن .
وقال بعض الناس ان اسلام ارسطوطاليس الى افلاطن انما كانت بوحى من الله تعالى في هيكمل
بوثيون (*) .

وقال بعضهم بل انما كان ذلك لصداقة كانت بين برقسانس وبين فلاتن . ويقال انه لبث في التعليم
عن افلاطن عشرين سنة وانه لما عاد افلاطن الى سقلية في المرة الثانية كان ارسطوطاليس خليفته على
دار التعليم المسماة أقاديميا ، وانه لما قدم افلاطن من سقلية انتقل ارسطوطاليس الى لوقيون واتخذ
هناك دار التعليم المنسوبة الى الفلاسفة المشائين . ثم لما توفي فلاتن سار الى ارمياس الخادم الوالي
على أترنوس ، ثم لما مات هذا الخادم رجع الى اثينس وهي التي تعرف بمدينة الحكماء ، فأرسل اليه
فيلبس فسار الى مقدونيا فلبث بها يعلم الى ان تجاوز الاسكندر بلاد آسيا ، ثم استخلف في
مقدونيا قلسثانس ، ورجع الى اثينا واقام في لوقيون عشر سنين .

ثم ان رجلا من الكهنة الذين يسمون الكهريين يقال له اوروماذن اراد السعاية بارسطوطاليس ونسبه
الى الكفر ، وانه لا يعظم الاصنام التي كانت تعبد في ذلك الوقت ، بسبب ضعف^(١) كان في نفسه عليه .
وقد قص ارسطوطاليس هذه القصة في كتابه الى أنطيطوس — فلما احس ارسطوطاليس بذلك شخص
عن اثينا الى بلاده وهي خلقيديق ، لانه كره ان يبثلى اهل أثنية من امره بمثل الذي ابتلوا في أمر
سقراطيس معلم افلاطن حتى قتلوه . وكان شخوصه من غير ان يكون احداً اجترأ به ، الى أي شخص
على قبول كتاب الكمري وقرفه او ان يناله بمكرهه . وليس ما يحكى عن ارسطوطاليس من الاعتذار
من قرف الكمري اياه بحق ، ولكنه شيء موضوع على لسانه ولما صار ارسطوطاليس الى بلاده اقام بها
بقية عمره ، الى ان توفي وهو ابن ثمان وستين سنة .

قال : وقد يستدل بما ذكرنا من حالاته على بطلان قول من يزعم انه انما نظر في الفلسفة بعد ان
أثت عليه ثلاثون سنة ، وانه انما كان الى هذا الوقت يلي سياسة المدن لعنايته التي كانت باصلاح
أمر المدن .

ويقال ان اهل اسطاغيرا نقلوا بدنه من الموضع الذي توفي فيه^(٢) اليهم ، وصبروه في الموضع
المسمى الارسطوطاليسي ، وصبروا مجتمعهم للمشاورة في جلائل الامور وما يحزنهم في ذلك الموضع .
وكان ارسطوطاليس هو الذي وضع سنن اسطاغيرا لأهلها ، وكان جليل القدر في الناس . ودلائل
ذلك بينة من كرامات الملوك الذين كانوا في عصره له . فأما ما كان عليه من الرغبة في اصطناع المعروف
والعناية بالأحسان الى الناس فذلك بين من رسائله وكتبه ، وما يقف عليه الناظر فيها من كثرة قوسطه

* هكذا في الاصل واظن انه معبد بارثينون وهو هيكمل مينرفا في اثينا .

(١) الحقد (٢) انه يدعى قاتيس وهو في جزيرة من جزر الأرخبيل تدعى اليوم نكريبون Negrepoint وقديماً أربي
وهاليكارن ، واوريب .

للأمور فيما بين ملوك دهره وبين العوام فيما يصلح به أمورهم ويحتلب به المنافع اليهم .

ولكثرة ما عقد من المآزر والاحسان ، في هذا الباب ، صار أهل أثينية إلى ان اجتمعوا وتعاقدوا على ان كتبوا كتاباً نقشوه في عمود من الحجارة ، وصيروه على البرج العالي الذي في المدينة . وذكروا فيما كتبوا على ذلك العمود ان أرسطوطاليس بن نيقوخامس الذي من أهل أسطاغيرا قد استحق بما كان عليه من اصنطاع المعروف وكثرة الايادي والمآزر ، وما يخص به أهل أثينية من ذلك ، ومن قيامه عند فيليبس ^(١) الملك بما اصلح شأنهم وبلغ به الاحسان اليهم ، ان يتبين صناعة أهل أثينية عليه يجميل ما أتى من ذلك ، ويقرروا له بالفضل والرئاسة ، ويوجبوا له الحفظ والحياطة . وأهل الرئاسة فيهم هو نفسه وعقبه من بعده ، والقيام لهم بكل ما التمسوه من حوائجهم وأمورهم .

وقد كان رجل من أهل أثينية يقال له ايماروس بعد اجتماع أهل أثينية على ما اجتمعوا عليه من هذا الكتاب شد عن جماعتهم ، وقال بخلاف قولهم في امر ارسطوطاليس ، ووثب على العمود الذي كان قد اجتمع أهل أثينية على ان كتبوا فيه ما كتبوا من الثناء ونصبوه في الموضع الذي يسمى اعلى المدينة ، فرمى به عن موضعه ، فظفر به ، بعد ان صنع ما صنع ، أنطينوس فقتله .

ثم ان رجلاً من أهل أثينية يسمى اصطفانوس وجماعة معه عمدوا الى عمود حجارة فكتبوا فيه من الثناء على ارسطوطاليس شبيهاً بما كان على العمود الاول ، وأثبتوا مع ذلك ذكر ايماروس الذي رمى بالعمود وفعله ما فعل ، وأوجبوا لعنه والبراءة منه .

ولما ان مات فيليبس وملك الاسكندر بعده وشخص عن بلاده لمحاربة الامم ، وحاز بلاد آسيا ، صار ارسطوطاليس الى التبتل ^(٢) والتخلي عما كان فيه من الاتصال بأمور الملوك والملابسة لهم ؛ وصار الى أثينية فيها موضع التعليم ، الذي ذكرناه فيما تقدم ، وهو المنسوب الى الفلاسفة المشائين . واقتبل على العناية بمصالح الناس ورغد ^(٣) الضعفاء وأهل الفاقة ، وتزويج الايامى ، وعول ^(٤) اليتامى والعناية بتربيتهم ، ورغد الملتسين للتعلم والتأدب من كانوا وأي نوع من العلم والادب طلبوا ، ومعونتهم على ذلك وانهاضهم ؛ والصدقات على الفقراء ، واقامة المصالح في المدن . وجدد بناء مدينته وهي مدينة اسطاغيرا ، ولم يزل في الغاية من لين الجانب والتواضع وحسن اللقاء للصغير والكبير والقوي والضعيف .

واما قيامه بأمور اصدقائه فلا يوصف ، ويدل على ذلك ما كتبه اصحاب السير واتفاقهم جميعاً على ما كتبوه من خبر ارسطوطاليس وسيرته . وقال الامير المبشر بن فاتك في كتابه «مختار الحكم ومحاسن الكلم» : ان ارسطوطاليس لما بلغ ثمانين سنة حمله ابيه الى بلاد أثينية ، وهي المعروفة ببلاد الحكماء ، واقام في لوقين منها فضمه ابيه الى الشعراء والبلغاء والنحويين . فأقام متعلماً منهم تسع سنين ، وكان اسم

(١) هو والد الاسكندر الكبير وملك مقدونيا .

(٢) الانقطاع الى الله تعالى . (٣) اعانة واعطاء . (٤) كفاة معاشهم .

هذا العلم عندهم المحيط ، أعني علم اللسان لحاجة جميع الناس اليه ، لأنه الاداة والمراقى الى كل حكمة وفضيلة ، والبيان الذي يتحصل به كل علم . وأن قوماً من الحكماء ازروا بعلم البلغاء واللغويين والنحويين وعنفوا المتشاغلين به ، منهم أبيقورس وفيثاغورس ، وزعموا انه لا يحتاج الى علمهم في شيء من الحكمة لان النحويين معلمو الصبيان ، والشعراء اصحاب اباطيل وكذب ، والبلغاء اصحاب تمحل^(١) ومحابة ومراء .

فلما بلغ ارسطوطاليس ذلك ادركته الحفيظة^(٢) لهم ، ففاضل عن النحويين والبلغاء والشعراء واحتج منهم ، وقال انه لا غنى للحكمة عن علمهم لان المنطق اداة لعلمهم وقال : « ان فضل الانسان على البهائم بالمنطق . فأحقهم بالانسية ابلغهم في منطقهم وأوصلهم الى عبارة ذات نفسه ، وأوضعهم لمنطقه في موضعه ، واحسنهم اختياراً لاجزءه واعذبه . ولأن الحكمة اشرف الاشياء فينبغي ان تكون العبارة عنها بأحكم المنطق وأفصح اللهجة ، واوزج اللفظ الأبعد عن الدخّل^(٣) والزلل^(٤) وسماجة المنطق وقبح الالكنة والعي ، فان ذلك يذهب بنور الحكمة ، ويقطع عن الاداء ، ويقصر عن الحاجة ، ويلبس^(٥) على المستمع ، ويفسد المعاني ، ويورث الشبهة » .

فلما استكمل علم الشعراء والنحويين والبلغاء واستوعبه قصد الى العلوم الاخلاقية والسياسية والطبيعية والتعليمية والالهية ، وانقطع الى افلاطن وصار تلميذاً له ومتعلماً منه ، وله يومئذ سبع عشرة سنة .

قال المبشر بن فائق : « وكان افلاطن يجلس فيستدعى منه الكلام فيقول : حتى يحضر الناس . فاذا جاء ارسطوطاليس قال تكلموا فقد حضر الناس . وربما قال حتى يحضر العقل ، فاذا حضر ارسطوطاليس قال تكلموا فقد حضر العقل » . قال : « ولما توفي ارسطوطاليس نقل اهل اسطاغيرا رِمتَه^(٦) بعدما بليت ، وجمعوا عظامه وصبروها في اناء من نحاس ودفنوها في الموضع المعروف بالأرسطوطاليسي ، وصبروه مجمعا لهم يجتمعون فيه للمشاورة في جلائل الامور وما يحزنهم ، ويستريحون الى قبره ويسكنون الى عظامه ، فاذا صعب عليهم شيء من فنون العلم والحكمة آثروا^(٧) بذلك الموضع وجلسوا اليه ، ثم تناظروا فيما بينهم حتى يستنبطوا ما اشكل عليهم ، ويصح لهم ما شجر^(٨) بينهم . وكانوا يرون ان مجيئهم الى ذلك الموضع الذي فيه عظام ارسطوطاليس يذكى عقولهم ، ويصحح فكركم

(١) الخديمة والكيد .

(٢) الهمة لحرمة تهتك .

(٣) الميب .

(٤) الخطأ .

(٥) يختلط ويخفى .

(٦) العظام البالية .

(٧) قصدوا .

(٨) شجر بينهم الامر : تنازعوا .

ويلطف اذهانهم . وأيضاً تعظيماً له بعد موته ، وأسفاً على فراقه ، وحزناً لاجل الفجعة به وما فقدوه من ينابيع الحكمة .

وقال المسعودي ^(١) في كتاب «المسالك والممالك»: ان المدينة الكبرى التي تسمى بالرم ^(٢) من جزيرة صقلية فيها مسجد الجامع الاكبر ، وكان بيعة للروم ، فيه هيكل عظيم : قال : « وسمعت بعض المنطقيين يقول ان حكيم يونان يعني ارسطوطاليس في خشبة معلق في هذا الهيكل الذي قد اتخذته المسلمون مسجداً ، وان النصراني كانت تعظم قدره وتستشفي به لما شاهدت اليونانية عليه من اكباره واعظامه ، وان السبب في تعليق بين السماء والارض ما كان الناس يلاقونه عند الاستشفاء والاستسقاء والامور المهمة التي توجب الفرع الى الله تعالى والتقرب اليه في حين الشدة والهلكة وعند وطء بعضهم لبعض . قال المسعودي : « وقد رأيت هناك خشبة عظيمة يوشك ان يكون القبر فيها » .

وقال المبشر بن فائق : وكان ارسطوطاليس كثير التلاميذ من الملوك وابناء الملوك وغيرهم ، منهم ثاوفرسطس ، واذيموس ، والاسكندروس الملك ، وارمينوس ، واسخولوس ، وغيرهم من الافاضل المشهورين بالعلم ، المبرزين في الحكمة ، المعروفين بشرف النسب . وقام من بعده ليعلم حكمته التي صنفها وجلس على كرسيه وورث مرتبته ابن خالته ثاوفرسطس ، ومعه رجلان يعينانه على ذلك ويؤازرانه ، يسمى احدهما ارمينوس والآخر اسخولوس ، وصنفوا كتباً كثيرة في المنطق والحكمة . وخلف من الولد ابناً صغيراً يقال له نيقوماخس وابنة صغيرة ايضاً ، وخلف مالا كثيراً وعبيداً واماء كثيرة وغير ذلك .

قال : « وكان ارسطوطاليس ابيض اجلح قليلاً ، حسن القامة ، عظيم العظام ، صغير العينين ، كث اللحية ، اشهل ^(٣) العينين اقنى ^(٤) الانف صغير الفم ، عريض الصدر ، يسرع في مشيته اذا خلا ويبطئ اذا كان مع اصحابه ، ناظراً في الكتب دائماً لا يهذي ، ويقف عند كل كلمة ، ويبطل الاطراق عند السؤال ، قليل الجواب يتنقل في اوقات النهار في الفيا في ونحو الانهار ؛ محباً لاستماع الاخوان والاجتماع باهل الرياضات واصحاب الجدل ، منصفاً من نفسه اذا خصم ، معترفاً بموضع الاصابة والخطأ ، معتدلاً في الملابس والمآكل والمشارب والمناكح والحركات ، بيده آلة النجوم والساعات . »

وقال حنين بن اسحق في كتاب «نادر الفلاسفة والحكماء»: كان منقوشاً على فص خاتم ارسطوطاليس: « **الْمُنْكَرُ لَا يَعْلَمُ أَغْلَمَ مِنَ الْمَقْرُ بِمَا يَعْلَمُ** » .

(١) مؤرخ وجغرافي نشأ في بغداد وطاف معظم آسيا وافريقيا و توفي سنة ٩٠٦ .

(٢) عاصمة صقلية فيها آثار يونانية وعربية .

(٣) سواد يشوب زرقة العينين .

(٤) الانف الاقنى ؛ المرتفع وسط القصة الضيق المنخرين .

وقال الشيخ ابو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام المنطقي في تعاليقه : ان ثيوفرسطس كلب وصي
ارسطوطاليس ، وان ارسطوطاليس عمر احدى وستين سنة. قال : « واما افلاطن فانه عمر كثيراً » .
وقال ابن النديم ^(١) البغدادي الكاتب في « كتاب الفهرست » : « ان ارسطوطاليس توفي وله ست
وستون سنة » .

ومن خط اسحق ولفظه : « عاش ارسطوطاليس سبعا وستين سنة . »

وقال القاضي ابو القاسم صاعد بن احمد بن صاعد في كتاب « التعريف بطبقات الامم » : « ان
ارسطوطاليس انتهت اليه فلسفة اليونانيين ، وهو خاتم حكمائهم وسيد علمائهم ، وهو اول من خلاص
صناعة البرهان من سائر الصناعات المنطقية ، وصورها بالاشكال الثلاثة ، وجعلها آلة للعلوم النظرية
حتى لقب بصاحب المنطق . وله في جميع العلوم الفلسفية كتب شريفة كلية وجزئية . فالجزئية رسائله
التي يتعلم منها معنى واحد فقط ، والكلية بعضها تذاكير يتذكر بقراءتها ما قد علم من علمه ، وهي
السبعون كتاباً التي وضعها لاوفارس ، وبعضها تعاليم يتعلم منها ثلاثة اشياء ، احدها علوم الفلسفة ، والثاني
اعمال الفلسفة ، والثالث الآلة المستعملة في علم الفلسفة وغيره من العلوم .

فالكتب التي في علوم الفلسفة بعضها في العلوم التعليمية ، وبعضها في العلوم الطبيعية وبعضها في
العلوم الالهية .

فاما الكتب التي في العلوم التعليمية ، فكتابه في المناظر ، وكتابه في الخطوط ، وكتابه في الحيل .
واما الكتب التي في العلوم الطبيعية فمنها ما يتعلم منه الامور التي تعم جميع الطبائع ، ومنها ما
يتعلم منه الامور التي تخص كل واحد من الطبائع .

فالتي يتعلم منها الامور التي تعم جميع الطبائع هي كتابه المسمى بسمع الكيان ، فهذا الكتاب
يعرف بعدد المبادئ لجميع الاشياء الطبيعية ، وبلاشياء التي هي كالمبادئ ، وبلاشياء التوالي للمبادئ ،
وبلاشياء المشاكلة للتوالي . اما المبادئ ، فالعنصر والصورة ، واما التي كالمبادئ فليست مبادئ
بالحقيقة بل بالتقريب كالعدم ، واما التوالي فالزمان والمكان . واما المشاكلة للتوالي فالخلاء ، الملاء وما
لا نهاية له .

واما التي يعلم منها الامور الخاصة لكل واحد من الطبائع فبعضها في الاشياء التي لا كون لها ،
وبعضها في الاشياء المكونة .

اما التي في الاشياء التي لا كون لها فالاشياء التي تتعلم من المقاليتين الاوليتين من كتاب السماء والعالم .

واما التي في الاشياء المكونة فبعض علمها عامي ، وبعضها خاصي .

(١) ولد في بغداد وعاش فيها . وكان من المعتزلة تعاطى مهنة الكتي ار الرقاق فلقب بالوراق ، له « الفهرست » وهو
يحوي فهرس العلوم القديمة وتصانيف اليونان والفرس والهند الموجود منها بلفة العرب .

والعامي بعضه في الاستحالات ، وبعضه في الحركات .

اما الاستحالات ففي كتاب الكون والفساد ، واما الحركات ففي المقاتلين الآخرين من كتاب السماء والعالم .

واما الخاصي فبعضه في البسائط ، وبعضه في المركبات . اما الذي في البسائط ففي كتاب الآثار العلوية ، واما الذي في المركبات فبعضه في وصف كليات الاشياء المركبة ، وبعضه في وصف أجزاء الاشياء المركبة .

أما الذي في وصف كليات المركبات ففي كتاب الحيوان ، وفي كتاب النبات .

واما الذي في وصف اجزاء المركبات ففي كتاب النفس ، وفي كتاب الحس والمحسوس ، وفي كتاب الصحة والسقم ، وفي كتاب الشباب والهرم .

واما الكتب التي في العلوم الالهية فمقالاته الثلاث عشرة التي في كتاب ما بعد الطبيعة .

واما الكتب التي في اعمال الفلسفة فبعضها في اصلاح اخلاق النفس ، وبعضها في السياسة .

فاما التي في اصلاح اخلاق النفس فكتابه الكبير الذي كتب به الى ابنه ، وكتابه الصغير الذي كتب به الى ابنه ايضاً ، وكتابه المسمى اوديميا .

واما التي في السياسة فبعضها في سياسة المدن ، وبعضها في سياسة المنزل .

واما الكتب التي في الآلة المستعملة في علوم الفلسفة فهي كتبه الثمانية المنطقية التي لم يسبقه احد من علمناه الى تأليفها ، ولا تقدمه الى جمعها . وقد ذكر ذلك ارسطوطاليس في آخر الكتاب السادس منها ، وهو كتاب سوفسطيقا . فقال :

« واما صناعة المنطق وبناء السالوجسموس فلم نجد لها فيما خلا اصلاً متقدماً نبني عليه ، لكننا وقفنا على ذلك بعد الجهد الشديد والنصب الطويل . وهذه الصناعة وان كنا نحن ابتدعناها ^(١) واخترناها فقد حصنا جهتها ورمنا ^(٢) اصولها ، ولم نفقد شيئاً مما ينبغي ان يكون موجوداً فيها كما فقدت أوائل الصناعات ، ولكنها كاملة مستحكمة مثبتة اساسها مرموقة قواعدها ، وثيق بنيانها ، معروفة غاياتها واضحة اعلامها ، قد قدمت امامها اركاناً مهيأة ودعائم موطدة . فمن عسى ان ترد عليه هذه الصناعة بعدنا فليفتقر خلا ان وجدده فيها ، وليعتد ^(٣) بما بلغت الكلفة منا اعتداده بالمنة العظيمة واليد الجليلة ، ومن بلغ جهده بلغ عذره » .

وقال ابو نصر الفارابي : ان ارسطوطاليس جعل اجزاء المنطق ثمانية كل جزء منها في كتاب :

الاول : في قوانين المفردات من المعقولات والالفاظ الدالة عليها ، وهي في الكتاب الملقب في العربية بالمقولات وبالليونانية القاطاغورياس .

(١) انشأ وخلق (٢) اصلح (٣) اصل اعتد : تياً وهنا بمعنى الالتفات والاعجاب والتباهي .

والثاني : في قوانين الالفاظ المركبة التي هي المعقولات المركبة من معقولين مفردين ، والألفاظ الدالة عليها المركبة من لفظين ، وهي في الكتاب الملقب في العربية بالعبارة وبال يونانية بارمينياس .
والثالث : في الاقاويل التي تميز بها القياسات المشتركة للصنائع الخمس ، وهي في الكتاب الملقب في العربية بالقياس وبال يونانية اناطوطيقا الاولى .

والرابع : في القوانين التي تمتحن بها الاقاويل البرهانية ، وقوانين الامور التي تلتئم بها الفلسفة ، وكل ما يصير بها افعالها أتم وافضل واكمل ، وهو بالعربية كتاب البرهان وبال يونانية اناطوطيقا الثانية .
والخامس : في القوانين التي تمتحن بها الاقاويل ، وكيفية السؤال الجدي والجواب الجدي ، وبالجملة ، قوانين الامور التي تلتئم بها صناعة الجدل ؛ وتصير بها أفعالها أكل وأفضل وانفذ وهو بالعربية كتاب المواضيع الجدلية وبال يونانية طوبيقا .

والسادس : في قوانين الاشياء التي شأنها ان تغلط عن الحق وتحيد . وأحصى جميع الامور التي يستعملها من قصده التمويه ^(١) والخرقة ^(٢) في العلوم والاقاويل ، ثم من بعدها أحصى ما ينبغي ان تنتفي به الاقاويل المغلطة التي يستعملها المستمع والموه ، وكيف يفتتح وبأي الاشياء يوقع ، وكيف يتحرز الانسان ومن أين يغلط في مطلوباته ، وهذا الكتاب يسمى باليونانية سوفسطيقا ومعناه الحكمة الموهة .

والسابع : في القوانين التي يمتحن بها الاقاويل الخطبية ، وأصناف الخطب واقاويل البلغاء والخطباء ، هل هي على مذهب الخطابة ام لا ؟ ويحصى فيها جميع الامور التي بها تلتئم صناعة الخطابة ، ويعرف كيف صنعة الاقاويل الخطبية والخطب في فن من الأمور ، وبأي الاشياء تصير أجود وأكمل وتكون افعالها أنفع وابلغ . وهذا الكتاب يسمى باليونانية الريطورية وهي الخطابة .

والثامن : في القوانين التي يشير بها الاشعار وأصناف الاقاويل الشعرية المعمولة والتي تعمل من فن فن من الأمور ، ويحصى ايضاً جميع الأمور التي بها تلتئم صناعة الشعر ، وكما اصنافها ؟ وكما أصناف الاشعار والاقاويل الشعرية ؟ وكيف صنعة كل صنف منها ، ومن اي الاشياء تلتئم وتصير أجود وأفهم ، واهي آلة ؟ وبأي الاحوال ينبغي ان تكون حتى تصير أبلغ وابعد ؟ . وهذا الكتاب يسمى باليونانية فويطيقا ، وهو كتاب الشعر .

فهذه جملة اجزاء المنطق وجملة ما يشتمل عليه كل جزء منها ، والجزء الرابع هو اشدها تقدماً للشرف والراثة . والمنطق انما التمس به على القصد الأول الجزء الرابع ، وباقي اجزائها انما تحمل لأجل الرابع . فان الثلاثة التي تتقدمه في ترتيب التعليل هي توطئات ومداخل وطرق اليه ، والأربعة الباقية التي تتلوه فلسفيين : احدهما ان في كل واحد منها ارفاداً ما ومعونة على الجزء الرابع ومعونة بعضها اكثر وبعضها أقل .

(١) التدليس وهو الاتيان بغير الراهن من الحديث او العمل . (٢) الكذب والاختلاق .

والثاني على جهة التحديد ، وذلك انها لو لم تتميز هذه الصنائع بعضها من بعض بالفعل ، حتى تعرف قوانين كل واحد منها على انفرادها متميزة عن قوانين الاخرى لم يأمن الانسان ، عند التماس الحق واليقين ، ان يستعمل الاشياء الجدلية من حيث لا يشعر انها جدلية فيعدل من اليقين الى الظنون القوية ، ويكون قد استعمل من حيث لا يشعر اموراً خطيبة ، فيعدل به الى الاقناع ، او يكون قد استعمل المغالطات من حيث لا يشعر . واما ان توهم فيها ليس بحق انه حق فيعتقد ، واما ان يكون قد استعمل الاشياء الشعرية من حيث لا يشعر أنها شعرية ، فيكون قد عمل في اعتقاداته على التخيلات ، وعند نفسه انه سلك في كل هذه الاقوال الطريق الى الحق وصادف متلسه ، فلا يكون صادقه على الحقيقة . كما ان الذي لا يعرف الأزمنة والأدوية ولا تتميز له السموم عن هذه بالفعل ، حتى يتقن معرفتها بعلاماتها ، لم يأمن ان يتناولها على انها داء او دواء ، من حيث لا يشعر ، فيتلف .

وأما على القصد الثاني فانه يكون قد اعطى كل صناعة من الصنائع الاربعة جميع ما تلتزم به تلك الصناعة ، حتى يدري الانسان اذا اراد ان يصير جدلياً بارعاً كم شيء يحتاج الى تعلمه ، ويدري بأي شيء يمتحن ، على نفسه او على غيره ، اقاويله . وليعلم هل سلك فيها طريق الجدل . ويدري اذا اراد ان يصير خطيباً بارعاً كم شيء يحتاج الى تعلمه ، ويدري بأي الاشياء يمتحن ، على نفسه او على غيره ، اقاويله ، ويعلم هل سلك في ذلك طريق الخطابة او اي طريق غيرها . وكذلك يدري اذا اراد ان يصير شاعراً بارعاً كم شيء يحتاج الى تعلمه ، ويدري بأي الاشياء يمتحن ، على نفسه او على غيره ، من الشعر ، ويدري هل سلك في اقاويله طريق الشعراء او عدل عنه وخلط به طريقاً غيره . وكذلك يدري اذا اراد ان تكون له القدرة على ان يغالط غيره ولا يغالطه احد ، كم شيء يحتاج الى ان يعلمه فيدري بأي الاشياء يمكن ان يمتحن كل قول ، وكل رأي ، فيعلم هل غالط فيه او غولط ، ومن اي جهة كان ذلك .

وصية ارسطوطاليس

قال بطليموس في كتابه الى غلس في سيرة ارسطوطاليس : ولما حضرت ارسطوطاليس الوفاة اوصى بهذه الوصية التي نحن ذاكروها قال :

« اني جعلت وصي ابدأ في جميع ما خلفت انطيطرس ، والى ان يُقدم نيقتر ، فليكن ارسطومانس وطيبارخس وابرخس ودیوطالس معتنين بتفقد ما يحتاج الى تفقده والعناية بما ينبغي ان يعنى به من امر أهلي واربلیس جاريتي وسائر جوارى وعبيدي وما خلفت ، وان سهل على ثاورسطس وامكنه القيام معهم في ذلك كان معهم ، ومتى ادركت ابنتي تولى امرها نيقتر ، وان حدث بها حدث الموت قبل ان تزوج او بعد ذلك من غير ان يكون لها ولد فالامر مردود الى نيقتر

في امرها وفي امر ابني نيقوماخس .

«وتوصيتي اياه في ذلك ان يجري التدبير فيما يعمل به في ذلك على ما يشتهي وما يليق به لو كان اباً او اخاً لها ، وان حدث نيقمار حدث الموت قبل ان تزوج ابنتي او بعد تزويجها من غير ان يكون لها ولد فأوصى نيقمار فيما خلفت بوصية فهي جائزة نافذة . وان مات نيقمار عن غير وصية وسهل على ثاوفرسطس وأحب ان يقوم في الامر مقامه ، فذلك له في جميع ما كان يقوم به نيقمار من امر ولدي وغير ذلك مما خلفت ، وان لم يحب ثاوفرسطس القيام بذلك فليرجع الاوصياء الذين سميت الى انطيطرس ، فيشارروه فيما يعملون به فيما خلفت ، ويمضوا الامر على ما يتفقون عليه . وليحفظني الاوصياء ونيقمار في أربليس فانها تستحق مني ذلك، لما رأيت من عنايتها بخدمتي واجتهادها فيما وافقني وتهيئوا لها جميع ما تحتاج اليه وان هي احبت التزويج فلا توضع إلا عند رجل فاضل . وليدفع اليها من الفضة ، سوى ما هو لها ، طالطن واحد وهو مائة وخمس وعشرون رطلاً ، ومن الاماء ثلاث من تختار مع جاريتها التي لها وغلماها ، وان هي احبت المقام بخلقيس فلها السكنى في داري دار الضيافة التي الى جانب البستان ، وان اختارت السكنى في المدينة باسطاغيرا فلتسكن في منازل آبائي ، واي المنازل اختارته فليتخذ الاوصياء لها فيه ما تذكر انها تحتاج اليه مما يرون ان لها فيه مصلحة وبها اليه حاجة .

«اما اهلي وولدي فلا حاجة بي الى ان اوصيهم بأمرهم. وليعن نيقمار بمقسط الغلام حتى يردده الى بلده، ومعه جميع ما له على الحالة التي يشتهيها . ولتعتق جاريتي امبراقيس ، وان هي بعد العتق اقامت على خدمة ابنتي الى ان تزوج فليدفع اليها خمسمائة درخمي وجاريتها . ويدفع الى ثاليس الصبية التي ملكناها قريباً غلام من ممالكنا والى درخمي ، ويدفع الى سمينس ثمن غلام يبتاعه لنفسه غير الغلام الذي كان دفع اليه بثمنه ، ويوهب له سوى ذلك شيء على ما يرى الاوصياء .

«ومتى تزوجت ابنتي فليعتق غلماي ثاخن وفيلن واوالبوس ، ولا يباع ابن اوالبوس ولا احد من خدمتي من غلماي ولكن يقرون بمالك في الخدمة الى ان يدركوا مدرك الرجال ، فاذا بلغوا ذلك فليعتقوا ويفعل بهم فيما يوجب لهم حسب استحقاقهم .

قال حنين بن اسحق في كتاب «نوادير الفلاسفة» : « اصل اجتماعات الفلاسفة انه كانت الملوك من اليونانية وغيرها تعلم اولادها الحكمة والفلسفة ، وتؤدبهم بأصناف الآداب وتتخذ لهم بيوت الذهب المصورة بأصناف الصور . وانما جعلت الصور لارتياح القلوب اليها واشتياق النظر الى رؤيتها . فكان الصبيان يلزمون بيوت الصور للتأديب بسبب الصور التي فيها ، وكذلك نقش اليهود هياكلها وصورت النصارى كنائسها وبيعها^(١) وزوق المسلمون مساجدهم . كل ذلك لترتاح النفوس اليها وتشغل القلوب بها . فاذا حفظ المتعلم من اولاد الملوك علماً او حكمة او ادباً صعد على درج الى مجلس

(١) المعبد للنصارى واليهود .

معمول من الرخام المصور المنقوش ، في يوم العيد الذي يجتمع فيه اهل المملكة الى ذلك البيت بعد انقضاء الصلاة والتبرك فيتكلّم بالحكمة التي حفظها وينطق بالأدب الذي وعاه على رؤوس الاشهاد في وسطهم ، وعليه التاج وحلل الجواهر . ويحيي المعلم ويكرم ويبر ، ويشرف الغلام . ويعد حكيماً على قدر ذكائه وفهمه . وتعظم الهياكل وتستمر ويشعل فيها النيران والشمع ، وتبخّر بالدخن الطيبة ، ويتزين الناس بأنواع الزينة . وبقي ذلك الى اليوم للصابئة والمجوس واليهود والنصارى اثباتات في الهياكل ، والمسلمين منابر في المساجد .

قال حنين بن اسحق : « وكان افلاطون المعلم الحكيم في زمن روفسطانيس الملك ، وكان اسم ابنه نطافورس . وكان ارسطوطاليس غلاماً يتيماً قد سميت به همتته الى خدمة افلاطون الحكيم ، فانتخب روفسطانيس الملك بيتاً للحكمة ، وفرشه لابنه نطافورس ، وأمر افلاطون ببلازمته وتعليمه . وكان نطافورس غلاماً متخلفاً قليل الفهم بطيء الحفظ . وكان ارسطوطاليس غلاماً ذكياً فهماً جاداً معبراً ، وكان افلاطون يعلم نطافورس الحكمة والاداب ، فكان ما يتعلمه اليوم ينساه غداً ولا يعبر حرفاً واحداً . وكان ارسطوطاليس يتلقف ما يلقي الى نطافورس فيحفظه ويرسخ في صدره ويعي ذلك سرّاً عن افلاطون ويحفظه . وافلاطون لا يعلم بذلك من سر ارسطوطاليس وضميره ، حتى اذا كان يوم العيد زين بيت الذهب وألبس نطافورس الحلى والحلل ، وحضر الملك روفسطانيس واهل المملكة ، وافلاطون وتلاميذه ، وانقضت الصلاة وصعد افلاطون الحكيم ونطافورس الى مرتبة الشرف ودراسة الحكم ، على الاشهاد والملوك ، فلم يؤد الغلام نطافورس شيئاً من الحكمة ولا نطق يحرف من الاداب ، فأسقط في يد افلاطون واعتذر الى الناس بأنه لم يمتحن علمه ولا عرف مقدار فهمه ، وانه كان واثقاً بحكمته وفطنته . ثم قال : « يا معشر التلامذة ! من فيكم يضطلع بحفظ شيء من الحكمة وينوب عن نطافورس ؟ » فبدر ارسطوطاليس فقال : انا ايها الحكيم ! فازدراه ولم يأذن له في الكلام . ثم اعاد القول على تلامذته ، فبدرهم ارسطوطاليس فقال : انا يا معلم الحكمة اضطلع بما ألقيت من الحكمة الى نطافورس . فقال له ارق ! فرقي ارسطوطاليس الدرج بغير زينة ولا استعداد في اثوابه الدنيئة المبتذلة ، فهدر كما يهدر الطير ، وأتى بأنواع الحكمة والادب الذي القاه افلاطون الى نطافورس ولم يترك منها حرفاً واحداً . فقال افلاطون : « ايها الملك هذه الحكمة التي لقنتها نطافورس قد وعاه ارسطوطاليس سرقة وحفظها سرّاً ، ما غادر منها حرفاً ، فما حيلتي في الرزق والحرمان » . وكان الملك في مثل ذلك اليوم يرشح ابنه للملك ويشرفه ويعلي مرتبته ، فأمر الملك باصطناع ارسطوطاليس ولم يرشح ابنه للملك . وانصرف الجميع في ذلك اليوم على استحسان ما اتى به ارسطوطاليس ، والتعجب من الرزق والحرمان .

مقالة ارسطوطاليس

قال حنين بن اسحق : هذا بعض ما وجدت من حكمة ارسطوطاليس في ذلك اليوم :

« لبارئنا التقديس والاعظام والاجلال والاكرام . ايها الاشهاد ، العلم موهبة الباري ، والحكمة عطية من يعطي ويمنع ويحيط ويرفع . والتفاضل في الدنيا والتفاخر في الحكمة التي هي روح الحياة وعمادة العقل الرباني العلوي .

« انا ارسطوطاليس بن فيلوبيس اليتيم خادم نطاפורس ابن الملك العظيم ، حفظت ووعيت ، والتسبيح والتقديس لمعلم الصواب ومسبب الاسباب ايها الاشهاد ، بالعقول تتفاضل الناس لا بالاصول :

وعيت عن افلاطون الحكيم : « الحكمة رأس العلوم » والاداب تلقيح الافهام ونتائج الازهان . وبالفكر الثاقب يدرك الرأي العازب ^(١) ، وبالتالي تسهل المطالب ، وبلين الكلم تدوم المودة في الصدور . وبخفض الجناح تتم الأمور ، وبسعة الاخلاق يطيب العيش ويكمل السرور . وبحسن الصمت جلالة الهيبة ، وباصابة المنطق يعظم القدر ويرتقي الشرف ، وبالانصاف يحب التواصل ، وبالتواضع تكثر المحبة ، وبالعفاف تزكو الاعمال ، وبالافضال يكون السؤدد ، وبالعادل يقهر العدو ، وبالحكم تكثر الانصار ، وبالرفق تستخدم القلوب ، وبالايثار ^(٢) يستوجب اسم الجود ، وبالانعام يستحق اسم الكرم ، وبالوفاء يدوم الاخاء ، وبالصدق يتم الفضل وبحسن الاعتبار تضرب الامثال ، والايام تقيد الحكم : يستوجب الزيادة من عرف نقص الدنيا ، ومن الساعات تتولد الآفات ، وبالعافية يوجد طيب الطعام والشراب ، وبحلول المكارة يتنغص العيش وتتقدر النعم ، وبالن ^(٣) يكفر بالاحسان ، وبالجحد ^(٤) للانعام يجب الحرمان .

« صديق الملول زائل عنه ، السيء الخلق مخاطر صاحبه ، الضيق الباع حسير ^(٥) النظر ، البخيل ذليل وان كان غنياً ، والجواد عزيز وان كان مقلًا . الطمع هو الفقر الحاضر ، اليأس الغنى الظاهر . لا أدري نصف العلم . السرعة في الجواب توجب العثار ، التروي في الامور يبعث على البصائر ، الرياضة تشخذ القريحة ، الادب يغني عن الحساب . التقوى شعار العالم ، والرياء لبوس الجاهل . مقاساة الاحق عذاب الروح . الاستهتار بالنساء فعل الفوقي ^(٦) . الاشتغال بالفائت تضيع الاوقات . المتعرض للبلاء مخاطر بنفسه ، التمني سبب الحسرة ، الصبر تأييد العزم وثمرة الفرج وتمحيق الهنة . صديق الجاهل مغرور ، المخاطر خائب ، من عرف نفسه لم يضع بين الناس . من زاد علمه على عقله كان علمه وبالا عليه . المحرب احكم من الطبيب . اذا فاتك الادب فالزم الصمت .

« من لم ينفعه العلم يأمن ضرر الجهل . من تأنى لم يندم ، من افتخر ارقطم ، من عجل تورط ،

(١) البعيد والحفي .

(٢) التفضيل والاختيار .

(٣) ذكر النعمة بما يقطع شكرها .

(٤) الكفر بالنعمة

(٥) ضعيف .

(٦) واحدها الافوك وهو الاحق

من تفكر سلم ومن روى غم ، من سأل علم ، من حمل ما لا يطيق ارتبك . التجارب ليس لها غاية ،
والعاقل منها في زيادة ، للعادة على كل احد سلطان . وكل شيء يستطاع نقله الا الطباع ، وكل شيء
يتشبه فيه حيلة الا القضاء . من عرف بالحكمة لحظته العيون بالوقار . قد يكتفى من حظ البلاغة
بالإيجاز . لا يؤتى ^(١) الناطق الا من سوء فهم السامع . ومن وجد برد اليقين أغناه عن المنازعة في
السؤال ، ومن عدم درك ذلك كان مغموراً بالجهل ، ومفتوناً بمعجب الرأي ، ومعدولاً بالهوى عن
باب الثبوت ، ومصرفاً بسوء العادة عن تفصيل التعليم . الجزع ^(٢) عند مصائب الاخوان احد من
الصبر ، وصبر المراء على مصيبتيه أحد من جزعه . ليس شيء أقرب الى تغيير النعم من الإقامة على
الظلم . من طلب خدمة السلطان بغير ادب ، خرج من السلامة الى العطب ^(٣) . الارتقاء الى السؤدد
صعب ، والانحطاط الى الدناءة سهل .

قال حنين بن اسحق : « وهذا الصنف من الآداب اول ما يعلمه الحكيم للتلميذ في أول سنة مع
الخط اليوناني ، ثم يرفعه من ذلك الى الشعر والنحو ، ثم الى الحساب ، ثم الى الهندسة ، ثم الى
النجوم ، ثم الى الطب ، ثم الى الموسيقى ، ثم بعد ذلك يرقى الى المنطق ، ثم الفلسفة ، وهي علوم
الآثار العالوية ، فهذه عشرة علوم يتعلمها المتعلم في عشر سنين .

فلما رأى افلاطون الحكيم حفظ ارسطوطاليس لما كان يلقي الى نطاפורس وتأديبه اياه كما القاه
سره حفظه وطبعه ، ورأى الملك قد امر باصطناعه فاصطنعه هو واقبل عليه ، وعلمه علماً علماً ،
حتى وعى العلوم العشرة ، وصار فيلسوفاً حكيماً جامعاً لما تقدم ذكره .

أقول : « ومن كلام أرسطوطاليس وهو اصل يعتمد عليه في الصحة : « عجب لمن يشرب ماء
الكرم ، ويأكل الخبز واللحم ، ويقتصد في حركته وسكونه ونومه ويقظته ، وأحسن السياسة في
جماعة وتعديل مزاجه كيف يمرض ؟ » .

آداب ارسطوطاليس

ومن آداب ارسطوطاليس وكلماته الحكيمة بما ذكره الامير المبشر بن فاتك قال أرسطوطاليس :
اعلم انه ليس شيء أصلح من أولي الأمر اذا صلحوا ، ولا أفسد لهم ولأنفسهم منهم اذا فسدوا .
فالوالي من الرعية بمنزلة الروح من الجسد الذي لا حياة له إلا بها .
وقال : احذر الحرص ، فأما ما هو مصلحك ومصلح على يدك فالزهد ، واعلم ان الزهد باليقين ،

(١) أتى ؛ هي وتغير عليه حسه فتوم غير الصحيح صحيحاً .

(٢) ضد الصبر ، وهو الضعف عما نزل بك

(٣) الهلاك

واليقين بالصبر ، والطبيب بالفكر ؛ فاذا فكرت في الدنيا لم تجدها أهلاً لأن تكرمها يهوان الآخرة ، لان الدنيا دار بلاء ومنزل بلغة ^(١) .

وقال : « اذا اردت الغنى فاطلبه بالقناعة ، فانه من لم تكن له القناعة فليس المال مغنيه وان كثرة . وقال : « اعلم ان من علامة تنقل الدنيا وكدر عيشها انه لا يصلح منها جانب الا بفساد جانب آخر ، ولا سبيل لصاحبها الى عز الا باذلال ، ولا استغناء الا بافتقار . واعلم انها ربما اصبحت بغير حزم في الرأي ولا فضل في الدين ، فان اصبحت حاجتك منها وانت غطىء ، أو أدبرت عنك وانت مصيب ، فلا يستخفك ^(٢) ذلك الى معاودة الخطأ ومجانبة ^(٣) الصواب .

وقال : « لا تبطل عمراً في غير نفع ، ولا تضع لك مالا في غير حق ، ولا تصرف لك قوة في غير عناء ، ولا تعدل لك رأياً في غير رشد ^(٤) ؛ فعليك بالحفظ لما أتيت من ذلك والجدة فيه ، وخاصة في العمر الذي كل شيء مستفاد سواه ؛ وان كان لا بد لك من اشغال نفسك بلذة فلتكن في محادثة العلماء ودرس كتب الحكمة .

وقال : « اعلم انه ليس من احد يخلو من عيب ولا من حسنة ، فلا يمنعك عيب رجل من الاستعانة به فيما لا نقص به . ولا يحملنك ما في رجل من الحسنات على الاستعانة به فيما لا معونة عنده عليه . واعلم ان كثرة اعوان السوء أضر عليك من فقد اعوان الصديق .

وقال : « العدل ميزان الله عز وجل في أرضه ، وبه يؤخذ للضعيف من القوي ، وللمعوق من المبطل . فمن ازال ميزان الله عما وضعه بين عباده فقد جهل اعظم الجهالة ، واعتز بالله سبحانه اشد اعتزازاً .

وقال : « العالم يعرف الجاهل لانه كان جاهلاً ، والجاهل لا يعرف العالم لانه لم يكن عالماً .

وقال : « ليس طلبة العلم طمعاً في بلوغ قاصيته ، ولا الاستيلاء على غايته ، ولكن التماساً لما لا يسع جهله ولا يحسن بالعاقل خلافه .

وقال : « اطلب الغنى الذي لا يفنى ^(٥) ، والحياة التي لا تتغير ، والملك الذي لا يزول ، والبقاء الذي لا يضمحل ^(٦) .

وقال : « أصلح نفسك لنفسك يكن الناس تبعاً لك .

وقال : « كن رؤوفاً رحيماً ، ولا تكن رأفتك ورحمتك فساداً لمن يستحق العقوبة ويصلحه الادب .

وقال : « خذ نفسك باثبات السنة فان فيها اكمال التقى ، وقال : « افترض ^(٧) من عدوك الفرصة

(١) الكفاية (٢) استغز (٣) التباعد عن الشيء .

(٤) الاستقامة على طريق الحق مع صلابة فيه .

(٥) لا يهلك (٦) لا يتلاشى (٧) انتهر .

واعمل على ان الدهر دول ^(١) . وقال : « لا تصادم من كان على الحق ، ولا تحارب من كان متمسكاً بالدين .

وقال : « صير الدين موضع ملكك ، فمن خالفه فهو عدو للملك ، ومن تمسك بالسنة فحرام عليك ذمه وادخال المذلة عليه ، واعتبر بمن مضى ولا تكن عبرة لمن بعدك .

وقال : « لا فخر فيما يزول ، ولا غنى فيما لا يثبت . وقال : « عامل الضعيف من اعدائك على انه اقوى منك ، وتفقد جندك تفقد من قد نزلت به الآفة واضطرته الى مدافعتهم ^(٢) .

وقال : « دار الرعية مداراة من قد انتهكت عليه مملكته وكثرت عليه اعداؤه . وقال : قدم اهل الدين والصلاح والامانة على انك تنال بذلك في العاقبة الفوز وتزني به في الدنيا . وقال : « اقم اهل الفجور على انك تصلح دينك ورعيتك بذلك .

وقال : « لا تغفل فان الغفلة تورث الندامة ، وقال . « لا ترج السلامة لنفسك حتى يسلم الناس من جورك ؟ ولا تعاقب غيرك على امر ترخص فيه لنفسك واعتبر بمن تقدم واحفظ ما مضى ، والزم الصحة يلزمك النصر .

وقال : الصدق قوام امر الخلائق ، والكذب داء لا ينجو من نزل به . ومن جعل الاجل امامه اصلح نفسه ، ومن وسخ نفسه ابغضته خاصته .

وقال : « لن يسود من يتبع العيوب الباطنة من اخوانه من تجبر على الناس ذلته . من أفرط في اللوم كره الناس حياته . من مات محموداً كان احسن حالاً من عاش مذموماً . من نازع السلطان مات قبل يومه . أي ملك نازع السوقة ^(٣) هُتِكَ شرفه . أي ملك تطنف ^(٤) الى المحقرات فالمرت اكرم له .

وقال : « من اسرف في حب الدنيا مات فقيراً ، ومن قنع مات غنياً . من اسرف في الشراب فهو من السفلى . من مات قل حساده .

وقال : « الحكمة شرف من لا قديم له . الطمع يورث الذلة التي لا تستقال ^(٥) . اللوم يهدم الشرف ويعرض النفس للتلف . سوء الادب يهدم ما بناه الاسلاف . الجهل سر الاصحاب . بذل الوجه الى الناس هو الموت الاصفر . ينبغي للمدبر ان لا يتخذ الرعية مالاً وقنية ، ولكن يتخذهم اهلاً واخواناً ، ولا يرغب في الكرامة التي ينالها من العامة كرهاً ولكن في التي يستحقها بحسن الاثر وصواب التدبير . «

(١) اي لاثبات فيه ولا قرار.

(٢) مقاربتهم ودفاعهم .

(٣) الرعية من الناس .

(٤) هفا .

(٥) لا يمكن النهوض والخلاص منها .

وكتب الى الاسكندر في وصاياه له : « ان الاردياء ينقادون بالخوف ، والاخياري ينقادون بالحياء ، فيزين الطيبين ، واستعمل في اولئك الغلظة والبطش ، وفي هؤلاء الافضال والاحسان » . وقال ايضاً : « ليكن غضبك امراً بين المنزلتين ، لا شديداً قاسياً ولا فاتراً ضعيفاً ، فان ذلك من اخلاق السباع وهذا من اخلاق الصبيان » .

وكتب اليه ايضاً : « ان الامور التي يشرف بها الملوك ثلاثة : سن السنن الجميلة ، وفتح الفتوح المذكورة ، وعمارة البلدان المعطلة » .

وقال : « اختصار الكلام طي المعاني . رغبتك فيمن يزهد فيك ذل نفس ، وزهدك فيمن يرغب فيك قصر مهمة . النسيمة تهدي الى القلوب البغضاء . من واجهك فقد شتمك ، ومن نقل اليك نقل عنك . الجاهل عدو لنفسه فكيف يكون صديقاً لغيره . السعيد من اتعظ بغيره » .

وقال لاصحابه : « لتكن عنايتكم في رياضة انفسكم ، فأما الابدان فاعتنوا بها لما يدعو اليه الاضطراب ، واهربوا من اللذات فانها تسترق النفوس الضعيفة ، ولا قوة بها على القوية » .

وقال : « انا لنحب الحق ونحب افلاطون فاذا افترقا فالحق أولى بالحب . الوفاء نتيجة الكرم لسان الجاهل مفتاح حتفه . الحاجة تفتح باب الحيلة . الصمت خير من عجز المنطق . بالأفضال تعظم الاقدار . بالتواضع تتم النعمة . باحتمال المؤمن يجب السؤدد . بالسيرة العادلة تقل المساوىء . بترك ما لا يعنيك يتم لك الفضل . بالسعادات تنشأ المكاره » .

ونظر الى حدّث يتهاون بالعلم فقال له : « انك إن لم تصبر على تعب العلم صبرت على شقاء الجاهل » . وسعى اليه تلميذ له بآخر فقال له : « أتحب ان تقبل قولك فيه ، على انا نقبل قوله فيك ؟ قال : لا . قال : فكف عن الشر يكف عنك » .

ورأى انساناً ناقهاً^(١) يكثر من الاكل وهو يرى انه تقوية ، فقال له : « يا هذا ليس زيادة القوة بكثرة ما يرد البدن من الغذاء ، ولكن بكثرة ما يقبل منه » . وقال : « كفى بالتجارب تأدباً وبقلب الايام عظة » .

وقيل لارسطوطاليس : ما الشيء الذي لا ينبغي ان يقال وان كان حقاً ؟ فقال : مدح الانسان نفسه » .

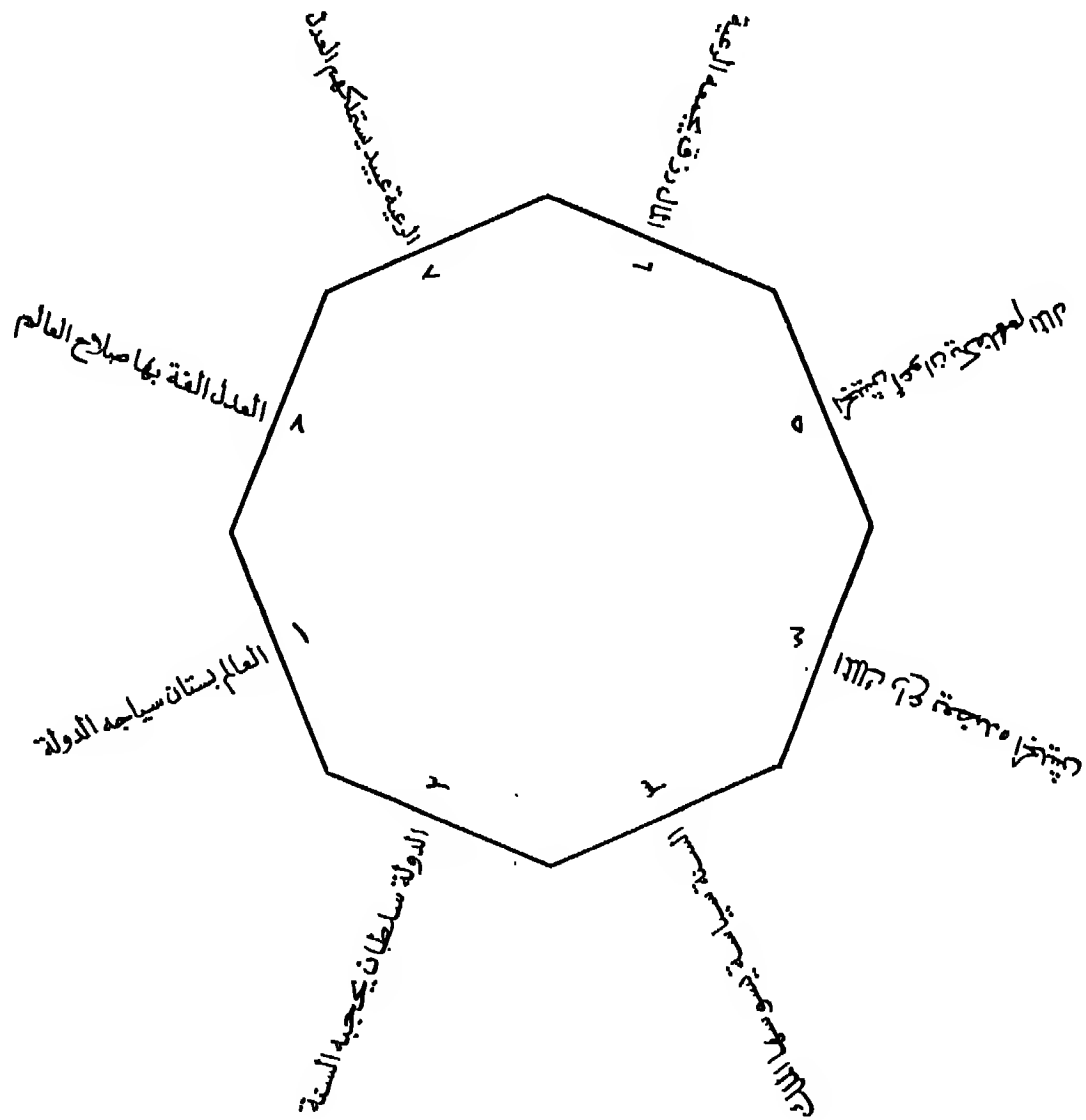
وقيل له : لم حفظت الحكماء المال ؟ فقال : « لئلا يقيموا انفسهم بحيث لا يستحقونه من المقام » .

وقال : « امتحن المرء في وقت غضبه لا في وقت رضاه ، وفي حين قدرته لا في حين ذلته » .

وقال : « رضى الناس غاية لا تدرك ، فلا تكره سخط من رضاه الجور » .

(١) اي شاف من مرض وبه ضعف .

- وقال : « شَرُفَ الانسان على جميع الحيوان بالنطق والذهن ، فان سكت ولم يفهم عاد بهيمياً » .
- وقال : « لا تكثروا من الشراب فيغير عقولكم ويفسد افهامكم » .
- وأعاد على تلميذه له مسألة فقال له : أفهمت ؟ قال التلميذ : نعم . قال : لا ارى آثار الفهم عليك . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لا اراك مسروراً ، والدليل على الفهم السرور » .
- وقال : « خير الاشياء اجدها^(٢) إلا المودات فان خيرها اقدمها » .
- وقال : « لكل شيء خاصة ، وخاصة العقل حسن الاختيار » .
- وقال : « لا يلام الانسان في ترك الجواب اذا سئل حتى يتبين ان السائل قد احسن السؤال ؛ لان حسن السؤال سبيل وعلة الى حسن الجواب » .
- وقال : « كلام المعجلة موكل به الزلل » .
- وقال : « انما يحمل المرء على ترك ابتغاء ما لم يعلم قلة انتفاعه بما قد علم » .
- وقال : « من ذاق حلاوة عمل صبر على مرارة طريقه ؛ ومن وجد منفعة علم عنى بالتزيد فيه » .
- وقال : « دفع الشر بالشر جلد ، ودفع الشر بالخير فضيلة » .
- وقال : « ليكن ما تكتب من خير ما يقرأ وما تحفظ من خير ما يكتب » .
- وكتب الى الاسكندر : « اذا أعطاك الله ما تحب من الظفر فافعل ما أحب من العفو » .
- وقال : لا يوجد الفخور محموداً ، ولا الغضوب مسروراً ، ولا الكريم حسوداً ، ولا الشره غنياً ، ولا الملول دائم الاخاء ، ولا مفتتح يعجل الاخاء ثم يندم .
- وقال : انما غلبت الشهوة على الرأي في اكثر الناس ؛ لان الشهوة معهم من لدن الصبا ، والرأي انما يأتي عند تكاملهم ، فإنهم بالشهوة لقدم الصبغة اكثر من أنسههم بالرأي ، لانه فيهم كالرجل الغريب .
- ولما فرغ من تعليم الاسكندر دعا به فسأله عن مسائل في سياسة العامة والخاصة ، فاحسن الجواب عنها فناله بغاية ما كره من الضرب والأذى . فسئل عن هذا الفعل فقال : هذا غلام يرشح للملك ، فأردت ان أذيقه طعم الظلم ليكون رادعاً له عن ظلم الناس .
- وامر أرسطوطاليس عند موته ان يدفن ويبنى عليه بيت مئمن يكتب في جملة جهاته ثمان كلمات جامعات لجميع الامور التي بها مصلحة الناس ، وتلك الكلم الثمان هي هذه على هذا المثال :



كتب ارسطوطاليس

ولارسطوطاليس من الكتب المشهورة بما ذكره بطليموس .

كتاب يحض فيه على الفلسفة ، ثلاث مقالات . كتاب سوفسطس ، مقالة ؛ كتاب في صناعة
الريطوري ، ثلاث مقالات . كتاب في العدل ، اربع مقالات ، كتاب في الرياضة والادب المصلحين

حالات الانسان في نفسه ، أربع مقالات . كتاب في شرف الجنس ، خمس مقالات ، كتاب في الشعراء ، ثلاث مقالات . كتاب في الملل ، ست مقالات . كتاب في الخير ، خمس مقالات . كتاب ارخوطس ، ثلاث مقالات . كتاب في الخطوط هل هي منقسمة ام لا ، ثلاث مقالات . كتاب في صفة العدل ، أربع مقالات . كتاب في التباين والاختلاف ، أربع مقالات . كتاب في العشق ، ثلاث مقالات . كتاب في الصور هل لها وجود ام لا ، ثلاث مقالات . كتاب في اختصار قول فلاطن ، مقالتان . كتاب في اختصار اقاوليل فلاطن في تدبير المدن ، خمس مقالات . كتاب في اختصار قول فلاطن في اللذة في كتابه في السياسة ، مقالتان . كتاب في اللذة ، مقالتان . كتاب في الحركات ، ثمان مقالات . كتاب في المسائل الحيلية ، مقالتان . كتاب في صناعة الشعر على مذهب فيثاغورس ، مقالتان . كتاب في الروح ، ثلاث مقالات . كتاب في المسائل ، ثلاث مقالات . كتاب في نيل مصر ، ثلاث مقالات . كتاب في اتخاذ الحيوانات المواضع ليأوي فيها ويكمن ، مقالة . كتاب في جوامع الصناعات ، مقالة . كتاب في الحجة ، ثلاث مقالات . كتاب قاطيغورياس ، مقالة . كتاب ارمينياس ، مقالة . كتاب طوبيقا ، ثمان مقالات . كتاب أنولوطيقا وهو القياس ، مقالتان . كتاب أفودقطيكا وهو البرهان ، مقالتان . كتاب في السوفسطائية ، مقالة . كتاب في المقالات الكبار في الاخلاق ، مقالتان . كتاب في المقالات الصغار في الاخلاق الى أوديس ، ثمان مقالات . كتاب في تدبير المدن ، ثمان مقالات . كتاب في صناعة الشعر . كتاب في سمع الكيان ، ثمان مقالات . كتاب في السماء والتالم ، أربع مقالات . كتاب في الكون والفساد ، مقالتان . كتاب في الآثار العلوية ، أربع مقالات . كتاب في النفس ، ثلاث مقالات . كتاب في الحس والمحسوس ، مقالة . كتاب في الذكر والنوم ، مقالة . كتاب في حركة الحيوانات وتشريحها ، سبع مقالات . كتاب في طبائع الحيوان ، عشر مقالات . كتاب في الاعضاء التي بها الحياة ، أربع مقالات . كتاب في كون الحيوان ، خمس مقالات . كتاب في حركات الحيوانات الكائنة على الارض ، مقالة . كتاب في طول العمر وقصره ، مقالة . كتاب في الحياة والموت ، مقالة . كتاب في النبات ، مقالتان . كتاب فيما بعد الطبيعة ، ثلاث عشرة مقالة . كتاب في مسائل هيولانية ، مقالة . كتاب في مسائل طبيعية ، أربع مقالات . كتاب في القسم ، ست وعشرون مقالة ، ويذكر في هذا الكتاب اقسام الزمان واقسام النفس والشهوة وأمر الفاعل والمنفعل والفعل والمجبة ، وانواع الحيوان ، وأمر الخير والشر والحركات وانواع الموجودات .

كتاب في قسم فلاطن ، ست مقالات . كتاب في قسمة الشروط التي تشتط في القول وتوضع ، ثلاث مقالات . كتاب في مناقضة من يزعم بأن تؤخذ مقدمات النقيض من نفس القول ، تسع وثلاثون مقالة . كتاب في النفي يسمى ايسطاسس ، ثلاث عشرة مقالة . كتاب في الموضوعات ، أربع وثلاثون مقالة . كتاب في موضوعات عشقية ، مقالة . كتاب في الحدود ست عشرة مقالة ، كتاب في الأشياء التحديدية ، أربع مقالات . كتاب في تحديد طوبيقا ، مقالة . كتاب في تقويم حدود طوبيقا ، ثلاث مقالات ، كتاب في موضوعات تقوم بها الحدود ، مقالتان . كتاب في مناقضة الحدود ، مقالتان ،

كتاب في صناعة التحديد التي استعملها ثاوفرسطس لالوطيقا الاولى، مقالة . كتاب في تقويم التحديد، مقالتان ، كتاب في مسائل ، ثمان وستون مقالة . كتاب في مقدمات المسائل ، ثلاث مقالات ، كتاب في المسائل الدورية التي يستعملها المتعلمون ، اربع مقالات ، كتاب في الوصايا اربع مقالات ، كتاب في التذكريات مقالتان . كتاب في الطب ، خمس مقالات ، كتاب في تدبير الغذاء ، مقالة ، كتاب في الفلاحة ، عشر مقالات . كتاب في الرطوبات ، مقالة ، كتاب في النبض ، مقالة ، كتاب في الأعراض العامية ، ثلاث مقالات ، كتاب في الآثار العلوية مقالتان . كتاب في تناسل الحيوان ، مقالتان ، كتاب آخر في تناسل الحيوانات ، مقالتان . كتاب في المقدمات ثلاث وعشرون مقالة كتاب آخر في مقدمات آخر ، سبع مقالات . كتاب في سياسة المدن وعدد الأمم ، ذكر فيه مائة واحد وسبعين مدينة كبيرة . كتاب في تذكرات عدة ، ست عشرة مقالة ، كتاب آخر في مثل ذلك ، مقالة . كتاب في المناقضات ، كتاب في المضاف ، مقالة ، كتاب في الزمان ، مقالة . كتبه التي وجدت في خزانة ابلقون ، عدة مقالات . كتابه في تذكرات آخر ، كتاب كبير مجموع فيه عدة رسائل ، ثمانية اجزاء . كتاب في سير المدن ، مقالتان ، رسائل وجردها أندرونيقوس في عشرين جزء كتب فيها عدة تذكرات ، عددها وأسمائها في كتاب اندرونيقوس في فهرست كتب ارسطو . كتاب في مسائل من عويص شعر أوميرس في عشرة اجزاء . كتاب في مغالي مليحة من الطب .

قال بطليموس : فهذه جملة ما شاهدت له من الكتب . وقد شاهد غيري كتباً آخر عدة .

أقول : ولأرسطوطاليس ايضاً من الكتب بما وجدت كثيراً منها غير الكتب التي شاهدها بطليموس كتاب الفراسة ، كتاب السياسة المدنية . كتاب السياسة العملية . مسائل في الشراب ، شراب الخمر والسكر ، وهي اثنتان وعشرون مسألة . كتاب في التوحيد على مذهب سقراط . كتاب الشباب والهرم ، كتاب الصحة والسقم . كتاب في الأعداء . كتاب في الباه ، رسائله الى ابنه ، وصيته الى نيقانر كتاب الحركة ، كتاب فضل النفس ، كتاب في العظم الذي لا يتجزأ ، كتاب التنقل ، رسالته الذهبية ، رسالة الى الاسكندر في تدبير الملك ، كتاب الكنايات والطبيعات . كتاب في علل النجوم . كتاب الانواء . رسالة في اليقظة . كتاب نعت الاحجار ومنافعها والسبب في خلق الاجرام السماوية . كتاب الى الاسكندر في الروحانيات واعمالها في الاقاليم ، كتاب الاسماطاليس الى الاسكندر . رسالة في طبائع العالم الى الاسكندر . كتاب الاصططاحيس ، وضعه حين اراد الخروج الى بلد الروم ، كتاب الحيل ، كتاب المرأة ، كتاب القول على الربوبية . كتاب المسائل الطبيعية ويعرف ايضاً بكتاب ما بال سبع عشرة مقالة ، كتاب ماطافوسيقا ، وهو كتاب ما بعد الطبيعة ، اثنتا عشرة مقالة ، كتاب الحيوان ، تسع عشرة مقالة ، كتاب نعت الحيوانات الغير ناطقة وما فيها من المنافع والمضار وغير ذلك . كتاب ايضاح الحيز المحض ، كتاب الملاطيس ، كتاب في نفث الدم . كتاب المعادن كتاب اليتيم وهو كتاب الغالب والمغلوب والطالب والمطلوب ألفه للاسكندر الملك ، كتاب اسرار النجوم .

ثاوفرسطس

احد تلاميذ أرسطوطاليس وابن خالته ؛ واحد الاوصياء الذين وصى اليهم ارسطوطاليس وخلفه على دار التعليم بعد وفاته .

ولثاوفرسطس من الكتب :

كتاب النفس ، مقالة . كتاب الآثار العلوية ، مقالة . كتاب الأدلة ، مقالة . كتاب الحس او المحسوس ، اربع مقالات . كتاب ما بعد الطبيعة ، مقالة . كتاب اسباب النبات تفسير كتاب قاطيغورياس ، وقيل انه متحول اليه . كتاب الى دمقراط في التوحيد . كتاب في المسائل الطبيعية .

الاسكندر الافروديسي الدمشقي

كان في ايام ملوك الطوائف بعد الاسكندر الملك ، ورأى جالينوس واجتمع معه . وكان يلقب جالينوس رأس البغل ، وبينها مشاغبات ومخاصمات .

وكان فيلسوفاً متقناً للعلوم الحكيمة بارعاً في العلم الطبيعى ، وله مجلس عام يدرس فيه الحكمة وقد فسر اكثر كتب ارسطوطاليس . وتفاسيره مرغوب فيها مفيدة للاشتغال بها .

قال ابو زكريا يحيى بن عدي : « ان شرح الاسكندر للسمع كله وكتاب البرهان ، رأيت في تركة ابراهيم بن عبدالله الناقل النصراني ، وان الشرحين عرضاه علي بمائة دينار وعشرين ديناراً ، فمضيت لاحتال في الدنانير ، ثم عدت فأصبت القوم قد باعوا الشرحين في جملة كتب الى رجل خراساني بثلاثة آلاف دينار . » وقيل ان هذه الكتب كانت تحمل في الكم . وقال ابو زكريا انه التمس من ابراهيم بن عبدالله نص سوفسطيقا ، ونص الخطابة ، ونص الشعر ، بنقل اسحق بنخمين ديناراً فلم يبعه ، واحرقها وقت وفاته .

وللأسكندر الافروديسي من الكتب : تفسير كتاب قاطيغورياس لأرسطوطاليس . تفسير كتاب ارمينياس لأرسطوطاليس . تفسير كتاب اثالوطيقا الثانية لأرسطوطاليس . تفسير كتاب طوييقا لأرسطوطاليس والذي وجده من تفسيره لهذا الكتاب تفسير بعض المقالة الاولى ، وتفسير المقالة الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة . تفسير كتاب السماع الطبيعى لأرسطوطاليس . تفسير بعض المقالة الاولى من كتاب السماء والعالم لأرسطوطاليس . تفسير كتاب الكون والفساد لأرسطوطاليس . تفسير كتاب الآثار العلوية لأرسطوطاليس . كتاب النفس ، مقالة في عكس المقدمات . مقالة في العناية . مقالة في الفرق بين الهولي والجنس . مقالة في الرد على من قال انه لا يكون شيء إلا من شيء . مقالة في

ان الابصار لا يكون بشعاعات تنبث^(١) من العين ، والرد على من قال باننبثا الشعاع . مقالة في اللون وأي شيء هو على رأي الفيلسوف . مقالة في الفصل خاصة ما هو على رأي ارسطوطاليس . مقالة في المايلجوليا . مقالة في الاجناس والانواع . مقالة في الرد على جالينوس في المقالة الثامنة من كتابه في البرهان . مقالة في الرد على جالينوس فيما طعن على قول ارسطوطاليس ان كل ما يتحرك فانما يتحرك عن محرك . مقالة في الرد على جالينوس في مادة الممكن . مقالة في الفصول التي تقسم بها الاجسام . مقالة في العقل على رأي ارسطوطاليس . رسالة في العالم وأي اجزائه تحتاج في ثباتها ودوامها الى تدبير اجزاء اخرى . كتاب في التوحيد . مقالة في القول في مبادئ الكل على رأي ارسطوطاليس . كتاب آراء الفلاسفة في التوحيد . مقالة في حدوث الصور لا من شيء . مقالة في قوام الامور العامة . مقالة في تفسير ما قاله ارسطوطاليس في طريق القسمة على رأي افلاطون . مقالة في ان الكيفيات ليست اجساماً . مقالة في الاستطاعة . مقالة في الاضداد وانها اوائل الاشياء على رأي ارسطوطاليس . مقالة في الزمان . مقالة في الهوى وانها معلولة مفعولة . مقالة في ان القوة الواحدة تقبل الاضداد جميعاً على رأي ارسطوطاليس . مقالة في الفرق بين المادة والجنس . مقالة في المادة والعدم والكون ، وحل مسألة الناس من القدماء ابطالوا بها الكون من كتاب ارسطوطاليس في سمع الكيان . مقالة في الامور العامة والكلية وانها ليست اعياناً قائمة . مقالة في الرد على من زعم ان الاجناس مركبة من الصور اذ كانت الصور تنفصل منها . مقالة في ان الفصول التي بها ينقسم جنس من الاجناس ليس واجب ضرورة ان تكون انما توجد في ذلك الجنس وحده الذي اياه تقسم ، بل قد يمكن ان يقسم بها اجناساً اكثر من واحد ليس بعضها مرتباً تحت بعض . مقالة فيما استخرجه من كتاب ارسطوطاليس الذي يدعى بالرومية ثولوجيا ، ومعناه الكلام في توحيد الله تعالى . رسالة في ان كل علة مباينة فهي في جميع الاشياء وليست في شيء من الاشياء . مقالة في اثبات الصور الروحانية التي لا هيولى لها . مقالة في العلل التي تحدث في فم المعدة . مقالة في الجنس . مقالة تتضمن فصلاً من المقالة الثانية من كتاب ارسطوطاليس في النفس . رسالة في القوة الآتية من حركة الجرم الشريف الى الاجرام الواقعة تحت الكون والفساد .

(١) تنتشر وتنفرق .

الباب الخامس

طبقات الأطباء الذين كانوا منذ زمان جالينوس وقريباً منه

جالينوس

ولنضع اولاً كلاماً كلياً في اخبار جالينوس وما كان عليه ، ثم نلحق بعد ذلك معه جملاً من ذكر
الاطباء الذين كانوا منذ زمانه وقريباً من وقته فنقول :

« ان الذي قد عُلم من حال جالينوس واشتهرت به المعرفة عند الخاص والعام في كثير من الامم انه
كان خاتم الاطباء الكبار المعلمين وهو الثامن منهم ، وانه ليس يدانيه أحد في صناعة الطب فضلاً عن
ان يساويه . وذلك لانه عندما ظهر وجد صناعة الطب قد كثرت فيها اقوال الاطباء السوفسطائيين
وانمحت محاسنها . فانتدب لذلك ، وابطل آراء اولئك ، وابعد وشيد كلام أبقراط وآراءه وآراء
التابعين له ونصر ذلك بحسب امكانه ، وصنف في ذلك كتباً كثيرة كشف فيها عن مكنون هذه
الصناعة ، ، وافصح عن حقائقها ونصر القول الحق فيها . ولم يحيى بعده من الاطباء الا من هو دون
منزلته ومتعلم منه .

« وكانت مدة حياة جالينوس سبعا وثمانين سنة منها صبي ومتعلم سبع عشرة سنة ، وعالم معلم
سبعين سنة .

وهذا على ما ذكره يحيى النحوي .

وكذلك تقسيم عمر كل واحد من تقدم ذكره من سائر الاطباء الكبار المعلمين الى وقته تعلمه وتعليمه

فإنه من قول يحيى النحوي . وقوله هذا يجب ان ينظر فيه وذلك انه لا يمكن ان تنحصر معرفته كما ذكر ، فإن القياس يوجب ان البعض من ذلك غير ممكن واحده ما ذكره هنا عن جالينوس انه كان صبياً ومتعلماً سبع عشرة سنة ، وعالمًا معلمًا سبعين سنة . ولو لم يكن التتبع على قوله هذا الا بما قد ذكره جالينوس نفسه . واتباع قول مثل جالينوس عن نفسه اولى من اتباع قول غيره عنه . وهذا نص ما ذكره جالينوس في كتابه مراتب قراءة كتبه قال :

« ان ابي لم يزل يؤدبني بما كان يحسنه من علم الهندسة والحساب والرياضيات التي تؤدب بها الاحداث حتى انتهيت من السن الى خمس عشرة سنة ، ثم انه أسلمني في تعليم المنطق وقصد بي حينئذ في تعليم الفلسفة وحدها فرأى رؤيا دعتني الى تعليم الطب فأسلمني في تعليم الطب وقد أقت علي من السنين سبع عشرة سنة . »

واذا كان هذا ، فقد تبين من قول جالينوس خلاف ما ذكر عنه . ولا يبعد ان يكون الكلام في الذين ذكرهم من قبل جالينوس ايضاً مثل هذا .

وكانت منذ وقت وفاة ابقراط والى ظهور جالينوس مئاة سنة وخمس وستون سنة . ويكون من وقت مولد اسقليبيوس الاول ، على ما ذكره يحيى النحوي ، الى وقت وفاة جالينوس خمسة آلاف سنة وخمسة سنة وستتان .

وذكر اسحق بن حنين ان من وقت وفاة جالينوس الى سنة الهجرة خمسمائة سنة وخمسة وعشرين سنة .

اقول : « وكان مولد جالينوس بعد زمان المسيح بتسع وخمسين سنة على ما أرخه اسحق . فأما قول من زعم انه كان معاصره وانه توجه اليه ليراه ويؤمن به فغير صحيح . وقد اورد جالينوس في مواضع متفرقة من كتبه ذكر موسى والمسيح ، وتبين من قوله انه كان من بعد المسيح بهذه المدة التي تقدم ذكرها .

ومن جملة من ذكر ان جالينوس كان معاصراً للمسيح البيهقي ^(١) وذلك انه قال في كتاب مسارب التجارب وغوارب الغرائب . « انه لو لم يكن في الحوارين إلا بولص ^(٢) بن اخت جالينوس لكان كافياً . وانما بعثه الى عيسى جالينوس واظهر عجزه عن الهجرة اليه لضعفه وكبر سنه ، وآمن بعيسى وأمر ابن اخته بولص بمبايعة عيسى . »

قال جالينوس في المقالة الاولى من كتابه في الاخلاق ، وذكر الوفاء واستحسنه واتى فيه بذكر القوم الذين نكبوا بأخذ صاحبهم وابتلوا بالمكاره . « يلتمس منهم ان يبوهوا بمساوي اصحابهم وذكر معايهم ، فامتنعوا من ذلك وصبروا على غليظ المكاره . وان ذلك كان في سنة أربع عشرة وخمسمائة

(١) هو محمد البيهقي مؤرخ فارس له تاريخ سلاطين غزلة والمعروف بتاريخ البيهقي (٩٩٦ - ١٠٧٧)

(٢) واسمه شاول وسماه المسيح بولص بعد ان دعاه الى الايمان به بطريقة عجائية ويعد بمصاف الرسل . وهو رسول الامم.

للاسكندر ، . وهذا اصح ما ذكره من امر جالينوس ووقته وموضعه من الزمان .

وقال ابو الحسين علي بن الحسين المسعودي : كان جالينوس بعد المسيح بنحو مائتي سنة ، وبعد ابقرط بنحو ستمائة سنة ، وبعد الاسكندر بنحو خمسمائة سنة ونيف .

اقول : ووجدت عبيد الله ^(١) بن جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع قد استقصى النظر في هذا المعنى ، وذلك انه كان قد سئل عن زمان جالينوس وهل كان معاصراً للمسيح او كان قبله او بعده ، فأجاب عن ذلك بما هذا نصه . قال :

« ان اصحاب التواريخ اختلفوا اختلافاً بيناً فيما وضعوه ، وكل منهم اثبت جملاً اذا فصلت خرج منها زيادات ونقصان » . ومن هذا يتبين لك متى تصفحت كتب التواريخ ، لا سيما متى وقفت على كتاب الازمنة الذي عمله مار اليا مطران نصيبين ، فانه قد كشف الخلف الذي بين التواريخ العتيقة والحديثة وأوضح وكشف وأبان ذلك احسن بيان ، يجمعه لجلها في صدر كتابه ويراود تفاصيلها ، وتنبه على مواضع الخلاف فيها والزيادات والنقصانات وذكر اسبابها وعللها :

ووجدت تاريخاً مختصراً لهارون بن عزور الراهب ، ذكر فيه انه اعتبر التواريخ وعول على صحتها ، ورأيته قد كشف بعض اختلافها وعلل ذلك بعلة مقنعة ، وأورد شواهد من صحتها .

وذكر هذا الراهب في تاريخه : « ان جميع السنين من آدم الى ملك دارا بن سام ، وهو أول ظهور الاسكندر ذي القرنين ، خمسة آلاف ومائة وثمانون سنة وعشرة اشهر على موجب التاريخ الذي عند اليونانيين ، وهو تاريخ التوراة المنقولة الى اليونانيين قبل ظهور المسيح بمائتي سنة وثمان وسبعين سنة ، وذلك في زمان فيلدفوس الملك ، لانه كان حمل الى اليهود هدايا حسنة لما سمع ان عندهم كتباً منزلة من عند الله تعالى على ألسنة الانبياء . وكان من جملة ما حمل مائدتان من ذهب مرصعتان بالجواهر لم ير احسن منها . وسألهم عن الكتب التي في ايديهم وأعلمهم انه يختار ان يكون عنده نسختها . فكتبوا جميع الكتب التي كانت عندهم لليهود من التوراة والانبياء وما جرى مجراها ، في اوراق من فضة بأحرف من ذهب على ما نسبته الراهب الى اوسابيوس القيسراني . فلما وصلت اليه استحسناها ولم يفهم ما فيها ، فأنفذ اليهم يقول : « أي فائدة من كنز مستور لا يظهر ما فيه ، وعين مسدودة لا ينضح ماؤها ؟ » فانفذوا اليه اثنين وسبعين رجلاً من جميع الاسباط من كل سبط ستة رجال . فلما وصلوا عمل لهم الملك فيلدفوس مراكب ونزل كل رجلين منهم في مركب ، ووكّل بهم حفظة حتى نقلوها . وقابل النسخ فلما وجدها صحيحة غير مختلفة خلع عليهم واحسن اليهم وردهم الى مواطنهم .

وذكر اوسابيوس القيسراني الذي كان اسقف قيسارية ان هذا الملك كان قد نقل الكتب قبل

(١) احد الاطباء السريان الذين كانوا في ابتداء ظهور دولة بني العباس وهو طبيب مشهور ، اقام بيافارقين وتوفي تقريباً سنة ٤٥٠ هـ . وله كتب جلية .

مجىء اليهود (استدعاء اليهود) وحضوره عنده ونقلهم اياها، وانما شك فيما نقله منها فأحب تصحيحه . قال عبيد الله بن جبرائيل : « وهذا مما يشهد فيه العقل لان فيلدفوس الملك لو لم يشك في نقله لما احتاط هذا الاحتياط المذكور وحرص هذا الحرص على حفظ هذا النقل ، ولولا اتهامه لنقله لما كان هنا ما يوجب هذا الاحتياط . لان من قلدتم في الاول كان احرى ان يقلدهم في الثاني ، ولما احب ان يمتحن ما فسرته فعل ما فعل وقابل عليه وصححه . ومن هنا وجب ان تاريخ اليونانيين أصبح التواريخ أعني تاريخ التوراة والانبياء التي عندهم . وكانت مدة هذا الملك فيلدفوس في المملكة ثمانى وثلاثين سنة ، وهو الملك الثالث من الاسكندر . على ان تاريخ الاسكندر منذ قتله دارا ، وهو ان مدة ملكه تكون ست سنين ، ومنه يؤخذ تواريخ اليونانيين ، فتكون مدة ملك اليونانيين من الاسكندر والى اول ملك الروم الذين لقبهم قيصر مائتين واثنين وسبعين سنة . وأول ملوك الروم الذين لقبهم قيصر يوليوس^(١) جايوس قيصر ، وكانت مدته في المملكة اربع سنين وشهرين . وملك بعده اغوستوس^(٢) قيصر وكانت مدته ست وخمسين سنة وستة اشهر . وفي سنة ثلاث واربعين من ملكه ولد المسيح عليه السلام في بيت لحم^(٣) . فجميع سني العالم من آدم والى مولد المسيح خمسة آلاف وخمسمائة وأربع سنين . وملك بعده طيباريوس قيصر^(٤) ثلاثاً وعشرين سنة ، وفي سنة خمس عشرة من ملكه^(٥) اعتمد المسيح في الاردن بيد يوحنا المعمدان^(٦) . وفي سنة تسع عشرة صلب (رفع) وذلك في يوم الجمعة الرابع والعشرين من آذار ، وانبعث حياً يوم الاحد السادس والعشرين من آذار ، وبعد اربعين يوماً صعد الى السماء بمشهد من الحواريين .

ثم ملك بعده يوليوس^(٧) جايوس الآخر اربع سنين وقتل في بلاطه ، وملك بعده قلوديوس^(٨) جرمانيقوس قيصر اربع عشرة سنة . ثم ملك بعده نارون^(٩) بن قلوذبيوس قيصر ثلاث عشرة سنة ، ثم أندرونيقوس اربع عشرة سنة ، وهو الذي قتل بطرس وبولس في السجن ، لانه ارتد الى عبادة الاصنام وكفر بعد الايمان وقتل وهو مريض .

(١) من كبار قواد روما « ١٠١ - ٤٤ ب م » ولما انتصر وفتح غوليا وهزم بومبيوس ارسل الى روما بشرى انتصاره بهذه الكلمات : « جئت رأيت انتصرت » .

(٢) اول امبراطور روماني في ايامه ولد السيد المسيح « ٦٣ ق م - ١٤ م » .

(٣) بلدة في فلسطين جنوبي القدس ، ولد فيها داود النبي والمسيح .

(٤) هو الامبراطور الروماني الثاني خلف اغسطس . ولد في روما (٤٢ ق م) .

(٥) اجريت له المعمودية وهي غسل الصبي وغيره بالماء باسم الآب والابن وروح القدس .

(٦) ابن زكريا واليصابات . من انساب يسوع المسيح . ظهر على شاطئ، الاردن يعمد بالماء للتوبة داعياً الرجوع عن الخطيئة قطع رأسه هيرودى الملك على طلب سلومه .

(٧) وهو كاليكيلا ولد في انطيوخ سنة ١٢ م وملك من سنة ٣٧ الى ٤٤ وهو ابن جرمانيقوس راغريين . اغتال شرياس في بلاطه .

(٨) وهو قلوديوس الاول امبراطور روما وزوج غريين التي اغتالته فيها بعد ولد سنة ١٠ ق م وحكم من سنة ٤١ م الى ٥٤ .

(٩) هونيرون (٤ - ٦٨) امبراطور روماني من (٥٤ - ٦٨) انتصح بنصائح معلمه الفيلسوف سينيكا ثم طغى فقتل امه وزوجته واحرق روما .

وذكر أندرونيقوس في تاريخه انه ملك بعد نارون، جالباس^(١) سبعة اشهر، ووطليوس^(٢) ثمانية واثون^(٣) ثلاثة اشهر . ثم ملك بعده اسفاسيانوس^(٤) قيصر عشر سنين ، وفي آخر ملكه غزا بيت المقدس وخربه ، ونقل جميع آله البيت الى القسطنطينية وانقطع عنهم ، يعني اليهود ، الملك والنسبة . وهو الذي وعد الله تعالى به بمجيء المسيح (ولا رجعة لهم بعده) وهذه المملكة الاخيرة من الممالك التي وعدم الله بها . ثم ملك بعده طيطوس ابنه^(٥) سنتين .

ووجدت في تاريخ مختصر (قديم) رومي : « انه ملك بعده طيطوس طميدوس ؛ وفي زمانه كان بليناس الحكيم صاحب الطلسمات ، ثم ملك بعده دوميطانوس^(٦) أخو طيطوس ، وان اسفاسيانوس ملك خمس عشرة سنة ، وفي زمانه ظهر ماني ، وفي ايامه (زمانه) نهبت مدينة رأس العين . »

وفي تاريخ اندرونيقوس انه ملك ست عشرة سنة . ثم ملك بعده فرواس قيصر سنة واحدة . ثم ملك البيوس طرينوس^(٧) قيصر تسع عشرة سنة وهو الذي ارجع انطاكية من الفرس . وكتب اليه خليفته على فلسطين يقول له انني كلما قتلت النصراني ازدادوا رغبة في دينهم ، فامرهم برفع السيف عنهم وفي السنة العاشرة من ملكه ولد جالينوس ، على ما سنبين فيما بعد .

ثم ملك بعده أبليوس أدريانوس^(٨) قيصر احدى وعشرين سنة وبنى مدينته . ثم ملك بعده أنطونينوس قيصر اثنتين وعشرين سنة وبنى مدينة ايلوبليس وهي مدينة بعلبك . وفي ايام هذا الملك ظهر جالينوس وهو الملك الذي استخدمه . وبيان ذلك قول جالينوس في صدر مقالته الاولى من « كتاب علم التشريح » وهذا قوله بعينه ، قال جالينوس :

« قد كنت وضعت فيما تقدم في علاج التشريح كتاباً في مقدمي الاول الى مدينة رومية ، وذلك في اول ملك انطونينوس الملك في وقتنا هذا .

وبما يؤيد هذا ، قول جالينوس في الكتاب الذي وضعه في تقييد اسماء كتبه ويعرف ببينكس جالينوس . قال : « لما رجعت من مدينة رومية وعزمت على المقام بمدينتي ، واللزوم لما كانت جرت فيه عادتي ، واذا كُتِبَ قد وردت من مدينة أقوليا من الملكين يأمران أشخاصي لانهما كانا قد عزمنا على ان يشتيا بأقوليا ثم يغزوا أهل جرمانيا ، فاضطرت الى الشخوص اليها وانا على رجاء ان أعفى

(١ ٢ ٣) من الإمبراطرة الرومان

(٤) إمبراطور روماني (٦٩ - ٧٩) ولد في ربات . وغزا بيت المقدس ومات وهو مريض ،

« ٥ » وهو ابن فسبسيانس وفاتح اورشليم سنة ٧٠ واشتهر بحكوه واحسانه .

« ٦ » « ٥١ - ٩٦ » إمبراطور روماني كان آخر القياصرة . استبد بحكوه .

« ٧ » وهو تراجانوس « ٥٢ - ١١٧ » إمبراطور روماني ولد في اسبانيا . اضطهد المسيحيين .

« ٨ » إمبراطور روماني « ١١٧ - ١٣٨ » ابن تراجانوس بالتبني وخلفه بالملك . ارجع باسمه الكثير من الآثار الرومانية

في الشرق الادنى . وشجع الصناعة والآداب والفنون .

إذا استعفيت ، لانه كان قد بلغني عن احدهما وهو اشبههما بحسن الخلق ولين الجانب ، وهو الذي كان اسمه بيرس . فلما ملك انطونينوس من بعد اديانوس وصير بيرس ولي عهده أشرك في ملكه رجلا يقال له لوقيس . وسماه بيرس ، وسمى هذا الذي كان اسمه بيرس انطونينوس . فلما صرت الى بلاد اقوليا عرض فيها من الوباء ما لم يعرض قط ، فهرب الملكان الى مدينة رومية مع عدة من اصحابهما وبقي عامة العسكر بأقوليا . فهلك البعض وسلم البعض ، ونالوا جهداً شديداً ليس من اجل الوباء فقط ، ولكن من جهة ان الامر فاجأهم في وسط الشتاء . ومات لوقيوس في الطريق ، فحمل انطونينوس بدنه الى رومية فدفنه هناك . وهمّ بغزو اهل جرمانيا ، وحرص الحرس كله ان اصحبه ، فقلت : « ان الله تعالى لما خلصني من دويلة قتالة كانت عرضت لي امرني بالحج الى بيته المسمى هيكلا اسقليبيوس وسألته الاذن في ذلك فشفعني وأمرني بان أحج .

» ثم انتظرت الى وقت انصرافه الى رومية ، فانه قد كان يرجو ان ينقضي حربه سريعا . وخرج وخلف ابنه قومودس صبيا صغيرا وامر المتوالين لخدمته وتربيته ان يمتهدوا في حفظ صحته فان مَرَضَ دعوني لمعالجه أتولاه .

ففي هذا الزمان جمعت كل ما جمعته من المعلمين وما كنت استنبطته ، وفحصت عن اشياء كثيرة ، ووضعت كتباً كثيرة لأروض بها نفسي في معان كثيرة من الطب والفلسفة ، احترق أكثرها في هيكلا أربني ومعنى أربني السلامة ، ولأن انطونينوس أيضاً في سفره أبطأ خلاف ما كان يقدر فكان ذلك الزمان مهلة في رياضة نفسي .

فهذه الأقاويل وغيرها مما لم نورد له لطلب الاختصار ، فقد بان أن جالينوس كان في أيام هذا الملك ، وكان عمره في الوقت الذي قدم فيه رومية القُدوم الاول ثلاثين سنة ، وذلك بدليل قوله في هذا الكتاب المقدم ذكره عند وصفه ما وضعه من الكتب في التشريح قال جالينوس .

ووضعت أربع مقالات في الصوت كتبتها الى رجل من الوزراء اسمه بويش يتعاطى من الفلسفة مذهب فرقة ارسطوطاليس ، والى هذا الرجل كتبت أيضاً خمس مقالات وضعتها في التشريح على رأي ابقراط وثلاث مقالات وضعتها بعدها في التشريح على رأي ارايسطراطس نحوت فيها نحو من يحب الغلبة والظهور على خاليفه ، بسبب رجل يقال له مرطيا ليس وضع مقالتي في التشريح هما الى هذه الغاية موجودتان في ايدي الناس ، وقد كان الناس بها في وقت ما وضعت هذا الكتاب معجبين . وكان هذا الرجل حسوداً شديد البغي والمراء^(١) على كبر سنه ، فانه قد كان من ابناء سبعين سنة وأكثر ، فلما بلغه اني سئلت في مجلس عام عن مسألة في التشريح فاعجب بما أجبت به فيها ، واستحسنه جميع من سمعه ، وكثر مدح الناس لي عليه سألت عني بعض أصدقائنا بقول من أقول من اهل فرق الطب كلها . قال له : « اني أسمى من ليست نفسه الى فرقه من الفرق ، وقال : « انه من اصحاب

أبقراط ومن أصحاب برکساغورس وغيرهم ، واني اختار من مقالة كل قوم أحسن ما فيها .

واتفق يوماً اني حضرت مجلساً عاماً ليمتحن حذقي بكتب القدماء ، فأخرج كتاب أرسطراطس في نفث الدم والقي فيه نامر على العادة الجارية ، فوقع على الموضع الذي ينهي فيه أرسطراطس عن فصد العرق ، فزدت في المعاندة لاراسطراطس ، لَغَمَ مرطيا ليس لانه ادعى أنه من أصحابه ، فأعجب ذلك القول من سمعه . وسألني رجل من اوليائي وأعداء مرطيا ليس ان املي الكلام الذي قلته في ذلك المجلس على كاتب له بعث به الي ماهر بالكتاب الذي يكتب بالعلامات سريعاً فيه ليقوله لمرطيا ليس اذا صادفه عند المرضى ، فلما اشخصني الملك الى مدينة رومية في المرة الثانية وكان الرجل الذي أخذ مني تلك المقالة قد مات ولا ادري كيف وقعت نسختها الى كثير من الناس ، فلم يسرنني ذلك لأنه كلام جرى على حجة الغلبة في ذلك الوقت أن لا أخطب في المجالس العامة ولا اباري ، لاني رزقت من السعادة والنجاح في علاج المرضى اكثر مما كنت اتنى . وذلك اني لما رأيت غير أهل المهنة اذا مدح احد الاطباء بحسن العبارة سموه طبيب الكلام ، احببت ان اقطع ألسنتهم عني فامسكت عن الكلام ، سوى ما لا بد منه عند المرضى ، وعما كنت أفعله من التعليم في المحافل ومن الخطب في المجالس العامة واقتصرت على اظهار مبلغ علمي في الطب على ما كنت أفعله في علاج المرضى . واقمت برومية ثلاث سنين اخر فلما ابتدأ فيها الوباء خرجت منها مبادراً الى بلادي ، وكان رجوعي الى رومية وقد أتى علي من السنين سبع وثلاثون سنة .

قال عبيد الله بن جبرائيل : فمن وقت هذا يكون مولد جالينوس في السنة العاشرة من ملك طرينوس الملك ، لانه زعم انه وضعه لكتاب علاج التشرج كان في مقدمه الاول الى رومية وذلك في ملك انطونينوس ، كما ذكرنا ، وانه كان له من عمره على ما ذكرنا ثلاثون سنة مضى منها من مدة ملك ادريانوس احدى وعشرون سنة ، وكان مدة الملك طرينوس قيصر تسع عشرة سنة . واذا كان هذا هكذا اصبح ان مولد جالينوس كان في السنة العاشرة من ملك طرينوس ، فتكون المدة التي من صعود المسيح الى السماء ، وهي من سنة تسع عشرة من ملك طيباريوس قيصر ، الى السنة العاشرة من ملك طرينوس التي ولد فيها جالينوس على موجب التاريخ المذكور ، ثلاثاً وسبعين سنة .

وعاش جالينوس ، على ما ذكره اسحق بن حنين في تاريخه ونسبه الى يحيى النحوي ، سبعاً وثمانين سنة ، منها صبي ومتعلم سبع عشرة سنة ، وعالم معلم سبعين سنة .

قال اسحق : « بين وفاة جالينوس الى سنة تسعين ومائتين للهجرة ، وهي السنة التي عمل فيها التاريخ ثمانمائة وخمس عشرة سنة .

وقال عبدالله بن جبرائيل : « وينضاف الى ذلك بما بين هذه السنة التي عملنا فيها هذا الكتاب ، وهي سنة اثنتين وعشرين واربعائة للهجرة الواقعة في سنة الف وثلاثمائة واثنين واربعين للاسكندر ، وبين سنة تسعين ومائتين ، وهو مائة واثنان وثلاثون سنة فيكون من وفاة جالينوس الى سنتنا هذه

وهي سنة اثنتين وعشرين واربعمئة ، تسعمائة وسبع واربعون سنة . واذا اضيف الى هذه الجملة عمر جالينوس ربما بين مولده الى صعود المسيح الى السماء وهو مئة وستون سنة يصبح الجميع ، اعني من صعود المسيح الى سلتنا هذه ، الف ومائة وسبع سنين ، الجملة غلط وهي تنقص بالتفصيل . ومن مثل هذا التاريخ يضل الناس لانهم يقلدون اصحاب التواريخ فيضلون .

ووجه الغلط في هذه الجملة يتبين من جهتين : احدهما من تاريخ المسيح والاخرى من تاريخ جالينوس . وقد ذكرناهما ، فيما تقدم ، ذكراً شافياً فمن احب امتحان ذلك فليرجع اليه فانه يتبين له من التفصيل المذكور . فان للمسيح منذ ولد الف سنة وثمانى عشرة سنة ، وجالينوس تسعمائة وثلاث عشرة سنة ، وهذا خلف عظيم وغلط بين .

قال وانا استطرف كيف مر مثل هذا مع بيان المواضع التي استدللنا بها من كلام جالينوس ، ومن اوضاع اصحاب التواريخ الصحيحة . واستطرف ايضاً كيف لم يتنبه الى فصل ورد في كتاب الاخلاق تبين فيه غلط تاريخ هذه المدة فصارت المائة سنة . وقد يكون سبب هذا الغلط من النساخ ويستمر حتى تحصل حجة يضل بها من لم يفحص عن حقائق الامور .

وهذه نسخة الفصل من كتاب الاخلاق بعينه قال جالينوس :

« وقد رأينا نحن في هذا الزمان عبيداً فعلوا هذا الفعل دون الاحرار لانهم كانوا في طبعتهم اخياراً . وذلك ، انه لما مات فرونيوس ، وكان موته في السنة التاسعة من ملك قومودس وفي سنة خمسمائة وست عشرة من ملك الاسكندر ، وكان الوزيران في ذلك الوقت ماطروس وايروس تتبع قوم كثير عددهم ، وعدت عبيدهم ليفشوا على مواليتهم ما فعلوا .

وهذا خلف عظيم لا سيما لما ذكره اسحق ، لانه يحصل بينه اختلاف عظيم الى وفاة جالينوس يقتضي بان تكون على ما ذكره اسحق من ان عمره كان سبعمائة وثمانين سنة في هذه السنة المذكورة وهي سنة خمسمائة وست عشرة للاسكندر . ويقتضي ان يكون هذا الكتاب آخر ما عمله اعني كتاب الاخلاق لانه وقت وفاته يجب ان يكون الوقت الذي ذكر فيه امر العبيد والتاريخ . وقد رأينا ذكره في كتاب آخر يدل على انه قد عمل بعده ، وانه عاش بعد هذا الوقت زمان ما يجوز السنة المذكورة عدته ، فقد بان تناقض تاريخه وفساد جملته .

ولو فرضنا الامر على ما ذكره لم يجب له ان يغفل مثل هذا التاريخ البين الجلي ، ويثبت جملة ما تحصل ولا يصح . وما يشهد بان المسيح كان قبل جالينوس بمدة من الزمان ، ما ذكره جالينوس بمدة من الزمان ، ما ذكره جالينوس في تفسير كتاب افلاطون في « السياسة المدنية » وهذا نص قوله .

قال جالينوس : « من ذلك قد نرى القوم الذين يدعون نصارى انما اخذوا ايمانهم عن الرموز

والمعجزة ، وقد تظهر منهم افعال المتفلسفين ايضاً . وذلك ان عدم جرعه من الموت وما يلحقون بعده أمر قد نراه كل يوم . وكذلك عناقهم عن الجماع وان منهم قوماً لا رجال فقط لكن نساء ايضاً قد اقاموا ايام حياتهم بمنتهين عن الجماع . ومنهم قوم قد بلغ من ضبطهم لأنفسهم في التدبير في المطعم والمشرّب ، وشدة حرصهم على العدل ان صاروا غير مقصرين عن الذين يتفلسفون بالحقيقة ، .

قال عبدالله بن جبرائيل : فهذا القول قد علم ان النصراني لم يكونوا ظاهرين في زمن المسيح بهذه الصورة ، أعني الرهينة التي نعتها جالينوس ، واثير الانقطاع الى الله سبحانه وتعالى . ولكن بعد المسيح بمائة سنة انتشروا هذا الانتشار ، زادوا على الفلاسفة في فعل الخير وآثروا العدل والتفضل والمغاف ، وفازوا بتصديق المعجزة . رحصل لهم الحالان ، وورثوا المنزلتين ، واغتنبوا بالسعادتين أعني السعادة الشرعية والسعادة العقلية . فمن هذا وشبهه يتبين تاريخ جالينوس .

وهذا آخر ما ذكره عبدالله بن جبرائيل من امر جالينوس .

ونقلت من خط الشيخ موفق الدين اسعد بن الياس بن المطران قال :

المواضع الذي ذكر جالينوس فيها موسى والمسيح ، قد ذكر موسى في المقالة الرابعة من كتابه في التشرّيع على رأي أبقراط اذ يقول : « هكذا يشبهون من تدين من المتطهين لموسى الذي سننا لشعب اليهود لان من شأنه أن يكتب كتبه من غير برهان اذ يقول الله امر والله قال ، .

ويذكر موسى في كتاب منافع الاغضاء . ويذكر موسى والمسيح في كتاب النبض الكبير اذ يقول : « لا الحشبة المتفتلة تستوي ولا الشجرة العتيقة اذا حولت تعلق فيسهل ان يعلم الانسان أهل موسى والمسيح من ان يعلم الاطباء والفلاسفة الممارين بالاحزاب .

ويذكر موسى والمسيح في مقالته في المحرك الاول ويقول : لو كنت رأيت قوماً يعلمون تلاميذهم كما كان يعلمون اهل موسى والمسيح اذ كانوا يأمرهم ان يقبلوا كل شيء بالامانة ، لم اكن اريكم احداً .

وفي مواضع أخر قال سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل : « وكان جالينوس من الحكماء اليونانيين الذين كانوا في الدولة القيصريّة بعد بنيان روميه ومولده ومنشؤه بفرغامس وهي مدينة صغيرة من جملة مدائن آسيا شرقي قسطنطينية ، وهي جزيرة في بحر قسطنطينية ، وهم روم إغريق يونانيون . ومن تلك الناحية اندفع الجيش المعروف بالقوط من الروم الذين غنموا الاندلس واستوطنوها . وذكر لشيدر الاشيلي الحراي ان مدينة فرغامس كانت موضع سجن الملوك ، وهنالك كانوا يجلسون من غضبوا عليه ، .

مسكن جالينوس

وقال يوسف بن الداية في تعريف موضع جالينوس ومسكنه ما هذه حكايته :

قال : سأل ابو اسحق ابراهيم ^(١) بن المهدي جبرائيل ^(٢) بن بختيشوع عن مسكن جالينوس اين كان من أرض الروم ، فذكر ان مسكنه في دهره كان متوسطاً لارض الروم ، وانه في هذا الوقت في طرف من اطرافها . وذكر ان حد ارض الروم كان في ايام جالينوس من ناحية الشرق بمسايلي الفرات القرية المعروفة بنغيا من طوج الانبار ^(٣) ، وكانت المسلحة التي يجتمع فيها جند فارس والروم ونواطيرها فيها . وكان الحد من ناحية دجلة دارا ، الا في بعض الاوقات ، فان ملوك فارس كانت تغلبهم على ما بين دارا ورأس العين ^(٤) ، فكان الحد فيما بين فارس والروم من ناحية الشمال ارمينية ^(٥) ، ومن ناحية المغرب مصر ^(٦) ، إلا ان الروم كانت تغلب في بعض الاوقات على مصر وعلى أرمينية .

فلما ذكر جبرائيل غلبة الروم على ارمينية في بعض الاوقات تلقيت قوله بالانكار ، وجحدت ان تكون الروم غلبت على ارمينية الا الموضع الذي يسمى بلسان الروم ارمينانس ، فان الروم يسمون اهل هذا البلد الى هذه الغاية الارمن فشهد له علي ابو اسحق بالصدق ، وأتى بدليل على ذلك لم اصل الى دفعه ، وهو نمط ^(٧) ارمني كأحسن ما رأيت من الارمن صنعة فيه صور جوار يلعبن في بستان بأصناف الملاهي الرومية ، وهو مطرز بالرومية مسمى باسم ملك الروم فسلمت لجبرائيل.

(ورجع الحديث الى القول في جالينوس) قال : واسم البلد الذي ولد فيه وكان مسكنه سمرنا ، وكان منزله بالقرب من قرية بينه وبينها فرسخان .

قال جبرائيل : « فلما نزل الرشيد على قره ، رايته طيب النفس ، فقلت له يا سيدي يا امير المؤمنين ، منزل استاذي الاكبر مني على فرسخين ، فإن رأى أمير المؤمنين ان يطلق لي الذهاب اليه حتى اطعم فيه وأشرب ، فأصول بذلك على متطبيي اهل دهري ، وأقول أني أكلت وشربت في منزل استاذي ، فليفعل ؟ » .

فاستضحك من قولي ثم قال لي : « ويحك يا جبرائيل أنتخوف ان يخرج جيش الروم او منسر ^(٨) فيختطفك » .

فقلت له : « من الحال ان يقدم الروم على القرب من معسكرك هذا القرب كله » ، فأمر باحضار

- (١) هو ابراهيم بن المهدي العباسي عم المأمون تماطى الفناء والطرب والملاهي وحتى النادمة (٧٧٩ - ٨٣٨) .
- (٢) من كبار اسرة طيبة من سوريا مات سنة ٨٣٠ هـ وله كتب نافعة في الطب والمنطق ونقل الى اللغة العربية كثيراً من كتب الطب اليونانية .
- (٣) مدينة قديمة في العراق على الفرات (ن. ر) .
- (٤) مدينة في سوريا على الخابور « الحسجة » « هـ » هي المجاد وجبال في آسيا الصغرى جنوب القفقاز بين ايران شرقاً والأفصول غرباً ، وبين بحر قزوين ومسيل الفرات الأعلى .
- (٥) بلاد في شمال افريقية تمتد بين البحر المتوسط وبلاد النوب وهي جمهورية مصر العربية اليوم .
- (٦) النمط : ضرب من البسط . وهنا يرجع الضمير الى جبرائيل .
- (٧) قطعة جيش تمر قدام الجيش (ن. ر) .
- (٨) منسر : جنود الروم .

ابراهيم بن عثمان بن نهيك وامره ان يضم الي خمسمائة رجل حتى اوافي الناحية . فقلت : « يا امير المؤمنين في خمسين كفاية » .

فاستضحك ثم قال : ضم اليه الف فارس ، فإنه انما كره ان يطعمهم ويسقيهم .

قال : « فقلت ما لي الى النظر الى جالينوس حاجة » ، فازداد ضحكاً ثم قال :

« وحق المهدي لتنفذن ومعك الالف فارس » .

قال جبرائيل : فخرجت وانا من اشد الناس غماً واكسفهم بالاً ، قد اعددت لنفسي ما لا يكفي عشرة أنفس من الطعام والشراب .

قال : فما استقر بي الموضع حتى وافاني الحبز والمسالخ والملح فعم من معي وفضل كثير . فأثقت في ذلك الموضع فطعمت فيه ، ومضى فتيان الجند واغاروا على مواضع خمور الروم ولحومهم ، فأكلوا اللحم كباباً بالحبز ، وشربوا عليه الخمر ، وانصرفت في آخر النهار .

فسأله ابو اسحق : « هل تبين في رسم منزل جالينوس ما يدل على انه كان له شرف ؟ » فقال له : « اما الرسم فكثير . ورأيت له ابياتاً شرقية وابياتاً غربية وأبياتاً قبلية ولم ار له بيتاً فرائياً . وكذلك كانت فلاسفة الروم تجعل بيوتها ، وكذلك كانت ترى عظماء فارس ، وكذلك أرى انا اذا أصدقت نفسي وعملت بما يجب ، لان كل بيت لا تدخله الشمس يكون وبيئاً . وانا كان جالينوس على حكمته خادماً للملوك الروم ، وملوك الروم اهل قصد في جميع امورهم ، فاذا قست منزل جالينوس الى منازل الروم رأيت من كبر خطته وكثرة بيوته ، وان كنت لم ارها إلا خراباً على اني وجدت فيها ابياتاً مسقفة استدلت على انه كان ذا مروءة . » فسكت عنه ابو اسحق ، فقلت « يا ابا عيسى ان ملوك الروم على ما وصفت في القصد وليس قصدهم في هباتهم وعطاياهم الا قصدهم في مروءات انفسهم ، فالتقص يدخل الخدم والخدام ، فاذا نظرت الى موضع قصر ملك الروم وموضع جالينوس ثم نظرت الى قصر امير المؤمنين ومنزلك ، يكون نسبة منزل جالينوس الى منزل ملك الروم مثل نسبة منزل الى منزل امير المؤمنين .

وكان جبرائيل احياناً يعجب مني لكثرة الاستقصاء في السؤال ، ويمدحني عند ابي اسحق ، واحياناً يغضب منه حتى يكاد ان يطير غيظاً . فقال لي : « وما معنى ذكرك النسبة ؟ » فقلت له : « اردت بذكر النسبة انها لفظة يتكلم بها حكماء الروم ، وانت رئيس تلامذة أولئك الحكماء ، فاردت التقرب اليك بمخاطبتك بالفاظ استاذيك . »

وانما معنى قولي نسبة دار جالينوس الى دار ملك الروم مثل نسبة دارك الى دار امير المؤمنين : انه إن كانت دار جالينوس مثل نصف او ثلث او ربع او خمس او قدر من الاقدار من دار ملك الروم ، هل يكون قدرها من ملك الروم مثل قدر دارك من دار امير المؤمنين او اقل ؟ فان دار امير

المؤمنين ان كانت فرسخاً^(١) في فرسخ وقدر دارك عشر فرسخ في عشر فرسخ ، ودار ملك الروم ان كانت عشر فراسخ في عشر فراسخ ، ودار جالينوس عشر عشر فرسخ في عشر عشر فرسخ ، كانت قدر دار جالينوس من دار ملك الروم مثل مقدار دارك من دار أمير المؤمنين سواء .

فقال : « لم تكن دار جالينوس كذا ، وهي أقل مقداراً من داري عند دار أمير المؤمنين بكثير كثير » فقلت له . « تخبرني عما أسأل ؟ » قال : « لست آبي عليك » . فقلت له : « انك قد اخبرت عن صاحبك انه كان أنقص مروءة منك » . فغضب وقال : « انت نوماجد . » وكنت احسب هذه اللفظة فرية^(٢) فغضبت ، فلما رأى غضبي قال : « اني لم أقذفك بشيء عليك فيه ضرر . ووددت اني كنت نوماجد » . هذا اسم ركب من حرفين فارسيين وهما الحدة والأتیان . فانما نوماجد : نوه ، آمد ، اي جاء حديثه ، فيقال هذا للحدث ؛ ووددت اننا كنا احداثاً مثلك . وانما أنك انت تتقفز تقفز الديوك المحتملة ، فانها رباً نازعتها نفسها الى منافرة الديوك الهرمة ، فينقر الديك الهرم الديك المحتلم النقرة ، فيظهر دماغه فلا تكون للمحتلم بعد ذلك حياة . وانت تعارضي كثيراً المجالس ثم تحكم وتظلم في الحكم .»

« وان عيش جبرائيل وبختيشوع أبيه وجورجس جده لم يكن من الخلفاء وعمومتهم وقراباتهم ووجوه مواليتهم وقوادهم ، وكل هؤلاء ففي اتساع من النعمة باتساع قلوب الخلفاء . وجميع اصحاب ملك الروم ففي ضحك من العيش وقلة ذات يد فكيف يمكن ان اكون مثل جالينوس ، ولم يكن له متقدم نعمة ، لان أباه كان زراعاً وصاحب جنات وكروم ؟ . فكيف يمكن من كان معاشه من أهل هذا المقدار ان يكون مثلي ولي ابوان قد خدما الخلفاء وأفضلوا عليهما ، وغيرهم ممن هو دونهم . وقد افضل الخلفاء علي ورفعوني من حد الطب الى المعاشرة والمسامرة . فلو قلت انه ليس لأمير المؤمنين أخ ولا قرابة ولا قائد ولا عامل الا وهو يداريني ، ان لم يكن مائلاً بمحبته الي وان كان مائلاً او شاكراً لي على علاج عاجلته ، او محضر جميل حضرته ، او وصف حسن وصفته به عند الخلفاء فنفعه ، فكل واحد من هؤلاء يفضل علي ويمحسن الي . واذا كان قدر داري من دار أمير المؤمنين على جزء من عشرة اجزاء ؛ وكان قدر دار جالينوس من دار ملك الروم على قدر جزء من مائة جزء فهو اعظم مني مروءة . فقال له ابو اسحق : « ارى حديثك على يوسف انما كانت لانه قدمك في المروءة على جالينوس ؟ » فقال : « اجل والله ، لمن الله من لا يشكر النعم ، ولا يكافئ عليها بكل ما امكنه . اني والله اغضب ان اسوى يجالينوس في حال من الحالات ، واشكر في تقديمه على نفسي في كل الاحوال » .

فاستحسن ذلك منه ابو اسحق وظهر استصواباً له وقال : « هذا لعمري الذي يحسن بالاحرار

(١) ثلاثة اميال بالهاشمي وهو في قياس المتر ، خمسة آلاف واربعمائة متراً امتدادية على اشهر الاقوال .

(٢) قذفاً ، «ن.ر.»

والادباء . فانكب على قدم ابي اسحق ليقبلها فمنعه من ذلك وضمه اليه .

وقال سليمان بن حسان : « وكان جالينوس في دولة نيرون قيصر وهو السادس من القياصرة الذين ملكوا رومية » وطاف جالينوس البلاد وجالها ودخل الى مدينة رومية مرتين فسكنها . وغزا مع ملكها لتدابير الجرحى . وكانت له بمدينة رومية مجالس عامية خطب فيها وأظهر من علمه بالتشريح ما عرف به فضله ، وبأن علمه .

وذكر جالينوس في كتابه محنة الطبيب الفاضل ما هذا حكايته قال : « اني منذ صباي تعلمت طريق البرهان . ثم اني لما ابتدأت بعلم الطب رفضت اللذات ، واستخففت بما فيه من عرض الدنيا ورفضته ، حتى وضعت عن نفسي مؤونة البكور الى ابواب الناس للركوب معهم من منازلهم ، وانتظارهم على ابواب الملوك للانصراف معهم الى منازلهم وملازمتهم . ولم أفن دهري واشق نفسي في هذا التطواف على الناس الذي يسمونه تسليماً . لكن اشغلت نفسي دهري كله بأعمال الطب والروية والفكر فيه . وسهرت عامة ليلي في تقليب الكنوز التي خلفها القدماء لنا . فمن قدر ان يقول انه فعل مثل هذا الفعل الذي فعلت ، ثم كانت معه طبيعة ذكاء ، وفهم سريع ، يمكن معها قبول هذا العلم العظيم ؛ فواجب ان يوثق به قبل ان يجرب قضاياها وفعله في المرضى . ويقضي عليه بأنه أفضل من ليس معه ما وصفنا ولا فعل ما عددناه .

« وبهذا الطريق سار رجل من رؤساء الكمرين عند رجوعي الى مدينة من البلدان التي كنت نزعت اليها ، على انه لم يكن تم لي ثلاثون سنة ، الى ان ولاني علاج جميع المجروحين من المبارزين في الحرب . وقد كان يولي امرهم قبل ذلك رجلان او ثلاثة من المشايخ . فلما ان سئل ذلك الرجل عن طريق المحنة التي امتحنتني بها حتى وثق بي فولاني أمرهم ، قال : « - اني رأيت الايام التي افناها هذا الرجل في التعليم اكثر من الايام التي افناها غيره من مشايخ الاطباء في تعلم هذا العلم . وذلك اني رأيت اولئك يفنون أعمارهم فيما لا ينتفع به ، ولم أر هذا الرجل يفني يوماً واحداً ولا ليلة من عمره في الباطل . ولا يخلو في يوم من الايام ولا في وقت من الارتياض فيما ينتفع به . وقد رأيناه ايضاً فعل افعالا قريباً هي اصح في الدلالة على حذقه بهذه الصناعة من سنى هؤلاء المشايخ » . -

« وقد كنت حضرت مجلساً عاماً من المجالس التي تجتمع فيها الناس لاختبار علم الاطباء ، فأريت من حضر اشياء كثيرة من امر التشريح . واخذت حيواناً فشقت بطنه حتى اخرجت امعاءه ، ودعوت من حضر من الاطباء الى ردها ، وخياطة البطن على ما ينبغي ، فلم يقدم احد منهم على ذلك . وعالجناه نحن فظهر منا فيه حذق ودربة وسرعة كف . وفجرنا ايضاً عروقاً كباراً بالتعمد ليجري منها الدم ، ودعونا مشايخ من الاطباء الى علاجها ، فلم يوجد عندهم شيء . وعالجتها انا فتبين لمن كان له عقل بمن حضر ان الذي ينبغي ان يتولى امر المجروحين من كان معه من الحذق ما معي . فلما ولاني ذلك الرجل امرهم وهو اول من ولاني هذا الامر اغتبط بذلك . وذلك انه لم يمت من

جميع من ولائي امره الا رجلا فقط . وقد كان مات بمن تولى علاجه طبيب كان قبلي ستة عشر نفساً . « ثم ولائي بعده امرهم رجل آخر من رؤساء الكريين فكان بتوليته اياي أسعد . وذلك انه لم يمت احد من ولائيه ، على انه قد كانت بهم جراحات كثيرة جداً عظيمة .

« وانما قلت هذا لأدل كيف يقدر الممتحن ان يمتحن ويميز بين الطبيب الماهر وبين غيره قبل ان يجرب قوله وعلمه في المرضى ، ولا يكون امتحانه له كما يمتحن الناس اليوم الاطباء ، ويقدمون منهم من ركب معهم واشتغل بخدمتهم الشغل الذي لا يمكن معه الفراغ لعمال الطب . بل يكون تقديمه واختياره لمن كان على خلاف ذلك ، وكان شغله في دهره كله في اعمال الطب لا غيرها .

قال : « واني لأعرف رجلاً من اهل العقل والفهم قدمني من فعل واحد رأي فعلته ، وهو تشريح حيوان بينت به بأي الآلات يكون الصوت وبأي الحركة منها . وكان عرض لذلك الرجل قبل ذلك الوقت بشهرين ان سقط من موضع عال فتكسرت من بدنه اعضاء كثيرة ؛ وبطل عامة صوته ، حتى صار كلامه بمنزلة السرار^(١) . وعولجت اعضاؤه فصلحت وبرأت بعد ايام كثيرة ، وبقي صوته لا يرجع . فلما ان رأى مني ذلك الرجل ما رأى وثق بي وقلدي أمر نفسه فابراهه في ايام قلائل ، لاني عرفت الموضع الذي كانت الآفة فيه ، فقصدت له . »

وقال : « واني لأعرف رجلاً آخر سقط من دابته فتشم ثم عولج فبرأ من جميع ما كان ناله خلا ان اصبعين من اصابع كفه وهما الخنصر والبنصر بقيتا خدرتين زماناً طويلاً . وكان لا يحس بهما كثير حس ، ولا يملك حركتهما على ما ينبغي . وكان من ذلك ايضاً شيء في الوسطى . فجعل الاطباء يضعون على تلك الاصابع ادوية مختلفة وكلها لم تنجح . وكلما وضعوا دواء انتقلوا منه الى غيره . فلما أتاني سألتني عن الموضع الذي قرع الارض من بدنه ، فلما قال لي ان الموضع الذي قرع منه هو ما بين كتفيه ، وكنت قد علمت من التشريح ان مخرج العصب التي تأتي هاتين الاصبعين اول خزرزة فيما بين الكتفين ، علمت ان اصل البلية هو الموضع الذي تنبت فيه تلك العصب من النخاع . فوضعت على ذلك الموضع الذي تنبت منه تلك العصب بعض الادوية التي كانت توضع على الاصابع ، بعد ان أمرت فقلعت عن الاصابع تلك الادوية التي توضع عليها باطلاً ، فلم يلبث الا يسيراً ، حتى برىء ، وبقي كل من رأى ذلك يتعجب من ان ما بين الكتفين يعالج فتبرأ الاصابع .

قال : « وأتاني رجل آخر اصابته آفة في صوته وشهوته للطعام معاً ، فابراهه بادوية وضعتها على رقبته ، وكان العارض لذلك الرجل ما اصف لك : « كان به خنازير عظيمة في رقبته في كلا الجانبين ، فعالجه بعض المماجلين فقطع تلك الخنازير ، واورثه بسوء احتياطته برداً في العصبين المجاورتين للعرقين النابضين الشاخصين في الرقبة . وهاتان العصبان تنبتان في اعضاء كثيرة ، وتأتي منها شعبة عظيمة

«١» السرار : هنا يقصد بها المسارة .

الى فم المعدة ، ومن تلك الشعبة تنال المعدة كلها الحس ، الا ان اكثر ما في المعدة حساً نسبياً لكثرة ما ينبت من تلك العصبية التي فيها . وشعبة يسيرة من كل واحدة من هاتين العصبتين تحرك واحدة من آلات الصوت ، ولذلك ذهب صوت ذلك الرجل وشهوته ، فلما علمت ذلك وضعت على رقبتة دواء مسخناً فبرأ في ثلاثة ايام ، وما احد رأى هذا الفعل مني ، ثم صبر لان يسمع مني الرأي الذي اداني الى علاجه الاعجب ، إلا وعلم ان بالاطباء الى التشريح اعظم الحاجة . »

وقال جالينوس في كتابه « في الامراض العسرة البرء » : انه كان ماراً بمدينة رومية اذ هو برجل خلق نحوله جماعة من السفهاء ، وهو يقول : انا رجل من اهل حلب لقيت جالينوس ، وعلمني علومه اجمع ، وهذا دواء ينفع من الدود في الاضراس ، وكان الخبيث قد اعد بندقاً من قار^(١) وقطران^(٢) ، وكان يضعها على الجمر ويبخر بها صاحب الاضراس المدودة بزعمه ، فلا يجد بداً من غلق عينيه ، فاذا اغلقها دس في فمه دوداً قد اعدّها في حق^(٣) ، ثم يخرجها من فم صاحب الضرس . فلما فعل ذلكلقى اليه السفهاء بما معهم ، ثم تجاوز ذلك حتى قطع العروق على غير مفاصل .

قال : « فلما رأيت ذلك ابرزت وجهي للناس وقلت انا جالينوس ! وهذا سفيه . ثم حذرت منه ، واستعديت عليه السلطان فلطمه »

ولذلك ألف كتاباً في اصحاب الخيل .

وقال جالينوس في « كتاب قاطاجانس » : انه دبر^(٤) في الهيكل بمدينة رومية في نوبة الشيخ المقدم الذي كان في الهيكل الذي كان يداوي الجرحى ، وذلك الهيكل هو البيارستان - فبرأ كل من دبره من الجرحى قبل غيرهم .

وبان بذلك فضله وظهر علمه ، وكان لا يقنع من علم الاشياء بالتقليد دون المباشرة .

قال المبشر بن فائق : « وسافر جالينوس الى اثينية ورومية والاسكندرية وغيرها من البلاد في طلب العلم ، وتعلم من ارمنييس الطب ، وتعلم أولاً من ابيه ومن جماعة مهندسين ونحاة : الهندسة واللغة والنحو وغير ذلك . ودرس الطب ايضاً على امرأة اسمها قلاوبطر ، واخذ عنها ادوية كثيرة ، ولا سيما ما تعلق بعلاجات النساء . وشخص الى قبرس ليرى القلقطار في معدنه . وكذلك شخص الى جزيرة لمنوس ليرى عمل الطين المختوم ، فبأثر كل ذلك بنفسه وصححه برؤيته . وسافر ايضاً الى مصر واقام بها مدة فنظر عقاقيرها ولا سيما الافيون ، في بلد اسيوط^(٥) من اعمال صعيدها . ثم خرج متوجهاً منها نحو بلاد الشام راجعاً الى بلده ، ففرض في طريقه ومات بالفرما ، وهي مدينة على البحر

«١» مادة سوداء تطلّى بها السفن وهو الزفت .

«٢» عصارة شجرة تطلّى بها الابل تحصل من تقطير الحشب او الفحم الحجري .

«٣» وعاء .

«٤» اصل معناها تتبعه من وراءه وهنا تتبع معالجته . (ن . ر) .

«٥» مدينة في صعيد مصر مسقط رأس افلاطين الفيلسوف والعلامة جلال الدين السيوطي .

الاخضر في آخر اعمال مصر .

وقال المسعودي في كتاب « المسالك والممالك » ان الفرما^(١) على شط بحيرة تنيس ، وهي مدينة حصينة وبها قبر جالينوس اليوناني . وقال غيره انه لما كانت ديانة النصرانية قد ظهرت في ايام جالينوس قيل له ان رجلاً ظهر في آخر دولة قيصر اكتفيا ببيت المقدس يبرئ الاكف^(٢) والابرص ويحيي الموتى فقال : « يوشك ان تكون عنده قوة إلهية يفعل بها ذلك » ، فسأل ان كان هناك بقية ممن صحبه فقليل له نعم ! فخرج من رومية يريد بيت المقدس فجاز الى صقلية وهي يومئذ تسمى سلطانية . فمات هنالك وقبره بصقلية . ويقال ان العلة التي مات بها الذرب^(٣) .

وحكي عنه انه لما طالبت به العلة عاجلها بكل شيء فلم ينجع ، فقالت تلاميذه ان الحكيم ليس يعرف علاج علته ، وقصروا في خدمته ، فاحس بذلك منهم وكان زماناً صائفاً ، فأحضر جرة فيها ماء وأخرج شيئاً فطرحه فيها وتركها ساعة وكسرها ، واذا بها قد جمدت ، فأخذ من ذلك الدواء فشربه واحتقن به فلم ينفع . فقال لتلاميذه هل تعلمون لم فعلت هذا ؟ قالوا لا ! قال لئلا تظنوا اني قد عجزت عن علاج نفسي فهذه علة تسمى داء مدد يعني الداء الذي لا دواء له وهو الموت . وهذه الحكاية احسبها مفتعلة عن جالينوس .

صفة تجفيد الماء

وذكر ابن بختويه^(٤) في كتاب « المقدمات » صفة لتجميد الماء في غير وقته ، زعم انه اذا اخذ من الشب الياباني الجيد رطل ، ويسحق جيداً ويحجم في قدر فخار جديدة ؛ ويلقى عليه ستة ارطال ماء صاف ، ويحجم في تنور ويطين عليه حتى يذهب منه الثلثان ويبقى الثلث لا يزيد ولا ينقص ، فانه يشتد . ثم يرفع في قنينة ويسد رأسها جيداً . فاذا اردت العمل به اخذت ثلجية جديدة وفيها ماء صاف ، واجعل في الماء عشرة مثاقيل^(٥) من الماء المعمول بالشب ، ويترك ساعة واحدة فانه يصير ثلجاً . وكذلك ايضاً زعم بعض المغاربة في صفة تجفيد الماء في الصيف قال : اعد الى بزر الكتان فانقع في خل خمر جيد ثقيف ، فاذا جمد فيه فאלقه في جرة او حب مليء ماء . قال : فانه يجمد ما كان فيه من الماء ولو انه في حزيران او تموز .

(١) مدينة قديمة عند مدخل مصر شرقاً .

(٢) المسوح العين والسابو العقل .

(٣) هنا يختلف المعنى باختلاف الحركات المبنية فان كانت الذرب فهو داء في الكبد وان كان الذرب فهو داء يمرض للمعدة فلا تهضم الطعام فيفسد ولا تمسكه . (ن . ر) .

(٤) ابو الحسين عبد الله بن عيسى وكان طبيباً وخطيباً من اهل واسط . وله كتاب المقدمات ويعرف بكثرة الاطباء .

(٥) ما وازنه في الوزن درهم وثلاثة اسباع الدرهم ويعدل بوزن هذا العصر ٣٠٤٣٦ غ هذا الشرعي و ٤٠٨٠٠ غ للصيرفي الشامي (ن . ر) .

قال ابو الوفاء المبشر بن فائق : « وكان جالينوس يعتني به ابوه العناية البالغة ، وينفق عليه النفقة الواسعة ، ويجري على المعلمين الجراية الكثيرة ويمعلمهم اليه من المدن البعيدة . وكان جالينوس من صغره مشتتاً للعلم البرهاني ، طالباً له ، شديد الحرص والاجتهاد والقبول للعلم . وكان لحرصه على العلم يدرس ما علّمه المعلم في طريقه اذا انصرف من عنده حتى يبلغ الى منزله . وكان الفتيان الذين كانوا معه في موضع التعليم يلومونه ويقولون له : « يا هذا ، ينبغي ان تجعل لنفسك وقتاً من الزمان تضحك معنا فيه وتلعب » فربما لم يجيبهم لشغله بما يتعلمه ، وربما قال لهم ما الداعي لكم الى الضحك واللعب فيقولون : « شہوتنا الى ذلك » فيقول : « والسبب الداعي لي الى ترك ذلك وإيثاري العلم بغضبي لما انتم عليه ، ومحبي لما انا فيه » فكان الناس يتعجبون منه ويقولون : « لقد رزق ابوك مع كثرة ماله وسعة جاهه ابنه حريصاً على العلم » . وكان ابوه من اهل الهندسة ، وكان مع ذلك يعاني صناعة الفلاحة ، وكان جده رئيس النجارين ، وكان جد ابيه ماسحاً .

وقال جالينوس في كتابه في « الكيموس » الجيد والريء « ان اباه مات وجالينوس من العمر عشرون سنة . وهذا ما ذكره في ذلك الموضع من حاله قال : « انك ان اردت تصديقي ايها الحبيب فصدقني ، فانه ليس لي علة ولا واحدة تضطريني الى الكذب ، فاني ربما غضبت اذا رأيت ناساً كثيرين من اهل الأئمة في الحكمة وفي الكرامة قد كذبوا كثيراً في كتبهم التي وصفوها بها علم الاشياء . فاما انا فاني اقول ولا اكذب الا ما قد عاينت بنفسي ، وجربت وحدي في طول الزمان . والله يشهد لي اني لست اكذب فيما اقص عليكم : انه قد كان لي اب حكيم فاضل ، قد بلغ من علم الامور بلوغاً ليست من ورائه غاية . اقول : من علم المساحة والهندسة والمنطق والحساب والنجوم الذي يسمى اسطرونميا وكان اهل زمانه يعرفونه بالصدق والوفاء والصلاح والعفاف . وبلغ من هذه الفضائل التي ذكرت ما لم يبلغها احد من حكماء اهل زمانه وعلمائهم . وكان القيم علي وعلى سياستي وانا حدث صغير ، فحفظني الله على يديه بغير وجع ولا سقم واني لما راهقت ^(١) او زدت توجه ابني الى ضيعة له وخلفني ، وكان محباً لعلم الاكورة ^(٢) فكنت في تعليمي وادبي افوق اصحابي المتعلمين عابرة ، واتقدمهم في العلم واتركهم خلفي ، واجتهد ليلاً ونهاراً على التعليم . فتناولت يوماً مع اصحابي فاكهة وتملأت بها . فلما كان اول دخول فصل الحريف مرضت مرضاً حاداً فاحتجت الى فصد العرق ، وقدم والدي علي في تلك الايام ، ودخل المدينة ، وجاء الي فانتهرني وذكرني بالتذكير والسياسة والغذاء الذي كان يغذوني به وانا صبي . ثم امرني وتقدم الي فقال : « اتق من الآن وتحفظ وتباعد من شهوات اصحابك الشباب وكثرتها والباحهم واقتحامهم . » فلما كان الحول المقبل حرص ابني بحفظ غذائي والزمنيه ، ودبرني ايضاً وساسني سياسة موافقة . فلم أتناول من الفاكهة الا اليسير منها وانا يومئذ ابن تسع عشرة سنة . فخرجت سني تلك بلا مرض ولا اذى . ثم انه نزل بأبي بعد تلك السنة الموت . فجلست ايضاً مع اصحابي واخواني من اولئك الشباب فأكلت الفاكهة واكثر ، وتملأت ايضاً فمرضت مرضاً شديداً

(١) قارب الحلم اي بلغ حد الرجال .

(٢) علم الحراثة (ن.د)

بمرضي الاول فاحتجت ايضاً الى فصد العرق . ثم لزمته الامراض بعد تلك السنة سنينا متتابعة ، وربما كان ذلك غيباً سنة بعد سنة ، الى ان بلغت ثمانيا وعشرين سنة . ثم اني اشتكيت شكايـة شديدة ، ظهرت بي دبيلة في الموضع الذي يجتمع فيه الكبد مع ذيافرغما – وهو الحجاب الحاجز ما بين الاعضاء التنفسية والاعضاء الفعالة للغذاء – فعزمت حينئذ على نفسي ان لا اقرب بعد ذلك شيئاً من الفاكهة الرطبة ، الا ما كان من التين والعنب ، وهذان اذا كانا نضيجين . وتركت الاكثار منها ايضاً فوق القدر والطاقة . وكنت اتناول منها قدراً ولا اجاوزه . وقد كان لي ايضاً صاحب أمس مني فوافقني وواساني في العزم الذي عزمت عليه من ترك الفاكهة والتباعد ، فالزمنا انفسنا الضمور وقوي التخم والشبع من الاغذية ، فبقينا جميعا معا بغير وجع ولا سقم الى يومنا هذا سنينا كثيرة . ثم لما رأيت ذلك عمدت الى اخلائي واخذاني وعيي من اخواني فألزمتهم الضمور والغذاء بقدر واعتدال فصحوا ولم يعرض لهم شيء مما اكره الى يومي هذا فمنهم من لزمته الصحة الى يومنا هذا خمسا وعشرين سنة ، ومنهم من لزمته الصحة خمس عشر ومنهم من لزمته السلامة اقل من ذلك واكثر ، من اطاعني ولزم الغذاء على قدر ما قدرت له من ذلك وتباعد من الفاكهة الرطبة وغيرها من الاغذية الرديئة الكيموسات .

وقال في كتابه « في علاج التشريح » بأنه دخل رومية في المرة الاولى في ابتداء ملك انطونينوس الذي ملك بعد ادريانوس ، وصنف كتابا في التشريح لبواثيوس المظفر الذي كان واليا على الروم عندما اراد ان يخرج من مدينة رومية الى مدينته التي يقال لها بطولومايس ، وسأله أن يزوده كتابا في التشريح . وصنف ايضاً في التشريح مقالات وهو مقيم بمدينة سميرنا عند باليس معلمه الثاني بعد ساطورس تلميذ قوينطوس . ومضى الى قورنتوس بسبب انسان آخر مذكور كان تلميذاً لقونطس يقال له افقيانوس . وسار الى الاسكندرية لما سمع ان هناك جماعة مذكورين من تلامذة قونطوس ومن تلامذة نوميديانوس . ثم رجع الى موطنه فرغاس من بلاد آسيا ، ثم سار الى رومية ، وشرح برومية قدام بواثيوس وكان يحضره دائماً اوديموس الفيلسوف من فرقة المشائين وقد كان يحضرهم الذي يتولى في مدينة رومية وهو سرجيوس بولوس ، فانه في امور الحكمة كلها كان اولي بالقول والفعل جميعاً .

وقال جالينوس في بعض كتبه : انه دخل الاسكندرية في اول دفعة ، ورجع عنها الى فرغاس موطنه وموطن آباءه وعمره ثمان وعشرون سنة . وقال في كتابه « في فينكس كتبه » : انه كان رجوعه من رومية الى بلاده وقد مضى من عمره سبع وثلاثون سنة . وقال في كتابه « في نفي الغم » انه احترق له في الحزائن العظمى التي كانت للملك بمدينة رومية كتب كثيرة واثاث له قدر يبلغ عظيم . وكان بعض اللسخ المحترقة بخط أرسطوطاليس ، وبعضها بخط انكساغورس واندروماخس ، وصحح قراءتها على معلميه الثقات ، وعلى من رواها عن أفلاطون . وسافر الى مدن بعيدة حتى صحح اكثرها .

وذكر ان من جملة ما ذهب له في هذا الحريق ايضاً اشياء كثيرة قد ذكرها في كتابه يطول حصرها .

وقال المبشر بن فاتك : « ان من جملة ما احترق لجالينوس في هذا الحريق كتاب « روفس » في الترياقات والسموم ، وعلاج المسمومين وتركيب الأدوية بحسب العلة والزمان ، وان من عزته عنده ، كتبه في ديباج أبيض بقز أسود وأنفق عليه جملة كثيرة . اقول : وبالجملة فان جالينوس اخباراً كثيرة جداً ، وحكايات مفيدة لمن يتأملها ، ونبذاً ونوادر متفرقة في خلال كتبه وفي اثناء الاحاديث المنقولة عنه ، وقصصاً كثيرة مما جرى له في مداواة المرضى مما يدل على قوته وبراعته في صناعة الطب .

لم ينهني لي حينئذ ان اذكر جميع ذلك في هذا الموضع . وفي عزمي ان أجعل لذلك كتاباً مفرداً ينظم كل ما اجدته مذكوراً من هذه الأشياء في سائر كتبه وغيرها ان شاء الله تعالى .

وقد ذكر جالينوس في فينكس كتبه انه صنف مقالتين ، وصف فيهما سيرته .

فاما العلاجات البديعة التي حصلت لجالينوس ونوادره في مقدمة المعرفة التي تفرد بها ، عندما تقدم فأنذر بمحدثها فكانت على ما وصفه . فانا وجدناه قد ذكر من ذلك جملاً في كتاب مفرد كتبه الى أفيجانس ، ووسمه بكتاب « نوادر مقدمة المعرفة » ، وهو يقول في كتابه هذا : « ان الناس كانوا يسموني اولاً ، ، لجودة ما يسمعون مني في صناعة الطب ، المتكلم بالعجائب : فلما ظهرت لهم المعجزات التي كانوا يحدونها في معالجاتي سموني الفاعل للعجائب .

وقال في كتابه : « في محنة الطبيب الفاضل » ما هذه حكايته : قال : ولم اعلم أحداً من بالحضرة الا وقد علم كيف داوينا الرجل الذي كان يضره كل شيا ف يكتحل به حتى برأ . وكانت في عينه قرحة عظيمة مؤلمة ، وكان مع ذلك ، الغشاء العيني قد نتأ فتأنت لذلك حتى سكن ، والقرحة حتى اندملت من غير ان استعمل فيها شيئاً من الشياقات . فاقصرت على اني كنت اهيء له في كل يوم ثلاثة مياه ، احدها ماء قد طبخت فيه حلبة ، والآخر ماء قد طبخت فيه ورداً ، والآخر ماء قد طبخت فيه زعفراناً غير مطحون . وقد رأى جميع الاطباء الذين بالحضرة وأنا استعمل هذه المياه ، فلم يقدر أحد منهم ان يتمثل استعمالها ايها ، وذلك لانهم لا يعرفون الطريق ، ولا المقدار الذي يحتاج ان يقدر في كل يوم من كل واحد من هذه المياه ، على حسب ما تحتاج اليه العلة . وذلك ان تقدير ما كان لتلك المياه عند شدة الوجع وغلبته بنوع ، وعند تقور الفتوة بنوع ، وعند كثرة الوسخ في القرحة او الزيادة في عفنها بنوع . ولم استعمل شيئاً سوى هذه المياه ، وبلغت الى ما اردت من سكون نتوء الغشاء العيني الذي كان نتأ ؛ وتسكين الوجع وتنقية القرحة في وقت ما كان الوسخ كثيراً فيها ؛ وانبات اللحم فيها في وقت ما كانت عميقة ؛ واندماها في وقت ما امتلأت . ولست اخلو في يوم من الايام من ان ابين من مبلغ الحذق بهذه الصناعة ما هذا مقداره في العظم او شبيه به . واكثر من يرى هذا من الاطباء لا يعلم ان هو مكتوب فضلاً عما سوى ذلك . وبغضهم اذ رأى ذلك لقبني البديع الفعل ، وبعضهم البديع القول . مثل قوم من كبار اطباء رومية حضرتهم في اول دخلة دخلتها عند فتي محوم ، وهم يتناظرون في فصده ، ويختصمون في ذلك . فلما ان طال كلامهم قلت لهم : ان خضومتكم فضل ، والطبيعة عن قريب ستفجر عرقاً ويستفرغ من المتخزين الدم الفاضل في بدن هذا الفتى ، فلم يلبثوا ان

رأوا ذلك عياناً ، فبهتوا في ذلك الوقت ولزموا الصمت ، واكسبني ذلك من قلوبهم البغضة ، ولقبوني
البديع القول .

حضرت مرة أخرى مريضاً وقد ظهرت فيه علامات بينة جداً تدل على الرعاف ، فلم اكتف بأنا
انذرت بالرعاف حتى قلت انه يكون من الجانب الايمن . فلامني من حضر ذلك من الاطباء ، وقالوا
« حسبنا ليس بنا حاجة الى ان تبين لنا » . فقلت لهم : « واراكم مع ذلك انكم عن قريب سيكثر
اضطرابكم ويشد وجلكم من الرعاف الحادث ، لانه سيعسر احتباسه ، وذلك اني لست ارى طبيعته
تقوى على ضبط المقدار الذي يحتاج اليه من الاستفراغ والوقوف عنده » فكان الامر على ما وصفته
ولم يقدر اولئك الاطباء على حبس الدم ، لانهم لم يعلموا من اين ابتداء حين ابتدأت حركته ، وقطعته
انا بأهون السعي ، فسهاني اولئك الاطباء البديع الفعل .

وحكى ايضاً من هذا الجنس مما يدل على براعته وقوته في صناعة الطب في كتابه هذا ما هذه
حكايته ، قال : « وقد حضرت مرة مع قوم من الاطباء مريضاً قد اجتمعت عليه نزلة مع ضيق
نفس ، فتركت اولئك الاطباء اولاً يسقونه الادوية التي ظنوا انه ينتفع بها ، فسقوه اولاً بعض الادوية
التي تنفع من السعال والنزلة ، وهذه الادوية تشرب عند طلب المريض النوم ، وذلك انها تجلب طرفاً
من السبات حتى انها تنفع من به ارق وسهر . فنام ليلته تلك باسرها نوماً ثقيلاً ، وسكن عنه السعال
وانقطعت عنه النزلة ، إلا انه جعل يشكو ثقلاً يجده في آلة النفس ، واصابه ضيق شديد في صدره
ونفسه ، فرأى الاطباء عند ذلك انه لا بد من ان يسقوه شيئاً مما يعين على نفث ما في رئته ، فلما
تناول ذلك قذف رطوبات كثيرة لزجة . ثم ان السعال عاوده في الليلة القابلة ، وسهر وجعل يحس
بشيء رقيق ينحدر من رأسه الى حلقه وقصبة رئته ، فاضطروا في الليلة القابلة ان يسقوه ذلك الدواء
النوم ، فسكن عنه عند ذلك النزلة والسعال والسهرة ، الا ان نفسه ازداد ضيقاً ، وساءت حاله في
الليلة القابلة سوءاً ، فلم تجد الاطباء معه بدءاً من ان يسقوه بعض الادوية الملطفة المقطعة لما في الرئة .
فلما ان شرب ذلك نقيت رئته ، إلا انه عرض له من السعال ومن كثرة الربو ومن الارق بسببهما
ما لم يقو على احتماله . فلما علمت ان الاطباء قد تهيروا ولم يبق عندهم حيلة ، سقيته بالعشي دواء لم
ييج به سعالاً ولا نزلة ، وجلب له نوماً صالحاً وسهل عليه قذف ما في رئته . وسلكت بذلك المريض
هذه الطريق فأبرأته من العلتين جميعاً في ايام يسيرة ، على انها علتان متضادتان فيما يظهر . ويتبين من
هذا لمن يريد ان من قال من الاطباء انه لا يمكن ان يبرأ بدواء مرضان متضادان لم يصب ، وانا اول
من استخرج استعمال هذه الادوية ، واستعمال الادوية التي تعالج بها القرحة العارضة في الرئة من قبل
نزلة تنحدر اليها من الرأس . وغير ذلك من ادوية كثيرة سأبين طريق استعمالها في كتاب « تركيب
الادوية » .

وقال جالينوس في كتابه ؛ في ان الاخيار من الناس قد يلتفتون باعدائهم من شرح حاله ما هذا
نصه : « قال فاني لم أطلب من احد من تلاميذي أجرة ، ولا من مريض من المرضى الذين أعالجهم .

واني اعطي المرضى كل ما يحتاجون اليه لا من الادوية فقط أو من الاثربة أو من الادهان أو غير ذلك مما أشبهه ، لكنني أقيم عليهم من يخدمهم ايضاً اذا لم يكن لهم خدم ؛ واهبيهم لهم مع ذلك ايضاً ما يفتنون به . قال : « واني وصلت كثيراً من الاطباء باصدقاء كانوا لي توجهوا في عساكر ، واطباء آخر ايضاً كثير عددهم ضمتهم الى قوم من اهل القدر لم آخذ من احد منهم على ذلك رشوة او هدية ، بل كنت اهب لقوم منهم بعض الآلات والادوية التي يحتاجون اليها . وبعض لم اكن اقتصر به على ذلك فقط ، لكنني كنت أزوده ما يحتاج اليه من النفقة في طريقه .

صفة جالينوس واخلاقه

وقال المبشر بن فائق : « ان جالينوس كان اسمر اللون ، حسن التخاطيط ، عريض الاكتاف ، واسع الراحتين ، طويل الاصابع ، حسن الشعر ، محباً للآلاني والالحان وقراءة الكتب ، معتدل المشية ، ضاحك السن ، كثير الهذر ، قليل الصمت ، كثير الوقوع في اصحابه ، كثير الاسفار ، طيب الرائحة ، نقي الثياب . وكان يحب الركوب والتنزه . مداخلاً للملوك والرؤساء من غير ان يتقيد في خدمة احد من الملوك ، بل انهم كانوا يكرمونه . واذا احتاجوا اليه في مداواة شيء من الامراض الصعبة دفعوا له العطايا الكثيرة من الذهب وغيره في برءها . » وذكر ذلك في كثير من كتبه . « وانه كان اذا تطلبه احد من الملوك ان يستمر في خدمته سافر من تلك المدينة الى غيرها لئلا يشتغل بخدمة الملك عما هو بسبيله .

وذكروا ان الاصل كان في اسم جالينوس غالينوس ، ومعناه الساكن او الهادي . وقيل ان ترجمة اسم جالينوس معناه بالعربي الفاضل .

وقال ابو بكر محمد بن زكريا الرازي ^(١) في كتاب « الحاربي » انه ينطلق في اللغة اليونانية ان ينطق بالجم غينا وكافاً ، فيقال مثلاً جالينوس وغالينوس وكالينوس ، وكل ذلك جائز . وقد تجعل الالف واللام لاما مشددة فيكون ذلك أصح في اليونانية .

اقول : وهذه فائدة تتعلق بهذا المعنى وهي : حدثني القاضي نجم الدين عمر بن محمد بن الكريدي قال : حدثني ابناغاثون المطران بشوبك وكان اعلم اهل زمانه بمعرفة لغة الروم القديمة وهي اليونانية ، ان في لغة اليونان كل ما كان من الاسماء الموضوعة من اسماء الناس وغيرهم ، فأخبرها سين مثل جالينوس وديسقوريدس وانكساغورس وارسطوطاليس وديوجانيس واريباسيوس ، وغير ذلك ، وكذلك مثل قولهم قاطيفورياس وبارمينياس ، ومثل اسطوخودس ، واناغالس ، فان السين التي في آخر كل كلمة حكمها في لغة اليونانيين مثل التنوين في لغة العرب الذي هو في آخر الكلمة ، مثل قولك زيد وعمر وخالد وبكر وكتاب وشجر . فتكون النون التي تبين في آخر التنوين مثل السين في لغة اولئك .

(١) ولد في الري (٨٦٤ - ٩٣٢) ولقب بجالينوس العرب أو طيبب المسلمين واشهر كتبه كتاب « الحاربي » (ن.د.)

اقول : « ويقع لي ان من الالفاظ التي في لغة اليونانيين ، وهي قلائل ؛ ما لا يكون في آخره سين مثل سقراط وافلاطن واغاثاذيون واغلوغن وتامور وياغات . وكذلك من غير اسماء الناس مثل : اناطوطيقيا ونيقوماخيا والريطورية ، ومثل : جند بيدستر وترياق ، فان هذه الاسماء تكون في لغة اليونانيين لا يجوز عندهم تنوينها فتكون بلا سين . وذلك مثل ما عندنا في لغة العرب ان من الاسماء ما لا ينون ، وهي الاسماء التي لا تنصرف مثل اسماعيل وابراهيم واحمد ومساجد ودنانير ، فتكون هذه كذلك . والله اعلم .

وقد مدح ابو العلاء بن سليمان المعري ^(١) في كتاب « الاستغفار » كتب جالينوس ومدوني الطب فقال :

سقى ورعيا ^(٢) لجالينوس من رجل ورهط بقراط غاضوا بعد او زادوا
فكل ما اصابه غير منتقض به استغاث أولو سقم وعواد
كتب لطف عليهم خف يحملها لكنها في شفاء الداء أطواد ^(٣)

ومن ألفاظ جالينوس وآدابه ونوادره الحكمة ، مما ذكره حنين ابن اسحق في كتاب « نوادر الفلاسفة والحكماء وآداب المعلمين القدماء » ، قال جالينوس :

« الهم فناء القلب والغم مرض القلب » . ثم بين ذلك فقال : « الغم بما كان والهم بما يكون » . وفي موضع آخر : « الغم بما فات والهم بما هو آت » ، فإياك والغم فان الهم ذهاب الحياة . الا ترى ان الحي اذا « غم » وجبة « تلاشى من الهم » .

قال في صورة القلب : « ان في القلب تجويفين أمين وأيسر . وفي التجويف الايمن من الدم اكثر من الايسر . وفيها عرقان يأخذان الى الدماغ ، فاذا عرض للقلب ما لا يوافق مزاجه انقبض ، فانقبض لانقباضه العرقان ، فتشنج لذلك الوجه وألم له الجسد . واذا عرض له ما يوافق مزاجه انبسط ، وانبسط العرقان لانبساطه » . قال : « وفي القلب عريق صغير كالانبوبة مطل على شفاف القلب وسويدائه ^(٤) ، فاذا عرض للقلب غم انقبض ذلك العريق فقطر منه دم على سويداء القلب وشغافه ، فيعصر عند ذلك من العريقين دم يتغشاه ، فيكون ذلك عصراً على القلب ، حتى يحس ذلك في القلب والروح والنفس والجسم ، كما يتغشى بخار الشراب الدماغ فيكون منه السكر » .

وقيل : ان جالينوس اراد امتحان ذلك ، فأخذ حيواناً ذا حس فغمه اياماً ، ولما ذبحه وجد قلبه

(١) ولد في معرة النعمان (٩٧٩ - ١٠٥٨) شاعر ومفكر . فقد بصره وهو في الرابعة من عمره سمى نفسه رهن الحبسين المسمى والبيت لانه اعتزل بعدما سافر الى بغداد وعاد منها الى بلده . وكان لاذع النقد متشائماً .

(٢) دعاء بالسقيا والرعاية .

(٣) جمع طود وهو الجبل العظيم أي شفاءها للداء عظيم .

(٤) شفاف القلب وسويدائه : غلافه وحبته .

ذابلاً نحيفاً قد تلاشى أكثره . فاستدل بذلك على ان القلب اذا توالى عليه الغموم ، وضاق به الهموم ، ذبل ونحل . فحذر حينئذ من عواقب الغم والهم .

وقال لتلاميذه : « من نصح الخدمة نصحت له المجازاة » . وقال لهم : « لا ينفع علمٌ مَنْ لا يعقله ، ولا عقلٌ مَنْ لا يستعمله » .

وقال في كتاب اخلاق النفس : « كما انه يعرض للبدن المرض والقبح ، فالمرض مثل الصرع والشوصة ^(١) ، والقبح مثل الحذب وتسقط الرأس وقرعه ، كذلك يعرض للنفس مرض وقبح ، فمرضها كالغضب ، وقبحها كالجهل » .

وقال : « العلل تجيء على الانسان من اربعة اشياء : من علة العلل ، ومن سوء السياسة في الغذاء ، ومن الخطايا ، ومن العدو ابليس » وقال : « الموت من اربعة اشياء : موت طبيعي ، وهو موت الهرم ؛ وموت مرض وشهوة ، مثل من يقتل نفسه او يقاد ^(٢) منه ؛ وموت الفجأة ، وهو بغتة » . وقال : وقد ذكر عنده القلم : « القلم طبيب المنطق » .

ومن كلامه في العشق ، قال : « العشق استحسان ينضاف اليه طمع » . وقال : « العشق من فعل النفس وهي كامنة في الدماغ والقلب والكبد . وفي الدماغ ثلاث قوى : التخيل ، وهو في مقدم الرأس ؛ والفكر ، وهو في وسطه ؛ والذكر ، وهو في مؤخره . وليس يكل احد اسم عاشق حتى يكون اذا فارق من يعشقه لم يخل من تخيله وفكره وذكره ، وقلبه وكبد . فيمتنع من الطعام والشراب باشتغال الكبد ، ومن النوم باشتغال الدماغ بالتخيل ، والذكر له والفكر فيه ، فيكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت به . فمتى لم تشتغل به وقت الفراق لم يكن عاشقاً . فاذا لقيه خلت هذه المساكن .

قال حنين بن اسحق : « وكان منقوشاً على فص خاتم جالينوس « من كتم داءه اعياء شفاؤه » . ومن كلام جالينوس ، مما ذكره أبو الوفاء المبرش بن فاتك ، في كتاب « مختار الحكم ومحاسن الكلم » قال جالينوس :

« لَنْ تَلَّ ، واحلم تبلى ، ولا تكن معجباً فتُمتن » .

وقال : « العلل الذي يشتهي ، أرجى من الصحيح الذي لا يشتهي » .

وقال : « لا يمنعك من فعل الخير ميل النفس الى الشر » .

وقال « رأيت كثيراً من الملوك يزيدون في ثمن الغلام المتأدب بالعلوم والصناعات ، وفي ثمن الدواب الفاضلة في اجناسها ، ويغفلون امر انفسهم في التأدب ، حتى لو عُرِض على اجدم غلام مثله ما اشتراه ولا قبله . فكان من أقبح الاشياء عندي ان يكون المملوك يساوي الجملة من المال ، والمالك لا يجد من يقبله مجاناً .

(١) ريح في البطن تجول بسبب آلاماً . (ن.ر)

(٢) ان يقتل قوداً ؛ والقود : قتل القاتل بدل القاتل . (ن.ر) .

وقال : « كان الاطباء يقيمون انفسهم مقام الامراء . والمرضى مقام المأمورين الذين لا يتعدون ما حُدَّ لهم ، فكان الطب في ايامهم أنجح ، فلما حال الامر في زماننا فصار العليل بمنزلة الامير ، والطبيب بمنزلة المأمور ، وخدم الاطباء رضا الاعلاء ، وتركوا خدمة ابدانهم ، فقل الانتفاع بهم . »

وقال ايضاً : « كان الناس قديماً يجتمعون على الشراب والغناء ، فيتفاضلون في ذكر ما تعمله الاثرية في الامزجة ، والالخان في قوة الغضب ، وما يرد كل واحد منها من أنواعه ؛ وهم اليوم اذا اجتمعوا فانما يتفاضلون بعظم الاقداح التي يشربونها . »

وقال : « من عود من صباه القصد في التدبير كانت حركات شهواته معتدلة ؛ فاما من اعتاد ان لا يمنع شهواته منذ صباه ولا يمنع نفسه شيئاً مما تدعوه اليه ، فذلك يبقى شرها . وذلك ان كل شيء يكثر الرياضة في الاعمال التي تخصه يقوى ؛ وكل شيء يستعمل السكون يضعف . »

وقال : « من كان من الصبيان شرهاً شديداً الفحة ، فلا ينبغي ان يطعم في صلاحه البتة ؛ ومن كان منهم شرها ولم يكن وقحاً فلا ينبغي ان يؤيس من صلاحه ، ويقدر انه إن تأدب يكون انساناً عفيفاً . »

وقال : « الحياء خوف المستحي من نقص يقع به عند من هو افضل منه . »

وقال : « يتنبأ للانسان ان يصلح أخلاقه اذا عرف نفسه ، فان معرفة الانسان نفسه هي الحكمة العظمى ، وذلك ان الانسان لافراط محبته لنفسه ، بالطبع ، يظن بها من الجليل ما ليست عليه . حتى ان قوماً يظنون بأنفسهم انهم شجعاء وكرماء وليسوا كذلك . فاما العقل فيكاد ان يكون الناس كلهم يظنون بأنفسهم التقدم فيه ، واقرب الناس الى ان يظن ذلك بنفسه أقلهم عقلاً . »

وقال : « العادل من قدر على ان يحور فلم يفعل ، والعاقل من عرف كل واحد من الاشياء التي في طبيعة الانسان معرفتها على الحقيقة . »

وقال : العجب ظن الانسان بنفسه انه على الحال التي تحب نفسه ان يكون عليها من غير ان يكون عليها . »

وقال : « كما أن من ساءت حال بدنه من مرض به وهو ابن خمسين سنة ليس يستسلم ويترك بدنه حتى يفسد ضياعاً ، بل يلتمس ان يصبح بدنه ، وان لم يفده صحة تامة ؛ كذلك ينبغي لنا ان لا نمتنع من ان نزيد أنفسنا صحة على صحتها ، وفضيلة على فضيلتها ، وان كنا لا نقدر ان نلحقها بفضيلة نفس الحكيم . »

وقال : « يتنبأ للانسان ان يسلم من ان يظن بنفسه انه اعقل الناس ، اذا قلده غيره ، امتحان كل ما يفعله في كل يوم ، وتعريفه صواب فعله من خطئه ، ليستعمل الجليل ويطرح القبيح . »

ورأى رجلاً تعظمه الملوك لشدة جسمه ، فسأل عن اعظم ما فعله ، فقالوا : « انه حمل ثوراً

مذبوحاً من وسط الهيكل حتى أخرجه الى خارج . « فقال لهم : « فقد كانت نفس الثور تحمله ولم تكن لها في حمله فضيلة . »

ونقلت من كلام جالينوس ايضاً من مواضع آخر ، قال جالينوس :
« ان العليل يتروح بنسيم أرضه ، كما تتروح الارض الجذبة ببيل القطر ^(١) » ،
وسئل عن الشهوة فقال : « بلية تعير لا بقاء لها » .

وقيل له : « لم تحضر مجالس الطرب والملاهي؟ » قال : « لأعرف القوى والطبائع في كل حال من منظر ومسمع » .

وقيل له : متى ينبغي للانسان ان يموت ؟ قال : « اذا جهل ما يضره مما ينفعه » .

ومن كلامه انه سئل عن الاخلاط ف قيل له : « ما قولك في الدم ؟ » قال : « عبد مملوك وربما قتل العبد مولاه » قيل له : « فما قولك في الصفراء ؟ » فقال : « كلب عقور ^(٢) في حديقة » . قيل له :
« فما قولك في البلغم ؟ » قال : « ذلك الملك الرئيس ، كلما اغلقت عليه باباً فتح لنفسه باباً » .

قيل له : « فما قولك في السوداء ؟ » قال : « ميهات ، تلك الارض اذا تحركت تحرك ما عليها » .

ومن ذلك ايضاً قال : « أنا ممثل لك مثالا في الاخلاط الاربعة فأقول ؛ ان مثل الصفراء ، وهي المرأة ^(٣) الحمراء ، كمثل امرأة سليطة ^(٤) صالحة تقية . فهي تؤذي بطول لسانها ومرعة غضبها ، إلا انها ترجع سريعاً بلا غائلة ^(٥) . ومثل الدم كمثل الكلب الكلب ^(٦) فاذا دخل دارك فعاجله اما باخراجه أو قتله . ومثل البلغم اذا تحرك في البدن ، مثل مملوك دخل بيتك وانت تخاف ظلمه وجوره ، وليس يمكن ان تحرق ^(٧) به وتؤذيه بل يجب ان ترقق به وتخرجه . ومثل السوداء في الجسد ، مثل الانسان الحقود الذي لا يُتوهم فيه بما في نفسه ، ثم يشب وثبة فلا يبقى مكروهاً الا ويفعله ، ولا يرجع الا بعد الجهد الصعب . »

ومن تمثيلاته الطريفة ايضاً قال :

« الطبيعة كالمُدَّعي ، والعلة كالخصم ، والعلامات كالشهود ، والقارورة والنبض كالبيئنة ، ويوم البُحْران كيوم القضاء والفصل ؛ والمريض كالمتوكِّل ، والطبيب كالقاضي » .

وقال في تفسيره لكتاب ايمان أبقراط وعهده : « كما انه لا يصلح اتخاذ التمثال من كل حجر ،

(١) المطر .

(٢) كلب عقور ؛ كلب جارح .

(٣) خلط من اخلاط البدن (٤) بذينة اللسان .

(٥) الغائلة ؛ المهلكة والشر . (٦) المصاب بالكلب وهو داء شبه الجنون يأخذ الكلاب فتعض الناس فيكلبوا هم ايضاً

اذا لم يتناولوا دواء .

(٧) تدهشه .

ولا ينتفع بكل باب في محاربة السباع ، كذلك ، ايضاً ، لا نجد كل انسان يصلح لقبول صناعة الطب . لكنه ينبغي ان يكون البدن والنفس منه ملائمين لقبولها .

مصنفات جالينوس

ولجالينوس من المصنفات كتب كثيرة جداً ، وهذا ذكر ما وجدته منها منتشرأ في أيدي الناس بما قد نقله حنين بن اسحق العبادي وغيره الى العربي ، واغراض جالينوس في كل كتاب ، منها :

كتاب بينكس وهو الفهرست ، وغرضه في هذا الكتاب : ان يصف الكتب التي وضعها ، وما غرضه في كل واحد منها وما دعاه الى وضعه ، ولما وضعه ، وفي اي حد من سنه . وهو مقالتان : المقالة الاولى ذكر فيها كتبه في الطب ، وفي المقالة الثانية كتبه في المنطق والفلسفة والبلاغة والنحو . كتاب في مراتب قراءة كتبه ، مقالة واحدة ، وغرضه فيها : ان يخبر كيف ينبغي ان ترتب كتبه في قراءتها ، كتاباً بعد كتاب ، من اولها الى آخرها .

كتاب الفرق ، مقالة واحدة . وقال جالينوس : « انه اول كتاب يقرأه من اراد تعلم صناعة الطب » . وغرضه فيه : ان يصف ما يقوله كل واحد من فرقة اصحاب التجربة ، واصحاب القياس ، واصحاب الحيل ، في تثبيت ما يدعي ، والاحتجاج له ، والرد على من خالفه ؛ وكيف الوجه في الحكم على الحق والباطل منها . وكان وضع جالينوس لهذه المقالة وهو شاب من ابناء ثلاثين سنة او اكثر قليلاً ، عند دخوله رومية اول دخلة .

كتاب الصناعة الصغيرة ، مقالة واحدة . وقد قال جالينوس في اوله : « انه اثبت فيه جل ما قد بينه على الشرح والتلخيص في غيره من الكتب . وان ما فيه بمنزلة النتائج لما فيها . كتاب النبض الصغير ، وهو ايضاً مقالة واحدة ، عنوانها جالينوس الى طوئرس وسائر المتعلمين . وغرضه فيها : ان يصف ما يحتاج المتعلمون الى علمه من امر النبض ، ويعدد فيه اولاً أصناف النبض ، وليس يذكر فيه جميعها ، لكن ما يقوى المتعلمون على فهمه منها . ثم يصف بعد ، الاسباب التي تغير النبض ، ما كان منها طبيعياً ، وما كان منها ليس بطبيعي ، وما كان خارجاً من الطبيعية . وكان وضع جالينوس لهذه المقالة في الوقت الذي وضع فيه كتابه في الفرق .

كتاب الى اغلوقن في التآني لشفاء الامراض ومعنى اغلوقن باليونانية الازرق وكان فيلسوفاً وعندما رأى من آثار جالينوس في الطب ما اعجبه سأل ان يكتب له ذلك الكتاب . ولما كان لا يصلح المداوي الى مداواة الامراض دون تعرفها ، قدم قبل مداواتها دلائلها التي تعرف بها ، ووصف في المقالة الاولى دلائل الحميات ومداواتها . ولم يذكرها كلها ، لكنه اقتصر منها على ذكر ما يعرض كثيراً . وهذه المقالة تنقسم قسمين : ويصف في القسم الاول من هذه المقالة الحميات التي تخلو من الاعراض الغريبة ؛

ويصف في القسم الثاني الحيات التي معها اعراض غريبة . ويصف في المقالة الثانية دلائل الاورام ومداراتها . وكان وضع جالينوس لهذا الكتاب في الوقت الذي وضع فيه كتاب الفرق . كتاب في العظام ، هذا الكتاب مقالة واحدة ، وعنوانه جالينوس في العظام للمتعلمين وذلك انه يريد ان يقدم المتعلم للطب تعلم علم التشريح على جميع فنون الطب ، لانه لا يمكن عنده دون معرفة التشريح ان يتعلم شيئاً من الطب القياسي ، وغرض جالينوس في هذا الكتاب : ان يصف حال كل واحد من العظام في نفسه ، وكيف الحال في اتصاله بغيره . وكان وضع جالينوس له في وقت ما وضع سائر الكتب الى المتعلمين .

كتاب في العضل ، هذا الكتاب مقالة واحدة ، ولم يمنونه جالينوس الى المتعلمين ، لكن اهل الاسكندرية ادخلوه في عداد كتبه الى المتعلمين ، وذلك انهم جمعوا مع هاتين المقالتين ثلاث مقالات آخر كتبها جالينوس الى المتعلمين ، واحدة في تشريح العصب ، وواحدة في تشريح العروق غير الضواري . وواحدة في تشريح العروق الضواري . وجعلوه كأنما دون كتاباً واحداً ذا خمس مقالات وعنوانه « في التشريح الى المتعلمين » وغرض جالينوس في كتابه هذا اعني كتابه في العضل ، ان يصف امر جميع العضل الذي في كل واحد من الأعضاء كم هي واي العضل هي ، ومن اين تبتدىء كل واحدة منها ، وما فعلها بغاية الاستقصاء .

كتاب في العصب ، هذا الكتاب ايضاً مقالة كتبها الى المتعلمين وغرضه فيها : ان يصف كم زوجاً من العصب تنبت من الدماغ والنخاع ، واي الاعصاب هي ، وكيف واين تنقسم كل واحدة منها ، وما فعلها ؟ كتاب في العروق ، هذا الكتاب عند جالينوس مقالة واحدة ، يصف فيها امر العروق التي تنبض والتي لا تنبض ، كتبه للمتعلمين ، وعنوانه الى انطستانس . فأما اهل الاسكندرية فقسّموه الى مقالتين : مقالة في العروق غير الضواري ، ومقالة في العروق الضواري . وغرضه فيه : ان يصف كم عرقاً تنبت من الكبد ! واي العروق هي ؟ وكيف هي ؟ واين ينقسم كل واحد منها ؟ وم شريانا تنبت من القلب ؟ واي الشريانات هي ؟ وكيف هي ؟ واين تنقسم ؟

كتاب الاسطقسات : على رأي ابقراط ، مقالة واحدة ، وغرضه فيه : ان يبين ان جميع الاجسام التي تقبل الكون والفساد وهي ابدان الحيوان والنبات والاجسام التي تتولد في بطن الارض انما تركيبها من الاركان الاربعة التي هي : النار والهواء والماء والارض ، وان هذه هي الاركان الاولى البعيدة لبدن الانسان ؛ واما الاركان الثواني القريبة التي بها قوام بدن الانسان ، وسائر ما له دم من الحيوان فهي الاخلاط الاربعة اعني الدم والبلغم والمرتين^(١) .

كتاب المزاج : ثلاث مقالات ، وصف في المقالتين الاوليين منه اصناف مزاج ابدان الحيوان . فبين كم هي ، واي الاصناف هي ؟ ووصف الدلائل التي تدل على كل واحدة منها . وذكر في المقالة الثالثة

(١) الصفراء والسوداء .

منه اصناف مزاج الادوية وبين كيف تختبر وكيف يمكن تعرفها .

كتاب القوى الطبيعية : ثلاث مقالات ، وغرضه فيه : ان يبين ان تدبير البدن يكون بثلاث قوى طبيعية ، وهي القوة الجالبة ، والقوة الجالبة المتنية ، والقوة الغازية . وان القوة الجالبة مركبة من قوتين أحدهما تغير المني وتحيله حتى تجعل منه الاعضاء المتشابهة الاجزاء ؛ والاخرى تركيب الاعضاء المتشابهة الاجزاء بالهيئة والوضع والمقدار ، او العدد الذي يحتاج اليه في كل واحد من الاعضاء المركبة ، وانه يخدم القوة العادية اربع قوى : وهي القوة الجاذبة ، والقوة المسكة ، والقوة المغيرة ، والقوة الدافعة .

كتاب العلل والاعراض : ست مقالات ، وهذا الكتاب ايضاً الف جالينوس مقالاته متفرقة ، وانما الاسكندريون جمعوها وجعلوها كتاباً واحداً . وعنون جالينوس المقالة الاولى من هذه الست المقالات في اصناف الامراض ، ووصف في تلك المقالة كم اجناس الامراض ، وقسم كل واحد من تلك الاجناس الى انواعه ، حتى انتهى في القسمة الى اقصى انواعها . وعنون المقالة الثانية منها في اسباب الامراض ، وغرضه فيها موافق لعنوانها ، وذلك انه يصف فيها كم اسباب كل واحد من الامراض ، واي الاسباب هي . واما المقالة الثالثة من هذه الست فعنوانها في اصناف الاعراض ، ووصف فيها كم اجناس الاعراض وانواعها ، واي الاعراض هي . واما الثلاث المقالات الباقية فعنوانها في اسباب الاعراض ، ووصف فيها كم الاسباب الفاعلة لكل واحد من الاعراض ، وأي الاسباب هي .

كتاب تعرف علل الاعضاء الباطنة : ويعرف ايضاً بالمواضع الآتية ، ست مقالات . وغرضه فيه : ان يصف دلائل يُستدل بها على احوال الاعضاء الباطنة اذا حدثت بها الامراض ؛ وعلى تلك الامراض التي تحدث فيها واي الامراض هي ، ووصف في المقالة الاولى وبعض الثانية منه ، السبل العامة التي تتعرف بها الأمراض مواضعها . وكشف في المقالة الثانية خطأ ارجيجانس في الطرق التي سلكها في طلب هذا الغرض . ثم اخذ باقي المقالة الثانية ، وفي المقالات الاربع التالية لها ، في ذكر الاعضاء الباطنة وامراضها عضواً عضواً . وابتدأ من الدماغ ، وهلم جراً على الولاء يصف الدلائل التي يُستدل بها على واحد واحد منها ، اذا اعتلّ ، كيف تتعرف علته الى ان انتهى الى اقصاها .

كتاب النبض الكبير : هذا الكتاب جعله جالينوس في ست عشرة مقالة وقسمها بأربعة أجزاء ، في كل واحد من الاجزاء أربع مقالات .

وعنون الجزء الاول منها في اصناف النبض . وغرضه فيه : ان يبين كم اجناس النبض الاول ؟ وأي الاجناس هي ، وكيف ينقسم كل واحد منها الى انواعه ؟ الى ان ينتهي الى اقصاها . وعمد في المقالة الاولى من هذا الجزء الى جملة ما يحتاج اليه من صفة اجناس النبض وانواعها ، فجمعه فيها عن آخره . وأفرد الثلاث المقالات الباقية من ذلك الجزء للحججاج ، والبحث عن اجناس النبض وانواعه ، وعن حده .

وعنون الجزء الثاني في تعرف النبض ، وغرضه فيه : ان يصف كيف يتعرف كل واحد من اصناف النبض بمجسدة العرق .

وعنون الجزء الثالث في اسباب النبض ، وغرضه فيه : ان يصف من أي الاسباب يكون كل واحد من اصناف النبض .

وعنون الجزء الرابع في مقدمة المعرفة من النبض ، وغرضه فيه : ان يصف كيف يستخرج سابق العلم من كل واحد من اصناف النبض .

كتاب اصناف الحيات : مقالتان . وغرضه فيه : ان يصف اجناس الحيات وانواعها ودلائلها ، وصف في المقالة الاولى منه جنسين من اجناسها ، احدهما يكون في الروح ، والآخر في الاعضاء الاصلية . ووصف في المقالة الثانية الجنس الثالث منها الذي يكون في الاخلاط اذا عفنت .

كتاب البحران ، ثلاث مقالات . وغرضه فيه : ان يصف كيف يصل الانسان الى ان يتقدم ، فيعلم هل يكون البحران ام لا ؟ وان كان يحدث ، فمتى يحدث ؟ وبماذا ، والى أي شيء يؤول امره ؟ كتاب ايام البحران ، ثلاث مقالات ، وغرضه في المقالتين الاوليين منه : ان يصف اختلاف الحال من الايام في القوة . وايها يكون فيه البحران ؟ وايها لا يكاد يكون فيه ؛ وأي تلك التي يكون فيها البحران ، يكون البحران الحادث فيها محموداً ؟ وايها يكون البحران الحادث فيها مذموماً ؟ وما يتصل بذلك . ويصف في المقالة الثالثة الاسباب التي من اجلها اختلفت الايام في قواها هذا الاختلاف .

كتاب حيلة البرء ، اربع عشرة مقالة . وغرضه فيه : ان يصف كيف يداوي كل واحد من الامراض بطريق القياس . ويقتصر فيه على الاعراض العامة التي ينبغي ان يقصد قصدها في ذلك ، ويستخرج منها ما ينبغي ان يداوي به كل مرض من الامراض ، ويضرب لذلك مثالات يسيرة من اشياء جزئية .

وكان وضع ست مقالات منه لرجل يقال له أيارن ، بين في المقالة الاولى والثانية منها الاصول الصحيحة التي عليها يكون مبنى الامر في هذا العلم ، وفسخ الاصول الخطأ التي اصلها اراسطراطس واصحابه . ثم وصف في المقالات الاربع الباقية مداواة تفرق الاتصال من كل واحد من الاعضاء . ثم ان أيارن توفي فقطع جالينوس استتمام الكتاب الى ان سأله اوجانيوس ان يتمه . فوضع له الثماني المقالات الباقية . فوصف في الست الاولى منها مداواة امراض الاعضاء المتشابهة الاجزاء ، وفي المقالتين الباقيتين مداواة امراض الاعضاء المركبة . ووصف في المقالة الاولى من الست الاول مداواة اصناف سوء المزاج كلها اذا كانت في عضو واحد ؛ وأجرى امرها على طريق التمثيل بما يحدث في المعدة . ثم وصف في المقالة التي بعدها ، وهي الثامنة من جملة الكتاب ، مداواة اصناف الحمى التي تكون في الروح ، وهي حمى يوم . ثم وصف في المقالة التي تتلوها ، وهي التاسعة ،

مداواة الحمى المطبقة ^(١) . ثم في العاشرة مداواة الحمى التي تكون في الاعضاء الاصلية ، وهي الدق ^(٢) ، ووصف فيها جميع ما يحتاج الى عمله من امر استعمال الحمام . ثم وصف في الحادية عشرة والثانية عشرة مداواة الحميات التي تكون من عفونة الاخلاط . اما في الحادية عشرة فما كان منها خلواً من اعراض غريبة . واما في الثانية عشرة فما كان منها مع اعراض غريبة .

كتاب علاج التشريح - وهو الذي يعرف بالتشريح الكبير - كتبه في خمس عشرة مقالة، وذكر انه قد جمع فيه كل ما يحتاج اليه من امر التشريح . . ووصف في المقالة الاولى منه العضل والرباطات في اليدين . وفي الثانية العضل والرباطات في الرجلين . وفي الثالثة العصب والعروق التي في اليدين والرجلين . وفي الرابعة العضل الذي يحرك الحدين والشفيتين ، والعضل الذي يحرك اللحي الاسفل ^(٣) الى ناحية الرأس والى ناحية الرقبة والكتفين . وفي الخامسة عضل الصدر ^(٤) ومراق البطن والمنتين ^(٥) والصلب ^(٦) . ووصف في السادسة آلات الغذاء وهي المعدة ، والامعاء ، والكبد ، والكليتين ، والمثانة ^(٧) ، وسائر ما اشبه ذلك . وفي السابعة والثامنة وصف تشريح آلات التنفس . اما في السابعة فوصف ما يظهر في التشريح في القلب والرئة والعروق الضواري ^(٨) بعد موت الحيوان ، وما دام حياً . وأما في الثامنة فوصف ما يظهر في التشريح في جميع الصدر . وأفرد المقالة التاسعة بأسرها بصفة تشريح الدماغ والنخاع . ووصف في العاشرة في تشريح العينين واللسان والمرىء ^(٩) وما يتصل بهذه من الاعضاء . ووصف في الحادية عشرة الخنجرة والعظم الذي يشبه اللام في حروف اليونانيين ، وما يتصل بذلك من العصب الذي يأتي هذه المواضع . ووصف في الثانية عشرة تشريح أعضاء التوليد ^(١٠) . وفي الثالثة عشرة تشريح الضواري وغير الضواري . وفي الرابعة عشرة تشريح العصب الذي ينبت من النخاع . قال جالينوس : وهذا الكتاب المضطر اليه من علم التشريح . وقد وضعت كتباً أخر لست بمضطر اليها ، لكنها نافعة في علم التشريح .

اختصار كتاب مارينس في التشريح - وكان مارينس ألف كتابه هذا في عشرين مقالة . وانما جالينوس اختصره في اربع مقالات .

اختصار كتاب لوقس في التشريح - وهذا الكتاب ايضاً ألفه صاحبه في سبع عشرة مقالة .

(١) التي تدوم ليلاً ونهاراً .

(٢) الحمى التي تعرفها العامة بالسخولة الرفيعة .

(٣) الفك الاسفل .

(٤) مراق من اسفل البطن ولان . (٥) ما يكتنف الصلب من لحم وعصب عن يمين وشمال .

(٦) عظم الظهر ذو الفقار يمتد من الكاحل حتى عجب الذنب .

(٧) مستقر البول وموضعه من الانسان والحيوان .

(٨) الاعصاب المحركة (ن.د)

(٩) مجرى الطعام من الحلقوم الى المعدة .

(١٠) الجهاز التناسلي (ن.د)

وقد ذكر جالينوس انه اختصره في مقالتين .

كتاب فيما وقع من الاختلاف بين القدماء في التشريح – مقالتان ، وغرضه فيه ان يبين امر الاختلاف الذي وقع في كتب التشريح فيما بين من كان قبله من اصحاب التشريح ، أي شيء منه انما هو في الكلام فقط ، وأي شيء منه وقع في المعنى وما سبب ذلك .

كتاب تشريح الاموات – مقالة واحدة ، يصف فيها الاشياء التي تعرف من تشريح الحيوانات الميتة ، أي الاشياء هي ؟

كتاب تشريح الاحياء – مقالتان . وغرضه فيه : ان يبين الاشياء التي تعرف من تشريح الحيوان الحي ، أي الاشياء هي .

كتاب في علم ابقراط بالتشريح – هذا الكتاب جعله جالينوس في خمس مقالات وكتبه لبويثوس في حادثة سنة ، وغرضه فيه : ان يبين ان ابقراط كان صادقاً بعلم التشريح ، وأتى على ذلك بشواهد من جميع كتبه .

كتاب في آراء أراسطرطس بالتشريح – هذا الكتاب جعله في ثلاث مقالات ، وكتبه ايضاً لبويثوس في حادثة من سنة . وغرضه فيه : ان يشرح ما قاله ارسطرطس في التشريح في جميع كتبه . ثم بين له صوابه فيما أصاب ، وخطأه فيما أخطأ فيه .

كتاب فيما يعلمه لوقس من امر التشريح ، اربع مقالات . كتاب فيما خالف فيه لوقس في التشريح ، مقالاتان . كتاب في تشريح الرحم ، هذا الكتاب مقالة واحدة صغيرة ، كتبه لامرأة قابلة (١) في حادثة سنة ، فيه جميع ما يحتاج اليه من تشريح الرحم (٢) ، وما يتولد فيها في الوقت الذي للحمل .

كتاب في مفصل الفقرة من ففار الرقبة، مقالة واحدة . كتاب في اختلاف الاعضاء المتشابهة الاجزاء مقالة واحدة ، كتاب في تشريح آلات الصوت، مقالة واحدة . وقال حنين : ان هذا الكتاب مفتعل على لسان جالينوس ، وليس هو لجالينوس ولا غيره من القدماء ، ولكنه لبعض الحدث جمعه من كتب جالينوس ، وكان الجامع له مع هذا ايضاً ضعيفاً . كتاب في تشريح العين ، هذا الكتاب ايضاً مقالة واحدة . وقال حنين : ان عنوانه ايضاً باطل . لانه ينسب الى جالينوس ، وليس هو لجالينوس . وخليق ان يكون لروفس او لمن دونه .

كتاب في حركة الصدر والرئة : هذا الكتاب جعله في ثلاث مقالات ، وكان وضعه في حادثة من سنة بعد عودته الاولى من رومية . وكان حينئذ مقيماً بمدينة سميرنا عند فالقس ، وانما كان سألها اياه بعض من كان يتعلم معه . وصف في المقالتين الاوليين منه وفي اول الثالثة ما اخذه عن فالقس ، معلمه ، في ذلك الفن . ثم وصف في باقي المقالة الثالثة ما كان هو المستخرج له . كتاب في علل النفس ، هذا

(١) التي تتلقى الولد عند ولادته .

(٢) وعاء الولد في بطن امه ما دام جنيناً .

الكتاب جعله في مقالتين في رحلته الأولى الى رومية لبوثيوس ، وغرضه فيها : ان يبين من اي الآلات يكون التنفس عفواً ومن ايها يكون باستكراه .

كتاب في الصوت ، هذا الكتاب جعله في أربع مقالات بعد الكتاب الذي ذكرته قبله ، غرضه فيه : ان يبين كيف يكون الصوت ؟ واي شيء هو ؟ وما مادته ؟ وبأي الآلات يحدث ؟ وأي الاعضاء تعين على حدوثه ؟ وكيف تختلف الاصوات ؟

كتاب في حركة العضل ، مقالتان وغرضه فيه : ان يبين ما حركة العضل ؟ وكيف هي ! وكيف تكون هذه الحركات المختلفة من العضل ؟ وإنما حركته حركة واحدة . ويبحث أيضاً فيه عن النفس هل هو من الحركات الارادية ^(١) ام من الحركات الطبيعية ؟ ويفحص فيه عن اشياء كثيرة لطيفة من هذا الفن .

مقالة في مناقضة الخطأ الذي اعتقد في تمييز البول من الدم ، مقالة في الحاجة الى النبض .

مقالة في الحاجة الى التنفس .

مقالة في العروق الضواري هل يجري فيها الدم بالطبع ام لا ؟

كتاب في قوى الادوية المسهلة ، مقالة واحدة . يبين فيها ان اسهال الادوية وما يسهل ليس هو بأن كل واحد من الادوية يحيل ما يصادفه في البدن الى طبيعته ، ثم يندفع ذلك فيخرج ، لكن كل واحد منها يحتذب خطأ موافقاً مشاكلاً له .

كتاب في العادات : مقالة واحدة . وغرضه فيه ان يبين : ان العادة احد الأعراض التي ينبغي ان ينظر فيها ، ويوجد متصلاً بهذا الكتاب ومتحدداً معه تفسير ما أتى به جالينوس فيها من الشهادات من قول فلاطن بشرح ايروقليس له ، وتفسير ما أتى به من قول ابقرط بشرح جالينوس له .

كتاب في آراء ابقرط وفلاطن : عشر مقالات . وغرضه فيه : ان يبين ان افلاطن في اكثر اقاويله . موافق لبقرط من قبل انه عنه اخذها . وان ارسطوطاليس فيما خالفها فيه قد اخطأ . ويبين فيه جميع ما يحتاج اليه من امر قوة النفس المدبرة التي بها تكون الفكرة والتوهم والذكر ، ومن امر الاصول الثلاثة التي منها تنبعث القوى التي بها يكون تدبير البدن . وغير ذلك من فنون شتى .

كتاب في الحركة المعتاصة : مقالة واحدة . وغرضه فيها : ان يبين امر حركات كان قد جعلها هو ومن كان قبله ثم علمها بعد .

كتاب في آلة الشم : مقالة واحدة ؟

كتاب منافع الاعضاء : سبع عشرة مقالة بين في المقالة الاولى والثانية منه حكمة الباربي ، تبارك وتعالى ، في اتقان خلقة اليد ، وبين في القول الثالث حكيمته في اتقان الرجل . وفي الرابع والخامس

(١) اي التي تخضع للفعل الدماغ (ن.ر)

حكته في آلات الغذاء ، وفي السادس والسابع امر آلات التنفس ، وفي الثامن والتاسع امر ما في الرأس ، وفي العاشر امر العينين . وفي الحادي عشر سائر ما في الوجه ، وفي الثاني عشر الاعضاء التي هي مشاركة للرأس والعنق وفي الثالث عشر نواحي الصلب والكتفين . ثم وصف في المقالتين اللتين بعد تلك الحكمة في اعضاء التوليد . ثم في السادس عشر من امر الآلات المشتركة للبدن كله وهي العروق الضواريب وغير الضواريب والاعصاب . ثم وصف في المقالة السابعة عشرة حال جميع الاعضاء ومقاديرها ، وبين منافع ذلك الكتاب كله .

مقالة في افضل هيئات البدن ، وهذه المقالة تتلو المقالتين الاولين من « كتاب المزاج » . وغرضه فيها بين من عنوانها .

مقالة في خصب البدن : وهي مقالة صغيرة . وعرضه فيها بين من عنوانها .

مقالة في سوء المزاج المختلف ، وغرضه فيها يتبين من عنوانها ، يذكر فيه أي اصناف سوء المزاج هو مستوفي البدن كله ؟ وكيف يكون الحال فيه ؟ وأي اصناف سوء المزاج هو مختلف في اعضاء البدن ؟

كتاب الادوية المفردة ، هذا الكتاب جعله في احدى عشرة مقالة : كشف في المقالتين الاولتين خطأ من اخطأ في الطرق الرديئة التي سلكت في الحكم على قوى الادوية ، ثم أصل في المقالة الثالثة أصلاً صحيحاً لجميع العلم بالحكم على القوى الاولى من الادوية . ثم بين في المقالة الرابعة امر القوى الثواني ، وهي الطعوم والروائح ، واخبر بما يستدل عليها منها على القوى الاولى من الادوية . ووصف في المقالة الخامسة القوى الثواب من الادوية ، وهي أفاعيلها في البدن من الاسخا والتبريد والتجفيف والترطيب . ثم وصف في المقالات الثلاث التي تتلو تلك قوة دواء من الادوية التي هي اجزاء من النباتات . ثم في المقالة التاسعة قوى الادوية التي هي اجزاء من الارض ، أعني اصناف التراب والطين والحجارة والمعادن . وفي العاشرة قوى الادوية التي هي مما يتولد في ابدان الحيوانات . ثم وصف في الحادية عشرة قوى الادوية التي هي مما يتولد في البحر والماء المالح .

مقالة في دلائل علل العين ، كتبها في حديثه لغلام كحل^(١) . وقد لخص فيها العلل التي تكون في كل واحدة من طبقات العين ووصف دلائلها .

مقالة في اوقات الامراض ، وصف فيها امر اوقات المرض الاربعة ، أعني الابتداء والتزايد والانتها والانهطاط .

كتاب الامتلاء ، — ويعرف أيضاً بكتاب الكثرة — وهو مقالة واحدة يصف فيها امر كثرة الاخلاط ، ويصفها ويصف دلائل كل واحد من اصنافها .

(١) طبيب عيون (ن،ر)

مقالة في الاورام ، ووسمها جالينوس أصناف الغلظ الخارج عن الطبيعة . ووصف في هذه المقالة جميع اصناف الاورام ودلائلها .

مقالة في الاسباب البادية - وهي الاورام التي تحدث من خارج البدن - يبين في هذه المقالة ان الاسباب البادية عملاً في البدن ونقص قول من دفع عملها .

مقالة في الاسباب المتصلة بالأمراض ، ذكر فيها الاسباب المتصلة بالمرض الفاعلة له .

مقالة في الرعدة^(١) والنافض^(٢) والاختلاج^(٣) والتشنج^(٤) .

مقالة في اجزاء الطب ، يقسم فيها الطب على طرق شتى من القسم والتقسم .

كتاب المني ، مقالتان . وغرضه فيه : ان يبين ان الشيء الذي يتولد منه جميع اعضاء البدن ليس هو الدم ، كما ظن ارسطوطاليس ، لكن تولد جميع الاعضاء الاصلية انما هو من المني ، وهي الاعضاء البيض . وان الذي يتولد من دم الطمث انما هو اللحم الاحمر وحده .

مقالة في تولد الجنين المولود لسبعة اشهر .

مقالة في المرة السوداء ، يصف فيها اصناف السوداء ودلائلها .

كتاب ادوار الحميات وتراكيبها .

مقالة واحدة يناقض فيها قوماً ادعوا الباطل من امر ادوار الحميات وتراكيبها ، وعنوان هذا الكتاب عند جالينوس : « مناقضة من تكلم في الرسوم » .

قال حنين : وقد توجد مقالة اخرى نسبت الى جالينوس في هذا الباب وليست له :

اختصار كتابه المعروف بالنبض الكبير ، مقالة واحدة ذكر جالينوس انه كمل فيها النبض .

قال حنين : « وأما أنا فقد رأيت باليونانية مقالة ينحى بها هذا النحو، ولست اصدق ان جالينوس الواضع لتلك المقالة ، لانها لا تحيط بكل ما يحتاج اليه من امر النبض ، وليست بحسنة التأليف ايضاً . وقد يجوز ان يكون جالينوس قد وعد ان يضع تلك المقالة فلم يتهياً له وضعها . فلما وجدته بعض الكذابين قد وعد ولم يف ، تحرص وضع المقالة ، واثبت ذكرها في الفهرست كما يصدق فيها . ويجوز ان يكون جالينوس ايضاً قد وضع مقالة في ذلك غير تلك ، وقد درست كما درس كثير من كتبه ، وافتعلت هذه المقالة عوضها ومكانها .

كتاب في النبض : يناقض فيه ارخيچانس قال جالينوس : انه جعله في ثمان مقالات .

كتاب في رداء التنفس ، هذا الكتاب جعله في ثلاث مقالات ، وغرضه فيه : ان يصف اصناف النفس الرديء واسبابه ، وما يدل عليه ، وهو يذكر في المقالة الاولى منه اصناف التنفس واسبابه .

(١) الرعدة : الرعدة وهي النافض من الحمى والحرق ، (٢) النافض : الحمى ذات الرعدة . (٣) الاختلاج : الاضطراب والتحرك . (٤) التشنج : التقبض والتقلص (ن،ر)

وفي الثانية اصناف سوء التنفس وما يدل عليه كل صنف منها ، وفي المقالة الثالثة يأتي بشواهد من كلام ابقراط على صحة قوله .

كتاب نواذر تقدمه المعرفة : مقالة واحدة . يبحث فيها على مقدمة المعرفة ويعلم حيلة لطيفة تؤدي الى ذلك ، ويصف اشياء بديعة تقدم فعلها من امر المرضى وخبر بها فعجب منه .

اختصار كتابه في حيلة البرء مقالاتان . كتاب الفصد ، ثلاث مقالات قصد في المقالة الاولى منها المناقضة لاراسطراطس لانه كان يمنع من الفصد ، وناقض في الثانية اصحاب اراسطراطس الذين برومية في هذا المعنى بعينه ، ووصف في الثالثة ما يراه هو من العلاج بالفصد . كتاب النبول ، مقالة واحدة . وغرضه فيه ان يبين طبيعة هذا المرض واصنافه ، والتدبير الموفق لمن اشرف عليه .

مقالة في صفات لصبي يصرع .

كتاب قوى الأغذية : ثلاث مقالات . عدد فيه ما يتغذى به من الاطعمة والاشربة، ووصف ما في كل واحد منها من القوى .

كتاب التدبير الملطف : مقالة واحدة . وغرضه موافق لعنوانه .

اختصار هذا الكتاب الذي في التدبير الملطف ، مقالة واحدة ، كتاب الكيموس الجيد والرديء ، مقالة واحدة يصف فيها الاغذية ويذكر ايها تولد كيموساً محموداً وايها تولد كيموساً رديئاً .

كتاب في افكار اراسطراطس في مداواة الأمراض ، ثمان مقالات . اختبر فيه السبل التي سلكها اراسطراطس في المداواة ، وبين صوابها من خطئها .

كتاب تدبير الامراض الحادة على رأي ابقراط ، مقالة واحدة .

كتاب تركيب الأدوية ، جعله في سبع عشرة مقالة اجمل في سبع منها اجناس الأدوية المركبة ، فعدد جنساً جنساً منها وجعل مثل جنس الادوية التي تبني اللحم في القروح على حدة ، وجنس الادوية التي تحلل على حدة ، وجنس الادوية التي تدمل وسائر اجناس الادوية على هذا القياس ، وانما غرضه فيه ان يصف طريق تركيب الادوية على الجمل . ولذلك جعل عنوان هذه السبع المقالات في تركيب الادوية على الجمل والاجناس ، واما العشر المقالات الباقية فجعل عنوانها في تركيب الادوية بحسب المواضع ، واراد بذلك ان وصفه لتركيب الادوية في تلك المقالات العشر ليس يقصد بها الى ان يخبر ان صنفاً صنفاً منها يفعل فعل ما في مرض من الامراض مطلقاً ، لكن بحسب المواضع اعني العضو الذي فيه ذلك المرض ، وابتدأ فيه من الرأس ، ثم هلم جراً ، على جميع الاعضاء الى ان انتهى الى اقصاها .

أقول : « وجلة هذا الكتاب الذي رسمه جالينوس في تركيب الادوية لا يوجد في هذا الوقت إلا وهو منقسم الى كتابين . وكل واحد منها على حدته . ولا يبعد ان الاسكندرانيين^(١) لتبصرهم في

(١) هم اركان الطب في مدرسة الاسكندرية وهم الذين عنوا بتفسير كتب جالينوس . وكانوا على مذهب المسيح .

كتب جالينوس صنعوا هذا ، او غيرهم . فالأول يعرف بكتاب قاطاجانس ، ويتضمن السبع المقالات الاولى التي تقدم ذكرها . والآخر يعرف بكتاب الميامر . ويحتوي على العشر المقالات الباقية والميامر جمع ميمر ، وهو الطريق ويشبه ان يكون سمي هذا الكتاب بذلك اذ هو الطريق الى استعمال الادوية المركبة على جهة الصواب .

كتاب الادوية التي يسهل وجودها : وهي التي تسمى الموجودة في كل مكان ، مقالتان .

وقال حنين انه قد اضيف اليه مقالة اخرى في هذا الفن ونسبت الى جالينوس ، وما هي لجالينوس لكنها لفلفريوس . وقال حنين ايضاً انه قد ألحق في هذا الكتاب هدياناً كثيراً ، وصفات بديعة عجيبة ، وادوية لم يرها جالينوس ولم يسمع بها قط .

كتاب الادوية المكافحة للدواء : جعله في مقالتين ووصف في المقالة الاولى منه أمر الترياق (١) . وفي المقالة الثانية منه امر سائر المعجونات .

كتاب الترياق الى مفيليانوس ، مقالة واحدة صغيرة .

كتاب الترياق الى قيصر ، وهذا الكتاب ايضاً مقالة واحدة .

كتاب الحيلة لحفظ الصحة : ست مقالات . وغرضه فيه : ان يعلم كيف حفظ الاصحاء على صحتهم ، من كان منهم على غاية كمال الصحة ، ومن كانت صحته تقصر عن غاية الكمال ، ومن كان منهم يسير بسيرة الاحرار ؛ ومن كان منهم يسير بسيرة العبيد .

كتاب الى اسبولوس ، مقالة واحدة ، وغرضه فيه : أن يفحص هل حفظ الاصحاء على صحتهم من صناعة الطب ام هو من صناعة اصحاب الرياضة ؟ وهي المقالة التي اشار اليها في ابتداء كتاب تدبير الاصحاء ، حين قال : « ان الصناعة التي تتلو القيام على الابدان واحدة كما بينت في غير هذا الكتاب ؟

كتاب الرياضة بالكرة الصغيرة ، هذا الكتاب مقالة واحدة صغيرة ، يحمّد فيها الرياضة بالكرة الصغيرة واللعب بالصولجان ، ويقدمه على جميع أصناف الرياضة .

تفسير كتاب عهد ابقراط ، مقالة واحدة .

تفسير كتاب الفصول لابقراط ، جعله في سبع مقالات .

تفسير كتاب الكسر لابقراط ، جعله في ثلاث مقالات .

تفسير كتاب رد الخلع لابقراط ، جعله في اربع مقالات .

تفسير كتاب مقدمة المعرفة لابقراط ، جعله في ثلاث مقالات .

تفسير كتاب تدبير الامراض الحادة لابقراط ، والذي نجده من تفسيره لهذا الكتاب هو ثلاث مقالات .

(١) دواء للسموم « فارسي معرب » واصله الدرياق .

وقال جالينوس في فينكس كتيبه : « انه فسر في خمس مقالات ، وان هذه الثلاث مقالات الأولى هي تفسير الجزء الصحيح من هذا الكتاب ، والمقالتان الباقيتان فيها تفسير المشكوك فيه . »

تفسير كتاب القروح لابقراط ، جملة في مقالة واحدة .

تفسير كتاب جراحات الرأس لابقراط ، مقالة واحدة .

تفسير كتاب ابيديا لابقراط ، فسر المقالة الأولى منه في ثلاث مقالات ، والثانية في ست مقالات ، والثالثة في ثلاث مقالات ، والسادسة في ثمان مقالات ، هذه التي فسرهما ، واما الثلاث الباقية وهي الرابعة والخامسة والسادسة فلم يفسرها ، لانه ذكر انها مفتعلة على لسان ابقراط .

تفسير كتاب الاخلاط لابقراط ، جملة في ثلاث مقالات .

تفسير كتاب مقدمة الانذار لابقراط ، وهذا الكتاب لم اجد له نسخة الى هذه الغاية .

تفسير كتاب قاطيطريون لابقراط ، جملة في ثلاث مقالات .

تفسير كتاب الهواء والماء والمساكن لابقراط ، جملة ايضاً في ثلاث مقالات ، وقد وجدنا بعض النسخ من هذا التفسير ايضاً في اربع مقالات ، الا ان الاول هو المعتمد عليه .

تفسير كتاب الغذاء لابقراط ، جملة في اربع مقالات .

تفسير كتاب طبيعة الجنين لابقراط ، قال حنين : هذا الكتاب لم نجد له تفسيراً من قول جالينوس ، ولا نجد جالينوس ذكر في فهرست كتيبه انه عمل له تفسيراً . الا اننا وجدناه قد قسم هذا الكتاب بثلاثة اجزاء في كتابه الذي عمله في علم ابقراط في التشريح . وذكر ان الجزء الاول والثالث من هذا الكتاب منحول ليس هو لابقراط . واما الصحيح منه الجزء الثاني . وقد فسر هذا الجزء جاسيوس^(١) الاسكندراني ، وقد وجدنا لجميع الثلاثة الاجزاء تفسيرين احدهما سرياني موسم بأنه لجالينوس ، قد كان ترجمه سرجس^(٢) ، فلما فحصنا عنه علمنا انه لبالبس . والآخر يوناني ، فلما فحصنا عنه وجدناه لسورانوس الذي من شعبة المتوذيون وترجم حنين نص هذا الكتاب الا قليلاً منه الى العربية في خلافة المعتز بالله .

تفسير كتاب طبيعة الانسان لابقراط ، جملة في مقالتين .

كتاب في ان رأي ابقراط في كتاب طبيعة الانسان وفي سائر كتيبه واحد ، جملة في ثلاث مقالات . وقال جالينوس انه ألفه بعد تفسيره لكتاب طبيعة الانسان ، وذلك عندما بلغه ان قوماً يعيبون ذلك الكتاب ويدعون فيه انه ليس لابقراط .

«١» احد الاطباء الاسكندرانيين واشهر من شرح كتب جالينوس وأظهر فيها عن فضل ودراية .

«٢» وهو سرجس الفيلسوف راضله من رأس معين - الجزيرة - وكان من اشهر من نقل الكتب اليونانية الى السريانية .

كتاب في ان الطبيب الفاضل يجب ان يكون فيلسوفاً ، مقالة واحدة .

كتاب في كتب ابقراط الصحيحة وغير الصحيحة ، مقالة واحدة .

كتاب في البحث عن صواب ما ثلث به قوينطس اصحاب ابقراط الذين قالوا بالكيفيات الاربع ، مقالة واحدة . وقال حنين : ان هذا الكتاب لا اعلم بالحقيقة انه جالينوس ام لا ، ولا احسبه ترجم .

كتاب في السبات على رأي ابقراط ، وقال حنين ايضاً : ان القصة في هذا مثل القصة في الكتاب الذي ذكر قبله .

كتاب في الفاظ ابقراط ، قال حنين : هذا الكتاب ايضاً مقالة واحدة ، وغرضه فيه ان يفسر غريب الفاظ ابقراط في جميع كتبه ، وهو نافع لمن يقرأ باليونانية ، فأما من يقرأ بغير اليونانية فليس يحتاج اليه . ولا يمكن ايضاً ان يترجم أصلاً .

كتاب في جوهر النفس ، ما هي على رأي أسقليبيادس مقالة واحدة .

كتاب في تجربة الطبيعة ، مقالة واحدة يقتص فيها حجج اصحاب التجربة ، وأصحاب القياس بعضهم على بعض .

كتاب في الحث على تعميم الطب ، مقالة واحدة . وقال حنين : ان كتاب جالينوس هذا نسخ فيه كتاب مينودوطس ، وهو كتاب حسن نافع ظريف .

كتاب في حمل التجربة : مقالة واحدة .

كتاب في محنة افضل الاطباء : مقالة واحدة .

كتاب فيما يعتقده رأياً : مقالة واحدة يصف فيها ما علم وما لم يعلم .

كتاب في الاسماء الطبية : وغرضه فيه : ان يبين امر الاسماء التي استعملها الاطباء على اي المعاني استعملوها ، وجعله خمس مقالات . والذي وجدناه قد نقل الى اللغة العربية انما هي المقالة الاولى التي ترجمها حبش الاعسم^(١).

كتاب البرهان : هذا الكتاب جعله في خمس عشرة مقالة ، وغرضه فيه : ان يبين كيف الطريق في تبين ضرورة ، وذلك كان غرض ارسطوطاليس في كتابه الرابع من المنطق ، قال حنين : ولم يقع الى هذه الغاية الى احد من اهل دهرنا لكتاب البرهان نسخة تامة باليونانية . على ان جبرائيل قد كان عني بطلبه عناية شديدة ، وطلبته أنا ايضاً بغاية الطلب ، وجلت في طلبه بلاد الجزيرة ، والشام كلها ، وفلسطين ، ومصر الى ان بلغت الى الاسكندرية ، فلم اجد منه شيئاً الا بدمشق نحواً من نصفه ، إلا انها غير متوالية ولا تامة . وقد كان جبرائيل ايضاً وجد منه مقالات ليست كلها المقالات السقي

(١) احد الاطباء النقلة الذين نقلوا الكتب اليونانية الى اللغة العربية .

وجدت بأعيانها . وترجم له ايوب ما ^(١) وجد منها ، واما أنا فلم قطب نفسي بترجمة شيء منها الا باستكمال قراءتها لما هي عليه من النقصان والاختلال ، وللطعم وتشوق النفس الى وجدان تمام الكتاب . ثم اني ترجمت ما وجدت منه الى السريانية ، وهو جزء يسير من المقالة الثانية ، واكثر المقالة الثالثة ونحوها من نصف المقالة الرابعة من ارلها فانه سقط ، واما سائر المقالات الاخر فوجدت الى آخر الكتاب ما خلا المقالة الخامسة عشرة ، فان في آخرها نقصاناً ، وترجم عيسى ^(٢) بن يحيى ما وجد من المقالة الثامنة الى المقالة الحادية عشرة ، وترجم اسحق بن حنين من المقالة الثانية عشرة الى المقالة الخامسة عشرة الى العربية .

كتاب في القياسات البوضعية ، مقالة واحدة . كتاب في قوام الصناعات ، قال حنين : انه لم يجد من هذا الكتاب باليونانية الا تنقاً منه .

كتاب في تعرف الانسان عيوب نفسه ، مقالتان . وقال حنين : انه لم يجد منه باليونانية الا مقالة واحدة ناقصة .

كتاب الاخلاق ، اربع مقالات . وغرضه فيه : ان يصف أصناف الاخلاق وأسبابها ودلائلها ومبادئها . مقالة في صرف الاغنام . كتبها لرجل سألها ما باله لم يره اغتم قط عندما ذهب جميع ما قد كان تركه في الخزان العظمى لما احترقت برومية ، فوصف له السبب في ذلك وبين بماذا يجب الاغنام وبماذا لا يجب .

مقالة في ان اخيار الناس : قد ينتفعون باعدائهم . كتاب فيما ذكره افلاطون في كتابه المعروف بطيماوس من علم الطب . اربع مقالات .

كتاب في ان قوى النفس تابعة لمزاج البدن ، مقالة واحدة . وغرضه فيه بين من عنوانه .

كتاب جوامع كتب افلاطون ، قال حنين : ووجدت ، من هذا الفن من الكتب ، كتاباً آخر فيه اربع مقالات من ثمان مقالات لجالينوس فيها جوامع كتب افلاطون ، وهي : كتاب اقراطليس في الاسماء ، وكتاب سوفسطيس في القسمة ، وكتاب بوليبيقوس في المدبر ، وكتاب برميندس في الصور وكتاب أوثيديمس . وفي المقالة الثالثة جوامع الست المقالات الباقية من كتاب السياسة وجوامع الكتاب المعروف بطيماوس في العلم الطبيعي . وفي المقالة الرابعة جل معاني الاثنتي عشرة مقالة التي في السير لافلاطون .

كتاب في ان المتحرك الاول لا يتحرك ، مقالة واحدة .

كتاب المدخل الى المنطق : مقالة واحدة ، يبين فيها الاشياء التي يحتاج اليها المتعلمون ، ويلتفتون بها في علم البرهان .

(١) وهو المعروف بالابرش وكان له نظريتي صناعة الطب ونقل كثيراً من الكتب الى السريانية والعربية .

(٢) احد النقلة المعروفين وهو من تلاميذ حنين بن اسحاق .

مقالة في عدد المقاييس .

تفسير الكتاب الثاني من كتب ارسطوطاليس : وهو الذي يسمى بارمينياس ، ثلاث مقالات وقال حنين انه وجد له نسخة ناقصة .

كتاب فيما يلزم الذي يلحن في كلامه ، سبع مقالات . وقال حنين : ان الذي وجدته من هذا الكتاب مقالة واحدة ولم يترجمها .

قال حنين بن اسحق : وقد وجدنا أيضاً كتباً أخرى قد سمت باسم جالينوس وليست له ، لكن بعضها تنف اخترعها قوم آخرون من كلامه فألفوا منها كتباً ؛ وبعضها قد كان وضعها من كان قبل جالينوس فوسمت بآخره باسم جالينوس ، إما من قبل أن الفاعل لذلك أحب أن يُكثر بكترة ما عنده من كتب جالينوس بما لا يوجد عند غيره ، وإما من قبل قلة تمييز لا تزال تعرض لقوم من الأغنياء حتى اذا وجدوا في الكتاب الواحد عدة مقالات ، ووجدوا على اول المقالة الاولى فيه اسم رجل من الناس ظنوا ان سائر تلك المقالات لذلك الرجل . وبهذا السبب نجد كثيراً من مقالات روفس في كتب كثيرة موسومة باسم جالينوس ، مثل مقالة في اليرقان .

قال حنين : « والمقالات التي وجدناها موسومة باسم جالينوس ، من غير ان تكون فصاحة كلامها شبيهة بمذهب جالينوس في الفصاحة ، ولا قوة معانيها شبيهة بقوة معانيه ، هي هذه :

مقالة في أئمة الفرق . مقالة في الرسوم التي رسمها بقراط . مقالة موسومة الطبيب لجالينوس ، وهذه المقالة قد ذكرها جالينوس نفسه في اول الفهرست ، واخبر أنها منقولة لا صحيحة له . مقالة في الصناعة ولست أعني تلك المقالة الموسومة بهذا الرسم المشهور بالصحة ، لكن مقالة منقولة اليه كلام واضعها كلام ضعيف مقصر . مقالة في العظام ، وليس اعني تلك المقالة الصحيحة في هذا العرض ، بل مقالة أخرى قوة واضعها أضعف كثيراً من هذه الطبقة . مقالة في الحدود . مقالة على طريق المسألة والجواب . مقالة في التنفس صغيرة شبيهة بالتنف . مقالة في الكلام الطبيعي . كتاب في الطب على رأي اوميرس ، مقالتان ، ونص كلام هاتين المقالتين شبيه جداً بكلام جالينوس ، إلا ان الغرض المقصود اليه فيها ضعيف ؛ وفي آخر المقالة الثانية منها رأي ايضاً بعيد لا يشبه مذهب جالينوس . مقالة في ان الكيفيات ليست اجساماً . مقالة في الاخلاط على رأي بقراط . مقالة يبحث فيها هل اعضاء الجنين المتولد في الرحم تتخلق كلها معاً ام لا . مقالة يبحث فيها هل الجنين الذي في الرحم حيوان ام لا . مقالة في ان النفس لا تموت . مقالة في اللبن . مقالة في تجفيف اللحم . مقالة في الرسوم ، غير تلك المقالة الصحيحة ودونها في القوة . مقالة في البول . مقالة في الرد على اصحاب الفرقة الثالثة في الموضوع الذي يذكر فيه اسباب الامراض عند تركيبها . مقالة في ان ابقراط سبق الناس جميعاً في معرفة الاوقات . مقالة في أسباب العلل . مقالة في اليرقان .

قال حنين : « ما وجد ان جالينوس قد ذكره في كتبه مما لم يثبت في الفهرست ولا وقعت اليها نسخته : مقالة في الاخلاط على رأي بر كساغورس . مقالة فيمن يحتاج في الربيع الى الفصد .

اقول وهذا جملة ما تهيأ ذكره من كتب جالينوس الصحيحة والمنحولة اليه ، على ما اثبتته حنين ابن اسحق في كتابه مما قد وجدته ، وانه قد نقل الى اللغة العربية . وكان ذكره لذلك وقد أتى عليه من السنين ثمان وأربعون سنة ، وكانت مدة حياته سبعين سنة ، فبالضرورة انه قد وجد أشياء كثيرة ايضاً من كتب جالينوس ونقلت الى العربية . كما قد وجدنا كثيراً من كتب جالينوس .

وبما هو منسوب اليه بنقل حنين بن اسحق وغيره ، وليس لها ذكر أصلاً في كتاب حنين المتقدم ذكره . ومن ذلك : تفسير كتاب اوجاع النساء لابقرط ، مقالة واحدة . تفسير كتاب الاسابيع لابقرط ، مقالة واحدة . تفسير كتاب تدابير الاصحاء لابقرط ، مقالة واحدة . كتاب مداواة الاسقام ، ويعرف ايضاً بطب المساكين ، مقالتان ، كتاب في الجبر ، ثلاث مقالات . كتاب في الموت السريع ، مقالة واحدة . مقالة في الحلقن والقولنج . مقالة في النوم واليقظة والضمور . مقالة في تحريم الدفن قبل أربع وعشرين ساعة . مقالة في عناية الخالق عز وجل بالإنسان ، رسالة الى فيلافوس الملكة في اسرار النساء . رسالة الى فسطانس القهرمان في اسرار الرجال . كتاب في الادوية المكتومة التي كنى عنها في كتبه ورمزها ، مقالة واحدة ؛ وقال حنين ابن اسحق : « غرض جالينوس في هذا الكتاب ان يصف ما جمعه طول عمره من الادوية الخفيفة الخواص ، وجربها مراراً كثيرة فصحت ، فكتبها عن اكثر الناس ضناً بها عنهم ، ولم يطلع عليها الا الخواص من ذوي الالباب وصحة التمييز من اهل الصناعة . وقد كان غيري فسر هذا الكتاب فصحف وزاد فيه ما ليس منه ، ونقص منه ما لم يفهم تفسيره . فساعدت نفسي فيه بحسب الامكان والطاقة ، وقابلت به على التجارب التي اجتمعت عندي ، وفسرت ذلك الى العربي لابي جعفر محمد بن موسى . مقالة في استخراج مياه الحشائش . مقالة في ابدال الادوية . كتاب فيما جمع من الاقاويل التي ذكر فيها فعل الشمس والقمر والكواكب . مقالة في الالوان . جوامع كتابه في البرهان . كتاب الرد على الذين كتبوا في المائلات . كتاب طبعة الجنين . كتاب الرد على اريثيجانس في النبض ، كتاب في السبات . اختصار لكتابه في قوى الاغذية . كتاب في الافكار المسقية لارسطاطس . كتاب منافع الترياق . مقالة في الكيموسات . كلام في الطعوم . رسالة في عضه الكلثب الكلثب . كتاب في الاسباب الماسكة . تفسير كتاب فولويس في تدبير الاصحاء . تفسير ما في كتاب فلاطن المسمى طياوس من علم الطب . كتاب في الادوية المنقية . كتاب في الامعاء . كتاب في تحسين الاصوات ونفي الآفات عنها .

اقول : « وبالجمله فان لجالينوس ايضاً كتباً آخر كثيرة مما لم يحده الناقلون ، منها ، وما قد اندرس على طول الزمان ، وخصوصاً ما في المقالة الثانية مما قد ذكره جالينوس في فهرست كتبه المسمى فينكس . فمن كانت له رغبة في النظر الى اسمائها ، وفي اغراضه في كل واحد منها فعليه بالنظر في ذلك الكتاب .

الاطباء المشهورون بعد وفاة جالينوس

فأما الاطباء المشهورون من بعد وفاة جالينوس وقريباً منه فمنهم : اصطفن الاسكندراني ؛ وانقيلوس الاسكندراني ؛ وجاسيوس الاسكندراني ؛ ومارينوس الاسكندراني - وهؤلاء الاربعة هم من فسر كتب جالينوس وجمعها واختصرها واوجز القول فيها - وطياوس الطرسوسي ، وسيمري الملقب بالهلل ، لانه كان كثير الملازمة لمنزله منغمساً في العلوم والتأليفات ، فكان لا يراه الناس الا كل مدة ، فلقب بالهلل من الاستتار ؛ ومغنس الاسكندراني ؛ واريباسيوس صاحب الكنايش طبيب يلبان الملك ، ولاريباسيوس من الكتب : كتاب الى ابنه أسطاس تسع مقالات ، كتاب مزج الاحشاء مقالة ، كتاب الادوية المستعملة ، كتاب السبعين مقالة ، كناشه ؛ وفولس الاجانيطي ، وله من الكتب كناش الثريا ، مقالة في تدبير الصبي وعلاجه ؛ واصطفن الحراني ؛ واريباسيوس القوابلي . ولقب بذلك لانه كان ماهراً بمعرفة احوال النساء ؛ ودياسقوريدس الكحال ، ويقال انه أول من انفرد واشتهر بصناعة الكحل ؛ وفافالس الاثيني ، وافرونيطس الاسكندراني ، ونيطس الملقب بالخبر من الحذاقة ؛ وفارسوس الرومي الذي قدم من الاسكندرية فصار واحداً منهم ؛ واپرون ؛ وزريابل .

ومن كان قريباً من ذلك الوقت ايضاً : فيلفريوس ، وله من الكتب : كتاب من لا يحضره طبيب وهو مقالة ، كتاب علامات الاسقام خمس مقالات ، ومقالة في وجع النقرس ^(١) ، مقالة في الحصاة ، مقالة في الماء الاصفر ، مقالة في وجع الكبدة ، مقالة في القولنج ^(٢) ، مقالة في اليرقان ، مقالة في خلق الرحم ، مقالة في عرق النساء ، مقالة في السرطان ، مقالة في صنعة ترياق الملح ، مقالة في عضه الكلب الكلب ، مقالة في القوباء ^(٣) ، مقالة فيما يعرض للثة والاسنان .

(١) داء معروف وهو ورم ووجع يأخذ في مفاصل الكمين واصابع الرجلين . وهو في مفاصل القدم وابهامها اكثر .

(٢) مرض معوي مؤلم يعسر معه خروج الفضل والريح .

(٣) داء يتقشر منه الجلد ويتسع التقشر وهو المعروف بالحرار .

الباب السادس

طبقات الأطباء الاسكندرانيين ومن كان في أزمستهم من الأطباء النصارى وغيرهم

قال المختار ^(١) بن حسن بن بطلان : ان الاسكندرانيين الذين جمعوا كتب جالينوس الستة عشر وفسروها كانوا سبعة وهم : إصطفن وجاسيوس وثاودوسيوس وأكيلوس وانقيلالوس وفلانديوس ويحيى النحوي ؛ وكانوا على مذهب المسيح ،

وقيل ان انقيلالوس الاسكندراني هو كان المقدم على سائر الاسكندرانيين ، وانه هو الذي رتب الكتب الستة عشر لجالينوس .

وقال : « وكان هؤلاء الاسكندرانيون يقتصرون على قراءة الكتب الستة عشر لجالينوس في موضع تعليم الطب بالاسكندرية . وكانوا يقرأونها على الترتيب ، ويجتمعون في كل يوم على قراءة شيء منها وتفهيمه . ثم صرفوها الى الجمل والجوامع ليسهل حفظهم لها ومعرفتهم اياها . ثم انفرد كل واحد منهم بتفسير الستة عشر . وأجود ما وجدت من ذلك تفسير جاسيوس للستة عشر ، فإنه أبان فيها عن فضل ودراية .

وعمر من هؤلاء الاسكندرانيين : يحيى النحوي الاسكندراني الاسكلاني حتى لحق أوائل الاسلام . قال محمد بن اسحق النديم البغدادي ^(٢) في « كتاب الفهرست » ^(٣) : ان يحيى النحوي كان تلميذ ساواري . قال : « وكان يحيى النحوي في أول أمره أسقفًا في بعض الكنائس بمصر ، ويعتقد

(١) هو ابو الحسن المختار بن الحسن بن بطلان من اهل بغداد . وكان نصرانيا وتلمذ على ابن زهرون الحراني الطيب . وله عدة كتب وله ايضاً اشعار ونوادر طريفة .

(٢) هو ابن النديم الوراق (٩٣٦ - ٩٩٥) ولد في بغداد وله كتاب الفهرست .

(٣) كتاب الفهرست يحوي فهرس العلوم القديمة وتصانيف اليونان والفرس والهند الموجود منها بلغة العرب .

مذهب النصارى اليعقوبية^(١) . ثم رجع عما يعتقده النصارى من التثليث، واجتمعت الاساقفة وناظرته فغلبهم ، واستعطفته وآنسته وسألته الرجوع عما هو عليه وترك اظهاره . فأقام على ما كان عليه وأبى أن يرجع فأسقطوه^(٢) . ولما فتحت مصر على يدي عمرو بن العاص رضي الله عنه دخل اليه وأكرمه ورأى له موضعاً .

ونقلت من تعاليق الشيخ أبي سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني قال : « كان يحيى النحوي في أيام عمرو بن العاص^(٣) ودخل اليه » ، وقال : « انت يحيى النحوي كان نصرانياً بالاسكندرية وانه قرأ على أميونس ، وقرأ أميونس على برقلس . قال : « ويحيى النحوي يقول انه أدرك برقلس وكان شيخاً كبيراً لا ينتفع به من الكبر » .

وقال عبيد الله بن جبرائيل في كتاب « مناقب الاطباء » بأن يحيى النحوي كان قوياً في علم النحو والمنطق والفلسفة وقد فسر كتباً كثيرة من الطبيات . ولقوته في الفلسفة ألحق بالفلسفة ، لانه أحد الفلاسفة المذكورين في وقته . قال : وسبب قوته في الفلسفة انه كان في أول أمره ملاحاً يعبر الناس في سفيلته ، وكان يحب العلم كثيراً . فاذا عبر معه قوم من دار العلم والمدرّس الذي كان يدرس العلم بجزيرة الاسكندرية يتحاورون ما مضى لهم من النظر ويتفاوضونه ، ويسمعه ، فتش نفسه للعلم

فلما قويت رويته في العلم فكر في أمره ، وقال : « قد بلغت نيافاً وأربعين سنة من العمر وما ارتضيت بشيء » ، وما عرفت غير صناعة الملاحة ، فكيف يمكنني ان أتعرض الى شيء من العلوم ؟ « فبينما هو مفكر اذ رأى نملة قد حملت نواة تمر ، وهي تريد ان تصعد بها الى علو ، وكلما صعدت بها سقطت ، فلم تزل تجاهد نفسها في طلوعها وهي في كل مرة يزيد ارتفاعها عن الأولى ، فلم تزل نهارها وهو ينظر اليها ، الى ان بلغت غرضها واطلعتها الى غايتها . فلما رآها يحيى النحوي قال لنفسه ، اذا كان هذا الحيوان الضعيف قد بلغ غرضه بالمجاهدة فانا أولى ان أبلغ غرضي بالمجاهدة . فخرج من وقته وباع سفينته ، ولازم دار العلم وبدأ بعلم النحو واللغة والمنطق ، فبرز في هذه الامور وبرز ولانه أول ما ابتدأ بالنحو فنسب اليه واشتهر به ووضع كتباً كثيرة منها تفاسير وغيرها . ووجدت في بعض تواريخ النصارى أن يحيى النحوي كان في الجمع الرابع^(٤) الذي اجتمع في مدينة يقال لها خلكدونية^(٥) ، وكان في هذا الجمع ستائة وثلاثون أسقفاً على أوتوشوس - وهو يحيى النحوي

(١) طائفة من النصارى قالت بالطبيعة الوحيدة .

(٢) أي حرموه وهو منعه من شركه المؤمنين .

(٣) قرشي اسلم (٦٢٩) كان من اجناد اليرموك فتح مصر واسس الفسطاط . ناصر معاربية على علي في صفين . وهو صاحب الحيلة التي ادت الى التحكم وفوز معاربية .

(٤) هو الجمع الذي انعقد للحكم على المونوفيسية .

(٥) هي خلقيدونية وهي مدينة قديمة في آسيا الصغرى على البوسفور وعقد فيها عدة مجامع كنسية خاصة سنة ٤٥١ للحكم على المونوفيسية

وأصحابه - وأوتوشوس تفسيره بالعربي أبو سعيد .

وهذا أوتوشوس كان طبيباً حكيماً ، وانهم لما أحرموه لم ينفوه كما نفوا المحرومين . وكان ذلك لحاجتهم إلى طبه . وترك في مدينة القسطنطينية ولم يزل مقيماً بها حتى مات مرقيان الملك .

وليحيى النحوي هذا لقب آخر بالرومي يقال له فيلوبينوس أي المجتهد . وهو من جملة السبعة الحكماء المصنفين للجوامع الستة عشر وغيرها في مدينة الاسكندرية . وله مصنفات كثيرة في الطب وغيره وترك في مدينة القسطنطينية لعله وفضله وطبه .

« وقام بعد مرقيان الملك ، اسطيريوس الملك ، فاعتل هذا الملك علة شديدة صعبة ، وذلك من بعد سنتين من حرم أوتوشوس المذكور . فدخل على الملك وعالجه وبرأ . من علته ، فقال له الملك : « ساني كل حاجة لك ؟ فقال له أوتوشوس : حاجتي اليك يا سيدي ان أسقف ذورية وقع بيني وبينه شر شديد ، وبغى علي ، وقوى عزم أفلايانوس بطريك القسطنطينية ، وحمله على أن جمع لي سونديس ، أي جمع ، وحرمني ظمأ وعدواناً . فحاجتي اليك يا سيدي أن تجمع لي جمعاً ينظرون في امري ، فقال له الملك : « انا افعل لك هذا ان شاء الله تعالى . » فارسل الملك الى ديسقوروس صاحب الاسكندرية ، ويوانيس بطرك انطاكية ، فأمرهم ان يحضروا عنده فحضر ديسقوروس ومعه ثلاثة عشر أسقفاً وابطاً صاحب انطاكية ولم يحضر . وأمر الملك لديسقوروس أن ينظر في أمر أوتوشوس ، وأن يحله من حرمة على أي الجهات كان . وقال له متوعداً : « انك انت حالته من حرمة بررتك بكل بر ، واحسنت اليك غاية الأحسان ، وان لم تفعل ذلك قتلتك قتلاً رديئاً . » فاختار لنفسه البر على القتل . فعمل له مجلساً هو وهؤلاء الثلاثة عشر أسقفاً ومن حضر معه أيضاً ، فحسنوا قصته وحلوه من حرمة . وخرج أسقف ذورية وأصحابه وانصرفوا من القسطنطينية وقد خالفوا رأي الكنيسة . وبهذا السبب كان تعصب ديسقوروس لأوتوشوس المذكور ، المعروف بيحيى النحوي ، ومات مخالفاً لمذهب الروم المعروفين بالملكية . ومات وهو يعقوي مخالف للروم المذكورين .

كتب يحيى النحوي

وليحيى النحوي من الكتب :

تفسير (كتاب قاطيغورياس لارسطوطاليس . تفسير كتاب أنالوطيقا الاولى لارسطوطاليس . فسر منها الى الاشكال الحلية . تفسير كتاب أنالوطيقا الثانية لارسطوطاليس . تفسير كتاب طوبيقا لارسطوطاليس . تفسير كتاب السماع الطبيعى لارسطوطاليس . تفسير كتاب الكون والفساد لارسطوطاليس . تفسير كتاب مايل لارسطوطاليس . تفسير كتاب الفرق جالينوس . تفسير كتاب الصناعة الصغير جالينوس . تفسير كتاب النبض الصغير جالينوس . تفسير كتاب اغلوقن جالينوس . تفسير كتاب الامتقسات جالينوس . تفسير كتاب المزاج جالينوس . تفسير كتاب

القوى الطبيعية جالينوس . تفسير كتاب التشريع الصغير جالينوس . تفسير كتاب العلل والاعراض جالينوس . تفسير كتاب تعرف علل الاعضاء الباطنة جالينوس . تفسير كتاب النبض الكبير جالينوس . تفسير كتاب الحيات جالينوس . تفسير كتاب البحران جالينوس . تفسير أيام البحران جالينوس . تفسير كتاب حيلة البرء جالينوس . تفسير كتاب تدبير الاصحاء جالينوس . تفسير كتاب منافع الاعضاء جالينوس . جوامع كتاب الترياق جالينوس . جوامع كتاب الفصد جالينوس . كتاب الرد على برقلس ، ثمان عشرة مقالة . كتاب في ان كل جسم متناه فقوته متناهية . كتاب الرد على ارسطوطاليس ست مقالات . مقالة يرد فيها على نمطورس . كتاب يرد فيه على قوم لا يعرفون مقالتان . مقالة أخرى يرد فيها على قوم آخر . مقالة في النبض . نقضه لثمان عشرة مسألة لديد وخس برقلس الافلاطوني ، شرح كتاب ايساغوجي لفرفوروس .

قال ابو الحسن علي بن رضوان في « كتاب المنافع » في كيفية تعليم صناعة الطب : « وانما اقتصر الاسكندرانيون على الكتب الستة عشر من سائر كتب جالينوس في التعليم ، ليكون المشتغل بها ان كانت له قريحة جيدة ، وممة حسنة ، وحرص على التعليم ، فانه اذا نظر في هذه الكتب اشتاقت نفسه بما يرى فيها من عجيب حكمة جالينوس في الطب ، الى ان ينظر في باقي ما يجد من كتبه . وكان ترتيبهم لهذه الكتب في سبع مراتب :

— أما المرتبة الأولى (فإنهم جعلوها بمنزلة المدخل الى صناعة الطب ، فإن من تحصل له هذه المرتبة يمكنه ان يتعاطى اعمال الطب الجزئية ، فان كان ممن له فراغ ودواع تدعوه الى التعليم والازدياد تعلم ما بعدها ، وان لم يكن له ذلك لم يكده يخفى عليه منافعه في علاج الامراض . وجميع ما في هذه المرتبة أربعة كتب :

أولها : كتاب الفرق وهو مقالة واحدة ، يستفاد منه قوانين العلاج على رأي اصحاب التجربة ، وقوانينه ايضا على رأي اصحاب القياس ، اذ كان بالتجربة والقياس يستخرج الناس جميع ما في الصنائع وما اتفقا عليه فهو الحق ، وما اختلفا فيه فنظر ، فان كان طريقه القياس عمل على قوانين القياس فيه ، وان كان طريقه التجربة عمل على قوانين التجربة فيه .

والثاني : كتاب الصناعة الصغيرة ، مقالة واحدة ، يستفاد منها جمل صناعة الطب كلها النظري منها ، والعملية .

والثالث : كتاب النبض الصغير ، وهو ايضا مقالة واحدة ، يستفاد منه جميع ما يحتاج اليه المتعلم من الاستدلال بالنبض على ما ينتفع به في الامراض .

والرابع الكتاب المسمى باغلوqn وهو مقالتان ، ويستفاد منه كيفية التأني في شفاء الامراض . ولأن من يتعاطى الاعمال الجزئية من الطب يضطر الى معرفة قوى ما يحتاج اليه من الأغذية والادوية ، والى ان يباشر بنفسه اعمال اليد من صناعة الطب ، لزمه ان ينظر فيما تدعوه اليه الحاجة

من الكتب التي سماها جالينوس « في آخر الصناعة الصغيرة » ، أو يتعلم ما يحتاج اليه من ذلك تلقيناً ومشاهدة. فصارت هذه الاربعة كتب التي في المرتبة الأولى مقنعة للتعلم في تعليم صناعة الطب . فأما الكامل فانه يتذكر بها جميع ما فهمه من الصناعة .

— فأما المرتبة الثانية فأنها ايضاً أربعة كتب :

الاول منها : كتاب الاسطقات ، وهو مقالة واحدة . يستفاد منه أن بدن الانسان وجميع ما يحتاج اليه سريع التغير قابل للاستحالة ، فمن ذلك اسطقات البدن القريبة منه وهي الأعضاء المتشابهة الاجزاء — أعني العظام والاعصاب والشرابين والعروق والأغشية واللحم والشحم وغير ذلك ؛ واسطقات هذه الأعضاء الاخلاط — أعني الدم والصفراء والسوداء والبلغم ؛ واستقات هذه الاخلاط النار والهواء والماء والأرض ، فإن مبدأ التكون من هذه الاربعة ، وأخذ الانحلال اليها . وان هذه الاسطقات قابلة للتغيير والاستحالة . وهذا الكتاب هو أول كتاب يصلح ان يبدأ به من أراد استكمال تعليم صناعة الطب .

والثاني كتاب المزاج وهو ثلاث مقالات ، يستفاد منه معرفة أصناف المزاج ، وبما يتقوم كل واحد منها ؛ وبماذا يستدل عليه اذا حدث ؟

والثالث : كتاب القوى الطبيعية ، وهو ايضاً ثلاث مقالات . يستفاد منه معرفة القوى التي تدبر بها طبيعة البدن وأسبابها ، والعلامات التي يستدل بها عليها .

والرابع : كتاب التشريح الصغير ، وهو خمس مقالات وضعها جالينوس متفرقة ، وانما الاسكندرانيون جمعوها وجعلوها كتاباً واحداً . يستفاد منه معرفة أعضاء البدن المتشابهة وعددها . وجميع ما يحتاج اليه فيها .

وهذه الكتب التي في هذه المرتبة الثانية يستفاد من جميعها الأمور الطبيعية للبدن ، أعني التي قوامها بها . واذا نظر فيها بحب التعليم اشتاق ايضاً الى النظر في كل ما يتعلق بطبيعة البدن ، اما كتاب المزاج فيشوق الى مقالته في خصب البدن ، ومقالته في الهيئة الفاضلة ، ومقالته في سوء المزاج المختلف وكتابه في الأدوية المفردة ونحو هذا . وأما كتاب القوى الطبيعية فيشوق الى كتابه في المنى ، وكتابه في منافع الاعضاء وسائر ما وضعه جالينوس في القوى والارواح والافعال . واما كتاب التشريح الصغير فيشوق الى كتابه في عمل التشريح ونحوه .

— وأما المرتبة الثالثة : فكتاب واحد فقط فيه ست مقالات ، وهو كتاب « العلل والاعراض » وجالينوس وضع مقالات هذا الكتاب متفرقة ، وانما الاسكندرانيون جمعوها وجعلوها في كتاب واحد . يستفاد منه معرفة الامراض وأسبابها والاعراض الحادثة عن الامراض .

وهذا باب عظيم الغناء في صناعة الطب ، على رأي اصحاب القياس . وهو أصل عظيم ، اذا وقف الانسان على ما في هذا الكتاب وفهمه لم يخف عليه شيء من صناعة الطب .

وأما المرتبة الرابعة فكتابان أحدهما :

كتاب « تعرف علل الاعضاء الباطنة » ست مقالات ، يستفاد منه تعريف كل علة من العلل التي تحدث في الاعضاء الباطنة ، فان هذه الاعضاء لا تدرك أمراضها بالعيان لانها خفية عن الحس . فيحتاج الى أن يستدل عليها بعلامات تقوم كل واحدة منها ، فاذا ظهرت العلامات المقومة ثبقت أن العضو الفلاني علة كذا .

مثاله : ذات الجنب : ورم حار يحدث في الغشاء المستبطن للاضلاع . والعلامة التي تقومه ضيق النفس ، والوجع الناحس والحمى والسعال . فان هذه اذا اجتمعت علم ان في الغشاء المستبطن للاضلاع ورماً حاراً .

ولم يضع جالينوس كتاباً في تعرف علل الاعضاء الظاهرة اذا كانت هذه العلل تقع تحت العيان فيكتفي في تعرفها نظرها بين يدي المعلمين عياناً فقط .

والثاني « كتاب النبض الكبير » وهو ينقسم الى أربعة أجزاء ، كل جزء منه أربع مقالات . يستفاد من الجزء الاول منه : معرفة أصناف النبض ، وجزئيات كل صنف منها . ومن الثاني : تعريف ادراك كل واحد من أصناف النبض . ومن الثالث : تعريف أسباب النبض . ومن الرابع : تعريف منافع اصناف النبض . وهذا باب عظيم النفع في الاستدلال على الامراض ومعرفة قواها ونسبتها الى قوة البدن .

— وأما المرتبة الخامسة فثلاثة كتب :

الاول منها : « كتاب الحميات » مقالتان . يستفاد منه معرفة طبائع أصناف الحميات ، وما يستدل به على كل صنف منها .

والثاني : « كتاب البحران » ثلاث مقالات . يستفاد منه معرفة أوقات المرض ليعطى في كل وقت منها ما يوافق فيه ؛ ومعرفة ما يؤول اليه الحال في كل واحد من الامراض . هل يؤول أمره الى السلامة أم لا ؟ وكيف يكون ؟ وبماذا يكون ؟

والثالث : « كتاب ايام البحران » وهو أيضاً ثلاث مقالات . يستفاد منه معرفة أوقات البحران ؛ ومعرفة الايام التي يكون فيها ، وأسباب ذلك وعلاماته .

— وأما المرتبة السادسة فكتاب واحد . وهو « كتاب حيلة البرء » أربع عشرة مقالة . يستفاد منه قوانين العلاج على رأي اصحاب القياس في كل واحد من الامراض . وهذا الكتاب اذا نظر فيه الانسان اضطره الى ان ينظر في كتاب الأدوية المفردة ، وفي كتب جالينوس في الادوية المركبة — اعني قاطاجانس ، والميامر ، وكتاب المعجونات ، ونحو هذه الكتب .

— وأما المرتبة السابعة فكتاب واحد . وهو « كتاب تدبير الاصحاء » ست مقالات . يستفاد

منه حفظ صحة كل واحد من الأبدان وهذا الكتاب اذا نظر فيه الانسان اضطره الى ان ينظر في كتاب الاغذية ، وفي كتابه في جودة الكيموس وريادته ، وفي كتابه في التدبير اللطيف ، وفي شرائط الرياضة . مثال ذلك : ما في كتاب جالينوس في الرياضة بالكرة الصغيرة ونحو هذا .

فالكتب الستة عشر التي اقتصر الاسكندرانيون على تعليمها تدعو الناظر فيها الى النظر في جميع كتب جالينوس التي استكمل بها صناعة الطب . مثال ذلك : ان النظر في كتاب « آلة الشم » يتعلق بما في المرتبة الثانية . والنظر في كتابه « في علل التنفس » يتعلق ايضاً بهذه المرتبة . والنظر في كتابه « في سوء التنفس » وفي كتابه « في منفعة التنفس » ، وكتاب « في منفعة النبض » وكتاب « في حركة الصدر والرئة » ، وكتاب « في الصوت » ، وكتاب « في الحركات المعتاة » ، وكتاب « في ادوار الحميات » ، وكتاب « في اوقات الامراض » ، وغير ذلك من كتبه ومقالاته ورسائله . كل واحد منها له تعلق بوحدة من المراتب السبع . او باكثر من مرتبة واحدة تدعو الضرورة الى النظر فيه . فاذا ما فعله الاسكندرانيون في ذلك حيلة حسنة في حث المشتغل بها على التبحر في صناعة الطب ، وان تؤديه العناية والاجتهاد الى النظر في سائر كتب جالينوس .

قال أبو الفرج ابن هندو^(١) في كتاب «مفتاح الطب» : «ان هذه الكتب التي اتخذها الاسكندرانيون من كتب جالينوس وعملوا لها جوامع ، وزعموا انها تغني عن متون كتب جالينوس، وتكفي كلفة ما فيها من التوابع والفصول . قال ابو الخير بن الحمار^(٢) ، وهو استاذ ابي الفرج بن هندو ، « انا اظن انهم قد قصروا فيما جمعوه من ذلك ، لانهم يعوزهم الكلام في الاغذية والأهوية والادوية » . قال : والترتيب ايضاً قصروا فيه ، لان جالينوس بدأ من التشریح ثم صار الى القوى والافعال ثم الى الاسطقسات .

قال ابو الفرج : « وانا ارى ان الاسكندرانيين انما اقتصروا على الكتب الستة عشر ، لا من حيث هي كافية في الطب وحاولية للغرض ، بل من حيث افتقرت الى العلم واحتاجت الى المفسر . ولم يمكن ان يقف المتعلم على اسرارها والمعاني الغامضة فيها من غير مذاكرة ومطابقة ، ومن دون مراجعة ومفاوضة .

فاما الكتب التي ذكرها الاستاذ ابو الخير بن الحمار فالطبيب مضطر الى معرفتها وازادتها الى الكتب التي عددها . غير انه يمكنه من نفسه الوقوف على معانيها ، واستنباط الاغراض منها بالقوة الاستفادة من الستة عشر التي هي القوانين لما سواها ، والمراقى الى ما عداها . فان قلت : فما حجة الاسكندرانيين في ترتيبهم لهذه الكتب ؟ قلنا : انهم رتبوا بعضها بحسب استحقاقه في نفسه ، بمنزلة

(١) هو علي بن الحسين بن هندو من اكبر المميزين في العلوم الحكيمة والطبية والفنون الادبية وهو من طبقة الاطباء الذين ظهوروا في بلاد المعجم .
(٢) وهو الحسن بن سوار المعروف بابن الحمار وكان نصرانياً عالماً باصول الطب وفروعه وله مصنفات جليلة . وقد نقل كتباً كثيرة من السرياني الى العربي . ولد سنة ٣٣١ هـ .

كتاب الفرق ، فانه وجب تقديمه لتتنقى به نفس المتعلم من شكوك اصحاب التجربة والمحتالين ومغالطاتهم ، ويتحقق رأي اصحاب القياس فيقتدي بهم . وبمنزلة الصناعة الصغيرة ، فانها لما كانت فيها شرارة من صناعة الطب ، كان الاولى ان يتبع بها كتاب الفرق ويجعل مدخلا الى الطب . ورتبوا بعضها بحسب ما توجهه اضافته الى غيره بمنزلة الكتاب الصغير في النبض ، فانه جعل تابعا للصناعة الصغيرة ، لان جالينوس ذكر فيها النبض عند ذكره لمزاج القلب . ووجب ايضا تقديمه على كتاب جالينوس الى أغلوqn ، لانه تكلم في هذا الكتاب في الحيات والنبض وهو اول شيء يعرف منه أمر الحيات ..

على ان الترتيب الذي ذكره الاستاذ أبو الخير أن جالينوس اشار اليه ، هو لعمرى الترتيب الصناعي ، وذلك انه يجب على كل ذي صناعة ان يتدرج في تعليمها من الاظهر الى الاخفى ؛ ومن الاخير الى المبدأ ؛ والتشريح هو علم البدن واعضائه ، وهذه هي أول ما يظهر لنا من الانسان ، وان آخر ما تفعله الطبيعة . فان الطبيعة تأخذ أولا الاسطوانات ، ثم تمزجها فيحصل منها الاخلاط ؛ ثم تفعل القوى والاعضاء . فيجب ان يكون طريقنا في التعليم بالعكس من طريق الطبيعة في التكوين . ولكنا ندع هذا الاضطراب ، ونرضى ترتيب الاسكندرانيين ، لان العلم حاصل على كل حال وخرق اجماع الحكماء معدود من الخرق (١) .

. أقول : « وللاسكندرانيين ايضا جوامع كثيرة في العلوم الحكيمة والطب ولا سيما لكتب جالينوس ، وشروحاتها لكتب أبوقراط » .

فاما الاطباء المذكورون من النصارى وغيرهم ممن كانت معاصرا هؤلاء الاطباء الاسكندرانيين ، وقريبا من أزمنتهم فمنهم :

. شمعون الراهب ، المعروف بطيبويه .

وأهرن القس صاحب الكناش ، وألف كناشه بالسريانية ، ونقله ما سرجيس الى العربي ، وهو ثلاثون مقالة . وزاد ما سرجيس مقالاتين .

ويوحنا بن سراييون ، وجميع ما ألف سرياني . وكان والده سراييون طبيباً من أهل باجرمي . وخرج ولداه طبيبين فاضلين وهما : يوحنا وداوود ، وليوحنا بن سراييون من الكتب : كناشه الكبير ، اثنتا عشرة مقالة . كناشه الصغير ، وهو المشهور ، ؟ سبع مقالات . ونقله الحديثي الكاتب لابي الحسن بن نفيس المتطبب في سنة ثمان عشرة وثلاثمائة ، وهو احسن عبارة من نقل الحسن بن البهلول الاواني الطبرهاني ونقله ايضا أبو البشر متى .

(١) ضعف الرأي وسوء التصرف .

ومنهم : انطيلس وبرطادوس ؛ وسندهشار ؛ والقهلان ؛ وابو جريج الراهب ؛ وأوراس ؛ وبوينوس البيروتي ؛ وسيورخنا ؛ وفلاغوسوس ؛ وعيسى بن قسطنطين ويكنى أبا موسى ، وكان من جملة أفاضل الاطباء ، وله من الكتب : كتاب الادوية المفردة ، كتاب في البواسير وعملها وعلاجها ؛ وأرس ؛ وسرجس الرأس عيني ، وهو اول من نقل كتب اليونانيين على ما قيل الى لغة السريانيين ، وكان فاضلاً وله مصنفات كثيرة في الطب والفلسفة ؛ واطنوس الآمدي صاحب الكناش المعروف ببقوقونا ، وغريغوريوس صاحب الكناش .

واكثر كتب هؤلاء موجودة وقد نقل الرازي ^(١) كثيراً من كلامهم في كناشه الكبير الجامع المعروف بالحاوي .

(١) ابو بكر محمد بن زكريا الرازي من مواليد سنة ٨٦٤ م ولد في الري . ويكنى يالينوس العرب ودبر البياوستات في الري وبغداد وله علاوة على الحاوي كتاب « برء الساعة » .
(٢) هو كتاب الرازي في العلوم الطبية وهو كناشه الكبير الجامع .

الباب السابع

طبقات الأطباء الذين كانوا في أول ظهور الإسلام من أطباء العرب وغيرهم

الحارث بن كلدة الثقفي كان من الطائفة، وسافر في البلاد وتعلم الطب بناحية فارس وتغن هناك، وعرف الداء والدواء . وكان يضرب بالعود ، تعلم ذلك أيضاً بفارس واليمن . وبقي أيام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأيام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب ومعاوية رضي الله عنهم . وقال له معاوية : « ما الطب يا حارث ؟ » فقال : « الأزم » يعني الجوع . ذكر ذلك ابن جليل . وقال : الجوهري (١) في « كتاب الصحاح » الأزم المسك ؛ يقال ؛ ازم الرجل عن الشيء ؛ أمسك عنه . وقال أبو زيد (٢) الأزم الذي ضم شفتيه . وفي الحديث ان عمر ، رضي الله عنه ، سأل الحارث بن كلدة (٣) ما الدواء ؟ فقال : الأزم . يعني الحمية . قال : وكان طبيب العرب .

ويروى عن سعد بن أبي وقاص (٤) رضي الله عنه ، انه مرض بمكة مرضاً فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ادعوا له الحارث بن كلدة فانه رجل يتطبيب . فلما عاده الحارث نظر اليه ، وقال : « ليس عليه بأس اتخذوا له فريقة بشيء من تمر عجوة (٥) وحلبة (٦) بطبخان » فتحسأها فبرىء .

(١) هو ابو نصر اسماعيل الجوهري ولد في فاراب (تركيا) وتوفي في نيسابور وهو اشهر مؤلفي المعاجم ويدعى معجمه الصحاح ألفه بعد ان عاش زمناً بين قبائل البدو . وكان خطاطاً ماهراً . اصيب في اواخر ايامه بالسويداء فرمى نفسه عن سطح بيته

(٢) ابو زيد الانصاري من علماء اللغة تلمذ للفضل الضبي . وهو اعلم من الاصمعي وابي عبيدة بالنحو . كان يرى رأي القدر . وكان ثقة من اهل البصرة .

(٣) هو الحارث بن كلدة الثقفي طبيب اسلم وصحب ابا بكر . واكل من طعام مسموم فعمي وتوفي في خلافة عمر .

(٤) صحابي من فرسان الاسلام قاد الجيش في معركة القادسية وتوفي سنة ٦٧٦ م .

(٥) التمر المحشي في وعائه .

(٦) نبت معروف حبه اصفر ويدعى ايضاً الحندقوق .

وكانت للحرث معالجات كثيرة ، ومعرفة بما كانت العرب تعتاده وتحتاج اليه من المداواة . وله كلام مستحسن فيما يتعلق بالطب وغيره .

كلام الحرث مع كسرى

من ذلك ، انه لما وفد على كسرى أنو شروان ^(١) أذن له بالدخول عليه . فلما وقف بين يديه منتصباً قال له : من أنت ؟ قال : أنا الحرث بن كلدة الثقفي .

قال : فما صناعتك ؟ قال : الطب . قال : أعربي أنت ؟ قال : نعم من صميمها ومحبوبة دارها قال : فما تصنع العرب بطبيب مع جهلها ، وضعف عقولها ، وسوء اغذيتها ؟ قال : أيها الملك ، اذا كانت هذه صفتها ، كانت أحوج الى من يصلح جهلها ، ويقيم عوجها ، ويسوس أبدانها ، ويعدل ^(٢) أمشاجها . ^(٣) فان العاقل يعرف ذلك من نفسه . ويميز موضع دائه ، ويحترز ^(٤) عن الادواء كلها بحسن سياسته لنفسه . قال كسرى : فكيف تعرف ما تورده عليها ؟ ولو عرفت الحلم لم تنسب الى الجهل قال : الطفل يناغي فيداوى ، والحية ترقى فتحاوى . ثم قال : أيها الملك ، العقل من قيسم الله تعالى قسمه بين عباده ، كقسيمة الرزق فيهم . فكل من قسمته أصاب ، وخص بها قوم وزاد ، فمنهم مثر ومعدم ، وجاهل وعالم ، وعاجز وحازم ، وذلك تقدير العزيز العليم .

فأعجب كسرى من كلامه ، ثم قال : « فما الذي تحمد من أخلاقها ؟ ويعجبك من مذاهبها وسجاياها ؟ قال الحرث : أيها الملك ، لها أنفوس سخية ، وقلوب جرية ، ولغة فصيحة وألسن بليغة ، وانساب صحيحة ، واحساب شريفة ، يرق من افواههم الكلام مروق السهم من نبعة ^(٥) الرام ، أعذب من هواء الربيع ، وألين من سلسبيل المعين ^(٦) مطعمو الطعام في الجذب ، وضاربو الهام في الحرب . لا يرام عزمهم ، ولا يضام جارهم ، ولا يستباح حريمهم ، ولا يذل أكرمهم ، ولا يقرون بفضل الأنعام ، الا للملك الهام الذي لا يقاس به أحد ، ولا يوازيه سوقة ^(٧) ولا ملك .

فاستوى كسرى جالسا ، وجرى ماء رياضة الحلم في وجهه ، لما سمع من محكم كلامه . وقبله جلسائه اني وجدته راجحاً ولقومه مادحاً ، وبفضيلتهم ناطقاً ، وبما يورده من لفظه صادقاً . وكذا

(١) اعظم ملوك الساسانيين . حارب البيزنطيين وناصر العلم وبامره نقلت مؤلفات اليونان والسريان الى الفارسية .

(٢) يعدل اي يجعله مستقيماً .

(٣) جمع مشج وهو ما كان مختلطاً وهنا ما يتركب منه مزاج البدن .

(٤) يتوقى .

(٥) قوس

(٦) الماء الجاري ،

(٧) الرعية من الناس .

العاقل من أحكمته التجارب . ثم امره بالجلوس ، فجلس ، فقال : كيف بصرك بالطب ؟ قال : ناهيك ^(١) قال : فما أصل الطب ؟ قال : الأزم . قال : فما الأزم ؟ قال ضبط الشفتين والرفق باليدين قال : أصبت ، وقال : فما الداء الدوي ؟ قال : إدخال الطعام على الطعام ، هو الذي يفني البرية ، ويهلك السباع في جوف البرية . قال : أصبت ، وقال : فما الجمة التي تصطم ^(٢) منها الادواء ؟ قال : هي التخممة ، ان بقيت في الجوف قتلت ، وان تحللت أسقمت . قال : صدقت . وقال : فما تقول في الحجمة ؟ قال : في نقصان الهلال في يوم صحو لا غيم فيه ، والنفس طيبة والعروق ساكنة ، لسرور يفاجئك ، وهم يباعدك . قال : فما تقول في دخول الحمام ؟ قال : لا تدخله شعباناً ؛ ولا تغش ^(٣) أهلك سكراناً ؛ ولا تقم بالليل عرياناً ؛ ولا تقعد على الطعام غضباناً ؛ وارفق بنفسك ، يكن أرخى لبالك ؛ وقلل من طعامك ، يكن أهنأ لنومك . قال : فما تقول في الدواء ؟ قال : ما لزمته الصحة فاجتنبه ، فان هاج داء فاحسمه بما يردعه قبل استحكامه ، فان البدن بمنزلة الارض ان اصلحتها عمرت ، وان تركتها خربت . قال : فما تقول في الشراب ؟ قال : أطيبه أهنأ ، وأرقه ^(٤) امرأه ^(٥) ، وأعذبه اشهاده . لا تشربه صرفاً ^(٦) فيورثك صداعاً ، وتثير عليك من الأدوية انواعاً . »

قال : فأبي اللحان أفضل ؟ قال الضأن الفتي . ^(٧) والقديد ^(٨) المالح مهلك للآكل . واجتنب لحم الجزور والبقر . قال : فما تقول في الفواكه ؟ قال : كلها في إقبالها وحين أوانها ، واتركها اذا ادبرت وولت وانقضى زمانها . وأفضل الفواكه : الرمان والأترج ^(٩) ؛ وأفضل الرياحين : الورد والبنفسج ؛ وأفضل البقول : الهندباء والخس . قال : فما تقول في شرب الماء ؟ قال : هو حياة البدن وبه قوامه ، ينفع ما شرب منه بقدر ، وشربه بعد النوم ضرر . أفضله أمرأه ، وأرقه اصفاه . ومن عظام انهار البارد الزلال لم يختلط بماء الأجسام ^(١٠) والآكام ^(١١) ينزل من صرادر ^(١٢) المسطان ، ويتسلل عن الرضراض وعظام الحصى في الايفاع ^(١٣) . قال : فما طعمه ؟ قال : لا يوم له طعم الا انه مشتق من الحياة .

(١) اي غاية فيما تطلبه « في مقام المدح » .

(٢) تستأصل .

(٣) دخل على أهله اي جامع امرأته .

(٤) اصلحه واحسنه .

(٥) اسيفه .

(٦) العرق من الشراب : الخالص الغير ممزوج .

(٧) اسم جلس من القم .

(٨) اللحم المقدد أي المجفف بالشمس .

(٩) ثمر من جلس الليمون تسميه العامة الكباد .

(١٠) جمع اجة وهي النابة .

(١١) جمع أكمة وهي الراية .

(١٢) المكان المستوي او الواسع الأملس .

(١٣) ما دق من الحصى .

قال : قلنا لونه ؟ قال : اشتبه^(١) على الابصار لونه لأنه يحكي لون كل شيء يكون فيه . قال : اخبرني عن اصل الانسان ما هو ؟ قال : اصله من حيث شرب الماء ، يعني رأسه .

قال : فما هذا النور في العينين ؟ مركب من ثلاثة اشياء : فالبياض شحم ، والسواد ماء ، والناظر ريح . قال فعلى كم جبل وطبع هذا البدن ؟ قال :- على اربع طبائع : المرة السوداء ، وهي باردة يابسة ؛ والمرة الصفراء ، وهي حارة يابسة ، والدم ، وهو حار رطب ؛ والبلغم ، وهو بارد رطب . قال : فلم لم يكن من طبع واحد ؟ قال : لو خلق من طبع واحد لم يأكل ولم يشرب ولم يمرض ولم يهلك . قال : فمن طبيعتين ، لو كان اقتصر عليهما ؟ قال : لم يميز ، لانها ضدان يقتتلان . قال : فمن ثلاث ؟ قال لم يصلح ، موافقان ومخالف . فالأربع هو الاعتدال والقيام . قال : فأجل لي الحار والبارد في احرف جامعة ؟ قال : كل حلو حار ، وكل حامض بارد ، وكل حريف حار ، وكل مر معتدل ، وفي المر حار وبارد .

قال : فاضل ما عولج به المرة الصفراء ؟ قال : كل بارد لين ؛ قال : فالمرة السوداء ؟ قال لين ؛ قال : والبلغم ؟ قال : كل حار يابس ، قال : والدم ؟ قال : اخراجه اذا زاد ، وتطفئته اذا سخن بالاشياء الباردة اليابسة ؟ قال : فالرياح ؟ قال : بالحقن اللينة والادمان الحارة اللينة . قال : افتأمر بالحقنة ؟ قال : نعم ، قرأت في بعض كتب الحكماء ان الحقنة تنقي الجوف ، وتكسح الادواء عنه ، والعجب لمن احتقن كيف يهرم او يعدم الولد . وان الجهل كل الجهل من اكل ما قد عرف مضرته ، ويؤثر شهورته على راحة بدنه . قال فما الحية ؟ قال الاقتصاد في كل شيء ، فإت الأكل فوق المقدار يضيق على الروح ساحتها ويسد مسامها^(٢) .

قال : فما تقول في النساء واتيانهن^(٣) ؟ قال كثرة غشيانهن رديء ، وإياك واتيان المرأة المسنة فانها كالشن^(٤) البالي ، تجذب قوتك ، وتسقم بدنك ، ماؤها سم قاتل ، ونفسها موت عاجل ، تأخذ منك الكل ، ولا تعطيك البعض . والشابة ماؤها عذب زلال ، وعناقها غنج ودلال ، فوها بارد ، وريقها عذب ، ريحها طيب ، وهنها ضيق^(٥) . تزيدك قوة الى قوتك ، ونشاطاً الى نشاطك . قال : فأين القلب اليها اميل ، والعين برؤيتها اسر ؟ قال : اذا اصبتها المديدة القامة العظيمة الهامة ؛ واسعة الجبين ، اقناة المرئين^(٦) ؛ كحلاء ، لعساء^(٧) ؛ صافية الخد عريضة الصدر ، مليحة النحر . في خدها رقة ، وفي شفتيها لمس . مقرونة الحاجبين ، ناهدة الثديين ، لطيفة الخصر والقدمين ، بيضاء

(١) خلفي .

(٢) تعيها ومنافذها .

(٣) مغالطتين او مجامعتهم .

(٤) القرية البالية .

(٥) الفرج .

(٦) الانف كله او ما صلب منه .

(٧) سوداء الشفة .

فرغاء^(١) جمدة ، غضة بضة . تخالها في الظلمة بدرأ زاهراً تبسم عن اقحوان^(٢) ؛ وعن مبسم كالارجوان ، كأنها بيضة مكنونه ، الين من الزبد واحلى من الشهد ، وانزه من الفردوس والخلد ، وازكى ريحاً من الياسمين والورد ، تفرح بقرها وتسرك الخلوة معها . قال ، فاستضحك كسرى حتى اختلجت كتفاه ، وقال : ففي اي الاوقات اتيانهن افضل ؟ قال : عند ادبار الليل يكون الجوف اخلى ، والنفس اهدى والقلب اشهى والرحم ادفى . فان اردت الاستمتاع بها نهاراً تسرح عينك في جمال وجهها ، ويحتفي فوك من ثمرات حسننها ، ويعمي سمعك من حلاوة لفظها ، وتسكن الجوارح كلها اليها . قال كسرى : لله درك من إعرابي . لقد اعطيت علماً ، وخصصت فطنة وفهماً .

واحسن صلته وامر بتدوين ما نطق به .

وقال الرائق^(٣) بالله في كتابه المسمى « بالبستان » : ان الحرث بن كعدة مر بقوم وهم في الشمس فقال : عليكم بالظل فان الشمس تنهج^(٤) الثوب ، وتثقل الريح ، وتشحب اللون ، وتهيج الداء الدفين . ومن كلام الحرث : البطننة بيت الداء والحمة رأس الدواء ، وعودوا كل بدن ما اعتاد . — وقيل هو من كلام عبد الملك بن ايجر . وقد نسب قوم هذا الكلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واوله « المعدة بيت الداء » وهو ابلغ من لفظ البطننة — .

وروي عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، رضي الله عنه ، انه قال : « من اراد البقاء ولا بقاء ، فليجود الغذاء ، وليأكل كل على نقاء ، وليشرب على ظمأ ، وليقل من شرب الماء ؛ ويتمدد بعد الغذاء ويتمشى بعد العشاء . ولا يبيت حتى يعرض نفسه على الحلاء . ودخول الحمام على البطننة من شر الداء ، ودخلة الى الحمام في الصيف خير من عشر في الشتاء . واكل القديد اليابس في الليل معين على الغناء . ومجاعة المعجوز تهدم اعمار الاحياء » .

وروي بعض هذه الكلمات عن الحرث بن كعدة وفيها : من سره النساء ولا نساء ، فليكر العشاء ، وليباكر الغداء ، وليخفف الرداء ، وليقل غشيان النساء . — ومعنى فليكر يؤخر ؛ والمراد بالرداء الدين ، وسمي الدين رداء لقولهم « هو في عنقي وفي ذمبي » فلما كانت العنق موضع الرداء سمي الدين رداء . وقد روي من طريق آخر وفيه . « وتعبيل العشاء » وهو أصح . وروي ابو عوانة عن عبد الملك بن عمير قال ؛ قال الحرث بن كعدة : « من سره البقاء ولا بقاء ، فليباكر الغداء وليمجل العشاء ، وليخفف الرداء وليقل الجماع » .

(وروي) حرب بن محمد قال : حدثنا ابي ، قال : قال الحرث بن كعدة : اربعة اشياء تهدم البدن : الفشيان على البطننة^(٥) ، ودخول الحمام على الامتلاء ، واكل القديد ، ومجاعة المعجوز .

(١) كثرة الشر .

(٢) نبات له زهر ابيض واوراق زهر مفلجة صغيرة .

(٣) تاسع الخلفاء العباسيين (٨٤٢ - ٨٤٦) تسلط على ايامه القواد الاتراك على جيوش الخلافة وغزا العرب صقلية .

(٤) تبليه .

(٥) المجاعة مع امتلاء البطن بالطعام .

(وروى) داود بن رشيد عن عمرو بن عوف قال : لما احتضر الحرث بن كعدة اجتمع اليه الناس فقالوا : « مرنا بأمر ننتهي اليه من بعدك . فقال : لا تتزوجوا من النساء إلا شابة ، ولا تأكلوا الفاكهة إلا في اوان نضجها ، ولا يتعالجن احد منكم ما احتمل بدنه الداء . وعليكم بالنورة ^(١) في كل شهر ، فانها مذيبة للبلغم مهلكة للمرة منبئة للحم . واذا تعدى أحدكم فليتم على إثر غدائه ، واذا تعشى فليخط أربعين خطوة .

ومن كلام الحرث أيضاً قال : دافع بالدواء ما وجدت مندفعاً ، ولا تشربه الا من ضرورة فانه لا يصلح شيئاً الا افسد مثله .

(وقال) سليمان بن جليل : أخبرنا الحسن بن الحسين قال : أخبرنا سعيد بن الاموي قال ، أخبرنا عمي محمد بن سعيد ، عن عبد الملك بن عمير قال : كان أخوان من ثقيف ^(٢) من بني كنه يتحابان ، لم ير قط أحسن ألفة منها . فخرج الأكبر الى سفر فأوصى الأصغر بامرأته ؛ فوقعت عينه عليها يوماً غير معتمد لذلك ، فهو بها وضني . وقدم أخوه فجاءه بالطباء ، فلم يعرفوا ما به ، الى ان جاءه بالحرث بن كعدة فقال : أرى عينين محتجبتين وما أدري منا هذا الوجع وسأجرب ، فاسقوه نبيذاً . فلما عمل النبيذ فيه قال :

ألا رفقا ألا رفقا	قليلا ما أكونه
ألم ^(٣) بي الى الابيا	ت بالخيف أزهرنه
غزالا ما رأيت اليو	م في دور بني كنه
أسيل الخد مربوب	وفي منطقته غنه ^(٤)

(الهزج)

فقالوا له : انت اطب العرب . ثم قال رددوا النبيذ عليه . فلما عمل فيه قال :

أيها الجيرة اسلموا	وقفوا كي تكلموا
وتقضوا لبانة	وتحبوا وتنعموا
خرجت مزنة من	البحر ريا تحمحم ^(٥)
هي ما كنتي ^(٦) وتز	عم أني لها حم ^(٧)

(١) حبر الكلس ثم غلب على اخلاط من زرليخ وكلس وغيره يزال به الشعر في الحمام طلاء .

(٢) قبيلة عربية سكنت في الطائف قبيل الهجرة واشتركت في الفتوحات الاسلامية

(٣) ألم ، اتي .

(٤) الصوت الرخم .

(٥) تردد الصوت

(٦) امرأة الابن وتقال لامرأة الاخ وابن الاخ .

(٧) ابو زوج المرأة وابو امرأة الرجل . (ن.ر.)

قال : فطلقها اخوه ، ثم قال : تزوج بها يا اخي . فقال : والله لا تزوجتها . فمات وما تزوجها .
وللحرث بن كلدة الثقفي من الكتب : كتاب المحاورة في الطب بينه وبين كسرى انوشروان .

النضر بن الحرث بن كلدة الثقفي

هو ابن خالة النبي ﷺ ، وكان النضر قد سافر البلاد أيضاً كأبيه . واجتمع مع الافاضل والعلماء بمكة وغيرها ، وعاشر الاحبار والكهنة . واشتغل وحصل من العلوم القديمة اشياء جليلة القدر ، واطلع على علوم الفلسفة واجزاء الحكمة ، وتعلم من أبيه ، ايضاً ، ما كان يعلمه من الطب وغيره .
وكان النضر يؤاتي أبا سفيان ^(١) في عداوة النبي ، ﷺ ، لكونه كان ثقيفاً ، كما قال رسول الله ﷺ : « قريش والانصار حليفان ، وبنو امية وثقيف حليفان » .

وكان النضر كثير الاذى والحسد للنبي ، ﷺ ، ويتكلم فيه باشياء كثيرة ، كما يحيط من قدره عند اهل مكة ، ويبطل ما أتى به بزعمه . ولم يعلم ، بشقاوته ، ان النبوة أعظم ؛ والسعادة اقدر ؛ والعناية الالهية أجل ؛ والأمور المقدرة اثبت . وانما النضر اعتقد ان بمعلوماته وفضائله وحكمته يقاوم النبوة ، وابن الثرى من الثريا ، والحضيض من الاوج ، والشقي من السعيد . وما أحسن ما وجدت حكاية ذكرها افلاطون في كتاب النواميس في ان النبي وما يأتي به لا يصل اليه الحكيم بحكمته ، ولا العالم بعلمه . قال افلاطون : وقد كانت « مارينون » ، ملك اليونانيين الذي يذكره اوميرس الشاعر باسمه وجبروته ، وما تهيأ لليونانيين في سلطانه ، رمي بشدائد في زمانه ، وخوارج في سلطانه ، ففرع الى فلاسفة عصره . فتأملوا مصادر أموره ومواردها ، وقالوا له : قد تأملنا أمرك ، فلم نجد فيه من جهتك شيئاً يدنو الى ما لحقك ، وانما يعلم الفيلسوف الافراطات وسوء النظام الواقعين في الجزء . فاما ما خرج عنه فليس تبحث عنه الفلسفة ، وانما يوقف عليه من جهة النبوة . وأشاروا عليه ان يطلب نبي عصره ليجتمع له مع علمهم ما ينسب به ، وقالوا : « انه لا يسكن في البلدان العامرة ، وانما يكون بين أقاصي المقفرة بين فقراء ذلك العصر » فسألهم ما يجب ان يكون عليه رسله اليه ، وما يكون دليلاً لهم عليه فقالوا : « اجعل رسلك اليه من لانت سجيته ، وظهرت قناعته ، وصدقت لهجته ، وكان رجوعه الى الحق احب من ظفرك به ، فان بين من استولى عليه هذا الوصف وبينه وصلة تدلهم عليه . وتقدم اليهم في المسألة عنه ، عند مسقط رأسه وملثته ، وسيرته في هذه المواضع ، فانك تجده زاهداً في النعيم ، راغباً في الصدق ، مؤثراً للخلاوة ، بعيداً من الحيلة ، غير حظي من الملوك . ينسبونه الى تجاوز حده والخروج عما جرى عليه اهل طبقتهم . تتأمل فيه الخوف ، وتخال فيه الغفلة . اذا تكلم في الامر توهمت انه عالم بأصوله وليس يعرف ما يترقى اليه به .

(١) تاجر عادي النبي وحاربه في مواقع بدر وأحد . وقاد قسماً من جيش المشركين الذي حاصر المدينة ٦٢٧ م وصالح النبي في معاهدة الحديبية ودخل مع النبي مكة. توفي نحو ٦٥٢ م .

واذا سئل عما يصدر عنه ذكر انه ، يلقى على لسانه وفي خاطره ، في اليقظة وبين النوم واليقظة ، ما لم ير فيه . واذا سئل عن شيء ، رأيته كأنه يقتضي الجواب من غيره ، ولا يفكر فيه تفكير القادر عليه ، والمستنبط له . واذا وجدوه ، فسيجمع لهم الى ما تقرر من وصفه اعاجيب تظهر على لسانه ويده .

فجمع سبعة نفر واطاف اليهم أمثل من وجد من الفلاسفة ، فخرجوا يلتمسونه . فوجدوه على مسافة خمسة ايام من مستقر مارينوس في قرية قد خرج اكثر اهلها عنها ، وسكنوا قريباً من مدينة مارينوس لما آثروه من لين جواره وكثرة الانتفاع به . ولم يبق فيها الا نفر من الزهاد قد قعدوا عن الاكتساب ، ومشايخ وزمنى ^(١) خلفهم الجهد . وهو بينهم في منزل شعث ^(٢) ، وحول المنزل جماعة من هؤلاء القوم ، قد شغفهم جواره ، والهائم عن الحظوظ التي وصل اليها غيرهم . فتلقاهم اهل القرية بالترحيب . وسألوه عن سبب دخولهم قريتهم الشعث التي ليس فيها ما يجبس امثالهم عليه ، فقالوا : رغبتنا في لقاء هذا الرجل ومشاركتكم في فوائده . وسألوه عن وقت خلوقه ^(٣) ، فقالوا : ما له شيء يشغله عنكم .

فدخلوا اليه فوجدوه مختبياً ^(٤) بين جماعة قد غضوا ابصارهم من هيئته . فلما رآه السبعة نفر سبقتهم العبارة ؛ وغمرتهم الهيبة ، ومعهم الفيلسوف بمسك لنفسه ، ومتهم لحسه ، يريد ان يستبرى امره . فسلموا عليه ، فرد عليهم السلام رداً ضعيفاً وهو كالنحاس المتحير . ثم زاد نعاسه حتى كادت حبوته ^(٥) ان تنحل فلما تبين من حوله ما تغشاه غضوا ابصارهم ووقفوا وقوف المصلي ، فقال : يا رسل الخاطيء الذي ملك جزءاً من عالمي ، فنظر الى صلاحه في سوق الخيرات الجسدية اليه ، فأفسده بما غمره منها . وكان سبيله سبيل من وكل يجره من بستان كثير الزهر والثمار ، فصرف اليه اكثر من حصته من ماء ذلك البستان ، وظن انه اصلح له فكان ما زاده منه على حصته ، ناقصاً من طعموم ثماره ، وروائح ازهاره ؛ وسبباً للجفاف اشجار جزء جزء منه وتصويح ^(٦) نبتة .

فلما سمع السبعة نفر هذا لم يملكوا انفسهم حتى قاموا مع اولئك فوقفوا وقوف المصلين . قال الفيلسوف : فبقيت جالساً خارجاً عن جملتهم لاستبرى امره ، واقتصى عجائبه ، فصاح بي : « ايها الحسن الظن بنفسه ، الذي كان اقصى ما لحقه ان سلك بفكره بين المحسوسات الجزئية والمعقولات الكلية ، واستخلص منها علماً وقف به على طبائع المحسوسات وما قرب منها ؛ فظن انه

(١) ذو العامة .

(٢) مشوش غير منظم .

(٣) زمن فراغه .

(٤) ممتناً .

(٥) العناية او كل فوب يشتمل به ،

(٦) اليبس والجفاف .

يبلغ به كل علة ومعلول . انك لا تصل الي هذه الطريق ، لكن بمن جعلته بيني وبين خلقي ، ونصبت له للدلالة على ارادتي . فاصرف اكثر عنايتك الى الاستدلال عليه . فاذا اصبته فاردد اليه ما فضل عن معرفتك ، فقد حملته من جودي ما فرقت به بينه وبين غيره ، وجعلته سمة له يستعرضها افهام المخلصين للحق . ثم تماسك وقوي طرفه ، فرجع من حوله الى ما كانوا عليه ، وخرجت من عنده .

فلما كان العشي عدت اليه فسمعتة يخاطب اصحابه والسبعة نفر بشيء من كلام الزهاد ، ينهام فيه عن طاعة الجسد . فلما انقضى كلامه قلت له : « قد سمعت ما سلف لك في صدر هذا اليوم وأنا أسألك زيادتي منه » . فقال : « كلما سمعتة فانما هو شيء صور في نفسي وأنطق به لساني ، وليس لي فيه الا التبليغ . وإن كان منه شيء ستقف عليه » . فأقمت عنده ثلاثة ايام ، أدبر السبعة نفر على الرجوع الى اوطانهم فيأبون ذلك علي ، فلما كان اليوم الرابع دخلت عليه ، فما تمكنت من مجلسه حتى تغشاه ما كان غشيه في اليوم الذي دخلنا عليه . ثم قال : « يا رسول الخاطيء المستبطيء نفسه في الرجوع له . ارجع الى بلدك فانك لا تلحق صاحبك » . واني انسخه بن يعدل ميل الجزء الذي في يده ، فخرجت من عنده فلحقني بلدي وقد قضى نجه . وتولى الامر كهل من أهل بيت مارينوس ، فرد المظالم وخلص الأرواح مما غشيتها من لبوسات الترفه ^(١) والبطالة .

أقول ولما كانت يوم بدر والتقى فيه المسلمون ومشركو قريش ، كان المقدم على المشركين أبو سفيان ، وعدتهم ما بين التسعمائة والالف ، والمسلمون يومئذ ثلثائة وثلاثة عشر . وأيد الله الاسلام ونصر نبيه ﷺ ، ووقعت الكسرة على المشركين . وقتلت في جملتهم صناديد ^(٢) قريش ، وأسر جماعة من المشركين . فبعضهم استفكوا انفسهم ، وبعضهم أمر النبي ﷺ ، بقتلهم . وكانت من جملة المأسورين عقبة ^(٣) بن أبي معيط ، والنضر بن الحرث بن كعدة ، فقتلها عليه السلام بعد منصرفه من بدر .

حدثني شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد الكاتب البغدادي ابن الكرم قال : حدثنا أبو غالب محمد بن المبارك بن محمد بن الميمون ، عن أبي الحسن علي بن أحمد بن الحسين بن محبوب الشافعي اليزدي عن أبي سعد أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن أبي القاسم الصيرفي البغدادي ، عن أبي غالب محمد بن أحمد ابن سهل بن بشران النحوي الواسطي ، عن أبي الحسين علي بن محمد بن عبد الرحيم بن دينار الكاتب ، عن أبي الفرج علي بن الحسين بن محمد الكاتب الاصبهاني ، قال : حدثنا محمد بن جرير الطبري ، قال : حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا مسلمة عن محمد بن اسحق ، قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن رومان : ان رسول الله ﷺ قتل يوم بدر عقبة بن أبي معيط صبراً ، أما عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح الانصاري فضرب عنقه . ثم أقبل من بدر حتى اذا كنا بالصفراء قتل النضر بن الحرث بن كعدة الثقفي أحد بني عبد الدار ، فقد أمر علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، أن يضرب عنقه . فقالت فتيلة بنت الحرث ترثيه :

(١) ليونة العيش .

(٢) جمع صنديد وهو السيد الشجاع .

(٣) احد الاشخاص الجاهليين الذين آذوا النبي

يا راكبا ان الأثيل^(١) مظنة
بلغ به ميتا فان تحية
مني اليه وعبرة مسفوحة
فليسمن النضر أن ناديتـه
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه^(٢)
صبرا يقاد الى المنية متعبا
أحمد^(٣) ولأنت نسل نجبية
ما كان ضرك لو مننت وربما
والنضر أقرب من أخذت بزلة
لو كنت قابل فدية لفديته
من صبح خامسة وأنت موفق
ما ان تزال بها الركائب تخنق
جادت بدرتها وأخرى يخنق
ان كان يسمع ميت أو ينطق
لله ارحام هناك تمزق
رسف المقيد وهو عان موثق
في قومها ، والفحل فحل معرق^(٤)
من الفتى وهو المغيظ المحنق
وأحقهم ان كان عتق يعتق
بأعز ما يفدي به من ينفق
(الكامل)

قال أبو الفرج الاصبهاني^(٥) : فبلغنا ان النبي ﷺ قال : لو سمعت هذا قبل ان أقتله ما قتلته .
فيقال ان شعرها أكرم شعر موتورة وأعفه وأكفه وأحلمه .

أقول : كانه عليه السلام انما أخر قتل النضر بن الحرث الى ان وصل الصفراء ليتروى فيه . ثم
انه رأى الصواب قتله فأمر بقتله . ويروى أيضا في قولها « والنضر أقرب من قتلت قرابة » تشير
الى انه قرابة النبي عليه السلام . وكانت وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة . وبدر موضع وهو
اسم ماء

قال الشعبي^(٥) : بدر بئر كانت لرجل يدعى بدرا ومنه يوم بدر . والصفراء من بدر على سبعة عشر
ميلا ، ومن المدينة على ثلاث ليال قواصد .

ابن أبي رمثة التميمي

كان طبيبا على عهد رسول الله ﷺ ، مزاولا لأعمال اليد وصناعة الجراح .
وروى نعيم عن ابن أبي عيينة عن ابن أبيجر ، عن زياد عن لقيط عن ابن أبي رمثة قال : اتيت

(١) موضع قرب المدينة المنورة .

(٢) تتناول .

(٣) كريم الأصل .

(٤) علي بن الحسين (٨٩٧ - ٩٦٦) ولد في اصبهان ونشأ في بغداد وكان من مقربي سيف الدولة الحمداني له كتاب
الاغاني المشهور .

(٥) هو ابو عامر بن شراحيل تابعي وعلامة الكوفة وحدث روى عن علي وابي هريرة وعائشة (٦٤٢ - ٧٢٣) .

رسول الله ﷺ ، فرأيت بين كتفيه الحاتم ، فقلت : اني طبيب فدعني أعالجه ، فقال : انت رفيق ، والطبيب الله . قال سليمان بن حسان : علم رسول الله انه رفيق اليد ولم يكن فائقاً في العلم ، فبات ذلك من قوله والطبيب الله .

عبد الملك بن أبيجر الكناني

كان طبيباً عالماً ماهراً . وكان في أول أمره مقيماً في الاسكندرية لانه كان المتولي في التدريس بها من بعد الاسكندرانيين الذين تقدم ذكرهم . وذلك عندما كانت البلاد في ذلك الوقت للملك النصارى . ثم ان المسلمين لما استولوا على البلاد وملكوا الاسكندرية ، أسلم ابن أبيجر على يد عمر بن عبد العزيز^(١) ، وكان حينئذ أميراً قبل ان تصل اليه الخلافة ، وصحبه . فلما أفضت الخلافة الى عمر ، وذلك في صفر سنة تسع وتسعين للهجرة ، نقل التدريس الى انطاكية وحران^(٢) وتفرق في البلاد . وكان عمر بن عبدالعزيز يستطب ابن ايجر ، ويعتمد عليه في صناعة الطب .

روى الاعمش^(٣) عن ابن أبيجر انه قال : دع الدواء ما احتمل بدنك الداء . وهذا من قول النبي ﷺ : « سر بدائك ما حملك » .

وروى سفيان^(٤) عن ابن أبيجر أنه قال : المعدة حوض الجسد والعروق تشرع فيه ، فما ورد فيها بصحة صدر بصحة ، وما ورد فيها بسقم صدر بسقم .

ابن أثال

كان طبيباً متقدماً من الأطباء المميزين في دمشق ، نصراني المذهب . ولما ملك معاوية^(٥) بن أبي سفيان دمشق اصطفاه لنفسه وأحسن اليه ، وكان كثير الافتقار له والاعتقاد فيه ، والحادثة معه ليلاً ونهاراً . وكان ابن أثال خبيراً بالادوية المفردة والمركبة وقواها ، وما منها سموم قواطل ، وكان معاوية يقربه لذلك كثيراً .

ومات في ايام معاوية جماعة كثيرة من أكابر الناس والامراء من المسلمين بالسم . ومن ذلك حدثنا

(١) من الخلفاء الامويين اشتهر بتقواه وتمسكه بالسنة مع اهل الذمة . ابطال لمن علي الذي سنه معاوية . (٦٨٢ - ٧٢٠) .

(٢) بلد بالشام .

(٣) هو لقب سليمان بن مهران الكوفي المشهور .

(٤) اظن انه سفيان الثوري احد علماء الكلام الصوفيين ولم يكن اعلم منه في الحلال والحرام .

(٥) هو مؤسس الدولة الاموية وعاصمتها دمشق . وكان من قبل والياً عليها من قبل الخلفاء واصبح خليفة بعد مقتل علي

ابن ابي طالب (ن . ر) .

ابو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد الكاتب البغدادي ابن الكرم ، قال : حدثنا ابو غالب محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون ، عن أبي الحسن علي بن أحمد بن الحسين بن محمود الشافعي اليزيدي ، عن أبي سعد احمد بن عبد الجبار بن احمد بن أبي القاسم الصيرفي البغدادي ، عن أبي غالب محمد بن احمد بن سهل بن بشران النحوي الواسطي ، عن أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الرحيم بن دينار الكاتب ، عن أبي الفرج علي بن الحسين الاصبهاني الكاتب قال في كتابه المعروف « بالاغاني » الكبير : اخبرني عمي ، قال : حدثنا احمد بن الحرث الحزاز ، قال : حدثنا المدائني ، عن شيخ من اهل الحجاز ، عن زيد بن رافع مولى المهاجرين خالد بن الوليد ، عن أبي ذئب ، عن أبي سهيل : ان معاوية لما اراد ان يظهر المقد ليزيد قال لاهل الشام : « ان أمير المؤمنين قد كبرت سنه ، ورق جلده ، ودق عظمه ، واقترب اجله ، يريد ان يستخلف عليكم فمن ترون ؟ » فقالوا : عبد الرحمن بن خالد بن الوليد . فسكتوا واضمرها . ودس ابن اثال النصراني الطبيب اليه ، فسقاه سماً ، فمات . وبلغ ابن اخيه خالد بن المهاجر ابن خالد بن الوليد خبره وهو بمكة وكان اسوأ الناس رأياً في عمه لان اياه المهاجر ، كان مع علي رضي الله عنه ، بصفين ، وكان عبد الرحمن بن خالد مع معاوية . وكان خالد بن المهاجر على رأي ابيه ، هاشمي المذهب . فلما قتل عمه عبد الرحمن مر به بعروة بن الزبير ، فقال له يا خالد ! اتدع لابن اثال نقى ^(١) اوصال عمك بالشام ، وانت بمكة مسبل ازارك تجره وتخطر فيه متخائلاً ؟ فحمي خالد ودعى مولى له يقال له نافع فاعلمه الخبر وقال له : « لا بد من قتل ابن اثال » . وكان نافع جلدأ شهماً ، فخرج حتى قدما دمشق ، وكان ابن اثال يتمشى عند معاوية ، فجلس له في مسجد دمشق الى اسطوانة ، وجلس غلامه الى اخرى حتى خرج . فقال خالد لنافع : اياك ان تعرض له انت ، فاني اضربه . ولكن احفظ ظهري واكفي من ورائي . فان رأيت شيئاً يريدني من ورائي فشأنك » . فلما حاذاه وثب اليه فقتله . وثار اليه من كان معه فصاح بهم نافع فانفرجوا . ومضى خالد ونافع وتبعها من كان معه ، فلما غشوها حلا عليهم فتفرقوا ، حتى دخل خالد ونافع زقاقاً ضيقاً ففأنا الناس . وبلغ معاوية الخبر فقال : هذا خالد بن المهاجر ، انظروا الزقاق الذي دخل فيه » . ففتش عليه واتي به فقال له : لا جزاك الله من زائر خيراً : قتلت طيبياً ؟ فقال : قتلت الأمور وبقي الأمر » .

فقال له : « عليك لعنة الله ، اما والله لو كان تشهد مرة واحدة لقتلتك به . امعك نافع ؟ قال لا ! قال : بلى والله ، وما اجترأت إلا به » . ثم امر بطلبه فوجد ، فأتي به ففرض مائة سوط ولم ينح خالدأ بشيء اكثر من ان حبسه ، والزم بني مخزوم دية ابن اثال اثني عشر الف درهم ؛ ادخل بيت المال منها ستة آلاف واخذ ستة آلاف ، فلم يزل ذلك يجري في دية المعاهد حتى ولي عمر بن عبد العزيز ، فأبطل الذي يأخذه السلطان لنفسه ، واثبت الذي يدخل بيت المال .

قال : لما حبس معاوية خالد بن المهاجر قال في السجن :

(١) مخ العظام وشحمها .

إما خطاي تقاربت مشي المقيّد في الحصار
فيا أمشي في الأباطح يقتني اثرى إزارى
دع ذا ولكن هل ترى نأراً تشب بذى مرار
ما أن تشب لقيرة^(١) بالمصطلين^(٢) ولا قنار^(٣)
ما بال ليلك ليس ين قص طولها طول النهار
أقاصر الأزمان أم غرض الاسير من الاسار^(٤)

(الكامل)

قال فبلغت ابياته معاوية فأطلقه ، فرجع الى مكة . فلما قدمها لقي عروة بن الزبير ، فقال له :
اما ابن اثال فقد قتلته . وهذاك ابن جرموز نقي اوصال الزبير بالبصرة فاقتله ان كنت نائراً . فشكاه
عروة الى ابي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام ، فأقسم عليه ان يمك عنه ، ففعل .

اقول : كان الزبير بن العوام^(٥) مع عائشة يوم الجمل^(٦) ، فقتله ابن جرموز ، ولذلك قال
خالد بن المهاجر لعروة بن الزبير عن قتل ابن جرموز لابيه يعيره بذلك . وبما يحقق هذا ، أن
عائكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل زوجة الزبير بن العوام قالت ترثيه لما قتله ابن جرموز :

غدر ابن جرموز بفارس بهمة^(٧) يوم اللقاء وكان غير معرد^(٨)
يا عمرو لو نهته لوجدته لا طائشاً رعى الجنان ولا اليد
الله ربك ، ان قتلت لمسلماً وجبت عليك عقوبة المتعمد
إن الزبير ، لذو بلاء صادق ، سمح سجيته ، كريم المشهد
كم غمرة قد خاضها ، لم يشنه عنها طرادك ، يا ابن فقع القردد^(٩)
فاذهب فما ظفرت يدك بمثله فيما مضى مما يروح ويغتدي

(الكامل)

وقال ابو عبيد القاسم بن سلام البغدادي^(١٠) في « كتاب الأمثال » : إن معاوية ابن ابي سفيان

(١) البرد

(٢) المستدفئين .

(٣) الدخات .

(٤) ما يشد به من قد او قيد .

(٥) هو الزبير بن العوام صحابي امه صفية بنت عبد المطلب واحد اصحاب الشورى الستة وقتل يوم الجمل .

(٦) اسم الموقعة التي دارت فيها الحرب بين امير المؤمنين علي بن ابي طالب وبين اصحاب عائشة التي غرر بها طلحة والزبير

بعد ما لقضا بيمتهم لمي .

(٧) الشجاع الذي يستبهم مأواه على اقارنه .

(٨) غير محجم ولا ناكل .

(٩) الفقع : اردأ الكمأة ؛ والقردد : القفر أو الارض المستوية وكنى به عنها عن الذليل.

(١٠) ولد في هراة من ام رومية وهو لغوي وفقيه .

كان خاف ان يميل الناس الى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فاشتكى عبد الرحمن فسقاه الطبيب شربة عسل فيها سم فأحرقته . فعند ذلك قال معاوية لا جد الا ما اقعص^(١) عنك من تكره . قال : وقال معاوية ايضاحين بلغه ان الاشتر سقي شربة عسل فيها سم فمات : « أن الله جنوداً منها العسل » . ونقلت من تاريخ ابي عبد الله محمد بن عمر الواقدي^(٢) قال : لما كان في سنة ثمان وثلاثين بعث علي ابن ابي طالب رضي الله عنه الاشتر واليا على مصر ، بعد قتل محمد بن ابي بكر ، وبلغ معاوية مسيره قدس الى^(٣) دهقان بالعريش^(٤) ، فقال ان قتلت الاشتر فلك خراجك عشرين سنة ، فلطف له الدهقان فسأل اي الشراب احب اليه ؟ ف قيل العسل . فقال عندي عسل من عسل برقة ، فسمه واتاه به فشربه فمات .

وفي تاريخ الطبري ان الحسن بن علي رضي الله عنها مات مسموماً في ايام معاوية وكان عند معاوية كما قيل دهاء ؛ قدس الى جعدة بنت الاشعث بن قيس ، وكانت زوجة الحسن ، رضي الله عنه ، شربة وقال لها : ان قتلت الحسن زوجتك بيزيد . فلما توفي الحسن بعثت الى معاوية تطلب قوله ، فقال لها في الجواب : انا اضن بيزيد . وقال كثير^(٥) يرثي الحسن رضي الله عنه :

يا جعد ابكيه ولا تسأمي بكاء حقد ليس بالباطل
ان تستري الميت على مثله في الناس من حاف ومن ناعل
(السريع)

وقال عوانة بن الحكم : لما كان قبل موت الحسن بن علي عليها السلام ، كتب معاوية الى مروان ابن الحكم عامله على المدينة ان اقبل المطي فيما بيني وبينك بخبر الحسن بن علي . قال : فلم يلبث الا يسيراً حتى كتب مروان بموته . وكان ابن عباس اذا دخل على معاوية اجلسه معه على سريره فأذن معاوية للناس فأخذوا مجالسهم ، وجاء ابن عباس فلم يمهله معاوية ان يسلم حتى قال : يا ابن عباس هل أذاك موت الحسن بن علي ؟ قال : لا ا قال معاوية : فانه قد أانا موته . فاسترجع ابن عباس وقال : ان موته يا معاوية لا يزيد في عمرك ولا يدخل عمله معك في قبرك . وقد بلينا بأعظم ، فقدنا منه جده محمد صلى الله عليه وسلم ، فجبر الله مصابنا ولم يهلكنا بعده . فقال له معاوية : اقعد يا ابن عباس ، فقال : ما هذا بيوم قعود . وأظهر معاوية الشجاعة بموت الحسن رضي الله عنه فقال قثم ابن عباس في ذلك :

(١) اقعصه : رماه او ضربه فمات مكانه .
(٢) ولد في المدينة (٧٤٧-٨٢٢) كان قاضياً في الرصافة ودليل الحج لهارون الرشيد ووزيره يحيى ومن مؤلفاته « المغازي » و « فتوح الشام » و « فتوح مصر » .
(٣) رئيس الاقليم .
(٤) بلدة على المتوسط بين مصر وفلسطين فيها وقع الفرنسيون معاهدة اجلائهم عن مصر سنة ١٨٠٠ .
(٥) شاعر اشتهر باسم كثر عزة اقام في المدينة . وغالى في تشييعه وقال بالرجعة والتناسخ توفي سنة ٧٢٣ .

أصبح اليوم ابن هند شامتاً
رحمة الله عليه انه
ولقد كان عليه عمره
واذا اقبل حياً رافعاً
فارتع اليوم ابن هند آمناً
واتق الله وأحدث توبة
ظاهر النخوة أن مات حسن
طال ما أشجى ابن هند وأذن
عدل رضوى وثبير وحضن^(١)
صوته والصدر يغلي بالإحن^(٢)
انما يغمص^(٣) بالعير السمن
ان ما كان كشيء لم يكن
(الرمل)

أبو الحكم

كان طبيباً نصرانياً عالماً بأنواع العلاج والادوية ، وله أعمال مذكورة وصفات مشهورة . وكان يستطبه معاوية بن أبي سفيان ويعتمد عليه في تركيبات ادوية لأغراض قصدها منه . وعمر ابو الحكم هذا عمراً طويلاً حتى تجاوز المائة سنة .

حدث أبو جعفر أحمد بن يوسف بن ابراهيم ، قال : حدثني أبي قال : حدثني عيسى بن حكم الدمشقي المتطبب قال : حدثني أبي عن أبيه ، قال : ولي الموسم في أيام معاوية^(٤) بن ابي سفيان ، يزيد بن^(٥) معاوية . فوجهني ابوه معه متطبباً له . وخرجت مع عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس الى مكة متطبباً له . وقعد^(٦) عبد الصمد مثل قعد يزيد . وبين وفاتها مائة ونيف وعشرون سنة .

قال يوسف بن ابراهيم : حدثني عيسى بن حكم عن أبيه ، ان جده أعلمه انه كان مُحْتَمًى عبد الملك^(٧) ابن مروان من شرب الماء في علته التي توفي فيها . وأعلمه انه متى شرب الماء قبل نضج علته توفي . قال : فاحتمى عن الماء يومين وبعض الثالث . قال : فاني عنده لجالس وعنده بناته ، اذ دخل عليه

(١) رضوى وثبير وحضن : اسماء جبال . رضوى المدينة ؛ وثبير بظاهر مكة ؛ وحضن من جبال سلمى بنجد .

(٢) الحقد .

(٣) ويحتقر ويكره . (ن.ر) .

(٤) صحابي تولى الحكم في سوريا ٢٠ عاماً نزع للمطالبة بدم عثمان حباً بالوصول الى الحكم . وهو مؤسس الدولة الاموية وعاصمتها دمشق توفي سنة ٦٨٠

(٥) ثاني الخلفاء الامويين وانتقلت اليه بالارث فكان اول ملك في العرب وكان خليعاً ماجناً فثار عليه الحسين بن علي فكانت موقعة كربلاء حيث قتل الحسين .

(٦) القريب الاباء من الجد الاعلى ؛ او البعيد « ضد » .

(٧) الخليفة الاموي الذي يعد كؤوساً ثل للدولة الاموية . ارسل جيوشه الى آسيا الصغرى وافريقيا . وصك النقود الذهبية ونظم البريد وبنى الصخرة في المسجد الاقصى .

الوليد^(١) ابنه فسأله عن حاله وهو يتبين في وجه الوليد السرور بموته فأجابه بأن قال :

ومستخير عنا يريد بنا الردى ومستخبرات والدموع سواجم
(الطويل)

وكان استفتاحه النصف الاول وهو مواجه للوليد ، ثم واجه البنات عند قوله النصف الثاني ، ثم دعا بالماء فشربه ففضى من ساعته .

حكم الدمشقي

كان يلحق بابيه في معرفته بالمداداة والاعمال الطبية والصفات البديعة . وكان مقيماً بدمشق . وعمر أيضاً عمراً طويلاً .

قال ابو يوسف بن ابراهيم : حدثني عيسى بن حكم ان والده توفي ، وكان عبد الله بن ماهر^(٢) بدمشق في سنة عشر ومائتين ؛ وان عبد الله سأله عن مبلغ عمر أبيه فأعلمه انه عمره مائة وخمس سنين ، لم يتغير عقله ، ولم ينقص علمه . فقال عبد الله : عاش حكم نصف التاريخ .

قال يوسف وحدثني عيسى انه ركب مع أبيه حكم بمدينة دمشق ، اذ اجتازوا بحانوت حجام قد وقف عليه بشر كثير ، فلما بصر بنا بعض الوقوف قال : أفرجوا هذا حكم المتطبيب وعيسى ابنه . فأفرج القوم ، فاذا رجل قد فصدته الحجام في العرق الباسليق ، وقد فصدته فصدأ واسعاً ، وكان الباسليق على الشريان ، فلم يحسن الحجام تعليق العرق فأصاب الشريان . ولم يكن عند الحجام حيلة في قطع الدم . واستعملنا الحيلة في قطعه بالفائدة^(٣) ونسج العنكبوت والوبر ، فلم ينقطع بذلك . فسألني والدي عن حيلة ، فأعلمته انه لا حيلة عندي . فدعا بفستقة^(٤) فشققها وطرح ما فيها ، وأخذ أحد نصفي القشر فجعله على موضع الفصد ، ثم أخذ حاشية من ثوب كتان غليظ فلف بها موضع الفصد على قشر الفستقة لفاً شديداً ، حتى كان يستغيث المفتصد من شدته ، ثم شد ذلك بعد اللف شداً شديداً ، وأمر بحمل الرجل الى نهر بردى ، وأدخل يده في الماء ووطأ^(٥) له على شاطئ النهر ونومه عليه ، وأمر فحسني محات^(٦) بيض نيمرشت^(٧) ، ووكل به تلميذاً من تلامذته ، وأمره بمنعه من اخراج يده

(١) الخليفة الاموي السادس (٧٠٥ - ٧١٥) بلغت في ايامه الامبراطورية العربية اوجها وبلغت فتوحاته القفصاس والمغرب وصقليا واسبانيا وبخارى وسمرقند وفرغافه وتشكنت وبلغ حدود الصين .

(٢) ولد سنة ٧٩٨ وهو قائد وسياسي وشاعر . حكم البلاد بين مصر والرقه ثم استقل بحكم خراسان توفي سنة ٨٤٤ .

(٣) واحدها وفادة وهي الحرقه توضع على الجرح .

(٤) حبة الفستق وهو شجر معروف .

(٥) مهد وسهل ودمت .

(٦) واحدها عة وهي بياض البيض .

(٧) المسلوقة قليلاً .

من موضع الفصد من الماء الا عند وقت الصلاة او يتخوف عليه الموت من شدة البرد. فان تخوف ذلك أذن له في اخراج يده هنيئة ثم امره بردها ، ففعل ذلك الى الليل . ثم امر بمجمله الى منزله ونهاه عن تغطية موضع الفصد ، وعن حل الشد قبل استتمام خمسة ايام ، ففعل ذلك . إلا انه صار اليه في اليوم الثالث وقد ورم عضده وذراعه ورماً شديداً ، فنفس من الشد شيئاً يسيراً ، وقال للرجل : « الورم اسهل من الموت » . فلما كان في اليوم الخامس حل الشداد فوجدنا قشر الفستقة ملتصقاً بلحم الرجل . فقال والذي للرجل : « بهذا القشر نجوت من الموت » ، فان خلعت هذا القشر قبل انخلاعه وسقوطه من غير فعل منك تلفت نفسك » .

قال عيسى : فسقط القشر في اليوم السابع وبقي في مكانه دم يابس في خلة الفستقة. فنهاه والذي عن العبث به ، او حك ما حوله ، او فتّ شيء من ذلك الدم . فلم يزل الدم يتحات ^(١) حتى انكشف موضع الفصد في اكثر من اربعين ليلة وبرأ الرجل .

عيسى بن حكم الدمشقي

وهو المشهور بمسيح ، صاحب الكناش الكبير الذي يعرف به وينسب اليه .

قال يوسف بن ابراهيم : حدثني عيسى بن الحكم انه عرض لغضيض ام ولد الرشيد قولنج فاحضرته واحضرت الابح والطبري الحاسبين ، وسألت عيسى عما يرى معالجتها به . قال عيسى : فاعلمتها ان القولنج قد استحکم بها استحکاماً ان لم تبادره بالحقنة لم يؤمن عليها التلف .

فقلت ؛ للأبح والطبري : « اختارا لي وقتاً اتمالج فيه » . فقال لها الابح علتك هذه ليست من العلل التي يمكن ان يؤخر لها العلاج الى وقت يحمد المنجمون ، وانا ارى ان تبادري بالعلاج قبل ان تعملي عملاً ؛ وكذلك يرى عيسى بن حكم . فسألني ، فاعلمتها ان الابح قد صدقها . فسألت الطبري عن رأيه فقال : ان القمر اليوم مع زحل ، وهو في غد مع المشتري ، وانا ارى لك ان تؤخري العلاج الى مقارنة القمر المشتري . فقال الابح : انا اخاف ان يصير القمر مع المشتري وقد عمل القولنج عملاً لا يحتاج معه الى علاج . فتطيرت من ذلك غضيض ولبنتها ام محمد وامرنا باخراجه من الدار وقبلت قول الطبري . فماتت غضيض قبل موافاة القمر المشتري . فلما وافى القمر المشتري قال الابح لام محمد : هذا وقت اختيار الطبري للعلاج فأين العليل حتى نعالجه ؟ فزادتها رسالته غيظاً عليه . ولم تزل سيئة الرأي فيه حتى توفيت .

(١) يتناثر ويتساقط .

قال يوسف : نزلت على عيسى بن حكم في منزله بدمشق سنة خمس وعشرين ومائتين ؛ وفي نزلة صعبة ، فكان يغذوني بأغذية طيبة ويسقيني الثلج فكنت انكر ذلك ، واعلم ان تلك الاغذية مضره بالنزلة . فيعتل علي بالهواء ويقول : « انا اعلم بهواء بلدي منك وهذه الاشياء المضرة بالعراق نافعة بدمشق » . فكنت اغتذي بما يغذوني به . فلما خرجت عن البلد خرج مشيعاً لي حتى صرنا الى الموضع المعروف بالراهب ، وهو الموضع الذي فارقت فيه ، فقال لي : قد اعددت لك طعاماً يُحمل معك يخالف الاطعمة التي كنت تأكلها . وانا آمرك ان لا تشرب ماء بارداً ، ولا تأكل من مثل الاغذية التي كنت تأكلها في منزلي شيئاً . فقلت على ما كان يغذوني به فقال : « انه لا يحسن بالعاقل ان يلزم قوانين الطب مع ضيفه في منزله .

قال يوسف : وتجارت وعيسى يوماً بدمشق ذكر البصل ، فابتكر في ذمه ووصف معايبه .

وكان عيسى وسلمويه ^(١) بن بيان يسلكان طريق الرهبان ، ولا يحمدان شيئاً مما يزيد في الباء ، ويذكرا ان ذلك مما يتلف الابدان ويذهب الأنفس . فلم استنجد الاحتجاج عليه بزيادة البصل في الباء . فقلت له : قد رأيت له في سفرى هذا ، اعني فيما بين سر من رأى ودمشق ، منفعة . فسأل عنها ، فاعلمته اني كنت اذوق الماء في بعض المناهل فاصيبه مالحاً فأكل البصل التي ثم اعاد شرب الماء فاجد ملوحته قد نقصت .

وكان عيسى قليل الضحك فاستضحك من قولي ثم رجع الى اظهار جرح منه ، ثم قال : يعز علي ان يغلط مثلك هذا الغلط ، لانك صرت الى اسمع نكتة في البصل واعيب عيب فيه فجعلتها مدحاً . ثم قال لي : أليس متى حدث في الدماغ فساد فسدت الحواس ، حتى ينقص حس الشم والذوق والسمع والبصر : فاعلمته ان الامر كذلك . فقال لي : ان خاصية البصل احداث فساد الدماغ ، فانما قلل حسك بملوحة الماء ما احداث البصل في دماغك من الفساد .

قال : وقال لي عيسى وقد شيعني الى الراهب ، وهو آخر كلام دار بيني وبينه ان والذي توفي وهو ابن مائة سنة وخمس سنين لم يتشجن له وجه ، ولم ينقص من ماء وجهه لاشياء كان يفعلها وانا الآن مزودكها فاعمل بها ؛ وهي : ان لا تذوق القديد ، ولا تغسل يديك ورجليك عند خروجك من الحمام ابداً الا بماء بارد ابرد ما يمكنك ، والزم ذلك فانه ينفعك . فلزمت ما امرني به من هذا الباب إلا اني ربما مصصت القطعة الصغيرة من القديد في السنة ، وفي الاكثر من ذلك .

ولعيسى بن حكم من الكتب : كناش ، كتاب منافع الحيوان .

(١) هو طبيب الخليفة العباسي محمد المعتصم بالله .

تياذوق

كان طبيباً فاضلاً وله نوادر والفاظ مستحسنة في صناعة الطب . وعمر ، وكان في أول دولة بني أمية ومشهوراً عندهم بالطب . وصحب أيضاً الحجاج ^(١) بن يوسف الثقفي ، المتولي من جهة عبد الملك ابن مروان ، وخدمه بصناعة الطب وكان يعتمد عليه ، ويثق بمداواته ، وكان له منه الجاهكية ^(٢) الوفرة والافتقار الكثير .

ومن كلام تياذوق للحجاج : قال :

لا تنكح الا شابة؛ ولا تأكل من اللحم الا فتياً ؛ ولا تشرب الدواء الا من علة؛ ولا تأكل الفاكة إلا في اوان نضجها . وأجد مضغ الطعام ، واذا اكلت نهراً فلا بأس ان تنام ، وإذا أكلت ليلاً فلا تم حتى تمشي ولو خمسين خطوة . فقال له بعض من حضر : اذا كان الأمر كما تقول فلم هلك بقراط؟ ولم هلك جالينوس وغيرهما ولم يبق احد منهم ؟ قال : يا بني قد احتججت فاسمع ! ان القوم دبروا أنفسهم بما يملكون وغلبهم ما لا يملكون - يعني الموت - وما يرد من خارج كالحر والبرد والوقوع والغرق والجراح والغم وما أشبه ذلك .

وأوصى تياذوق أيضاً الحجاج فقال: لا تأكل حتى تجوع . ولا تتكارهن على الجماع . ولا تحبس البول . وخذ من الحمام قبل ان يأخذ منك .

وقال أيضاً للحجاج : اربعة تهدم العمر وربما قتلن : دخول الحمام على البطننة ؛ والحمامة على الأمتلاء ؛ وأكل القديد الجاف ؛ وشرب الماء البارد على الريق . وما مجاعة العجوز ببعيدة منهن .

ووجد الحجاج في رأسه صداعاً فبعث الى تياذوق وأخبره فقال : اغسل رجليك بماء حار ، وادهنها . وخصي للحجاج قائم على رأسه ، فقال : والله ما رأيت طبيباً أقل معرفة بالطب منك ! شكى الأمير الصداع في رأسه فتصف له دواء في رجله ! فقال له : أما أن علامة ما قلت فيك بينة . قال الخصي : وما هي ؟ قال 'نزع خصيتاك فذهب شعر لحيتك . فضحك الحجاج ومن حضر .

وشكى الحجاج ضعفاً في معدته وقصوراً في الهضم الى تياذوق فقال : يكون الأمير يحضر بين يديه الفستق الأحمر القشر البراني ويكسره ويأكل من لبه ، فان ذلك يقوي المعدة . فلما امسى الحجاج بعث الى حظاياه وقال : ان تياذوق وصف لي الفستق . فبعثت اليه كل واحدة منهن صينية فيها قلوب فستق ، فأكل من ذلك حتى امتلأ . وأصابته بعقبه هيضة ^(٣) كادت تأتي على نفسه . فشكى حاله الى تياذوق ، وقال : وصفت لي شيئاً أضربني ، وذكر له ما تناول ، فقال له : انما

(١) ولد بالطائف ٦٦١ وولاه عبد الملك بن مروان على الحجاز فرمى مكة بالنجنيق وقتل مصعب بن الزبير ثم تولى العراق فاخذ الفتن ببطشه وقوته وله خطب مشهورة . توفي سنة ٧١٤ م

(٢) المال السلطاني .

(٣) انطلاق البطن .

قلت لك ان تحضر عندك الفستق بقشره البراني ، فتكسر الواحدة بعد الواحدة ، وتلوك قشرها البراني وفيه العطرية والقبض ، فيكون بذلك تقوية المعدة . وأنت فقد عملت غير ما قلت لك . وداواه بما عرض له .

قبل ومن اخباره مع الحجاج : انه دخل عليه يوماً ، فقال له الحجاج : أي شيء دواء أكل الطين ؟ فقال عزيزة مثلك أيها الأمير . فرمى الحجاج بالطين من يده ولم يعد اليه أبداً .

وقيل ان بعض الملوك لما رأى تياذوق وقد شاخ وكبر سنه ، وخشي أن يموت . ولا يعتاض عنه ، لانه كان أعلم الناس وأحذق الامة في وقته بالطب . فقال له : « صف لي ما أعتمد عليه فأسوس به نفسي ، وأعمل به أيام حياتي ، فلست آمن ان يحدث عليك حدث الموت ، ولا أجد مثلك ؛ فقال تياذوق : « أيها الملك بالخيرات ، اقول لك عشرة أبواب ان علمت واجتنبتها لم تعتل مدة حياتك ، وهذه عشر كلمات :

١ - لا تأكل طعاماً وفي معدتك طعام ؛ ٢ - ولا تأكل ما تضعف أسنانك عن مضغه ، فتضعف معدتك عن هضمه ؛ ٣ - ولا تشرب الماء على الطعام حتى تفرغ ساعتين ؛ فان أصل الداء التخمعة ، وأصل التخمعة الماء على الطعام ؛ ٤ - وعليك بدخول الحمام في كل يومين مرة واحدة ، فإنه يخرج من جسدك ما لا يصل اليه الدواء ؛ ٥ - وأكثر الدم في بدنك تحرص به نفسك ؛ ٦ - وعليك في كل فصل قيئة ومسهلة ؛ ٧ - ولا تجلس البول وان كنت راكباً ؛ ٨ - واعرض نفسك على الخلاء قبل نومك ؛ ٩ - ولا تكثر الجماع فإنه يقتبس من نار الحياة فليكثر او يقل ؛ ١٠ - ولا تجمع المعجوز فإنه يورث الموت الفجأة .

فلما سمع الملك ذلك أمر كاتبه ان يكتب هذه الالفاظ بالذهب الاحمر ، ويضعه في صندوق من ذهب مرصع . وبقي ينظر اليه في كل يوم ويعمل به ، فلم يعتل مدة حياته حتى جاءه الموت الذي لا بد منه ولا يحصى عنه .

وذكر ابراهيم بن القاسم الكاتب قال : قال الحجاج لابنه محمد : يا بني ان تياذوق الطبيب كان قد أوصاني في تدبير الصحة بوصية كنت استعملها ، فلم أر الا خيراً . ولما حضرته الوفاة دخلت عليه أعوده فقال الزم ما كنت وصيتك به وما نسيت منها فلا تفس : « لا تشرب دواء حتى تحتاج اليه ، ولا تأكل طعاماً وفي جوفك طعام ، واذا أكلت فامش أربعين خطوة . واذا امتلأت من الطعام فتم على جنبك الايسر . ولا تأكلن الفاكهة وهي مولية . ولا تأكلن من اللحم الا فسيماً . ولا تنكحن عجوزاً . وعليك بالسواك . ولا تتبعن اللحم اللحم . فان ادخال اللحم على اللحم يقتل الأسود في الفلوات » .

وقال ايضاً ابراهيم بن القاسم الكاتب في كتاب أخبار الحجاج : ان الحجاج لما قتل سعيد بن جبير رحمه الله ، وكان من خيار التابعين ، وجرى بينها كلام كثير ، وأمر به فذبح بين يديه ، وخرج منه دم كثير استكثره وهاله . فقال الحجاج لتياذوق طبيبه : ما هذا ؟ قال : « لاجتماع نفسه ، وانه لم

يجزع من الموت ، ولا هاب ما فعلته به . وغيره تقتله وهو مفترق النفس ، فيقل دمه لذلك . ،
ومات تياذوق بعد ما أسن وكبر ، وكانت وفاته بواسطه في نحو سنة تسعين للهجرة .
ولتياذوق من الكتب : كناش كبير ألفه لابنه . كتاب ايدال^(١) الادوية وكيفية دقها وإيقاعها
واذابتها وشيء من تفسير أسماء الادوية .

زينب طيبة بني أود

كانت عارفة بالاعمال الطبية ، خبيرة بالعلاج ومداواة آلام الدين والجراحات ، مشهورة بين
العرب بذلك .

قال ابو الفرج الاصبهاني في كتاب الاغاني الكبير : اخبرنا محمد بن خلف المرزبان قال ، حدثني
حماد بن اسحق عن ابيه عن كناسة عن ابيه عن جده قال : أتيت امرأة من بني أود لتكحلني من
رمد كان قد أصابني فكحلني ، ثم قالت : اضطجع قليلاً حتى يدور الدواء في عينيك ، فاضطجعت
ثم تمثلت قول الشاعر :

أخترمي^(٢) ريب المنون ولم أزر طيب بني أود على النأي زينبا
(الطويل)

فضحككت ثم قالت : أتدري فيمن قيل هذا الشعر ؟ قلت لا ! قالت : فيّ والله قيل ، وأنا زينب
التي عناها ، وأنا طيبة بني أود . افتدري من الشاعر ؟ قلت لا ! قالت : عمك أبو سماك الاسدي .

(١) هذه اما من أدل - أدلا ، أو من ودل - ودلا اللين : غضه وهي بهذا المعنى اي غض الادوية وهو مزجها بالساء
وتحريكها (ن . د)
(٢) اخترمته المنية : أخذته .

الباب الثامن

طبقات الأطباء السريانيين الذين كانوا في ابتداء ظهور دولة بني العباس

ولنبتدى أولاً بذكر جورجس وابنه بمختشوع ، والمتميزين من اولاده علي تواليهم . ثم اذكر بعد ذلك ما يليق ذكره من الاطباء الذين كانوا في ذلك الوقت .

جورجيوس بن جبرائيل

كانت له خبرة بصناعة الطب ، ومعرفة بالمداواة وأنواع العلاج ، وخدم بصناعة الطب المنصور^(١) ، وكان حظياً عنده رفيع المنزلة ، ونال من جهته اموالاً جزية . وقد نقل للمنصور كتباً كثيرة من كتب اليونانيين الى العربي .

قال فثيون الترجان : « ان اول ما استدعى ابو جعفر المنصور لجورجس ، هو ان المنصور في سنة مائة وثمان وأربعين سنة للهجرة مرض وفسدت معدته ، وانقطعت شهوته . وكلما عالج له الاطباء ازداد مرضه ، فتقدم الى الربيع^(٢) بان يجمع الاطباء لمشاورتهم . فجمعهم فقال لهم المنصور : « من تعرفون من الاطباء في سائر المدن طبيباً ماهراً ؟ فقالوا : ليس في وقتنا هذا أحد يشبه جورجس رئيس أطباء جندي^(٣) سابور ، فانه ماهر في الطب ، وله مصنفات جلية » .

فانفذ المنصور في الوقت من يحضره . فلما وصل الرسول الى عامل البلد ، احضر جورجس وخاطبه بالخروج معه : فقال له : « علي ههنا أسباب ولا بد ان تصبر علي أياماً حتى أخرج معك » ، فقال له : « ان انت خرجت معي في غد طوعاً ، والا إخراجك كرهاً » ، وامتنع عليه جورجس فأمر

(١) الخليفة العباسي الثاني وقد حاول الملوون في أيامه اخذ الخلافة فقتل زعيمهم ابراهيم في بأخردة قرب الكوفة؛ واستقل بالخلافة في الاندلس عبد الرحمن الداخل وهو الذي اسس مدينة بغداد وجعلها عاصمة الخلافة وتوفي سنة ٧٧٥ .

(٢) وزير المنصور وكنى سره .

(٣) مدينة في خوزستان اسماها الملك سابور الأول الساساني ، واسكن فيها الشعوب اليونانية ، فتحملها بوزسى الاشعري على

١ . إمام الخليفة عمر . اشتهرت بمهدما الطبي .

باعتقاله ، ولما اعتقل اجتمع رؤساء المدينة مع المطران فاشاروا على جورجس بالخروج ، فخرج بعد ان اوصى ابنه بختيشوع بأمر البيارستان وأموره التي تتعلق به هناك . واخذ معه ابراهيم تلميذه وسرجس تلميذه ، فقال له ابنه بختيشوع : « لا تدع ههنا عيسى بن شهلا ، فانه يؤذي اهل البيارستان » . فترك سرجس ، واخذ عيسى معه عوضاً عنه ، وخرج الى مدينة السلام . ولما ودعه بختيشوع ابنه قال له : لم لا تأخذني معك ؟ فقال : لا تعجل يا بني . فانك ستخدم الملوك وتبلغ من الاحوال اجلها .

ولما وصل جورجس الى الحضرة أمر المنصور بايصاله اليه . ولما وصل دعا اليه بالفارسية والعربية ، فتعجب الخليفة من حسن منظره ومنطقه ، فاجلسه قدامه وسأله عن اشياء فاجابه عنها بسكون فقال له : « قد ظفرت منك بما كنت أحبه واشتاقه » ، وحدثه بعلته وكيف كان ابتدائها . فقال له جورجس : « انا أدبرك كما تحب » . فأمر الخليفة له في الوقت بخلعة جليلة ، وقال للربيع : « انزله في منزل جليل من دورنا ، وأكرمه كما تكرم أخص الاهل » . ولما كان من غد دخل اليه ، ونظر الى نبضه ، والى قارورة الماء ، ووافقه على تخفيف الغذاء ، ودبره تدبيراً لطيفاً حتى رجع الى مزاجه الاول . وفرح به الخليفة فرحاً شديداً ، وأمر ان يحاب الى كل ما يسأل .

ولما كان بعد أيام قال الخليفة للربيع : « أرى هذا الرجل قد تغير وجهه ، لا يكون قد منعه : يشربه على عادته ؟ » . قال له الربيع : « لم نأذن له ان يدخل الى هذه الدار مشروباً » ، فاجابه بقبيح وقال له : لا بد ان تمضي بنفسك حتى تحضره من المشروب كل ما يريد » ، فمضى الربيع الى قطربل^(١) ، وحمل منها الى غاية ما أمكنه من الشراب الجيد . ولما كان بعد سنتين قال الخليفة لجورجس : « ارسل من يحضر ابنك الينا فقد بلغني انه مثلك في الطب » . فقال له جورجس : « جندي ساور اليه محتاجة . وان فارقه انفسد أمر البيارستان . وكلت أهل المدينة اذا مرضوا ساروا اليه . وههنا معي تلامذة قد ربيتهم وخرجتهم في الصناعة ، حتى انهم مثلي » . فأمر الخليفة باحضارهم في غد ذلك اليوم ليختبرهم . فلما كان من غد أخذ معه عيسى بن شهلا وأوصله اليه . فسأله الخليفة عن اشياء وجده فيها حاد المزاج حاذقاً بالصناعة . فقال الخليفة لجورجس : « ما احسن ما وصفت هذا التلميذ وعلمته » .

قال فثيون^(٢) : ولما كان في سنة احدى وخمسين ومائة دخل لجورجس الى الخليفة في يوم الميلاد ، فقال له الخليفة : « أي شيء آكل اليوم ؟ فقال له : ما تريد . وخرج من بين يديه ، فلما بلغ الباب رده ، وقال له : « من يخدمك ههنا ؟ فقال له : تلامذتي . فقال له : سمعت انه ليست لك امرأة . فقال له : لي زوجة كبيرة ضعيفة ولا تقدر تنتقل اليّ من موضعها » . وخرج من حضرة ومضى الى

(١) موضع في العراق اشتهر بجودة خمرها .

(٢) هو فثيون بن ايوب ترجمان نقل الى اللغة العربية بعض الاسفار المقدسة وأرخ سير الاطباء السريانيين مع خلفاء بني العباس في القرن التاسع .

البيعة . فأمر الخليفة خادمه سالماً ان يختار من الجواري الزوميات الحسن ثلاثاً ، ويحملهن الى جورجس مع ثلاثة آلاف دينار ، ففعل ذلك . ولما انصرف جورجس الى منزله ، عرفه عيسى بن شهلا بما جرى ، وأراه الجواري ، فأنكر امورهن وقال لعيسى تلميذه : « يا تلميذ الشيطان ! لم ادخلت هؤلاء منزلي ؟ امض ردهن الى صاحبهن ؟ ثم ركب جورجس وعيسى ومعه الجواري الى دار الخليفة ، وردهن على الخادم . فلما اتصل الخبر بالمنصور احضره وقال له : لم رددت الجواري ؟ قال له : هؤلاء لا يكونون معي في بيت واحد لانا نحن معشر النصارى لا نتزوج بأكثر من امرأة واحدة . وما دامت المرأة في الحياة لا نأخذ غيرها . فحسن موقعه من الخليفة ، وأمر في وقته ان يدخل جورجس الى حظاياه وحرمه ويخدمهن . وزاد موضعه في عينه وعظم محله .

قال فثيون : ولما كان في سنة مائة واثنين وخمسين سنة ، مرض جورجس مرضاً صعباً . وكان الخليفة يرسل اليه في كل يوم الخدم حتى يعرف خبره . ولما اشتد مرض جورجس ، أمر به الخليفة فحمل على سرير الى دار العامة ، وخرج اليه الخليفة ماشياً وراءه وسأله عن خبره . فبكى جورجس بكاء شديداً وقال له : « ان رأى أمير المؤمنين ، اطال الله بقاءه ، ان يأذن لي في المصير الى بلدي لانظر الى اهلي وولدي ، وان مت قبرت مع آبائي » . فقال الخليفة : « يا جورجس اتق الله وأسلم ، وأنا اضمن لك الجنة » . قال جورجس : « انا على دين آبائي أموت ، وحيث يكون آبائي احب ان اكون . إما في الجنة او في جهنم » . فضحك الخليفة من قوله وقال له : « وجدت راحة عظيمة في جسمي منذ رأيتك والى هذه الغاية . وقد تخلصت من الامراض التي كانت تلحقني » . قال له جورجس : « اني اخلف بين يديك عيسى وهو تربيتي » . فأمر الخليفة ان يخرج جورجس الى بلده ، وان يدفع اليه عشرة آلاف دينار . وانفذ معه خادماً وقال : « ان مات في طريقه فاحمله الى منزله ليدفن هناك كما آثر » . فوصل الى بلده حياً .

وحصل عيسى بن شهلا في الخدمة ، وبسط يده على المطارنة والاساقفة ، يأخذ اموالهم لنفسه ، حتى انه كتب الى مطران نصيبين^(١) كتاباً يلتمس منه فيه من آلات البيعة اشياء جليلة المقدار ، ويتهدهه متى أخرها عنه . وقال في كتابه الى المطران : « ألسنت تعلم ان أمر الملك بيدي ! ان شئت امرضته وان شئت عافيته » . فعندما وقف المطران على الكتاب احتال في التوصل ، حتى وافى الربيع وشرح له صورته ، واقرأه الكتاب . فأوصله الربيع الى الخليفة حتى عرف شرح ما جرى . فأمر بنفي عيسى بن شهلا بعد أن أخذ منه جميع ما ملكه . ثم قال الخليفة للربيع : « سل عن جورجس ، فان كان حياً فانفذ من يحضره ، وان كان قد مات فاحضر ابنه » . فكتب الربيع الى العامل يجندي ساور في ذلك ، واتفق ان جورجس سقط في تلك الايام من السطح وضعف ضعفاً فلما خاطبه أمير البلد قال له : « انا انفذ الى الخليفة طبيباً ماهراً يخدمه الى ان أصلح وأوجه اليه » . واحضر ابراهيم تلميذه ، وأنفذه الى الامير مع كتاب شرح فيه حال جورجس الى الربيع . فلما وصل

(١) مدينة في ما بين النهرين على نهر جفجج اشتهرت قديماً بديرستها .

الى الربيع أوصله الى الخليفة ، وخاطبه الخليفة في اشياء فوجده فيها حاد المزاج جيد الجواب ، فقربه وأكرمه وخلع عليه ، ووهب له مالا واستخلصه لخدمته ولم يزل في الخدمة الى أن مات المنصور .
ولجورجس من الكتب كناشه المشهور ، ونقله حنين بن اسحق من السرياني الى العربي .

بختيشوع بن جورجس

ومعنى بختيشوع عبد المسيح ، لان في اللغة السريانية البخت العبد ، ويشوع عيسى عليه السلام .
وكان بختيشوع يلحق بابيه في معرفته بصناعة الطب ومزاولته لاعمالها ، وخدم هرون ^(١) الرشيد وتميز في ايامه .

قال فثيون الترجمان : لما مرض موسى ^(٢) الهادي أرسل الى جندي سابور من يحضر له بختيشوع ، فمات قبل قدوم بختيشوع ، وكان من خبره انه جمع الاطباء ، وهم ابو قريش ^(٣) عيسى ، وعبد الله الطيفوري ^(٤) ، وداؤد بن سرابيون وقال لهم : انتم تأخذون أموالا وجوائز ، وفي وقت الشدة تتقاعدون . فقال له أبو قريش : علينا الاجتهاد والله يهب السلامة . فاغتاظ من هذا فقال له الربيع : قد وُصف لنا ان بنهر صرصر ^(٥) طيباً ماهاً يقال له عبد يشوع بن نصر ، فأمر بإحضاره وبأن تضرب أعناق الاطباء . فلم يفعل الربيع هذا لعله باختلال عقله من شدة المرض ، ولانه كان آمناً منه . ووجه الى صرصر حتى أحضر الرجل ، ولما دخل على موسى قال له : رأيت القارورة ؟ قل : نعم يا أمير المؤمنين ، وها أنا أصنع لك دواء تأخذه ، واذا كان على تسع ساعات تبرأ وتتخلص وخرج من عنده ، وقال للاطباء . لا تشغلوا قلوبكم فانكم في هذا اليوم تنصرفون الى بيوتكم . وكان الهادي قد أمر بأن يدفع اليه عشرة آلاف درهم ليبنتاع له بها الدواء ، فأخذها ووجه بها الى بيته ، وأحضر ادوية وجمع الاطباء بالقرب من موضع الخليفة وقال لهم : دقوا حتى يسمع وتسكن نفسه ، فانكم في آخر النهار تتخلصون . وكان كل ساعة يدعو به ويسأله عن الدواء فيقول له : « هوذا تسمع صوت الدق » فيسكت . ولما كان بعد تسع ساعات مات وتخلص الاطباء ؛ وهذا في سنة سبعين ومائة .

قال فثيون : ولما كان في سنة احدى وسبعين ومائة ، مرض هرون الرشيد من صداع لحقه ، فقال .

(١) ولد في الري (٧٦٦) وتوفي في طوس (٨٠٩) وهو اعظم الخلفاء العباسيين استورز البرامكة ثم قتلهم وغلب نفورس ملك الروم وحالف شارلمان ملك فرنسا .

(٢) الخليفة العباسي الرابع ولي ابنه جعفر على الرشيد في وراثة العهد فقتل بعد سنة من ملكه « ٧٨٦ » بسعاية الخيزران ام الرشيد . غزا العباسيون آسيا الصغرى على ايامه .

(٣) صيدلاني عرف ما تحمل الخيزران فحظى عندها وخلعت عليه الاموال والهدايا وقد مر ذكره .

(٤) مر ذكره والكلام عنه .

(٥) قريتان ببغداد عليا وسفلى . « ن . د »

ليحيى بن خالد^(١) : « هؤلاء الاطباء ليس يحسنون شيئاً » فقال له يحيى : « يا أمير المؤمنين ، أبو قريش طبيب والدك ووالدتك . » فقال : « ليس هو بصيراً بالطب ، وانما كرامتي له لقدم حرمته . فينبغي ان تطلب لي طبيباً ماهراً » . فقال له يحيى بن خالد : « انه لما مرض أخوك موسى ، أرسل والدك الى جندي سابور حتى أحضر رجلاً يعرف ببختيشوع » . قال له : فكيف تركه يمضي ؟ فقال : « لما رأى عيسى أبا قريش ، ووالدتك يحسدانه اذن له في الانصراف الى بلده » فقال له : « أرسل بالبريد حتى يحملوه ان كان حياً » .

ولما كان بعد مدة مديدة وافى ببختيشوع الكبير ابن جورجس ، ووصل الى هرون الرشيد ودعاه بالمربية . وبالفارسية . فضحك الخليفة ، وقال ليحيى بن خالد : « انت منطقي فتكلم معه حتى اسمع كلامه » . فقال له يحيى : بل ندعو بالاطباء » ، فدعى بهم ، وهم أبو قريش عيسى ، وعبد الله الطيفوري ، وداود بن سراييون ، وسرجس . فلما رأوا ببختيشوع قال أبو قريش : « يا أمير المؤمنين ليس في الجماعة من يقدر على الكلام مع هذا ، لانه كون الكلام هو وابوه ، وجنسه فلاسفة » فقال الرشيد لبعض الخدم : احضره ماء دابة حتى نجربه ، فمضى الخادم واحضره قارورة الماء . فلما رآه قال : « يا أمير المؤمنين ليس هذا بول انسان » . قال له أبو قريش : كذبت هذا ماء حظية الخليفة » . فقال له ببختيشوع : « لك اقول ايها الشيخ الكريم لم يبيل هذا انسان البتة . وان كان الأمر على ما قلت فلعلها صارت بهيمة » . فقال له الخليفة : من اين علمت انه ليس ببول إنسان ؟ قال له ببختيشوع : لانه ليس له قوام بول الناس ، ولا لونه ولا ريحه . قال له الخليفة : بين يدي من قرأت ؟ قال له : « قدام ابي جورجس قرأت . قال له الاطباء : ابوه كانت اسمه جورجس ، ولم يكن مثله في زمانه ، وكان يكرمه ابو جعفر المنصور اكراماً شديداً ، ثم التفت الخليفة الى ببختيشوع فقال له : « ما ترى ان نظم صاحب هذا الماء ؟ فقال : شعيراً جيداً . فضحك الرشيد ضحكاً شديداً ، وامر فخلع عليه خلعة حسنة جليلة ، ووهب له مالاً وافراً . وقال : ببختيشوع يكون رئيس الاطباء كلهم ، وله يسمعون ويطيعون .

ولبختيشوع بن جورجس من الكتب : كناس مختصر . كتاب التذكرة الفه لابنه جبرائيل .

جبرائيل بن ببختيشوع بن جورجس

كان مشهوراً بالفضل جيد التصرف في المداواة . عالي الهمة ، سعيد الجد ، حظياً عند الخلفاء ، رفيع المنزل عندهم ، كثيري الاحسان اليه . وحصل من جهتهم من الاموال ، ما لم يحصله غيره من الاطباء .

«١» حكم بلاد اذربيجان . ثم اصبح مؤدب الرشيد ومستشاره نكب بقتل ابنه جعفر في نكبة البرامكة رسودت امواله ومات سجيناً سنة ٨٠٥ .

قال فثيون الترجان : لما كان في سنة خمس وسبعين ومائة ، مرض جعفر ^(١) بن يحيى بن خالد بن برمك ، فتقدم الرشيد الى بختيشوع ان يتولى خدمته ومعالجته . ولما كان في بعض الايام قال له جعفر : « اريد أن تختار لي طبيباً ماهراً أكرمه واحسن اليه » . قال له بختيشوع : « ابني جبرائيل أمهر مني ، وليس في الاطباء من يشاكله » . فقال له : احضرني . ولما احضره عاجله في مدة ثلاثة أيام وبرأ ، فأحبه جعفر مثل نفسه . وكان لا يصبر عنه ساعة ، ومعه يأكل ويشرب . وفي تلك الايام تطلت ^(٢) حظية الرشيد ورفعت يدها فبقيت منبسطة لا يمكنها ردها . والاطباء يعالجونها بالتمرير والادهان ، ولا ينفع ذلك شيئاً .

فقال الرشيد لجعفر بن يحيى : « قد بقيت هذه الصبية بعلمتها . قال له جعفر : لي طبيب ماهر ، وهو ابن بختيشوع ، ندعوه ونخاطبه في معنى هذا المرض ، فلعل عنده حيلة في علاجه . فامر باحضاره ، ولما حضر قال له الرشيد : « ما اسمك ؟ قال : « جبرائيل » . قال له : أي شيء تعرف من الطب ؟ فقال : أبرد الحار ، واسخن البارد ، وارطب اليابس ، وأيبس الرطب الخارج عن الطبع . فضحك الخليفة وقال : « هذا ، غاية ما يحتاج اليه في صناعة الطب . ثم شرح له حال الصبية ، فقال له جبرائيل : « ان لم يسخط علي أمير المؤمنين فلها عندي حيلة » . فقال له : وما هي ؟ قال : تخرج الجارية الى ههنا بحضرة الجمع حتى اعمل ما اريده ، وتعمل علي ولا تعجل بالسخط ^(٣) » . فامر الرشيد باحضار الجارية فخرجت . وحين رآها جبرائيل عدا اليها ونكس رأسه ومسك ذيلها كأنه يريد أن يكشفها ، فانزعجت الجارية ، ومن شدة الحياء والانزعاج استدسلت أعضائها ، وبسطة يديها الى أسفل ، ومسكت ذيلها . فقال جبرائيل : « قد برئت يا أمير المؤمنين » . فقال الرشيد للجارية ابسطي يديك بينة ويسرة ففعلت ذلك ، وعجب الرشيد وكل من كان بين يديه . وأمر الرشيد في الوقت لجبرائيل بخمسة آلاف درهم ، وأحبه مثل نفسه ، وجعله رئيساً على جميع الاطباء . ولما سئل جبرائيل عن سبب العلة ، قال هذه الجارية انصب الى اعضائها وقت الهجمة خلط رقيق بالحركة وانتشار الحرارة ، ولأجل أن سكون حركة الجماع تكون بغتة تجددت الفضلة في بطون جميع الاعصاب ، وما كان يحلها الا حركة مثلها . فاحتلت حتى انبسطت حرارتها وانحلت الفضلة .

قال فثيون : وكان محل جبرائيل يقوى في كل وقت ، حتى ان الرشيد قال لاصحابه : « كل من كانت له الي حاجة فليخاطب بها جبرائيل ، لاني أفعل كل ما يسألني فيه ويطلبه مني » . فكان القواد يقصدونه في كل أمورهم ، وحاله تتزايد . ومنذ يوم خدم الرشيد والى ان انقضت خمس عشرة سنة لم يمرض الرشيد فحظي عنده . وفي آخر ايام الرشيد ، عند حصوله بطوس ، مرض المرضة التي توفي فيها . ولما قوي عليه المرض قال لجبرائيل : لم لا تبرئني ؟ فقال له : قد كنت أنهارك دائماً عن التغليب ،

(١) وزير هارون الرشيد وندبه ومؤدب المأمون تزوج العباسية اخت هارون وقتل سنة ٨٠٣ .

(٢) تمددت .

(٣) ضد الرضى ولا يكون الا من الكبراء والعظماء .

وأقول لك قديماً ان تخفف من الجماع فلا تسمع مني . والآن ، سألتك ان ترجع الى بلدك ، فإنه أوفق لمزاجك فلم تقبل ! وهذا مرض شديد ، وأرجو أن ين الله بعافيتك . فأمر بحبسه .

وقيل له ان بفارس اسقفاً يفهم الطب ، فوجه من يحضره اليه ، ولما حضره وراه قال له . الذي عاجلك لم يكن يفهم الطب . ، فزاد ذلك ابعاد جبرائيل .

وكان الفضل ^(١) بن الربيع يحب جبرائيل ، ورأى ان الاسقف كذاب يريد اقامة السوق ، فأحسن فيما بينه وبين جبرائيل . وكان الاسقف يعالج الرشيد ومرضه يزيد ، وهو يقول له أنت قريب من الصحة . ثم قال له ، « هذا المرض كله من خطأ جبرائيل » . فتقدم الرشيد بقتله ، فلم يقبل منه الفضل بن الربيع ، لانه كان يئس من حياته ، فاستبقى جبرائيل . ولما كان بعد أيام يسيرة مات الرشيد ، ولحق الفضل بن الربيع في تلك الايام قولنج صعب أيس الاطباء منه ، فعالجه جبرائيل بالطف علاج وأحسنه ، فبرأ الفضل وازدادت محبته له وعجبه به .

قال فثيون : ولما تولى محمد الامين ^(٢) ، وافى اليه جبرائيل ، فقبله أحسن قبول وأكرمه . ووهب له أموالاً جلية أكثر مما كان أبوه يهب له . وكان الامين لا يأكل ولا يشرب الا بأذنه ، فلما كان من الامين ما كان ، وملك الأمر المأمون ^(٣) ، كتب الى الحسن ^(٤) بن سهل ، وهو يخلفه بالحضرة ، بأني يقبض على جبرائيل ويحبسه ، لانه ترك قصره بعد موت أبيه الرشيد ومضى الى اخيه الامين . فقبل الحسن بن سهل هذا . ولما كان في سنة اثنتين ومائتين مرض الحسن بن سهل مرضاً شديداً ، وعالجه الأطباء فلم ينتفع بذلك ، فاخرج جبرائيل من الحبس حتى عالجه وبرأ في أيام يسيرة فوهب له سراً مالا وافراً . وكتب الى المأمون يعرفه خبر علته ، وكيف برأ على يد جبرائيل ، ويسأله في أمره . فأجابته بالصفح عنه .

قال فثيون : ولما دخل المأمون الحضرة في سنة خمس ومائتين أمر بان يجلس جبرائيل في منزله ولا يخدم ، ووجه من أحضر ميخائيل المتطبب ، وهو صهر جبرائيل ، وجعله مكانه وأكرمه اكراماً وافراً كياداً لجبرائيل .

قال : ولما كان في سنة عشر ومائتين مرض المأمون مرضاً صعباً ، وكان وجوه الاطباء يعالجه ولا يصلح ، فقال لميخائيل : « الأدوية التي تعطيني تزيدني شراً ، فاجع الاطباء وشاورهم في امري » . فقال له اخوه أبو عيسى : يا أمير المؤمنين نحضر جبرائيل فانه يعرف مزاجاتنا منذ الصبا ، فتغافل

(١) وزير محمد الامين حسد البرامكة ودمس الدساس عليهم ، ورمى البغضاء بين الامين والمأمون .

(٢) ابن هارون وزبيدة تولى الخلافة بعد أبيه . وقام النزاع بينه وبين اخيه المأمون وقتل سنة ٨١٣

(٣) ابن هارون من امة فارسية اسمها مراجل . ازدهرت في عصره العلوم والفنون ونقلت مؤلفات اليونان الى العربية وعصره يعد عصر الدولة النحوي .

(٤) من ولادة المأمون تولى ادارة بيت المال . حكم جزيرة العرب وبلاد العراق وقمع الفتن . زوج ابنته من المأمون واحسن الى العلماء والشعراء ، (ن.د.)

عن كلامه . وأحضر ابو اسحق أخوه ، يوحنا ^(١) بن ماسويه ، فثلبه ^(٢) ميخائيل طبيبه ووقع فيه وطعن عليه . فلما ضعفت قوة المأمون عن أخذ الأدوية أذكروه يجبرائيل فأمروا بحضوره . ولما حضر غيّر تدبيره كله ، فاستقل بعد يوم ، وبعد ثلاثة ايام صلح . فسر به المأمون سروراً عظيماً . ولما كان بعد أيام يسيرة صلح صلاحاً تاماً ، واذن له جبرائيل في الأكل والشرب ففعل ذلك .

وقال له ابو عيسى أخوه وهو جالس معه على الشرب : « مثل هذا الرجل ، الذي لم يكن مثله ولا يكون ، سبيله أن يكرم . فامر له المأمون بألف ألف درهم ، وبألف كر ^(٣) حنطة ، ورد عليه سائر ما قبض منه من الاملاك والضياع ؛ وصار اذا خاطبه كناه بابي عيسى جبرائيل وأكرمه زيادة على ما كان أبوه يكرمه . وانتهى به الأمر في الجلالة الى ان كان كل من تقلد عملاً لا يخرج الى عمله الا بعد أن يلقي جبرائيل ويكرمه . وكان عند المأمون مثل أبيه ، ونقص محل ميخائيل الطبيب صهر جبرائيل وانحط .

قال يوسف بن ابراهيم : دخلت على جبرائيل داره التي بالميدان في يوم من تموز ، وبين يديه المائدة وعليها فراخ طيور مسرولة كبار ، وقد عملت كردناجاً بفلفل ، وهو يأكل منها ، وطالبني بأن آكل معه . فقلت له ، كيف آكل منها في مثل هذا الوقت من السنة وسني سن الشباب ؟ فقال لي : « ما الحمية عندك ؟ فقلت : « تجنب الأغذية الرديئة » . فقال لي : « غلطت ليس ما ذكرت حمية . ثم قال : « لا اعرف أحداً ، عظم قدره ولا صغر ، يصل الى الامساك عن غذاء من الأغذية كل دهره إلا أن يكون يبغضه ، ولا تتوق نفسه اليه . لان الانسان قد يمسك عن أكل الشيء برهة من دهره ، ثم يضطره الى أكله عدم آدم سواه لعلة من العلل او مساعدة لعليل يكون عنده ، أو صديق يحلف عليه ، أو شهوة تتجدد له . فمتى أكله ، وقد أمسك عن أكله منه المدة الطويلة ، لم تقبله طبيعته ونفرت منه ، وأحدث ذلك في بدن آكله مرضاً كثيراً ، وربما أتى على نفسه . والاصلح للأبدان تمرينها على أكل الأغذية الرديئة ، حتى تألفها . وان يأكل منها في كل يوم شيئاً واحداً ، ولا يجمع أكل شيئين رديئين في يوم واحد ، واذا اكل من بعض هذه الأشياء في يوم ، لم يعاود أكله في غد ذلك اليوم . فإن الابدان اذا مرنت على أكل هذه الاشياء ، ثم اضطر الانسان الى الاكثار من أكل بعضها ، لم تنفر الطبيعة منه . فقد رأينا الأدوية المسهلة اذا ادمنها مدمن وألفها بدنه قل فعلها ولم تسهل . وهؤلاء أهل الأندلس ^(٤) اذا اراد أحدهم اسهال طبيعته اخذ من السقمونيا ^(٥) وزن ثلاثة دراهم ، حتى تلين طبيعته مقدار ما يلينها نصف درهم في بلدنا واذا كانت

(١) احد الاطباء السريان الذين كانوا في ابتداء ظهور دولة بني العباس وكان طبيباً ذكياً وله مصنفات مشهورة .

(٢) عابه ولامه .

(٣) مكيال وهو ستون قفيزاً ويبلغ ١٦٧٠ كيلو و ١١٩١٤٧٣ غ . (ن. ر) .

(٤) اسم اطلقه العرب على شبه جزيرة ايبيريا بعد ان احتلوا وتجارزوها الى فرنسا واسسوا فيها دولة . والأندلس اليوم اسم ولاية في اسبانيا الجنوبية .

(٥) نبات يستخرج من تجاريفه رطوبة دبقه وتجفف وتدعى باسمه وهو صمغ والتجبي مسهل .

الابدان تألف الأدوية حتى تمنعها من فعلها ، فهي للأغذية ، وان كانت رديئة ، أشد إلهاً ، .

قال يوسف : فحدثت بهذا الحديث بختيشوع بن جبرائيل فسألني املاءه عليه ، وكتبه غني بخطه .

قال يوسف بن ابراهيم : حدثني سليمان الخادم الحراساني مولى الرشيد ، انه كان واقفاً على رأس الرشيد بالحيرة ^(١) يوماً وهو يتغدى ، اذ دخل عليه عون العبادي الجوهري ، وهو حامل صحيفة فيها سمكة منعوتة بالسمن ، فوضعها بين يديه ومعهما محشي قد اتخذها لها . فحاول الرشيد أكل شيء منها فممنعه من ذلك جبرائيل ، وغمز صاحب المائدة بعزها له . وفطن الرشيد ، فلما رفعت المائدة وغسل الرشيد يده ، خرج جبرائيل عن حضرته .

قال سليمان : فأمرني الرشيد باتباعه ، واخفاء شخصي عنه ؛ وان اتفقد ما يعمل وارجع اليه بخبره ، ففعلت ما أمرني به ، واحسب ان امري لم يستتر عن جبرائيل لما تبينت من تحرزه . فصار الى موضع من دار عون ودعا بالطعام فأحضر له وفيه السمكة ودعا بثلاثة أقداح من فضة فجعل في واحد قطعة منها ، وصب عليه خمرأ من خمر طيرناباذ بغير ماء ، وقال : « هذا أكل جبرائيل » . وجعل في قدح آخر قطعة وصب عليها ماء بثلج ، وقال : « هذا أكل أمير المؤمنين ان لم يخلط السمك بغيره . » وجعل في القدح الثالث قطعة من السمك ومعهما قطعاً من اللحم من ألوان مختلفة ، ومن شواء وحلواء وبوارد وفراريج ويقول : « وصب عليه ماء بثلج رقال : « هذا طعام أمير المؤمنين ان خلط السمك بغيره . » ورفع الثلاثة الاقداح الى صاحب المائدة ، وقال : « احتفظ بها الى ان ينتبه أمير المؤمنين من قائلته ^(٢) .

قال سليمان الخادم : ثم اقبل جبرائيل على السمكة فأكل منها حتى تضلع . وكان كلما عطش دعا بقدح مع الخمر الصرف فشربه ثم نام . فلما انتبه الرشيد من نومه دعاني فسألني عما عندي من خبر جبرائيل ، وهل أكل من السمكة شيئاً أم لم يأكل ؟ فأخبرته بالخبر ، فأمر باحضار الثلاثة الاقداح فوجد الذي صب عليه الخمر الصرف قد تفتت ولم يبق منه شيء . ووجد الذي صب عليه الماء بالثلج قد ربا وصار على اكثر من الضعف مما كان ، ووجد القدح الذي السمك واللحم فيه قد تغيرت رائحته وحدثت له ^(٣) سهوكة شديدة . فأمرني الرشيد بحمل خمسة آلاف دينار الى جبرائيل ، وقال : « من يلومني على محبة هذا الرجل الذي يدبرني هذا التدبير ؟ . فأوصلت اليه المال .

وقال اسحق ^(٤) بن علي الراهوي ، في كتاب أدب الطبيب عن عيسى بن ماسة ^(٥) : ان يوحنا

(١) قصبة الملوك اللخمييين في العراق كانت على بعد خمسة اكيال « كيلو متر » جنوبي الكوفة والى الجنوب الشرقي من النجف، وقد باد ائرها مع الزمان « ن. د. ر. ».

(٢) النوم في الظهيرة .

(٣) ريج كريمة .

(٤) احد الاطباء العراقيين وكان من الاطباء التميزين عالمًا بكلام جالينوس .

(٥) من الاطباء السريان وله طريقة حسنة في علاج المرضى (ن. د. ر.) .

بن ماسويه أخبره ان الرشيد قال لجبرائيل بن بختيشوع وهو حاج بمكة : « يا جبرائيل علمت مرقبتك عندي » . قال يا سيدي وكيف لا اعلم ؟ قال له : دعوت لك والله ، في الموقف دعاء كثيراً ، ثم التفت الى بني هاشم فقال : « عسى أنكرتم قولي له ؟ فقالوا : يا سيدنا ذمي فقال : نعم ، ولكن صلاح بدني وقوامه به ، وصلاح المسلمين بي . فصلاحهم بصلاحه وبقائه » . فقالوا : صدقت يا أمير المؤمنين .

ونقلت من بعض التواريخ ، قال جبرائيل بن بختيشوع المتطبب : اشتريت ضيعة بسبعماية ألف درهم ، فنقدت بعض الثمن وتعمذر علي بعضه فدخلت على يحيى بن خالد وعنده ولده ، وأنا أفكر . فقال : مالي أراك مفكراً ؟ فقلت : اشتريت ضيعة بسبعماية ألف ، فنقدت بعض الثمن ، وتعمذر علي بعضه . قال : فدعا بالدواة وكتب : يعطى جبرائيل سبعماية ألف درهم . ثم دفع الى كل واحد من ولده ، فوقع فيه ثلثائة ألف . قال : « فقلت : جعلت فداك » ، قد أدبت عامة الثمن ، وأنا بقي أقله . قال : « اصرف ذلك فيما ينوبك » ، ثم صرت الى د - أمير المؤمنين . فلما رأيته قال : « ما أبطأ بك ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، كنت عند أبيك واخوتك ففعلوا بي كذا وكذا ، وأنا ذلك لخدمتي لك » . قال : فما حالي أنا ؟ ثم دعا بدابته فركب الى يحيى ، فقال : « يا أبت أخبرني جبرائيل بما كان ، فما حالي أنا من بين ولدك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين مر بما شئت يحمل اليه . فأمر لي بخمسمائة ألف .

قال يوسف بن ابراهيم الحاسب المعروف بابن الداية : كان لأم جعفر بنت أبي الفضل في قصر عيسى بن علي ، الذي كانت تسكنه ، مجلس لا يجلس فيه الا الحسّاب والمتطبيون ، وكانت لا تشكي علة الى متطبب حتى يحضر جميع أهل الصناعتين ، ويكون مقامهم في ذلك المجلس الى وقت جلوسها ، فكانت تجلس لهم في احد موضعين ؛ اما عند الشباك الذي على الدكان الكبير المحاذي للشباك وللباب الاول من ابواب الدار ؛ او عند الباب الصغير المحاذي لمسجد الدار . فكان الحسّاب والمتطبيون يجلسون من خارج الموضع الذي تجلس فيه . ثم تشكي ما تعجد فيتناظر المتطبيون فيما بينهم حتى يجتمعوا على العلة والعلاج ، فان كان بينهم اختلاف دخل الحسّاب بينهم ، وقالوا بتصديق المصيب عندهم . ثم تسأل الحسّاب عن اختيار وقت لذلك العلاج . فان اجتمعوا على وقت ، والا نظر المتطبيون فيما بين الحسّاب ، وحكوا لالزمهم القياس ، فاعتلت عند اجتماعها على الحج ، آخر حجة حجتها ، علة اجمع متطبيوها على اخراج الدم من ساقها بالحجامة ، واختار الحسّاب لها يوماً تحتجم فيه ، وكان ذلك في شهر رمضان فلم يكن ان تكون الحجامة الا في آخر النهار . فكان من يختلف اليها من الحسّاب ، الحسن بن محمد الطوسي التميمي المعروف بالابنح ، وعمر بن الفرخان الطبري ، وشعيب اليهودي .

قال يوسف بن ابراهيم : وكنت متى عرضت للابح علة او عاقه عن حضور دار أم جعفر عائق حضرت عنه . فحضرت ذلك المجلس في الوقت الذي وقع الاختيار على حجامة أم جعفر فيه .

فوافيت ابناً لداؤد بن سرافيون حدثاً ، يشبه ان يكون ابن أقل من عشرين سنة ، قد أمرت أم جعفر باحضاره مع المتطبيين ليتأدب بحضور ذلك المجلس ، وقد تقدمت الى جميع من يطيف بها من المتطبيين في تعليمه وتوقيفه عناية به لمكان أبيه من خدمتها ، فوافيته وهو يلاحى متطبباً راهباً احضر دارها في ذلك اليوم ، من اهل الاهواز ^(١) ، في شرب الماء للمنتبه من نومه ليلاً . فقال ابن داؤد : « ما الله خلق بأحق من يشرب ماء بعد انتباهه من نومه » . ووافى جبرائيل ، عندما قال الغلام هذا القول ، باب البيت ، فلم يدخل المجلس الا وهو يقول : « احق والله منه من تتضرم نار على كبده فلم يطفئها » . ثم دخل فقال : من صاحب الكلام الذي سمعته ؟ فقيل له ابن داؤد ، فعنفه على ذلك وقال له : « كانت لابيكم مرتبة جليلة في هذه الصناعة ، وتكلم بمثل ما سمعته منك ؟ فقال له الغلام : فكأنك ، أعزك الله ، تطلق شرب الماء بالليل عند الانتباه من النوم ؟ فقال جبرائيل : « المحرور الجاف المعدة ، ومن تعشى وأكل طعاماً مالحاً فأطلقه له . وانا أمتنع منه الرطبي المد ، واصحاب البلغم المالح ، لأن في منعهم من ذلك شفاء من رطوبات معدم ، وأكل بعض البلغم المالح بعضاً . » فسكت عنه جميع من حضر ذلك المجلس غيري ، فقلت : « يا ابا عيسى ، قد بقيت واحدة . قال : وما هي ؟ قلت : « ان يكون العطشان يفهم من الطب مثل فهمك ، فيفهم عطشه من مرار أو من بلغم مالح . فضحك جبرائيل ثم قال لي : متى عطشت ليلاً فأبرز رجلك من لحافك ، وتناول قليلاً ، فان تزايد عطشك فهو من حرارة ، او من طعام يحتاج الى شرب الماء عليه ، فاشرب . وان نقص من عطشك شيء ، فأمسك عن شرب الماء فانه من بلغم مالح » .

قال يوسف بن ابراهيم : وسأل ابو اسحق ابراهيم بن المهدي جبرائيل عن علة الورشكين ، فقال : هو اسم ركبته الفرس من الكسر والصدر ، واسم الصدر بالفارسية الفصيحة : ور ، والعامية تسميه بر . واسم الكسر اشكين ، فاذا جمعت اللفظتين كانتا : ورشكين ، أي هذه العلة من العلل التي يجب ان يكسر عليها الصدر وهي علة لا تستحكم بانسان فيكاد ينهض منها . وان من نهض منها لم يؤمن عليه النكسة سنة إلا أن يخرج منه استفراغ دم كثير تقذفه الطبيعة من الانف او من أسفل ، في وقت العلة أو بعدها قبل السنة ، فمتى حدث ذلك سلم منه . فقال أبو اسحق كلمتجب : سنة ! قال : « نعم » جعلني الله فداك . وعلة اخرى يستخف بها الناس وهي : الحصبة ^(٢) . فاني ما أمنت على من اصابته من النكسة سنة ، إلا ان يصيبه بعقبها استطلاق بطن يكاد ان يأتي على نفسه ؛ او يخرج به خراج كثير ، فاذا اصابه أحد هذين أمنت عليه » .

قال يوسف : ودخل جبرائيل على أبي اسحق يوماً بعقب علة كان فيها ، وقد أذن له في أكل اللحم الغليظ ، فحين جلس وضعت بين يديه كشكية ^(٣) رطبة فأمر برفعها ؛ فسألته عن السبب .

(١) من اقاليم الدولة العباسية يسمى اليوم خوزستان ، وهو من ايران وفيه مدينة عبادان المنطقة الغنية بالهترول .

(٢) مرض معد يخرج في الجسم بثوراً ويسبب حمى . واكثره سلم العاقبة اذا ما تداركوه في اول أمره .

(٣) الطعام المصنوع من الكشك وهو عند عامتنا طعام يتخذ من البرغل مع اللبن بعد اختياره ويطحخ . (ن . ر)

فقال : « ما أطلقت لخليفة قط حم يوماً واحداً أكل الكشك سنة كاملة . قال ابو اسحق : أي الكشكين أردت ، الذي بلبن أم الذي بغير لبن ؟ قال : الذي بغير لبن ، لا اطلق له اكله سنة ، وعلى قياس ما يوجب الطب ، فليس ينبغي ان يطلق له أكل الكشك المعمول بلبن الا بعد استكمال ثلاث سنين .

حدث ميمون بن هرون ، قال ؛ حدثني سعيد بن اسحق النصراني ، قال ؛ قال لي جبرائيل بن بختيشوع : « كنت مع الرشيد بالركة ^(١) ومعه المأمون ومحمد الامين ولداه ، وكان رجلاً بادناً كثير الاكل والشرب ، فأكل في بعض الأيام اشياء خلط فيها ، ودخل المستراح فغشي ^(٢) عليه ، وأخرج فقوي عليه الغشي حتى لم يشك في موته . وأرسل الي ، فحضرت وجسست عرقه فوجدته نبضاً خفياً ، وقد كان قبل ذلك بأيام يشكو امتلاء وحركة الدم فقلت لهم : يموت ، والصواب ان يحجم الساعة . فأجاب المأمون اليه وأحضر الحجام ، وتقدمت باقماده ، فلما وُضِعَ المحاجم عليه ومصنها ، رأيت الموضع قد احمر ، فطابت نفسي وعلمت انه حي . فقلت للحجام : اشرط . فشرط ، فخرج الدم ، فسجدت شكراً لله . وجعل كلما خرج الدم يحرك رأسه ؛ وَيَسْفُرُ ^(٣) لونه ، الى ان تكلم . وقال أين انا ؟ فطيننا نفسه وغدّيناه بصدر درّاج ^(٤) ، وسقيناها شراباً ، وما زلنا نشمه الروائح الطيبة ، ونجعل في انفه الطيب ، حتى تراجعت قوته ، وادخل الناس اليه ، ثم وهب الله عافيته ، فلما كان بعد أيام دعا صاحب حرسه فسأله عن غلته في السنة فعرّفه انها ثلثمائة الف درهم . وسأل حاجبه عن غلته فعرّفه أنها الف درهم . فقال : « ما انصفناك حيث غلات هؤلاء وهم يحرسوني من الناس على ما ذكروا ، وانت تحرسني من الامراض والاسقام ، وتكون غلتك ما ذكرته ، وأمر باقطاعي غلة الف الف درهم . فقلت له : يا سيدي ، مالي حاجة الى الاقطاع ، ولكن تهب لي ما اشتري به ضياعاً غلتها الف الف درهم ، فجميع ضياعي املاك لا اقطاع .

قال يوسف بن ابراهيم : حدثني ابو اسحق ابراهيم بن المهدي ان جبرائيل لجأ اليه حين انتهت العوام داره في خلافة محمد الامين ، فأسكنه معه في داره ، وحماه من كلّ يحاول قتله . قال ابو اسحق : « فكنت أرى من هلع جبرائيل وكثرة أسفه على ما تلف من ماله ، وشدة اغتمامه ، ما لم اتوهم ان احداً بلغ به الوجد بما له مثل الذي بلغ يجبرائيل . قال ابو اسحق : فلما ثارت المبيضة فظهرت العلوية ^(٥) بالبصرة والاهواز ، أتاني وهو مسرور ، كأنه قد وصل بمائة الف دينار ، فقلت له : أرى أبا عيسى مسروراً ! « فقال : اني والله لمسرور عين السرور . فسألته عن سبب سروره ، فقال : انه حاز العلوية ضياعاً ، وضربوا عليها المنار . فقلت له : « ما أعجب أمرك ، انتهت لك

(١) قاعدة ديار مصر في الجزيرة على الفرات . وفيها آثار قديمة .

(٢) فقد حسه وحركته .

(٣) يظهر ويرفع عنه ما يغطيه

(٤) طائر شبيه بالحجل واكبر منه . ارقط بسواد وبياض ، قصير المنقار .

(٥) الدعوة الى ابناء علي باحقيتهم في الخلافة . (ن . ر)

العوام حزا من مالك ، فخرجت نفسك من الجزع الى ما خرجت اليه ؛ وتحوز العلوية جميع ما تملك فيظهر منك من السرور مثل الذي ظهر ؟ فقال : جزعي بما ركبي به العوام ، لاني أوتيت في منامي وسلبت في عزري ، واسلمي من يجب عليه حمايتي . ولم يتعاطفني ما كان من العلوية ، لانه من أكبر المحال عيش مثلي في دولتين بنعمة واحدة ، ولو لم تفعل العلوية في ضياعي ما فعلوا ، وقد كان يجب عليهم مع علمهم بصحة طويتي ^(١) لموالي الذين أنعم الله علي بنعمتهم التي ملكونها ، ان يتقدموا في حفظ وكلائي ؛ والوصاة بضياعي ومزارعي ؛ وان يقولوا لم يزل جبرائيل ماثلا اليك في أيام دولة أصحابه ، ومتفضلا علينا من أمواله ، ويؤدي اليك اخبار سادته . فكان الخبر متى تأدى بذلك الى السلطان قتلي ، فسروري بجازة ضياعي وبسلامة نفسي مما كان هؤلاء الجهال ملكوه منها فلم يهتدوا اليه .

قال يوسف : وحدثني فرخ الخادم ، المعروف بأبي خراسان ، مولى صالح بن الرشيد ووصيه ، قال : كان مولاي صالح بن الرشيد على البصرة ، وكان عامله عليها أبو الرازي . فلما أحدث جبرائيل ابن بختيشوع عمارة داره التي في الميدان ، سأل مولاي ان يهدي له خمسمائة ساجة ^(٢) ، وكانت الساجة بثلاثة عشر ديناراً ، فاستكثر مولاي المال . وقال له : اما خمسمائة فلا ، ولكني اكتب الى ابن الرازي في حمل مائتي ساجة اليك . وقال جبرائيل : فليست بي حاجة اليها . قال فرخ فقلت لسيدي : أرى جبرائيل سيدبر عليك تدبيراً بغيضاً . فقال : جبرائيل أهون علي من كل هين ، لاني لا اشرب له دواء ولا أقبل له علاجاً . ثم استأثر مولاي أمير المؤمنين المأمون ، فلما استوى المجلس بالمأمون ، قال له جبرائيل : أرى وجهك متغيراً . ثم قام اليه فجلس عرقه ، وقال له : يشرب أمير المؤمنين شرية سكتنجين ^(٣) ويؤخر الغداء حتى يفهم الخبر ، ففعل المأمون ما أشار به ، وأقبل يحس عرقه في الوقت بعد الوقت ، ثم لم يشعر بشيء حتى دخل غلمان جبرائيل ومعهم رغيف واحد ، ومعه الوان قد اتخذت من قرع ^(٤) وماش ^(٥) وما أشبه ذلك . فقال : « اني اكرك لأمير المؤمنين ان يأكل في يومه هذا شيئاً من لحوم الحيوان ، فليأكل هذه الالوان ، فأكل منها ونام . فلما انتبه من قائلته ، قال له : يا أمير المؤمنين ، رائحة النبذ تزيد في الحرارة ، والرأي لك الانصراف . فانصرف المأمون وتلفت نفقة مولاي كلها . فقال لي مولاي يا أبا خراسان : التمييز بين مائتي ساجة وخمسمائة ساجة واستأثر الخليفة ، لا يجتمعان .

قال يوسف : وحدثني جورجس بن ميخائيل عن خاله جبرائيل وكان جبرائيل له مكرماً لكثرة علمه ، لاني لم أر في أهل هذا البيت ، بعد جبرائيل ، أعلم منه على عجب كان فيه شديداً ، وسخف

(١) النية والضمير .

(٢) الحشبة الطويلة المربعة كما جلبت من الهند . (ن . د)

(٣) شراب يتخذ من خل وعسل .

(٤) نوع من البقطين تطبخ صفاره .

(٥) حب كالكرسنة يؤكل مطبوخاً . (ن . د) .

كثير ؛ ان جبرائيل اخبره انه انكر من الرشيد قلة الرزء للطعام ، اول المحرم سنة سبع وثمانين ومائة ، وانه لم يكن يرى في مائه ولا في مجسة عرقه ما يدل على علة توجب قلة الطعام ، فكان يقول للرشيد : يا أمير المؤمنين : بدنك صحيح سليم بحمد الله من العلل ؛ وما اعرف لتركك استيفاء الغذاء معنى . فقال لي ، لما اكثرت عليه من القول في هذا الباب : قد استوخمت مدينة السلام ؛ وانا أكره الاستبعاد عنها في هذه الايام . افتعرف مكاناً بالقرب منها صحيح الهواء ؟ فقلت له الحيرة يا أمير المؤمنين . فقال : قد نزلنا الحيرة مراراً ؛ فاجحفنا بعون العبادي في نزولنا بلده ؛ وهي أيضاً بعيدة . فقلت : يا أمير المؤمنين ، فالانبار طيبة وظهرها فأصبح هواء من الحيرة ، فخرج اليها فلم يزد في طعامه شيئاً ؛ بل نقص وصام يوم الخميس قبل قتله جعفرأ بيومين وليلة . وأحضر جعفرأ عشاءه ؛ وكان ايضاً صائماً ؛ فلم يصب الرشيد من الطعام كثير شيء . فقال له جعفر : « يا أمير المؤمنين ، لو استزدت من الطعام ؟ فقال : لو اردت ذلك لقدرت عليه . إلا اني احببت ان أبيت خفيف المعدة لأصبح وانا اشتهي الطعام ، واتفدى مع الحرم . ثم بكر بالركوب غداة يوم الجمعة متنسماً ، وركب معه جعفر بن يحيى ، فرأيته وقد ادخل يده في كم جعفر حتى بلغ بدنه ، فضمه اليه وعانقه ، وقبل بين عينيه ؛ وسار يده في يد جعفر اكثر من الف ذراع . ثم رجع الى مضربه وقال : « بجيائي ، أما اصطبحت في يومك هذا وجعلته يوم سرور ؟ فاني مشغول بأهلي . ثم قال لي : يا جبرائيل انا اتفدى مع حرمي فكن مع اخي تسر بسروره . فسرت مع جعفر ، واحضر طعامه فتفدينا واحضر اباً زكار المغني ، ولم يحضر مجلسه غيرنا ، ورأيت الخادم بعد الخادم يدخل الينا فيساره ^(١) فيتنفس عند مسارتهم اياه ويقول : ويحك يا ابي عيسى ، لم يطعم امير المؤمنين بعد ، وانا والله خائف ان تكون به علة تمنعه من الأكل . ويأمر كلما اراد ان يشرب قدحاً ابازكار ان يغنيه .

ابن بني المنذر حين انتقضوا	بحيث شاد البيعة الراهب
أضخوا ولا يرهبهم راهب	حقاً ، ولا يرجوهم راغب
كانت من الخز ^(٢) لبوساتهم	لم يحلب الصوف لهم جالب
كأنما جثتهم لعبة	سار الى لبن بها راكب

(السريع)

فينغيه أبو زكار هذا الصوت ، ولا يقترح عليه غيره . فلم تزل هذه حالنا الى أن صليت العتمة . ثم دخل الينا ابو هاشم مسرور الكبير ، ومعه خليفة هرثة بن أعين ، ومعه جماعة كثيرة من الجند . فمد يده خليفة هرثة الى يد جعفر ، ثم قال له : « قم يا فاسق » قال جبرائيل ؛ ولم أكلم ولم يؤمر في بأمر ؟ وصرت الى منزلي من ساعتى ، وأنا لا أعقل . فما أقمت فيه الا اقل من مقدار نصف ساعة ، حتى صار الى رسول الرشيد يأمرني بالمصير اليه ، فدخلت اليه ورأس جعفر في طشت بين يديه ، فقال

(١) يكلمه سراً .

(٢) الخويز ، او ما نسج من صوف وسحرير .

لي يا جبرائيل : أليس كنت تسألني عن السبب في قلة رزئي للطعام ؟ فقلت : بلى يا أمير المؤمنين ، فقال : الفكرة ، فيما ترى ، اصارتني الى ما كنت فيه وانا اليوم يا جبرائيل عند نفسي كالناقة ^(١) . قدم غذائي حتى ترى من الزيادة على ما كنت تراه عجباً ، وانما كنت آكل الشيء بعد الشيء لثلا ينقل الطعام علي فيمرضني . ثم دعا بطعامه في ذلك الوقت فأكل أكلاً صالحاً من ليلته .

قال يوسف : حدثني ابراهيم بن المهدي أنه تخلف عن مجلس محمد الأمين ، أمير المؤمنين ، أيام خلافته ، عشية من العشايا لدواء كان أخذه ؛ وان جبرائيل بن مجتيشوع باكره غداة اليوم الثاني ، وأبلغه سلام الأمين ، وسأله عن حاله كيف كانت في دوائه . ثم دنا منه ، فقال له امر أمير المؤمنين في تجهيز علي بن عيسى بن ماهان الى خراسان ليأتيه بالمأمون أسيراً في قيد من فضة وجبرائيل بريء من دين النصرانية ان لم يغلب المأمون محمداً ويقتله ، ويجوز ملكه - فقلت له ويحك ! ولم قلت هذا القول ؟ وكيف قلته ؟ قال : لان هذا الخليفة الموسوس ^(٢) سكر في هذه الليلة ، فدعا أبا عصمة الشيعي صاحب حرسه ، وأمر بسواده فنزع عنه وألبسه ثيابي وزناري وقلنسوتي ، والبسني اقبيته ^(٣) ، وسواده وسيفه ومنطقته ^(٤) ؛ واجلسني في مجلس صاحب الحرس الى وقت طلوع الفجر ؛ وأجلسه في مجلسي ؛ وقال لكل واحد ، مني ومن ابي عصمة قد قلدتك ما كان يتقلده صاحبك . فقلت : ان الله مغير ما به من نعمة لتغييره ما بنفسه منها . وانه اذا جعل حراسته الى نصراني . والنصرانية أذل الاديان ، لانه ليس في عقد دين غيرها التسليم لما يريد به عدوه من المكروه ، مثل الاذعان لمن سخره بالسحرة ، وأن يمشي ميلاً أن يزيد على ذلك ميلاً آخر ، وان لطم له خد حول الآخر ليلطم ، غير ديني . فقضيت بان عز الرجل زائل ، وقضيت انه حين أجلس في مجلس متطبيه الحافظ عنده لحياته والقائم بمصالح بدنه والخدام لطبيعته ، أبا عصمة الذي لا يفهم من كل ذلك قليلاً ولا كثيراً ، بأنه لا عمر له ، وان نفسه تالفة . قال ابو اسحق : فكان علي ما تقامل جبرائيل به .

قال يوسف بن ابراهيم : وسمعت جبرائيل بن مجتيشوع يحدث ابا اسحق ابراهيم بن المهدي انه كان عند العباس بن محمد اذ دخل عليه شاعر امتدحه ، فلم يزل جبرائيل يسمع منه الى ان صار الى هذا البيت وهو :

لو قيل للعباس يا ابن محمد ، قل : لا ، وأنت تغلد ما قالها
(الكامل)

قال جبرائيل : فلما سمعت هذا البيت لم اصبر لعلمي ان العباس أبخل أهل زمانه . فقلت لا ، فتبسم العباس ثم قال لي : اغرب قبح الله وجهك .

(١) المبل من المرض .

(٢) المصاب بالوسواس وهو مرض يحدث من غلبة السوداء فيختلط معه الذهن .

(٣) واحدها قباء وهو الثوب يلبس فوق الثياب .

(٤) ما يشد به الوسط . « ن . ر »

أقول . هذا الشاعر الذي يشار إليه هو ربعة الرقى .

قال يوسف : وحدث جبرائيل أبا اسحق في هذا المجلس انه دخل على العباس بعد فطر النصارى بيوم وفي رأسه فضلة من نبيذه بالأمس ، وذلك قبل ان يخدم جبرائيل الرشيد . فقال جبرائيل للعباس : كيف أصبح الأمير أعزه الله ؟ فقال العباس : أصبحت كما تحب . فقال له جبرائيل : والله ما أصبح الأمير على ما أحب ، ولا على ما يحب الله ، ولا على ما يحب الشيطان . فغضب العباس من قوله ثم قال له : ما هذا الكلام قبحك الله ؟ قال جبرائيل فقلت : عليّ البرهان . فقال العباس : لتأتيني به والا احسنت أدبك ولم تدخل لي داراً ؛ فقال جبرائيل : الذي كنت احب ان تكون أمير المؤمنين ، فأنت كذلك ؟ قال العباس : لا . قال جبرائيل : والذي يحب الله من عباده الطاعة له فيما أمرهم به ، ونهاهم عنه . فأنت أيها الملك كذلك ؟ فقال العباس : لا واستغفر الله . قال جبرائيل : «والذي يحب الشيطان من العباد ان يكفروا بالله ويحددوا ربوبيته فانت كذلك ايها الأمير ؟ فقال له العباس : لا ، ولا تعد الى مثل هذا القول بعد يومك هذا » .

قال فثيون الترجمان : ولما عزم المأمون على الخروج الى بلد الروم في سنة ثلاث عشرة ومائتين مرض جبرائيل مرضاً شديداً قوياً . فلما رآه المأمون ضعيفاً التمس منه انفاذ بختيشوع ابنه معه الى بلد الروم . فاحضره وكان مثل ابيه في الفهم والعقل والسرو^(١) . ولما خاطبه المأمون وسمع حسن جوابه ، فرح به فرحاً شديداً واکرمه غاية الاكرام ، ورفع منزلته واخرجه معه الى بلد الروم . ولما خرج المأمون طال مرض جبرائيل الى ان بلغ الموت ، وعمل وصيته الى المأمون ودفعها الى ميخائيل صهره ومات . فمضى في تجميل موته ما لم يرض لامثاله بحسب استحقاقه بافعاله الحسنة وخيرته ، ودفن في دير مار سرجس بالمداين^(٢) . ولما عاد ابنه بختيشوع من بلد الروم جمع للدير رهباناً واجرى عليهم جميع ما يحتاجون اليه .

وقال فثيون الترجمان : ان جلس جورجس وولده كانوا أجمل أهل زمانهم بما خصهم الله به من شرف النفوس ، ونبل الهمم ؛ ومن البر والمعروف ، والافضال والصدقات ، وتفقد المرضى من الفقراء والمساكين ، والاخذ بأيدي المنكوبين والمرهوقين على ما يتجاوز الحد في الصفة والشرح .

أقول : وكانت مدة خدمة جبرائيل بن بختيشوع للرشيد منذ خدمه والى ان توفي الرشيد ثلاثاً وعشرين سنة . ووجد في خزانة بختيشوع بن جبرائيل مدرج فيه عمل بخط كاتب جبرائيل بن بختيشوع الكبير ، واصطلاحات بخط جبرائيل لما صار اليه في خدمته الرشيد يذكر ان رزقه كان من رسم العامة : في كل شهر من الورق عشرة آلاف درهم ، يكون في السنة مائة وعشرون ألف درهم ، في مدة ثلاث وعشرين سنة ألفاً ألفاً وستون ألفاً ؛ ونزله في الشهر خمسة آلاف درهم ، يكون في السنة ستون ألف درهم ، في مدة ثلاث وعشرين سنة ألف الف وثلثمائة وثمانون ألف درهم . ومن رسم

(١) الفضل والسخاء

(٢) اسم مدينة او عدة مدن في العراق على مسافة ٣٠ كيلو جنوبي بغداد على جانبي دجلة « ن.ر. »

الخاصة في المحرم من كل سنة : من الورق خمسون ألف درهم يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة الف الف ومائة وخمسون الف درهم . ومن الثياب : خمسون الف درهم ، يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة الف الف ومائة وخمسون الف درهم .

تفصيل ذلك : القصب الخاص الطرازي عشرون شقة . الملحح الطرازي عشرون شقة . الحز المنصوري عشر شقاق . الحز المبسوط عشر شقاق . الوشي الباني ثلاثة اثواب . الوشي النصيبي ثلاثة اثواب . الطيالة ثلاثة طيالس . ومن السمور ^(١) والفنك ^(٢) والقياقم ^(٣) والدلق ^(٤) والسنباج ^(٥) للقبطين ^(٦) .

وكان يدفع اليه في مدخل صوم النصارى في كل سنة من الورق خمسون الف درهم ، يكون في مدة ثلاث وعشرين الف الف ومائة وخمسون الف درهم . وفي يوم الشعانين من كل سنة ثياب من وشي وقصب وملحم وغيره بقيمة عشرة آلاف درهم ، يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ؛ مائتا الف وثلاثون الفاً ، وفي يوم الفطر في كل سنة من الورق : خمسون الف درهم ، يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة : الف الف ومائة وخمسون الف درهم ، وثياب بقيمة عشرة آلاف درهم ، على الحكاية ، يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة : مائتا الف وثلاثون الف درهم .

ولفصد الرشيد : دفعتين في السنة كل دفعة خمسون الف درهم من الورق ، مائة الف درهم ، يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة : الف الف وثلثمائة الف درهم .

ولشرب الدواء دفعتين في السنة ، كل دفعة خمسون الف درهم ، مائة الف درهم ، يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة الف الف وثلثمائة الف درهم .

ومن أصحاب الرشيد ، على ما فصل منه مع ما فيه من قيمة الكسوة وثن الطيب والدواب ، وهو : مائة الف درهم من الورق ، فيكون أربعمائة الف درهم ، يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة تسعة آلاف الف ومائتا الف درهم . تفصيل ذلك : عيسى بن جعفر خمسون الف درهم ؛ زبيدة ام جعفر خمسون الف درهم ؛ العباسة ^(٧) خمسون الف درهم ؛ ابراهيم بن عثمان ثلاثون الف درهم ؛ الفضل بن الربيع ^(٨) خمسون الف درهم ؛ فاطمة ام محمد سبعون الف درهم ؛ كسوة وطيب ودواب

(١) نوع من الفراء يتخذ من جلد السمور وهو حيوان بري لونه احمر مائل الى السواد . وقد اطلق على جلده اسمه .

(٢) فراء ايضاً من جلد الحيوان المسمى الفنك وهو جنس من الثعالب وفروته من احسن الفراء .

(٣) صغار القردان . ويقصد هنا يجلودها .

(٤) حيوان يقرب من السمور وهو اصفر اللون وبطنه وعنقه مائلان الى البياض . ويراد هنا فرائه .

(٥) فراء حيوان اكبر من الجرذ له ذنب طويل كثيف الشعر لونه ازرقي رمادي ومن اللون السنجابي ،

(٦) اظن انها ام جعفر البرمكي زوجة يحيى بن خالد .

(٧) بنت المهدي واخت هارون الرشيد . وذهب المؤرخون والشعراء مذهبهم في الكلام عن علاقتها بجعفر البرمكي وانها كانت سبب نكبتهم .

(٨) وزير الامين فيما بعد ، حسد البرامكة ودمى الدساس عليهم ورمى البغضاء بين الامين والمأمون . « ن . ر »

مائة الف درهم .

ومن غلة ضياعه يجندي ساوير والسوس والبصرة والسواد في كل سنة قيمته ، بعد المقاطعة ، ورقا ثمان مائة الف درهم ، يكون في مدة ثلاث وعشرين سنة ثمانية عشر الف الف ومائة الف درهم .

وكان يصير اليه من البرامكة في كل سنة من الورق الفا الف واربعمائة الف درهم ، وتفصيل ذلك : يحيى ^(١) بن خالد ستاية الف درهم ؛ جعفر بن يحيى الوزير الف الف ومائتا الف درهم ؛ الفضل ^(٢) ابن يحيى ستاية الف درهم ، يكون في مدة ثلاث عشرة سنة : احد وثلاثين الف الف ومائتي الف درهم .

يكون جميع ذلك مدة ايام خدمته للرشد ، وهي ثلاث وعشرون سنة ، وخدمته للبرامكة وهي ثلاث عشرة سنة ، سوى الصلات الجسام فانها لم تذكر في هذا المدرج من الورق ثمانية وثمانين الف درهم . وثمانمئة الف درهم ؛ ثلاثة آلاف ألف واربعمائة الف درهم .

التذكرة : الخراج من ذلك ومن الصلات التي لم تذكر في النفقات وغيرها على ما تضمنه المدرج المعمول من العين : تسعمائة الف دينار ، ومن الورق : تسعون الف الف وستائة الف درهم .

تفصيل ذلك ، ما صرفه في نفقاته وكانت في السنة : الف الف ومائتي الف درهم على التقريب . وجلتها في السنين المذكورة سبعة وعشرون الف الف درهم وستاية الف درهم . ثمن دور وبساتين ومنزهات ورقيق ودواب والجمازات سبعون الف الف درهم ، ثمن آلات وأجر وصناعات وما يجري هذا الجري ثمانية آلاف الف درهم . ما صار في ثمن ضياع ابتاعها لخاصته اثنا عشر الف الف درهم . ثمن جواهر وما اعده للذخائر عن قيمة خمسمائة الف دينار خمسون الف الف درهم . ما صرفه في البر والصلوات والمعروف والصدقات ، وما بذل به حفظه في الكفالات لاصحاب المصادرات ، في هذه السنين المقدم ذكرها ثلاثة آلاف ألف درهم . ما كابر ^(٣) عليه أصحاب الودائع وجحدوه ثلاثة آلاف ألف درهم . ثم وصى بعد ذلك كله عند وفاته الى المأمون لابنه بجنتيشوع ، وجعل المأمون الوصي فيها فسلمها اليه ، ولم يعترض في شيء منها عليه بتسماية الف دينار .

وجبرائيل بن بجنتيشوع هو الذي يعنيه أبو نواس ^(٤) في قوله

سألت أخي أبا عيسى وجبريل له عقل
فقلت الراح ^(٥) تعجبني فقال : كثيرها قتل.

(١) والد جعفر البرمكي ومؤدب هارون الرشيد ومستشاره .

(٢) تولى الحكم من قبل هارون الرشيد على جرجان وطبرستان والري وخراسان . ومات سجيناً ، في الرقة بعد نكبة البرامكة «ن.ر» .

(٣) عانده وغالبه .

(٤) من كبراء شعراء العصر العباسي . ولد في الاهواز . لقب بشاعر الحرة وقضى حياته مقرباً من الرشيد والامين والمأمون .

(٥) الحر (ن. ر)

فقلت له : فقدري . فقال ، وقوله فصل :
وجدت طبائع الانسا ن أربعة هي الاصل
فأربعة لأربعة لكل طبيعة رطل
(الوافر)

وذكر أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني في كتاب المجرد في الاغاني هذه الابيا

ألا قل للذي ليس على الاسلام والملة
لجبريل أبي عيسى أخي الانذال والسفلة
أني طبك يا جبريل ما يشفي ذوي العلة
غزال قد سبى عقلي بلا جرم ولا زلة
(الهزج)

قال أبو الفرج : والشعر للمأمون في جبرائيل بن بختيشوع المتطبيب . والغناء لثيم « خفيف رمل » .
ومن كلام جبرائيل بن بختيشوع قال : أربعة تهدم العمر :
ادخال الطعام على الطعام قبل الانهزام . والشرب على الريق . ونكاح العجوز . والتمتع في الحمام .
ولجبرائيل بن بختيشوع من الكتب : رسالة الى المأمون في المطعم والمشرب . كتاب المدخل الى
صناعة المنطق . كتاب في الباء . رسالة مختصرة في الطب . كناشه . كتاب في صناعة البخور ، ألفه
لعبدالله المأمون .

بختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع

كان سريانياً نبيل القدر . وبلغ من عظم المنزلة والحال وكثرة المال ، ما لم يبلغه أحد من سائر
الاطباء الذين كانوا في عصره . وكان يضاهي المتوكل^(١) في اللباس والفرش .
ونقل حنين بن اسحق لبختيشوع بن جبرائيل كتباً كثيرة من كتب جالينوس الى اللغة السريانية
والعربية .

قال فثيون الترجمان : لما ملك الواثق^(٢) الامر ، كان محمد^(٣) بن عبد الملك الزيات وابن أبي داود
يعاديان لبختيشوع . ويحسدانه على فضله ، وبره ، ومعروفه ، وصدقاته ، وكأل مروءته . فكأثر يفران

(١) الخليفة العباسي العاشر . وكان متقلباً يتبع الهوى اراد ان ينقل عاصمته من بغداد الى دمشق فلم يستطع تحمل برد
الشام فرجع . اضطهد المعتزلة . (٨٢٢ - ٨٦١)
(٢) تاسع خلفاء بني العباس « ٨٤٢ - ٨٤٦ » تسلط في ايامه القواد الاتراك على الحكم .
(٣) وزير العباسيين . غضب عليه المتوكل فامر بقتله سنة « ٨٤٧ »

الوائق عليه اذا خلوا به . فسخط عليه الواثق ، وقبض على أملاكه وضياعه ، وأخذ منه جملة طائلة من المال . ونفاه الى جندي سابور ، وذلك في سنة ثلاثين ومائتين . فلما اعتل بالاستسقاء (١) ، وبلغ الشدة في مرضه ، انقذ من يحضر بختيشوع . ومات الواثق قبل ان يوافي بختيشوع . ثم صلحت حال بختيشوع ، بعد ذلك في ايام المتوكل ، حتى بلغ في الجلالة ، والرفعة ، وعظم المنزلة ، وحسن الحال ، وكثرة المال ، وكمال المروءة ، ومباراة الخلافة في الزي واللباس ، والطيب ، والفرش ، والصناعات ، والتفسيح ، والبذخ في النفقات ، مبلغاً يفوق الوصف ، فحسده المتوكل وقبض عليه .

ونقلت من بعض التواريخ ، ان بختيشوع بن جبرائيل ، كان عظيم المنزلة عند المتوكل . ثم ان بختيشوع أقرط في ادلاله عليه ، فنكبه وقبض أملاكه ووجه به الى مدينة السلام . وعرض للمتوكل بعد ذلك قولنج (٢) ، فاستحضره المتوكل واعتذر اليه ، وعالجه وبرأ ، فانعم عليه ورضي عنه ، واعاد ما كان له .

ثم جرت على بختيشوع حيلة أخرى فنكبه نكبة قبض فيها جميع أملاكه ، ووجه به الى البصرة ، وكان سببه الحيلة عليه : ان عبد الله استكتب المنتصر أبا العباس الحصيني وكان رديئاً ، فاتفقا على قتل المتوكل واستخلاف المنتصر . وقال بختيشوع للوزير : كيف استكثبت المنتصر الحصيني وانت تعرف رداءته ؟ فظن عبد الله ان بختيشوع قد وقف على التدبير . فعرف الوزير ما قاله له بختيشوع ، وقال : « انتم تعلمون كيف محبة بختيشوع له ، واحسب انه يبطل التدبير فكيف الحيلة ؟ فقالوا للمنتصر : « اذا سكر الخليفة ، فخرق ثيابك ولوثها بالدم ، وادخل اليه . فاذا قال : ما هذا ؟ فقل بختيشوع ضرب بيني وبين اخي ، فكاد ان يقتل بعضنا بعضاً . وانا اقول : يا أمير المؤمنين ، يبعد عنهم . فانه يقول : افعلوا . فتنفيه ، قال ان يسأل عنه نكون قد فرغنا من الامر . ففعل ذلك ، ونكبه ، وقتل المتوكل . ولما استخلف المستعين (٣) رد بختيشوع الى الخدمة وأحسن اليه احساناً كثيراً ، ولما ورد الامر الى ابن عبد الله محمد (٤) بن الواثق ، وهو المهتدي ، جرى على حال المتوكل في أنسه بالاطباء وتقديمه ايام واحسانه اليهم . وكان بختيشوع لطيف المحل من المهتدي بالله . وشكا بختيشوع الى المهتدي ما اخذ منه في ايام المتوكل ، فأمر بأن يدخل الى سائر الخزائن فكل ما اعترف به فليرد اليه بغير استثمار ولا مراجعة . فلم يبق له شيء الا اخذه ، واطلق له سائر ما فاته ، وحاطه كل الحياطة .

وورد على بختيشوع كتاب من صاحبه بمدينة السلام يصف فيه ان سليمان بن عبد الله بن طاهر قد

(١) في الطب هو تجمع سوائل مصلية في تجويف او اكثر من تجاويف الجسد او في خلاياه .

(٢) مرض معوي مؤلم ، « ن . ر »

(٣) الخليفة العباسي الثاني عشر « ٨٦٢ - ٨٦٦ » بايعه الامراء واكابر المالك . وكانت ايامه شديدة الاضطراب . خلع وقتل بسمي اخيه المعتز .

(٤) الخليفة الرابع عشر العباسي . ولد في سمرقند ، اراد تخليص الخلافة من سلطة القواد ورفع شأنها . وكانت تقياً متمسكاً بالشريعة . قتل بخيانة موسى بن بغا القائد التركي « ٨٦٩ - ٨٧٠ » . « ن . ر »

تعرض له لمنازله ، فعرض بختيشوع الكتاب على المهتدي بعد صلاة العتمة ، فأمر باحضار سليمان بن وهب في ذلك الوقت ، فحضر ، وتقدم اليه بأن يكتب من حضرته الى سليمان بن عبد الله ، بالانكار عليه لما اتصل به من وكيل بختيشوع ، وان يتقدم اليه باعزاز منازله وأسبابه بأوكد ما يكون . وانفذ الكتاب ، من وقته ، مع أخص خدمه الى مدينة السلام .

وقال بختيشوع للمهتدي في آخر من حضر الدار : « يا أمير المؤمنين ، ما اقتصدت ولا شربت الدواء منذ أربعين سنة ، وقد حكم المنجمون بأني اموت في هذه السنة . ولست اغتم لموتي وانما غمي لفراقكم » . فكله المهتدي بكلام جميل ، وقال : قلتما يصدق المنجم . فلما انصرف كان آخر العهد به .

وقال ابراهيم بن علي الحصري في كتاب نور الطرف ونور الظرف ، انه تنازع ابراهيم بن المهدي وبختيشوع الطبيب بين يدي أحمد ابن داؤد في مجلس الحكم في عقار بناحية السواد ، فأدبى عليه ابراهيم وأغلظ له فغضب لذلك احمد بن ابي داؤد وقال : « يا ابراهيم ؛ اذا تنازعت في مجلس الحكم بحضرتنا أمراً فليكن قصدك أمراً (١) ، وطريقك نهجاً ، وريحك ساكنة ، وكلامك معتدلاً ، ووف مجالس الخليفة حقوقها من التوفيق والتعظيم والاستطاعة ، والتوجيه الى الحق . فان هذا أشكل (٢) بك ، واجل بمذهبك في محتدك (٣) وعظيم خطرك . ولا تعجلن ، فرب العجلة تورث رثياً (٤) ، والله يعصمك من الزلل ، وخطل القول ، والعمل ، ويتم نعمته عليك كما اتمها على آبائك من قبل ، ان ربك عليم حكيم » . فقال ابراهيم : « أمرت ، اصلحك الله ، بسداد ، وحضضت على رشاد ، ولست بعائد الى ما يثلم قدرتي عندك ، ويسقطني من عينك ، ويخرجني من مقدار الواجب الى الاعتذار ؛ فيها انا معتذر اليك من هذه البادرة ، اعتذار مقرر بذنبه ، باخ (٥) مجرمه ، لان الغضب لا يزال يستغزني بمراده ، فيردني مثلك بجملة ، وتلك عادة الله عندك وعندنا فيك ، وهو حسبنا ونعم الوكيل » . وقد خلعت حظي من هذا العقار لبختيشوع . فليت ذلك يكون وافياً بأرش (٦) الجناية عليه ، ولن يتلف مال أفاد موعظة وبالله التوفيق .

حدث ابو محمد بدر بن أبي الاصبع الكاتب قال : حدثني جدي ، قال : دخلت الى بختيشوع في يوم شديد الحر وهو جالس في مجلس مخيش بعدة طاقات من الخيش طاقان ربح بينها طاق أسود وفي وسطها قبة عليها جلال (٧) من قصب مُظْهَر بدبيقي (٨) قد صبغ بماء الورد والكافور (٩) والصندل (١٠)

(١) الوسط ما بين القريب والبعيد او الطريق البين .

(٢) اشبه . (٣) الاصل . (٤) الحق .

(٥) مقرر به ومذعن .

(٦) الدية .

(٧) اكسية .

(٨) الثوب الجيد المنسوب الى دبيق وهي بلدة بمصر .

(٩) نبت طيب تستخرج منه مادة عطرية بيضاء متبلورة .

(١٠) شجر هندي طيب الرائحة يشبه شجر الجوز وله حب اخضر في غناقيذ .

وعليه جبة يمانى سعيدي مثقلة ، ومطرف قد التحف به ، فمجيبت من زيه . فحين حصلت معه في القبة نالني من البرد أمر عظيم فضحك وأمر لي بجبة ومطرف وقال : يا غلام ، اكشف جوانب القبة ، فكشفت فإذا ابواب مفتوحة من جوانب الابواب الى دواضع مكبوسة بالثلج ، وغللمان يروحون ذلك الثلج فيخرج منه البرد الذي لحقني . ثم دعا بطمامه فأني بمائدة في غاية الحسن عليها كل شيء ظريف . ثم اتى بفراريج مشوية في نهاية الحرة ، وجاء الطباخ فنفضها كلها فانتفضت وقال : هذه فراريج تلعف اللوز والبزر قطونا ، ^(١) وتسقى ماء الرمان ، ولما كان في صلب الشتاء دخلت عليه يوماً والبرد شديد ، وعليه جبة محشوة وكساء ، وهو جالس في طارمة ^(٢) في الدار على بستان في غاية الحسن ، وعليها سمور قد ظهرت به ، وفوقه جلال حرير مصبغ ، ولبود مغربية وانطاع ^(٣) آدم يمانية . وبين يديه كانون فضة مذهب مخرق ، وخادم يوقد العود الهندي ، وعليه غلالة قصب في نهاية الرفعة . فلما حصلت معه في الطارمة وجدت من الحر امرأ عظيماً ، فضحك وأمر لي بغلالة قصب ، وتقدم يكشف جوانب الطارمة ، فإذا مواضع لها شبابيك خشب بعد شبابيك حديد ، وكوانين فيها فحم الغضا ^(٤) ، وغللمان ينفخون ذلك الفحم بالزقاق ^(٥) كما تكون للحدادين . ثم دعا بطمامه فاحضروا ما جرت به العادة في السرو والنظافة ، فاحضرت فراريج بيض شديدة البياض فبشعته ^(٦) وخفت ان تكون غير نضيجة ووافى الطباخ فنفضها فانتفضت ، فسألته عنها فقال : هذه تلعف الجوز المقشر ، وتسقى اللبن الحليب . وكان بختيشوع بن جبرائيل يهدي البخور في درج ، ومعه درج آخر فيه فحم يتخذ له من قضبان الاترج ^(٧) والصفصاف ^(٨) ، وشنس ^(٩) الكرم المرشوش عليه عند احراقه ماء الورد المخلوط بالمسك ^(١٠) والكافور ، وماء الخلاف ^(١١) والشراب العتيق . ويقول : انا اكره ان اهدي بخوراً بغير فحم ، فيفسده فحم العامة ، ويقال هذا عمل بختيشوع .

وحدث ابو محمد بدر بن ابي الأصبنغ ، عن ابيه ، عن ابي عبدالله محمد بن الجراح ، عن ابيه ، ان المتوكل قائ يوماً لبختيشوع : ادعني ، فقال السمع والطاعة فقال : اريد ان يكون ذلك غداً . قال : نعم وكرامة ، وكان الوقت صائفاً ، وحره شديداً ، فقال لبختيشوع لأعوانه وأصحابه : « أمرنا كله مستقيم الا الخيش فانه ليس لنا منه ما يكفي . فاحضر وكلاءه وأمرهم بابتياح كل ما يوجد ، من

«١» حبة يستشفى بها .

«٢» الكن أو البيت من خشب كالقبة .

«٣» واحدها نطع وهي البساط من الجلد يفرش فوق الارض . واصله ما يفرش تحت المحكوم عليه بالعذاب او بقطع الرأس .

«٤» شجر من الاثل خشبه من اصلب الخشب وجره يبيى زمناً طويلاً لا ينطفئ .

«٥» واحدها زق وهو جلد يمز ولا ينتف .

«٦» هنا معنى استحسنتها .

«٧» شجر من فصيلة الحمضيات يعرف بالكباد .

«٨» شجر حرجي مائي قيل هو الخلاف .

«٩» قضبان شجر .

«١٠» طيب يستخرج من دم حيوان يدعى غزال المسك .

«١١» ما يعرف في الشام باليزفون العنب (ن.ر) .

الخيش بسر من رأى ، ففعلوا ذلك واحضروا كل من وجدوه من النجادين والصناع ، فقطع لداره كلها صونها^(١) وحجرها ومجالسها وبيوتها ومستراحاتها ، خيشا حتى لا يحتاز الخليفة في موضع غير خيش . وانه فكر في روائحه التي لا تزول الا بعد استعماله مدة ، فامر بابتياح كل ما يقدر عليه بسر من رأى من البطيخ ، وأحضر أكثر حشمة وغلمايه وأجلسهم يدلكون الخيش بذلك البطيخ ليلتهم كلها ، وأصبح وقد انقطعت روائحه . فتقدم الى فراشيه فعلقوا جميعه في المواضع المذكورة ، وأمر طبائخيه بأن يعملوا خمسة آلاف جونة^(٢) في كل جونة باب خبز سميد ، دسست رفاق وزن الجميع عشرون رطلاً ؛ وحمل مشوي وجدي بارد ، وفائقة ودجاجتان مصدرتان ، وفرخان ومصوصان^(٣) ، وثلاثة ألوان وجام حلواء^(٤) .

فلما وافاه المتوكل رأى كثرة الخيش وجدته فقال : « اي شيء ذهب برائحته ؟ فاعاد عليه حديث البطيخ فعجب من ذلك ، وأكل هو وبنو عمه والفتح^(٥) بن خاقان على مائدة واحدة . وأجلس الامراء والحجاب على سباطين^(٦) عظيمين لم ير مثلهما لامثاله . وفرقت الجون على الغلمان والخدم والتعباء والركابية والفراشين والملاحين وغيرهم من الحاشية لكل واحد جونة ، وقال : « قد أمنت ذمهم لانني ما كنت آمن لو أطعموا على موائد ان يرضى هذا ويفضب الآخر ، ويقول واحد شبع ويقول آخر لم أشبع ، فاذا اعطى كل إنسان جونة من هذه الجون كفته واستشرف المتوكل على الطعام فاستعظمه جداً ، وأراد النوم ، فقال لبختيشوع : « أريد ان تنومي في موضع مضى لا ذباب فيه وظن أنه يتعنته بذلك ، وقد كان بختيشوع تقدم بان تجعل اجاجين^(٧) السيلان في سطوح الدار ليجتمع الذباب عليه ، فلم يقرب أسافل الدور ذبابة واحدة . ثم أدخل المتوكل الى مربع كبير سقفه كله بكواء فيها جامات يضيء البيت منها ، وهو نخيش مظهر بمد الخيش بالدبقي المصبوغ بماء الورد والصندل والكافور .

فلما اضطجع للنوم أقبل يشم روائح في نهاية الطيب لا يدري ما هي لانه لم ير في البيت شيئاً من الروائح والفاكهة والأنوار ؛ ولا خلف الخيش لا طاقات ولا موضع يحمل فيه شيء من ذلك . فتعجب وأمر الفتح بن خاقان ان يتبع حال تلك الروائح حتى يعرف صورتها . فخرج يطوف فوجد حول البيت من خارجه ومن سائر نواحيه وجوانبه أبواباً صفاراً لطافاً كالطاقات، محشوة بصنوف الرياحين

(١) ضمن الدار : مساحتها او وسطها .

(٢) الخابية المطلية .

(٣) واحدها مصوص وهو لحم يطبخ وينقع في الخل .

(٤) كأس .

(٥) وزير المتوكل قتل مع المتوكل سنة ٨٦١ هـ .

(٦) السباط : ما يبسط ليوضع عليه الطعام .

(٧) واحدها اجانة وهي الاناء « ن.ر » .

والفواكه واللخالخ^(١) ، والمشام التي فيها اللفاح^(٢) ، والبطيخ المستخرج ما فيها المحشوة بالنام^(٣) والمحام^(٤) الياني المعمول بماء الورد والخلوق^(٥) والكافور والشراب العتيق والزعفران^(٦) الشعر . ورأى الفتح غلماناً قد وكلوا بتلك الطاقات مع كل غلام بجمرة فيها ند يسجره^(٧) ويبخر به . والبيت من داخله ازار من اسفيداج مخرم خروماً صغاراً لا تبين تخرج منها تلك الروائح الطيبة العجيبة الى البيت .

فلما عاد الفتح وشرح للمتوكل صورة ما شاهده كثر تعجبه منه ، وحسد بختيشوع على ما رآه من نعمته ، وكال مروءته ، وانصرف من داره قبل ان يستم يومه . وادعى شيئاً وجده من التياث بدنه ، وحقد عليه ذلك فنكبه بعد أيام يسيرة ، وأخذ له مالا كثيراً لا يقدر . ووجد له في جملة كسوته أربعة آلاف سراويل ديبقي سيتيزي في جميعها تكك ابريسم ارميني . وحضر الحسين بن مخلد فحتم على خزائنه وتحمل الى دار المتوكل ما صلح منها وباع شيئاً كثيراً . وبقي بعد ذلك حطب وفحم ونيذ وتوابل ، فاشتراه الحسين بن مخلد بستة آلاف دينار . وذكر أنه باع من جلته بمبلغ ثمانية آلاف دينار ، ثم حسده حمدون ووشى الى المتوكل . وبذل فيما بقي في يده مما ابتاعه ستة آلاف دينار . فاجيب الى ذلك ، وسلم اليه ، فباعه باكثر من الضعف . وكان هذا في سنة أربع وأربعين ومائتين للهجرة .

قال فثيون الترجمان : كان المعتز بالله قد اعتل ، في أيام المتوكل ، علة من حرارة امتنع . يا من أخذ شيء من الادوية والاعذية . فشق ذلك على المتوكل كثيراً ، واغتم به . وصار اليه بختيشوع ، والاطباء عنده وهو على حاله في الامتناع ، فمأزجه وحادثه فادخل المعتز يده في كم جبة وشي يمان مثقله كانت على بختيشوع وقال : « ما أحسن هذا الثوب » ! فقال بختيشوع : « يا سيدي ما له والله نظير في الحسن وثمنه غلي الف دينار فكل لي تقاحتين وخذ الجبة » . فدعا بتفاح فأكل اثنتين ثم قال له : تحتاج يا سيدي الجبة الى ثوب يكون معها ، وعندني ثوب هو أخ لها ، فاشرب لي شربة سكنجبين وخذه . فشرب شربة سكنجبين . ووافق ذلك اندفاع طبيعته فبدأ المعتز وأخذ الجبة والثوب وصلح من مرضه . فكان المتوكل يشكر هذا الفعل أبداً لبختيشوع .

وقال ثابت بن سنان بن ثابت : ان المتوكل اشتهى في بعض الاوقات الحارة أن يأكل مسع طعامه خردلا فمنعه الاطباء من ذلك لحدة مزاجه وحرارة كبده وغائلة الخردل . فقال بختيشوع : أنا اطعمك اياه وان ضرك علي ! فقال : افعل . فامر باحضار قرعة وجعل عليها طيناً وتركها في تنور

(١) ضرب من الطيب . (٢) نبات يقطيني اصله طيب الرائحة اصفر من التفاح . (٣) نبت له يزور كالريحان قوي الرائحة .

(٤) الحبث البستاني العريض الورق . (٥) ضرب من الطيب يتخذ من زعفران وغيره او هو الزعفران . (٦) نبات اصفر الزهر له اصل كالصل .

(٧) يحميه ويحرقه . « ن . د »

واستخرج ماءها وامر بان يقشر الخردل ويضرب بماء القرع . وقال : « ان الخردل في الدرجة الرابعة من الحرارة والقرع في الدرجة الرابعة من الرطوبة فيعتدلان ، فكل شهوتك » . وبات تلك الليلة ولم يحس بشيء من الاذى ، وأصبح كذلك . فامر بان يحمل اليه ثلثائة الف درهم وثلاثون نخعاً من اصناف الثياب .

وقال اسحق^(٦) بن علي الرهاوي ، عن عيسى بن ماسة قال : رأيت بجثيشوع بن جبرائيل وقد اعتل ، فأمر أمير المؤمنين المتوكل والمعتز^(٧) ان يعودوه وهو اذ ذاك ولي عهد . فعاده ومعه محمد^(٨) بن عبدالله بن طاهر ووصيف^(٩) التركي قال : وأخبرني ابراهيم^(١٠) بن محمد المعروف بابن المدر ان المتوكل امر الوزير شفاهاً وقال له : اكتب في ضياع بجثيشوع فانها ضياعي وملكي فان محله منا محل ارواحنا من ابداننا .

وقال عبيد الله بن جبرائيل بن عبيد الله بن بجثيشوع ، هذا المذكور : مما يدل على منزلة بجثيشوع عند المتوكل وانبساطه معه ، قال : من ذلك ، ما حدثنا به بعض شيوخنا ، انه دخل بجثيشوع يوماً الى المتوكل وهو جالس على سدة في وسط دار الخاصة ، فجلس بجثيشوع على عادته معه على السدة وكان عليه^(١١) دراعة ديباج رومي ، وقد انفتق ذيلها قليلاً ، فجعل المتوكل يحدث بجثيشوع ويعبث بذلك الفتق حتى بلغ الى حد النيفق^(١٢) . ودار بينها كلام اقتضى ان يسأل المتوكل بجثيشوع : بماذا تعلم ان المشوش يحتاج الى الشد والقيادة ؟ قال : اذا بلغ فتق دراعة طبيبه الى حد النيفق شدناه . فضحك المتوكل حتى استلقى على ظهره ، وأمر له في الحال بخلع سنية ومال جزيل .

وقال ابو الريحان^(١٣) البيروني في كتاب « الجماهر في الجواهر » : ان المتوكل جلس يوماً لهدايا النيروز فقدم اليه كل علق^(١٤) نفيس ، وكل ظريف فاخر . وان طبيبه بجثيشوع بن جبرائيل دخل وكان يأنس به ، فقال له : ما ترى في هذا اليوم ؟ فقال مثل جرياشات الشحاذين اذ ليس قدر ، واقبل على ما معي . ثم أخرج من كمه درج أبنوس مضرب بالذهب ، وفتحه عن حرير أخضر انكشف عن ملعقة كبيرة من جوهر لمع منها شهاب ووضعها بين يديه ، فرأى المتوكل ما لا عهد له بمثله ، وقال :

(١) طبيب من الأطباء العراقيين الف تاريخاً ذكر فيه الوقائع والحوادث من زمان المقتدر حتى أيام الطائع لله .

(٢) الخليفة العباسي الثالث عشر تسلط عليه القواد الاتراك واشتدت الازمة المالية في الدولة فلم يتمكن من حل مشاكلها . وخلع ومات جوعاً في السجن « ٨٦٩ » .

(٣) من رجال الدولة العباسية جعله المتوكل حاكماً على بغداد « ٨٥١ » ففرض على الفتن التي أثارها العلويون وتوفي سنة « ٨٦٧ »

(٤) احد القواد الاتراك الذين استأثروا بالحكم وقضوا على الخليفة في الزمن الذي استولى فيه غلمان الاتراك على الحكم .

(٥) تولى الخراج في مصر ودمشق والاردن وفلسطين .

(٦) جبة مشقوقة المقدم .

(٧) الموضع المتسع من القميص او السروال .

(٨) مؤلف عربي من اصل فارسي ولد في خوارزم . عالم بالرياضيات والعلوم والمهندسة . كان بينه وبين ابن سينا مراسلة

(٩٧٣ - ١٠٤٨) .

(٩) النفيس من كل شيء (ن . د) .

« من اين لك هذا ؟ قال : من الناس الكرام ، ثم حدث انه صار الى أبي من أم جعفر زبيدة في ثلاث مرات ثلثمائة الف دينار بثلاث شكايات عاجلها فيها : واحدتها أنها شكت عارضاً في حلقها منذرة بالحناق فأشار اليها بالفصد والتطفئة والتغدي بحشو وصفه ، فاحضر على نسخته في غضارة صينية عجيبة الصفة وفيها هذه الملعقة ، فغمزني أبي على رفعها ، ففعلت ولففتها في طيلسانى وجاذبتها الخادم . فقالت له : لطفه ومره بردها ، وعوضه منها عشرة آلاف دينار . فامتنعت وقال أبي : يا سقي ان ابني لم يسرق قط فلا تفضحيه في اول كراته لئلا ينكسر قلبه . فضحكت ووهبتها له . وسئل عن الآخرتين : فقال انها اشتكت اليه النكبة ^(١) باخبار احدى بطانتها اياها ، وذكرت أن الموت أسهل عليها من ذلك ، فجعوا الى العصر ، واطعمها سمكاً بمقوراً ^(٢) ، وسقاها دردي ^(٣) نبذ دقل باكره فغثت نفسها وقذفت . وكرر ذلك عليها ثلاثة أيام ثم قال لها : تنكهي في وجه من اخبرك بذلك واستخبريه هل زال ؟ والثالثة انها أشرفت على التلف من فواق شديد يسمع من خارج الحجرة ، فامر الخدم بأصعاد خوابي الى سطح الصحن وتصفيها حوله على الشفير وملأها ماء ، وجلس خادم خلف كل جب حتى اذا صفق بيده على الاخرى دفعوها دفعة الى وسط الدار ، ففعلوا وارفع لذلك صوت شديد اربعها ، فوثبت وزايلها الفواق .

قال أبو علي القيانى ؟ حدثني أبي قال : دخلت يوماً الى بختيشوع ، وكان من أيام الصيف ، وجلست فاذا هو قد رفع طرفه الى خادمه وقال له : هات . فجاء بقدر فيه نحو نصف رطل شراب عتيق ، وعلى طرف خلالة ذهب شيء اسود فضغه ، ثم شرب الشراب عليه ، وصبر ساعة ، فرأيت وجهه يتقد كالنار . ثم دعا باطباق فيها خوخ جبلي في نهاية الحسن ، فاقبل يقطع ويأكل حتى انتهى وسكن قلبه ، وعاد وجهه الى حاله . فقلت له : حدثني بخبرك ؟ فقال : اشتيت الخوخ شهوة شديدة وخفت ضررها ، فاستعملت الترياق والشراب حتى نقرت الحجر ليجيد الطحن . وقال أبو علي القيانى عن ابيه ، قال : حدثني محمد بن داود بن الجراح ، قال : كان بختيشوع الطبيب صديقاً لأبي . وكان لنا نديم كثير الأكل عظيم الخلق ، فكان كلما رآه قال له : أريد ان تركب لي شربة ؛ وأبرمه الى ان وصف له دواء فيه شحم الحنظل وسقمونيا ؛ وقال بختيشوع لأبي : ملاك الامر كله ان يأكل أكلا خفيفاً ويضبط نفسه فيما بعد عن التخليط ، فاطعم يوم الحمية في دارنا واقتصر على اسفيداج من ثلاثة أرطال خبز ، فلما استوفى ذلك طلب زيادة عليه فمنع واعتقله أبي عنده الى آخر الاوقات ، ووجه الى امرأته بوصيها ان لا تدع شيئاً يؤكل في داره . ولما علم ان الوقت قد ضاق عليه أطلقه الى منزله . فطلب من امرأته شيئاً يأكله فلم يجد عندها شيئاً . وكانت قد أغفلت برنية فيها فتيت على الرف « فوجده وأخذ منه أرطالا . ثم أصبح وأخذ الدواء فتحير ، وورد على المعدة وهي ملأى فلم يؤثر ، وتعالى النهار ، فقال : قد خرف بختيشوع . وعمد الى عشرة أرطال لحم شرائح فاكلها مع

«١» رائحة الفم .

«٢» مشوياً حتى الاحتراق .

«٣» الكدور الراسب في اسفله « ن . ر » .

عشرة ارطال خبز ، وشرب دورقاً ماءً بارداً . فلما مضت ساعة طلب الدواء طريقاً للخروج من فوق أو من أسفل فلم يجد فانتفخت بطنه وعلا نفسه ، وكاد يتلف . وصاحت امرأته واستغاثت بابي . فدعا بمحمل وحمل فيه الى بختيشوع ، وكان ذلك اليوم حاراً جداً . وكان بختيشوع حين انصرف من داره وهو ضجر . فسأل عن حاله الى ان علم شرح امره . وكان في داره أكثر من مائتي طير من الطيطويات^(١) والحصانيات^(٢) والبيضانيات^(٣) وما يجري مجراها . ولها مسقاة كبيرة مملوءة ماء ، وقد حمي في الشمس وذرقت فيه الطيور . فدعا بملح جريش ، وأمر بطرحه في المسقاة كله وتذريبه في الماء ودعا بقمع ، وسقى الرجل كله ، وهو لا يعقل ، وأمر بالتباعد عنه . فأتى من طبيعته فوق وأسفل أمر عظيم جداً حتى ضعف . وحفظت قوته بالرائحة الطيبة وبماء الدراج . وأفاق بعد ايام وعجبنا من صلاحه .

وسألنا عنه بختيشوع فقال : فكرت في أمره فرأيت اني اتخذت له دواء طال أمره حتى يطبخ ويسقى فيموت الى ذلك الوقت . ونحن نعالج أصحاب القولنج الشديد بذرق الحمام والملح . وكان في المسقاة الماء في الشمس وقد سخن ، واجتمع فيه من ذرق الحمام ما يحتاج اليه ، وكان اسرع تناولاً من غيره ، فعالجته به ونجح بحمد الله .

ونقلت من بعض الكتب ان بختيشوع كان يأمر بالحقن ، والقمر متصل بالذنب ، فيحل القولنج من ساعته . ويأمر بشرب الدواء ، والقمر على مناظرة الزهرة^(٤) فصلح العليل من يومه .

ولما توفي بختيشوع خلف عبيد الله ولده ، وخلف معه ثلاث بنات . وكان الوزراء والنظار يصادرونهم ويطالبونهم بالاموال . فتفرقوا واختلوا . وكان موته يوم الاحد لثمان بقين من صفر سنة ست وخمسين ومائتين .

ومن كلام بختيشوع بن جبرائيل قال :

الشرب على الجوع رديء ، والأكل على الشبع أردأ .

وقال : أكل القليل مما يضر ، أصلح من أكل الكثير مما ينفع .

ولبختيشوع بن جبرائيل من الكتب : كتاب في الحجابة على طريق المسئلة والجواب .

جبرائيل بن عبيد الله

جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع ، كان فاضلاً عالماً متقناً لصناعة الطب ، جيداً في اعمالها، حسن

(١) و (٢) انواع من طيور الماء ، وهي من صفار الطير لا تفارق الماء
(٣) ابن الماء وهو نوع من مالك الحزين شديد البياض له جمة مرغوب فيها .
(٤) كوكب من الكواكب السيارة (ن.ر) .

الدراية لها . وله تصانيف جليلة في صناعة الطب . وكانت اجداده في هذه الصناعة كل منهم أوحده زمانه وعلامة وقته .

ونقلت من كتاب عبيد الله ، ولد هذا المذكور ، في اخباره . عن ابيه جبرائيل ما هذا مثاله . قال : ابن جدي عبيد الله بن بختيشوع كان متصرفاً ولما ولي المقتدر ^(١) رحمة الله عليه ، الخلافة استكتبه لحضرته وبقي مدة مديدة ، ثم توفي . وخلفه والذي جبرائيل وأختاً كانت معه صغيرين . وأنفذ المقتدر ليلة موته ثمانين فراشاً حمل الموجود من رجل وأثاث وآنية . وبعد مواريثه في القبر اختفت زوجته ، وكانت ابنة انسان عامل من أجلاء العمال يعرف بالحرسون . فقبض على والدها بسببها وطلب منه ودائع بنت بختيشوع ، وأخذ منه مالا كثيراً ومات عقيب مصادره . فخرجت ابنته ومعهما ولدها جبرائيل وأخته وهما صغيران الى عكبراء ^(٢) مستترين من السلطان . واتفق انها تزوجت برجل طبيب وصرفت ولدها الى عم كان له بدقوقاه ^(٣) واقامت مدة عند ذلك الرجل وماتت ، وأخذ ما كان معها جميعه ، ودفع ولدها . فدخل جبرائيل الى بغداد وما معه إلا اليسير النزر . وقصد طبيباً كان يعرف بتمرمة ، فلأزمه وقرأ عليه ، وكان من اطباء المقتدر وخواصه . وقرأ على يوسف الواسطي الطبيب ، ولأزم البيارستان والعلم والدرس . وكان يأوي الى اخوال له يسكنون بدار الروم ، وكانوا يسيئون عشرتهم عليه ، ويلومونه على تعرضه للعلم والصناعة ، ويمجنون معه ، ويقولون : يريد ان يكون مثل جده بختيشوع وجبرائيل وما يرضى ان يكون مثل اخواله ، وهو لا يلتفت الى مثل اقوالهم .

وافترق أن جاء رسول من كرمان ^(٤) الى معز ^(٥) الدولة وحمل له الحمار المخطط ، والرجل الذي كان طوله سبعة اشبار ، والرجل الذي كان طوله شبرين ، وافترق انه نزل في قصر فرخ من الجانب الشرقي قريباً من الدكان الذي كان يجلس عليه والذي جبرائيل ، وصار ذلك الرسول يجلس عنده كثيراً ويحادثه ، ويباسطه . فلما كان في بعض الايام استدعاه وشاوره بالفصد ، فأشار به وفصده ، وتردد اليه يومين ، فأنفذ له على رسم الديلم الصينية التي كانت فيها المعصائب ، والطشت والابريق وجميع الآلة . ثم استدعاه وقال له : ادخل الى هؤلاء القوم وانظر ما يصلح لهم ، وكان مع الرسول جارية يهاها قد عرض لها بزف الدم ولا بقي بفارس ولا بكرمان ولا بالعراق طبيب مذكور الا وعالجها ولم ينجح فيها العلاج ، فعند ما رآها رتب لها تدبيراً وعمل لها معجوناً وسقاها إياه ، فما

(١) الخليفة العباسي الثامن عشر تولى الحكم وعمره ١٣ سنة وعمل أيامه انسلخت اقاليم الدولة عن العاصمة وتأسست دول اخرى وقوفي سنة ٩٣٢

(٢) بلد منها عبدالله الكمبري اللغوي الشهير .

(٣) ويقال ايضاً دقوق ودقومي وهي بلدي العراق بين بغداد واربيل «ن.ر»

(٤) مدينة في ايران هي قاعدة اقليم يعرف باسمها .

(٥) احد افراد بني بويه الاسرة الفارسية التي استولى ابنائها على اصفهان وكازرون وشيراز وكرمان وبغداد « ٩٤٥ » واصبح الخليفة على عهد الموبى في ايديهم .

مضى عليها أربعون يوماً حتى برئت وصلح جسمها ، وفرح الرسول بذلك فرحاً عظيماً . فلما كان بعد مدة ، استدعاه وأعطاه ألف درهم ودراعة سقلاطون وثوباً ثوبياً ، وعمامة قصب ؛ وقال له : « طالبهم بحقك فأعطته الجارية ألف درهم وقطعتين من كل نوع من الثياب ، وحمل على بغله بمركب واتبع ذلك بمملوك زنجي ، فخرج وهو أحسن حالاً من أحد أخواله . فلما رأوه وثبوا له وتلقوه لقياً جميلاً فقال لهم : للثياب تكرمون لا لي . فلما مضى الرسول انتشر ذكره بفارس وبكرمان بما عمل ، وكان ذلك سبب خروجه من شیراز .

فلما دخل رفع خبره الى عضد^(١) الدولة ، وكان أول تبوئه ولايته شیراز^(٢) ، واستدعى به فحضر ، واحضر معه رسالة في عصب العين تكلم فيها بكلام حسن ، فحسن موقعه عنده ، وقرر له جارية كالباقين ، ثم انه عرض لكوكين ، زوج خالة عضد الدولة ، وهو والي كورة جورق ، مرض واستدعى طبيباً فانفذه عضد الدولة ، فلما وصل أكرم موضعه وأجله اجلاً عظيماً . وكان به وجع المفاصل والنقرس وضعف الاحشاء ، فركب له جوارش^(٣) تفاحي وذلك في سنة سبع وخمسين وثلثائة للهجرة ، فانتفع به منفعة بينة عظيمة فاجزل له عطاءه وأكرمه ورده الى شیراز مكرماً . ثم ان عضد الدولة دخل الى بغداد وهو معه من خاصته ، وجدد البيارستان وصار يأخذ رزقين وهما : برسم خاص ثلثائة درهم شجاعية ؛ وبرسم البيارستان ثلثائة درهم شجاعية ؛ سوى الجارية . وكانت نوبته في الاسبوع يومين وليلتين .

واتفق ان صاحب^(٤) بن عباد ، رحمه الله تعالى ، عرض له مرض صعب في معدته فكاتب عضد الدولة يلتمس طبيباً . وكان عمله وفعله وفضله مشهوراً ، فأمر عضد الدولة يجمع الاطباء البغداديين وغيرهم وشاورهم فيمن يصلح ان ينفذ اليه . فلما جمعهم واستشارهم . فأشار جميع الاطباء ، على سبيل الابعاد له من بينهم وحسداً على تقدمه ، ما يصلح ان يلقى مثل هذا الرجل إلا أبو عيسى جبرائيل ، لانه متكلم جيد الحجة ، عالم باللغة الفارسية . فوقع ذلك بوفاق عضد الدولة ، فاطلق له مالا يصلح به امره وحمل اليه مركوب جميل وبغال للحمل وسيّره . فلما وصل الري تلقاه صاحب لقاء جميلاً وأنزله في دار مزاحة العلل بفراش وطباخ وخازن ووكيل وبواب وغيره . ولما اقام عنده اسبوعاً استدعاه يوماً وقد أعد عنده أهل العلم من اصناف العلوم . ورتب لمناظرته انساناً ، من اهل الري وقد قرأ طرفاً من الطب . فسأله عن اشياء من امر النبض ، فعلم هو ما الغرض في ذلك . فبدأ وشرح أكثر مما تحتمله المسألة . وعلل تعليقات لم يكن في الجماعة من سمع بها . واورد شكوكاً ملاجاً

«١» السلطان البويهى لقبه الخليفة بعد ان هزم الاتراك ودخل بغداد وظفر بالعراق وجرجان وطبرستان بشاهنشاه

«٩٣٦ ص ٩٨٣»

«٢» مدينة في ايران قاعدة اقليم فارس «ن . و» .

«٣» وهي الجوارش أي القميحة ، وهي كالسفوف يتخذ للهضم .

«٤» وزير بني بويه واسمه ابو القاسم اسماعيل الطالقاني ولقب بالصاحب توفي في الري ودفن في اصفهان (٩٣٨ - ٩٩٥) (ن.د) .

وحلها ، فلم يكن في الحضور إلا من أكرمه وعظمه . وخلع عليه الصاحب خلعاً حسنة ، وسأله أن يعمل له كناشاً يختص بذكر الامراض التي تعرض من الرأس الى القدم ولا يخلط بها غيرها . فعمل كناشه الصغير وهو مقصور على ذكر الامراض العارضة من الرأس الى القدم حسباً أمر الصاحب به . وحمله اليه ، فحسن موقعه عنده ووصله بشيء قيمته ألف دينار . وكان دائماً يقول : « صنف مائتي ورقة أخذت عنها ألف دينار » . ورفع خبره الى عضد الدولة فأعجب به وزاد موضعه عنده . فلما عاد من الري دخل الى بغداد بزي جميل وأمر مطاع وغلمان وحشم وخدم ، وصادف من عضد الدولة ما يسره ويختاره .

قال وحدثني من اثنى اليه انه دخل الاطباء ليهنئوه بوروده وسلامته . فقال ابو الحسين بن كشكرايا ، تلميذ سنان : يا أبا عيسى ، زرنا وأكلت ، وأردناك تبعد فازدبت قريباً ، لأنه كان كما تقدم ذكره . فضحك جبرائيل من قوله وقال له : ليس الامور البينا بل لها مدبر وصاحب . وأقام ببغداد مدة ثلاث سنين .

واعتل خسرو شاه بن مبادر ملك الديلم^(١) وآلت حاله إلى المراقبة ، ونحل جسمه ، وقوي استشعاره . وكان عنده اثنا عشر طبيباً من الري وغيرها ، وكلما عاجلوه ازداد مرضه . فأنفذ الى الصاحب يلتمس منه طبيباً . فقال : ما أعرف من يصلح لهذا الأمر إلا أبو عيسى جبرائيل . فسأله مكاتبته لما بينها من الانس ، وكاتب عضد الدولة يسأل انفاذه ويعلمه ان حاله قد آلت الى أمر لا يحتمل الونية في ذلك ، فأنفذه مكرماً . فلما وصل الى الديلمي قال له : ما اعالجك أو ينصرف من حولك من اطباء . فصرف الاطباء مكرمين ، وأقام عنده وسأله أن يعمل في صورة المرض مقالة يقف على حقيقته ، وتدبير يختاره ويعول عليه ، فعمل له مقالة ترجها في ألم الدماغ بمشاركة فم المعدة والحجاب الفاصل بين آلات الغذاء وآلات التنفس المسمى ذياً فرغها .

ولما اجتاز بالصاحب سأله عن أفضل استقسط البدن فقال : هو الدم فسأله أن يعمل له في ذلك كتاباً يبرهن عليه فيه ، فعمل في ذلك مقالة مليحة بين فيها البراهين التي تدل على هذا ، وكانت في هذه المدة مستعجلاً لعمل كناشه الكبير .

ولما عاد الى بغداد وكان عضد الدولة قد مات ، فاقام ببغداد سنين مشتغلاً بالتصنيف فتمم كناشه الكبير وسماه « بالكافي » بلقب الصاحب بن عباد لهجته له ، ووقف منه نسخة على دار العلم ببغداد . وعمل كتاب المطابقة بين قول الانبياء والفلاسفة ، وهو كتاب لم يعمل في الشرع مثله لكثرة احتوائه على الأقاويل ، وذكر المواضع التي استخرجت منها ؛ وأكثر فيه من أقوال الفلاسفة في كل معنى لغموضها وقلة وجودها ؛ وقلل من الأقاويل الشرعية لظهورها وكثرة وجودها ؛ وفي هذه المدة عمل مقالة في الرد على اليهود جمع فيها أشياء منها جواز النسخ من أقوال الانبياء ؛ ومنها شهادات على صحة

(١) القسم الجبلي من بلاد جيلان شمالي بلاد قزوین اعتنق اهلہ الاسلام وخدموا في جيش الخلفاء « ٩١٣ » « ن.ر. »

مجيء المسيح وانه قد كان ، وابطل انتظارهم له ؛ ومنها صحة القربان بالخبز والخمر وعمل مقالات آخر كثيرة صغاراً منها ، لم جعل من الخمر قربان وأصله محرم ؟ وأبان علل التحليل والتحرير .

وعرض له ان سافر الى بيت المقدس ، وصام به يوماً واحداً وعاد منه الى دمشق واتصل خبره بالعزیز ، رحمه الله ، وكوتب من الحضرة بكتاب جميل ، فاحتج ان له ببغداد أشياء يمضي وينجزها ويعود الى الحضرة قاصداً ليفوز بحق القصد فحين عاد الى بغداد أقام بها وعدل عن المضي الى مصر .

ثم ان ملك الديلم أنفذ خلفه واستدعاه ، فعند حصوله بالري وقف بها نسخة من كنائس الكبير . قال : وبلغني ان البهارستان يعمل بها وانه يعرف به بين اطبايهم اذا ذكر ابو عيسى صاحب الكنائس . واقام عند ملك الديلم مدة ثلاث سنين ، وخرج من عنده على سبيل الغضب ، وكان قد حلف له بالطلاق انه متى اختار الانصراف لا يمنعه فلم يمكنه رده .

وجاء الى بغداد وأقام بها مدة . ثم انه استدعي الى الموصل الى حسام الدولة فعالجه من مرض كان به . وجرى له معه شيء استعظمه ، وكان ابداً يعيده عنه . وذلك انه كانت له امرأة عليّة بمرض حاد ، فأشار بحفظ القارورة ، واتفق انه عند حسام الدولة وقال له : هذه المرأة تموت ، فانزعج لذلك ، ونظرت الجارية الى انزعاجه وصرخت وخرقت ثيابها وولت فاستدعاه في الحال وقال لها : جرى في أمر هذه المرأة شيء لا أعلمه ؟ فحلفت أنها لم تجاوز التدبير . فقال : لعلمك خضبتموها بالحناء ، قالت : قد كان ذلك . فحرد وقال للجارية أقوالاً ، ثم قال لحسام الدولة أبشر بعد ثلاثة أيام تبرأ ، فكان كما قال فعظم هذا عنده وكان ابداً يعيده ويتعجب منه .

ولما عاد الى بغداد كان العميد لا يفارقه ويلزمه ويبايتة في دار الوزارة لاجل المرض الذي كان به ، وحظي لديه .

ثم ان الامير ممد الدولة أنفذ اليه ولاطفه حتى أصدع الى ميفارقين ، فلما وصل اليه أكرمه الاكرام المشهور عند كل من كان يراه . ومن لطيف ما جرى له معه انه اول سنة ورد فيها سقى الامير دواء مسهلًا وقال له : يجب ان تأخذ الدواء سحرًا ، فعمد الامير وأخذه أول الليل ، فلما أصبح ركب الى داره ، ووصل اليه ، واخذ نبضه ، وسأله عن الدواء ، فقال له : ما عمل معي شيئاً امتحاناً له ، فقال جبرائيل : النبض يدل على نفاذ دواء الامير وهو اصدق . فضحك ، ثم قال له : كم ظنك بالدواء ؟ فقال : يعمل مع الامير خمسة وعشرين مجلساً ، ومع غيره زائداً وناقصاً . فقال له : عمل معي الى الآن ثلاثة وعشرين مجلساً ، فقال : وهو يعمل تمام ما قلت لك . ورتب ما يستعمله وخرج من عنده مفضباً وأمر ان يشد رحله ، ويصلح اسباب الانصراف . فبلغ ممد الدولة ذلك ، وانفذ اليه يستعلم خبر انصرافه . فقال : مثلي لا يحرب ، لانني اشهر من ان احتاج الى تجربة . فأرضاه وحمل اليه بغلة ودرام لها قدر .

وفي هذه المدة كاتبه ملك الديلم بكتب جميلة يسأله فيها الزيارة ، وكاتب ممد الدولة يسأله في ذلك . فمنع من المضي واقام في الخدمة ثلاث سنين ، وتوفي يوم الجمعة ثامن شهر رجب من شهر سنة

ست وتسعين وثلاثمائة للهجرة ، وكان عمره خمسا وثمانين سنة ، ودفن بالمصلى بظاهر ميفارقين .
ولجبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع من الكتب : كناه الكبير ، الملقب بالكافي ، خمس مجلدات
ألفه للصاحب بن عباد ، رسالة في عصب العين ، مقالة في ألم الدماغ بمشاركة فم المعدة والحجاب
الفاصل بين آلات الغذاء وآلات التنفس المسمى ذيافرغما ، ألفها لحسروشا بن مبادر ملك الديلم .
مقالة في ان افضل استنقسات البدن هو الدم ، ألفها للصاحب بن عباد ، كتاب المطابقة بين قول
الانبياء والفلاسفة ، مقالة في الرد على اليهود ، مقالة في انه لم يجعل من الخمر قربان واصله محرم .

عبيد الله بن جبرائيل

هو أبو سعيد عبيد الله بن جبرائيل بن عبد الله بن بختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع بن جورجس
ابن جبرائيل . كان فاضلا في صناعة الطب ، مشهورا بجودة الاعمال فيها ، متقنا لاصولها وفروعها ،
من جملة المتميزين من اهلها والعريقين من اربابها ، وكان جيد المعرفة بعلم النصارى ومذاهبهم ، وله
عناية بالغة بصناعة الطب ، وله تصانيف كثيرة فيها . واقام بميفارقين ، وكان معاصر ابن بطران
ويجتمع به ويأنس اليه وبينهما صحبة .

وتوفي عبيد الله بن جبرائيل في شهر سنة نيف وخمسين وأربعمائة .

ولعبيد الله بن جبرائيل من الكتب : مقالة في الاختلاف بين الالبان ، ألفها لبعض اصدقائه في
سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، كتاب مناقب الاطباء ، ذكر فيه شيئا من احوالهم ومآثرهم ، وكان
تأليفه لذلك في سنة ثلاث وعشرين واربعمائة ، كتاب الروضة الطبية كتب به الى الاستاذ ابي الحسن
محمد بن علي ، كتاب التواصل الى حفظ التناسل ، ألفه في سنة احدى واربعين وأربعمائة ، رسالة
الى الاستاذ ابي طاهر بن عبد الباقي المعروف بابن قطرمين جوابا عن مسألته في الطهارة ووجوبها .
رسالة في بيان وجوب حركة النفس . كتاب نواذر المسائل مقتضبة من علم الاوائل في الطب .
كتاب تذكرة الحاضر وزاد المسافر ، كتاب الخاص في علم الخواص ، كتاب طبائع الحيوان وخواصها
ومنافع اعضائها ألفه للامير نصير الدولة .

خصيب

كان نصرانيا من أهل البصرة ومقامه بها ، وكان فاضلا في صناعة الطب جيد المعالجة .
حدث محمد بن سلام المجعي قال : مرض الحكيم بن محمد بن قنبر المازني الشاعر بالبصرة فأقوه
بخصيب الطبيب يعالجه فقال فيه :
ولقد قلت لاهلي إذ أتوني بخصيب

ليس والله خصيب للذي بي بطبيب
إنما يعرف دأبي^(١) من به مثل الذي بي
(الرمل)

وحدث أيضاً محمد بن سلام قال : كان خصيب الطبيب نصرانياً نبيلاً ، فسقى محمد بن أبي العباس السفاح شربة دواء وهو على البصرة فمرض منها ، وحل الى بغداد فمات بها ، وذلك في أول سنة خمسين ومائة . فاتهم خصيب فحبس حتى مات . فنظر في علته الى مائه وكان عالماً ، فقال : قال جالينوس : ان صاحب هذه العلة اذا صار هكذا ماؤه لا يعيش ، فقيل له ان جالينوس ربما أخطأ فقال : ما كنت الى خطئه قط أحوج مني اليه في هذا الوقت ، ومات من علته !

عيسى المعروف بابي قريش

قال اسحق بن علي الراوي في كتاب أدب الطبيب عن عيسى ابن ماسة قال : اخبرني يوحنا بن ماسويه أن أبا قريش كان صيدلاً تياً يجلس على موضع نحو باب قصر الخليفة ، وكان ديناً صالحاً في نفسه ، وان الخيزران^(٢) جارية المهدي^(٣) وجهت يوماً مع جارية لها الى الطبيب ، فخرجت الجارية من القصر فأرت أبا قريش الماء فقال لها : هذا ماء امرأة حبلى بفلان ، فرجعت الجارية بالبشارة ، فقالت لها : ارجعي اليه واستقصي المسألة عليه . فرجعت فقالت لها : ما قلت لك حق ، ولكن لي عليك البشري . فقالت : كم تريدن البشري ؟ قال : جامة فالودج^(٤) وخلعة سنية فقالت لها : ان كان هذا حقاً فقد سقت الى نفسك خير الدنيا ونعيمها . وانصرفت . فلما كان بعد أربعين يوماً أحسب الخيزران بالحمل فوجهت ببدره دراهم وكتعت الخبر عن المهدي . فلما مضت الايام ولدت موسى اخا هرون الرشيد . فعند ذلك اعلمت المهدي وقالت له : ان طبيباً على الباب أخبر بهذا منذ تسعة اشهر . وبلغ الخبر جورجس بن جبرائيل فقال : كذب ومخرقة . فغضبت له الخيزران وأمرت فاتخذت بين يديها مائة خوان فالودج ، ووجهت بذلك اليه مع مائة ثوب ، وفرس بسرجه ولجامه .

وما مضى بعد ذلك الا قليل حتى حبلت باخيه هرون الرشيد . فقال جورجس للمهدي جرب أنت هذا الطبيب ! فوجه اليه بالماء فلما نظر اليه قال : هذا ماء ابنتي أم موسى وهي حبلى بفلان آخر . فرجعت الرسالة بذلك الى المهدي وأثبت اليوم عنده ، فلما مضت الايام ولدت هرون ، فوجه المهدي الى أبي قريش فاحضره وأقيم بين يديه ، فلم يزل يطرح عليه الخلع وبدر الدنانير والدرهم

«١» هكذا ورد في - طبعة سابقة - واظن انها على الاصح دائي .

«٢» جارية اشتراها المهدي واعتقها ثم تزوجها وارادها موسى الهادي وهارون الرشيد .

«٣» ابن المنصور ، وهو ثالث الخلفاء العباسيين . وفي أيامه ظهرت الدعوة للامويين في الاندلس .

«٤» معرب بالوزن وهكذا تعرف اليوم وهي حلواء تعمل من لباب الحنطة - ن . ر -

حتى علت رأسه ، وسير هرون وموسى ^(١) في حجره ، وكناه أبا قريش أي ابا العرب . وقال لجورجس : هذا شيء انا بنفسى جربته . فصار أبو قريش نظير جرجس بن جبرائيل بل اكبر منه ، حتى تقدمه في المرتبة . وتوفي المهدي واستخلف هرون الرشيد ، وتوفي جرجس وسار ابنه تبع أبي قريش في خدمة الرشيد ، ومات أبو قريش وخلف اثنين وعشرين ألف دينار مع نعمة سنية .

وقال يوسف بن ابراهيم : حدثني العباس بن علي بن المهدي : أن الرشيد اتخذ مسجداً جامعاً في بستان موسى الهادي ، وأمر اخوته وأهل بيته بحضوره في كل يوم جمعة ليتولى الصلاة بهم فيه . قال فحضر والذي علي بن المهدي ذلك المسجد في يوم حار ، وصلى فيه وانصرف الى داره بسوق يحيى . فكسبه حر ذلك اليوم صداعاً كاد يذهب ببصره . فأحضر له جميع متطبيي مدينة السلام ، وكان آخر من احضر منهم عيسى أبو قريش ، فوافاهم قد اجتمعوا للمناظرة . فقال : ليس يتفق للجماعة رأي حتى يذهب بصر هذا . ثم دعا بدهن بنفسج وماء ورد وخل خمر وتلج ، فجعل في مضربة من ذلك الدهن بقدر وزن درهمين ، وصب عليه شيئاً من الخل وشيئاً من الماء ، وفت فيه شيئاً من التلج وحرك المضربة حتى اختلط جميع ما فيها ، ثم أمر بتصيير راحه منه وسط رأسه والصبر عليه حتى ينشف الرأس ، ثم زيادة راحة أخرى . فلم يزل يفعل ذلك ثلاث مرات أو أربع حتى سكن عنه الصداع وعوفي من العلة .

قال يوسف : وحدثني شكلة ام ابراهيم ابن المهدي أن المهدي هتف بها وهي معه في مضربه بالبردة ^(٢) من طريق مكة بلسان متغير أنكرته فصارت اليه وهو مستلق على القفا ، فامرها بالجلوس . فلما جلست وثب فعانقها معانقة الانسان لمن يسلم عليه ، ثم عبرها الى صدره وزال عنه عقله . فجهد جميع من حضرها بان يخلص يديه من عنقها فما وصلوا الى ذلك . وحضر المتطبيون فاجمعوا على أن الذي به فالج . فقال عيسى أبو قريش : المهدي بن المنصور بن محمد بن علي بن العباس يضر به فالج ؟ لا والله لا يضرب أحداً من هؤلاء ولا نسلهم فالج أبداً إلا ان يبذروا بذورهم في الروميات والصقليات وما اشبهن فيعرض الفالج لمن ولده الروميات وأشباهن من نسلهم . ثم دعا بالحجام فحجمه ، فوالله ما ان خرج من دمه الا محجمة واحدة حتى رد اليه يديه . ثم تكلم مع المتعجمة الثانية ، ثم تاب اليه عقله قبل فراغ الحجام من حجامته . ثم طعم بعد ذلك ودعا بام أسماء بنت المهدي فواقعها فاحبلها بأسماء .

قال يوسف : ولما اشتدت بابراهيم بن المهدي علته التي توفي فيها ، استرخى لحيه ، وغلظ لسانه في فيه فصعب عليه الكلام . وكان اذا تكلم توهمه سامعه مفلوجاً . فدعاني وقت صلاة العصر من يوم الثلاثاء لست خلون من شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائتين فقال لي : « اما تعجب من عرض هذه

(١) الخليفة العباسي الرابع قتل بعد توليه الخلافة بسنة بسعاية الخيزران ام الرشيد لأنه ولي اخيه جعفر على الرشيد . وفي عهده غزا العرب اسيا الصغرى .

(٢) قرية قرب المدينة فيها قبر ابي ذر العفاري (ن. ر)

العله التي لم تعرض لأحد من ولد أبي غير اسماعيل بن موسى أمير المؤمنين ومحمد بن صالح المسكين .
وانما عرضت لمحمد لأن أمه كانت رومية ، وأم أبيه كانت كذلك . وكانت ام اسماعيل رومية . وأنا
فلم تلدني رومية ، فما العلة عندك في عرض هذه العلة لي ؟ فعلت انه كان حفظ عن أمه قول عيسى أبي
قريش في المهدي ولده انه لا يعرف لعقبه الفالاج الا ان يبذروا بذورهم في الروميات ، وانه قد أمل
ان يكون الذي به فالجاً لا عارض الموت . فقلت : « لا أعرف لانكارك هذه العلة معنى ، اذ كانت
أملك التي قامت عنك دنباوندية ودنباوند^(١) أشد برداً من كل أرض الروم » ، فكانه تفرج الى قولي
وصدقني وأظهر السرور بما سمع مني . ثم توفي في وقت طلوع الفجر من يوم الجمعة تسع خلوف من
شهر رمضان .

قال يوسف : وحدثني ابراهيم بن المهدي أن لحم عيسى بن جعفر بن المنصور كثر عليه حتى كاد
أن يأتي على نفسه . وان الرشيد اغتم لذلك فها شديداً أضر به في بدنه ومنعه لذة الطعام والمشرب ،
وأمر جميع المتطبيين بمعالجته . فكلهم دفع ان يكون عنده في ذلك حيلة . فزادوا الرشيد غماً الى ما
كان عليه منه . وان عيسى المعروف بأبي قريش صار الى الرشيد سراً فقال له : يا امير المؤمنين ،
ان اخاك عيسى بن جعفر رزق معدة صحيحة وبدناً قابلاً للغذاء احسن قبول ، وجميع الامور جارية
له بما يحب ، فليس يتمنى شيئاً الا تم له على اكثر مما يحبه . وقد وفي موت احبته ، ودخول النقص في
ماله ، والظلم من ناحية سلطانه ، والاستقصاء عليه . والابدان متى لم تختلط على اصحابها طبائعهم
واحواهم فتنالهم العلل في بعض الاوقات ، والصحة في بعضها والغموم في بعضها ، والسرور في بعضها
ورؤية المكاره في بعضها والحجاب في بعضها ، وقدخلها الروعة احياناً ، والفرح احياناً ، لم يؤمن على
صاحبها التلف . لان لحمه يزاد حتى تضعف عن حمله العظام ، وحتى يغمر فعمل النفس ، وتبطل
قوى الدماغ والكبد . ومتى كان هذا عدمت الحياة ، وأخوك هذا ان لم تظهر موجدة عليه او تغير
له او تقصده بما ينكي قلبه من حيازة مال او أخذ عزيز عليه من حرمه ، لم آمن عليه تزايد هذا
الشحم حتى يتأني على نفسه . فان احببت حياته فافعل ذلك به والا فلا لك .

فقال الرشيد : انا اعلم أن الذي ذكرت على ما قلت . غير انه لا حيلة عندي في التغير له او غمه
بشيء من الاشياء ، فان تكن عندك حيلة في امره فاحتل بها . فاني اكفئك عنه متى رايت لحمه قد
انحط بعشرة آلاف دينار ، وأخذ لك منه مثلها . فقال عيسى : عندي حيلة إلا اني اتخوف ان
يمجل على عيسى بالقتل فتتلف نفسي . فليوجه معي امير المؤمنين خادماً جليلاً من خدمه ، ومعه
جماعة يمنعونه مني ان امر بقتلي . ففعل ذلك به وسار اليه ، فجسه واعلمه أنه يضطر الى مجسة عرقه
ثلاثة ايام قبل ان يذكر له شيئاً من العلاج . فأمره عيسى بالانصراف والعود اليه . ففعل ذلك وعاد
في اليوم الثاني والثالث . فلما فرغ من مجسة عرقه قال له : « ان الوصية مباركة ، وهي غير مقدمة

(١) جبل شامق في ناحية كرمان وكذلك في ناحية الري الذي غرب اليه ابا الحسنكة لمعاتاته التبرنج - وهو اخذ كالسحر
وليس به - .

ولا مؤخرة ، وانا ارى للامير ان يعهد فان لم يحدث حادث قبل اربعين يوماً عاجلته في ذلك بعلاج لا يمضي به إلا ثلاثة ايام حتى يخرج من علته هذه ، ويعود بدنه الى احسن مما كان عليه . ، ونهض من مجلسه وقد اسكن قلب عيسى من الخوف ما امتنع له من اكثر الغذاء ، ومنعه من النوم فلم يبلغ اربعين يوماً حتى انحط من منطقته خمس بشيزجات ، واستقر عيسى ابو قريش في تلك الايام عن الرشيد خوفاً من اعلام الرشيد عيسى بن جعفر تدبير عيسى المتطبيب لاسكان الغم قلبه ، فيفسد عليه تدبيره . فلما كان ليلة يوم الاربعين سار الى الرشيد وأعلمه انه لا يشك في نقصان بدن عيسى ، وسأله احضاره مجلسه او الركوب اليه ، فركب اليه الرشيد ، فدخل عليه ومعه عيسى ، فقال له عيسى : « اطلق لي يا امير المؤمنين قتل هذا الكافر فقد قتلني » . واحضر منطقته فشدّها في وسطه وقال : يا امير المؤمنين نقص هذا العدو ، والله ، من بدني بما ادخل علي من الروح خمس بشيزجات ، فسجد الرشيد شكراً لله ، وقال له : يا اخي متعت^(١) بك بابي عيسى - وكان الرشيد كثيراً ما يقول له بابي عيسى - ردت اليك بعد الله الحياة ، ونعم الحيلة احتال لك ، وقد امرت له بعشرة آلاف دينار فأوصل اليه مثلها . ففعل ذلك له وانصرف المتطبيب الى منزله بالمال ، ولم يرجع إلى عيسى بن جعفر ذلك الشحم الى ان فارق الدنيا .

قال يوسف : وحدثني ابراهيم بن المهدي انه اعتل بالرقعة مع الرشيد علة صعبة ، فامر الرشيد بحدره الى والدته بمدينة السلام ، فكان بختيشوع جد بختيشوع الذي كان في دهرنا هذا لا يزياله ويتولى علاجه . ثم قدم الرشيد مدينة السلام ومعه عيسى ابو قريش ، فذكر أن أبا قريش أتاه عائداً ، فرأى العلة قد أذهبت لجه واذابت شحمه واسارقه الى اليأس من نفسه ، وكان اعظم ما عليه في علته شدة الحمة . قال ابو اسحق : فقال لي عيسى وحق المهدي لاعالجنك غداً علاجاً يكون به بروك قبل خروجي من عندك . ثم دعا القهرمان بعد خروجه فقال له لا تدع بمدينة السلام أسمن من ثلاثة فراريج كسكرية تذبجها الساعة ، وتعلقها في ريشها حتى آمرك فيها بأمرى غداة غد . ثم بكر إلي ومعه ثلاث بطيخات رمشية قد بردها في الثلج ليلته كلها فلما دخل علي دعا بسكين فقطع لي من احداهن قطعة ثم قال لي : كل هذه القطعة ، فاعلمته أن بختيشوع كان يحميني من رائحة البطيخ ، فقال لي : لذلك طالعتك ، فكل فانه لا بأس عليك . فأكلت القطعة التذاذاً مني لها ثم امرني بالاكل ، فلم أزل أكل حتى استوفيت بطيختين . ثم انتهت نفسي فقطع من الثالثة قطعة وقال : جميع ما أكلت للذة فكل هذه القطعة للعلاج . فأكلتها بتكره . ثم قطع قطعة اخرى وأوما الى الغلمان باحضار الطشت وقال لي : كل هذه القطعة أيضاً . فما أكلت ثلثها حتى جاشت نفسي وذرعني القيء فتقيأت أربعة أضعاف ما أكلت من البطيخ ، وكل ذلك مرة صفراء . ثم اغمي علي بعد ذلك القيء وغلب علي العرق والنوم الى بعد صلاة الظهر ، فأنتهت وما اعقل جوعاً ، وقد كانت شهوة الطعام بمنعة مني ، فدعوت بشيء آكله ، فاحضرني الفراريج الثلاثة ، وقد طبخ لي منها

(١) متع بفلان كاذبه .

سكباج وأجادها طهاتها فاكلت منها حتى تضلعت ، ونمت بعد أكلي الى آخر اوقات العصر ، ثم قمت وما أجد من العلة قليلا ولا كثيراً ، واتصل بي البرء فما عادت إلي تلك العلة منذ ذلك اليوم .

الجلجلاج

قال يوسف بن ابراهيم : حدثني اسمعيل بن ابي سهل بن نوبخت ^(١) ان أباه أبا سهل ، حدثه : أن المنصور لما حج حجه التي توفي فيها ، رافق ابن الجلجلاج متطبيب المنصور ، فكانا متى نام المنصور تنادما الى أن سأل ابن الجلجلاج ، ^(٢) وقد عمل فيه النبيذ ، أبا سهل عما بقي من عمر المنصور . قال اسمعيل : فاعظم ذلك والدي وقطع النبيذ وجعل على نفسه أن لا ينادمه ، وهجره ثلاثة أيام ، ثم اصطلحا بعد ذلك ، فلما جلسا على نبيذهما ، قال ابن الجلجلاج ' لابي سهل : « سألتك عن علمك ببعض الامور فبخلت به وهجرتني ، ولست أبخل عليك بعلمي فاسمعه » ثم قال : « ان المنصور رجل محرور تزدد يبوسة بدنه كلما أسن ، وقد حلق رأسه بالحيرة ، وجعل مكان الشعر الذي حلقه غالية ^(٣) وهو في هذا الحجاز يداوم الغالية ، وما يقبل قولي في تركها ، ولا أحسبه يبلغ الى قيد ^(٤) حتى يحدث في دماغه من اليلس ما لا يكون عندي ولا عند احد من المتطبيين حيلة في تروطيه . فليس يبلغ قيد ، إن بلغها ، إلا مريضاً ؛ ولا يبلغ مكة ، ان بلغها ، وبه حياة . قال اسمعيل ، قال لي والدي : فوالله ما بلغ المنصور قيد إلا وهو عليل ؛ وما وافى مكة الا وهو ميت ، فدفن ببئر ميمون ^(٥) .

قال يوسف : فحدثت ابراهيم بن المهدي بهذا الحديث فاستحسنه ، وسألني عن اسم أبي سهل بن نوبخت فاعلمته باني لا أعرفه . فقال ان الخبر في اسمه أطرف من حديثك الذي حدثتني عن ابنه ، فاحفظ عني . ثم قال لي : حدثني أبو سهل بن نوبخت ، أنه لما ضعف عن خدمة المنصور أمره المنصور باحضار ولده ليقوم مقامه ، قال ابو سهل : فادخلت على المنصور فلما مثلت بين يديه قال لي : تسم لامير المؤمنين ؟ فقلت : خرخشا ذماه طياذاه ما ذرياد خسرو بهمشاذ . فقال لي : كل ما ذكرت اسمك ؟ قلت : نعم ، فتبسم ثم قال لي : ما صنع أبوك شيئاً ؛ فاختر مني خلة من خلتين ، قلت : وما هما ؟ قال : اما أن اقتصر بك من كل ما ذكرت على طياذ ، واما أن اجعل لك كنية تقوم مقام الاسم وهي ابو سهل قال ابو سهل : قد رضيت بالكنية . فثبت كنيته وبطل اسمه . فحدث بهذا الحديث اسمعيل بن ابي سهل فقال : صدق أبو اسحق ، كذا حدثني والدي .

(١) بنو نوبخت عائلة اشتهرت في بغداد بنفوذها ومطالبتها بحقوق اهل الشيعة .
(٢) الخليفة العباسي الثاني وفي عهده تأسست بغداد فصارت عاصمة العباسيين توفي سنة ٧٧٥ .
(٣) اخلاط من الطيب .
(٤) موضع بالبادية او قلعة او بلدة في طرف مكة في منتصف الطريق من الكوفة (ن ر) .
(٥) بئر بمكة .

عبدالله الطيفوري

كان حسن العقل ، طيب الحديث على لكنة سوادية كانت في لسانه شديدة لان مولده كان في بعض قرى كسكر كان من احظى خلق الله عند الهادي .

قال يوسف بن ابراهيم : حدثني الطيفوري انه كان متطببا لطيفور الذي كان يقول انه اخو الخيزران والناس يقولون أو أكثرهم انه مولى الخيزران ولما وجه المنصور المهدي الى الري لمحاربة سنقار ، حمل المهدي الخيزران ، وهي حامل بموسى ، وخرج طيفور معها وأخرجني معه ، ولم تكن الخيزران علمت بما رزقت من الحمل . وكان عيسى المعروف بابي قريش صيدلانيا في العسكر ، فلما تبينت الخيزران ارتفاع العلة بعثت بمائها مع عجوز بمن معها وقالت لها : « أعرضي هذا الماء على جميع المتطبين الذين في عسكر المهدي ، وجميع من ينظر في ذلك » . ففعلت العجوز ، وكنا في ذلك الوقت بهمدان ^(١) . واجتازت في منصرفها بخيمة عيسى فرأت جماعة من غلمان اهل العسكر وقوفا يعرضون عليه قوارير الماء فكرهت ان تجوزه قبل ان ينظر الى الماء ، فقال لها ، عند نظره الى الماء : « هذا ماء امرأه ، وهي حامل بفلان » فأدت ^(٢) العجوز عنه ما قال الى الخيزران . فسجدت شكراً لله وأطلقت عدة بمالك ، وسارت الى المهدي فأخبرته بما قالت العجوز فاطهر من السرور بذلك اكثر من سرورها ، وأمر بأحضار عيسى ، وسأله عما قالت العجوز فأعلمه ان الأمر على ما ذكرت . فوصله ووصلته الخيزران بمال جليل ، وأمره بلزوم الخدمة وترك خيمته وما كان فيها من متاع الصيادلة .

قال الطيفوري : فاراد طيفور ان ينفعني فارسل الى الخيزران إن متطبي ماهر بصناعة الطب قابضي اليه بالماء حتى يراه . ففعلت ذلك في اليوم الثاني ، فقال : لي قل مثل قول عيسى فاعلمته أن الماء يدل على انها حامل ، فاما تمييز الغلام من الجارية فذلك ما لا أقوله . فجهدي في كل الجهد أن اجيبه الى ذلك فلم افعل صيانة لنفسى عن الاكتساب بالمحرقة . فأدى قولي اليها فامرت لي بألف درهم واحد وأمرت بملازمتها . فلما وافقت الري ولدت بها الهادي . وصح عند المهدي أن ابا قريش عنين ^(٣) بعد ان امتحن بكل محنة ، فسر بذلك واحظاه وتقدم عنده على جميع الخصيان . وكان ذلك من اسباب الصنع لي . فضممت الى امير المؤمنين موسى ودعيت متطبيه وهو رضيع وفطيم .

ثم ولدت هرون الرشيد بالري ايضاً فكان مولده كان شؤم على الهادي لان الخطوة كلها او اكثرها صارت له دونه . فأضر بي ذلك في جاهي ، وما كنت فيه من كثرة الدخل ، الى ان ترعرع موسى ففهم الامر . فكان ذلك بما زاد في جاهي وجيل رأيه في . فكانت ينيلني من افضاله أكثر مما كانت الخيزران تنيلني ، وفتح الله على المهدي وقتل سنقار وطراحته شهریار أبا مهرويه : وخلص ، وبسخر

(١) مدينة في ايران جنوبا بقرب منها قبر ابن سينا .

(٢) امرعت .

(٣) مصاب بالحنة وهي عدم القدرة على مقارفة النساء (ن.ر) .

أبا الحرث بن بسخنز ، والرربعين وسبى ذرارهم ، فكان من ذلك السي مهرويه وخلد وقرابتها شاهك وكانت على مائدة شهريار وهي ام السندي ابن شاهك^(١) ، وكان منهم الحرث بن بسخنز ، وجميع هؤلاء الموالي الرازيين .

ثم أدرك الهادي وأفضت الخلافة الى المهدي فاتصل بي الامر وعظم قدري لاني صرت متطبب ولي العهد . ثم ملك الهادي أمة العزيز ، فكانت اعز عليه من جلدة ما بين عينيه ، وهي أم جعفر وعبدالله واسماعيل واسحق وعيسى المعروف بالجرجاني وموسى الأعمى ، وام عيسى زوج المأمون وأم محمد وعبيدالله ابنتيه . فبناني موسى الهادي جميع ولدها ، وأعلم أمة العزيز أنه يتبرك بي ، فقلت منها اكثر من أملي بما كان من الهادي .

ثم دبر الهادي البيعة لابنه جعفر ابن موسى ، فدعاني قبل البيعة بيوم فخلع علي وحلني على دابة من دواب رحله بسرجه ولجامه ، وأمر لي بمائة الف حملت الى منزلي ، وقال : لا تبرح الدار باقي يومك وليلتك واكثر نهار غدك حتى ابايح لابنك جعفر ، فتنصرف الى منزلك وأنت انبل الناس لانك توليت تربية ابن خليفة صار ولي العهد ، ووكل لي العهد الخلافة فريت ابنه الى ان صار ولي عهده وبلغ أمة العزيز الخبر ، ففعلت بي مثل الذي فعل الهادي من الصلة وحملت إلى منزلي ثياب صحاح ، ولم تحملني على دابة وأقمت في الدار بعيساباذ الى أن طلعت الشمس من غد اليوم الذي نلت فيه ما نلت .

ثم جلس الهادي وقد أحضر جميع بني هاشم فاخذت عليهم البيعة لجعفر ، وأحلفوا عليها وعلى خلع الرشيد . ثم آل زائدة فكان يزيد بن مزيد أول من خلع الرشيد وبايع جعفر بعده ، ثم شراحيل بن معن بن زائدة وأهل بيته ، ثم سعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم ؛ ثم آل مالك . وكان أول من بايع منهم عبدالله : ثم الصحابة وسائر مشايخ العرب ، ثم القواد . فما انتصف النهار الا وقد بايع اكثر القواد ، وكان في القواد هرثة بن أعين ولقبه المشؤوم ، وكان المنصور قد قوده على خمسمائة ولم يكن له حركة بعد أن قود فتوفي اكثر أصحابه ، ولم يثبت له مكان من توفي منهم فاحضره وأمره بالبيعة . فقال له : يا امير المؤمنين ، لمن ابايح ؟ فقال له لجعفر بن امير المؤمنين . قال : ان يميني مشغولة ببيعة امير المؤمنين وشمالي مشغولة ببيعة هرون فابايح بماذا ؟ فقال له : تخلع هارون وتبايع جعفرأ . فقال : « يا امير المؤمنين ، أنا رجل ادين بنصيحتك ونصيحة الائمة منك اهل البيت وبالله لو تخوفت ان تحرقني على صدي اياك بالنار لما حجزني ذلك عن صدقك . ان البيعة ، يا امير المؤمنين ، انما هي ايمان وقد حلفت لهارون بمثل ما تستحلفني به لجعفر . وان خلعت اليوم هارون خلعت جعفر في غد ؛ وكذلك جميع من حلف لهارون على هذا فغدر به . قال ، فاستشاط موسى من قوله وأمر بوجه^(٢) عنقه . وتسارعت جماعة من الموالي والقواد نحوه بالجررة^(٣) والعمد ، فنهزم

(١) صاحب الحبس على أيام المهدي .

(٢) ضربه بالسكين وقطعه .

(٣) الأعمدة من حديد .

الهادي عنه .

ثم عاوده الامر بالبيعة فقال : يا امير المؤمنين قولي هذا قولي الاول . فزبره ^(١) الهادي وقال له : اخرج الى لعنة الله ، لا بايعت ولا بايع اصحابك الف سنة . ثم امر بإخراجه من الدار بعيسا باذا واسقاط قيادته ، وقال : أطلقوه لينفذ حيث أحب ، لاصحبه الله ولا كلاًه . ثم وجم مقدار نصف ساعة لا يأمر ولا ينهى ، ثم رفع رأسه ، وقال ليندون خادمه : الحق الفاجر . فقال له : الحق فأصنع به ماذا ؟ فقال : ترده على امير المؤمنين . قال ، فلحقه يندون فيما بين باب خراسان وباب بردان بالقرب من الموضع المعروف بباب النقب وهو يريد منزله على نهر المهدي فرداه . فلما دخل قال له : يا حائك تبائع أهل بيت امير المؤمنين فيهم عم جده وعم ابيه وعمومته واخوته وسائر لمته ، وتبايع وجوه العرب والموالي والقواد ، وتمسك أنت عن البيعة ؟ فقال هرثة : يا أمير المؤمنين وما حاجتك الى بيعة الحائك بعد بيعة من ذكرت من اشراف الناس ؟ ألا ان الامر على ما حكيت لك ، انه لا يخلع اليوم احد هرون ويبقى في غد لجعفر .

قال الطيفوري : فالتفت الهادي الى من حضر مجلسه فقال لهم : شأنت الوجوه ، صدق والله هرثة وبر ، وغدرتم . وأمر الهادي عند هذا الكلام لهرثة بخمسين الف درهم ، وأقطع الموضع الذي لحقه فيه يندون ، فسمي ذلك الموضع عسكر هرثة الى هذه الغاية . وانصرف الناس كلهم ، في أمر عظيم من أمر ذي قدر ، قد غمه ما لقيه به الخليفة . وبما يتوقعه من البلاء إن حدث بأهله حادث ، لمسارعتهم الى خلع الرشيد ، ومن بطانته لجعفر قد كانوا أملوا خلافة صاحبهم ، والغنى بما قد قلد منها ، فصاروا يتخوفون على نفس صاحبهم التلف . وعلى أنفسهم ان سلموا من القتل والبلاء والفقر .

ودخل موسى الهادي على أمة العزيز فقالت له : « يا أمير المؤمنين ما أحسب احداً عاين ولا سمع بمثل ما عاينا وسمعنا ، فانا اصبحنا في غاية الأمل لهذا الفتى ، وأمسينا على غاية الخوف عليه . فقال : « ان الأمر لملى ما ذكرت وأزيدك واحدة » . قالت : « وما هي يا أمير المؤمنين » ؟ قال : « أمرت برد هرثة لأضرب عنقه . فلما مثل بين يدي حيل بيني وبينه واضطرت الى ان وصلته واقطعته ، وأنا على زيادة ورفع مرتبته والتزويه باسمه ، فبككت أمة العزيز ، فقال لها : « ارجو ان يسرك الله » . فتوهمت وقوم جميع من يطيف بها انه على اغتيال الرشيد بالسهم ، فلم يمهل ولم تمض به ليال قلائل حتى توفي الهادي وولي الخلافة هرون الرشيد ، فوالله لقد أحسن غاية الاحسان في أمر جعفر وزاده نعماً الى نعمه وزوجه أم محمد ابنته .

قال يوسف بن ابراهيم ، وحدثني أبو مسلم عن حميد الطائي المعروف بالطوسي — ولم يكن حميد طوسياً ، وكانت كورته في الديوان مرو ، وكذلك كورة طاهر مرو ، والطاهر ولي بوشنج ، وموسى ابن أبي العباس الشاشي لم تكن كورته الشاش ، وكورته هراة ، ومحمد بن أبي الفضل الطوسي كورته

(١) انتهره .

نسا ، وهو منسوب الى طوس ؛ والسبب في نسب هؤلاء وعدة من اصحاب الدولة الى غير كورم أن منهم من كان مخرجه في كورة فنسب الى الكورة التي فيها ضياعه ، ومنهم من ولي بسلداً طالبت فيه ولايته إياه فنسب الى ذلك البلد - قال ابو مسلم : اعتل ابو غانم ، يعني أباه ، علة صعبة فتولى علاجه منها الطيفوري المتطبب ، وكان في ابي غانم حدة شديدة تخرجه الى قذف اصحابه ، والى الاقدام بالمكره عليهم . فاني لواقف على رأسه وانا غلام في قبادر زيرون اذ دخل عليه الطيفوري فجلس عرقه ونظر الى مائه ، ثم ناجاه بشيء لم افهمه ، فقال له : كذبت يا ماص بظر (١) أمه ، فقال له الطيفوري : أعض الله ، أكذبنا بكذا وكذا من أمه . فقلت في نفسي ذهبت والله نفس الطيفوري . فقال ابو غانم : « يا ابن الكافرة لقد أقدمت ، ويلك ، كيف اجترأت علي بهذا ؟ » فقال له : « والله ما احتملت سيدي الهادي قط على لقائي بحرف خشن » ولقد كان يقذفني فارد عليه مثل قوله فكيف احتمل لك وأنت كلب قذفي ؟ » فحلف لي ابو مسلم انه رأى أباه ضاحكاً باكباً يفهم في بعض أسرة وجهه الضحك ، وفي بعضها البكاء . ثم قال له : « والله ! انك كنت ترد على امير المؤمنين الهادي القذف الذي كان يقذفك به ؟ » فقال له الطيفوري : اللهم نعم . فقال له : فأسألك بالله لما أحببت في عرض حميد ما أحببت ، وقذفته بما شئت من القذف ؛ متى قذفتك ؟ ثم بكى على الهادي بكاء كثيراً .

قال يوسف : فسألت الطيفوري عما حدثني به ابو مسلم من ذلك ، فبكى حتى تحوفت عليه الموت مما تداخله من الجرع عند ذكر حميد وقال : والله ما عاشرت بعد الهادي أحر نفساً ، ولا أكرم طبعاً ، ولا اطيب عشرة ، ولا أشد انصافاً من حميد ؛ إلا انه كان صاحب جيش ، فكان يظهر ما يجب على أصحاب الجيوش اظهاره ، فاذا صار مع اخوانه كان كأنه من المنقطعين اليهم لا من المفضلين عليهم .

قال يوسف : وحدثني الطيفوري انه كان مع حميد الطوسي بقصر ابن هيرة أيام تغلب صاحبنا على مدينة السلام وما والاها ، فقدمت عليه جماعة من جبل طيء عليهم رئيس لهم يقدمونه على أنفسهم ، ويقرون له بالفضل والسؤدد عليهم . فأذن له في الدخول عليه في مجلس عام قد احتشد لاظهار عدده فيه ، ثم قال لذلك الرئيس : « ما أقدمك يا ابن عم ؟ » فقال له : قدمت مدداً لك اذ كنت على محاربة هذا الدعي لما لا يجب له ولا يستحقه ، يعني صاحبنا . فقال له حميد : « لست أقبل مدداً إلا من وثقت بصرامته ، وقوة قلبه ، واحتماله لما تصعب على أكثر الناس في نصرتي ؛ ولا بد من امتحانك ، فان خرجت على المحنة قبلتك ، والا رددتك الى أهلك » . فقال له الطائي : « فامتحني بما أحببت ! » فأخرج حميد عموداً من تحت مصلاه . ثم قال له : « أبسط ذراعك » . فبسط ذراعه ، فحمل حميد العمود على عاتقه ثم هوى به الى ذراع الطائي . فلما قرب العمود من ذراعه رفع يده فظهر حميد غضباً عليه ، ثم قال له : رددت يدي . فترضاها الطائي ثم دعاه الى معاودة امتحانه . فأمره حميد باظهار ذراعه ، ففعل ، فرفع حميد العمود ليضرب به ذراعه . فلما قرب العمود من ذراع

(١) البظر ما يقطع في ختان الجارية . وقوله يا ماص بظر أمه شتيمة وتحقير .

الطائي فعل مثل فعله في المرة الاولى . فلما جذب ذراعه ولم يمكن حميداً من ضربها بالعمود أمر بسجنه بعد سجنه في مجلسه ، وأخذ دوابه ودواب أصحابه وطردهم من معسكره . فانصرفوا من عنده رجالة بأسوأ حال .

قال الطيفوري فلمته على ما كان منه . فاستضحك ثم قال لي : « قد أطلقت لك الضحك مني ، والاستهزاء بي ، وقذف عرضي متى تكلمت في الطب بحضرتك بشيء تنكره . فأما قيادة الجيوش فذلك ما ليس لك فيه حظ ، فلا تنكرن مخالفة رأيك رأيي » . ثم قال لي : أنا رجل من يمين ، وكان الرسول ﷺ ، مضرباً ، والخلافة في أيدي مضر . فكما اني أحب قومي فكذلك الخلفاء تحب قومها ؛ وان أظهرت ميلاً الى قومي في بعض الاوقات ، وانحرافاً عن هو أمس بها رحماً مني ، فاني غير شاك في ميلها اليهم اذا حققت الحقائق . ومعني من أبناء نزار بشر كثير . وكان في استشاري من قدم علي من قومي مفسدة لقلوب من قد امتحنته ، وعرفت بلاءه من الزارية . ولست أدري لعل كل من أتاني من عشيرتي لا يساوي رجلاً واحداً من الزارية ، فاردت بما كان مني استجلاب قلوب من معي ، وأن ينصرف من أتاني من عشيرتي منذرين لا مبشرين . لانهم متى انصرفوا منذرين انقطع عنا مآذهم ، ومتى انصرفوا مبشرين أتاني منهم من لا يسعه مال ما في ايدينا من السواد . فعلمت أنه قد أصاب التدبير ولم يخطيء فيما بنى عليه امره .

ذكر يابن الطيفوري

قال يوسف بن ابراهيم ، حدثني زكريا بن الطيفوري قال : كنت مع الافشين (١) في معسكره وهو في محاربة بابل (٢) فأمر باحصاء جميع من في عسكره من التجار وحوانيتهم ، وصناعة رجل رجل منهم ، فرفع ذلك اليه . فلما بلغت القراءة بالقارىء الى موضع الصيادلة قال لي : « يا زكريا ، ضبط هؤلاء الصيادلة عندي أولى ما تقدم فيه ، فامتنعهم حتى نعرف منهم الناصح من غيره ، ومن له دين ومن لا دين له » . فقلت : « اعز الله الامير ، ان يوسف لقوة الكيمياء كان يدخل على المأمون كثيراً ويعمل بين يديه . فقال له يوماً : ويحك يا يوسف ، ليس في الكيمياء شيء ؟ فقال له : « بلى يا أمير المؤمنين ، وانما آفة الكيمياء الصيادلة . قال له المأمون : ويحك ، وكيف ذلك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ان الصيدلاني لا يطلب منه انسان شيئاً من الأشياء كان عنده أو لم يكن إلا أخبره بأنه عنده ، ودفع اليه شيئاً من الأشياء التي عنده ، وقال هذا الذي طلبت . فان رأى أمير المؤمنين أن يضع اسماً لا يعرف ، ويوجه جماعة الى الصيادلة في طلبه ليبنتاه فليفعل . فقال له المأمون : قد وضعت الاسم وهو سقطيثا — وسقطيثا ضيعة تقرب من مدينة السلام . ووجه

(١) هو قائد جيوش المعتصم . رمي بالكفر ومات في السجن جوعاً .

(٢) زعيم فرقة الحرورية من الاسماعيليين . حارب المعتصم وانكسر ثم صلب سنة ٨٣٨ (ن . ر)

المأمون جماعة من الرسل يسألهم عن سقطيتنا ، فكلهم ذكر انه عنده ، وأخذ الثمن من الرسل ودفع اليهم شيئاً من حانوته ، فصاروا الى المأمون بأشياء مختلفة . فمنهم من أتى ببعض البزور ، ومنهم من أتى بقطعة من حجر ، ومنهم من أتى بوبر . فاستحسن المأمون نصيح يوسف لقوة عن نفسه ، وأقطعهم ضيعة على النهر المعروف بنهر الكلبة ، فهي في أيدي ورثته ومنها معاشهم . فأله رأى الأمير ان يتمتع هؤلاء الصيادلة بمثل محنة المأمون فليفعل . فدعا الافشين بدفتر من دفاتر الاسروشنية فاخرج منها نحواً من عشرين اسماً ووجه الى الصيادلة من يطلب منهم أدوية مسماة بتلك الاسماء ، فبعضهم أنكرها وبعضهم ادعى معرفتها وأخذ الدراهم من الرسل ودفع اليهم شيئاً من حانوته ، فأمر الافشين باحضار جميع الصيادلة ، فلما حضروا كتب لمن أنكر معرفة تلك الاسماء منشورات اذن لهم فيها بالمقام في عسكره ؛ ونفى الباقين عن العسكر ، ولم يأذن لأحد منهم في المقام ، ونادى المنادي بنفهم ، وبإباحة دم من وجد منهم في معسكره . وكتب الى المعتصم يسأله البعثة اليه بصيادلة لهم أديان ومذهب جميل ، ومتطبين كذلك ؛ فاستحسن المعتصم ذلك ووجه اليه بما سأل .

اسرائيل بن زكريا الطيفوري

متطبب الفتح ^(١) بن خاقان ، كان مقدماً في صناعة الطب ، جليل القدر عند الخلفاء والملوك ، كثيرى الاحترام له . وكان مختصاً بخدمة الفتح بن خاقان بصناعة الطب وله منه الجامكية الكثيرة والأنعام الوافرة ، وكان المتوكل بالله يرى له كثيراً ويعتمد عليه ، وله عند المتوكل المنزل المكيمة . ومن ذلك مما حكاه اسحق بن علي الرهاوي في كتاب أدب الطبيب ان اسرائيل بن زكريا ابن الطيفوري وجد ^(٢) على امير المؤمنين المتوكل لما احتجم بغير اذنه ، فاقتدى غضبه بثلاثة آلاف دينار وضيعة قتل له في السنة خمسين ألف درهم ، وهبها له وسجل له عليها .

وحكي عن عيسى بن ماسة قال : رأيت المتوكل وقد عاده يوماً ، وقد غشي عليه ، فصير يده تحت رأسه مخدة ، ثم قال للوزير : يا عبدالله حياتي معلقة بحياته ان عدمته لا أعيش . ثم اعتل فوجه اليه سعيد بن صالح حاجبه وموسى بن عبد الملك كاتبه يعودانه .

ونقلت من بعض التواريخ ان الفتح بن خاقان كان كثير العناية باسرائيل بن الطيفوري ، فقدمه عند المتوكل ولم يزل حتى انس به المتوكل وجعله في مرتبة بختيشوع وعظم قدره ، وكان متى ركب الى دار المتوكل يكون موكبه مثل موكب الأمراء وأجلاء القواد ، وبين يديه أصحاب المقارع ، واقطعه المتوكل قطيعة يسرى من رأى وأمر المتوكل صقلاب وابن الحيدري بأن يركبا معه ويدورا جميع سر من رأى حتى يختار المكان الذي يريده ، فركبا حتى اختار من الحيز خمسين ألف ذراع وضربا النار عليه ، ودفع اليه ثلثمائة ألف درهم للنفقة عليه .

(١) وزير المتوكل وقتل مع المتوكل سنة ٨٦١ .

(٢) غضب .

يزيد بن زيد

يزيد بن زيد بن يوحنا بن ابي خالد ، متطبب المأمون ، كان جيد العلم ، حسن المعالجة ، موصوفاً بالفضل . وكان قد خدم المأمون بصناعة الطب ، وخدم أيضاً ابراهيم بن المهدي ، وكان له منه الاحسان الكثير ، والانعام الغزير ، والعناية البالغة ، والجامكية الوافرة . وكان يقال له أيضاً يزيد بور .

قال يوسف بن ابراهيم : حدثني أبو اسحق ابراهيم بن المهدي ان ثامة المبسي القعقاعي وهو ابو عثمان بن ثامة صاحب الجبار اعتل من خلفه ^(١) قطاوت به ، وكان شيخاً كبيراً . قال ابو اسحق : فسألني الرشيد عن علته وأين بلغت به ، فأعلمته اني لا أعرف له خبراً ، فأظهر انكاراً لقولي ، ثم قال : رجل غريب من أهل الشرف قد رغب في مصاهرة أهله عبد الملك بن مروان ، وقد ولدت أخته خليفتين الوليد وسليمان ابني عبد الملك ، وقد رغب أبوك في مصاهرته فتزوج أخته ورغبت أنا أخوك في مثل ذلك منه فتزوجت ابنته ، وهو مع ذلك صحابي لجدك وأبيك ، ولاختك وأخيك ، فلا توجب على نفسك عيادته ؟ ثم امرني بالمصير اليه لعبادته ، فنهضت وأخذت معي متطبيي يزيد وصرت اليه . فدخلت على رجل توهمت انه في آخر حشاشة بقيت من نفسه ، ولم أر فيه للسألة موضعاً . فأمر يزيد متطبيي باحضار متطبيه فحضر ، فسأله عن حاله فأخبره انه يقوم في اليوم والليلة مائة مجلس . وأقبل يزيد يسأل المتطبيب عن باب باب من الأدوية التي تشرب وعن السفوفات والحقن ، فلم يذكر لذلك المتطبيب شيئاً إلا أعلمه انه قد عالج به فلم ينجع فيه . فوجم عند ذلك يزيد مقدار ساعة ، ثم رفع رأسه وقال : قد بقي شيء واحد ان عمل به رجوت أن ينتفع به ، وان لم ينجع فيه فلا علاج له .

قال أبو اسحق : فرأيت ثامة قد قويت نفسه عندما سمع من يزيد ما سمع ثم قال : وما ذلك الشيء الذي بقي ، متعت بك ؟ قال له شربة اصطمخيقيون . فقال ثامة : أحب أن أرى هذه الشربة حتى اسم رائحتها . فأخرج يزيد من كفه مندبلاً فيه ادوية وفيه شربة اصطمخيقيون . فأمر بها ثامة فحلت ، ثم أتى بها فرمى بها في فيه وابتلعها . فوالله ما وصلت الى جوفه حتى سمعت منه أصواتاً لم أشك في اني لم ابلغ باب داره إلا وقد مات . فنهضت ومتطبيي معي ، وما أعقل غماً . وامرت خادماً لي كان يحمل معي الاسطرلاب ^(٢) اذا ركبنا بالمقام في داره وتعرف خبر ما يكون منه . فتخلف ، فوافاني كتاب الخادم بعد الزوال يعلمني « انه قام من بعد طلوع الشمس الى زوالها خمسين مرة » فقلت : تلفت والله نفس ثامة . ثم وافى كتاب الخادم بعد غروب الشمس « انه قام

(١) ذهب شهوة الطعام من المرض .

(٢) آلة يقيس بها الفلكيون ارتفاع الكواكب .

منذ زوال الشمس الى غروبها عشرين مجلساً . ثم صار الى الغلام مع طلوع الشمس فذكر انه لم يكن منه منذ غروب الشمس الى انتصاف الليل الا ثلاثة مجالس ، ولم يكن منه الى وقت طلوع الفجر شيء . فركبت اليه بعد ان صليت الغداة فوجدته نائماً ، وكان لا ينام ، فانتبه لي ، فسألته عن خبره ، فاعلمني انه لم يزل في وجع من جوفه مانع له النوم والقرار منذ أكثر من اربعين ليلة حتى أخذ تلك الشربة . فلما انقطع فعل الشربة انقطع عنه ذلك الوجع ، وانه لم يشته طعاماً منذ ذلك الوقت وانه ما يبصرني في وقته من غلبة الجوع عليه . وسأل الاذن في الأكل فاذن له يزيد في اكل أسفيدباجه قد طبخت من فروج كسكري سمين ، ثم اتباعها زيرباجة ، ففعل ذلك .

وصرت الى الرشيد فاخبرته بما كان من أمر ثامة . فاحضر المتطبب وقال له : ويحك كيف اقدمت على اسقائه حب الاصطمخيقون ؟ فقال : « يا أمير المؤمنين هذا رجل كان في جوفه كيموس فاسد ، فلم يكن يدخل في جوفه دواء ولا غذاء الا أفسده ذلك الكيموس . وكان كلما فسد من تلك الادوية والاعذية صار مادة لذلك الفساد ، فكانت العلة لهذا السبب تزداد . فعلت أنه لا علاج له الا بدواء قوي يقوى على قلع ذلك الكيموس . وكان اقوى الاشياء التي يمكن ان يسقاها الاصطمخيقون ، فقلت له فيه الذي قلت . ولم أقدم أيضاً على القول انه يبرئه لا بحالة ، وانما قلت بقي شيء واحد فان هو لم ينفعه فلا علاج له . وانما قلت ذلك لاني رأيت الرجل عليلًا قد اضعفته العلة ، وأذهبت أكثر قواه . فلم آمن عليه التلف ان شربه ، وكنت أرجو له العافية بشربه اياه . وكنت اعلم انه ان لم يشربه ايضاً تلف . فاستحسن الرشيد ما كان من قوله ووصله بعشرة آلاف درهم . ثم عاد الرشيد ثامة وقال له : « لقد اقدمت من شرب ذلك الدواء على امر عظيم ، وخاصة اذ كان المتطبب لم يصرح لك بأن في شربه العافية . فقال ثامة : « يا أمير المؤمنين ، كنت قد يئست من نفسي وسمعت المتطبب يقول ان شرب هذا الدواء رجوت ان ينفعه ، فاخترت المقام على الرجاء ولو لحظة ، على اليأس من الحياة فشربته ، وكانت في ذلك خيرة من الله عظيمة . »

اقول وهذه الحكاية تناسب ما روي عن النبي ﷺ ، انه جاء اليه رجل من العرب فقال : « يا رسول الله ، ان اخي قد غلب عليه الخوف وداويناؤه ولم ينقطع عنه بشيء ، فقال له عليه السلام : « اطعمه عسل النحل . » فراح واطعمه اياه فزاد الاسهال ، فأتى اليه وقال : « يا رسول الله ، كثر الاسهال به من وقت اطعمته العسل . » فقال : « اطعمه العسل . » فاطعمه ، فزاد الاسهال اكثر . فشكا ذلك الى النبي ، عليه السلام ، فقال : « اطعمه ايضاً العسل . » فاطعمه ايضاً في اليوم الثالث فتقاصر الاسهال وانقطع بالكلية . فاخبر النبي ، عليه السلام ، بذلك فقال : « صدق الله وكذبت بطن اخيك . » وانما قال النبي ، عليه السلام ، له ذلك لكونه كان قد علم ان في خمل معدة المريض رطوبات لزجة غليظة قد ازلقت معدته فكلما مر بها شيء من الادوية القابضة لم يؤثر فيها ، والرطوبات باقية على حالها والاطعمة تزلق عنها ، فيبقى الاسهال دائماً . فلما تناول العسل جلا تلك الرطوبات واحدها ، فكثر الاسهال اولاً بخروجها وتوالى ذلك الى ان نفذت تلك الرطوبات بأسرها ، فانقطع

الاسهال ، وبرىء الرجل . فقله « صدق الله » يعني بالعلم الذي اوجده الله عز وجل لنبيه وعرفه به ، وقوله « وكذبت بطن اخيك » يعني ما كان يظهر من بطنه من الاسهال وكثرته بطريق العرض ، وليس هو مرض حقيقي ، فكانت بطنه كاذبة في ذلك .

عبدوس بن زيد

قال ابو علي القباني عن ابيه ان القاسم بن عبيد الله مرض في حياة أبيه مرضاً حاداً في تموز ، وحل به القولنج الصعب ، فانفرد بعلاجه عبدوس بن زيد وسقاه ماء اصول قد طبخ وطرح فيه اصل الكرفس^(١) والرازيانج^(٢) ودهن الخروع وجعل فيه شيئاً من ايارج فيقرا ، فحين شربه سكن وجعه واجاب طبعه مجلسين ، فافاق ، ثم أعطاه من غد ذلك اليوم ماء شعير فاستظرف هذا منه .

وقال ابو علي القباني ايضاً ان اخاه اسحق بن علي مرض وغلبت الحرارة على مزاجه ، والنحول على بدنه ، حتى أداه الى الضعف ورد ما يأكله . فسقاه عبدوس بن زيد هذه الاصول بالايارج ودهن الخروع في حزيران اربعة عشر يوماً فعوفي وصلحت معدته . وقال : في مثل هذه الايام تحم حمى حادة فان كنت حياً خلصتك بأذن الله وان كنت ميتاً فعلامه عافيتك له دائر سنة ان تنطلق طبيعتك في اليوم السابع فان انطلقت عوفيت ومع هذا فقد نقرت معدتك نقرأ لو طرحت فيها الحجارة لطحنتها ، فلما انقضت السنة مرض عبدوس وحم أخيه كما قال وكان مرضها في يوم واحد . فما زال عبدوس يراعي اخي ويسأل عن خبره الى ان قيل له قد انطلقت طبيعته ، فقال : قد تخلص ومات عبدوس في الغد من ذلك اليوم .

ولعبدوس بن زيد من الكتب : كتاب التذكرة في الطب .

سهل الكوسج

كان سهل الكوسج ، ابو ساور بن سهل صاحب الاقرباذين ، المشهور من اهل الاهواز ، وكان الحى^(٣) . وانما لقب بالكوسج^(٤) على سبيل التضاد . وكان عالماً في الطب إلا انه دون ابنه في العلم ، وكانت في لسانه لكنة خوزية^(٥) . وكان كثير الهزل فغلب هزله جده . وكان متى اجتمع

(١) من البقول التي تؤكل .

(٢) نبات يعرف اليوم بالشمر .

(٣) له لجة

(٤) الذي لحينه على ذقنه لا على العارضين .

(٥) نسبة الى خوز وهم جيل من الناس ، او اسم اهل خوزستان .

مع يوحنا بن ماسوية : وجورجس بن بختيشوع ، وعيسى بن حكم ، وعيسى بن أبي خالد ، وزكريا ابن الطيفوري ، ويعقوب صاحب البيارستان ، والحسن بن قريش ، وعيسى المسلم ، وسهل بن جببر ، وهذه الطبقة من المتطبيين قصر عنهم في العبارة ولم يقصر عنهم في العلاج . وكلهم كانت يخاف لسانه لطول كان فيه وبذاء . وكانت له السن ^(١) على جماعتهم . وكان انقطاعه الى سلام الابرش ، وكانت سلام لا يفارق هرثمة بن أعين ايام محاصرته مدينة السلام ، فكان سهل هذا قد خص بهرثمة بن أعين حتى كان يكون معه في ليله ونهاره وسمره . وكان بدعابته الكثيرة التي كانت فيه طيب العشرة .

قال يوسف بن ابراهيم : ومن دعابات سهل الكوسج انه يتارض في سنة تسع ومائتين ، وأحضر شهوداً يشهدهم على وصيته ؛ وكتب كتاباً اثبت فيه اسماء اولاده . فاثبت اولهم جورجس بن ميخائيل وأمه مريم بنت بختيشوع اخت جبرائيل ، والثاني يوحنا بن ماسويه ، والثالث والرابع والخامس ساور ويوحنا وخذاهويه ولد سهل المعروفين . وذكر انه اصاب ام جورجس وام يوحنا بن ماسويه زنا واحبلها بجورجس ويوحنا .

قال يوسف : ومن دعاباته اني حضرته عند أعين بن هرثمة بن أعين، وقد دارت بينه وبين جورجس ملاحاة في حمى ربيع قد كانت طالت باعين ، فعرفه بمثل ما اشد به في وصيته . وكان في جورجس تلفت كثير الى من عن يمينه وشماله من الناس ، واخرجته الحدة الى زعم ^(٢) اصابه ، فصاح سهل : « صرى وهك المسية ، أخروا في اذنه ، آية خرسى ، اراد صرع » - وحق المسيح اقرؤوا في اذنه آية الكرسي .

قال يوسف : ومن دعاباته انه خرج في يوم الشعانين ^(٣) يريد دير الجاثليق ^(٤) والمواضع التي تخرج اليها النصارى في يوم الشعانين ، فرأى يوحنا بن ماسوية في هيئة احسن من هيئته وعلى دابة افره من دابته ، ومعه غلمان له روقة ^(٥) فحسده على الظاهر من نعمته ؛ فصار الى صاحب مسلحة الناحية ، فقال له : « ان ابني يعقني وقد اعجبته نفسه ، وربما اخرجته العجب بنفسه وبنعمته الى جحود أبوي ، وان انت بطحته وضربته عشرين درة ^(٦) موجعة اعطيتك عشرين ديناراً » . ثم أخرج الدنانير فدفمها الى رجل وثق به صاحب المسلحة ، ثم اعتزل ناحية الى ان بلغ يوحنا الى الموضع الذي هو فيه ، فقدمه الى صاحب المسلحة وقال : « هذا ابني يعقني ويستخف بي » . فوجد ان يكون ابنه فلم يكلمه صاحب المسلحة حتى بطح يوحنا وضربه عشرين درة ضرباً وجيعاً مبرحاً .

(١) اي أكبرهم عمراً .

(٢) الرعدة تعترى الانسان اذا م بالامر .

(٣) يوم الاحد الذي قبل عيد الفصح .

(٤) مقدم الاساقفة عند النصارى اي الرئيس العام .

(٥) الجمال والحسن .

(٦) السوط يضرب به .

سابور بن سهل

كان ملازماً لبيارستان جندي سابور ومعالجة المرضى به وكان فاضلاً عالماً بقوى الادوية المفردة وتركيبها ، وتقدم عند المتوكل وكان يرى له وكذلك عند من تولى بعده من الخلفاء . وتوفي في أيام المهدي بالله . وكانت وفاة سابور بن سهل في يوم الاثنين لتسع بقين من ذي الحجة سنة خمس وخمسين ومائتين .

ولسابور بن سهل من الكتب : كتاب الاقرا باذين الكبير المشهور ، جعله سبعة عشر باباً وهو الذي كان من المعمول عليه في البيارستان ، ودكاكين الصيدلة وخصوصاً قبل ظهور الاقرا باذين الذي ألفه أمين الدولة بن التلميد . كتاب قوى الاطعمة ومضارها ومنافعها ، كتاب الرد على حنين في كتابه في الفرق بين الغذاء والدواء المسهل . القول في النوم واليقظة ، كتاب ابدال الادوية .

اسرائيل بن سهل

كان متقدماً في صناعة الطب ، حسن العلاج خبيراً بتركيب الادوية . وله كتاب مشهور في الترياق وقد أجاد عمله وبالع في تأليفه .

موسى بن اسرائيل الكوفي

متطبب ابراهيم بن المهدي . قال يوسف بن ابراهيم : كان موسى هذا قليل العلم بالطب إذا قيس الى من هو في دهره من مشايخ المتطببين ، إلا أنه كان أملاً لمجلسه منهم بخصال اجتمعت فيه ، منها : فصاحة اللهجة : ومعرفة بالنجوم ، وعلم بأيام الناس ، ورواية الاشعار . وكان مولده فيما ذكر لي سنة تسع وعشرين ومائة ووفاته في سنة اثنتين وعشرين ومائتين . فكان ابو اسحق يحتمله لهذه الخلال ولأنه كان طبيب العشرة جداً يدخل في كل ما يدخل فيه منادمو الملوك . وكان قد خدم وهو حدث عيسى بن موسى بن محمد ولي العهد .

قال يوسف بن ابراهيم : حدثني موسى بن اسرائيل قال : كان لعيسى بن موسى متطبب يهودي يقال له فرات بن شحات ، كان تياذوق المتطبب يقدمه على جميع تلامذته ، وكان شيخاً كبيراً قد خدم الحجاج بن يوسف وهو حدث . قال : وكان عيسى يشاور في كل أمر ينوبه هذا المتطبب . قال موسى . فلما عقد المنصور لعيسى على محاربة محمد ^(١) بن عبدالله بن حسن العلوي وصار اللواء في داره

(١) سليل الحسن بن علي وفاطمة احتمل اضطهاد الامويين والعباسيين لمطالبته بالخلافة لقب بالنفس الزكية وقتل في المدينة (٧٦٢) .

قال للفرات : ما تقول في هذا اللواء ؟ . قال له المتطبيب : أقول انه لواء الشحنة بينك وبين اهلك الى يوم القيامة . إلا أنني أرى لك نقل اهلك من الكوفة الى أي البلدان أحببت ، فان الكوفة بلد شيعية من تحارب ، فان قلت لم تكن لمن تخلف بها من اهلك بقيا ، وان قلت وأصبحت من تتوجه اليه زاد ذلك في اضعافهم عليك ، فان سلمت منهم حياتك لم يسلم منهم عقبك بعد وفاتك . فقال له عيسى : ويحك ان أمير المؤمنين غير مفارق للكوفة ، فلم أنقل أهلي عنها وهم معه في دار ؟ فقال له ان الفصيل (١) في مخرجك ، فان كانت الحرب لك فالخليفة مقيم بالكوفة ؛ وان كانت الحرب عليك لم تكن الكوفة له بدار وسيهرب عنها ، ويخلف حرمة فضلا عن حرملك .

قال موسى : فحاول عيسى نقل عياله من الكوفة فلم يسوغه ذلك المنصور . قال : ولما فتح الله على عيسى ورجع الى الكوفة وقتل ابراهيم بن عبيد الله انتقل المنصور الى مدينة السلام ، فقال له متطبيه : بادره بالانتقال معه الى مدينته التي قد احدثها ، واستأذن المنصور في ذلك فاعلم انه لا سبيل اليه ، وانه قد دبر استخلافه على الكوفة ، فاخبر بذلك عيسى متطبيه .

فقال له المتطبيب : « استخلافه اياك على الكوفة قد حل لعقدك عن العهد لانه لو دبر تمام الامر لك لولاك خراسان بلد شيعتك . فأما ان يجعلك بالكوفة مع اعدائه وأعدائك ، وقد قتلت محمد بن عبدالله ، فوالله ما دبر فيك الا قتلك وقتل عقبك . ومن الحال أن يوليكم خراسان بعد الظاهر منه فيك . فسله توليتك الجزيرتين او الشام ، فاخرج الى أي الولايتين ولاك فاوطنها . فقال له : « تكره لي ولاية الكوفة وأهلها من شيعية بني هاشم ، وترغب لي في ولاية الشام او الجزيرتين ، وأهلها من شيعية بني امية ؟ » فقال له المتطبيب : أهل الكوفة وان رموا أنفسهم بالتشيع لبني هاشم فليست وأهلك من بني هاشم الذين يتشيعون لهم . وانما تشيعهم لبني أبي طالب وقد أصبت من دمائهم ما قد أكسب أهل الكوفة بغضتك ، وأحل لهم عند أنفسهم الاقتياد (٢) منك . وتشيع أهل الجزيرتين والشام ليس على طريق الديانة ، وانما ذلك على طريق احسان بني امية اليهم . وان انت أظهرت لهم مودة متى وليتهم فأحسنتم اليه كالوا لك شيعية ، ويدلك على ذلك محاربتهم مع عبدالله بن علي على ما قد نال من دمائهم لما تألفهم ، وتضمن لهم الاحسان اليهم ، فهم اليك لسلامتك من دمائهم أميل . واستغنى عيسى من ولاية الكوفة وسأل تعويضه عنها ، فاعلمه المنصور ان الكوفة دار الخلافة ، وانه لا يمكن أن تخلوا من خليفة أو ولي عهد . ووعد عيسى أن يقيم بمدينة السلام سنة ، وبالكوفة سنة . وانه اذا صار الى الكوفة صار عيسى الى مدينة السلام ، فاقام بها . قال موسى : فلما طلب أهل خراسان عقد البيعة للمهدي قال لمططبيه : ما تقول يا فرات ، فقد دعيت الى تقديم محمد بن أمير المؤمنين على نفسي ؟ فقال له : فتدفع بماذا ! أرى أن تسمع وتطيع اليوم ، وبعد اليوم . « فقال له : وما بعد اليوم ؟ قال : اذا دعاك محمد بن أمير المؤمنين الى خلع نفسك وتسليم الخلافة الى بعض ولده ان تسارع . فليست عندك منعة ولا يمكنك مخالفة القوم في شيء يريدونه منك ، قال موسى : فأت المتطبيب في

(١) ما يفصل بين الامور (ن.د) .

(٢) طلب القود وهو القصاص وقتل القاتل بدل القاتل .

خلافة المنصور .

فلما دعى المهدي عيسى الى خلع نفسه من ولاية العهد وتسليم الامر الى الهادي قال عيسى بن موسى قاتلك الله يا فرات ما كان اجود رأيك ، واعلمك بما تتفوه به ، كأنك كنت شاهداً ليومنا هذا ! قال موسى بن اسرائيل ، ولما رأيت فعل أبي السرايا بمنازل العباسيين قلت مثل ما قال عيسى ابن موسى .

وقال يوسف بن ابراهيم : لما بلغه وهو بمصر ما ركب الطالبيون واهل الكوفة من العباسيين ، وقتل عبدالله بن محمد بن داود مثل ما قال عيسى بن موسى وموسى المتطبيب . قال يوسف : وحدثني موسى بن اسرائيل المتطبيب ان عيسى بن موسى شكاً الى فرات متطبيه ما يصيبه من النعاس مع مسامريه ، وانه ان تعشى معهم ثقلت معدته فنام وفاته السمر ، واصبح ومعه ثقله تمنعه من الغداء ، وان لم يتعش معهم أضرت به الشهوة الكاذبة فقال له : شكوت الي مثل ما شك الحجاج الى استاذي تياذوق ، فوصف له شيئاً اراد به الخير فصار شراً . فقال له : وما هو ؟ قال : وصف له العبت بالفستق ، فذكر ذلك الحجاج لحظاياه فلم يبق له حظية الا قشرت له جاماً من الفستق وبعثت به اليه . وجلس مع مسامريه فأقبل يستف الفستق سفا فأصابته هيضة كادت تأتي على نفسه ، فشكا ذلك إلى تياذوق . فقال : انما امرتك أن تعبت بالفستق ، وأردت بذلك الفستق الذي بقشريه جميعاً لتتولى انت كسر الواحدة بعد الواحدة ، ومص قشرها المصلح لمعدة مثلك من الشباب المرورين ، واصلاح الكبد بما يتأدى اليها من طعم هذا الفستق ، وذهبت الى انك اذا أكلت ما في الفستقة من الثمرة وحاولت كسر أخرى لم يتم لك كسرها الا وقد اسرعت الطبيعة في هضم ما أكلت من ثمرة الفستقة التي قبلها . فأما ما فعلت فليس بعجيب ان ينالك معه اكثر بما انت فيه . وان كنت تأخذ ايها الامير الفستق على ما رأى استاذي ان يؤخذ انتفعت به . قال موسى فإزم عيسى بن موسى أخذ الفستق اكثر من عشرين سنة فكان يحمده .

ماسر جويه متطبيب البصرة

وهو الذي نقل كتاب اهرن من السرياني الى العربي . وكان يهودي المذهب سريانياً ، وهو الذي يعنيه أبو بكر محمد بن زكريا الرازي في كتابه الحاوي بقوله قال اليهودي .

وقال سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل : ان ماسرجويه كان في أيام بني أمية . وانه تولى في الدولة المروانية تفسير كتاب اهرن بن اعين الى العربية الذي وجدته عمر بن عبد العزيز ، رحمه الله ، في خزائن الكتب ، فأمر بإخراجه ووضعه في مصلاه ، واستخار الله في إخراجه الى المسلمين للانتفاع به ، فلما تم له في ذلك أربعون صباحاً أخرجه الى الناس وبثه في ايديهم .

قال سليمان بن حسان: حدثني أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بهذه الحكاية في مسجد الترمذي

سنة تسع وخمسين وثلثمائة .

وقال يوسف بن ابراهيم : حدثني ايوب بن الحكم البصري المعروف بالكسروي صاحب محمد بن طاهر بن الحسين - وكان ذا أدب ومروءة ، وعلم بإيام الناس واخبارهم . قال : كان أبو نواس^(١) الحسن بن هانئ يعشق جارية لامرأة من ثقيف تسكن الموضع المعروف بحكان من ارض البصرة ، يقال لها جنان^(٢) ، وكان المعروفان بأبي عثمان وأبي امية من ثقيف قريين لمولاة الجارية . فكان أبو نواس يخرج في كل يوم من البصرة يتلقى من يقدمه من ناحية حكان فيسائلهم عن اخبار جنان . قال : فخرج يوماً وخرجت معه ، وكان اول طالع علينا ماسرجويه : المتطبيب ، فقال له أبو نواس : كيف خلفت أبا عثمان ومية ؟ .. فقال ماسرجويه : جنان صالحة كما تحب . فأنشأ أبو نواس يقول .

أسأل القادمين من حكان كيف خلفتم أبا عثمان
وأبا مية المهذب والمأ مول والمرحى لرب الزمان
فيقولون لي جنان كما سرك في حالها فسل عن جنان
ما لهم لا يبارك الله فيهم كيف لم يغن عنهم ، كتمان
الحنيف

قال يوسف : وحدثني أيوب بن الحكم انه كان جالساً عند ماسرجويه ، وهو ينظر في قوارير الماء ، اذ أتاه رجل من الخوز فقال له : « اني بليت بداء لم يبل أحد بمثله . » فسأله عن دائه فقال : اصبح وبصري علي مظلم ، وأنا أجد مثل لحس الكلاب في معدتي ، فلا تزال هذه حالي حتى أطمع شيئاً ، فاذا طعمت سكن عني ما أجد الى وقت انتصاف النهار ، ثم يعاودني ما كنت فيه ، فاذا عاودت الاكل سكن ما بي الى وقت صلاة العتمة ، ثم يعاودني فلا اجد له دواء الا معاودة الاكل ، » فقال ما سرجويه : « على هذا الداء غضب الله فانه أساء لنفسه الاختيار حين قرنها بسفلة مثلك ، ولوددت ان هذا الداء يحول الي والى صبياني ، وكنت أعوضك بما نزل بك منه مثل نصف ما أملك ، » فقال له : ما أفهم عنك ؟ فقال له ما سرجويه : هذه صفة لا تستحقها ، أسأل الله نقلها عنك الى من هو أحق بها منك .

قال يوسف : وحدثني أيوب بن الحكم ، الكسروي قال : شكوت الى ماسرجويه تعذر الطبيعة ، فسألني أي الانبذة أشرب ، فاعلمته أنني ادمن النبيذ المعمول من الدوشاب^(٣) البستاني الكثير الداذي^(٤) . فأمرني أن آكل في كل يوم من ايام الصيف على الريق قثاء صغيرة من قثاء بالبصرة يعرف

(١) من كبراء شعراء العصر المباسي ولد في الاهواز ولقب بشاعر الحرة . وكان مقرباً من الأمين والمأمون واتصل بالبرامكة . ثم تاب في اواخر ايامه .

(٢) جارية لامرأة من ثقيف احبها وعشقها أبو نواس . (ن.ر) .

(٣) النبيذ الاسود او نبيذ التمر .

(٤) نبت او شيء له عنقود مستطيل حبه على شكل حب الشعير يوضع منه مقدار رطل في العرق فتعقب رائحته ويحود اسكاره .

بالخريبي . قال فكنت أوتي بالقشاء وهو قشاء دقيق في دقة الاصابع وطول القشاء منه نحو من فتر فأكل منه الخمس والست والسبع ، فكثرت علي الاسهال ، فشكوت ذلك اليه فلم يكلمني حتى حقني بحقنة كثيرة الشحوم والصموغ والخطمي والارز الفارسي ، وقال لي : « كدت تقتل نفسك باكثرارك من القشاء على الريق لانه كان يجدر من الصفراء ما يزيل عن الامعاء من الرطوبات اللاصقة بها ما يمنع الصفراء من سحبها واحداث الدوسنطاريا فيها .
ولماسرجويه من الكتب : كفاش ، كتاب في الغذاء ، كتاب في العين .

سالمويه بن بنان متطبب المعتصم

لما استخلف أبو اسحق محمد المعتصم ^(١) بالله وذلك في سنة ثمان عشرة ومائتين اختار لنفسه سالمويه الطبيب واکرمه اكراماً كثيراً يفوق الوصف ، وكان يرد الى الدواوين توقيعات المعتصم في السجلات وغيرها بخط سالمويه ، وكل ما كان يرد على الامراء والقواد من خروج أمر وتوقيع من حضرة أمير المؤمنين فبخط سالمويه . وولى أخا سالمويه ابراهيم بن بنان خزن بيوت الاموال في البلاد ، وخاتمه مع خاتم امير المؤمنين . ولم يكن أحد عنده مثل سالمويه وأخيه ابراهيم في المنزلة . وكان سالمويه بن بنان نصرانياً حسن الاعتقاد في دينه ، كثير الخير ، محمود السيرة ، وافر العقل ، جميل الرأي .

وقال اسحق بن علي الرهاوي ، في كتاب ادب الطبيب ، عن عيسى بن ماسة قال : أخبرني يوحنا بن ماسويه عن المعتصم ، انه قال : سالمويه طيبي اكبر عندي من قاضي القضاة ، لان هذا يحكم في نفسي ، ونفسي اشرف من مالي وملكي ، ولما مرض سالمويه الطبيب أمر المعتصم ولده أن يعوده فعاده . ثم قال : أنا أعلم وأتقن اني لا أعيش بعده لانه كان يراعي حياتي ويدبر جسمي ولم يعيش بعده تمام السنة .

وقال اسحق بن حنين ، عن ابيه : ان سالمويه كان أعلم أهل زمانه بصناعة الطب . وكان المعتصم يسميه أبي . فلما اعتل سالمويه عاده المعتصم وبكى عنده وقال : تشير علي بعدك بما يصلحني فقال سالمويه : يعز علي بك يا سيدي ولكن عليك بهذا الفضولي يوحنا بن ماسويه ، واذا شكوت اليه شيئاً فقد يصف فيه أوصافاً ، فاذا وصف فخذ أقلها أخلاطاً . فلما مات سالمويه امتنع المعتصم من أكل الطعام يوم موته ، وأمر بأن تحضر جنازته الدار ويصلى عليه بالشمع والبخور على زي النصاري الكامل . ففعل وهو بحيث يبصرهم ويباهي في كرامته ، وحزن عليه حزناً شديداً .

وكان المعتصم الهضم في جسمه قوي ، وكان سالمويه يفصده في السنة مرتين ، ويسقيه بعد كل مرة دواء مسهلاً ، ويعالجه بالحمية في اوقات . فاراد يوحنا بن ماسويه

(١) الخليفة العباسي الثامن (٧٩٥ - ٨٤٢) حط من شأن العرب واعتمد على المماليك ونقل عاصمته الى سامراء فسبب انحطاط الدولة العباسية
(ن . د)

أن يريه غير ما عهد ، فسقاه دواء قبل الفصد وقال : اخاف ان تتحرك عليه الصفراء ، فعند ما شرب الدواء حي دمه ، وحجم جسمه ، وما زال جسمه ينقص ، والعلل تتزايد الى ان نحل بدنه ومات بعد عشرين شهراً من وفاة سلمويه . وكانت وفاة المعتصم في شهر ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين .

قال يوسف بن ابراهيم : قال المعتصم لأبي اسحق ابراهيم بن المهدي في أول مقدمه من بلد الروم ، وهو خليفة : يا عم أمورك مضطربة عليك منذ اول ايام الفتنة لانك بليت في أولها مثل ما شمل الناس ، ثم خصلك بعد ذلك من خراب الضياع وتخرم حدودها لاستتارك سبع سنين من الخليفة الماضي ما لو لم يتقدمه شيء من المكروه لقد كانت فيه كفاية ؛ ثم ظهر من سوء رأي المأمون ، بعد ذلك ، فيك ما طم على كل ما تقدم من المكروه النازل بك ، فزاد ذلك في أمرك . وفكرت فيك فوجدتك تحتاج الى أن يرد علي في يوم خبرك وما تحتاج اليه لمصالح أمورك . ورأيت ذلك لا يتم الا بتقليدي عن القيام برفع حوايجك الى خادم خاص بي . وقد وقع اختياري لك على خادمين لي يصل كل واحد منها الي في مجالس جدي وهزلي ، بل يصل إلي في مرقدتي ومتوضئي : وهما : مسرور سمانه الخادم وسلمويه بن بنان . فاختر أيهما شئت وقلده حوايجك ؟ فوقع اختياره على سلمويه ، وأحضره أمير المؤمنين فامر أن يتولى ابصال رسائله اليه في جميع الأوقات .

قال يوسف : فقربني أبو اسحق بسلمويه ، وكنت لا أكاد أفارقه . وكان خروج أمير المؤمنين عن مدينة السلام آخر خرجاته عن غير ذكر تقدم لخروج الى ناحية من النواحي . وكان الناس قد حضروا الدكة بالشامية لحلية السروج في يوم الاربعاء لسبع عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة عشرين ومائتين . فاخرجت الخيل ، ودعا بالجزازات فركبها ونحن لا نشك في رجوعه من يومه . ثم أمر الموالي والقواد بالحقاق به ، ولم يخرج معه من أهل بيته احد الا العباس بن المأمون وعبد الوهاب ابن علي . وخلف المعتصم الوائق^(١) بمدينة السلام ، إلى أن صلى بالناس يوم النحر سنة عشرين ومائتين . ثم أمر بالخروج الى القاطول^(٢) فخرج . فوجهني أبو اسحق بجوائج له الى باب أمير المؤمنين ، فتوجهت ، فلم يزل سيارة مرة بالقاطول ومدينة القاطول ومرة بدير بني الصقر ، وهو الموضع الذي سمي في ايام المعتصم والوائق بالابتاخية وفي ايام المتوكل بالمحمدية . ثم صار المعتصم الى سر من رأى فضرب مضاربه فيها وأقام بها في المضارب . فاني ، في بعض الايام ، على باب مضرب المعتصم اذ خرج سلمويه بن بنان فاخبرني أن أمير المؤمنين امره بالمضي الى الدور والنظر الى موار تكين الفرغاني ، والتقدم الى متطبيه في معالجته من علة يجدها بما يراه سلمويه صواباً . وحلف علي ان لا افارقه حتى نصير الى الدور ونرجع ، فمضيت معه فقال لي : حدثني في غداة يومنا هذا نصر بن منصور بن بسم انه كان يساير المعتصم بالله في هذا البلد يعني بلد سر من رأى وهو أمير .

(١) تاسع الخلفاء العباسيين وفي ايامه تسلط القواد الاتراك على جيوش الخلافة . حكم (٨٤٢-٨٤٦)

(٢) موقع على دجلة .

قال لي سلمويه : قال لي نصر : ان المعتصم أمير المؤمنين قال له يا نصر أسمع قط باعجب من اتخذ في هذا البلد بناء وأوطنه ! ليت شعري ما اعجب موطنه حزونة^(١) أرضه ، أو كثرة أخافقه ، أم كثرة تلاعه وشدة الحر فيه اذا حي الحصى بالشمس . ما ينبغي ان يكون متوطن هذا البلد إلا مضطراً مقهوراً أو ردي التميز :

قال لي سلمويه : قال لي نصر بن منصور : وانا والله خائف أن يوطن أمير المؤمنين هذا البلد ، فان سلمويه ليحدثني عن نصر اذ رمى ببصره نحو المشرق فرأى في موضع الجوسق^(٢) المعروف بالمصيب أكثر من الف رجل يضعون أساس الجوسق . فقال لي سلمويه : أحسب ظن نصر بن منصور قد صح . وكان ذلك في رجب سنة احدى وعشرين ومائتين . وصام المعتصم في الصيف في شهر رمضان من هذه السنة . وغدى الناس فيه يوم الفطر ، واحتجم المعتصم بالقاطول يوم سبت وكان ذلك اليوم آخر يوم من صيام النصارى ، فحضر غداءه سلمويه بن بنان ، واستأذنه في المصير الى القادسية^(٣) ليقم في كنيستها باقي يومه وليلته ، ويتقرب فيها يوم الأحد ، ويرجع الى القاطول قبل وقت الغداء من يوم الأحد فاذن له في ذلك وكساه ثياباً كثيرة ، ووهب له مسكاً وبخوراً كثيراً . فخرج منكسراً مغموماً وعزم علي بالمصير معه الى القادسية فاجبته الى ذلك . وكانت عادتنا متى تسيرنا قطع الطريق إما بمناظرة في شيء من الآداب واما بدعابة من دعابات المتأدبين ، فلم يجارني شيء من البابين جميعاً ، وأقبل على الفكرة وتحريك يده اليمنى ، وشفته تهمس من القول بما لا يعلنه ، فسبق الى وهمي انه رأى من أمير المؤمنين في أمر نفسه شيئاً انكره ؛ ثم أزال ذلك الوهم عني إقدامه على الاستئذان في المصير الى القادسية والثياب والطيب الذي جيء به . فسألته عن سبب قراءته وفكرته . فقال لي : سمعتك تحكي عن بعض ملوك فارس قولاً في العقل ، وانه يجب أن يكون أكثر ما في الانسان عقله فاعده علي وخبرني باسم ذلك الملك ؟ قال له : قال ابو ثروان : اذا لم يكن أكثر ما في الرجل عقله كان أكثر ما فيه برديه ، فقال : قاتله الله فما احسن ما قال ، ثم قال : أميرنا هذا يعني الواصل ، حفظه لما يقرأ ويقرأ عليه من الكتب أكثر من عقله ، وأحسبه قد وقع في الذي يكره وأنا استدفع الله في المكاره عنه . وبكى . فسألته عن السبب فقال : أشرت على أمير المؤمنين بترك الشرب في عشية أمس لياكر الحجامه في يومنا هذا على نقاء ، فجلس واحضر الامير هرون وابن أبي داود وعبدالوهاب ليتحدث معهم ، فاندفع هرون في عهد أردشير بن بابك ، وأقبل يسرد جميع ما فيه ظاهراً حتى اتى على العهد كله فتخوفت عليه حسد ابيه له على جودة الحفظ الذي لم يرزق مثله وتخوفت عليه امساك ابيه ما حدث أردشير بن بابك في عهده من ترك اظهار البيعة لولي عهده . وتخوفت عليه ما ذكر أردشير في هذا الباب من ميل الناس نحو ولي العهد متى عرفوا مكانه وتخوفت عليه ما ذكر أردشير من انه لا يؤمن اضطغان ولي العهد على أسباب والده متى علم انه الملك بعد ابيه وأنا ، والله ، عالم بأن أقل ما

(١) غلاظة الارض .

(٢) القصر .

(٣) قرية قرب سر من رأى .

يناله في هذا الباب التضيق عليه في معاشه ، وانه لا يظهر له بيعة ابدآ ، فاعثماني بهذا السبب فكان جميع ما تخوف سلمويه علي ما تخوف .

قال يوسف : واستبطأ المعتصم أبو اسحق ابراهيم بن المهدي في بعض الامور واستجفاه . فكتب اليه كتاباً امرني بقراءته على سلمويه ومناظرته فيه ، فان استصوب الرأي في ايباله ختمته وأوصلته ، وان كره ذلك رددته على أبي اسحق . فقرأته على سلمويه فقال لي : قل له قد جرى لك المقدار مع المأمون والمعتصم ، أعز الله الباقي ورحم الماضي ، بما يوجب عليك شكر ربك ، والا تنكر علي بالخليفين تنكرهما في وقت من الأوقات ، لانك تسميت باسم لم يتسم به احد قط فكاثر الاحياء ، فان كان المقدار استعطف عليك رحمك حتى صرت الى الامن من المكروه . فليس ينبغي ان تتعجب من تنكر الخليفة ، في وقت من الاوقات ، ان طعن بعض أعدائك عليك بما كان منك ؛ فيظهر بالجفاء اليومين والثلاثة أو نحو ذلك . ثم ينعطف عليك ويذكر ماسة رحمك وشابكتها فيؤول امرك الى ما تحب . ولك ايضا آفة يجب عليك التحرز منها وهي انك تجلس مع الخليفة في مجلسه وفيه جماعة من أهله وقواده ووجوه مواليه ، فهو يجب ان يكون أجل الناس في عيونهم وأملأ لقلوبهم ، فلا يجرى جار من القول الا ظهرت لنفسك فيه قولاً يتبين نصرتك فيه عليه فلو كنت مثل ابن ابي داود أو مثل بعض الكتاب لكان الامر فيه اسهل عليه . لانه ما كان لتلك الطبقة ، فهو للخليفة لانهم من عبيده ؛ وما كان لرجل من أهله له السن والقعدد عليه فهو موجب لمن السن والقعدد له ، وذلك مزر بالخليفة . وأنا أرى أن لا أوصل هذا الكتاب وان يتغافل ، أعزه الله ، حتى يتشوق اليه الخليفة . فاذا صار اليه تحرز بما كرهته له ، ففي ذلك غنى عن العتاب والاستبطاء . قال فانصرفت الى أبي اسحق بالكتاب ولم أوصله ، فوجدت سيما الدمشقي عند صاحبنا وقد أبلغه رسالة المعتصم بوصف شوقه اليه ، وبالامر بالركوب اليه . فاخبرته بما دار بيني وبين سلمويه ، وركب فاستعمل ما أشار به ، فلم ينكر بعد ذلك منه شيئاً حتى فرق بينها الموت .

قال يوسف وجرى بيني وبين سلمويه ذكر يوحنا بن ماسويه ، فاطنبت في وصفه وذكرت منه ما أعرف من اتساع علمه . فقال سلمويه : يوحنا آفة من آفات من اتخذ لنفسه ، واتكل على علاجه وكثرة حفظه للكتب ، وحسن شرحه ووصفه بما يلجم به المكروه . ثم قال لي : أول الطب معرفة مقدار الداء حتى يعالج بمقدار ما يحتاج اليه من العلاج . ويوحنا أجعل خلق الله بمقدار الداء والدواء جميعاً . فان زاول محرور عاجله من الادوية الباردة والاغذية المفرطة الباردة وبما يزيل عنه تلك الحرارة ، ويعقب معدته وبدنه برداً ، يحتاج له الى المعالجة بالادوية والاغذية الحارة ، ثم يفعل في ذلك كفعله في العلة الاولى من الافراط ليزول عنه البرد ، ويعتل من حرارة مفرطة . فصاحبه أبداً عليل اما من حرارة واما من برودة . والابدان تضعف عن احتمال هذا التدبير . وانما الغرض في اتخاذ الناس المتطبيين لحفظ صحتهم في ايام الصحة ، ولخدمة طبائهم في ايام العلة . ويوحنا لجهله بمقادير العلل والعلاج غير قائم بهذين البابين . ومن لم يقم بها فليس بمطبيب .

قال يوسف وأصاب ابراهيم بن بنان أخا سلمويه بن بنان هيضة من خوخ أكله فاكثر منه فكادت

تأتي على نفسه . فسقاه أخوه سلمويه شهريارانا كثير السقمونيا ، فاسهله اسهالا كثيراً زائداً على المقدار الذي يجب أن يكون من شرب مثل ما شرب ابراهيم من الشهرياران . وانقطع مع انقطاع فعل الشهرياران فعل الهیضة ^(١) ، فقلت له : أحسبك امتثلت فيما فعلت بإخيك ، من اسقائه الدواء المسهل ، طريقة يزيد بور في ثامة العبسي . فقال : ما استعملت له طريقة ولكنني استعملت فكري كما استعمل فكره فنتج لي من الرأي ما نتج له

قال يوسف : وكنت يوماً عند سلمويه وقد أجرينا حديث أيام الفتنة بمدينة السلام أيام محمد الأمين ، فقال لي : لقد نفعنا الله في تلك الايام بجوار بشر وبشير ابني السميدع ، وذلك انا كنا معها في كل حمى . ثم قال لي ؟ هل لك أن تتركب الى بشر ، فتعوده ، فقد كنت يشت منه أول من أمس ثم أفرق أمس ؟ فاجبته الى الركوب معه وركبنا . فلما صرنا الى باب الدرب الذي كان بشر ينزله طلع علينا بولس بن حنون المتطبب ، الذي هو اليوم متطبب أهل فلسطين ، وهو منصرف من عند بشر . فسأله عن خبره فاجابه بكلمة بالسريانية معناها بش . فقال له سلمويه : ألم تخبرني أمس انه قد أفرق ؟ فقال له بولس : قد كان ذاك الا انه أكل البارحة دماغ جدي فعادوه الاسهال . فعطف سلمويه رأس دابته وقال : انصرف بنا فليس يبيت بشر في الدنيا . فسألته عن السبب ، فذكر انه رجل مبطون ، وان أول آفته كانت في البطن ، فساد معدته ، فتناولت أيامه في البطن بفساد المعدة الى أن كان ذلك سبباً لفساد كبده . وان الدماغ الذي أكله سيعلق بمعدته وبغري ما بين غصونها فلا يدخلها غذاء ولا دواء الا زلق . وانصرفنا ولم يعد سلمويه ولا عدته فما بات حتى توفي .

قال يوسف وصحبت بعد وفاة أبي اسحق ، أبا دلف . فصحبته وقد كان مبطونا قبل صحبتي اياه بخمسة عشر شهراً . وكان مجلس أبي دلف جمعاً للمتطبيين لانه كان معه من المرتزقة جماعة منهم يوسف بن صليبا ، وسليمان بن داود بن بابان ، ويوسف القصير البصري ولا احفظ نسبه ، وبولس بن حنون متطبب فلسطين وختن ^(٢) كان له من اللجلاج ، والحسن بن صالح بن بهلة الهندي . وكانت يحضر مجلسه من المتطبيين غير المرتزقين جماعة ، فربما اجتمع في مجلسه منهم عشرون رجلاً ، فكانوا على سبيل اختلاف في أصل علته ، فبعضهم كان يرى أن يسقيه الدرياق ، وبعضهم كان يرى أن يعالجه بالادوية التي يقع فيها الابيون مثل المتروديوس وغيره . وكلهم كان مجمعاً على معالجته بالحمية وبالقيء في كل بضعة عشرة ليلة لانه كان متى تقياً صلحت حاله ثلاثة أيام أو نحوها . فاقمت معه عشرة أشهر لا اذكر اني تشاغل في يوم منها بأمر من أمور الاعمال التي أتقلدها . فسلمت من رسول له يستنهضني للمسير اليه وللنظر فيما بين المتطبيين من الاختلاف .

(١) انطلاق البطن .

(٢) كل من كان من قبل المرأة مثل الاب والاخ ، او زوج الابنة .

ثم أمر المعتصم حيدر بن كلوس بالعقد لابي دلف^(١) على قزوين^(٢) وزنجان^(٣) ونواحيهما؛ وإبراهيم ابن البحراني بتقليده خراج الناحية؛ ومحمد بن عبد الملك بتقليده ضياعها. فقلد أبو دلف ابنه معنا بن القاسم، المعونة؛ وقلدني، الخراج والضياع؛ وأمرنا بالخروج. فأتيت سلمويه مودعاً ومشاوراً. فقال لي، انقلاعك من بلدك مع رجل منحل بدنه منذ خمسة وعشرين شهراً، وجميع من يطيف به معك لا يجمعك وإياهم رحم، وإنما هم أهل الجبل واصهبان^(٤)، وأكثرهم صعاليك. ولعلك قد استقصيت على بعضهم بالحضرة، وحيث كنت تأمن على نفسك بما لا أحبه لك، لانه ان حدث بالرجل حادث كنت في ارض غريبة أسيراً في أيدي من لا مجانسة بينك وبينهم. وامتناعك على الرجل بعد أن اجبته الى أن تتقدمه تسمح. ولكن استأجله في الخروج بعد سبعة أيام، وأشرف في هذه الايام على مطعمه ومشربه حتى لا يصل الى جوفه في هذا الاسبوع ما كول ومشروب الا عرفت مبلغ وزنه على الحقيقة. ووكل من يعرف وزن ما يخرج منه في هذا الاسبوع من ثقل وبول، وارفع وزن ذلك ليوم بعد يوم اليك، وصر إلي بعد هذا الاسبوع بمبلغ وزن جميع ما دخل بطنه من الطعام والشراب وغير ذلك، ووزن ما يخرج منه.

فعنيت بذلك غاية العناية وتعرفته حتى صح عندي. فوجدت ما خرج من بدنه قريباً من ضعف ما دخله من مطعم ومشرب. فاعلمت ذلك سلمويه، فقال لي: لو كان خرج منه بوزن ما دخل بدنه لدل ذلك على سرعة تلفه، فكيف ترى الحال كائنة والخارج منه مثل ضعف ما دخل بدنه الحرب من التلبس بأمر هذا الرجل، فان الشوق قد جذبه. فما لبث بعد هذا القول إلا بضع عشرة ليلة حتى توفي أبو دلف.

قال أبو علي القباني: حدثني ابي قال: كانت بين جدي الحسين بن عبد الله وبين سلمويه المتطبيب مودة، فحدثني أنه دخل اليه يوماً الى داره، وكان في الحمام ثم خرج وهو مكتم والعرق يسيل من جبينه، وجاءه خادم بمائدة عليها دراج، مشوي، وشيء اخضر في زبدية، وثلاث رقائق كزمازك^(٥)، وفي سكرجة^(٦) خل. فأكل الجميع، واستدعى ما مقداره درهمان شراباً فمزجه وشربه وغسل يديه بماء. ثم أخذ في تغيير ثيابه البخور. فلما فرغ أقبل يحادثني فقلت له: قبل أن أجيبك الى شيء عرفني ما صنعت؟

فقال: أنا أعالج السل منذ ثلاثين سنة لم آكل في جميعها الا ما رأيت، وهو دراج مشوي، وهندبا مسلوقة مطبخة بدهن لوز، وهذا المقدار من الخبز. واذا خرجت من الحمام احتجت الى

(١) هو القاسم بن عيسى ابو دلف من قواد المأمون ثم المعتصم توفي في بغداد ٨٤٢.

(٢) مدينة في إيران.

(٣) مدينة في إيران الشمالية قاعدة اقليم.

(٤) مدينة في إيران قتل آيمورلنك سكانها.

(٥) حب الأقل اي حفص الطرفاء، وتفسيره الحفص الاعوج.

(٦) الصفحة التي يوضع فيها الطعام «ن. ر»

مبادرة الحرارة بما يسكنها كيلا تعطف على بدني فتأخذ من رطوبته ، فاشغلها بالغذاء ليكون عطفها عليه ، ثم أفرغ لغيره .

ابراهيم بن فزارون

متطبب غسان بن عباد . و ابراهيم بن فزارون هو شيخ بني فزارون الكتاب . قال يوسف ابن ابراهيم : كان ابراهيم بن فزارون قد خرج مع غسان عباد الى السند^(١) . فحدثني أن غسان بن عباد مكث بارض السند من يوم النوروز^(٢) الى يوم المهرجان^(٣) يشتهي أن يأكل قطعة لحم باردة ، فما قدر على ذلك . فسألته عن السبب فقال : « كنا نطبخه فلا يبرد حتى يُرْوَحَ فيرمى به . »

قال يوسف : وأخبرني ابراهيم بن فزارون انه ما أكل بارض السند لحماً استطابه إلا لحوم الطواريس^(٤) وانه لم يأكل لحماً قط أطيب من لحم طواريس بلاد السند .

وحدثني ابراهيم بن عيسى بن المنصور المعروف بابن نزيهة عن غسان بن عباد في لحوم الطواريس بمثل ما حدثني ابراهيم بن فزارون .

قال يوسف : وحدثني ابراهيم بن فزارون انه رفع الى غسان بن عباد أن في النهر المعروف بمهران بارض السند سمكة تشبه الجدي ، وانها تصاد ثم يطين رأسها وجميع بدننها الى موضع مخرج الثقل منها ، ثم يجعل ما لم يطين منها على الحجر ، ويمسكها بمسك بيده حتى ينشوي منها ما كانت موضوعاً على الحجر ، وينضج ثم يؤكل ما نضج أو يرمى به ؛ وتلقى السمكة في الماء ما لم ينكسر العظم الذي هو صلب السمكة ، فتعيش وينبت على عظمها اللحم . وان غسان أمر بحفر بركة في داره وملأها ماء وأمر بامتحان ما بلغه .

قال ابراهيم : فكنا نؤتي كل يوم بعدة من هذا السمك فنشويه ، على الحكاية التي ذكرت لنا ، ونكسر من بعضه عظم الصلب ونترك بعضه لا نكسره ، فكان ما يكسر عظمه يموت ، وما لم يكسر عظمه يسلم وينبت عليه اللحم ويستوي الجلد . إلا أن جلدة تلك السمكة تشبه جلد الجدي الاسود ؛ وما قشرناه من لحوم السمك التي شويناها ورددناها الى الماء يكون على غير لون الجلدة الاولى لانه يضرب الى البياض .

قال يوسف : سألت ابراهيم بن فزارون عن قول من يزعم أن نهر مهران هو نهر النيل فقال لي : رأيت نهر مهران وهو يصب في البحر المالح إلا أن علماء الهند والسند أعلموني أن مخرج النيل ومخرج نهر مهران من عين واحدة عظيمة ، فنهر مهران يشق أرض السند حتى يصب في بحرها المالح ، والنهر

(١) مقاطعة في باكستان الغربية ويمتازها نهر هندوس .

(٢) يوم الفرج عموماً وهو اول يوم من السنة الشمسية عند الفرس .

(٣) عيد الفرس وهو اليوم السادس عشر من شهر مهرجان وذلك عند زول الشمس في اول برج الميزان .

(٤) واحد طاروس وهو طائر حسن الشكل ملون الريش .

الآخر يشق أرض الهند وجميع أرض السودان حتى يخرج الى أرض النوبة ، ثم يصب باقيه في أرض مصر فيروها ثم يصب باقيه في بحر الروم .

قال يوسف : وحدثني عنبسة بن اسحق الضبي من أمر العين التي منها يخرج نهر مهران والنيل بمثل ما حدثني به ابراهيم ، وكان يحدثنا بمحدث السمك في كل وقت .

أيوب المعروف بالأبرش

كان له نظر في صناعة الطب ومعرفة بالنقل ، وقد نقل كتباً من مصنفات اليونانيين الى السرياني وإلى العربي وهو متوسط النقل ، وما نقله في آخر عمره فهو أجود مما نقله قبل ذلك .

ابراهيم بن أيوب الأبرش

قال اسحق بن علي الرهاوي في كتاب « أدب الطبيب » حدثني عيسى بن ماسة قال : رأيت ابراهيم بن أيوب الأبرش وقد عالج اسمعيل أخا المعتز وبرىء . فكلت أمه قبيحة المتوكل أن يميزه ، فقال لها : لا تميزيه ليس عندك ما تعطيه حتى أعطيه أنا مثله . وابراهيم واقف بين أيديها ؛ فامرت قبيحه فاحضرت بدرة دراهم لابراهيم ، وأمر المتوكل بإحضار مثل ذلك ؛ فاحضرت قبيحه بدرة أخرى فأمر بإحضار مثلها ، فلم يزل يأمران بإحضار بدرة وبدرة حتى أحضرت ست عشرة بدرة ، فأومت قبيحة الى جاريتها أن تمسك ، فقال لها ابراهيم سرأ : لا تقطعي وأنا أرد عليك . فقالت له : املاً الله عين الآخر . فقال لها المتوكل : والله لو أعطيتيه الى الصباح لأعطيته مثل ذلك . فحملت البدر الى منزل ابراهيم .

وقال ثابت بن سنان بن ثابت ان الخلافة لما تأدت الى المعتز بالله كان أخص المتطبيين عنده ابراهيم ابن الأبرش لمكانه من والدته قبيحة . وكانت صلاته أبداً واصلة اليه . وخلع أبو عبدالله المعتز بالله بسر من رأى ، وقبض عليه صالح بن وصيف يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وحبس خمسة ايام ، ثم قتل وقت العصر من يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان من السنة المذكورة وله ثلاث وعشرون سنة

جبرائيل كحال المأمون

قال يوسف بن ابراهيم : كان المأمون يستخف يد جبرائيل الكحال ، ويذكر أنه ما رأى أبداً على عين أخف من يده . واتخذ مراد^(١) ومكاحل ودستجا^(٢) ودفعه اليه ، فكان أول من يدخل

(١) واحدها مرود وهو الميل الذي يكحل به.

(٢) الدستجة ؛ الاء الكبير من الزجاج ، (ن.ر.)

اليه في كل يوم عند تسليمه من صلاة الغداة ، فيغسل أجفانه ويكحل عينيه ، فاذا انتبه من قائلته فعل مثل ذلك . وكان يجري عليه ألف درهم في كل شهر . ثم سقطت منزلته بعد ذلك ، فسألته عن السبب في ذلك فأخبرني أن الحسين الخادم اعتل ، فلم يمكن ياسراً أخاه عيادته لاشتغاله بالخدمة ، إلى أن وافى ياسر باب الحجرة التي كان فيها المأمون ، وقد خرج جبرائيل من عنده بعد أن برد أجفانه ، وكحل عينيه . فسأله ياسر عن خبر المأمون فأخبره انه أغفى ، فتغم ياسر ما أخبره به من نومه فصار الى حسين فعاده . وانتبه المأمون قبل انصراف ياسر من عند حسين ، ثم انصرف ياسر فسأله المأمون عن سبب تخلفه ، فقال ياسر : أخبرت بنوم أمير المؤمنين ، فصرت الى حسين فعدته . فقال له المأمون : ومن أخبرك برقادي ؟ فقال له ياسر : جبرائيل الكحال . قال جبرائيل : فأحضرنى المأمون ثم قال : يا جبرائيل اتخذتك كحالا لي او عاملا على الاخبار عني ؟ اردد علي مكاحلي وامياي ، واخرج عن داري . فاذاكرته خدمتي ، فقال : ان له حرمة ، فليقتصر له على اجراء مائة وخمسين درهما في كل شهر ولا يؤذن له في الدخول . فلم يخدم المأمون بعده حتى توفي .

ماسويه أبو يوحنا

قال فثيون الترجمان : ان ماسويه كان يعمل في دق الأدوية في بيارستان جندي سابور ، وهو لا يقرأ حرفاً واحداً بلسان من اللسنة ، إلا انه عرف الامراض وعلاجها وصار بصيراً بانتقاد الادوية ، فأخذه جبرائيل بن بختيشوع فأحسن اليه ، وعشق جارية لداود بن سرايون ، فابتاعها جبرائيل بمائة درهم ، ووهبها لماسويه ورزق منها ابنه يوحنا وأخاه ميخائيل .

وقال اسحق بن علي الرهاوي في كتاب « أدب الطبيب » عن عيسى بن ماسة : إن ماسويه أبا يوحنا كان تلميذاً في بيارستان جندي سابور ثلاثين سنة ، فلما اتصل به محل جبرائيل من الرشيد ، قال : هذا أبو عيسى قد بلغ السها ، ونحن في البيارستان لا نتجاوز . فبلغ ذلك جبرائيل ، وكان البيارستان اليه ، فأمر باخراجه منه ، وقطع رزقه . فبقي منقطعاً به ، فصار الى مدينة السلام ليعتذر الى جبرائيل ويخضع له . فلم يزل على بابه دهرأ طويلا ، فلم يأذن له . فكان إذا ركب دعا له ، واستعطفه فلا يكلمه . فلما ضاق به الامر صار الى دار الروم بالجانب الشرقي فقال للقس : اكرز لي في البيعة لعله أن يقع لي شيء ، فأنصرف إلى بلدي ، فان أبا عيسى ليس يرضى عني ولا يكلمني . فقال له القس : أنت في البيارستان منذ ثلاثين سنة ، ولا تحسن شيئاً من الطب ؟ فقال : بلى ، والله ، أطلب وأكحل ، وأعالج الجراحات . فأخرج له صندوقاً وأعطاه اياه ليدأوي ، وأجلسه بساب الحرم عند قصر الفضل بن الربيع ، وهو وزير الرشيد ، فلم يزل هناك يكسب الشيء بعد الشيء حتى حسنت حاله . واشتكت عين خادم الفضل بن الربيع فنفذ اليه جبرائيل بكحالين فعالجوه بأصناف العلاج ، فلم ينتفع به واشتد وجعه حتى عدم النوم . فلما اشتد أرقه وقلقه ، خرج من القصر هائماً من الضجر والقلق . فرأى ماسويه فقال له : يا شيخ ما تصنع هنا ؟ ان كنت تحسن شيئاً فعالجني

وإلا فقم من ههنا . فقال له : يا سيدي احسن واجيد . فقال له : ادخل معي حتى تعالجي . فدخل معه ، وقلب جفنه وكحله ، وسكب على رأسه وسعطه . فنام الخادم وهذا . فلما أصبح أنفذ إلى ماسويه جونة فيها خبز سميد ، وجدي ودجاجة وحلوى ، ودنانير ، ودرهم ، وقال له : هذا لك في كل يوم ، والدرهم والدنانير رزقك مني في كل شهر . فبكى ماسويه فرحاً ، فتوهم الرسول انه قد استقله فقال له : لا تغتم فانه يزيدك ويحسن اليك . فقال له : يا سيدي رضيت منه بهذا ان يدرّته على الأيام . فلما رجع عرفت الخادم ما كان منه ، فعجب منه وبرأ الخادم على يديه . ولم يمض إلا أيام يسيرة حتى اشتكت عين الفضل ، فنفذ اليه جبرائيل الكحالين ، فلم يزالوا يعالجونهم فلم ينتفع بهم ، فأدخل الخادم ماسويه اليه ليلاً ، فلم يزل يكحله الى ثلث الليل ، ثم سقاه دواء مسهلاً فصلح به .

ثم حضر جبرائيل فقال له الفضل : يا أبا عيسى ، ان ههنا رجلاً يقال له ماسويه ، من أقره الناس وأعرفهم بالكحل ، فقال له : ومن هذا ؟ لعله الذي يجلس بالباب ؟ فقال له : نعم . قال جبرائيل : هذا كان أكاراً ^(١) لي فلم يصلح للكروث ^(٢) فطرده ، وقد صار الآن طبيباً ! وما عالج الطب قط ! فان شئت فاحضره وأنا حاضر . وتوهم جبرائيل انه يدخل ويقف بين يديه ويتذلل له . فامر الفضل باحضاره ، فدخل وسلم وجلس بمخاض جبرائيل . فقال له جبرائيل : يا ماسويه اصرت طبيباً ؟ فقال له : لم أزل طبيباً ، أنا أخدم البيارستان منذ ثلاثين سنة ، تقول لي هذا القول ! ففرع جبرائيل أن يزيد في المعنى ، فبادر وانصرف في الحال وهو خجل . وأجرى الفضل على ماسويه في كل شهر ستمائة درهم وعلوفة دابتين ، ونزل خمسة غلمان ، وأمره أن يحمل عياله من جندي ساور ، وأعطاه نفقة واسعة . فحمل عياله ويوحنا ابنه حينئذ وهو صبي

فما مضت إلا أيام حتى اشتكت عين الرشيد ، فقال له الفضل : يا أمير المؤمنين طيبي ماسويه من أحذق الناس بالكحل . وشرح له قصته وما كان من أمر خادمه ، وأمر نفسه . فأمر الرشيد باحضاره ، فأحضر ماسويه فقال له : تحسن شيئاً من الطب سوى الكحل ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، وكيف لا احسن وأنا قد خدمت المرضى بالبيارستان منذ ثلاثين سنة ؟ فأدناه منه ونظر عينيه ، فقال : الحجام الساعة . فحججه على ساقيه ، وقطر في عينيه ، فبرأ بعد يومين . فأمر بأن يجري عليه ألفا درهم في الشهر ، ومعمونة في السنة عشرون ألف درهم ، وعلوفة ونزل ، والزمه الخدمة مع جبرائيل وسائر من كان في الخدمة من المتطبيين . وصار نظيراً لجبرائيل ، بل كان في ذلك الوقت يحضر بمحضوره ، ويصل بوصوله ، ودونه في الرزق ، لان جبرائيل كان له في الشهر عشرة آلاف درهم ومعمونة في السنة ، مائة ألف درهم ، وصلات دائمة واقطاعات .

ثم انه اعتلت بانو أخت الرشيد ، فلم يزل جبرائيل يعالجها بانواع العلاج فلم تنتفع ، فاغتم بها ،

(١) فلاح .

(٢) للزراعة .

فقال الرشيد ذات يوم : قد كان ماسويه ذكر انه خدم المرضى بالمارستان ، وانه يعالج الطبائع ، فليدخل الى عليمتنا لعل عنده فرجاً لها . فاحضر جبرائيل وماسويه ، فقال له ماسويه : عرفني حالها وجميع ما دبرتها به الى وقتنا هذا . فلم يزل جبرائيل يصف له ما عالجها به ، فقال ماسويه : التدبير صالح ، والعلاج مستقيم ، ولكن احتاج الى ان أراها . فأمر الرشيد ان يدخلها اليها . فدخل وتأملها ، وجس عروقها بحضرة الرشيد وخرجوا من عنده . وقال ماسويه للرشيد ! يا أمير المؤمنين ، يكون لك طول العمر والبقاء ، هذه تقضي بعد غد ما بين ثلاث ساعات الى نصف الليل . فقال جبرائيل : كذب يا أمير المؤمنين ، انها تبرأ وتميش . فأمر الرشيد بحبس ماسويه ببعض دوره في القصر ، وقال : لاسبرن^(١) ما قاله وأندرنا به ، فما رأينا بعلم الشيخ بأساً . فلما حضر الوقت الذي حده ماسويه ، توفيت . فلم يكن للرشيد همه بعد دفنها إلا أن أحضر ماسويه ، فسأله وأعجب بكلامه .

وكان أعجمي اللسان ، ولكنه كان بصيراً بالعلاج ، كثير التجارب ، فصوره نظيراً لجبرائيل في الرزق والنزل والعلوفة والمرتبة . وعنى بابنه يوحنا ووسع النفقة عليه ، فبلغ المرتبة المشهورة .

قال يوسف بن ابراهيم : عدت جبرائيل بن بختيشوع بالعلث^(٢) في سنة خمس عشرة ومائتين ، وقد كان خرج مع المأمون في تلك السنة ، حتى نزل المأمون في دير النساء . فوجدت عنده يوحنا ابن ماسويه وهو يناظره في علته ، وجبرائيل يستحسن استماعه واجابته ووصفه . فدعا جبرائيل بتحويل سته ، وسألني النظر فيه ، واخبراه بما يدل عليه الحساب . فنهض يوحنا عند ابتدائي بالنظر في التحويل ، فلما خرج من الحراسة^(٣) قال لي جبرائيل : ليست بك حاجة الى النظر في التحويل لاني أحفظ جميع قولك وقول غيرك في هذه السنة ، وانما أردت بدفعي التحويل اليك أن ينهض يوحنا فأسألك عن شيء بلغني عنه ، وقد نهض . فأسألك بحق الله ، اهل سمعت يوحنا قط يقول انه أعلم من جالينوس بالطب ؟ فحلفت له اني ما سمعته قط يدعي ذلك ! فما انقضى كلامنا حتى رأيت الحراقات تنحدر الى مدينة السلام ، فأنحدر المأمون في ذلك اليوم ، وكان يوم خميس ، ووافينا مدينة السلام غداة يوم السبت ، ودخل الناس كلهم الى مدينة السلام خلا ابي العباس بن الرشيد فانه أقام في الموضع المعروف بالقلاتين من الجانب الغربي بمدينة السلام ، وهو بازاء دار الفضل بن يحيى بباب الشامية ، التي صار بعضها في خلافة المعتصم لأبي العباس بن الرشيد . فكنت وجماعة ممن يريد المصير الى أبي العباس ممن منازلهم في قنطرة البردان ونهر المهدي لا نجش أنفسنا المصير الى الجسر ثم المصير الى القلاتين ، لبعث الشقة ، فنصير الى قصر الفضل بن يحيى ونقف بازاء مضرب أبي العباس ، وكانت الزبيديات توافينا فتمبر بنا .

(١) امتحنه ليعرف قدره .

(٢) قرية شرقي دجلة وقف على العلوية .

(٣) السفينة الخفيفة المراد التي فيها مراحي النيران يرمى بها العدو بالبحر .

فاجتمعت ويوحنا بن ماسويه عند أبي العباس بعد موافاة المأمون مدينة السلام بثلاثة أيام. وجعنا الزبيدية عند انصرافنا فسألني عن عهدي بإسرائيل ، فأعلمته اني لم أره منذ اجتمعنا بالعلث ، ثم قلت له : قد شئعت عنده . فقال . بماذا ؟ فقلت له : بلغه انك تقول أنا أعلم من جالينوس . فقال : على من ادعى علي هذه الدعوة لعنه الله ؛ والله ما صدق مؤدي هذا الخبر ، ولا بر . فسرى ذلك من قوله ما كان في قلبي ، وأعلمته اني أزيل عن قلب جبرائيل ما تأدى اليه من الخبر الاول. فقال لي : افعل ، نشدتك الله ، وقرر عنده ما أقول ، وهو ما كنت أقوله فحرف عنده . فسألته عنه فقال : « انما قلت لو ان بقراط وجالينوس عاشا الى أن يسمعا قولي في الطب وصفاتي لسألا ربهما أن يبدلها بجميع حواسها من البصر والشم والذوق واللمس حساً سمعياً يضيفانه الى ما معها من حس السمع ، ليسمعا حكيم ووصفي . فاسألك بالله أما أدبت هذا القول عني اليه . » فاستعفيته من اللقاء هذا الخبر عنه فلم يعفني . فاديت الى جبرائيل الخبر ، وقد كان أصبح في ذلك اليوم مفرقاً من علقته ، فتدخله من الغيظ والضجر ما تخوفت عليه منه النكسة ، وأقبل يدعو على نفسه ويقول : « هذا جزاء من وضع الصنعة في غير موضعها ؛ وهذا جزاء من اصطنع السفل ، وأدخل في مثل هذه الصناعة الشريفة من ليس من أهلها . ثم قال : هل عرفت السبب في يوحنا وأبيه ؟ فاخبرته أنني لا أعرفها . فقال لي : ان الرشيد امرني باتخاذ بيارستان ، وأحضرت « دهشتك » ، رئيس بيارستان جندي ساور ، لتقليده البيارستان الذي أمرت باتخاذها ، فامتنع من ذلك . وذكر ان السلطان ليست له عليه أرزاق جارية ، وانه انما يقوم بيارستان جندي ساور وميخائيل ابن أخيه حسبة . وتحمل علي بطيانوس الجائلي في اعفائه وابن أخيه فاعفيتها . فقال لي : أما اذ قد أعفيتني فأني أهدي اليك هدية ذات قدر يحسن بك قبولها ، وتكثر منفعتها لك في هذا البيارستان . فسألته عن الهدية ، فقال لي : « ان صيباً كان ممن يدق الأدوية عندنا ممن لا يعرف له اب ولا قرابة ، أقام في البيارستان أربعين سنة ، وقد بلغ الخمسين سنة او جاوزها ، وهو لا يقرأ حرفاً واحداً بلسان من اللسان ، الا أنه قد عرف الأدوية داء داء ، وما يعالج به كل داء . وهو أعلم خلق الله بانتقاد الأدوية ، واختيار جيدها ، ونفي رديها . فأنا أهديه لك فاضمه الى من أحببت من تلامذتك . ثم قلد تلميذك البيارستان فان اموره تخرج على احسن من مخرجها لو قلدتني هذا البيارستان . » فأعلمته اني قد قبلت الهدية ، وانصرف « دهشتك » الى بلده ، وأنفذ الى الرجل ، فأدخل علي في زي الرهبان ، وكشفته فوجدته على ما حكى لي عنه . وسألته عن اسمه ، فاخبرني ان اسمه ماسويه . وكنت في خدمة الرشيد وداود بن سرايون مع أم جعفر . وكان المنزل الذي ينزله ماسويه يبعد من منزلي ويقرب من منزل داود بن سرايون . وكانت في داود دعاية وبطالة ، وكان في ماسويه ضعف من ضعف السفلى فيستطيعه كل بطل . فما مضى بماسويه الا يسير حتى صار الي وقد غير زيّه ، ولبس الثياب البيض . فسألته عن خبره ، فأعلمني انه قد عشق جارية لداود بن سرايون صقلبية يقال لها « رسالة » ، وسألني ابتياعها له ، فابتعتها له بثمانمائة درهم ووهبتها له ، فأولدها يوحنا وأخاه . ثم رعت لماسويه ابتياعي له رسالة وطلبه منها النسل ، وصبرت ولده كآتهم ولد قرابة لي ، وعنيت برفع اقدارهم وتقديمهم على ابناء اشراف أهل هذه المهنة وعلمهم ، ثم رقت ليوحنا ، وهو غلام ، المرتبة الشريفة ووليت البيارستان وجعلته رئيس تلامذتي ، فكانت

مثنوبتي منه هذه الدعوى التي لا يسمع بها أحد الا قذف من خرّجه ، ونوّه باسمه وأطلق لسانه بمثل ما أطلقه به . ولمثل ما خرج اليه هذه السفلة ، كانت الاعاجم تمنع جميع الناس من الانتقال عن صناعات آبائهم ، وتحظّر ذلك غاية الحظر والله المستعان .

يوحنا بن ماسويه

كان طبيباً ذكياً فاضلاً خبيراً بصناعة الطب ، وله كلام حسن وتصانيف مشهورة وكانت مبعجلاً حظياً عند الخلفاء والملوك .

قال اسحق بن علي الرهاوي في كتاب « ادب الطبيب » عن عيسى بن ماسه الطبيب ، قال : اخبرني أبو زكريا يوحنا بن ماسويه انه اكتسب من صناعة الطب ألف ألف درهم ، وعاش بعد قوله هذا ثلاث سنين آخر . وكان الواصل مشغولاً ضيقاً به ، فشرب يوماً عنده فسقاه الساقى شراباً غير صاف ولا لذيق ، على ما جرت به العادة ، وهذا من عادة السقاة اذا قصر في برهم ^(١) . فلما شرب القدر الأول قال : يا أمير المؤمنين ، أما المذاقات فقد عرفت وأعتدتها ، ومذاقة هذا الشراب فخارجة عن طبع المذاقات كلها ، فوجد أمير المؤمنين على السقاة وقال : يسقون أطبائي ، وفي مجلسي ، مثل هذا الشراب ! وأمر ليوحنا ، بهذا السبب ، وفي ذلك الوقت ، بمائة ألف درهم ودعا بسمانة الخادم ، فقال له : احمل اليه المال الساعة . فلما كان وقت العصر سأل سمانة هل حمل مال الطبيب أم لا ؟ فقال : لا ، بعد ، فقال : يحمل اليه مائتا ألف درهم الساعة . فلما صلاوا العشاء سأل عن حمل المال فقيل له لم يحمل بعد ، فدعا بسمانة وقال : احمل اليه ثلثمائة ألف درهم . فقال سمانة لخازن بيت المال : احملوا مال يوحنا والا لم يبق في بيت المال شيء . فحمل اليه من ساعته .

وقال سليمان بن حسان : كان يوحنا بن ماسويه مسيحي المذهب سريانيا . قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة مما وجد بأنقره ^(٢) وعمورية ^(٣) وسائر بلاد الروم حين سبأها المسلمون ، ووضعها أميناً على الترجمة . وخدم هرون والأمين والمأمون ، وبقي على ذلك إلى أيام المتوكل . قال : وكانت ملوك بني هاشم لا يتناولون شيئاً من أطعمتهم إلا بحضوره . وكان يقف على رؤوسهم ومعه البراني بالجوارشات ^(٤) الهاضمة المسخنة الطابخة المقوية للحرارة الغريزية في الشتاء ، وفي الصيف بالاشربة الباردة والجوارشات .

وقال ابن النديم البغدادي الكاتب : إن يوحنا بن ماسويه خدم بصناعة الطب المأمون والمعتصم والواصل والمتوكل .

(١) عطائهم والاحسان اليهم .

(٢) بلدة بالاضول وهي عاصمة تركيا الحديثة منذ ١٩٢٣ .

(٣) مدينة بيزنطية في الاضول لم يبق منها إلا اثر .

(٤) الجوارش اي القميحة وهي كالسفوف يتخذ للضم .

وقال يوسف بن ابراهيم : كان مجلس يوحنا بن ماسويه أعمر مجلس كنت أراه بمدينة السلام لمطبيب أو متكلم أو متفلسف ، لأنه كان يجتمع فيه كل صنف من أصناف أهل الأدب . وكان في يوحنا دعابة شديدة ، يحضر بعض من يحضر من أجلها ، وكان من ضيق الصدر ، وشدة الحدة ، على أكثر مما كان عليه جبرائيل بن بختيشوع . وكانت الحدة تخرج منه ألفاظاً مضحكة ، وكان أطيّب ما يكون مجلسه في وقت نظره في قوارير الماء ، وكنت وابن حمدون بن عبد الصمد بن علي الملقب بابي العيرطرد ، واسحق بن ابراهيم بن محمد بن اسمعيل الملقب ببيض البغل ، قد توكلنا به بحفظ نوادره وأظهرت له التلمذة في قراءة كتب المنطق عليه ، وأظهرنا له التلمذة بقراءتهما كتب جالينوس في الطب عليه .

قال يوسف : فمما جففت من نوادره في وقت نظره : أن امرأة أتته فقالت له : ان فلانة وفلانة وفلانة يقرآن عليك السلام ، فقال لها : انا باسماء اهل قسطنطينية^(١) وعمورية أعلم مني باسماء هؤلاء الذين سميتهم ، فاظهري بولك حتى أنظر لك فيه .

قال يوسف : وحفظت عليه : ان رجلاً شكى اليه علة كان شفاؤه منها الفصد ، فإشار به عليه ، فقال : لم اعتد الفصد ، فقال له : ولا أحسب أحداً اعتاده في بطن أمه . وكذلك لم تعتد العلة قبل ان تعتل ، وقد حدثت بك فاختر ما شئت من الصبر على ما أحدثت لك الطبيعة من العلة أو اعتياد الفصد لتسلم منها .

قال يوسف : وشكى اليه رجل بحضرتي جرباً^(٢) قد أضر به فأمره بفصد الأكحل^(٣) من يده اليمنى ، فأعلمه أنه قد فعل . فأمر بفصد الأكحل أيضاً من يده اليسرى ، فذكر انه قد فعل . فأمره بشرب المطبوخ ، فقال : قد فعلت فأمره بشرب الاصمخيقون ، فأعلمه انه قد فعل . فأمره بشرب ماء الجبن اسبوعاً ، وشرب مخيض البقر اسبوعين ، فأعلمه انه قد فعل . فقال له : لم يبق شيء مما أمر به المتطيبون إلا وقد ذكرت انك فعلته ، وبقي شيء مما لم يذكره بقراط ولا جالينوس ، وقد رأيتاه يعمل على التجربة كثيراً ، فاستعمله فاني أرجو أن ينجح علاجك ان شاء الله . فسأله : ما هو؟ فقال ابتع زوجي قراطينس ، وقطعها رقاعاً صغاراً ، واكتب في كل رقعة : « رحم الله من دعا لمبتلى بالمفافية » والقي نصفها في المسجد الشرقي بمدينة السلام ، والنصف الآخر في المسجد الغربي ، وفرقها في المجالس يوم الجمعة ، فاني أرجو ان ينفعك الله بالدعاء ، اذ لم ينفعك العلاج .

قال يوسف : وصار اليه ، وأنا حاضر ، قسيس الكنيسة التي يتقرب فيها يوحنا وقال له : قد فسدت علي معدتي . فقال له : استعمل جوارشن الخوزي ، فقال : قد فعلت . فقال له يوحنا : فاستعمل السقمونيا ، قال : قد أكلت منه أرطالاً فأمره باستعمال المقداذيقون ، فقال : قد شربت

(١) مدينة على ضفتي البوسفور وهي بيزنطيا القديمة اسماها الاغريق في القرن السابع قبل الميلاد وجعلها قسطنطين من عواصم الامبراطورية وسماها باسمه .

(٢) مرض يحدث في الجلد بثوراً لها حكة شديدة .

(٣) عرق في الذراع . (ن . ر)

منه جرة . قال له : فاستعمل المروسيا ، فقال : قد فعلت واكثر . فغضب وقال له : ان اردت أن تبرأ فأسلم فان الاسلام يصلح المدة .

قال يوسف : واشتدت على يوحنا علة كان فيها حتى يش منه أهله ، ومن عادة النصارى احضار من يش منه أهله جماعة من الرهبان والقسيسين والشمامسة يقرؤون حوله ، ففعل مثل ذلك بيوحنا . فافرق والرهبان حوله يقرؤون ، فقال لهم : يا أولاد الفسق ما تصنعون في بيتي ؟ فقالوا له : كنا ندعو ربنا في التفضل عليك بالعافية . فقال لهم يوحنا : قرص ورد أفضل من صلوات جميع أهل النصرانية منذ كانت الى يوم القيامة ، اخرجوا من منزلي فخرجوا .

قال يوسف : وشكى ، بحضرتي ، إلى يوحنا رجل من التجار جربا به في أيام الشتاء فقال : ليست هذه من أيام علاج ما تجدد ، وانما علاج دائك هذا في أيام الربيع ؛ فتكعب أكل المعفونات كلها ، وطري السمك ومالحه صغار ذلك وكباره ، وكل حريف من الازرار والبقول ، وما يخرج من الضرع . فقال له الرجل : هذه أشياء لست أعطى صبراً على تركها . فقال له يوحنا : فان كان الامر على ما ذكرت فأدمن أكلها وحك بدنك ، فلو نزل المسيح لك خاصة لما انتفعت بدعائه ، لما تصف به نفسك من الشره ^(١) .

قال يوسف : وعاتبه النصارى على اتخاذ الجوارى وقالوا له خالفت ديننا وانت شماس ، فاما إن كنت على سنتنا واقتصرت على امرأة واحدة وكنت شماساً لنا ؛ ولما أخرجت نفسك من الشمامسة واتخذت ما بدا لك من الجوارى : فقال : انما أمرنا في موضع واحد أن لا نتخذ امرأتين ولا ثوبين ، فمن جعل الجائلق ^(٢) العاض بظر ^(٣) أمه أولى ان يتخذ عشرين ثوباً من يوحنا الشقي في اتخاذ اربع جوار ، فقولوا لجائلقكم أن يلزم قانون دينه ، حتى نلزمه معه ، وان خالفه خالفناه .

قال يوسف : وكان بختيشوع بن جبرائيل يداعب يوحنا كثيراً ، فقال له يوماً في مجلس ابي اسحق ، ونحن في عسكر المعتصم بالمداخن ، في سنة عشرين ومائتين : أنت يا أبا زكريا أخي لأبي فقال يوحنا لأبي اسحق : أشهد ايها الأمير على اقراره فوالله لأقاسمته ميراثه من أبيه ، فقال له بختيشوع : ان أولاد الزنا لا يرثون ولا يرثون وقد حكم دين الاسلام للعاهر بالحجر ، فانقطع يوحنا ولم يجر جواباً .

قال يوسف : وكانت دار الطيفوري في دار الروم من الجانب الشرقي بمدينة السلام لصيقة دار يوحنا بن ماسويه ، وكان للطيفوري ابن قد علم الطب علماً حسناً يقال له دانييل ، ثم تهرب بعد ذلك ؛ فكان يدخل مدينة السلام عند تأدي الخبر اليه بعله والده أو ما أشبه ذلك . وكان ليوحنا طاووس كان يقف على الحائط الذي فيما بين داره ودار الطيفوري ، فقدم دانييل مدينة السلام ليلاً في

(١) اشتداد الميل الى الطعام .

(٢) متقدم الاساقفة ،

(٣) الفلقة التي تقطع في الحتان من الجارية اي ما بين اسكتي المرأة . والجملة عبارة عن سبة . (ن . ر .)

الشهر المعروف بآب ، وهو شهر شديد الحر كثير الرمد ^(١) ، فكان الطاووس كلما اشتد عليه الحر صاح فأنبه دانييل ، وهو في ثياب صوف من ثياب الرهبان ، فطرده مرات فلم ينفع ذلك فيه ، ثم رفع مرزبته ^(٢) فضرب بها رأس الطاووس فوق مبيتا . واستتر الخبر عن يوحنا الى ان ركب ورجع ، فصادف عند منصرفه طاووسه ميتاً على باب داره ، فاقبل يقذف بالحدود من قتله . فخرج اليه دانييل فقال : لا تشتم من قتله ، فاني أنا قتلته ، ولك علي مكانه عدة طواويس . فقال له يوحنا : بحضرتي ليس يعجبني راهب له سنام وطول ذكر . إلا انه قال ذلك بفحش . فقال له دانييل : وكذلك ليس يعجبني شماس له عدة نساء ، واسم رئيسة نسائه قراطيس - وهو اسم رومي لا عربي . ومعنى قراطيس عند الروم القرانة ، ولبس تكون المرأة قرانة حتى تنكح غير بعلمها - . فدخل يوحنا ودخل منزله مفعولاً .

قال يوسف : وحدثني بمصر أحمد بن هرون الشراي : أن المتوكل على الله حدثه في خلافة الواثق ان يوحنا بن ماسويه كان مع الواثق على دكان كان للواثق في دجلة ، ومع الواثق قصبة فيها شص ^(٣) وقد ألقاها في دجلة ليصيد بها السمك ، فحرم الصيد ، فالتفت الى يوحنا وكان على يمينه ، فقال : قم يا مشؤوم عن يميني . فقال له يوحنا : يا أمير المؤمنين ، لا تتكلم بحال ، يوحنا بن ماسويه الخوزي وأمه رسالة الصقلية المبتاعة بثلاثمائة درهم أقبلت به السعادة الى أن صار نديم الخلفاء وسيرهم وعشيرهم ، وحتى غمرته الدنيا فنال منها ما لم يبلغه أمله . فمن أعظم محال أن يكون هذا مشؤوماً ، ولكن ، إن أحب أمير المؤمنين أن أخبره بالمشؤوم من هو ، أخبرته . فقال : ومن هو ؟ فقال : من ولدته أربع خلفاء ثم ساق الله اليه الخلافة ، فترك خلافته وقصورها وبساتينها وقعد في دكان مقدار عشرين ذراعاً في مثلها في وسط دجلة ، لا يأمن عصف الرياح عليه فيفرقه . ثم تشبه بافقر قوم في الدنيا وشريمهم ، وهم صيادو السمك . قال لي احمد بن هرون قال لي المتوكل : فرأيت الكلام قد أجمع فيه إلا أنه أمسك لمكاني .

قال يوسف : وحدثني أحمد بن هرون أن الواثق قال في هذا ليوحنا وهو على هذه الدكان : يا يوحنا ألا اعجبك من خلة ؟ قال : وما هي ؟ قال : ان الصياد ليطلب السمك مقدار ساعة ، فيصيد من السمكة ما تساوي الدينار او ما اشبه ذلك . وانا اقم منذ غدوة الى الليل فلا أصيد ما يساوي درهماً . فقال له يوحنا : وضّع أمير المؤمنين التعجب في غير موضعه ، إن رزق الصياد من صيد السمك ، فرزقه يأتيه لانه قوته وقوت عياله ؛ ورزق أمير المؤمنين بالخلافة فهو غني عن ان يرزق بشيء من السمك ، ولو كان رزقه جعل في الصيد لوافاه رزقه منه مثل ما يوافي الصياد .

قال يوسف : وحدثني ابراهيم بن علي متطبب أحمد بن طولون ، أنه كان في دهلين يوحنا بن ماسويه

(١) وجع العين وانتفاخها .

(٢) عصية من حديد .

(٣) حديدة عقفاء يصاد بها السمك وهي معرب شت او شست (ن ، ر) .

ينتظر رجوع يوحنا من دار السلطان ، فانصرف وقد أسلم في ذلك الوقت عيسى بن ابراهيم بن نوح بن أبي نوح كاتب الفتوح بن خاقان . قال ابراهيم : فقامت اليه وجاعة من الرهبان ، فقال لنا : اخرجوا يا اولاد الزنا من داري واذهبوا أسلموا فقد أسلم المسيح الساعة على يد المتوكل .

قال يوسف : وقدم جرجة بن زكريا ، عظيم النوبة ، في شهر رمضان سنة احدى وعشرين ومائتين الى سر من رأى ، وأهدى الى المعتصم هدايا فيها قردة . فاني عند يوحنا في اليوم الثاني من شوال من هذه السنة ، وأنا اعاتبه على تخلفه عن حضور الدار ، في ذلك الوقت ، لاني رأيت سلمويه وبختيشوع والجريش المتطبيين ، وقد وصلوا ، اذ دخل علينا غلام من الاتراك الخاصة ومعه قرد من القردة التي أهداها ملك النوبة لا أذكر اني رأيت اكبر منه جثة وقال له : يقول لك أمير المؤمنين زوج هذا القرد من «حامهم» قردتك وكان ليوحنا قردة يسميها حامح ، كان لا يصبر عنها ساعة . فوجم لذلك ثم قال للرسول : قل لأمير المؤمنين اتخاذي لهذه القردة غير ما توهم أمير المؤمنين ، وانما دبرت تشريحها ووضع كتاب على ما وضع جالينوس في التشريح يكون جمال وضعي اياه لأمير المؤمنين ، وكان في جسمها قلة تكون العروق فيها ، والاوراد والعصب دقاقا ، فلم أطعم في اتضاح الأمر فيها مثل اتضاحه فيا عظم جسمه . فتركها لتكبر ويغلظ جسمها ، فاما إذ قد وافى هذا القرد فسيعلم أمير المؤمنين أني سأضع له كتابا لم يوضع في الاسلام مثله . ثم فعل ذلك بالقرد فظهر له منه كتاب حسن استحسنته اعداؤه فضلا عن اصدقائه .

قال يوسف : ودخل يوحنا على محمد بن أبي أيوب بن الرشيد ، وكانت به حمى مثلثة ، وهي التي تأخذ غبا ، فنظر الى مائه وجس عرقه وسأله عن خبره ، كيف كان في أمسه ومبيته وصباحه ، الى أن وافاه . فاخبره بذلك فقال يوحنا : حُمَّاك هذه من اسهل الحميات ما لم يخلط صاحبها ، لان أقصى حقها سبعة أذوار واكثر ذلك يترك في الدور الرابع . وابت خلط فيها اللبيل انتقلت فربما تطاولت به العلة ، وربما تلفت نفسه . فقال ابن أبي أيوب : قف بي على ما رأيت ، فأني لا أخالفك . فامرته أن يقتصر على لباب الخبز المغسول بالماء الحار ثلاث غسلات ، ثم يأكل اللبالب كانت شهوته للطعام ضعيفه ، وعلى المزورات (١) من الطعام مثل الماس (٢) والقرع (٣) والسرمت (٤) والخيار وما أشبه ذلك ان كانت شهوته قوية ؛ وان يرفع يده عن الطعام وهو يشتهي . فقال له محمد : فهذا ما أمرت بأكله فدلني على ما لا آكل . فقال له : أول ما أنهارك عن أكله ، فيوحنا بن ماسويه ثم بغلة الجائليق ، فان حقه على أهل النصرانية واجب ؛ ثم الزنبريتان وهما السفيلتان اللتان في الجسر في الجانب الشرقي ، فان الجسر لا يصلح الايهما . ثم نهض مغضبا وهو يدعو علي لاني كنت السبب في مصيره الى محمد بن أبي أيوب

(١) واحدها مزورة وهي مرقة يطعمها المريض تطبخ خاليه من الادهان

(٢) حب من القطاني أخضر يؤكل مطبوخا .

(٣) نوع من البقطين وتسميه العرب الدباء .

(٤) نبات قيل هو القطف ، والقطف بقلة من احرار البقول . والسرمت ، فارسية او فارسيته السرمك (ن.و)

قال يوسف : واعتل محمد بن سليمان بن الهادي المعروف بابن مشغوف علة تطاولت به ، وكان أبو العباس بن الرشيد يلزم يوحنا تعاهده ، وكان محمد ابن سليمان ربما يزيد في الحديث أشياء لا يخیل باطلها على سامعها . فدخل اليه يوماً وأنا عنده ، فاستشاره فيما يأخذ . فقال يوحنا : قد كنت أشير عليك بما تأخذ في كل يوم وأنا احسبك تحب الصحة والعافية ، فاما إذ صح عندي انك تكره العافية وتحب العلة فلست استحل أن اشير عليك بشيء . فقال له ابن مشغوف : يا جاهل من يكره العافية ويحب العلة ؟ فقال له يوحنا : أنت ، والبرهان على ذلك ان العافية في العالم تشبه الحق والسقم يشبه الكذب ، وأنت تتكلم أكثر دهرک بالكذب ، فيكون كذبك مادة لسقمك فتى تبرأ أنت من علة متطاوله ، وأنت تمدها أكثر دهرک بالكذب الزائد فيها ، فالزم الصدق ثلاثة أيام ولا تكذب فيها ، فيوحنا بريء من المسيح ، إن لم تخرج من هذه العلة قبل انقضاء هذه الثلاثة أيام

قال يوسف بن ابراهيم ، وكان ليوحنا بن ماسويه ابن يقال له ماسويه أمه بنت الطيفوري جد اسرائيل متطبب الفتح بن خاقان . وكان ماسويه هذا اشبه خلق الله بابيه في خلقه ولفظه وحركاته . إلا انه كان بليداً لا يكاد يفهم شيئاً إلا بعد مدة طويلة ، ثم ينسى ذلك في أسرع من اللحظ . فكان يوحنا يظهر محبة ابنه تقيّة^(١) من السنة الطيفوري وولده . وكان أشد بغضاً له منه اسهل الكوسج الذي هتكه بادعائه انه وضعه في فرج أمه .

قال يوسف : واعتل في أول سنة سبع عشرة ومائتين صالح بن شيخ بن عميرة بن حيان بن سراقه الأسدي علة أشرف منها ، فاتيمه عائداً ، فوجدته قد أفرق بعض الافراق ، فدارت بيننا أحاديث كان منها ان عميرة جده أصيب باخ له من ابويه ، ولم يخلف ولداً ، فعظمت عليه المصيبة . ثم ظهر حبلى بيجارية كانت له بعد وفاته فسري عنه بعض ما دخله من الغم وحوها الى بيته ، وقدمها على حرم نفسه ، فوضعت ابنة فتنى بها وقدمها على ذكور ولده واناثهم . فلما ترعرت رغب لها في كفء بزوجهامنه . فكان لا يخطبها اليه خاطب الا فرّغ نفسه للتفتيش عن حسبه والتفتيش عن اخلاقه ، فكان بعض من نزع اليه خاطباً لها ابن عم لخالد^(٢) بن صفوان بن الأهم التميمي ، وكان عميرة عارفاً بوجه الفتى ونسبه . فقال : يا بني أما نسبك فلست أحتاج الى التفتيش عنه ، وانك لكفء لابنة أخي من جهة الشرف ، ولكنه لا سبيل الى عقد عقدة النكاح على ابنتي دون معرفتي باخلاق من أعقد العقدة له ، فان سهل عليك المقام عندي وفي داري سنة أكشف فيها أخلاقك كما اكشف احساب وأخلاق غيرك ، فاقم في الرحب والسعة ؛ وان لم يسهل ذلك عليك فانصرف الى أهلك فقد أمرنا بتجهيزك وحمل جميع ما تحتاج اليه معك الى موافاتك بصرتك . قال صالح بن شيخ : حدثني أبي عن جدي أنه كان لا يبيت ليلة الا اتاه عن ذلك الرجل أخلاق متناقضة . فواصف له باحسن الامور ، وواصف له باسمجها . فاضطره تناقض أخباره الى التكذيب بكلها ، وأن يترك الأمر على أن مادحه مايله ، وان عائبه تحامل عليه .

(١) الحذر .

(٢) نديم السفاح وكان يرجع الى مشورته في معضلات اموره اتخذها نديماً لأدبه توفي سنة ٧٥٧ .

فكتب الى خالد : « أما بعد فان فلاناً قدم علينا خاطباً لابنة أخيك فلانة بنت فلان ، فان كانت أخلاقه تشاكل حسبه ففيه الرغبة لزوجته ، والحظ لولي عقد نكاحه . فان رأيت علي بما ترى العمل به في ابن عمك وابنة أخيك ، فان المستشار مؤتمن فعلت ان شاء الله » . فكتب اليه خالد : « قد فهمت كتابك وكان أبو ابن عمي هذا احسن أهلي خلقاً وأسمجهم خلقاً ، واحسنهم عن أسماء به صفحاً ، واسخام كفاً ، إلا انه مبتل بالعمار ^(١) وسماجة الخلق . وكانت امه من احسن خلق الله وجهاً ، واعظم فرجاً ؛ الا انها من سوء الخلق والبخل وقلة العقل على ما لا اعرف احداً على مثله . وابن عمي هذا ، فقد تقبل من ابويه مساوئها ، ولم يتقبل شيئاً من محاسنها . فان رغبت في تزويجه على ما شرحت لك من خبره فانت وذاك . وان كرهته رجوت ان ينخير الله لابنة اخينا ان شاء الله

قال صالح : فلما قرأ جدي الكتاب أمر باعداد طعام للرجل ، فلما ادرك حمله على فاقة مهريه ووكل به من اخرجه من الكوفة . فاعجبني هذا الحديث وحفظته . وكان اختياري ، في منصرفي من عند صالح بن شيخ ، على دار هرون بن سليمان بن المنصور فدخلت عليه مسلماً وصادفت عنده ابن ماسويه . فسألني هرون عن خبري وعن لقيت . فحدثته بما كان عند صالح بن شيخ . فقال : لقد كنت في معادن الاحاديث الطيبة الحسان . وسألني ! هل حفظت عنه حديثاً ؟ فحدثته بهذا الحديث . فقال يوحنا : عليه وعليه ان لم يكن شبه هذا الحديث بمحدثي وحديث ابني اكثر من شبه ابني بي . بليت بطول الوجه وارتفاع قحف الرأس وعرض الجبين ، وزرقة العين ؛ ورزقت ذكاء وحفظاً لكل ما يدور في مسامي . وكانت بنت الطيفوري احسن انثى رأيتها او سمعت بها الا أنها كانت ورهاء ^(٢) بلهاء ، لا تعقل ما تقول ، ولا تفهم ما يقال لها . فتقبل ابنها مساجناً جميعاً ، ولم يرزق من محاسنها شيئاً . ولولا كثرة فضول السلطان ودخوله فيما لا يعنيه لشرحت ابني هذا حياً ، مثل ما كان جالينوس يشرح القروذ والناس . فكنت اعرف بتشريحي الأسباب التي كانت لها ببلادته ، واريح الناس من خلقتة ، واكسب اهلها بما اضع في كتابي في صفة تركيب بدنه ، وبجاري عروقه واوراده وعصبه علماً ولكن السلطان يمنع من ذلك . وكأني بابي الحسين يوسف قد حدث الطيفوري وولده بهذا الحديث ، فألقى لنا شراً ومنازعات ليضحك بما يقع بيننا ، فكان الامر على ما توهم .

واعتل ماسويه بن يوحنا بعد هذا بلبال قلائل ، وقد ورد رسول المعتصم من دمشق ايام كان بها مع المأمون في أشخاص يوحنا اليه ، فرأى يوحنا فصدته ورأى الطيفوري وابناء زكريا ودانيل خلافت ما رأى يوحنا . ففصده يوحنا وخرج في اليوم الثاني الى الشام ، ومات ماسويه في اليوم الثالث من مخرجه . فكان الطيفوري وولده يحلفون في جنازته ان يوحنا تعمد قتله ، ويحتجون بما حدثتهم به من كلامه الذي كان في منزل هرون بن سليمان .

ونقلت من كتاب الهدايا والتحف لأبي بكر وإبي عثمان الخالدين قالاً : حدثنا ابو يحيى ،

(١) الفجور . (ن. د)

(٢) حفاء .

قال : اقتصد المتوكل فقال لحاصته وندمائه اهدوا الي يوم قصدي ، فاحتفل كل واحد منهم في هديته . وأهدى اليه الفتح بن خاقان جارية لم ير الراؤون مثلها حسناً وظرفاً وكالاً ؛ فدخلت اليه ومعها جام ^(١) ذهب في نهاية الحسن ، ودن بلور لم ير مثله فيه شراب يتجاوز الصفات ، ورقة فيها مكتوب :

إذا خرج الامام من الدواء وأعقب بالسلامة والشفاء
فليس له دواء غير شرب بهذا الجام من هذا الطلاء
وفض الخاتم المهدى اليه فهذا صالح بعد الدواء
(الوافر)

واستظرف المتوكل ذلك واستحسنه ، وكان بحضرته يوحنا بن ماسويه . فقال : يا أمير المؤمنين ، الفتح ، والله ، أظن مني فلا تخالف ما أشار به .

أقول : ومن نوادر يوحنا بن ماسويه ان المتوكل على الله قال له يوماً : بعث بيتي بقصرين . فقال له : آخر الغداء يا أمير المؤمنين - أراد المتوكل تعشيت فضرني لانه تصحيفها - فأجابه ابن ماسويه بما تضمن العلاج . وعتب ابن حمدون النديم ابن ماسويه بحضرة المتوكل ، فقال له ابن ماسويه : لو ان مكان ما فيك من الجهل عقلاً ، ثم قسم على مائة خنفساء لكانت كل واحدة منهن أعقل من ارسطوطاليس .

ووجدت في كتاب جراب الدولة قال : دخل ابن ماسويه المتطبيب الى المتوكل ، فقال المتوكل لحادم له : خذ بول فلان في قارورة واثت به الى ابن ماسويه . فأتى به فلما نظر اليه ، قال : هذا بول بغل لا محالة . فقال له المتوكل : كيف علمت أنه بول بغل ؟ قال ابن ماسويه : أحضرني صاحبه حتى أراه ، ويتبين كذبي من صدقي . فقال المتوكل : هاؤوا الغلام . فلما مثل بين يديه قال له ابن ماسويه : ايش أكلت البارحة ؟ قال : خبز شعير ، وماء قراح . فقال ابن ماسويه : هذا والله طعام حماري اليوم .

ونقلت من خط المختار بن الحسن بن بطلان ان أبا عثمان الجاحظ ^(٢) ويوحنا بن ماسويه قال اجتماعاً ، بغالب ظني ، على مائدة اسماعيل بن بلبل الوزير . وكان في جملة ما قدم مضيرة ^(٣) بعد سمك ، فامتنع يوحنا من الجمع بينهما . قال له أبو عثمان : « أيها الشيخ لا يخلو أن يكون السمك من طبع اللبن أو مضاداً له ، فان كان أحدهما ضد الآخر فهو دواء له ، وان كانا من طبع واحد فلنحسب اننا قد أكلنا من أحدهما الى أن اكتفينا » . فقال يوحنا : « والله مالي خبرة بالكلام ، ولكن كل يا

(١) الكأس .

(٢) من أئمة الادب في العصر العباسي ومن اشهر الكتاب والمؤلفين . وكان ذا ملاحظة دقيقة وروح مرحة فكهة وقلم شيق يمزج الجلد بالدعابة ولد في البصرة وتوفي فيها سنة ٨٦٨ .

(٣) طعام يطبخ باللبن المضر اي حامض (ن،ر)

أبا عثمان ، وانظر ما يكون في غد . فأكل أبو عثمان نصرة لدعواه ، ففلج في ليلته ، فقال : « هذه والله نتيجة القياس الحال » . والذي ضلل أبا عثمان اعتقاده ان السمك من طبع اللين . ولو ساعناه في أنهما من طبع واحد لكان لامزاجهما قوة ليست لاحدهما .

وقال الشيخ أحمد بن علي ثابت الخطيب البغدادي عن الحسين بن فهم قال : قدم علينا محمد بن سلام صاحب طبقات الشعراء وهو الجمحي سنة اثنتين وعشرين ومائتين ، فاعتل علة شديدة ، فما تخلف عنه أحد ، وأهدى اليه اجلاء أطبائهم ، فكان ابن ماسويه بمن أهدي اليه ، فلما جسّه ونظر اليه ، قال : ما أرى من العلة ما أرى من الجزع . فقال : والله ما ذاك لحرص على الدنيا مع اثنتين وثمانين سنة ، ولكن الانسان في غفلة حتى يوقظ بعلة ، ولو وقفت بعرفات وقفة ، وزرت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم زورة ، وقضيت اشياء في نفسي ، لرأيت ما اشتد علي من هذا قد سهل . فقال له ابن ماسوية : فلا تجزع فقد رأيت في عرقك من الحرارة الغريزية وقوتها ما ان سلمك الله من هذه العوارض ، بلغك عشر سنين اخرى . قال الحسين بن فهم فوافق كلامه قدراً فماش عشر سنين بعد ذلك .

وحدث الصولي في « كتاب الاوراق » قال : كان المأمون نازلاً على البدندون - نهر من أعمال طرسوس - فجلس يوماً واخوه المعتصم عليه ، وجعلا أرجلها فيه استبراداً له ، وكان أبرد الماء وأرقه وألذه . فقال المأمون للمعتصم : أحببت الساعة من أزا^(١) العراق آكله واشرب من هذا الماء البارد عليه ، وسمع صوت حلقة البريد واجراسه ، فقبل هذا يزيد بن مقبل بريد العراق ، فأحضر طبقاً من فضة فيه رطب ازاذ فمجب من تمنيه وما تم له . فأكلا وشربا من الماء ونهضا وقودع المأمون وأقال ، ثم نهض محمواً وفصد فظهرت في رقبته نفخة كانت تعتاده ويراعياها الطبيب الى أن تنضج وتفتح وتبرأ . فقال المعتصم للطبيب ، وهو ابن ماسويه ، ما أطرف ما نحن فيه تكون الطبيب المفرد المتوحد في صناعتك ، وهذه النفخة تبتاد أمير المؤمنين ، فلا تزيلها عنه ، وتتلطف في حسم مادتها حتى لا ترجع اليه ! والله لئن عادت هذه العلة عليه لاضربن عنقك . فاستطرق ابن ماسويه لقول المعتصم وانصرف ، فحدث به بعض من يثق به ويأنس اليه فقال له : « تدري ما قصد المعتصم ؟ قال : لا . قال : قد أمرك بقتله حتى لا تعود النفخة اليه ، والا فهو يعلم ان الطبيب لا يقدر على دفع الأمراض عن الاجسام ، وانما قال لك لا تدعه يعيش ليعود المرض عليه » . فتعالم ابن ماسويه وامر تليذاً له بمشاهدة النفخة والتردد الى المأمون نيابة عنه ، والتليذ يجيئه كل يوم ويعرفه حال المأمون وما تجدد له ، فامر به بفتح النفخة ، فقال له : اعينك بالله ، ما احمرت ولا بلغت الى حد الجرح ، فقال له : امض وافتحها كما أقول لك ولا تراجعني ، فمضى وفتحها ومات المأمون رحمه الله .

أقول : انما فعل ابن ماسويه ذلك لكونه عديماً للرؤية والدين والأمانة ، وكان على غير ملة

(١) نوع من التمر .

الاسلام ، ولا له تمسك بدينه ايضاً كما حكى عنه يوسف بن ابراهيم في اخباره المتقدمة . ومن ليس له دين يتمسك به ويعتقد فيه فالواجب ان لا يداينه عاقل ولا يركن اليه حازم .

وكانت وفاة يوحنا بن ماسويه يصر من رأى يوم الاثنين لاربع خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث واربعين ومائتين في خلافة المتوكل .

ومن كلام يوحنا بن ماسويه انه سئل عن الخير الذي لا شر معه فقال : شرب القليل من الشراب الصافي

ثم سئل عن الشر الذي لا خير معه فقال : نكاح العجوز .

وقال : أكل التفاح يرد النفس .

وقال : عليك من الطعام بما حدث ، ومن الشراب بما عتق .

وليوحنا بن ماسويه من الكتب : كتاب البرهان ثلاثون باباً ، كتاب البصيرة ، كتاب الكمال والتمام ، كتاب الحيات مشجر ، كتاب في الاغذية ، كتاب في الاشربة ، كتاب المنجج في الصفات والعلاجات ، كتاب في الفصد والحجامة ، كتاب في الجذام لم يسبقه أحد الى مثله . كتاب الجواهر ، كتاب الرجحان ، كتاب في تركيب الادوية المسهلة واصلاحها وخاصة كل دواء منها ومنفعته ، كتاب دفع مضار الاغذية ، كتاب في غير ما شيء مما عجز عنه غيره ، كتاب العمر الكامل ، كتاب في دخول الحمام ومنافعها ومضرتها . كتاب السموم وعلاجها ، كتاب الديباج ، كتاب الازمنة ، كتاب الطيبخ ، كتاب في الصداع وعقله وأرجاعه وجميع ادويته والسدد والعلل المولدة لكل نوع منه ، وجميع علاجه ، ألفه لعبد الله بن طاهر . كتاب الصدر والدوار ، كتاب لم امتنع الاطباء من علاج الحوامل في بعض شهور حملهن : كتاب محنة الطبيب ، كتاب معرفة محنة الكحالين ، كتاب دغل العين ، كتاب بحسة العروق ، كتاب الصوت والبعة ، كتاب ماء الشعير ، كتاب المرة السوداء ، كتاب علاج النساء اللواتي لا يحملن حتى يحملن ، كتاب الجنين ، كتاب تدبير الاصحاء ، كتاب في السواك والسنونات ، كتاب المعدة ، كتاب القولنج ، كتاب النوادر العائدية ، كتاب التشريح ، كتاب في ترتيب سقي الادوية المسهلة بحسب الازمنة وبحسب الأمزجة ، وكيف ينبغي ان يسقى ، ولن ومتى وكيف يعان الدواء اذا احتبس ، وكيف يمنع الاسهال اذا أفرط . كتاب تركيب خلق الانسان وأجزائه وعدد اعضائه ومفاصله وعظامه وعروقه ، ومعرفة أسباب الأوجاع ، ألفه للمأمون . كتاب الابدال فصول كتبها لحنين ابن اسحق بعد أن سألته المذكور ذلك . كتاب الما ليخوليا واسبابها وعلاماتها وعلاجها . كتاب جامع الطب مما اجتمع عليه أطباء فارس والروم ، كتاب الحيلة للبرء .

ميخائيل بن ماسويه

متطبب المأمون ، وميخائيل هذا هو اخو يوحنا بن ماسويه .

قال يوسف بن ابراهيم مولى ابراهيم بن المهدي : كان هذا المتطبب لا يتمتع بالحديث ولا يحتاج في شيء يقوله بحجة ، ولا يوافق أحداً من المتطبيين على شيء أحدث من مائتي سنة ، فلم يكن يستعمل السكتجين^(١) والورد المربى إلا بالعسل ؛ ولا يستعمل الجلاب^(٢) المتخذ بماء الورد ، ولا يتخذ إلا من الورد المسلووق بالماء الحار ، ولا يتخذ بالسكر ؛ ولا يستعمل شيئاً لم يستعمله الأوائل . ولقد سأله يوماً عن رأيه في الموز فقال : « لم أر له ذكراً في كتب الأوائل ، وما كانت هذه حاله لم أقدم على أكله ولا على طعامه للناس . وكان المأمون به معجباً وله على جبرائيل بن بختيشوع مقدماً ، حتى كان يدعو بالكنية أكثر مما يدعو بالاسم . وكان لا يشرب الأدوية إلا بما تولى تركيبه وإصلاحه له . وكنت أرى جميع المتطبيين بمدينة السلام يبجلونه تبجيلاً لم يكونوا يظهرونه لغيره .

قال يوسف : وحضر في النصف من شوال سنة عشرين ومائتين دار ابراهيم بن المهدي مع جماعة من وجوه المتطبيين ، وكانت « شكلة » عليّة فوجه المعتصم المتطبيين إليها ليرجعوا إليه بخبرها ؛ وقد كانوا صاروا إليها قبل ذلك اليوم بيوم ، فنظروا إلى مائها ، وجسوا عرقها ، وعادوا النظر في اليوم الثاني في أمرها ، فقالوا كلهم : « إنها أصبحت صالحة ، وانهم لا يشكون في إفراقها ، فسبق إلى وهيئتهم ، أو أكثرهم ، أحب أن يسر أبا إسحق بما ذكروا من العافية . فلما نهضوا اتبعهم فسألت واحداً واحداً عما عنده من العلم بما لها فكلهم قال لي مثل مقالته لابي إسحق ، إلا سلمويه بن بنان فإنه قال لي : هي اليوم أصعب حالاً منها أمس . وقال لي ميخائيل « قد ظهر أمس بالقرب من قلبها ورم لم نره في يومنا هذا ، افترى ذلك الورم ساخ في الأرض أو ارتفع إلى السماء ؛ انصرف فاعد لهذه المرأة جهازها فليست تبيت في الأحياء ، فتوفيت وقت صلاة العشاء الآخرة بعد أن ألقى إلي ميخائيل ما ألقى ساعات عشراً أو نحوها .

قال يوسف : وحدثني ميخائيل بن ماسويه أنه لما قدم المأمون بغداد نادى طاهر^(٣) بن الحسين ، فقال له يوماً ، وبين أيديهم نبيذ قطر بلي : يا أبا الطيب هل رأيت مثل هذا الشراب ؟ قال : نعم ، قال : مثله في اللون والطعم والرائحة ؟ قال : نعم . قال : أين ؟ قال : ببوشنج . قال فاحمل البنا منه . فكتب طاهر إلى وكيله فحمل منه ، ورفع الخبر من النهران^(٤) إلى المأمون أن لطفاً وافى طاهراً من بوشنج ، فعلم الخبر وتوقع حمل طاهر له فلم يفعل . فقال له المأمون بعد أيام : يا أبا الطيب لم يواف النبيذ فيما وافى . فقال : أعيد أمير المؤمنين بالله من أن يقيمني مقام خزي وفضيحة . قال : ولم ؟ قال : ذكرت لأمر المؤمنين شراباً شربته وأنا صعلوك وفي قرية كنت أتمنى أن أملكها ، فلما

(١) شراب يتخذ من خل وعسل .

(٢) العسل والسكر عقداً بماء الورد .

(٣) مؤسس سلالة بني طاهر في خراسان وقائد في جيش الخليفة المأمون .

(٤) بلاد في العراق راقعة بين بغداد وراست حدث فيها الواقعة بين علي بن أبي طالب والخوانسار سنة ٦٥٨ «ن.ر.»

ملكني الله يا أمير المؤمنين أكثر مما كنت اتنى ، وحضر ذلك الشراب وجدته فضيحة من الفضائح . قال: فاحمل الينا منه على كل حال ، فحمل منه ، فامر ان يصير في الخزانة ، ويكتب عليه الطاهري ليازحه به من افراط رداءته ، فأقام سنتين ، واحتاج المأمون إلى ان يتقياً فقالوا يتقياً بنبيذ رديء فقال بعضهم : لا يوجد في العراق أردأ من الطاهري وأخرج فوجد مثل القطر بلي او اجود ، واذا هواء العراق قد اصلحه كما يصلح ما نبت وعصر فيه .

عيسى بن ماسة

من الاطباء الفضلاء في وقته ، وكان أحد المتميزين من أرباب هذه الصناعة ، له طريقة حسنة في علاج المرضى .

ولعيسى بن ماسة من الكتب كتاب قوى الاغذية . كتاب من لا يحضره طبيب . مسائل في النسل والدرية . كتاب الرؤيا . يخبر فيه بالسبب الذي امتنع به من معالجة الحوامل ، وغير ذلك . كتاب في طلوع الكواكب التي ذكرها بقراط . كتاب في القصد والحجامة . رسالة في استعمال الحمام .

حنين بن اسحق

هو ابو زيد حنين بن اسحق العبادي (بفتح العين وتخفيف الباء ، والعباد بالفتح قبائل شتى من بطون العرب ، اجتمعوا على النصرانية بالحيرة ، والنسبة اليهم عبادي قال الشاعر :

يسقيكها من بني العباد رشا منتسب عيده إلى الأحد

(المنسرح)

وكان حنين بن اسحق فصيحاً لسناً بارعاً شاعراً . واقام مدة في البصرة وكان شيخه في العربية الخليل^(١) بن أحمد . ثم بعد ذلك انتقل الى بغداد واشتغل بصناعة الطب .

قال يوسف بن ابراهيم : اول ما حصل لحنين بن اسحق من الاجتهاد والعناية في صناعة الطب هو ان مجلس يوحنا بن ماسويه كان من أعم مجلس يكون في التصدي لتعليم صناعة الطب ، وكان يجتمع فيه اصناف أهل الأدب . قال يوسف : وذلك أني كنت أعهد حنين بن اسحق الترجمان يقرأ على يوحنا ابن ماسويه كتاب فرق الطب الموسوم باللسان الرومي والسرياني بهراسيس ، وكان حنين اذ ذاك صاحب سؤال ، وذلك يصعب على يوحنا . وكان يباعده أيضاً من قلبه ان حنيناً كان من أبناء الصيارفة من

(١) نحوي ولغوي اصله من عمان تعلم على ايوب السخيتاني وعلم سيبويه والأصمعي وغيرهما من ائمة اللغة واكتشف علم العروض وتوفي في البصرة ٧٨٨ ، واشهر كتبه : كتاب العين .

أهل الحيرة ، وأهل جندي سابور خاصة ومتطبوها ينحرفون عن أهل الحيرة ويكرهون أن يدخل في صناعتهم أبناء التجار . فسأله حنين في بعض الأيام عن بعض ما كان يقرأ عليه مسألة مستفهم لما يقرأ ، فحرد يوحنا وقال : « ما لأهل الحيرة ولتعلم صناعة الطب ! صر الى فلان . قرابتك حتى يهب لك خمسين درهماً تشاري منها قفاً صفاراً بدرهم ، وزرنيخاً بثلاثة دراهم ، واشتر بالباقي قلوساً ^(١) كوفية وقادسية . وزرنخ القادسية في تلك القفاف ، واقعد على الطريق ، وصح : « القلوس الجياد للصدقة والنفقة » . ربع القلوس فانه أعود عليك من هذه الصناعة . »

ثم أمر به فاخرج من داره فخرج حنين باكياً مكروباً . وغاب عنا حنين فلم نره سنتين . وكان للرشد جارية رومية يقال لها « خرشي » ، وكانت ذات قدر عنده محلها منه محل الخوازن . وكانت لها أخت أو بنت أخت ربما أتت الرشد بالكسوة او بالشيء مما خرشي خازنة عليه . فافتقدتها الرشد في بعض الاوقات وسأل « خرشي » عنها فأعلمته انها زوجها من قرابة لها ، فغضب من ذلك وقال : كيف اقدمت على تزويج قرابة لك ، أصل ابتاعك اياها من مالي فهي مال من مالي ، بغير اذني . وأمر سلاماً الابرش بتعرف أمر من تزوجها وبتأديبه . فتعرف سلام الخبر حتى وقع على الزوج فلم يكلمه حين ظفر به حتى خصاه ، فبلي بالخصاء بعد ان علفت الجارية منه . وولدت الجارية عند مخرج الرشد الى طوس ^(٢) .

« وكانت وفاة الرشد بعد ذلك ، فتبنت « خرشي » ذلك الغلام وأدبته بأداب الروم وقراءة كتبهم . فتعلم اللسان اليوناني علماً كانت له فيه رياسة . وهو اسحق المعروف بابن الخصي . فكنا نجتمع في مجالس أهل الادب كثيراً فوجب لذلك حقه وذمامه ، واعتل اسحق ابن الخصي علة فأثبته عائداً فاني لفي منزله اذ بصرت بانسان له شعرة قد جلته وقد ستر وجهه عني ببعضها ، وهو يتردد وينشد شعراً بالرومية لأوميرس رئيس شعراء الروم ، فشبهت نغمته بنغمة حنين .

« وكان العهد بحنين قبل ذلك الوقت بأكثر من سنتين ، فقلت لاسحق بن الخصي : هذا حنين ، فانكر ذلك انكاراً يشبه الاقرار ؛ فهتفت بحنين فاستجاب لي . وقال ذكر ابن رسالة الفاعلة : انه من المحال أن يتعلم الطب عبادي ، وهو بريء من دين النصرانية انه رضي أن يتعلم الطب حتى يحكم اللسان اليوناني إحكاماً لا يكون في دهره من يحكمه احكامه . وما اطلع علي أحد غير أخي هذا ، ولو علمت انك تفهمني لاستترت عنك ، لكنني علمت على ان حيلتي قد تغيرت في عينك وانا أسألك ان تستر أمري ، فبقيت أكثر من ثلاث سنين واني لاظنها أربعاً لم أره .

« ثم اني دخلت يوماً على جبرائيل بن بختيشوع ، وقد انحدر من معسكر المأمون قبل وفاته بمدة يسيرة ، فوجدت عنده حنيناً وقد ترجم له اقساماً قسمها بعض الروم في كتاب من كتب جالينوس

(١) واحداً قلوس وهو جبل ضخيم للسفينة .

(٢) مقاطعة في خراسان شمالي شرقي ايران وهي أيضاً مدينة من نفس المقاطعة كان اسمها طابران فيها قبر الامام علي الرضا «ن.ر»

في التشريح ، وهو يخاطبه بالتبجيل ويقول له يا رب حنين وتفسيره رب المعلم . فاعظمت ما رأيت ، وتبين ذلك جبرائيل في فقال لي : لا تستكثرن ما ترى من تبجيلي هذا الفتى ، فوالله لئن مد له في العمر ليفضحن سرجس وسرجس هذا الذي ذكره جبرائيل هو الرأس عيني ، وهو أول من نقل شيئاً من علوم الروم الى اللسان السرياني وليفضحن غيره من المترجمين .

« وخرج من عنده حنين وأقمت طويلاً ، ثم خرجت فوجدت حنيناً ببابه ينتظر خروجي ، فسلم علي وقال لي : « قد كنت سألتك ستر خبري ، والآن فانا أسألك اظهاري وأظهر ما سمعت من أبي عيسى وقوله في . « فقلت له : أنا مسود وجهه يوحنا بما سمعت من مدح أبي عيسى لك ، فأخرج من كفه نسخة. ما كان دفعه الى جبرائيل وقال لي: تمام سواد وجه يوحنا يكون بدفعك اليه هذه النسخة ، وسأترك عنه علم من نقلها ، فاذا رأيته قد اشتد عجبها بها أعلمه انه اخراجي . ففعلت ذلك من يومي ، وقبل انتهائي الى منزلي .

« فلما قرأ يوحنا تلك الفصول ، وهي التي تسهيها اليونانيون الفاعلات ، كثر تعجبه وقال : « أترى المسيح أوحى في دهرنا هذا الى أحد ؟ فقلت له في جواب قوله : ما أوحى في هذا الدهر ولا في غيره الى احد ، ولا كان المسيح الا أحد من يوحى اليه . فقال لي : دعني من هذا القول ، ليس هذا الاخراج الا اخراج مؤيد بروح القدس . فقلت له : هذا اخراج حنين بن اسحق الذي طرده من منزلك وأمرته ان يشتري قلوساً. فحلف بأن ما قلت له محال . ثم صدق القول بعد ذلك وأفضل عليه افضالاً كثيراً ، وأحسن اليه ولم يزل مبهجاً له حتى فارقت العراق ، في سنة خمس وعشرين ومائتين .

هذا جملة ما ذكره يوسف بن ابراهيم .

اقول : « ثم ان حنيناً لازم يوحنا بن ماسويه منذ ذلك الوقت وتلمذ له واشتغل عليه بصناعة الطب ، ونقل حنين لابن ماسويه كتباً كثيرة وخصوصاً من كتب جالينوس ، بعضها الى اللغة السريانية ، وبعضها الى العربية ، وكان حنين أعلم أهل زمانه باللغة اليونانية والسريانية والفارسية والدرية فيهم ، بما لا يعرفه غيره من النقلة الذين كانوا في زمانه ، مع ما دأب ايضاً في اتقان العربية والاشغال بها حتى صار من جملة المتميزين فيها .

ولما رأى المأمون المنام الذي أخبر به انه رأى في منامه كأن شيخاً بهي الشكل جالس على منبر وهو يخطب ويقول : « أنا ارسطوطاليس » انتبه من منامه وسأل عن ارسطوطاليس فقبل له رجل حكيم من اليونانيين . فاحضر حنين بن اسحق اذ لم يجد من يضاهيه في نقله ، وسأله نقل كتب الحكماء اليونانيين الى اللغة العربية ، وبذل له من الأموال والعطايا شيئاً كثيراً .

ونقلت من خط الحسن بن العباس المعروف بالصناديقي رحمه الله قال ؛ قال ابو سليمان : سمعت يحيى بن عدي يقول : قال المأمون: رأيت فيما يرى النائم كان رجلاً على كرسي جالساً في المجلس الذي أجلس فيه ؛ فتعاطمته وتهيبته وسالت عنه ، فقبل هو ارسطوطاليس ، فقلت اسأله عن شيء .

فسألته ، فقلت ما الحسن ؟ فقال : ما استحسنته العقول . فقلت : ثم ماذا ؟ قال : ما استحسنته الشريعة . قلت : ثم ماذا ؟ قال : ما استحسنته الجمهور . قلت : ثم ماذا قال : ثم لا ثم .

فكان هذا المنام من أوكد الاسباب في اخراج الكتب فان المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات ، وقد استظهر عليه المأمون فكتب الى ملك الروم يسأله الاذن في انفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة ببلد الروم ، فاجاب الى ذلك بعد امتناع . فاخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج ابن مطر وابن البطريق ، وسلمنا صاحب بيت الحكمة ، وغيرهم ، فاخذوا بما وجدوا ما اختاروا ، فلما حملوه اليه امرهم بنقله فنقل . وقد قيل ان يوحنا بن ماسويه ممن نفذ الى بلد الروم . واحضر المأمون أيضاً حنين ابن اسحق وكان فقي السن ، وأمره بنقل ما يقدر عليه من كتب الحكماء اليونانيين الى العربي واصلاح ما ينقله غيره فامثل أمره .

وبما يحكى عنه : أن المأمون كان يعطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب الى العربي مثلاً بمثل . وقال أبو سليمان المنطقي السجستاني : ان بني شاعر^(١) وهم محمد واحد والحسن ، كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن اسحق ، وحبيش بن الحسن ، وثابت بن قرة وغيرهم في الشهر نحو خمسمائة دينار للنقل والملازمة .

وقال حنين بن اسحق ، انه سافر الى بلاد كثيرة ، ووصل الى أقصى بلاد الروم لطلب الكتب التي قصد نقلها . وقال محمد بن اسحق النديم في كتاب الفهرست : « سمعت اسحق بن شهرام يحدث في مجلس عام أن ببلد الروم هيكلاً قديماً البناء عليه باب لم يرقط أعظم منه بمصرعين من حديد ، كان اليونانيون في القديم عند عبادتهم الكواكب والأصنام يعظمونه ويدعون فيه . قال : فسألت ملك الروم أن يفتح لي فامتنع من ذلك لانه أغلق منذ وقت تنصرت الروم . فلم أزل ارسله وأسأله شفاهاً عن حضوري مجلسه فتقدم بفتحه ، فاذا ذلك البيت من المرمر والصخور العظام ألواناً ، وعليه من الكتابات والنقوش ما لم أسمع بمثله كثرة وحسناً . وفي هذا الهيكل من الكتب القديمة ما يحمل على عدة اجال ، (وكثر ذلك حتى قال ألف جل) بعض ذلك قد أخلق ، وبعضه على حاله ، وبعضه قد أكلته الارضة^(٢) . قال ورأيت فيه من آلات القرايين من الذهب وغيره أشياء ظريفة . قال : وأغلق الباب بعد خروجي وامتنع علي بما فعل معي ، وذلك كان في أيام سيف الدولة بن حمدان وزعم ابن البيت على ثلاثة أيام من القسطنطينية ، والمجاورون لذلك البيت قوم من الصابئة والكلدانيين ، وقد أقرتهم الروم على مذاهبهم ، وتأخذ منهم الجزية .

اقول : وكان كاتب حنين رجل يعرف بالازرق . وقد رأيت أشياء كثيرة من كتب جالينوس وغيره بخطه وبعضها عليه تنكيث بخط حنين بن اسحق باليوناني ، وعلى تلك الكتب علامة المأمون .

(١) هم بنو موسى بن شاعر ثلاثة اخوة اشتهروا بعلم الحساب والهيئة والالات من عهد المأمون الى عهد المتوكل . وكانوا شرفون على حركة الترجمة و جلب المخطوطات من آسيا الصغرى الى بغداد .

(٢) دويبة تأكل الخشب والكتب .

وقال غبيد الله بن جبرائيل بن بختيشوع في مناقب الأطباء : « ان حنيناً لما قوي أمره ، وانتشر ذكره بين الاطباء ، واتصل خبره بالخليفة أمر باحضاره . فلما حضر اقطع اقطاعات حسنة ، وقرر له جار جيد ، وكان يشعره بزبور الروم . وكان الخليفة يسمع بعلمه ولا يأخذ بقوله دواء يصفه حتى يشار فيه غيره ، واحب امتحانه حتى يزول ما في نفسه عليه ظناً منه أن ملك الروم ربما كان عمل شيئاً من الحيلة به . فاستدعاه يوماً وأمر بان يخلع عليه ، وأحضر توقيعاً فيه اقطاع يشتمل على خمسين ألف درهم . فشكر له حنين هذا الفعل ، ثم قال ، بعد أشياء جرت : أريد أن تصف لي دواء يقتل عدواً نريد قتله ، ولم يمكن اشهاره ، ونزيده سرّاً . فقال حنين : يا أمير المؤمنين اني لم اتعلم الا الادوية النافعة ، وما علمت أن امير المؤمنين يطلب مني غيرها ، فان احب ان أمضي واتعلم فعلت ذلك . فقال : هذا شيء يطول ، ورغبه وهدّده وهو لا يزيد على ما قاله الى ان امر بحبسه في بعض القلاع ، ووكّل به من يوصل خبره اليه ، وقتاً بوقت ويوماً بيوم . فمكث سنة في حبسه دأبه النقل والتفسير والتصنيف ، وهو غير مكترث بما هو فيه . فلما كان بعد سنة أمر الخليفة باحضاره ، واحضار اموال يرغبه فيها ، وأحضر سيفاً ونطعاً وسائر آلات العقوبات . فلما حضر قال : هذا شيء قد كان ، ولا بد مما قلته لك . فان أنت فعلت فقد فزت بهذا المال وكان لك عندي أضعافه . وان امتنعت قابلتك بشر مقابلة وقتلتك شر قتلة . فقال حنين : قد قلت لامير المؤمنين اني لم أحسن إلا الشيء النافع ، ولم اتعلم غيره . فقال الخليفة : فاني أقتلك . قال حنين : لي رب يأخذ بحقي غداً في الموقف الأعظم . فان اختار أمير المؤمنين أن يظلم نفسه فليفعل . « فتبسّم الخليفة وقال له : يا حنين ، طب نفساً ، وثق الينا . فهذا الفعل كان منا لامتحانك ، لانا حذرنا من كيد الملوك ، واعجابنا لنتنفع بملكك . « فقبل حنين الارض وشكر له فقال له الخليفة : يا حنين ما الذي منعك من الاجابة مع ما رأيته من صدق عزيمتنا في الحالين ؟ فقال حنين : شيئان يا أمير المؤمنين . قال : وما هما ؟ قال : الدين والصناعة . قال : فكيف ؟ قال: الدين يامرنا بفعل الخير والجميل مع أعدائنا فكيف أصحابنا وأصدقائنا ، ويبعد ويحرم من لم يكن كذا . والصناعة تمنعنا من الاضرار ببناء الجنس لانها موضوعة لفهمهم ومقصورة على مصالحهم . ومع هذا فقد جعل الله في رقاب الاطباء عهداً مؤكداً بايمان مغلفة أن لا يعطوا دواء قتالا ، ولا ما يؤذي . فلم أر أن أخالف هذين الأمرين من الشريعتين . ووطنت نفسي على القتل فان الله ما كان يضيع من بذل نفسه في طاعته ، وكان يثيبني . فقال الخليفة : انها لشريعتان جليلتان . وأمر بالخلع فخلعت عليه ، وحمل المال بين يديه ، وخرج من عنده وهو أحسن الناس حالاً وجاهاً

اقول : وكان لحنين ولدان : داؤد واسحق . وصنف لهما كتباً طبية في المبادي والتعليم ، ونقل لهما كتباً كثيرة من كتب جالينوس .

فاما داؤد فاني لم أجده له شهرة بنفسه بين الاطباء ، ولا يوجد له من الكتب ما يدل على براعته وعلمه ، وان كان الذي يوجد له انما هو كئناش واحد .

واما اسحق فانه اشتهر وتميز في صناعة الطب ، وله تصانيف كثيرة . ونقل اسحق من الكتب

اليونانية الى اللغة العربية كتباً كثيرة ، إلا ان جل عنايته كانت مصروفة الى نقل الكتب الحكمية ، مثل كتب ارسطوطاليس وغيره من الحكماء .

وأما حنين ، أبوه ، فكان مهتماً بنقل الكتب الطبية وخصوصاً كتب جالينوس حتى انه في غالب الامر لا يوجد شيء من كتب جالينوس إلا وهي بنقل حنين أو باصلاحه لما نقل غيره . فان رؤي شيء منها وقد تفرد بنقله غيره من النقلة مثل اسطاث وابن بكس والبطريق وأبي سعيد عثمان الدمشقي وغيرهم ، فانه لا يعتنى به ، ولا يرغب فيه ، كما يكون بنقل حنين واصلاحه . وانما ذلك لفصاحته وبلاغته ، ولمعرفته أيضاً بأراء جالينوس ، ولتمهره فيها .

ووجدت بعض الكتب الست عشرة لجالينوس ، وقد نقلها من الرومية الى السريانية سرجس المتطبب ، ونقلها من السريانية الى العربية موسى بن خالد الترجمان فلما طالعها وتأملت ألفاظها تبين لي بين نقلها وبين الست عشرة التي هي نقل حنين تباين كثير وتفاوت بين . وابن الألكن من البليغ ، والثري من الثريا .

وكان حنين أيضاً ماهراً في صناعة الكحل وله تصانيف مشهورة بالجودة فيها . وحدثني الشيخ شهاب الدين عبد الحق الصقلي النحوي : ان حنين بن اسحق كان يشتغل في العربية مع سيديوه وغيره ممن كانوا يشتغلون على الخليل بن أحمد ، وهذا لا يبعد ، فانها كانا في وقت واحد على زمان الأمور . واتنا نجد في كلامه وفي نقله ما يدل على فصاحته وفضله في العربية وعلمه بها ، حتى ان له تصانيف في ذلك .

وقال سليمان بن حسان : ان حنيناً نهض من بغداد الى ارض فارس ، وكان الخليل بن احمد النحوي بأرض فارس ، فلزمه حنين حتى برع في لسان العرب ، وأدخل كتاب العين بغداد ، ثم اختير للترجمة واؤتمن عليها ، وكان المتخير له المتوكل على الله . ووضع له كتاباً لمجاريب^(١) عالين بالترجمة ، كانوا يترجمون ويتصفح ما ترجموا ، كاصطف بن بسيل ، وموسى بن خالد الترجمان . قال : وخدم حنين بالطب المتوكل على الله وحظي في أيامه ، وكان يلبس زناً ، وتعلم لسان اليونانيين بالاسكندرية ، وكان جليلاً في ترجمته ، وهو الذي أوضح معاني كتب ابقراط وجالينوس ولخصها أحسن تلخيص ، وكشف ما استغلق منها ، وأوضح مشكلها . وله توالييف نافعة مثقفة بارعة . وعمد الى كتب جالينوس فاحتذى فيها حذو الاسكندرانيين ، وصنعها على سبيل المسألة والجواب فاحسن في ذلك .

وقال حنين بن اسحق عن نفسه ، ان جميع ما قد كان يملكه من الكتب ذهب حتى لم يبق عنده منها ولا كتاب واحد ، ذكر ذلك في مقالته في فهرست كتب جالينوس .

وقال أبو علي القباني : كان حنين في كل يوم عند نزوله من الركوب يدخل الحمام فيصب عليه الماء ،

(١) جمع تحرير وهو الحاذق الفطن العاقل .

ويخرج فيلطف بقطيفة وقد أعد له هذاب (١) من فضة فيه رطل شراب وكعكة مثرودة (٢) ، فيأكلها ويشرب الشراب ويطرح نفسه حتى يستوفي عرقه . وربما نام ثم يقوم ويتبخر ويقدم له طعامه وهو فروج كبير مسمن قد طبخ زير باجه ، ورغيف فيه مائتا درهم ، فيحسو من المرق ثم يأكل الفروج والحبز وينام . فاذا انتبه شرب أربعة أرطال شراباً عتيقاً ، ولم يذق غير هذا طول عمره . فاذا اشتهى الفاكهة الرطبة أكل التفاح الشامي والرماني والسفرجل .

وقال أحمد بن الطيب السرخسي في كتاب «اللبو والملاهي» ، قال حنين المتطبب: وافاني في بعض الليالي ، أيام المتوكل ، رسل من دار الخليفة يطلبوني ويقولون الخليفة يريدك ، ثم وافيت بعدهم طائفة ، ثم وافاني زرافة فاخرجني من فراشي ومضى بي ركضاً حتى أدخلني الى الخليفة . فقال : يا سيدي هوذا حنين . قال فقال ادفعوا الى زرافة ما ضمنا له . قال : فدفع اليه ثلاثون ألف درهم . ثم أقبل علي فقال : انا جائع فما ترى في العشاء ؟ فقلت له في ذلك قولاً . فلما فرغ من أكله سألت عن الخبر . فقيل لي ان مغنياً غناه صوتاً ، فسأله لمن هو ؟ فقال لحنين بن بلوع العبادي . فأمر زرافة بحضور حنين بن بلوع العبادي ، فقال له : يا أمير المؤمنين لا أعرفه . فقال : لا بد منه ، وان أحضرته فلك ثلاثون ألف درهم . قال فأحضرتني ، ونسي المتوكل السبب بما كان في رأسه من النبذ ، وحضرت وقد جاع فأشرت عليه بأن يقطع النبذ ويتعشى وينام ففعل .

أقول : وكان مولد حنين في سنة مائة وأربع وتسعين للهجرة ، وتوفي في زمان المعتمد (٣) على الله وذلك في يوم الثلاثاء أول كانون الاول من سنة الف ومائه وثمان وثمانين للاسكندر ، وهو لست خلون من صفر سنة مائتين وأربع وستين للهجرة ، وكانت مدته حياته سبعين سنة ، وقيل انه مات بالذرب (٤) .

وقال سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل : ان حنين بن اسحق مات بالغم من ليلته في أيام المتوكل . قال : حدثني بذلك وزير أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله قال ، قال كنت مع أمير المؤمنين المستنصر فجرى الحديث فقال أتعلمون كيف كان موت حنين بن اسحق ؟ قلنا : لا يا أمير المؤمنين . قال خرج المتوكل على الله يوماً وبه خمار فقمعد في مقعده فاخذته الشمس ، وكان بين يديه الطيفوري النصراني الطبيب وحنين بن اسحق . فقال له الطيفوري : يا أمير المؤمنين الشمس تضر بالخمار ، فقال المتوكل لحنين : ما عندك فيما قال ؟ فقال حنين : يا أمير المؤمنين لا تضر بالخمار . فلما تناقضا بين يديه طلب كشفهما عن صحة أحد القولين . فقال حنين : يا أمير المؤمنين الخمار حال للمخمور ، والشمس لا تضر بالخمار انما تضر المخمور . فقال المتوكل : لقد احرز من طبائع الالفاظ وتحديد المعاني ما فاق به نظراءه . فوجم لها الطيفوري ، فلما كان في غد ذلك اليوم أخرج حنين من كنه كتاباً فيه

(١) وعاء .

(٢) مفتونة ومبلولة .

(٣) الخليفة العباسي الخامس عشر . كانت منهمكاً بملذاتة فاستقل احمد بن طولون في مصر وظهرت دولة بني ساسان في

فارس واثارت فتنة العبيد بالبصرة (٨٧٠ - ٨٩٣) .

(٤) داء في المعدة يفسد فيها الطعام ولا تمسكه .

صورة المسيح مصلوباً، وصور ناس حوله فقال له الطيفوري يا حنين هؤلاء صلبوا المسيح؟ قال : نعم فقال له : ابصق عليهم . قال حنين: لا أفعل . قال الطيفوري : ولم ؟ قال : لأنهم ليسوا الذين صلبوا المسيح انما هي صور ، فاشتد ذلك على الطيفوري ورفعته الى المتوكل يسأله اباحة الحكم عليه بديانة النصرانية . فبعث الى الجالتيق والاساقفة وسئلوا عن ذلك، فأوجبوا اللعنة على حنين، فلعن سبعين لعنة بحضرة الملأ من النصارى ، وقطع زناره ، وأمر المتوكل أن لا يصل اليه دواء من قبل حنين حتى يستشرف على عمله الطيفوري . وانصرف حنين الى داره فمات من ليلته . فيقال مات غماً وأسفاً .

أقول : هذه حكاية ابن جليجل ، وكذلك أيضاً وجدت أحمد بن يوسف بن ابراهيم قد ذكر في رسالته في المكافأة ما يناسب هذه الحكاية عن حنين . والاصح في ذلك ان بختيشوع بن جبرائيل كان يعادي حنين بن اسحق ويحسده على عمله وفضله ، وما هو عليه من جودة النقل ، وعلو المنزلة . فاحتال عليه بخديعة عهد المتوكل وتم مكره عليه حتى أوقع المتوكل به وحبسه . ثم ان الله تعالى فرج عنه وظهر ما كان احتال به عليه بختيشوع بن جبرائيل ؛ وصار حنين حظياً عند المتوكل وفضله على بختيشوع وعلى غيره من سائر المتطبيين . ولم يزل على ذلك في أيام المتوكل الى ان مرض حنين فيما بعد المرض الذي توفي فيه ، وذلك في سنة أربع وستين ومائتين . وتبين لي جملة ما يحكى عن حنين من ذلك ، وصح عندي من رسالة ، وجدت حنين بن اسحق قد ألفها فيما أصابه من الحن والشدائد من الذين ناصبوه العداوة من اشرار أطباء زمانه المشهورين . وهذا نص قوله .

قال حنين بن اسحق : انه لحقني من اعدائي ومضطهدي الكافرين بنعمتي الجاحدين لحقي ، الظالمين لي ، المتعدين علي من الحن والمصائب والشُرور ما منعني من النوم وأسهر عيني وأشغلي عن مهاتي . وكل ذلك من الحسد لي على علمي وما وهبه الله ، عز وجل ، لي من علو المرتبة على اهل زماني . وأكثر اولئك أهلي وأقربائي ، فإنهم أول شروري ، وابتداء محني . ثم من بعدهم الذين علمتهم وأقرأتهم واحسنت اليهم وأرقدتهم وفضلتهم على جماعة اهل البلد من أهل الصناعة ، وقربت اليهم علوم الفاضل جالينوس ، فكافأوني عوض المحاسن مساوياً بحسب ما اوجبه طبايعهم . وبلغوا بي الى أقبح ما يكون من اذاعة أوحش الأخبار ، وكتمان جليل الاسرار ، حتى ساءت بي الظنون ، وامتدت الي العيون ، ووضع علي الرصد حتى انه كان يحصي علي الفاظي ، ويكثر اتهامي ، بما دق منها بما ليس غرضي فيه ، ما أومأوا اليه ، فأوقعوا بغضتي في نفوس سائر أهل الملل فضلاً عن أهل مذهبي . وعملت لي المجالس بالتأريلات الرذلة . وكلما اتصل ذلك بي حدثت الله حمداً جديداً، وصبرت على ما قد دفعت اليه . فآلت القضية بي الى أن بقيت بأسوأ ما يكون من الحال من الاضاعة والضرر، محبوساً مضيقاً علي مدة من الزمان لا تصل يدي الى شيء من ذهب ولا فضة ولا كتاب . وبالجملة ولا ورقة انظر فيها . ثم ان الله عز وجل نظر الي بعين رحمته ، فجدد لي نعمه وردني الى ما كنت عارفاً به من فضله . وكان سبب رد نعمتي الي بعض من كان قد ألزم عدارتي واختص بها . ومن هنا صح ما قاله جالينوس « ان الاخيار من الناس قد ينتفعون باعدائهم الأشرار ، فلعمري لقد كانت ذلك افضل الاعداء . وأنا الآن مبتدىء بذكر ما جرى علي مما تقدم ذكره فأقول :

كيف لا أبغض ويكثر حاسدي ، ويكثر ثلبي في مجالس ذوي المراتب ؛ ويبدل في قتلي الاموال ؛ ويعز من شتمني ، ويهان من أكرمني ؛ كل ذلك بغير جرم لي الى واحد منهم ولا جناية ، لكنهم لما رأوني فوقهم ، وعالياً عليهم بالعلم والعمل ، ونقل اليهم العلوم الفاخرة من اللغات التي لا يحسنونها ولا يهتدون اليها ولا يعرفون شيئاً منها ، في نهاية ما يكون من حسن العبارة والفصاحة ، ولا نقص فيها ولا زلل ، ولا ميل لاحد من الملل ، ولا استغلاق ولا لحن ، باعتبار أصحاب البلاغة من العرب الذين يقومون بمعرفة وجوه النحس والغريب ، ولا يعثرون على سيئة ولا مشكلة ولا معنى ، لكن بأعذب ما يكون عن اللفظ ، وأقربه الى الفهم . يسمعه من ليس صناعته الطب ، ولا يعرف شيئاً من طرقات الفلسفة ، ولا من ينتحل ديانة النصرانية وكل الملل ، فيستحسنه ويعرف قدره ، حتى انهم قد يغرمون على ما كان من الذي أنقل الاموال الكثيرة اذ كانوا يفضلون هذا النقل على نقل كل من قبلي . وايضاً فأقول : ولا أخطيء ان سائر أهل الأدب ، وان اختلفت ملهم ، محبون لي ، مائلون الي ، مكرمون لي ، يأخذون ما أفيدهم بشكر ، ويجازوني بكل ما يصلون اليه من الجميل . فأما هؤلاء الأطباء النصارى الذين أكثرهم تعلموا بين يدي ، نشأوا قدامي هم الذين يرومون سفك دمي . على انهم لا بد لهم مني .

فمرة يقولون : من هو حنين ؟ انما حنين ناقل لهذه الكتب ليأخذ على نقله الأجرة كما يأخذ الصانع الأجرة على صناعتهم ، ولا فرق عندنا بينه وبينهم ؛ لان الفارس قد يعمل له الحداد السيف في المثل بدينار ، ويأخذ هو من أجله في كل شهر مائة دينار . فهو خادم لأدائنا ، وليس هو عامل بها . كما ان الحداد ، وان كان يحسن صنعة السيف ، إلا انه ليس يحسن يعمل به ، فما للحداد وطلب الفروسة ! كذلك هذا الناقل ، ماله والكلام في صناعة الطب ولم يحكم في علها وامراضها ، وإنما قصده في ذلك التشبيه بنا ليقال حنين الطبيب ، ولا يقال حنين الناقل . والاجود له لو أنه لزم صناعته ، وأمسك عن ذكر صناعتنا ؛ لقد كان يكون اجدى عليه فيما كنا سنوصله اليه من أموالنا ، ونحسن اليه ما امكنا ، وذلك يتم له بترك أخذ المجلس ، والنظر في قوارير الماء ، ووصف الادوية . ويقولون : ان حنيناً ما يدخل الى موضع من الدور الخاصة والعامة الا هزؤون به ، ويتضحكون منه عند خروجه . فكنت كلما سمعت شيئاً من هذا ضاق به صدري ، وهممت ان اقتل نفسي من الغيظ والزرد . وما كان لي اليهم سبيل ، اذ كان الواحد لا يستوي له مقاومة الجامعة عند تظافرهم عليه ، لكنني كنت أضم وأعلم ان حسدهم هو الذي يدعوهم الى سائر الاشياء ، وان كان لا يخفي عليهم قبحها . فان الحسد لم يزل بين الناس على قديم الأيام ، حتى من يعتقد الديانة قد يعلم ان اول حاسد كان في الأرض قابيل في قتله لآخيه هابيل ، لما لم يقبل الله قربانه وقبل قربان هابيل . وما لم يزل قديماً فليس بعجب أن اكون انا ايضاً أحد من يؤدي بسببه . وقد يقال كفى بالحاسد حسده ويقال : ان الحاسد يقتل نفسه قبل عدوه ، ولقد أكثر العرب ذكر الحسد في الشعر ونظموا فيه الأبيات ، منها قول بعضهم :

ان يحسدوني فاني غير لائهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لي ولهم ما بي وما بهم
أنا الذي يحدوني في صدورهم
ومات اكثرا غيظاً بما يجد
لا أرتقي صعداً منها ولا أورد
البسيط

وقد قال قائل هذا وغيره في مثل هذا مما يطول ذكره ، مع قلة الفائدة فيه ، وهذا أيضاً مع ان اكثرهم اذا دهمهم الامر في مرض صعب فاليّ يصير ، حتى يتحقق معرفته مني ، يأخذ عني له صفة دوائه وتديبره ، ويتبين الصلاح فيما أمر به ان يعمل لامرة ولا مراراً . وهذا الذي يحيثني ويقتدي برأيي هو أشد الناس علي غيظاً ، واكثرهم لي ثلباً . وليس أزيدهم على ان أحكم رب الكل بيني وبينهم . وانما سكوتي عنهم لانهم ليس هم واحداً ولا اثنين ولا ثلاثة ، بل هم ستة وخمسون رجلاً جعلتهم من أهل المذهب ، محتاجون الي وانا غير محتاج اليهم . وأيضاً فإن إثرهم مع كثرتهم قوية بخدمة الخلفاء وهم أصحاب المملكة وأنا فأضعف عنهم من وجهين : أحدهما وحدتي ، والثانية : ان الذين يعنون بي من الناس محتاجون الي الأصل الذي يعنى بأعدائي الذي هو أمير المؤمنين ، ومع هذا كله لا أشكو الى أحد ما أنا عليه وان كان عظيماً ، بل ابوح بشكرهم في المحافل وعند الرؤساء . فإن قيل لي انهم يثلبونك وينتقصون بك في مجالسهم ، ادفع ذلك وأرى اني غير مصدق شيء مما يقال لي ، بل أقول أنا نحن شيء واحد تجمعنا الديانة والبلدة والصناعة . فما أصدق ان مثلهم يذكر أحداً من الناس فضلاً عني بسوء ، فاذا سمعوا عني مثل هذا القول قالوا : قد جزع وأعطى من نفسه الصمة . وكلما ثلبوني زدت في الشكر لهم .

وانا الآن ذاكر هنا آخر الآبار التي حفروها لي ، سوى ما كان لي معهم قديماً خاصة مع بني موسى والجالينوسيين والبقراطيين في امر البهت الأول . وهذه قصة الهنة الاخيرة القريبة ، وهي : ان بختيشوع بن جبرائيل المتطبيب عمل على حيلة تمت له علي ، وأمكنته مني ارادته في . وذلك انه استعمل قونة ^(١) عليها صورة السيدة مار مريم ، وفي حجرها سيدنا المسيح والملائكة قد احتاطوا بها وعلمها في غاية ما يكون من الحسن وصحة الصورة بعد ان غرم عليها من المال شيئاً كثيراً . ثم حملها الى أمير المؤمنين المتوكل ، وكان هو المستقبل لها من يد الخادم الحامل لها ، وهو الذي وضعها بين يدي المتوكل . فاستحسنها المتوكل جداً ، وجعل بختيشوع يقبلها بين يديه مراراً كثيرة . فقال له المتوكل : لم تقبلها ؟ فقال له : يا مولانا اذا لم أقبل صورة سيدة العالمين فمن أقبل ؟ فقال له المتوكل : وكل النصرارى هكذا يفعلون ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، وأفضل مني ، لأنني أنا قصرت حيث أنا بين يديك . ومع تفضيلنا معشر النصرارى ، فاني أعرف رجلاً في خدمتك وافضالك وارزاقك جارية عليه من النصرارى يتهاون بها ويبصق عليها ، وهو زنديق ملحد ، لا يقر بالوحدانية ولا يعرف آخره يستتر بالنصرانية وهو معطل مكذب بالرسل . فقال له المتوكل : من هذا الذي هذه صفته ؟ فقال له : حنين المترجم . فقال المتوكل : أوجه أحضره ، فان كان الامر على ما وصفت ، نكلت به

(١) الايقونة وهي الصورة والتمثال وفصيحها النصة .

وخلدته المطبق^(١) ، مع ما أتقدم به في أمره من التضيق عليه ، وتجديد العذاب . فقال ، أنا أحب أن يؤخر مولاي أمير المؤمنين الى أن أخرج وأقيم ساعة ، ثم تأمر بإحضاره . فقال : اني افعل ذلك . فخرج بختيشوع من الدار وجاءني ، فقال : يا أبا زيد ، أعزك الله ، ينبغي أن تعلم انه قد أهدي الى أمير المؤمنين قونة قد عظم عجبها ، وأحسبها من صور الشام ، وقد استحسناها جداً . وان نحن تركناها عنده ومدحناها بين يديه تولم بنا بها في كل وقت . وقال : هذا ربكم وأمه مصورين . وقد قال لي أمير المؤمنين : انظر الى هذه الصورة ما أحسنها ، وايش تقول فيها ؟ فقلت له : صورة مثلها يكون في الحمامات ، وفي البيع وفي المواضع المصورة . وهذا بما لا نبالي به ولا نلتفت اليه . فقال : وليس هي عندك شيء ؟ قلت : لا ! قال : فان تكن صادقاً فابصق عليها ، فبصقت ، وخرجت من عنده وهو يضحك ويعطع بي^(٢) . وانما فعلت ذلك ليرمي بها ولا يكثر الولوج بنا بسببها ، ويميزنا دائماً . ولا سيما ان حرد أحد من ذلك ، فان الولوج يكون أزيد . والصواب ان دعا بك وسألك عن مثل ما سألتني أن تفعل كما فعلت أنا . فاني قد عملت على لقاء سائر من يدخل اليه من اصحابنا ، وأتقدم اليهم أن يفعلوا مثل ذلك . فقبلت ما وصاني به ، وجازت علي سخريته ، وانصرف . فما كان إلا ساعة حتى جاءني رسول أمير المؤمنين فاخذني اليه . فلما دخلت عليه اذ القونة موضوعة بين يديه فقال لي : يا حنين ترى ما احسن هذه الصورة واعجبها ؟ فقلت : والله انه لكما ذكر أمير المؤمنين . فقال : فأيش تقول فيها ؟ فقال : أو ليس هي صورة ربكم وأمه ؟ فقلت : معاذ الله يا أمير المؤمنين ! إن الله تعالى صورة أو يصور ؟ ولكن هذا مثال في سائر المواضع التي فيها الصور . فقال : فهذه لا تنفع ولا تضر . فقلت : هو كذلك يا أمير المؤمنين . فقال : فان كان الامر على ما ذكرت ، فابصق عليها . فبصقت عليها فللوقت أمر بحبسي . ووجه الى ثوذسيس الجائليق فاحضره . فلما دخل عليه ورأى القونة موضوعة بين يديه وقع عليها ، قبل أن يدعو له ، فاعتنقها ولم يزل يقبلها ويبكي طويلا . فذهب الخدم ليمنعوه فأمر بتركه . فلما قبلها طويلا على تيك الحالة أخذها بيده وقام قائماً ، فدعا لامير المؤمنين واطنب في دعائه ، فرد عليه وأمره بالجلوس . فجلس وترك القونة في حجره . فقال له المتوكل : أي فعل هذا ؟ تأخذ شيئاً كان بين يدي وتتركه في حجرك عن غير اذني ؟ فقال له الجائليق : نعم يا أمير المؤمنين ، أنا أحق بهذه التي بين يديك . وان كان لأمر المؤمنين ، اطال الله بقاءه ، أفضل الحقوق ، غير ان ديانتي لم تدعني أن ادع صورة ساداتي مرمية على الأرض ، وفي موضع لا يعرف مقدارها ، بل لعله أن يعرف لها قدره لان هذه حقها أن تكون في موضع يعرف فيه حقها ، ويسرج بين يديها افضل الأدهان من حيث لا تطفأ قناديلها ، مع ما يبخر به بين يديها من أطاييب البخور في أكثر الاوقات .

فقال امير المؤمنين : فدعها في حجرك الآن ، فقال الجائليق : اني أسأل مولاي أمير المؤمنين ان

(١) السجّج تحت الأرض وهي ما تسمى الززانة ويقابلها بالفرنسية Cellule .

(٢) يخلط في كلامه ويتتابع صوته .

يحود بها علي ، ويعمل على انه قد يقطعني ما مقدار قيمته مائة الف دينار في كل سنة حتى أقضى من حقها ما يحب علي ، ثم يسألني امير المؤمنين ما احب بعد ذلك فيما أرسل الي بسببه . فقال له : قد وهبتها لك ، وانا أريد ان تعرفني ما جزاء من بصبى عليها عندك ؟ فقال له الجائليق : ان كان مساماً فلا شيء عليه لانه لا يعرف مقدارها ، لكن يعرف ذلك ويلام ويوبخ على مقدار ما فعل حتى لا يعود الى مثل ذلك مرة أخرى . وان كان نصرانياً وكان جاهلاً لا يفهم ولا معرفة عنده فيسلام ويزجر بين الناس ويتهدد بالجروم العظيمة ويعذل حتى يتوب ؛ وبالجمله ان هذا فعل لا يقوم عليه إلا جاهل لا يعرف مقدار الديانة . فان كان عاقلاً وقد بصبى عليها فقد بصبى على مريم أم سيدنا وعلى سيدنا المسيح . فقال له امير المؤمنين : فما الذي يجب على من فعل ذلك عندك ؟ فقال : ما عندي يا امير المؤمنين ، اذ كنت ، لا سلطان لي ان اعاقبه بسوط او بعصا ، ولا لي حبس ضنك ، بل احرمه وامنعه من الدخول الى البيع ومن القربان ؛ وامنع النصارى من ملابسته وكلامه ؛ وأضيق عليه ، ولا يزال مرفوضاً عندنا الى ان يتوب ويقطع عما كان عليه ، وينتقل ويتصدق ببعض ماله على الفقراء والمساكين ، مع لزوم الصوم والصلاة ، فحينئذ نرجع الى ما قال كتابنا وهو « ان لم تغفوا للخطائين لم يغفر لكم خطاياكم » ، فنحل حرم الجاني ، ونرجع الى ما كنا عليه .

ثم ان امير المؤمنين أمر الجائليق بأن يأخذ القونة ، وقال له : افعل بها ما تريد ، وأمر له معها ببدرة دراهم ، وقال له : انفق ما تأخذ هذه على قونتك . فلما خرج الجائليق لبث قليلاً يتعجب منه ومن محبته لمعبوده وتعظيمه اياه . ثم قال : ان هذا الامر عجيب . ثم أمر باحضاري فاحضرت اليه واحضر السوط والحبال ، وأمر بي فشددت مجرداً بين يديه وضربت مائة سوط ، وأمر باعتقالي والتضييق علي . ووجه فحمل جميع ما كان لي من رحل واثاث وكتب وما شاكل ذلك ، وأمر بنقض منزلي الى الماء ، واقمت في داخل داره معتقلاً ستة أشهر في أسوأ ما يكون من الحال ، حتى صرت رحمة لمن رأي . وكان أيضاً في كل يسير من الايام يوجه يضر بني ويحدد لي العذاب . فلم أزل على ما شرحت الى أن اعتل امير المؤمنين ، وذلك في اليوم الخامس من الشهر الرابع من يوم حبسي ، وكانت علته صعبة جداً فأقعد ولم تمكنه الحركة وأيس منه وأيس هو ايضاً من نفسه . ومع ذلك ، فإن أعدائي الأطباء عنده ليلاً ونهاراً ولا يزالونه ساعة واحدة ، وهم يعالجونه ويداوونه ، ويسألونه في كل وقت في أمري ويقولون له « لو أراحنا مولانا امير المؤمنين من ذلك الزنديق الملحد لأراح منه الدنيا ، وانكشف عن الدين منه محنة عظيمة » .

فلما طالت مسألتهم له في أمري وكثر ذكرهم لي بين يديه بكل سوء ، قال لهم : فما الذي يسركم أن أفعل به ؟ قالوا : تريخ العالم منه ، وكان مع ذلك ، كل من سأل في أمري وتشفع في من اصدقائي يقول بختيشوع : « يا امير المؤمنين هذا بعض تلاميذه وهو يعتقد اعتقاده » فيقل المعين لي ويكثر المحرك علي ، وأبست من الحياة ، فقال لهم امير المؤمنين ، وقد لجوا عليه في السؤال : فاني أقتله في غد يومنا هذا وأريحكم منه . فسر بذلك الجماعة وانصرفوا على ما يحبون .

فجاءني بعض الخدم وقال لي انه جرى في امرك العيش كذا وكذا ، فسألت الله عز وجل التفضل بما لم تزل أباديه الي بامثاله ، مع ما انا فيه من كثرة الاهتمام وشغل القلب بما أخاف نزوله بي في غد بغير جرم أستوجبه ولا جنابة جنيتها ، بل بحيلة من احتال علي وطاعتي من اغتالي . وقلت : اللهم انك عالم براءتي فانت أولى بنصرتي . وطال بي الفكر الى أن حلني النوم ، فاذا بهاتف يحركني ويقول لي : « قم فاحمد الله وأثن عليه فقد خلصك من ايدي اعدائك » وجعل عافية امير المؤمنين علي يدك فطرب نفساً « فانتبهت مرعوباً » ثم قلت : كلما كثرت ذكره في اليقظة لم تنكر رؤيته عند النوم . فلم أزل احمد الله واثني عليه الى أن جاء وجه الصبح ، فجاءني الخادم ففتح علي الباب ولم يكن وقته الذي كان يجيئني فيه فقلت هذا وقت منكر ، جاءني ما وعدت به البارحة . وقد جاء وقت رضا أعدائي وشماتهم بي ، واستعنت بالله .

فما جلس الخادم إلا هنيهة ، إذ جاء غلامه ومعه مزين ، ثم قال : تقدم يا مبارك ليؤخذ من شعرك . فتقدمت فاخذ من شعري ثم مضى بي الى الحمام فأمر بغسلي وتنظيفي والقيام علي بالطيب ، كما أمره مولاي امير المؤمنين . ثم خرجت من الحمام فطرح علي ثياباً فاخرة ، وردني الى مقصورته الى أن حضر سائر الاطباء عند امير المؤمنين ، واخذ كل واحد منهم موضعه . فدعاني امير المؤمنين وقال : هاتوا حنيناً ، فلم تشك الجماعة انه انما دعاني لقتلي فادخلت اليه فنظر الي ولم يزل يدنيني الى ان اجلسني بين يديه وقال لي : قد غفرت لك ذنبك ، واجبت السائل فيك ، فاحمد الله على حياتك ، واثمر علي بما ترى ، فقد طالعت علي . فاخذت مجسته وأشرت بأخذ خيار شنبه منقى من قصبه وترجيبن . لأنه شكا اعتقالات مع ما كان يوجب الصورة من استعمال هذا الدواء . فقال الاطباء : الأعداء : نعوذ بالله يا امير المؤمنين من استعمال هذا الدواء اذ كان له غائلة ردية . فقال لهم : امسكوا فقد أمرت أن آخذ ما يصفه لي ، ثم انه أمر بأصلاحه ، فاصلح وأخذته لوقته . ثم قال لي : يا حنين اجعلني من كل ما فعلته بك في حل فشفيعك الي قوي ، فقلت له : مولاي امير المؤمنين في حل من دمي فكيف وقد من علي بالحياة . ثم قال : تسمع الجماعة ما أقوله : فنصتوا اليه ، فقال : اعلوا انكم انصرفتم البارحة مساء ، اني ابكر أقتل حنيناً كما ضمنتم لكم ، فلم أزل أقلق الى نصف من الليل متوجعاً ، فلما كان ذلك الوقت اغفيت فرأيت كأني جالس في موضع ضيق وانتم معشر الأطباء بعيدون عني بعداً كثيراً مع سائر خدمي وحاشيتي ، وأنا أقول لكم : ويحكم ما تنظرون الي في أي موضع انا هذا يصلح لمثلي ، وأنتم سكوت لا تجيبوني عما أخاطبكم به . فاذا أنا كذلك حتى اشرق علي في ذلك الموضع ضياء عظيم مهول حتى رعبت منه . واذا أنا برجل قد وافى ، جميل الوجه ومعه آخر خلفه عليه ثياب حسنة فقال : السلام عليك . فرددت عليه . فقال لي : تعرفني ؟ فقلت : لا ، فقال : أنا المسيح ، فقلقت وتزعزعت وقلت : من هذا الذي معك ؟ فقال : حنين بن اسحق . فقلت : اعذرني فلست أقدر ان أقوم أصافحك ، فقال : اعف عن حنين ، واغفر ذنبه فقد غفر الله له . واقبل ما يشير به عليك ، فإنك تبرأ من علتك .

« فانتبهت وأنا منموم بما جرى علي حنين مني ومفكر في قوة شفيعه الي ، وان حقه الآن علي

واجب ، فانصرفوا ليلزميني ، كما أمرت ، وليحمل إلي كل واحد منكم عشرة آلاف درهم لتكون دية من سأل في قتله . وهذا المال يلزم من حضر المجلس البارحة وسأل في قتله ، ومن لم يكن حاضراً فلا شيء عليه . ومن لم يحمل ما أمرت بحمله من هذا المال لأضربن عنقه . ثم قال لي : اجلس انت والزم رقبتيك . وخرج الجماعة فحمل كل واحد منهم عشرة آلاف درهم . فلما اجتمع سائر ما حملوه أمر بان يضاف اليه مثله من خزانته ، فكان زائداً عن مائتي الف درهم ، وأن يسلم الي ، ففعل ذلك . فلما كان آخر النهار وقد أقامه الدواء ثلاثة مجالس أحسن بصلاح ، وخف ما كان يجدي . فقال : يا حنين ابشر بكل ما تحب . فقد عظمت رقبتيك عندي ، وزادت طبقتك أضعاف ما كنت عليه عندي ، فسأعوضك أضعاف ما كان لك ، واحوج أعداءك اليك ، وأرفعك على سائر اهل صناعتك . ثم انه أمر بإصلاح ثلاث دور من دوره التي لم أسكن قط منذ نشأت في مثلها ، ولا رأيت لاحد من اهل صناعتي مثلها . وجل اليها سائر ما كنت محتاجاً من الأواني والفرش والآلة والكتب وما يشا كل ذلك ، بعد ان اشهد لي بالدور ، وتوثق لي بشهادات العدول ، لانها كانت خطيرة في قيمتها ، لانها تقوم بالوف دنانير ، فلمحبته لي ، وميله الي ، احب ان تكون لي ولعقبتي ولا تكون علي حجة لمعارض . فلما فرغ مما أمر به من الحل الى الدور ، وجميع ما ذكر وتعليقها بالوان الستور ، ولم يبق غير المضي اليها ، أمر بحمل المال الضعف الكثير بين يدي ، وحملني على خمسة ارؤس من خيار بغلاته الخاصة بمواكبها . وذهب لي ثلاثة خدم روم ، وأمر لي في كل شهر بخمسة عشر الف درهم ، اطلق لي الفانت من رزقي في وقت حبسي ، فكان شيئاً كثيراً . وحمل من جهة الخدم والحرم وسائر الحاشية والاهل ما لا يمكن ان يحصى من الاموال والخلع والاقطاع . وحصلت وظائفني التي كنت آخذها خارج الدار من سائر الناس ، آخذها من داخل الدار ، وصرت المقدم على سائر الاطباء من اعواني وغيرهم . وهذا تم لي لما لحقتني السعادة التامة ، وهذا ما جرى علي بعد اوة الاشرار ، كما قال جالينوس : « ان الأخيار من الناس قد ينتفعون باعدائهم الاشرار . »

« ولعمري لقد لحق جالينوس بحن عظيمة ، الا انها لم تكن تبلغ الى ما بلغت بي انا هذه الحن ، واني لاعلم مراراً كثيرة ان اول من كان يعدو الى باب دارني في حاجة تكون له الى امير المؤمنين ، او ان يسألني عن مرض قد حار فيه احد اعدائي الذين قد عرفتك ما لحقني منهم . وكنت وحق معبودي ، العلة الاولى ، اسارع في قضاء حوائجهم ، واخلص لهم المودة ، ولم أكفئهم على شيء مما صنعوه بي ولا واحداً منهم اخذته بذلك . فكان سائر الناس يتعجبون من حسن قضائي حوائجهم بعد ما كانوا يسمعونهم يقولون في عند الناس وخاصة عند مولاي امير المؤمنين . وصرت انقل لهم الكتب على الرسم بغير عوض ولا جزاء ، واسارع الى جميع محابهم بعد ان كنت اذا نقلت لاحد كتاباً أخذت منه وزنه دراهم . »

اقول : وجدت من هذه الكتب كتباً كثيرة وكثيراً منها اقتنيته وهي مكتوبة مولد الكوفي بخط الازرق كاتب حنين وهي حروف كبار بخط غليظ في اسطر متفرقة ، وورقها كل ورقة منها بغلظ ما يكون من هذه الاوراق المصنوعة يومئذ ثلاث ورقات او أربع ، وذلك في تقطيع مثل ثلث

البغدادي . وكان قصد حنين بذلك تعظيم حجم الكتاب وتكثير وزنه ، لاجل ما يقابل به من وزنه دراهم ، وكان ذلك الورق يستعمله بالقصد ، ولا جرم أن لفظه بقي هذه السنين المتطاولة من الزمان . قال حنين : « وانما ذكرت سائر ما تقدم ذكره ليعلم العاقل ان الحن قد تنزل بالعاقل والجاهل ، والشديد والضعيف ، والكبير والصغير . وانها وان كانت لا شك واقعة بهذه الطبقات التي ذكرنا ، فما سبيل العاقل ان يأيس من تفضل الله عليه بالخلاص بما يلي به ، بل يثق وبجسن ثقته بخالفه ، ويزيد في تعظيمه وتمجيده . فالحمد لله الذي من علي بتجديد الحياة ، واطهرني على اعدائي الظالمين لي ، وجعلني افضلهم رتبة واكثرهم حالا ، حمداً جديداً دائماً ، وهذا جملة قول حنين بن اسحق بلفظه . ومن كلام حنين ، قال : الليل نهار الاديب .

ولحنين بن اسحق من الكتب : كتاب المسائل وهو المدخل الى صناعة الطب لانه قد جمع فيه جملاً وجوامع تجري مجرى المبادئ والاولا لهذا العلم ، وليس جميع هذا الكتاب لحنين بل ان تلميذه الاعسم حبشاً تمه . ولهذا قال ابن أبي صادق في شرحه له ان حنيناً جمع معاني هذا الكتاب في طروس ومسودات بيض منها البعض في مدة حياته . ثم ان حبش بن الحسن تلميذه وابن أخته رتب الباقي بعده وزاد فيه من عنده زوائد ، وألحقها بما أثبتته حنين في دستوره . ولذلك يوجد هذا الكتاب معنونا بكتاب المسائل لحنين بزيادات حبش الاعسم . والذي يوجد في النسخ من هذا الكتاب أن زيادات حبش من عند ذكره أوقات الأمراض الاربعة الى آخر الكتاب . وقال ابن أبي صادق ان زيادات حبش انما هي من الكلام في الترياق ، واستدل على ذلك بأنه قال : ثم ان حنين بن اسحق عمل مقالتين شرح فيها ما قاله جالينوس في الترياق . ولو كان قاله حنين لكان يقول ثم اني عملت مقالتين شرحت فيها كذا وكذا . وقيل ان حنيناً شرع في تأليف هذا الكتاب في ايام المتوكل ، وقد جعله رئيس الاطباء ببغداد .

كتاب العشر مقالات في العين ، وهذا الكتاب يوجد في نسخة اختلاف كثير ، وليس مقالاته على واحد . فان بعضها توجد مختصرة موجزة في المعنى الذي هي فيه ، والبعض الآخر قد طول فيه وزاد عما يوجب تأليف الكتاب . والسبب في ذلك أن كل مقالة منه كانت بمفردها من غير التثام لها مع غيرها . وذلك لان حنيناً يقول في المقالة الاخيرة من هذا الكتاب أنني قد كنت ألفت منذ نيف وثلاثين سنة في العين مقالات مفردة ، نحوت فيها الى أغراض شتى . سألني تأليفها قوم بعد قوم قال ثم ان حبشاً سألني أن أجمع له ذلك ، وهو تسع مقالات واجعله كتاباً واحداً وأن أضيف له للتسع مقالات الماضية مقالة أخرى أذكر فيها كتبهم لعل العين . وهذا ذكر أغراض المقالات التي يضمها هذا الكتاب :

المقالة الاولى يذكر فيها طبيعة العين وتركيبها .

والمقالة الثانية يذكر فيها طبيعة الدماغ ومنافعه .

المقالة الثالثة يذكر فيها العصب الباصر والروح الباصر وفي نفس الابصار كيف يكون .

والمقالة الرابعة فيها جل الأشياء التي لا بد منها في حفظ الصحة واختلافها .
 المقالة الخامسة يذكر فيها أسباب الاعراض الكائنة في العين .
 المقالة السادسة في علامات الامراض التي تحدث في العين .
 المقالة السابعة يذكر فيها قوى جميع الادوية عامة .
 المقالة الثامنة يذكر فيها أجناس الادوية للعين خاصة وأنواعها .
 المقالة التاسعة يذكر فيها مداواة أمراض العين .
 المقالة العاشرة في الادوية المركبة الموافقة لعلل العين .

ووجدت مقالة أخرى حادية عشرة لحنين مضافة الى هذا الكتاب ، يذكر فيها علاج الامراض ،
 التي تعرض في العين بالحديد .

كتاب في العين : على طريق المسألة والجواب ، ثلاث مقالات ، ألفه لولديه داؤد واسحق ، وهو
 مائتان وتسع مسائل . اختصار الستة عشر كتاباً لجالينوس على طريق المسألة والجواب اختصره
 أيضاً لولديه ، واكثر ما ألفه من الكتب على طريق المسألة والجواب ، انما غرضه بها الى هذا القصد .
 كتاب الترياق ، مقالتان . اختصار كتاب جالينوس في الادوية المفردة ، احدى عشرة مقالة اختصره
 بالسرياني ، وانما نقل منه الى العربي الجزء الاول ، وهو خمس مقالات ، نقلها لعلي بن يحيى . مقالة في
 ذكر ما ترجم من كتب جالينوس وبعض ما لم يترجم كتبها الى علي بن يحيى المنجم مقالة في ثبت
 الكتب التي لم يذكرها جالينوس في فهرست كتبه ، وصف فيها جميع ما وجد لجالينوس من الكتب
 التي لا يشك انها له ، وقال : ان جالينوس يكون صنفها بعد وضعه الفهرست . مقالة في اعتذاره
 لجالينوس فيما قاله في المقالة السابقة من كتاب آراء ابقراط وافلاطن . حمل مقالة جالينوس في اصناف
 اللفظ الخارج عن الطبيعة ، على طريق المسألة والجواب . جوامع كتاب جالينوس في النبول على
 طريق المسألة والجواب . جوامع كتاب جالينوس في ان الطبيب الفاضل يجب ان يكون فيلسوفاً ،
 على طريق المسألة والجواب . جوامع كتاب جالينوس في كتب ابقراط الصحيحة وغير الصحيحة .
 جوامع كتاب جالينوس في الحث على تعلم الطب ، على طريق المسألة والجواب . جوامع كتاب المنى
 لجالينوس ، على طريق المسألة والجواب . ثمار تفسير جالينوس ، لكتاب الفصول لابقرراط ، على طريق
 المسألة والجواب ، سبع مقالات ، وكان تأليفه له بالسرياني ، وانما نقل منه الى العربي المقالة الاولى
 والثانية والثالثة والرابعة . وأما الثلاث المقالات الباقية فنقلها الى العربي عيسى بن صهر بنحت . ثمار
 تفسير جالينوس لكتاب مقدمة المعرفة ، على طريق المسألة والجواب . ثمار تفسير جالينوس لكتاب ابقراط
 في تدبير الامراض الحادة على طريق المسألة والجواب . ثمار تفسير جالينوس لكتاب ابقراط في جراحات
 الرأس على طريق المسألة والجواب . ثمار السبع عشرة مقالة الموجودة من كتاب جالينوس لكتاب أبينديميا
 لابقرراط على طريق المسألة والجواب . ثمار تفسير جالينوس لكتاب قاطيطريون لابقرراط على طريق المسألة
 والجواب ثمار تفسير جالينوس لكتاب ابقراط في الأهوية والأزمنة والبلدان ، على طريق المسألة والجواب ،
 شرح كتاب الهواء والماء والمساكن لابقرراط لم يتم : شرح كتاب الغذاء لابقرراط : ثمار المقالة الثالثة من

تفسير جالينوس لكتاب طبيعة الانسان لابقراط ، ثمار كتاب ابقرات في المولدين لثانية اشهر ، فصول استخراجها من كتاب ابيديميا . فصول استخراجها من كتاب الاهوية والبلدان وما في كتاب الفصول من الكلام في الاهوية والبلدان بتفسير جالينوس . مقالة في تدبير الناقهين ، ألفها لأبي جعفر محمد بن موسى . رسالة في قرص العود ، رسالة الى الطيفوري في قرص الورد . كتاب الى المعتمد فيما سأله عنه من الفرق بين الغذاء والدواء المنسل ، ثلاث مقالات ، كتاب قوى الاغذية ثلاث مقالات كتاب في كيفية ادراك الديانة مسائل في البول انتزعها من كتاب ابيديميا لابقراط . مقالة في تولد الفروج بين فيها أن تولد الفروج انما هو من بياض البيضة ، واغتداؤه من المح الذي فيها . مسائل استخراجها من كتب المنطق الأربعة . مقالة في الدلائل ، وصف فيها ابواباً من الدلائل التي يستدل بها على معرفة كل واحد من الامراض .

كتاب في النبض ، كتاب في الحميات ، كتاب في البول مستخرج من كتاب ابقرات وجالينوس ، كتاب في معرفة أوجاع المعدة وعلاجها ، مقالاتان ، كتاب في حالات الاعضاء . مقالة في ماء البقول . كتاب في اليبس ، كتاب في حفظ الاسنان واللثة ، كتاب فيمن يولد لثانية اشهر ، على طريق المسألة ، والجواب ، ألفه لام ولد المتوكل ، كتاب في امتحان الاطباء ، كتاب في طبائع الاغذية وتدبير الابدان كتاب في اسماء الادوية المفردة ، على حروف المعجم ، كتاب في مسائله العربية ، كتاب في تسمية الاعضاء على ما رتبها جالينوس ، كتاب في تركيب العين . مقالة في المد والجزر ، كتاب في افعال الشمس والقمر ، كتاب في تدبير السوداويين ، كتاب في تدبير الاصحاء بالمطعم والمشراب . كتاب في في اللبن ، كتاب في تدبير المستسقين ، كتاب في اسرار الادوية المركبة ، كتاب في اسرار الفلاسفة في الباء . جوامع كتاب السماء والعالم ، كتاب في المنطق ، كتاب في النحو . مقالة في خلق الانسان ، وانه من مصلحته ، والتفضل عليه جمل محتاجاً . كتاب فيما يقرأ قبل كتب افلاطون ، مقالة في تولد النار بين الحجرين . كتاب الفوائد ، ومقالة في الحمام ، مقالة في الآجال مقالة في الدغدغة ، مقالة في ضيق النفس . كتاب في اختلاف الطعوم . كتاب في تشريح آلات الغذاء ، ثلاث مقالات ، تفسير كتاب النفخ لابقراط ، تفسير كتاب حفظ الصحة لروفس ، تفسير كتاب الادوية المكتومة لجالينوس يبين فيه شرح ما ذكره جالينوس في كل واحد من الأدوية . رسالة في دلالة القدر على التوحيد ، رسالة الى سلمويه بن بنان عما سأله من ترجمة مقالة جالينوس في العادات . كتاب في احكام الاعراب على مذهب اليونانيين ، مقالاتان : مقالة في السبب الذي من اجله صارت مياه البحر مالحة ، مقالة في الالوان . كتاب قاطيغورياس على رأي ثامسطيوس ، مقالة . مقالة في تولد الحصاة مقالة في اختيار الأدوية المهرقة . كتاب في مياه الحمامات على طريق المسألة والجواب .

كتاب نواذر الفلاسفة والحكماء وآداب المعلمين القدماء ، كناش اختصره من كتاب بولس . مقالة في تقاسيم علل العين . كتاب اختيار أدوية علل العين مقالة في الصراع . كتاب القلاحة ، مقالة في التركيب بما وافقه عليه الفاضلان ابقرات وجالينوس : مقالة تتعلق بحفظ الصحة وغيرها ، كلام في الآثار العلوية مقالة في قوس قزح . كتاب تاريخ العالم والمبدأ والانبياء والملوك والامم والخلفاء

والمملوك في الاسلام ، وابتدأ فيه من آدم ومن أتى من بعده ، وذكر ملوك بني اسرائيل وملوك اليونانيين والروم ، وذكر ابتداء الاسلام وملوك بني أمية وملوك بني هاشم الى الوقت الذي كان فيه حنين بن اسحق ، وهو زمان المتوكل على الله . جل بعض شكوك جاسيوس الاسكندراني على كتاب الاعضاء الأئمة لجالينوس رسالة فيما أصابه من المحن ، الشدائد كتاب الى علي بن يحيى جواب كتابه فيما دعاه اليه من دين الاسلام . جوامع ما في المقالة الاولى والثانية والثالثة من كتاب أبيديميا لابقراط على طريق المسألة والجواب . مقالة في كوث الجنين جمع من أقاويل جالينوس وبقراط . جوامع تفسير القدماء اليونانيين لكتاب أرسطوطاليس في السماء والعالم مسائل مقدمة لكتاب فرفوريوس المعروف بالمدخل ؛ وينبغي أن يقرأ قبل كتاب فرفوريوس شرح كتاب الفراسة لارسطاطاليس . كتاب دفع بهضار الاغذية . كتاب الزينة . كتاب خواص الاحجار . كتاب البيطرة . كتاب حفظ الانسان . كتاب في ادراك حقيقة الاديان .

اسحق بن حنين

هو أبو يعقوب اسحق بن حنين بن اسحق العبادي ، كان يلحق بابيه في النقل وفي معرفته باللغات وفصاحته فيها ، الا أن نقله للكتب الطبية قليل جداً بالنسبة الى ما يوجد من كثرة نقله من كتب ارسطوطاليس في الحكمة وشروحها الى لغة العرب . وكان اسحق قد خدم من خدم أبوه من الخلفاء والرؤساء . وكان منقطعاً الى القاسم بن عبيد الله وخصيصاً به ، ومتقدماً عنده يفضي اليه بأسراره . ولاسحق حكايات مستظرفة واشعار .

قال اسحق بن حنين : شكا إلي رجل علة في احشائه فاعطيته معجوناً وقلت له : « تناوله سحراً وعرفني خبرك بالمشي » فجاءني غلامه برقعة من عنده فقرأتها ، واذا فيها : « يا سيدي تناولت الدواء واختلقت ، لا عدمتك ، عشرة مجالس أحمر مثل الريق في اللزوجة ، وأخضر مثل السلق ^(١) في البقلية ، ووجدت بعده مغساً ^(٢) في رأسي وهوساً ^(٣) في سرتي ^(٤) » ، فأريك في انكار ذلك على الطبيعة بما تراه ان شاء الله . قال : « فتمجبت منه وقلت : ليس للاحق الا جواب يليق به » . وكتبت اليه : « فهمت رقعتك وأنا أتقدم الى الطبيعة بما تحب ، وأنفذ اليك الجواب اذا التقينا والسلام ».

ولحق اسحق في آخر عمره الفالج ، وبه مات . وتوفي ببغداد في أيام المقتدر بالله ، وذلك في شهر

(١) نبات يؤكل كالفنداء .

(٢) المنص وهو وجع وتقطيع في الامعاء .

(٣) جنون وخفة في العقل .

(٤) الوقبة - النقرة - في وسط البطن .

ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين ومائتين .

ومن كلام اسحق قال : قليل الراح صديق الروح ؛ وكثيرها عدو الجسم .

ومن شعره :

وُسْمُوا به طفل وكهل ويافع	أنا ابن الذين استودع الطب فيهم
يقوم مني منطلق لا يُدافع	يبصرني ارسطيطاليس بارعاً
لنا الضر والاسقام طب مضارع	وبقراط في تفصيل ما أثبت الالى
لما اختلفت فيه علينا الطبائع	وما زال جالينوس يشفي صدورنا
لهم كتب للناس فيها منافع	ويحيى بن ماسويه وأهرن قبله
لنا راحة من حفظها وأصابع	رأى أنه في الطب نبيلت فلم يكن

(الطويل)

ونقلت من خط ابن بطلان في رسالته المعروفة « بدعوة الاطباء » : ان القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد بالله بلغه ان أبا يعقوب اسحق قد شرب دواء مسهلاً فاحب مداعبته ، وكان صديقاً له ، فكتب اليه :

أبنُ لي كيف أمسيت وكَم كان من الحال
وكَم سارت بك الناقة نحو المنزل الخالي
(الهزج)

فكتب اليه اسحق بن حنين :

بخير كنت مسروراً رضي الحال والبال
فأما السير والناقة والمرتبع الخالي
فاجلالك انسانيه يا غاية آمالي
(الهزج)

ولاسحق بن حنين من الكتب : كتاب الادوية المفردة . كُنْاش لطيف ، ويعرف بكناش الحنف . كتاب ذكر فيه ابتداء صناعة الطب واسماء جماعة من الحكماء والاطباء . كتاب الادوية الموجودة بكل مكان ؛ كتاب اصلاح الادوية المسهلة . اختصار كتاب اقليدس ، كتاب المقولات ، كتاب ايساغوجي ، وهو المدخل الى صناعة المنطق . اصلاح جوامع الاسكندرانيين لشرح جالينوس لكتاب الفصول لابقراط . كتاب في النبض على جهة التقسيم . مقالة في الاشياء التي تفيد الصحة والحفظ ، وتمنع من النسيان ألفها لعبد الله بن شمعون . كتاب في الادوية المفردة . كتاب صناعة العلاج بالجديد . كتاب آداب الفلاسفة ونواذرهم . مقالة في التوحيد .

حبيش الاعسم

هو حبيش بن الحسن الدمشقي ، وهو ابن اخت حنين بن اسحق ، ومنه تعلم صناعة الطب ، وكان يسلك مسلك حنين في نقله وفي كلامه واحواله ، الا انه كان يقصر عنه .

وقال حنين بن اسحق ، وقد ذكره في بعض المواضع : « ان حبيشاً ذكي مطبوع على الفهم ، غير انه ليس له اجتهاد بحسب ذكائه ، بل فيه تهاون ، وان كان ذكاؤه مفرطاً وذهنه ثاقباً . »

وحبش هو الذي تم كتاب مسائل حنين في الطب الذي وضعه للمتعلمين ، وجعله مدخلا الى هذه الصناعة . ولحبش من الكتب : كتاب اصلاح الادوية المسهلة ، كتاب الادوية المفردة ، كتاب الاغذية . كتاب في الاستسقاء . مقالة في النبض على جهة التقسيم .

يوحنا بن بختيشوع

كان طبيباً متميزاً خبيراً باللغة اليونانية والسريانية ، ونقل من اليوناني الى السرياني كتباً كثيرة ، وخدم بصناعة الطب الموفق بالله طلحة بن جعفر المتوكل ، وكان يعتمد عليه كثيراً ويسميه مفرج كربي .

حدث ابراهيم بن العباس بن طومار الهاشمي قال :

« كان الموفق اذا جلس للشراب يقدم بين يديه صينية ذهب ، ومغسل ذهب ، وخرداذي ^(١) بلور ، وكوز بلور ، ويجلس يوحنا بن بختيشوع عن يمينه ؛ ويقدم اليه مثل ذلك ، وكذلك بين يدي غالب الطبيب . ثم يقدم الى جميع الجلساء صواني مدهون ، وقناني زجاج ، وثارنج ^(٢) : قال : وسمعت وقد شكا الى الموفق ما يجري عليه في ضياعه ؛ فتقدم الموفق الى صاعد بأن يكتب له جميع ما يريد . ثم ان يوحنا حضر بعد مدة مديدة فعد على الموفق احسانه اليه ، ومعرفه عنده ، وان صاعداً يكدر احسانه اليه ويكتب الى العمال كتباً فيما يبطل عليه ضياعه واملاكه . فتقدم اليه الموفق بالانصراف الى مضربه ؛ واعلمه بكيفية الفكر في هذا . ووجه الموفق الى صاعد فأحضره وقال له : أنت تعلم انه ليس لي في هذه الدنيا من استريح اليه ، واعلم ما في سويداء قلبي ، وهو مفرج كربي ، غير يوحنا . وأنت دائب الحيلة على تنفيض عيشي بشغل قلبه عن خدمتي ، فعل الله بك وفعل . فلم يزل صاعد يحلف له حتى حل سيفه ومنطقته ، وقال له : « امض الساعة مع راشد الى مضرب يوحنا ، ولا تدع جهداً في أن تتوصل الى جميع ما يحبه ، وتوثق له ، وخذ خطة بانك قد بلغت له كل ما اراده ، وانفذه الي مع راشد » . قال : فمضى وكنت أنا أحد من مضى معها ، حتى

(١) الصحيح الخروازي وهي الخرومنا أي الوعاء الذي فيه الخمر .

(٢) نوع من الليمون تعرفه العامة « ليمون بوصفير » . (ت . ر)

دخلنا الى مضرب يوحنا ، واذا به قاعد على حصر سامان^(١) في قبة له ، فلما قرب منه صاعد قام له فسلم عليه ، وعلى راشد وعلي وجلسوا وجلست . ثم قال صاعد وحلف له ، فقال له «وما ينفعني ، وانت تكتب بضد ما تظهر » . فاعاد اليمين ووثق له . ثم دعا صاعد بمندبل وجعله في حجره ، وأخذ القرطاس والقلم ، وجعل يكتب ويخرط الخرائط حتى بلغ ما اراده يوحنا وأخذ خطه وشهادتي ومن حضر ، وأنفذها مع راشد الى الموفق بالله . وما احتاج يوحنا بعد ذلك ان يستريد في شيء من اموره .

وليوحنا بن بختيشوع من الكتب : كتاب فيما يحتاج اليه الطبيب من علم النجوم .

بختيشوع بن يوحنا

كان عالماً بصناعة الطب ، حظياً من الخلفاء وغيرهم . واختص بخدمة المقتدر بالله^(٢) ، وكان له من المقتدر الانعام الكثير ، والاقطاعات من الضياع . وخدم بعد ذلك الرازي بالله^(٣) ، فاكرمه وأجراه على ما كان باسمه في أيام ابيه المقتدر .

ومات بختيشوع بن يوحنا في يوم الاربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة تسع وعشرين وثلثمائة ببغداد.

عيسى بن علي

كان طبيباً فاضلاً ومشتغلاً بالحكمة ، وله تصانيف في ذلك . وكان قد قرأ صناعة الطب على حنين ابن اسحق ، وهو من أجل تلاميذه . وكان عيسى بن علي يخدم احمد بن المتوكل ، وهو المعتمد على الله ، وكان طبيبه قديماً ولما ولي الخلافة احسن اليه وشرفه وحمله عدة دفعات على دواب وخلع عليه . ولعيسى بن علي من الكتب : كتاب المنافع التي تستفاد من اعضاء الحيوان . كتاب السموم مقاتلان.

عيسى بن يحيى بن ابراهيم

كان ايضاً من تلامذة حنين بن اسحق ، واشتغل عليه بصناعة الطب .

(١) حصر تصنع بسامان وهي قرية في ايران « بلخ » .

(٢) الخليفة العباسي الثامن عشر قولي الخلافة وعمره ١٣ سنة وانحطت الدولة في أيامه فاسس الفاطميون دولتهم في المغرب مصر ، والقرامطة في البحرين قطعوا طريق الحجاج .

(٣) خليفة عباسي آخر من دون له شعر . انفرد بتدبير الملك وقرب اليه العلماء . ولكن الخلافة ضعفت وقويت شوكة حكام الاقاليم فكان آلة في ايديهم . « ن » ر »

الحلاجي

ويعرف بيحيى بن ابي حكيم كان من أطباء المعتضد ، وله من الكتب : كتاب تدبير الابدان النحيفة التي قد علتها الصفراء ، ألفه للمعتضد .

ابن صهار بنخت

واسمه عيسى ، من اهل جندي سابور ، وله من الكتب كتاب قوى الادوية المفردة

ابن ماهان

ويعرف بيعقوب السيراقي وله من الكتب : كتاب السفر والحضر في الطب .

الساھر

اسمه يوسف ، ويعرف بيوسف القس . عارف بصناعة الطب ، وكان متميزاً في أيام المكتفي . وقال عبيد الله بن جبرائيل عنه انه كان به سرطان في مقدم رأسه ، وكان يمنعه من النوم فللقب بالساھر من أجل مرضه . قال : وصنف كُنَاشاً يذكر فيه أدوية الامراض ، وذكر في كُنَاشه أشياء تدل على أنه كان به هذا المرض . وللساھر من الكتب : كُنَاشه وهو الذي يعرف به وينسب اليه ، وهو مما استخرجه وجربه في أيام حياته ، وجعله مقسوماً الى قسمين ، فالقسم الاول تجري أبوابه على غير ترتيب الاعضاء وهي ستة أبواب .

الباب التاسع

طبقات الأطباء النقلة الذين نقلوا كتب الطب
وغیره من اللسان اليوناني الى اللسان العربي
وذكر الذين نقلوا لهم

جورجس

وهو من أول من ابتداء في نقل الكتب الطبية الى اللسان العربي عندما استدعاه المنصور وكان
كثير الاحسان اليه ، وقد ذكرت أخبار جورجس فيما تقدم .

حنين بن اسحق

كان عالماً باللغات الاربع غريبها ومستعملها : العربية والسريانية واليونانية والفارسية . ونقله في
غاية من الجودة .

اسحق بن حنين

كان أيضاً عالماً باللغات التي يعرفها أبوه ، وهو يلحق به في النقل ، وكان اسحق عذب العبارة
فصيح الكلام ، وكان حنين مع ذلك اكثر تصنيفاً ونقلًا وقد تقدم ذكر اسحق وابيه .

حيثش الاعمس

وهو ابن أخت حنين بن اسحق وتلميذه . ناقل مجود يلحق بحنين واسحق . وقد تقدم
أيضاً ذكره .

عيسى بن يحيى بن ابراهيم

كان أيضاً تلميذاً لحنين بن اسحق ، وكان فاضلاً . اثنى عليه حنين ورضي نقله ، وقلده فيه .
وله مصنفات .

قسطا بن لوقا البعلبكي

كان ناقلاً خبيراً باللغات فاضلاً في العلوم الحكيمة وغيرها ، وسيأتي ذكره وأخباره فيما بعد
ان شاء الله .

أيوب المعروف بالابرش

كان قليل النقل متوسطه . وما نقله في آخر عمره يضاهي نقل حنين .

ماسرجيس

كان ناقلاً من السرياني الى العربي ، ومشهوراً بالطب .
وله من الكتب : كتاب قوى الاطعمة ومنافعها ومضارها . كتاب قوى العقاقير ومنافعها
ومضارها .

عيسى بن ماسرجيس

كان يلحق بأبيه . وله من الكتب : كتاب الالوان . كتاب الروائح والطعوم .

شهدي الكرخي

من اهل الكرخ ، وكان قريب الحال في الترجمة .

ابن شهدي الكرخي

كان مثل أبيه في النقل ، ثم انه في آخر عمره فاق أباه ، ولم يزل متوسطاً . وكان ينقل من السرياني
الى العربي . ومن نقله كتاب الأجنة لأبقراط .

الحجاج بن مطر

نقل للمأمون . ومن نقله كتاب اقليدس ، ثم أصلح نقله فيما بعد ثابت بن قرة الحراني ابن ناعمة ،
واسمه عبد المسيح بن عبدالله الحمصي الناعمي ، كان متوسط النقل ، وهو الى الجودة أميل

زروبا بن مانحوه الناعمي الحمصي

كان قريب النقل ، وما هو في درجة من قبله .

هلال بن أبي هلال الحمصي

كان صحيح النقل ، ولم يكن عنده فصاحة ، ولا بلاغة في اللفظ .

فثيون الترجمان

وجدت نقله كثير اللحن ولم يكن يعرف علم العربية اصلاً .

أبو نصر بن ناري بن ايوب

كان قليل النقل ، ولم يعتمد بنقله كثيره من النقلة .

بسيل المطران

نقل كتباً كثيرة ، وكان نقله اميل الى الجودة .

اصطفن بن بسيل

كان يقارب حنين بن اسحق في النقل ، الا ان عبارة حنين أفصح واحلى

موسى بن خالد الترجمان

وجدت من نقله كتباً كثيرة من الستة عشر لجالينوس وغيرها وكان لا يصل الى درجة حنين أو يقرب منها .

اسطاث

كان من النقلة المتوسطين

حيرون بن رابطة

ليس له شهرة بجودة النقل .

تدرس السنقل

وجدت له نقلاً في الكتب الحكيمية لا بأس به

سرجس الراسي

من اهل مدينة رأس العين . نقل كتباً كثيرة وكان متوسطاً في النقل . وكان حنين يصلح نقله ، فما وجد باصلاح حنين فهو الجيد ، وما وجد غير مصلح فهو وسط .

ايوب الرهاوي

ليس هو أيوب الابرش المذكور أولاً ، ناقل جيد عالم باللغات الا انه بالسريانية خير منه بالعربية .

يوسف الناقل

هو أبو يعقوب يوسف بن عيسى المتطبب الناقل ، ويلقب بالناعس ، وهو تلميذ عيسى بن صهرنجت ، وكان يوسف الناقل من خوزستان وكانت في عبارته لكثرة ، وليس نقله بكثير الجودة .

ابراهيم بن الصلت

كان متوسطاً في النقل يلحق بسرجس الراسي .

ثابت الناقل

كان ايضاً متوسطاً في النقل إلا أنه يفضل ابراهيم بن الصلت . وكان مقلداً من النقل . ومن نقله :
كتاب الكيموسين لجالينوس .

ابو يوسف الكاتب

كان ايضاً متوسطاً في النقل ونقل عدة كتب من كتب أبقرات .

يوحنا بن بختيشوع

نقل كتباً كثيرة الى السرياني ، فاما الى العربي فما عرف بنقله شيء منها .

البطريق

كان في ايام المنصور ، وأمره بنقل أشياء من الكتب القديمة . وله نقل كثير جيد ، الا أنه دون
نقل حنين بن اسحق . وقد وجدت بنقله كتباً كثيرة في الطب كتب أبقرات وجالينوس .

يحيى بن البطريق

كان في جملة الحسن (١) بن سهل ، وكان لا يعرف العربية حق معرفتها ولا اليونانية ، وانما كان
لطينياً يعرف لغة الروم اليوم وكتابتها . وهي الحروف المتصلة لا المنفصلة اليونانية القديمة .

قيضا الرهاوي

كان اذا كثرت على حنين الكتب ، وضاق عليه الوقت استعان به في نقلها، ثم يصلحها بعد ذلك

منصور بن باناس؛

طبقته في النقل مثل قيضا الرهاوي ، وكان بالسريانية أقوى منه بالعربية .

عبد يشوع بن بهريز

مطران الموصل . كان صديقاً لجبرائيل بن بختيشوع وفاقلاً له .

ابو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي

أحد النقلة المجيدين ، وكان منقطعاً الى علي (٢) بن عيسى .

(١) من ولادة المأمون احسن الى العلماء والشعراء وزوج ابنته من المأمون توفي سنة ٨٥٠ ،

(٢) من تلاميذ حنين اشتهر في صناعة الكحل .

ابو اسحق ابراهيم بن بكس

كان من الأطباء المشهورين ، وترجم كتباً كثيرة إلى لغة العرب ، ونقله أيضاً مرغوب فيه .

ابو الحسن علي بن ابراهيم بن بكس

كان أيضاً طبيباً مشهوراً . وكان مثل أبيه في النقل .
فاما الذين كان هؤلاء النقلة ينقلون لهم خارجاً عن الخلفاء فمنهم :

شيرشوع بن قطرب

من أهل جندي سابور ؛ وكان لا يزال يبر النقلة ويهدي اليهم ؛ ويتقرب إلى تحصيل الكتب منهم بما يمكنه من المال ، وكان يريد السرياني أكثر من العربي وهو أحد الخوز .

محمد بن موسى المنجم

وهو أحد بني موسى بن شاكر الحساب المشهورين بالفضل والعلم والتصنيف في العلوم الرياضية .
وكان محمد هذا من أبر الناس بحنين بن اسحق ، وقد نقل له حنين كثيراً من الكتب الطبية .

علي بن يحيى المعروف بابن المنجم

أحد كتاب المأمون وكان نديماً له ، وعنده فضل . ومال إلى الطب فنقلوا له كتباً كثيرة .

ثادرس الاسقف

كان اسقفاً في الكرخ ببغداد . وكان حريصاً على طلب الكتب متقرباً إلى قابو نقلتها ، فحصل منها شيئاً كثيراً ، وصنف له قوم من الأطباء النصاري كتباً لها قدر وجعلوها باسمه .

محمد بن موسى بن عبد الملك

نقلت له كتب طبية وكان من جملة العلماء الفضلاء يلخص الكتب ، ويعتبر جيد الكلام فيها من رديه .

عيسى بن يونس الكاتب الحاسب

من جملة الفضلاء بالعراق وكان كثير العناية بتحصيل الكتب القديمة والعلوم اليونانية .

علي المعروف بالفيوم

اشتهر باسم المدينة التي كان عاملاً ، وكانت النقلة يحصلون من جانبه ويتأرون من فضله .

احمد بن محمد المعروف بابن المدبر الكاتب

وكان يصل الى النقلة من ماله وأفضاله شيء كثير جداً .

ابراهيم بن محمد بن موسى الكاتب

وكان حريصاً على نقل كتب اليونانيين الى لغة العرب ومشتغلاً على أهل العلم والفضل وعلى النقلة خاصة .

عبد الله بن اسحق

وكان أيضاً حريصاً على نقل الكتب وتحصيلها .

محمد بن عبد الملك الزيات

وكان يقارب عطاؤه للنقلة والنساح في كل شهر ألفي دينار ، ونقل باسمه كتب عدة .

وكان أيضاً ممن نقلت له الكتب اليونانية ، وترجمت باسمه جماعة من أكابر الأطباء ، مثل :
يوحنا بن ماسويه ، وجبرائيل بن بختيشوع ، وبختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع ، وداود بن سرايون ،
وسلمويه بن بنان ، واليسع ، واسرائيل بن زكريا بن الطيفوري ، وحبيش بن الحسن .

الباب العاشر

طبقات الأطباء العراقيين وأطباء الجزيرة وديار بكر

يعقوب بن اسحق الكندي

فيلسوف العرب واحد ابناء ملوكها . وهو أبو يوسف يعقوب بن اسحق بن الصباح بن عمران ابن اسماعيل بن محمد بن الاشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربيعة ابن معاوية ، الأكبر بن الحرث الاصغر بن معاوية بن الحرث الأكبر بن معاوية بن ثور بن مرتع بن كندة بن عفير بن عدي بن الحرث بن مرة بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان ابن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان . وكان أبوه اسحق بن الصباح أميراً على الكوفة للمهدي والرشيد . وكان الاشعث بن قيس من اصحاب النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وكان قبل ذلك ملكاً على جميع كندة . وكان أبوه قيس بن معدي كرب ملكاً على جميع كندة أيضاً ، عظيم الشأن ، وهو الذي مدحه الاعشى ، — أعشى بني قيس بن ثعلبة — بقصائده الأربع الطوال التي أولاهن :
لعمرك ما طول هذا الزمن .

والثانية : رحلت سمية غدوة أجالها .

والثالثة : أأزمت من آل ليلي ابتكاراً .

والرابعة : أتهجر غانية أم تلم .

وكان أبوه معدي كرب بن معاوية ملكاً على بني الحرث الاصغر بن معاوية في حضرموت (١) ، وكان أبوه معاوية بن جبلة ملكاً بحضرموت أيضاً على بني الحرث الاصغر . وكان معاوية بن الحرث الأكبر وابوه الحرث الأكبر وأبوه ثور ملوكاً على معبد بالمشقر (٢) واليامة (٣) والبحرين (٤) .

(١) بلاد في جنوبي الجزيرة العربية عاصمتها مرفأ المكلا . وفيها نهر يجري صيفاً رشتاء يدعى وادي القصر بالقرب منه كانت تقع ظفار عاصمة الحيريين ،
(٢) حصن قديم بالبحرين ،
(٣) بلاد في اواسط الجزيرة العربية ورد ذكرها كثيراً في اخبار العرب .
(٤) مجموعة جزر بالقرب من الشاطئ الغربي .

وكان يعقوب بن اسحق الكندي عظيم المزية عند المأمون والمعتصم وعند ابنه أحمد . وله مصنفات جليلة ورسائل كثيرة جداً في جميع العلوم .

وقال سليمان بن حسان : ان يعقوب بن اسحق الكندي شريف الاصل بصري - كان جده ولي الولايات لبني^(١) هاشم - ونزل البصرة وضيعته هنالك . وانتقل الى بغداد وهناك تأدب ، وكان عالماً بالطب ، والفلسفة ، وعلم الحساب ، والمنطق ، وتأليف اللحن ، والهندسة ، وطبائع الاعداد ، وعلم النجوم . ولم يكن في الاسلام فيلسوف غيره ، احتذى في تواليفه حذو ارسطوطاليس . وله تواليف كثيرة في فنون من العلم ، وخدم الملوك فباشروهم بالادب ، وترجم من كتب الفلسفة الكثير ، وأوضح منها المشكل ، ولخص المستصعب ، وبسط العويص .

وقال أبو معشر في كتاب المذكرات لشاذان ؛ حذاق الترجمة في الاسلام أربعة : حنين بن اسحق ، ويعقوب بن اسحق الكندي ، وثابت بن قرة الحراني ، وعمر بن الفرخان الطبري .

وقال ابن النديم البغدادي الكاتب المعروف بابن أبي يعقوب في كتاب الفهرست : كان أبو معشر ، وهو جعفر بن محمد البلخي من اصحاب الحديث أولاً ومنزله في الجانب الغربي بباب خراسان ببغداد ، يضاهن الكندي وينبغي به العامة ويشنع عليه بعلوم الفلاسفة . فدرس عليه الكندي من حسن له النظر في علم الحساب والهندسة ، فدخل في ذلك فلم يكمل له ، فعدل الى علم أحكام النجوم وانقطع شره عن الكندي بنظره في هذا العلم لانه من جنس علوم الكندي . ويقال انه تعلم النجوم بعد سبع واربعين سنة من عمره ، وكان فاضلاً حسن الاصابة وضربه المستعين أسواطاً لانه أصاب في شيء خبره بكونه قبل وقته ، فكان يقول « أصبت فعوقبت » . وكان مولده بواسط يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة^(٢) وتوفي أبو معشر وقد جاوز المائة سنة .

وقال أبو جعفر أحمد بن يوسف بن ابراهيم في كتاب « حسن العقبي » : حدثني أبو كامل شجاع ابن اسلم الحاسب قال : كان محمد وأحمد ابنا موسى بن شاكر في أيام المتوكل يكيدان كل من ذكر بالتقدم في معرفة . فاشخصا سند بن علي الى مدينة السلام ، وباعدها عن المتوكل ، ودبرا على الكندي حتى ضربه المتوكل ، ووجها الى داره فاخذوا كتبه بأسرها وأفرداها في خزانة سميت الكندية . ومكن هذا لها استهتار المتوكل بالآلات المتحركة ، وتقدم اليها في حفر النهر المعروف بالجعفري ، فاسندا أمره الى أحمد بن كثير الفرغاني الذي عمل المقياس الجديد بمصر . وكانت معرفته أوفى من توفيقه ، لانه ما تم له عمل قط ، فغلط في فوهة النهر المعروف بالجعفري وجعلها أخفض من سائرته ، فصار ما يغمر الفوهة لا يغمر سائر النهر . فدافع محمد وأحمد ابنا موسى في أمره واقتضاهما المتوكل ، فسمى بهما اليه فيه ، فانفذ مستحثاً في احضار سند بن علي من مدينة السلام ، فوافى . فلما تحقق محمد وأحمد ابنا موسى أن سند بن علي قد شخص ، أيقنا بالهلكة ويثسا من الحياة . فدعا المتوكل

(١) بطن من قريش ينسبون الى هاشم بن عبد مناف ابني عبد المطلب ، واخي عبد شمس والدائمة . مدفون في غزة (ن.ر)

(٢) يباح في كل النسخ .

بسند وقال : « ما ترك هذان الرديان شيئاً من سوء القول الا وقد ذكراك عندي به . » وقد أتلغا جملة من مالي في هذا النهر . فاخرج اليه حتى تتأمله وتجبرني بالغلط فيه . فاني قد آليت على نفسي ، ان كان الامر على ما وصف لي ، اني أصليهما على شاطئيه . وكل هذا بعين محمد وأحمد ابني موسى وسمعهما ، فخرج وهما معه . فقال محمد ابن موسى لسند : « يا أبا الطيب ان قدرة الحر تذهب حفيظته ، وقد فرغنا اليك في أنفسنا التي هي أنفس أعلقنا ، وما تنكر انا اسأنا والاعتراف يهدم الاقتراف ، فنخلصنا كيف شئت . » قال لها : والله انكما لتلمان ما بيني وبين الكندي من العداوة والمباعدة ، ولكن الحق أولى ما أتبع . أكان من الجميل ما ائتيته اليه من اخذ كتبه ؟ والله لا ذكرتكما بصالحة حتى تردا عليه كتبه . فتقدم محمد بن موسى في حمل الكتب اليه ، وأخذ خطه باستيفائها ، فوردت رقعة الكندي بتسلمها عن آخرها . فقال : « قد وجب لكما علي ذمام برد كتب هذا الرجل ، ولكما ذمام بالمعرفة التي لم ترعيها في ، والخطأ في هذا النهر يستتر أربعة أشهر بزيادة دجلة ، وقد أجمع الحساب على أن امير المؤمنين لا يبلغ هذا المدى ، وأنا أخبره الساعة انه لم يقع منكما خطأ في هذا النهر ابقاء على ارواحكما ، فإن صدق المنجمون افلتبنا الثلاثة ، وان كذبوا وجازت مدته حتى تنقص دجلة وتنصب ، اوقع بنا ثلاثتنا . فشكر محمد وأحمد هذا القول منه واسترقها به ، ودخل على المتوكل ، فقال له : ما غلطا . وزادت دجلة ، وجرى الماء في النهر ، فاستتر حاله . وقتل المتوكل بعد شهرين ، وسلم محمد وأحمد بعد شدة الخوف مما توقعا .

وآل القاضي ابو القاسم صاعد بن احمد بن صاعد في كتاب « طبقات الأمم » ، عن الكندي عندما ذكر تصانيفه وكتبه قال : ومنها كتبه في علم المنطق ، وهي كتب قد نفقت عند الناس نفاقاً عاماً ، وقبلما ينتفع بها في العلوم لانها خالية من صناعة التحليل التي لا سبيل الى معرفة الحق من الباطل في كل مطلوب الا بها . وأما صناعة التركيب وهي التي قصد يعقوب في كتبه هذه اليها فلا ينتفع بها الا من كانت عنده مقدمات عديدة ، فحينئذ يمكنه التركيب ، ومقدمات كل مطلوب لا توجد الا بصناعة التحليل ، ولا أدري ما حمل يعقوب على الاضراب عن هذه الصناعة الجليلة ، هل جهل مقدارها ، أو ضنّ على الناس بكشفه ؟ وأي هذين كان . فهو نقص فيه ، وله بعد هذا رسائل كثيرة في علوم جمة ظهرت له فيها آراء فاسدة ومذاهب بعيدة عن الحقيقة .

أقول : هذا الذي قد قاله القاضي صاعد عن الكندي فيه تحامل كثير عليه وليس ذلك مما يحيط من علم الكندي ، ولا بما يصد الناس عن النظر في كتبه والانتفاع بها .

وقال ابن النديم البغدادي الكاتب في كتاب « الفهرست » : كان من تلامذة الكندي ووراقه : حسنويه ، ونفطويه ، وسلمويه ، وآخر على هذا الوزن . ومن تلامذته : أحمد بن الطيب ، وأخذ عنه أبو معشر أيضاً .

قال ابو محمد ^(١) عبدالله بن قتيبة في كتاب « فرائد الدر » : قال بعضهم أنشدت يعقوب بن

(١) ولد في الكوفة (٨٢٨ — ٨٨٩) وعاش وعلم في بغداد . تولى القضاء في دينور وله مؤلفات جليلة . (ن.ر) .

اسحق الكندي .

وفي أربع مني حلت منك أربع
أوجهك في عيني أم الطعم في فمي
فما أنا أدري أيها هاج لي كربي
أم النطق في سمعي أم الحب في قلبي
(الطويل)

فقال : والله لقد قسمها تقسيماً فلسفياً .

أقول : ومن كلام الكندي قال في وصيته : وليتق الله تعالى المتطبيب ولا يخاطر ، فليس عن
الأنفس غرض . وقال : وكما يجب ان يقال له انه كان سبب عافية العليل وبرئه كذلك فليحذر ان
يقال انه كان سبب تلفه وموته ، وقال : العاقل يظن أن فوق علمه علماً ، فهو ابدأ يتواضع لتلك
الزيادة ؛ والجاهل يظن انه قد تنهى ، فتمقت النفوس لذلك .

ومن كلامه مما أوصى به لولده أبي العباس نقلت ذلك من كتاب « المقدمات » لابن بختويه - قال
الكندي : « يا بني ، الاب رب ، والاخ فخر ، والعم غم ، والخال وبال ، والولد كمد ، والأقارب
عقارب . وقول لا ، يصرف البلاء ؛ وقول نعم ، يزيل النعم ؛ وسماع الغناء ، يرسم حاد ، لان
الانسان يسمع فيضطرب وينفق فيسرف فيفتقر فيعتمد فيموت . والدينار محوم ، فان صرفته مات
والدرهم محبوس فان اخرجته فر ؛ والناس سخرة ، فخذ شيشهم واحفظ شيتك . ولا تقبل من قال
اليمن الفاجرة ، فانها تدع الديار بلاقع .

أقول : وان كانت هذه من وصية الكندي فقد صدق ما حكاه عنه ابن النديم البغدادي في كتابه
فانه قال : ان الكندي كان بخيلاً .

ومن شعر يعقوب بن اسحق الكندي ، قال الشيخ ابو أحمد الحسن (١) بن عبدالله بن سعيد
المسكري اللغوي في كتاب « الحكم والأمثال » : أنشدني أحمد بن جعفر ، قال : أنشدني أحمد بن
الطبيب السرخسي ، قال : أنشدني يعقوب بن اسحق الكندي لنفسه :

أناف الذنابي على الارؤس	فغمض جفونك أو نكس (٢)
وضائل سوادك واقبض يديك	وفي قعر بيتك فاستجلس (٣)
وعند مليكك فابغ العلو	وبالوحدة اليوم فاستأنس
فان الغنى في قلوب الرجال	وان التعزز بالانفس
وكأئن ترى من أخني عسرة	غني وذو ثروة مفلس

(١) لغوي مشهور تعلم على ابن دريد . عاش في بلدة عسكر مكرم (٩٠٦ - ٩٩٣) .

(٢) طاطاً رأسه من الذل .

(٣) قر واجلس (ن. د.) .

ومن فهم شخصه ميت على انه بعد لم يرسم^(١)
فان تطعم النفس ما تشتهي تفيك جميع الذي تحلتي^(٢)

(المقارب)

وليخوب بن اسحق الكندي من الكتب : كتاب الفلسفة الاولى فيا دون الطبيعيات والتوحيد .
كتاب الفلسفة الداخلة والمسائل المنطقية والمعتاصة وما وافق الطبيعيات . رسالة في انه لا تنال
الفلسفة الا بعلم الرياضيات . كتاب الحث على تعلم الفلسفة . رسالة في حكمة كتب ارسطوطاليس
وما يحتاج اليه في تحصيل علم الفلسفة بما لا غنى في ذلك عنه منها وترتيبها ، واغراضه فيها . كتاب
في قصد ارسطوطاليس في المقولات اياها قصد والموضوعة لها . رسالته الكبرى في مقياسه العلمي .
كتاب أقسام العلم الانسي ، كتاب في ماهية العلم وأقسامه . كتاب في أن أفعال الباريء كلها عدل
لا جور فيها . كتاب في ماهية الشيء الذي لا نهاية له وبأي نوع يقال للذي لا نهاية له . رسالة في
في الابانة أنه لا يمكن أن يكون جرم العالم بلا نهاية ، وان ذلك انما هو في القوة . كتاب في الفاعلة
والمنفعة من الطبيعيات الاول . كتاب في عبارات الجوامع الفكرية . كتاب في مسائل سئل عنها في
منفعة الرياضيات . كتاب في بحث قول المدعي ان الاشياء الطبيعية تفعل فعلا واحداً بإيجاب الحلقة ،
رسالة في الرفق في الصناعات ، رسالة في رسم رقاع الى الخلفاء والوزراء . رسالة في قسمة القانون .
رسالة في ماهية العقل والابانة عنه . رسالة في الفاعل الحق الاول التام والفاعل الناقص الذي هو في
المجاز . رسالة الى المأمون في العلة والمعلول . اختصار كتاب ايساغوجي لفرفوريوس . مسائل كثيرة
في المنطق وغيره وحدود الفلسفة . كتاب في المدخل المنطقي باستيفاء القول فيه . كتاب في المدخل
المنطقي باختصار وإيجاز . رسالة في المقولات العشر . رسالة في الابانة عن قول بطليموس في أول
كتابه في المجسطي عن قول ارسطوطاليس في انالوطيقا . رسالة في الاحتراس من خدع السوفسطائية .
رسالة بإيجاز واختصار في البرهان المنطقي . رسالة في الاسماء الخمسة اللاحقة لكل المقولات . رسالة
في سمع الكيان . رسالة في عمل آلة مخرجة الجوامع . رسالة في المدخل الى الارثماطيقى ، خمس
مقالات ، رسالة الى احمد بن المعتصم في كيفية استعمال الحساب الهندي ، أربع مقالات . رسالة في
الابانة عن الاعداد التي ذكرها افلاطون في السياسة . رسالة في تأليف الاعداد . رسالة في التوحيد من
جهة العدد . رسالة في استخراج الخبيء والضمير . رسالة في الزجر والفأل من جهة العدد . رسالة في
الخطوط والضرب بعدد الشعير . رسالة في الكمية المضافة . رسالة في النسب الزمانية . رسالة في الحيل
العديدة وعلم اضمارها . رسالة في ان العالم وكل ما فيه كروي الشكل . رسالة في الابانة على أنه ليس
شيء من العناصر الأولى والجرم الأقصى غير كروي . رسالة في أن الكرة أعظم الاشكال الجرمية ،
والدائرة أعظم من جميع الاشكال البسيطة . رسالة في الكريات . رسالة في عمل السميت على الكرة .
رسالة في أن سطح ماء البحر كروي . رسالة في تسطيح الكرة . رسالة في عمل الحلقي الست

(١) لم يقبر . (٢) تشرب .

واستعمالها . رسالته الكبرى في التأليف . رسالة في ترتيب النغم الدالة على طبائع الاشخاص العالية وتشابه التأليف . رسالة في المدخل الى صناعة الموسيقى . رسالة في الإيقاع . رسالة في خبر صناعة الشعراء . رسالة في الاخبار عن صناعة الموسيقى . مختصر الموسيقى في تأليف النغم وصناعة العود ، ألفه لأحمد ابن المعتصم . رسالة في أجزاء جبرية الموسيقى . رسالة في أدب رؤية الهلال لا تضبط بالحقيقة وإنما القول فيها بالتقريب . رسالة في مسائل سئل عنها من أحوال الكواكب . رسالة في جواب مسائل طبيعية في كفيات نجومية سألها أبو معشر عنها . رسالة في الفصلين . رسالة فيما ينسب اليه كل بلد من البلدان الى برج من البروج وكوكب من الكواكب . رسالة فيما سئل عنه من شرح ما عرض له من الاختلاف في صور المواليذ . رسالة فيما حكى من أعمار الناس في الزمن القديم وخلافها في هذا الزمن . رسالة في تصحيح عمل نوء دارات المواليذ والهيلاج والكخداه . رسالة في ايضاح علة رجوع الكواكب . رسالة في الابانة أن الاختلاف الذي في الاشخاص العالية ليس علة الكيفيات الاولى . رسالة في سرعة ما يرى من حركة الكواكب اذا كانت في الافق وابطائها كلما علت . رسالة في الشعاعات . رسالة في فصل ما بين السير وعمل الشعاع . رسالة في علل الاوضاع النجومية . رسالته المنسوبة الى الاشخاص العالية المسماة تسعة ونحاسة . رسالة في علل القوى المنسوبة الى الاشخاص العالية الدالة على المطر . رسالة في علل احداث الجو . رسالة في العلة التي لها يكون بعض المواضع تكاد لا تظطر . رسالة الى زرنب تلميذه في أسرار النجوم وتعليم مبادئ الاعمال . رسالة في العلة التي ترى من الهالات للشمس والقمر والكواكب والاضواء النيرة أعني النيرين . رسالة في اعتذاره في موته دون كماله لسني الطبيعة التي هي مائة وعشرون سنة . كلام في الجمرات . رسالة في النجوم . رسالة في أغراض كتب اقليدس . رسالة في اصلاح كتب اقليدس . رسالة في اختلاف المناظر . رسالة في عمل شكل المتوسطين . رسالة في تقريب وتر الدائرة . رسالة في تقريب وتر التسع . رسالة في مساحة ايوان . رسالة في تقسيم المثلث والمربع وعملها . رسالة في كيفية عمل دائرة مساوية لسطح اسطوانة مفروضة . رسالة في شروق الكواكب وغروبها بالهندسة . رسالة في قسمة الدائرة ثلاثة اقسام . رسالة في اصلاح المقالة الرابعة عشرة والخامسة عشرة من كتساب اقليدس . رسالة في البراهين المساحية لما يعرض من الحسابات الفلكية . رسالة في تصحيح قول ارسطاس في المطالع . رسالة في اختلاف مناظر المرأة . رسالة في صناعة الاصطربلاب بالهندسة . رسالة في استخراج خط نصف النهار وسمت القبلة بالهندسة . رسالة في عمل الرخامة بالهندسة . رسالة في أن عمل الساعات على صفيحة تنصب على السطح الموازي للافق خير من غيرها .

رسالة في استخراج الساعات على نصف كرة بالهندسة . رسالة في السوانح . مسائل في مساحة الانهار وغيرها . رسالة في النسب الزمانية . كلام في العدد . كلام في المرايا التي تحرق . رسالة في امتناع وجود مساحة الفلك الاقصى المدبر للافلاك . رسالة في أن طبيعة الفلك مخالفة لطبائع العناصر الأربعة ، وأنه طبيعة خامسة . رسالة في ظاهريات الفلك . رسالة في العالم الأقصى . رسالة في سجد الجرم الأقصى لباريه . رسالة في الرد على المناينة في العشر مسائل في موضوعات الفلك .

رسالة في الصور . رسالة في أنه لا يمكن ان يكون جرم العالم بلا نهاية . رسالة في المناظر الفلكية . رسالة في امتناع الجرم الاقصى من الاستحالة . رسالة في صناعة بطليموس الفلكية . رسالة في تناهي جرم العالم . رسالة في ماهية الفلك واللون اللازم لللازوردي المحسوس من جهة السماء . رسالة في ماهية الجرم الحامل بطباعه للالوان من العناصر الاربعة . رسالة في البرهان على الجسم السائر وماهية الاضواء والاضلام . رسالة في المعطيات . رسالة في تركيب الافلاك . رسالة في الاجرام الهابطة من العلو ، وسبق بعضها بعضاً . رسالة في العمل بالآلة المسماة الجامعة . رسالة في كيفية رجوع الكواكب المتحيرة . رسالة في الطب البقراطي . رسالة في الغذاء والدواء المهلك . رسالة في الانجزة المصلحه للجو من الوباء . رسالة في الادوية المشفية من الروائح المؤذية . رسالة في كيفية اسهال الادوية والمجذبات الاخلاط . رسالة في علة نفث الدم . رسالة في تدبير الاصحاء .

رسالة في أشفية السموم ، رسالة في علة مجارين الامراض الحادة ، رسالة في تبين العضو الرئيس من جسم الانسان والابانة عن الالباب . رسالة في كيفية الدماغ ، رسالة في علة الجذام وأشفيته . رسالة في عضة الكلب الكلب . رسالة في الأعراض الجاذنة من البلغم وعلة موت الفجأة ، رسالة في وجع المعدة والنقرس . رسالة الى رجل في علة شكها اليه في بطنه ويده رسالة في أقسام الحيات ، رسالة في علاج الطحال الجاسي من الامراض السوداء . رسالة في اجساد الحيوان اذا فسدت . رسالة في تدبير الاطعمة ، رسالة في صنعة أطعمة من غير عناصرها ، رسالة في الحياة . كتاب الادوية الممتحنة ، كتاب الاقرباذين . رسالة في الفرق بين الجنون العارض من مسر الشياطين وبين ما يكون من فساد الاخلاط . رسالة في الفراسة . رسالة في ابضاح العلة في السمائم القاتلة السمانية وهو على المقال المطلق الوباء ، رسالة في الحيلة لدفع الأحزان . جوامع كتاب الأدوية المفردة لجالينوس . رسالة في الابانة عن منفعة الطب اذا كانت صناعة النجوم مقرونة بدلائلها . رسالة في اللثغة للأخرس رسالة في تقدمة المعرفة بالاستلال بالاشخاص العالية على المسائل .

رسالة في مدخل الاحكام على المسائل . رسالته الأولى والثانية والثالثة الى صناعة الأحكام بتقاسيم ، رسالة في الاخبار عن كمية ملك العرب وهي رسالته في اقتران التحسين في برج السرطان ، رسالة في قدر منفعة صناعة الاحكام ومن الرجل المسمى منجماً باستحقاق رسالته المختصره في حدود الموالييد ، رسالة في تحويل سني الموالييد . رسالة في الاستدلال بالكسوفات على الحوادث ، رسالة في الرد على الثنويه ، رسالة في نقض مسائل الملحدين . رسالة في تثبيت الرسل عليهم السلام ، رسالة في الاستطاعة وزمان كونها ، رسالة في الرد على من زعم ان الاجرام في هويتها في الجو توقفات ، رسالة في بطلان قول من زعم ان بين الحركة الطبيعية والعرضية سكون ، رسالة في أن الجسم في اول ابداعه لا ساكن ولا متحرك ظن باطل . رسالة في التوحيد بتفسيرات ، رسالة في اوائل الجسم . رسالة في افتراق الملل في التوحيد ، وانهم يجمعون على التوحيد ، وكل قد خالف صاحبه . رسالة في المتجسد ، رسالة في البرهان .

كلام له مع ابن الراوندي في التوحيد ، كلام رد به على بعض المتكلمين ، رسالة الى محمد بن الجهم في الابانة عن وحدانية الله عز وجل ، وعن تناهي جرم الكل . رسالة في الاكفار والتضليل رسالة في ان النفس جوهر بسيط غير دائر مؤثر في الاجسام ، رسالة في ما للنفس ذكره وهي في عالم العقل قبل كونها في عالم الحس . رسالة في خبر اجتماع الفلاسفة على الرموز العشقية ، رسالة في علة النوم والرؤيا وما يرمز به النفس . رسالة في ان ما بالانسان اليه حاجة مباح له في العقل قبل ان يحظر . رسالته الكبرى في السياسة ، رسالة في التنبيه على الفضائل . رسالة في نوادر الفلاسفة ، رسالة في خبر فضيلة سقراط ، رسالة في محاوره جرت بين سقراط وارسواس . رسالة في خبر موت سقراط ، رسالة فيما جرى بين سقراط والحرائين رسالة عن العلة الفاعلة القريبة للكون والفساد في الكائنات الفاسدات . رسالة في العلة التي لها قيل ان النار والهواء والماء والارض عناصر تجمع الكائنة الفاسدة ، وهي وغيرها يستحيل بعضها الى بعض . رسالة في اختلاف الأزمنة التي تظهر فيها قوى الكيفيات الاربع الاولى . رسالة في خبر العقل .

رسالة في النسب الزمانية . رسالة في علة اختلاف انواع السنة . رسالة في ماهية الزمان وماهية الدهر والحين والوقت . رسالة في العلة التي لها يبرد أعلى الجو ويسخن ما قرب من الارض . رسالة في الاثر الذي يظهر في الجو ويسمى كوكباً . رسالة في الكوكب الذي ظهر ورصده أياماً حتى اضمحل . رسالة في الكوكب ذي الذؤابة . رسالة في العلة الحادثة بها البرد في آخر الشتاء في الابان المسمى أيام المعجوز . رسالة في علة كون الضباب والأسباب المحدثه له . رسالة فيما رصد من الاثر العظيم في سنة اثنتين وعشرين ومائتين للهجرة . رسالة في الآثار العلوية . رسالة الى ابنه أحمد في اختلاف مواضع المساكن من كرة الارض ، وهذه الرسالة شرح فيها كتاب المساكن لثاوذوسيوس . رسالة في علة حدوث الرياح في باطن الارض المحدثه كثير الزلازل والحسوف . رسالة في علة اختلاف الازمان في السنة وانتقالها بأربعة فصول مختلفة . كلام في عمل السمات . رسالة في ابعاد مسافات الاقاليم . رسالة في المساكن . رسالته الكبرى في الربع المنكون . رسالة في اخبار ابعاد الأجرام . رسالة في استخراج بعد مركز القمر من الارض . رسالة في استخراج آلة عملها يستخرج بها ابعاد الاجرام . رسالة في عمل آلة يعرف بها بعد المعاينات . رسالة في معرفة ابعاد قتل الجبال . رسالة الى أحمد بن محمد الخراساني فيما بعد الطبيعة ، وايضاح تناهي جرم العالم . رسالة في مقدمة الأخبار . رسالة في مقدمة المعرفة بالاحداث . رسالة في مقدمة الخبر . رسالة في مقدمة المعرفة في الاستدلال بالاشخاص السماوية . رسالة في انواع الجواهر والاشباه . رسالة في نعمت الحجارة والجواهر ومعادنها وجيدها وردنها وأثمانها . رسالة في تلويح الزجاج . رسالة فيما يصنع فيعطى لوناً . رسالة في أنواع الحديد والسيوف وجيدها ومواضع انتسابها . رسالة الى أحمد بن المعتصم بالله فيما يطرح على الحديد والسيوف حتى لا تنظم ولا تكل . رسالة في الطائر الانسى . رسالة في تمرغ الحمام . رسالة في الطرح على البيض . رسالة في أنواع النخل وكرائمه . رسالة في عمل القمقم الصباح . رسالة في العطر وأنواعه . رسالة في كيمياء العطر ، رسالة في الاسماء المعماة . رسالة في التنبيه على خدع الكيمائيين . رسالة في الاثرين الحسوسين في الماء . رسالة في المد والجزر . رسالة في اركاب الخيل . رسالته الكبيرة في

الاجسام الغائصة في الماء . رسالة في الاجرام الهابطة .

رسالة في شعار المرأة . رسالة في اللفظ وهي ثلاثة اجزاء أول وثاني وثالث . رسالة في الحشرات . مصور عطاردي . رسالة في جواب أربع عشرة مسألة طبيعيات سأله عنها بعض اخوانه . رسالة في جواب ثلاث مسائل سئل عنها . رسالة في قصة المتفلسف بالسكوت . رسالة في علة الرعد والبرق والثلج والبرد والصواعق والمطر . رسالة في بطلان دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة وخدمهم . رسالة في الابانة ان الاختلاف الذي في الاشخاص العالية ليس علة الكيفيات الاولى كما هي علة ذلك في التي تحت الكون والفساد ، ولكن علة ذلك حكمة مبدع الكل عز وجل . رسالة في قلع الآثار من الثياب وغيرها . رسالة إلى يوحنا بن ماسويه في النفس وأفعالها . رسالة في ذات الشعبين . رسالة في علم الحواس . رسالة في صفة البلاغة . رسالة في قدر المنفعة باحكام النجوم . كلام في المبدع الاول . رسالة في صنعة الاحبار والليق . رسالة الى بعض اخوانه في رموز الفلاسفة في المجسمات . رسالة في عناصر الاخبار . كتاب في الجواهر الخمسة . رسالة الى أحمد بن المعتصم في تجويز اجابة الدعاء من الله عز وجل لمن دعا به . رسالة في الفلك والنجوم ، ولم قسمت دائرة فلك البروج على اثني عشر قسماً وفي تسميتهم السعود والنحوس ، وبيوتها واشراقها وحدودها بالبرهان الهندسي .

أحمد بن الطيب السرخسي

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن مروان السرخسي ، ممن ينتمي الى الكندي ، وعليه قرأ ، ومنه أخذ . وكان متفناً في علوم كثيرة من علوم القدماء والعرب ، حسن المعرفة ، جيد القريحة ، بليغ اللسان ، مليح التصنيف والتأليف ، أوحداً في علم النحو والشعر . وكانت حسن العشرة ، مليح النادرة ، خليعاً ظريفاً . وسمع الحديث أيضاً وروى شيئاً منه .

ومن ذلك ، روى أحمد بن الطيب السرخسي قال : حدثنا عمرو بن محمد الناقل ، قال : أخبرنا سليمان بن عبيد الله ، عن بقية بن الوليد ، عن معاوية بن يحيى ، عن عمران القصير ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اذا اكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فعليهم الدبار ^(١) » .

وروى أحمد بن الطيب أيضاً ، عن أحمد بن الحرث ، عن أبي الحسن علي بن محمد المدائني ، عن عبد الله بن المبارك ، عن عبد العزيز بن أبي سالم ، عن مكحول ، قال : قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة من سب نبياً أو صحابة نبي أو أئمة المسلمين » .

وتولى أحمد بن الطيب في أيام المعتضد الحسبة ببغداد . وكان أولاً معلماً للمعتضد ، ثم ناداه وخص به ، وكان يفضي اليه بأسراره ويستشير به في أمور مملكته . وكان الغالب على أحمد بن الطيب علمه لا

(١) الهلاك .

عقله . وكان سبب قتل المعتضد إياه ، اختصاصه به ، فانه أفضى اليه بسر يتعلق بالقاسم بن عبيد الله وبدر غلام المعتضد ، فأفشأه وأذاعه بحيلة من القاسم عليه مشهورة . فسلمه المعتضد اليهما فاستصفا ماله ، ثم أودعاه المطامير ^(١) . فلما كان في الوقت الذي خرج فيه المعتضد لفتح آمد ^(٢) وقتال أحمد ابن عسى بن شيخ ، أفلت من المطامير جماعة من الخوارج وغيرهم ، والتقطهم مؤنس الفحل وكان اليه الشرطة وخلافة المعتضد على الحضرة ، وأقام أحمد في موضعه ورجا بذلك السلامة ، فكان قعوده سبباً لمنيته ، وأمر المعتضد القاسم باثبات جماعة ممن ينبغي أن يقتلوا ليستريح من تعلق القلب بهم فائت بهم ، ووقع المعتضد بقتلهم ، فادخل القاسم اسم أحمد في جملتهم ، فيما بعد ، فقتل . وسأل عنه المعتضد ، فذكر له القاسم قتله ، وأخرج اليه الثبوت فلم ينكره . ومضى بعد أن بلغ السماء رفعة في سنة ^(*) وكان قبض المعتضد على أحمد بن الطيب في سنة ثلاث وثمانين ومائتين وقتله في الشهر المحرم من سنة ست وثمانين ومائتين .

ولاحد بن الطيب السرخسي من الكتب : اختصار كتاب ايساغوجي لفرفوريوس ، اختصار كتاب قاطيغوريوس ، اختصار كتاب باريرميناس ، اختصار كتاب اناطوطيا الاولى ، اختصار كتاب اناطوطيا الثانية ، كتاب النفس ، كتاب الاغشاش وصناعة الحسبة الكبير ، كتاب غش الصناعات والحسبة الصغير ، كتاب نزهة النفوس ولم يخرج باسمه ، كتاب اللهو والملاهي ونزهة المفكر الساهي في الغناء والمغنين ، والمنادمة ، والمجالسة وأنواع الاخبار والملح ، صنفه للخليفة ، وقال أحمد بن الطيب في كتابه هذا انه صنف هذا الكتاب وقد مر له من العمر احدى وستون سنة ، كتاب السياسة الصغير كتاب المدخل الى صناعة النجوم ، كتاب الموسيقى الكبير ، مقالتان ولم يعمل مثله ، كتاب الموسيقى الصغير ، كتاب المسالك والممالك ، كتاب الارثماطيقى في الاعداد والجبر والمقابلة ، كتاب المدخل الى صناعة الطب ، نقض فيه على حنين بن اسحق ، كتاب المسائل ، كتاب فضائل بغداد وأخبارها ، كتاب الطبيخ ، ألفه على الشهور والايام للمعتضد ، كتاب زاد المسافر وخدمة الملوك ، مقالة من كتاب أدب الملوك ، كتاب المدخل الى علم الموسيقى ، كتاب الجلساء والمجالسة ، رسالة في جواب ثابت بن قرة فيما سأل عنه ، مقالة في البهق والنمش والكلف ، رسالة في السالكين وطرائف اعتقادهم ، كتاب منفعة الجبال ، رسالة في وصف مذاهب الصابئين ، كتاب في أن المبدعات في حال الابداع لامتحركة ولا ساكنة . كتاب في ماهية النوم والرؤيا ، كتاب في العقل . كتاب في وحدانية الله تعالى . كتاب في وصايا فيثاغورس ، كتاب في الفاظ سقراط ، كتاب في العشق ، كتاب في برد أيام العجوز ، كتاب في كون الضباب . كتاب في الفأل ، كتاب في الشطرنج العالية ، كتاب أدب في النفس الى المعتضد ، كتاب في الفرق بين نحو العرب والمنطق ، كتاب في ان اركان الفلسفة بعضها على بعض ،

(١) واحدها مطمورة وهي الحفرة تحت الارض تخبأ فيها الحبوب ونحوها .

(٢) او ديار بكر ، مدينة على شاطئ دجلة الايسر فتحها عياض بن غنم النهري ومتوجاتها الحرير والقطن والجلد .

(ن . د)

(*) التبياض في كل النسخ .

وهو كتاب الاستيفاء . كتاب في احداث الجو ، كتاب الرد على جالينوس في المحل الاول . رسالة الى ابن ثوبة ، رسالة في الخضابات المسودة للشعر وغير ذلك . كتاب في ان الجزء ينقسم الى ما لا نهاية له . كتاب في أخلاق النفس ، كتاب سيرة الإنسان ، كتاب الى بعض اخوانه في القوانين العامة الأولى في الصناعة الديالقطيقية أي الجدلية على مذهب ارسطوطاليس ، اختصار كتاب سوفسطيقا لارسطوطاليس ، كتاب القيان .

أبو الحسن ثابت بن قرة الحراني

كان من الصابة المقيمين بجران^(١) ، ويقال الصابئون نسبتهم الى صاب - وهو طاط ابن النبي ادريس^(٢) عليه السلام - وثابت هذا هو ثابت بن قرة بن مروان بن ثابت بن كرايا بن ابراهيم بن كرايا بن مارينوس بن سالايونوس . وكان ثابت بن قرة صيرفياً بجران ، ثم استصحبه محمد بن موسى لما انصرف من بلد الروم لانه رآه فصيحاً . وقيل انه قرأ على محمد بن موسى فتعلم في داره ، فوجب حقه عليه . فوصله بالمعتضد وأدخله في جملة المنجمين . وهو أصل ما تجدد للصابة من الرئاسة في مدينة السلام ، وبحضرة الخلفاء . ولم يكن في زمن ثابت بن قرة من يماثله في صناعة الطب ولا في غيره من جميع أجزاء الفلسفة . وله تصانيف مشهورة بالجودة . وكذلك جاء جماعة كثيرة من ذريته ومن أهله يقاربونه فيما كان عليه من حسن التخرج والتمهر في العلوم .

ولثابت ارصاد حسان للشمس تولاهما ببغداد وجمعها في كتاب بين فيه مذهبه في سنة الشمس ، وما أدركه بالرصد في موضع أوجها ، ومقدار سنيها ، وكمية حركاتها ، وصورة تعديلهما . وكان جيد النقل إلى العربي حسن العبارة ، وكان قوي المعرفة باللغة السريانية وغيرها .

وقال ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة : ان الموفق لما غضب على ابنه أبي العباس المعتضد بالله حبسه في دار اسماعيل بن بلبل . وكان أحمد الحاجب موكلًا به . وتقدم اسماعيل بن بلبل الى ثابت ابن قرة بأن يدخل الى أبي العباس ويؤنسه . وكان عبد الله بن أسلم ملازمًا لأبي العباس ، فأنس أبو العباس بثابت بن قرة أنساً كثيراً . وكان ثابت يدخل اليه الى الحبس في كل يوم ثلاث مرات يحادثه ويسليه ، ويعرفه أحوال الفلاسفة ، وأمر الهندسة والنجوم ، وغير ذلك . فشغف به ولطف منه محله . فلما خرج من حبسه قال لبدر غلامه : يا بدر ، أي رجل أفدنا بعدك ؟ فقال : من هو يا سيدي ؟ فقال : ثابت بن قرة . ولما تقلد الخلافة اقطعه ضياعاً جليلاً وكان يجلسه بين يديه كثيراً بحضرة الخاص العام ، ويكون بدر غلام الامير قائماً والوزير ، وهو جالس بين يدي الخليفة .

(١) مدينة قديمة ما بين النهرين قاعدة بلاد مضر اشتهرت بالفلاسفة والعلماء اعظمهم ثابت هذا واولاده ، والبتاني .
(٢) قيل ان ادريس والياس والحضر هي ثلاثة اسماء لمسمى واحد . ذكر مرتين في القرآن ، ولقب بالبار والنجي ، وذكر بين الصابرين وقالت العرب : انه كان تقياً ملهماً بالعلوم والفنون ، وانه عاش ٣٦٥ عاماً ثم رفعه الله اليه (ن.ر)

قال أبو اسحق الصابىء الكاتب : ان ثابتاً كان يشي مع المعتضد في الفردوس - وهو بستان في دار الخليفة للرياضة - وكان المعتضد قد اتكأ على يد ثابت وهما يتماشيان ، ثم نثر المعتضد يده من يد ثابت بشدة ، ففزع ثابت . فان المعتضد كان مهيباً جداً ، فلما نثر يده من يد ثابت قال له : يا أبا الحسن ، - وكان في الخلوات يكنيه وفي الملاء يسميه - سهوت ووضعت يدي على يدك واستندت عليها ، وليس هكذا يجب أن يكون ، فان العلماء يعلمون ولا يعلمون .

ونقلت من كتاب الكنايات للقاضي أبي العباس أحمد بن محمد الجرجاني قال : حدثني أبو الحسن هلال بن الحسن بن ابراهيم ، قال : حدثني جدي أبو اسحق الصابىء ، قال : حدثني عمي أبو الحسين ثابت بن ابراهيم ، قال : حدثني أبو محمد الحسن بن موسى التوبخني قال : سألت أبا الحسن ثابت بن قره عن مسألة بحضرة قوم فكره الاجابة عنها بشهدهم ، وكنت حديث السن ، فدافعني عن الجواب . فقلت متمثلاً :

ألا ما لليل لا ترى عند مضجعي بليل ولا يجري بها لي طائر
بلى ان عجم الطير تجري اذا جرت بليلي ولكن ليس للطير زاجر
(الطويل)

فلما كنت من غد لقيني في الطريق وسرت معه ، فاجابني عن المسألة جواباً شافياً ، وقال : زجرت الطير يا أبا محمد ؟ فاخجلني ، فاعتذرت اليه ، وقلت : والله يا سيدي ما أردتك بالبيتين .

ومن بديع حسن تصرف ثابت بن قره في المعالجة ما حكاه ابو الحسن ثابت بن سنان ، قال : حكى احد اجدادي ، عن جدنا ثابت بن قره ، انه اجتاز يوماً ماضياً الى دار الخليفة فسمع صياحاً وعويلاً ، فقال : مات القصاب الذي كان في هذا الدكان ؟ فقالوا له : اي والله يا سيدنا البارحة فجأة . وعجبوا من ذلك . فقال : ما مات خذوا بنا اليه . فعدل الناس معه الى الدار فتقدم الى النساء بالامساك عن اللطم والصياح ؛ وأمرهن بأن يعملن مزورة . وأوماً الى بعض غلمانها بأن يضرب القصاب على كعبه بالعصا . وجعل يده في مجسه ، وما زال ذلك يضرب كعبه الى ان قال : حسبك . واستدعى قدحاً وأخرج من شستكة في كفه دواء فدافه ^(١) في القدح بقليل ماء ، وفتح فم القصاب وسقاه اياه ، فأساغه . ووقعت الصيحة والزعة في الدار والشارع بان الطبيب قد أحيا الميت . فتقدم ثابت بفلق الباب والاستيثاق منه . وفتح القصاب عينه وأطعمه مزورة وأجلسه . وقعد عنده ساعة ، واذا بأصحاب الخليفة قد جاءوا يدعونه ، فخرج معهم والدنيا قد انقلبت ، والعامه حوله يتعادون ، الى أن دخل دار الخلافة .

ولما مثل بين يدي الخليفة قال له يا ثابت ما هذه المسيحية التي بلغتنا عنك ؟ قال : يا مولاي كنت أجتاز على هذا القصاب وألحظه يشرح الكبد ، ويطرح عليها الملح ويأكلها . فكنت أستقدر فعله أولاً ، ثم اعلم ان سكتة ستلحقه . فصرت أراعيه ، واذا علمت عاقبته انصرفت وركبت للسكتة

(١) اذا به في الماء وضربه فيه ليخثر .

دواء استصحبته معي في كل يوم . فلما اجتازت اليوم وسمعت الصباح قلت : مات القصاب ؟ قالوا : نعم ، مات فجأة البارحة . فعلمت أن السكينة قد لحقته ، فدخلت اليه ولم أجد له نبضاً . فضربت كعبه الى أن عادت حركة نبضه ، وسقيته الدواء ففتح عينيه ، واطعمته مزوارة . والليلة يأكل رغيفاً بدراج ، وفي غد يخرج من بيته .

أقول : وكان مولد ثابت بن قرة في سنة احدى عشرة ومائتين بجران في يوم الخميس الحادي والعشرين من صفر . وتوفي سنة ثمان وثمانين ومائتين ، وله من العمر سبع وسبعون سنة . وقال ثابت ابن سنان بن ثابت بن قرة : كانت بين أبي أحمد يحيى بن علي بن يحيى بن المنجم النديم ، وبين جدي أبي الحسن ثابت بن قرة ، رحمه الله ، مودة أكيدة . ولما مات جدي في سنة ثمان وثمانين ومائتين رثاه أبو أحمد بابيات هي هذه :

ألا كل شيء ما خلا الله مائت	ومن يغترب يرجى ومن مات فانت
أرى من مضى عنا وخيم عندنا	كسفر ثوبا أرضاً فسار وبانت
نعينا العلوم الفلسفيات كلها	خبأ نورها اذ قيل قد مات ثابت
وأصبح أهلها حيارى لفقده	وزال به ركن من العلم ثابت
وكانوا اذا ضلوا هدام لنهجها	خير بفصل الحكم للحق ناكث ^(١)
ولما أتاه الموت لم يغن طبه	ولا ناطق مما حواه وصامت
ولا أمتعته بالغنى بغتة الردى	ألا رب رزق قابل وهو فانت
فلو أنه استطاع للموت مدفع	لدافعه عنه حماة مصالت ^(٢)
ثقة من الاخوان يصفون وده	وليس لما يقضي به الله لاف ^(٣)
أبا حسن لا تبعدن وكننا	لهلكك مفجوع له الحزن كاب ^(٤)
أأمل أن تجلى عن الحق شبهة	وشخصك مقبور وصوتك خافت
وقد كان يسرر حسن تبينك العمى	وكل قؤول حين تنطق ساكت
كأنك مسؤولاً من البحر غارف	ومستبدئاً نطقاً من الصخر ناحت
فلم يتفقدني من العلم واحد	^(٥) هراق اناء العلم بعدك كاب
وكم من محب قد أفدت وانه	لغيرك ممن رام شأوك هافت
عجبت لارض غيبتك ولم يكن	ليثبت فيها مثلك الدهر ثابت
تهذبت حتى لم يكن لك مبغض	ولا لك لما اغتالك الموت شامت

(١) اصل معنى نكت: ضرب الارض بقضيب او اصبع حال التفكير فائر فيها. وكأنه هنا ينكت عن الحق ليكشف عنه.

(٢) شجمان ماضون في الحوائج .

(٣) صارف .

(٤) اذله وكسره (ن.د).

(٥) اراقه .

وبرزت حتى لم يكن لك دافع
مضى علمَ العلم الذي كان مقنعا
عن الفضل الا كاذب القول باهت
فلم يبق الا مخطيء متهافت^(١)
(الطويل)

وكان من تلامذة ثابت بن قرة : عيسى بن أسيد النصراني ، وكان ثابت يقدمه ويفضله وقد نقل عيسى بن أسيد من السرياني الى العربي بحضرة ثابت ويوجد له كتاب جوابات ثابت لمسائل عيسى ابن أسيد .

ومن كلام ثابت بن قرة قال: ليس على الشيخ أضر من أن يكون له طباح حاذق، وجارية حسناء. لانه يستكثر من الطعام فيسقم ، ومن الجُماع فيهرم .

وقال : راحة الجسم في قلة الطعام ، وراحة النفس في قلة الآثام ، وراحة القلب في قلة الاهتمام ، وراحة اللسان في قلة الكلام .

ولأبي الحسن ثابت بن قرة الحراني من الكتب : كتاب في سبب كون الجبال . مسائله الطبية . كتاب في النبض . كتاب وجع المفاصل والنقرس . جوامع كتاب بارمينيئاس . جوامع كتاب اناطوطيقا الاولى . اختصار المنطق . نواذر محفوظلة من طوبيقا . كتاب في السبب الذي من أجله جعلت مياه البحر مالحة . اختصار كتاب ما بعد الطبيعة . مسائله المشوقة الى العلوم . كتاب في أغاليط السوفسطائيين . كتاب في مراتب العلوم . كتاب في الرد على من قال ان النفس مزاج . جوامع كتاب الادوية المفردة لجالينوس . جوامع كتاب المرة السوداء لجالينوس . جوامع كتاب سوء المزاج المختلف لجالينوس . جوامع كتاب الامراض الحادة لجالينوس . جوامع كتاب الكثرة لجالينوس . جوامع كتاب تشريح الرحم لجالينوس . جوامع كتاب جالينوس في المولودين لسبعة أشهر . جوامع ما قاله جالينوس في كتابه في تشريف صناعة الطب . كتاب أصناف الامراض . كتاب تسهيل المجسطي . كتاب المدخل الى المجسطي كتاب كبير في تسهيل المجسطي لم يتم وهو أجود كتبه في ذلك . كتاب في الوقفات التي في السكون الذي بين حركتي الشريان المتضادتين ، مقالتان ، صنف هذا الكتاب سريانياً لانه أوماً فيه الى الرد على الكندي، ونقله الى العربي تلميذ له يعرف بعيسى بن أسيد النصراني، وأصلح ثابت العربي . وذكر قوم أن الناقل لهذا الكتاب حبيش بن الحسن الأعسم ، وذلك غلط . وقد رد أبو احمد الحسين بن اسحق بن ابراهيم المعروف بابن كرنيب على ثابت في هذا الكتاب بعد وفاة ثابت بما لا فائدة فيه ولا طائل . وهذا الكتاب أنفذه لما صنفه الى اسحق بن حنين فاستحسنه استحسنًا عظيمًا ، وكتب في آخره بخطه يقرظ أبا الحسن ثابتاً ويدعو له ويصفه . جوامع كتاب الفصد لجالينوس . جوامع تفسير جالينوس لكتاب أبقرط أبا الحسن ثابتاً ويدعو له ويصفه . جوامع كتاب العمل بالكرة . كتاب في الحصى المتولد في الكلى والمثانة . كتاب في البياض الذي يظهر في البدن . كتاب في مسالة الطبيب للمريض . كتاب في سوء المزاج المختلف . كتاب في تدبير الامراض الحادة .

(١) منساقط ومتتابع .

رسالة في الجدي والحصبة . اختصار كتاب النبض الصغير لجالينوس . كتاب في قطع الاسطوانة كتاب في الموسيقى . رسالة الى علي بن يحيى المنجم فيما أمر بأثباته من أبواب علم الموسيقى . رسالة الى بعض اخوانه في جواب ما سأله عنه من أمور الموسيقى كتاب في أعمال ومساائل اذا وقع خط مستقيم على خطين ومقالة أخرى له في ذلك . كتاب في المثلث القائم الزوايا . كتاب في الاعداد المتحابة . كتاب في الشكل القطاع . كتاب في حالة الفلك . كناشه المعروف بالخيرة ألفه لولده سنان بن ثابت . جوابه لرسالة أحمد بن الطيب اليه . كتاب في التصرف في اشكال القياس . كتاب في تركيب الافلاك وخلقتها وعددها وعدد حركات الجهات لها ، والكواكب فيها ، ومباغ سيرها ، والجهات التي تتحرك اليها . كتاب في جوامع المسكونة . كتاب القرطبيون . رسالة في مذهب الصابئين ودياناتهم . كتاب في قسمة الارض كتاب في الهيئة . كتاب في الاخلاق . كتاب في مقدمات اقليدس . كتاب في اشكال اقليدس . كتاب في اشكال المجسطي . كتاب في استخراج المسائل الهندسية . كتاب رؤية الالهة بالجنوب . كتاب رؤية الالهة من الجداول . رسالة في سنة الشمس . رسالة في الحجة المنسوبة الى سقراط كتاب في ابطاء الحركة في فلك البروج وسرعتها وتوسطها بحسب الموضع الذي يكون فيه من الفلك الخارج المركز . جواب ما سئل عنه عن البقراطيين وكم مبلغ عددهم . مقالة في عمل شكل مجسم ذي اربع عشرة قاعدة تحيط به كرة معلومة . مقالة في الصفرة العارضة للبدن وعدد اصنافها واسبابها وعلاجها . مقالة في وجع المفاصل . مقالة في صفة كون الجنين . كتاب في علم ما في التقويم بالمتحن كتاب في الاطلال . كتاب في وصف القرص . كتاب في تدبير الصحة . كتاب في محنة حساب النجوم . كتاب تفسير الاربعة . رسالة في اختيار وقت لسقوط النطفة . جوامع كتاب النبض الكبير لجالينوس . كتاب الخاصة في تشريف صناعة الطب وترتيب اهلها وتعزيز المنقوصين منهم بالنفوس والاخبار ان صناعة الطب أجل الصناعات ، كتب به الى الوزير ابي القاسم عبيد الله بن سليمان . رسالة في كيف ينبغي ان يسلك الى نيل المطلوب من المعاني الهندسية ، فيها ذكر آثار ظهرت في الجو ، واحوال كانت في الهواء مما رصد بنو موسى وابو الحسن ثابت بن قرة . اختصار كتاب جالينوس في قوى الاغذية ، ثلاث مقالات . مسائل عيسى بن أسيد لثابت بن قرة واجوبتها الثابت . كتاب البصر والبصيرة في علم العين وعملها ومداراتها . المدخل الى كتاب اقليدس وهو في غاية الجودة . كتاب المدخل الى المنطق . اختصار كتاب حيلة البره لجالينوس . شرح السماع الطبيعى ، (مات وما تمه) . كتاب في المربع وقطره . كتاب فيما يظهر في القمر من آثار الكسوف وعلاماته . كتاب في علة كسوف الشمس والقمر ، عمل اكثره ومات وما تمه . كتاب الى ابنه سنان في الحث على تعلم الطب والحكمة . جوابان عن كتابي محمد بن موسى بن شاذان اليه في امر الزمان . كتاب في مساحة الاشكال المسطحة وسائر البسط والاشكال . كتاب في ان سبيل الانتقال التي تعلق على عمود واحد منفصلة هي سبيلها اذا جعلت ثقلاً واحداً مشبوتاً في جميع العمود على تساوي . كتاب في طبائع الكواكب وتأثيراتها مختصر في الاصول من علم الاخلاق . كتاب في آلات الساعات التي تسمى رخامات . كتاب في ايضاح الوجه الذي ذكر بطليموس ان به استخراج من تقدمه مسيرات القمر

الدورية وهي المستوية . كتاب في صفة استواء الوزن واختلافه وشرائط ذلك ، جوامع كتاب
 نيقوماخس في الارثاطيقي ، مقالات . اشكال له في الحبل . جوامع المقالة الاولى من الاربع
 لبطلميوس ، جوابه عن مسائل سأل عنها أبو سهل النوبختي . كتاب في قطع المخروط المكافي . كتاب
 في مساحة الاجسام المكافية . كتاب في مراتب قراءة العلوم . اختصار كتاب أيام البحران لجالينوس
 ثلاث مقالات . اختصار كتاب الاسطقسات لجالينوس . كتاب في اشكال الخطوط التي يمر عليها
 ظل المقياس . مقالة في الهندسة الفها لاسمعليل بن بلبل . جوامع كتاب جالينوس في الادوية المنقية .
 جوامع كتاب الاعضاء الآلة لجالينوس . كتاب في العروض . كتاب في اغفله ثاون في حساب كسوف
 الشمس والقمر . مقالة في حساب خسوف الشمس والقمر . كتاب في الانواء . ما وجد من كتابه في
 النفس . مقالة في النظر في امر النفس . كتاب في الطريق الى اكتساب الفضيلة . كتاب في النسبة
 المؤلف . رسالة في العدد الوفق . رسالة في تولد النار بين حجرين . كتاب في العمل بالمتحن وترجمته .
 ما استدركه على حبش في المتحن . كتاب في مساحة قطع الخطوط . كتاب في آلة الزمر .
 كتب عدة له في الارصاد عربي وسرياني . كتاب في تشريح بعض الطيور واطنه مالك الحزين .
 كتاب في اجناس ما تنقسم اليه الادوية ، صنفه بالسرياني . كتاب في اجناس ما توزن به الادوية ،
 بالسرياني . كتاب في هجاء السرياني واعرابه . مقالة في تصحيح مسائل الجبر بالبراهين الهندسية .
 اصلحه للمقالة الاولى من كتاب ابلونيوس في قطع النسب المحدودة ، وهذا الكتاب مقالاتان اصلح
 ثابت الاولى اصلحاً جيداً وشرحها وأوضحها وفسرها والثانية لم يصلحها وهي غير مفهومة . مختصر
 في علم النجوم ، مختصر في علم الهندسة . جوابات عن مسائل سأل عنها المعتضد . كلام في السياسة .
 جواب له عن سبب الخلاف بين زبيج بطلميوس وبين المتحن . جوابات له عن عدة مسائل سأل عنها
 سند بن علي . رسالة في حل رموز كتاب السياسة لافلاطن . اختصار القاطيغورياس .

وما وجد لثابت بن قرة الحراني الصابي بالسريانية فيما يتعلق بمذهبه : رسالة في الرسوم والفروض
 والسنن . رسالة في تكفين الموتى ودفنهم . رسالة في اعتقاد الصابئين . رسالة في الطهارة والنجاسة .
 رسالة في السبب الذي لاجله الغز الناس في كلامهم . رسالة فيما يصلح من الحيوان للضحايا وما لا يصلح .
 رسالة في أوقات العبادات . رسالة في ترتيب القراءة في الصلاة . صلوات الابتهاال الى الله عز وجل .

أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة

كان يلحق بابيه في معرفته بالعلوم واشتغاله بها وتمهره في صناعة الطب . وله قوة بالغة في علم
 الهيئة . وكان في خدمة المقتدر بالله ، والقاهر^(١) ، وخدم أيضاً بصناعة الطب الراضي بالله . وقال
 ابن النديم البغدادي الكاتب في « كتاب الفهرست » : ان القاهر بالله أراد سنان بن ثابت بن قرة على

(١) الخليفة العباسي التاسع عشر . أمر وهو بحالة السكر وسمت عيناه وسجن ثم عاش متسولاً وتوفي سنة ٩٥٠ (ن.د)

الاسلام ، فهرب ثم أسلم ، وخاف من القاهر فمضى الى خراسان وعاد وتوفي ببغداد مسلماً . وكانت وفاته بعلّة الذرب في الليلة التي صبيحتها يوم الجمعة ، مستهل ذي القعدة سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة . وقال ثابت بن سنان في تاريخه : أذكر ، وقد وقع الوزير علي بن عيسى بن الجراح الى والدي سنان بن ثابت في أيام تقلده الدواوين من قبل المقتدر بالله وتدبير الملكة في أيام وزارة حامد بن العباس في سنة كثرت فيها الامراض جداً وكان والدي اذ ذاك يتقلد البيارستانات ببغداد وغيرها ، توقيماً يقول فيه : « فكرت ، مد الله في عمرك ، في أمر من في الحبوس وانه لا يخلو ، مع كثرة عدهم وجفاء أماكنتهم ، أن تنالهم الامراض وهم معوقون عن التصرف في منافعهم ولقاء من يشاورونه من الأطباء فيما يعرض لهم . فينبغي ان تفرد لهم أطباء يدخلون اليهم في كل يوم ، وتُحمل اليهم الادوية والأشربة . ويطوفون في سائر الحبوس ، ويعالجون فيها المرضى ، ويزيرون عليهم فيما يحتاجون اليه من الأدوية والأشربة . ويتقدم بان تقام لهم المزورات لمن يحتاج اليها منهم » . ففعل والدي ذلك طول أيامه .

وورد توقيع آخر اليه فيه : « فكرت في من في السواد من أهله ، فانه لا يخلو أن يكون فيه مرضى لا يشرف عليهم متطبب لخلو السواد من الأطباء . فتقدم ، مد الله في عمرك ، بانقاذ متطبين وخزانة للأدوية والأشربة يطوفون في السواد ويقومون في كل صقع منه مدة ما تدعو الحاجة اليه . ويعالجون من فيه من المرضى ثم ينتقلون الى غيره . » ففعل والدي ذلك الى ان انتهى أصحابه الى سورا^(١) ، والغالب على اهلها اليهود . فكتب الى أبي الحسن علي بن عيسى يعرفه ورود كتابة من أصحابه من السواد يذكرون فيه كثرة المرضى وان اكثر من حول نهر الملك يهود ؛ وانهم استألفوا في المقام عليهم وعلاجهم ، وانه لم يعلم ما يجيبهم به لانه لا يعرف رأيه فيهم . وأعلمه ان رسم البيارستان أن يعالج فيه المي والذمي . ويسأله أن يرسم له في ذلك ما يعمل عليه . فوقع له توقيماً نسخته : « فهمت ما كتبت به ، أكرمك الله ، وليس بيننا خلاف في ان معالجة أهل الذمة والبهائم صواب . ولكن الذي يجب تقديمه والعمل به معالجة الناس قبل البهائم ، والمسلمين قبل أهل الذمة .

« فاذا افضل عن المسلمين ما لا يحتاجون اليه ، صرف في الطبقة التي بعدهم . فاعمل ، أكرمك الله ، على ذلك واكتب الى اصحابك به . ووصهم بالتنقل في القرى والمواضع التي فيها الأوباء الكثيرة والامراض الفاشية . وان لم يجدوا بذرة^(٢) توقفوا عن السير حتى تصلح لهم الطريق ، ويصح السبيل ، فانهم اذا فعلوا هذا غنوا عن السور ان شاء الله تعالى . »

قال ثابت بن سنان : وكانت النفقة عن البيارستان ، الذي لبدر المتضدي ، بالمحرم من ارتفاع وقف سجاج أم المتوكل على الله . وكان الوقف في يد أبي الصقر وهب بن محمد الكلوزاني . وكان قسط من ارتفاع هذا الوقف يصرف الى بني هاشم ، وقسط منه الى نفقة البيارستان . وكان ابو

(١) موضع من اعمال العراق .

(٢) تبيداً بالمال وامراًفاً .

الصقر يروج على بني هاشم ما لهم ، ويؤخر ما يصرف الى نفقة البيارستان ويضيقه . فكتب والدي الى ابي الحسن علي بن عيسى يشكو اليه هذه الحال ويعرفه ما يلحق المرضى من الضرر بذلك ، وقصور ما يقام لهم من الفحم والمؤن والدثار وغير ذلك عن مقدار حاجتهم . فوقع على ظهر رقعته الى أبي الصقر توقيعاً نسخته : « انت ، اكرمك الله ، تقف على ما ذكره وهو غلط جداً والكلام فيه معك خاصة فيما يقع منك يلزمك ، وما احسبك تسلم من الائم فيه . وقد حكيت عني في الهاشميين قولاً لست أذكره . وكيف تصرفت الاحوال في زيادة المال او نقصانه ووفوره او قصوره ، لا بد من تعديل الحال فيه ، بين ان تأخذ منه وتجعل للبيارستان قسطاً ، بل هو أحق بالتقديم على غيره لضعف من يلجأ اليه ، وعظيم النفع به . فعرفني ، اكرمك الله ، ما النكته في قصور المال ونقصانه في تخلف نفقة البيارستان هذه الشهور المتتابة ، وفي هذا الوقت خاصة مع الشتاء واشتداد البرد . فاحتل بكل حيلة لما يطلق لهم ويعجل حتى يدفأ من في البيارستان من المرضى والمرورين بالذثار والكسوة والفحم . ويقام لهم القوت ، ويتصل لهم العلاج والخدمة . وأجبنني بما يكون منك في ذلك . وأنفذ لي عملاً يدلني على حجتك . واعن بأمر البيارستان فضل عناية ، ان شاء الله تعالى . »

قال ثابت بن سنان : انه لما كان في اول يوم من المحرم سنة ست وثلاثمائة ، فتح والدي سنان بن ثابت بيارستان السيدة الذي اتخذه لها بسوق يحيى . وجلس فيه ، ورتب المتطبيين ، وقبل المرضى . وهو كان بناء على دجلة ، وكانت النفقة عليه في كل شهر ستمائة دينار . قال : وفي هذه السنة أيضاً أشار والدي على المقتدر بالله بأن يتخذ بيارستاناً ينسب اليه . فامر به بالتخاذ ، فاتخذه له في باب الشام وسماه البيارستان المقتدري . وأنفق عليه من ماله في كل شهر مائتي دينار . قال ثابت بن سنان : ولما كان في سنة تسع عشرة وثلاثمائة اتصل بالمقتدر ان غلطاً جرى على رجل من العامة من بعض المتطبيين فمات الرجل . فامر ابراهيم بن محمد بن بطحا بمنع سائر المتطبيين من التصرف إلا من امتحنه والدي سنان بن ثابت . وكتب له رقعة بخطه بما يطلق له من الصناعة . فصاروا الى والدي وامتحنهم واطلق لكل واحد منهم ما يصلح أن يتصرف فيه . وبلغ عددهم في جانبي بغداد ثمانمائة رجل ونيفاً وستين رجلاً ، سوى من استغنى عن محنته بأشتهاره بالتقدم في صناعته ، وسوى من كان في خدمة السلطان .

وقال أيضاً ثابت بن سنان : لما مات الراضي بالله استدعى الامير أبو الحسين بحكم والدي سنان ابن ثابت وسأله أن ينحدر اليه الى واسط . ولم يكن يطعم في ذلك منه في أيام الراضي بالله لللازمته بخدمته . فانحدر اليه والدي ، فآكرمه ووصله ، وقال له : « أريد أن اعتمد عليك في تدبير بدني وتفقدته ، والنظر في مصالحه . وفي أمر آخر هو أهم الي من أمر بدني ، وهو أمر اخلاقي ، لثقتي بعقلك وفضلك ودينك ومحبتك . فقد غمى غلبة الغضب والغيط علي ، وافراطها بي حتى أخرج الى ما اندم عليه عند سكونها من ضرب وقتل . وأنا أسألك أن تتفقد ما أعمله . واذا وقفت لي على عيب لم تحثم أن تصدقني عنه ، وتذكره لي ، وتنبهني عليه ؛ ثم ترشدني الى علاجه ليزول عني . » فقال له والدي : « السم والطاعة لما أمر به الأمير . أنا أفعل ذلك ، ولكن يستمع الامير مني بالعاجل جملة علاج ما أنكره من نفسه ، الى أن يبيته التفصيل في أوقاته . أعلم أيها الأمير انك قد أصبحت وليس فوق

يدك يد لأحد من المخلوقين . وانك مالك لكل ما تريده ، قادر على ان تفعله أي وقت اردته . لايتبها لأحد من المخلوقين منعك منه ، ولا لان يحول بينك وبين ما تهواه اي وقت أردته . وأنتك متى أردت شيئاً بلفته أي وقت شئت ، لا يفوتك أمر تريده .

«واعلم ان الغضب والغليظ والحرد تحدث في الانسان سكرأ أشد من سكر النبيذ بكثير . فكما أن الانسان يعمل في وقت السكر من النبيذ ما لا يعقل به ، ولا يذكره اذا صحا ، ويندم عليه اذا حدث به ويستحيي منه ؛ كذلك يحدث له وقت السكر من الحرد والغليظ، بل أشد. فلما يبتدىء بك الغضب ونحس بأنه قد ابتدأ يسكرك ، قبل أن يشتد ويقوى ويتفاقم ويخرج الامر عن يدك ، فضع في نفسك أن تؤخر العقوبة عليه الى غد ، واثقاً بأن ما تريد أن تعمله في الوقت لا يفوتك عمله في غد . وقد قيل « من لم يخف فوتاً حلم » ، فانك اذا فعلت ذلك وبنت ليلتك وسكنت فورة غضبك ، فانه لا بد لفورة الغضب من أن تبوخ وتسكن ، وان تصحو من السكر الذي أحدثه لك الغضب . وقد قيل « ان أصبح ما يكون الانسان رأيا اذا استدبر ليله واستقبل نهاره . » فاذا صحوت من سكرك فتأمل الأمر الذي أغضبك ، وقدم أمر الله عز وجل أولاً والخوف منه وترك التعرض لسخطه ، ولا تشف غيظك بما يؤثمك . فقد قيل « ما شفى غيظه من أثم بربه » . واذكر قدرة الله عليك ، وانك محتاج الى رحمته ، والى أخذه بيدك في أوقات شدائدك . وهو وقت لا تغلك لنفسك فيه شراً ولا نفعاً ولا يقدر لك عليه احد من المخلوقين ، ولا يكشف ما قد اظلك غيره عز وجل . واعلم ان البشر يغلطون ويخطئون . وانك مثلهم تغلط وتخطيء . وان كان لا يحسر أحد على ان لا يوافقك على ذلك . فكما تحب ان يغفر الله لك ، كذلك غيرك يؤمل عطفك وعفوك . وفكر بأي ليلة بات المذنب قلقاً لخوفه منك ، وما يتوقعه من عقوبتك ويخافه من سطوتك . واعرف مقدار ما يصل اليه من السرور وزوال الرعب عنه بعفوك، ومقدار الثواب الذي يحصل لك من ذلك . واذكر قول الله تعالى : « وليعفوا وليصفحوا » ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم . فان كان ما أغضبك مما يجوز فيه العفو ، ويكفي فيه العتاب والتوبيخ ، والعدل والتهديد متى وقعت معاودة ، فلا تتجاوز ذلك . واعف واصفح ، فانه أحسن بك ، وأقرب الى الله تعالى . والله سبحانه يقول : « وأن تعفوا فهو أقرب للتقوى . وليس يظن بك المذنب ولا غيره انك عجزت عن التقويم والعقوبة ، ولا قصرت بك القدرة . وأن كان مما لا يحتل العفو عاقبت حينئذ على قدر الذنب ولم تتجاوز به الى ما يوقع الدين ؛ ويفسد به أمرك ، ويقبح عند الناس ذكرك . فانما يشتد عليك تكلف ذلك أول دفعة وثانية وثالثة . ثم يصير عادة لك وخلقاً وسجية ، ويسهل عليك . »

فاستحسن بحكم ذلك ووعد أن يفعله . وما زالت أخلاقه تصلح ، والدي ينبهه على شيء شيء مما ينكره منه من اخلاقه وافعاله ، ويرشده الى طريق ازالته ، إلى أن لانت أخلاقه ، وكف عن كثير مما كان يسرع اليه من القتل والعقوبات الغليظة . واستحلى واستطاب . ما كان يشير عليه من استعمال العدل والانصاف ورفع الظلم والجور ويستصوبه ويعمل به . فانه كان يبين له أن العدل أربح للسلطان من الظلم بكثير ، وانه يحصل له به دنيا وآخرة . وان مواد الظلم ، وإن كثرت

وتمجّلت ، سريعة الفساد والفناء والانقطاع ، محققة لا يبارك فيها وتحدث حوادث تتجرّمها ثم تعود بخراب الدنيا وفساد الآخرة . ومواد العدل تنمى وتزيد وتقوم وتتصل ، وبارك فيها ، وتعود بصلاح الدنيا وعمارها ، وحصول الآخرة والفوز فيها ، وحسن الذكر ما بقي الدهر . فتبين ذلك وعرف صحته وابتدأ بالعمل به . وعمل بواسط في وقت المجاعة دار ضيافة ، وببغداد بيارستانا يعالج فيه الفقراء ويعملون ، وأنفق في ذلك جملة . ورقته الرعية ، وأرفقها ، وعدل فيها ، وأنصف في معاملاتها ، وأحسن إليها ، ورأى ما يجب . إلا أن مدته في ذلك لم تطل ، وقتل عن قرب ، والله أمر هو باله .

ولأبي سعيد سنان بن ثابت بن قرة من الكتب - وهو مما نقل من خط أبي علي الحسن بن ابراهيم ابن هلال الصابئ - : رسالة في تاريخ ملوك السريانيين . رسالة في الاستواء . رسالة في سهل . رسالة إلى محكم . رسالة إلى ابن رايق . رسالة إلى أبي الحسن علي بن عيسى رحمه الله تعالى . الرسائل السلطانيات والاخوانيات . السيرة وهي في أجزاء تعرف بكتاب الناجي صنفه لعضد الدولة وتاج الملة ، تشتمل على مفاخره ومفاخر الديلم وانسابهم وذكر أصولهم واسلافهم . رسالة في النجوم . رسالة في شرح مذهب الصابئين . رسالة في قصة أيام الجمعة على الكواكب السبعة كتبها إلى أبي اسحق ابراهيم ابن هلال ورجل آخر . رسالة في الفرق بين المترسل والشاعر . رسالة في أخبار آبائه وأجداده وسلفه .

ونقل إلى العربي نواميس هرمس والسور والصلوات التي يصلي بها الصابئون . اصلاحه لكتاب^(١) في الاصول الهندسية ، وزاد في هذا الكتاب شيئاً كثيراً . مقالة أنفذها إلى الملك عضد الدولة في الاشكال ذوات الخطوط المستقيمة التي تقع في الدائرة ، وعليها استخراجها للشيء الكثير من المسائل الهندسية . اصلاحه لعبارة أبي سهل الكوهي في جميع كتبه ، لأن أبا سهل سأل ذلك . اصلاحه وتهذيبه لشيء نقله من كتاب يوسف القس من السرياني إلى العربي . من كتاب ارشميدس في المثلثات .

أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة

كان طبيباً فاضلاً ، يلحق بابيه في صناعة الطب . وقال في التاريخ الذي عمله - وهذا التاريخ ذكر فيه الوقائع والحوادث التي جرت في زمانه ، وذلك من أيام المقتدر بالله إلى أيام المطيع لله - : انه كان وولده في خدمة الراضي بالله . وقال بعد ذلك أيضاً عن نفسه : انه خدم بصناعة الطب المتقي^(٢) بن المقتدر بالله ، وخدم أيضاً المستكفي^(٣) بالله والمطيع^(٤) لله . قال : وفي سنة ثلاث

(١) بياض في الأصل .

(٢) أبو اسحق الخليفة العباسي ٢١ تسلط عليه توزون التركي وقلع عينيه حكم (٩٤٠ - ٩٤٢)

(٣) عبد الله الخليفة ٢٢ العباسي كان آلة بيد الاتراك حملت عيناه ولم يملك إلا عاماً واحداً .

(٤) الخليفة ٢٣ العباسي ، تمردت عليه مصر وفارس لأنه كان ضعيفاً وانتشرت الفتنة في بغداد فتنازل عن الخلافة

عشرة وثلاثمائة قلدي الوزير الخاقاني^(١) البيارستان الذي اتخذ ابن الفرات بدر بن المفضل . وقال ايضاً في تاريخه : انه لما سلم أبو علي^(٢) بن مقله الى الوزير أبي علي^(٣) عبد الرحمن بن عيسى من جهة الرازي بالله في سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ، حمله الى داره في يوم الخميس لثلاث ليال خلون من جمادى الآخرة ؛ وضرب أبو علي بن مقله بالمقارع في دار الوزير عبد الرحمن ، وأخذ خطه بالف ألف دينار . وكان الذي تولى ذلك منه بنان الكبير من الحجرية^(٤) . ثم سلم الى أبي العباس الحصيني ، ووكل به ما كرد وبنان الكبير ، ورد الحصيني مناظرته الى أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله الاسكافي المعروف بأبي نمرة ، ومطالبته الى الدستواني . فجرت عليه منه من المكارة والتعليق والضرب والدهق أمر عظيم . والذي شاهدت أنا من أمره أن أبا العباس الحصيني كلفني يوماً الدخول اليه ، لمعرفة خبره من شيء تشكاه وقال : ان كان يحتاج الى الفصد فقتدم الى من يفصده بحضرتك . فدخلت اليه فوجدته مطروحاً على حصير خلى على بارية^(٥) ومغدة وسخة خليعة تحت رأسه ، وهو عريان بسراريل . فوجدت بدنه من رأسه الى أطراف أصابع رجله كلون الباذنجان سواء ، ليس منه عقد سليم . ووجدت به ضيق نفس شديد . لان الدستواني كان قد دهق صدره ، فعرفت الحصيني انه شديد الحاجة الى الفصد . فقال لي : يحتاج أن يلحقه كد في المطالبة ، فكيف نعمل به ؟ قلت : « لا أدري ؟ الا انه ان ترك ولم يفصد مات ، وان فصد ولحقه مكروه بعده تلف : » فقال لأبي القاسم بن أبي نمرة الاسكافي : « ادخل اليه وقل له : ان كنت تظن أنه يلحقك ترفيه اذا اقتصدت فبئس ما تظن . فافتصد وضع في نفسك ان المطالبة لا بد منها ! » ثم قال لي : « أحب ان تدخل اليه معه . فاستعفيت من ذلك فلم يعفني ، فدخلت معه وأدى الرسالة بحضرتي . فقال : اذا كان الأمر على هذا ، فلست اريد ان اقتصد ، وأنا بين يدي الله ، فعدنا اليه وعرفناه ما قال ، ؛ فقال لي : أي شيء عندك وما الذي ترى ؟ قلت الذي أرى أن يفصد وان يرفه . فقال : افعل . فعدت اليه وفصد بحضرتي ، ورفه يومه ، وخف ما به ، ويتوقع المكروه من غد وهو برعب طائر العقل . فاتفق سبب للحصيني أحوجه الى الاستتار في ذلك اليوم . وبقي ابن مقله مرفهاً ليس أحد يطالبه ، وكفي أمر عدوه من حيث لم يحتسب ، ورجعت نفسه اليه . وحضر ابن فراية فضمن ما عليه وتسلمه ، وقد كان أدى قبل ذلك الى الحصيني نيفاً وخسين الف دينار ، وأشهد عليه العدول بأنه قد باع جميع ضياعه وضياع اولاده وأسبابه من السلطان .

وقال في موضع آخر من كتابه هذا : انه لما قطعت يد ابن مقله استدعاني الرازي بالله في آخر

(١) اظن انه عبد الله بن احمد وزير المقتدر على ايامه اصبحت البلاد بالقحط فمزي الامر اليه فسجن .

(٢) هو محمد بن مقله استوزره الخلفاء ولم يوفق في وزارته فسجن وقطعت يمينه . اشتهر بخطه وقد نقله من الوضع الكوفي

(٨٨٦ - ٩٤١)

(٣) وزير الرازي بالله .

(٤) قبيلة تنزل جنوبي بلاد العرب يقولون انهم الحديرون الاصليون .

(٥) الحصيرة المصنوعة من القصب .

(ن ، د)

النهار وأمرني بالدخول اليه وعلاجه ، فصرت اليه يوم قطع يده فوجدته محبوساً في القلاية التي في صحن الشجرة ، والباب مقفل عليه . ففتح الخادم الباب عنه ، ودخلت اليه ، فوجدته جالساً على قاعدة من بعض أساطين القلاية ، ولونه كلون الرصاص الذي هو جالس عليه ، وقد ضعف جداً وهو في نهاية القلق من ضربان ساعده ورأيت له في القلاية قبة خيش نصبت له ، وعليها طاقان من الخيش وفيها مصلى ومخاد طبري ، وحول المصلى أطباق كثيرة بفاكهة حسنة . فلما رأيته يبكي وشكى حاله ، وما نزل به وما هو فيه من الضربان ^(١) . ووجدت ساعده قد ورم ورمماً شديداً ، وعلى موضع القطع خرقه غليظة قردواني كحلية مشدودة بخيط قنب ^(٢) ، فخاطبته بما يجب ، وسكنت منه ، وحللت الخيط ، ونجيت الخرقه ، فوجدت تحتها على موضع القطع سرجين ^(٣) الدواب ، فأمرت بأن ينفض عنه ، فنفض ، وإذا رأس الساعد أسفل القطع مشدود بخيط قنب وقد غاص في ذراعه لشدة الورم ، وقد ابتدأ ساعده يسود ، وعرفته أن سبيل الخيط ان يحل وان يجعل موضع السرجين كافور ، ويطلو ذراعه بالصندل وماء الورد والكافور .

فقال : يا سيدي افعل ما رأيت . فقال الخادم الذي معي : احتاج ان استأذن مولانا في ذلك . ودخل ليستأذن ، وخرج معه مخزنة كبيرة مملوءة كافوراً ، وقال : « قد أذن لك مولانا ان تعمل ما ترى . وأمر بأن ترفق به ، وتوفر العناية عليه ، وتلزمه إلى ان يهب الله عافيته . » فحللت الخيط وفرغت المخزنة في موضع القطع وطلبت ساعده ، فعاش واستراح وسكن الضربان . وسألته : هل اغتذى ؟ فقال : وكيف ينساغ لي طعام ؟ فتقدمت باحضار طعام ، فاحضر وامتنع من الأكل . فرفقت به ولقمته بيدي ؛ فحصل له نحو عشرين درهماً خبزاً ، ومن لحم فروج نحو ذلك . وحلف انه لا يقدر ان يبلع شيئاً آخر . وشرب ماءً بارداً ، وعاشت روحه ، وانصرفت . وقفل الباب عليه ، وبقي وحده .

ثم ادخل عليه من غد خادم أسود يخدمه وجلس معه ، وترددت اليه أياماً كثيرة ؛ وعرض له في رجله اليسرى علة النقرس فقصده ، وكان يتألم من يده اليمنى التي قطعت ، ومن رجله اليسرى ، ولا ينام الليل من شدة الألم ، ثم عوفي . وكنت اذا دخلت اليه يبتدىء بالمسألة عن خبر ابنه أبي الحسين ، فاذا عرفته سلامته سكن غاية السكون ، ثم ناح على نفسه وبكى على يده ، وقال : « يد خدمت بها الخلافة ثلاث دفعات لثلاثة خلفاء ، وكتبت بها القرآن دفعتين ، تقطع كما تقطع أيدي اللصوص ؟ تذكر ، وانت تقول لي : انت في آخر نكبة ، وان الفرج قريب ؟ » قلت : بلى . فقال : « قد ترى ما حل بي ؟ فقلت : ما بقي بعد هذا شيء ؛ والآن ينبغي ان نتوقع الفرج فانه قد عمل بك ما لا يعمل بنظير لك ، وهذا انتهاء المكروه . ولا يكون بعد الانتهاء الا الانحطاط . فقال : لا تفعل ، فان المحنة قد تشبثت بي تشبثاً ينقلني من حال الى حال ، الى أن تؤديني الى التلف ؛ كما تشبثت حتى الدق

(١) الشدة والألم .

(٢) نبات يقتل من لحائه حبال وخبطات .

(٣) الزبل .

بالاعضاء فلا تفارق صاحبها حتى تؤديه الى الموت . ثم تمثل بهذا البيت :

إذا ما مات بعضك فابك بعضا . فبعض الشيء من بعض قريب

(الوافر)

فكان الامر كما قال .

ولما قرب بحكم من بغداد نُقل ابن مقلة من ذلك الموضع الى موضع أغرض منه ، فلم يُوقف له على خبر ، وحُجبت عنه . ثم قطع لسانه وبقي في الحبس مدة طويلة ثم لحقه ذرب ، ولم يكن له من يعالجه ولا من يخدمه . حتى بلغني أنه كان يستسقي الماء لنفسه بيده ، يجتذب الجبل بيده اليسرى ، ويمسكه بقمه . ولحقه شقاء عظيم ، الى ان مات .

وكان ثابت بن سنان المذكور خال هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابي الكاتب البليغ .

ولثابت بن سنان بن ثابت بن قرة من الكتب : كتاب التاريخ ذكر فيه الوقائع والحوادث التي جرت في زمانه ، وذلك من سنة خمس وتسعين ومائتين الى حين وفاته ، ووجدته بخطه وقد أبان فيه عن فضل .

وكانت وفاة ثابت بن سنان في شهر سنة ثلاث وستين وثلثمائة .

أبو اسحق ابراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة

كان كاملاً في العلوم الحكيمة فاضلاً في الصناعة الطبية ، متقدماً في زمانه ، حسن الكتابة ، وافر الذكاء . مولده في سنة ست وتسعين ومائتين . وكانت وفاته في يوم الأحد النصف من المحرم سنة خمس وثلثين وثلثمائة ببغداد . وكانت العلة التي مات فيها ورم في كبده .

أبو اسحق ابراهيم بن زهرون الحراني

كان طبيباً مشهوراً ، وافر العلم في صناعة الطب ، جيد الاعمال ، حسن المعاملة . وكانت وفاته في ليلة الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة تسع وثلثمائة ببغداد .

أبو الحسن الحراني

هو أبو الحسن ثابت بن ابراهيم بن زهرون الحراني ، كان طبيباً فاضلاً كثير الدراية ، وافر العلم ، بارعاً في الصناعة ، موفقاً في المعالجة ، مطلعاً على أسرار الطب . وكان مع ذلك ضئيلاً بما يحسن . نقلت من خط ابن بطلان في مقالته في علة نقل الاطباء المهرة تدبير أكثر الامراض التي كانت

تعالج قديماً بالادوية الحارة الى التدبير المبرد ، قال : كان قد اسكت ^(١) الوزير أبو طاهر بن بقيه في داره الشاطئه على الجسر ببغداد ، وقد حضر الامير معز الدولة بختيار ، والاطباء مجتمعون على انه قد مات . فتقدم أبو الحسن الحراني ، وكنت أصحابه يومئذ ، فقال : أيها الامير اذا كان قد مات فلن يضره الفصاد ، فهل تأذن في فصدته ؟ قال له : افعل يا أبا الحسن . ففصدته ، فرشح منه دم يسير . ثم لم يزل يقوى الرشح الى أن صار الدم يجري فافاق الوزير . فلما خلوت به سألته عن الحال وكانت ضنيناً بما يقول ، فقال : إن من عادة الوزير أن يستفرغ في كل ربيع دماً كثيراً من عروق المعدة ، وفي هذا الفصل انقطع عنه فلما فصدته ثابت الطبيعة من خناقها .

وقال عبد الله بن جبرائيل لما دخل عضد الدولة ، رحمه الله ، الى بغداد كان أول من لقيه من الاطباء ابو الحسن الحراني ، وكان شيخاً مسناً ، وسانن وكان اصغر من ابي الحسن ؛ وكانا عالمين فاضلين ، وكانا جميعاً يسمران ^(٢) المرضى ، ويمضيان الى دار السلطان ، فحسن ثناؤه عليهما . ولما دخلا الى عضد الدولة قال : من هؤلاء ؟ قالوا : الاطباء . قال : نحن في عافية ، وما بنا حاجة اليهم . فانصرفا خجلين . فلما خرجا الى الدهليز قال سنان لابي الحسن : يحمل أن ندخل إلى هذا الاسد ؛ ونحن شيخا ببغداد فيفترسنا ؟ قال له أبو الحسن : فما الحيلة ؟ قال نرجع اليه ، وانا أقول ما عندي ، وننظر أيش الجواب قال : افعل . فاستأذنا ودخلا فقال سنان : أطال الله بقاء مولانا الملك ، موضوع صناعتنا حفظ الصحة لا مداواة الامراض . والملك احوج الناس اليه . فقال له عضد الدولة : صدقت . وقرر لهما الجاري السني وصارا ينوبان مع أطبائه .

قال عبيد الله بن جبرائيل : ولهما أحاديث كثيرة حسنة ، منها حديث قلاء الكبود . وذلك انه كان بباب الازج ^(٣) انسان يقلي الكبود ، فكانا اذا اجتازا عليه دعا لهما وشكرهما ، وقام لهما حتى ينصرفا عنه . فلما كان في بعض الأيام اجتازا فلم يراه ، فظنا انه قد شغل عنها . ومن غد سألا عنه ، فقيل لهما انه الآن قد مات . فمعجبا من ذلك ، وقال أحدهما للآخر : له علينا حق يوجب علينا قصده ومشاهدته . فمضيا جميعاً وشاهداه ، فلما نظرا اليه تشاورا في فصدته ، وسألا أهله أن يؤخروه ساعة واحدة ليفكروا في أمره . ففعلوا ذلك ، وأحضروا فصاداً ففصدته فصدته واسعة ، فخرج منه دم غليظ . وكان كلما خرج الدم خف عنه ، حتى تكلم . وسقياه ما يصلح ، وانصرفا عنه . ولما كان في اليوم الثالث خرج الى دكانه . فكان هذا من المعجز لهما . فسئلا عن ذلك فقالا : سببه انه كان اذا قلى الكبود يأكل منها ، وبدنه ممتلئ دماً غليظاً وهو لا يحس ، حتى فاض من العروق الى الاوعية ، وغمر الحرارة الغريزية وخنقها ، كما يخنق الزيت الكثير الفتيلة التي تكون في السراج . فلما بدروه بالفصد نقص الدم وخف عن القوة الحمل الثقيل ، وانتشرت الحرارة وعاد الجسم الى الصحة .

(١) أصابته سكتة قلبية .

(٢) يطوفان

(٣) محلة ببغداد ،

وهذا الامتلاء قد يكون من البلغم أيضاً . وقد ذكر أسبابه الفاضل جالينوس في كتابه في تحريم الدفن قبل أربع وعشرين ساعة .

قال عبيد الله بن جبرائيل : ومن أحسن ما سمعت عن أبي الحسن الحراني انه دخل الى قرابة الشريف الجليل محمد بن عمر ، رحمه الله ، وكان انساناً نبيل القدر قد عارضه ضيق نفس شديد صعب . فاحذ ببطء وأشار بما يستعمله ، فشاوره في الفصد فقال له : لا أراه . وان كان يخفف المرض تخفيفاً بيناً . وانصرف . وجاءه ابو موسى المعروف ببقة لطبيب ، وأبصر نبضه وقارورته وأشار بالفصد . فقال له الشريف : قد كان عندي أبو الحسن الحراني الساعة وشاورته في الفصد فذكر انه لا يراه صواباً . فقال بقة : أبو الحسن أعرف . وانصرف ، فجاءه بعض الاطباء الذين هم دون هذه الطبقة ، فقال : يفصد سيدنا فانه في الحال يسكن ، وقوى عزمه على الفصد ولم يبرح حتى فصدته فعندما فصدته خف عنه ما كان يبعده خفاً بيناً ، ونام وسكن عنه واغتنى وهو في عافية . فعاد اليه أبو الحسن الحراني آخر النهار فوجده ساكناً قاراً ، فقال له ، لما رآه على تلك الحال : قد فصدت ؟ فقال كيف كنت اقبل ما لم تأمرني به ؟ قال : ما هو هذا السكون إلا للفصد . فقال له الشريف : لما علمت بهذا لم لا تقصدي ؟ قال له ابو الحسن الحراني : اذ قد فصد سيدنا فليشرب بجمي ربع سبعين دوراً ، ولو أن أبقرات وجالينوس عنده ما تخلص إلا بعد انقضائها . واستدعى دواة ودرجاً ، ورتب تدبيره لسبعين نوبه ودفعه اليه . وقال : هذا تدبيرك ، فاذا انقضى ذلك جئت اليك . وانصرف . فما مضى ايام حتى جاءت الحمى وبقيت كما قال ، فما خالف تدبيره حتى برىء .

قال عبيد الله بن جبرائيل : ومن أخباره انه كان للحاجب الكبير غلام وكان مشغوقاً به ، واتفق ان الحاجب صنع دعوة كبيرة كان فيها اجلاء الدولة . ولما اشتغل بامر الدعوة حم الغلام حمى حادة ، فورد على قلب الحاجب من ذلك مورداً عظيماً ، وقلق قلقاً كثيراً . واستدعى أبا الحسن الحراني فقال له : يا أبا الحسن اريد الغلام يخدمني في غداة غد ، تعمل كل ما تقدر عليه ، وأنا أكافئك بما يضاهاه فمهلك . فقال له : يا حاجب ان تركت الغلام يستوفي أيام مرضه عاش ، والا ، فيمكنني من ملازمته أن يقوم في غد لخدمتك . ولكن اذا كان في العام المقبل في مثل هذا اليوم يحم حمى حادة ، ولو كان من كان عنده من الاطباء لم تنجح فيه مداواته ، ويموت اما في البُحران الاول أو الثاني فانظر أيها أحب اليك . فقال له الحاجب : أريد أن يخدمني في غداة غد ، والى العام المقبل فرج . ظناً منه أن هذا القول من الاحاديث المدفوعة . فلأزمه أبو الحسن ، ولما كان في غد أفاق وقام في الخدمة واعطى الحاجب لأبي الحسن خلعة سنية ومالاً كثيراً ، وصار يكرمه غاية الاكرام . فلما كان في العام المقبل في مثل اليوم الذي حم فيه الغلام ، عاودته الحمى ، فأقام محمواً سبعة أيام ومات . فعمظم في نفس الحاجب وجماعة من الناس قول أبي الحسن ، وكبر لديهم محله ، وكان هذا منه كالمعجز .

وقال هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابي الكاتب : حدثنا أبو محمد الحسن بن الحسين النوبختي قال : حدثني الشريف أبو الحسن محمد بن عمر بن يحيى : أنه أراد ابتياع جارية عاقلة من دور بني

خافان باحد عشر ألف درهم ؛ وكان الوسيط في ذلك أبو المسيب فهد بن سليمان . فقال لابي المسيب : أحب أن تستشير لي في أمرها أبا الحسن الحراني بعد ان تكلفه مشاهدتها ، فمضى اليه وسأله الركوب معه إلى دار القوم ليرى الجارية وكانت متشكية . وشاهدها أبو الحسن الحراني وأخذ يحسبها وتأمل قارورتها ثم قال له سرأ : ان كانت أكلت البارحة من سماقية أو حصرمية وقثاء أو خيار فاشترها ، والا فلا تعترض لها . فسألنا عما أكلته في ليلتها فقبل لنا بعض ما قاله أبو الحسن ، فابتاعها ، فمجبنا من ذلك ، وعجب من سمع .

وقال المحسن بن ابراهيم : كان أولاد أبي جعفر بن القاسم بن عبيد الله يشنعون على أبي الحسن الحراني ، عنما ، بأنه قتل أباهم ، فسألت أبا اسحق ابراهيم بن هلال والذي عن ذلك ، فقال : كان أبو جعفر عدواً لأبي الحسن عمي ، وعازماً على قتله لامور نقمها عليه ، وقد قبض عليه وحبسه . فاتفق ان اعتل أبو جعفر علته التي مات فيها ، فاشير عليه بمشاوره أبي الحسن وهو في حبسه ، فقال لا أثق به ، ولا أسكن اليه ، مع ما يعلمه من سوء رأي فيه . وعول على غيره من الاطباء . فدخل بعض اخوان أبي الحسن اليه وشرح له ما يدبر به أبو جعفر في مرضه . فقال أبو الحسن ، وكانت يأتمنه : أنت تعرف رأي هذا الرجل في ، ومتى استمر على هذا التدبير هلك بلا محالة ، وكفينا كفاية عاجلة . فأحب أن تمنعه مشاورتي وتصوبه على رأيه في العدول عني . واشتدت العلة بأبي جعفر ، ومضى لسبيله بعد قبض القاهر بالله عليه بعشرة أيام .

وقال المحسن ايضاً : أصابتني حمى حادة كان هجومها علي بغتة ، فحضر أبو الحسن عنما وأخذ مجسي سبعة ، ثم نهض ولم يقل شيئاً . فقال له والذي : ما عندك يا عمي في هذه الحمى ؟ فقال له سرأ : لا تسألني عن ذلك الى ان يحوزه خمسين يوماً . فوالله لقد فارقتني في اليوم الثالث والخمسين .

وحكى أبو علي بن مكنجا النصراني الكاتب ، قال : لما وافى عضد الدولة في سنة أربع وستين وثلثائة الى مدينة السلام استدعاني ابو منصور نصر بن هرون ، وكان قد ورد معه اذ ذاك ، وسألني عن أطباء بغداد . فاجتمعت مع عبد يشوع الجائليق وسألته عنهم ، فقال : ههنا جماعة لا يعول عليهم ، والمنظور اليه منهم ابو الحسن الحراني وهو رجل عاقل لا مثل له في صناعته ^(١) وهو قليل التحصيل ، وابو الحسن صديقي وأنا ابعثه الى الخدمة واوافقه عليها وأشير عليه بالملزمة لها . وخاطب الجائليق أبا الحسن على قصد أبي منصور نصر بن هرون فقصده ، وتقدم اليه بان يحضر دار عضد الدولة ويتأمل حاله وما يدبر به أمره . فتلقى ذلك بالسمع والطاعة ، وشرط ان يعرف صورته في مأكله ومشربه وبراطن أمره وطالع ابو منصور عضد الدولة بالصورة ، وحضر ابو الحسن الدار وعرف جميع ما سأل عنه ، وتردد اياماً ثم انقطع ، واجتمع مع الجائليق فعاتبه على انقطاعه وعرفه وقوع الانكار له ، فقال له : لا فائدة في مضبي ، ولست اراه صواباً لنفسي ، وللملك اطباء فضلاء عقالا علماء ، وقد عرفوا من طبعه وتدبيره ما يستغنى به عن غيرهم في ملازمته وخدمته . فألح

(١) بياض في كل النسخ .

الجائليق عليه وسأله عن علة ما هو عليه في هذا القمل ، والاحتجاج فيه بمثل هذا العذر ؟ فقال له : « هذا الملك متى أقام بالعراق سنة فسد عقله . ولست أؤثر ان يجري ذلك على يدي وانا مدبره وطيبه . ومتى انتهى الجائليق هذا القول عني جحدته وحلفت بالله والبراءة من ديني ما قلته . وكان عليك في ذلك ما تعلمه » فأمسك الجائليق وكتم هذا الحديث . فلما عاد عضد الدولة الى العراق في الدفعة الثانية كان الامر على ما انذر به فيه .

وتوفي ابو الحسن الحراني في الحادي عشر من ذي القعدة سنة خمس وستين وثلثمائة للهجرة ببغداد . وكان مولده بالرقعة ليلة يوم الخميس لليلتين بقيتا من ذي القعدة سنة ثلاث وثمانين ومائتين . ولابي الحسن الحراني من الكتب : اصلاح مقالات من كناش يوحنا بن سراييون ، جوابات مسائل سئل عنها .

ابن وصيف الصابىء

كان طبيباً عالمًا بعلاج أمراض العين ، ولم يكن في زمانه أعلم منه في ذلك ، ولا أكثر مزاوله . قال سليمان بن حسان . حدثني احمد بن يونس الحراني ، قال : حضرت بين يدي احمد بن وصيف الصابىء وقد أحضر سبعة انفس لقدح اعينهن ، وفي جملتهم رجل من اهل خراسان اقعه بين يديه ونظر الى عينيه ، فرأى ماء متبهاً للقدح ، فسامه على ذلك ، فطلب اليه فيه ، واتفق معه على ثمانين درهماً ، وحلف انه لا يملك غيرها . فلما حلف الرجل اطمأن وضمه الى نفسه . ورفع يده على عضده فوجد بها نطاقاً صغيراً فيه دنانير فقال له ابن وصيف : ما هذا ؟ فتلون الخراساني . فقال ابن وصيف : حلفت بالله جانباً وانت ترجو رجوع بصرك اليك ؟ والله لا عاجلتك اذ خادعت ربك . فطلب اليه فيه فأبى ان يقدهه وصرف اليه الثمانين درهماً ولم يقدهه عينه .

غالب طبيب المعتضد

شهر بخدمة المعتضد بالله وكان اولاً عند الموفق طلحة بن المتوكل لانه خدمه منذ ايام المتوكل واختص به . وارتضع سائر ابناء المتوكل من لبن اولاد غالب فكان يسر بهم . فلما تمكن الموفق من الامر أقطعه ونوله وأغناه ، وكان له مثل الوالد يناديه ويغلفه بيده . وعالج الموفق من سهم كان أصابه في ثنودته (١) وبرأ ، فاعطاه مالا كثيراً ، واقطعه ، وخلع عليه . وقال لغلمان : من أراد اكرامي فليكرمه ، وليصل غالباً . فوجه اليه مسرور بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب ؛ ووجه اليه سائر الغلمان مثل ذلك ؛ وصار اليه مال عظيم . ولما قبض على صاعد وعبدون أخذ لعبدون عدة غلمان نصارى بماليك ، فمن أسلم منهم أجري له رزق وترك ، ومن لم يسلم منهم بعثه الى غالب . وكان

(١) مي للرجل كالثدي للمرأة .

عدد من أنفذ اليه سبعين غلاماً أزمه وغيرها. فلما ورد عليه معهم رسول من قبل الحاجب قال غالب : أي شيء أعمل هؤلاء ؟ وركب من وقته الى الموفق ، فقال هؤلاء يستغرقون مال ضيعتي مع رزقي . فضحك الموفق وتقدم الى اسمعيل زيادة في اقطاعه الحرسيات ، وكانت ضياعاً جلية تغل سبعة آلاف دينار وأجرها له بخمسين ألف درهم في السنة .

وبعد الموفق طلحة خدم لولده المعتضد بالله أبي العباس أحمد ، وكان مكينا عنده حظيا في أيامه . وكان المعتضد يحسن الظن به ويعتمد على مداواته . قال ثابت بن سنان بن ثابت : ان غالباً الطيب توفي مع المعتضد بالله بآمد^(١) ، وكان كبيراً عنده . وكان سعيد بن غالب مع المعتضد بالله بآمد ، وكان يأنس اليه ويقدمه على جميع المتطبين. واتصل الخبر بوفاة غالب بالمعتضد قبل وقوف سعيد ابنه على ذلك ، فلما دخل سعيد عليه ابتدأه المعتضد وعزاه وقال له : يا سعيد طول البقاء لك ، لما تم عليك . فانصرف سعيد الى مضربه كنيباً حزينا . فأتبعه المعتضد بخفيف السمر قندي ، وبنات الرصاصي ، وبسرخاب الكسوة ، وكانوا أجل خدم السلطان ، وجلسوا معه طويلاً . وعرف الخبر فلم يبق أحد من اهل الدولة إلا صار الى سعيد بن غالب ، وعزاه بابيه ، من الوزير القاسم بن عبيدالله ومؤنس الخادم ومن بعدهما من الاستاذين والامراء والقواد والأولياء على طبقاتهم. ثم أنفذ اليه المعتضد وقت الظهر يحون طعام وتقدم اليه أن لا يبرح أو يطعمه ويطعم دانيال كاتب مؤنس وسعدون كاتب يانس ، وكانا صهره على أختيه ، ففعل ذلك . ولم يزل يحضره في كل يوم ويشاغله بالحديث ويصرفه ويتبعه يحون الطعام مدة سبعة أيام . ورد اليه ما كان الى ابنيه من أمر الجرايسة والتلامذة . وأقر في يده اقطاعاته وضياعه ، ولم يزل ذلك له ولولده الى آخر عمره .

أبو عثمان سعيد بن غالب

كان طبيباً عارفاً حسن المداواة مشهوراً في صناعة الطب . خدم المعتضد بالله وحظي عنده وكان كثير الاحسان اليه ، والانعام عليه . وتوفي أبو عثمان سعيد بن غالب في يوم الاحد لست بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثمائة ببغداد .

عبدوس

كان طبيباً مشهوراً ببغداد ، حسن المعالجة ، جيد التدبير ، ويعرف كثيراً من الادوية المركبة . وله تجارب حميدة ، وتصرفات بليغة في صناعة الطب . قال أبو جعفر^(٢) محمد بن جرير الطبري في

(١) ديار بكر . وقد ردت سابقاً .

(٢) ولد في آمل (طبرستان) وتوفي في بغداد (٨٣٩-٩٢٣) وهو من مشاهير المؤرخين . اشهر كتبه تاريخ الامم والملوك . (ن.د)

تاريخه : حكى عن داؤد بن ديلم ، وعن عبدوس المتطيين ، قال : لما غلظت علة المعتضد ، وكانت من استسقاء وفساد مزاج من يخلل يتنقل منها ، وخاف على نفسه أحضرنا جميع الأطباء فقال لنا : أليس تقولون ان العلة اذا عرفت عرف دواؤها ؟ فاذا أعطي العليل ذلك الدواء صلح ؟ قلنا له : بلى . قال : فعلتي عرفتموها ودواءها ، أم لم تعرفوها ؟ قلنا : قد عرفناها . قال : فما بالكم تعالجوني وليست أصلح ؟ وظننا انه قد عزم على الايقاع بنا فسقطت قوانا فقال له عبدوس : يا أمير المؤمنين نحن على ما قلنا في هذا الباب ، الا ان في الأمر شيء ، وهو اننا لا نعرف مقدار اجزاء العلة فنقابلها من الدواء بمثل اجزائها ، وانما نعمل في هذا على الحدس ، ونبتدىء بالاقرب فالأقرب ، ونحن ننظر في هذا الباب ونقابل العلة بما ينجع فيها ان شاء الله تعالى .

قال فأمسك عنا وخلونا فتشاورنا على ان نزميه بالعابة وهي التنور ، فاحيناه له ورميناه فيه ، فغرق وخف ما كان به لدخول العلة الى باطن جسمه ، ثم ارتقت الى قلبه ، فمات بعد ايام ، وخلصنا بما كنا أشرفنا عليه . وكانت وفاة المعتضد ليلة الثلاثاء لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين .

ولعبدوس من الكتب : كتاب التذكرة في الطب .

صاعد بن بشر بن عبدوس

ويكنى أبا منصور ، كان في أول امره فاصداً في البيارستان ببغداد . ثم انه بعد ذلك اشتغل في صناعه الطب وتميز حتى صار من الاكابر من اهلها ، والمتعينين من اربابها . نقلت من خط المختار ابن حسن بن بطلان في مقالته في علة نقل الاطباء المهرة تدبير أكثر الامراض التي كانت تعالج قديماً بالأدوية الحارة الى التدبير المبرد ؛ كالفالج والقوة والاسترخاء وغيرها ومخالفتهم في ذلك لمسطور انقدماء ؛ قال : ان اول من فطن لهذه الطريق ونبه عليها ببغداد وأخذ المرضى في المداواة بها واطرح ما سواها ، الشيخ ابو منصور صاعد بن بشر الطبيب رحمه الله ، فانه اخذ المرضى بالفصد والتبريد والترطيب ومنع المرضى من الغذاء فانجح تدبيره وتقدم في الزمان بعد ان كان فاصداً في البيارستان ، وانتهت الرياسة اليه فعول الملوك في تدبيرهم عليه . فرفع عن البيارستان المعاجين الحارة والأدوية الحادة . ونقل تدبير المرضى الى ماء الشعير ومياه البزور ، فظهر في المداواة عجائب .

من ذلك ما حكاه لي بميفارقين الرئيس أبو يحيى ولد الوزير أبي القاسم^(١) المغربي ، قال : عرض للوزير بالأنبار قولنج صعب أقام لاجله في الحمام ؛ واحتقن عدة حقن ، وشرب عدة شربات فلم ير صلاحاً ، فأنفذنا رسولا الى صاعد ، فلما جاء رآه على تلك الحال ولسانه قد قصر من العطش وشرب الماء الحار والسكر ، وجسمه يتوقد من ملازمة الحمام ومداومة المعاجين الحارة والحقن

(١) وزير العباسيين ولد في مصر وتوفي في ميفارقين .

الحادة ، استدعى كوز ماء مثلوج فاعطاه الوزير فتوقف عن شربه . ثم انه جمع بين الشهوة وترك الخالفة وشربه ففويت في الحال نفسه ثم استدعى فاصداً ففصده واخرج له دماً كثير المقدار . وسقاه ماء البزور ولعاباً وسكنجييناً ، ونقله من حجرة الحمام الى الخيش ، وقال له : ان الوزير أدام الله عافيته سينام من بعد الفصد ؛ ويعرق ويتببه ؛ فيقوم عدة مجالس ، وقد تفضل الله بعافيته . ثم تقدم بصرف الخدم لينام . فقام الوزير الى مرقدته وقد وجد خفاً من بعد الفصد فنام مقدار خمس ساعات ، وانتبه يصيح بالفراش . فقال صاعد للفراش : اذا قام من الصبيحة فقل له يعاود النوم ، حتى لا ينقطع العرق . فلما خرج الفراش من عنده قال : وجدت ثيابه كأنها قد صبغت بماء الزعفران ، وقد قام مجلساً ونام . ثم لا زال الوزير يتردد دفعات الى آخر النهار مجالس عدة ، ومن بعدها غداه بمزورة وسقاه ثلاثة أيام ماء الشعير ، فبرأ برأ تاماً . فكان الوزير أبدأ يقول طوبى لمن سكن بغداد داراً ساطئة وكان طبيبه أبو منصور ، وكتبه أبو علي بن موصلياً ، فبلغه الله امانيه فيما طلب .

ونقلت أيضاً من خط ابن بطلان : ان صاعد الطبيب عالج الأجل المرتضى ^(١) رضي الله عنه من لسب ^(٢) عقرب ، بان ضمد المكان بكافور فسكن عنه الألم في الحال .

ونقلت من خط أبي سعيد الحسن بن أحمد بن علي في كتاب (ورطة الاجلاء من هفوة الاطباء) قال : كان الوزير علي بن بلبل ببغداد ، وكان له ابن أخت فلحقته سكتة دموية ، وخفي حاله على جميع الاطباء ببغداد ، وكان بينهم صاعد بن بشر حاضراً ، فسكت حتى اقر جميع الاطباء بموته ، ووقع اليأس من حياته ، وتقدم الوزير في تجهيزه ، واجتمع الخلق في العزاء ، والنساء في اللطم والنياح ، ولم يبرح صاعد بن بشر من مجلس الوزير . فعند ذلك قال الوزير لصاعد بن بشر الطبيب : « هل لك حاجة ؟ فقال له : نعم يا مولانا ، ان رسمت وامرت لي ذكرت ذلك » . فقال له : « تقدم وقل ما يلج في صدرك ؟ » فقال صاعد : « هذه سكتة دموية ، ولا مضرة في ارسال مبضع واحد وننظر ، فان نجح كان المراد ، وان تكن الاخرى فلا مضرة فيه . » ففرح الوزير وتقدم بابعاد النساء ، وأحضر ما وجب من التمريخ والنطول ^(٣) والبخور والنشوق ، واستعمل ما يجب . ثم شد عضد المريض وأقعده في حضن بعض الحاضرين ، وارسل المبضع بعد التعليق على الواجب من حاله ، فخرج الدم ووقعت البشائر في الدار . ولم يزل يخرج الدم حتى تم ثلثائه درهم من الدم ، فانفتحت العين ولم ينطق بعد ، فشد اليد الاخرى ونشقه ما وجب تنشيقه . ثم فصده ثانياً واخرج مثلها من الدم واكثر . فتكلم ، ثم أسقي واطعم ما وجب ، فبرئ من ذلك ، وصح جسمه وركب في الرابع الى الجامع ، ومنه الى ديوان الخليفة ، ودعا له ونثر عليه من الدراهم

(١) ارشد اهل زمانه علماً وكلاماً وحديثاً وشعراً لقب للملوك في بغداد وكان مثالا للثقافة الكامنة في عصره . وله كتاب الامالي .

(٢) لدغة (ن.د.)

(٣) ماء تغلى فيه الادوية ويصب فاتراً على العضو المصاب (ن.د.)

والدنانير الكثيرة . وحصل لصاعد بن بشر الطبيب مال عظيم ، وحشمه الخليفة والوزير وقدمه وزكاه ؛
وتقدم على جميع من كان في زمانه .

أقول : ووجدت صاعد بن بشر قد ذكر في مقالته في مرض المراقيا ما عاينه في ذلك الزمان من
أحوال وجدها ، ومخاوف شاهدها ، ما هذا نصه . قال : « وانه عرض لنا من تضاييق الزمان علينا ،
والتشاغل بالتماس الامر الضروري ، ولما قد شملنا من الخوف والحذر والفرع ، واختلاف السلاطين ؛
وما قد بلينا به ، مع ذلك ، من التنقل في المواضع ؛ وضياح كتبنا وسرقتها . ولما قد أظلنا من
الامور المذعرة المخوفة التي لا نرجو في كشفها الا الله تقديس اسمه . »

هذا ما ذكره . وما كان في أيامه الا اختلاف ملوك الاسلام بعضهم مع بعض ، وكان الناس سالمين
في أنفسهم ، آمنين من القتل والسي ، فكيف لو شاهد ما شاهدناه ونظر ما نظرناه في زماننا من
التتار الذين أهلكوا العباد ، وأخربوا البلاد ، وكونهم اذا أتوا الى مدينة فما لهم هم الا قتل جميع من
فيها من الرجال ، وسيي الاولاد والنساء ، ونهب الاموال ، وتخريب القلاع والمدن . لكان استصغرا
ذكره ، واستقل ما عاينه وحقره . ولكن ما طامة إلا فوقها طامة أعظم منها ؛ ولا حادثة إلا
وغيرها تكبر عنها ؛ والله الحمد على السلامة والعافية .

ولصاعد بن بشر من الكتب : مقالة في مرض المراقيا ومداواته الفها لبعض اخوانه .

ديلم

كان من الاطباء المذكورين ببغداد المتقدمين في صناعة الطب ، وكان يتردد الى الحسن ^(١) بن مخلد
وزير المعتمد ويخدمه .

ووجدت في بعض التواريخ أن المعتمد على الله وهو أحمد بن المتوكل أراد ان يفتصد ، فقال للحسن
بن مخلد : « اكتب لي جميع من في خدمتنا من الاطباء حتى أقدم بان تصل كل واحد منهم على
قدره . » فكتب الاسماء وادخل فيها اسم ديلم المتطبب . وكان ديلم يخدم الحسن بن مخلد ، فوقع
تحت الاسماء بالصلوات . فقال ديلم : اني لجالس في منزلي حتى وافى رسول بيت المال ومعه كيس فيه
ألف دينار ، فسلمه إلي وانصرف فلم أدر ما السبب فيه ، فبادرت بالركوب الى الحسن بن مخلد ، وهو
حينئذ الوزير ، فعرفته ذلك . فقال لي : افتصد أمير المؤمنين ، وأمرني بان أكتب أسماء الاطباء
ليتقدم بصلاتهم ، فادخلت اسمك معهم ، فخرج لك الف دينار .

داود بن ديلم

كان من الاطباء المتميزين ببغداد المجيدين في المعالجة ، وخدم المعتمد بالله وخص به . فكانت

(١) كان كاتب الموقر ووزر الى اخيه المعتمد اساء التدبير فصودرت املاكه . وهو من دير قنى . كان على ديوان الضياع

التوقيعات تخرج بخط ابن ديلم لمحله منه ومكانته . وكان يتردد الى دور المعتضد ، وله منه الاحسان الكثير ، والانعام الوافر . وكانت وفاة داؤد بن ديلم يوم السبت لخمس خلون من المحرم سنة تسع وعشرين وثلثمائة ببغداد .

أبو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي

كان من الاطباء المذكورين ببغداد ، ونقل كتباً كثيرة الى العربية من كتب الطب وغيره ، وكان منقطعاً الى علي^(١) بن عيسى . وقال ثابت بن سنان المتطبب ان أبا الحسن علي بن عيسى الوزير في سنة اثنتين وثلثمائة اتخذ البيمارستان بالحربية^(٢) ، وأنفق عليه من ماله ، وقلده أبا عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي مطببه مع سائر البيمارستانات ببغداد ومكة والمدينة .

ومن كلام ابي عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي قال : الصبر قوة من قوى العقل ، وبحسب قوة العقل تكون قوة الصبر .

ولابي عثمان الدمشقي من الكتب : مسائل جمعها من كتاب جالينوس في الاخلاق . مقالة في النبض مشجرة ، وهي جوامعها لكتاب النبض الصغير لجالينوس

الرقى

هو أبو بكر محمد بن الخليل الرقي ، كان فاضلاً في الصناعة الطبية ، عارفاً باصولها وفروعها ، جيد التعام ، حسن المعالجة . وهو أول من وجدناه فسر مسائل حنين بن اسحق في الطب ، وكان تفسيره لهذا الكتاب في سنة ثلاثين وثلثمائة .

قال عبيد الله بن جبرائيل وقيل عنه انه ما كان يفسر إلا سكران ، وكان في هذا نادراً . قال : وقد شاهدت انساناً كان يتعاطى الشعر ، وكان اذا اراد عمله احتال في تحصيل نبيذ فيشربه ويجلس فيعمل حينئذ الشعر . وسبب ذلك ان الدماغ يكون مائلاً الى البرد ، فاذا اسخنه ببخار النبيذ تحرك وقوي على الفعل .

والرقى من الكتب : شرح مسائل حنين في الطب .

قويري

واسمه ابراهيم ، ويكنى أبا اسحق . فاضل في العلوم الحكيمة ، وهو بمن أخذ عنه علم المنطق ،

(١) احد الاطباء الكحالين وهو من تلاميذ حنين . له : تذكرة الكحالين .

(٢) محلة ببغداد

وكان مفسراً . ولعليه قرأ أبو بشر متى بن يونس . وكُتِبَ قويري مطرحة بجفوة ، لان عباراته كانت عطفية ^(١) غلقة .
ولقويري من الكتب : كتاب تفسير قاطيفوريوس مشجر . كتاب بارمينياس مشجر . كتاب اناطوطيقا الاولى مشجر . كتاب اناطوطيقا الثانية مشجر .

ابن كرنيب

هو أبو أحمد الحسين بن أبي الحسين اسحق بن ابراهيم بن زيد الكاتب ، ويعرف بابن كرنيب . وكان من جلة المتكلمين ، ويذهب مذهب الفلاسفة الطبيعيين . وكان في نهاية الفضل والمعرفة والاطلاع بالعلوم الطبيعية القديمة .

ولأبي أحمد بن كرنيب من الكتب : كتاب الرد على أبي الحسن ثابت بن قرة في نفيه وجوب وجود السكونين بين كل حركتين متساويتين . مقالة في الاجناس والانواع ، وهي الامور العامة . كتاب كيف يعلم ما مضى من النهار من ساعة من قبل الارتفاع .

ابو يحيى المروزي

كان طبيباً مشهوراً بمدينة السلام متميزاً في الحكمة ، وقرأ عليه ابو بشر متى بن يونس . وكان فاضلاً ، ولكنه كان سريانياً . وجميع ما له من الكتب في المنطق وغيره بالسريانية .

متى بن يونس

كان أبو بشر متى بن يونس من أهل ديرقنى ^(٢) ، من نشأ في أسكول مرماري . قرأ على قويري وعلى روفيل وبنيامين ويحيى المروزي ، وعلى أبي أحمد بن كرنيب . وله تفسير من السرياني الى العربي ، واليه انتهت رئاسة المنطقيين في عصره . وكان نصرانياً . وتوفي ببغداد يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وثلثمائة .

ولمتى من الكتب : مقالة في مقدمات صدر بها كتاب اناطوطيقا . كتاب المقاييس الشرطية . شرح كتاب ايساغوجي لفرفوريوس .

يحيى بن عدي

وابو زكريا يحيى بن حميد بن زكريا المنطقي ، واليه انتهت الرئاسة ومعرفة العلوم الحكيمية في

(١) غير فصيحة .

(٢) دير على ستة عشر فرسخاً من بغداد وكان أهلاً في اوائل القرون الوسطى وخرب مع الزمان

وقته ، قرأ على أبي بشر متى وعلى أبي نصر الفارابي ^(١) وعلى جماعة آخر ، وكان أوحده دهره . ومذهبه من مذاهب النصارى اليعقوبية . وكان جيد المعرفة بالنقل . وقد نقل من اللغة السريانية الى اللغة العربية . وكان كثير الكتابة ، ووجدت بخطه عدة كتب .

قال محمد بن اسحق النديم البغدادي في كتاب « الفهرست » . قال لي يحيى بن عدي يوماً في الوراقين ، وقد عاتبته على كثرة نسخه ، فقال لي : من أي شيء تعجب في هذا الوقت ، من صبري؟ قد نسخت بخطي نسختين من التفسير للطبري ، وحملتها الى ملوك الاطراف ، وقد كتبت من كتب المتكلمين ما لا يحصى ، ولعدي بنفسه ، وأنا أكتب في اليوم والليلة مائة ورقة وأقل .

وقال الامير أبو الوفاء المبرور بن فاتك حدثني شيعي أبو الحسين المعروف بابن الاعمدي انه سمع من أبي علي اسحق بن زرعة ^(٢) يقول : ان أبا زكريا يحيى بن عدي وصى اليه أن يكتب على قبره حين حضرته الوفاة ، وهو في بيعة مرتوما بقطيعة الدقيق هذين البيتين :

رب ميت قد صار بالعلم حياً ومبقي قد مات جهلاً وعياً
فاقتنوا العلم كي تنالوا خلوداً لا تعدوا الحياة في الجهل شيئاً
الخفيف

وليحيى بن عدي من الكتب : رسالة في نقض حجج أنفذهما الرئيس في نصره قول القائلين بان الافعال خلق الله ، واكتساب للعبد . تفسير كتاب طويقا لارسطوطاليس ، مقالة في البحوث الأربعة مقالة في سياسة النفس ، مقالة في أهمية صناعة المنطق وماهيتها وأوليتها ، مقالة في المطالب الخمسة للرؤوس الثمانية . كتاب في منافع البناء ومضاره وجهة استعماله بحسب اقتراح الشريف أبي طالب ناصر بن اسمعيل صاحب السلطان المقيم في القسطنطينية .

أبو علي بن زرعة

هو أبو علي عيسى بن اسحق بن زرعة بن مرقس بن زرعة بن يوحنا . أحد المتقدمين في علم المنطق ، وعلوم الفلسفة ، والنقطة الجردية . ومولده ببغداد في ذي الحجة سنة احدى وسبعين وثلثمائة ونشأ بها ، وكان كثير الصحبة والملازمة ليحيى بن عدي .

نقلت من خط المختار بن الحسن بن بطلان في مقالته في علّة نقل الاطباء المهرة تدبير اكثر الامراض التي كانت تعالج قديماً بالانزوية الحارة الى التدبير المبرد ، كالفالج والقوة

(١) أبو النصر محمد ولد في فاراب وتوفي في دمشق درس الفلسفة واقام في بغداد وفي بلاط سيف الدولة بن حمدان ولقب بالمعلم الثاني (٨٧٣ - ٩٥٠)
(٢) ولد ومات في بغداد وكان تاجراً فانصرف الى العلم والترجمة والتأليف تحت اشراف استاذه يحيى بن عدي (٩٢٣ - ١٠٠٨)
(ن . د)

والاسترخاء وغيرها ومخالفتهم في ذلك لمسطور القدماء . قال : ان اول من فطن لهذه الطريق ونبه عليها ببغداد ، وأخذ المرضى في مداواة بها ، واطرح ما سواها ، الشيخ ابو منصور صاعد بن بشر الطبيب ، رحمه الله ، فأنني سمعته يقول : اول ما خطر لي النقل في الفالج الذي عرض لشيخنا ابي علي ابن زرعة ، رحمه الله ؛ وذلك أن أبا علي كان رجلاً منحرف الجسم ، حاد الخاطر ، محدثاً مليح المجلس ، ملازماً للتدريس والنقل والتصنيف ، محباً للبوارد المحرفات والمطجنات ، ومليح الاسماء ، وما عمل من البوارد بالخرذل ^(١) . ثم انه حرص في آخر عمره على عمل مقالة في بقاء النفس . فأقام نحواً من سنة يفكر فيها ويسهر لها حرصاً على عملها . وكان أيضاً مفتوناً بالتجارة الى بلد الروم ، وله فيها أصداد من تجار السريان قد سعوا به دفعات الى السلطان ، وصودر على اموال ، ولحقته عدة نكبات ، فالتام عليه حرارة المزاج الاصلي ، وفساد الاغذية ، وكد الخاطر بالتصنيف ، ومداواة السلاطين ؛ فعرضت له مرضة حادة واختلاط أبحر فيها بفالج كما يبحر المرضى باورام ونحوها .

« وكان الناس يعظمونه للعلم فاجتمع اليه مشايخ الاطباء : كاهن بكس ، وابن كشكرايا ، وتلميذ سنان وابن كزورا والحراي ، فمضوا في تدبيره بحسب المسطور في الكنائش ، وأنا أقول من حيث لا قدرة لي على مجاهرتهم بالخالفات لتقدمهم في الزمان : « والله انهم لخطئون ، لانه فالج تابع لمرض حاد لشخص حار المزاج . ثم انهم سئمو من تدبيره فنقلته الى المرطبات ، فخفف قليلاً وشارف الصلاح ، وبعد زمان مات في سنة ثمان واربعين وأربعمائة من فرط ما دبر به من الحار اليابس بالجمود الحادث في مؤخر الدماغ عن خلط سوداوي » .

ولابي علي بن زرعة من الكتب : اختصار كتاب ارسطوطاليس في المعمور من الارض . كتاب اغراس كتب ارسطوطاليس المنطقية . مقالة في معاني كتاب ايساغوجي . مقالة في معاني قطعة من المقالة الثالثة من كتاب السماء . مقالة في العقل . رسالة في علة استنارة الكواكب مع انها والكرات الحاملة لها من جوهر واحد . بسائط رسالة أنشأها الى بعض اوليائه في سنة سبع وثمانين وثلثمائة .

أقول : وفي هذه الرسالة معاني يرد بها على اليهود . ووجدت لبشر بن بيشى المعروف بابن عناية الاسرائيلي رسالة يرد فيها على عيسى بن اسحق بن زرعة ، وقد أجاب فيها عن رسالته هذه .

موسى بن سيار

هو أبو ماهر موسى بن يوسف بن سيار ، من الأطباء المشهورين بالحدق وجودة المعرفة بصناعة الطب . ولموسى بن سيار من الكتب : مقالة في الفصد . الزيادة التي زادها على كناش الخف لأسحق بن حنين .

علي بن العباس المجوسي

من الاهواز ، وكان طبيباً مجيداً متميزاً في صناعة الطب . وهو الذي صنف الكتاب المشهور الذي

(١) نبات له حب صغير جداً اسود مفرح .

يعرف « بالملكي » صنفة للملك عضد^(١) الدولة فناخسرو بن ركن الدولة^(٢) أبي علي حسن بن بويه الديلمي ، وهو كتاب جليل مشتمل على أجزاء الصناعة الطبية علمها وعملها .
وكان علي بن العباس المجوسي قد اشتغل بصناعة الطب على أبي ماهر موسى بن سيار وتلمذ له .
ولعلي بن العباس المجوسي من الكتب : كتاب الملكي في الطب ، عشرون مقالة .

عيسى طبيب القاهر

كان القاهر بالله وهو أبو منصور محمد بن المعتضد يعتمد على طبيبه هذا عيسى ، ويركن اليه ، ويفضي اليه بأسراره . وتوفي عيسى طبيب القاهر بالله في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ببغداد . وكان كُفَّ قبل موته بسنتين . قال ثابت بن سنان في تاريخه : « واعلمني أن مولده كان في النصف من جمادي الأولى سنة إحدى وسبعين ومائتين .

دانيال المتطبب

قال عبيد الله بن جبرائيل : كان دانيال المتطبب لطيف الخلقة ، ذميم الأعضاء ، متوسط العلم ، له إنسة بالمعالجة ، وكانت فيه غفلة وتبدد . وكان قد استخضه معز^(٣) الدولة لخدمته ، فدخل عليه يوماً ، فقال له : يا دانيال ، فقال : لبيك أيها الأمير ، قال : ليس عندكم أن السفرجل اذا أكل قبل الطعام أمسك الطبع واذا أكل بعد الطعام أسهل ؟ قال : بلى . قال : فانا اكلته بعد الطعام عصمني^(٤) . قال له دانيال : ليس هذا الطبع للناس ، فلكه معز الدولة بيده في صدره ، وقال له : قم تعلم أدب خدمة الملوك وتعال . فخرج من بين يديه ونفث الدم ولم يزل كذلك مدة مديدة حتى مات .

قال عبيد الله : وهذه من غلطات العلماء التي تهلك ، وإلا مثل هذا لا يخفى ، لان هناك معداً ضعيفة لا يمكنها دفع ما فيها فاذا وردھا السفرجل قواها واعانها علو دفع ما فيها فتجيب الطبيعة . وقد شاهدت انسانا اذا اراد القيء شرب الشراب المحلى أو سكنجبين السفرجل فتقيأ منها أراد . قال : وحكى والذي جبرائيل انه كان الأمير أبو منصور مهذب الدولة ، رحمه الله ، اذا شرب شراب السفرجل أسهله . وهذه أمور اسبابها معروفة ، وانما كانت غلطة من دانيال حتى هلك .

(١) السلطان البويهي ولد في اصفهان ومات في بغداد وكان محباً للعلوم محسناً للفقراء لقبه الخليفة بشاهنشاه (٩٣٦-٩٨٣).

(٢) ثاني الاخوة الثلاثة الذين أسسوا دولة بني بويه في بغداد لقب بأمير الامراء وتوفي سنة ٩٤٩ (ن.و)

(٣) علي بن ابي شجاع بويه لقب بمعز الدولة وعلى زمانه وزمان اخوته أصبح الخليفة العويبة بإيديهم الى ان غلبهم طغرل بك السلجوقي سنة ١٠٥٥ .

(٤) منعني .

اسحق بن شليطا

كان هذا طبيباً ببغداد له يد في الطب ، تقدم بها الى ان انتقل الى خدمة المطيع لله ^(١) ، واختص به الى ان مات في حياة المطيع ، وخلف على موضعه أبو الحسين عمر بن عبد الله الدحلي . وقد كان اسحق مشاركاً في طب المطيع لثابت بن سنان بن ثابت بن قره الحاراني الصابئي .

أبو الحسين عمر بن الدحلي

كان متطبباً للمطيع لله ، وكان شديد التمكن منه والاختصاص به . قال عبيد الله بن جبرائيل : حدثني من أثنى به ، انه كان لا يحتشمه في شيء جملة . ولما صرف المطيع لله أبا محمد الصلحي كاتبه ، توسط أبو الحسين بن الدحلي لأبي سعيد وهب بن ابراهيم حتى تقلد كتبة الخليفة ، وبقي مدة ، ثم شرع أبو الحسين صهر أبي بشر البقري ، فقتله . وكان أبو سعيد ، وهب ، بقي إلى ان صارت الخلافة الى الطائع ^(٢) وقبض عليه ، وبقي في الحبس الى أن دخل بختيار وعضد الدولة الى بغداد وهرب الخليفة ، وخرج من الحبس عند كسر أبواب الحبوس .

فنون المتطبب

كان متقدماً يختص بخدمة بختيار ، وكان يكرمه ويعزه أمراً عظيماً . قال عبيد الله بن جبرائيل : ومن أخباره معه انه رمدت عين بختيار في بعض الاوقات فقال له : يا أبا نصر ، ليس والله تبرج من عندي أو تبريء عيني . واريدها تبرأ في يوم واحد وأبرمه . قال فسمعت أبا نصر يتحدث انه قال له : إن أردت أن تبرأ فتقدم الى الفراشين والغلمان ان يأتروني دونك في هذا اليوم واخلفك ومن خالفني في أمري قتلته ، ففعل بختيار ذلك . فامر أبو نصر ان يحضروا اجانة مملوءة غسل الطبرزد ^(٣) . فلما حضر غمس يدي بختيار في العسل ، ثم بدأ يداوي عينيه بالاشياف ^(٤) الابيض الابيض ، وما يصلح الرمد . وجعل بختيار يصيح بالغلمان فلا يجيبه أحد . ولم يزل كذلك يكحله الى آخر النهار فبريء . وكان هو السفير بين بختيار والخليفة . واذا خرجت الخلع فعلى يديه تخرج ، وله فيها السهم الاوفر .

أبو الحسين بن كسكر ايا

كان طبيباً عالماً مشهوراً بالفضل والاتقان لصناعة الطب ، وجودة المزاولة لاعمالها . وكان في خدمة

(١) الخليفة الثالث والمشرعون العباسي وكانت ضعيفا فتمردت عليه مصر وفارس فتنازل عن الخلافة (٩٤٦ - ٩٧٤)

(٢) الخليفة الرابع والمشرعون العباسي وبلغت في ايامه سلطة بني بويه ارجها وتقدم بها الدولة عليه وخلفه (٩٧٤-٩٩١)

(٣) معرب تبرزد وهو يطلق على نوع من التمر لحلاوته ويقال سكر طبرزد وهو السكر المعروف بسكر التبات .

(٤) واحدها شيف وهو الشوك يكون يؤخر عيب النخل .

الامير سيف الدولة^(١) بن حمدان. ولما بنى عضد الدولة البيارستان المنسوب اليه ببغداد ، استخدمه فيه وزاد حاله . وكان أبو الحسين بن كشكرايا كثير الكلام ، يحب أن ينجل الأطباء بالمساءلة والتهجم . وكان له أخ راهب ، وله حقنة تنفع من قيام الاغراس والمواد الحادة ، ويعرف بصاحب الحقنة . وكان أبو الحسين بن كشكرايا قد اشتغل بصناعة الطب على سنان بن ثابت بن قرة ، وكان من أجل تلامذته . ولأبي الحسين بن كشكرايا من الكتب : كناهش المعروف بالحاوي ، كناهش آخر باسم من وضعه اليه .

أبو يعقوب الاهوازي

كان مشكوراً في صناعة الطب ، جميل الطريفة . وكان من جملة الأطباء الذين جعلهم عضد الدولة في البيارستان الذي أنشأه ببغداد ، ويعرف به . ولأبي يعقوب الاهوازي من الكتب : مقالة في أن السكنجين البزوري أحر من الترياق .

نظيف القس الرومي

كان خبيراً باللغات ، وكان ينقل من اليوناني الى العربي ، وكان يعد من الفضلاء في صناعة الطب ، واستخدمه عضد الدولة في البيارستان الذي أنشأه ببغداد . وكان عضد الدولة يتطير^(٢) منه وكان الناس يولعون به اذا دخل الى مريض . حتى حكي في بعض الاوقات ان عضد الدولة أنفذه الى بعض القواد في مرض كان عرض له ، فلما خرج من عند القائد استدعى بثقته وأنفذه الى حاجب عضد الدولة يستعلم منه نية الملك فيه ؛ ويقول ان كان ثم تغيير نية فليأخذ له الأذن في الانصراف والبعد ، فقد قلق لما جرى ، فسأل الحاجب عن ذلك وسببه . فقال الغلام : ما أعرف أكثر من انه جاءه نظيف الطبيب وقال له : يا مولانا الملك انفذني لعيادتكم . فمضى الحاجب ؛ وأعاد بحضرة الملك عضد الدولة هذا الحديث فضحك ، وأمره أن يمضي اليه ويعلمه بحسن نيته فيه ؛ وان ذلك أشغل قلبه به فأنفذه اليه ليعوده . وحملت اليه خلع سنية فسكنت بها نفسه ، وزال عنه ما كان أضمره من شغل القلب ، وكان دائماً يولع به بسببها .

أبو سعيد الياامي

كان مشهوراً بالفضل والمعرفة متقناً لصناعة الطب ، جيداً في أصولها وفروعها ، حسن التصنيف . ولأبي سعيد الياامي من الكتب : شرح مسائل حنين ، مقالة في امتحان الأطباء ، وكيفية التمييز بين طبقاتهم .

(١) صاحب حلب واشتهر بالشجاعة في الحروب وحمايته للعلماء والادباء منهم المتني ، ابو فراس الفارابي . وقدم اليه ابو الفرج الاصبهاني كتابه الاغاني (٩١٦ - ٩٦٤) (٢) يتشاءم .

أبو الفرج بن أبي سعيد الياامي

كان فاضلاً في الصناعة الطبية متميزاً في العلوم الحكيمة . اجتمع بالشيخ الرئيس ابن سينا وجرت بينهما مسائل كثيرة في صناعة الطب وغيرها . ولأبي الفرج بن أبي سعيد الياامي من الكتب رسالة في مسألة طبية دارت بينه وبين الشيخ الرئيس ابن سينا .

أبو الفرج يحيى بن سعيد بن يحيى

كان طبيباً مشهوراً عالماً بصناعة الطب جيداً في أعمالها .

نقلت من خط ابن بطلان في مقالاته في علة نقل الاطباء المهرة تدبير أكثر الأمراض التي كانت تعالج قديماً بالأدوية الحارة الى التدبير المبرد كالفالج واللقوة والاسترخاء وغيرها ، وغالفتهم في ذلك لمسطور القدماء ، قال : حدثني الشيخ الفاضل أبو الفرج يحيى بن سعيد بن يحيى الطبيب بأنطاكية قال : وهذا السيد في زماننا علم في العلم ، مقدم في الديانة والمروءة ، وله تصانيف جلييلة . قال ؛ قال: ورد من القسطنطينية غلام للملك رومي شاب به سوء مزاج حار وجساً في طحاله ، وسخنه حائلة لغلبة الصفراء ، وكان مأؤه أحمر في أكثر الاوقات ، وبه عطش . فسقاه طبيب دواء مسلاً ثم فصده وسقاه دواء مقيئاً فساءت حاله ، وادخله طبيب رومي الحمام ولطخ جميع جسمه بالنورة ولطخه بعد ذلك بعسل نخل والزم معدته ضماداً حاراً فاحتد مزاجه ، وكثر عطشه ، وبطلت شهوته وعرض له في الحال فالج في الشق الأيمن ، فسقي ماء الشعير كثيراً فصلحت حاله من الاسترخاء في تمام الاربعين . ثم وقف طبعه فحقن فقام دفعات ، وجاءه دم أسود غليظ فلم يجد له نقعاً ، ثم انقطعت شهوته واستولى عليه القيام والسهر فمات في الستين .

أبو الفرج بن الطبيب

هو الفيلسوف الامام أبو الفرج عبد الله بن الطبيب ، وكان كاتب الجائليق ومتميزاً في التصاري ببغداد ، ويقرىء صناعة الطب في البيارستان العضدي ، ويمالج المرضى فيه . ووجدت شرحه لكتاب جالينوس الى اغلوتن وقد قرىء عليه ، وعليه الخط بالقراءة في البيارستان العضدي في يوم الخميس الحادي عشر من شهر رمضان سنة ست واربعمائة ، وهو من الاطباء المشهورين في صناعة الطب وكان عظيم الشأن ، جليل المقدار ، واسع العلم ، كثير التصنيف ، خبيراً بالفلسفة ، كثير الاشتغال فيها . وقد شرح كتباً كثيرة من كتب ارسطوطاليس في الحكمة وشرح أيضاً كتباً كثيرة من كتب ابقرات وجالينوس في صناعة الطب . وكانت له مقدرة قوية في التصنيف وأكثر ما يوجد من تصانيفه كانت تنقل عنه إملاء من لفظه . وكان معاصراً للشيخ الرئيس بن سينا . وكان الشيخ الرئيس محمد

(١) ييس وصلابة وغلظ .

كلامه في الطب . وأما في الحكمة فكان يذمه .

ومن ذلك قال في مقالته في الرد عليه ما هذا نصه : انه كان يقع اليها كتب يعملها الشيخ أبو الفرج ابن الطبيب في الطب ، ونجدها صحيحة مرضية خلاف تصانيفه التي في المنطق والطبيعات وما يجري معها .

وحدثني الشيخ موفق الدين يعقوب بن اسحق بن القف النصراني ، ان رجلين من بلاد العجم كانا قد قصدا بغداد للاجتماع بابي الفرج بن الطبيب والقراءة عليه ، والاشتغال عنده ، ولما وصلا دخلا بغداد وسألا عن منزل أبي الفرج فقبل لهما انه في الكنيسة للصلاة ، فتوجها نحوه ودخلا الكنيسة . فلما قبل لهما انه ذلك الشيخ وكانت ابن الطبيب في ذلك الوقت لابسا ثوب صوف ، وهو مكشوف الرأس وببيده مبخرة بسلاسل وفيها نار وبخور ، وهو يدور بها في نواحي الكنيسة ويبخر ، فأمله وتحدثا بالفارسية وبقيا يديمان النظر اليه ويتمعجان منه أنه على هذه الهيئة ويفعل هذا الفعل ، وهو من أجل الحكماء ، وسمعه في أقاصي البلاد بالفلسفة والطب ، وفهم عنها ما هما فيه . ولما فرغ وقت الصلاة وخرج الناس من الكنيسة خرج أبو الفرج بن الطبيب ولبس ثيابه المعتاد لبسها ، وقدمت له البغلة فركب والفلمان حوله ، وتبعاه أولئك العجم الى داره وعرفاه انها قاصدان اليه من بلاد العجم للاشتغال ، وأن يكونا من جملة تلامذته . فاستحضرا في مجلسه وسمعا كلامه ودروس المشتغلين عليه ثم قال لهما : كننا حجبنا قط ؟ قال لا ! فاطلها بالقراءة الى أوان الحج ، وكان الوقت قريبا منه . فلما نودي للحج قال لهما ان كننا تريدان أن تقرأ علي وأن أكون شيخكما فحجا ، وإذا جئنا مع السلامة ، ان شاء الله ، يكون كل ما تريدان مني في الاشتغال علي . فقبلا أمره وحجا ، ولما عاد الحاج جاء اليه من أثر الحج وهما أقرعان وقد غلب الشحوب عليهما من حر الشمس والطريق ، فسألها عن مناسك الحج وما فعلا فيها ، فذكرتا له سورة الحال . وقال لهما : لما رأيتم الجمار بقيتا عراة موشحين وبأيديكما الحجارة ، وأنتما تهرولان وترميان بها ؟ قال : نعم . فقال : هكذا الواجب ان الامور الشرعية تؤخذ نقلا لا عقلا . وما كان قصده بذلك ، وانه أمرهما بالحج الا حين يتبين لهما ان الحال التي رأياه عليهما وتمعجا من فعله ان ذلك راجع إلى الأوامر الشرعية ، وهي فانما تؤخذ من اربابها متسلمة ممتثلة في سائر الملل . ثم اشتغلا عليه بعد ذلك الى أن تميزا وكانا من أجل تلاميذه .

وقال أبو الخطاب محمد بن محمد أبي طالب في كتاب « الشامل في الطب » : ان أبا الفرج بن الطبيب أخذ عن ابن الجمار ، وخلف من التلاميذ : أبا الحسن بن بطلان ، وابن بدرج ، والهروي ، وبني حيون ، وأبا الفضل كتيفات ، وابن أتردي ، وعبدان ، وابن مصوصا ، وابن العليق .

قال : وكان في عصر أبي الفرج من الاطباء : صاعد بن عيدوس ، وابن قفاح ، وحسن الطبيب ، وبنوسنان ، والناثلي . وعنه أخذ : ابن سينا ، وأبو سعيد الفضل بن عيسى الهمامي . وذكر لي انه من تلامذته : ابن سينا ، وعيسى بن علي بن ابراهيم بن هلال الكاتب ، وأظنه يكنى بكس ، وعلي بن عيسى الكحال ، وأبو الحسين البصري ، ورجاء الطبيب من أهل خراسان ، وزهرون .

ولابي الفرج بن الطبيب من الكتب : تفسير كتاب قاطيفورياس لارسطوطاليس . تفسير كتاب بارمينياس لارسطوطاليس . تفسير كتاب اناطوطيقا لارسطوطاليس . تفسير كتاب اناطوطيقا الثانية لارسطوطاليس . تفسير كتاب طوبيقا لارسطوطاليس . تفسير كتاب سوفسطيقا لارسطوطاليس . تفسير كتاب الخطابة لارسطوطاليس . تفسير كتاب الشعر لارسطوطاليس . تفسير كتاب الحيوان لارسطوطاليس . تفسير كتاب ابيديما لابقراط . تفسير كتاب الفصول لابقراط . تفسير كتاب طبيعة الانسان لابقراط . تفسير كتاب الاخلاط لابقراط . تفسير كتاب الفرق لجالينوس . تفسير كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس . تفسير كتاب النبض الصغير لجالينوس . تفسير كتاب اغلوتن لجالينوس . تفسير كتاب الاسطقسات لجالينوس . تفسير كتاب المزاج لجالينوس . تفسير كتاب القوى الطبيعية لجالينوس . تفسير كتاب التشريح الصغير لجالينوس . تفسير كتاب العلل والاعراض لجالينوس . تفسير كتاب تعرف علل الاعضاء الباطنة لجالينوس . تفسير كتاب النبض الكبير لجالينوس . تفسير كتاب الحميات لجالينوس . تفسير كتاب البحران لجالينوس ، تفسير كتاب حملة البرء لجالينوس . تفسير كتاب تدابير الاصحاء لجالينوس . ثمار الستة عشر كتاباً لجالينوس . وهو اختصار الجوامع .

شرح ثمار مسائل حنين بن اسحق املاه سنة خمس واربعائة . كتاب النكت والثمار الطبية والفلسفية . تفسير كتاب ايساغوجي لفرفوروس . مقالة في القوى الطبيعية . مقالة في العلة لم جعل لكل خلط دواء يستفرغه ، ولم لم يجعل للدم دواء يستفرغه مثل سائر الاخلاط . تعاليتي في العين . مقالة في الاحلام وتفصيل الصحيح منها من السقيم على مذهب الفلسفة . مقالة في عراف أخبر بما ضاع وذكر الدليل على صحته بالشرع والطب والفلسفة . مقالة أملاها في جواب ما سئل عنه من ابطال الاعتقاد في الاجزاء التي لا تنقسم ، وهذا السؤال سألته اياه ظافر بن جابر السكري . ووجدت بخط ظافر بن جابر السكري على هذه المقالة ما هذا مثاله ، قال : هذه الكراسة بخط سيدنا الاستاذ الأجل أبي نصر محمد بن علي بن برزج تلميذ الشيخ أبي الفرج أملاها الشيخ أبو الفرج - أطال الله بقاءه - ونكب أعداءه - عليه ببغداد . وكان السبب في ذلك ظافر بن جابر بن منصور السكري الطبيب ، وهي الدستور بعينها . شرح كتاب منافع الاعضاء لجالينوس . مقالة مختصرة في المحبة ، شرح الانجيل .

ابن بطلان

هو أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلان . نصراني من أهل بغداد ، وكان قد اشتغل على أبي الفرج عبدالله بن الطبيب وتلمذ له ، وأتقن عليه قراءة كثير من الكتب الحكيمة وغيرها . ولازم أيضاً أبا الحسن ثابت بن ابراهيم بن زهرون الحراني الطبيب واشتغل عليه وانتفع به في صناعة الطب وفي مزاولة أعمالها .

وكان ابن بطلان معاصراً لعلي بن رضوان الطبيب المصري ، وكانت بين ابن بطلان وابن رضوان

المراسلات العجيبة والكتب البديعة الغريبة، ولم يكن أحد منهم يؤلف كتاباً ولا يبتدع رأياً إلا ويرد الآخر عليه ، ويسفه رأيه فيه . وقد رأيت أشياء من المراسلات التي كانت فيما بينهم ، ووقائع بعضهم في بعض .

وسافر ابن بطلان من بغداد الى ديار مصر قصداً منه الى مشاهدة علي بن رضوان والاجتماع به ، وكان سفره من بغداد في سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ولما وصل في طريقه الى حلب أقام بها مدة وأحسن اليه معز الدولة ثمال بن صالح بها وأكرمه أكراماً كثيراً . وكان دخوله الفسطاط^(١) في مستهل جمادى الآخرة من سنة احدى وأربعين وأربعمائة ، وأقام بها ثلاث سنين، وذلك في دولة المستنصر^(٢) بالله من الخلفاء المصريين . وجرت بين ابن بطلان وابن رضوان وقائع كثيرة في ذلك الوقت، ونوادير ظريفة لا تحلو من فائدة . وقد تضمن كثيراً من هذه الاشياء كتاب ألفه ابن بطلان بعد خروجه من ديار مصر واجتماعه بابن رضوان . ولابن رضوان كتاب في الرد عليه . وكان ابن بطلان أعذب اللباز وأكثر ظرفاً وأميز في الادب وما يتعلق به . وبما يدل على ذلك ما ذكره في رسالته التي سمىها دعوة الأطباء : وكان ابن رضوان أطب وأعلم بالعلوم الحكيمة وما يتعلق بها .

وكان ابن رضوان أسود اللون ولم يكن بالجميل الصورة . وله مقالة في ذلك يرد فيها على من عيره بقبح الخلقة . وقد بين فيها ، بزعمه ، أن الطبيب الفاضل لا يجب أن يكون وجهه جميلاً . وكان ابن بطلان أكثر ما يقع في علي بن رضوان من هذا القبيل وأشباهه ، ولذلك يقول فيه في الرسالة التي سمىها دعوة الاطباء .

فلما تبدى للقوايل وجهه نكصن^(٣) على أعقابهم من الندم
وقلن وأخفين الكلام تسترا : ألا ليتنا كنا تركناه في الرحم

(الطويل)

وكان يلقبه بتمساح الجن ، وسافر ابن بطلان من ديار مصر الى القسطنطينية وأقام بها سنة وعرضت في زمنه أوباء كثيرة .

ونقلت من خطه فيما ذكره من ذلك ما هذا مثاله ، قال : « ومن مشاهير الاوباء في زماننا الذي عرض عند طلوع الكوكب الاثاري في الجوزاء من سنة ست وأربعين وأربعمائة ، فان في تلك السنة دفن في كنيسة لوقا بعد ان امتلأت جميع المدافن التي في القسطنطينية أربعة عشر ألف نسمة في الحريف . فلما توسط الصيف في سنة سبع وأربعين لم يوف النيل ، فمات في الفسطاط والشام أكثر اهلها ، وجميع الغرباء إلا من شاء الله . وانتقل الوباء الى العراق فأتى على أكثر أهله ، واستولى عليه

(١) اول مدن المسلمين في مصر بناها عمر بن العاص (٦٣٩) وكان موقعها بين القاهرة ومصر المثيقة وتسمى الآن امبابه .

(٢) الخليفة الفاطمي الثامن ملك ٨ هـ سنة على دولة مترامية الاطراف (ن.د)

(٣) رجع عما كان عليه .

الخراب يطروق العساكر المتعادية ، واتصل ذلك بها الى سنة أربع وخمسين وأربعمائة . وعرض للناس في اكثر البلاد قروح سوداوية وأورام الطحال ، وتغير ترتيب نواب الحيات ، واضطرب نظام البحارين ، فاختلف علم القضاء في مقدمة المعرفة

وقال ايضاً بعد ذلك : ولان هذا الكوكب الاناري طلع في برج^(١) الجوزاء وهو طالع مصر أوقع الوباء في الفسطاط بنقصان النيل في وقت ظهوره في سنة خمس وأربعين وأربعمائة. وصح انذار بطليموس القتائل: الويل لأهل مصر اذا طلع أحد ذوات الذوائب ، وانجهم^(٢) في الجوزاء. ولما نزل زحل^(٣) برج السرطان^(٤) تكامل خراب العراق والموصل^(٥) والجزيرة^(٦) ، واختلت ديار بكر وربيعة ومضر وفارس وكرمان^(٧) وبلاد المغرب واليمن والفسطاط والشام ؛ واضطربت أحوال ملوك الارض ، وكثرت الحروب والغلاء والوباء ، وصح حكم بطليموس في قوله : « ان زحل والمريخ^(٨) متى اقتربا في السرطان زلزل العالم . »

ونقلت ايضاً من خط بن بطلان ، فيما ذكره من الوباء العظيمة العارضة للعلم بفقد العلماء في زمانه قال : ما عرض في مدة بضع عشرة سنة ب وفاة الأجل المرتضى والشيخ أبي الحسن البصري ، والفقيه أبي الحسن القدوري^(٩) ، وأقضى القضاة الماوردي^(١٠) ، وابن الطيب^(١١) الطبري ، على جماعتهم رضوان الله ؛ ومن أصحاب علوم القدماء أبو علي بن^(١٢) الهيثم وابو سعيد الهمامي ، وأبو علي بن السمع ، وصاعد الطبيب وابو الفرج عبد الله بن الطيب ؛ ومن متقدمي علوم الادب والكتابة : علي ابن عيسى الربيعي ، وابو الفتح النيسابوري ، ومهيار^(١٣) الشاعر ، وأبو العلاء بن نزيك ، وأبو علي ابن موصلايا ، والرئيس ابو الحسن الصابي ، وأبو العلاء^(١٤) المعري . فانطفأت سرج العلم وبقيت

(١) برج من ابراج السماء عند الفلكيين .

(٢) اصبح جهماً ، والجهم الكالج من الوجوه .

(٣) كوكب تحيط به منطقة نيرة .

(٤) البرج الرابع من ابراج السماء .

(٥) لواء في العراق ومدينة لقبت بالحدياء موقعها على نهر دجلة بالقرب من انقاض نينوى .

(٦) بلاد بين دجلة والفرات وتعرف ببلاد ما بين النهرين القسم الشمالي الغربي منها يسمى الجزيرة والجنوبي الشرقي العراق .

(٧) قاعدة اقليم كرمان في ايران .

(٨) كوكب من الكواكب السيارة واقربها الى الشمس .

(٩) ابو الحسين احمد بن حمدان البغدادي الحنفي فقيه نسب الى صنعة القدور (٩٧٢ - ١٠٣٧) .

(١٠) ابو الحسن علي المصري البغدادي فقيه شافعي تولى القضاء واستوطن بغداد وتوفي فيها (٩٩١ - ١٠٣١) وله تصانيف كثيرة .

(١١) فقيه شافعي ولد في آمل وتعلم في نيسابور وبغداد . افتى بمحق جلال الدولة على لقب ملك الملوك تعاظم القضاء

« ٩٥٩ - ١٠٥٨ »

(١٢) من علماء العرب في الرياضيات والطبيعات وفلسفة ارسطو « ٩٦٥ - ١٠٣٩ »

(١٣) مهيار بن مرزويه الديلمي كان مجوسياً واسلم على يد الشريف الرضي وتخرج عليه في الشعر . توفي في بغداد « ١٠٣٧ » .

(١٤) ولد في مرة النعمان « ٩٧٩ - ١٠٥٨ » شاعر وفيلسوف ومفكر فقد بصره وهو في الرابعة من عمره . عاش

معتزلاً زاهداً . وكان قوي الشعور ، فاقب العقل ، لاذع الانتقاد .

العقول بعدم في الظلمة .

أقول : ولابن بطلان أشعار كثيرة ونوادير ظريفة ، وقد ضمن منها أشياء في رسالته التي وسمها دعوة الاطباء وفي غيرها من كتبه . وتوفي ابن بطلان ولم يتخذ امرأة ، ولا خلف ولداً . ولذلك يقول من أبيات .

ولا أحد ان مت يبكي لميتي سوى مجلسي في الطب والكتب باكيا
(الطويل)

ولابن بطلان من الكتب : ككتاب الاديرة والرهبان ، كتاب شراء العبيد وتقليب الممالك والجواري ، كتاب تقويم الصحة . مقالة في شرب الدواء المسهل ، مقالة في كيفية دخول الغذاء في البدن وهضمه وخروج فضلاته وسقي الادوية المسهلة وتركيبها . مقالة الى علي بن رضوان عند وروده الفسطاط في سنة احدى وأربعين وأربعمائة ، جواباً عما كتبه اليه . مقالة في علة نقل الأطباء المهرة تدبير أكثر الامراض التي كانت تعالج قديماً بالادوية الحارة الى التدبير المبرد ، كالغالج واللقوة والاسترخاء وغيرها ، ومخالفتهم في ذلك لمسطور القدماء في الكنائش والاقرباذينات ، وتدرجهم في ذلك بالعراق وما والاها على استقبال سنة سبع وسبعين وثلثمائة والى سنة خمس وخمسين وأربعمائة . وصنف ابن بطلان هذه المقالة بانطاكية في سنة خمس وخمسين وأربعمائة . وكان في ذلك الوقت قد أهل لبناء بيمارستان انطاكية . مقالة في الاعتراض على من قال ان الفرخ أحر من الفروج بطريق منطقية ، ألفها بالقاهرة في سنة احدى وأربعين وأربعمائة . كتاب المدخل الى الطب . كتاب دعوة الاطباء الفها للأمير نصير الدولة أبي نصر أحمد بن مروان ونقلت من خط ابن بطلان وهو يقول في آخرها : « فرغت من نسخها انا مصنفها بوانيس الطبيب المعروف بالختار بن الحسن بن عبدون ، بدير الملك المتبحر قسطنطين ، بظاهر القسطنطينية في آخر ايلول من سنة خمس وستين وثلثمائة وألف . » هذا قوله . ويكون ذلك بالتاريخ الاسلامي من سنة خمس وأربعمائة . كتاب دعوة الاطباء . كتاب دعوة القسوس . مقالة في مداواة صبي عرضت له حصة .

الفضل بن جرير التكريتي

كان كثير الاطلاع في العلوم ، فاضلاً في صناعة الطب حسن العلاج . وخدم بصناعة الطب للأمير نصير الدولة بن مروان .

والفضل بن جرير التكريتي من الكتب : مقالة في أسماء الأمراض واشتقاقاتها ، كتبها الى بعض اخوانه وهو يوحنا بن عبد المسيح .

ابو نصر يحيى بن جرير التكريتي

كان كأكبيه في العلم والفضل والتميز في صناعة الطب ، وكان موجوداً في سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة .

وليحيى بن جرير-التكريتي من الكتب: كتاب الاختبارات في علم النجوم، كتاب في الباء ومنافع الجماع ومضاره . رسالة كتبها لكافي الكفاة أبي نصر محمد بن محمد بن جدير في منافع الرياضة وجهة استعمالها .

ابن دينار

كان ميمافارقين في أيام الأمير نصير الدولة بن مروان ، وكان فاضلاً في صناعة الطب جيد المداواة خبيراً بتأليف الأدوية . ووجدت له اقرباذيناً بديع التأليف ، بليغ التصنيف ، حسن الاختبار مرضي الاخبار . وابن دينار هذا هو الذي ألف الشراب المنسوب اليه المعروف بشراب الديناري المتداول استعماله المشهور بين الاطباء وغيرهم . وذلك مذكور في كتابه هذا يقول انه الذي ألفه ولابن دينار من الكتب : كتاب الاقرباذين .

ابراهيم بن بكس

كان ماهراً في علم الطب ، ونقل كتباً كثيرة الى العربي ، ثم كف بصره ، وكان مع ذلك يحاول صناعة الطب ويزاولها بحسب ما هو عليه ، وكان يدرس صناعة الطب في البيارستان العضدي لما بناء عضد الدولة ، وكان له منه ما يقوم بكفايته . ولابراهيم بن بكس من الكتب : كناهه ، كتاب الاقرباذين الملحق بالكناش ، مقالة بأن الماء القراح أبرد من ماء الشعير ، مقالة في المجدي .

علي بن ابراهيم بن بكس

كان طبيباً فاضلاً عالماً بصناعة الطب مشهوراً بها جيد المعرفة بالنقل ، وقد نقل كتباً كثيرة الى العربي .

قسطا بن لوقا البعلبكي

قال سليمان بن حسان : انه مسيحي النحلة ، طيب حاذق ، نبيل ، فيلسوف ، منجم ، عالم بالهندسة والحساب . قال : وكان في أيام المقتدر بالله . وقال ابن النديم البغدادي الكاتب : ان قسطا كان بارعاً في علوم كثيرة منها الطب والفلسفة والهندسة والاعداد والموسيقى ، لا مطمئن عليه ، فصيحاً في اللغة اليونانية ، جيد العبارة بالعربية ، وتوفي بآرمينية عند بعض ملوكها . ومن ثم أجاب أبا عيسى ابن المنجم عن رسالته في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وثم عمل : كتاب الفردوس في التاريخ .

أقول : ونقل قسطا كتباً كثيرة من كتب اليونانيين الى اللغة العربية وكانت جيد النقل فصيحاً باللسان اليوناني والسرياني والعربي واصلح نقولا كثيرة وأصله يوناني . وله رسائل وكتب كثيرة في صناعة الطب وغيرها ، وكان حسن العبارة جيد الترجمة .

وقال عبيد الله بن جبرائيل : ان قسطا اجتذبه سنحاريب الى ارمينية ^(١) وأقام بها ، وكانت بأرمينية أبو الغطريف البطريق . من أهل العلم والفضل ، فعمل له قسطا كتباً كثيرة ، جليلة نافعة ، شريفة المعاني ، مختصرة الألفاظ في اصناف من العلوم ، ومات هناك فدفن وبني عليه قبة ، واكمم قبره كأكرام قبور الملوك ورؤساء الشرائع .

ولقسطا بن لوقا من الكتب : كتاب في اوجاع النقرس ، كتاب في الروائح وعللها . رسالة الى ابي محمد الحسن بن مخلد في احوال الباه واسبابه ، على طريق المسألة والجواب ، كتاب في الاعداء ألفه للبطريق فتى أمير المؤمنين . كتاب جامع في الدخول الى علم الطب الى ابي اسحق ابراهيم بن محمد المعروف بابن المدبر . كتاب في النبيذ وشربه في الولايم ، كتاب في الاسطقسات . كتاب في السهر ، ألفه لأبي الغطريف البطريق مولى أمير المؤمنين ، كتاب في العطش ، ألفه لأبي الغطريف مولى أمير المؤمنين . كتاب في القوة والضعف ، كتاب في الأغذية على طريق القوانين الكلية ، ألفه لبطريق البطارقة ابي غانم العباس بن سنباط كتاب في النبض ومعرفة الحميات وضروب البحرات ، كتاب في علة الموت فجأة ، ألفه لأبي الحسن محمد بن احمد ، كاتب بطريق البطارقة ، كتاب في معرفة الحذر وأنواعه وعلله وأسبابه وعلاجه ، ألفه لقاضي القضاة أبي محمد الحسن بن محمد . كتاب في أيام البحران في الامراض الحادة ، كتاب في الأخلاط الأربعة وما تشترك فيه . مختصر كتاب في الكبد وخلقها وما يعرض فيها من الأمراض ، رسالة في المروحة وأسباب الريح . كتاب في مراتب قراءة الكتب الطبية ، كتبه الى ابي الغطريف البطريق ، كتاب في تدبير الابدان في سفر الحج ، ألفه لأبي محمد الحسن بن مخلد ، كتاب في دفع ضرر السموم . كتاب في المدخل الى علم الهندسة ، على طريق المسألة والجواب ، ألفه لأبي الحسن علي بن يحيى مولى أمير المؤمنين . كتاب آداب الفلاسفة ، كتاب في الفرق بين الحيوان الناطق وغير الناطق ، كتاب في تولد الشعر ، كتاب في الفرق بين النفس والروح ، كتاب في الحيوان الناطق ، كتاب في الجزء الذي لا يتجزأ . كتاب في حركة الشريان « كتاب في النوم والرويا ، كتاب في العضو الرئيس من البدن ، كتاب في البلغم ، كتاب في الدم ، كتاب في المرة الصفراء ، كتاب في المرة السوداء ، كتاب في شكل الكرة والاسطوانة ، كتاب في الهيئة وتركيب الافلاك ، كتاب في حساب التلاقي على جهة الجبر والمقابلة ، كتاب في ترجمة ديوفنطس في الجبر والمقابلة ، كتاب في العمل بالكرة الكبيرة النجومية ، كتاب في الآلة التي ترسم عليها الجوامع وتعمل منها النتائج ، كتاب في المتعة ، كتاب في المرايا المحرقة ، كتاب في الاوزان والمكاييل ، كتاب السياسة ، ثلاث مقالات ، كتاب العلة في اسوداد الخيش وتغيره من الرش ، كتاب في القرطون ، كتاب في الاستدلال بالنظر الى اصناف البول ، كتاب المدخل الى المنطق ، كتاب مذهب اليونانيين . رسالة في الخضاب ، كتاب في شكوك كتاب اقليدس ، كتاب الفصد ، وهو أحد وتسعون باباً ألفه لأبي اسحق ابراهيم بن محمد المعروف بابن المدبر . كتاب المدخل الى علم النجوم ، كتاب الحمام ، كتاب الفردوس في التاريخ . رسالة في استخراج مسائل عديدات من المقالة الثالثة من اقليدس . تفسير ثلاث مقالات ونصف من كتاب برفنطس في المسائل العديدة ، كتاب

«١» بلاد ذات النجاد وجبال امها ارارات جنوبي القفقاس يحتاها نهر ارايس .

في عبارة كتب المنطق ، وهو المدخل الى كتاب أيساغوجي ، كتاب أيساغوجي ، كتاب في البخار رسالة الى ابي علي بن بنان بن الحرث . مولى أمير المؤمنين فيما سأل عنه من علل اختلاف الناس في اخلاقهم وسيرهم وشهواتهم واختياراتهم ، مسائل في الحدود على رأي الفلاسفة .

مسكويه^(١)

هو ابو فاضل في العلوم الحكيمية متميز فيها خبير بصناعة الطب ، جيد في أصولها وفروعها . ولمسكويه من الكتب : كتاب الاشربة ، كتاب الطبخ ، كتاب تهذيب الاخلاق .

أحمد بن أبي الاشعث

هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي الاشعث ، كان وافر العقل ، شديد الرأي مجباً للخير ، كثير السكينة والوقار ، متفهما في الدين . وعمر عمراً طويلاً ، وله تلاميذ كثيرة . وكان فاضلاً في العلوم الحكيمية متميزاً فيها : وله تصانيف كثيرة في ذلك تدل على ما كان عليه من العلم وعلو المنزلة . وله كتاب في العلم الالهي في نهاية الجودة وقد رأيت بخطه . رحمه الله تعالى . وكان عالماً بكتب جالينوس خبيراً بها ، متطلعاً على اسرارها ؛ وقد شرح كثيراً من كتب جالينوس . وهو الذي فصل كل واحد من الكتب الستة عشر التي لجالينوس الى جبل وابواب وفصول ، وقسمها تقسيماً لم يسبقه الى ذلك أحد غيره . وفي ذلك معونة كثيرة لمن يشتغل بكتب الفاضل جالينوس ، فانه يسهل عليه كل ما يلتمسه منها ، وتبقى له اعلام تدله على ما يريد مطالعته من ذلك ؛ ويتعرف به كل قسم من أقسام الكتاب وما يشتمل عليه وفي اي غرض هو . وفصل أيضاً كذلك كثيراً من كتب ارسطوطاليس وغيره ؛ وجملة مصنفات أحمد بن أبي الاشعث في صناعة الطب وغيرها . كل منها تام في معناه لا يوجد له نظير في الجودة .

ونقلت من كتاب عبيد الله بن جبرائيل بن بختيشوع قال : ذكر لي من خبر احمد بن أبي الاشعث ، رحمه الله ، انه لم يكن منذ ابتداء عمره يتظاهر بالطب ، بل كان متصرفاً وصودر ، وكان أصله من فارس ، فخرج من بلده هارباً ودخل الموصل بحالة سيئة من العري والجوع . واتفق انه كان لناصر الدولة ولد عليل في حالة من قيام الدم والاغراس ، وكان كلما عالجته الاطباء ازداد مرضه ، فتوصل الى ان دخل عليه وقال لاهله أنا أعالجه . وبدأ يريها غلط الاطباء في التدبير ، فسكنت اليه ، وعالجه فبراً ، وأعطي وأحسن اليه . وأقام بالموصل الى آخر عمره ، واتخذ له تلاميذ عدة ، الا أن الخاص به والمتقدم عنده كان أبو الفلاح . وبرع في صناعة الطب .

اقول : وكانت وفاة أحمد بن أبي الاشعث ، رحمه الله ، في سنة ثلثمائة ونيّف وستين للهجرة ،

(١) هكذا في الأصل والاصح هو ابن مسكويه وله من الكتب غير المذكورة هنا كتاب « تجارب الأمم » في التاريخ وصل به الى حوادث سنة ٩٨٠ .

وكان له عدة اولاد ، والذي وجدته مشهوراً منهم في صناعة الطب محمد .

ولأحمد بن أبي الاشعث من الكتب : كتاب الأدوية المفردة ، ثلاث مقالات ، وكان السبب الباعث له على تصنيفه قوم من تلامذته سألوه ذلك وهذا نص كلامه في صدر الكتاب : قال : سألتني أحمد بن محمد البلدي أن أكتب هذا الكتاب ، وقديماً كان سألتني محمد بن ثواب ، فتكلمت في هذا الكتاب بحسب طبقتيها وكتبته اليها وبدأت به في شهر ربيع الاول سنة ثلاث وخسين وثلثمائة ، وهما في طبقة من تجاوز تعلم الطب ، ودخلا في جملة من يتفقه فيما علم من هذه الصناعة ويفرع ويقيس ويستخرج ، والى من في طبقتيها من تلامذتي ومن إثم بكيتي . فان من أراد قراءة كتابي هذا ، وكان قد تجاوز حد التعليم الى حد التفقه ، فهو الذي ينتفع به ويحظى بعلمه ، ويقدر أن يستخرج منه ما هو فيه بالقوة بما لم اذكره ، وان يفرع على ما ذكرته ويشيد . وهذا قولي لجمهور الناس دون ذوي القرائح الافراد ، التي يمكنها تفهم هذا وما فوقه بقوة النفس الناطقة فيهم . فان هؤلاء تسهل عليهم المشقة في العلم ، ويقرب لديهم ما يطول على غيرهم . ، كتاب الحيوان . كتاب في العلم الالهي ، مقالتان فرغ من تأليفه في ذي القعدة سنة خمس وخسين وثلثمائة . كتاب في الجدي والحصبة والحمية ، مقالتان . كتاب في السرسام والبرسام ومداواتها ، ثلاث مقالات ، صنفه لتلميذه محمد بن ثواب الموصلي ، أملاه عليه املاء من لفظه ، وكتبه عنه بخطه ، وذكر تاريخ الاملاء والكتابة في رجب سنة خمس وخسين وثلثمائة . كتاب في القولنج وأصنافه ومداواته والأدوية النافعة منه ، مقالتان . كتاب في البرص والبهق ومداواتها ، مقالتان . كتاب في الصرع وكتاب آخر في الصرع . كتاب في الاستسقاء . كتاب في ظهور الدم ، مقالتان . كتاب المالبخوليا . كتاب تركيب الأدوية . مقالة في النوم واليقظة . كتبها الى أحمد بن الحسين ابن زيد بن فضالة البلدي بحسب سؤاله على لسان عزور بن الطيب اليهودي البلدي . كتاب الفاذاي والمقتدي ، مقالتان ، فرغ من تأليفه بقلمه برقي من ارمينية في صفر سنة ثمان واربعين وثلثمائة . كتاب امراض المعدة ومداواتها . شرح كتاب الفرق لجالينوس ، مقالتان ، فرغ منه في رجب سنة اثنتين وأربعين وثلثمائة ، شرح كتاب الحيات لجالينوس .

محمد بن ثواب الموصلي

هو أبو عبدالله محمد بن ثواب بن محمد ، ويعرف بابن الثلاث ، من أهل الموصل ؟ فاضل في صناعة الطب ، خبير بالعلم والعمل . وشيخه في صناعة الطب أحمد بن أبي الاشعث ، لازمه واشتغل عليه وتميز . وكتب بخطه كتباً كثيرة .

أحمد بن محمد البلدي

هو الشيخ أبو العباس احمد بن محمد بن يحيى من مدينة بلد ^(١) . وكان خبيراً بصناعة الطب ، حسن

«١» مدينة بالجزيرة او مدينة بفارس .

العلاج والمداواة ، وكان من أجل تلامذة أحمد بن أبي الاشعث . لازمه مدة سنين واشتغل عليه وتميز .
ولاحد بن محمد البلدي من الكتب : كتاب تدبير الجبال والاطفال والصبيان وحفظ صحتهم
ومداواة الامراض العارضة لهم ، صنفه للوزير أبي الفرج يعقوب بن يوسف المعروف بابن كلس^(١)
وزير العزيز بالله في الديار المصرية .

ابن قوسين

كان طبيباً مشهوراً في زمانه ، وله دراية بصناعة الطب ، ومقامه بالموصل . وكان يهودياً وأسلم ،
وعمل مقالة في الرد على اليهود .
ولابن قوسين من الكتب ، مقالة في الرد على اليهود .

علي بن عيسى وقيل عيسى بن علي الكحال

كان مشهوراً بالحدق في صناعة الكحل متميزاً فيها وبكلامه يقتدى في أمراض العين ومداواتها .
وكتابه المشهور « بتذكرة الكحالين » هو الذي لا يسد لكل من يعاني صناعة الكحل أن يحفظه ،
وقد اقتصر الناس عليه دون غيره من سائر الكتب التي قد الفت في هذا الفن وصار ذلك مستمراً
عندهم ، وكلام علي بن عيسى في أعمال صناعة الكحل أجود من كلامه فيما يتعلق بالامور العلمية وكانت
وفاته سنة (*) وأربعمائة . ولعلي بن عيسى من الكتب : كتاب تذكرة الكحالين ، ثلاث مقالات .

ابن الشبل البغدادي

هو أبو علي الحسين بن عبدالله بن يوسف بن شبل ، مولده ومنشؤه ببغداد ، وكان حكيماً
فيلسوفاً ، ومتكلماً فاضلاً ، وأديباً بارعاً ، وشاعراً مجيداً ، وكانت وفاته ببغداد سنة أربع وسبعين
وأربعمائة .

ومن شعر قاله في الحكمة ، وهذه القصيدة من جيد شعره ، وهي تدل على قوة اطلاع في العلوم
الحكيمة والاسرار الالهية . وبعض الناس ينسبها الى ابن سينا وليست له وهي هذه ،

بربك أيها الفلك المدار	اقصد ذا المسير أم اضطرار
مدارك ، قل لنا في أي شيء	ففي أفهامنا منك ابتهار
وفيك نرى الفضاء ، وهل فضاء	سوى هذا الفضاء ، به تدار
وعندك ترفع الارواح أم هل	مع الاجساد يدركها البوار
وموج ، ذا المجرة أم فرند ،	على لجج الدروع له أوار
وفيك الشمس رافعة شعاعاً	باجنحة قوادمها ^(٢) قصار

(١) يهودي من اهل بغداد اشتهر بإدارته المالية ثم أسلم و أصبح حجة في العلوم الاسلامية « ٩٣٠ - ٩٩١ » « ن.ر. »

(*) بياض بالأصل .

(٢) كبار الريش وهي التي في مقدمة الجناح وضدها الخرافي .

هلالك ام يد فيها سوار
عليها المرح^(١) يقدح والعفار^(٢)
تؤلف بينه اللجج - الفزار
نهاراً ، مثل ما طوي الازار
وما يصدى لها أبداً غرار
وتكنس^(٦) مثل ما كنس الصوار^(٧)
تلقاها من الغرب المحدار
طوال منى وآجال قصار
لها أنفاسنا أبداً شفار
كما للغصن بالورد انتشار
غذاه من نوائبها ظوار^(٨)
هي المعجاء ما جرححت جبار
بغير غد إليه بنا يسار
لروح المرء في الجسم انتشار
حسوماً عن مجائنها تطار
فكم بالقرب عاد لها نثار
بذنب ماله منه اعتذار
وما نفع السجود ولا الجوار
فقرّب السافيات له شعار
من الكلمات للذنب اغتفار
يُعيّر ما تلا ليلاً نهار
وحل بآدم وبنا الصغار^(٩)
ولا عجل أضل ولا خوار^(١٠)

وطوق في النجوم من الليالي ،
وشهب ذاك الخواطف أم ذبال
وترصيع نجومك أم حباب^(٣)
تمد رقومها ليلاً ، وتطوي
فكم بصقالها^(٤) صدي البرايا
تباري ثم تخنس^(٥) راجعات
فبيننا الشرق يقدمها صموداً
على ذا ما مضى وعليه يمضي
وأيام تعرفنا مداها
ودهر ينثر الاعمار نثراً
ودنيا كلما وضعت جنيناً
هي العشواء ما خبطت هشم
فمن يوم بلا أمس ليوم
ومن نفسين في أخذ ورد
وكم من بعد ما ألفت نفوس
ألم تك بالجوارح آنسات
فان يك آدم أشقى بنيهِ
ولم ينفعه بالاسماء علم
فاخرج ثم أهبط ثم أودي
فأدركه بعلم الله فيه
ولكن بعد غفران وعفو
لقد بلغ العدو بنا مناه
وتنها ضائعين ، كقوم موسى

(١) شجر رقيق سريع الوري يقندح به .

(٢) شجر يتخذ منه الزناد .

(٣) الفقاقيع التي تعلو الماء أو الحجر .

(٤) صقل الشيء : جلاه وملسه .

(٥) تتأخر وتنقبض .

(٦) تقيب وتستقر .

(٧) قطيع البقر .

(٨) واحدها ظئر وهي الماطقة على غير ولدها المرضعة له .

(٩) الذل والضيم .

(١٠) صوت البقر ويطلق أيضاً على صوت الغنم والظباء والهام .

علينا نعمة وعليه عار !
ويُذبح في حشا الأم الحواري^(١)
وبعد ، فبالوعيد لنا انتظار ؟
«خروج الضب أحوجه الوجار»^(٢)
لغير الموجدن به الحيار ؟
نخير قبله أو نستشار .
وهذا الكسر ليس له انجبار ؟
وليس لعمق جرحهم انسبار
وغال كواكب الليل انتثار^(٣) ،
وطوح بالسموات انقطار ،
لخيرتها ، وعطلت العشار^(٤) ،
خسوف للتوعد لا سرار^(٥) ،
مهيلات . وسجرت البحار ،
وأين مع الرجوم لنا اصطبار ؟
يراد بنا ، وأين الاعتبار ؟
ضياؤك من سناه مستعار ؟
فقيم يقول ألجمها انكدار ؟
دخاناً ما لقاتره^(٦) شرار ،
دجها فهي للاموات دار .
ولا لسمو ما أرسى قرار ،
لذني الالباب وعظ وازدجار .
(الوافر)

فيا لك أكلة ما زال منها
تعاقب في الظهور وما ولدنا
ونتظر الرزايا والبلايا ،
ونخرج كارهين كما دخلنا
فإذا الامتنان على وجود
وكانت أنما لو أن كوناً
أهذا الداء ليس له دواء ،
نخير فيه كل دقيق فهم
إذا التكوير^(٣) غال الشمس عنا ،
وبدلنا بهذي الارض أرضاً ،
وأذهلت المراضع عن بنيتها
وغشى البدر ، من فرق وذعر ،
وسيرت الجبال فكن كتباً
فأين ثبات ذي الالباب منا
وأين عقول ذي الافهام بما
وأين يغيب لب كان فينا
وما أرض عصته ولا سماء ،
وقد وافته طائفة ، وكانت
قضاها سبعة والارض مهدا
فما لسمو ما أعلا انتهاء
ولكن كل ذا التهويل فيه

وقال يرثي أخاه أحمد :

غاية الحزن والسرور انقضاء ، ما لحى من بعد ميت بقاء .

«١» ولد الناقة قبل ان يفصل عنها .

«٢» الجحر .

«٣» التلغيف على جهة الاستدارة اي يلف ضوءها فتذهب .

«٤» التفرق كالجب المنثور .

«٥» النياق الحاملات اللواتي مضى على حملهن عشرة اشهر او ثمانية واحدها عشاء وهي كالنفساء من النساء

«٦» آخر ليلة من الشهر .

«٧» البخيل الذي يضيق على اهله .

لا لبيد (١) باربد (٢) مات حزنا وسلت عن شقيقها الخنساء (٣)
 مثل ما في التراب يبلى الفتى فالحزن يبلى من بعده والبكاء .
 غير أن الاموات زالوا وابقوا غصصاً لا يسيفه الاحياء ،
 انما نحن بين ظفر وناب من خطوط أسودهن ضراء .
 نتمنى ، وفي المني قصر العمر ، فنغدو بما نسر نساء ،
 صحة المرء للسقام طريق ، وطريق الفناء هذا البقاء ؛
 بالذي نفتدي نموت ونحيا ، أقتل الداء للنفوس ، الدواء .
 ما لقينا من غدر دنيا فلا كنا نت ولا كان أخذها والعطاء ،
 راجع جودها عليها ، فمهما يهب الصبح ، يسترد المساء .
 ليت شعري حلاً تمر بنا الايام ، أم ليس تعقل الاشياء ؟
 من فساد يجنيه للعالم الكو ن فما للنفوس منه اتقاء ،
 قبح الله لذة لأذانا نالها الامهات والآباء ،
 نحن لولا الوجود لم نألم الفقد ، فايحاذنا علينا بلاء
 وقليل ما تصحب المهجة الجسم ، ففيم الاسى وفيم العناء ؟
 ولقد أيد الاله عقولاً حجة العود ، عندها ، الابداء
 غير دعوى قوم على الميت شيئاً أنكرته الجلود والاعضاء .
 واذا كان في العيان خلاف ، كيف بالغيث يستبين الخفاء ؟
 ما دهانا من يوم أحبد إلا ظلمات ، ولا استبان ضياء ،
 يا أخخي عاد بعدك الماء سما ، وسموماً ذاك النسيم الرخاء ؛
 والدموع الغزار ، عادت من الأ نفاس تاراً تثيرها الصعداء ،
 وأعدت الحياة عذراً وان كما نت حياة يرضى بها الاعداء
 اين تلك الحلال ، والحرم ، اين العزم ، اين السناء ، اين البهاء ؟
 كيف أودى النعيم من ذلك الظل وشيكا ، وزال ذاك الغناء .
 اين ما كنت تنتضي من لسان في مقام للمواضي انتضاء ؟
 كيف أرجو شفاه ما بي ، وما بي دون سكتاي في ثراك شفاه ؟
 اين ذاك الرواء والمنطق المو نق ؟ أين الحياء ؟ أين الاباء ؟
 ان محاسنك التراب فما للدمع يوماً من صحن خدي انمحاه !
 أو تبين لم بين قديم وداد أو تمت لم يميت عليك الثناء .

«١» شاعر جاهلي من اصحاب الملقات من بني عامر انتقل الى الكوفة بعد اسلامه

«٢» اسم اخيه وهو اربد بن قيس .

«٣» اعظم شاعر العرب قتل اخواها فرثتها . واسلمت مع قومها واشترك أولادها الاربعة وقتلوا في معركة القادسية .

« ن . ر »

شطر نفسي دفنت ، والشطر باق يتمنى ، ومن مناه الفناء ؟
 إن تكن قدمته ايدي المنايا فالى السابقين تمضي البطاء .
 يدرك الموت ، كل حي ، ولو أخفته عنه في برجه الجوزاء
 ليت شعري ، وللبلى كل ذي الخلق ، بماذا تميز الانبياء ؟
 موت ذا العالم المفضل بالنطق ، وذا السارح البهم ، سواء ،
 لا غوي لفقده تبسم الارض ولا للتقي تبكي السماء !
 كم مصاييح أوجه أطفائها تحت أطباق رسمها البيداء ؟
 كم بدور ، وكم شموس ، وكم أطواد حلم ، أمسى عليها العفاء ؟
 كم محبرة الكواكب صبح ؟ ثم حطت ضياءها الظلماء ،
 انما الناس قادم اثر ماض ، بدء قوم للآخرين انتهاء .

(الحقيف)

وقال أيضاً

وكأنما الانسان فيه غيره متكوناً ، والحسن فيه معار
 متصرفاً وله القضاء مصرف ، ومكلفاً وكأنه مختار
 طوراً تصوبه الخطوط ، وتارة خطأ تحيل صوابه الاقدار
 تعمى بصيرته ويبصر بعدما لا يسترد الفائن استبصار
 فقراه يؤخذ قلبه من صدره ويرد فيه وقد جرى المقدار
 فيظل يضرب باللامه نفسه ندماً اذا لعبت به الأفكار
 لا يعرف الافراط في ايراده حتى يبينه له الاصدار
 (الوافر)

وقال من أبيات :

اذا اخنى الزمان على كريم أعار صديقه قلب العدو
 (الوافر)

وقال أيضاً :

تلق بالصبر ضيف الهم ترحله ان الهموم ضيوف أكلها المهج
 فالخطب ما زاد إلا وهو منتقص والامر ماضاق الا وهو منفرج
 فروح النفس بالتعليل ترض به عسى الى ساعة من ساعة فرج

(البسيط)

وقال أيضاً :

تسل عن كل شيء بالحياة فقد
يعوض الله مالاً أنت متلفه ،
يهون بعد بقاء الجوهر العرض
وما عن النفس ، ان ألفتها ، عوض
(البسيط)

وقال أيضاً :

وعلى قدر عقله فاعتب المرء
كم صديقي بالعتب صار عدواً
وحاذر^(١) برأ يصير عقوقاً^(٢)
وعدو بالحلم صار صديقاً
(الخفيف)

وقال أيضاً :

ليكنكم ما فيكم من جوى نلقى
وحرمة ودي ، لاسوت هواكم
سأزجر قلباً ، رام في الحب سلوة ،
عذبت الهوى ، يا صاح ، حتى ألفتته
فلا الصبر موجود ، ولا الشوق يارح ،
أخاف ، اذا ما الليل ، مد سدوله
ايحمل أن أجزى عن الوصل بالحقا
أحظي هذا ، أم كذا كل عاشق
سل الدهر ، عل الدهر يجمع بيننا ،
فمهلاً بنا مهلاً ورفقاً بنا رفقاً
ولا رمت منه ، لا فكاكاً ولا اعتقاً
وأهجره ان لم يمت بكم عشقا
فاضناه لي أشقى ، وافناه لي ابقى
ولا ادمي تطفني اللييب ولا ترقاً^(٣)
على كبدي حرقاً ومن مقلتي غرقاً
وينعم طرفي والفؤاد بكم يشقى
يضام فلا يعفى ، ويظمى فلا يسقى ؟
فلم أر مخلوقاً على حالة يبقى !
(الطويل)

وقال أيضاً :

ان تكن تجزع من دمعي ، اذا فاض ، فصنه ،
أو تكن أبصرت يوماً سيداً يعفو ، فكنه ،
أنا لا أصبر عن لا يحل الصبر عنه ،
كل ذنب في الهوى يغفر لي ما لم أخنه

(الرمل)

«١» الزحيم البار .

«٢» العاصي ارامر والده المستخف به .

«٣» جف وانقطع .

وقال أيضاً :

ثقلت زجاجات ، أتلتنا فرغاً ،
خفت فكادت أن تطير بما حوت ،
حقى اذا ملئت بصرف الراح ،
وكذا الجسوم تحف بالارواح
(الكامل)

وقال أيضاً :

قالوا : القناعة عز ، والكفاف غنى
صدقتم ، من رضاه سدجوعته ،
والذل والعار حرص النفس والطمع
ان لم يصبه ، بماذا عنه يقتنع ؟
(البسيط)

وقال أيضاً :

احفظ لسانك لا تبج بثلاثة :
فعلى الثلاثة تنبلى بثلاثة :
سر ، ومال ما استطعت ، ومذهب .
بمكفر ، وبجاسد ، ومكذب
(الكامل)

وفي هذا المعنى قد قال بعضهم نثراً ، وفيه جناس : « الرجل يخفي ذنبه ومذهبه وذهابه » .

وقال : أيضاً :

قالوا ، وقد مات محبوب فجمعت به
ثانيه في الحسن موجود ، فقلت لهم :
وبالصبا ، وأرادوا عنه سلواني :
من أين لي في الهوى الثاني صبا ثاني ؟
(البسيط)

وقال أيضاً :

وفي اليأس احدى الراحتين الذي الهوى
أعف وبى وجد ، وأسلو وبى جوى ،
وأنف أن تعناق همى خريدة ^(١)
فلا تنكري عز الكريم على الاذى ،
على ان احدى الراحتين عذاب .
ولو ذاب مني أعظم واهاب .
بلحظ ، وأن يروي صداي ^(٢) رضاب
فحين تجوع الضاربات تهاب
(الطويل)

وقال أيضاً :

بنا ، الى الدير من درتا ، صبايات .
لا تبعدن ، وان طال الزمان به ،
فلا تلمني فما تغني الملامات .
أيام هو عهدناه وليلات

(١) الفتاة البكر لم تمس او الحية الطويلة السكوت .

(٢) عطشى .

فكم قضيت لبانات الشباب بها
ما أمكنت دولة الافراح مقبلة
قبل ارتجاع الليالي وهي عارية ؛
قم فاجل في فلك الظلماء شمس ضحى
لعله ان دعا داعي الحمام بنا
بم التعلل ؟ لولا ذاك من زمن
دارت تحيي ، فقابلنا تحيتها ،
عذراء أخفى لنا بدور صورتها
مدت سراقق برق من أبارقها
فلاح في أذرع الساقين أسورة
قد وقع الدهر سطرا في صحيفته :
خذ ما تمجّل ، واترك ما وعدت به ،
والسعادة أوقات ميسرة

غنا ، ولم بقيت عندي لبانات !
فانعم ولذ ، فان العيش ثارات ،
وانما لذة الدنيا اعارات .
بروجها الدهر ، طاسات وجامات ،
نقضي ، وأنفسنا منارويات .
احياؤه باعتياد الهمّ أموات
وفي حشاها لفزع المزج روعات
لم يبق من روحها الا حشاشات
على مقابلها منها بلالات ،
تبرأ ، وفوق نحر الشرب جامات^(١) .
لا فارقت شارب الخمر المسرات .
فعل اللبيب : فلتأخير آفات ،
تعطي السرور ، وللأحزان أوقات .
البسيط

ابن بختويه

هو ابو الحسين عبدالله بن عيسى بن بختويه ، كان طبيباً وخطيباً من أهل واسط^(٢) ، لديه معرفة ،
وكلامه في صناعة الطب كلام مطلع على تصانيف القدماء ، وله نظر فيها ودراية لها . وكان والده
أيضاً طبيباً .
ولأبي الحسين بن بختويه من الكتب : كتاب المقدمات ، ويعرف ايضاً بكنز الاطباء ، ألفه لولده
في سنة عشرين وأربعمائة ، كتاب الزهد في الطب ، كتاب القصد الى معرفة الفصد .

أبو العلاء صاعد بن الحسن

من الفضلاء في صناعة الطب ، والمتميزين من أهلها ، وكان ذكياً بليغاً ، ومقامه بمدينة الرجة^(٣)
وله من الكتب : كتاب التشويق الطبي ، صنفه بمدينة الرجة في رجب سنة أربع وستين وأربعمائة .

(١) الأكوس . (ن.ر)

(٢) مدينة في العراق انشأها الحجاج بن يوسف بين الكوفة والبصرة . وبعد ان تحولت عنها مياه دجلة توارت تحت رمال
الصحراء .

(٣) مدينة على الفرات الأوسط اسما مالك التغلبي أيام المأمون وتعرف برجة مالك وقد أصبحت اليوم اثار المدينة .

زاهد العلماء

هو أبو سعيد منصور بن عيسى، وكان نصرانياً نسطورياً^(١)، وأخوه مطران نصيبين المشهور بالفضل وخدم زاهد العلماء بصناعة الطب، نصير الدولة بن مروان الذي ألف له ابن بطلان دعوة الاطباء. وكان نصير الدولة محترماً لزاهد العلماء، معتمداً عليه في صناعته، محسناً اليه. وزاهد العلماء هو الذي بنى بيارستان ميفارقين.

وحدثني الشيخ سديد الدين بن ربيعة الطبيب: ان سبب بناء بيارستان ميفارقين هو ان نصير الدولة بن مروان لما كان بها مرضت ابنة له، وكان يرى لها كثيراً، فألى على نفسه انها متى برئت أن يتصدق بوزنها دراهم. فلما عالجها زاهد العلماء وصلحت، أشار على نصير الدولة ان يجعل جملة هذه الدراهم، التي يتصدق بها، تكون في بناء بيارستان ينتفع الناس به، ويكون له بذلك أجر عظيم، وسمعة حسنة. قال فأمره ببناء البيارستان، وأنفق عليه أموالاً كثيرة، وقف له املاكاً تقوم بكفايته، وجعل فيه من الآلات وجميع ما يحتاج اليه شيئاً كثيراً جمداً فجاء لا مزيد عليه في الجودة.

ولزاهد العلماء من الكتب: كتاب البيارستانات، كتاب في الفصول والمسائل والجوابات، وهي جزآن: الاول يتضمن ما اثبته الحسن بن سهل بما وجدته في خزائنه رقايع وكراريس وأدراج وغير ذلك من المسائل والجوابات. والجزء الثاني على جهة الفصول والمسائل وجوابات أجاب عنها في مجلس العلم المقرر في البيارستان الفارقي. كتاب في المنامات والرؤيا. كتاب فيما يجب على المتعلمين لصناعة الطب تقديم علمه، كتاب في امراض العين ومداواتها.

المقبلي

هو أبو نصر محمد بن يوسف القبلي، فاضل في صناعة الطب، من المتميزين فيها، والأعيان من أربابها. والمقبلي من الكتب: مقالة في الشراب تلخيص كتاب المسائل لحنين بن اسحق.

النيلي

هو أبو سهل سعيد بن عبد العزيز النيلي، مشهور بالفضل، عالم بصناعة الطب، جيد التصنيف، متفنن في العلوم الادبية، بارع في النظم والنثر ومن شعره.

يا مفدّى العذار والحد والقدر بنفسي، وما أراها كثيراً!

(١) فرقة من النصارى اصحاب نسطور الحكيم. «ن.ر»

ومعيري من سقم عينيه سقماً
استقني الراح ، تشف لوعة قلب
دمت مضمنى به ودمت معيراً ،
بات مذ بنت للهموم سميراً .
أفرغت في الحشا استخالت سرورا
(الخفيف)

(والليني) من الكتب : اختصار كتاب المسائل لحنين ، تلخيص شرح جالينوس لكتاب الفصول مع نكت من شرح الرازي .

اسحق بن علي الرهاوي

كان طبيباً متميزاً عالماً بكلام جالينوس ، وله أعمال جيدة في صناعة الطب .
ولاسحق بن علي الرهاوي من الكتب : كتاب أدب الطبيب . كناش جمعه من عشر مقالات
لجالينوس المعروفة بالميامر في تركيب الادوية بحسب أمراض الاعضاء من الرأس الى القدم ، جوامع
جمها من اربعة كتب جالينوس التي رتبها الاسكندرانيون في أوائل كتبه ، وهي كتاب الفرق ،
وكتاب الصناعة الصغيرة ، وكتاب النبض الصغير وكتابه الى أغلوتن ، وجعل هذه الجوامع على طريق
الفصول وأوائل فصولها أعلى حروف المعجم .

سعيد بن هبة الله

هو أبو الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين من الاطباء المتميزين في صناعة الطب . وكان أيضاً
فاضلاً في العلوم الحكيمة مشتهراً بها . وكان في أيام المقتدي بأمر الله ، وخدمه بصناعة الطب وخدم^(١)
أيضاً ولده المستظهر^(٢) بالله .

وقال أبو الخطاب محمد بن محمد بن أبي طالب في كتاب « الشامل في الطب » : ان الطب انتهى في
عصرنا الى أبي الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين . وولد في ليلة السبت الثالث والعشرين من جمادى
الآخرة سنة ست وثلاثين وأربعمائة ، وقرأ على أبي الملاء بن التلميد ، وعلى أبي الفضل كتيفات وعلى
عبدان الكاتب . وألف كتباً كثيرة طبية ومنطقية وفلسفية وغير ذلك ، ومات ليلة الاحد سادس
شهر ربيع الاول سنة خمس وتسعين وأربعمائة ، وعاش ستاً وخمسين سنة ، وخلف من التلاميذ
جماعة موجودين .

وحدثني الحكيم رشيد الدين أبو سعيد بن يعقوب النصراني ان أبا الحسن سعيد بن هبة الله كان
يتولى مداواة المرضى في البيمارستان العضدي . وأنه كان يوماً في البيمارستان وقد أتى الى قاعة المرورين

(١) خليفة عباسي « ١٠٧٥ - ١٠٩٤ » كان الحكم في أيامه بيد السلاجوقيين ولم يتركوا له إلا السلطة الروحية .
(٢) الخليفة العباسي الثامن والعشرين توفي سنة ١١١٨ وفتح الصليبيون على أيامه القدس سنة ١٠٩٩ (ن.ر)

لتفقد احوالهم ومعالجتهم ، واذا بامرأة قد أتت اليه واستفتته فيما تعالج به ولدأ لها فقال : « ينبغي أن تلازميه بتناول الاشياء المبردة المرطبة . » فهزأ به بعض من كان مقيماً في تلك القاعة من المرورين وقال : هذه صفة يصلح أن تقولها لاحد تلامذتك ممن يكون قد اشتغل بالطب وعرف أشياء من قوانينه ، وأما هذه المرأة فأبي شيء تدري ما هو من الاشياء المبردة المرطبة ، وانما سبيله أن تصف لها شيئاً معيناً تعتمد عليه . ثم قال له بعد ذلك : ولا ألومك في قولك هذا فانك قد فعلت ما هو أعجب منه . فسأله عن ذلك ، فقال : صنف كتاباً مختصراً وسميته المغني في الطب ، ثم انك صنفت كتاباً آخر في الطب بسيطاً يكون على قدر أضعاف كثيرة من ذلك الكتاب الأول وسميته الاقناع . وكان الواجب ان يكون الامر على خلاف ما فعلته من التسمية . فاعترف بذلك لمن حضره وقال : والله لو أمكنتني تبديل اسم كل واحد منهما بالآخر لفعلت . وانما قد تناقل الناس الكتابين وعرف كل واحد منها بما سميته به .

أقول : وكان ابو الحسن سعيد بن هبة الله موجوداً في سنة تسع وثمانين وأربعمائة لأنني وجدت خطه في ذلك التاريخ على كتابه التلخيص النظامي ، وقد قرأه عليه أبو البركات .
ولسعيد بن هبة الله من الكتب : كتاب المغني في الطب صنفه للمقتدي بامر الله . مقالة في صفات تراكيب الادوية المحال عليها في كتاب المغني . كتاب الاقناع . كتاب التلخيص النظامي . كتاب خلق الانسان . كتاب في اليرقان . مقالة في ذكر الحدود والفروق . مقالة في تحديد مبادئ الاقاويل الملفوظ بها وتعميدها . جوابات عن مسائل طبية سئل عنها .

ابن جزلة

هو يحيى بن عيسى بن علي بن جزلة وكان في أيام المقتدي بامر الله ، وقد جعل باسمه كثيراً من الكتب التي صنّفها . وكان من المشهورين في علم الطب وعمله ، وهو تلميذ أبي الحسن سعيد بن هبة الله . ولابن جزلة أيضاً نظر في علم الادب . وكان يكتب خطأ جيداً منسوباً . وقد رأيت بخطه عدة كتب من تصانيفه وغيرها تدل على فضله ، وتعرب عن معرفته . وكان نصرانياً ثم أسلم ، وألف رسالة في الرد على النصاري ، وكتب بها إلى إلبا القس .

ولاين جزلة من الكتب : كتاب تقويم الابدان وصنّفه للمقتدي بامر الله . كتاب منهاج البيان في ما يستعمله الانسان ، وصنّفه ايضاً للمقتدي بامر الله . كتاب الاشارة في تلخيص العبارة وما يستعمل من القوانين الطبية في تدبير الصحة وحفظ البدن ، لخصه من كتاب تقويم الابدان . رسالة في مدح الطب وموافقته الشرع ، والرد على من طعن عليه . رسالة كتب بها لما أسلم الى إلبا القس وذلك في سنة ست وستين وأربعمائة .

ابو الخطاب

هو محمد بن محمد بن أبي طالب ، مقامه ببغداد . وقرأ صناعة الطب على أبي الحسن سعيد بن هبة

الله وكان متميزاً في الطب وعمله . ورأيت خطه على كتاب من تصنيفه قد قرىء عليه ، وهو كثير اللحن ، يدل على انه لم يشتغل بشيء من العربية . وكان تاريخه لذلك في تاسع شهر رمضان سنة خمسائة .

ولابي الخطاب من الكتب : كتاب الشامل في الطب جعله على طريق المسألة والجواب في العلم والعمل ، وهو يشتمل على ثلاث وستين مقالة .

ابن الواسطي

كان طبيباً للمستظهر بالله ، وكان عنده رفيع المنزلة . فاتفق ان أبا سعيد بن المعوج قولى صاحب ديوان واستقر عليه قرية مبلغها ثلاثة آلاف دينار ، فوزن منها ألفي دينار ، وبقي عليه ألف دينار ، فسأل انظاره بها سنة الى أن يصل المستغل . فلما حل المبلغ نكبت الغلة والثمرة ولم يحصل له من ملكه ما يصرفه في ذلك .

وكان حاجبه وخاصة مظفر بن الدرواتي ، فأشار اليه بالمضي الى ابن الواسطي الطبيب ، ويقصده في داره ويسأله ان يخاطب الخليفة المستظهر بالله في إنظاره الى سنة أخرى الى أن تدخل الغلة . فلما نهض من الديوان اشار الى اصحابه بالعود وانه يريدان يمضي الى داره ، فلما عادوا مضى هو والحاجب مظفر بن الدرواتي . فحيث وصل استأذن عليه ، فخرج وقبل يده وقال : الله الله يا مولانا ومن ابن الواسطي حتى يجيء مولانا الى داره ؟

فلما دخل جلس بين يديه فأشار ابن المعوج الى الحاجب مظفر ، وقال له : تصرف الجماعة للخولة وتعود أنت بمفردك ، فلما صاروا بالدلهيز قال له : تصون الباب . ففعل . فلما عاد قال له ، أتقول للحكيم فيماذا أتينا ؟ فقال له الحاجب : ان مولانا جاء اليك يعرفك انه كان قد استقر عليه قرية مبلغها ثلاثة آلاف دينار وانه صح منها ألفا دينار وتحلف عليه ألف دينار ، وكان سأل الخليفة انظاره الى أوان الغلة فلم يتحصل له من ملكه في هذه السنة شيء ، وقد أنفذ الديوان وضايق على ذلك . وقد رهن كتب داره على خمسائة دينار ، وهو يسألك ان تسأل الخليفة أن يؤخر الى سنة أخرى بالباقي الى حين أوان الغلة . فقال : السمع والطاعة ، أخدم وابالغ وأقول ما يتعين . فنهض من عنده فلما كان من القعد نهوضه من الديوان صرف الحاشية على العادة ، وقال : يا مظفر نمضي اليه ، فان كان قد خاطب الخليفة سمعنا الجواب ، وان لم يكن خاطبه فيكون على سبيل الاذكار . فمضى اليه واستأذن عليه فأذن له وخرج الى الباب وقبل يده مثل ذلك ودعا له . فلما دخل وجلس أخرج له خط الخليفة بوصول الخمسائة دينار ، وقال له : هذه كتب الدار التي رهنها مولانا يقبلها من الخادم وكان قد استفكها من ماله . فشكره وقبض الكتب والخط وانصرف .

فلما جاوز الدلهيز صاح بالحاجب مظفر ، واخرج له منشقة فيها جبة خارا وبقيار قصب وقيص

تحتاني انطاكي ولباس دمياطي^(١) ، وفيه تكة ابريسم^(٢) 'وصرة فيها خمسون ديناراً ، وقال له : أريد من انعام مولانا يلبس هذه الثياب وأراها عليه وهذه الخمسون ديناراً برسم الحمام ؛ وأعطى الحاجب جبة عتاي وعشرين ديناراً ، وأعطى الدواقي جبة عتاي وخمسة دنانير ، وأعطى الركابي دينارين ، وقال : اسأل مولانا ان يشرف الخادم بقبول ذلك . فضى الحاجب بالجميع الى ابن الموج ، وشرح له الحال فقبله منه .

أبو طاهر بن البرخشي

هو موفق الدين أبو طاهر أحمد بن محمد بن العباس ، يعرف بابن البرخشي ، من أهل واسط . فاضل في الصناعة الطبية ، كامل في الفنون الأدبية . وقد رأيت من خطه ما يدل على رزانة عقله وغزارة فضله وكان في أيام المسترشد بالله .

حدثني شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد بن الكريم البغدادي قال : حدثني أحمد بن بدر الواسطي قال : كان الحكيم أبو طاهر أحمد بن محمد البرخشي بواسط يعالج مريضاً به أحد أنواع الاستسقاء^(٣) ، فطال به المرض ولم ينجع فيه علاج . وعبر حد الحمية فسهل له في استعمال مهما طلبته النفس ومالت اليه الطبيعة من المأكول والأغذية . فاطلق المريض يده ثم أكل ما تهيأ له . فلما كان في بعض الايام اجتاز به انسان يبيع الجراد المسلوقة في الماء والملح . فمالت اليه نفس المريض فطلبه ثم اشترى منه وأكل ، فعرض له من ذلك اسهال مفرط ، وانقطع الحكيم عنه لما رأى به من الافراط في الاسهال . ثم افاق منه بعد أيام ، وأخذ المزاج في الصلاح وابتدأ به البرء ، وتدرجت حاله الى كمال الصحة ، والحكيم قد أيس من صلاحه . فلما علم الحال أراه وسأله عما استعمل ومم وجد الخف ؟ فقال : لا أعرف إلا انني منذ أكلت الجراد المسلوقة شرعت في العافية . ففكر الحكيم في ذلك طويلاً ثم قال : ليس هذا من فعل الجراد ولا من خاصته .

وسأل المريض عن بائع الجراد فقال لا أعلم بمكانه ولكنني ان رأيت عرقته . فشرع الحكيم في البحث والسؤال عن كل من يبيع الجراد وهو يحضره الى المريض واحداً بعد واحد الى ان عرف صاحبه الذي اشترى منه . فقال له الحكيم : أتعرف الموضع الذي صدت منه الجراد الذي أكل منه هذا المريض ؟ قال : نعم . قال : امض بنا اليه . فمضيا جميعاً الى المكان ، واذا هناك حشيشة يرعاها الجراد . فاخذ الحكيم من تلك الحشيشة ، ثم كان يداوي بها من الاستسقاء ، وأبرأ بها جماعة من هذا المرض ، وذلك معروف مشهور بواسط .

أقول : وهذه هي حكاية قديمة قد جرى ذكرها ، وان تلك الحشيشة التي كان الجراد يرعاها هي

(١) نسبة الى دمياط وهي مدينة في صعيد مصر على نهر النيل شهيرة بالقماش.

(٢) الحرير او الخام منه «ن.د»

(٣) تجمع سوائل مصلية في تعريف او اكثر من تجايف الجسد او في خلاياه .

المأزبون (١) ، وقد ذكرها أيضاً القاضي التنوخي في كتاب « الفرج بعد الشدة » .
 وكان أبو طاهر بن البرخشي حياً بواسط في سنة ستين وخمسة ، وكان عنده أدب بارع ، ومعرفة
 في النظم والنثر . ومن شعره قال في غلام ناول خللا .

وناولني من كفه مثل خصره ومثل محب ذاب من طول هجره
 وقال خلالي ؟ قلت : كل حميدة ، سوى قتل صب حار فيك بأسره
 الطويل

وقال في انسان سوء حج من بعض قرى واسط :
 لما حبجت استبشرت واسط وقوليا فتى مرشد (٢)
 وانتقل الويل الى مكة وركنها والحجر الاسود
 (السريع)

وقال أيضاً ، وقد رأى انساناً يكتب كتاباً الى صديق له فكتب في صدره العالم :
 لما انمحت سنن المكارم والعلی وغدا الانام بوجه جهل قائم
 ورضوا باسماء ولا معنى لها مثل الصديق تكتبوا بالعالم
 (التامل)

وكتب اليه نجم الدين أبو الغنائم محمد بن علي بن المعلم الهريشي الشاعر الواسطي وقد أبيل من
 مرض وألزمه الحمية ومنعه الغذاء :

صبحت فخرأ بالمنى واغتدى قدرك فوق النجم مرفوعا
 يا منقذي من حلقات الردى حاشاك أن تقتلني جوعا
 (السريع)

فكتب ابن البرخشي اليه الجواب :

تبت مرسومك يا ذا العلى لا زال مرسومك متبوعا
 لكن اشفاقي على من به أمسى غريب القول مسموعا
 أوجب تأخيراً الغذاء يومنا وفي غد نستدرك الجوعا
 اصبر فما أقصرها مدة وان تلكأت فاسبوعا
 فأجابه هو :

يا عالماً اين ثوى رحله أجرى من العلم ينايما
 لم عندك الاعمار موصولة يضحى ويمسي الرزق مقطوعا

(١) جلس من الجنبات والجنبيات للترزين .

(٢) قوله قوليا فتى مرشد الانسان بها .

والله ان بت ولم يجدي
ليخلعن الجوع مني الحيا
شعري يا ذا الفضل منفعلا
وأوسعن العلم تقطيعا

ابن صفية

هو أبو غالب بن صفية ، وكان نصرانياً . وقال بعض العراقيين : أن أبا المظفر يوسف المستنجد^(١) بالله كان خليفة صارماً متيقظاً فتاكاً ، وكان وزيره أبو المظفر يحيى بن^(٢) هبيرة ، ثم توفي فاستوزر شرف الدين بن البلدي ، وكان يجري مجراه . وكان في الدولة أمراء أكابر ، كان متقدم الجماعة قطب الدين قايماز ، وكان أصله أرمنياً : وقد عظم شأنه وعلا مكانه واستولى على البلاد وتحكم في الدولة ، ولم يبق له ضد ولا مناو، وعهد الى أكابر أمراء الدولة فزوجهم ببناته ، وكان بينه وبين الوزير مودة . ثم ان الخليفة مرض وكان طبيبه ابن صفية أبو غالب النصراني ، وكان الوزير ابن البلدي يحذر الخليفة ويخوفه من استقالة قطب الدين ومن يجري معه من الأمراء ، فاطلع الطبيب على بعض الاحوال وأراد التقرب عند الامير قطب الدين ، فنقل اليه الحديث ، واستمر الحال على ذلك .

فلما مرض الخليفة عزم في القبض على قطب الدين وجماعته ، واطلع ابن صفية على ذلك ، فمضى على قطب الدين وعرفه الحال وقال له : قد جرى من الوزير كذا وكذا فتعده به قبل ان يتعمش بك . فاخذ قطب الدين يعمل فكرته ورأيه في التدبير في مكاييد الوزير ، وثقل الخليفة في المرض واشتغل عما كان قد دبره مع الوزير في القبض على الامراء . فاجتمع قطب الدين رأيه على قتل الخليفة ثم يتفرغ لهلاك الوزير ، فأسفر رأيه على انه قرر مع ابن صفية الطبيب أن يصف للخليفة الحمام ، فدخل الحكيم الى الخليفة وأشار بالحمام والخليفة يعلم من نفسه الضعف فأبى ذلك . فدخل قطب الدين وبعض الجماعة وقال : يا مولانا ، الحكيم قد أشار بالحمام ، فقال قد رأينا أن تؤخره ، فغلبوا على رأيه وأدخلوه الحمام ، وقد كان اوقد عليه ثلاثة أيام بلياليهن وردوا عليه باب الحمام ساعة فمات . وظهروا الحزن العظيم وأتوا الى ولده أبي محمد الحسن فاستخلفوه على ما أرادوا وباعوه ، ولقب بالمستضيء^(٣) بامر الله ، وأقام مدة وفي نفسه شيء مما فعلوا . وكان قد استوزر عضد الدين^(٤) أبا الفرج ابن رئيس الرؤساء ، وكان ابن صفية الطبيب على حاله ملازم الخدمة ، فشرع الخليفة في الاستبداد بالأمور مع وزيره وكان قطب الدين قايماز وابن صفية مها اطلع عليه من الاحوال نقله الى قطب الدين وهو متردد

(١) الخليفة العباسي الثاني والثلاثون تأمر عليه اهل البلاد مسح الطبيب فوصف له الحمام ليمجروا موته فحبسه فيه حتى مات . وفي أيامه سقطت سلالة الفاطميين في مصر (١١١٦ - ١١٧٠) .

(٢) عون الدين ابو المظفر يحيى ابن هبيرة وزير القنفي (١٠٩٧ - ١١٦٥) (ن . ر)

(٣) الخليفة الثالث والثلاثون العباسي وامه ارمنية وقد خطب باسمه في مصر واليمن بعد قتل ابيه المستنجد . واحتجب عند ظهور صلاح الدين « ١١١٨ - ١١٨٠ » .

(٤) هو الاستاذ الدار الوزير ، تغلب على الخليفة المستنجد وادخله الحمام وهو مريض حتى مات . وقتله الاسماعيليون سنة ١١٨٧ « ن . ر » .

الى الدار ، ولا يمنع لكونه طبيب الخدمة . فاستحضره الخليفة ليلاً وقال له : يا حكيم عندي من أكره رؤيته وأريد إبعاده بوجه لطيف غير شفيح ، فقال له : نرتب له شربة قوية بالغة يشربها ، وقد حصل الخلاص منه كما تؤثر . فمضى وركب شربة كما وصف وأحضرها ليلاً ودخل بها الى عند الخليفة ، ففتحها ونظر اليها ، وقال : يا حكيم استف هذه الشربة حتى نجرب فعلها ، فتلوى من ذلك وقال : الله الله يا مولانا في ؟ فقال له : الطبيب متى تعدى حده وتجاوز طوره وقع في مثل هذا ، وليس لك من هذا خلاص إلا السيف . فاستف الحكيم الشربة التي ركبها وفر من الهلاك الى الهلاك . ثم خرج من دار الخليفة وكتب الى الأمير قطب الدين يشعره بالخال ويقول له : والانتقال من أمري إلى أمركم . ثم هلك .

وأما قطب الدين فعزم أن يوقع بالخليفة ، فرد الله سبحانه كيده اليه ، ونهبت أمواله وهرب من بغداد بنفسه ومضى الى الشام الى الملك الناصر صلاح^(١) الدين فلم يقبله . وعاد على طريق البرية الى الموصل فمضى في الطريق ثم دخل الموصل فمات بها . أقول : وضد هذه الحكاية ما حدثني به شمس الدين محمد بن الحسن بن الكريم البغدادي عن بعض المشايخ ببغداد قال :

كان السلطان محمد بن محمود خوارزمشاه^(٢) قد حضر بغداد في سنة^(*) وخمسائة فمرض وهو بعسكره ظاهر البلد ، ومرض الخليفة المقتفي^(٣) أبو عبد الله محمد بن المستظهر ببغداد ، فانفذ السلطان يلتمس الرئيس أمين الدولة بن التلميز فاخرج الى ظاهر المدينة فكان يداويه بظاهر بغداد ، ويداوي الخليفة ببغداد فقال له وزير السلطان : أيها الرئيس انني قد كنت عند السلطان ، وذكرت له من فضلك وأدبك ورأستك ، وقد أمر لك بعشرة آلاف دينار . فقال له : يا مولانا ، قد أمر لي من بغداد بأثني عشر ألف دينار أفيأذن لي في قبولها السلطان ؟ يا مولانا ، أنا رجل طبيب ، لا أتجاوز وظائف الأطباء وما يلزمهم ، ولا أعرف الماء الشعير والنقوع وشراب البنفسج والنيلوفر^(٤) ، ومتى أخرجت عن هذا لا أعرف شيئاً .

وكان الوزير قد عرض له في حديثه بما معناه انه يدبر في ائتلاف الخليفة ، وقدر الله سبحانه براء الخليفة والسلطان ووقع الصلح بينهما على ما اقترحه الخليفة . وهذا كان من عقل الرئيس أمين الدولة ودينه وأمانته ، فانه كان يقول : لا ينبغي للطبيب ان يداخل الملوك في اسرارهم ، ولا يتجاوز كما

(١) هو صلاح الدين الايوبي مؤسس الدولة الايوبية اشتهر بكرمه وعزة نفسه، ولد في تكريت وتوفي في دمشق. (١١٣٨ - ١١٩١) . وهزم الافرنج في وقعة حطين .

(٢) لقب ملوك خوارزم ومحمد هذا هو السلطان السلجوقي ابو شجاع غياث الدين والدنيا (١١٥٣ - ١١٥٩) وقتك يجيش الخليفة المقتفي وحاصره في بغداد .

(٣) الخليفة الواحد والثلاثون العباسي قبض بيده على الملك فتضاءل نفوذ السجاقين . وفي ايامه خرج امير الموصل ونكى ثم ابنه نورالدين للجهاد في الحروب الصليبية .

(٤) دج من الرياحين ينبت في المياه الراكدة « ن. ر »

(٥) بياض : لاصل .

تقدم ذكره ماء الشعير والنقوع والشراب ، فتى جاوز هذا تلف وكان سبب هلاكه . وكان ينشد :
 واذا أنبت المهيمن للنمل
 جناحاً أطارها للتردي
 ولكل امرئ من الناس حد
 وهلاك الفتى جواز الحد
 (الحقيف)

امين الدولة بن التليذ

هو الاجل موفقى الملك أمين الدولة أبو الحسن هبة الله بن أبي العلاء صاعد بن ابراهيم بن التليذ
 أوحده زمانه في صناعة الطب ، وفي مباشرة أعمالها . ويدل على ذلك ما هو مشهور من تصانيفه
 وحواشيه على الكتب الطبية ، وكثرة من رأيناه ممن قد شاهده . وكان ساعور^(١) البهارستان العضدي
 ببغداد الى حين وفاته . وكان في اول امره قد سافر الى بلاد العجم ، وبقي بها وهو في الخدمة سنيناً
 كثيرة . وكان جيد الكتابة يكتب خطاً منسوباً .

وقد رأيت كثيراً من خطه وهو في نهاية الحسن والصحة . وكان خبيراً باللسان السرياني والفارسي
 متبحراً في اللغة العربية . وله شعر مستطرف حسن المعاني ، الا ان أكثر ما يوجد له البيتان أو
 الثلاثة وأما القصائد فلم أجده منها الا القليل . وكان أيضاً يترسل ، وله ترسل كثير جيد . وقد
 رأيت له من ذلك مجلداً ضخماً كله يحتوي على انشاء ومراسلات وأكثر أهل كتاب .

وكان والد أمين الدولة وهو أبو العلاء صاعد طبيباً فاضلاً مشهوراً . وكان أمين الدولة وأوحده
 الزمان أبو البركات في خدمة المستضيء بأمر الله . وكان أبو البركات أفضل من ابن التليذ في
 العلوم الحكيمة وله فيها كتب جليلة ، ولو لم يكن له الا كتابه المعروف بالمعتبر لكفى .
 فاما ابن التليذ فكان أكثر تبصره بصناعة الطب واشتهر بها . وكان بينهما شأن وعداوة ، إلا أن
 ابن التليذ كان أوفر عقلاً وأخير طباعاً من أبي البركات . ومن ذلك ان أوحده الزمان كان قد كتب
 رقعة يذكر فيها عن ابن التليذ أشياء يبعد جداً ان تصدر عن مثله ، ووهب لبعض الخدم شيئاً
 واستسره ان يرميها في بعض طرق الخليفة من حيث لا يعلم بذلك أحد ، وهذا مما يدل على شر عظيم .
 وان الخليفة لما وجد تلك الرقعة صعب عليه جداً في اول امره ، وهم ان يوقع بأمين الدولة . ثم انه
 بعد ذلك رجع الى رأيه واشير عليه ان يبحث ويستأصل عن ذلك ، وان يستقر من الخدم من يتهم
 بهذا الفعل . ولما فعل ذلك انكشف له ان اوحده الزمان كتبها للوقعة بابن التليذ ، فحنق عليه حنقاً
 عظيماً ووهب دمه وجميع ماله وكتبه لأمين الدولة بن التليذ . ثم ان أمين الدولة كان عنده من كرم
 الطباع وكثرة الخيرية انه لم يتعرض له بشيء . وبعد أوحده الزمان بذلك عن الخليفة والمخطت منزلته
 ومن مطبوع ما لأمين الدولة فيه ، قوله :

لنا صديق يهودي حماقته اذا تكلم تبدو فيه من فيه

(١) المتقدم في صناعة الطب وهنا بمعنى رئيس الاطباء .

يتيه والكلب أعلى منه منزلة كأنه بعد لم يخرج من التيه
(البسيط)

ولبعضهم في امين الدولة وأوحد الزمان :
أبو الحسن الطيب ومقتفيه
فهذا بالتواضع في الثريا
أبو البركات في طرفي نقيض
وهذا بالتكبر في الخيض
(الوافر)

ونقلت من خط الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي فيما حكاه عن الاجل أمين الدولة بن التليذ قال : كان أمين الدولة حسن العشرة ، كريم الاخلاق ، عنده سخاء ومروءة ، وأعمال في الطب مشهورة ، وحدوس صائبة . منها انه أحضرت اليه امرأة محمولة لا يعرف أهلها في الحياة هي أم في الممات ، وكان الزمان شتاء ، فأمر بتجريدتها وصب الماء المبرد عليها صباً متتابعاً كثيراً . ثم أمر بنقلها الى مجلس دفيء قد بنجر بالعود^(١) والند^(٢) ، ودثرت بأصناف الفراء ساعة ، فغطست وتحركت وقعدت وخرجت ماشية مع أهلها الى منزلها .

قال : ودخل اليه رجل منزل يعرق دماً في زمن الصيف ، فسأل تلاميذه وكانوا قدر خمسين نفساً فلم يعرفوا المرض ، فأمره أن يأكل خبز شعير مع باذنجان مشوي ، ففعل ذلك ثلاثة أيام فبرأ . فسأله أصحابه عن العلة فقال : ان دمه قد رق ومسامه قد تفتحت ، وهذا الغذاء من شأنه تغليظ الدم وتكثيف المسام .

قال : ومن مروءته ان ظهر داره كان يلي النظامية ، فاذا مرض فقيه نقله اليه ، وقام في مرضه عليه ، فاذا أبل وهب له دينارين وصرفه .

وبما حكاه ايضاً عن أمين الدولة بن التليذ وكأنه قد تجاوز في هذه الحكاية قال : وكان أمين الدولة لا يقبل عطية الا من خليفة أو سلطان ، فعرض لبعض الملوك النائية داره مرض مزمن فقيل له : ليس لك الا ابن التليذ ، وهو لا يقصد أحداً فقال : أنا أتوجه اليه . فلما وصل أفرد له ولغلمانه دوراً وأفاض عليه من الجرايات قدر الكفاية ، ولبت مدة فبرىء الملك وتوجه الى بلاده وأرسل اليه مع بعض التجار أربعة آلاف دينار وأربعة تحوت عتايي وأربعة ممالك وأربعة افراس ، فامتنع من قبولها وقال : علي يميناً ان لا أقبل من أحد شيئاً فقال التاجر : هذا مقدار كثير ، قال : لما حلفت ما استثنيت . وأقام شهراً يراوده ولا يزداد الا إباء . فقال له عند الوداع : ها انا اسافر ولا ارجع الى صاحبي ، وامتنع بالمال فتقلد منته ، وتقوتك منفعته ، ولا يعلم احد بأنك رددته . فقال : ألسنت اعلم في نفسي اني لم اقبله ، فنفسي تشرف بذلك ، عليم الناس او جهلوا .

وحدثني الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي ، قال : حدثني الشيخ موفق الدين اسعد بن الياس بن

«١» ضرب من الطيب يتبخر به .

«٢» عود يتبخر به .

المطران ، قال : حدثني ابي : حدثني اسمعيل بن رشيد قال ؛ حدثني ابو الفرج بن توما وأبو الفرج المسيحي ، قالوا : كان الاجل أمين الدولة بن التلميذ جالساً ونحن بين يديه اذ استأذنت عليه امرأة ومعه صبي صغير ، فأدخلت عليه ، فحين رآه بدرها فقال ان صبيك هذا به حرقة البول ، وهو يقول الرمل ، فقالت : نعم . قال : فيستعمل كذا وكذا وانصرفت . قالوا : فسألناه عن العلامة الدالة على ان به ذلك ، وانه لو ان الآفة في الكبد او الطحال لكان اللون من الاستدلال مطابقاً . فقال : حين دخل رأيته يولع باحليله ويحككه ، ووجدت أنامل يديه مشققة قاحلة ، فعلمت أن الحكمة لاجل الرمل ، وان تلك المادة الحادة الموجبة للحكة والحركة ربما لامست أنامله عند ولوعه بالقضيب فتفحل وتشقق ، فحككت بذلك وكان موافقاً .

ومن نوادر امين الدولة وحسن إشارته : انه كان يوماً عند المستضيء^(١) بأمر الله ، وقد أسن امين الدولة . فلما نهض للقيام توكأ على ركبتيه ، فقال له الخليفة : كبرت يا امين الدولة . فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، وتكسرت قواريري ، ففكر الخليفة في قول امين الدولة وعلم انه لم يقله الا لمعنى قد قصده وسأل عن ذلك فقيل له : ان الامام المستنجد بالله كان قد وهبه ضيعة تسمى قوارير وبقيت في يده زماناً ، ثم من مدة ثلاث سنين حط الوزير يده عليها . فتمعجب الخليفة من حسن أدب أمين الدولة ، وانه لم ينه أمرها اليه ولا عرض بطلبها . ثم أمر الخليفة باعادة الضيعة الى امين الدولة ، وان لا يعارض في شيء من ملكه .

ومن نوادره : ان الخليفة كان قد فوض اليه رئاسة الطب ببغداد ، ولما اجتمع اليه سائر اطباء ليرى ما عند كل واحد منهم من هذه الصناعة ، كان من جملة من حضره شيخ له هيئة ووقار وعنده سكينه ، فأكرمه أمين الدولة وكانت لذلك الشيخ درجة ما بالمعالجة ، ولم يكن عنده من علم صناعة الطب الا التظاهر بها . فلما انتهى الامر اليه قال له امين الدولة : ما السبب في كون الشيخ لم يشارك الجماعة فيما يبحثون فيه حتى نعلم ما عنده من هذه الصناعة ؟ فقال يا سيدنا ، وهل شيء مما تكلموا فيه الا واثا أعلمه ، وقد سبق الى فهمي أضعاف ذلك مرات كثيرة ؟ فقال له امين الدولة : فعلى من كنت قد قرأت هذه الصناعة ؟ فقال الشيخ : يا سيدنا اذا صار الانسان الى هذه السن ما يبقى يليق به إلا ان يسأل كم له من التلاميذ ، ومن هو المتميز فيهم . واما المشايخ الذين قرأت عليهم فقد ماتوا من زمان طويل . فقال له امين الدولة : يا شيخ ، هذا شيء قد جرت العادة به ولا يضر ذكره ، ومع هذا ، فما علينا ، اخبرني اي شيء قد قرأته من الكتب الطبية ؟ وكان قصد امين الدولة : ان يتحقق ما عنده . فقال : سبحان الله العظيم ، صرنا الى حد ما يسأل عنه الصبيان ، وأي شيء قد قرأته من الكتب ، يا سيدنا لئلي ما يقال إلا اي شيء صنفته في صناعة الطب ، وكم لك فيها من الكتب والمقالات ؟ ولا بد انني اعرفك بنفسي . ثم انه نهض الى امين الدولة ودنا منه وقعد عنده ، وقال

(١) هذا خطأ من المؤلف لأن المستضيء تولى الخلافة سنة ١١٧١ والشيخ امين الدولة توفي سنة ١١٦٥ وارجح ان الخليفة هو المقتفي وهو الخليفة الثاني والثلاثون والامام المستنجد الذي وهبه قوارير هو الخليفة الواحد والثلاثون . بينا المستضيء هو الخليفة الثالث والثلاثون . «ن.ر»

له ، فيما بينها : يا سيدي ، اعلم انني قد شخت وانا اوسم بهذه الصناعة ، وما عندي منها الا معرفة اصطلاحات مشهورة في المداراة ، وعمري كله اتكسب بها ، وعندني عائلة ، فسألك بالله يا سيدنا مشي حالي ولا تفضحني بين هؤلاء الجماعة . فقال امين الدولة : على شريطة ، وهي انك لا تهجم على مريض بما تعلمه ، ولا تشير بفصد ولا بدواء مسهل الا لما قرب من الامراض . فقال الشيخ : هذا مذهبي منذ كنت ، ما تعديت السكنجيين والجلاب . ثم ان امين الدولة قال له معلناً ، والجماعة تسمع : يا شيخ ، اعذرنا فائنا ما كنا نعرفك ، والآن فقد عرفناك ، استمر فيما انت فيه ، فان احداً ما يعارضك . ثم انه عاد بعد ذلك فيما هو فيه مع الجماعة ، وقال لبعضهم : على من قرأت هذه الصناعة ؟ وشرع في امتحانه ، فقال يا سيدنا . انا من تلامذة هذا الشيخ الذي قد عرفته ، وعليه كنت قد قرأت صناعة الطب . ففطن أمين الدولة بما اراد من التعريض بقوله ، وتبسم ثم امتحنه بعد ذلك .

وكان لامين الدولة بن التلميذ اصحاب وجماعة يترددون اليه ، فلما كان في بعض الايام أتى اليه ثلاثة ، منجم ، ومهندس ، وصاحب أدب . فسألوا عن امين الدولة غلامه قنبر ، فذكر لهم ان سيدة ليس في الدار ، وانه لم يأت في ذلك الوقت . فراحوا ، ثم انهم عادوا في وقت آخر ، وسألوه عنه ، فذكر لهم مثل قوله الأول . وكان لهم ذوق من الشعر فتقدم المنجم وكتب على الحائط عند باب الدار

قد بلينا في دار أسعد قوم ، بمدير

ثم كتب المهندس بعده :

بقصير مطول وطويل مقصر

ثم تقدم صاحب الادب وكان عنده مجون فكتب :

كم تقولون قنبراً دحرجوا رأس قنبراً

(الخفيف)

ومضوا . فلما جاء أمين الدولة قال له قنبر : يا سيدي جاء ثلاثة الى ههنا يطلبونك ، ولما لم يحذوك ، كتبوا هذا على الحائط . فلما قرأه أمين الدولة قال لمن معه : يوشك أن يكون هذا البيت الاول خط فلان المنجم ؛ وهذا البيت الثاني خط فلان المهندس ؛ وهذا الثالث خط فلان صاحبنا ، فان كل بيت يدل على شيء مما يعانيه صاحبه . وكان الأمر كما حدسه أمين الدولة سواء . وكانت دار أمين الدولة هذه يسكنها ببغداد في سوق العطر بما يلي بابة الجاور لباب الغربية من دار الخلافة المعظمة ، بالشرعة النازلة الى شاطئ دجلة .

وقال أمين الدولة بن التلميذ : فكرت يوماً في أمر المذاهب فرأيت هاتفاً في النوم وهو ينشدني .

أعوم في بحرك علي أرى فيه لما أطلبه قمر

فما أرى فيه سوى موجة تدفعني عنها الى أخرى
(السريع)

وحدثني سعد الدين بن أبي السهل البغدادي العواد ، وكان قد عمر ، قال : رأيت أمين الدولة بن التليذ واجتمعت به ، وكان شيخاً ربع القامة ، عريض اللحية ، حلو الشائل ، كثير النادرة . قال : وكان يحب صناعة الموسيقى وله ميل الى أهلها .

وحدثني سديد الدين محمود بن عمرو ، رحمه الله ، قال : حدثني الامام فخر الدين محمد بن عبد السلام المارديني ، وكان صديقاً لأمين الدولة وعاشره مدة ، قال : كان الاجل أمين الدولة بن التليذ من المميزين في العربية ، وكان يحضر مجلسه في صناعة الطب خلق كثير يقرأون عليه . وكان اثنان من النحاة يلزمان مجلسه ولهما منه الانعام والافتقاد ، فكان من يحده من المشتغلين عليه يلحن كثيراً في قراءته ، أو هو ألكن ^(١) يترك أحد ذينك النحويين يقرأ عنه وهو يسمع . ثم يأمر ذلك التليذ أيضاً بأن يقرر للنحوي شيئاً يعطيه إياه عن قراءته عنه . وكان لأمين الدولة ولد ، ولم يكن مدركاً لصناعة الطب ، وكان في سائر أحواله بعيداً عما كان عليه أمين الدولة . ولأمين الدولة فيه :

أشكو الى الله صاحباً شكساً تسعفه النفس وهو يمسفها
فنحن كالشمس والهلل معاً تكسبه النور وهو يكسفها
(المسرح)

وكان أمين الدولة يؤنب ولده أيضاً بهذا البيت :
والوقت أنفس ما عنيت بحفظه ، وأراه أسهل ما عليك يضيع
(الكامل)

وحدثني الشيخ الامام رضي الدين ^(٢) الطبيب الرحي رحمه الله قال : اجتمعت في بغداد بآمين الدولة ، فلما جرى بيننا حديث قال في سياقة كلامه : ان في السماء من الجانب الجنوبي مثقبا تطلع فيه الاذخنة ، وتزل منه الارواح . وبدت منه أشياء كثيرة من هذا القبيل ظهر بها ان ليس عنده شيء من تحقيق العلم ، ولا له فطرة سليمة .

وحدثني الشيخ السني البعلبيكي الطبيب قال : راح من عندنا من دمشق ثلاثة من أطباء النصارى الى بغداد ، سمهم ، فلما اقاموا بها سمعوا بآمين الدولة ، فقالوا : « سمعة والده عظيمة ، والمصلحة اننا نروح اليه ونسلم عليه ونخدمه ، ونكون قد اجتمعنا به قبل السفر الى الشام . فقصدوا داره ودخلوا اليه وسلموا وعرفوه انهم نصارى ، وان قصدوا التشرف برؤيته ، فأكرمهم وأجلسهم عنده . قال السني فحدثوني انه تبين لهم سخافة عقل وضعف رأي . وذلك انه من جملة ما

(١) المي اللسان .

(٢) هو الامام ابو الحجاج يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحي رسياتي الكلام عنه في طبقة الاطباء المشهورين من اطباء الشام .

حدثهم انه قال : يقولون ان الشام مليح ؛ ودمشق طيبة ، وانا قد عزمت ان ابصرها ، إلا انني أعمل من حيث العلم والهندسة شيئاً اكون اذا سافرت اليها يكون بسهولة ، ولا أجد كلفة . قالوا : فقلنا له يا سيدنا ، كيف تعمل ؟ فقال : اما تعلمون ان الشام منخفض عن اقليم بغداد وانه مستقل عنه ، وذلك المذكور في علم الهيئة وارتفاع المواضع بعضها على بعض . فقلنا : نعم يا سيدنا . فقال : أستعمل عجلاً من الخشب ب بكر كبار ، ويكون فوقهم دقوف مبطونة مسمرة ؛ واجعل فوقهم جميع ما احتاج اليه ؛ واذا اطلقنا المعجل تروح بالبكر بسرعة في الانحدار ، ولا تزال كذلك الى ان نصل الى دمشق بأهون سعي . قالوا : فتمعجبنا من غفلته وجهله . ثم قال : والله ما تروحون حتى اضيفكم وتأكلون عندي طعاماً . وصاح بالفراش فاحضر سفرة فاخرة ومد عليها رقاقاً رقيقاً ابيض لا يكون شيء احسن منه ، كأنه النصافي البغدادية ، وهناباً فيه خل وهندبا^(١) منقاة جعلها حواليه ، ثم قال : بسم الله كلوا . قالوا : فاكلنا شيئاً يسيراً اذ هو على خلاف عادتنا في الأكل . ثم رفع يديه وقال : يا غلام هات الطست ، فاحضر طستاً مفضضاً وقطعة صابون رقى كبيرة ؛ وسكب عليه الماء وهو يغسل يديه فأرغى الصابون ثم مسح به فمه ووجهه ولحيته ، حتى بقيت عيناه ووجهه ملآن من ذلك الصابون وهو أبيض ، ونظر الينا . قالوا وكان منا فلان لم يتألك ان ضحكك وزاد عليه وقام فخرج من عنده . فقال : ما لهذا ؟ فقلنا له : يا سيدنا هذا فيه خفة عقل وهذه عادته . فقال : لو أقام عندنا داوينا ، فتمعجبنا منه ثم ودعنا وانصرفنا ، ونحن نسأل الله العافية مما كان فيه من الجهل .

وحدث بعض العراقيين ان امين الدولة مات ، لصديق له ولد ، وكان ذا أدب وعلم ، ولم يعزه امين الدولة . فلما اجتمع به بعد ذلك عتب عليه اذ لم يعزه عن ولده للمودة التي بينهما . فقال امين الدولة : لا تلني في هذا ، فوالله انا أحق بالتمزية منك ، اذ مات ولدك وبقي مثل ولدي .

ووجدت كلاماً لأمين الدولة في ضمن رسالة كتبها الى ولده ، وكان يعرف برضي الدولة أبي نصر قال : والتفت بذهنك عن هذه الترهات^(٢) الى تحصيل مفهوم تتميز به . وخذ نفسك من الطريقة بما كررت تنبيهك عليه ، وارشادك اليه ، واغتم الامكان ، واعرف قيمته . وتشاغل بشكر الله تعالى عليه . وفز بحظ نفيس من العلم تثق من نفسك بان عقلته وملكته ، لاقرأته ورويته ، فان بقية الحظوظ تتبع هذا الحظ المذكور وتلزم صاحبه . ومن طلبها من دونه ، فاما أن لا يجدها ، واما ان لا يعتمد عليها اذا وجدها ولا يثق بدوامها . واعوذ بالله أن ترضى لنفسك الا بما يليق بمثلك أن يتسامى اليه بعلو همته ، وشدة أنفته ، وغيرته على نفسه . وبما قد كررت عليك الوصاة به ان لا تحرص على أن تقول شيئاً لا يكون مذهباً في معناه ولفظه ، ويتعين عليك ابراده . فاما معظم حرصك فتصرفه الى ان تسمع ما تستفيده لا ما يلبيك ويلذ للاغمار^(٣) وأهل الجهالة ، نزهك الله

(١) البقلة المعروفة .

(٢) الأباطيل والدوامي .

(٣) واحدها غمر وهو الذي لم يجرب الامور اي الجاهل .

عن طبقتهم ، فان الامر كما قال أفلاطون : « الفضائل مرة الورد حلوة الصدر ، والردائل حلوة الورد مرة الصدر ». وقد زاد ارسطوطاليس في هذا المعنى فقال : « ان الردائل لا تكون حلوة الورد عند ذي فطرة فائقة ، بل يؤذيه تصور قبحها أذى يفسد عليه ما يستلذه غيره منها » . وكذلك يكون صاحب الطبع الفائق قادراً بنفسه على معرفة ما يتوخى وما يجتنب ، كالتمام الصحة يكفي حسه في تعريفه النافع والضار . فلا ترض لنفسك ، حفظك الله ، إلا بما تعلم انه يناسب طبقة امثالك . واغلب خطرات الهوى بعزيمات الرجال الراشدين ؛ واطمح بنفسك اليها تتركك في طاعة عقلك . فانك تسر بنفسك وتراها في كل يوم مع اعتماد ذلك في رتبة عليّة ، ومرقاة من سماء في السعادة .

وكانت وفاة أمين الدولة ببغداد في الثامن والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ستين وخمسةائة ، وله من العمر أربع وتسعون سنة . ومات نصرانياً ، وخلف نعماً كثيرة وأموالاً جزية ، وكتباً لا نظير لها في الجودة . فورث جميع ذلك ولده وبقي مدة ، ثم ان ولد أمين الدولة خنق في دهليز داره الثلث الاول من الليل ، وأخذ ماله ، ونقلت كتبه على اثني عشر جملاً الى دار المجد بن صاحب . وكان ابن أمين الدولة قد أسلم قبل موته . وقيل انه كان شيخاً قد ناهز الثمانين سنة .

ووجدت في أثناء كتاب كتبه السيد النقيب الكامل بن الشريف الجليل الى أمين الدولة بن التليد وهو يمتدحه فيه بهذه القصيدة :

امين الدولة أسلم للايادي	علي رغم المناوي والمعادي
وللمعروف تنشره اذا ما	طواه تناوب النوب الشداد.
فأنت المرء تلغى حين تدعى ،	جواداً بالطريف وبالتلاد ،
وصولا للخليل على التناهي ،	ودوداً لا يحول عن الوداد ،
سديد الرأي والأقوال تأبى	نهاء أن يميل عن السداد .
سأشكر ما صنعت من الايادي	اليّ على التداني والبعاد ،
وأنتي ، والثناء عليك حق ،	بما أوليتني في كل نادي .
وهل شكري على مر الليالي	ينال مدى ولائي واعتقادي؟
دعوتك ، والزمان به حران ،	فأمسى وهولي سهل القياد ،
أنادي به فيسمعي ، وقدماً	تجانب لي أصم عن المنادي .
وكم من منة لك لا توازي	بلا منّ لدي ولا اعتداد ،
ومن بيضاء قد عمرت بقلبي	عملك منه في أقصى سواد ،
أرى الاشواق نحوك في فؤادي	كمثل النار في حجر الزناد ^(١)
متى ولعت به ذكراك كادت	لحر الوجد تلفظني بلادي .
تحن ركائي واحن شوقا	اذا خطر اللقاء على فؤادي ،

(١) الحبر الذي تقتدح عليه .

يلم . وأين طرفي والرقاد ؟
 وتعتسف الظلام بغير هادي ،
 تحير أو شكا طول السهاد .
 كما التفتت الى الماء الصوادي ،
 بان يجري الزمان على مرادي ا
 وحقك ، عن زيارتك العوادي
 اليك ، ولو سريت بغير زاد
 أغني ما تحاول أم رشادي
 وان عادت فانظر من تعادي ،
 من الاشياء فانظر في المبادي ؛
 عرفت به صلاحي من فسادني .
 الى امد العلى ، مبني الايادي ،
 بواد في الحواضر والبوادي ؛
 وقس ما علمنا في ايام .
 يذوب نداه في العام الجماد ؛
 أخو عزم على الايام عادي .
 اذا نودي : ألا هل من جواد ؟
 ويكفي كل حادثة بنادي ،
 وافضال تقر به الاعادي ،
 بشمول من الصفو البراد .
 وأخفق غيره بعد اجتهاد .
 تبين المقرقات (٤) من الجياد
 حلا ، فخلا من المعنى المعاد ،
 صبا ، فتعطرت غب المعاد (٥)
 تخرج لا بسعدى أو سعاد ؛
 بعدلك فيه من جور انتقاد .

وأطمع في الرقاد رجاء زور
 سابعثها تثير البيد وخذاً (١)
 لو ان النجم جاراها دليلاً
 تلتفت بي الى الزوراء زوراً ،
 ولو ان الزمان جرى ، ومزلي ،
 وأمكنني المزار لما عدتني ،
 فمن لي ، ان تسيرني المطايا
 أقول لصاحب لم يدرك جهلاً :
 اذا واليت فانظر من توالي ،
 فان أحببت تعرف ما التناهي
 ودعني والثناء على مبر
 على متوحد في الفضل سام
 أخني حكم ، شواهدا عليه ،
 إذا ما قيس قصر عنه قس (٢)
 وان جاورقه ، جاورت غيثاً
 أو استجدته ، أعداك منه
 جواد بالذي تحوي يداه
 يحبك قبل ان تدعو نداه
 أخو كرم يقل العتب فيه ،
 وأخلاق كمثل الراح شبيت
 بأدنى سعيه حاز المعالي
 وفي الغايات ان لز (٣) المذاكي
 أبا الحسن استمع مني ثناء
 كأنفاس الرياض سرت عليها
 أنادي فيه باسمك ، والقوافي
 وقد عرضته لك مستجيراً

(١) السير السريع .

(٢) هو قس بن ساعدة الايادي خطيب جاهلي يضرب به المثل في الفصاحة والبلاغة والموعظة . كان يؤمن بالتروحيد ويدعو العرب اليه .

(٣) الملاحقة والمضايقة .

(٤) الفرس الذي امه عربي لا ابوه وقيل العكس .

(٥) مواقع الرسمي من الارض - الرسمي : اول مطر الربيع -

(ن.ر)

ومثلك من رأى قصد القوافي
جزيت الصالحات، فانت اهل
اليه ، وقال فيها باقتصاد ،
لها ؛ وسقيت أنواء الغوادي؟
ودمت على الزمان، وكل شيء
على مر الزمان الى نقاد :

وقال الشريف أبو يعلى محمد بن الهبارية العباسي من قصيدة يمدح بها الاجل امين الدولة بن التلميز
يقول فيها :

يا بني التلميز لو وافيتكم
وتسلبت بكم عن صبيتي ،
انما طلقت كرماتكم ،
برئيس الحكماء المرتجي ،
عوقنتي عن عبيد الملك ، دنيائي ، ودنيائي ظلوم يحفه .
لو رأني هبة الله ، ابو الحسن ، الاوحد كانت متحفه ،
فهو من نخلة دهري طلعة
غدت الدنيا، ومن فيها معاً،
فاماني الوري ، كلهم،
وبأبراد معالي ظله ،
شمس مجد لا تراها أبداً ،
جل ان يدرك وصفا مجده ،
فهو غدر الدهر، بل احسانه،
لو تمكنت لكنت جلتي ،
سن ، في دنيا المعالي ، سننا
فيه قفتخر الدنيا التي
سيدي ، كم غمة جليتها
وأيا جمة اوليتها
نثرت منك بروق لم تكن ،
وتراى منك بر شكره
انما أحبو بني التلميز بالمدح
فابن يحسى منهم محيي الندي
وهو في الفضل له الفضل على

لم تكن نفسي بأهلي شغفه ،
وغدا وسطي ثقيل المنصفه .
انكم لي عوض ، ما اشرفه
انه لي جنحة تخترفه (١) .
حالة الطعم وكل حشفه (٢) .
لعلاه بالعلی معترفه ،
من أيادي جوده معترفه ،
من تصارييف الردى، ملتحفه
عن سموات العلى، منكشفه .
انه اكبر من كل صفه .
والبرايا ييسات قشفه .
في زوايا داره معتكفه .
أصبحت معجبة مستظرفه ؛
أصبحت من غيره مستتكفه .
فعدت ظلمتها منكشفه ،
بيد ، ما برحت مرتشفه ،
حين شمنها ، بروقاً خلفه
معجز كل لسان وشفه .
ازاد في الجود على من خلفه ،
كل من انكره او عرفه .

(١) مجتناة .

(٢) اصول الزرع تبقى بعد الحصاد .

حقق الكنيسة من والده
وهم من صاعد عن سادة ،
لا تقسم بالورى كلهم
فابن ابراهيم ، لاهوت العلى ،
يا رئيس الحكاء استجلها
انني انفذت نخلي قاصدا ،
وبانعامك قد عللتها
فابق للمجد ثالا^(٣) ما رغت^(٤)
كم لكم من نعمة تالدة^(٥) ،
جددوا ايرادها ، يا سادتي ،

كرما فيه وطبعها ألفه .
بأبي ، مجدم ما أنظفه !
فتقس ليث الشرى بالجمعده .
من دعاه بشراً ما انصفه .
من بنات الفكر بكرا مترفه ،
أشتكي دهرأ قليل النصفه^(١) ،
انه يحلو الخطوب المغدغه^(٢) .
لغبا^(٥) جصرة^(٦) سار موجفه .
تترجى اختها المطرفه ،
بأياد منكم مؤتفه^(٨)

(الرمل)

وكتب ابو اسمعيل الطغرائي إلى امين الدولة بن التليذ :

يا سيدي ، والذي مودته
من ألم. الظهر أستغيث وهل

عندي روح يحيا بها الجسد .
يألم ظهر اليك يستند ؟

(المنسرح)

وكان محمد بن جكيثا قد مرض وزاره امين الدولة فقال فيه ابن جكيثا :

قصدت ربمي ، فتعالى به
فما رأى العالم ، من قبلها ،

قدري ، فذلك النفس من قاصده .
بحراً مشى قط الى وارد

(السريع)

وكان بعض الشعراء ببغداد اتى الى امين الدولة وشكى حاله واستوصفه فوصف ما يصلح للمرض .
الذي شكاه ، ثم دفع له صرة فيها دنانير وقال له : هذه تصلح بها مزورة زيرباج فاخذها وبرأ بعد
ايام فكتب اليه :

اتيتك اشتكي وبى مرض
فقلت ، اذ برني وابرائي :

الى التداوي والرفد محتاج
هذا طبيب عليه زرباج

(المنسرح)

(١) الانصاف والعدل .

(٢) المستورة المرخي عليها السدول الكثيرة .

(٣) الثمال : النبات الذي يقوم بالامر . (٤) صاحت وصوتت . (٥) إعياه . (٦) جرأة وشجاعة .

(٧) الاصيل الموروث .

(٨) المبتدأ بها اي التي لم تقدم بعد . « ن. ر »

ومن كلام امين الدولة بن التلميد ، حدثني سديد الدين بن رقيقة ، قال ؛ حدثني
فخر الدين المارديني ، قال : كان يقول لنا أمين الدولة : لا تقدروا ، ان أكثر الامراض تحيطون
بها خبرة ، فان منها ما يأتيكم من طريق السهولة . وكان يقول أيضاً : متى رأيت شوكة في البدن
ونصفها ظاهر فلا تشتط انك تقلعها ، فانها ربما انكسرت .

ومن كلامه قال : ينبغي للعاقل أن يختار من اللباس ما لا تحسده عليه العامة ، ولا تحقره
فيه الخاصة .

ومن شعر الاجل أمين الدولة بن التلميد ، وهو مما أنشدني مذهب الدين أبو نصر محمد بن محمد بن
ابراهيم بن الحضر الحلبي مما سمعه من والده قال : أنشدني أمين الدولة بن التلميد لنفسه .

حيي سعيداً جوهر ثابت ، وجهه لي عرض زائل ،
به جهاتي الست مشغولة وهو إلى غيري بها مائل .
(السريع)

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني والدي ، قال : أنشدني المذكور لنفسه .
إذا وجد الشيخ في نفسه نشاطاً ، فذلك موت خفي .
ألست ترى أن ضوء السراج له لب قبل أن ينطفي
(المتقارب)

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني والدي ، قال : أنشدني المذكور لنفسه .
تمس القياس فللغرام قضية ليست على نهج الحجى تقاد
منها بقاء الشوق وهو بعرفنا عرض وتقنى دونه الاجساد
(الكامل)

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني والدي ، قال : أنشدني المذكور لنفسه في الوزير الدرگزني
قالوا فلان قد وزر ^(١) فقلت كلا لا وزر
والله لو حكمت فيه جعلته يرعى البقر
(الرجز)

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني والدي ، قال ، أنشدني المذكور لنفسه :
قال الأنعام ، وقد رأوه مع الحداثة ، قد تصدر :
من ذا المجاوز قدره ؟ قلت : المقدم بالمؤخر .
(الكامل المرفل)

(١) اصبح وزيراً .

وانشدني ايضاً ، قال : انشدني والدي ، قال : انشدني المذكور لنفسه :

قد قلت للشيخ الجليل الاريحي أبي المظفر :
ذكرت فلان الدين بي . قال : المؤنث لا يذكر
(الكامل المرفل)

وانشدني ايضاً قال : انشدني والدي ، قال : انشدني المذكور لنفسه لغزا في السمك .
لبسن الجواشن خوف الردي ، وعلين فوق الرؤوس الخوذ .
فلما أتاها الردي أهلكته ، بشم نسيم الهوا المستلذ .
(المتقارب)

ومن شعر أمين الدولة بن التلميذ ايضاً قال :

سقى النفس بالعلم نحو الكمال ، تواف السعادة من بايها ؛
ولا ترج ما لم تسبب له ، فان الامور بأسبابها
(المتقارب)

وقال ايضاً :

لولا حجاب أمام النفس يمنعها ، عن الحقيقة فيما كان في الازل ،
لادركت كل شيء عز مطلبه ، حتى الحقيقة في المعلول والعلل .
(البسيط)

وقال ايضاً :

العلم للرجل اللبيب زيادة ، ونقيصة للاحمق الطياش .
مثل النهار يزيد ابصار الوري ، نوراً ، ويغشي أعين الخفاش
(الكامل)

وقال ايضاً :

بزجاجتين قطعت عمري ، وعليهما عولت دهري :
بزجاجة ملئت بحبر ، وزجاجة ملئت بنخر .
فبذي أثبتت حكمتي ، وبذي أزيل هموم صدري
(الكامل المرفل)

وقال ايضاً :

قواضع كالبدن استنار لناظر ، على صفحات الماء ، وهو رفيع
ومن دونه ، يسمو الى المجد صاعداً ، سمو دخان النار وهو وضيع

وقال ايضاً :

اذا كنت محموداً فانك مرمد ، عيون الوري ، فاكلهم بالتواضع
(الطويل)

وقال أيضاً :

لا تحقرن عدواً لان جانبه ،
فللذابة في الجرح المدة^(١) يد
ولو يكون قليل البص والجلد ،
تنال ماقصرت عنه يد الاسد
(البسيط)

وقال ايضاً :

نفس الكريم الجواد باقية
والحر حر وان ألم به
والنذل لا يهتدي لمكرمة
فالقطر^(٣) سم ان احتواه فم الصل ، ودر ان ضمه الصدف
فيه ، وان مس جلده العجف^(٢) ؟
الضرفقيه العفاف والانف ؛
لان ذاك المزاج منحرف .
(المنسرح)

وقال ايضاً :

كانت بلهنية^(٤) الشبيبة سكرة ،
وقعدت أرتقب الفناء كراكب ،
فصحوت ، فاستأنفت سيرة بجل ؛
عرف الحل فبات دون المنزل
(الكامل)

وقال ايضاً :

قالوا : شباب الفتى خؤون
فقلت : أبعدتم قياساً
والشيب واف فليس يرحل
ذاك حبيب ، وذا موكل
(البسيط)

وقال ايضاً :

وارى عيوب العالمين ولا أرى
كالطرف يستجلي الوجوه ووجهه
عيباً لنفسي وهو مني قريب
منه قريب وهو عنه مغيب
(الكامل)

وقال ايضاً :

أجدك ، ان من شم الليالي العنيفة أن تجور على اللهيف ،
كمثل الخلط أغلب ما تراه
يصب أذاه في العضو الضعيف
(الوافر)

«١» المقنع .

«٢» المزال .

«٣» الشيء الذي مطر .

«٤» زخاؤه ونعمته . « ن . ر »

وقال ايضاً :

كأس يُطفي لهب الأوام ،
والسرور ثالث المدام ،
ثان يعين هاضم الطعام ،
والعقل ينفيه مزيد جام
(الرجز)

وقال ايضاً :

يا من رماني ، عن قوس فرقته ،
ارض لمن غاب عنك غيبته ،
لوم ينله من العذاب سوى
بسم هجر غلا تلافيه
فذلك ذنب عقابه فيه ؛
بعدك عنه لكان يكفيه
(المنسرح)

وقال ايضاً :

عابت إذ لم يزر خيالك والنوم بشوقي اليه مسلوب
فزارني منكما وعاتبي كما يقال المنام مقلوب
(المنسرح)

وقال ايضاً :

سيف جفونك فضل على مواضي السيوف التي في الجفون .
فتلك ، مع القتل ، لا تستطيع رجوع النفوس بدفع المنون
وعيناك يقتلني شرهما (١)
وأحيا بإيضاها (٢) في سكون
(المتقارب)

وقال ايضاً :

تمت محاسنه سوى كلف ،
وسموا به لألاء غرته
حلو المواقع ، زانه بشر
عمداً ليعلم أنه بدّر
(الكامل)

وقال ايضاً :

لا تحسبن سواد الخال عن خلل
وانما قلم التصوير حين جرى
من الطبيعة ، أو احداثه غلطا ،
بنون حاجبه ، في خده نقطا
(البسيط)

وقال ايضاً :

ابصره عاذلي عليه ،
فقال لي : لو عشقت هذا
ولم يكن قبله رآه ،
مالامك الناس في هواه ،

«١» النظر بأعراض أو غضب . «٢» مسارقة النظر .

وليس أهل الهوى سواء
يأمر بالعشق من نهاه
(البسيط)

قل لي الى من عدلت عنه
فظل من حيث ليس يدري

وقال ايضاً :

صفرأ مشهرة بجمر الادمع ،
شوقاً اليك ، نفيتها عن اضلعي
(الكامل)

يا من ليست عليه اثواب الضنا
ادرك بقية مهجة لو لم تذب ،

وقال ايضاً :

بخيال ، ويقظني بأذكاء .
م ، وشوقي الى الليالي القصار
(الخفيف)

انت شغلي في كل حال ، فنومي
طال ليلى بطول هجرك ، لا دا

وقال ايضاً :

صدودك ، حتى صرت أنخل من امس
بين هباء الذر في افق الشمس
(الطويل)

براني الهوى بري المدى فاذا بني
ولست أرى حتى أراك ، وانما

وقال ايضاً :

فاتر الطرف ذي جفون مراض
لته قالها بصفحة راض
(الخفيف)

وغزال ، فاق الغزالة حسناً ،
قال إذ رمته : أذاك سخطاً .

وقال ايضاً :

فلا تظن اني غير معتاض
لسابق سلوة السالي بأعراض
(البسيط)

لئن تعوضت عن وصلي بمطرف
اني بعزة نفس انت تعرفها

وقال ايضاً :

لقياك انفس ربح
سماء عقلي تصحي
يكون علة قبح
(المجتث)

قد كنت اعتد حيناً
فقد بدت عن سلو
مالي أهم بحسن

وقال ايضاً :

لو كان يحسن غصن البان مشيتها
في صدرها كوكبا نور أفلها
صانتها في حرير من غلائها

تأوداً ، لمشاها غير محشم .
ركنان لم يدنوا من كف مستلم
فنحن في الحل ، والركنان في الحرم
(البسيط)

وقال ايضاً :

عانقتها ، وظلام الليل منسدل ،
فبت احبيه خوفا ان ينهبها ،

ثم انتبعت ببرد الحلي في الغلس^(١) ،
واقفي ان أذيب العقد بالنفس
(البسيط)

وقال ايضاً :

لا تظني تجني لملال ، انت من خوف سلوتي في أمان .
رب هجر يكون أدعى الى الوصل ، ووصل أدعى الى الهجران .

(الخفيف)

وقال ايضاً :

وكان عذارى^(١) عندها عذر وصلها ،
فاعجب بأمر أمسى داعية الهوى

فشاب ، فصار العذر في صدها عندي
يحول فيضحى اليوم داعية الصد
(الطويل)

وقال لغزاً في السحاب :

وهاجم ليس له من عدوى ،
بكاؤه وضحكه في معنى

مستبدل بكل مثنوى مثنوى
اذا بكى أضحك أهل الدنيا
(الرجز)

وقال ايضاً لغزاً في الميزان :

ما واحد ، مختلف الاهواء ،
يحكم بالقسط بلا رياء ،
أخرس لا من علة وداء ،
يجيب ، ان ناداه ذو امراء ،

يعدل في الارض وفي السماء ؛
أعمى يرى الرشاد كل رائى ،
يغني عن التصريح بالأماء ،
بالرفع والخفض عن النداء .
(الرجز)

«١» ظلة آخر الليل .

وقال ايضاً لغزا في الدرع :

وبيضاء ، لا للبيض والسمرقدها ،
تجلت لنا حبا ، ولم تجر في رجا
وقيت بها نفسي فكانت ، كأنها ،

تظاهرها في تقويمها الحر والبرد ؛
ولكن تولاه لها الدق والبرد ،
هي الشمس محبوبا بها الكوكب الفرد
(الطويل)

وقال ايضاً لغزا في الابرة

وكاسبة رزقا سواها يحوزه ،
مفرقة للشمل ، والجمع دأبها ؛
اذا خطرت جرت فضول ذيلها
تري الناس طرا يلبسون الذي نضت
لها البيت بعد العز غير مدافع
أضر بها مثلي نحول يحسمها

وليس لها حمد عليه ، ولا أجر .
وخادمة للناس ، تخدمها عشر .
سجية ذي كبر^(١) وليس بها كبر .
تعمهم جوداً ، وليس لها وفر .
الى بأسه تغزى المهندة البتر .
وان لم يرعها ، مثل ما راعني ، هجر .
(الطويل)

وقال ايضاً لغزا في الظل

وشيء من الاجسام ، غير مجسم ،
يتم أواني كونه وفساده
اذا بان^(٢) الانوار بان لناظر

له حركات تارة وسكون .
وفي وقت محباه المحاق يكون
وأما اذا بان^(٣) فليس يبين
(الطويل)

وقال ايضاً مما يكتب على حصير

أفرشت خدي للضيوف ولم يزل
فتواضعي أعلا مكاني بينهم

خلقي التواضع للبيب الاكيس ؛
طورا ، فصرت أحل صدر المجلس
(الكامل)

وقال ايضاً في معناه

رب وصل شهادته فتمتعت عناقا بالعاشقين جميعا
وجداني للود أهلا ، وللسر مكانا ، وللصديق مطيعا .

(الخفيف)

(١) الشرف والرفعة .
(٢) ظهرت واتضحت .
(٣) انقطع وفارق .

وقال ايضاً في مدخنة البخور

إذا الهجر أضرم نار الهوى ،
أبسوح بأسراري المضمرة
أذا ما طوى خبري صاحب
فقلبي يضرم. للهجر نارا ،
تبدو سراراً^(١) ، وتبدو جهازاً .
أبى طيب عرفي الا انتشاراً !

وقال ايضاً فيها

كل نار للشوق تضرم بالهجر ، وناري تشب عند الوصال ،
فاذا الصد راعني سكن الوجد ولم يخطر الغرام ببالي .
(الخفيف)

وقال ايضاً فيها

يشكون المحبون الجوى
وأشد ما أصلى بنا
عند التفرق والزيال^(٢)
والشوق أوقات الوصال .
(الكامل المرفل)

وقال ايضاً فيها

رب حمى لا ترام عزته
بيدي عياني لمن تأملني
أبجته النفس غير محبوب
نار محب ونشر محبوب
(المنسرح)

وقال ايضاً في مغسل الشرب

إذا ما خطبت الود بين معاصر ،
إذا استأثروا من كل كأس بصفوها ،
فكن لهم مثلي تعد اخا صدق ؛
رضيت بما أبقوه من مشرب رتق^(٣)
(الطويل)

وقال ايضاً

لا تدع ربك ان يعذب عاشقاً ،
لقبيح صورتها ، بغير وصالها
(الكامل المرفل)

وقال ايضاً

أكثر حسو^(٤) البيض كيا يستديم قيام أيرك
ما لا يقوم ببيضتيك فلا يقوم ببيض غيرك
(الكامل)

(١) خفيه غير ظاهرة
(٢) البعاد .
(٣) شرب .
(٤) حسو

وقال ايضاً يهجو انساناً بالعين

مدور العين فاتخذته

لو رمت عينه الثريا

تلل (١) غرس وثلل (٢) عرش

أخرجها في بنات نعش

(البسيط)

وقال ايضاً

يا دار، لا تنكرني مني التفات فتى

عهدت فيك قهراً كان يؤنسي

فراق أحبابه أجرى مداومه

حيناً فميناي تستقري مطالعه .

(الطويل)

وقال ايضاً

خليل نأى عني فبدلت بعده

أغار عليه صرف دهر فغاله

مقيم الجوى من صفو عيش وطيبه

وعما قليل سوف يلحقني به

(الطويل)

وقال ايضاً

لا تعجبوا من حنين قلبي

فالقوس ، مع كونها جاداً ،

اليهم ، واعذروا غرامي

تثن من فرقة السهام

(البسيط)

وقال ايضاً

كيف ألد العيش في بلدة

لو انها الجنة قد ازلفت (٣)

سكان قلبي غير سكانها

أرضها الا برضوانها (٤)

السريع

وقال ايضاً يرثي :

كم ذا الوقوف على غرور أماني

هل عيشة بعد الرضى مرضية

ان السماء لفقدته الحزينة ،

والغيث ادمعه وما برقت به

أأخذت من دنياك عقد أمان

كلا ، ولو كانت خلود جنان !

فرباحها نفس الكئيب العاني ؛

نار الجوى والرعد للارنان (٥) .

(١) ثلثه : صرعه .

(٢) ثلثه : هدمه .

(٣) قدمت .

(٤) الملك خازن الجنان .

(٥) الإرثان : الصوت الشديد .

لو ذاق فقدك من يلوم على البكا
تبعوك، اذا صلوا عليك، ولم تزل
كنت المقدم في الصفوف لجولة
لا تبعدن، وما البعيد بمن نأى
وقال ايضاً يرثي الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور دبّيس الأسدي لما قتل .
لَيْبِكَ ابْنُ مَنْصُور عَفَا^(٢) نواله
ويذكرهم من ردهم بعبوسه
ولما سما فوق السماء بهمة ،
رمته الليالي ، بل رمتنا برزته
عليك سلام ، لا تزال قلوبنا
ولا برحت عين السماء بوبلها^(٤)

لزرى^(١) على التبسم والسلوان
كالنجم تهدبهم بكل مكان .
الاقران أو لتلاوة القرآن .
حيّاً ، ولكن البعيد الداني
اذعصفت بالريح نكباء حرجف^(٣)
فتى كان يلقام ببشر ويسعف .
يفض لها طرف الحسود ويطرف ،
كبدّر الدجى في ليلة التم يحسف .
على حزن ما هبت الريح توقف
على جدث واراك تهمني وتذرف
(الطويل)

وقال يهفء بخلعة :

لئن شرفت مناسبتها وجلت
الى من زانها وأزان منها

لقد زفت الى كفء شريف
كسالفة الملبحة والشنوف^(٥)
(الوافر)

وكتب اليه الرئيس ابو القاسم علي بن أفلح الكاتب وقد نقه من مرض كان به .
انا جوعان فانقذني من هذي المجاعة
فرجي في الكسرة الخبز ولو كانت قطاعه^(٦)
لا تقل لي ساعة تصبر ، ما لي صبر ساعه
فخواري اليوم ما يقبل في الخبز شفاعه
(الرملي)

فكتب اليه امين الدولة بن التلعيز الجواب :
هكذا اضيف مثلي
غير اني ليس عندي

يتشكّون الجماعة
لضر من شفاعه

-
- (١) عاب .
(٢) طلاب الفضل أو رزق .
(٣) الريح البارد الشديد الهبوب .
(٤) المطر الشديد .
(٥) ما علق في الأذن أو اعلاها من الحلي .
(٦) اللقمة التي يؤكل نصفها ويرد نصفها .

فتعلل بسويقتي ^(١) فهو خير من قطاعه
بجياتي قل : كما تر سمه سمعا وطاعه

واهدى الى الوزير ابن صدقه كتاب المحاضرات للراغب وكتب معه .
لما تعذر أن اكون ملازماً لجناب مولانا الوزير الصاحب ،
ورغبت في ذكرى بحضرة مجده ، اذكرته بمحاضرات الراغب
(الكامل)

وكان ابو القاسم بن الفضل قد عتب على امين الدولة بن التلميد عتبا مريباً ، فاجابه أمين الدولة
بان خلع عليه قيصاً مصمتاً اسود وكتب اليه .
احبك في السوداء تسحب ذيلها خطيباً ولكن لا بذكر مثالي ^(٢)
(الطويل)

وقال ايضاً
أتاني كتاب لم يزدي بصيرة بسؤدد مهديه الي وفضله
فقلت وقد اخجلتني بابتدائه أبى الفضل إلا ان يكون لاهله
(الطويل)

وكتب الى الوزير سعد الملك نصير الدين في صدر كتاب .
لا زال جدك بالاقبال موصولا وجد ضدك بالاذلال مغاولا
ولا عدمت من الرحمن موهبة تعميد ربك بالعافين مأهولا
فنعم منطلق الكفين أنت اذا اضحى اللثم عن المعروف مغاولا
تجود بالمال لا تسأل يداه وان تسأل فصاحته بذ الوري قبلا
لا يستريح الى العلات معتذرا اذا الضنين رأى للبخل تأويلا
يبادر الجود سبقاً للسؤال يرى تعجيله بعد بذل الوجه تأجيلا
لا غروان كسفت شمس الضحى وبدت فأكثر الناس تبجيلاً وتهليلا
فأنت سيف غياث الدين أغمده صونا ، وعاد على الأعداء مسولا
فلا خلا الدست ^(٣) من غيث اذا قنطوا ظل نداء لدى الرواد مبذولا
فما يليق بغير السعد مسنده وان أعاروه إعظاماً وتبجيلا
فاسلم على الدهر في نعماء صافية من النوائب مرهوباً ومأمولا
« البسيط »

(١) طعام يتخذ من دقيق الحنطة او الشعير المغلي

(٢) المعاييب .

(٣) المعاييب .

وكتب في صدر كتاب الى جمال الرؤساء أبي الفتح هبة الله بن الفضل بن صاعد جواباً :

ما نشر انفاس الرياض مريضة	عوادها طل الندى وقطار ^(١)
بدميثة ^(٢) ميثاء ^(٣) حلتى وجهها	وحبا عليها حنوة ^(٤) وعرار ^(٥)
كفلت بثروتها مؤبدة بها	وكفى صداها جدول مدرار
بكت السماء فأضحكتها مثل ما	أبكي فتضحك بي الغداة نوار
واذا تعارضها ذكاء تشعشت	فتمازج النوار والنوار
مشت الصبا بفروعها مختالة	فصبا المشوق وغيره استعبار
واذا تقنى الطير في ارجائها	أبدى بلابل صدره التذكار
يوماً باطيب من جوارك شاهدا	أر غائباً تدنو بك الاخبار

وكتب اليه جمال الملك ابو القاسم علي بن أفلح في أثناء كتاب :

اني ، وحقك ، منذ ارتحلت	نهاري حنين وليلي أنين .
وما كنت اعرف قبلي امرأ	يحسم يقيم وقلب يبين .
يقول الخلي ، اذا ما رأى	ولوعي بذكراك لا تستكين ؛
تسل . فقل : دهاك الفراق ،	أتدري جوى البين أنى يكون ؟
وكيف السبيل الى سلوقي	وحزني وفيّ وصبري خؤون ؟

« المتقارب »

فكتب أمين الدولة في جوابه :

واني ، وحبك ، مذ بنت عنك قلبي حزين ودمعي هتون	
وأخلف ظني صبر 'ممين ،	وشاهد شكواي دمع 'ممين .
فله أيامنا الخاليات	لو رد سالف دهر حنين .
واني لارعى عهد الصفاء ،	ويكلؤها لك ود مصون .
واحفظ ودك عن قاذح ،	وود الاكارم علق ثمين .
ولم لا يكون ، ونحن اليدا	ن ، أنت بفضلك منها اليمين .
اذا قلت اسلوك قالوا الغرا	م : هيات ذلك ما لا يكون ا
وهل لي في سلوة مطعم	وصبري خؤون وودي أمين

وكتب في صدر كتاب الى العزيز أبي نصر بن محمد بن حامد مستوفي الممالك :

لعمري ابيك ، الخير ليس لواحد من الناس إلا حامد لابن حامد

(١) السحاب الكثير القطر - المطر - .

(٢) ما سهل ولان . (٣) لينة سهلة من غير رمل .

(٤) نبت سهلي طيب الرائحة او هو الريحان او الرند او الغار ، او هو آذريون البر ، نبتة شديد الحفصة طيب الريح ،

زهرته صفراء ليست بضخمة . (٥) الفرّجس البري (ن.ر)

كانهم دانوا الاله بشكرهم
هم خيروا عنه فاثبتوا بصالح
علاه ولكن لا كشكر ابن ساعد
وعندي بما اثبتت خير المشاهد
(الطويل)

وكتب الى ابن أفلح
أسأت بنفسي حين أزمعت رحلة
فان امرأاً سرُّ الموفق قريبه
فهمي بمجوع بشملي المفرق
وفارقه طوعاً لغير موفق
وكتب الى موفق الدين أبي طاهر الحسين بن محمد لما اجتاز بساوة
(الطويل)

ودخل الى دار كتبها التي وقفها المذكور المكتوب اليه :

وفقت للخير اذ عمت به
أزلقت للناس جنة جمعت
فيها ثمار العقول دانية
لا زلت تسمو بكل صالحة
ويرحم الله كل مستمع
طلاب به يا موفق الدين
عيون فضل اشهى من العين
قطوفها حلوة ألافانين
بسمدي قدرة وتمكين
مشيع دعوتي بتأمين
(المنسرح)

ولامين الدولة بن التليذ من الكتب : أقرباذه العشرين بابا ، وشهرته وتداول الناس له أكثر من
سائر كتبه . اقرباذه الموجز البيارستاني ، وهو ثلاثة عشر بابا . المقالة الأميلية في الادوية
البيارستانية . اختيار كتاب الحاوي للرازي . اختيار كتاب مسكويه في الاشربة . اختصار شرح
جالينوس لكتاب الفصول لابقرط . اختصار شرح جالينوس لكتاب مقدمة المعرفة لابقرط . تنمة
جوامع الاسكندرانيين لكتاب حيلة البرء لجالينوس . شرح مسائل حنين بن اسحق على جهة التعليق .
شرح احاديث نبوية تشتمل على طب . كناش . مختصر الحواشي على كتاب القانون للرئيس ابن سينا .
الحواشي على كتاب المائة للمسيحي . التعاليق على كتاب المنهاج ، وقيل انها لعلي بن هبة الله بن ائودي
البغدادى . مقالة في الفصد . كتاب يشتمل على توقيعات ومراسلات . تعاليق استخرجها من كتاب
المائة للمسيحي . مختار من كتاب ابدال الادوية لجالينوس .

أبو الفرج يحيى بن التليذ

هو الاجل الحكيم معتمد الملك أبو الفرج يحيى بن صاعد بن يحيى بن التليذ ، كان متعينا في العلوم
الحكية ، متقنا للصناعة الطبية ، متحليا بالادب بالغاً فيه أعلى الرتب . وكذلك أيضاً كان
لأمين الدولة بن التليذ جماعة من الانساب كل منهم متعلق بالفضائل والآداب . وقد رأيت بخط الاجل

معتمد الملك يحيى بن التلميذ ما يدل على فضله ، وعلو قدره ونبله . وكانت من المشايخ المشهورين في صناعة الطب ، وله تلاميذ عدة .

وقال الشريف أبو العلاء محمد بن الهبارية العباسي من قصيدة يمدح الحكيم أبا الفرج يحيى بن صاعد ابن التلميذ، وكان ابن الهبارية قد أتاه الى اصبهان فحصل له من الامراء والاكابر مالا جزيلا، يقول فيها:

وجميع ما حصلته وجمعته	منهم ، وكنت له بشعري كاسبا
نعمى أبي الفرج بن صاعد الذي	ما زال عني في المكاسب ثائبا .
هو، لا عدت علاه، حصل كل ما	أملته ، ومري ^(١) فكنت الحالبا .
يحيى بن صاعد بن يحيى لم يزل	للمكرمات الى جنابي جالبا ؛
أحيا مطامعي التي ماتت فتي ،	أحيا الفتوة والمروءة دائبا ؛
ما زال ينعشي نداه حاضرا ،	وينوب عني في المطالب غائبا .
في باب سيف الدولة بن بهائها ،	وكذا نصير الدين كان مخاطبا ،
كاتبته بجوائجي وهزرتة	فوجدته فيها الحسام القاضا .
وكذاك في باب الاغر وغيره	في الخطب كنت له بذلك مخاطبا
ما زال يفرسني يداه ولم ازل	بعلاه ما بين البرية خاطبا .

ومنها

لا تحوجن أخاك ، لا بل عبدك القن ابن عبدك ، ان يروم اجانبا	فلأنت أولى بي ، لما عودتني ،
عن غدا لي في الاصول مناسبا .	
لا زلت اثني بالذي أوليتني ،	وعلى المديح محافظا ومواطبا ،
وبقيت لي ذخرا ، ودمت بمنما	بالجد ، للإبراد منه ساجبا .
ثقة الخلاف ، سيد الحكماء ، معتمد الملوك ، الفيلسوف ، الكاتب ،	
لم لا تكاتبني ، فكتبك نزهة	حسنا تحال من الجلال كتابا ،
ومن الملاحة واللطافة روضة ،	ومن الافادة في البيان سحائب .
مازح وطايب ما استطعت في الفتى ،	من لا يكون بمازحا ومطايبا .
وفداك من نوب الزمان وصرفه ،	قوم يريدون الزمان معايبا .

(الكامل)

ومن شعر ابي الفرج يحيى بن التلميذ ، نقلت من كتاب زينة الدهر لعلي بن يوسف بن أبي المعالي سعد بن علي الخطيري قال : وجدت بخط الاجل الحكيم معتمد الملك يحيى بن التلميذ لنفسه لغزا في الابرة .

وفاغرة فما في الرجل منها ، ولكن لا تسينغ به طعاما ؛

(١) مسح الضرع لتدر

ونخطفة الحشا في الرأس منها ،
 تصول بشوكة تبدو وسم ،
 تجر وراءها ابدأ اسيراً ،
 منيعا ذا قوى لكن تراه
 فتلقيه بحبسها مقبلاً
 أيا عجباً لها سوداء خلقها ،
 غدت عريانة من كل لبس ،
 لسان لا تطيق به الكلام ؛
 وما من ذاقه يرد الحماما ؛
 كما قادت يد الحادي الزماما ؛
 بقبضتها ذليلاً مستضاماً ،
 طوال الدهر ، لا يأبى المقام .
 تريك خلثاً بيضا كراماً ،
 وفاضل ذيلها يكسو الانام .
 (الوافر)

قال وجدت بخطه في دار جديدة بناها سيف الدولة صدقة ، وقعت فيها نار يوم الفراغ منها

يا بانيها دار العلى ملأها
 علمت بانك انما شيدتها
 فقفت عوائدك الكرام وسابقت
 لتزيدها شرفاً على كيوان
 للمجد والافعال والاحسان
 تستقبل الاضياف بالنيران
 (الكامل)

ومن شعر أبي الفرج يحيى بن التليذ أيضاً قال لغزاً في القوس

وما ذو قامة ذات اعوجاج
 لها المكر الحفي مع التمطي
 تثن وتنحني عند الهياج
 كمكر الراح في القدح الزجاج
 (الوافر)

وقال ايضاً :

علق الفؤاد على خلو حبا
 لا يستطيع الدهر فرقة بينهم
 علق الذبالة في الحشا المصباح
 الا حين تفرق الاشباح
 (الكامل)

وقال ايضاً :

فراقك عندي فراق الحياة
 علقته كالنار في شمعا
 فلا تجهزن على مدنف
 فما ان تفارق او تنطفي
 (المتقارب)

وقال ايضاً :

بدا لنا أرج القادم
 روج عن قلبي على نأيه
 فبرّد الغلة من حائم
 وقد يلد الطيف للحالم
 (السريع)

وقال في ذم مغن :

لنا مغن ان شدا تدفننا ثلوجه
فموتنا خروجه وبعثنا خروجه
(الرجز)

أوحد الزمان أبو البركات هبة الله بن علي ملكا

البلدي لان مولده ببلد ، ثم أقام ببغداد ، كان يهوديا وأسلم بعد ذلك . وكان في خدمة المستنجد بالله ، وتصانيفه في نهاية الجودة . وكان له اهتمام بالغ في العلوم وفطرة فائقة فيها . وكان مبدأ تعلمه صناعة الطب أن أبا الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين كان من المشايخ المميزين في صناعة الطب ، وكان له تلاميذ عدة يتناوبونه في كل يوم للقراءة عليه ، ولم يكن يقرئ يهوديا أصلا . وكان أبو البركات يشتهي ان يجتمع به ، وأن يتعلم منه ، وثقل عليه بكل طريق ، فلم يقدر على ذلك . فكان يتخادم للبواب الذي له ؛ ويجلس في دهليز الشيخ بحيث يسمع جميع ما يقرأ عليه ، وما يجري معه من البحث ، وهو كلما سمع شيئا تفهمه وعلقه عنده .

فلما كان بعد مدة سنة أو نحوها ، جرت مسألة عند الشيخ وبحثوا فيها فلم يتجه لهم عنها جواب ويقوا متطلعين الى حلها . فلما تحقق ذلك منهم أبو البركات ، دخل وخدم الشيخ ، وقال : يا سيدنا ، عن أمر مولانا اتكلم في هذه المسألة ؟ فقال : قل ان كان عندك فيها شيء . فاجاب عنها بشيء من كلام جالينوس ، وقال : يا سيدنا ، هذا جرى في اليوم الفلاني من الشهر الفلاني ، في ميعاد فلان ، وعلق بخاطري من ذلك اليوم . فبقي الشيخ متعجبا من ذكائه وحرصه ، واستخبره عن الموضع الذي كان يجلس فيه ، فأعلمه به . فقال : من يكون بهذه المثابة ما نستحل أن نمنعه من العلم وقربه من ذلك الوقت ، وصار من أجل تلاميذه .

ومن نوادر اوحد الزمان في المداواة: ان مريضاً ببغداد كان قد عرض له علة المايخوليا، وكان يعتقد ان على رأسه دنا ، وانه لا يفارقه أبداً . فكان كلما مشى يتحايد المواضع التي سقوفها قصيرة ويمشي برفق ، ولا يترك احداً يدنو منه ، حتى لا يميل الدن أو يقع عن رأسه . وبقي بهذا المرض مدة وهو في شدة منه . وعالجه جماعة من الاطباء ولم يحصل بمعالجتهم تأثير ينفع به . وانهى أمره الى أوحد الزمان ففكر انه ما بقي شيء يمكن ان يبرأ به الا بالأمور الوهمية ، فقال لاهله : اذا كنت في الدار فأتوني به . ثم ان اوحد الزمان أمر أحد غلمانه بان ذلك المريض اذا دخل اليه وشرع في الكلام معه ، وأشار الى الغلام بعلامة بينها ، انه يسارع بخشبة كبيرة فيضرب بها فوق رأس المريض على بعد منه كأنه يريد كسر الدن الذي يزعم انه على رأسه ، وأوصى غلاماً آخر ، وكان قد أعد معه دنا في أعلى السطح ، أنه متى رأى ذلك الغلام قد ضرب فوق رأس صاحب المايخوليا ان يرمي الدن الذي عنده

بسرعة الى الارض . ولما كان اوحـد الزمان في داره ، وأتاه المريض شرع في الكلام معه وحادثه ، وانكر عليه حمله للـدن ، وأشار الى الغلام الذي عنده من غير علم المريض فاقبل اليه ، وقال والله لا بد لي أن أكسر هذا الدن وأريحك منه . ثم أدار تلك الحشبة التي معه وضرب بها فوق رأسه بنحو ذراع ، وعند ذلك رمى الغلام الآخر الدن من أعلى السطح ، فكانت له جلبة عظيمة ، وتكسر قطعاً كثيرة . فلما عين المريض ما فعل به ، ورأى الدن المنكسر ، تأوه لكسـرم إياه ، ولم يشك انه الذي كان على رأسه بزعمه ، وافر فيه الـرم اثرأ برىء من علته تلك .

وهذا باب عظيم في المداواة ، وقد جرى امثال ذلك لجماعة من الاطباء المتقدمين مثل جالينوس وغيره في مداواتهم بالامور الـهمية . وقد ذكرت كثيراً من ذلك في غير هذا الكتاب .

وحدثني الشيخ مذهب الدين عبد الرحيم بن عـسلي ، قال ؛ حدثني موفق الدين أسعد بن الياس المطران قل : حدثني الـاوحـد بن التقي ، قال ؛ حدثني أبي ، قال حدثنا عبد الودود الطيب ، قال ؛ حدثني أبو الفضل تـليـذ أبي البركات المعروف بأوحـد الزمان ، قال : كنا في خدمة أوحـد الزمان في معسكر السلطان ، ففي يوم جاءه رجل به داحس ، الا ان الـورم كان ناقصاً ، وكان يسيل منه صديد ، قال : فحين رأى ذلك أوحـد الزمان بادر الى سلامية^(١) اصبعه فقطعها ، قال : فقلنا له يا سيدنا لقد اجحفت في المداواة ، وكان يغنيك ان تدأويه بما يدأوي به غيرك ، وتبقي عليه اصبعه ، ولمناه وهو لا ينطق بحرف . قال : ومضى ذلك الـيوم ، وجاء في الـيوم الثاني رجل آخر مثل ذلك سواء ، فأومأ الينا بمداواته ، وقال : افعلوا في هذا ما ترونه صواباً . قال : فدأويناه بما يدأوي به الداحس ، فاتسع المكان وذهب الظفر وتعدى الامر الى ذهاب السلامية الاولى من سلاميات الـاصبع . وما تركنا دواء إلا ودأويناه به ، ولا علاجاً إلا وعالجناه ، ولا لطوخاً إلا ولطخناه ، ولا مسهلاً إلا وسقينا ، وهو مع ذلك يزيد ويأكل الـاصبع أسرع أكل ، وآل امره الى القطع ، فعلنا ان فوق كل ذي علم عليم . قال : وفشا هذا المرض في تلك السنة ، وغفل جماعة منهم عن القطع فتأدى أمر بعضهم الى اليد ، وبعضهم الى هلاك انفسهم .

ونقلت من خط الشيخ موفق الدين عبد اللطيف البغدادي^(٢) فيما ذكره عن ابن الدهان المنجم ، قال : قال كاتب الشيخ أبو البركات قد عمي في آخر عمره ، وكان يـلي على جمال الدين بن فضلان ، وعلى ابن الدهان المنجم ، وعلى يوسف والد الشيخ موفق الدين عبد اللطيف ، وعلى المذهب بن النقاش ، كتاب المعـتبر .

وقيل ان أوحـد الزمان كان سبب اسلامه انه دخل يوماً الى الخليفة ، فقام جميع من حضر إلا قاضي القضاة ، فانه كان حاضراً ولم ير انه يقوم مع الجماعة لكونه ذمياً . فقال : يا أمير المؤمنين ،

(١) عظم الـاصبع التي بين كل مفصلين .

(٢) اشتهر بعلم الكلام والفلسفة والطب والتنـجيم . جـول في العراق وسوريا ومصر (١١٦٢ - ١٢٣١)

ان كان القاضي لم يوافق الجماعة لكونه يرى اني على غير ملته ، فانا أسلم بين يدي مولانا ، ولا أتركه ينتقصني بهذا . وأسلم .

وحدثني الشيخ سعد الدين أبو سعيد بن أبي السهل البغدادي العواد ، وكان في أول أمره يهودياً ، انه كان يسكن ببغداد في محلة اليهود قريباً من دار أوحده الزمان ، وانه لم يحقه كثيراً ، بل كان وهو صغير يدخل الى داره . وقال : وكان لأوحده الزمان بنات ثلاث ، ولم يخلف ولداً ذكراً ، وعاش نحو ثمانين سنة .

وحدثني القاضي نجم الدين عمر بن محمد المعروف بابن الكريدي قال : كان أوحده الزمان وأمين الدولة بن التليذ بينهما معاداة ، وكان أوحده الزمان لما أسلم يتنصل كثيراً من اليهود ويلعنهم ويسبهم ، فلما كان في بعض الايام في مجلس بعض الأعيان الأكابر ، وعنده جماعة وفيهم أمين الدولة بن التليذ ، وجرى ذكر اليهود ، فقال أوحده الزمان : لعن الله اليهود . فقال أمين الدولة : نعم ، وابناء اليهود . فوجم لها أوحده الزمان وعرف انه عناء بالاشارة ولم يتكلم .

ومن كلام أوحده الزمان ، حدثني بدر الدين ابو العز يوسف بن مكي قال : حدثني مذهب الدين ابن هبل ، قال : سمعت أوحده الزمان يقول : « الشهوات أجز تستخدم بها النفوس في عمارة عالم الطبيعة لتذهل عما يلزمها من التعب ، ويلحقها من الكلال ؛ فأعملها في ذلك أخسها ، وأزهدا أحسها .

ولأوحده الزمان من الكتب : كتاب المعتبر ، وهو من أجل كتبه ، واشهرها في الحكمة . مقالة في سبب ظهور الكواكب ليلاً واختفائها نهاراً ، ألفها للسلطان المعظم غياث الدين أبي شجاع محمد بن ملك شاه . اختصار التشرريح ، اختصره من كلام جالبنوس ، ولخصه بأوجز عبارة . كتاب الاقرباذين ، ثلاث مقالات . مقالة في الدواء الذي ألفه المسمى برشعنا استقصى فيه صفته وشرح أدويته ، مقالة في معجون آخر ألفه وسماه أمين الارواح . رسالة في العقل وماهيته .

البديع الاصطرلابي

هو بديع الزمان أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن أحمد البغدادي . من الحكماء الفضلاء ، والادباء النبلاء ، طبيب عالم ، وفيلسوف متكلم ، وغلبت عليه الحكمة وعلم الكلام ، والرياضي ، وكان متقناً لعلم النجوم والرصد . وكان البديع الاصطرلابي صديقاً لأمين الدولة بن التليذ . وحكي انه اجتمع على أمين الدولة باصبهان في سنة عشرة وخمسة .

وحدثني مذهب الدين أبو نصر محمد بن محمد بن ابراهيم بن الحضر الحلبي قال : كان البديع الاصطرلابي أوحده زمانه في علم الاصطرلاب^(١) وعمله ، واتقان صنعته ، فعرف بذلك .

(١) او الاصطرلاب : آلة يقيس بها الفلكيون ارتفاع الكواكب .

أقول : وكان والد مذهب الدين أبي نصر من طبرستان ^(١) ، وهو المعروف بالبرهان المنجم . وكان علامة وقته في أحكام النجوم ، وله حكايات عجيبة في ذلك . وقد ذكرت أشياء منها في كتاب اصابات المنجمين . وكان قد اجتمع بالبديع الاضطرابي وصاحبه مدة . وللبديع الاضطرابي نظم جيد حسن المعاني .

ومن شعر البديع الاضطرابي وهو مما أنشدني مذهب الدين أبو نصر محمد بن محمد بن إبراهيم الحلبي قال : أنشدني والدي قال : أنشدني البديع الاضطرابي لنفسه :

يا ابن الذين مضوا على دين الهدى والطاعنين مقاعد الاعدام
فوجوهم قبل العلى وأكفهم سحب الندى ومنابر الاقلام
(الكامل)

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني والدي قال : أنشدني المذكور لنفسه :
أهدي لمجلسك الشريف ، وانما أهدى له ما حزت من نعمائه ؛
كالبحر يطره السحاب وماله من عليه ، لانه من مائه
(الكامل)

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني والدي قال : أنشدني المذكور لنفسه :
قام الى الشمس بآلاته ، لينظر السعد من النجس .
فقلت : أين الشمس ؟ قال الفقى : في الثور . قلت : الثور في الشمس
(السريع)

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني والدي ، قال : أنشدني المذكور لنفسه :
قيل لي : قد عشقته أمرد الخد ، وقد قيل : انه نكريش ^(٢)
قلت : فرخ الطاووس أحسن ما كا ن اذا ما علا عليه الريش
(الخفيف)

وأنشدني أيضاً ، قال : أنشدني والدي ، قال : أنشدني المذكور لنفسه :
هل عثرت أقلام خط العذار في مشقها ، فالحال نقط العثار ؟
أم استدار الخط لما غدت نقطته مركز ذاك المدار ؟
وريقة الخمر ، فهل ثغره در حباب نظمته العقار ؟
(السريع)

(١) بلاد واقعة جنوبي بحر قزوين وشمالى جبال البرز تناوب الحكم فيها بنو طاهر ، وبنو بويه ، وبنو سامان ، وبنو سلجوق .
(٢) الحسن اللحية .

وقال أيضاً :

وذو هيئة ، يزهو بخال مهندس ،
محيط بأوصاف الملاحه وجهه ،
فعارضه خط استواء ، وخاله
أموت به في كل وقت وأبعث ؛
كان به اقليدس. يتحدث ،
به نقطة ، والحد شكل مثلث .
(الطويل)

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني والدي ، قال : أنشدني المذكور لنفسه جواباً عن قصيدة كتبها
اليه القيسراني ، أولها :

(أعرب الفضل من بديع الزمان ،
ما تلاها ، لما تلاها ، ولكن
عن معان عزت على يونان .
فاتها حائزاً خصال الرهان)
(الخفيف)

قال مذهب الدين أبو نصر محمد : فرد جوابها قصيدة لم يبق على ذكرها منها شيء سوى
هذه الابيات :

أهـا السيد الذي أطرائي
والذي زاد في محلي وقدري ،
فتعنفت ، أي باني كما قا
وترشحت للجواب فأعيا
مجبلاً مجبلاً يقول اتق الله ،
أتظن الوهاد مثل الروابي ؟
أم تجاري طرفاً يفوت مدى الطر
بجمار يفوته الزمن المقعد
فاكتنفي سترأ ، فشعري بخطي
بمديح كالدار ، قد أطفاني ؛
وأذلّ الشاني بتعظيم شاني .
ل مجيب الطباع سهل الجنان .
ني وانسل هارباً شيطاني
فما لي بما تروم اليدان .
أم تخال الهجين مثل الهجان ؟
ف اذا ما تجاريا في مكان ؟
ان ارسلا غداة الرهان .
حين يبدو لناظر ، عورتان

ومن شعر البديع الاسطرلابي ايضاً قال في غلام معذر :

كن كيف شئت فانني
وقعدت انتظر الكسو
قد صنعت قلباً من حديد
ف وليس ذلك من بعيد
(الكامل المرفل)

وقال ايضاً :

تقسم قلبي في حبة معشر ،
كان فؤادي مركز ، وهم له
بكل فتى منهم هواي منوط
محيط ، وأهوائي اليه خطوط
(الطويل)

وقال ايضاً :

وشادن في حبه سنّة
ارضى بان اجعل خدي له
قد جعلت حي له فرضا
اذا مشى منتعلاً أرضاً
(السريع)

وقال ايضاً :

اذاقني خمرة المنايا
وقد تبدى السواد فيه
لما اكتسى خضرة العذار
وكارتي بعد في العيار
(البسيط)

وقال ايضاً :

هجرت النكاريش ^(١) ثم انثنت اعنف من بات هـوام
وما زلت في المرد ^(٢) ألحام ^(٣) الى ان بليت بالهام ^(٤)
(المتقارب)

وقال ايضاً

تاه على الناس باغرائه
ان كان في أقواله معرباً
أي فاحذروني انني ملسن
فانه في فعله يلحن
(السريع)

وقال ايضاً هـجو

مستيقظ فاذا استضيف به يصير من النيام
وتراه في عدد الطفا م اذا رأى مضغ الطعام
تبدو مصائبه العظا م أو ان تجريد العظام
(الكامل المرفل)

وقال هـجو فاصدا

وفاصد مبضعه مشرع
فصد بلا نفع فما حاصل
لو مر في الشارع من خارج
خذه اذا جاشت عليك العدا
كأنه جاء الى حرب
غير دم يخرج من ثقب
لمات من في داخل الدرب
فوحده يغنيك عن حرب
(السريع)

(١) الحسنو اللحية .

(٢) جمع امرد وهو الذي لم ينبت بعد شعر ذقنه (٣) اذمهم والومهم (٤) اكتفهم لحية (ن. ر)

وقال أيضاً وقد جاء بالعراق وفر كثير - يعني بالوفر الثلج -

يا صدور الزمان ليس بوفر ما رأيناه في نواحي العراق
انما عم ظلمكم سائر الار ض فشابت ذوائب الآفاق
(الخفيف)

وقال في مغسل الشراب وهو جردان

اني اذا ما حضرت في ملاً عددت من بعض آلة الفرج
اذا تصدرت في مجالسهم تنقصوا لي بفاضل القدر
(المنسرح)

وللبديع الاسطرلابي من الكتب اختصار ديوان ابي عبدالله الحسين بن الحجاج . زيج سماه العرب
المحمودي ألفه للسلطان محمود أبي القاسم بن محمد

ابو القاسم هبة الله بن الفضل

بغدادى المولد والمنشأ ، وكان يعاني صناعة الطب ويباشر اعمالها ، ويعد من جملة الموصوفين بها .
وكان ايضاً يكحل إلا ان الشعر كان أغلب عليه وكان كثير النوارد خبيث اللسان ، وله ديوان شعر .
وكان بينه وبين الأمير أبي الفوارس سعد بن محمد بن الصيفي الشاعر المسمى حيص بيص ^(١) شأن ^(٢)
وتهاير ^(٣) ، وكان قد يصطلحان وقتاً ثم يعودان الى ما كانا فيه . وسبب تسمية الحيص بيص بهذا
انه كان المسكر ببغداد قد هم بالخروج الى السلطان السلجوقي ، وذلك في أيام المقتفي لأمر الله ،
فكان الناس من ذلك في حديث كثير ، وحركة زائدة . فقال : ما لي ارى الناس في حيص بيص ؟
فلقب بذلك ، وكان الذي الصق به هذا التمت أبو القاسم هبة الله بن الفضل ، وكان الحيص بيص
يقصد في كلامه أبداً ، وفي رسائله الفصاحة البليغة ، والالفاظ الغريبة من اللغة .

ومن ذلك حدثني بعض العراقيين ان الحيص بيص كان قد نقه من مرض عاده فيه أبو القاسم
ابن الفضل ، فوصف له أكل الدراج ، فمضى غلامه واشترى دراجاً واجتاز على باب أمير وبه غلمان
ترك أصاغر يلعبون ، فخطف أحدهم الدراج من الغلام ومضى . فأتى الغلام اليه فاخبره الخبر فقال
له اثنتي بدواة وبيضاء ، فأثاه بها فكتب : لو كان مبر ^(٤) دراجه فتخاه ^(٥) كاسر وقف بها السغب ^(٦)

(١) شاعر وفقه شافعي وكان لا يتكلم الا الفصحى ويوما رأى الناس في حركة مزعجة فقال : ما للناس في حيص بيص ؟
فبقي عليه اللقب . وكان توفي سنة ١١٧٩ .

(٢) البفض .

(٣) مسابية بالقيح .

(٤) القاطع الخاطف . (٥) اللينة الجناحين من الطيور ثم اطلق على العقبان . (٦) المطش .

بين التدوين والتمطر ^(١) فهي تعق ^(٢) وتسف ^(٣) ، وكان بحيث تنقب أخفاف ^(٤) الابل ، لوجب الاغذاذ ^(٥) الى نصرته ، فكيف وهو ببجوحة كرمك والسلام . ثم قال لغلامه امض بها وأحسن السفارة في وصلتها الى الامير فمضى ودفعها لحاجبه فدعا الامير بكتابه وناول الرقة فقرأها ، ثم فكر ليعبر له عن المعنى فقال له الامير: ما هو ؟ فقال مضمون الكلام ان غلاما من غلمان الامير أخذ دراجا من غلامه ، فقال : اشتر له قفصاً مملوئاً دراجا فاحمله اليه . ففعل .

وحدثني شيخنا الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي رحمه الله ان الحيص بيص الشاعر ببغداد كان قد كتب الى أمين الدولة بن التلمذ ورقة يقصد فيها أن ينفذ اليه شياف أبار وهي أركنك : ايها الطب ^(٦) اللب ^(٧) الآسي ^(٨) النطاسي ^(٩) النفيس ^(١٠) النقرس ^(١١) ، أرجنت ^(١٢) عندك أم خنور ^(١٣) ، وسكمت ^(١٤) عنك أم هوير ^(١٥) ، اني مستأخذ أشعر في حنادري ^(١٦) رطسا ^(١٧) ليس كاسب ^(١٨) شبة ^(١٩) ، ولا كنخر ^(٢٠) المنصحة ^(٢١) ، ولا كنكرز ^(٢٢) الحضب ^(٢٣) ، بل كسفع ^(٢٤) الزخيخ ^(٢٥) ، فأنا من التبشير الى الغباشير ^(٢٦) لا اعرف ابن سمي من ابن جبر ، ولا أحسين صفوان من همام ، بل آونة أرجحن ^(٢٧) شاصيا ^(٢٨) ، وفينة أجنبطي ^(٢٩) مقلوليا ^(٣٠) ، وتارة أعرتزم ^(٣١) وطورا واسلنقي ^(٣٢) ، كل ذلك مع أح وأخ وحس وتهم قرونني ^(٣٣) أن ارفع عقيرتي بيعاط ^(٣٤) عاط الى هياط ^(٣٥) ومياط ^(٣٦) وهالي أول وأهون وجبار ^(٣٧) ودبار ^(٣٨) ومؤنس وعروبة وشيار ، ولا أحيص ^(٣٩) ولا اكيص ^(٤٠) ولا اغرندي ^(٤١) ولا اسرندي ^(٤٢) فتبادري بشياف ^(٤٣) الأبار النافع لعلي النافع ^(٤٤) لغلي . قال فلما قرأ أمين الدولة الورقة ، نهض لوقته وأخذ حفنة شياف أبار ، وقال لبعض أصحابه أوصله اياها عاجلا ولا تتكلف قراءة ورقة ثانية . وكتب الحيص بيص الى المقتفي لامر الله سبع رقاع عند طلبه بعقوبا ^(٤٥) منه :

الاولى انها لطايا ولأه حملت سفر ثناء ، غرد بها حادي رجاء ، والمزل الفناء .

الثانية : أجري جياذ حمد في ساحات مجد ، اجراء ممطر نهد من غير باعثة ^(٤٦) وجهه ، منتجما

-
- (١) الاسراع في الهوي . (٢) ترتفع في طيرانها وتحوم . (٣) تمر على وجه الارض . (٤) جمع خف وهو للابل كالحافر للفرس .
 (٥) الاسراع في السير .
 (٦) الحاذق بعله . (٧) اللطيف القريب من الناس . (٨) طيب الجرح . (٩) الحاذق بالطب والامور .
 (١٠) ذو القدر والخطر .

(١١) الطبيب الماهر المدقق الفطن (١٢) ألفت (١٣) الدنيا (١٤) ضلت (١٥) لم اجد لها معنى في المعاجم (١٦) أحداق اي عيوني (١٧) ضربا (١٨) شعر العانة واصله وسب وهو المشب الكثير الملتف (١٩) المغرب (٢٠) رخر (٢١) المحيط اي الابر (٢٢) طمن الحية بانفها (٢٣) ذكر الحيات الضخم او الابيض او الدقيق منها (٢٤) اللفح البير (٢٥) النار (٢٦) ما بين الليل والنهار من الضوء (٢٧) مال واهتز (٢٨) رافما يدي ورجلي (٢٩) يتلغ بطني غضبا - راصل المعنى في التخبط الورم - (٣٠) قلعا مستوفزا (٣١) تجمع وتقبض (٣٢) نام على ظهره (٣٣) نفسي (٣٤) كلمة استغائه (٣٥) و (٣٦) في الهياط والمياط اي دنو وتباعد او اضطراب او الهياط اشد السوق في الوردع والمياط اشد في الصدر ويراد منه الجيء والذهاب (٣٧) كل ما اسد واهلك (٣٨) الهلاك والدمار (٣٩) عدل وحاد وانهمز (٤٠) عجز (٤١) علاه بالشم والضرب والقهر (٤٢) علاه وغلبه او جهل عليه (٤٣) ادوية للعين (٤٤) الذي يقطع المطش وينعبه ويسكنه من الشراب (٤٥) وردت هنا بعقوبا والاصح بعقوبة وهي واحة في العراق مشهورة ببلحها وليمونها في الماضي . (٤٦) سبب .

غيب الغاية كرماء .

الثالثة : جد يا أمير المؤمنين بوفر دثر^(١) ، لا بكي^(٢) ولا نزر ، لفصح شعر ، ييم لجة بحر يرتاد
عتاد دهر ، فالقافية سحر ، والسامع حبر ، والعطاء غمر^(٣) .

الرابعة : ان الموصل واليغاران هما اقطاع ملكين سلجوقيين ، وكانتا جائزتين لشاعرين طائيين من
إمامين مرضيين ، أحدهما معتصم بالله ، والآخر متوكل على الله ، والبناء الاشرف اعظم ، وعطاؤه أرزم
فعلام الحرمان ؟

الخامسة : خامسة من الخدم ، في انتجاع شايبب الكرم ، من القدس الاعظم ، حلوان قافية ،
تجري كنجانية ، بمخترق بادية ، تهدي سفرأ ، وتسمل وعرا ، والرأي بنجح آمالها أخرى .

السادسة : ان وراء الحجاب المسدل لا يهم طود ، وخضم يم غرس خطب ، وقاقل جذب ، جل
فبهر ، وعز فقهر ، ونال فقهر ، صلوات الله عليه ما هبت الريح ، ونبت الشيخ^(٤) .

السابعة ، يا امير المؤمنين ، مائة بيت شعر او سبع رقاع نثر ، انذاد عن النجح ذباد الحائثات ؟
كلا ان الاعراق لبوية ، والمكارم عباسية ، والفتنة لودعية^(٥) ، وكفى بالمجد محاسباً .

ماذا اقول اذا الرواة ترغوا	بفصيح شعري في الامام العادل ؟
واستحسن الفصحاء شأن قصيدة ،	لأجل ممدوح ، وأفصح قائل ؟
وترنحت أعطافهم فكأنما	في كل قافية سلافة بابل ؟
ثم اثنتوا غب القريض وضمنه ،	يتساءلون عن الندى والنائل .
هب ، يا أمير المؤمنين ، بأنني	قص الفصاحة ، ما جواب السائل ؟

« الكامل »

وكانت وفاة أبي القاسم بن الفضل في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة (ومن شعر) أبي القاسم هبة الله
أنشدني مذهب الدين أبو نصر محمد بن محمد بن ابراهيم الحلبي ، قال : أنشدني بديع الدين أبو الفتح
منصور بن أبي القاسم بن عبدالله بن عبد الدائم الواسطي المعروف بابن سواد العين ، قال : أنشدني أبو
القاسم هبة الله بن الفضل لنفسه :

في العسكر المنصور ، نحن عصابة	مرذولة ، أخسس بنامن معشر
خذ عقلنا من عقدنا فيما ترى	من خسة ورقاعة وتهور ،
تكريت ^(٦) تعجزنا ونحن ، يجهلنا ،	نمضي لنأخذ ترمذاً ^(٧) من سنجر ^(٨)

(١) كثير . (٢) الكثير البكاء اي الوافر الكثير . (٣) سخي كثير . (٤) نبت سهل له رائحة طيبة ، وهو
مر الطعم . (ن.د)

(٥) اللودعي : الحديد الفؤاد والنفس او اللسان الظريف وهنا بمعنى سريع الى الفهم والصواب .
(٦) مدينة على عين شاطيء دجلة شمالي سامراء وفيها ولد صلاح الدين الايوبي . (٧) مدينة على الضفة الشمالية لنهر جيحون
(آموداريا) شمالي ايران فيها اثار تاريخها الى العهد البوذي . (٨) سلطان سلجوقي ١٠٨٦ - ١١٥٧ وهو فاتح تركستان .

اما الحويزي الدعي فانه
يكنى ابا العباس ، وهو بذلة
في كف والده وفي أقدامه
يمشي الى حجر القيان بنشطة
وحديثه في الحق او في باطل
واذا رأى البركيل (٤) يرعد خيفة
نسب الى العباس ليس شبيهه
والحيص بيص مبارز بقناتيه ،
هناك لا يخشى لتقل بعوضة ،
أجري ببضعي الدماء ، وسيفه
لقرينه في الحرب طول سلامة ،

دلو ، يشوب تكبراً بتمسخر ،
حكمت عليه وأسجلت بمعمر ،
آثار نيل (١) لا يزال وعصفر (٢)
ويدب في المحراب نحو المنبر ،
لم يخله من وحشة وتمهز (٣)
ذي الهاشمية اصلها من خير (٥)
في الضعف غير الباقلاء الأخضر
وأنا بشعشعتي طبيب المسكر
وأنا فلا أرجى لبرء مدبر ؛
في الغمد لم يعرض لظفر الخنصر ؛
وصريع تدبيري بوجه مدبر

(الكامل)

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني البديع أبو الفتح الواسطي ، قال : أنشدني المذكور لنفسه يمدح
سديد الدولة (٦) أبا عبد الله محمد بن الانباري كاتب الانشاء ببغداد :

يا من هجرت فما تبالي ،
ما أطمع ، يا عذاب قلبي ،
الطرف من الصدود باك ،
والقلب ، كما عهدت ، صاب
والشوق بخاطري مقيم ،
يا من نكأت صميم قلبي
هيات ، وقد سلبت غمضي ،
لو شئت وقفت عند حد
ما ضرك ان تعليني
أهواك ، وأنت حظ غيري ،
والقتل لظاهري شعار ،
ذا الحكم ، علي من قضاة ؟

هل ترجع دولة الوصال ؟
أن ينعم في هواك بالي ،
والجسم كما ترين بالي ،
بالوعة والغرام صالي ،
ما يؤذن عنه بارتحال .
بالزن وصورة الخيال ،
أن أظفر منك بالخيال .
لا يسمح منك في الدلال ،
في الوصل ، بموعده محال ،
يا قاتلي فما احتيالي ؟
أن أنت عززت باختيال
من أرخصني لكل غالي ؟

(١) نبات يصبغ بعصارتة وهو العظيم ولونه عصارتة الزرقاء ، (٢) نبات يصبغ به ولون عصارتة الصفرة ،
(٣) الضحك والهزل (٤) هكذا في الاصل والصحيح البركل كما في التاج وهو فرخ الثعبان الكبير ، (٥) واحة على الطريق
بين المدينة ودمشق وغزاها النبي (ص) عام ٦٢٨ وضرب الآلة على سكانها اليهود ، ثم اخرجهم منها عمر بن الخطاب ، وهنا
يقصد الشاعر بها التحقير والذم (ن.ر)
(٦) من مشاهير الكتاب والمنشئين.

ما أشبهن بالليالي !
 عن حبك ، ما لهم ومالي ؟
 عن ذكر سواك في اشتغال ؛
 في الصدر تشب باشتعال .
 الصب أنا ، وأنت سالي ؟
 ما أحسنه لو استوى لي !
 ترنو وثغن عن غزال ،
 أمضى وأمض من نبال ؛
 لا براء لها من اغتيال .
 واعذره فما العذار خالي ؛
 ان هام بربة الجمال ،
 في الوجد ، مسلماً لحالي
 دعني فهداي في ضلالي :
 قد صح بعشقتها اختلاي ،
 والصبوة بعد في حبالي
 عن حسن بعيدة المثال .
 الا بزخارف الحال ،
 فالقلب لذاك في نكال (١) ؛
 في القاع ، على ظمأ الزلال
 من أكرم معشر وآل ؟
 بالانعم سابغ الظلال ؛
 كالغيث يسح في الفعال !
 الدولة ذي الندى المدال ،
 بالضمير مرادها الليالي ،
 قد رغن له بلا اعتدال ،
 ما شاء بيارد زلال .
 في الازمة مسبل العزالي .
 بالشدة أرحم الموالي .

أيام عنائي فيك سود
 واللوم فيك يزجروني
 العشق ، به الشغاف أضحي
 والنار وان خبت لظاهها
 يا مازمي السلو عنها ،
 والقول بتركها صواب ،
 دعني وتغزلي بنجود (١) ،
 حوراء ، لطرفها سهام
 في القلب لوقعها جراح ،
 فارحم قلقلها وقيدا (٢)
 ما يميل ان تلوم صبا
 اياك ، وخلي وويلي
 ان كنت تعده صلاحاً ،
 في طاعتها بلا اختياري ،
 طلقت تجلدي ثلاثاً ،
 من أين ؟ وكيف لي بصبر ؟
 لم أحظ بطائل لديها ،
 كم قد نكلت (٣) عقيب عهد
 كما غرني الخداع منها
 هلاً صدقت كأريحي
 راجية لديه في جناب
 ما الغيث يسح من يديه
 من موثله ذرى سديد
 لا تطمع ان تنال منه
 والغدر لعله تمام
 تسفيه يد النجاح منها
 في ربع مهناً العطايا
 أستصرخ منه حين أشقى

(١) المرأة الشابة .

(٢) الشديد المرض المشرف على الموت

(٣) فكص وجين .

(٤) الارهاب .

من جود يديه لي كقبل
لا ينظر في سوى صلاحه
ما زال ، ولا يزال طبعاً
لا يعجبه ملام فاه
فالسودد شمله جميع
من يلقي محمداً بمدح
والوجد بغادة رداح ^(١)
والجود بكف ذي سماح
مولاي ، نداء مستجير
يا أكرم منعم عليه
دبر مخني ، لعل جرحي
كم أوقفني غريم سوء ،
كالملس من يهود هطرى ^(٢)
ما صبح لي الخلاص منه
والعادة في صلاح عدمي ،
تقريظك ، ما حييت ، دأبي
ما أكحل بالهجا لكن
فالعرض أردته سميناً
من دبر هكذا مزاجاً
فالسبغ اذا آتاه عفواً
يا خير مؤمل اليه
لم يقضك خاطري حقوقاً ،
ان أئن عليك أبد عجزاً
أوصافك في الفخار ، جازت
فالخط ^(٣) طوالها قصار
كم راع بك القنا يراع
أقلامك أسهم قواض ،
تقضي ثعل لها بفخر
لو شاجرت الرماح كانت

في القحط براتب العيال ،
ان أبصرني بسوء حال .
يعطي كرماً ولا يبالي
في الذب عن العلى بمال
في دار مفرق النوال ،
يحمده باحسن . الخلال
فالاظم منه كالحلال
من خير مناقب الرجال
يدعوك لدائه العضال :
في دفع مآربي اتكالي
يجبره نذاك باندمال .
في حال وقوفه حيالي ،
في قبضة عامل الجوالي
الا بصحاحك الثقال .
في العود لثلها سؤالي .
بالظام على فراغ بالي
بالقصد لكفك اشتغالي .
والكيس محالف الهزال
بالخذق لصورة الكمال
وافاه برزقه الحلال .
شدت بمدائح رحالي
مذ أصبح ظاهر الكلال .
عن نعت معظم الجلال ،
في الكثرة عدة الرمال ؛
عن خطك ساعة النزال .
في كفك واسع المجال
والنقش لهن كالنصال .
والقارة ساعة النضال
في الروح لكفها العوالي ،

(١) الثقبلة الادراك التامة الخلق .

(٢) انقاض مدينة في العراق جنوبي غربي الموصل على وادي الثرثار خربتها الزلازل اكتشف فيها الاثري العراقي ناجي الاصيل حصناً عثر فيه على تماثيل آلهة الجاهلية العزى واللات والمناة .
(٣) قصد بها هنا الرماح نسبة الى الخط ، بلد بالبحرين تباع فيها الرماح

(ن . د)

عيون الانباء (٢٥)

أو صافحت الصفاح فلئت
أو حبرت المثال أبدت
تملى فقراً من المعاني
ينفثن على الصباح ليلاً
كتب ضمنت بلا اشتراط
هاروت اذا أقته ولى
فيها سبح على لجين (١)
في النشر كأوجه العذارى
الفاظك للوعول حطت
بالكيد تقتل الاعادي ،
كم رضت من الورى جوحاً
لا زلت موفق المساعي
تنقاد لك الامور طوعاً
يا أكرم والد لنجمل
أكرم بفتاك من ولى
ان جاد ينجمل الغوادي
يا شمس علا زمت ببدر
لا زال مشرقاً منيراً
ما عادك بالسرور عيد
في أسبغ نعة وعيش
لا زال علاك في ثبات
عن أخلص نية بصدق
ما يلتبس الصحيح يوماً

غربي متشعشع الصقال
ما دق وجل عن مثال.
سددن مفقر المعالي
ناهيك بسحرها الحلال
تمزيق ككتائب جلال
لا يخطر ببال
اسنى قيماً من اللآلي
غلغن بفاخر الغوالي (٢)
مستنزلة من الفلال
في السلم لها بلا قتال .
للعقل فعاد في عقال (٣)
بالجد مشفع بالسؤال
يا خير بقية الرجال ،
يتلوه مهذب الحلال
للدولة مخلص موال
أو قال أجاد في المقال .
حاشاه يقاس بالهلال
في ظلك دائم الكمال
ترعاه باحسن اشمال
بالطيبة دائم التوالي
لا يسلمه الى زوالي
في طول بقائك ابتهالي
تالله عليك بالمحال

وأنشدني أيضاً قال ، أنشدني البديع الواسطي قال ، أنشدني المذكور لنفسه

لا أمدح اليأس ولكنه
أفلح من ابصر عشب المنى
أروح للقلب من المطمع
يرعى فلم يرع ولم يرتع
(السريع)

(١) الغضة .

(٢) التفائس ،

(٣) الجبل الذي يشد به البعير في وسط ذراعه ،

وأنشدني أيضاً قال ، أنشدني البديع الواسطي قال ، أنشدني المذكور لنفسه

يا معشر الناس ، النفي النفي ،
قد جلس الهردب^(١) فوق السرير ؛
وصار فينا أمراً ناهياً ،
وكننت أرجو أنه لا يصير .
فكلما قلت : قذى ينجلي وظلمة عما قليل تنير
فتحت عيني فإذا الدولة والشيوخ الوزير الوزير
(السربع)

وأنشدني أيضاً قال ، أنشدني البديع الواسطي قال ، أنشدني المذكور لنفسه . وقال في الحيص
بيص الشاعر وكانت قد نبحت عليه كلبة مجرية^(٢) ، فقتل جرواً لها بالسيف :

يا أيها الناس ، ان الحيص بيص أتى
هو الجبان الذي أبدى شجاعته
فأنشدت أمه ، من بعدما احتسبت :
أقول للنفس : تأساء وتعزية
كلامها خلف من فقد صاحبه
بفعلته أورثته الخزي في البلد
على جري ضعيف البطش والجلد ؛
دم الابلقي عند الواحد الصمد ،
أحدى يدي أصابني ولم ترد ،
هذا أخي حين أدعوه وذاولدي
(البسيط)

وأنشدني أيضاً قال ، أنشدني البديع الواسطي قال أنشدني المذكور لنفسه
يا ابن المرخم صرت فينا حاكماً !
ان كنت تحكم بالنجوم فربما ،
أما شريعة أحمد من ابن لك ؟
(الكامل)

وأنشدني أيضاً قال ، أنشدني البديع الواسطي قال ، أنشدني المذكور لنفسه يهجو
البديع الاضطرابي

لا غرو ان دهي الحجيح وان رموا منه بنكبه ،
حج البديع وعمره^(٣) وقتناه فانظر أي عصبية ؟
فثلاثة من منزل : علق^(٤) ، وقواد^(٥) ، وقجبة^(٦)
(الكامل المرقل)

ومن شعر أبي القاسم هبة الله بن الفضل أيضاً قال يهجو أمين الدولة بن التلميد
هذا تواضعك المشهور عن ضعة قد صرت فيه بفضل اللؤم منهم

(١) المعجوز (٢) ذات جراء وهي صغار الكلاب

(٣) امرأته (٤) العلق في اللغة النفيس من كل شيء او الخراب وارى انه قد استعملها هنا لما تستعملها العامة عندنا
من المسبة والقبح (٥) الذي يهوى المرأة ليفجر بها ذور الفجور اي الديوث (٦) الفاجرة « مولدة » لانها كانت تسمل او
تتنحج لتؤذن طلابها بقبحها .

قعدت عن أمل الراجي وقت له هذا وثوب على القصاد لا لهم
(البسيط)

وقال ايضاً

غزال قط لا هوى ولا يعجبه المطبو
سوى المطبوعة التبر ع من نظمي ولا نثري
(الهزج)

وقال ايضاً

أحسن يا عسكر دين الهدى كأنه الجبال في سيره
منهزماً في خمسمائة الف يزداد إقداماً الى خلف
(السريع)

وقال ايضاً

ألا قل ليحيى ، وزير الأنام كسرت الصحاح بتصحيحها ،
محوث الشريعة محو السطور ، وما ان قصدت لتهديبها ،
واصبحت تضربها في الجذور . ولكن لتهدى بها في الصدور .
(المتقارب)

وقال ايضاً

وقالوا قد تحجب عنك مولى فقلت سيفتح الاقفال شعري
وصار له مكان مستنصر^(١) ويدخلها فان البرد لص
(الوافر)

وقال يمدح الدواء المعروف ببر شعنا لما ألف تركيبه أروحد الزمان :
تجرعت برشعنا وحالي اشعث ولو بعد عيسى جاز احياء ميت
فما نزلت بي بعده علة شعنا لاصبح يحيا كل ميت ببرشعنا
الطويل

وقال ايضاً

هذا يقول استرحنا وهذا يقول عطينا
ويكذبان ويهذي الذي يصدق منا
المجتث

وقال ايضاً

كم ترددت مراراً وتجرعت مراره

(١) خاص به (ن . ر)

ثم لما وفق الله
لم يكن فيها من الخنطة ما تقرض فاره
ووقعت بكاره
الرمل

وقال ايضاً

أمدحه طوراً ، وأهذي به
مثل امام بين أهل القرى ،
طوراً ، ولا أطمع في رفته (١)
صلى بهم والزيت من عنده
السريع

وقال ايضاً

يا خائف الهجو على نفسه
أنت بهذا العرض بين الوري
كن في امان الله من مسه
مثل الخرا يمنع من نفسه
السريع

وقال ايضاً

كلما قلت قد تبغدد (٢)
ليس إلا ستر يشا
قومي تحمصوا (٣)
ل ، وباب مجصص (٤)
والغواشي (٥) على الرؤ
وس عليها المقرنص (٦)
وأنا الكلب كل يو
م لقرد أبصص (٧)
كلما صفق الزما
ن لهم قت أرقص
فتى اسمع النداء
وقد جاء مخلص ؟
(الحقيف)

ولأبي القاسم هبة الله من الكتب : تعاليتي طيبة ، مسائل وأجوبتها في الطب ، ديوان شعره .

العنثري

هو أبو المؤيد محمد بن المجلي بن الصائغ الجزري ، كان طبيباً مشهوراً وعالمًا مذكوراً ، حسن المعالجة ، جيد التدبير ، وافر الفضل ، فيلسوفاً متميزاً في علم الادب . وله شعر كثير في الحكمة وغيره .

(١) العطاء .

(٢) انتسب الى بغداد .

(٣) انتسب الى حصص .

(٤) مطلي بالجص - الجفصين .

(٥) واحدها غاشية وهي الغطاء على البصر والصدر وهنا يطلقها على الغطاء للرأس المثقب .

(٦) مشتق من القرائيص وهي خرز في اعلى الحف وذلك من القرونوس الذي هو مقدم الحف .

(٧) احرك ذنبي (ن. ر .)

وحدثني الحكيم سديد الدين محمود بن عمر رحمه الله : ان العنثري كان في أول امره يكتب أحاديث عنتر العبسي فصار مشهوراً بنسبته اليه .

ومن كلامه في الحكمة قال :

بني ، تعلم العلوم فلو لم تنل من الدنيا الا الغنى عن يستعبدك بحق أو بباطل .
وقال : بني ، ان الحكمة العقلية تريك العالم يقادون بازمة الجهل الى الخطأ والصواب . وقال :
الجاهل عبد لا يعتق رقه الا بالمعرفة .

وقال : الحكمة سراج النفس فمتى عدمتها عميت النفس عن الحق .
وقال : الجاهل سكران لا يفيق الا بالمعرفة .

وقال : الحكمة غذاء النفس وجمالها ، والمال غذاء الجسد وجماله ، فمتى اجتمعا للمرء زال نقصه ، وتم كماله ، ونعم باله .

وقال : الحكمة دواء من الموت الابدي .
وقال : كون الشخص بلا علم كالجسد بلا روح .
وقال : الحكمة شرف من لا شرف له قديم .

وقال : الادب أزين للمرء من نسبه ، وأولى بالمرء من حسبه ، وأدفع عن عرضه من ماله ، وأرفع لذكره من جماله .

وقال : من أحب ان ينوه باسمه فليكثر من العناية بعمله .
وقال : العالم المحروم أشرف من الجاهل المرزوق .
وقال : عدم الحكمة هو العقم العظيم .
وقال : الجاهل يطلب المال ، والعالم يطلب الكمال .
وقال : الغم ليل القلب ، والسرور نهاره ، وشرب السم أهون من معاناة الهم .

ومن شعر أبو المؤيد محمد بن المجلي بن الصائغ المعروف بالعنثري أنشدني إياه الحكيم سديد الدين محمود بن عمر بن رقيقة قال ، أنشدني مؤيد الدين ولد العنثري قال : أنشدني والذي لنفسه .

احفظ بني وصيتي واعمل بها	فالطب مجموع بنص كلامي :
قدم على طب المريض عناية	في حفظ قوته مع الأيام ؛
بالشبه تحفظ صحة موجوده	والضد فيه شفاء كل سقام .
أقلل نكاحك ما استطعت فانه	ماء الحياة يراق في الأرحام ؛
واجعل طعامك كل يوم مرة ،	واحذر طعاماً قبل هضم طعام ؛
لا تحقر المرض اليسير فإنه	كالنار يصبح وهي ذات ضرام .
واذا تغير منك حال خارج ،	فاحتل لرجعة حل عقد نظام .

لا تهجرن القيء ، واهجر كل ما
ان الحمى ، عون الطبيعة ، مسعد
لا تشربن بعقب أكل عاجلاً ،
والقيء يقطع والقيام كلاهما
وخذ الدواء اذا الطبيعة كررت
واذا الطبيعة منك نقت باطناً
إياك تلزم أكل شيء واحد
وتزيد في الاخلاط ان نقصت به
والطب جملته ، اذا حققته ،
ولعلّقل تدبير المزاج فضيلة

كيموسه سبب الى الاسقام ؛
شاف من الأمراض والالام ؛
أو تأكلن بعقب شرب مدام ؛
بهما وليس بنوع كل قيام .
بالاحتلام وكثرة الاحلام ؛
فدواء ما في الجلد بالحمام .
فتقود طبعك للأذى بزمام ،
زادت فنقص فضلها بقوام .
حل وعقد طبيعة الاجسام
يشفى المريض بها وبالاوهام
(١١) (الكامل)

أقول وهذه القصيدة تنسب أيضاً الى الشيخ الرئيس ابن سينا ، وتنسب الى المختار بن الحسن بن بطلان ، والصحيح انها لمحمد بن المجلى لما قدمته من انشاد سيد الدين محمود بن عمر لي مما أنشده مؤيد الدين بن العنترى لوالده مما سمعه منه . ووجدت العنترى أيضاً ذكرها في كتابه المسمى « بالنور المجتنى » وقال انها له وقال أيضاً أنشدنيها سيد الدين .

وجودي ، به من كل نوع مركب
فذهني مشكاة ، ونفسي زجاجة
ونوري من النور الالهي دائماً ،
وزيتي من الزيتون العذب دهنها ،
كاني في وصفي منارة راهب

من العالم المعقول والمتركب :
تضيء بمصباح الحجا المتلّهب ؛
يصب على ذاتي بغير تسكّيب ؛
تنزه عن وصف بشرق ومغرب .
بقنديلها الشفاف أشرف كوكب
(الطويل)

وقال أيضاً
اذا ان غدا والنفس منه كجنة
تدبرك السبع الطباقي وفازقت

يفرد في أرجائها كل طائر
على شرف منها سجون العناصر
(الطويل)

وقال أيضاً
كأننا ممتزج لم يزل
فبعضنا يختارها داره

من عالم النير والمُظلم
وبعضنا يرقى الى الانجم
(السريع)

(١) ابو علي الحسين بن عبد الله بن علي بن سينا من كبار فلاسفة العرب وائمة المفكرين وسيأتي الكلام عليه .

وقال أيضاً :

الحق ينكره الجهول لانه
فهو العذر لكل ما هو جاهل

عدم التصور فيه والتصديقا
فاذا تصوره يعود صديقا
(الكامل)

وقال أيضاً :

لو كنت تعلم كل ما علم الوري
لكن جهلت ، فصرت تحسب كل من
استجبي ان العقل اصبح ضاحكا
لو كنت تسمع ما سمعت ، وعالمياً
وضع الاله الخلف^(١) في كل الوري

جمعاً ، لكنت صديقي كل العالم ؛
ينوي خلاف هواك ، ليس بعالم .
ما تقول وأنت مثل النائم
ما قد علمت ، خجلت خجلة نادم
بالطبع حتى صار ضربة لازم
(الكامل)

وقال أيضاً :

أبلغ العالمين عني باني
قد كشفت الاشياء بالفعل حتى
وعرفت الرجال بالعلم لما

كل علمي تصور وقياس
ظهرت لي وليس فيها التباس
عرف العلم بالرجال الناس
(الخفيف)

وقال أيضاً

قالوا: رضيت، وانت اعلم ذا الوري،
تجتاب أبواب الخمول. فقلت : عن
لي مة مأسورة لي صادفت
ضاق القضاء بها ، فلا يستطيعها
ما للمقاصد جمة ومقاصدي
اطوي الليالي بالمنى ، وصروفها
اني على نوب الزمان لصابر
أما الذي يبقى فقد احرزته

بحقائق الاشياء عن بارها
كره ولست يحال راضيها ؛
سعدا بغير عوائق تنهيا ؛
لعلوها الافلاك أن تحويها ،
ناط القضاء بها الفضا والتهيا ؟
تنشرني أضعاف ما اطويها .
اما سيفني العمر أو يفنيها ؛
والفانيات فما افكر فيها .
(الكامل)

وقال أيضاً

بني ، كن حافظاً للعلم مطرحا
فقد يسود الفتى ، من غير سابقة
غذ العلوم بتذكرك تزد أبدا ،
اني أرى عدم الانسان اصلح من

جميع ما الناس فيه تكتسب نسباً،
للاصل ، بالعلم حتى يبلغ الشها .
فالنار تخمد منها لم تجد حطباً ،
عمر به لم ينل علماً ولا نسباً !

(١) الاختلاف .

قضى الحياة ، فلما مات شيعة

جهل ، وفقر ، فقد قضاهما نصبا .

(البسيط)

وقال ايضاً

كن غنياً ان استطعت والا
انما سؤدد الفتى المال والعلم

كن حكيماً فما عدا ذين غفل
وما ساد قط فقر وجهل

(الخفيف)

وقال ايضاً

اقسم العمر ثلاثاً واستمع
فاطلب الحكمة في أوله ،
واكسب الاموال في الثاني ، وكل
وترقب آخر العمر فان
وان اعتاقلك ، في احدهما ،
هذه سيرة مسعود بها

يا بني النصيح مني ، والرشادا :
واحرز العلم وجب فيه البلادا ؛
واشرح الراح ولا تبغ الفسادا ؛
جاءك الموت ، فقد نلت المرادا ؛
طارق الموت فقد حزت الجهادا .
نال في الدنيا وفي الاخرى السدادا^(١)

(الرمل)

وقال ايضاً

بني تعلم حكمة النفس انها
ولا تطلب الدنيا فان كثيرها
فمن كان في الدنيا حريصا فانه
ومن يترك الدنيا واصبح راهباً

طريق الى رشد الفتى ودليل
قليل وعمى رقدة فتزول
يظل كتيب القلب وهو دليل
فما للأذى يوماً اليه سبيل

(الطويل)

وقال ايضاً

نفسى تطالبني بما في طبعها
والنفس تعلم ان ذلك واجب
والطبع يقصر عن مراد كليها
والنفس من خمر الحياة وسكرها

والعقل يزجرها عن الشهوات
والطبع يجذبها الى العادات
فكلامها وقف على الحسرات
ستفتق بين عساكر الاموات

(الكامل)

وقال ايضاً

لا تدنين فتى يودك ظاهرا
واهجر صديقك ان تنكر وده

حبا وضد وداده في طبعه
فالعضو يحسم دأؤه في قطعه

(الكامل)

(١) الرشاد والصواب والاستقامة .

وقال ايضاً

من لزم الصمت اكتسى هيبه
لسان من يعقل في قلبه

تخفي عن الناس مساويه
وقلب من يجهل في فيه
(السريع)

وقال ايضاً

عدّل مزاجك ما استطعت ولا تكن
واحفظ عليك حرارة برطوبه
واعلم بانك كالسراج بقاءه

كمسوف أودى به التخليط
تبقى فتركك حفظها تفريط
ما دام في طرف الذبال سليط
(الكامل)

وقال ايضاً

ثقله الجسم يستمد غذاه
هو لما رأى التحلل طبعاً

طلباً منه للبقا والدوام
أخلف المثل بالغذا والطعام
(الخفيف)

وقال ايضاً

ومخطف^(١) الحصر زارنا سحرا
يحمل تفاحة مودة
كانها النجم في توقده

في غنج عينيه سحر هاروت
كدرة رُصّعت بياقوت
قارن بدر الساء في حوت
(المنسرح)

وقال : اهدى إلي بالرحبة بشر بن عبدالله الكاتب طبقاً من تفاح لم أشاهد مثله حرة وندا ،
فكتبت اليه . وقد كان طلب مني تشبيهاً في التفاح ، فقلت له اذا حضر عملت فيه تشبيهاً ، فنفذ
ذلك فكتبت اليه

مُهباً ، فان الديك هب وصاحا ،
راح تريح من الهموم ، وطبعها
اهدى الرئيس ، وفي نداه سجية
طبقاً من التفاح . اني لم ازل
ان الطبيعة والمزاج تشاركها
صاغاه كالكاפור ، لكن جلده
فكانه من لون حبي قابس

جنح الظلام واسقياني الراحا ؛
ينفي السقام ، وينعش الارواحا .
تهدي النفائس غدوة ورواحا ،
أهوى الثار وأعشق التفاحا .
في الكون لما اوجداه سماحا ،
قد ألبسناه من النجيع وشاحا ؛
وكأنه من نشر بشر فاحا
(الكامل)

(١) ضامر خفيف لحم الجنب .

وقال في النارج

سقياني من نخدرات الدنان
وأدرها في مجلس ارهجته
وكان الكؤوس فيه نجوم
وابتدت بعد قطعها فلك السعد
وكان النارج بين الندامى
بنات كرم حمراء كالارجوان
نفحات النايات والعيان
أطلعتها أيدي البدور الحسان
أكرأ مثلت من الزعفران
(الحقيف)

وقال في الرمان الحامض

وشادن ابلج كالبدن
بات به يصرف عنه الاذى
ينتقل الرمان في أثرها
كانه وهو خبير به
نادمته ليلاً الى الفجر
بنهل كاسات من الخمر
خافه من ضرر السكر
يكسر الياقوت بالدر
(السريع)

وقال ايضاً

وبابلي اللحاظ كالقمر
أولاه فيض الجمال أجمه
خشيت من عقرب به قر
أصبح في الارض فتنة البشر
والحسن والظرف واهب الصور
فكيف بالعقرين في قر
(المنسرح)

وقال ايضاً

ومهفف^(١) يغشى العيون غريقه
قلم الطبيعة خطه والمشتري^(٢)
في لج ماء الحسن منه وموجه
يملي عليه عطارده^(٣) من أوجه
(الكامل)

وقال في غلمان يسبحون بدجلة

وسرب غيد بشاطيء دجلة خرجوا
كأنهم وسط لج الماء أجمعهم
عن الثياب والقوا سائر الكلف
در تجرد في بحر عن الصدف
(البسيط)

وقال في غلام في الحمام

جردته الحمام من كل ثوب
بدنا كالصباح من تحت ليل
وأرتني منه الذي كان قصدي
حالك اللون اسود غير جعد

(١) الضامر البطن الدقيق الحصر (٢) نجم من الكواكب السيارة (٣) نجم من السيارات وهو اقربها من الشمس (ن.ر)

سكب الماء فوق جسم حكي الفضة حتى اكتسى غلالة ورد
(الخفيف)

وقال وكتبها الى صديق

جاء شعبان منذراً بالصيام
خندريساً ، كأنها الشمس لونا ،
واسقني من يمين أغيد ريم
فكأن الصهباء في الحسن والسا
شمس ظهر ، في كف بدر ، عليها
سيما والربيع بالورد عاف
فاسقياني راحاً بماء الغمام ،
وضياء ، أسفى من الاوهام .
من بني الترك مثل بدر التمام .
قي بها والحباب فوق المدام :
سمط در ، حكي نجوم الظلام ؛
يومه يشتري بسبعين عام
(الكامل)

وقال أيضاً

كتبت وبني من لأعج الشوق والاسى
ولولا الرجا ان يجمع الله بيننا
ولكنني أدعو الى الواحد الذي
الك جوى يوهي القوى والقوادما
كأحسن ما كنا أتيتك قادمأ
يرى كل شيء ان يردك سالماً
(الطويل)

وقال ايضاً :

يا من تربع جلعا (١) وغدا
لا تطلبن بغيرها بدلاً ،
قض الزمان ولا تبسع ، طمعاً ،
واشرب بها صفراء صافية
راحا اذا بزلت بانية
فالعاقيل الفطن اللبيب اذا
اني لاهوى شرب صافية
من كف من يهوى الفؤاد بها
تسقي ندامى كالنجوم غدوا
ما نلتقي الا حليف حجي
يدعى من السعداء عش أبدا ،
هي جنة الله التي وعدا ؛
نقدأ بوعد ترجيه غدا ،
تنفي الهموم وتسلب الكمدا ؛
قذفت على حافاتها الزبداء
نال المنى ، في منزل ، قعدا ،
مقطوبة في الكاس من بردى
تسمى بها والليل قد بردا
بيض الوجوه تخالها بردا
يلقي العلوم وشاديا غردا
(الكامل)

(١) اي دمشق .

وقال أيضاً :

سلام كانفاس الرياض بعالج^(١)
الى ساكن فيها وفي القلب مثله
الى جنة الدنيا جميعاً وليتني
وأنت بها فالراح غير لذينة
سميع مطيع للاخلاء قد صفا
واني ليدعوني الهوى كل ساعة
سلام من الشعرى^(٢) الياني دائماً
وان مزق الدهر المعاند شملنا
وبدلني بالصد منك فحالي
ومن نكد الدهر الغشوم وصرفه
يلفغه ريح الصبا أرض جلق
مقيماً به عقلاً الى حين نلتقي
أنخت بها يوماً من الدهر أينقي
بغير نديم خالص الود مشفق
بغير قذى صفو الشراب المعتق
اليك وتغريد الحمام المطوق
الى ترهبها الشامية المتألق
فان ودادي ليس بالتمزق
كحالة مأسور بغربة موثق
يحاور رغماً . فيلسوف لأحق
(الطويل)

وقال ايضاً :

يا حجة الدين سر بالله معتصماً
فللكواكب عذر في تنقلها
الدر لولا نخور الغيد ما خرجت
فاقبل الى ملك ما نال غايته
هو الهيولى^(٣) وانت الجسم تقبل أصناف المعالي قبولاً غير مختلف
ولا تكن لفراق حم ذا أسف
عن البيوت لكي تحتل بالشرف
به المقادير أحياناً من الصدف
وما حواه ملوك الارض في السلف
(البسيط)

وقال: استدعاني الرضا وزير الجزيرة في ليلة ممطرة فكتبت اليه مع الغلام :

قل للوزير أدام الله نعمته
بعثت في طلبي والغيث منسكب
وقد رددت الذي نفذت في طلبي
في دولة أمرها في الحضر والبادي
والوحد قد كف سير الرائح الغادي
فابعث الي بمركوب ولباد
(البسيط)

فبعث اليه ما أراد وقال وكتبه الى بعض الكتاب :

دعني من المطل الذي لا ينقضي
أبدأ وسقم القلب بالتعليل

(١) رمال معروفة بالبادية قال في الصباح : جبال متواصلة يتصل اعلاها بالدهناء ، والدهناء ، قرب اليمامة ، واسفلها بنجد
تتسع كثيراً حتى قال البكري : رمل عالج يحيط بأكثر ارض العرب (ن.د)
(٢) كوكب نير يقال له المرزم ، يطلع في شدة الحر بعد الجوزاء ، وهما الشريان .
(٣) المادة الاولى والأصل وهي في اصطلاح الحكماء اصل جميع السور (ن . د .)

قل لي نعم او لا بغير توقف
لاكون من طمعي الكذوب كمن رأى

فاليأس أروح لي من التطويل
أضغات أحلام بلا تأويل
(الكامل)

وقال يهجو علي بن مسهر الشاعر :

ما ولدت سلاء من جن عبقر
لهامة صلعاء من فوق قامة
بها جعل^(١) ما بين فكبيه كامن يزج
ولما شكى داء قديماً بدبره
فقلت دواء الدبر طعنة أجرد
تناك به من بين فخذي موسوس
وما يشتكي فوك الخبيث دواؤه
وكل من جوارشن البطون فانه
ففيك من العاهات ما لو تقسمت

بأقبح شخص من علي بن مسهر
مقوسة حدباء في دور خنصر
الخرا من فيه في كل محضر
الى وداء من فم منه انخر^(٢)
عريض القفا عريان اقرع اعور
به جنة كالعير هوج أثير
بمسواك جعس^(٣) بجه حجر خيبري
لدائك أشفى من جوارشن قبصر
على الخلق جمعاً لم تجد غير مدبر
(الطويل)

وقال في المرأة :

قد أقبلت غولة الصبايا
فقلت من أعظم الزايا
أحسن ما كنت في عباءة

تنظر عن معلم النقاب
قفل على منزل خراب
ملفوفة الرأس في جراب
(البسيط)

وقال يمتدح فضيلة الشرع :

ان الشريعة ألقت بصلاحها
الشرع اصلح كل غاو مارد
لولا الشريعة ما تجمع واستوى
ان الشريعة حكمة ومنافع
والعقل نور الله الا انه
فحق اكتفيت بفعل عقل داخل
الانبياء ككواكب تهدي الى

للعالم المتضاد المتمازج
وأما شرة كل جان مارج
شمل الوري ومنوا بشر هائج
لداخل ومصالح الخارج
للعالم المحسوس غير بمازج
فسدت أمورك كلها من خارج
سبل الهدى لذوي السرى^(٤) والدالج^(٥)
(الكامل)

(١) ضرب من الخنافس

(٢) الكريه النفس

(٣) الخرا

(٤) مسير الليل

(٥) السائر في آخر ساعات الليل !

وقال حين ترك الخمر وثاب عنه وعن المدح بالشعر

نار الحميا ونار الفكر مذ نهكا
والكاس بالطبع تصدي عقل شارها
جسمي تركت الحميا خشية النار
والسكر يسلب منه حكمة الباري
(البسيط)

وقال أيضاً :

صددت عن الصهباء ^(١) لما وجدتها
وعوضت عنها النفس كاسات حكمة
منافرة مني طباعي واخلاقي
تعالتها فازددت شوقاً الى الساقى
(الطويل)

وللعنبري من الكتب : كتاب النور المحتنى من روض الندما وتذكار الفضلاء الحكماء ونزهة الحياة الدنيا ، رتبه على فصول السنة وضمنه اشعاراً وفوائد حسنة لجماعة من الأدباء ولنفسه أيضاً ، وأبان فيه عن فضل . كتاب الجمانة في العلم الطبيعي والاهلي . كتاب الاقرباذين ، وهو اقرباذين كبير استقصى فيه ذكر الأدوية المركبة وأجاد في تأليفه . رسالة الشعري اليابانية الى الشعري الشامية ، كتبها الى عرفة النحوي بدمشق جواباً عن رسالة كتبها اليه من دمشق . رسالة حركة العالم يهنيء بها وزيراً استدعي الى وزارة بلد آخر ، وهو حجة الدين مروان لما وزره اتابك زنكي بن آق سنقر . رسالة الفراق ما بين الدهر والزمان والكفر والايمان . رسالة العشق الالهلي والطبيعي .

ابو الغنائم هبة الله بن علي بن الحسين بن اتردى

من أهل بغداد متميز في الحكمة ، فاضل في صناعة الطب ، مشهور بالجودة في العلم والعمل . ولأبي الغنائم هبة الله بن علي بن اتردى من الكتب : تعاليق طبية وفلسفية . مقالة في أن اللذة في النوم في أي وقت توجد منه ، وألف هذه المقالة لأبي نصر التكريتي طبيب الامير ابن مران .

علي بن هبة الله بن اتردى

هو أبو الحسن علي بن هبة الله بن علي بن اتردى من أهل بغداد . طبيب فاضل مشهور بالتقدم في صناعة الطب وجودة المعرفة لها ، حسن المعالجة جيد التصنيف . ولعلي بن هبة الله بن اتردى من الكتب : شرح كتاب دعوة الاطباء ألفه لأبي العلاء محفوظ ابن المسيحي المتطبيب .

سعيد بن اتردى

هو ابو الغنائم سعيد بن هبة الله بن اتردى ، من الاطباء المشهورين ببغداد ، وكان ساعور البيارستان العضيدي ، ومتقدماً في أيام المقتفي بأمر الله .

(١) صفة للخمر

أبو علي الحسن بن علي بن ائردى

فاضل في صناعة "ططب جيد الاعمال حسن المعالجة" ، وكان من المشكورين ببغداد .

جمال الدين علي بن ائردى

هو جمال الدين أبو الحسن علي بن أبي الغنائم سعيد بن هبة الله بن علي بن ائردى ، فاضل في صناعة الطب ، عالم بها ، متميز في علمها وعملها .

كان همام الدين العبدى الشاعر قد استعار من جمال الدين علي بن ائردى كتاب مسائل حنين ، فقال بمدحه ويشعره بأن المسائل العارية قد وقع عليها اختياره على سبيل الدعابة ، وذلك في سنة ثمانين وخمسة :

حياءك رقرق الحيا عني وخفاف النسيم ،
فلأنت ذو الخلق الكريم ، وأنت ذو الخلق الوسيم .
غَدِيقُ الأنامل بالندى ، لَبِيقُ الشَّامِلِ بالنعيم ،
ما افتر إلا فرّ جيش دُجْنَةِ الليل البهيم .
نضر الفكاهة كالحما م جرى على زهر الجيم ،^(١)
ويسير أوقات الثرا ، كثير افراح النديم
لا بالملول ، ولا الجدو ل ، ولا الجهول ، ولا المليم ،
بل يشفع القول اللطيف ، بواقر الطول الجسم .
ناد الورى مستصرخاً هل من صديق او حميم ،
حال أعباء القرين ، منيع أكناف الحريم ؟
وادم الكرام ، ولن يحيب سوى أبي الحسن الحكيم .
سمعاً جمال الدين قو ل مصاحب الود السليم :
هل للمسائل رجعة يوما الى الوطن القديم ؟
هيات ، أعوز ما يرو م الفحل إلقاح العقيم .
بيني وبينك وصلة الافضال والفضل العميم ،
والوصلة العظمى ، حميد ولاية النبأ العظيم ،
انا ليجمعنا الولا ، على صراط مستقيم .
(الكامل المرفل)

وقال ايضاً بمدحه

سل لم جفا جفني الوسن^(٢) بعد بعاد من ظمن^(٣)

(١) الكثير والمنتشر الناهض .

(٢) النوم . (٣) سار ورحل .

ومن نأى بالصبر لم غابره في قلبي الحزن
وقل لمن خال الهوى ، قل لي ، على البعد وطن ؛
لم يبعد الوجد الذي خلفه البين ولن ،
ولن ترى جوانحي ساكنة بعد سكن .
يا من يظن الحب من أيسر أحداث الزمن
الحب ما صير ثو ب المرء للمرء كفن
لا ما أسال مدمعا او جعل السر علن
أما ، وممشوق القوا م ناعس الطرف أغن^(١)
ينص جيد مطفئ تشد خشناً^(٢) ما شدن^(٣)
اني لاشتاق فتى لا يتبع المن^(٤) من^(٥)
ولن ترى أحسن من شوقي الى أبي الحسن
مفتن به فتى لولا هواه ما افتن
أحن شوقاً وجوى فليته اشتاق وحن
ولا أزال سائلاً عنه فهل يسأل عن
هيات أين ذو خلا من ذي غرام وشجن
أخو الهوى ليس له من أسهم الوجد جان
تكاد تجري نفسه لولا ارتباط بالبدن
وكيف لا أعشق معسول العطاء واللسن
للمجد ما جاد به وللسماح ما خزن
فسمحه ذكاؤه وللساحات فطن
لا ثل عرش سعدة ولا وهى ولا وهن
أحمده لا طالباً منه على الحمد ثمن
ولا وداد من نأى عن الظباء والضبن
فأبقى لنا ما سجمت حامة على فنن
وامض كما تؤثر من نهج العلى على سنن
وليهنك العيد الذي به العداة لم تهن

(الرجز)

(١) ذو الغنة وهو الصوت من اللهاة والانف .

(٢) الصوت والحركة والحس الحقي (٣) قوي وامتننى .

(٤) ذكر النعمة بما يكدرها ويقطع شكرها .

(٥) واحدها منة ومنة هي بالفعل الاحسان والقول اعتداد المرء بما يفعل من الاحسان على الحسن اليه . (ن . ر)

فخر الدين المارديني

هو الامام فخر الدين أبو عبدالله محمد بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عبد الساتر الانصاري . كان أوحده زمانه وعلامة وقته في العلوم الحكيمة . قوي الذكاء فاضل النفس ، جيد المعرفة بصناعة الطب ، محاولاً لأعمالها ، كثير التحقيق ، نزيه النفس ، محباً للخير ، متقناً للغة ، متفناً في العربية . مولده في ماردين^(١) واجداده من القدس وكان أبوه قاضياً . ولما فتح نجم الدين الغازي^(٢) بن ارتق القدس بعث جده عبدالرحمن الى ماردين وقطن بها هو وأولاده . وكان شيخ فخر الدين المارديني في الحكمة نجم الدين بن صلاح ، وهو نجم الدين أبو الفتوح أحمد بن السري ، وكان عجباً من هذان استدعاه حسام الدين تمرقاش بن الغازي بن ارتق . وكان ابن الصلاح فاضلاً في الحكمة جيد المعرفة بها ، خبيراً بدقائقها واسرارها . وله تصانيف في الحكمة وأقام في آخر عمره بدمشق وتوفي رحمه الله في سنة (*) ودفن في مقابر الصوفية عند نهر بانياس بظاهر دمشق؛ وقرأ فخر الدين المارديني صناعة الطب على أمين الدولة بن التليد .

وحدثني الحكيم سديد الدين محمود بن عمر المعروف بابن رقيقة عن فخر الدين المارديني انه قرأ كتاب القانون لابن سينا على أمين الدولة بن التليد ، وباحثه فيه ، وبالغ في تصحيحه وتحريره معه . وكان ابن التليد يقرأ عليه صناعة المنطق . وبما قرأ عليه في ذلك كتاب المختصر الاوسط للجرجاني^(٣) لابن سينا . وأقام فخر الدين بن عبد السلام المارديني في مدينة حيني سنين كثيرة ، وكان في خدمة نجم الدين بن ارتق . قال سديد الدين محمود بن عمر وكان قد صحب فخر الدين المارديني في مدينة حيني وقرأ عليه صناعة الطب ، ولازمه مدة طويلة ، ولم يكن يفارقه في سفره ولا حضره ؛ ان الشيخ فخر الدين المارديني رحمه الله وصل الى دمشق ، وكنت معه في سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، وأقرأ بها صناعة الطب ، وكان له مجلس عام للتدريس . وكان من جملة من اشتغل عليه ولازمه مدة مقامه بدمشق الشيخ مذهب الدين عبدالرحيم بن علي ، وقرأ عليه الشيخ مذهب الدين بعض كتاب القانون لابن سينا وصححه معه . ولم يزل الشيخ فخر الدين المارديني مقيماً بدمشق الى آخر شهر شعبان سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، فانه توجه قاصداً الى بلده ، ولما عزم على السفر أتاه الشيخ مذهب الدين وسأله ان كان يمكنه ان يقيم بدمشق ليتتم عليه قراءة كتاب القانون ، وأن يكون يوصل الى وكيله برسم النفقة في كل شهر ثلثائة درهم ناصرية فلم يفعل . وقال : العلم لا يباع أصلاً ، بل من كان معي فاني اشغله اين كنت . ولم يمكن مذهب الدين التوجه معه ، ولما سافر فخر الدين المارديني من دمشق

(١) مدينة في تركيا تبعد عن حلب ٤١١ كيل (كيلومتر) بالقرب منها محطة الزعفران للسريان (٢) تركماني من بني ارتق هذه السلالة التي حكمت بلاد حصن كيفا وماردين ، وارتق اولهم حاكم اورشليم سنة ١٠٨٦ .

(*) يبايض بالاصل

(٣) احسب انه عيسى بن يحيى من كبار الاطباء تعلم في بغداد وعلم في خراسان وخوارزم ومن تلاميذه ابن سينا (ن.د)

وكان في طريقه بحلب ، نفذ اليه الملك الظاهر غازي ^(١) بن الملك الناصر صلاح الدين ، واستحضره وأعجبه كلامه ، فطلب ان يقيم عنده فاعتذر اليه . ولم يقبل منه الملك الظاهر ذلك وأطلق له مالا كثيراً وأنعم عليه ، وكان عظيم المتزلة عنده ، وبقي في خدمته نحو سنتين ، ثم سافر الى ماردين .

أقول : وتوفي فخر الدين المارديني رحمه الله يوم السبت الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة أربع وتسعين وخمسةائة بآمد ، وله من العمر اثنان وثمانون سنة ووقف جميع كتبه في ماردين في المشهد الذي وقفه حسام الدين بن ارتق ، وكان حسام الدين هذا فاضلاً حكيماً ، فيلسوفاً ، وقد وقف ايضاً في مشهده كتباً حكمية . والكتب التي وقفها الشيخ فخر الدين هي من اجود الكتب وهي نسخه التي كان قد قرأ أكثرها على مشايخه وحررها ، وقد بالغ في تصحيحها واتقانها .

وحدثني سديد الدين محمود بن عمر وكان حاضراً عند الشيخ فخر الدين المارديني وقت موته قال لم يزل الشيخ فخر الدين لما أحس بالموت يذكر الله تعالى ويمجده ولم يفتر عن ذلك الى حين قضى ، وكان آخر شيء سمعناه منه : اللهم اني آمنت بك وبرسولك ؛ صدق صلى الله عليه وسلم ان الله يستحي من عذاب الشيخ .

ولفخر الدين المارديني من الكتب : شرح قصيدة الشيخ الرئيس ابن سينا التي أولها :

هبطت اليك من المحل الارفع .

وكان شرحه لهذه القصيدة لما سأله الامير عز الدين أبو القاسم الخضر بن أبي غالب نصر الازدي الحمصي ذلك ، رسالة فضح فيها بعض من اتهمه بالميل الى مذهب معين .

ابو نصر بن المسيحي

هو أبو نصر سعيد بن أبي الخير بن عيسى بن المسيحي من المميزين في صناعة الطب ، والأفاضل من اهلها والاعيان من اربابها . حدثني شمس الدين محمد بن الحسن بن محمد بن الكرم البغدادي قال : مرض الخليفة الناصر ^(٢) لدين الله في سنة ثمان وتسعين وخمسةائة مرضاً شديداً ، وكان المرض بالرمل ، وعرض له في المئانة حصاة كبيرة مفرطة في الكبر واشتد به الالم وطال المرض . وكان طبيبه ابو الخير المسيحي ، وكان شيخاً حسناً مسناً وقد خدمه مدة طويلة ، وكان خبيراً متقناً للصناعة ، ومات وقد قارب المئانة سنة ، فامتد به المرض وضجر من المعالجات ، فاشار بان تشق المئانة لاجراج الحصاة . فسأل عن حذاق الجراحين ، فاخبر برجل منهم يقال له ابن عكاشة من ساكني الكرخ بجانب بغداد الغربي ، فاحضر وشاهد العضو العليل وامره ببطه ^(٣) . فقال أحتاج أن أشاور مشايخ الأطباء في هذا . فقال له من

(١) صاحب حلب « ١١٦٧ » - ١٢١٥ وهو ثاني اولاد صلاح الدين الايوبي وسع مملكته الى حدود ارمينيا شمالاً وحماء جنوباً وحارب الصليبيين . « ن . ر » .

(٢) الخليفة العباسي الرابع والثلاثون « ١١٨٠ - ١٢٢٥ » طمع بالاستيلاء على خوزستان وفارس فاستنجد بالتمول وبذلك هب السيل الى غزوات جنكيزخان . وعلى ايامه فتح صلاح الدين القدس .

(٣) بشقه . « ن . ر »

تعرف ببغداد من صالحه هذه الصناعة ؟ فقال يا مولانا استاذي وشيخي أبو نصر بن المسيحي ، ليس في البلاد بأمرها من يماثله . فقال له الخليفة اذهب اليه ومره بالحضور. فلما حضر خدم وقبّل الارض، أمره بالجلوس فجلس ساعة ، ولم يكلمه ولم بأمره بشيء حتى سكن روعه . فلما آنس منه ذلك قال له يا أبا نصر ، مثل نفسك انك قد دخلت الى بیمارستان وانت تبأشر به مريضاً قد ورد من بعض الضياع ، وأريد ان تبأشر مداواتي وتعالجني في هذا المرض كما تفعل بمن هذه صفته . فقال : السمع والطاعة ولكنني احتاج ان اعرف من هذا الطبيب المتقدم مبادئ المرض واحواله وتغيراته ، وما عالج به منذ اول المرض والى الآن .

فاحضر الشيخ ابو الخير واخذ يذكر له ابتداءات المرض وتغيرات احواله وما عالج به في اول الامر والى آخر وقت . فقال : التدبير صالح ، والعلاج مستقيم . فقال الخليفة : هذا الشيخ اخطأ ولا بد لي من صلبه . فقام ابو نصر بن المسيحي وقبل الارض ، وقال : يا مولانا ، بحق نعمة الله عليك وبمن مضى من اسلافك الطاهرين لا تسن على الاطباء هذه السنة ؛ وأما الرجل فلم يخطئ في التدبير ، ولكن لسوء حظه لم ينته المرض . فقال : قد عفوت عنه ، ولكن لا يعود يدخل علي . فانصرف ، ثم اخذ ابو نصر في مداواته ، فسقاه ودهن العضو بالادهان المليينات، وقال له : ان امكن ، نلاطف الامر بحيث نخرج هذه الحصاة من غير بط فهو المراد ، وان لم تخرج فذلك لا يفوتنا . فلم يزل كذلك يومين ، وفي ليلة اليوم الثالث رمى الحصاة ، فقيل انه كان وزنها سبعة مثاقيل ^(١) ، وقيل خمسة ، وقيل انها كانت على مقدار اكبر نواة تكون من نوى الزيتون . وبرأ وتتابع الشفاء ، ودخل الحمام ، فأمر ان يدخل ابو نصر الى دار الضرب ، ويحمل من الذهب مها قدر ان يحمله ، ففعل به ذلك . ثم أتته الخلع والدنانير من أم الخليفة ومن ولديه الاميرين محمد وعلي ، والوزير نصير الدين أبي الحسن ابن مهدي العلوي الرازي ، ومن سائر كبار الامراء بالدولة . فأما ام الخليفة وأولاده والوزير والشرابي نجاح فكانت الدنانير من كل واحد منهم ألف دينار ^(٢) ، وكذلك من أكابر الامراء ، والباقيين على قدر احوالهم . فأخبرت انه حصل من العين الدنانير عشرين ألف دينار ، ومن الثياب والخلع جملة وافرة ، وألزم الخدمة ، وفرضت له الجامكية السنية ، والراتب والاقامة . ولم يزل مستمراً في الحكمة الى ان مات الناصر .

قال : وحدثني بعض الاطباء ان ابن عكاشه الجرائحي كان قد نذر عليه انه يتصدق في بيعة سوق الثلاثاء بالربع بما يحصل له ، وانه حل الى البيعة مائتين وخمسين ديناراً ، وصرف ابو الخير المسيحي من الخدمة ، وقد كانت منزلته قبل هذا جليلة عنده ، ومحل مرتفع ، ووصله هبات وصلات عظيمة .

(١) المئال : درهم وثلاثة اسباع الدرهم . وهو : شرعي ووزنه ثمان وستون حبة واربعة اسباع الحبة . ويعادل بالوزن العشري ٣٠٤٣٦٤٦ غرام هو ثمانون حبة اي ٤٠٠٠٩٢ ؛ وصيرفي وهو اربع وثمانون حبة اي ٤٠٨١١٤٣٧ غ .
(٢) نقد قديم وزنه مثقال وهو عشرة اسباع الدرهم وهو في الوزن العشري زنة المئال الشرعي اي ٣٠٤٣٦ غ .
« ن . ر »

فمن جملتها انه اعطاه خزانة كتب الأجل أمين الدولة بن التليذ . وكان مرض الناصر مراراً وبرأ على يده ، فحصل له فيها جبل وافرة . ثم توفي الشيخ ابو الخير في أيام الناصر فقيل له انه قد توفي ، وترك ولداً متخلفاً وجملة عظيمة من المال . فقال لا يمرض ولده فيما ورثه من ابيه ، فما خرج عنا لا يعود البنا .

ولا يي نصر بن المسيحي من الكتب : كتاب الاقتضاب على طريق المسألة والجواب في الطب كتاب انتخاب الاقتضاب .

أبو الفرج

هو صاعد بن هبة الله بن توما نصراني من اهل بغداد . وكان من الاطباء المميزين والاكابر المتعنين . حدثني شمس الدين محمد بن الحسن بن محمد بن الكريم البغدادي انه كان طبيباً نجماً الدولة أبي اليمى نجاح الشرايى ، وارتقت به الحال الى ان صار وزيره وكتابه . ثم دخل الى الناصر وكان يشارك من يحضر من أطبائه في أوقات أمراضه . ثم حظي عنده الخطوة التامة وسلم اليه عدة جهات يخدم بها ، وكان بين يديه فيها عدة دواوين وكتاب . وقتل في سنة عشرين وستائه وكان سببه انه احضر جماعة من الاجناد الذين كانت معاشهم تحت يده ، وانه خاطبهم بما فيه . بعض المكروه ، فكان له منهم اثنان ليلاً فقتلاه بالسكاكين . واعترضت تركته فامر الخليفة بان يحمل ما فيها من المال الى الخزانة ، ويبقى القماش والملك لولده . قال فاخبرني بعض البغداديين انه حل من داره الى الخزانة من الدنانير العى ثمانمائة ألف وثلاثة عشر ألف دينار ، وبقي الاثاث والاملاك بما يقارب تتمبة الف الف دينار فترك لولده .

اقول : ووجدت الصاحب جمال الدين بن القفطى^(١) قد حكى من أحوال صاعد بن توما المذكور ما هذا نصه قال : كان حكيماً طيباً حسن العلاج ، كثير الاصابة ، ميمون المعافاة في الاكثر ، له سعادة تامة في هذا الشأن ، وكان من ذوي المروءات والأمانات . تقدم في أيام الناصر الى ان كان بمنزلة الوزراء ، واستولفه على حفظ أموال خواصه ، وكان يودعها عنده ، ويرسله في أمور خفية الى وزرائه ويظهره في كل وقت ، وكان حسن الوساطة ، جميل المحضر ، قضيت على يديه حاجات واستكفيت بوساطته شرور . وسالته الايام مدة طويلة ، ولم ير له غير شاكر وناشر . وكان الامام الناصر في آخر أيامه قد ضعف بصره وادركه سهو في اكثر اوقاته لاحزان قوارت على قلبه ، ولما عجز عن النظر في القصص والانهايات استعاض امرأة من النساء البغداديات تعرف « بست نسيم » وقرىها وكانت تكتب خطاً قريباً من خطه ، وجعلها بين يديه تكتب الاجوبة والرقاع ، وشاركها في ذلك خادم اسمه تاج الدين رشيق . ثم تزايد الامر بالناصر ، فصارت المرأة تكتب الاجوبة بما تراه ، فمرة تصيب ومرة تحطىء

(١) ولد في قفط (١١٦٧ - ١٢٤٨) وسمع الحديث في مصر وحلب وجمع من الكتب الشيء الكثير فارصى بها الناصر صاحب حلب . ووزر للملك العزيز (١٢٣٥)

(ن.د)

ويشاركها رشيق في مثل ذلك . وانتق ان كتب الوزير القمي المدعوب بالأيدي^(١) مطالعة وحملها وعاد جوابها وفيه اختلال بين . فتوقف الوزير وأنكر ، ثم استدعى الحكيم صاعد بن توما وأسر اليه ما جرى وسأله عن تفصيل الحال ، فعرفه ما الخليفة عليه من عدم البصر والسهو الطاريء في اكثر الاوقات ، وما تعتمد المرأة والخادم من الاجوبة . فتوقف الوزير عن العمل باكثر الامور الواردة عليه ، وتحقق الخادم والمرأة ذلك . وقد كانت لهما أغراض يريدان تمشيتها لاجل الدنيا واغتنام الفرصة في نيلها . فحدثا ان الحكيم هو الذي دله على ذلك ، فقرر رشيق مع رجلين من الجنند في الخدمة أن يقتلا الحكيم ويقتلاه ، وهما رجلان يعرفان بولدي قمر الدولة من الاجناد الواسطية ، وكان أحدهما في الخدمة والآخر بطالا . فرصدا الحكيم في بعض الليالي الى أن أتى الى دار الوزير وأخرج عنها عائداً الى دار الخلافة ، وتبعاه الى ان وصل باب درب الغلة المظلمة ، ووثب عليه بسكينيهما فقتلاه . وكان بين يديه مشعل وغلان ، وانهزم الحكيم لما وقع الى الارض بجمرة الضرب الى أن وصل الى باب خربة الهراس ، والقاتلان تابعان له ، فبصرهما واحد وصاح خذوهم فعادا اليه وقتلاه وجرحا النفط الذي بين يدي الحكيم . وحمل الحكيم الى منزله ميتاً ودفن بداره في ليلته . ونفذ من البديرية من حفظ داره ، وكذلك من دار الوزير لاجل الودائع التي كانت عنده للحرم والحشم الخاص ، وبجث عن القاتلين قامر بالقبض عليهما وتولى القبض والبحث ابراهيم بن جميل بمفرده وحملها الى منزله . ولما كان في بكرة تلك الليلة أخرجها الى موضع القتل وشق بطنها على باب المذبح المحاذي لباب الغلة التي جرح بها الحكيم . وكان موت الحكيم وقتله في ليلة الخميس ثامن عشر جمادى الاولى سنة عشرين وستائة

أبو الحسين صاعد بن هبة الله بن المؤمل

كان نصرانياً وأصله من الحظيرة ونزل الى بغداد ، وكان اسمه أيضاً ماري ، وهو من اسماء الكنيسة عند النصارى ، فانهم يسمون اولادهم عند الولادة باسماء فاذا عدوهم سموم عند المعمودية باسم من اسماء الصالحين منهم . وكان ابو الحسين هذا طبيباً فاضلاً وخدم بالدار العزيزة الناصرية الامامية ، وتقرب قريباً كثيراً وكسب بخدمته وصحبته الاموال ، وكانت له الحرمة الوافرة والجاه العظيم . وكان قد قرأ الأدب على أبي الحسن علي بن عبد الرحيم العصار ، وعلى أبي محمد عبد الله بن احمد بن الحشاش النحوي ، وعلى شرف الكتاب بن حيا وغيرهم . وله معرفة تامة بالمنطق والفلسفة وأنواع الحكمة ، وكان فيه كبر وحمق وتيه وعجرفة ، وينسب الى ظلم مفرط . ولم يزل على أمره ينسخ بخطه كتب الحكمة ، ويتصرف فيما هو بصده من الطب ، وعلى حالته في القرب الى ان مات في يوم العشرين من ذي الحجة سنة احدى وتسعين وخمسمائة ببغداد ودفن ببيعة النصارى بها .

(١) هو مؤيد الدين محمد ولد في قم ووزر للناصر ثم للظافر ثم للمستنصر الى ان حبسه فرض ومات في بغداد سنة ١٢٣٢ (ن.د)

ابن المارستانية

هو ابو بكر عبيد الله بن ابي الفرج علي بن نصر بن حمزة ، عرف بابن المارستانية .
حدثني شمس الدين ابو عبدالله محمد بن الحسن بن محمد بن الكريم البغدادي الكاتب : ان ابن المارستانية كان فاضلاً في صناعة الطب وأعمالها ، وسمع شيئاً من الحديث وكان عنده تميز وأدب . وعمل خطباً ، قال : وكان يعرضها على شيخنا أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري ^(١) ، وكان يستجيدها . وتولى النظر بالبيمارستان العضدي ثم قبض عليه وحبس به سنتين ، ثم أفرج عنه . وعمل تاريخاً لمدينة السلام ^(٢) سماه ديوان الاسلام الاعظم وكتب منه كثيراً ولم يتمه . وندب من الديوان في صفر سنة تسع وتسعين وخمسة للرسالة الى تفلين ^(٣) ، وخلع عليه خلعة سوداء وطيلسان ، وتوجه الى هناك فأدى الرسالة وعاد الى بغداد ، فتوفي قبل وصوله بموضع يعرف بجرخ بند في ليلة ذي الحجة سنة تسع وتسعين وخمسة فدفن هناك .

ابن سدير

هو ابو الحسن علي بن محمد بن عبدالله من اهل المدائن يعرف بابن سدير — وسدير لقب لابيه — وكان طبيباً عالماً بصناعة الطب والداواة ، ويقول الشعر . وكان فيه دماثة ودعابة ، وتوفي بالمدائن فجأة في العشر الاخير من رمضان سنة ستة وستائة .
ومن شعر ابن سدير قال الحافظ ابو عبدالله محمد بن سعيد بن يحيى بن الديبشي الواسطي في كتابه :
أنشدني ابن سدير لنفسه :

أيا منقذي من معشر زاد لؤمهم	فأعيا دوائي واستكان له طبي
إذا اعتل منهم واحد فهو صحي	وان ظل حياً كدت أقضي به نحي
اداوهم إلا من اللؤم إنه	ليعيي علاق الحاذق الفطن الطب

(الطويل)

مذهب الدين بن هبل

هو ابو الحسن علي بن احمد بن علي بن هبل البغدادي ، ويعرف ايضاً بالخلاطي . كان أواحد وقته ، وعلامة زمانه في صناعة الطب وفي العلوم الحكيمة . متميزاً في صناعة الادب وله شعر حسن وألفاظ بليغة . وكان متقناً لحفظ القرآن . ولد ببغداد في باب الازج بدرج ثل في ثالث وعشرين ذي القعدة

«١» لغوي علم ابن الجوزي « ١١٣٤ - ١٢١٩ » .

«٢» لقب بغداد .

«٣» هي عاصمة الجمهورية الكرجية السوفياتية اليوم « ن.د. »

من سنة خمس عشرة وخمسة ، ونشأ ببغداد ، وقرأ الأدب والطب ، وسمع بها من أبي القاسم اسمعيل
ابن احمد بن السمرقندي ، ثم صار الى الموصل واستوطنها الى حين وفاته .

وحدثني عفيف الدين ابو الحسن علي بن عدنان النحوي الموصل قال : كان الشيخ مذهب الدين بن هبل من بغداد ،
وأقام بالموصل ثم بخلاط^(١) عند شاه ارمن صاحب خلاط ، وبقي عنده مدة ، وحصل من جهته من المال العين مبلغاً
عظيماً . وقبل رحيله من خلاط بعث جملة ما له من المال العين الى الموصل الى مجاهد الدين قياز الزيني وديعة
عنده ، وكان ذلك نحو مائة وثلاثين ألف دينار . ثم أقام ابن هبل بماردين عند بدر الدين لؤلؤ^(٢)
والنظام الى ان قتلها ناصر الدين بن ارتق صاحب ماردين . وكان بدر الدين لؤلؤ متزوجاً بام ناصر الدين
وعيسى مذهب الدين بن هبل بماء نزل في عينيه عن ضربة ، وكان عمره اذ ذاك خمساً وسبعين سنة . ثم
توجه الى الموصل وحصلت له زمانة فلزم منزله بسكة أبي نجيح . وكان يجلس على سرير ويقصده كل
أحد من المشتغلين عليه بالطب وغيره .

أقول : وكان أيضاً يسمع الحديث ومن ذلك ، حدثني الحكيم بدر الدين أبو العز يوسف بن أبي محمد
ابن المكي الدمشقي المعروف بابن السنجاري قال : حدثنا مذهب الدين أبو الحسن علي بن أبي العباس
أحمد بن هبل البغدادي المعروف بالخلاطي ، أخبرنا الشيخ الحافظ أبو القاسم اسمعيل بن أحمد بن عمر
ابن الاشعث السمرقندي ، أخبرنا أبو محمد عبد العزيز بن احمد بن محمد الكناني ، أخبرنا أبو محمد
عبد الرحمن بن عثمان بن أبي نصر ، وأبو القاسم تمام بن محمد الرازي ، والقاضي محمد بن أحمد بن هرون
الغساني المعروف بابن الجندي ، وأبو القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن علي بن أبي العقب ، وأبو بكر
محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن يحيى القطان ، قالوا : أخبرنا أبو القاسم علي بن يعقوب بن ابراهيم
ابن أبي العقب ، حدثنا أبو زرعة عبد الرحمن بن عمر بن عبد الله بن صفوان البصري ، حدثنا علي بن
عياش ، حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنها قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : الخيل في نواصيها الخير الى يوم القيامة .

وكان شيخ مذهب الدين بن هبل في صناعة الطب أوجد الزمان ، وكان بن هبل في أول أمره
قد اجتمع بعبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن الخشاب النحوي ، وقرأ عليه شيئاً من النحو ، وتردد أيضاً
الى النظامية ، وقرأ الفقه . ثم اشتهر بعد ذلك بصناعة الطب وفاق بها أكثر أهل زمانه من الاطباء ،
وتوفي مذهب الدين بن هبل ، رحمه الله ، بالموصل ليلة الاربعاء ثالث عشر محرم سنة عشر وستائة ،
ودفن بظاهرها بباب الميدان بمقبرة المعافي بن عمران بالقرب من القرطبي .

ومن شعر مذهب الدين بن هبل قال :

أيا أثلاث^(٣) بالعراق ألفتها عليك سلام لا يزال يفوح

«١» بلد إرميليا .

«٢» عتيق نور الدين زنكي أتابك الموصل . قضى قسماً من حياته يجارب الامراء المتخاصمين في بلاد الموصل وجوارها .
وله شعر (١١٨٠ - ١٢٥٩) (ن . د)

«٣» واحدها اثلة وهي شجرة الاثل وهو يشبه الطرفاء إلا انه اعظم منه وخشبه اصلب جيد تصنع منه القصاع والجفان .

فقد عاد مكتوم الفؤاد يبوح
قبيل طلوع الشمس حين تلوح
وراعى حمام في الاصول ينوح
نظير لها شوقاً ونحن جموح
الطويل

لقد كنت جلدأ ثاوياً بفنائها
فما أحسن الايام في ظل أنسها
وقد غرد القمر^(١) في غسق الدجى
ذكرت ليال بالصراط وطيبها

وقال أيضاً :

عليك سلام الله يا دوحة الانس
وقد كنت جاراً لاصقاً لك بالامس
نقلت كريماً راضي النفس بالرمس
بقبضي حبال الوصل بالانغل الخس
كأني نظرت الافق من مطلع الشمس
بتقليب مطبوع بلقب بالفلس
بثوب رجال كان أشبه بالجلس^(٢)
بعقل رصين لا يقايس بالمس
بعيد المرامي اليق الخلق بالنكس
الطويل

أياد دوحة هام الفؤاد بذكرها
رمتني النوى بالبعد منك وقرها
فيا ليت أني بعد بُعد أحبي
والا فليت الدهر يمكن منهم
إذا جال طرفي في العراق وجوه
تبدل تقليبي اليراع مع القنسا
واعترضت ثوباً كان للمجد شاملاً
فمن لا يرى سوء القضاء وقدره
يعش ثائها في الخلق اعمى مشوها

وقال ايضاً :

قد حازت الحسن في دل بها وصبا^(٤)
مع الاصائل ريحي شمال وصبا^(٦)
يشكو الى ردفها من ثقله وصبا^(٧)
ما هام قلبي بحبيها هوى وصبا^(٨)

لقد سبتني غداة الحيف غانية^(٣)
قامت تيمس كخوط^(٥) البان غازلة
يكاد من دقة خصر تدل به
لولم يكن اقحوان الثغر مبسمها

ولم يهذب الدين بن هبل من الكتب : كتاب المختار في الطب وهو كتاب جليل يشتمل على علم
وعمل . كتاب الطب الجمالي ، صنفه لجمال الدين محمد الوزير المعروف بالجواد ، وكان تصنيفه للمختار
سنة ستين وخمسةائة بالموصل .

«١» ضرب من الحمام حسن الصوت .

«٢» كل ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج او الرجل .

«٣» اسم لعدة اماكن .

«٤» جهلة الفتوة .

«٥» الفصن الناعم .

«٦» ريح تهب مع مطلع الشمس اذا استوى الليل والنهار .

«٧» التعب والفتور .

«٨» الشوق .

شمس الدين بن هبل

هو شمس الدين ابو العباس احمد بن مهذب الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن علي بن هبل ، مولد في يوم الجمعة العشرين من جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، انشقاق الصباح قبل طلوع الشمس . وكان مشغولاً بصناعة الطب ، متميزاً في الادب ، وجيهاً في الدولة . وسافر الى بلاد الروم وأكرمه صاحب الروم الملك الغالب كيكاوس بن كيخسرو^(١) اكراماً كثيراً وبقي عنده قليلاً وتوفي هناك رحمه الله ، ثم حمل الى الموصل ودفن بها .

وكان لشمس الدين بن هبل ولدان من أعين الفضلاء وأكابرهم وهما في وقتنا هذا مقيان بمدينة الموصل .

كمال الدين بن يونس

هو كمال الدين أبو عمران موسى بن يونس بن محمد بن منعة ، علامة زمانه وأوحد أوانه ، وقدوة العلماء ، وسيد الحكماء . قد اتقن الحكمة ، وتميز في سائر العلوم . وكان عظيماً في العلوم الشرعية والفقه . وكان مدرساً في المدرسة بالموصل ، ويقرأ العلوم بأسرها من الفلسفة والطب والتعاليم وغير ذلك . وله مصنفات في نهاية الجودة . ولم يزل مقياً بمدينة الموصل الى ان توفي الى رحمة الله .

حدثني القاضي نجم الدين عمر بن محمد بن الكريدي قال : وكان ورد الى الموصل كتاب الارشاد للعميدي^(٢) ، وهو يشتمل على قوة من خلاف علم الجدل ، وهو الذي يسمونه العجم (جست) أي الشطار . فلما احضر الى الشيخ كمال الدين بن يونس نظر فيه وقال علم مليح ، ما قصر فيه مؤلفه ، وبقي عنده يومين حتى حرر جميع معانيه . ثم انه أقرأه الفقهاء وشرح لهم فيه أشياء ما ذكرها احد سواه . وقيل ان كمال الدين بن يونس كان يعرف علم السيمياء^(٣) من ذلك .

حدثني أيضاً القاضي نجم الدين بن الكريدي قال : حدثني القاضي جلال الدين البغدادي تلميذ كمال الدين بن يونس وكان الجلال مقياً عند ابن يونس في المدرسة — قال : كان قد ورد الى الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل من عند الانبرور^(*) ملك الفرنج — وكان متفنناً في العلوم — رسول وبيده مسائل في علم النجوم وغير ذلك ، وقصد ان كمال الدين بن يونس يرد أجوبتها . فبحث صاحب الموصل الى ابن يونس يعرفه بذلك ، ويقول له أن يتجمل في لبسه وزيه ويحمل له مجلساً بأهله لاجل

«١» احد الملوك السلجوقيين في آسيا الصغرى .

«٢» محمد السمرقندي العميدي فقيه حنفي صوفي اشتهر في الجدل وله علاوة عن كتابه «الارشاد» في الجدل كتاب «مرآة الحياة على المعالي في ادراك العالم الانساني في الفلسفة» وقد توفي في بخارى سنة ١٢١٨

«٣» العلامة التي يعرف بها الشيء . واصله الارتفاع لأنه علامة رفعت للظهور اصلها بعلم السيمياء هو علم السحر .

«ن.ر»

«٤» كذا في الاصل وهي الامبراطور تعريباً .

الرسول ، وذلك لما يعرفه من ابن يونس انه كان يلبس ثياباً رثة بلا تكلف ، وما عنده خبر من احوال الدنيا ، فقال : نعم . حكى جلال الدين ، قال : فكنت عنده ، وقد قيل له هذا رسول الفرنج قد أتى وقرب من المدرسة ، فبعث من الفقهاء من تلقاه فلما حضر عند الشيخ ، نظرنا فوجدنا الموضع فيه بسط من أحسن ما يكون من البسط الرومية الفاخرة ، وجماعة بمالك وقوف بين يديه وخدام وشارة حسنة . ودخل الرسول وتلقاه الشيخ وكتب له الاجوبة عن تلك المسائل بأسرها . ولما راح الرسول غاب عنا جميع ما كنا نراه ، فقلت للشيخ يا مولانا ما أعجب ما رأينا من ساعة من تلك الابهة والحشمة فتبسم وقال : يا بغداددي ، هو علم .

وقال جلال الدين : وكان للشيخ كمال الدين عند بدر الدين لؤلؤ حاجة : فركب عند الصبح ليلقاه فيها ، وكانت عادة بدر الدين أن يركب الخيل والبغال السريعة المشي ، فلما قدموا في السحر فرساً وركبه لم ينبعث في المشي ، فنزل عنه وركب غيره فلم يقدر على المشي خطوة ، فبقي متحيراً في أمره ، واذا بالشيخ قد وصل اليه وقال له عن حاجته ففضاها له ، ثم قال : ما كان الفرس امتنعت من المشي إلا حتى تقدم ، فقال : يا مولانا ، هذا من همة المشايخ . وعاد وسار بدر الدين لؤلؤ وتبعه العسكر

حدثني نجم الدين حمزة بن عابد الصرخدي ان نجم الدين القمراوي وشرف الدين الهنائي - وقراومتان هما قريتان من قرى صرخد^(١) قال : كانا قد اشتغلا بالعلوم الشرعية والحكمة وتميزا واشتهر فضلهما ، وكانا قد سافرا الى البلاد في طلب العلم ، ولما جاءا الى الموصل قصدا الشيخ كمال الدين ابن يونس وهو في المدرسة يلقي الدرس ، فسلما وقعدا مع الفقهاء . ولما جرت مسائل فقهية تكلمنا في ذلك وبحثا في الاصول ، وبان فضلهما على أكثر الجماعة ، فأكرمهما الشيخ وأدناهما . ولما كان آخر النهار سألاه ان يريهما كتاباً له أكان قد ألفه في الحكمة وفيه لغز ، فامتنع وقال : هذا كتاب لم اجد أحداً يقدر على حله وأنا ضنين به . فقالا له : نحن قوم غرباء ، وقد قصدناك ليحصل لنا الفوز بنظرك ، والوقوف على هذا الكتاب ، ونحن باثتون عندك في المدرسة ، وما نريد نطالعه سوى هذه الليلة ، وبالغداة يأخذه مولانا وتلطفا له حتى انعم لهما وأخرج الكتاب ، فقعدا في بيت من بيوت المدرسة ولم ينما أصلاً في تلك الليلة ، بل كل واحد منهما يملئ على الآخر وهو يكتب حتى فرغا من كتابته وقابلاه ، ثم كررا النظر فيه مرات ، ولم يتبين لهما حله الى آخر وقت ، وقد طلع النهار ، فظهر لهما حل شيء منه ، من آخره ، واتضح أولاً فأولاً حتى انحل لهما اللغز وعرفاه . فحملا الكتاب الى الشيخ وهو في الدرس ، فجلسا وقالوا : يا مولانا ما طلبنا الا كتابك الكبير الذي فيه اللغز الذي يعسر حله ، واما هذا الكتاب فنحن نعرف معانيه من زمان ، واللغز الذي فيه علمه عندنا قديم ؛ وان شئت أوردناه . فقال : قولاً حتى اسمع ، فتقدم النجم القمراوي ، وتبعه الآخر ، وأوردا جميع معانيه من اول الكتاب الى آخره ، وذكرنا حل اللغز بعبارة حسنة فصيحة . فمجب منها وقال :

«١» بلدة بالشام في جبل حوران .

من اين تكونان ؟ قال : من الشام . قال من اي موضع منه ؟ قال : من حوران . فقال : لا أشك ان احداً من النجم القمر اوي ، والآخر الشرف المتاني . قال : نعم . فقام لها الشيخ وأضافها عنده وأكرمها غاية الاكرام واشتغلا عليه مدة ثم سافرا .

اقول : وكان عمي رشيد الدين بن خليفة ، وهو في أول شببته ، قصد السفر الى الموصل ليجتمع بالشيخ كمال الدين بن يونس ويشتغل عليه ، لما بلغه من علمه وفضله الذي لم يلحقه فيه احد وتجهز للسفر ، فلما علمت بذلك والدته ، جدتي ، بكت وتضرعت اليه ان لا يفارقها ، وكان يأخذ بقلبها فلم يمكنه مخالفتها ، وأبطل الروح اليه .

ولكمال الدين بن يونس أولاد بمدينة الموصل قد اتقنوا الفقه وسائر العلوم ، وهم من سادات المدرسين وأفاضل المصنفين .

ومن شعر كمال الدين بن يونس قال :

ما كنت ممن يطيع عذالي ولا جرى هجره على بالي
حلت كما حلت غادراً ، وكما أرخصت أرخصت قدرك الغالي

(المنسرح)

وقال

حتى ومتى لي وعدكم لي زور مطل واف وناثل مزور
في قلبي حب حبكم مبدور زوروا فمسي يثمر وصلأ زوروا

(دوبيت)

ولكمال الدين بن يونس من الكتب بكتاب كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في تفسير القرآن . شرح كتاب التنبية في الفقه مجلدان . كتاب مفردات الفاظ القانون . كتاب في الاصول . كتاب عيون المتطق . كتاب لغز في الحكمة . كتاب الاسرار السلطانية في النجوم .

الباب الحادي عشر

طبقات الأطباء الذين ظهروا في بلاد العجم

تيادورس

كان نصرانياً وله معرفة جيدة بصناعة الطب ، ومحاولة لاعمالها ، وبنى له سابور ذو الاكتاف البيع في بلده ، ويقال ان الذي بنى له البيع بهرام جور . ولتيادورس من الكتب : كناش .

برزويه

قيل انه كان عالماً بصناعة الطب موسوماً بها ، متميزاً في زمانه ، فاضلاً في علوم الفرس والهند . وانه هو الذي جلب كتاب كلية ودمنة من الهند الى أنوشروان^(١) بن قباد بن فيروز ملك الفرس ، وترجمه له من اللغة الهندية الى الفارسية ، ثم ترجمه في الاسلام عبدالله بن المقفع^(٢) الخطيب من اللغة الفارسية الى اللغة العربية .

أقول : وهذا الكتاب كما قد عظمت شهرته انه في اصلاح الاخلاق وتهذيب النفوس لا نظير له في معناه . وكان عبدالله بن المقفع الخطيب فارسياً أيضاً ، وكان كاتب ابي جعفر المنصور . وترجم ايضاً من كتب ارسطوطاليس كتاب قاطيغوريوس وكتاب بارمينيوس وكتاب اناطوليقا ، وترجم مع ذلك المدخل الى كتب المنطق المعروف بايساغوجي فرفوريوس السوري ، وعبارته في الترجمة عبارة سهلة قريبة المأخذ . ولابن المقفع ايضاً تواليف حسان منها رسالته في الادب والسياسة ، ومنها رسالته

«١» المعروف بخسرو الاول « ٥٣١ - ٥٧٩ » والملقب انوشروان - النفس الخالدة - وهو اعظم ملوك بني ساسان حارب البيزنطيين وناصر العلماء ونقلت بامرهم مؤلفات اليونان والسريان والهند الى الفارسية .
«٢» مؤلف وكاتب عربي من اشهر الكتاب اسلم ثم اتهم بالزندقة وقتل . له عدة مؤلفات وترجم كتاب كلية ودمنة عن اللغة البهلوية - الفارسية القديمة - الى اللغة العربية .

المعروفة باليتيمة في طاعة السلطان .

ربن الطبري

قال صاحب جمال الدين بن القفطي في كتابه : ان هذا ربن الطبري كان يهودياً طبيباً منجماً من أهل طبرستان ، وكان متميزاً في الطب ، عالماً بالهندسة وأنواع الرياضة ؛ وحل كتباً حكومية من لغة الى لغة اخرى . قال : وكان والده علي بن ربن طبيباً مشهوراً انتقل من طبرستان الى العراق ، وسكن سر من رأى . وربن هذا كان له تقدم في علم اليهود - والربن والرئين والراب اسماء لمقدمي شريعة اليهود .

وسئل أبو معشر عن مطارح الشعاع فذكرها وساق الحديث الى أن قال: ان المترجمين لنسخ المجسطي المخرجة من لغة يونان ما ذكروا الشعاع ولا مطارحه ، ولا يوجد ذلك الا في النسخة التي ترجمها ربن المتطبب الطبري . ولم يوجد في النسخ القديمة مطرح شعاع بطليموس ، ولم يعرفه ثابت ولا حنين القلوسي ولا الكندي ولا أحد من هؤلاء التراجم الكبار ، ولا احد من ولد نوبخت .

ابن ربن الطبري

هو أيو الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري . وقال ابن النديم البغدادي الكاتب : علي بن ربن (باللام) وقال عنه انه كان يكتب للمازيار بن قارن فلما اسلم على يد المعتصم قربه وظهر فصله بالحضرة ، وأدخله المتوكل في جملة ندمائه . وكان بموضع من الادب ، وهو معلم الرازي صناعة الطب . وكان مولده ومنشؤه بطبرستان .

ومن كلامه قال : الطبيب الجاهل مستحق الموت . ولابن ربن الطبري من الكتب : كتاب فردوس الحكمة ، وجعله سبعة أنواع ؛ والأنواع تحتوي على ثلاثين مقالة ، والمقالات تحتوي على ثلثمائة وستين باباً . كتاب ارفاق الحياة كتاب تحفة الملوك ، كتاب كناش الحضرة ، كتاب منافع الاطعمة والاشربة والعقاقير ، كتاب حفظ الصحة ، كتاب في الحجامه ، كتاب في ترتيب الاغذية .

ابو بكر محمد بن زكريا الرازي

مولده ومنشؤه بالري^(١) ، وسافر الى بغداد وأقام بها مدة . وكان قدومه الى بغداد وله من العمر نيف وثلاثون سنة ، وكان من صغره مشتتهاً للعلوم العقلية مشتغلاً بها وبعلم الادب ، ويقول الشعر . وأما صناعة الطب فانما تعلمها وقد كبر ، وكان المعلم له في ذلك علي بن ربن الطبري . وقال ابو سعيد زاهد العلماء في كتابه في البيارستانات : سبب تعلم ابي بكر محمد بن زكريا الرازي صناعة الطب انه

«١» مدينة قديمة في مادي جنوبي طهران بشرق . فتحها العرب في زمن الخليفة عمر سنة ٦٣٩ وفيها ولد هارون الرشيد .

عند دخوله مدينة السلام بغداد ، دخل الى البيارستان العضدي ليشاهده ، فاتفق له ان ظفر برجل شيخ صيدلاني البيارستان ، فسأله عن الأدوية ومن كان المظهر لها في البدء « فأجابه بان قال : ان اول ما عرف منها كان حي العالم ^(١) وكان سببه أفلولن سلية اسقليبيوس ، وذلك ان افلولن كان به ورم حار في ذراعه مؤلم ألماً شديداً ، فلما أشفي منه ارتاحت نفسه الى الخروج الى شاطئ نهر ، فأمر غلمانہ فحملوه الى شاطئ نهر كانت عليه هذا النبات ، وانه وضعه عليه تبرداً به فخفف ألمه بذلك ، فاستطال وضع يده عليه واصبح من غد فعل مثل ذلك فبرأ . فلما رأى الناس سرعة برئه وعلموا انه انما كان بهذا الدواء سموه حياة العالم ، وتداولته الالسن وخففته فسمي حي العالم . فلما سمع الرازي ذلك اعجب به . ودخل تارة اخرى الى هذا البيارستان ، فرأى صبيّاً مولوداً بوجهين ، ورأس واحد ، فسأل الاطباء عن سبب ذلك فأخبر به فأعجبه ما سمع . ولم يزل يسأل عن شيء شيء ويقال له وهو يعلق بقلبه ، حتى تصدى لتعلم الصناعة ، وكان منه جالينوس العرب ، هذه حكاية ابي سعيد.

وقال بعضهم ان الرازي كان في جملة من اجتمع على بناء هذا البيارستان العضدي ، وان عضد الدولة استشاره في الموضع الذي يجب ان يبنى فيه المارستان ، وان الرازي امر بعض الغلمان ان يعلق في كل ناحية من جانبي بغداد شقة لحم ، ثم اعتبر السقي لم يتغير ولم يسك ^(٢) فيها اللحم بسرعة ، فأشار بان يبنى في تلك الناحية وهو الموضع الذي بني فيه البيارستان

وحدثني كمال الدين ابو القاسم بن ابي تراب البغدادي الكاتب ان عضد الدولة لما بنى البيارستان العضدي المنسوب اليه ، قصد ان يكون فيه جماعة من أفاضل الأطباء وأعيانهم ، فأمر ان يحضروا له ذكر الأطباء المشهورين حينئذ ببغداد وأعمالها ، فكانوا متوافرين على المائة ، فاختر منهم نحو خمسين بحسب ما علم من جودة احوالهم وتمهرهم في صناعة الطب ، فكان الرازي منهم . ثم انه اقتصر من هؤلاء ايضاً على عشرة ، فكان الرازي منهم . ثم اختار من العشرة ثلاثة فكان الرازي احدهم . ثم انه ميز فيما بينهم فبان له ان الرازي افضلهم ، فجعله ساعور ^(٣) البيارستان العضدي .

اقول والذي صح عندي ان الرازي كان اقدم زماناً من عضد الدولة بن بويه ، وانما كان تردده الى البيارستان من قبل ان يحده عضد الدولة . وللرازي كتاب في صفات البيارستان وفي كل ما كان يحده من احوال المرضى الذين كانوا يعالجون فيه .

وقال عبيد الله بن جبرئيل انه لما عمر عضد الدولة البيارستان الجديد الذي على طرف الجسر من الجانب الغربي من بغداد ، كانت الاطباء الذين جمعهم فيه من كل موضع ، وأمر الراتب منه اربعة وعشرون طبيباً ، وكان من جملتهم ابو الحسن علي بن ابراهيم بن بكس ، وكان دأبه ان يدرس فيه الطب لانه كان محبوباً ، وكان منهم ابو الحسن بن كشكرايا المعروف بتلميذ سنان ، وابو يعقوب

«١» جلس نباتات عشبية لمية معمرة تزرع لزهرها وللتزيين من فصيلة الخلدات وهي بالفرنسية Joubarle

«٢» لم تتغير رائحته وبنات .

«٣» المقدم في معرفة الطب وأداته . واصله بالسريانية ساعوراء ومعناه متفقد المرضى .

الاهوازي وابو عيسى بقية والقس الرومي وبنو حسنون ، وجاعة طبائعيون . قال عبيد الله : وكان والدي جبرئيل قد اصعد مع عضد الدولة من شيراز ورتب في جملة الطبائعين في البيارستان ، وفي جملة الاطباء الخواص . قال : وكان في البيارستان مع هؤلاء من الكحالين الفضلاء ابو نصر بن الدحلي ، ومن الجرائحين ابو الخير وابو الحسن بن تقاح وجماعته ، ومن المجبرين المشار اليهم ابو الصلت . وقال سليمان بن حسان : ان الرازي كان متولياً لتدبير مارستان الري زماناً قبل مزاولته في البيارستان العضدي وقال : ان الرازي كان في ابتداء نظره يضرب بالعود ، ثم انه اكب على النظر في الطب والفلسفة ، فبرع فيها براعة المتقدمين . وقال القاضي صاعد في كتاب « التعريف بطبقات الامم » : ان الرازي لم يوغل في العلم الا الهي ، ولا فهم غرضه الاقصى ، فاضطرب لذلك رأيه وتقلد آراء سخيفة ، وانتحل مذاهب خبيثة ، وذم أقواماً لم يفهم عنهم ولا اهتدى لسبيلهم . وقال محمد بن اسحق النديم المعروف بابي الفرج بن أبي يعقوب في كتاب الفهرست : ان الرازي كان ينتقل في البلدان ، وبينه وبين منصور بن اسحق صداقة . وألف له كتاب المنصوري . قال واخبرني محمد بن الحسن الوراق قال ، قال لي رجل من أهل الري شيخ كبير سألته عن الرازي فقال : كان شيخاً كبير الرأس مسقطه ، وكان يجلس في مجلسه ودونه التلاميذ ، ودونهم تلاميذهم ودونهم تلاميذ آخر ، فكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لأول من يلقاه ، فان كان عندهم علم والا تعمداهم الى غيرهم ، فان اصابوا والا تكلم الرازي في ذلك . وكان كريماً متفضلاً ، باراً بالناس ، حسن الرأفة بالفقراء والاعلاء ، حتى كان يجري عليهم الجرايات الواسعة ويمرضهم ولم يكن يفارق المدارج والنسخ . ما دخلت عليه قط إلا رأيته ينسخ اما يسود او يبيض ، وكان في بصره رطوبة لكثرة أكله الباقلاء ، وعمي في آخر عمره ، وكان يقول انه قرأ الفلسفة على البلخي . قال محمد بن اسحق النديم : وكان البلخي من اهل بلخ يطوف البلاد ويحول الارض ، حسن المعرفة بالفلسفة والعلوم القديمة . وقد يقال ان الرازي ادعى كتبه في ذلك ، ورأيت بخطه شيئاً كثيراً في علوم كثيرة مسودات ورسائل لم يخرج منها الى الناس كتاب تام ، وقيل ان بخراسان كتبه موجودة . قال : وكان في زمان الرازي رجل يعرف بشهيد بن الحسين ويكنى أبا الحسن يجري مجرى فلسفته في العلم ، ولكن لهذا الرجل كتب مصنفة ، وبينه وبين الرازي مناظرات ، ولكل واحد منها نقوض على صاحبه

اقول : وكان الرازي ذكياً فطناً رؤوفاً بالمرضى ، مجتهداً في علاجهم وفي برئهم بكل وجه يقدر عليه ، مواظباً للنظر في غوامض صناعة الطب والكشف عن حقائقها واسرارها ، وكذلك في غيرها من العلوم بحيث انه لم يكن له دأب ولا عناية في جل اوقاته الا في الاجتهاد والتطلع فيما قد دونه الافاضل من العلماء في كتبهم ، حتى وجدته يقول في بعض كتبه انه كان لي صديق نبيل يسامرنى على قراءة كتب بقراط وجالينوس . وللرازي اخبار كثيرة وفوائد متفرقة فيما حصل له من التمر في صناعة الطب ، وفيما تفرد به في مداواة المرضى ، وفي الاستدلال على احوالهم من تقدمه المعرفة ، وفيما خبره من الصفات والادوية التي لم يصل الى علمها كثير من الاطباء . وله في ذلك حكايات كثيرة وقعت له قد تضمنها كثير من الكتب ، وقد ذكر من ذلك جملاً في باب مفرد من كتابه الحاوي ، وفي كتابه

في سر الطب .

وبما حكي عنه من بدائع وصفه وجودة استدلاله ، قال القاضي ابو علي ^(١) المحسن بن علي بن أبي جهم التنوخي في كتاب « الفرج بعد الشدة » : حدثني محمد بن علي بن الخلال البصري ابو الحسين أحد أمناء القضاة ، قال : حدثني بعض اهل الطب الثقة ، ان غلاماً من بغداد قدم الري وهو ينث الدم ، وكان لحقه ذلك في طريقه ؛ فاستدعى أبا بكر الرازي ، الطبيب المشهور بالحذق ، صاحب الكتب المصنفة ، فاراه ما ينث ووصف ما يجد . فأخذ الرازي مجسته ورأى قارورته ، واستوصف حاله منذ بدأ ذلك به ، فلم يقم له دليل على سل ^(٢) ولا قرحة ^(٣) ؛ ولم يعرف العلة ؛ فاستنظر الرجل ليتفكر في الامر ، فقامت على العليل القيامة ، وقال : هذا يأس لي من الحياة لحذق المتطبب وجهه بالعلة . فازداد ما به وولد الفكر للرازي ان اعاد عليه فسأله عن المياه التي شربها في طريقه فأخبره انه قد شرب من مستنقعات وصهاريج ^(٤) ، فقام في نفس أبي بكر محمد بن زكريا الرازي المتطبب الرأي بمجدة الحاطر وجودة الذكاء ، ان علة كانت في الماء فحصلت في معدته ، وان ذلك النث الدم من فعلها . فقال له اذا كان في غد جئتك فعالجتك ولم انصرف او تبرا ، ولكن بشرط تأمر غلمانك ان يطيعوني فيك بما آمرهم به . فقال : نعم . وانصرف الرازي فتقدم فجمع له ملء مركنين ^(٥) كبيرين من طحلب ^(٦) اخضر فاحضرهما من غد معه واره اياهما وقال له ابلع جميع ما في هذين المركنين . فبلع الرجل شيئاً يسيراً ثم وقف فقال : ابلع . فقال : لا استطيع ، فقال للغلمان : خذوه فاني موه على قفاه . ففعلوا به ذلك وطرحوه على قفاه وفتحوا فاه ، واقبل الرازي يدس الطحلب في حلقه ويكبسه كبساً شديداً ويطالبه ببلعه شاء ام أبى ، ويتهدده بالضرب انى ان بلعه كارهاً احد المركنين باسره ، والرجل يستغيث فلا ينفعه مع الرازي شيء ، الى ان قال : الساعة اقذف . فزاد الرازي فيما يكبسه في حلقه ، فذرعه ^(٧) القيء فقذف . وتأمل الرازي قذفه فاذا فيه علة ، واذا هي لما وصل اليها الطحلب قرمت ^(٨) اليه بالطبع وتركته موضعها . والتفت على الطحلب ؛ فلما قذف الرجل خرجت مع الطحلب ، ونهض الرجل معافى .

قال القاضي التنوخي : وحدثني ابو بكر محمد بن عبد الله بن محمد الرازي المعروف بابن حمدون قال : حدثني ابو بكر احمد بن علي الرازي الفقيه قال : سمعت ابا بكر بن قارن الرازي الطبيب

«١» رجل سياسي تعلم بالبصرة وتولى القضاء في بغداد ثم الامواز « سنة ٩٤١ - ٩٩٤ »

«٢» مرض يصيب الرئة .

«٣» مرض يتقرح فيه الغشاء المخاطي للجهاز الهضمي .

«٤» جمع صهريج وهو حوض الماء

«٥» الاجانة ونحوها لغسل الثياب .

«٦» نباتات تعيش في البحار والمياه الحلو وهي من مستورات الزهر لا تتميز في اجسامها السيفان والاوراق والجذور

«٧» سبق الى فيه وغلبه .

«٨» اشتدت شهورها اليه .

وكان محققاً في الطب ، قال : ابو بكر بن حمدون ، وقد رأيت هذا الرجل ، وكان يحسن علوماً كثيرة منها الحديث ويرويهِ ويكتبه الناس عنه ويوهونه ، ولم أسمع هذا منه ، قال القاضي التنوخي : ولم يتفق لي ، مع كثرة ملاقاتي ابني بكر الرازي ، ان اسمع هذا الخبر منه ، قال ابن قارن الرازي ، وكان تلميذاً لابني بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب في الطب : سمعت ابا بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب بعد رجوعه من عند امير خراسان ، لما استدعاه فعالجه من علة صعبة قال : اجتازت في طريقي بنيسابور ^(١) بيقام ، وهي النصف من طريق نيسابور الى الري ، فاستقبلني رئيسها فانزلني داره وخدمني اتم خدمة ، وسألني ان اقف على ابن له به استسقاء ، فادخلني الى دار قد أفرد لها ، فشاهدت العليل فلم اطعم في برئه فعلث القول بمشهد من العليل ، فلما انفردت انا بابيه سألني ان اصدقه فصدقته وآيسته من حياة ابنه ، وقلت له مكنه من شهواته فانه لا يعيش ، وخرجت من خراسان وعدت منها بعد اثني عشر شهراً فاجتازت به ، فاستقبلني الرجل بعد عودتي ، فلما لقيتُه استحييت منه غاية الحياء ولم اشكك في وفاة ابنه ، واني كنت نعيته اليه وخشيت من ثقله بي ، فأنزَلني داره فلم اجد عنده ما يدل على ذلك . وكرهت مسألته عن ابنه لئلا أجدد عليه حزناً . فقال لي يوماً : تعرف هذا الفتى ؟ وأوماً الى شاب حسن الوجه والصحة ، كثير الدم والقوة ، قائم مع الغلمان يخدمنا . فقلت : لا ! فقال : هذا ولدي الذي آيستني منه عند مضيك الى خراسان ، فتحيرت وقلت : عرفني سبب برئه ؟ فقال لي : انه بعد قيامك من عنده فطن انك آيستني منه فقال لي : لست اشك ان هذا الرجل وهو أرواح في الطب في عصره هذا قد آيسك مني ، والذي أسألك ان تمنع هؤلاء الغلمان ، يعني غلماني الذين كنت اخدمهم ايام ، فانهم اترابي ، واذا رأيتهم معافين وقد علمت اني ميت تجدد على قلبي حمى تعجل لي الموت ، فأرحمني من هذا بان لا اراهم ، وأفرد لخدمتي فلانة دابتي . ففعلت ما سألت ، وكان يحمل الى الداية في كل يوم ما تأكله ، واليه ما يطلب على غير حمية .

فلما كان بعد ايام حمل الى الداية مضيرة ^(٢) لتأكل ، فتركها بحيث يقع عليها نظر ولدي ، ومضت في شغل لها ، فذكرت انها لما عادت وجدت ابني قد اكل اكثر مما كان في الغضارة ^(٣) ، وبقي في الغضارة شيء يسير . فغير اللون ، قالت العجوز : فقلت له : ما هذا ؟ فقال : لا تقر بي الغضارة ، وجذبها اليه ، وقال : رأيت أفعى عظيماً وقد خرج من موضع ودب اليها فأكل منها ، ثم قذف فصار لونها كما ترى ، فقلت أنا ميت ولا اود ان يلحقني ألم شديد ، ومتى اظفر بمثل هذا ، وأكلت من الغضارة ما استطعت لاموت عاجلاً وأستريح . فلما لم استطع زيادة أكل رجعت الى موضعي وجئت انت . قالت ورأيت المضيرة على يده وفه فصحت . فقال : لا تعلمي شيئاً أو تدفني الغضارة بما فيها

«١» عاصمة خراسان . من اعظم المدن الاسلامية في القرون الوسطى خربت بالحروب والزلازل . وهي مسقط رأس عمر الحيام ومزيد الدين المطار .

«٢» مريضة تطبخ باللبن المضير او الصريح وهي تشبه ما يسمى اليوم لبن امه او شاكرية او معقودة ، وهي لحم يطبخ باللبن الرائب .

«٣» القصة الكبيرة .

لثلاً يأكلها انسان فيموت ، او حيوان فيلسع انساناً فيقتله .: ففعلت ما قال . وخرجت الي ، فلما عرفتني ذلك ذهب علي امري ودخلت الي ابني فوجدته نائماً ، فقلت لا توقظوه حتى تنظر ما يكون من امره ، فانتبه آخر النهار وقد عرق عرقاً شديداً وهو يطلب المستحم^(١) ، فأنهض اليه فاندفع بطنه ، وقام من ليلته ومن غد اكثر من مائة مجلس ، فازداد يأسنا منه ، وقل الطعام بعد ان استمر اياماً ، وطلب فراريج فأكل ، ولم تزل قوته تثوب اليه ، وقد كان بطنه التصق بظهره ، وقوي طمعنا في عافيته فنعناه من التخليط ، فتزايدت قوته الي ان صار كما ترى . فمجببت من ذلك وذكرت ان الاوائل قالت : ان المستسقي اذا أكل من لحم حية عتيقة مزمنة لها مئون سنين برأ ، ولو قلت لك ان هذا علاجه لظننت اني أدافعك ومن أين نعلم كم سنوحيه اذا وجدناها فسكت عنك .

اقول : وللرازي أمثال هذا من الحكايات اشياء كثيرة جداً مما جرى له وقد ذكرت من ذلك جملة وافرة في كتاب «حكايات الاطباء في علاجات الادواء» . وكان اكثر مقام الرازي ببلاد المعجم ، وذلك لكونها موطنه وموطن أهله واخيه ، وخدم بصناعة الطب الاكابر من ملوك المعجم وصنف هنالك كتباً كثيرة في الطب وغيره ، وصنف كتابه المنصورى للمنصور بن اسمعيل بن خاقان صاحب خراسان وما وراء النهر ، وكذلك صنف كتابه الذي سماه الملوكى لملي ابن صاحب طبرستان . وكان الرازي أيضاً مشغلاً بالعلوم الحكمية فائقاً فيها . وله في ذلك تصانيف كثيرة يستدل بها على جودة معرفته وارتفاع منزلته . وكان في اول امره قد عنى بعلم السمياء والكيمياء وما يتعلق بهذا الفن ، وله تصانيف أيضاً في ذلك . ونقلت من خط بلنظفر بن معرف^(٢) قال : كان الرازي يقول أنا لا اسمي فيلسوفاً إلا من كان قد علم صنعة الكيمياء ، لانه قد استغنى عن التكسب من أوساخ الناس ، وتزه عما في أيديهم ولم يحتاج اليهم .

وحدثني بعض الاطباء ان الرازي كان قد باع لقوم من الروم سبائك ذهب وساروا بها الى بلادهم ، ثم انهم بعد ذلك بسنين عدة وجدوها وقد تغير لونها بعض التغير ، وتبين لهم زيفها فجاءوا بها اليه ؛ وألزم بردها . وقال غيره ان الوزير كان أضافه الرازي فأكل عنده أطعمة لذيذة لا يمكن ان يأكل باطبيب منها ، ثم ان الوزير تحيل بعد ذلك حتى اشترى احدى الجوارى التي تطبخ الاطعمة عند الرازي ظناً منه ان تطبخ مثل ذلك الطعام ، فلما صنعت له اطعمة لم يجدها كما وجدها عند الرازي . فلما سألها عن ذلك ، ذكرت له أن الطبخ واحد ، بل اتنا كنا نجد القدور التي عند الرازي جميعاً ذهباً وفضة . فسبق الي وهم حينئذ ان جودة الاطعمة انما هي من ذلك ، وان الرازي قد حصلت له معرفة الكيمياء . فاستحضر الوزير الرازي وسأله ان يعرفه ما قد حصل له من معرفة الكيمياء . فلما لم يذكر له الرازي شيئاً من ذلك ، وانكر معرفته خنقه سراً بوتر .

(١) موضع الاستحمام (ن.د)

(٢) من اطباء ديار مصر المشهورين وسيأتي الكلام عنه .

وقيل ان الرازي كان في أول امره صيرفياً . ومما يحقق ذلك انني وجدت نسخة من المنصوري قديمة قد سقط آخرها ، واحترق أكثرها من عتقها ، وهي مترجمة بذلك الخط على هذا المثال : كناش المنصوري ، تأليف محمد بن زكريا الرازي الصيرفي . واخبرني من هي عنده انها خط الرازي . وكان الرازي معاصراً لاسحق بن حنين ومن كان معه في ذلك الوقت ، وعمي في آخر عمره بماء نزل في عينيه فقيل له : لو قدححت ؟ فقال : لا قد نظرت من الدنيا حتى مللت . فلم يسمح بعينه للقدح . وقال أبو الخير الحسن بن سوار بن بابا ، وكان قريب العهد منه : إن الرازي توفي في سنة نيف وتسعين ومائتين أو ثلثمائة وكسر ، قال : والشك مني .

ونقلت من خط بلنظف بن معرف أن الرازي توفي في سنة عشرين وثلثمائة . وقال عبيد الله بن جبرئيل : كان أبو بكر محمد بن زكريا الرازي له المنزلة الجليلة بالري وسائر بلاد الجبل . قال : وعاش الى أن لحقه ابن العميد ^(١) استاذ الصاحب ^(٢) بن عباد ، وهو كان سبب اظهار كتابه المعروف بالحايي ، لانه كان حصل بالري بعد وفاته فطلبه من اخت أبي بكر ، وبذل لها دنانير كثيرة حتى أظهرت له مسودات الكتاب . فجمع تلاميذه الاطباء الذين كانوا بالري حتى رتبوا الكتاب ، وخرج على ما هو عليه من الاضطراب .

ومن كلام أبي بكر محمد بن زكريا الرازي قال :
الحقيقة في الطب غاية لا تدرك ، والعلاج بما تنصه الكتب دون اعمال الماهر الحكيم برأيه خطر .
وقال : الاستكثار من قراءة كتب الحكماء ، والامتراف على أسرارهم ، نافع لكل حكيم عظيم الخطر .
وقال : العمر يقصر عن الوقوف على فعل كل نبات في الارض ، فعليك بالاشهر ، مما اجمع عليه ،
ودع الشاذ ؛ واقتصر على ما جربت .

وقال : من لم يمن بالامور الطبيعية ، والعلوم الفلسفية ، والقوانين المنطقية ، وعدل الى اللذات الدنيائية ، فاتهمه في علمه ؛ لا سيما في صناعة الطب .

وقال : متى اجتمع جالينوس وارسطوطاليس على معنى فذلك هو الصواب ؛ ومتى اختلفا صعب على العقول ادراك صوابه جداً .

وقال : الامراض الحارة اقتل من الباردة لسرعة حركة النار . وقال : الناقهون من المرض اذا اشتوا من الطعام ما يضرهم فيجب للطبيب ان يحتال في تدبير ذلك الطعام وصرفه الى كيفية موافقة ، ولا يمنعهم ما يشتهون بثته .

وقال : ينبغي للطبيب ان يوهن المريض أبدأ الصحة ويرجيه بها ، وان كان غير واثق بذلك ، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس .

(١) ابو الفضل محمد الخطيب ابن العميد وزير ركن الدولة البويه . غلب الخراسانيون واسترد منهم اصفهان ومنع عنهم الري . وتوفي سنة ٩٧١ . (٢) ابو القاسم اسماعيل الطالقاني وزير بني بويه ولقب بالصاحب . اخضع طبرستان ورتب أمورهما . وتوفي في الري ودفن في اصفهان (٩٣٨-٩٩٥) (ن.د.)

وقال : الاطباء الاميون والمقلدون ، والاحداث الذين لا تجربة لهم ، ومن قلت عنايته وكثرت شهواته ، قتالون .

وقال : ينبغي للطبيب ان لا يدع مساءلة المريض عن كل ما يمكن أن تتولد عنه علته من داخل ومن خارج ، ثم يقضي بالاقوى .

وقال : ينبغي للمريض أن يقتصر على واحد من يوثق به من الاطباء ، فخطؤه في جنب صوابه يسير جداً .

وقال : من تطبب عند كثيرين من الاطباء يوشك ان يقع في خطأ كل واحد منهم .

وقال : متى كان اقتصار الطبيب على التجارب دون القياس وقراءة الكتب خذل .

وقال : لا ينبغي ان يوثق بالحسن العناية في الطب حتى يبلغ الاشد ويحرب .

وقال : ينبغي ان تكون حالة الطبيب معتدلة ، لا مقبلاً على الدنيا كلية ولا معرضاً عن الآخرة كلية ، فيكون بين الرغبة والرغبة .

وقال : بانتقال الكواكب الثابتة في الطول والعرض تنتقل الاخلاق والمزاجات .

وقال : باختلاف عروض البلدان تختلف المزاجات والاخلاق والعادات وطباع الادوية والاغذية ، حتى يكون ما في الدرجة الثانية من الادوية في الرابعة ، وما في الرابعة في الثانية .

وقال : ان استطاع الحكيم ان يعالج بالاغذية دون الادوية فقد وافق السعادة .

وقال : ما اجتمع الاطباء عليه ، وشهد عليه القياس ، وعضدته التجربة ، فليكن أمامك ، وبالضد .

ومن شعر أبي بكر محمد بن زكريا الرازي قال :

لعمري ، ما ادري ، وقد آذن البلى	بماجل ترحال ؛ الى اين ترحالي ؟
واين محل الروح بعد خروجه	من الهيكل المنحل والجسد البالي ؟

الطويل

ولابي بكر محمد بن زكريا الرازي من الكتب : كتاب الحاوي ، وهو .أجل كتبه واعظمها في صناعة الطب . وذلك أنه جمع فيه كل ما وجده متفرقاً في ذكر الامراض ومداواتها من سائر الكتب الطبية للمتقدمين ، ومن أتى بعدهم الى زمانه . ونسب كل شيء نقله فيه الى قائله ، هذا مع ان الرازي توفي ولم يفسح له في الاجل ان يحرق هذا الكتاب . كتاب البرهان ، مقالتان ، الاولى سبعة عشر فصلاً ، والثانية اثنا عشر فصلاً . كتاب الطب الروحاني ، ويعرف ايضاً بطب النفوس ؛ غرضه فيه اصلاح أخلاق النفس ، وهو عشرون فصلاً . كتاب في أن للانسان خالقاً متقناً حكماً ، وفيه دلائل من التشريح ومنافع الاعضاء تدل على ان خلق الانسان لا يمكن ان يقع بالاتفاق ، كتاب سمع

الكيان عرضه فيه ان يكون مدخلا الى العلم الطبيعي ومسهلا للمتعلم لحوق المعاني المتفرقة في الكتب الطبيعية . كتاب ايساغوجي وهو المدخل الى المنطق . جل معاني قاطينورياس . جل معاني بارمينيادس . جل معاني اناطوطيقا الاولى الى تمام القياسات المحلية . كتاب هيئة العالم غرضه ان يبين ان الارض كرية وانها في وسط الفلك ، وهو ذو قطبين يدور عليها ، وان الشمس اعظم من الارض والقمر اصغر منها وما يتبع ذلك من هذا المعنى . كتاب فيمن استعمل تفضيل الهندسة من الموسومين بالهندسة ، ويوضح فيه مقدارها ومنفعتيها ويرد على من رفعها فوق قدرها . مقالة في السبب في قتل ريح السموم لاكثر الحيوان . كتاب فيما جرى بينه وبين سيدن الثاني يريه خطأ موضوعاته وفساد ناموسه ، في سبع مباحث . كتاب في اللذة غرضه فيه ان يبين انها داخلة تحت الراحة . مقالة في العلة التي لها صار الخريف ممرضاً والربيع بالصد ، على أن الشمس في هذين الزمانين في مدار واحد ، صنفها لبعض الكتاب . كتاب في الفرق بين الرؤيا المنذرة ، وبين سائر ضروب الرؤيا . كتاب الشكوك والمناقضات التي في كتب جالينوس . كتاب في كيفية الابصار يبين فيه ان الابصار ليس يكون بشعاع يخرج من العين ، وينقض فيه اشكالا من كتاب اقليدس في المناظر . كتاب في الرد على الناشئ في مسائله العشر التي رام بها نقض الطب . كتاب في علل المفاسل والنفوس وعرق النساء ، وهو اثنان وعشرون فصلا . كتاب آخر صغير في وجع المفاصل .

الاثنا عشر كتاباً في الصنعة : الأول كتاب المدخل التعليمي ؛ الثاني كتاب المدخل البرهاني ؛ الثالث كتاب الاثبات ؛ الرابع كتاب التدبير ؛ الخامس كتاب الحجر ؛ السادس كتاب الاكسير عشرة ابواب ؛ السابع كتاب شرف الصناعة وفضلها ؛ الثامن كتاب الترقيب ؛ التاسع كتاب التدابير ؛ العاشر كتاب الشواهد ونكت الرموز ؛ الحادي عشر كتاب المحبة ؛ الثاني عشر كتاب الحيل . كتاب الاحجار يبين فيه الايضاح عن الشيء الذي يكون في هذا العمل . كتاب الاسرار . كتاب سر الاسرار . كتاب التوبيخ . كتاب رسالة الخاصة . كتاب الحجر الاصفر . كتاب رسائل الملوك . كتاب الرد على الكندي في ادخاله صناعة الكيمياء في الممتع . كتاب في ان الحمية المفرطة والمبادرة الى الادوية والتقليل من الاغذية لا يحفظ الصحة ، بل يجلب الامراض . مقالة في ان جهال اطباء يشددون على المرضى في منعهم من شهواتهم وان لم يكن الانسان كثير مرض جهلا وجزافا . كتاب سيرة الحكماء . مقالة في ان الطين المتنقل به فيه منافع ألفها لابي حازم القاضي . مقالة في الجدي والحصبة ، أربعة عشر باباً . مقالة في الحصى في الكلي والمثانة . كتاب الى من لا يحضره طبيب ، وغرضه ايضاح الامراض ، وتوسع في القول ، ويذكر فيه علة علة ، وانه يمكن ان يعالج بالادوية الموجودة ، ويعرف ايضاً بكتاب طب الفقراء . كتاب الادوية الموجودة بكل مكان يذكر فيه ادوية لا يحتاج الطبيب الحاذق معها الى غيرها ، اذا ضم اليها ما يوجد في المطابخ والبيوت . كتاب في الرد على الجاحظ في نقض صناعة الطب . كتاب في تناقض قول الجاحظ في كتابه في فضيلة الكلام وما غلط فيه على الفلاسفة . كتاب التقسيم والتشجير يذكر فيه تقاسم الامراض واسبابها وعلاجها بالشرح والبيان ، على سبيل تقسيم وتشجير . كتاب الطب الملوكي في العلل وعلاج الامراض كلها بالأغذية ،

ودس الادوية في الاغذية حيث لا بد منها ، وما لا يكرهه العليل . كتاب في الفالج . كتاب في اللقوة . كتاب في هيئة العين . كتاب في هيئة الكبد ، كتاب في هيئة الانثيين . كتاب في هيئة القلب . كتاب في هيئة الصباح . كتاب في هيئة المفاصل أقرباذين . كتاب في الانتقاد والتحرير على المعتزلة . كتاب في الخيار المر . كتاب في كيفية الاغذاء ، وهو جوامع ذكر الادوية المعدنية . كتاب في أثقال الادوية المركبة . كتاب في خواص الاشياء . كتاب كبير في الهيولى ، كتاب في سبب وقوف الارض وسط الفلك على استدارة . كتاب في نقض الطب الروحاني على ابن اليان . كتاب في ان العالم لا يمكن ان يكون الا على ما نشاهده . كتاب في الحركة وانها ليست مرئية بل معلومة . مقالة في ان للجسم تحريكاً من ذاته وان الحركة مبدأ طبيعي . قصيدة في المنطقيات . قصيدة في العلم الالهي . قصيدة في العظة اليونانية . كتاب الكرى ومقادير مختصرة .

كتاب في ايضاح العلة التي بها تدفع الهوام بالتغذي ومرة بالتدبير . كتاب في الجبر وكيف يسكن الله ، وما علاقة الحر فيه والبرد . مقالة في الاسباب المميلة لقلوب اكثر الناس عن أفاضل الاطباء الى اخسائهم . مقالة فيما ينبغي ان يقدم من الاغذية والفواكه وما يؤخر منها . مقالة في الرد على احمد بن الطبيب السرخسي فيما رد به على جالينوس في امر الطعم المر . كتاب في الرد على المسمعي المتكلم في رده على اصحاب الهيولى . كتاب في المدة ، وهي الزمان ، وفي الحلاء والملا ، وهما المكان . مقالة أبان فيها خطأ جرير الطبيب في انكاره مشورته على الامير احمد بن اسمعيل ، في تناول التوت الشامي على أثر البطيخ في حاله ، وايضاح عذره فيها . كتاب في نقض كتاب انايو الى فرفوروس في شرح مذاهب ارسطوطاليس في العلم الالهي . كتاب في العلم الالهي . كتاب في الهيولى المطلقة والجزئية . كتاب الى أبي القاسم البلخي والزيادة على جوابه وجواب هذا الجواب . كتاب في العلم الالهي على رأي افلاطون . كتاب في الرد على ابي القاسم البلخي فيما ناقض به في المقالة الثانية من كتابه في العلم الالهي . كتاب في محنة الذهب والفضة والميزان الطبيعي . كتاب في الثبوت في الحكمة . كتاب في عذر من اشتغل بالشرطنج . كتاب في حكمة النرد . كتاب في حيل النمس . كتاب في ان للعالم خالقاً حكيماً . كتاب في الباء يبين فيه الامزاج ومنافع الباء ومضاره . كتاب الزيادة التي زادها في الباء .

كتاب المنصوري للفه للامير منصور بن اسحق بن اسمعيل بن أحمد صاحب خراسان وتحري فيه الاختصار والايجاز ، مع جمعه لجل وجوامع ونكت وعيون من صناعة الطب علمها وعملها ، وهو عشر مقالات : المقالة الاولى في المدخل الى الطب وفي شكل الاعضاء وخلقها ؛ المقالة الثانية في تعرف مزاج الابدان وهيئتها ، والاخلاط الغالبة عليها ، واستدلالات وجيزة جامعة من الفراسة ؛ المقالة الثالثة في قوى الاغذية والادوية ؛ المقالة الرابعة في حفظ الصحة ؛ المقالة الخامسة في الزينة ؛ المقالة السادسة في تدبير المسافرين ؛ المقالة السابعة جل وجوامع في صناعة الجبر والجراحات والقروح ؛ المقالة الثامنة في السموم والهوام ، المقالة التاسعة في الامراض الحادثة من القرن الى القدم ؛ المقالة العاشرة في الحيات وما يتبع ذلك مما يحتاج الى معرفته في تحديد علاجها . مقالة أضافها الى كتاب المنصوري وهي في الأمور الطبيعية . كتاب الجامع ويسمى حاصر صناعة الطب ، وغرضه في هذا الكتاب جمع ما وقع اليه وأدركه من

كتاب طب قديم أو محدث الى موضع واحد في كل باب ، وهو ينقسم اثني عشر قسماً : القسم الاول في حفظ الصحة وعلاج الامراض والوثي والجبر والعلاجات ؛ القسم الثاني في قوى الاغذية والادوية وما يحتاج اليه من التدبير في الطب ؛ القسم الثالث في الادوية المركبة فيه ذكر ما يحتاج اليه منها على سبيل الاقرباء ؛ القسم الرابع فيما يحتاج اليه من الطب في سحق الادوية واحراقها وتصعيداتها وغسلها واستخراج قواها وحفظها ، ومقدار بقاء كل دواء منها وما أشبه ذلك ؛ القسم الخامس في صيدلية الطب ، فيه صفة الادوية وألوانها وطعومها وروائحها ومعادنها وجيدها ورددها ، ونحو ذلك من علل الصيدلة ؛ القسم السادس في الابدال ، يذكر فيه ما ينوب عن كل دواء أو غذاء اذا لم يوجد ؛ القسم السابع في تفسير الاسماء والاوزان والمكاييل التي للعقاقير ، وتسمية الاعضاء والادواء باليونانية والسريانية والفارسية والهندية والعربية على سبيل الكتب المسماة بشقشاهي ؛ القسم الثامن في التشريح ومنافع الاعضاء ؛ القسم التاسع في الاسباب الطبيعية من صناعة الطب ، غرضه فيه ان يبين اسباب العلل بالامر الطبيعي ؛ القسم العاشر في المدخل الى صناعة الطب وهو مقالتان : الاولى منها في الاشياء الطبيعية ، والثانية في أوائل الطب ؛ القسم الحادي عشر جل علاجات وصفات وغير ذلك . القسم الثاني عشر فيما استدركه من كتب جالينوس ولم يذكرها حنين ولا هي في فهرست جالينوس . اقول هذا التقسيم المذكور هنا ليس هو لكتابه المعروف بالحايوي ولا هو تقسيم مرضي ، ويمكن ان هذه كانت مسودات كتاب وجدت للرازي بعد موته وهي مجموعة على هذا الترتيب فحسبت انها كتاب واحد ، والى غايته هذه ما رأيت نسخة لهذا الكتاب ولا وجدت من أخبر أنه رآه .

كتاب الفاخر في الطب . اقول وإنما اثبت هذا الكتاب في جملة كتبه لكونه قد نسب اليه ، واشتهر انه له ، وبالجملة فانه كتاب جيد قد استوعب فيه مؤلفه ذكر الامراض ومداواتها واختيار معالجاتها على أتم ما يكون وأفضله ، وجمهور ما فيه منقول من كتاب التقسيم والتشجير للرازي ، ومن كناش ابن مرابيون وكل ما فيه من كلام الرازي ، فاوله قال محمد . ولأمين الدولة بن التليذ حاشية على هذا الكتاب وانه للرازي ، قال : « الذي كثيراً ما يذكره الرازي في كتاب الفاخر ، قال محمد هو المعروف بالحسن طبيب المقتدر كان طبيباً ببغداد ماهراً في علم الطب وكان بيته بيت الطب . وكان له ثلاث اخوة أحدهم كحال حاذق يعرف بسليمان ، وآخر طبيب ليس في رقبته يعرف بهرون ، والثالث صيدلاني كبير الصيت ببغداد في الحرفة . وله كناش عجيب في تجاربه لكنه قليل الوجود إلا ببغداد المحروسة ، كتاب في العلة التي صار لها متى انقطع من البدن شيء حتى يتبرأ منه أنه لا يلتصق به ، وان كان صغيراً ، ويلصق به من الجراحات العظيمة القدر غير المتبرئة مما هو أعظم من ذلك كثيراً . رسالة في الماء المبرد على الثلج ، والمبرد مسن غير أن يطرح فيه الثلج ، والذي يغلى ثم يبرد في الجليد والثلج . كتاب في العلة التي لها صار السمك الطري معطشاً . رسالة في أنه لا يوجد شراب غير مسكر يفي بجميع أفعال الشراب المسكر المحمود في البدن . كتاب في علامات اقبال الدولة . كتاب في فضل العين على سائر الحواس . رسالة في أن غروب الشمس وسائر الكواكب عنا وطلوعها علينا ليس من أجل حركة الارض بل من حركة الفلك . كتاب في المنطق ، يذكر فيه جميع ما يحتاج اليه منه بالفاظ متكلمي الاسلام . كتاب في فسخ ظن

من يتوهم ان الكواكب ليست في نهاية الاستدارة وغير ذلك . كتاب في أنه لا يتصور لمن لا دربة له بالبرهان ان الارض كرية وان الناس حولها .

رسالة يبحث فيها عن الارض الطبيعية ، طين هي أم حجر ، داخل سمع الكيان . كتاب يوضح فيه ان التركيب نوعان وغير ذلك . مقالة في العادة وانها تكون طبيعية . مقالة في المنفعة في اطراف الأجفان دائماً . مقالة في العلة التي من أجلها تضيق النواظر في النور وتوسع في الظلمة . مقالة في العلة التي لها تزعم الجهال ان الثلج يعطش . مقالة في العلة التي لها يحرق الثلج ويقرح . كتاب أطعمة المرضى . مقالة فيما استدركه من الفصل في الكلام في القائلين بحدوث الاجسام ، وعلى القائلين بقدمها كتاب في أن العلل اليسيرة بعضها أعسر تعرفاً وعلاجاً وغير ذلك . كتاب العلة التي لها تدم العوام الاطباء الحذاق . رسالة في العلل المشكلة وعذر الطبيب وغير ذلك . رسالة في العلل القاتلة لعظمها ، والقاتلة لظهورها بفترة بما لا يقدر الطبيب على صلاحها ، وعذره في ذلك . كتاب في أن الطبيب الحاذق ليس هو من قدر على ابراء جميع العلل ، فان ذلك ليس في الوسع ولا في صناعة أبقرط ؛ وأنه قد يستحق أن يشكر الطبيب ويمدح ، وأن تعظم صناعة الطب وتشرف ، وان هو لم يقدر على ذلك ، بعد أن يكون متقدماً لاهل بلده وعصره . رسالة في أن الصانع المتعرف بصناعته معدوم في جل الصناعات لا في الطب خاصة ، والعلة التي من أجلها صار ينجح جهال الاطباء والعوام والنساء في المدن في علاج بعض الامراض أكثر من العلماء ، وعذر الطبيب في ذلك . كتاب الممتحن في الطب على سبيل كناش . كتاب في أن النفس ليست يحسم . كتاب في الكواكب السبعة في الحكمة . رسالة الى الحسن بن اسحق بن محارس القمي . كتاب في النفس المفترة . كتاب في النفس الكبيرة . مقالة في العلة التي من أجلها يعرض الزكام لابي زيد البلخي في فصل الربيع عند شمه الورد . رسالة في محنة الطبيب وكيف ينبغي ان يكون حاله في نفسه وبدنه وسيرته وأدبه . رسالة في مقدار ما يمكن أن يستدرك من أحكام النجوم على رأي الفلاسفة الطبيعيين ، ومن لم يقل منهم أن الكواكب أحياء وما يمكن ان تستدرك على رأي من قال انها أحياء . كتاب في العلة التي لها صار يحدث النوم في رؤوس بعض الناس شبيهاً بالزكام . كتاب في الشكوك التي على برقلس . كتاب في تفسير كتاب افلوطرخس لكتاب طيماوس . رسالة في علة خلق السباع والحوام . كتاب في اتمام ما ناقض به القائلين بالهيوولي . كتاب في أن المناقضة التي بين أهل الدهر وأهل التوحيد في سبب احداث العالم ، انما جاز من نقصان السمة في اسباب الفعل ، بعضه على التبادلية وبعضه على القائلين بقدم العالم . كتاب في نقضه على علي بن شهيد البلخي فيما ناقضه به في أمر اللذة . كتاب في الرياضة . كتاب في النقض على الكيال في الامامة . كتاب في أنه لا يجوز أن يكون سكون وافتراق . كتاب في اتمام كتاب افلوطرخس . كتاب في نقض كتاب التدبير . اختصار كتاب حيلة البرء لجالينوس . اختصار كتاب النبض الكبير لجالينوس . تلخيص كتاب العلل والاعراض لجالينوس . تلخيص كتاب الاعضاء الآلة لجالينوس . كتاب الانتقاد على أهل الاعتزال . كتاب في نقض كتاب البلخي لكتاب العلم الالهي والرد عليه . كتاب في أنه يجوز أن يكون سكون واجتماع ، ولا يجوز أن يكون حركة واجتماع لم يزل . رسالة

في أن قطر المربع لا يشارك الضلع من غير هندسة . كتاب في الاشفاق على أهل التحصيل من المتكلمين بالفلسفة ، وغرضه يبين مذهب الفلاسفة في العلم الالهي لمعنى القارىء بذلك عن المتحرك اليهم . كتاب في السيرة الفاضلة وسيرة اهل المدينة الفاضلة . كتاب في وجوب الدعاء والدعوى . كتاب الحاصل وغرضه فيه ما يحمل من العلم الالهي من طريق الاخذ بالحرص وطريق البرهان . رسالة لطيفة في العلم الالهي . كتاب منافع الاغذية ودفع مضارها ، وهو مقالاتان يذكر في الاولى منها ما يدفع به ضرر الاطعمة في كل وقت ومزاج وحال ، وفي الثانية قولان استعمال الاغذية ودفع التخمر ومضارها ، ألفه للأمير ابي العباس احمد بن علي . كتاب الى علي بن شهيد البلخي في تثبيت المعاد ، غرضه فيه النقد على من أبطل المعاد ، ويثبت أن معاداً . كتاب علة جذب حجر المغنطيس للحديد وفيه كلام كثير في الحلاء . كتاب كبير في النفس . كتاب صغير في النفس . كتاب ميزان العقل . كتاب في الشراب المسكر وهو مقالاتان . مقالة في السكنجين ومنافعه ومضاره . كتاب في القولنج . مقالة في القولنج الحار وهو المعروف بكتاب القولنج الصغير . كتاب في تفسير كتاب جالينوس لفصول ابقراط . كتاب في الابنة وعلاجها وتبينها . كتاب في نقض كتاب الوجود لمنصور بن طلحة . كتاب فيما يرومه من اظهار ما يدعي من عيوب الاولياء . أقول وهذا الكتاب ان كان قد ألف ، والله اعلم ، فربما ان بعض الاشرار المعادين للرازي قد ألفه ونسبه اليه ، ليسيء من يرى ذلك الكتاب او يسمع به الظن بالرازي ، والا فالرازي أجل من ان يحاول هذا الامر ، وان يصنف في هذا المعنى ، وحتى ان بعض من يذم الرازي بل يكفره كعلي بن رضوان المصري وغيره يسمون ذلك الكتاب كتاب الرازي في مخاريق الانبياء . كتاب في آثار الامام الفاضل المعصوم . كتاب في استفراغ الحمومين قبل النضج . كتاب الامام والمأموم المحقين . كتاب خواص التلاميذ . كتاب شروط النظر . كتاب الآراء الطبيعية . كتاب خطأ غرض الطبيب . أشعار في العلم الالهي . صفة مداد معجون لا نظير له . نقل كتاب الآس لجابر الى الشعر . رسالة في التركيب . رسالة في كيفية النحو . رسالة في العطش وازدياد الحرارة لذلك . كتاب في جمل الموسيقى . كتاب في الاوهام والحركات النفسانية . كتاب في العمل بالحديد والجبر . كتاب فيما يعتقده رأياً . كتاب فيما اغفلته الفلاسفة . كتاب السر في الحكمة . كتاب منافع الاعضاء . كتاب الكافي في الطب . كتاب في المتنقل . كتاب الاقرباذين المختصر . كتاب في البرء يوضح فيه ان التركيب نوعان اما تركيب اجسام مختلفة ، واما تركيب الاجسام المتشابهة الاجزاء ، وانه ليس واحد على الحقيقة الاخرى . كتاب الى ابي القاسم بن دلف في الحكمة . كتاب الى علي بن وهبان فيه باب واحد في الشمس . كتاب الى ابن ابي الساج في الحكمة . كتاب الى الداعي الاطروش في الحكمة . كتاب سر الاسرار في الحكمة . كتاب سر الطبيب . كتاب في شرف الفصد عند الاستفراغات الامتلائية رداً وكيفية وفضله على سائر الاستفراغات والابانة على ان الفصد لا يمنع عند الاحتياج اليه شيء البتة ، ألفه للأمير ابي علي احمد بن اسمعيل بن احمد . كتاب المرشد ويسمى كتاب الفصول . رسالة في ان العلل المستكملة التي لا يقدر الاعلاء ان يعبروا عنها ويحتاج الطبيب الى لزوم العلل والى استعمال بعض التجربة لاستخراجها والوقوف عليها وتحير الطبيب . كتاب مختصر في اللبن .

كلام جرى بينه وبين المسعودي في حدوث العالم . كتاب المدخل الى الطب . مقالة في المذاقات . مقالة في البهق والبرص . كتاب زينة الكتاب . كتاب بره ساعة ، ألفه للوزير ابي القاسم ابن عبد الله . مقالة في البواسير والشقاق في المقعدة . كلام في الفروق بين الامراض . مقالة في الحرقه الكائنة في الاحليل والمثانة . كتاب طب الفقراء . رسالة الى الوزير ابي الحسن علي ابن عيسى بن داود بن الجراح القناني في الاعلال الحادثة على ظاهر الجسد . رسالة الى تلميذه يوسف بن يعقوب في ادوية العين وعلاجها ومداواتها ، وتركيب الادوية لما يحتاج اليه من ذلك . كتاب صيدلة الطب . كتاب في جواهر الاجسام . كتاب في سيرته . مقالة في الزكام والنزلة وامتلاء الرأس ، ومنع النزلة الى الصدر ، والريح التي تسد المنخرين ومنع التنفس بهما . مقالة في ابدال الادوية المستعملة في الطب والعلاج وقوانينها وجهة استعمالها . كتاب صفة البيارستان . مقالة في الاغذية مختصر مقالة فيما سئل عنه في انه لم صار من قل جماعة من الانسان طال عمره ، ألفها للامير ابي العباس أحمد بن علي . مقالة في العلة التي لها اذا أكلت الحيوانات سخنت أبدانها ما خلا الانسان فانه يجد عند أكله فتوراً . مقالة في الكيفيات ، رسالة في الحمام ومنافعه ومضاره . كتاب في الدواء المسهل والمقيء . مقالة في علاج العين بالحديد .

ابو الحسن احمد بن محمد الطبري

من أهل طبرستان فاضل عالم بصناعة الطب وكان طبيب الامير ركن (١) الدولة .
ولاحد بن محمد الطبري من الكتب : الكناش المعروف بالمعالجات البقراطية ، وهو من أجل الكتب وأنفعها ، وقد استقصى فيه ذكر الامراض ومداواتها على أتم ما يكون ، وهو يحتوي على مقالات كثيرة .

ابو سليمان السجستاني

هو أبو سليمان محمد بن طاهر بن يهرام السجستاني المنطقي كان فاضلاً في العلوم الحكيمة متقناً لها مطعماً على دقائقها ، واجتمع ببجى بن عدي ببغداد وأخذ عنه وكان لابي سليمان المنطقي السجستاني ايضاً نظر في الادب والشعر ومن شعره قال :

لا تحسدرن على تظاهر نعمة	شخصاً تبئت له المنون برصد
أو ليس بعد بلوغه آماله	يفضي الى عدم كان لم يوجد
لو كنت أحسد ما تجاوز خاطري	حسد النجوم على بقاء مرصد

(الكامل)

(١) هو احمد بن ابي شجاع بويه من امراء البويهيين الذين اصبح الخليفة في ايامهم العوية في ايدهم . (ن،د)

وقال أيضاً :

الجوع يدفع بالرغيف اليابس فعلام أكثر حسرتي ووساوسي ؟
والموت أنصف ، حين سارى حكمه بين الخليفة والفقير البائس
(الطويل)

وقال أيضاً :

لذة العيش في بهيمية اللذة لا ما يقوله الفلسفي
حكم كاس المنون ان يتساوى في حساها الغبي والالمعي^(١)
ويحل البليد تحت ثرى الار ض كما حل تحتها اللوذعي^(٢)
اصبحا رمة^(٣) تزايل عنها فصلها الجوهرى والمرضى
وتلاشى كيانها الحيواني وأودى تميزها المنطقي
فاسأل الارض عنها ان أزال الشك والمرية^(٤) الجواب الخفي
بطلت تلك الصفات جميعاً ومحال أن يبطل الازلي
(الخفيف)

ولابي سليمان السجستاني من الكتب : مقالة في مراتب قوى الانسان ، وكيفية الانذارات التي تنذر بها النفس فيما يحدث في عالم الكون . كلام في المنطق . مسائل عدة سئل عنها وجواباته لها . تعاليتي حكمية وملح ونوادر . مقالة في ان الاجرام العلوية طبيعتها طبيعة خامسة ، وانها ذات أنفس ، وان النفس التي لها هي النفس الناطقة .

ابو الخير الحسن بن سوار

ابن بابا بن بهنام المعروف بابن الخار وبهنام لفظة فارسية مركبة من كلمتين وهي به : خير ؛ ونام : اسم ؛ أي اسم الخير وكان هذا ابو الخير الحسن نصرانياً عالماً باصول صناعة الطب وفروعها ، خبيراً بغوامضها ، كثير الدراية لها ، ماهراً في العلوم الحكمية . وله مصنفات جليلة في صناعة الطب وغيرها . وكان خبيراً بالنقل ، وقد نقل كتباً كثيرة من السرياني الى العربي . ووجدت بخطه شيئاً من ذلك ، وقد أجاد فيها . وقرأ الحكمة على يحيى بن عدي . وكان في نهاية الذكاء والفتنة ، ومولده في شهر ربيع الاول سنة احدى وثلاثين وثلثمائة .

وقال ابو الخطاب محمد بن محمد بن ابي طالب في كتاب « الشامل في الطب » : ان ابا الخير الحسن ابن سوار كان موجوداً في سنة ثلاثين وثلثمائة . وقد ذكر ابو الحسن علي بن رضوان عنه في كتاب

(١) الذكي المتوقد . (٢) الذكي الذهن الحديد الفؤاد او الفصيح اللسان . (٣) قطعة باليه . واصليها القطعة من الحبل البالي .
(٤) الجدل والشك .

« حل شكوك الرازي على جالينوس » ما هذا نصه ، قال : كما فعل في عصرنا هذا الحسن بن بابا المعروف بابن الخمار فانه وصل بالطب الى ان قيل له محمود الملك للارض ، وكان الملك محمود عظيمًا جدًا . وذلك ان هذا الرجل كان فيلسوفًا حسن التعقل حسن المعرفة . وقال عنه انه كان حسن السياسة لفقيه الناس ، ورؤساء العوام والعظماء والملوك . وذلك انه كان اذا دعاه من اظهر العبادة والزهد مشى اليه راجلاً وقال له : جعلت هذا المشي كفارة لمروري الى اهل الفسق والجباية . فاذا دعاه السلطان ركب اليه في زبي الملوك والعظماء ، حتى انه ربما حجب في هذه الحال ثلثائه غلام تركي بالخيول الجياد ، والهيئة البهية . ووفى صناعته حقها بالتواضع للضعفاء ، وبالتعظيم على العظماء . وهكذا كان طريق بقراط وجالينوس وغيرهما من الحكماء . فمنهم من تواضع ولزم الزهد والتصاوت ، ومنهم من أظهر من حكمته ما ظهرت به محاسن الحكمة .

قال ابو الفرج بن هندو في كتاب « مفتاح الطب » : انه رأى في بلاد العجم جماعة كانوا ينفون من صناعة الطب . قال وقد كان زعيم الفرقة النافية للطب يعادي استاذي ابا الخير بن الخمار الفيلسوف ، ويفري العامة بايذائه فاشتكى الزعيم رأسه ، واستفتى ابا الخير في دوائه فقال : ينبغي ان يضع تحت رأسه كتابه الفلاني الذي نفى فيه فعل الطب ليشفيه الله ولم يداوه .

ولابي الخير الحسن بن سوار بن بابا من الكتب : مقالة في الهيولى . كتاب الوفاق بين رأيي الفلاسفة والنصارى ثلاث مقالات . كتاب تفسير ايساغوجي مشروح كتاب تفسير ايساغوجي مختصر . مقالة في الصديق والصدقة ، مقالة في سيرة الفيلسوف ، مقالة في الآثار الخفية في الجو الحادثة عن البخار المائي وهي الهالة والقوس والضباب على طريق المسألة والجواب . مقالة في السعادة . مقالة في الافصاح عن رأي القدماء في الباري تعالى وفي الشرائع ومورديها . مقالة في امتحان الاطباء ، صنفها للامير خوارزمشاه ابي العباس مأمون بن مأمون . كتاب في خلق الانسان وتركيب اعضائه اربع مقالات . كتاب تدبير المشايخ ، وقد ذكر في اوله ان حنين بن اسحق كان قد ألف ذلك بالسرياني ، وجمع من كلام جالينوس وروفس في تدبير المشايخ ما الحاجة داعية الى معرفته ، مع زيادات ذكر انه زادها من عنده ، وصير ذلك على طريق المسألة والجواب ، وان ابا الخير بسط القول وأوضحه من غير مسألة وجواب ، وجعله ستة وعشرين بابا . كتاب تصفح ما جرى بين ابي زكريا يحيى بن عدي وبين ابي اسحق ابراهيم بن بكوس في سورة النار ، وتبين فساد ما ذهب اليه ابو سليمان محمد بن طاهر في صور الاسطفسات . مقالة في المرض المعروف بالكاهني وهو الصرع . تقاسيم ايساغوجي وقاطيفورياس لالينوس الاسكندراني ، مما نقله من السرياني الى العربي الحسن بن سوار بن بابا ، وشرحه على طريق الحواشي . نقلت ذلك من الدستور من خط الحسن بن سوار .

أبو الفرج بن هندو

هو الاستاذ السيد الفاضل أبو الفرج علي بن الحسين بن هندو من الاكابر المتميزين في العلوم الحكيمية ، والامور الطبية ، والفنون الادبية ، له الالفاظ الرائقة ، والاشعار الفائقة ، والتصانيف المشهورة ،

والفضائل المذكورة ، وكان ايضاً كاتباً مجيداً ، وخدم بالكتابة وتصرف . وكان اشتغاله بصناعة الطب والعلوم الحكيمة على الشيخ أبي الخير الحسن بن سوار بن بابا المعروف بابن الخمار وتلمذ له ، وكان من أجل تلاميذه وأفضل المشتغلين عليه . قال أبو منصور الثعالبي^(١) في كتاب « يتيمة الدهر » في وصف أبي الفرج بن هندو ، قال : هو مع ضربه في الاداب والعلوم بالسهام الفائزة ، وملكه رقة البلاغة والبراعة ؛ فرد الدهر في الشعر ، وأوحد أهل الفضل في صيد المعاني الشوارد ، ونظم الفرائد في القلائد ، مع تهذيب الالفاظ البليغة ، وتقريب الاغراض البعيدة ، وتذكير الذين يسمعون ويرون ؛ أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون . قال أبو منصور الثعالبي : وكان قد اتفق لي معنى بديع لم أقدر اني سبقت اليه ، وهو قولي آخر هذه الابيات .

قلي وجداً مشتعل	على الهموم مشتعل
وقد كستني في الهوى	ملايس الصب الغزل
انسانة فتانة	بدر الدجى منها خجل
اذا زنت عيني بها	فبالدموع تغتسل

(الرجز)

حتى أنشدني لأبي الفرج بن هندو :

يقولون لي ما بال عينك مذ رأيت	محاسن هذا الظبي أدمعها هطل ^(٢)
فقلت زنت عيني بطلمة وجهه	فكان لها من صوب ^(٣) ادمعها غسل

(الطويل)

فعرفت ان السبق له .

ومن شعر أبي الفرج بن هندو قال :

قوض خيامك من أرض تضام بها	وجانيب الذل ان الذل يحتنب
وارحل اذا كانت الاوطان منقصة	فندل ^(٤) الهند في اوطانه حطب

(البسيط)

وقال ايضاً :

أطال بين البلاد بحوالي	قصور مالي وطول آمالي
ان رحلت عن بلدة غدوت الى	اخرى فما تستقر احمالي

(١) أبو منصور النيسابوري (٩٦١-١٠٣٧) اديب ولغوي ومؤرخ .

(٢) الذي ينزل متتابعاً من المطر أو المطر الضميف الدائم .

(٣) الانصباب .

(٤) العمود الطيب الرائحة .

كأنني فكرة الموسوس لا

تبقى مدى لحظة على حال
(المنسرح)

وقال في الحث على الحركة والسعي :
خليلي ، ليس الرأي ما تريان
خليلي ، لولا أن في السعي رفعة

فشأنكما اني ذهبت لشاني
لما كان يوماً بدأب القمران
(الطويل)

وقال ايضاً :
وحقك ما أخرت كتيبي عنكم
ولكن دمعي ان كتبت مشوش

لقالة^(١) واش أو كلام محرش^(٢)
كتابي وما نفع الكتاب المشوش
(الطويل)

وقال ايضاً في النهي عن اتخاذ العيال والأمر بالوحدة :
ما للمعيل والمعالي انما
فالشمس تجتأب السماء فريدة

يسمو اليهن الوحيد الفارد^(٣)
وأبوبات النعش^(٤) فيها راكد
(الطويل)

وقال في الصبر :
تصبر اذا اهم اسرى اليك

فلا اهم يبقى ولا صاحبه
(المتقارب)

وقال ايضاً :
قالوا اشتغل عنهم يوماً بغيرهم
قد صيغ قلبي على مقدار حبهم

وخادع النفس ان النفس تنخدع
فما لحب سوام فيه متسع
(البسيط)

وقال ايضاً :
عارض ورد الفصون وجنته
يزداد بالقطف ورد وجنته

فاتقنا في الجمال واختلفا
وينقص الورد كلما قطفا
(المنسرح)

وقال ايضاً :
قولا لهذا القمر البادي

مالك اصلاحي وافسادي

(١) المقالة . (٢) الصائد .
(٣) الذي لا مثيل له (ن.د)
(٤) سبعة كواكب تشاهد من جهة القطب الشمالي .

زود فؤاداً راحلاً بقبلة

لا بد للراحل من زاد
(السريع)

وقال ايضاً :

تمنيت من أهوى فلما لقيت
وأطرقت اجلاً له ومهابة
وقد كان في قلبي دفاثر عتبه

بهت فلم املك لساناً ولا طرفاً
وحاولت ان يخفى الذي بي فلم يخفا
فلما التقينا ما فهمت ولا حرفاً
(الطويل)

وقال ايضاً :

عابوه لما التحى فقلنا
هذا غزال ولا عجب

عبتم وغبتم عن الجمال
تولد المسك في الغزال
(البسيط)

وقال ايضاً في العذار :

أرحى لعارضه العذار فما
فكأن نملاً قد دببن به

أبقى على ورعي ولا نسكي
غمست أكارعهن في مسك
(الكامل)

وقال ايضاً :

قالوا صحا قلب المحب وما صحا
ما ضره شعر العذار وانما

وبحا العذار سنا الحبيب وما بحا
وافى يسلسل حسنه ان يبرحا
(الكامل)

وقال ايضاً في خط العذار :

الآن قد مسحت لدي شهادة
خط يكتبه حوالي خده

أن ليس مثل جماله لمصور
قلم الاله بنقش مسك أذفر^(١)
(الكامل)

وقال ايضاً :

يا من يحياه كاسمه حسن
قد كنت قبل العذار في محن
يا شعرات جميعها فتن

ان نمت عني فليس لي وسن
حتى تبدى فزادت المحن
يتيه في كنه وصفها الفطن

(١) الذي ظهرت رائحته واشتدت .

ما عيروا من عذاره سفها
قد كان غصناً فأورق الغصن
(المنسرح)

وقال في ذم العذار :
كفى فؤادي عذاره حرقه
ما خط حرف من العذار به
فكف عيناً بدمعها غرقه
الا يحا من جماله ورقه
(المنسرح)

وقال في الشراب :
أرى الخمر تارا والنفوس جواهرها
فان شربت أبدت طباع الجواهر
فلا تفضحن النفس يوماً بشرها
اذا لم تثق منها بحسن السرائر
(الطويل)

وقال ايضاً :
أوصى الفقيه العسكري بان أكف عن الشراب
فعصيته ان الشرا ب عمارة البيت الخراب
(الكامل المرفل)

وقال لبعض الرؤساء وقد انصبت الخمر على كفه في مجلس الشراب :
انصبت الخمر على كفه
لو لم ترد خدمته بالتي
تلت من كفه خدمه
قد فعلت ما خصصت كفه
(السريع)

وقال وكتبها على عود :
رأيت العود مشتقاً
فهذا طيب آتاف
من العود باتقان
وهذا طيب آذان
(الهزج)

وقال ايضاً :
ودوحة انس اصبحت ثمراتها
تغنئ عليها الطير وهي رطبية
أغاريد تجنيها ندامى وجلاس
فلما عست غنى على عودها الناس
(الطويل)

وقال في الآذريون (١) :
رب روض خلت آذر
يونه لا توقد

(١) جنس زهر من المركبات الانبوية الزهر . اصفر اللون تسميه العامة دوار الشمس .

ذهباً أشعل مسكاً

في كوانين زبرجد
(الرمل)

وقال في عز الكمال :

فاذا رأيت الفضل فاز به الفتى
والله اكمل قدرة من ان يرى

فاعلم بان هناك نقصاً خافياً
لكماله ممن تراه ثانياً
(الكامل)

وقال في الشكوى :

ضعت بارض الري في اهلها
صرت بها بعد بلوغ المنى

ضيع حرف الراء في اللثغة
يمعجني ان أبلغ البلغة
(السريع)

وقال ايضاً :

لنا ملك ما فيه للملك آلة
اقم لاصلاح الورى وهو فاسد

سوى انه يوم السلاح متوج
وكيف استواء الظل والعود أعوج
(الطويل)

وقال ايضاً :

عجبت لقولنج هذا الامير
وفي كل يوم له حقنة

وأنى ومن أين قد جاءه
تفرغ بالزب أمعاءه
(المتقارب)

وقال في مدح الجرب وملح وظرف .

بهيج مسرتي جرب بكفي
تجنبني اللثام لذلك حتى

اذا ماعد في الكرب العظام
كفيت به مصافحة اللثام
(الوافر)

وقال في مراجعة الشعر بعد تركه اياه .

وكننت تركت الشعر آنف من خنا
فما زال بي حبيك حتى تطلمعت
تزل القسوافي عن لساني كأنها
فأصبح شعر الاعشين من العشا

واكبر عن مدح وأزهد عن غزل
خواطر شعر كان طالعه أقل
يفاع^(١) يزل السيل منه على عجل
لديه وشعر الاخطلين من الخطل
(الطويل)

(١) التل المشرف او كل ما ارتفع من الارض .

ولابي الفرج بن هندو من الكتب : المقالة الموسومة بفتح الطب فيها لآخوانه من المتعلمين وهي عشرة أبواب . المقالة المشوقة في المدخل الى علم الفلسفة - كتاب الكلم الروحانية من الحكم اليونانية ، ديوان شعره ، رسالة هزلية مترجمة بالوساطة بين الزناة واللاطه .

الحسن الفسوي

كان طبيباً معروفاً من أرض فارس ، من مدينة فسا ^(١) . متميزاً في الطب والقيام به والتقدم بسببه . خدم الدولة البويهية ^(٢) واختص منها بخدمة الملك بهاء ^(٣) الدين بن عضد الدولة ، وصحبه في أسفاره وتقدر عنده . ولما مرض أمير الأمراء ابو منصور بويه بن بهاء الدولة في رجب سنة ثمان وتسعين وثلثمائة مع والده بالبصرة وعزم بهاء الدولة على التوجه من البصرة الى تستر ^(٤) للصيد والفرجة ، وكان شديد الشفاق على ولده من هذا المرض كثير الاحتراس منه ، خائفاً من جانبه مانعاً للجند من لقائه ، وهو مع أبيه كالحصون يمنع من جميع مراده . واتفق ان حم هذا الولد في رجب حتى أضعفت قوته قبل اليوم الذي أراد بهاء الدولة أبوه المسير فيه . فقال الاثير لبهاء الدولة أمير الأمراء محوم ، ولا فضل فيه لحركة والرأي تركه . فقال : لا ! يحمل من فوره ويخرج قولاً واحداً . فقال له : هو اذا انزعج هلك ، ومدة مقامه بعدنا لا تطول ، فلم يرجع الى مقال الاثير ، وتقدم الى الحسن الطبيب الفسوي هذا بالمضي اليه والعود بخبره ، لثقتة بما يقول ؛ فمضى اليه وشاهده وعاد وقال : الصواب في تركه وتأخير ، فنزل وأشعر الملك سرّاً بخطر مرضه ، وعرفه اعراضه وآيسه من حياته . فحينئذ تقدم بتركه واستمرت عليه الحمى وأشياء أخرى حدثت له ، فتوفي في يوم الاحد ثاني شعبان سنة ثمان وتسعين وثلثمائة .

أبو منصور الحسن بن نوح القمري

كان سيد وقته واوحد زمانه ، مشهوراً بالجودة في صناعة الطب محمود الطريقة في اعمالها ، فاضلاً في أصولها وفروعها . وكان ، رحمه الله حسن المعالجة جيد المداواة ؛ متميزاً عند الملوك في زمانه ؛ كثير الاحترام له .

وحدثني الشيخ الامام شمس الدين عبد الحميد بن عيسى الخسر وشاهي أن الشيخ الرئيس ابن سينا

(١) مدينة في فارس جنوبي شرقي شيراز .

(٢) التي استبها العائلة الفارسية بنو بويه وكان مركزها في اصفهان وكازرون وشيراز وكرمان وبغداد .

(٣) الحاكم الحقيقي في بغداد وكان آله في يد الجند وبتهريضه خلع الخليفة الطائفة . ونشبت الحرب بينه وبين ذوي طمعاً بالرياسة .

(٤) مدينة في ايران (عربستان) سكانها شيعيون من العرب والاييرانيين . وهي مركز تجاري هام . (ن. ر.) .

كان قد خلق هذا وهو شيخ كبير ، وكان يحضر مجلسه ويلزم دروسه ، وانتفع به في صناعة الطب .
ولأبي منصور الحسن بن نوح القمري من الكتب : كتاب غنى ومنى ، وهو كناش حسن ، وقد
استقصى فيه ذكر الامراض ومداواتها على أفضل ما يكون ، ولخص فيه مجلداً من اقوال المتعنين في
صناعة الطب ، وخصوصاً ما ذكره الرازي متفرقاً في كتبه . كتاب علل العلل .

ابو سهل المسيحي

هو ابو سهل عيسى بن يحيى المسيحي الجرجاني ، طبيب فاضل بارع في صناعة الطب علمها وعملها ،
فصيح العبارة جيد التصنيف . وكان حسن الخط متقناً للعربية . وقد رأيت بخطه كتابه في أظهار
حكمة الله تعالى في خلق الانسان وهو في نهاية الصحة والاتقان ، والاعراب والضبط . وهذا
الكتاب من أجل كتبه وأنفعها ، فانه قد اتى فيه بحمل ما ذكره جالينوس وغيره في منافع
الاعضاء بأفصح عبارة وأوضحها ، مع زيادات نفيسة من قبله تدل على فضل باهر وعلم غزير ، ولذلك
يقول في اول كتابه هذا : وليس يعرف فضيلة ما أوردناه على ما أوردوا إلا من قابل بين كلامنا هذا
وكلامهم مع دراية وانصاف منه ، فان من لا يدري ما يعتبره لم يصلح للحكم فيه ، ومن لا انصاف
فيه لم يحكم للافضل ولم يؤثّر ، فمن اعتبر من يصلح للاعتبار وهو العالم المنصف بعناية واستقصاء منه
ما أوردناه وما أوردوا رأى كيف صححنا ما أوردوه وهذبناه وأتمناه وسهلناه وربّناه ترتيباً افضل
لمجلة الكلام ولكل فصل منه ؛ وأسقطنا من هذا الصنف من العلم ما ليس منه . ثم كم زدنا من عندنا
معاني دقيقة عجيبة كانت قد خفيت عليهم للطفها وجلالة رتبته ، وكيف جعلنا البيانات من الاشياء
المتقدمة على الاشياء المتأخرة بالعكس مما فعلوه ، ليكون بياناً للشيء بمباده واسبابه ، فيكون برهاناً
حقيقياً .

وسمعت من الشيخ الامام الحكيم مذهب الدين عبد الرحيم بن علي ، رحمه الله ، وهو يقول انني لم
اجد احداً من الاطباء النصارى المتقدمين والمتأخرين افصح عبارة ولا اجود لفظاً ولا احسن معنى من
كلام ابي سهل المسيحي . وقيل ان المسيحي هو معلم الشيخ الرئيس صناعة الطب ، وان كان الشيخ
الرئيس بعد ذلك تميز في صناعة الطب ومهر فيها وفي العلوم الحكيمة حتى صنف كتباً للمسيحي
وجعلها باسمه .

وقال عبيد الله بن جبرئيل : ان المسيحي كان بخراسان ، وكان متقدماً عند سلطانها ، وانه مات
وله من العمر اربعون سنة .

ومن كلام المسيحي قال :

نومة بالنهار بعد أكلة خير من شربة دواء نافع .

ولأبي سهل المسيحي من الكتب : كتاب المائة في الطب وهو من اجود كتبه واشهرها ؛ ولأمين
الدولة بن التليد حاشية عليه قال : يجب ان يعتمد على هذا الكتاب فانه كثير التحقيق قليل التكرار

واضح العبارة منتخبة العلاج . كتاب اظهار حكمة الله تعالى في خلق الانسان ، كتاب في العلم الطبيعى
كتاب الطب الكلي ، مقالتان . مقالة في الجدري . اختصار كتاب المجسطي . كتاب تعبير الرؤيا .
كتاب في الوباء ألفه للملك العادل خوارزمشاه ابي العباس مأمون بن مأمون .

الشيخ الرئيس ابن سينا

هو ابو علي الحسين بن عبدالله بن علي بن سينا ، وهو ان كان أشهر من ان يذكر ، وفضائله أظهر من
أن تسطر ، فانه قد ذكر من أحواله ، ووصف من سيرته ما يغني غيره عن وصفه . ولذلك اننا نقتصر
من ذلك على ما قد ذكره هو عن نفسه ، نقله عنه أبو عبيد الجوزاني ، قال ، قال : الشيخ الرئيس .
ان أبي كان رجلاً من أهل بلخ ^(١) ، وانتقل منها الى بخارى ^(٢) في أيام نوح بن منصور ^(٣) واشتغل
بالتصرف ، وتولى العمل في اثناء أيامه بقرية يقال لها خرمة من ضياع بخارى ، وهي من أمهات
القرى ، وبقرية يقال لها أفشنة ، وتزوج أبي منها بوالدتي وقطن بها وسكن ، وولدت منها بها .
ثم ولدت أخي ، ثم انتقلنا الى بخارى . وأحضرت معلم القرآن ومعلم الادب ، وأكلت العشر من
العمر وقد أثبت على القرآن وعلى كثير من الادب ، حتى كان يقضى في العجب . وكان أبي ممن أجاب
داعي المصريين ويعد من الاسماعيلية ^(٤) . وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه
ويعرفونه هم ، وكذلك أخي . وكانوا ربما تذاكروا بينهم وأنا اسمعهم وأدرك ما يقولونه ولا تقبله
نفسي ، وابتدأوا يدعوني أيضاً اليه ، ويجرون على السننهم ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند ،
وأخذ يوجهني الى رجل كان يبيع البقل ، ويقوم بحساب الهند حتى اتعلمه منه . ثم جاء الى بخارى
أبو عبدالله النائي وكان يدعى المتفلسف ، وأنزله أبي دارنا رجاء تعلي من . وقبل قدومه كنت أشتغل
بالفقه والتردد فيه الى اسمعيل الزاهد ، وكنت من أجود السالكين . وقد ألفت طرق المطالبة ووجوه
الاعتراض على الجيب على الوجه الذي جرت عادة القوم به .

ثم ابتدأت بكتاب ايساغوجي على النائي . ولما ذكر لي حد الجنس ، انه هو القول على كثيرين
مختلفين بالنوع في جواب ما هو ، فاخذت في تحقيق هذا الحد بما لم يسمع بمثله ، وتمعجب من كل العجب
وحذر والذي من شغلي بغير المعلم . وكان أي مسألة قالها لي أتصورها خيراً منه ، حتى قرأت ظواهر
المنطق عليه . وأما دقائقه فلم يكن عنده منها خبرة . ثم أخذت أقرأ الكتب على نفسي واطالع

(١) كانت القصة السياسية لولاية خراسان . ثم أصبحت المركز الثقافي والديني لمملكة طخارستان . وفي سنة ٦٥٣ شدد
عليها ابن قيس الاحنف الحصار حتى فتحها . واجتاحها جنكيز خان سنة ١٢٢٠ فدمرها .
(٢) مدينة في اوزبكستان (الاتحاد السوفياتي) على ملتقى الطرق بين روسيا وفارس والهند والصين . فيها معامل للسجاد .
(٢) هو نوح الثاني ابن منصور (٩٧٦ - ٩٩٧) جلس على العرش وهو في الثالثة عشرة من عمره فتولت الحكم امه مع
الوزير ابي الحسين عبدالله العتي . ولم يتمكن من اخضاع امراء الاقاليم واخصهم سبكتكين .
(٤) او السبعية طائفة من اهل الشيعة يلتسبون الى اسمعيل بن جعفر الصادق سادس الائمة . وهم يقيمون اليوم في فارس
والهند وسوريا .
(ن.و.)

الشروح حتى احكمت علم المنطق . وكذلك كتاب اقليدس فقرأت من أوله خمسة أشكال أو ستة عليه ، ثم قوليت بنفسني حل بقية الكتاب بإسره . ثم انتقلت الى المجسطي ، ولما فرغت من مقدماته وانتهيت الى الاشكال الهندسية ، قال لي النائي تول قراءتها وحلها بنفسك ، ثم اعرضها علي لابن لك صوابه من خطئه ، وما كان الرجل يقوم بالكتاب . وأخذت أحل ذلك الكتاب فكم من شكل ما عرفه الى وقت ما عرضته عليه ومهمته اياه . ثم فارقتي النائي متوجهاً الى كركانج ، واشتغلت انا بتحصيل الكتب من الفصوص والشروح ، من الطبيعي والاهلي ، وصارت ابواب العلم تنفتح علي

ثم رغبت في علم الطب وصرت اقرأ الكتب المصنفة فيه؛ وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة . فلا جرم أني برزت فيه في أقل مدة حتى بدأ فضلاء الطب يقرأون علي علم الطب . وتعمدت المرضي فانفتح علي من ابواب المعالجات المكتسبة من التجربة ما لا يوصف ، وأنا مع ذلك اختلف الى الفقه وأناظر فيه ، وأباً في هذا الوقت من أبناء ست عشرة سنة . ثم توفرت على العلم والقراءة سنة ونصفاً ، فأعدت قراءة المنطق وجميع أجزاء الفلسفة . وفي هذه المدة ما نمت ليلة واحدة بطولها، ولا اشتغلت النهار بغيره وجمعت بين يدي ظهوراً ، فكل حجة كنت أنظر فيها اثبت مقدمات قياسية، وربتها في تلك الظهور . ثم نظرت فيما عساه تنتج ، وراعت شروط مقدماته حتى تحقق لي حقيقة الحق في تلك المسألة ، وكلما كنت أتحير في مسألة ولم أكن أظفر بالحسد الاوسط في قياس ترددت الى الجامع ، وصليت وابتهلت الى مبدع الكل ، حتى فتح لي المنطق ، وتيسر المتعسر .

وكننت أرجع بالليل الى داري واضع السراج بين يدي ، واشتغل بالقراءة والكتابة . فلهما غلبني النوم أو شعرت بضعف ، عدلت الى شرب قدح من الشراب ربنا تعود الي قوتي، ثم أرجع الى القراءة . ومهما أخذني أدنى نوم أحلم بتلك المسائل باعيانها ، حتى ان كثيراً من المسائل اتضح لي وجوها في المنام . وكذلك حتى استحكم معي جميع العلوم ، ووقفت عليها بحسب الامكان الانساني . وكل ما علمته في ذلك الوقت فهو كما علمته الآن لم ازد فيه الى اليوم ، حتى أحكمت على المنطق والطبيعي والرياضي . ثم عدلت الى الاهلي ، وقرأت كتاب ما بعد الطبيعة . فما كنت أفهم ما فيه ، والتبس علي غرض واضعه ، حتى اعدت قراءته أربعين مرة وصار لي محفوظاً . وأنا مع ذلك لا أفهمه ولا المقصود به ، وايسر من نفسي وقلت : هذا كتاب لا سبيل الي فهمه . واذا انا في يوم من الأيام حضرت وقت العصر في الوراقين ، ويبد دلال مجلد ينادي عليه . فعرضه علي فرددته رد متبرم ، معتقد ان لا فائدة من هذا العلم . فقال لي اشتر مني هذا فانه رخيص ابيعك بثلاث دراهم ، وصاحبه محتاج الي ثمنه ، واشتريته فاذا هو كتاب لأبي نصر الفارابي^(١) في أغراض كتاب ما بعد الطبيعة : ورجعت الي بيتي واسرعت قراءته . فانفتح علي في الوقت اغراض ذلك الكتاب بسبب انه كان لي محفوظاً علي ظهر القلب . وفرحت بذلك وتصدقته في ثاني يومه بشيء كثير علي الفقراء شكراً لله تعالى . وكان سلطان بخاري في ذلك الوقت نوح بن منصور ، واتفق له مرض اتلج^(٢) الاطباء فيه ،

(١) ابو النصر محمد ولد في فاراب وتوفي في دمشق (٨٧٣-٩٥٠) من اعظم فلاسفة العرب حين اقام في بغداد وفي بلاط سيف الدولة بجلب . ولقب المعلم الثاني بعد ارسطو ، ويلسبون اليه اختراع آلة القانوز . (٢) دخل (ن.د.)

وكان اسمي اشتهر بينهم بالتوفر على القراءة . فأجروا ذكرى بين يديه وسألوه إحضاري ، فحضرت وشاركتهم في مداواته وتوسمت بخدمته فسألته يوماً الاذن لي في دخول دار كتبهم ومطالعنها وقراءة ما فيها من كتب الطب . فأذن لي فدخلت داراً ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض ، في بيت منها كتب العربية والشعر ، وفي آخر الفقه وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد .

فطالعت فهرست كتب الاوائل وطلبت ما احتجب اليه منها .. ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه الى كثير من الناس قط ، وما كنت رأيت من قبل ولا رأيت أيضاً من بعد . فقرأت تلك الكتب وظفرت بفوائدها ، وعرفت مرتبة كل رجل في علمه . فلما بلغت ثمان عشرة سنة من عمري ، فرغت من هذه العلوم كلها . وكنت اذ ذاك للعلم احفظ ، ولكنه اليوم معي انضج ، والا فالعلم واحد لم يتجدد لي بعده شيء . وكان في جوالي رجل يقال له ابو الحسين العروضي . فسألني ان أصنف له كتاباً جامعاً في هذا العلم ، فصنفت له المجموع وسميته به . وأتيت فيه على سائر العلوم سوى الرياضي ، ولي اذ ذاك احدى وعشرون سنة من عمري . وكان في جوالي أيضاً رجل يقال له ابو بكر البرقي ، خوارزمي المولد ، فقيه النفس ، متوحد في الفقه والتفسير والزهد ، مائل الى هذه العلوم ؛ فسألني شرح الكتب له فصنفت له كتاب الحاصل والحصول في قريب من عشرين مجلدة ؛ وصنفت له في الاخلاق كتاباً سميته كتاب البر والاثم . وهذان الكتابان لا يوجدان الا عنده فلم يمر أحداً ينسخ منها ثم مات والدي وتصرفت في الاحوال ، وتقلدت شيئاً من أعمال السلطان ، ودعيتي الضرورة الى الاخلاق ببخاري والانتقال الى كركانج . وكان أبو الحسين السهلي المحب لهذه العلوم بها وزيراً ، وقدمت الى الامير بها وهو علي بن مأمون وكنت على زي الفقهاء اذ ذاك بطيلسان وتحت الحنك ، واثبتوا لي مشاهرة دارة بكفاية مثلي . ثم دعت الضرورة الى الانتقال الى نسا^(١) ، ومنها الى باورد^(٢) ، ومنها الى طوس^(٣) ، ومنها الى شقان ، ومنها الى سمنيقان ومنها الى جاجرم رأس حد خراسان ، ومنها الى جرجان^(٤) ، وكان قصدي الامير قابوس^(٥) ، فاتفق في أثناء هذا أخذ قابوس وحبه في بعض القلاع وموته هناك ، ثم مضيت الى دهستان ومرضت بها مرضاً صعباً وعدت الى جرجان ، فاتصل أبو عبيد الجوزجاني^(٦) بي وأنشأت في حالي قصيدة فيها بيت القائل .

لما عظمت فليس مصر واسعي لما غلا ثني عدمت المشتري
(الكامل)

(١) عدة مواضع في ايران وفارس وكرمان وهمدان . اشهرها نساخراسان .

(٢) بلدة في خراسان

(٣) مدينة في خراسان فيها قبر الامام علي الرضا وقبر هارون الرشيد .

(٤) مدينة في مقاطعة جرجان وتدعى ايضاً استراباد .

(٥) من امراء بني زياد في العراق المعجمي وطبرستان (ن.د.)

(٦) نسبة الى جوزجان وهو اسم قديم لمنطقة في بلاد تركستان الافغانية قرب جيحون (ن.د.)

قال ابو عبيد الجوزجاني ، صاحب الشيخ الرئيس ؛ فهذا ما حكى لي الشيخ من لفظه ، ومن هاهنا شاهدت أنا من احواله ، وكان يخرجان رجل يقال له ابو محمد الشيرازي يجب هذه العلوم ، وقد اشترى للشيخ داراً في جواره وأنزله بها ، وأنا اختلف اليه في كل يوم اقرأ المخطوطي وأستملي المنطق . فأملى علي المختصر الاوسط في المنطق . وصنف لابي محمد الشيرازي كتاب المبدأ والمعاد ، وكتاب الارصاد الكلية . وصنف هناك كتباً كثيرة ، كاول القانون ومختصر المجسطي ، وكثيراً من الرسائل ثم صنف في ارض الجبل بقية كتبه .

وهذا فهرست كتبه ، كتاب المجموع مجلدة ، الحاصل والمحصول عشرون مجلدة ، الانسان عشرون مجلدة ، البر والاثم مجلدتان ، الشفاء ثمان عشرة مجلدة ، القانون أربع عشرة مجلدة ، الارصاد الكلية مجلدة ، كتاب النجاة ثلاث مجلدات ، الهداية مجلدة ، القولنج مجلدة ، لسان العرب عشر مجلدات ، الادوية القلبية مجلدة ، الموجز مجلدة ، بعض الحكمة الشرقية مجلدة ، بيان ذوات الجهة مجلدة ، كتاب المعاد مجلدة ، كتاب المبدأ والمعاد مجلدة ، كتاب المباحثات مجلدة .

ومن رسائله : القضاء والقدر ، الآلة الرصدية غرض قاطينغورياس . المنطق بالشعر القصائد في العظمة والحكمة في الحروف . تعقب المواضع الجدلية . مختصر اقليدس . مختصر في النبض بالعجمية . الحدود ، الاجرام السماوية . الاشارة الى علم المنطق . اقسام الحكمة في النهاية واللا نهاية ، عهد كتبه لنفسه حي بن يقظان في ان ابعاد الجسم غير ذاتية له . خطب ، الكلام في الهندبا . في انه لا يجوز ان يكون شيء واحد جوهرياً وعرضياً . في ان علم زيد غير علم عمرو . رسائل له اخوانية وسلطانية . مسائل جرت بينه وبين بعض الفضلاء . كتاب الحواشي على القانون . كتاب عيون الحكمة ، كتاب الشبكة والطير .

ثم انتقل الى الري واتصل بخدمة السيدة وابنها مجد الدولة ، وعرفوه بسبب كتب وصلت معه تتضمن تعريف قدره . وكان بمجد الدولة اذ ذاك غلبة السوءاء ، فاشتغل بمداواته ، وصنف هناك كتاب المعاد ، واقام بها الى ان قصد شمس الدولة ^(١) بعد قتل هلال بن بدر بن حسنوية وهزيمة عسكر بغداد . ثم اتفقت اسباب اوجبت الضرورة لها خروجه الى قزوين ^(٢) ، ومنها الى همدان ^(٣) ، واتصاله بخدمة كذابويه والنظر في اسبابها . ثم اتفق معرفة شمس الدولة واحضاره مجلسه بسبب قولنج كان قد اصابه ، وعالجه حتى شفاه الله ، وفاز من ذلك المجلس بخلع كثيرة ، ورجع الى داره بعد ما اقام هناك اربعين يوماً بلباليها ، وصار من ندماء الامير . ثم اتفق نهوض الامير الى قرمسين ^(٤) لحرب غناز ، وخرج الشيخ في خدمته ، ثم توجه نحو همدان منهزماً راجعاً .

ثم سألوه تقلد الوزارة فتقلدها ، ثم اتفق تشويش العسكر عليه ، واشفاقهم منه على انفسهم ،

(١) ابو طاهر بن فخر الدولة البويهى حاكم همدان وكرمانشاه .

(٢) مدينة في ايران .

(٣) مدينة في ايران جنوباً بغرب فيها قبر ابن سينا .

(٤) هكذا وردت والصحيح قرميسين وهي معرب كرمانشاه - بلد - .

فكبسوا داره وأخذوه الى الحبس ، واغاروا على اسبابه ، واخذوا جميع ما كان يملكه . وسألوا الامير قتله فامتنع منه وعدل الى نفيه عن الدولة طلباً لمرضاتهم ، فتواري في دار الشيخ أبي سعد ابن دخدوك اربعين يوماً فعاد الامير شمس الدولة القولنج ، وطلب الشيخ فحضر مجلسه ، فاعتذر الامير اليه بكل الاعتذار ، فاشتغل بمعالجته ، وأقام عنده مكرماً مبعجلاً . واعيدت الوزارة اليه ثانياً ، ثم سأله أنا شرح كتب ارسطوطاليس ، فذكر انه لا فراغ له الى ذلك في ذلك الوقت . ولكن ان رضيت مني بتصنيف كتاب أورد فيه ما صح عندي من هذه العلوم بلا مناظرة مع المخالفين ، ولا اشتغال بالرد عليهم فعلت ذلك ، فرضيت به . فابتدأ بالطبيعيات من كتاب سماه كتاب الشفاء ، وكان قد صنف الكتاب الاول من القانون . وكان يجتمع كل ليلة في داره طلبة العلم ، وكنت أقرأ من الشفاء . وكان يقرئ غيري من القانون نوبة . فاذا فرغنا حضر المغنون على اختلاف طبقاتهم وهبى مجلس الشراب بآلاته : وكنا نشغل به ، وكان التدريس بالليل لعدم الفراغ بالنهار خدمة للامير ، فقضينا على ذلك زمناً ، ثم توجه شمس الدين الى طارم^(١) الحارب الامير بها ، وعادوه القولنج قرب ذلك الموضع واشتد عليه ، وانضاف الى ذلك أمراض أخر جلبها سوء تدبيره ، وقلة القبول من الشيخ ، فخاف العسكر وفاته فرجعوا به طالبين ممدان في المهد فتوفي في الطريق في المهد . ثم بويغ ابن شمس الدولة وطلبوا استئزار الشيخ فأبى عليهم وكاتب علاء الدولة^(٢) سرأ يطلب خدمته ، والمصير اليه ، والانضمام الى جوانبه . وأقام في دار أبي غالب العطار متوارباً . وطلبت منه اتمام كتاب الشفاء ، فاستحضر أبا غالب وطلب الكاغد^(٣) والمهرة فاحضرهما ، وكتب الشيخ في قريب من عشرين جزءاً على الثمن بخطه رؤوس المسائل . وبقي فيه يومين حتى كتب رؤوس المسائل كلها بلا كتاب يحضره ولا أصل يرجع اليه ، بل من حفظه ، وعن ظهر قلبه . ثم ترك الشيخ تلك الاجزاء بين يديه وأخذ الكاغد فكان ينظر في كل مسألة ويكتب شرحها ، فكان يكتب كل يوم خمسين ورقة حتى أتى على جميع الطبيعيات والالهيات ما خلا كتابي الحيوان والنبات . وابتدأ بالمنطق وكتب منه جزءاً . ثم اتهمه تاج الملك بمكاتبته علاء الدولة ، فانكر عليه ذلك ، وحث في طلبه فدل عليه بعض أعدائه ، فاخذوه وأدوه الى قلعة يقال لها فردجان وانشأ هناك قصيدة منها :

دخولي باليقين كما تراه وكل الشك في أمر الخروج
(الوافر)

وبقي فيها اربعة اشهر . ثم قصد علاء الدولة ممدان وأخذها ، وانهمز تاج الملك ومر الى تلك القلعة بعينها . ثم رجع علاء الدولة عن ممدان ، وعاد تاج الملك وابن شمس الدولة الى ممدان وحلوا معهم الشيخ الى ممدان ، ونزل في دار العلوي ، واشتغل هناك بتصنيف المنطق من كتاب الشفاء ، وكان قد صنف بالقلعة كتاب الهدايات ، ورسالة حي بن يقظان ، وكتاب القولنج . واما الادوية

(ن . د)

(١) اسم موضع في المعجم .

(٢) من امراء بني كاكوية استوزر ابن سينا . وقوفي سنة ١٠٢٩

(٣) القرطاس .

القلبية قائما صنفها اول وروده الى همدان ، وكان قد تقضى على هذا زمان ، وتاج الملك في اثناء هذا يمينه بمواعيد جميلة . ثم عن الشيخ التوجه الى اصفهان^(١) ، فخرج متنكراً وأنا واخوه وغلaman معه في زي الصوفية^(٢) الى ان وصلنا الى طهران^(٣) على باب اصفهان ، بعد ان قاسينا شدائد في الطريق ، فاستقبلنا اصدقاء الشيخ وندماء الامير علاء الدولة وخواصه ، وحمل اليه الثياب والمراكب الخاصة وأنزل في محلة يقال لها كونكند في دار عبدالله بن بابي ، وفيها من الآلات والفريش ما يحتاج اليه . وحضر مجلس علاء الدولة فصادف في مجلسه الاكرام والاعزاز الذي يستحقه مثله . ثم رسم علاء الدولة ليالي الجمعات مجلس النظر بين يديه بحضرة سائر العلماء على اختلاف طبقاتهم ، والشيخ من جملتهم . فما كان يطاق في شيء من العلوم .

واشتغل باصفهان في تنعيم كتاب الشفاء ، ففرغ من المنطق والمجسطي ، وكان قد اختصر اوقليدس والارثمطيقي والموسيقى . وأورد في كل كتاب من الرياضيات زيادات رأى ان الحاجة اليها داعية . اما في المجسطي قاورد عشرة اشكال في اختلاف القطر واورد في آخر المجسطي في علم الهيئة اشياء لم يسبق اليها ، واورد في اوقليدس شبا ، وفي الارثمطيقي خواص حسنة ، وفي الموسيقى مسائل غفل عنها الاولون : وتم الكتاب المعروف بالشفاء ما خلا كتابي النبات والحيوان فانه صنفها في السنة التي توجه فيها علاء الدولة إلى ساور^(٤) خواست في الطريق . وصنف ايضاً في الطريق كتاب النجاة ، واختص بعلاء الدولة وصار من ندمائه الى ان عزم علاء الدولة على قصد همدان ، وخرج الشيخ في الصحبة ، فجرى ليلة بين يدي علاء الدولة ذكر الخلل الحاصل في التقاويم المعمولة بحسب الارصاد القديمة ، فامر الامير الشيخ الاشتغال برصد هذه الكواكب وأطلق له من الاموال ما يحتاج اليه . وابتدأ الشيخ به وولاني اتخاذ آلاتها واستخدام صناعاتها حتى ظهر كثير من المسائل ، فكان يقع الخلل في أمر الرصد لكثرة الاسفار وعوائقها . وصنف الشيخ باصفهان الكتاب العلائي :

وكان من عجائب امر الشيخ اني صحبتته وخدمته خمساً وعشرين سنة فما رأيته اذا وقع له كتاب مجدد ينظر فيه على الولاء ، بل كان يقصد المواضع الصعبة منه والمسائل المشككة ، فينظر ما قاله مصنفه فيها ، فيبين مرتبته في العلم ودرجته في الفهم . وكان الشيخ جالساً يوماً من الأيام بين يدي الامير وأبو منصور الجبائي^(٥) حاضر فجري في اللغة مسألة تكلم الشيخ فيها بما حضره ، فالتفت أبو منصور الى الشيخ يقول انك فيلسوف وحكيم ، ولكن لم تقرأ من اللغة ما يرضي كلامك فيها ، فاستنكف الشيخ من هذا الكلام وتوفر على درس كتب اللغة ثلاث سنين ، واستهدى كتاب

(١) مدينة في ايران كانت عاصمة الصفويين قتل تيمورلنك اهلها وعمل هراً من ٧٠٠٠٠٠ جمعة .

(٢) فئة من المتعبدين راحدم صوفي وهو عندهم من كان فانياً بنفسه باقياً بالله تعالى مستغلياً من الطبائع متصلاً بحقيقة الحقائق . ويطلق العامة عليهم الدرايش

«ن.ر»

(٣) بلد بتخوم قومس من عمل خراسان .

(٤) كورة في فارس .

(٥) من علماء اللغة .

تهذيب اللغة من خراسان من تصنيف أبي منصور الازهري^(١) ، فبلغ الشيخ في اللغة طبقة قلما يتفق مثلها . وأنشأ ثلاث قصائد ضمنها الفاظاً غريبة من اللغة . وكتب ثلاثة كتب أحدها على طريقة ابن العميد^(٢) والآخر على طريقة الصابي^(٣) والآخر على طريقة صاحب^(٤) وأمر بتجليدها وإخلاق جلدتها . ثم أوعز الأمير فعرض تلك المجلدة على أبي منصور الجبائي . وذكر أنها ظفرت بهذه المجلدة في الصحراء وقت الصيد فيجب أن تتفقدتها وتقول لنا ما فيها ، فنظر فيها أبو منصور وأشكل عليه كثير مما فيها . فقال له الشيخ إن ما تجهله من هذا الكتاب فهو مذكور في الموضع الفلاني من كتب اللغة ، وذكر له كثير من الكتب المعروفة في اللغة كان الشيخ حفظ تلك الالفاظ منها ، وكان أبو منصور مجزفاً فيما يورده من اللغة غير ثقة فيها ، ففطن أبو منصور أن تلك الرسائل من تصنيف الشيخ ، وإن الذي حمه عليه ما جبهه به في ذلك اليوم ، فتنصل واعتذر إليه . ثم صنف الشيخ كتاباً في اللغة سماه لسان العرب لم يصنف في اللغة مثله ولم ينقله في البياض حتى توفي فبقي على مسودته لا يهتدي أحد إلى ترتيبه . وكان قد حصل للشيخ تجارب كثيرة فيما يشره من المعالجات عزم على تدوينها في كتاب القانون ، وكان قد علقها على أجزاء فضاعت قبل تمام كتاب القانون . من ذلك أنه صدع يوماً فتصور أن مادة تريد النزول إلى حجاب رأسه ، وأنه لا يأمن وربما ينزل فيه فأمر باحضار ثلج كثير ودقه ولفه في خرقة وتغطيته رأسه بها ففعل ذلك حتى قوي الموضع ، وامتنع عن قبول تلك المادة وعوفي . ومن ذلك أن امرأة مسلوطة بخوارزم أمرها أن لا تتناول شيئاً من الادوية سوى الجلنجبين السكري حتى تناولت على الايام مقدار مائة منه وشفيت المرأة .

وكان الشيخ قد صنف يجرجان المختصر الاصغر في المنطق وهو الذي وضعه بعد ذلك في أول النجاة ، ووقعت نسخة إلى شيراز^(٥) فنظر فيها جماعة من أهل العلم هناك فوَقعت لهم الشبه في مسائل منها ، فكتبوها على جزء . وكان القاضي بشيراز من جملة القوم ، فأنفذ بالجزء إلى أبي القاسم الكرمانلي صاحب ابراهيم بن بابا الديلمي المشتغل بعلم التناظر ، وأضاف إليه كتاباً إلى الشيخ أبي القاسم وانفذهما على يدي ركابي قاصد ، وسأله عرض الجزء على الشيخ واستبجاز أجوبته فيه . وإذا الشيخ أبي القاسم دخل على الشيخ عند اصفرار الشمس في يوم صائف ، وعرض عليه الكتاب والجزء ، فقرأ الكتاب وورده عليه ، وترك الجزء بين يديه وهو ينظر فيه والناس يتحدثون . ثم خرج أبو القاسم ، وأمرني الشيخ باحضار البياض وقطع أجزاء منه ، فشددت خمسة أجزاء كل واحد منها عشرة أوراق

(١) ولد في هراة . من علماء اللغة له كتاب التهذيب .

(٢) أبو الفتح علي بن العميد (٩٢٠ - ٩٩٧) لقب بذي الكفايتين - السيف والقلم - وورث لركن الدولة ومؤيد الدولة . ثم دست عليه الدسائس فسجن وعذب ومات .

(٣) كاتب ديوان الانشاء في دولة بني بويه .

(٤) وزير مؤيد الدولة الذي لقبه بكافي الكفاية له مؤلفات في الأدب والشعر (٩٢٦ - ٩٩٥) ولد في طالقان رتوفي في

اصفهان . (ن.ر.)

(٥) مدينة في إيران هي قاعدة اقليم فارس فتحها أبو موسى الاشعري وعثمان بن أبي العاصي في اواخر خلافة عثمان . نشأ

منها عدة علماء . (٦) الجماعة «ن.ر.»

بالربع الفرعوني ، وصلينا العشاء وقدم الشمع فأمر باحضار الشراب وأجلسني واخاه ولأنا بتناول الشراب ، وابتدأ هو يجواب تلك المسائل . وكان يكتب ويشرب الى نصف الليل حتى غلبي وأخاه النوم ، فأمر بالانصراف فعند الصباح قرع الباب فاذا رسول الشيخ يستحضرني فحضرتة وهو على المصل ، وبين يديه الاجزاء الخمسة ، فقال خذها وصر بها الى الشيخ أبي القاسم الكرمانى ، وقل له استعجلت في الاجوبة عنها لئلا يتعوق الركابي ، فلما حملته اليه تعجب كل العجب وصرف الفيح وأعلمهم بهذه الحالة ، وصار هذا الحديث تاريخاً بين الناس .

ووضع في حال الرصد آلات ما سبق اليها ، وصنف فيها رسالة وبقيت أنا ثماني سنين مشغولاً بالرصد ، وكان غرضي تبين ما يحكيه بطليموس عن قصته في الارصاد ، فبتين لي بعضها . وصنف الشيخ كتاب الانصاف واليوم الذي قدم فيه السلطان مسعود الى اصفهان نهب عسكره رحل الشيخ وكان الكتاب في جلته ، وما وقف على اثر . وكان الشيخ قوي القوى كلها ، وكانت قوة الجامعة من قواه الشهوانية أقوى وأغلب . وكان كثيراً ما يشتغل به فأثر في مزاجه : وكان الشيخ يعتمد على قوة مزاجه حتى صار امره في السنة التي حارب فيها علاء الدولة تاش فراش على باب الكرخ الى ان أخذ الشيخ قولنج ، ولحصره على برئه اشفاقاً من هزيمة يدفع اليها ، ولا يتأني له المسير فيها مع المرض حقن نفسه في يوم واحد ثمان كرات ، فتقترح بعض أمعائه وظهر به سحج^(١) ، وأحوج الى المسير مع علاء الدولة فاسرعوا نحو ايدج فظهر به هناك الصرع الذي يتبع علة القولنج ، ومع ذلك كانت يدبر نفسه ويحقن نفسه لاجل السحج ولبقية القولنج ، فأمر يوماً بالتخاذ دانقين من بزر الكرفس^(٢) في حلة ما يحقن به وخلطه بها طلباً لكسر الرياح ، فقصد بعض اطباء الذي كان يتقدم هو اليه بمعالجته ، وطرح من بزر الكرفس خمسة دراهم لست أدري أعمد فعله أم خطأ لانني لم اكن معه ، فازداد السحج به من حدة ذلك البزر . وكان يتناول المثرود بطوس لاجل الصرع فقام بعض غلمانه وطرح شيئاً كثيراً من الافيون^(٣) فيه ، وناولوه فأكله وكان سبب ذلك خيانتهم في مال كثير من خزائنه ، فتمنوا هلاكه ليأمنوا عاقبة أعمالهم .

ونقل الشيخ كما هو الى اصفهان ، فاشتغل بتدبير نفسه ، وكان من الضعف بحيث لا يقدر على القيام فلم يزل يعالج نفسه حتى قدر على المشي وحضر مجلس علاء الدولة . لكنه مع ذلك لا يتحفظ ، ويكثر التخليط في أمر الجامعة ، ولم يبرأ من العلة كل البرء ، فكان ينتكس ويبرأ كل وقت . ثم قصد علاء الدولة همدان فسار معه الشيخ فعاودته في الطريق تلك العلة الى ان وصل الى همدان ، وعلم ان قوته قد سقطت ، وانها لا تفي بدفع المرض فأهل مداواة نفسه واخذ يقول المدبر الذي كان يدبر بدني قد عجز عن التدبير ، والآن فلا تنفع المعالجة . وبقي على هذا أياماً ، ثم انتقل الى جوار ربه .

(١) بقشر .

(٢) القطن .

(٣) عصارة الحشعاش وهو نبات يحمل اكرازا بيضاء وهو منوم مخدر .

وكان عمره ثلاثاً وخمسين سنة ، وكان موته في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ، وكانت ولادته في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة . هذا آخر ما ذكره ابو عبيد من احوال الشيخ الرئيس ، وقبره تحت السور من جانب القبة من همدان ، وقيل انه نقل الى اصفهان ودفن في موضع على باب كونكبد : ولما مات ابن سينا من القولنج الذي عرض له قال فيه بعض اهل زمانه .

رأيت ابن سينا يعادي الرجال وبالحبس مات أحسن المات
فلم يشف ما ناله بالشفاء ولم ينج من موتة بالنجاة
(المقارب)

— وقوله بالحبس يريد الخباس البطن من القولنج الذي اصابه ، والشفاء والنجاة يريد الكتابين من تأليفه وقصد بهما الجناس في الشعر —

ومن كلام الشيخ الرئيس وصية أوصى بها بعض أصدقائه وهو ابو سعيد ابن أبي الخير الصوفي قال : « ليكن الله تعالى اول فكر له وآخره ، وباطن كل اعتبار وظاهره ، ولتكن عين نفسه مكحولة بالنظر اليه ، وقدمها موقوفة على المثول بين يديه ؛ مسافراً بعقله في الملكوت الاعلى وما فيه من آيات ربه الكبرى . واذا انحط الى قراره ، فليزده الله تعالى في آثاره ، فانه باطن ظاهر تجلى لكل شيء بكل شيء .

ففي كل شيء له آية تدل على انه واحد

(المقارب)

« فاذا صارت هذه الحال له ملكة ، انطبع فيها نقش الملكوت ، وتجلى له قدس اللاهوت ، فالف الانس الاعلى ، وذاق اللذة القصوى ، واخذ عن نفسه من هو بها اولى ، وفاضت عليه السكينة وحقت عليه الطمأنينة . وتطلع الى العالم الادنى اطلاع راحم لاهله ، مستوهم لحيله ، مستخف لثقله ، مستحسن به لعقله ، مستضل لطرقه ؛ وتذكر نفسه وهي بها لهجة ، وبهجتها بهجة ، فتعجب منها ومنهم تعجبهم منه ، وقد ودعها وكان معها كأنه ليس معها . وليعلم ان أفضل الحركات الصلاة ، وامثل السككات الصيام ، وانفع البر الصدقة ، وازكى السر الاحتمال ، وابطل السهي المراءة . ولن تخلص النفس عن الدرن ما التفتت الى قبل وقال ، ومناقشة وجدال ، وانفعلت بحال من الاحوال . وخير العمل ما صدر عن خالص نية ؛ وخير النية ما يفرج عن جناب علم ؛ والحكمة أم الفضائل ، ومعرفة الله اول الاوائل (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) . ثم يقبل على هذه النفس المزينة بكاملها الذاتي فيحرسها عن التلطيخ بما يشينها من الهيات الاتقيادية للنفوس الموادية التي اذا بقيت في النفوس المزينة كان حالها عند الانفصال كحالها عند الاتصال ، إذ جوهرها غير مشاوب ولا خالط ، وانما يدنسها هيئة الانقياد لتلك الصواحب ؛ بل يفيدها هيات الاستيلاء والسياسة والاستعلاء والرياسة . وكذلك يهجر الكذب قولاً وتخيلاً حتى تحدث للنفس هيئة صدقة ، فتصدق الاحلام والرؤيا . واما اللذات فيستعملها على اصلاح الطبيعة وابقاء الشخص أو النوع او السياسة . اما المشروب فانه يهجر شربه تليها

بل تشفياً وتداوياً ؛ ويعاشر كل فرقة بعادته ورسمه ؛ ويسمح بالمقدور والتقدير من المال ؛ ويركب لمساعدة الناس كثيراً بما هو خلاف طبعه . ثم لا يقصر في الاوضاع الشرعية ، ويعظم السنن الالهية ، والمواظبة على التعبدات البدنية . ويكون دوام عمره اذا خلا وخلص من المعاشرين تطربه الزينة في النفس والفكرة في الملك الاول وملكه ، وكيس النفس عن عيار الناس من حيث لا يقف عليه الناس عاهد الله انه يسير بهذه السيرة ، ويدين بهذه الديانة ، والله ولي الذين آمنوا وهو حسبنا ونعم الوكيل . ومن شعر الشيخ الرئيس قال في النفس وهي من أجل قصائده واشرفها :

هبطت اليك من المحل الارفع	ورقاء ذات تمزز وتمنح
محجوبة عن كل مقلة عارف	وهي التي سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره اليك وربما	كرهت فراقك وهي ذات تفجع
أنفت وما أنست فلما واصلت	ألفت مجاورة الخراب البلقع
وأظنها نسيت عهداً بالحى	ومنازلا بفراقها لم تقنع
حتى اذا اتصلت بهاء هبوطها	في ميم مركزها بذات الاجرع
علقت بها ثاء الثقيل فاصبحت	بين المعالم والطلول الخضع
تبكي اذا ذكرت دياراً بالحى	بمدامع تهمي ولما تقطع
وتظل ساجدة على الدمن ^(١) التي	درست بتكرار الرياح الاربع
اذ عاقها الشراك الكثيف وصدها	قفص عن الاوج الفسيح الاربع
حتى اذا قرب المسير الى الحى	ودنا الرحيل الى الفضاء الاوسع
سجعت وقد كشف الغطاء فابصرت	ما ليس يدرك بالعيون الهجع
وغدت مفارقة لكل خلف	عنها حليف الترب غير مشيع
وبدت تغرد فوق ذروة شاهق	سام الى قعر الحضيض الاوضع
ان كان ارسلها الاله الحكمة	طويت عن الفطن اللبيب الاروع
فهبوطها ان كان ضربة لازب	لتكون سامعة بما لم تسمع
وتعود عالمة بكل خفية	في العالمين فخرقها لم يرقع
وهي التي قطع الزمان طريقها	حتى لقد غربت بغير المطلع
فكأنه برق تألق للحمى	ثم انطوى فكأنه لم يلح
	(الكامل)

وقال في الشيب والحكمة والزهد :

أما أصبحت عن ليل التصابي	وقد أصبحت عن ليل الشباب
تنفس في عذارك صبح شيب	وعسسى ليله فكم التصابي

(١) جمع وهي اثار الدار اي ما يتركه الحى من الاقدار بعد الرحيل

فرجم^(١) من. مشيك بالشهاب
على فودي^(٢) فألما^(٣) بالغراب
لهم عهدي بها مغنى رباب
وذاك اخضر من قطر السحاب
وذاككم نشور^(٤) للروابي
مغالطة وتبني للخراب
فلما عفتها اغريتها بي
عن الدنيا وان كانت اهابي
بأشراك تعوق عن اضطراب
سوى^(٥) صبري ويسفل عن عتابي
وكم كان الصواب سوى الصواب
من العلياء عنهم في حجاب
متى اغبرت اناث عن تراب
خيالاً واشمازت عن لباب
(الوافر)

شبابك كان شيطاناً مريداً
وأشهب من بزاة الدهرخوى^(٦)
عفا رسم الشباب ورسم دار
فذاك ابيض من قطرات دمعي
فذا ينعي اليك النفس نعيها
كذا دنياك ترأب لانصداع
ويلق مشمئز النفس عنها
فلولاها لمجلت انسلاخي
عرفت عقوقها فسلوت عنها
بليت بعالم يعالو أذاه
وسيل للصواب خلاط قوم
أخالطهم ونفسي في مكان
ولست بمن يلطخه خلاط
إذا ما لحت الابصار نالت

وقال ايضاً :

فصار عينك^(٦) كالآثار تنهم ،
عندي ، ونؤيك صبري الدارس الهدم ؛
بين الرياض كطاجونية^(٧) جثم
عن حاجة ما قضوها اذ هم أمم^(٨)
بالرعد مزدفر^(٩) بالبرق مبتسم
من الدموع الهوامي كلهن دم
في حبهن صحة في حبهن سقم
قد تفهم الحال ما لا تفهم الكلم

يا رب ، نكترك الاحداث والقدم
كأنما رسمك السر الذي لهم
كأنما سفعة الاثني باقية
أو حسرة بقيت في القلب مظلمة
ألا بكاه سحاب دمه مع^(٩)
لم لم تجدها سحاب جودها ديم
ليت الطاول اجابت من به أبدأ
أو عليها بلسان الحال ناطقة

-
- (١) رمي .
(٢) ارسل جناحيه .
(٣) جانب الرأس مما يلي الاذن الى الامام .
(٤) ذهب به خفية .
(٥) العدل والمساوي .
(٦) اهل الدار .
(٧) ما يقلى فيه .
(٨) القصد .
(٩) سائل . (١٠) عمل .

أما ترى شيتي تنبيك ناطقة
الشيب يوعد والآمال واعدة
مالي أرى حكم الافعال ساقطة
مالي أرى الفضل فضلاً يستهان به
جوت في هذه الدنيا وزخرفها
كجيفة دودت فالدود منشؤه
سيان عندي إن بروا وان فجروا
لا تحسدنهم إن جد جدم
ليسوا وان نعموا عيشاً سوى نعم
الواجدون غنى ، العادمون نهى ،
خلقت فيهم وايضاً قد خلطت بهم
اسكنت بينهم كالليث في أجم
أني وان بان عني من بليت به
مميز من بني الدنيا يميزني
بأي مأثرة ينقاس بي أحد
أمثل عنجبة^(٦) شوكة^(٧) يلحق بي
فذا عجوز ولكن بعدما قعدت
اني وان كانت الاقلام تخدمني
قد أشهد الروح مرتاحاً فاكشفه
الضرب محتدم ، والطعن منتظم ،
والحق يافوخه^(١٢) من نعمهم^(١٥) قتر^(١٦)
والبيض والسمرحر تحت عثيره^(١٩)
وأعدل القسم في حربي وحرهم

بأن حدي الذي استدلقته^(١) ثم^(٢)
والمرء يفتقر والايام تنصرم
وأسمع الدهر قولاً كله حكم
قد أكرم النقص لما استنقص الكرم
عيني ، فألفيت داراً ما بها أرم^(٣)
فيها ، ومنها له الارزاء والطعم
فليس يجري على أمثالهم قلم
فالجد يحدي ولكن ما له عصم
وربما نعمت في عيشها النعم^(٤)
ليس الذي وجدوا مثل الذي عدموا
كرهاً فليس غنى عنهم ولا لهم
رأيت لئلاً له من جنسه أجم
في عينه كـ^(٥) في أذنه صم
أقل ما في ليس الجلل والعظم
بأي مكرمة تحكيكي الامم
أم مثل شغب^(٨) حش^(٩) عرضه زيم^(١٠)
وذاك جود مساع الملك متهم
كذاك يخدم كفي الصارم الخدم^(١١)
اذا تناكر عن تياره البهم
والدم مرتك^(١٢) ، والبأس مغتلم^(١٣)
والافك قسطاسه^(١٧) من سفكهم قتم^(١٨)
والموت يحكم والابطال تحتصم
منهم لنا غم منا لهم عرم^(٢٠)

(١) استخرجته .

(٢) مكسور الحد اي الحافة .

(٣) اي احد .

(٤) الابل وتطلق على البقر والغنم .

(٥) العمى او العمى في العين .

(٦) الجفا والكبر . (٧) ذات اشواك . (٨) ابن آوى . (٩) الولد الهالك في بطن امه تهرق دماً عليه وتنطوي عليه اي يبقى فلا يخرج . (١٠) جمع زعة وهي القطعة من لحم وغيره . (١١) القاطع . (١٢) مجتمع . (١٣) مشتد (١٤) مقدم الرأس . (١٥) الفبار الساطع (١٦) اي عليه غيره . (١٧) الميزان او القبان . (١٨) صار لونه القتمة اي ضارب الى السواد . (١٩) العجاج الساطع . (٢٠) اللحم .

أما البلاغة فأسألني الخبير بها
لا يعلم العلم غيري معلماً علماً
كانت قناة علوم الحق عاطلة
نبيد أرواحهم بالرعب نقذفه
ماتت أئالة ذا الدهر اللقاح على
لو شئت كان الذي لو شئت بحت به
ولو وجدت طلاع الشمس متسعاً
ولو بكت عزماتي دونها الحشم
وكانت البيض ظلفاً للعمود له
وظن أن ليس تحجيل سوى شعر
وغشيت صفحات الأرض معدلة
لكنها بقعة حف الشقاء بها

أنا اللسان قديماً والزمان قم
لاهلله أنا ذاك المعلم العلم
حتى جلاها بشرحي البند والعلم
فيهم وأجسادهم بالقضب قلتهم
عزائي وأسفت بي لها الهيم
ما الخوف أسكت بل ان تازم الحشم
لحط رحل عزيمي كنت أعظم
ولم يعم سبيلي نحوها العم
وقد تباغل^(١) عرض الخيل والحكم
وأن للخيل في ميلادها اللجم
فالاسد تتفرعن مرعى به غم^(٢)
فكل صاغ^(٣) اليها صاغر سدم
(البسيط)

وقال ايضاً :

هو الشيب لا بد من وخطه^(٤)
أقلقك الطل من وبه
وكم منك شرك غصن الشباب
فلا تجزعن لطريق سلكت
ولا تجشمن فما ان ينال
وكم حاجة بذلت نفسها
اذا اخصب المرء من عقله
ومن عاجل الحزم في عزمه
وكم ملق دونها غيلة
اذا ما أحال أخو زلة
وما يتعب النفس تميزه
ووقر أخا الشيب والحق الشباب
ولا تبغ في العذل واقصد فكم

فقرضه واخضبه أو غطه
وجرعت من البحر في شطه
وريقاً فلا بد من خطه^(٥)
كم انبت غيوك في وسطه
من الرزق كل سوى قسطه
ففوتها الحرص من فرطه
نشا في الزمان على قحطه
فان الندامة من شرطه
كما يمرط الشعر من مشطه
على التدر فاعجل على بسطه
فلا تعجلن الى خلطه
اذا ما تعسف في خبطه
كبت قديماً على خطه

(١) تشبه بالبغل في سمة مشية أو تبلده .

(٢) أي فيه قتمة . (٣) مائل ومستمع . سدم : فادم .

(٤) خالط سواد الشعر « ن.ر » .

(٥) أي تعريته من ورقه .

وكم عاند النصيح ذو شيبة
تراه سريعاً الى مطعم
وكم رام ذو ملل حاشم
وذي حسد أسقطته لقي
يحاول حطي عن رتبتي
يظل على دهره ساخطاً

وقال أيضاً :

قفا نحزني معاهدم قليلا
نخونه العفاة كما تراه
لقد عشنا بها زمناً قصيرا
ومن يستثبت الدنيا بحال
إذا ما استعرض الدنيا اعتباراً
خليلي ابلغ العذال أني
وأني من أناس ما أحلنا
مآقينا وأيدينا إذا ما
وقفت دموع عيني دون سعدي
على جفني لدمعي فرض دمع
عقدت لها الوفاء وان عقدي
وكم أخت لها خطبت فؤادي
أعاذل لست في شيء فأسهب
فلم ير مثلها قلبي ألوفاً
وعذل الشيب أولى لي لواني
أجل قد كررت هذي الليالي
أتكرر ذرة لما علتني
يعيرني ذبولي او نحولي
كما ان الحفيش ابا وجيم
يقبول مبذر ليغض مني

عناد القتاد لدى خرطه
كما أنشط البكر^(١) عن نشطه^(٢)
ليغصب حلمي فلم أعطه
فما يأنف الدهر من لقطه
قد ارتفع النجم عن حطه
وكم يضحك الدهر من سخطه
(المقارب)

نفيت بدمعنا الربيع الحبلا
فأمسى لا رسوم ولا طلولا
نقاسي بعمد زمناً طويلا
يرم من مستحيل مستحيلا
تنحى الحرص عنها مستحيلا
هجرت تجمل مجرأ جيلا
على عزم فاعقبنا نزولا
هين^(٣) رأيتنا نعصي العذولا
على الاطلاع ما وجدت مسيلا
أقمت له به قلبي كفيلا
هو العقد الذي لن يستحيلا
فما وجدت الى عذري سيلا
مدى الملوين^(٤) أو أقصر قليلا
ولم تر مثلها اذني ملولا
أطقت وان جهدت له قبولا
على ليلى زماناً لن يزولا
تزين كزينة الاثر النصولا
كسيت الذبل والجسد النجيلا
يعيرني بان لست البخيلا
يمد علو ذي كرم سفولا

(١) الفتى من الإبل .

(٢) ذهابه .

(٣) ارسلت دمعها بانتشرت .

(٤) الليل والنهار .

ابرز او انيل به جزيل
وكم خرق وقعت به مثيلا
عسى ان لا تطوف ولا تنولا
نفائس ما تصان بما اذيل
يباع ببعض ما تحوي كيلا
فلست بذاك مذعوراً مهولا
فطب نفساً ولا تفرق قبيل
فقد ما روع الفيل الافيل
(الوافر)

متى وسعت لقصدي الارض حتى
يقول به انخراق الكف جدا
فجل خلل الاصابع منك واجهد
بفحش ان مالك فوق مالي
حكاك غباء ما افناه بذلي
يحذرك الاحبة وقع كيدي
سقطت عن اعتقادي فيك سوءاً
فأما ان ارعك بغير قصدي

وقال ايضاً :

كافي الكفاة بعيني مجمل النظر
من حسن تأثير عين الشمس في القمر
(البسيط)

اوليتني نعمة مذ صرت تلحظني
كذا البواقيت فيما قيل نشأتها

وشكا اليه الوزير ابو طالب العلوي آثار يثر بدا على جبهته ونظم شكواه شعراً وأنفذه اليه وهو:

صنيعة الشيخ مولانا وصاحبه
يشكو اليه ادام الله مدته
فامن عليه بحسم الداء مقتنماً
وغير من انعامه بل نشء نعمته
آثار يثر تبدى فوق جبهته
شكر النبي له مع شكر عترته
(البسيط)

فاجاب الشيخ الرئيس عن أبياته ووصف في جوابه ما كان به برؤه من ذلك فقال :

الله يشفي وينفي ما يجيبته
أما العلاج فاسهل يقدمه
وليرسل العلق المصاص يرشف من
واللحم يهجره الا الخفيف ولا
والوجه يطلبه ماء الورد معتصراً
ولا يضيق منه الزر محتقناً
هذا العلاج ومن يعمل به سيرى
من الاذى ويعافيه برحمته
ختمت آخر ابياتي بنسخته
دم القذال وينفي عن حجامته
يدني اليه شراباً من مدامته
فيه الخلاف^(١) مدافا وقت هجمته
ولا يصيحن أيضاً عند سخطه
آثار خير ويكفي أمر علته

وقال ايضاً :

خير النفوس العارفات ذواتها
وحقيق كليات ماهياتها

(١) نوع من السفصاف .

وبم الذي حلت ومم تكونت
نفس النبات ونفس حس ركبا
يا للرجال لعظم رزه لم تول
أعضاء بنيتها على هيناتها
هلا كذاك سماته كسباتها
منه النفوس تحب^(١) في ظلماتها

وقال أيضاً :

هذب النفس بالعلوم لترقى
انما النفس كالزجاجة والعلم
فاذا أشرقت فانك حي
وذو الكل فهي للكل بيت
سراج وحكمة الله زيت
واذا أظلمت فانك ميت
(الحفيف)

وقال أيضاً :

صبها في الكاس صرفا
ظنها في الكاس نارا
غلبت ضوء السراج
فطفأها بالمزاج
(الرميل)

وقال أيضاً :

قم فاسقنيها قهوة كدم الطلا
خراً تظل لها النصارى سجدا
لو أنها يوماً وقد ولعت بهم
يا صاح بالقدح الملا بين الملا
ولها بنو عمران أخلصت الولا
قالت : أأست بربكم ؟ قالوا : بلى
(الكامل)

وقال أيضاً :

تزل اللاهوت^(٢) في ناسوتها^(٣)
قال فيها بعض من هام بها
هي والكاس وما مازجها
كنزول الشمس في أبراج يوح
مثل ما قال النصارى في المسيح
كأب متحد وابن روح
(الرميل)

وقال أيضاً :

شربنا على الصوت القديم قديمة
ولو لم تكن في حيز قلت انها
لكل قديم اول هي اول
هي العلة الاولى التي لا تعلل
(الطويل)

(١) تضطرب وتسير خبيثاً .

(٢) الألوهة ، راصله (لاه) اي انه زيدت فيه الوار والتاء للبالغة كما في جبروت وملكوت .

(٣) الطبيعة الانسانية .

وقال أيضاً :

عجباً لقوم يحسدون فضائلي
عتبوا على فضلي وذموا حكمتي
اني وكيدهم وما عتبوا به
واذا الفتى عرف الرشاد لنفسه
ما بين غيبي الى عدائي
واستوحشوا من نقصهم وكالي
كالطود يحقر نطحة الابرار
هانت عليه ملامة الجهال
(الكامل)

وقال أيضاً :

أساجية الجفون أكل خود
هي الصبأ نخرها عدو
سجايها استمرن من الرحيق
وان كانت تناغي عن صديق
(الوافر)

وقال أيضاً

أكاد أجن^(١) فيما قد أجن^(٢)
رمت من الخطوب بمصميات^(٣)
وجاورني اناس لو أريدوا
فان عنت مسائل مشكلات
وان عرضت خطوب معضلات
فلم ير ما أرى بانس وجن
نوافذ لا يقوم بها عجن^(٤)
على منفت ما اكلوه ضنوا
أجال سهامهم حدس وظن
تواروا واستكانوا^(٥) واستكثروا^(٦)
(الوافر)

وقال أيضاً :

أشكو الى الله الزمان فصرفه
عن الي توجهت فكأنني
أبلى جديد قواي وهو جديد
قد صرت مغناطيس وهي حديد
(الكامل)

وقال أيضاً :

تمنه وحاذر ان ينالك بغنة
وقال أيضاً ، ان هذه الابيات اذا قيلت عند رؤية عطارده وقت شرفه ؟ فانها تفيد علماً وخيراً
بإذن الله تعالى .

(١) الفقد عقلي .

(٢) ما اخبىء واخفي .

(٣) قاتله .

(٤) كل ما وقى من السلاح او الترس .

(٥) ذلوا وخضعوا

(٦) استقروا .

(٧) جروح .

عطارد قد والله طال ترددي
فها أنت فامددي قويا أدرك المنى
ومساء وصباحاً كي أراك فاغنيا
بها والعلوم الغامضات تكرما
بأمر ملك خالق الأرض والسما
ووقني المحذور والشر كله
(الطويل)

ومما ينسب إلى الشيخ الرئيس ابن سينا قصيدة فيما يحدث من الأمور والأحوال عند قران المشتري وزحل في برج الجدي ، بيت زحل ، وهو النحس البروج ، لكونه بيت زحل لنحس الفلك النحس الأكبر وأول القصيدة :

« احذر بني من القران العاشر »

وجملة ما قيل في هذه القصيدة من أحوال التتر وقتلهم للخلق وخرابهم للقلاع جرى ، وقد رأيناه في زماننا . ومن أعجب ما أتى فيها عن التتر يفنيهم الملك المظفر^(١) ، وكان كذلك أفنأهم الملك المظفر قطز لما وصل من الديار المصرية بمعاكس الاسلام ، وكانت الكسرة على التتر منه في وادي كنعان^(٢) كما ذكر ، وذلك في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وستائة . وكذلك أشياء أخر من ذلك كثيرة صحت الأحكام بها في هذه القصيدة ، مثل القول عن خليفة بغداد ، وكذا الخليفة جعفر البيت والبيت الذي يليه بعده تمحي خلافته وملكت التتر بغداد كما ذكر ، وكان ذلك في أول سنة سبع وخمسين وستائة . وكان الاعتماد بها في هذه القصيدة من كتاب الجفر^(٣) عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام . والله أعلم ، ان يكون الشيخ الرئيس قال هذه القصيدة أو غيره وقد عن لي ان اذكر القصيدة هنا سواء كانت لابن سينا أو لغيره وهي :

احذر بني من القران العاشر
لا تشغلنك لذة تلهو بها
واسكن بلاداً بالحجاز وقم بها
لا تركن^(٤) إلى البلاد فانها
من فتية فطس الانوف كأنهم
خزر^(٥) العيون ترام في ذلة
ما قصدتم الا الدماء كأنما
وخراب ما شادالورى حتى ترى
وانفر بنفسك قبيل نفر النافر
فالوت اولى بالظلم الفاجر
واصبر على جور الزمان الجائر
سيمها حد الحسام البائر
سيل طما أو كالجراد الناشر
كم قد ابادوا من ملك قاهر
ثار لهم من كل ناه أمر
قفراً عمارتهم برغم العامر

(١) احد سلاطين المماليك البحرين تولى الحكم ١٢٥٩ - ١٢٦٠

(٢) هي على ما اعتقد ناحية في العراق «لواء ديالى»

(٣) الجفر : ولد الشاة اذ استكرش وأكل ، وسمي العلم الذي كتب عليه بعلم الجفر ، وهو العلم الاجمالي على طريقة علم الحروف بلوح القضاء والقدر المحتوي على ما كان وما يكون ، وقالوا انه مختص بآل البيت ،

(٤) سكن واستأمن ،

(٥) ضيقو العيون ،

للعشب ليس لاهلها من جابر
تضحى وليس بربعها من صافير
ورها ستخرب بعد اخذ نشاور
من آل احمد لا بسيف الكافر
فر الحمام من العقاب الكاسر
في نصف شهر من ربيع الآخر
من ملكه في لج بحر زاخر
لظهور نجم للذوابة زاهر
لكن سعادته كلمح الناظر
ويعود منزماً بصفقة خاسر
يسري اليه وما له من سائر
عنه الى الخصم الالد الفاجر
بالسيف بين أصاغر وأكابر
نصبت لجاجا من عدو كافر
متمزقاً في كل قفر واعر
بالذل بين اصاغر وأكابر
ما بين دجلتها^(٥) وبين الجازر^(٦)
من شهرزور الى بلاد السامر
قفرا تداوس باختلاف الحافر
تسعا وتفتح في النهار العاشر
ودوايها من معشر متجاوز

اما خراسان تعود منابتا
وكذا الخوارزم^(١) وبلخ^(٢) بعدها
والديلمان^(٣) جبالها ودحاهها
والري يسفك فيه دم عصابة
وتفر سفاك الدما منهم كما
فهو الخوارزمي يكسر جيشه
ويموت من كمد على ما ثاله
وتذل عترته وتشقى ولده
ويكون في نصف القران ظهوره
وتثور أعداء عليه ويلتقي
ويكون آخر عمره في آمد
وتعود عظم جيوشه مرتدة
وديار بكر سوف يقتل بعضهم
وترى بأذربيج^(٤) بدو خيامه
تفنى عساكره ويفنى جيشه
والويل ما تلقى النصارى منهم
والويل ان حلوا ديار ربيعة
ويدوخون ديار بابل^(٧) كلها
وخلاط^(٨) ترجع بعد بهجة منظر
هذا وتغلق اربل^(٩) من دونهم
وبطون نينوه^(١٠) ويؤخذ مالها

(١) بلاد واقعة على نهر آموداريا الاسفل في تركستان الروسية ، ذكرها هيرودوتس ورأى البيروني فيها السموات قبل سنة ١٢٩٢ ق م .

(٢) كانت القصبه السياسية لولاية خراسان ثم اصبحت المركز الثقافي والديني لمملكة طخارستان اجتاحتها قبائل جنكيز خان لدمرتها ،

(٣) الديلم هي القسم الجبلي من جبال جيلان شمالي بلاد قزوين .

(٤) اقليم في بلاد ايران على الحدود الشمالية الغربية عاصمته تبريز ، ومنها قمع يؤلف اليوم جمهورية سوقيائية على ساحل بحر قزوين وعاصمتها باكو .

(٥) نهر ينبع من تركيا ويجري بديار بكر والموصل وبغداد ويمتزج بنهر الفرات في شط العرب ومن سواعده : الزاب الاكبر والزاب الاصغر ودالي .

(٦) راد بين الكوفة وقيد (٧) البلاد التي تتألف منها مملكة بابل .

(٨) بلد بarmiنية (٩) مدينة بالعراق في شماليه قرب الموصل .

(١٠) مدينة اثرية في العراق وهي عاصمة بلاد آشور القديمة واسمها اليوم كرونيك بالعرب من الموصل .

تبغي الأمان من الخثون الغادر
ومضوا الى بلد بغير قناتر
ودمأ يسيل وهتك ستر سائر
تأتيهم مطر كبحر زاخر
ماذا يكون وما لهم من ناصر
من آل صعصعة^(٣) كرام عشائر
من كل ظام فوق صهوة ضامر
في البحر أظلم بالمعجاج الشائر
يردون جلق وهي ذات عساكر
فנית ثمود^(٦) في الزمان الغابر
بحسامه الماضي الفرار البائر
منهم فيهلكهم حسام الناصر
أثر كذا حكم المليك القادر
مرعى الذئاب وكل نسر طائر
بالسيف ذات ميامن ومياسر
جثث مخلقة ورأس طائر
أرض وليس لسبلها من خاطر
تلك النواحي والمشيّد العامر
من سفرة أودت بمال التاجر
عاماً وليس لكسرها من جابر
بين البرية صنع رب قادر
لم يبق فيها ملجأ لمسافر

ولربما ظهرت عساكر موصل^(١)
فترام نزلا بشاطيء دجلة
وترى الى الثرثار^(٢) نهبا واقعا
ويكون يوم حريق زهرتها التي
وأحسرتها على البلاد وأهلها
ولربما ظهرت عليهم فتية
يسقون من ماء الفرات^(٤) خيولهم
تلقاهم حلب^(٥) يحيش لو سرى
واذا مضى حد القران رأيتهم
يفنيهم الملك المظفر مثل ما
ويبيدهم نجل الامام محمد
ولربما أبقي الزمان عصابة
والترك تفني الفرس لا يبقى لهم
في أرض كنعان^(٧) تظل جسومهم
وتجول عباد الصليب عليهم
يا ريع بغداد لما تحويه من
وكذا الخليفة جعفر سيظل في
وكذا العراق قصورها وربوعها
يفنيهم سيف القران فيا لها
والروم^(٨) تكسرم وتكسر بعدهم
تمحي خلافته وينسى ذكره
فترى الحصون الشاخات مهددة

(١) مدينة في العراق لعبت بالحدا ، كائنة على نهر دجلة بالقرب من انقاض نينوى كانت قاعدة بلاد بني ربيعة .

(٢) عين غزيرة بالماء بالجزيرة ؛ او هي نهر بعينه ؛ او واد كائن قرب سامراء بني عليه اليوم سد .

(٣) قبيلة عربية تنسب الى صعصعة .

(٤) نهر يلعب من ارمينيا يقطع جبال طوروس ويمتاز سوريا والعراق ويصب متحداً مع دجلة في شط العرب

(٥) قاعدة سوريا الشمالية وهي من القدم مدن العالم فقد ذكرت في الكتابات الحثية سنة ٢٠٠٠ ق.م . اتخذها سيف الدولة عاصمة لمملكته فاودعرت فيها العلوم والفنون الاسلامية .

(٦) شعب عربي قديم باد اثره قبل ظهور الاسلام وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم وثبت وجودهم تاريخياً في كتابه سرجون سنة ٣١٥ ق.م . وفي كتب الرومان واليونان وفي الشعر الجاهلي .

(٧) ناحية في العراق كان اسمها مهرور وهي الآن تدعى لواء ديالى .

(٨) اسم اطلقه العرب على البيزنطيين

وترى قراها والبلاد تبدلت
بعد الانيس بكل وحش نافر
(الكامل)

وأنشدني بعض التجار من أهل العجم قصيدة لابن سينا في هذا المعنى على قافية الراء الساكنة وأولها:

إذا شرق المريخ من أرض بابل
واقترب النحسان فالخذر الخذر
ولا بد أن تجري أمور عجيبة
ولا بد أن تأتي بلادكم التتر
(الطويل)

ولم يكن يحفظ الا بعض القصيدة على غير الصواب فما نقلتها عنه .

وللشيخ الرئيس من الكتب كما وجدناه غير ما هو مثبت فيما تقدم من كلام أبي عبيد الجوزجاني :
كتاب اللواحق يذكر انه شرح الشفاء . كتاب الشفاء ، جمع جميع العلوم الاربعة فيه وصنف
طبيعياته والهيئاتها في عشرين يوماً بهمدان . كتاب الحاصل والمحصل ، صنفه ببلده للفقير
أبي بكر البرقي في أول عمره في قريب من عشرين مجلدة ، ولا يوجد الا نسخة الأصل . كتاب
البر والأثم ، صنفه أيضاً للفقير أبي بكر البرقي في الأخلاق مجلدتان ، ولا يوجد الا عنده .
كتاب الانصاف عشرون مجلدة شرح فيه جميع كتب أرسطوطاليس وانصف فيه بين الشرقيين
والمغربيين ، ضاع في نهب السلطان مسعود . كتاب المجموع ويعرف بالحكمة العروضية ، صنفه وله
احدى وعشرون سنة لابي الحسن العروضي من غير الرياضيات . كتاب القانون في الطب صنف بعضه
يخرجان وبالرس ، ونممه بهمدان ، وعول على ان يعمل له شرحاً وتجارب . كتاب الأوسط الجرجاني
في المنطق صنفه يخرجان لابي محمد الشيرازي . كتاب المبدأ والمعاد في النفس ، صنفه له أيضاً يخرجان
ووجدت في اول هذا الكتاب انه صنفه للشيخ أبي أحمد محمد ابراهيم الفارسي . كتاب الارصاد الكلية
صنفها أيضاً يخرجان لابي محمد الشيرازي . كتاب المعاد صنفه بالري للملك مجد الدولة . كتاب لسان
العرب في اللغة صنفه باصفهان ولم ينقله الى البياض ، ولم يوجد له نسخة ولا مثله ، ووقع الي بعض
هذا الكتاب وهو غريب التصنيف . كتاب دانهش ما به العلائي بالفارسية ، صنفه لعلاء الدين بن كاكويه
باصفهان . كتاب النجاة صنفه في طريق ساور خواست ، وهو في خدمة علاء الدولة . كتاب
الاشارات والتنبيهات وهي آخر ما صنف في الحكمة واجوده ، وكان يضمن بها . كتاب الهداية في
الحكمة صنفه وهو محبوس بقلعة فردجان لاختيه علي ، يشتمل على الحكمة مختصراً . كتاب القولنج
صنفه بهذه القلعة أيضاً ، ولا يوجد تاماً . رسالة حي بن يقظان صنفها بهذه القلعة أيضاً رمزاً عن العقل
الفعال . كتاب الادوية القلبية صنفها بهمدان وكتب بها الى الشريف السعيد أبي الحسين علي بن الحسين
الحسيني . مقالة في النبض بالفارسية . مقالة في مخارج الحروف ، وصنفها باصفهان للجبائي . رسالة
الى أبي سهل المسيحي في الزاوية صنفها يخرجان . مقالة في القوى الطبيعية الى أبي سعد الياهمي . رسالة
الطبر مرموزة تصنيف فيما يوصله الى علم الحق . كتاب الحدود . مقالة في تعرض رسالة الطبيب في
القوى الطبيعية . كتاب عيون الحكمة يجمع العلوم الثلاثة . مقالة في عكوس ذوات الجهة . الخطب

التوحيدية في الالهيات . كتاب الموجز الكبير في المنطق ، واما الموجز الصغير فهو منطق النجاة . القصيدة المزدوجة في المنطق صنفها للرئيس أبي الحسن سهل بن محمد السهلي بكركانج . مقالة في تحصيل السعادة ، وتعرف بالحجج الغر . مقالة في القضاء والقدر صنفها في طريق أصفهان عند خلاصه وهربه الى أصفهان . مقالة في الهندبا . مقالة في الاشارة الى علم المنطق . مقالة في تقاسم الحكمة والعلوم . رسالة في السكتنجين . مقالة في اللانهاية . كتاب تعاليق علقه عنه تلميذه ابو منصور بن زيلا . مقالة في خواص خط الاستواء. المباحثات بسؤال تلميذه ابي الحسن بهمنيار بن المرزبان وجوابه له . عشر مسائل أجاب عنها لابي الريحان البيروني . جواب ست عشرة مسألة لابي الريحان . مقالة في هيئة الارض من السماء وكونها في الوسط . كتاب الحكمة المشرقية لا يوجد تاماً . مقالة في تعقب المواضع الجدلية . المدخل الى صناعة الموسيقى ، وهو غير الموضوع في النجاة . مقالة في الاجرام السماوية . كتاب التدارك لانواع خطأ التدبير ، سبع مقالات ألفه لابي الحسن أحمد بن محمد السهلي . مقالة في كيفية الرصد ومطابقته مع العلم الطبيعي . مقالة في الاخلاق . رسالة الى الشيخ أبي الحسن سهل بن محمد السهلي في الكيمياء . مقالة في آلة رصدية صنعها باصفهان عند رصده لعلاء الدولة . مقالة في غرض قاطيفورياس . الرسالة الاضحوية في المعاد صنفها للامير أبي بكر محمد بن عبيده معتصم الشعراء في العروض ، صنفه ببلاده ، وله سبع عشرة سنة . مقالة في حد الجسم . الحكمة العرشية وهو كلام مرتفع في الالهيات عهد له عاهد الله به لنفسه . مقالة في ان علم زيد غير علم عمرو . كتاب تدبير الجند والممالك والمساكر وأرزاقهم وخراج الممالك . مناظرات جرت له في النفس مع أبي علي النيسابوري ، خطب وتمجيدات وأسجاع جواب يتضمن الاعتذار فيما نسب اليه من الخطب . مختصر أوقليدس أظنه المضمون الى النجاة . مقالة الارثمطيقي . عشر قصائد وأشعار في الزهد وغيره يصف فيها احواله . رسائل بالفارسية والعربية ، ومخاطبات ومكاتبات وهزليات . تعاليق مسائل حنين في الطب . قوانين ومعالجات طبية . مسائل عدة طبية عشرون مسألة سألها عنها بعض أهل العصر . مسائل ترجمها بالتذاكير جواب مسائل كثيرة . رسالة له الى علماء بغداد يسألهم الانصاف بينه وبين رجل همداني يدعي الحكمة . رسالة إلى صديق يسأله الانصاف بينه وبين الهمداني الذي يدعي الحكمة . جواب لعدة مسائل كلام له في تبين ماهية الحروف . شرح كتاب النفس لارسطوطاليس ويقال انه من الانصاف . مقالة في النفس تعرف بالفصول . مقالة في ابطال احكام النجوم . كتاب الملح في النحو . فصول الهية في اثبات الاول . فصول في النفس وطبيعيات . رسالة الى أبي سعيد بن أبي الخير الصوفي في الزهد . مقالة في انه لا يجوز أن يكون شيء واحد جوهرأ وعرضاً . مسائل جرت بينه وبين بعض الفضلاء في فنون العلوم . تعليقات استفادها أبو الفرج الطيب الهمداني من مجلسه وجوابات له . مقالة ذكرها في تصانيفه انها في الممالك وبقاع الارض . مختصر في ان الزاوية التي من المحيط والماس لا كمية لها . اجوبة لسؤالات سألها عنها أبو الحسن العامري وهي اربع عشرة مسألة . كتاب الموجز الصغير في المنطق . كتاب قيام الارض في وسط السماء ألفه لابي الحسين أحمد بن محمد السهلي . كتاب مفاتيح الخزان في المنطق ، كلام في الجوهر والعرض كتاب تأويل الرؤيا . مقالة في الرد على مقالة الشيخ ابي الفرج بن الطيب . رسالة في العشق

ألفها لابي عبيد الله الفقيه . رسالة في القوى الانسانية وادراكاتها . قول في تبين ما الحزن واسبابه . مقالة الى ابي عبيد الله الحسين بن سهل بن محمد السهلي في أمر مشوب .

ألا يلاقي

هو السيد أبو عبد الله محمد بن يوسف شرف الدين ، شريف النسب ، فاضل في نفسه ، خبير بصناعة الطب ، والعلوم الحكيمة . وهي من جملة تلاميذ الشيخ الرئيس والآخذين عنه ، وقد اختصر كتاب القانون وأجاد في تأليفه وللإلاقي من الكتب باختصار كتاب القانون لابن سينا ، كتاب الاسباب والعلامات .

ابو الريحان البيروني

هو الاستاذ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني منسوب إلى بيرون ، وهي مدينة في السند^(١) ، كان مشغلاً بالعلوم الحكيمة فاضلاً في علم الهيئة والنجوم ، وله نظر جيد في صناعة الطب . وكان معاصر الشيخ الرئيس ، وبينهما محادثات ومراسلات . وقد وجدت للشيخ الرئيس أجوبة مسائل سأله عنها ابو الريحان البيروني وهي تحتوي على امور مفيدة في الحكمة . وأقام ابو الريحان البيروني بخوارزم . ولابي الريحان البيروني من الكتب : كتاب الجماهر في الجواهر وانواعها وما يتعلق بهذا المعنى ، ألفه للملك المعظم شهاب الدولة أبي الفتح مودود بن مسعود بن محمود . كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية . كتاب الصيدلة في الطب استقصى فيه معرفة ماهيات الادوية ومعرفة أسمائها واختلاف آراء المتقدمين ، وما تكلم كل واحد من الاطباء وغيرهم فيه ، وقد رتبته على حروف المعجم . كتاب مقاليد الهيئة . كتاب تسطيح الكرة . كتاب العمل بالاصطرلاب . كتاب القانون المسعودي ، ألفه لمسعود بن محمود بن سبكتكين ، وحذا فيه حذو بطليموس . كتاب التفهيم في صناعة التنجيم . مقالة في تلافى عوارض الزلّة في كتاب دلائل القبلة . رسالة في تهذيب الاقوال . مقالة في استعمال الاصطرلاب الكبري . كتاب الاطلال . كتاب الزيج المسعودي ألفه للسلطان مسعود بن محمود ملك غزنة . اختصار كتاب بطليموس القلوزي . وتوفي في عشر الثلاثين والاربعمئة .

ابن مندويه الاصفهاني

هو أبو علي احمد بن عبد الرحمن بن مندويه ، من الاطباء المذكورين في بلاد العجم ، وخدم هنالك جماعة من ملوكها ورؤسائها . وكانت له اعمال مشهورة مشكورة في صناعة الطب ، وكان من البيوتات الاجلاء باصفهان . وكان أبوه عبد الرحمن بن مندويه فاضلاً في علم الأدب ، وافر الدين ، وله اشعار

(١) مقاطعة في الباكستان الغربية عاصمتها كراتشي .

حسنة من ذلك قال :

ويحز ز أموالاً رجال اشحة وتشغل عما خلفهن وتذهل
لعمرك ما الدنيا بشيء ولا المنى بشيء ولا الانسان الا معلل
(الطويل)

وقال أيضاً :

ويمسي المرء ذا أجل قريب وفي الدنيا له أمل طويل
ويمجل بالرحيل وليس يدري الى ماذا يقر به الرحيل
(الوافر)

ولابي علي بن مندويه الاصفهاني من الكتب رسائل عدة ، من ذلك أربعون رسالة مشهورة الى جماعة من أصحابه في الطب ، وهي رسالة الى احمد بن سعد في تدبير الجسد ، رسالة الى عباد بن عباس في تدبير الجسد . رسالة الى ابي الفضل العارض في تدبير الجسد . رسالة الى ابي القاسم احمد ابن علي بن بحر في تدبير المسافر . رسالة الى حمزة بن الحسن في تركيب طبقات العين . رسالة الى ابي الحسن الوارد في علاج انتشار العين . رسالة الى عباد بن عباس في وصف انهضام الطعام ، رسالة الى احمد بن سعد في وصف المعدة والقصد لعلاجها . رسالة الى مستفسر في تدبير جسده وعلاج دائه . رسالة الى ابي جعفر احمد بن محمد بن الحسن في القولنج . رسالة اخرى اليه في تدبير اصحاب القولنج ، وتدبير اصحاب القولنج في أيام صحته فيتدافع عنه بعون الله تعالى . رسالة الى ابي محمد بن ابي جعفر في تدبير ضعف الكلى لمن يستبشع الحقنة . رسالة الى ابي الفضل في علاج المثانة . رسالة الى الأستاذ الرئيس في علاج شقاق البواسير . رسالة في أسباب الباه . رسالة في الابانة عن السبب الذي يولد في الاذن القرقرة عند اتقاد النار في خشب التين . رسالة الى الوثابي في علاج وجع الركبة . رسالة الى ابي الحسن بن دليل في علاج الحكمة العارضة للمشيخة . رسالة في فعل الاثرية في الجسد . رسالة في وصف مسكر الشراب ومنافعه ومضاره . رسالة الى حمزة بن الحسن في ان الماء لا يغذو . رسالة في نعمت التبيذ ووصف أفعاله ومنافعه ومضاره . رسالة الى ابنه في علاج بثور خرجت يحسده بهاء الجبن وهو صغير . رسالة في منافع الفقاع ومضاره . رسالة الى ابي الحسين احمد بن سعيد في الحنديقون والبقاع وجوابه اليه . رسالة الى بعض اخوانه في التمر الهندي رسالة الى بعض اخوانه في الكافور . رسالة الى حمزة بن الحسن في النفس والروح على رأي اليونانيين . رسالة اخرى الى حمزة بن الحسن في الاعتذار عن اعتلال الاطباء ، رسالة في الرد على كتاب نقض الطب المنسوب الى الجاحظ . رسالة الى حمزة بن الحسن في الرد على من انكر حاجة الطبيب الى علم اللغة . رسالة الى المتقلدين علاج المرضى ببيارستان أصفهان . رسالة الى ابي الحسن بن سعيد في البحث عما ورد من ابي حكيم اسحق بن يوحنا الطبيب الاهوازي في شأن علته . رسالة الى يوسف بن يزاد المتطبب في انكاره دخول لعاب بزركتان في أدوية الحقنة . رسالة أبي محمد عبدالله بن اسحق الطبيب ينكر عليه ضروباً من العلاج . رسالة اخرى الى ابي محمد المتطبب في علة الامير المتوفي شيرزيل بن ركن الدولة . رسالة اخرى الى ابي محمد المدني في شأن التكميد بالجاورس . رسالة اخرى لابي مسلم محمد بن بحر عن

لسان ابي محمد الطبيب المدني، رسالة في علة الاهزل احمد ابن اسحق البرجي، وذكر الغايط الجاري من يوسف ابن اصطفن المتطبب . رسالة في أوجاع الاطفال ، كناش . كتاب المدخل الى الطب . كتاب الجامع المختصر من علم الطب وهو عشر مقالات. كتاب المغاث في الطب. كتاب في الشراب . كتاب الاطعمة والاشربة . كتاب نهاية الاختصار في الطب. كتاب الكافي في الطب ويعرف ايضاً بكتاب القانون الصغير .

ابن أبي صادق

هو ابو القاسم عبد الرحمن بن علي بن احمد بن أبي صادق النيسابوري، طبيب فاضل بارع في العلوم الحكيمة، كثير الدراية للصناعة الطبية، له حرص بالغ في التطلع على كتب جالينوس، وما أودعه فيه من غوامض صناعة الطب وأسرارها، شديد الفحص عن اصولها وفروعها، وكان فصيحاً بليغ الكلام . وما فسر من كتب جالينوس فهو في نهاية الجودة والاتقان، كما وجدنا تفسيره كتاب منافع الاعضاء لجالينوس، فانه اجهد نفسه فيه، وأجاد في تلخيص معانيه، وهو ايضاً يقول في أوله . وأما نحن فقد حررنا معاني هذا الكتاب شرحاً للعويص، وحذفاً للزائد، ونظماً للمتشتت، وإضافة اليه مما وجدته من الزيادات في مصنفات جالينوس ومصنفات غيره من المحصلين في هذا الباب، ورتبنا كل مقالة تعليمياً تعليمياً، والحقنا بالآخر كل منها ما يقين به من تشريح عضو عضو يتضمن منافعه تلك المقالة، ليسهل على من اراد تشريح اي عضو كان او منافع اي جزء من اجزائه وجدانه. وكان فراغه من هذا الكتاب في سنة تسع وخمسين واربعمئة .

وحدثني بعض اطباء ان ابن ابي صادق كان قد اجتمع بالشيخ الرئيس ابن سينا وقرأ عليه وكان من جملة تلاميذه والآخذين عنه . وهذا لا استبعد بل هو اقرب الى الصحة، فان ابن ابي صادق لحق زمان ابن سينا وكان في بلاد العجم، وسمعة ابن سينا كانت عظيمة، وكذلك غزارة علمه وكثرة تلامذته وكان اكبر من ابن ابي صادق قدراً وسناً .

ولابن ابي صادق من الكتب : شرح كتاب المسائل في الطب لحنين بن اسحق . اختصار شرحه الكبير لكتاب المسائل لحنين . شرح كتاب الفصول لابن قراط، ووجد خطه على هذا الشرح بتاريخ سنة ستين واربعمئة على قراءة من قرأه عليه . شرح كتاب مقدمة المعرفة لابن قراط . شرح كتاب منافع الاعضاء لجالينوس، ووجدت الأصل من هذا الكتاب تاريخ الفراغ منه في سنة تسع وخمسين واربعمئة، موقعاً عليه بخط ابن ابي صادق ما هذا مثاله : بلغت المقابلة وصح ان شاء الله تعالى وبه الثقة . وكتب ابو القاسم بخطه حل شكوك الرازي على كتب جالينوس . كتاب التاريخ .

طاهر بن ابراهيم السجري

هو الشيخ ابو الحسين طاهر بن ابراهيم بن محمد بن طاهر السجري . كان طبيباً فاضلاً عالماً بصناعة الطب، متميزاً فيها خبيراً بأعمالها . وله من الكتب : كتاب ايضاح منهج بحجة العلاج، ألفه للقاضي ابي الفضل محمد بن حمويه .

كتاب في شرح البول والنبض . تقسيم كتاب الفصول لابن قراط .

ابن خطيب الري

هو الامام فخر الدين ابو عبدالله محمد بن العمر بن الحسين الرازي افضل المتأخرين وسيد الحكماء المحدثين ، قد شاعت سيادته ، وانتشرت في الآفاق مصنفاته وتلامذته ، وكان اذا ركب يمشي حوله ثلثمائة تلميذ فقهاء وغيرهم وكان خوارزمشاه يأتي اليه . وكان ابن الخطيب شديد الحرص جداً في سائر العلوم الشرعية والحكومية ، جيد الفطرة ، حاد الذهن ، حسن العبارة ، كثير البراعة ، قوي النظر في صناعة الطب ومباحثها ، عارفاً بالأدب ، وله شعر بالفارسي والعربي . وكان عبل^(١) البدن ، ربع القامة ، كبير اللحية . وكان في صوته فخامة ، وكان يخطب ببلده الري وفي غيرها من البلاد، ويتكلم على المنبر بأنواع من الحكمة ، وكان الناس يقصدونه من البلاد ، ويهاجرون اليه من كل ناحية على اختلاف مطالبهم في العلوم ، وتقننهم فيما يشتغلون به . فكان كل منهم يجد عنده النهاية القصوى فيما يرومه منه . وكان الامام فخر الدين قد قرأ الحكمة على مجد الدولة الجيلي بمراغة^(٢) ، وكان مجد الدين هذا من الافاضل العظماء في زمانه ، وله تصانيف جليلة . وحكى لنا القاضي شمس الدين الخوئي عن الشيخ فخر الدين انه قال : والله انني أتأسف في الفوات عن الاشتغال بالعلم في وقت الاكل ، فان الوقت والزمان عزيز . وحدثني محيي الدين قاضي مرند^(٣) قال : لما كان الشيخ فخر الدين بمروند ، أقام بالمدرسة التي كان ابي مدرستها، وكان يشتغل عنه بالفقه. ثم اشتغل بعد ذلك لنفسه بالعلوم الحكمية ، وتميز حتى لم يوجد في زمانه آخر يضاهيه، واجتمعت به ايضاً بهمدان وهراة، واشتغلت عليه قال: وكان لجلسه جلالة عظيمة، وكان يتعاضم حتى على الملوك، وكان اذا جلس للتدريس يكون قريباً منه جماعة من تلاميذه الكبار ، مثل زين الدين الكشي والقطب المصري وشهاب الدين النيسابوري ، ثم يليهم بقية التلاميذ وسائر الخلق على قدر مراتبهم ، فكان من يتكلم في شيء من العلوم يباحثونه أولئك التلاميذ الكبار ، فان جرى بحث مشكل أو معنى غريب شاركهم الشيخ فيما هم فيه ، وتكلم في ذلك المعنى بما يفوق الوصف .

وحدثني شمس الدين محمد الوثار الموصلية قال : كنت ببلد هراة في سنة (*) وستائة وقد قصدها الشيخ فخر الدين بن الخطيب من بلد باميان ، وهو في أبهة عظيمة وحشم كثير . فلما ورد اليها تلقاه السلطان بها ، وهو حسين بن خرمن ، وأكرمه اكراماً كثيراً ، ونصب له بعد ذلك منبراً وسجادة في صدر الديوان من الجامع بها ليجلس في ذلك الموضع ، ويكون له يوم مشهور يراه فيه سائر الناس ويسمعون كلامه . وكنت في ذلك اليوم حاضراً مع جملة الناس ، والشيخ فخر الدين في صدر الايوان، وعن جانبيه بمنة ويسرة صفان من مماليكه الترك متكئين على السيوف وجاء فيه السلطان حسين بن

(١) غليظ ابيض .

(٢) عاصمة اذربيجان الايرانية قديماً .

(٣) مدينة في اذربيجان قالت الاساطير الارمنية ان فيها قبر فرند زوجة نوح .

(*) بياض بالاصل .

خرمين صاحب هراة ^(١) فسلم ، وأمره الشيخ بالجلوس قريباً منه . وجاء اليه أيضاً السلطان محمود ابن أخت شهاب الدين الغوري صاحب فيروز كوه ^(٢) ، فسلم وأشار اليه الشيخ بالجلوس في موضع آخر قريباً منه من الناحية الاخرى . وتكلم الشيخ في النفس بكلام عظيم وفصاحة بليغة . قال وبينما نحن في ذلك الوقت واذا بمجامة في دائر الجامع ووراءها صقر يكاد ان يقتنصها وهي تطير في جوانبه الى أن أعيت ، فدخلت الايران الذي فيه الشيخ ، ومرت طائفة بين الصفيين الى ان رمت بنفسها عنده وبخت ، فذكر لي شرف الدين بن عنين انه عمل شعراً على البديع ، ثم نهض لوقته واستأذنه في أن يورد شيئاً قد قاله في المعنى فامره الشيخ بذلك فقال :

جاءت سليمان الزمان بشجوها والموت يلعب من جناحي خاطف
من نبا الورقاء ^(٣) أن محكم حرز ^(٤) وانك ملجأ للخائف

(الكامل)

فطرب لها الشيخ فخر الدين واستدناه وأجلسه قريباً منه ، وبعث اليه ، بعد ما قام من مجلسه ، خلة كاملة ودنانير كثيرة ، وبقي دائماً محسناً اليه . قال : لي شمس الدين الوثار لم ينشد قدامي لابن خطيب الري سوى هذين البيتين ، وانما بعد ذلك زاد فيها ابناً آخر . هذا قوله ، وقد وجدت الابيات المزايدة في ديوانه على هذا المثال .

يا ابن الكرام المطعمين اذا استوى في كل خمصة ^(٥) وثلج خاشف ^(٦)
العاصمين اذا النفوس تطايرت بين الصوارم والوشيج ^(٧) الراعف ^(٨)
من نبا الورقاء أن محكم حرم وانك ملجأ للخائف
وفدت اليك وقد قداني حتفها فحبوتها ببقائها المستأنف
أولو انها تحبى بمال لانتنت من راحتك بنائل متضاعف
جاءت سليمان الزمان بشجوها والموت يلعب من جناحي خائف
قرم لواه القوت حتى ظله بأزائه يجري بقلب راجف

(الكامل)

-
- (١) مدينة في افغانستان ينسبون بناءها الى الاسكندر
(٢) حصن في الجبال في غور افغانستان صار قاعدة لمملكة غور ثم خربه التتر .
(٣) الحماة او التي يضرب لونها الى الخضرة .
(٤) الموضع الحصين .
(٥) الجماعة .
(٦) جامد .
(٧) شجر الرماح او الرماح نفسها .
(٨) السائل منها الدم .

اقول ومما حكاه شرف الدين بن عنين انه حصل من جهة فخر الدين بن خطيب الري ويجاهه في بلاد المعجم نحو ثلاثين ألف دينار ، ومن شعره فيه قوله وسيرها اليه من نيسابور الى هراة .

ريح الشمال عساك ان تتحملي
وقفي بواديه المقدس وانظري
من دوحة فخريّة عمريّة
مكية الانساب زاك اصلها
واستمطري جدوى^(٢) يديه فطالما
نعم سحائبها تعود كما بدت
بجر تصدر للعلوم ومن رأى
ومشمر في الله يسحب للتقى
ماتت به بدع تمادى عمرها
فملا به الإسلام أرفع هضبة
غلط أمرو بابي علي قاسه
لو أن رسطاليس يسمع لفظه
ويحار بطليموس لو لاقاه من
فلو انهم جمعوا لديه تيقنوا
وبه يبيت الحلم معتصما اذا
يعفو عن الذنب العظيم تكريماً
أرضى الاله بفضلته ودفاعه
يا ايها المولى الذي درجاته
ما منصب إلا وقدرك فوقه
فتى اراد الله رفعة منصب
لا زال ربك للوفود محطة

خدمني الى الصدر الامام الافضل
نور الهدى متألّقا لا يأتلي
طابت مغارس مجدها المتأثل
وفروعها فوق السماك الاعزل^(١)
خلف الحيا^(٣) في كل عام محل
لا يعرف الوسمي^(٤) منها والولي^(٥)
بحراً تصدر قبله في محفل
والدين سربال^(٦) العفافه المسبل
دهراً وكاد ظلامها لا ينجلي
ورسا سواه في الخضيض الاسفل
هيئات قصر عن هداه ابو علي
من لفظه لعمرته هزة أفكل^(٧)
برهانه في كل شكل مشكل
ان الفضيلة لم تكن للاول
هزت رياح الطيش ركني يذبل^(٨)
ويجود مسؤولا وان لم يسأل
عن دينه وأقر عين المرسل
ترنو الى فلك الثوابت من عل
فبمجدك السامي يهني ماتلي
افضى اليك فتال أشرف منزل
أبدأ وجودك كهف كل مؤمل

(الكامل)

-
- (١) كوكب منير سمي بالاعزل لأنه ليس أمامه شيء .
(٢) عطية .
(٣) المطر .
(٤) اول مطر الربيع .
(٥) المطر يسقط بعد المطر .
(٦) القميص او كل ما يلبس .
(٧) المرتعد من خوف أو برد .
(٨) اسم جبل .

«ن . ر»

ويحدثني نجم الدين يوسف بن شرف الدين علي بن محمد الاسفزازي ، قال : كان الشيخ الامام ضياء الدين عمر والد الامام فخر الدين من الري وتفقه واشتغل بعلم الخلاف ^(١) والاصول حتى تميز تميزاً كثيراً وصار قليل المثل ، وكان يدرس بالري ويخطب في أوقات معلومة هنالك ، ويحتمع عنده خلق كثير لحسن ما يورده وبلاغته ، حتى اشتهر بذلك بين الخاص والعام في تلك النواحي . وله تصانيف عدة توجد في الاصول وفي الوعظ وغير ذلك ، وخلف ولدين أحدهما الامام فخر الدين والآخر وهو الاكبر سناً كان يلقب بالركن ، وكان هذا الركن قد شدا شيئاً من الخلاف والفقه والاصول ، إلا انه كان أهوج كثير الاختلال ، فكان أبداً لا يزال يسير خلف أخيه فخر الدين ، ويتوجه اليه في أي بلد قصده ، ويشنع عليه ، ويسفه المشتغلين بكتبه والناظرين في اقواله ، ويقول: ألسنت اكبر منه واعلم منه واكثر معرفة بالخلاف والاصول ؟ فما للناس يقولون فخر الدين ، فخر الدين ، ولا أسمعهم يقولون ركن الدين ؟ . وكان ربما صنف بزمه شيئاً ويقول هذا خير من كلام فخر الدين ويثلبه ^(٢) ، والجماعة يعجبون منه ، وكثير منهم يصفونه ويهزلون به . وكان الامام فخر الدين كلما بلغه شيء من ذلك صعب عليه ولم يؤثر أن أخاه بتلك الحالة ولا احد يسمع قوله . وكان دائم الاحسان اليه ، وربما سأله المقام في الري أو في غيره وهو يفتقده ويصله بكل ما يقدر عليه . فكان كلما سأله ذلك يزيد في فعله ولا ينتقل عن حاله . ولم يزل كذلك لا ينقطع عنه ، ولا يسكت عما هو فيه ، الى ان اجتمع فخر الدين بالسلطان خوارزمشاه ، وأنهى اليه حال أخيه وما يقاسي منه ، والتمس منه ان يتركه في بعض المواضع ويوصى عليه انه لا يمكن من الخروج والانتقال عن ذلك الموضع ، وان يكون له ما يقوم بكفايته وكل ما يحتاج اليه . فجعله السلطان في بعض القلاع التي له ، واطلق له اقطاعاً يقوم له في كل سنة بما مبلغه الف دينار ، ولم يزل مقيماً هنالك حتى قضى الله فيه أمره .

قال : وكان الامام فخر الدين علامة وقته في كل العلوم ، وكان الخلق يأتون اليه من كل ناحية ، ويخطب أيضاً بالري . وكان له مجلس عظيم للتدريس . فاذا تكلم بذ القائلين . وكان عبل البدن باعتدال ، عظيم الصدر والرأس ، كث اللحية . ومات وهو في سن الكهولة ، أشمط شعر اللحية . وكان كثيراً ما يذكر الموت ويؤثره ، ويسأل الله الرحمة ، ويقول : انني حصلت من العلوم ما يمكن تحصيله بحسب الطاقة البشرية ، وما يبيت أؤثر الا لقاء الله تعالى والنظر الى وجهه الكريم .

قال . وخلف فخر الدين ابنين الاكبر منها يلقب بضياء الدين ، وله اشتغال ونظر في العلوم ، والآخر وهو الصغير لقبه شمس الدين وله فطرة فائقة وذكاء خارق ، وكان كثيراً ما يصفه الامام فخر الدين بالذكاء ويقول إن عاش ابني هذا فانه يكون أعلم مني ، وكانت النجابة تتبين فيه من الصغر . ولما توفي الامام فخر الدين بقيت اولاده مقيمين في هراة ولقب ولده الصغير بعد

«١» العلم الذي يستدل فيه بامتناع احد النقيضين على تحقيق الآخر

«٢» يعيبه ويسبه

ذلك فخر الدين بلقب ابيه ، وكان الوزير علاء الملك العلوي متقلداً الوزارة للسلطان خوارزمشاه ، وكان علاء الملك فاضلاً متقناً العلوم والادب ، والشعر بالعربية والفارسية . وكان قد تزوج بابنة الشيخ فخر الدين ، ولما جرى ان جنكز خان^(١) ملك التتر قهر خوارزمشاه وكسره ، وقتل اكثر عسكره ، وفقد خوارزمشاه ، توجه علاء الملك قاصداً الى جنكز خان ومعنصاً به فلما وصل اليه اكرمه وجعله عنده من جملة خواصه . وعندما استولى التتر على بلاد المعجم وغربوا قلاعها ومدنها . وكانوا يقتلون في كل مدينة جميع من بها ولم يبقوا على أحد ، تقدم علاء الملك الى جنكز خان ، وقد توجهت فرقة من عساكره الى مدينة هراة ليخربوها ويقتلوا من بها ، فسأله ان يعطيه اماناً لاولاد الشيخ فخر الدين بن خطيب الري وان يحيثوا بهم مكرمين اليه ، فوهب لهم ذلك واعطاهم اماناً . ولما ذهب اصحابه الى هراة وشارفوا أخذها نادوا فيها بأن لاولاد فخر الدين بن الخطيب الامان فليعزلوا ناحية في مكان . ويكون هذا الامان معهم .

وكان في هراة دار الشيخ فخر الدين هي دار السلطنة ، كان خوارزمشاه قد اعطاها له وهي من اعظم دار تكون واكبرها وابهاها واكثرها زخرفة واحتفالاً ، فلما بلغ اولاد فخر الدين ذلك أقاموا بها مأمونين ، والتحق بهم خلق كثير من أهاليهم واقربائهم واعيان الدولة وكبراء البلد ، وجماعة كثيرين من الفقهاء وغيرهم ظناً ان يكونوا في امان لاتصلهم باولاد فخر الدين ، ولكونهم خصيصين بهم وفي دارهم ، وكانوا خلقاً عظيماً . فلما دخل التتر الى البلد وقتلوا من وجدوه بها وانتهوا الى الدار نادوا باولاد فخر الدين ان يروهم ، فلما شاهدوهم أخذوهم عندهم وهم ضياء الدين وشمس الدين واختهم . ثم شرعوا بسائر من كان في الدار فقتلهم عن آخرهم بالسيف . وتوجهوا باولاد الشيخ فخر الدين من هراة الى سمرقند^(٢) لان ملك التتر جنكز خان كان في ذلك الوقت بها وعنده علاء الملك قال : واست اعلم ما تم لهم بعد ذلك .

أقول : كانت اكثر مقام الشيخ فخر الدين بالري ، وتوجه أيضاً الى بلدة خوارزم ومرض بها وتوفي في عقابله ببلدة هراة ، وأمل في شدة مرضه وصية على تلميذه ابراهيم بن أبي بكر بن علي الاصفهاني ، وذلك في يوم الاحد الحادي والعشرين من شهر المحرم سنة ست وستائة . وامتد مرضه الى ان توفي يوم العيد غرة شوال من السنة المذكورة ، وانتقل الى جوار ربه رحمه الله تعالى . وهذه نسخة الوصية :

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الراجي رحمة ربه الوائق بكرم مولاه ، محمد بن عمر بن الحسين الرازي وهو في آخر

« ١ » ولد في اقليم دولون بلدق « ١١٥٥ - ١٢٢٧ » وهو مدني امبراطورية المغول العالمية وسلطان التتر . من اكبر جلادي العالم .

« ٢ » هي اليوم مدينة في الجمهورية الاربكية السوفياتية . وقد خربها قديماً جنكز خان . واستولى عليها تيمورلنك وجعل فيها كرسي ملكه وفيها قبره .

« ن . ر »

عهده بالدنيا واول عهده بالآخرة ، وهو الوقت الذي يلين فيه كل قاس ، ويثوجه الى مولاه كل ابق :
اني أحمد تعالى بالحمد التي ذكرها اعظم ملائكته في أشرف أوقات معارجهم ، ونطق بها أعظم
انبيائه في أكمل أوقات مشاهدتهم ؛ بل أقول كل ذلك من نتائج الحدوث والامكان . فأحمده بالحمد
التي تستحقها الوهيته ، ويستوجبها لكمال الموهبة ، عرفتها أو لم اعرفها لانه لا مناسبة للتراب مع
جلال رب الارباب ؛ واصلي على الملائكة المقربين ، والانبياء المرسلين ، وجميع عباد الله الصالحين .
ثم اقول بعد ذلك : اعلوا اخواني في الدين ، وأخذاني في طلب اليقين . ان الناس يقولون الانسان
اذا مات انقطع تعلقه عن الخلق ، وهذا العام مخصوص من وجهين : الاول انه ان بقي منه عمل صالح
صار ذلك سبباً للدعاء ، والدعاء له أثر عند الله . والثاني ما يتعلق بمصالح الاطفال والاولاد والعورات ،
وأداء المظالم والجنايات . اما الاول فاعلموا اني كنت رجلاً محباً للعلم فكنت اكتب في كل شي شيئاً
لا اقف على كمية وكيفية سواء كان حقاً أو باطلاً أو غثاً أو سميناً . إلا ان الذي نظرته في
الكتب المعتبرة لي ، ان هذا العالم المحسوس تحت تدبير مدبر منزّه عن بمائلة المتحيزات والاعراض ،
وموصوف بكمال القدرة والعلم والرحمة . ولقد اخترت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما
رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم ، لانه يسعى في تسليم العظمة والجلال
بالكلية لله تعالى ، ويمنع عن التعمق في ايراد المعارضات والمناقضات . وما ذاك الا العلم بأن العقول
البشرية تتلاشى وتضمحل في تلك المضايق العميقة ، والمناهج الخفية فلماذا اقول :

كلما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبرأته عن الشركاء في القدم والازلية ،
والتدبير والفعالية ، فذاك هو الذي أقول به وألقى الله تعالى به . واما ما انتهى الامر فيه الى الدقة
والغموض ، فكل ما ورد في القرآن والاخبار الصحيحة المتفق عليها بين الأئمة المنبعين للمعنى الواحد ،
فهو كما هو . والذي لم يكن كذلك اقول : يا الله العالمين اني ارى الخلق مطبقين على انك اكرم
الأكرمين وأرحم الراحمين ، فلك ما مر به قلبي أو خطر ببالي فاستشهد علمك . وأقول : ان علمت
مني اني اردت به تحقيق باطل أو ابطال حق فافعل بي ما أنا أهله ؛ وان علمت مني اني ما سمعت الا
في تقرير ما اعتقدت انه هو الحق ، وتصورت انه الصدق ، فلتكن رحمتك مع قصدي لا مع حاصلتي ،
فذاك جهد المقل ، وأنت اكرم من ان تضايق الضعيف الواقع في الزلة . فأغثني ، وارحمني ، واستر
زلي ، وامح حوبي ، يا من لا يزيد ملكه عرفان العارفين ، ولا ينتقص بخطأ الجرمين . وأقول : ديني
متابعة محمد سيد المرسلين وكتابي هو القرآن العظيم ، وتمويلي في طلب الدين عليها . اللهم يا سامع
الاصوات ، يا مجيب الدعوات ، وباقيل العثرات ، وبأرحم العبرات ، وبأقيام المحدثات
والممكنات . انا كنت حسن الظن بك ، عظيم الرجاء في رحمتك ؛ وأنت قلت . أنا عند ظن
العبد بي . وأنت قلت : أمن يجيب المضطر اذا دعاه . وأنت قلت : واذا سألك عبادي عني فاني
قريب . فهب أني ما جئت بشيء فأنت الغني الكريم ، وأنا المحتاج اللئيم . وأعلم انه ليس لي احد
سواك ، ولا اجد محسناً سواك ، وأنا معترف بالزلة والقصور ، والعيب والفتور ، فلا تخيب رجائي ،
ولا ترد دعائي ، واجعلني آمناً من عذابك قبل الموت وعند الموت وبعد الموت ، وسهل علي سكرات

الموت ، وخفف عني نزول الموت ، ولا تضيق علي بسبب الآلام والأسقام ، فأنت ارحم الراحمين .
وأما الكتب العلمية التي صنفتها او استكثرت من ايراد السؤالات على المتقدمين فيها ، فمن نظر في شيء منها فان طابت له تلك السؤالات فليذكرني في صالح دعائه ، على سبيل التفضل والانعام ، والا فليحذف القول السيء فاني ما أردت الا فكثير البحث وتشجيع الخاطر ، واعتمادي فيه على الله تعالى .
وأما المهم الثاني وهو اصلاح أمر الاطفال والعورات فاعتمادي فيه على الله تعالى ، ثم على نائب الله محمد . اللهم اجعله قرين محمد الاكبر في الدين والعلو ، إلا ان السلطان الاعظم لا يمكنه ان يشتغل باصلاح مهمات الاطفال ، فرأيت الأولى ان افوض وصاية اولادي الى فلان ، وأمرته بتقوى الله تعالى ، فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محستون .

وسرد الوصية الى آخرها ، ثم قال :

وأوصيه ثم أوصيه ثم أوصيه بان يبالغ في تربية ولدي ابي بكر . فان آثار الذكاء والفتنة ظاهرة عليه ، ولعل الله تعالى يوصله الى خير . وأمرته وأمرت كل تلامذتي وكل من عليه حق اني اذا مت يبالغون في اخفاء موتي ولا يخبرون احداً به ويكفونني ويدفنونني على شرط الشرع ، ويحملونني الى الجبل المصاقب لقرية مزداخان ، ويدفنونني هناك ، واذا وضعوني في اللحد قرأوا علي ما قدروا عليه من آيات القرآن ، ثم ينثرون التراب علي . وبعد الاتمام يقولون : يا كريم جاءك الفقير المحتاج فاحسن اليه . وهذا منتهى وصيتي في هذا الباب ، والله تعالى الفعال لما يشاء ، وهو على ما يشاء قدير ، وبالحسان جدير .

ومن شعر فخر الدين بن الخطيب أنشدني بديع الدين البندهي مما سمعه من الشيخ فخر الدين بن خطيب الري لنفسه فمن ذلك قال :

نهاية اقدام العقول عقلال	وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في عقلة من جسوننا	وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا	سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجال ودولة	فبادوا جميعا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها	رجال فزالوا والجبال جبال

(الطويل)

وأنشدني ايضاً قال ، انشدني المذكور لنفسه :

فلو قنعت نفسي بميسور بلغة ^(١)	لما سبقت في المكرمات رجالها
ولو كانت الدنيا مناسبة لها	لما استحققت نقصانها وكالها
ولا ارمق الدنيا بعين كرامة	ولا أتوقى سوءها واختلالها

«١» ما يكفي من العيش ولا يفضل .

وذلك لاني عارف بفنائها
أروم أموراً يصغر الدهر عندها
ومستيقن ترحالها وانحلالها
وتستعظم الافلاك طراً وصالها
(الطويل)

وأنشدني ايضاً قال ؛ انشدني المذكور لنفسه :
أرواحنا ليس تدري أين مذهبها
كون يرى فساد جاء يتبعه
وفي التراب توارى هذه الجثث
الله أعلم ما في خلقه عبث
(الطويل)

نظر الى قوله عز وجل : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا ترجعون » .
وأنشدني بعض الفقهاء للشيخ فخر الدين بن الخطيب في مخدومه علاء الدين علي خوارزم شاه حين
كسر الغوري قال :

الدين ممدود الرواق موطد
بعد علاء الدين والملك الذي
شمس يشق جبينه حجب السما
هو في الجحافل ان اثير غبارها
فاذا تصدر للسباح فانه
واذا تمنطق للكفاح رأيت
بالجهد أدرك ما أراد من العلى
أبقت مساعي أئمز بن محمد
أعد انعاماً علي عزيزة
أجرى رسايقه على عاداتها
ملك البلاد لمجده ويجهده
من نسل سابور^(٥) وداري^(٦) نجره^(٧)
خوارزم شاه جهان عشت فلا يرى
أفئدت أعداء الاله يسفل^{*} الماضي شياه على العداة مهند
والكفر محلول النطاق مبدد
أدنى خصائصه العلى والسودد
والليل قاري^(١) الدجنة أسود
أسد ولكن في المحافل سيد
في ضمن راحته الخضم^(٢) المزيدي
في طي لأمته^(٣) الهزبر^(٤) الملبد
لا يدرك العلياء من لا يجهد
سنناً تخيرها النبي محمد
والكثر لا يحصى فلست اعدد
خيل جياذ وهو منها اجود
فأطاعه الثقلان فهو مسود
صيد^(٨) الملوك وذاك عندي أصيد
لك في الزمان على الجياذ مفند

(١) نسبة الى القار وهو مادة سوداء تطل بها السفن قبل انها الزفت .

(٢) البحر العظيم .

(٣) الدرع (٤) الأسد (ن.ر)

(٥) اسم عدة ملوك من بني سابان ويقصد بها هنا من طيب المتمد .

(٦) اي داريوس وهم اسم ثلاثة ملوك من ملوك فارس من سلالة الاخمينيين .

(٧) الاصل والحسب .

(٨) واحدها أصيد وهو الشامخ برأسه كبراً وزهواً لا يلتفت تماظماً .

* هكذا في جميع النسخ واعتقد انها يجب ان تكون بسيفك .

أمروز تو ملك الزمان بأمره
لا شيء مثل علاك أنت الأوحـد
أشبهت ضحاك البلاد بسطوة
ترجى وتحشى جرح تو وتسعد
(الكامل)

اقول وللشيخ فخر الدين ايضاً اشعاراً كثيرة بالفارسي ودوييت .

ولفخر الدين بن الخطيب من الكتب : كتاب التيسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب ، اثنتا عشرة مجلدة بخطه الدقيق سوى الفاتحة ، فانه افرد لها كتاب تفسير الفاتحة مجلدة . تفسير سورة البقرة على الوجه العقلي لا النقلي مجلد . شرح وجيز الغزالي ، لم يتم حصل منه العبادات والنكاح في ثلاث مجلدات . كتاب الطريقة العلائية في الخلاف اربع مجلدات . كتاب لوايح البينات في شرح اسماء الله تعالى والصفات . كتاب المحصول في علم اصول الفقه . كتاب في ابطال القياس . شرح كتاب المفصل للزنجشيري في النحو لم يتم . شرح سقط الزند ، لم يتم . شرح نهج البلاغة ، لم يتم . كتاب فضائل الصحابة . كتاب مناقب الشافعي . كتاب نهاية العقول في دراية الأصول ، مجلدان . كتاب المحصل ، مجلد . كتاب المطالب العالية ، ثلاث مجلدات ، لم يتم ، وهو آخر ما ألف . كتاب الاربعين في اصول الدين . كتاب المعالم ، وهو آخر مصنفاته من الصغار . كتاب تأسيس التقديس ، مجلد ، ألفه للسلطان الملك العادل ابي بكر بن ايوب ، فبعث له عنه ألف دينار . كتاب القضاء والقدر . رسالة الحدوث . كتاب تعجيز الفلاسفة ، بالفارسية . كتاب البراهين البهائية ، بالفارسية . كتاب اللطائف الغيائية . كتاب شفاء العيى والخلاف . كتاب الخلق والبعث . كتاب الحسين في اصول الدين . كتاب عمدة الانظار وزينة الافكار . كتاب الأخلاق . كتاب الرسالة الصاحبية . كتاب الرسالة الحمديدية . كتاب عصمة الانبياء . كتاب الملخص . كتاب المباحث المشرقية . كتاب الاشارات في شرح الاشارات . كتاب لباب الاشارات . شرح كتاب عيون الحكمة . الرسالة الكمالية في الحقائق الالهية ، ألفها بالفارسية لكمال الدين محمد بن ميكائيل ، ووجدت شيخنا الامام العالم تاج الدين محمد الارموي قد نقلها الى العربي في سنة خمس وعشرين وستمائة بدمشق . رسالة الجوهر الفرد . كتاب الرعاية . كتاب في الرمل . كتاب مصادرات اقليدس . كتاب في الهندسة . كتاب نفثة المصدور . كتاب في ذم الدنيا . كتاب الاختبارات العلائية . كتاب الاختبارات السماوية . كتاب احكام الأحكام . كتاب الموسوم في السر المكتوم . كتاب الرياض المونقة . رسالة في النفس . رسالة في النبوات . كتاب الملل والنحل . منتخب كتاب دنكاوشا . كتاب مباحث الوجود . كتاب نهاية الایاز في دراية الاعجاز . كتاب مباحث الجدل . كتاب مباحث الحدود . كتاب الآيات البينات . رسالة في التنبية على بعض الاسرار المودعة في بعض سور القرآن العظيم . كتاب الجامع الكبير ، لم يتم . ويعرف ايضاً بكتاب الطب الكبير . كتاب في النبض ، مجلد . شرح كليات القانون ، لم يتم ، وألفه للحكيم ثقة الدين عبد الرحمن بن عبد الكريم السرخسي . كتاب التشريح من الرأس الى الحلق ، لم يتم . كتاب الاشربة . مسائل في الطب . كتاب الزبدة . كتاب الفراسة .

القطب المصري

هو الامام قطب الدين ابراهيم بن علي بن محمد السلمي ، وكان اصله مغربياً وانما انتقل الى مصر وأقام بها مدة ، ثم سافر بعد ذلك الى بلاد المعجم . واشتغل على فخر الدين بن خطيب الري واشتهر هناك ، وكان من اجل تلامذة ابن الخطيب وأميزهم . وصنف كتباً كثيرة في الطب والحكمة ، وشرح الكليات بأسرها من كتاب القانون لابن سينا . ووجدته في كتابه هذا يفضل المسيحي وابن الخطيب على الشيخ ابي علي بن سينا ، وهذا نص قوله قال :

والمسيحي اعلم بصناعة الطب من الشيخ ابي علي فان مشايخنا كانوا يرجحونه على جمع عظيم من هم افضل من ابي علي في هذا الفن . وقال ايضاً : وعبرة المسيحي اوضح وأبين مما قاله الشيخ وغرضه في كتبه تقييد العبارة من غير فائدة . وقال في تفضيل ابن الخطيب على الشيخ الرئيس : فهذا مما تتخل من كلام الامامين العظميين الامام المتقدم ، والامام المتأخر عنه زماناً ، الراجح عليه علماً وعملاً واعتقاداً ومذهباً . وقتل القطب المصري بمدينة نيسابور ، وذلك عندما استولى التتر على بلاد المعجم وقتلوا اهلها ، فكان من جملة القتلى بنيسابور .

وللقطب المصري من الكتب : شرح الكليات من كتاب القانون للشيخ الرئيس ابن سينا .

السموأل

هو سموأل بن يحيى بن عباس المغربي ، كان فاضلاً في العلوم الرياضية عالماً بصناعة الطب ، وأصله من بلاد المغرب ، وسكن مدة في بغداد ، ثم انتقل الى بلاد المعجم ولم يزل بها الى آخر عمره ، وكان ابوه ايضاً يشدو شيئاً من علوم الحكمة ، ونقلت من خط الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي قال : هذا سموأل شاب بغدادى كان يهودياً ثم اسلم ، ومات شاباً بمرافة وبلغ في العدديات مبلغاً لم يصله احد في زمانه . وكان حاد الذهن جداً ، بلغ في الصناعة الجبرية الغاية القصوى . وأقام بديار بكر وأذربيجان ، وله رسائل في الجبر والمقابلة يرد فيها على ابن الخشاب النحوي . وذلك ان ابن الخشاب كان معاصره ، وكان لابن الخشاب مشاركة في الحساب ، ونظر في الجبر والمقابلة . وقال صاحب جمال الدين بن القفطي ان سموأل هذا لما اتى الى المشرق ارتحل منه الى آذربيجان ، وخدم بيت البهلوان وامراء دولتهم . وأقام بمدينة المراغة وأولد اولاداً هناك سلكوا طريقته في الطب . وارتحل الى الموصل وديار بكر واسلم فحسن اسلامه ، وصنف كتاباً في اظهار معايب اليهود ، وكذب دعاويهم في التوراة ومواضع الدليل على تبديلها ، واحكم ما جمعه في ذلك ، ومات بالمراغة قريباً من سنة سبعين وخمسةائة .

وللسموأل بن يحيى بن عباس المغربي من الكتب : كتاب المفيد الاوسط في الطب صنفه في سنة

اربع وستين وخمسمائة ببغداد للوزير مؤيد الدين ابي اسمعيل الحسين بن محمد بن الحسن بن علي . رسالة الى ابن خلدون في مسائل حسابية جبر ومقابلة . كتاب اعجاز المهندسين ، صنفه لنجم الدين ابي الفتح شاه غازي ملك شاه بن طغرل بك ، وفرغ من تصنيفه في صفر سنة سبعين وخمسمائة . كتاب الرد على اليهود . كتاب القوامي في الحساب الهندي ، ألفه في سنة ثمان وستين وخمسمائة . كتاب المثلث القائم الزاوية ، وقد احسن في تمثيله وتشكيله ، صنفه لرجل من اهل حلب يدعى الشريف . كتاب المنبر في مساحة اجسام الجواهر المختلطة لاستخراج مقدار مجهولها . كتاب في المياه .

بدر الدين محمد بن بهرام بن محمد القلانسي السمرقندي

مجيد في صناعة الطب ، وله عناية بالنظر في معالجات الامراض ومداواتها . وله من الكتب : كتاب الاقرباذين ، وهو تسعة واربعون باباً قد استوعب فيه ذكر ما يحتاج اليه من الادوية المركبة ، وجمع اكثر ذلك من الكتب المعتمد عليها كثيراً مثل القانون ، والحايي والكامل ، والمنصوري ، والذخيرة ، والكفاية ؛ وذكر انه قد اورد مع ذلك ايضاً ذرواً من نسخ الامام العالم قوام الدين صاعد المني ومن نسخ الامام شرف الزمان المابرسامي .

نجيب الدين ابو حامد محمد بن علي بن عمر السمرقندي

طبيب فاضل بارع وله كتب جليلة وتصانيف مشهورة ، وقتل مع جملة الناس الذين قتلوا بمدينة هراة لما دخلها التتر ، وكان معاصراً لفخر الدين الرازي بن الخطيب . ولنجيب الدين السمرقندي من الكتب : كتاب اغذية المرضى وقسمه على حسب ما يحتاج اليه في التغذية لكل واحد من سائر الامراض . كتاب الاسباب والعلامات ، جمعه لنفسه ونقله من القانون لابي علي بن سينا ، ومن المعالجات البقراتية وكامل الصناعة . كتاب الاقرباذين الكبير . كتاب الاقرباذين الصغير .

الشريف شرف الدين اسمعيل

كان طبيباً عالي القدر ، وافر العلم ، وجيهاً في الدولة . وكان في خدمة السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه . وله منه الانعام الوافر والمرتبة المكيمة . وكان له مقرر على السلطان في كل شهر ألف دينار ، وكانت له معالجات بديعة وآثار حسنة في صناعة الطب . وتوفي في ايام خوارزمشاه بمدينة * بعد ان عمر . وله من الكتب : كتاب الذخيرة الخوارزم شاهية في الطب ، بالفارسي ، اثنا عشر مجلداً . كتاب الاغراض في الطب ، بالفارسي : مجلدان . كتاب يادكار في الطب ، بالفارسي ، مجلد ألفه لخوارزم شاه .

* يباي بالاصل .

الباب الثاني عشر

طبقات الأطباء الذين كانوا من الهند

كنكه الهندي

حكيم بارع من متقدمي حكماء الهند^(١) وأكبرهم ، وله نظر في صناعة الطب وقوى الأدوية وطبائع المولدات وخواص الموجودات ، وكان من اعلم الناس بهيئة العالم وتركيب الافلاك وحركات النجوم . وقال أبو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي في كتاب الالوف : ان كنكه هو المقدم في علم النجوم عند جميع العلماء من الهند في سالف الدهر . ولكنكه من الكتب : كتاب النموذار في الاعمار . كتاب اسرار المواليد . كتاب القرائات الكبير . كتاب القرائات الصغير . كتاب الطب وهو يجري مجرى كناش . كتاب في التوم . كتاب في احداث العالم والدور في القران .

صنجهل

كان من علماء الهند وفضلائهم الخبيرين بعلم الطب والنجوم . ولصنجهل من الكتب : كتاب المواليد الكبير . وكان من بعد صنجهل الهندي جماعة في بلاد الهند ولهم تصانيف معروفة في صناعة الطب وفي غيرها من العلوم مثل باكر ، راحه ، صكة ، داهر ، انكرز نكل ، جبهر ، اندي ، جاري ، كل هؤلاء اصحاب تصانيف ، وهم من حكماء الهند واطبائهم ولهم الاحكام الموضوعة في علم النجوم ، والهند تشتغل بمؤلفات هؤلاء فيما بينهم ويقتدون بها ويتناقلونها وقد نقل كثير منها الى اللغة العربية . ووجدت الرازي قد نقل في كتابه الحاوي وفي غيره عن كتب جماعة من الهند مثل كتاب شرك الهندي وهذا الكتاب فسر عبد الله بن علي من الفارسي الى العربي لانه أولاً نقل من الهندي الى الفارسي ؛ وعن

كتاب سسرده ، وفيه علامات الادواء ومعرفة علاجها وادويتها وهو عشر مقالات ، أمر يحيى بن خالد بتفسيره ؛ وكتاب بدان في علامات أربعمائة وأربعة أدواء ومعرفتها بغير علاج ؛ وكتاب سندھشان وتفسيره ؛ كتاب صورة النجح ؛ وكتاب فيما اختلف فيه الهند والروم في الحار والبارد وقوى الادوية وتفصيل السنة ؛ وكتاب تفسير اسماء العقار باسماء عشرة ؛ وكتاب اسانكر الجامع ؛ وكتاب علاجات الحبالى للهند ؛ وكتاب مختصر في العقاقير للهند ؛ وكتاب نوفشل ، فيه مائة داء ومائة دواء ؛ وكتاب روسي الهندية في علاجات النساء ؛ وكتاب السكر للهند ؛ وكتاب رأي الهندي في أجناس الحيات وسمومها ؛ وكتاب التوم في الامراض والعلل لابي قبيل الهندي .

شاناقي

ومن المشهورين ايضاً من اطباء الهند شاناقي . وكانت له معالجات وتجارب كثيرة في صناعة الطب وثفنن في العلوم وفي الحكمة ، وكان بارعاً في علم النجوم حسن الكلام متقدماً عند ملوك الهند . ومن كلام شاناقي قال في كتابه الذي سماه منتحل الجواهر :

يا ايها الوالي اتق عثرات الزمان ، واخش تسلط الامام ولوعة غلبة الدهر . واعلم ان الاعمال جزاء ، فاتق عوائق الدهر والايام فان لها غدرات ، فكن منها على حذر ؛ والاقدار منيبات فاستعد لها ، والزمان منقلب فاحذر دولته ، لئيم الكرة فخف سطوته ، سريع الغرة فلا تأمن دولته . واعلم أن من لم يداو نفسه من سقام الآثام في أيام حياته فما أبعد من الشفاء في دار لا دواء لها ، ومن أذل حواسه واستبعد لها فيما تقدم من خير لنفسه أبان فضله وأظهر نبيله ، ومن لم يضبط نفسه وهي واحدة لم يضبط حواسه وهي خمس . فاذا لم يضبط حواسه مع قلتها وذلتها صعب عليه ضبط الأعوان مع كثرتهم وخشونة جانبهم ، فكانت عامة الرعية في أقاصي البلاد وأطراف المملكة أبعد من الضبط .

ولشاناقي من الكتب : كتاب السموم ، خمس مقالات ، فسرّه من اللسان الهندي الى اللسان الفارسي منكّه الهندي ، وكان المتولي لنقله بالخط الفارسي رجل يعرف بابي حاتم البلخي فسرّه ليحيى بن خالد ابن برمك ؛ ثم نقل للأمون على يد العباس بن سعيد الجريري مولاه ، وكان المتولي قراءته على المأمون . كتاب البيطرة . كتاب في علم النجوم . كتاب المنتحل الجواهر ، وألفه لبعض ملوك زمانه ، وكان يقال لذلك الملك ابن قانص الهندي .

جودر

حكيم فاضل من حكماء الهند وعلمائهم متميز في أيامه ، وله نظر في الطب وتصانيف في العلوم الحكمة .

وله من الكتب : كتاب المواليده ، وهو قد نقل الى العربي .

منكه الهندي

كان عالماً بصناعة الطب حسن المعالجة ، لطيف التدبير فيلسوفاً، من جملة المشار اليهم في علوم الهند متقناً للغة الهند ولغة الفرس ، وهو الذي نقل كتاب شاناك الهندي في السموم من اللغة الهندية إلى الفارسي وكان في أيام الرشيد هرون ، وسافر من الهند الى العراق في أيامه ، واجتمع به وداواه .

ووجدت في بعض الكتب ان منكه الهندي كان في جملة اسحق بن سليمان بن علي الهاشمي ، وكان ينقل من اللغة الهندية الى الفارسية والعربية . ونقلت من كتاب « أخبار الخلفاء والبرامكة » : ان الرشيد اعتل علة صعبة فعالجه الاطباء فلم يجد من علته افاقة . فقال له أبو عمر الاهجمي بالهند طبيب يقال له منكه ، وهو أحد عبادهم وفلاسفتهم ، فلو بعث اليه أمير المؤمنين فلعل أن يهب له الشفاء على يده . قال فوجه الرشيد من حمله ووصله بصلة تعينه على سفره ، فقدم وعالج الرشيد فبرأ من علته بعلاجه . فأجرى عليه رزقاً واسعاً وأموالاً كافية . قال ، فبينما منكه ماراً في الحشد اذا هو برجل من المائتين قد بسط كسائه وألقى عليه عقاقير كثيرة ، وقام يصف دواءً عنده ، فقال في صفته هذا دواء للحمى الدائمة وحمى الغب^(١) وحمى الربع^(٢) ولوجع الظهر والركبتين والحام والبواسير^(٣) والرياح ووجع المفاصل ووجع العينين، ولوجع البطن والصداع والشقيقة^(٤) ولتقطير البول والفالج والارتعاش ، ولم يدع علة في البدن إلا ذكر ان ذلك الدواء شفاؤها . فقال منكه لترجمانه : ما يقول هذا ؟ فترجم له ما سمع فتبسّم منكه وقال : على كل حال ملك العرب جاهل ، وذلك انه ان كان الامر على ما قال هذا ، فلم حلني من بلدي وقطعتني عن أهلي وتكلف الغليظ من مؤونتي وهو يجد هذا نصب عينه وبازائه ؟ وان كان الامر ليس كما يقول هذا فلم لا يقتله ؟ فان الشريعة قد أباحت دم هذا ومن اشبهه ، لأنه ان قُتل ما هي الا نفس تحيا بفنائها أنفس خلق كثير ، وان ترك وهذا الجهل قتل في كل يوم نفساً . وبالبحري أن يقتل اثنين وثلاثة وأربعة في كل يوم ، وهذا فساد في الدين ورهن في المملكة

صالح بن بهلة الهندي

تميز من علماء الهند ، وكان خبيراً بالمعالجات التي لهم ، وله قوة وانذارات في تقدمه المعرفة . وكان بالعراق في أيام الرشيد هارون . قال أبو الحسن يوسف بن ابراهيم الحاسب المعروف بابن الداية : حدثني أحمد بن رشيد الكاتب ، مولى سلام الابرش ، ان مولاه حدثه ، ان الموائد قدمت بين يدي الرشيد في بعض الايام وجبرائيل بن مجتئشوع غائب ، فقال لي أحمد قال ابو سلمة ، يعني مولاه .

(١) التي تنوب يوماً بعد يوم .

(٢) هي التي تغيب ثلاثة ايام وتأتي في الرابع .

(٣) داء في المقعدة مسبب عن غدد العروق فيها يحدث نزفاً دموياً .

(٤) وجع يصيب نصف الرأس .

فأمرني أمير المؤمنين بطلب جبرائيل ليحضر أكله على عادته في ذلك ، فلم أَدع منزلاً من منازل الولد ، ومن كان يدخل اليه جبرائيل من الحرم الا طلبته فيه ، ولم أَقع له على أثر . فاعلمت امير المؤمنين بذلك ، فطفق يلعنه ويقذفه ، اذ دخل عليه جبرائيل والرشيدي على تلك الحال من قذفه ولعنه . فقال له : لو اشتغل أمير المؤمنين بالبكاء على ابن عمه ابراهيم بن صالح ، وترك ما فيه من تناولي بالسب كان أشبه . فسأله عن خبر ابراهيم ، فاعلمه أنه خلفه وبه رمق ينقضي بآخرة وقت صلاة العتمة ، فاشتد جزع الرشيدي لما اخبره به وأقبل على البكاء . وأمر برفع الموائد فرفعت ، وكثر ذلك منه حتى رحمه بما نزل به جميع من حضر .

فقال جعفر بن يحيى يا أمير المؤمنين : ان طب جبرائيل طب رومي وصالح بن بهلة الهندي في العلم بطريقة أهل الهند في الطب مثل جبرائيل في العلم بمقالات الروم ، فان رأى أمير المؤمنين ان يأمر باحضاره وتوجيهه الى ابراهيم بن صالح لنفهم عنه ما يقول مثل ما فهمنا عن جبرائيل ، فعل . فأمر الرشيدي جعفرأ باحضاره وتوجيهه والمصير به اليه ، وردده بعد منصرفه من عنده ، ففعل ذلك جعفر ، ومضى صالح الى ابراهيم حتى عاينه وجس عرقه وصار الى جعفر وسأله عما عنده من العلم ، فقال لست اخبر بالخبر غير أمير المؤمنين ، فاستعمل جعفر بجهوده بصالح ان يخبره بجملة من الخبر فلم يجبه الى ذلك . ودخل جعفر على الرشيدي فاخبره بحضور صالح وامتناعه عن اخباره بما عاين ، فامر باحضار صالح ، فدخل ثم قال : يا أمير المؤمنين أنت الامام ، وعاقده ولاية القضاء للحكام ، ومها حكمت به لم يجر لحاكم فسخه ، وأنا أشهدك يا أمير المؤمنين وأشهد على نفسي من حضرك ان ابراهيم ابن صالح ان توفي في هذه الليلة أو في هذه العلة ان كل مملوك لصالح بن بهلة احرار لوجه الله ، وكل دابة له فحبيس في سبيل الله ؛ وكل مال له فصدقة على المساكين ، وكل امرأة له فطالق ثلاثاً بتاتاً . فقال له الرشيدي : حلفت ويحك يا صالح على غيب . فقال صالح : كلا يا أمير المؤمنين ، انما الغيب ما لا علم لاحد به ، ولا دليل له عليه ، ولم أقل ما قلت الا بعلم واضح ودلائل بينة . قال أحمد بن رشيد ، قال لي أبو سلمة : فسري عن الرشيدي ما كان يحيد وطعم ، واحضر له الشراب فشرب . ولما كان وقت صلاة العتمة ورد كتاب صاحب البريد بمدينة السلام يخبر بوفاة ابراهيم بن صالح على الرشيدي فاسترجع وأقبل على جعفر بن يحيى باللوم في ارشاده اياه الى صالح بن بهلة . وأقبل يلعن الهند وطبهم ويقول واسوءناه من الله ان يكون ابن عمي يتجرع غصص الموت ، وأنا اشرب النبيذ ! ثم دعا برطل من النبيذ بالماء وألقى فيه شيئاً من ملح ، وأخذ يشرب ويتقيأ حتى قذف ما كان في جوفه من طعام وشراب ، وبكر الى دار ابراهيم فقص خدمه بالرشيدي الى رواق على مجالس لابراهيم على يمين الرواق ويساره فراشان بكراسيها ومتكئاتها ومساند هما ، وفيما بين الفراشين نمارق فلتكأ الرشيدي على سيفه ووقف وقال : لا يحسن الجلوس في المصيبة بالاحبة من الاهل على أكثر من البسط ، ارفعوا هذه الفرش والنارقي ففعل ذلك الفراشون وجلس الرشيدي على البساط ، فصارت سنة لبني العباس من ذلك اليوم ، ولم تكن قبله ، ووقف صالح بن بهلة بين يدي الرشيدي فلم يناطقه احد الى أن سطعت روائح الحمام ، فصاح عند ذلك صالح : الله الله يا أمير المؤمنين ان تحم علي بطلاق زوجتي فتزوجه

غيري وأنا رب الفرج المستحق له ، وتنكحها من لا تحل له ، والله الله ان تخرجني من نعمتي ولم يلزمني حنث ، والله الله ان تدفن ابن عمك حياً ، فوالله يا أمير المؤمنين ما مات ، فاطلق لي الدخول عليه والنظر اليه ؛ وهتف بهذا القول مرات ، فاذن له بالدخول على ابراهيم وحده .

قال أحمد ، قال لي ابو سلمة : فاقبلنا نسمع صوت ضرب بدن بكف ، ثم انقطع عنا ذلك الصوت ، ثم سمعنا تكبيراً فخرج الينا صالح وهو يكبر ثم قال : قم يا أمير المؤمنين حتى أريك عجباً . فدخل اليه الرشيد وأنا ومسرور الكبير ، وأبو سليم معه ، فاخرج صالح ابرة كانت معه فادخلها بين ظفر ايهام يده اليسرى ولحمه ، فجذب ابراهيم بن صالح يده وردها الى بدنه . فقال صالح يا أمير المؤمنين هل يحس الميت بالوجع ؟ فقال الرشيد : لا ، فقال له صالح : لو شئت ان يكلم أمير المؤمنين الساعة لكلمه . فقال له الرشيد : فأنا أسألك ان تفعل ذلك ! فقال : يا أمير المؤمنين أخاف ان عاجلته وأفاق وهو في كفن فيه رائحة الخنوط ان ينصدع قلبه فيموت موتاً حقيقياً ، فلا يكون لي في احيائه حيلة ، ولكن يا أمير المؤمنين تأمر بتجريدته من الكفن ورده الى المغتسل واعادة الغسل عليه حتى تزول رائحة الخنوط عنه ، ثم يلبس مثل ثيابه التي كان يلبسها في حال صحته وعلته ، ويطيب بمثل ذلك الطيب ويحول الى فراش من فرشه التي كان يجلس وينام عليها ، حتى أعالجه بحضرة أمير المؤمنين ، فانه يكلمه من ساعته . قال احمد ، قال ابو سلمة : فوكلي الرشيد بالعمل بما حده صالح ، ففعلت ذلك . ثم صار الرشيد وأنا معه ومسرور وأبو سليم رصالح الى الموضع الذي فيه ابراهيم ، ودعا صالح بن بهلة بكندس^(١) ومنفخة من الخزانة ونفخ من الكندس في انفه فمكت مقدار ثلث ساعة ، ثم اضطرب بدنه وعطس وجلس قدام الرشيد ، وقبل يده وسأله عن قصته ، فذكر انه كان قائماً نوماً لا يذكر انه نام مثله قط طيباً إلا انه رأى في منامه كلباً قد أهوى اليه فتوقاه بيده ، فعض ايهام يده اليسرى عضه انتبه وهو يحس وجعها ، وأراه ايهامه التي كان صالح ادخل فيها الابرّة . وعاش ابراهيم بعد ذلك دهرأ ثم تزوج العباسة بنت المهدي ، وولي مصر وفلسطين وتوفي بمصر وقبره بها .

الباب الثالث عشر

طبقات الأطباء الذين ظهروا في بلاد المغرب وأقاموا بها

اسحق بن عمران

طبيب مشهور وعالم مذكور ويعرف باسم ساعة . وقال سليمان بن حسان المعروف بابن جليجل : ان اسحق بن عمران مسلم النحلة ، وكان بغدادى الاصل ، ودخل افريقية في دولة زيادة الله بن الاغلب التميمي^(١) وهو استجلبه وأعطاه شروطاً ثلاثة لم يف له باحداها . بعث اليه عند وروده عليه راحلة أقلته وألف دينار لنفقته ، وكتاب امان بخط يده انه متى أحب الانصراف الى وطنه انصرف . وبه ظهر الطب بالمغرب وعرفت الفلسفة . وكان طبيباً حاذقاً متميزاً بتأليف الادوية المركبة بصيراً بتفرقة العلل ، أشبه الاوائل في علمه وجودة قريحته . استوطن القيروان^(٢) حيناً ، وألف كتباً منها كتابه المعروف بنزهة النفس ، وكتابه في داء المالنخوليا لم يسبق الى مثله ، وكتابه في الفصد ، وكتابه في النبض .

ودارت له مع زيادة الله بن الاغلب محنة اوجبت الوجدة بينهما ، حتى صلبه ابن الاغلب . وكان اسحق قد استأذنه في الانصراف الى بغداد فلم يأذن له ، وكان اسحق يشاهد اكل ابن الاغلب فيقول له : كل هذا ، ودع هذا . حتى ورد على ابن الاغلب حدث يهودي اندلسي فاستقر به وخف عليه ، وأشهده اكله فكان اسحق اذا قال له اترك هذا لا تأكله قال الاسرائيلي يصعب عليك . وكان بابن الاغلب علة اللسمة ، وهي ضيق النفس ، فقدم بين يديه لبناً مريباً فهم بأكله ، فنهاه اسحق ، وسهل عليه الاسرائيلي ، فوافقه بالاكل فمرض له في الليل ضيق النفس

(١) من ملوك الاغالبه السليين (٨١٧ - ٨٣٨) قاعدة حكمه القيروان . وهو الذي بنى جامع القيروان الشهير . وغزا مرات عديدة الشواطىء الاروروبية .

(٢) مدينة في تونس مشهورة بمسجدها كانت عاصمة افريقيا وبلغت اوج عزها على ايام الملوك الاغالبه (ن.ر)

حتى اشرف على الهلاك ، فارسل الى اسحق . وقيل له هل عندك من علاج ؟ فقال قد نهيته فلم يقبل مني ، ليس عندي علاج . فقيل لاسحق هذه خمسمائة مثقال وعالجه فأبى حتى بلغ الى ألف مثقال ، فأخذها وأمر باحضار الثلج وأمره بالاكل منه حتى تملأ ، ثم قيأه فخرج جميع اللبن قد تجبن ببرد الثلج . فقال اسحق : ايها الامير لو دخل هذا اللبن الى أنابيب رثتك ولحج^(١) فيها اهلكك بضيقه النفس ، لكنني اجهدته وأخرجته قبل وصوله . فقال زيادة الله : باع اسحق روحي في البدء اقطعوا رزقه . فلما قطع عنه الرزق خرج الى موضع فسيح من رحاب القيروان ، ووضع هنالك كرسيًا ودواة وقراطيس فكان يكتب الصفات كل يوم بدنانير . فقيل لزيادة الله عرضت لاسحق الغنى ، فأمر بضمه الى السجن ، فقبضه الناس هنالك . ثم أخرجه بالليل الى نفسه وكانت له معه حكايات ومعانيات احفنته عليه لفرط جوروه وسخف رأيه . فأمر بفصده في ذراعيه جميعاً وسال دمه حتى مات ثم أمر به فصلب ومكث مصلوباً زمناً طويلاً حتى عشن في جوفه طائر . وكان مما قال لزيادة الله في تلك الليلة : والله انك لتدعى بسيد العرب ، وما أنت لها بسيد ، ولقد سقيتك منذ دهر دواء ليفعلن في عقلك ، وكان زيادة الله مجنوناً فتمخل ومات .

ولاسحق بن عمران من الكتب : كتاب الادوية المفردة . كتاب العنصر والتمام في الطب . مقالة في الاستسقاء . مقالة وجيزة كتب بها الى سعيد ابن توفيل المتطبب في الابانة عن الاشياء التي يقال انها تشفي الاسقام ، وفيها يكون البرء ، مما أراد تحافه به من نوادر الطب ولطائف الحكمة . كتاب نزهة النفس . كتاب في المالنخوليا . كتاب في الفصد . كتاب في النبض . مقالة في علل القولنج وأنواعه وشرح أدويته وهي الرسالة التي كتب بها الى العباس وكيل ابراهيم بن الاغلب . كتاب في البول من كلام ابقراط وجالينوس وغيرهما . كتاب جمع فيه أقاويل جالينوس في الشراب . مسائل له مجموعة في الشراب على معنى ما ذهب اليه ابقراط وجالينوس في المقالة الثالثة من كتاب تدبير الامراض الحادة وما ذكر فيها من الحمر . كلام له في بياض المعدة ورسوب البول وبياض المنى .

اسحق بن سليمان

الاسرائيلي ، كان طبيباً فاضلاً بليغاً عالماً مشهوراً بالحدق والمعرفة ، جيد التصنيف عالي الهممة ، ويكنى أبا يعقوب . وهو الذي شاع ذكره وانتشرت معرفته بالاسرائيلي . وهو من أهل مصر ، وكان يكحل من أوليته . ثم سكن القيروان ولازم اسحق بن عمران وتلمذ له . وخدم الامام أبا محمد عبيد الله المهدي^(١) صاحب افريقية بصناعة الطب . وكان اسحق ابن سليمان مع فضله في صناعة الطب بصيراً بالمنطق ، متصرفاً في ضروب المعارف . وعمر عمراً طويلاً الى ان نيف على مائة سنة ،

(١) نشب .

(٢) اول الخلفاء الفاطميين (٩٠٩ - ٩٣٤) هاجر من سلبه حمص الى المغرب واعلن عن نفسه انه المهدي وطرد منها الاغلبة وفتح مصر والشام ومراكش . وغزا مالطة وصقلية وسردينيا والباليار . وهو الذي اسس في القيروان عاصمته المهديّة .

ولم يتخذ امرأة ولا أعقب ولداً. وقيل له أيسرك ان لك ولداً؟ قال: اما اذا صار لي كتاب الحيات، فلا . يعني ان بقاء ذكره بكتاب الحيات أكثر من بقاء ذكره بالولد .

ويروى انه قال : لي أربعة كتب تحمي ذكري أكثر من الولد وهي كتاب الحيات ، وكتاب الاغذية والادوية وكتاب البول ، وكتاب الاسطقسات وتوفي قريباً من سنة عشرين وثلثمائة .

وقال أحمد بن ابراهيم بن أبي خالد المعروف بابن الجزار ^(١) في كتاب « أخبار الدولة » يعني ابتداء دولة الامام أبي محمد عبيد الله المهدي الذي ظهر من المغرب: حدثني اسحق بن سليمان المتطبب قال : لما قدمت من مصر على زيادة الله بن الاغلب وجدته مقبياً بالجيش في الأريس فرحلت اليه ، فلما بلغه قدومي وقد كان بغث في طلي وأرسل إلي بخمسمائة دينار وتقويت بها على السفر ، فأدخلت اليه ساعة وصولي فسلمت بالامرة، وفعلت ما يجب ان يفعل للملوك من التعبد ، فرأيت مجلسه قليل الوقار والغالب عليه حب الله، وكل ما حرك الضحك. فابتدأني بالكلام ابن خنيس المعروف باليوناني فقال لي: تقول ان الملوحة تجلو؟ قلت : نعم . قال: وتقول ان الحلاوة تجلو؟ قلت: نعم. قال لي: فالحلاوة هي الملوحة، والملوحة هي الحلاوة فقلت : ان الحلاوة تجلو بلطف وملازمة ، والملوحة تجلو بعنف . فتأدى على المكابرة وأحب المغالطة . فلما رأيت ذلك قلت له : تقول أنت حي؟ قال : نعم . قلت : والكلب حي؟ قال : نعم . قلت : فأنت الكلب والكلب انت . فضحك زيادة الله ضحكاً شديداً ، فعلت ان رغبته في الهزل اكثر من رغبته في الجد . قال اسحق : فلما وصل ابو عبد الله ^(٢) داعي المهدي الى رقادة ^(٣) ادناي وقرب منزلي ، وكانت به حصاة في الكلى ، وكنت اعالجه بدواء فيه العقارب المحرقة . فجلست ذات يوم مع جماعة من كتامة ^(٤) فسألوني عن صنوف من العلل ، فكلما أجبتهم فلم يفقهوا قولي . فقلت لهم : انما أنتم بقر وليس معكم من الانسانية الا الاسم . فبلغ الخبر الى ابي عبد الله فلما دخلت اليه قال لي : تقابل اخواننا المؤمنين من كتامة بما لا يجب ، وبالله الكريم لولا انك عذرك بانك جاهل بحقهم ، وبقدر ما صار اليهم من معرفة الحق وأهل الحق لأضرب عنقك . قال لي اسحق: فرأيت رجلاً شأنه الجد فيما قصد اليه وليس للهزل عنده سوق .

ولاسحق بن سليمان من الكتب : كتاب الحيات ، خمس مقالات ، ولم يوجد في هذا المعنى كتاب أجود منه ، ونقلت من خط ابي الحسن علي بن رضوان عليه ما هذا مثاله اقول : أنا علي بن رضوان الطبيب ان هذا الكتاب نافع وجمع رجل فاضل ، وقد عملت بكثير مما فيه فوجدته لا مزيد عليه ، وبالله التوفيق والمعونة . كتاب الأدوية المفردة والأغذية . كتاب البول اختصار كتابه في البول . كتاب الاسطقسات . كتاب الحدود والرسوم . كتاب بستان الحكيم وفيه مسائل من العلم الالهي .

(١) سبأ ذكره ثانياً . (ن.د)

(٢) المحتسب ار الشيمي ولد في صنعاء وقيل انه كان محتسباً في العراق . سار من مكة مع الحجاج البربر الى بلادهم واعلن

فيها ظهور المهدي عبيد الله . وقتل سنة ٩١١ .

(٣) قاعدة الامراء الاغالبية في افريقيا كائنة جنوبي النيران .

(٤) هي مركز بني كتامة من بلاد البربر (ن.د)

كتاب المدخل الى المنطق . كتاب المدخل الى صناعة الطب . كتاب في النبض . كتاب في الترياق . كتاب في الحكمة ، وهو احد عشر ميمراً .

ابن الجزار

هو ابو جعفر احمد بن ابراهيم بن ابي خالد، ويعرف بابن الجزار من اهل القيروان طبيب ابن طيب وعمره ابو بكر طيب وكان ممن لقي اسحق بن سليمان وصحبه وأخذ عنه. وكان ابن الجزار من اهل الحفظ والتطلع والدراسة للطب وسائر العلوم ، حسن الفهم لها . وقال سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل : ان احمد بن أبي خالد كان قد أخذ لنفسه مأخذاً عجيباً في ستمته وهديه وتعدده ولم يحفظ عنه بالقيروان زلة قط ، ولا أخذ الى لذة . وكان يشهد الجنائز والعرائس ، ولا يأكل فيها ؛ ولا يركب قط الى احد من رجال أفريقية ولا الى سلطانهم إلا إلى أبي طالب عم معد ، وكان له صديقاً قديماً ، فكان يركب اليه يوم جمعة لا غير . وكان ينهض في كل عام الى رابطة على البحر المستنير ، وهو موضع مرابطة مشهور البركة ، مذكور في الاخبار ، على ساحل البحر الرومي ، فيكون هنالك طول أيام القيظ ، ثم ينصرف الى افريقية . وكان قد وضع على باب داره سقيفة اقمدها فيها غلاماً له يسمى برشيق ، أعد بين يديه جميع المعجنات والاشربة والادوية ، فاذا رأى القوارير بالغداة أمر بالجواز الى الغلام وأخذ الادوية منه نزاهة بنفسه ان يأخذ من أحد شيئاً . قال ابن جلجل ، حدثني عنه من أثق به قال : كنت عنده في دهليزه وقد غص بالناس اذ أقبل ابن أخي النعمان ^(١) القاضي وكان حدثاً جليلاً بافريقية يستخلفه القاضي اذا منعه مانع عن الحكم ، فلم يجد في الدهليز موضعاً يجلس فيه إلا مجلس أبي جعفر ، فخرج أبو جعفر فقام له ابن أخي القاضي على قدم فما اقمده ولا انزله ، وأراه قارورة ماء كانت معه لابن عمه ولد النعمان . واستوفى جوابه عليها وهو واقف ثم نهض وركب وما كدح ذلك في نفسه ، وجعل يتكرر اليه بالماء في كل يوم حتى برى العليل . قال ، قال الذي حدثني : فكنت عنده ضحوة نهار اذ أقبل رسول النعمان القاضي بكتاب شكره فيه على ما تولى من علاج ابنه ، ومعه منديل بكسوة وثلاثمائة مثقال . فقرأ الكتاب وجاوبه شاكراً ، ولم يقبض المال ولا الكسوة ، فقلت له : يا أبا جعفر رزق ساقه الله اليك . قال لي : والله لا كان لرجال معد قبلي نعمة . وعاش أحمد بن الجزار نيفاً وثمانين سنة ومات عتياً بالقيروان ، ورجد له أربع مئة وعشرون ألف دينار ، وخمسة وعشرون قنطاراً من كتب طبية وغيرها . وكانت قد تم بالرحلة الى الاندلس ^(٢) ولم ينفذ ذلك . وكان في دولة معد . وقال كشاجم ^(٣) يمدح أبا جعفر أحمد بن الجزار ويصف كتابه المعروف ب زاد المسافر .

(١) من فقهاء الاسماعيلية ومن اوائل انصار الخلفاء الفاطميين في مصر . تولى القضاء وانصرف الى درس التاريخ والفلسفة والفقه . توفي في مصر الشقيقة سنة ٩٧٤ .

«ن.د.»

(٢) اسم اطلقه العرب على شبه جزيرة إيبيريا بعد ان اخضعوها لحكمهم .

(٣) ويعرف بالسندي. تماطى التنجيم له كتاب « ادب النديم »

أبا جعفر أبقيت حياً وميتاً
رأيت على زاد المسافر عندنا
فايقنت أن لو كان حياً لوقته
سأحمد أفعلاً لأحمد لم تزل
مفاخر في طهر الزمان عظاما
من الناظرين العارفين زحاما
يحننا لما سمى التمام تما
مواقعها عند الكرام كراما
(الطويل)

ولابن الجزار من الكتب : كتاب في علاج الامراض ، ويعرف بزاد المسافر مجلدان . كتاب في الادوية المفردة ، ويعرف باعتماد ، كتاب في الادوية المركبة ، ويعرف بالبنية ، كتاب العدة لطول المدة ، وهو أكبر كتاب وجدناه له في الطب . وحكى الصاحب جمال الدين القفطي انه رأى له بقفط كتاباً كبيراً في الطب اسمه قوت المقيم ، وكان عشرين مجلداً . كتاب التعريف بصحيح التاريخ ، وهو تاريخ مختصر يشتمل على وفيات علماء زمانه ، وقطعة جميلة من أخبارهم . رسالة في النفس وفي ذكر اختلاف الاوائل فيها ، كتاب في المدة وامراضها ومداواتها . كتاب طب الفقراء . رسالة في ابدال الادوية . كتاب في الفرق بين العلل التي تشبه اسبابها وتختلف اعراضها . رسالة في التحذر من اخراج الدم من غير حاجة دعت الى اخراجه . رسالة في الزكام واسبابه وعلاجه . رسالة في النوم واليقظة . مجربات في الطب ، مقالة في الجذام واسبابه وعلاجه . كتاب الخواص . كتاب نصائح الابرار . كتاب المختبرات . كتاب في نعمت الاسباب المولدة للوباء في مصر وطريق الحيلة في دفع ذلك وعلاج ما يتخوف منه ، رسالة الى بعض اخوانه في الاستهانة بالموت . رسالة في المقعدة وأوجاعها . كتاب المكمل في الادب . كتاب البلغة في حفظ الصحة . مقالة في الحمامات . كتاب اخبار الدولة ، يذكر فيه ظهور المهدي بالمغرب . كتاب الفصول في سائر العلوم والبلاغات .

ابن السمينة

ومن أطباء الاندلس يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة من أهل قرطبة ^(١) . قال القاضي صاعد ابن أحمد بن صاعد ، في كتاب « التعريف في طبقات الامم » : انه كان بصيراً بالحساب والنجوم والطب ، متصرفاً في العلوم ، متفنناً في ضروب المعارف ، بارعاً في علم النحو واللغة والعروض ومعاني الشعر والفقه والحديث والاخبار والجدل . وكان معتزلي المذهب . ورحل الى المشرق ، ثم انصرف . وتوفي سنة خمس عشرة وثلثمائة .

ابو القاسم مسامة بن أحمد

المعروف بالرحيطي من أهل قرطبة ، وكان في زمن الحكم ^(٢) . وقال القاضي صاعد في كتاب

(١) مدينة في الاندلس اصبحت عاصمة الخلفاء الامويين فيها . يوجد فيها قصر الزهراء .

(٢) هو الحكيم الاول ثالث امراء قرطبة . قامت على زمنه الفتن في قرطبة وطليطلة فقمعها بالسيف وضعت قواه فاستغل ذلك الفولس الثاني واخذ يوسع ارجاء مملكته على حسابها .

« التعريف في طبقات الامم » : انه كان امام الرياضيين بالاندلس في وقته وأعلم من كان قبله بعلم الافلاك وحركات النجوم ، وكانت له عناية بارصاد الكواكب ، وشغف بتفهم كتاب بطليموس المعروف بالمجسطي . وله كتاب حسن في تمام علم العدد المعروف عندنا بالمعاملات . وكتاب اختصر فيه تعديل الكواكب من زيغ البتاني ، وعنى بزيج محمد بن موسى الخوارزمي ^(١) وصرف تاريخه الفارسي الى التاريخ العربي ، ووضع أوساط الكواكب فيه لأول تاريخ الهجرة وزاد فيه جداول حسنة على انه اتبعه على خطئه فيه . ولم ينبه على مواضع الغلط منه . وقد نبهت على ذلك في كتابي المؤلف في اصلاح حركات الكواكب ، والتعريف بخطا الراصدين .

وتوفي أبو القاسم مسلمة بن أحمد قبل مبعث الفتنة في سنة ثمان وتسعين وثلثمائة . وقد الحجب تلاميذ جلة لم ينتجب عالم بالاندلس مثلهم . فن أشهرهم ابن السمح وابن الصفار والزهراري والكرماني وابن خلدون .

ولابي القاسم مسلمة بن أحمد من الكتب : كتاب المعاملات ، اختصار تعديل الكواكب من زيغ البتاني .

ابن السمح

هو أبو القاسم أصبغ بن محمد بن السمح المهندس القرطبي ، وكان في زمن الحكم . قال القاضي صاعد : ان ابن السمح كان محققا لعلم العدد والهندسة ، متقدماً في علم هيئة الافلاك وحركات النجوم . وكانت له مع ذلك عناية بالطب ، وله تأليف حسان منها : كتاب المدخل الى الهندسة في تفسير كتاب اقليدس . ومنها كتاب ثمار العدد المعروف بالمعاملات ، ومنها كتاب طبيعة العدد ، ومنها كتابه الكبير في الهندسة يقضي فيه اجزاءها من الخط المستقيم والمقوس والمنحني ، ومنها كتابان في الآلة المسماة بالاسطرلاب ، أحدهما في التعريف بصورة صنعتها وهو مقسوم على مقالتين ، والآخر في العمل بها والتعريف بجوامع ثمرتها وهو مقسم على مائة وثلاثين باباً . ومنها زيجه الذي ألفه على احد مذاهب الهند المعروف بالسند هند ، وهو كتاب كبير مقسم على جزأين أحدهما في الجداول والآخر في رسائل الجداول . قال القاضي صاعد وأخبرني عنه تلميذه ابو مروان سليمان بن محمد بن عيسى بن الناشي المهندس انه توفي بمدينة غرناطة ^(٢) قاعدة ملك الامير حبوس بن ماكسن بن زيري بن مناد الصنهاجي ، ليلة الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت لرجب سنة ست وعشرين وأربعمائة ، وهو ابن ست وخمسين سنة شمسية .

ولابن السمح من الكتب : كتاب المدخل الى الهندسة . كتاب المعاملات . كتاب طبيعة العدد .

(١) احد منجمي الأموت اعتمد في مؤلفاته الحسابية على الهندوس والفرس وعلى تعليم مدرسة جنديسابور . نقلت مؤلفاته الى اللغة اللاتينية .
(ن . د)

(٢) عاصمة المملكة العربية في الاندلس سابقا اخذها الاسبان من صاحبها ابي عبد الله . وفيها قصر الحمراء .

كتاب كبير في الهندسة يقضي فيه اجزاءها من الخط المستقيم والمقوس والمنحني . كتاب التعريف بصورة صناعة الاسطرلاب ، مقالتان . كتاب العمل بالاسطرلاب والتعريف بمجوامع ثمرته . زيچ على أحد مذاهب الهند المعروف بالسندهند، وهو كتاب كبير مقسم على جزءين احدهما في الجداول والآخر في رسائل الجداول .

ابن الصفار

هو ابو القاسم احمد بن عبدالله بن عمر ، كان ايضاً متحققاً بعلم العدد والهندسة والنجوم . وقعد في قرطبة لتعليم ذلك . وله زيچ مختصر على مذهب السندهند ، وكتاب في العمل بالاسطرلاب موجز حسن العبارة قريب المأخذ ، وكان من جملة تلامذة ابي القاسم مسلمة بن احمد المرحيطي . وخرج ابن الصفار عن قرطبة بعد ان مضى صدر من الفتنة، واستقر بمدينة دانية^(١) قاعدة الامير مجاهد العامري^(٢) من ساحل بحر الاندلس الشرقي وتوفي بها رحمه الله . وقد انجب من اهل قرطبة جماعة ، وكان له أخ يسمى محمداً مشهور بعمل الاسطرلاب لم يكن بالاندلس قبله اجل صنفاً لها منه .

ولابن الصفار من الكتب : زيچ مختصر على مذهب السند هند . كتاب في العمل بالاسطرلاب .

أبو الحسن علي بن سليمان الزهراوي

كان عالماً بالعدد والهندسة، معتنياً بعلم الطب . وله كتاب شريف في المعاملات على طريق البرهان، وهو الكتاب المسمى بكتاب الاركان . وكان قد اخذ كثيراً من العلوم الرياضية عن ابي القاسم مسلمة ابن احمد المعروف بالمرحيطي وصحبه مدة .

ولابي الحسن علي بن سليمان الزهراوي من الكتب : كتاب في المعاملات على طريق البرهان وهو الكتاب المسمى بكتاب الاركان .

الكرماني

هو ابو الحكم عمرو بن احمد بن علي الكرماني من اهل قرطبة ، احد الراسخين في علم العدد والهندسة . قال القاضي صاعد : أخبرني عن الكرماني تلميذه الحسين بن محمد بن الحسين بن يحيى المهندس المنجم انه ما لقي احداً يجاريه في علم الهندسة. ولا يشق غيابه في فك غامضها، وتبيين مشكلها، واستيفاء اجزائها . ورحل الى ديارالمشرق وانتفى منها الى حران من بلاد الجزيرة وعني هناك بطلب الهندسة والطب، ثم رجع الى الاندلس واستوطن مدينة سرقسطة^(٣) من ثغرها، وجلب معه الرسائل المعروفة

(١) قسبة الناحية الشمالية الشرقية من كورة القنت الاسبانية . ازدهرت تحت الحكم العربي .

(٢) رئيس مملكة دانية وجزائر البايار . كان له اسطول بحري يدخل الرعب في بلاد كتالونيا وبرفانس وإيطاليا في القرن الحادي عشر .

(٣) مدينة في اسبانيا -الاندلس- كانت تنسج فيها الثياب الرقيقة المعروفة بالسرقسطية . « ن. ر »

برسائل اخوان الصفاء . ولا نعلم أحداً ادخلها الاندلس قبله . وله عناية بالطب ومجربات فاضلة فيه ونفوذ مشهور في الكي والقطع والشق والبطن^(١) وغير ذلك من اعمال الصناعة الطبية . قال : ولم يكن بصيراً بعلم النجوم التعليمي ، ولا بصناعة المنطق ، اخبرني عنه بذلك أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي الاسرائيلي^(٢) وكان خبيراً به . ومحلّه في العلوم النظرية المحل الذي لا يحارى فيه عندنا بالاندلس . وتوفي ابو الحكم الكرمانى رحمه الله بسر قسطة سنة ثمان وخمسين واربعائة وقد بلغ تسعين سنة أو جاوزها بقليل .

ابن خلدون

هو أبو مسلم عمر بن أحمد بن خلدون الحضرمي ، من اشراف أهل اشبيلية^(٣) ومن جملة تلامذة ابي القاسم مسلمة بن أحمد أيضاً ، وكان متصرفاً في علوم الفلسفة مشهوراً بعلم الهندسة والنجوم والطب مشبهاً بالفلاسفة في اصلاح اخلاقه وتعديل سيرته وتقويم طريقته . وتوفي في بلده سنة تسع وأربعين واربعائة . وكان من اشهر تلامذة أبي مسلم بن خلدون : أبو جعفر أحمد بن عبد الله المعروف بابن الصفار المتطبيب .

أبو جعفر أحمد بن خميس بن عامر بن دميح

من أهل طليطلة أحد المعتبرين بعلم الهندسة والنجوم والطب ، وله مشاركة في علوم اللسان ، وحظ صالح من الشعر ، وهو من أقران القاضي أبي الوليد هشام بن أحمد بن هشام .

حمدين بن أبان

كان في أيام الامير محمد بن عبد الرحمن الأوسط وكان طبيباً حاذقاً مجرباً ، وكان صهر بني خالد ، وله بقرطة أصول ومكاسب . وكان لا يركب الدواب الا من نتاجه ، ولا يأكل الا من زرعه ، ولا يلبس الا من كتان ضيعته ، ولا يستخدم الا بتلاده من أبناء عبيده .

جواد الطبيب النصراني

كان في أيام الامير محمد أيضاً ، وله اللعوق المنسوب الى جواد ، وله دواء الراهب والشرابات والسفوفات المنسوبة اليه والى حمدين ، وبني حمدين كلها شجارية .

خالد بن يزيد بن رومان النصراني

كان بارعاً في الطب ، ناهضاً في زمانه فيه . وكان بقرطة وسكنه عند بيعة سبت أخلج . وكانت

(١) الشق للجرح .

(٢) سيأتي ذكره قريباً .

(٣) مدينة في اسبانيا فتحها العرب وهي مشهورة بقصرها القصر (Alcazar) .

داره الدار المعروفة بدار ابن السطخيري الشاعر . وكسب بالطب مبلغاً جليلاً من الاموال والعقار . وكان صانعاً بيده ، عالماً بالادوية الشجارية ، وظهرت منه في البلد منافع . وكتب اليه نسطاس بن جريج الطبيب المصري رسالة في البول . وأعقب خالد ابناً سماه يزيد ، ولم يبرغ في الطب براعة أبيه .

ابن ملوكة النصراني

كان في أيام الامير عبيد الله ، وأول دولة الامير ^(١) عبد الرحمن الناصر وكان يصنع بيده ويفصد العروق . وكان على باب داره ثلاثون كرسيًا لعمود الناس .

عمران بن أبي عمرو

كان طبيباً نبيلًا ، خدم الامير عبد الرحمن بالطب ، وهو الذي ألف له حب الانيسون ، وكان عالماً فيها .

ولعمران بن أبي عمرو من الكتب : كناش .

محمد بن فتح طملون

كان مولد لعمران بن أبي عمرو ، وبرع في الطب براعة علائها من كان في زمانه . ولم يخدم بالطب ، وطلب ليلحق فاستعفى من ذلك واستعان على الامير حتى عفى ، ولم يكن احد من الاشراف في وقته إلا وهو يحتاج اليه . قال ابن جليجل ، حدثني أبو الاصبغ بن حوى قال : كنت عند الوزير عبد الله ابن بدر وقد عرض لابنه محمد قرح شمل بدنه ، وبين يديه جماعة من الاطباء فيهم طملون ، فتكلم كل واحد منهم في تلك القروح ، وطملون ساكت . فقال له الوزير : ما عندك في هذا فاني أراك ساكناً فقال : عندي مرم ينفع هذه القروح من يومه . فقال الى كلامه وأمره باحضار المرم ، فاحضره وطلّى على القروح فجفت من ليلتها ؛ فوصله عبد الله بن بدر بخمسين ديناراً وانصرف الأطباء دونه بغير شيء .

الحراي

الذي ورد من المشرق ، كان في أيام الامير محمد بن عبد الرحمن ، وكانت عنده مجربات حسان بالطب ، فاشتهر بقرطبة وحاز الذكر فيها . قال ابن جليجل : رأيت حكاية عند أبي الاصبغ الرازي بخط امير المؤمنين المستنصر ، وهي ان هذا الحراي ادخل الاندلس معجوناً كان يبيع الشربة منه بخمسين ديناراً لاوجاع الجوف ، فكسب به مالا . فاجتمع خمسة من الاطباء مثل حمدين وجواد

(١) عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر ثامن الخلفاء الامويين في الاندلس ازدهرت المملكة على ايامه وعاشت الاندلس عصرها الذهبي « ٩٢٦ - ٩٦١ »
« ن . ر »

وغيرهما وجمعوا خمسين ديناراً واشتروا منه شربة من ذلك الدواء ، وانفرد كل واحد منهم بحظه يشمه ويدوقه ويكتب ما تأدى اليه منه بحسه . ثم اجتمعوا وافقوا على ما حدسوه وكتبوا ذلك . ثم نهضوا الى الحراي وقالوا له قد تفعلك الله بهذا الدواء الذي انقردت به ، ونحن أطباء اشتهرنا منك شربة وفعلنا كذا وكذا وتأدى الينا كذا وكذا وكذا ، فان يكن ما تأدى الينا حقاً فقد اصبنا ، وإلا فاشركنا في علمه فقد انتفعت . فاستعرض كتابهم فقال ما أعدبتم من أدويته دواء ، لكن لم تصيبوا تعديل اوزانه . وهو الدواء المعروف بالمغيث الكبير ، فاشركهم في علمه وعرف من حينئذ بالأندلس .

أحمد وعمر ابنا يونس بن أحمد الحراي

رحلا الى المشرق في دولة الناصر في سنة ثلاثين وثلثمائة ، وأقاما هنالك عشرة اعوام ، ودخلا بغداد وقرأ فيها على ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصابىء كتب جالينوس عرضاً ، وخدموا ابن وصيف في عمل علل العين ، وانصرفا الى الاندلس في دولة المستنصر بالله ، وذلك في سنة احدى وخمسين وثلثمائة وغزوا معه غزواته الى سنة اثنتين ، وانصرفا والحقها في خدمته بالطب ، واسكنها مدينة الزهراء^(١) واستخلصها لنفسه دون غيرها من كان في ذلك الوقت من الاطباء . ومات عمر بعلة المعدة ، ورمت له فلحقه ذبول من اجلها ومات ، وبقي احمد مستخلصاً . وأسكنه المستنصر في قصره بمدينة الزهراء ، وكان لطيف المحل عنده ، أميناً مؤتمناً ، يطلع على العيال والكرائم . وكان رجلاً حليماً ، صحيح العقل ، عالماً بما شاهد علاجه ورآه عياناً بالمشرق . وتوجه عند المستنصر بالله لان المستنصر كان نهماً في الأكل ، وكان يحدث له في أكله تخمة لكثرة ما كان يتناول من الأكل ، وكان يصنع له الجوارشات الحادة العجيبة وكان وافقه في ذلك موافقة وأفاد مالا عظيماً . وكان ألكن اللسان ، رديء الخط ، لا يقيم هجاء حروف كتابه . وكان بصيراً بالأدوية المفردة ، وصانعاً للأشربة والمعجونات ، ومعالجاً لما وقف عليه .

قال ابن جلجل : ورأيت له اثني عشر صيباً صقالبة ، طباخين للأشربة ، صنّاعين للمعجونات بين يديه . وكان قد استأذن امير المؤمنين المستنصر ان يعطي منها من المحتاج من المساكين والمرضى ، فأباح له ذلك . وكان يداوي العين مداواة نفيسة . وله بقربة آثار في ذلك . وكان بواسي بعله صديقه وجاره والمساكين والضعفاء . وولاه هشام المؤيد^(٢) بالله خطة الشرطة وخطة السوق . ومات بجمي الربع وعلة الاسهال . وخلف عما قيمته أزيد من مائة الف دينار .

(١) مدينة بالاندلس بناها عبد الرحمن الثالث مشهورة بعمدها المستعجلة من روما والقسطنطينية وقوطبنة خربت في ثورة البربر « ن. د »

(٢) احمد ملوك قرطبة الامويين .

اسحق الطيب

والد الوزير ابن اسحق ، مسيحي النحلة ، وكان مقيماً بقرطبة ، وكان صانعاً بيده ، مجرباً ، يحكى له منافع عظيمة وآثار عجيبة ، وتمنك فاق به جميع اهل دهره . وكان في أيام الامير عبد الله الاموي .

يحيى بن اسحق

كان طبيباً ذكياً عالماً بصيراً بالعلاج صانعاً بيده ، وكان في صدر دولة عبد الرحمن الناصر لدين الله ، واستوزره وولي الولايات والعمالات ، وكان قائد بطليوس^(٢) زماناً ، وكان له من امير المؤمنين الناصر محل كبير . كان ينزله منزلة الثقة ويتطلع على الكرائم والخدم . وألف في الطب كتاباً يشتمل على خمسة اسفار ذهب فيها مذهب الزوم . وكان يحيى قد اسلم ، واما ابوه اسحق فكان نصرانياً كما تقدم ذكره . قال ابن جلجل : حدثني عن يحيى بن اسحق ثقة ، انه كان عنده غلام للحاجب موسى او للوزير عبد الملك قال ، قال : بعثني اليه مولاي بكتاب ، فانا قاعد عند داره بباب الجوز إذ أقبل رجل بدوي على حمار وهو يصيح ، فاقبل حتى وقف بباب الدار . فجعل يتضرع ويقول : ادركوني وتكلموا الى الوزير بخبري . اذ خرج الى صراخ الرجل ومعه جواب كتابه ، فقال للرجل : ما بالك يا هذا ؟ فقال له : أيها الوزير ورم في احليلي منعتي البول منذ ايام كثيرة وأنا في الموت . فقال له : اكشف عنه ، قال فكشف عنه فاذا هو وارم . فقال لرجل كان أقبل مع العليل : اطلب لي حبراً أملس . فطلبه فوجده وأناه به . فقال : ضعه في كفك وضع عليه الاحليل . قال ، فقال الخبر لي : فلما تمكن احليل الرجل من الحبر جمع الوزير يده وضرب على الاحليل ضربة غشي على الرجل منها . ثم اندفع الصيديد يجري فما استوفى الرجل جري صديد الورم حتى فتحت عينيه ثم بال البول في أثر ذلك . فقال له : اذهب فقد برئت من علتك ، وأنت رجل عاثر واقعت بهيمة في دبرها فصادفت شميرة من علفها لحجت^(١) في عين الاحليل ، فورم لها وقد خرجت في الصيديد . فقال له الرجل : قد فعلت هذا . وأقر بذلك ، وهذا يدل على حدس صحيح وقريحة صادقة حسناء .

وقال ابن جلجل : وله نادر محفوظ في علاج الناصر قال : عرض للناصر وجع في أذنه والوزير يومئذ قائد بطليوس ، فعولج منه فلم يفتر ، فامر الناصر في الخروج فيه فرانقا ، فلما وصل اليه الفرانق استنطقه عن الحاجة التي أوجبت الخروج فيه . فقال له : أمير المؤمنين عرض له في أذنه وجع أعيا الاطباء فخرج في طريقه الى بعض أديار التنصاري وسأل عن عالم هناك ، فوجد رجلاً مسناً فسأله : هل عندك من تجربة لوجع الاذن ؟ فقال الشيخ الراهب : دم الحمار حاراً ، فوصل الى أمير

(١) اقليم في اسبانيا الغربية ار هي مدينة في اسبانيا على وادي يانا كانت قاعدة لبني الافطس وتدعى اليوم داخوس .
(٢) لجأت .

المؤمنين وعالجه بدم الحمار حاراً كما يسفح وبراً . وهذا بحث واستقصاء ودؤوب على التعليم .
وليحيى بن اسحق من الكتب : كتاب كبير في الطب .

سليمان أبو بكر بن تاج

كان في دولة الناصر ، وخدمه بالطب . وكان طبيباً نبيلاً وعالج أمير المؤمنين الناصر من رمه^(١) عرض له من يومه بشيافه . وطلب منه نسخته بعد ذلك فأبى أن يملكها وعالج سماعاً صاحب البريد من ضيق النفس بلموق^(٢) فبرأ من يومه بعد أن أعيا علاجه الأطباء . وكان يعالج وجع الحاضرة بحب من حبه فيبرأ الوقت ، وكان ضنيناً بنسخ الأدوية . وله نوادر في الطب كثيرة . وكان أديباً فاضلاً ، حسن المحاضرة والمذاكرة ، وادركه في آخر أيامه مرض القروح في أحليله فلم يمكنه دواؤه وعرفه الله القادر عجزه فقطع أحليله . وولاه أمير المؤمنين الناصر قضاء شذونة^(٣) .

ابن أم البنين

سمي بالأعرف ، وكان من أهل مدينة قرطبة ، وخدم أمير المؤمنين الناصر بصناعة الطب . وكان ينادمه وكانت معه فطنة في الطب . وله نوادر انذر بها . وكان معجباً بنفسه . وكان الناصر ربما استثقله لذلك وربما اضطر إليه لجودة فطنته .

سعيد بن عبد ربه

هو أبو عثمان سعيد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن محمد بن سالم مولى الأمير هشام الرضي^(٤) بن عبد الرحمن الداخل^(٥) بالاندلس ، وهو ابن أخي أبي عمرو واحد بن محمد بن عبد ربه الشاعر صاحب كتاب العقد^(٦) . وكانت وفاة عمه هذا أحمد بن محمد بن عبد ربه في شهر جمادى الأولى من سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ، ومولده في سنة ست وأربعين ومائتين لعشر خلون من شهر رمضان . وكان سعيد بن عبد ربه طبيباً فاضلاً وشاعراً محسناً ، وله في الطب رجز جليل محتو على جملة حسنة منه دل به على تمكنه من العلم وتحقيقه لمذاهب القدماء وكان له مع ذلك بصيرة بحركات الكواكب وطبائعها ، ومهاب الرياح وتغير الأهوية ، وكان مذهبه في مداواة الحميات أن يخلط بالمبردات شيئاً من^(*) وله في ذلك مذهب جميل ولم يخدم بالطب سلطاناً . وكان بصيراً بتقديمه

(١) داء يصيب العين فتؤلم وتنتفخ .

(٢) كل ما يلحق أي يلحس كالمسل وغيره .

(٣) بلدة يمينوني غربي الاندلس في إقليم وادي ياش كانت قاعدة ولاية اشبيلية وكانت حاميتهما من عرب فلسطين .

(٤) ثاني ملوك قرطبة أتم بناء الجامع الكبير وبناء جسر القنطرة وغزا فرنسا .

(٥) فر من مذابح بني العباس إلى الاندلس وأسس دولة عربية في قرطبة وهو بابي جامعها سمي بصقر قریش لبأسه .

(٦) مجموعة أدبية من خطب وشعر وأقوال الحكماء والعلماء والتاريخ وعلم العروض ألفه ابن عبد ربه « ن ، ر »

(*) بياض بالأصل ،

المعرفة ، وتفسير الاهوية ، ومهب الرياح ، وحركة الكواكب . قال ابن جليل : حدثني عنه سليمان ابن ايوب الفقيه قال ، قال : اعتلت بحمة فطاولتني واشرفت منها ، اذ مر بأبي وهو ناهض الى صاحب المدينة احمد بن عيسى ، فقام اليه وقضى واجب حقه بالسلام عليه ، وسأله عن علي واستخبر ابي عما عولجت به ، فسفه علاج من عاجلني وبعث الى ابي بثمان عشرة حبة من حبوب مدورة ، وأمر ان اشرب منها كل يوم حبة فما استوعبتها حتى اقلعت الحمى وبرئت برأ تاماً . وعمي سعيد في آخر ايامه .

ومن شعر سعيد بن عبد ربه انه افتصد يوماً فبعث الى عمه احمد بن محمد بن عبد ربه الشاعر الاديب راغباً اليه في ان يحضر عنده مؤانساً له ، فلم يجبه عمه الى ذلك وأبطأ عنه فكتب اليه :

لما عدت مؤانساً وجليسا	نادمت بقراطاً وجالينوسا
وجعلت كتبها شفاء تفردني	وهما الشفاء لكل جرح يوسا
ووجدت علمها اذا حصته	بذكي ويحيي للجسوم نفوسا

(الكامل)

فلما وصل الشعر الى عمه جاوبه بابيات منها :

ألفيت بقراطاً وجالينوسا	لا يأكلان ويرزآن جليسا
فجعلتهم دون الاقارب حنة	ورضيت منهم صاحباً وأنيسا
وأظن بخلك لا يرى لك تاركا	حتى تنادم بعدم ابليسا

وقال سعيد بن عبد ربه ايضاً في آخر عمره ، وكان جميل المذهب منقبضاً عن الملوك :

أمن بعد غوصي في علوم الحقائق	وطول انبساطي في مواهب خالقي
وفي حين اشرافي على ملكوته	أرى طالباً رزقا الى غير رازقي
وأيام عمر المرء متعة ساعة	تجيء حينئذ مثل لمحة بارقي
وقد أذنت نفسي بتقويض رحلها	وأسرع في سوقي الى الموت سائقي
واني وإن أوغلت أو سرت هارباً	من الموت في الآفاق فالموت لاحقي

(الطويل)

ولسعيد بن عبد ربه من الكتب : كتاب الاقرباذين . تعاليتي ومجربات في الطب . ارجوزة في الطب .

عمر بن حفص بن برتق

كان طبيباً فاضلاً قارئاً للقرآن مطرب الصوت ، وكان له رحلة الى القيروان الى أبي جعفر ابن الجزار لزمه ستة اشهر لا غير . وهو ادخل الى الاندلس كتاب زاد المسافر ، ونبل بالاندلس وخدم

بالطب الناصر . وكان نجم بن طرفة صاحب البيازرة قد استخلصه لنفسه وقام به واغناه وشاركه في كل دنياه ولم يطل عمره .

أصبح بن يحيى

كان متقدماً في صناعة الطب ، وخدم بها الناصر ، وألف له حب الانيسون . وكان شيخاً وسيماً بهياً سرياً معظماً عند الرؤساء .

محمد بن تميم

كان رجلاً ذا وقار وسكينة ومعرفة بالطب والنحو واللغة والشعر والرواية . وخدم الناصر بصناعة الطب . وكان المقيم برئاسته احمد بن الياس القائد ، وولاه الناصر خطبة الرد وقضاء شذونة . وله في الطب تأليف حسن الاشكال . وأدرك صدرأ من دولة الحكم المستنصر بالله وكان حظياً عنده وخدمه بصناعة الطب . قال القاضي صاعد : وولاه النظر في بنيان الزيادة من قبلي الجامع بقرطبة ، فتولى ذلك وكلت تحت اشرافه وأمانته . ورأيت اسمه مكتوباً بالذهب وقطع الفسيفساء على حائط المحراب بها . وان ذلك البنيان كمل على يديه عن أمر الخليفة الحكم في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة . ولحمد بن تميم من الكتب : كتاب في الطب .

ابو الوليد بن الكتاني

هو ابو الوليد محمد بن الحسين المعروف بابن الكتاني ، كان عالماً بهياً سرياً حلو اللسان محبوباً من العامة والخاصة لسخائه بعلمه ومواساته بنفسه ، ولم يكن يرغب في المال ولا جمعه ، وكان لطيف المعانة وخدم الناصر والمستنصر بصناعة الطب ، ومات بعملة الاستسقاء .

ابو عبد الله بن الكتاني

هو أبو عبد الله محمد بن الحسين المعروف بابن الكتاني ، كان أخذ الطب عن عمه محمد بن الحسين وطبقته وخدم به المنصور بن أبي عامر^(١) وابنه المظفر . ثم انتقل في صدر الفتنة الى مدينة سرقطسة واستوطنها ، وكان بصيراً بالطب ، متقدماً فيسه ، ذا حظ من المنطق والنجوم ، وكثير من علوم الفلسفة . قال القاضي صاعد : أخبرني عنه الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن وافد اللخمي^(٢) : انه كان دقيق الذهن ، ذكي الخاطر ، جيد الفهم ، حسن التوحيد والتسبيح ،

(١) من قبيلة معافر اليمنية ، حاجب هشام الثاني في قرطبة ، استبد بامرء وتغلب المنصور لدين الله ، انتصر على الاسبان في لاون رقتالة وقطونيا . وبلغت السلطة في إيمه ارج مجدها ،
(٢) هو ابو مروان حاجب الاندلس حل على الاسبان بحروب عديدة ورجع ظافراً ،

وكان ذا ثروة وغنى واسع ، وتوفي قريباً من سنة عشرين واربعائة وهو قد قارب ثمانين سنة . قال وقرأت في بعض تأليفه انه أخذ صناعة المنطق عن محمد بن عبدون الجبلي ، وعمر بن يونس بن احمد الحراني ، واحمد بن حفصون الفيلسوف ، وابي عبد الله محمد بن ابراهيم القاضي النحوي ، وابي عبد الله محمد بن مسعود البجائي ، ومحمد بن ميمون المعروف بمركوس ، وابي القاسم فيد بن نجم ، وسعيد ابن فتحون السرقسطي المعروف بالهمار ، وابي الحرث الاسقف قلميذ ربيع بن زيد الاسقف الفيلسوف وابي مريـن البجائي ، ومسلمه بن أحمد المرحيطي .

احمد بن حكيم بن حفصون

كان طبيباً عالمًا جيد القريحة ، حسن الفطنة ، دقيق النظر ، بصيراً بالمنطق ، مشرفاً على كثير من علوم الفلسفة . وكان متصلاً بالحاجب جعفر الصقلي ومستولياً على خاصته ، فاوصله بالحكم المستنصر بالله وخدمه بالطب الى ان توفي الحاجب جعفر فأسقط حينئذ من ديوان الاطباء وبقي مخمولا الى ان توفي ومات بعملة الاسهال .

ابو بكر احمد بن جابر

كان شيخاً فاضلاً في الطب ، حليماً عفيفاً وخدم المستنصر بالله بالطب وادرك صدره من دولة المؤيد وكان اولاد الناصر جميعهم يعتمدون على تعظيمه وتبجيله ومعرفة حقه . وكان وجيهاً عندهم مؤتمناً ، وكذلك عند الرؤساء ، وكان أديباً فيها . وكتب بخطه كتباً كثيرة في الطب والجماع والفلسفة . وعمر زماناً طويلاً .

أبو عبد الله الملك الثقفي

كان طبيباً اديباً عالمًا بكتاب اقليدس ، وبصناعة المساحة . وخدم الناصر والمستنصر بصناعة الطب ، وكان أعرج . وله في الطب نوادر . وولاه المستنصر أو الناصر خزانة السلاح ، وعي في آخر عمره بماء نزل في عيـله ، ومات بعملة الاستسقاء .

هرون بن موسى الاشبوني

كان من شيوخ الاطباء واخيارهم ، مؤتمناً مشهوراً بأعمال اليد وخدم الناصر والمستنصر بصناعة الطب .

محمد بن عبدون الجبلي العذري

رحل الى المشرق سنة سبع واربعين وثلاثائة ، ودخل البصرة ولم يدخل بغداد ، وأتى مدينة فسطاط مصر ودبر مارستانها . ومهر بالطب ونبل فيه وأحكم كثيراً من اصوله ، وعانى صناعة المنطق عناية صحيحة . وكان شيخه فيها أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني البغدادي . ورجع الى

الاندلس سنة ستين وثلاثمائة ، وخدم بالطب المستنصر بالله والمؤيد بالله ، وكان قبل ان يتطبب مؤدبا بالحساب والهندسة ، وله في التفسير كتاب حسن . قال القاضي صاعد : واخبرني أبو عثمان سعيد بن محمد بن البعوش الطليطلي انه لم يلق في قرطبة ايام طلبه فيها من يلحق بمحمد بن عبدون الجبلي في صناعة الطب ، ولا يجاريه في ضبطها ، وحسن دربته فيها واحكامه لغوامضها .
ولمحمد بن عبدون من الكتب : كتاب في التفسير .

عبد الرحمن بن اسحق بن الهيثم

من اعيان اطباء الاندلس وفضلائها ، وكان من أهل قرطبة .
وله من الكتب : كتاب الكمال والتهام في الادوية المسهلة والمقيئة . كتاب الاقتصار والايجاد في خطا ابن الجزار في الاعتماد . كتاب الاكتفاء بالدواء من خواص الاشياء ، صنفه للعاجب القائد أبي عامر محمد بن أبي عامر . كتاب السائم .

ابن جلجل

هو أبو داود سليمان بن حسان يعرف بابن جلجل ، وكان طبيباً فاضلاً خبيراً بالمعالجات ، جيد التصرف في صناعة الطب . وكان في أيام هشام المؤيد بالله . وخدمه بالطب وله بصيرة واعتناء بقوى الادوية المفردة ، وقد فسر اسماء الادوية المفردة من كتاب ديسقوريدس المسمى زربي ، وأفصح عن مكنونها ، وأوضح مستغلق مضمونها ، وهو يقول في أول كتابه هذا ان كتاب ديسقوريدس ترجم بمدينة السلام في الدولة العباسية في ايام جعفر المتوكل وكان المترجم له اصطف بن بسيل الترجمان من اللسان اليوناني الى اللسان العربي ، وتصفح ذلك حنين بن اسحق المترجم ، فصصح الترجمة وأجازها فما علم اصطفن من تلك الاسماء اليونانية في وقته له اسماً في اللسان العربي فسرته بالعربية ، وما لم يعلم له في اللسان العربي اسماً تركه في الكتاب على اسمه اليوناني اتكالاً منه على ان يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويفسره باللسان العربي ، اذ التسمية لا تكون بالتواطؤ من أهل كل بلد على اعيان الادوية بما رأوا ، وان يسموا ذلك اما بأشتقاق واما بغير ذلك من تواطئهم على التسمية فاتكل اصطفن على شخص يأتون بعده من قد عرف اعيان الادوية التي لم يعرف هو لها اسماً في وقته فيسميها على قدر ما سمع في ذلك الوقت فيخرج الى المعرفة .

قال ابن جلجل : وورد هذا الكتاب الى الاندلس وهو على ترجمة اصطفن منه ما عرف له اسماً بالعربية ، ومنه ما لم يعرف له اسماً . فانتفع الناس بالمعروف منه بالمشرق وبالاندلس الى ايام الناصر عبد الرحمن (١) بن محمد ، وهو يومئذ صاحب الاندلس . فكاثبه أرمانئوس (٢) الملك ، ملك قسطنطينية ،

(١) ثامن الامراء في قرطبة لقب نفسه بالناصر . رحد صفوف العرب والبربر وقد مر ذكره في غير هذا المكان .

(٢) امبراطور بيزنطية (٩٠٥ - ٩٥٩) ظفر بالبحر والعرب . « ن . و »

في سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، وهاداه بهدايا لها قدر عظيم ، فكان في جملة هديته كتاب ديسقوريدس مصور الحشائش بالتصوير الرومي العجيب . وكان الكتاب مكتوباً بالآغريقي الذي هو اليوناني ، وبعث معه كتاب هروسيديس صاحب القصص ، وهو تاريخ للروم عجيب ، فيه أخبار الدهور وقصص الملوك الاول ، وفوائد عظيمة . وكتب أرمانوس في كتابه الى الناصر ان كتاب ديسقوريدس لا تحتس فائدته الا برجل يحسن العبارة باللسان اليوناني ، ويعرف اشخاص تلك الادوية ، فان كان في بلدك من يحسن ذلك فزت ايها الملك بفائدة الكتاب ؛ واما كتاب هروسيديس فعندك في بلدك من اللطيليين من يقرأه باللسان اللطيني ، وان كشفتهم عنه نقلوه لك من اللطيني الى اللسان العربي .

قال ابن جليل : ولم يكن يومئذ بقرطبة من نصارى الاندلس من يقرأ اللسان الآغريقي الذي هو اليوناني القديم ، فبقي كتاب ديسقوريدس في خزانة عبد الرحمن الناصر باللسان الآغريقي ، ولم يترجم الى اللسان العربي ، وبقي الكتاب بالاندلس . والذي بين أيدي الناس بترجمة اسطفن الواردة من مدينة السلام بغداد .

فلما جاب الناصر ارمانوس الملك سأل ان يبعث اليه برجل يتكلم بالآغريقي واللطيني ليعلم له عبيداً يكونون مترجمين ، فبعث ارمانوس الملك الى الناصر راهب كان يسمى نقه لا^(١) ، فوصل الى قرطبة سنة اربعين وثلثمائة وكان يومئذ بقرطبة من الاطباء قوم لهم بحث وتفتيش وحرص على استخراج ما جهل من اسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس الى العربية ، وكان أبجثهم واحرصهم على ذلك من جهة التقرب الى الملك عبد الرحمن الناصر ، حسداي بن بشروط الاسرائيلي ، وكان نقولا الراهب عنده احظى الناس واخصهم به . وفسر من اسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس ما كان مجهولاً ، وهو اول من عمل بقرطبة ترياق الفاروق على تصحيح الشجارية التي فيه . وكان في ذلك الوقت من الاطباء الباحثين عن تصحيح اسماء عقاقير الكتاب وتعيين اشخاصه محمد المعروف بالشجار ، ورجل كان يعرف بالبسباسي ، وابو عثمان الجزار الملقب باليابسة ، ومحمد بن سعيد الطبيب ، وعبد الرحمن بن اسحق بن هيثم وأبو عبد الله الصقلي ، وكان يتكلم باليونانية ويعرف اشخاص الادوية .

قال ابن جليل : وكان هؤلاء نفر كلهم في زمان واحد مع نقولا الراهب أدركته وأدركت نقولا الراهب في أيام المستنصر ، وصحتهم في أيام المستنصر الحكم . وفي صدر دولته مات نقولا الراهب ، فصح ببحث هؤلاء نفر الباحثين عن اسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس تصحيح الوقوف على اشخاصها بمدينة قرطبة خاصة بناحية الاندلس ، ما أزال الشك فيها عن القلوب ، وأوجب المعرفة بها بالوقوف على اشخاصها ، وتصحيح النطق باسمائها بلا تصحيف إلا القليل منها الذي لا بال به ، ولا خطر له . وذلك يكون في مثل عشرة أدوية .

قال : وكان لي في معرفة تصحيح هيولى الطب الذي هو أصل الادوية المركبة حرص شديد وبحث

(١) راهب بيزنطي ساهم في نقل مخطوطة ديسقوريدس الطبية الى العربية التي اهداها قسطنطين السابع «ارمانوس» الى عبد الرحمن الثالث الاندلسي .

عظيم ، حتى وهبني الله من ذلك بفضل بهقدر ما اطلع عليه من نيتي في احياء ما خفت يُدرس وتذهب
منفعته لأبدان الناس ، فالله قد خلق الشفاء وبثه فيما انبتته الارض ، واستقر عليها من الحيوان
المشاء ، والسابح في الماء والمنساب ، وما يكون تحت الارض في جوفها من المعدنية ، كل ذلك فيه
شفاء ورحمة ورفق .

ولابن جليل من الكتب : كتاب تفسير اسماء الادوية المفردة من كتاب ديسقوريدس ، ألفه في
شهر ربيع الاخر سنة اثنتين وسبعين وثلثمائة بمدينة قرطبة ، في دولة هشام بن الحكم المؤيد بالله . مقالة
في ذكر الادوية التي لم يذكرها ديسقوريدس في كتابه مما يستعمل في صناعة الطب وينتفع به ، وما
لا يستعمل لكيلا يغفل ذكره . وقال ابن جليل : ان ديسقوريدس اغفل ذلك ولم يذكره إما لانه لم
يره ولم يشاهده عيانا ، وإما لان ذلك كان غير مستعمل في دهره وإبناء جنسه . رسالة التبيين فيما
غلط فيه بعض المتطببين . كتاب يتضمن ذكر شيء من اخبار الاطباء والفلاسفة ألفه في أيام المؤيد بالله .

ابو العرب يوسف بن محمد

احد المتحققين بصناعة الطب والراشخين في علمه . قال القاضي صاعد : حدثني الوزير ابو المطرف
ابن واقد وابو عثمان سعيد بن محمد بن البغونش : انه كان يحكما لاصول الطب نافذاً في فروعه حسن
التصرف في أنواعا . قال : وسمعت غيرهما يقول لم يكن أحد بعد محمد بن عبدون يوازي أبو العرب
في نيته بصناعة الطب ونفوذه فيها . وكان غلب عليه في آخر عمره حب الخمر فكان لا يوجد صاحباً
ولا يرى مفيداً من خمار ، وحرّم بذلك الناس كثيراً من الانتفاع به وبعلمه . وتوفي وقد قارب تسعين
سنة ، وذلك بعد ثلاثين واربعمئة .

ابن البغونش

هو أبو عثمان سعيد بن محمد بن البغونش . قال القاضي صاعد : كان من أهل طليطلة ^(١) ، ثم رحل
الى قرطبة لطلب العلم بها ، فاخذ عن مسلمة بن احمد علم العدد والهندسة ، وعن محمد بن عبدون الجبلي
وسليمان بن جليل وابن الشناعة ونظرائهم علم الطب . ثم انصرف الى طليطلة واتصل بها باميرها
الظافر اسمعيل بن عبد الرحمن بن اسمعيل بن عامر . بن مطرف بن ذي النون ، وحظي عنده وكان
أحد مديري دولته . قال : ولقيته انا فيها بعد ذلك في صدر دولة المأمون ^(٢) ذي الجعد بن يحيى بن
الظافر اسمعيل بن ذي النون ، وقد ترك قراءة العلوم وأقبل على قراءة القرآن ، ولزم داره والانقباض
عن الناس ، فلقيت منه رجلاً عاقلاً ، جميل الذكر والمذهب ، حسن السيرة ، نظيف الثياب ، ذا
كتب جليلة في انواع الفلسفة وضروب الحكمة . وتبينت منه انه قرأ الهندسة وفهمها ، وقرأ المنطق
وضبط كثيراً منه ، ثم أعرض عن ذلك وتشاغل بكتب جالينوس وجمعها ، وتناولها بتصحيحها

(١) مدينة في اسبانيا قرب مدريد فتحها طارق بن زياد (٧١٤) فيها اثار عربية فخمة .

(٢) من ملوك الطوائف في الاندلس . حالف أمراء قشتالة الاسبان على سائر ملوك العرب في الاندلس « د ر » .

ومعاناته ، فحصل بتلك العناية على فهم كثير منها . ولم تكن له دربة بعلاج المرضى ولا طبيعة نافذة في فهم الامراض . وتوفي عند صلاة الصبح من يوم الثلاثاء اول يوم من رجب سنة اربع واربعين واربعمئة . وأخبرني انه ولد سنة تسع وستين وثلاثمائة . فكان اذ توفي ابن خمس وسبعين سنة .

ابن وافد

هو الوزير ابو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن يحيى بن وافد بن مهند اللخمي أحد أشراف اهل الاندلس ، وذوي السلف الصالح منهم ، والسابقة القديمة فيهم . عنى عناية بالغة بقراءة كتب جالينوس وفهمها ، ومطالعة كتب ارسطوطاليس وغيره من الفلاسفة . قال القاضي صاعد : وتفرع بعلم الادوية المفردة حتى ضبط منها ما لم يضبطه أحد في عصره ، وألف فيها كتاباً جليلاً لا نظير له جمع فيه ما تضمن كتاب ديسقوريدس وكتاب جالينوس المؤلفان في الادوية المفردة ، ورتبه احسن ترتيب . قال : وأخبرني انه عانى جمعه ، وحاول ترتيبه وتصحيح ما ضمنه من أسماء الادوية وصفاتها ، وأودعه اياه من تفصيل قواها وتحديد درجاتها نحواً من عشرين سنة ، حتى كمل موافقاً لغرضه ، وتم مطابقاً لبغيته . وله في الطب منزع لطيف ومذهب نبيل ، وذلك انه كان لا يرى التداوي بالادوية ما امكن التداوي بالأغذية أو ما كان قريباً منها ، فاذا دعت الضرورة الى الادوية فلا يرى التداوي بتركبها ما وصل الى التداوي بمفردها ، فان اضطر الى المركب منها لم يكثر التركيب بل اقتصر على الاقل ما يمكنه منه . وله نوادر محفوظة وغرائب مشهورة في الابرار من العلل الصعبة والامراض الخوفة بأيسر العلاج واقربه . واستوطن مدينة طليطلة ، وكان في ايام ابن ذي النون . ومولد ابن وافد في ذي الحجة من سنة سبع وثمانين وثلاثمائة ، وكان في الحياة في سنة ستين واربعمئة . وابن وافد من الكتب : كتاب الادوية المفردة . كتاب الوساد في الطب . مجربات في الطب . كتاب تدقيق النظر في علل حاسة البصر . كتاب المغيث .

الرميلي

هو (*) وكان بالمرية (١) في ايام ابن معن (٢) المعروف بابن صمادح ، ويلقب بالمتعمم بالله . وقال ابو يحيى اليسع بن عيسى بن حزم بن اليسع في كتاب « المغرب عن محاسن أهل المغرب » : إن الرميلي صحبه توفيق يساعده ويصعده ، ويقم له الجاه ويقعده ، مع دربة جرى بها فأدرك ، وقياس حركة للمحاورة فتحرك ، فأصبح يقتدى بنسخه ويتنافس في مستصرخه ويتوسل اليه برئاسة

(*) بياض بالأصل .

(١) مرفاً في الاندلس على البحر المتوسط كانت من مدن مملكة غرناطة عظم شأنها على ايام عبد الرحمن الاول (الداخل)

(٢) هو المتعمم محمد بن معن بن صمادح من ملوك الطوائف خلف والده على ولاية المرية في الاندلس . وهو صديق يوسف

ابن تاشفين (ن. ر)

نفس لا ترضى بدنيّة ، ولا تعامل إلا بالحرية . وربما عالج في بعض اوقاته المستورين بماله أدوية وأغذية ، فأحبه البعيد والقريب ، وأصبح ما له إلا حميم أو حبيب حتى اودت به الأيام فاقدة احسانه ، نادبة مكانه .

وللميلي من الكتب : كتاب البستان في الطب .

ابن الذهبي

هو أبو محمد عبد الله بن محمد الأزدي ويعرف بابن الذهبي ، أحد المعتنقين بصناعة الطب ، ومطالعة كتب الفلاسفة ، وكان كلفاً بصناعة الكيمياء مجتهداً في طلبها . وتوفي ببلنسية ^(١) في جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وأربعمائة .

ولابن الذهبي من الكتب : مقالة في ان الماء لا يغذو .

ابن النباش

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حامد البجائي ويعرف بابن النباش ، مُعْتَن بصناعة الطب مواظب لعلاج المرضى ، ذو معرفة جيدة بالعلم الطبيعي ، وله أيضاً نظر ومشاركة في سائر العلوم الحكيمة ، وكان مقيماً بجهة مرسية ^(٢) .

أبو جعفر بن خميس الطليطلي

قرأ كتب جالينوس على مراتبها ، وتناول صناعة الطب من طرقها ، وكانت له رغبة كثيرة في معرفة العلم الرياضي والاشتغال به .

أبو الحسن عبد الرحمن بن خلف بن عساكر الدارمي

اعتنى بكتب جالينوس عناية صحيحة ، وقرأ كثيراً منها على أبي عثمان سعيد بن محمد بن بغوش ، واشتغل أيضاً بصناعة الهندسة والمنطق وغير ذلك ، وكانت له عبارة بالغة ، وطبع فاضل في المعانة ، ومنزع حسن في العلاج ، وله تصرف في دروب من الاعمال اللطيفة والصناعات الدقيقة .

ابن الحياط

هو أبو بكر يحيى بن أحمد ويعرف بابن الحياط ، كان أحد تلاميذ أبي القاسم مسلمة بن أحمد المرحيطي في علم العدد والهندسة ، ثم مال إلى أحكام النجوم وبرع فيها واشتهر بعلمها ، وخدم بها سليمان بن حكم بن الناصر لدين الله في زمن الفتنة وغيره من الامراء ، وآخر من خدم بذلك الأمير

(١) مدينة في الاندلس (اسبانيا) كانت من عواصم الحضارة العربية .

(٢) مدينة في جنوب آسيا احتلها الرابطون ثم الموحدون . (ن.د)

المأمون يحيى بن اسمعيل بن ذي النون ، وكان مع ذلك معتنياً بصناعة الطب ، دقيق العلاج حصيفاً حليماً دمثاً حسن السيرة كريم المذهب ، وتوفي بطليطة سنة سبع وأربعين وأربعمائة وقد قارب ثمانين سنة .

منجم بن الفوال

يهودي من سكان سرفسطة ، وكان متقدماً في صناعة الطب متصرفاً مع ذلك في علم المنطق وسائر علوم الفلسفة .

ومنجم بن الفوال من الكتب : كتاب كنز العقل ، على طريق المسألة والجواب ، وضمنه جلا من قوانين المنطق وأصول الطبيعة .

مروان بن جناح

كان أيضاً يهودياً وله عناية بصناعة المنطق والتوسع في علم لسان العرب واليهود ، ومعرفة جيدة بصناعة الطب . وله من الكتب كتاب التلخيص وقد ضمنه ترجمة الادوية المفردة ، وتحديد المقادير المستعملة في صناعة الطب من الاوزان والمكاييل .

اسحق بن قسطار

كان أيضاً يهودياً وخدم الموفق مجاهداً العامري^(١) وابنه اقبال الدولة عليا . وكان اسحق بصيراً باصول الطب ، مشاركاً في علم المنطق ، مشرفاً على آراء الفلاسفة . وكان وافر العقل ، جميل الاخلاق . وله تقدم في علم اللغة العبرانية ، بارعاً في فقه اليهود ، حبراً^(٢) من احبارهم ، ولم يتخذ قط امرأة . وتوفي بطليطة سنة ثمان واربعين واربعمائة وله من العمر خمس وسبعون سنة .

حسداي بن اسحق

معتن بصناعة الطب ، وخدم الحكم بن عبد الرحمن الناصر لدين الله ، وكان حسداي بن اسحق من احبار اليهود متقدماً في علم شريعتهم ، وهو اول من فتح لاهل الاندلس منهم باب علمهم من الفقه والتاريخ وغير ذلك . وكانوا قبل يضطرون في فقه دينهم وسني تاريخهم ومواقيت اعيادهم الى يهود بغداد ، فيستجلبون من عندهم حساب عدة من السنين يتعرفون به مداخل تاريخهم ومبادئ سنيهم . فلما اتصل حسداي بالحكم ، ونال عنده نهاية الخطوة توصل به الى استجلاب ما شاء من تأليف اليهود بالشرق ، فعلم حينئذ يهود الاندلس ما كانوا قبل يجهلون واستغنوا عما كانوا يتجشمون السكافة فيه .

(١) مؤسس مملكة دانية وجزائر البايار .

(٢) العالم يتبحر الكلام من اهل البيت .

أبو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي

من ساكني مدينة سرقسطة ، ومن بيت شرف اليهود بالأندلس، من ولد موسى النبي عليه السلام . عني بالعلوم على مراتبها ، وتناول المعارف من طرقها ، فأحكم علم لسان العرب ، ونال حظاً جزيلاً من صناعة الشعر والبلاغة ، وبرع في علم العدد والهندسة وعلم النجوم ، وفهم صناعة الموسيقى وحاول عملها ، واقتن علم المنطق وتمرن بطرق البحث والنظر ، واشتغل أيضاً بالعلم الطبيعي ، وكان له نظر في الطب ، وكان في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة في الحياة وهو في سن الشيبية .

أبو جعفر يوسف بن أحمد بن حسداي

من الفضلاء في صناعة الطب ، وله عناية بالغة في الاطلاع على كتب ابقراط وجالينوس وفهمها . وكان قد سافر من الاندلس الى الديار المصرية . واشتهر ذكره بها وتميز في أيام الأمر بإحكام الله (١) من الخلفاء المصريين ، وكان خصيصاً بالمأمون ، وهو أبو عبدالله محمد بن نور الدولة أبي شجاع الأمري ، في مدة أيام دولته وتدبيره للملك . وكانت مدته في ذلك ثلاث سنين وتسعة أشهر : لان الأمر كان قد استوزر المأمون في الخامس من ذي الحجة سنة خمس عشرة وخمسمائة وقبض عليه ليلة السبت الرابع من شهر رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة في القصر بعد صلاة المغرب . ثم قتل بعد ذلك في رجب سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة وصلب بظاهر القاهرة (٢) . وكان المأمون في أيام وزارته له همة عالية ، ورغبة في العلوم فكان قد امر يوسف بن أحمد بن حسداي ان يشرح له كتب أبقراط اذ كانت أجل كتب هذه الصناعة وأعظمها جدوى وأكثرها غموضاً . وكان ابن حسداي قد شرع في ذلك، ووجدت له منه شرح كتاب الايمان لابقرط ، وقد أجاد في شرحه لهذا الكتاب ، واستقصى ذكر معانيه وتبيينها على أتم ما يكون ، واحسنه . ووجدت له أيضاً شرح بعض كتاب الفصول لابقرط ، وكان بينه وبين أبي بكر محمد بن يحيى المعروف بابن باجة صداقة فكان أبدأ يرأسه من القاهرة .

وكان يوسف بن أحمد بن حسداي مدمناً للشراب ، وعنده دعابة ونوادر . وبلغني عنه انه لما أتى من الاسكندرية (٣) الى القاهرة ، كان هو وبعض الصوفية قد اصطحبوا في الطريق فكانا يتحادثان ، وأنس كل واحد منهما الى الآخر ، ولما وصلا الى القاهرة قال له الصوفي أنت ابن تنزل في القاهرة حتى اكون أراك ؟ فقال : ما كان في خاطري أن انزل إلا حانة الخمار وأشرب فان كنت توافق وتأتي إلي فأراك . فصعب قوله على الصوفي وأنكر هذا الفعل ، ومشى الى الخانكاه (٤) . ولما كان في بعض

(١) ابو علي الأمر بإحكام الله المنصور (١٠٩٦ - ١١٣٠) عاشر الخلفاء الفاطميين بمصر .

(٢) بنيت بامر جوهر القائد الفاطمي في ٩ تموز سنة ٩٦٩ وفيها اعظم الآثار الاسلامية والعربية . وهي اليوم عاصمة

جمهورية مصر العربية .

(٣) من ام تغور البحر المتوسط، أسسها الاسكندر الكبير (٣٣١ ق.م) اشتهرت بمدريستها الفلسفية ومن اساتذتها افلاطونوس.

(٤) الخان الذي ينزل فيه المسافرين .

الايام ، بعد مديدة ، وابن حسداي في السوق ، واذا يجمع من الناس وفي وسطهم صوفي يعزر وقد اشتهر أمره بأنه وجد سكران ، ولما قرب الى الموضع الذي فيه ابن حسداي ونظر اليه وجده ذلك الصوفي بعينه . فقال : يا لله قتلك النامس ^(١) .

وليوسف بن احمد بن حسداي من الكتب : الشرح المأموني لكتاب الايمان لابقراط المعروف بعمره الى الاطباء ، صنفه للمأمون أبي عبدالله محمد الامري . شرح المقالة الاولى من كتاب الفصول لابقراط . تعاليتي وجدت بخطه كتبها عند وروده على الاسكندرية من الاندلس . فوائد مستخرجة استخرجها وهذبها من شرح علي بن رضوان لكتاب جالينوس الى اغلوقن ، من القول على اول الصناعة الصغيرة لجالينوس . كتاب الاجال في المنطق . شرح كتاب الاجال .

ابن سمجون

وهو ابو بكر حامد بن سمجون فاضل في صناعة الطب متميز في قوى الادوية المفردة وافعالها ، متقن لما يجب من معرفتها . وكتابه في الادوية المفردة مشهور بالجودة ، وقد بالغ فيه واجهد نفسه في تأليفه ، واستوفى فيه كثيراً من آراء المتقدمين في الادوية المفردة . وقال أبو يحيى اليسع بن عيسى بن حزم بن اليسع في كتاب «المغرب عن محاسن أهل المغرب» : ان ابن سمجون ألف كتابه هذا في أيام المنصور الحاجب محمد بن أبي عامر . أقول وكانت وفاة محمد بن أبي عامر في سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة .

ولابن سمجون من الكتب : كتاب الادوية المفردة . كتاب الاقرباذين .

البكري

هو أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري ، من مرسية ، من أعيان أهل الاندلس وأكابرهم ، فاضل في معرفة الادوية المفردة وقواها ومنافعها واسماؤها ونعوتها وما يتعلق بها . وله من الكتب : كتاب أعيان النبات والشجريات الاندلسية .

الغافقي

هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن احمد بن السيد الغافقي . امام فاضل ، وحكيم عالم ويعد من الاكابر في الاندلس . وكان أعرف أهل زمانه بقوى الادوية المفردة ومنافعها وخواصها واعيانها ومعرفة اسمائها . وكتابه في الادوية المفردة لا نظير له في الجودة ولا شبيه له في معناه . قد استقصى فيه ما ذكره ديسقوريدس والفاضل جالينوس بأوجز لفظ وأتم معنى ، ثم ذكر بعد قولها ما تجدد للمتأخرين من الكلام في الادوية المفردة ، أو ما ألم به واحد واحد منهم وعرفه فيما بعد ،

(١) السر الذي يسر البك .

فجاء كتابه جامعاً لما قاله الأفاضل في الادوية المفردة ودستوراً يرجع اليه فيما يحتاج الى تصحيحه منها.
وللخافقي من الكتب : كتاب الادوية

الشريف محمد بن محمد الحسني

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحسني ويلقب بالعالى بالله . كان فاضلاً عالماً
بقوى الادوية المفردة ومنافعها ومنابتها وأعيانها .
وله من الكتب . كتاب الادوية المفردة

خلف بن عباس الزهراوي

كان طبيباً فاضلاً خبيراً بالادوية المفردة والمركبة ، جيد العلاج . وله تصانيف مشهورة في صناعة
الطب ، وأفضلها كتابه الكبير المعروف بالزهراوي .
ولخلف بن عباس الزهراوي من الكتب : كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف ، وهو أكبر
تصانيفه وأشهرها ، وهو كتاب تام في معناه .

ابن بكلاش

كان يهودياً من أكبر علماء الأندلس في صناعة الطب ، وله خبرة واعتناء بالغ بالادوية المفردة .
وخدم بصناعة الطب بني هود .
ولابن بكلاش من الكتب : كتاب المجدولة في الادوية المفردة ، وضعه مجدولا ، وألفه بمدينة
المرية للمستعين بالله أبي جعفر احمد بن المؤمن بالله بن هود

أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت

هو من بلد دانية ^(١) من شرق الأندلس ، وهو من أكبر الفضلاء ، في صناعة الطب وفي غيرها من
العلوم ، وله التصانيف المشهورة والمآثر المذكورة . قد بلغ في صناعة الطب مبلغاً لم يصل اليه غيره
من الأطباء ، وحصل من معرفة الادب ما لم يدركه كثير من سائر الادباء . وكان أواحد في العلم الرياضي ،
متقناً لعلم الموسيقى وعمله ، جيد اللعب بالعود . وكان لطيف النادرة ، فصيح اللسان ، جيد المعاني .
ولشعره رونق . وأتى أبو الصلت من الأندلس الى ديار مصر وأقام بالقاهرة مدة : ثم عاد بعد ذلك
الى الأندلس . وكان دخول أبي الصلت الى مصر في حدود سنة عشر وخمسة . ولما كان في
الاسكندرية حبس بها .

وحدثني الشيخ سديد الدين المنطقي في القاهرة سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة : ان أبا الصلت أمية بن
عبد العزيز كان سبب حبسه في الاسكندرية ان مركباً كان قد وصل اليها ، وهو موفر بالنحاس ففرق
قريباً منها ، ولم تكن لهم حيلة تخليصه لطول المسافة في عمق البحر ففكر أبو الصلت في أمره وأجال

(١) قصبة الناحية الشمالية الشرقية من كورة الفت « وقد مر ذكرها » .

النظر في هذا المعنى حتى تلخص له فيه رأي ، واجتمع بالافضل بن أمير الجيوش ملك الاسكندرية وأوجده انه قادر ان تهيأ له جميع ما يحتاج اليه من الآلات ان يرفع المركب من قعر البحر ، ويجعله على وجه الماء مع ما فيه من الثقل فتعجب من قوله ، وفرح به ، وسأله ان يفعل ذلك . ثم آتاه على جميع ما يطلبه من الآلات وغرم عليها جملة من المال . ولما تهيأت وضعها في مركب عظيم على موازاة المركب الذي قد غرق ، وأرسل اليه حبالا مبرومة من الابريسم ، وأمر قوما لهم خبرة في البحر ان يغمسوا ويوثقوا ربط الجبال بالمركب الغارق وكان قد صنع آلات باشكال هندسية لرفع الانتقال في المركب الذي هم فيه . وأمر الجماعة بما يفعلونه في تلك الآلات . ولم يزل شأنهم ذلك والجبال الابريسم ترتفع اليهم أولا فارلا وتنطوي على دواليب بين أيديهم حتى بات لهم المركب الذي كان قد غرق ، وارتفع الى قريب من سطح الماء . ثم عند ذلك انقطعت الجبال الابريسم ، وهبط المركب راجعا الى قعر البحر . ولقد تطف أبو الصلت جداً فيما صنعه ، وفي التحيل الى رفع المركب ، إلا ان القدر لم يساعده وحتق عليه الملك لما غرمه من الآلات وكونها مرت ضائعة ، وأمر بحبسها ، وان يستوجب ذلك . وبقي في الاعتقال مدة الى ان شفيع فيه بعض الأعيان واطلق . وكان ذلك في خلافة الأمر بإحكام الله ؛ ووزارة الملك الأفضل بن أمير الجيوش .

ونقلت من رسائل الشيخ أبي القاسم علي بن سليمان المعروف بابن الصيرفي في ما هذا مثاله . قال : وردتني رقعة من الشيخ أبي الصلت ، وكان معتقلا وفي آخرها نسخة قصيدتين خدما بهما المجلس الافضلي أول الاول منها .

الشمس دونك في المحل والطيب ذكرك بل أجل
(الكامل)

وأول الثانية

نسخت غرائب مدحك التشيبا وكفى بها غزلا لنا ونسيبا
(الكامل)

فكتبت اليه :

لئن سترتك الجدر عنا فربما رأينا جلابيب السحاب على الشمس
(الطويل)

وردتني مولاي فاخذت في تقبيلها وارتشافها ، قبل التأمل لحاسنها واستشفافها ، حتى كأني ظفرت بيد مصدرها ، وتمكنت من أنامل كاتبها ومسطرها ، ووقفت على ما تضمنته من الفضل الباهر ، وما أودعتها من الجواهر التي قذف بها فيض الخاطر . قرأت ما قيد فكري وطرفي ، وجل عن مقابلة تقريظي ووصفي . وجعلت أجدد تلاوتها مستفيداً ، واردها مبتدئاً فيها ومعيداً .

نكرر طوراً من قراءة فصوله فان نحن أقمنا قراءته عدنا

إذا ما نشرناه فكالمسك نشره ونطويه لا طي السامة بل ضنا

(الطويل)

فأما ما اشتملت عليه من الرضا بحكم الدهر ضروره ، وكون ما اتفق له عارض بتحقيق ذهابه ومروره ، ثقة بمواطن السلطان ، خلد الله أيامه ومراحه ، وسكونا الى ما جبلت النفوس عليه من معرفة فواضله ومكارمه . فهذا قول مثله من طهر الله نيته . وحفظ دينه ، ونزه عن الشكوك ضميمه ويقينه ، ووفقه بلطفه لاعتقاد الخير واستشعاره ، وصانه عما يؤدي الى عاب الاثم وعاره .

لا يؤيسنك من تفرج كربة خطب رماك به الزمان الانكد
صبراً فان اليوم يتبعه غد ويد الخلافة لا تطاولها يد

(الكامل)

وأما ما اشار اليه من ان الذي مني به تمحيص أوزار سبقت ، وتنقيص ذنوب اتفقت ، فقد حاشاه الله من الدنيا، وبرأه من الآثام والخطايا. بل ذاك اختبار لتوكله وثقته ، وابتلاء لصبره^(١) وسريته كما يبطل المؤمنون الاتقياء ، ويمتحن الصالحون والاولياء . والله تعالى يدبره بحسن تدبيره ، ويقضي له بما الحظ في تسهيله وتيسيره ، بكرمه . وقد اجتمعت بفلان فاعلمني انه تحت وعد أداه الاجتهاد الى تحصيله واحرازه ، ووثق من المكارم الفائضة بالوفاء به والنجازه ، وأنه ينتظر فرصة في التذكار ينتهزها ويغتنمها ، ويرتقب فرجة للخطاب يتولجها ويقتحمها . والله تعالى يعينه على ما يضر من ذلك وينويه ، ويوفقه فيما يحاوله ويبغيه .

وأما القصيدتان اللتان أتحفني بهما فما عرفت أحسن منها مطالعا ، ولا أجود منصرفا ومقطعا ، ولا أملك للقلوب والاسماع ، ولا أجمع للاغراب والابداع ، ولا أكل في فصاحة الالفاظ وتمكن البقائي ، ولا أكثر تناسبا على كثرة ما في الاشعار من التباين والتنافي . ووجدتها تردادا حسنا على التكرير والترديد ، وقفالت فيها بترتيب قصيدة الاطلاق بعد قصيدة التقييد . والله ، عز وجل ، يحقق رجائي في ذلك وأمل ، ويقرب ما أترقعه فمعظم السعادة فيه لي ، انشاء الله .

أقول : وكانت وفاة أبي الصلت رحمه الله يوم الاثنين مستهل محرم سنة تسع وعشرين وخمسة بالمهدي^(٢) ، ودفن في المنستير^(٣) ، وقال عند موته ابياتا وأمر ان تنقش على قبره وهي :

سكنتك يا دار الفناء مصدقا
باني الى دار البقاء أصير
وأعظم ما في الامر اني صائر
الى عابد في الحكم ليس يحور
فيا ليت شعري كيف ألقاه عندها
وزادي قليل والذنوب كثير

(١) الصبر : منتهى الامر وعاقبته .

(٢) مدينة في القيروان انشأها المهدي عبيد الله سنة ٩٢١

(٣) اسم بلدة في تونس الغرب كان فيها دير للمسيحيين . ومنه سميت البلدة .

فان أك مجزياً بذني فاني
وان يك عفو ثم عني ورحمة
بشر عقاب المذنبين جدير
فثم نعم دائم وسرور
(الطويل)

ولما كان ابو الصلت أمية بن عبد العزيز قد توجه الى الاندلس ، قال ظافر الحداد الاسكندري
وانفذها الى المهدي الى الشيخ أبي الصلت من مصر يذكر شوقه اليه ، وايام اجتماعها بالاسكندرية :

ألا هل لدائي من فراقك افراق^(١)
فيا شمس فضل غربت ولضوئها
سقى العهد عهداً منك عمر عهده
يحدده ذكر يطيب كما شدت
لك الخلق الجزل الرفيع طرازه
لقد ضاءتني يا ابا الصلت مذ نأت
إذا عزني اطفأوها بدماعي
سحائب يحدها زفير تجره
وقد كان لي كنز مع الصبر واسع
وسيف إذا جردت بعض غراره
إلى ان ابان البين ان غراره
أخي سيدي مولاي دعوة من صفا
لئن بعدت ما بيننا شقة النوى
وبعيد إذا كلفتها العيس قصرت
فعندي لك الود الملازم مثل ما
ألا هل لا يامي بك الغر عودة
ليالي يدنينا جواب أعادنا
وما بيننا من حسن حظك روضة
حديث حديث كلما طال موجز
يزجيه بحر من علومك زاهر

هو السم لكن في لقائك درياق
على كل قطر بالشارق اشراق
بقلي عهد لا يضيع وميثاق
وريقاء كنتها^(٢) من الايك اوراق
وأكثر اخلاق الخليفة اخلاق^(٣)
ديارك عن داري هموم واشواق
جرت ولها ما بين جفني احراق
خلال التراقي^(٤) والثرائب^(٥) تشهاق
فلي منه في صعب النوائب اتفاق
لجيش خطوط صدها منه ارهاق
غرور وان الكنز فقر واملاق
وليس له من رق ودك اعتاق
ومطرط طامي الغوارب خفاق
طلائح^(٦) انضاهها ذميل^(٧) واعناق^(٨)
يلازم اعناق الحائم اطواق
كعهدي وثغر الثغر أشنب براق
من القرب كالصنوين ضمها ساق
بها حسدت منا المسامع احداق
مفيد الى قلب المحدث سباق
له كل بحر فائض اللج رقراق

(١) يره وإفافة .

(٢) سترتها . (٣) الباني .

(٤) جمع ترقوة وهي مقدم الخلق في اعل الصدر حيث يترقى فيه النفس ، او هو العظم الذي في اعل الصدر بين ثغرة
النحر والعاتق .

(٥) واحدها تربية وهي موضع القلادة من الصدر .

(٦) متعبة ممياة (٧) السير اللين (٨) السير السريع (ن ر)

معان كاطواد الشوامخ جزلة
به حِكَمٌ مستنبطات غرائب
فلو عاش رسطاليس كان له بها
فيا واحد الفضل الذي العلم قوته
لئن قصرت كتيبي فلا غرو انه
كتبت وآفات البحار تردها
بحار بأحكام الرياح فانها
ومن لي ان أحظى اليك بنظرة

تضمنها عذب من اللفظ غيداق^(١)
لابكارها الفر الفلاسف عشاق
غرام وقلب دائم الفكر تواق
وأهلوه مشتاق بشم وذواق
لعائق عذر والمقادير اوهاق^(٢)
فان لم يكن رد علي فاغراق
مفاتيح في أبوابهن وأغلاق
فيسكن مقلاك^(٣) ويرقا مهراق^(٤)

(الطويل)

ومن شعر ابي الصلت امية بن عبد العزيز قال يمدح ابا الطاهر يحيى بن تميم بن المعز بن باديس^(٥)
ويذكر وصول ملك الروم بالهدايا راغباً في ترك الغزو وذلك في سنة خمس وخمسة :
يهايدك من لو شئت كان هو المهدي

وكل سريحي^(٨) اذا ابتز غمده
تخير فردا في طبأ الهند شأنه
طبأ^(٩) ألقت غلب الرقاب وصالها
تركت بقسطنطينة رب ملكها
سددت عليه مغرب الشمس بالطبا
وبالرغم منه ما اطاعك مبديا
لأنك ان اوعدته^(١٠) أو وعدته
اجل ، واذا ما شئت جردت نحوه
يردون اطراف الرماح دواميا
فدتك ملوك الارض ابعدها مدى

والا فضمنه المثقفة^(٦) اللدا^(٧)
تعوض من هام الكماة له غمدا
اذا شيم يوم الروح ان يزوج الفردا
كما ألقت منهن أغمادهما الصدا
وللرعب ما أخفاه منه وما أبدى
فوه حذارا منك لو جاوز السدا
لك الحب في هذي الرسائل والودا
وفيت ولم تخلف وعيداً ولا وعدا
ججاجحة^(١١) شيباً وصبيانة مردا
يخلن على ايديهم مقل رمدا
وارفعها قدراً واقدمها مجدا

(١) الغزير .

(٢) جمع رهن وهو جبل في طرفه انشودة يطرح في عتق الدابة حتى تؤخذ .

(٣) كنى به عن قلبه (٤) كنى به عن مدمعه .

(٥) من بني زيري ملوك غرناطة .

(٦) الرماح (٧) الناعمة اللينة .

(٨) السيوف المنسوبة الى رجل اسمه سريج كان ماهراً بصنعها .

(٩) حد السيف والسنان « ن.ر. »

(١٠) هددته .

(١١) الاسياد السارعون الى المكارم .

إذا كفوا بالطرف ادعج ساجياً
وكل اضة^(٣) احكم القين^(٤) نسجها
واسمر عسال^(٥) وابيض صارم
محاسن لو ان الليالي 'حليت
فمُرُ بالذي تختاره الدهر يمثل
مكلفت بحب الطرف عبل^(١) الشوى^(٢) نهدا
فضاعف في اثنائها الخلق السردا
يعنق ذا قدأ ويلثم ذا خدا
بايسرها لابيض منهن ما اسودا
لامرك حكماً لا يطيق له ردا
(الطويل)

وقال ايضاً ورفعها الى الافضل^(٦) يذكر تجريده العساكر الى الشام لمحاربة الفرنج بعد انهزام عسكره
في الموضع المعروف بالبصه^(٧) ، وكان قد اتفق في اثناء ذلك التاريخ ان قوماً من الاجناد وغيرهم
ارادوا الفتك به فوق على خبرهم فقبض عليهم وقتلهم .

هي العزائم من انصارها القدر
جردت للدين والاسياف مغمدة
وقت اذ قعد الاملاك كلهم
بالبيض تسقط فوق البيض المجهم
بيض اذا خطبت بالنصر السنها
وذبل من رماح الخط مشرعة
يفشى بها غمرات الموت اسد شرى
مستلثمين^(٩) اذا سلوا سيوفهم
قوم تصول ببيض الهند اذرعهم
اذا انتضوها وذبل النقع فوقهم
ترتاح انفسهم نحو الوغى طرباً
وانهم نكصوا يوماً فلا عجب
وهي الكتائب من اشياعها الظفر
سيفاً ثقل به الاحداث والغير
تذب عنه وتحنيه وتلتصر
والسمر تحت ظلال النقع تشتجر
فمن منابرها الاكباد والقصر^(٨)
في طولهن لاعمار العدا قصر
من الكفاة اذا ما استنجدوا ابتدروا
شبهتها خلجاً^(١٠) مدت بها غدر^(١١)
فما يضر ظباها انها بتر
كالشمس طالعة والليل معتكر
كأنما الدم راح والظبا زهر
قد يكهم^(١٢) السيف وهو الصارم الذكر

-
- (١) ضخم .
 - (٢) الميدان والرجلان والاطراف .
 - (٣) كنى بها عن الدرع .
 - (٤) الحداد .
 - (٥) الرمح الشديد الامتزاز .
 - (٦) هو وزير الدولة الفاطمية وامير جيوشها .
 - (٧) موقع قرب الناقورة على حدود فلسطين .
 - (٨) واحدها قهرة وهي اصل الرقبة .
 - (٩) متدرعين .
 - (١٠) جمع خليج .
 - (١١) جمع غدير « ن. ر »
 - (١٢) كل .

العود احمد والايم ضامنة
وربما ساءت الاقدار ثم جرت
الله زان بك الايام من ملك
الله بأسك والالباب طائشة
وللعجاج على صم القنا طلال
اذ يرجع السيف يبدي خده علقا
واذ تسد مسد السيف منفردا
أما يهلك ما لاقيت من عدد
هي الساحة إلا انها شرف
الله في الدين والدنيا فما لها
ورام كيدك اقوام وما علموا
هيات أين من العيوق^(١) طالبه
ان الاسود لتأبى أن يروعا
أمر نوره ولو هموا به وقفوا
فاضرب بسيفك من فاواك منتقما
ما كل حين ترى الاملاك صافحة
ومن ذوي البغي من لا يستهان به
ان الرماح غصون يستظل بها
وليس يصبح ثمل الملك منتظما
والرأي رأيك فيما انت فاعله
أضحى شهنشاه غيثا للندى غدقا
الطاعن الالف، الا انها نسق^(٢)
ملك تبوأ فوق النجم مقعده
يرجى نداءه ويخشى عند سطوته
ولا سمعت ولا حدثت عن أحد
ولا بصرت بشمس قبل غرته
يا ايها الملك السامي الذي ابتهجت
جاءتك من كلم الحاكي محبرة

عقبى النجاح ووعد الله ينتظر
بما يسرك ساعات لها آخر
لك الحجل من الايام والغرر
والخيل تردى ونار الحرب تستعر
هي الدخان واطراف القنا شرر
كصفحة البكر أدمى خدها الحفر
ولا يصدك لا جبن ولا خور
سيان عندك قل القوم أو كثروا
هي الشجاعة الا انها غرر
سواك كهف ولا ركن ولا وزر
أن المني خطرات بعضها خطر
لو كان سدد منه الفكر والنظر
وسط العرين ظباء الرب^(٣) العفر
كوقفة العير لا ورد ولا صدر
ان السيوف لاهل البغي تدخر
عن الجرائر تغفو حين تقتدر
وفي الذنوب ذنوب ليس تفتقر
وما لمن سوى هام العدى ثمر
الا بحيث ترى الهامات تنتثر
وأنت أدري بما تأتي وما تذر
كل البلاد الى سقياء تفتقر
والواهب الالف الا انها بدر^(٤)
فكيف تطمع في غاياته البشر
كالدهر يوجد فيه النفع والضرر
من قبله يهب الدنيا ويعتمر
اذا تجلى سناها أغدق المطر
به الليالي وقر البدو والحضر
تطوى لبهجتها الابراد والخبير

(١) نجم يتلو الثريا ولا يتقدمها .

(٢) القطيع من بقر الوحش .

(٣) ما كان على طريقة نظام واحد .

(٤) جمع بدرة وهي في الاصل جلد السخلة اذا فطم وسمي بها الكيس الذي فيه عشرة آلاف درهم .

طي الضمير ومن غواصها الفكر
أولى بقائلها من قوله الحصر
بان كل مطيل فيه مختصر
أجساد تلك المعالي هذه الدرر
البسيط

هي اللآلئ الا ان ناظمها
تبقي وتذهب اشعار ملفقة
ولم اظلمها لاني جد معترف
بقيت للدين والدنيا ولا عدمت

وقال أيضاً :

ما بجه في الكاس من إبريقه
من وجنتيه ، وطعمها من ريقه
الكامل

ومهفف شركت محاسن وجهه
ففعالها من مقلتيه ، ولونها

وقال أيضاً يصف الثريا :

منظرها فيها معجب
يريك مخالفا المغرب
وتغرب كالكاس اذ يشرب
المتقارب

رأيت الثريا لها حالتان
لها عند مشرقها صورة
فتطلع كالكاس اذ تستحث

وقال في الموضع المعروف ببركة الحبش بمصر :

والافق بين الضياء والغبش
كالسيف سلته كف مرتعش
دبح بالنور عطفها ووشي
فنحن من نسجها على فرش
دعاه داعي الصبا فلم يطش
من سورة (١) الهم غير منتعش
فتلك أروى لشدة العطش
المنسرح

للهم يومى ببركة الحبش
والنيل تحت الرياح مضطرب
ونحن في روضة مفوفة
قد نسجتها يد الربيع لنا
وأثقل الناس كلهم رجل
فعاطني الراح ان تاركها
واسقني بالكبار مازعة

وقال أيضاً :

كيف يصيد البطل الاصيدا
ما يفعل السيف اذا جردا
السريع

عجبت من طرفك في ضعفه
يفعل فينا وهو في جفنه

(١) حدة الهم وسطوته .

وقال ايضاً :

حجبت مسامحه عن الغدال
ويح المقيم لا يزال معذباً
واذا البلابل بالعشي تجاوبت
وارحمتا لمعذب يشكو الجوى
نشوان من خمير خمر زجاجة
كالريم إلا أن هذا عاطل
لا يستفيق وهل يفوق بحالة
علم العدو بما لقيت فرق لي
يا من يرى جسمي بطول صدوده
قد كنت أطمع منك لو عاقبتني

فأبى فليس عن الغرام بسالي
بخفوق برق أو طروق خيال
بعثت بأضله جوى البلبال
بمنعم يشكو فراغ البال
عبثت بمقلته وخمر دلال
أبدأ وذا في كل حال حالي
من ريق فيه سلافة الجريال^(١)
ورأى الحسود بليتي فرثي لي
ألا سمحت ولو بوعد وصال
بصدود عتب لا صدود ملال
الكامل

وقال يصف فرساً أشهب :

وأشهب كالشهاب اضحى
قال حسودي وقد رآه
من ألبم الصبح بالثريا

يجول في مذهب الجلال
يجنب خلفي الى القتال
وأمرج الهرق بالهلال
البسيط

وقال ايضاً :

تقريب ذي الامر لاهل النهى
هذا به أول وما ضره
عطار^(٢) في جل أوقاته

افضل ما ساس به أمره
تقريب أهل اللهو في الندره
أدنى الى الشمس من الزهره^(٣)
(السريع)

وقال ايضاً :

بي من بني الاصفر ريم رمى
سهم من اللحظ رمتني به
كانما مقلتيه في الحشا

قلي بسهم الحور الصائب
عن كنب قوس من الحاجب
سيف علي بن أبي طالب
(السريع)

(١) الخمر .

(٢) نجم من الكواكب السيارة وهو اقربها الى الشمس .

(٣) كوكب من الكواكب السيارة ويعني عند القدماء آلهة الجمال .

وقال ايضاً :

ثاراً بغير الوصل ما تنطفي
رضيت بالوعد وان لم تف
(السريع)

يا موقداً بالهجر في اضلمي
ان لم يكن وصل فعدي به

وقال ايضاً :

ولم أك منتظراً أن تلي
عليّ فكن باي أنت لي
(المقارب)
فجئت بادمعي الهمع
وهذا بكائي اذ هم معي
(المقارب)

وليت وردت اليك الامور
وها انا بين عدا كلهم

ذكرت نواهم لدى قريهم
فكيف اكون اذا هم نأوا

وقال ايضاً :

وكيف به فدونك فاغتنمه
وساءك في الفعال فلا تله
(الوافر)

اذا ألفت حراً ذا وفاء
وان آخيت ذا أصل خيبت

وقال ايضاً :

وللحب سلطان على مهجتي فظ
وشط فما للعين من شخصه حظ
تكنفه فيه الرعاية والحفظ
معاني شتى ليس يدركها الا لحظ
(الطويل)

أقول وقد شطت به غربة النوى
لئن بان عني من كلفت بحبه
فان له في أسود القلب منزلاً
أراه بعين الوهم والوم مدرك

وقال ايضاً :

لكنه في القبول جامود ^(١)
او مشتبه الاكل وهو ممود ^(٢)
(المنسرح)

وراغب في العلوم مجتهد
فهو كذي عنة ^(٣) به شبق ^(٤)

وقال ايضاً :

وتغفل عن نقصان جسمك والعمر

تفكر في نقصان مالك دائماً

(١) الصخر .

(٢) الذي لا يقدر على مقارفة النساء .

(٣) شدة الشهوة للنساء .

(٤) المصاب بداء في معدته .

وخوفك حال الفقر من أعظم الفقر
وان ليس من شيء يدوم على الدهر
وكم حال عسر فيه آلت الى اليسر
(الطويل)

ويشيك خوف الفقر عن كل بغية
الم تر ان الدهر جم صروفه
فكم فرحة فيه أزيلت بترحة

وقال في البراغيث :

بعيدة المسى من الشروق
أطال في ظلماتها تشريقي
يرى دمي أشهى من الرحيق
لا يترك الصبوح^(١) للقبوق^(٢)
ما عاقه ذلك عن طروقي
أعلم من بقراط بالعروق
يفصدها ببضع دقيقتي
فصد الطبيب الحاذق الرقيق
(الزاجر)

وليلة دائمة الغسوق
كليلة التميم المشوق
احب خلق لأذى مخلوق
يغب فيه غير مستفيق
لو بت فوق قمة العيوق^(٣)
كعاشق اسرى الى معشوق
من أكحل منها وباسليق
من خطمه المذرب الذليق

وقال أيضاً :

أحسدم قط في جد ولا لعب
يسلي من الهم أو يعدي على النوب
كانت مواعيدهم كالآل في الكذب
أحظى به واذا دائي من السبب
ولا كتائب اعدائي سوى كتي
(البسيط)

مارست دهري وجربت الانام فلم
وكم تمنيت أن ألقى به احداً
نما وجدت سوى قوم اذا صدقوا
وكان لي سبب قد كنت احسبني
فما مقلم أظفاري سوى قلبي

وقال يصف الاسطرباب

تعدل به في المقام والسفر
جل على التبر وهو من صفر
عن ملح العلم غير مختصر
عن صائب اللحظ صادق النظر
لو لم يدر بالبنان لم يدر

أفضل ما استصحب النبيل فلا
جرم اذا ما التمت قيمته
مختصر وهو اذ تفتشه
ذو مقلة يستبين ما رمقت
تحمله وهو حامل فلكا

(١) ما يشرب في الصباح .

(٢) ما يشرب في العشي .

(٣) قمة العيوق وهو نجم يتلو الثريا ويريد به البعد والتناهي .

مسكنه الارض وهو ينبثنا
أبدعه رب فكرة بعدت
فاستوجب الشكر والثناء له
فهو لذي اللب شاهد عجب
وأن هذي الجسم باثثة

عن جل ما في السماء من خبر
في اللطف عن ان تقاس بالفكر
من كل ذي فطنة من البشر
على اختلاف العقول والفطر
بقدر ما أعطيت من الصور

(المنسرح)

وقال في بحرة

ومحرورة الاحشاء لم تدر ما الهوى
إذا ما بدا برق المدام رأيتها
ولم أر نارا كلما شب جمرها

ولم تدر ما يلقي الحب من الوجد
تثير غماما في الندي من الند
رأيت الندامى منه في جنة الخلد

(الطويل) :

وقال أيضا

قامت تدير المدام كفاهما
ان أقبلت فالقضيبي قامتها
للسك ما فاح من مراشفها
غزالة أخلت سميتها
مبك لها حسنها ويهجتها

شمس ينير الدجى يحياها
أو أدبرت فالكثيب ردفاها
والبرق ما لاح من ثناياها
فلم تشبه بها وحاشاها
فهل لها جيدها وعيناها

(المنسرح)

قال وقد باع داره من رجل اسود :

حكم الزمان ببيع داري ظالما
يا بؤس ما صنع الزمان بمنزل

وأعادها ملكا للألم مشتري
أمسى به زحل^(١) بديل المشتري^(٢)

(الكامل) :

وقال ايضا :

خلط الصبا ماء الشباب بناره
من ورد وجنته وآس^(٣) عذاره

(١) كوكب تحيط به منطقة نيرة يضرب به المثل في العار والبعد ، واما هنا فقد اراد التورية فهي من رجل زحل : يتنحى عن العمل حسنا كان ارقبعا .

(٢) كوكب من الكواكب السيارة .

(٣) شجر يعرف بالريحان .

ليحوز قلبي في وثاق إيساره
زفاره ، والحِقف ^(١) ملء ازاره
(الكامل)

صنم حوى بدع الجمال بأسرها
البدر في أزواره ، والغصن في

وقال أيضاً :

تثني محاسن غيره من لبسه
سلبته ظالمة محاسن نفسه
(الكامل) :

من تقبل الدنيا عليه فانها
وكذاك مها أدبرت عن فاضل

وقال أيضاً :

يفنى زمانك بين اليأس والامل
فان اكثر عيش الناس بالحيل
وان قعدت فليس الرزق كالاجل
(البسيط) :

لا تقعدن بكسر البيت مكتئباً
واحتمل لنفسك في رزق تعيش به
ولا تقل ان رزقي سوف يدركني

وقال أيضاً :

ولا تخف في فوته نحس زحل
ما شاء من خير ومن شر فعل
(الرجز) :

لا ترج في أمرك سعد المشتري
وارج وخف رهبا فهو الذي

وقال ايضاً :

وقد تمنعتم عني بمجتاب
دون الوقوف لخلق على باب
(البسيط)

لا تعتبوني على أن لا أزورك
اني من القوم يحلو الموت عندهم

وقال في طيب اسمه شعبان :

لم منه وقبرم
م اذا العام تصرم
قتلك الناس محرم
(الرمل)

يا طيباً ضجر العا
فيك شهران من العا
أنت شعبان ولكن

وقال في وقت شدة :

على نائبات الدهر وهي فواجع
وإن أنا لم اصبر فما أنا صانع
(الطويل)

يقولون لي صبراً واني لصابر
سأصبر حتى يقضي الله ما قضى

وقال في الزهد :

(١) ما اعوج من الرمل واستطال .

ما أغفل المرء وألهاه
يا أمر بالغى شيطانه
غرقه دنياه فلم يستفق
يا ويحه المسكين يا ويحه
يعصي ولا يذكر مولاه
والعقل لو يرشد ينهاه
من سكرها يوماً لاخراه
ان لم يكن يرحمه الله
(السريع)

وقال ايضاً :

ساد صفار الناس في عصرنا
كالدست^(١) مهما هم ان ينقضي
لا دام من عصر ولا كانا
عاد به البيدق^(٢) فرزانا^(٣)
(السريع)

وقال ايضاً :

يا مفرداً بالفتج والشكل
البدر من شمس الضحى نوره
من دل عينيك على قتلي
والشمس من نورك تستملي
(السريع)

وقال وقد رأى أمرد جيلاً قام من موضع وجاء أسود قعد في مكانه :

مضت جنة المأوى وجاءت جهنم
وما هي الا الشمس حان افولها
فقد صرت اشقى بعدما كنت انعم
وأعقبها قطع من الليل مظلم
(الطويل)

وقال ايضاً :

وقائلة ما بال مثلك خاملاً
فقلت لها ذنبي الى القوم أنني
وأنت ضعيف الرأي أم أنت عاجز
لما لم يحوزوه من المجد حائز
وما فاتني شيء سوى الحظ وحده
وأما المعالي فهي في غرائز
(الطويل)

ولابي الصلت أمية بن عبد العزيز من الكتب : الرسالة المصرية ، ذكر فيها ما رآه في ديار مصر من هبتها وآثارها ، ومن اجتمع بهم فيها من الأطباء والمنجمين والشعراء وغيرهم من أهل الأدب ؛ وألف هذه الرسالة لابي الطاهر يحيى بن تميم بن المعز بن باديس . كتاب الادوية المفردة على ترتيب الاعضاء المتشابهة الاجزاء والآلية ، وهو مختصر قد رتبته احسن ترتيب . كتاب الانتصار لحنين بن اسحق على ابن رضوان في تتبعه لمسائل حنين . كتاب حديقة الادب . كتاب الملح العصرية من شعراء

(١) قالوا هو حسن الدست اي شطرنجي حاذق وكنى به عن الشطرنج نفسه .

(٢) هكذا وردت في الاصل والصحيح هي البيدق وهو من العسكر الرجالة وهما يعني به بيدق الشطرنج وهو المعروف بالمسكري .

(٣) ما يسمى الملكة في لعبة الشطرنج . « ن.ر. »

اهل الاندلس والطارئين عليها . ديوان شعره . رسالة في الموسيقى . كتاب في الهندسة . رسالة في العمل بالاسطرلاب . كتاب تقويم منطوق الذهن .

ابن باجة

هو ابو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ ، ويعرف بابن باجة ، من الأندلس . وكان في العلوم الحكيمة علامة وقته وأوحد زمانه . وبلي بمعن كثيرة وشناعات من العوام ، وقصدوا هلاكه مرات وسلمه الله منهم . وكان متميزاً في العربية والأدب حافظاً للقرآن . ويعد من الافاضل في صناعة الطب . وكان متقناً لصناعة الموسيقى جيد اللعب بالعود . وقال ابو الحسن علي بن عبد العزيز بن الامام ، في صدر المجموع الذف نقله من اقاويل ابي بكر محمد بن الصائغ بن باجة ما هذا مثاله : هذا مجموع ما قيد من اقوال ابي بكر بن الصائغ رحمه الله في العلوم الفلسفية . وكان ذا ثقابة الذهن . ولطف الفوص على تلك المعاني الشريفة الدقيقة اعجوبة دهره ، ونادرة الفلك في زمانه . فان هذه الكتب كانت متداولة بالاندلس ، من زمان الحكم مستجلبها ، ومستجلب غرائب ما صنف بالشرق ، ونقل من كتب الاوائل وغيرها ، نصر الله وجهه ، وتردد النظر فيها ، فما انتهج فيها الناظر قبله سبيلاً ، وما تقيد عنهم فيها إلا ضلالات وتبديل ، كما تبدد عن ابن حزم الاشبيلي^(١) وكان من أجل نظار زمانه وأكثرهم لمن تقدم على اثبات شيء من خواطره . وكان احسن منه نظراً وأثقب لنفسه تمييزاً . وانما انتهجت سبل النظر في هذه العلوم بهذا الخبر وبالك بن وهيب الاشبيلي ، فانها كانت متعاصرين ، غير ان مالك لم يقيد عنه الا قليل نزر في أول الصناعة الذهنية ؛ واضرب الرجل عن النظر ظاهراً في هذه العلوم ، وعن التكلم فيها لما لحقه من المطالبات في دمه لسببها ، ولقصده الغلبة في جميع محاوراته في فوز المعارف . وأقبل على العلوم الشرعية فرأس فيها او زاحم ذلك ، لكنه لم يلوح على اقواله ضياء هذه المعارف ، ولا قيد فيها باطناً شيئاً الفى بعد موته . وأما ابو بكر فنهضت به فطرته الفائقة ، ولم يدع النظر والتنقيج والتقييد لكل ما ارتسمت حقيقته في نفسه على أطوار أحواله ، وكيفما تصرف به زمنه ، وأثبتت في الصناعة الذهنية في أجزاء العلم الطبيعي ما يدل على حصول هاتين الصناعتين في نفسه صورة ينطق عنها ، ويفصل ويركب فيها فعل المستولي على أمدها .

وله تعاليت في الهندسة وعلم الهيئة تدل على بروعه في هذا الفن . واما العلم الالهي فلم يوجد في تعاليقه شيء مخصوص به اختصاصاً تاماً الا نزعات تستقرأ من قوله في رسالة الوداع ، واتصال الانسان بالعقل الفعال ، واشارات مبعدة في أثناء أقاويله لكنها في غاية القوة ، والدلالة على نزوعه في ذلك العلم الشريف الذي هو غاية العلوم ومنتهاها ، وكل ما قبله من المعارف فهو من أجله وقوتة له . ومن المستحيل ان ينزع في التوطئات وتنفصل له أنواع الوجود على كالأها ، ويكون مقصراً في العلم الذي هو

(١) فقيه وطبيب وشاعر وفيلسوف ومؤرخ غربي ولد في قرطبة (٩٩٤ - ١٠٦٤) تولى الوزارة ثم اعتزل وانصرف للتأليف . (ن . ر)

الغاية ، واليه كان التشوق بالطبع لكل ذي فطرة بارعه ، وذوي موهبة إلهية ترقبه عن أهل عصره ، وتخرجه من الظلمات الى النور . كما كان ، رحمه الله ، وقد صدرنا هذا المجموع بقول له في الغاية الانسانية ، على نهاية من الوجازة ، تعرب عما أشرنا اليه من ادراكه في العلم الالهي . وفيما قبله من العلوم الموطنة له . وعسى انه قد علق فيه ما لم يعثر عليه ، ويشبه انه لم يكن بعد ابي نصر الفارابي^(١) مثله في الفنون التي تكلم عليها من تلك العلوم ، فانه اذا قارنت أقاويله فيها بأقاويل ابن سينا والنزالي^(٢) ، وهما اللذان فتح عليهما بعد ابي نصر بالمشرق في فهم تلك العلوم ، ودونا فيها ، بات لك الرجحان في أقاويله . وفي حسن فهمه لأقاويل ارسطو . والثلاثة أئمة دون ريب ، وآتون ما جاء به من قبلهم بارع الحكمة عن يقين تتناز به اقاويلهم ، ويتواردون فيها مع السلف الكريم .

أقول : وكان هذا أبو الحسن علي بن الامام من غرناطة ، وكان كاتباً فاضلاً متميزاً في العلوم ، وصاحب ابا بكر بن باجة مدة واشتغل عليه . وسافر أبو الحسن علي بن الامام من المغرب ، وتوفي بقوص^(٣) . وكان من جملة تلاميذ ابن باجة أيضاً القاضي أبو الوليد محمد بن رشد^(٤) . وتوفي ابن باجة شاباً بمدينة فاس^(٥) ودفن بها . واخبرني القاضي أبو مروان الاشيلي انه رأى قبر ابن باجة ، وقريباً من قبره قبر أبي بكر بن العربي الفقيه ، صاحب التصانيف .

ومن كلام ابن باجة قال : الاشياء التي ينفع تعلمها بعد زمان طويل لا يضيع تذكرها . وقال : حسن عملك قفز بخير من الله سبحانه .

ولابن باجة من الكتب : شرح كتاب السمع الطبيعي لارسطوطاليس ، قول على بعض كتاب الآثار العلوية لارسطوطاليس ، قول على بعض كتاب الكون والفساد لارسطوطاليس . قول على بعض المقالات الاخيرة من كتاب الحيوان لارسطوطاليس . كلام على بعض كتاب النبات لارسطوطاليس . قول ذكر فيه التشوق الطبيعي وماهيته ، وابتداء ان يعطي أسباب البرهان وحقيقته . رسالة الوداع . قول يتلو رسالة الوداع . كتاب اتصال العقل بالانسان . قول على القوة النزوعية . فصول تتضمن القول على اتصال العقل بالانسان . كتاب تدبير المتوحد . كتاب النفس . تعاليق على كتاب أبي نصر في الصناعة الذهنية . فصول قليلة في السياسة المدنية ، وكيفية المدن وحال المتوحد فيها . نبذة يسيرة على الهندسة والهيئة . رسالة كتب بها الى صديقه أبو جعفر يوسف بن أحمد بن حسداي بعد قدومه الى مصر . تعاليق حككية وجدت متفرقة . جوابه لما سئل عن هندسة ابن سيد المهندس وطرقه . كلام على شيء من كتاب الادوية المفردة لجالينوس . كتاب التجربتين على أدوية ابن وافد ، واشترك في تأليف هذا

(١) ولد في فاراب وتوفي في دمشق ٨٧٣ - ٩٥٠ من اعظم فلاسفة العرب لقب بالمعلم الثاني .

(٢) ابو حامد النزالي مفكر من اعظم فلاسفة العرب ولد في طوس ١٠٥٩ - ١١١١ انصرف الى الحياة الصوفية بعد ان علم في المدرسة النظامية في بغداد .

(٣) مدينة في صعيد مصر المحيطة عدة علماء .

(٤) فيلسوف وطبيب عربي ولد في قرطبة وتوفي في مراكش ١١٢٦ - ١١٩٨ ولي القضاء في قرطبة ومن أهم آرائه قدم العالم ، ووحدة العقل الفعال المشترك بين الكل .

(٥) احدى المدن السلطانية الدريغ في المغرب وعاصمة الشمال كانت مركزاً ثقافياً وفنياً خطيراً في القرن العاشر .

الكتاب أبو بكر بن باجه ، وابو الحسن سفيان . كتاب اختصار الحاوي للرازي . كلام في الغاية الانسانية . كلام في الامور التي بها يمكن الوقوف على العقل الفعّال . كلام في الاسم والمسمى . كلام في البرهان . كلام في الاسطىقات . كلام في الفحص عن النفس النزوعية وكيف هي ولم تنزع وبماذا تنزع . كلام في المزاج بما هو طبي .

ابو مروان بن زهر

هو أبو مروان عبد الملك بن الفقيه محمد بن مروان بن زهر الآيادي الأشبيلي ، كان فاضلاً في صناعة الطب خبيراً بأعمالها مشهوراً بالحدق ، وكان والده الفقيه محمد من جملة الفقهاء والمتميزين في علم الحديث بأشبيلية . وقال القاضي صاعد ان أبا مروان بن زهر رحل الى المشرق ودخل القيروان ومصر وتطبيب هناك زمناً طويلاً . ثم رجع الى الاندلس وقصد مدينة دانية . وكان ملكها في ذلك الوقت مجاهداً . فلما وصل أبو مروان بن زهر اليه أكرمه اكراماً كثيراً ، وأمره أن يقيم عنده ففعل وحظي في أيامه ، واشتهر في دانية بالتقدم في صناعة الطب ، وطار ذكره منها الى اقطار الاندلس . وله في الطب آراء شاذة منها منعه من الحمام ، واعتقاده فيه انه يعفن الاجسام ، ويفسد الامزجة قال : هذا رأي يخالفه فيه الاوائل والأواخر ، ويشهد بخطئه الخواص والعوام بل اذا استعمل على الترتيب الذي يجب بالتدريج الذي ينبغي يكون رياضة فاضلة ، ومهنة نافعة لتفتيحه للسام وتطريقه وتلطيفه لما غلظ من الكيموسات .

اقول : وانتقل ابو مروان بن زهر من دانية الى مدينة اشبيلية ، ولم يزل بها الى ان توفي وخلف اموالاً جزيلة ، وكان غني اشبيلية محط انظارها في الرباع والضياع .

ابو العلاء بن زهر

هو أبو العلاء زهر بن أبي مروان عبد الملك بن محمد بن مروان ، مشهور بالحدق والمعرفة ، وله علاجات مختارة تدل على قوته في صناعة الطب واطلاعه على دقائقها . وكانت له نوادر في مداواته المرضى ومعرفة لآحوالهم ، وما يحدونه من الآلام من غير أن يستخبرهم عن ذلك بل ينظره الى قواريرهم ، او عندما يحس نبضهم . وكان في دولة المثلثين ^(١) ، ويعرفون ايضاً بالمرابطين وحظي في أيامهم ، ونال المنزلة الرفيعة والذكر الجميل . وكان قد اشتغل بصناعة الطب وهو صغير في أيام المعتضد بالله ابي عمرو عباد بن عباد ^(٢) . واشتغل ايضاً بعلم الادب ، وهو حسن التصنيف جيد التأليف . وفي زمانه وصل كتاب القانون لابن سينا الى المغرب ، وقال ابن جيع المصري في « كتاب التصريح

(١) اسم يطلق على قبائل الصنهاجة في افريقيا الشمالية الغربية . كان رجالهم يضعون اللثام على وجوههم . والسلالة الملكية التي تركز عليهم هي المرابطون . فتحت المغرب وبسطت سلطانها على الاندلس مؤسسها يحيى بن ابراهيم الجدلي واشهر ملوكها يوسف بن تاشفين

(٢) صاحب اشبيلية واعمالها خلف والده في الحكم واستبد وكان معه وزراء فافناهم . حارب البربر وظفر بهم «ن»

بالمكنون في تنقيح القانون ، ، ان رجلاً من التجار جلب من العراق الى الاندلس نسخة من هذا الكتاب ، قد بولغ في تحسينها فاتحف بها لابي العلاء بن زهر تقريباً اليه ، ولم يكن هذا الكتاب وقع اليه قبل ذلك فلما تأمله ذمه واطرحه ، ولم يدخله خزانة كتبه ، وجعل يقطع من طوره ^(١) ما يكتب فيه نسخ الادوية لمن يستفتيه من المرضى وقال ابو يحيى اليسع بن عيسى بن حزم ابن اليسع في كتاب « المغرب عن محاسن اهل المغرب » ؛ ان ابا العلاء بن زهر كان مع صغر سنه تصرخ النجابة بذكره ، وتخطب المعارف بشكره . ولم يزل يطالع كتب الاوائل متفهما ، ويلقى الشيوخ مستمعاً ، والسعد ينهج له مناهج التيسير ، والقدر لا يرضى له من الوجاهة باليسير ، حتى برز في الطب الى غاية عجز الطب عن مرامها ، وضعف الفهم عن ابرامها وخرجت عن قانون الصناعة الى ضروب من الشناعة ؛ يخبر فيصيب ، ويضرب في كل ما ينتحل من التعاليم باوفى نصيب ، ويشعر سابق مدى ، ويغبر في وجوه الفضلاء علماً ومحتداً ، ويفوق الجسلة سماحة وندي ، لولا بذاء لسان ، وعجلة انسان . واي الرجال تكمل خصاله ، وتتناسب اوصاله ؟

ونقلت من خط محمد بن احمد بن صالح العبدى ، وهو من اهل المغرب ، وله نظر وعناية بصناعة الطب . قال ابو العلاء المصري ، وهو شيخ ابو العلاء بن زهر ، ومن قبله انصرف من بغداد وحكايته معه طويلة ، قال : اخبرني بهذا الشيخ الطبيب ابو القاسم هشام بن اسماعيل بن محمد بن احمد بن صاحب الصلاة بداره باشيلية حرسها الله .

اقول : وكان من جملة تلاميذ ابي العلاء بن زهر في الطب ابو عامر بن ينق الشاطبي الشاعر . وتوفي ابو العلاء بن زهر في سنة ^(*) ودفن باشيلية خارج باب الفتاح .

ومن شعر ابي العلاء بن زهر ، قال في التغزل :

يا من كلفت به وذلت عزتي	لغرامه وهو العزيز القاهر
رمت التصبر عندما ألقى الجفا	ويقول ذاك الحسن مالك ناصر
ما الجاه الا جاء من ملك القوى	واطاعه قلب عزيز قادر
	الكامل

وقال ايضاً :

يا راشقي بسهام ما لها غرض	الا الفؤاد وما لها منه عوض
ومرضي يحفون حشوها سقم	صحّت ومن طبعها التمرىض والمرض
أمن ولو بخيال منك يطرقني	فقد يسد مسد الجواهر العرض
	البسيط

وقال في ابن منظور قاضي قضاة اشيلية ، وقد وصله عنه انه قال : امريض ابن زهر ؟ على

(١) حاشيته .

(*) يبااض بالاصل .

جهة الاستهزاء .

قالوا ابن منظور تعجب دأبها
قد كان جالينوس يمرض دهره
إني مرضت فقلت يعثر من مشى
فن الفقيه المرتضى أكل الرشا
الكامل

وقال أيضاً :

سمعت بوصف الناس هنداً فلم ازل
فلما اراني الله هنداً وزها
أخا صبوة حتى نظرت الى هند
تمنيت ان ازداد بعداً على بعد
الطويل

ولابي العلاء ابن زهر من الكتب : كتاب الخواص ، كتاب الادوية المفردة ، كتاب الايضاح
بشواهد الافتضاح في الرد على ابن رضوان فيما رده على حنين بن اسحق في كتاب المدخل الى الطب .
كتاب حل شكوك الرازي على كتب جالينوس ، مجربات ، مقالة في الرد على ابي علي بن سينا في
مواضع من كتابه الادوية المفردة ، ألفها لابنه ابي مروان . كتاب النكت الطبية ، كتب بها الى ابنه
ابي مروان . مقالة في بسطه لرسالة يعقوب بن اسحق النكدي في تركيب الادوية ، وامثلة ذلك
نسخ له ومجربات امر يجمعها علي بن يوسف بن تاشفين بعد موت ابي العلاء . فجمعت بمراكش ، وبسائر
بلاد العدو والاندلس ، وانتسخت في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وخمسةائة .

ابو مروان بن ابي العلاء بن زهر

هو ابو مروان عبد الملك بن ابي العلاء ، زهر بن ابي مروان عبد الملك بن محمد بن مروان بن
زهر ، لحق بابيه في صناعة الطب ، وكان جيد الاستقصاء في الادوية المفردة والمركبة ، حسن
المعالجة ، قد ذاع ذكره في الاندلس وفي غيرها من البلاد ، واشتغل الاطباء بمصنفاه . ولم يكن في
زمانه من يماثله في مزاولة اعمال صناعة الطب . وله حكايات كثيرة في تأتبه لمعرفة الامراض ومداواتها
بما لم يسبقه احد من الاطباء الى مثل ذلك . وكان قد خدم الملثمين ، ونال من جهتهم من النعم والاموال
شيئاً كثيراً . وفي الوقت الذي كان فيه ابو مروان عبد الملك بن ابي العلاء بن زهر دخل المهدي الى
الاندلس وهو ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت^(١) ومعه عبد المؤمن^(٢) ، وشرع في بث الدعوة
لعبد المؤمن ، وتمهيد امره الى ان انتشرت كلمته واتسعت مملكته ، وملك البلاد وأطاعه الخلق .
وحكاية المهدي في تأتبه الى ان نال الملك وصفا له الأمر معروفة مشهورة . ولما استقل عبد المؤمن
بالمملكة ، وعرف بامير المؤمنين ، واستولى على خزائن المغرب ، بذل الاموال ، وأظهر العدل ، وقرب
أهل العلم وأكرمهم ، ووالى احسانه اليهم ، واختص ابا مروان عبد الملك بن زهر لنفسه ، وجعل

(١) مصطلح ديني مراكشي يعرف بمهدي الموحدين ، ولد في جبل السوس .

(٢) مؤسس سلالة الموحدين في المغرب ، حل بالحرب على الاندلس وتوفي في سلا « ن . ر »

اعتماده عليه في الطب ، وأثاله من الانعام والعطاء فوق امنيته . وكان مكيناً عنده ، عالي القدر ، متميزاً على كثير من ابناء زمانه . وألف له ابو مروان بن زهر الترياق السبعيني ، واختصره عشارياً واختصره سباعياً ، ويعرف بترياق الانتلة .

حدثني ابو القاسم المعاجيني الاندلسي ان الخليفة عبد المؤمن احتاج الى شرب دواء مسهل ، وكان يكره شرب الادوية المسهلة فتلطف له ابن زهر في ذلك ، وأتى الى كرمه في بستانه فجعل الماء الذي يسقيها به ماء قد اكسبه قوة ادوية مسهلة بنقعها فيه ، او بغليانها معه . ولما تشربت الكرمة قوة الادوية المسهلة التي ارادها ، وطلع فيها العنب ، وله تلك القوة ، احم الخليفة ، ثم أناه بعنقود منها وأشار عليه ان يأكل منه . وكان حسن الاعتقاد في ابن زهر ، فلما اكل منه وهو ينظر اليه قال له يكفيك يا امير المؤمنين فانك قد اكلت عشر حبات من العنب ، وهي تخدمك عشر مجالس . فاستخبره عن علة ذلك وعرفه به . ثم قام على عدد ما ذكره له ووجد الراحة فاستحسن منه فعله هذا وتزايدت منزلته عنده .

وحدثني الشيخ محيي الدين ابو عبد الله بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي من اهل مرسية ان اباً مروان عبد الملك بن زهر ، كان في وقت مزوره الى دار امير المؤمنين باشبيلية ، يجد في طريقه عند حمام ابي الخير بالقرب من دار ابن مؤمل مريضاً به سوء قته^(١) ، وقد كبر جوفه ، واصفر لونه فكان أبدأ يشكو اليه حاله ، ويسأله النظر في امره . فلما كان بعض الأيام سأله مثل ذلك فوقف ابو مروان بن زهر عنده ، ونظر اليه فوجد عند رأسه ابريقاً عتيقاً يشرب منه الماء ، فقال اكسر هذا الابريق فانه سبب مرضك . فقال له لا بالله يا سيدي فاني ما لي غيره ، فأمر بعض خدمه بكسره فكسره فظهر منه لما كسر ضفدع وقد كبر بما له فيه من الزمان . فقال له ابن زهر : خلصت يا هذا من المرض انظر ما كنت تشرب . وبرأ الرجل بعد ذلك .

وحدثني القاضي ابو مروان محمد بن احمد بن عبد الملك اللخمي ثم الباجي قال : حدثني من اثنى به انه كان باشبيلية حكيم فاضل في صناعة الطب يعرف بالفار ، وله كتاب جيد في الادوية المفردة سفران ، وكان ابو مروان بن زهر كثيراً ما يأكل التين ويميل اليه . وكان الطبيب المعروف بالفار لا يقتضي منه بشيء ، وان اخذ منه شيئاً فيكون واحدة في السنة ، فكان يقول هذا لابي مروان بن زهر انه لا بد ان تعرض لك نغلة صعبة بمداومتك اكل التين ، والنغلة هو الدبيلة بلغتهم . وكان ابو مروان يقول له لا بد لكثرة حيتك وكونك لم تأكل شيئاً من التين ان يصيبك الشنجاج قال : فلم يمت المعروف بالفار الا بعلّة التشنج وكذلك ايضاً عرض لابي مروان بن زهر دبيلة في جنبه ، وتوفي بها . وهذا من ابلغ ما يكون من مقدمة الانذار ، قال : ولما عرض لابي مروان هذه العلة ، كانت يعالجها ويصنع لها مرامم وادوية ، ولم تؤثر نفعاً يعتد به . فكان يقول له ابنه ابو يكر : يا ابي لو غيرت هذا الدواء بالدواء الفلاني ، ولو زدت من هذا الدواء او استعملت دواء كذا وكذا ، فكان

(١) المي .

يقول له : يا بني اذا أراد الله تغيير هذه البنية فانه لا يقدر لي ان استعمل من الادوية الا ما يتم به مشيئته وارادته .

اقول : وكان من اجل تلاميذ ابي مروان عبد الملك بن ابي العلاء بن زهر في صناعة الطب والآخذين عنه: ابو الحسين بن اسدون ، شهر بالمصدوم . وابو بكر بن الفقيه القاضي ابي الحسن قاضي اشبيلية، وابو محمد الشذوني والفقيه الزاهد ابو عمران بن ابي عمران. وتوفي ابو مروان عبد الملك بن ابي العلاء بن زهر في سنة * وخمسمائة، ودفن باشبيلية خارج باب الفتح .

ولابي مروان بن ابي العلاء بن زهر من الكتب : كتاب التيسير في المسداواة والتدبير ، ألفه للقاضي ابي الوليد محمد بن احمد بن رشد . كتاب الاغذية الفه لابي محمد عبد المؤمن بن علي. كتاب الزينة تذكرة الى ولده ابي بكر. في امر الدواء المسهل وكيفية اخذه ، وذلك في صغر سنه ، واول سفره سافرها فتاب عن ابيه فيها . مقالة في علل الكلى . رسالة كتب بها الى بعض اطباء باشبيلية في حلي البرص والبهق . كتاب تذكرة ذكر بها لابنه ابي بكر اول ما تعلق بعلاج الامراض .

الحفيد ابو بكر بن زهر

هو الوزير الحكيم الاديب الحبيب ابو بكر محمد بن ابي مروان بن ابي العلاء بن زهر ، مولده بمدينة اشبيلية ونشأ بها وتميز في العلوم ، واخذ صناعة الطب عن ابيه ، وبأشر اعمالها ، وكان معتدلاً القامة صحيح البنية ، قوي الاعضاء . وصار في سن الشيخوخة ونضارة لونه وقوة حركاته لم يتبين فيها تغير ، وانما عرض له في اواخر عمره ثقل في السمع . وكان حافظاً للقرآن ، وسمع الحديث ، واستغل بعلم الادب والعربية ، ولم يكن في زمانه اعلم منه بمعرفة اللغة . ويوصف بأنه قد اكمل صناعة الطب والادب ، وعانى عمل الشعر وأجاد فيه . وله موشحات مشهورة ويغني بها ، وهي من أجود ما قيل في ذلك .

وكان ملازماً للأمور الشرعية ، متين الدين ، قوي النفس ، محباً للخير . وكان مهيباً وله جرأة في الكلام ، ولم يكن في زمانه اعلم منه بصناعة الطب ، وذكره قد شاع واشتهر في اقطار الاندلس وغيرها من البلاد. وحدثني القاضي ابو مروان محمد بن احمد بن عبد الملك الباجي من اهل اشبيلية قال، قال لي الشيخ الوزير الحكيم ابو بكر بن زهر انه لازم لجدي عبد الملك الباجي سبع سنين يشغل عليه ، وقرأ عليه كتاب المدونة لسخنون^(١) في مذهب مالك ، وقرأ ايضاً عليه مسند ابن ابي شيبة. وحدثني ايضاً القاضي ابو مروان الباجي عن ابي بكر بن زهر انه كان شديد البأس يجذب قوساً مائة وخمسين رطلاً بالاشبيلي، والرطل الذي باشبيلية ستة عشر أوقية ، وكل أوقية عشرة دراهم ، وانه كان

(*) بياض بالاصل .

(١) عبد السلام سخنون (٧٧٦ - ٨٥٦) ولي القضاء بالقيروان. وصنف كتاب «المدونة» في فقه الامام مالك. وعنه انتشر علم مالك بالمغرب

جيد اللعب بالشطرنج جداً ولم يكن في زمانه احد مثله في صناعة الطب ، وخدم الدولتين . وذلك انه لحق دولة المثلثين واستمر في الخدمة مع ابيه في آخر دولتهم . ثم خدم دولة الموحدين^(١) وهم بنو عبد المؤمن . وذلك انه كان في خدمة عبد المؤمن هو وابوه ، وفي أيام عبد المؤمن مات ابوه وبقي هو في خدمته ثم خدم لابن عبد المؤمن ابي يعقوب يوسف^(٢) ، ثم لابنه يعقوب ابي يوسف^(٣) الذي لقب بالنصور . ثم خدم ابنه ابا عبد الله محمد الناصر^(٤) ، وفي اول دولته توفي ابو بكر بن زهر ، وكانت وفاته رحمه الله في عام ستة وتسعين وخمسة مائة^(٥) وقد اتاها ليزور بها ودفن هناك في الموضع المعروف بمقابر الشيوخ ، وعمر نحو الستين سنة .

قال : وكان ابو بكر بن زهر صائب الرأي ، حسن المعالجة ، جيد التدبير . وقد عرف هذا منه ، حتى انه يوماً كان قد كتب والده ابومروان ابن زهر نسخة دواء مسهل لعبد المؤمن الخليفة ، فلما رآه ابو بكر بعد ذلك ، وكان في حال شببته قال : يجب أن يبدل هذا الدواء المفرد منه بدواء آخر . فلم يتناول عبد المؤمن ذلك الدواء . ولما رآه ابوه قال : يا أمير المؤمنين ان الصواب في قوله . وبسبب الدواء المفرد بغيره فائز نفعاً بينا . وألف أبو بكر ابن زهر الترياق الحمسيني للنصور ابي يوسف يعقوب . قال : وحدثني من أتق به ان رجلاً من بني الينافي كان صديقاً للحفيد ابي بكر بن زهر ، وكان يحالسه كثيراً ويلعب معه بالشطرنج ، وانه كان عند الحفيد ابي بكر يوماً وهما يلعبان بالشطرنج ، فرآه الحفيد على غير ما يمهده به من الانبساط ، فقال له : ما لحاظك كأنه مشغول بشيء عرفني ما هو ؟ فقال : نعم ان لي بنتاً زوجها لرجل وهو يطلبها ، وقد احتجت الى ثلثائة دينار فقال له : اللعب وما عليك فان عندي في وقتنا هذا ثلثائة دينار الا خمسة دنائير تأخذها . فلعب معه ساعة واستدعى بالذهب واعطاه له ، فلما كان عن قرب أتاه صاحبه وترك بين يديه ثلثائة دينار الا خمسة . فقال له ابن زهر : ما هذا ؟ فقال : انني بعت زيتونا لي بسبعائة دينار ، وقد أقيت منها بثلثائة دينار الا خمسة عوض الذي تفضلت به علي ، وأقرضتني اياه ، وقد بقي عندي حاصلاً أربعمائة دينار . فقال له ابن زهر : ارفع هذا عندك واتنفع به ، فاني ما دفعت لك الذهب على اني اعود آخذه أبداً . فأبى الرجل وقال : انني بحمد الله بحال سعة ، ولا لي حاجة ان آخذ هذا ولا غيره من أحد أصلاً . وتفاوضا في ذلك ، فقال له ابن زهر : يا هذا ، انت صديقي او عدوي ؟ فقال له : بل صديقك ، وأحب الناس فيك . فقال له ابن زهر : والله لئن لم تأخذه لاعاديتك بسببه ، ولا أعود اكلمك أبداً . فأخذه منه ، وشكره على فعله .

(١) سلالة من ملوك البربر في المغرب اسمها المهدي بن تومرت . تغلبت على المرابطين في المغرب والاندلس . واستولت على الملك (١٠٥٥-١٢٦٩) .

(٢) صاحب اشبيلية . خليفة وامام في مراکش من الموحدين قاتل الافرنج وتوفي سنة ١١٨٤ .

(٣) سلطان من الموحدين «١١٨٤-١١٩٩»

(٤) رابع سلاطين الموحدين في المغرب حكم «١١٩٩-١٢١٣» وحارب الاسبان . والناصر لقب شرف لا يبي عبد الله محمد .

(٥) مدينة في المغرب الاقصى موقعها في اسفل جبل اطلس الاعلى . اسمها المرابطون «ن»

قال القاضي أبو مروان الباجي : وكان المنصور قد قصد ان لا يترك شيئاً من كتب المنطق والحكمة باقياً في بلاده . وأباد كثيراً منها باحراقها بالنار وشدد في ان لا يبقى احد يشتغل بشيء منها ، وانه متى وجد أحد ينظر في هذا العلم او وجد عنده شيء من الكتب المصنفة فيه فانه يلحقه ضرر عظيم . ولما شرع في ذلك جعل أمره مفوضاً الى الحفيد أبي بكر بن زهر ، وانه الذي ينظر إليه . واراد الخليفة انه ان كان عند ابن زهر شيء من كتب المنطق والحكمة لم يظهر ، ولا يقال عنه انه يشتغل بها ، ولا يناله مكروه بسببها ولما نظر ابن زهر في ذلك ، وامثل أمر المنصور في جمع الكتب من عند الكتبيين وغيرهم ، وان لا يبقى شيء منها ، واهانة المشتغلين بها . وكان باشبيلية رجل من اعيانها يعادي الحفيد أبا بكر بن زهر ويحسده وعنده شر ، فعمل محضراً في أن ابن زهر دائم الاشتغال بهذا الفن والنظر فيه ، وان عنده في داره شيئاً كثيراً من كتبه ، وجمع فيه شهادات عدة وبعث به الى المنصور ، وكان المنصور حينئذ في حصن الفرج وهو موضع بناء قريباً من اشبيلية على ميلين منها ، صحيح الهواء بحيث بقيت الخنطة فيه ثمانين سنة لم تتغير لصحته . وكان أبو بكر بن زهر هو الذي أشار على المنصور ان يبنيه في ذلك الموضع ، ويقم فيه في بعض الاوقات . فلما كان المنصور به ، وقد اتاه المحضر نظره ، ثم أمر بأن يقبض على الذي عمله وان يودع السجن ففعل به ذلك . وانهزم جميع الشهود الذين وضعوا خطوطهم فيه . ثم قال المنصور : انني لم أول ابن زهر في هذا الا حتى لا ينسب أحد الى شيء منه ، ولا يقال عنه . والله لو ان جميع أهل الاندلس وقفوا قدامي وشهدوا على ابن زهر بما في هذا المحضر لم أقبل قولهم ، لما اعرفه في ابن زهر من متانة دينه وعقله .

وحدثني أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الاشبيلي قال : كان الحفيد أبو بكر بن زهر قد أتى اليه من الطلبة اثنان ليشغلا عليه بصناعة الطب فترددا اليه ، ولزامه مدة وقرأ عليه شيئاً من كتب الطب . ثم انها أتياه يوماً وبدا أحدهما كتاب صغير في المنطق ، وكان يحضر معها أبو الحسين المعروف بالمصدوم ، وكان غرضهم ان يشغلا فيه ، فلما نظر ابن زهر الى ذلك الكتاب قال : ما هذا ؟ ثم اخذه ينظر فيه ، فلما وجدته في علم المنطق رمى به ناحية ، ثم نهض اليهم حافياً ليضربهم وانهزموا قدامه ، وتبعهم يعدو على حالته تلك وهو يبالي في شتمهم ، وهم يتعادون قدامه الى ان رجع عنهم عن مسافة بعيدة فبقوا منقطعين عنه إياماً لا يحسرون ان يأتوا اليه . ثم انهم توسلوا الى ان حضروا عنده واعتذروا بأن ذلك الكتاب لم يكن لهم ، ولا لهم فيه غرض أصلاً ، وانهم انما رأوه مع حدث في الطريق وهم قاصدون اليه فهزلوا بصاحبه : وعشوا به واخذوا منه الكتاب قهراً وبقي معهم ودخلوا اليه ، وهم سامعون عنه . فتخادع لهم ، وقبل معذرتهم ، واستمروا في قراءتهم عليه صناعة الطب .

ولما كان بعد مديدة أمرهم ان يجيدوا حفظ القرآن ، وان يشتغلوا بقراءة التفسير والحديث والفقه ، وان يواظبوا على مراعاة الامور الشرعية والاعتداء بها ، ولا يخلوا بشيء من ذلك . فلما امتثلوا امره ، وأتقنوا معرفة ما أشار به عليهم ، وصارت لهم مراعاة الامور الشرعية سجية وعادة قد ألفوها ، كانوا يوماً عنده واذا به قد أخرج لهم الكتاب الذي كان رآه معهم في المنطق ، وقال لهم : الآن

صلحتم لان تقرأوا هذا الكتاب وأمثاله علي . وأشغلهم فيه ، فتعجبوا من فعله رحمه الله . وهذا يدل منه على كمال عقله وتوفر مروءته .

وحدثني القاضي ابو مروان الباجي قال : كان أبو زيد عبد الرحمن بن يوجان وزير المنصور يعادي الحفيد أبا بكر بن زهر ويحسده لما يرى من عظم حاله ، وعلو منزلته وعلمه ، فاحتال عليه في سم صيره مع احد من كان عند الحفيد بن زهر فقدمه الى الحفيد بن زهر في بيض ، وكانت مع الحفيد أيضاً بنت اخته ، وكانت اخته وابنتها هذه عالمتين بصناعة الطب والمداواة ، ولهما خبرة جيدة بما يتعلق بمداواة النساء ، وكانتا قدخلان الى نساء المنصور ، ولا يقبل^(١) للمنصور وأهله ولداً الا أخت الحفيد او بنتها لما توفيت امها . فلما أكل الحفيد من ذلك البيض وبنت اخته مآتا جميعاً ولم ينفع فيها علاج . قال : ولم يمت أبو زيد عبد الرحمن بن يوجان إلا مقتولاً قتله مع بعض أقاربه .

أقول وكان من أجل تلامذة الحفيد أبي بكر بن زهر في صناعة الطب ، والآخذين عنه أبو جعفر ابن الفزال .

ومن شعر الحفيد أبي بكر بن زهر أنشدني معيي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن علي بن محمد العربي الحاتمي قال : أنشدني الحفيد أبو بكر بن زهر لنفسه يتشوق الى ولده .

نأت عنه دارى فيا وحشى لذاك الشخيص وذاك الوجيه
تشوقني وتشوقته فيبكي علي وأبكي عليه
وقد تعب الشوق ما بيننا فنه الي ومني اليه
(المقارب)

أنشدني القاضي أبو مروان الباجي قال ، أنشدني ابو عمران بن عمران الزاهد المرتلي القاطن بأشبيلية قال أنشدني الحفيد ابو بكر بن زهر لنفسه في آخر عمره .

اني نظرت الى المرأة اذ جلست فأنكرت مقلتي كلما رأنا
رأيت فيها شيئاً لست أعرفه وكنت أعرف فيها قبل ذاك فتى
فقلت ابن الذي مثواه . كان هنا متى تحل عن هذا المكان متى؟
فاستجبهتني وقالت لي وما نطقبت : قد كان ذاك وهذا بعد ذاك أتى ،
هون عليك . فهذا لا بقاء له أما ترى العشب يفنى بعدما نبنا
كان الغواني يقلن يا أخى فقد صار الغواني يقلن اليوم يا أبتنا
(البسيط)

وانشدني أيضاً القاضي ابو مروان الباجي عن الحفيد بن زهر له من أبيات :
أعد الحديث علي من جنباته ان الحديث عن الحبيب حبيب
الكامل :

(١) تتولى قبالة نساء اهله اي توليهم .

وأنشدني شيخنا علم الدين قيصر بن أبي القاسم بن عبد الغني بن مسافر الحنفي المهندس ، للحفيد أبي بكر بن زهر ، وهي بديعة المعنى كثيرة التجنيس .

لله ما صنع الغرام بقلبه	أودى به لما ألب ^(١) بلبه
لباه لما أن دعاه وهكذا	من يدعه داعي الغرام يلبه
بأبي الذي لا تستطيع لعجه	رد السلام وان شككت فعج به
ظني من الاتراك ما ترك الضنا	أحاطه من سلوة لمحبه
ان كنت تنكر ما جنى بلحاطه	في سلبه يوم الغوير فسل به
او شئت ان تلقى غزالا أغيداً	في سربه اسد العرين فسر به
يا ما اميلحه وأعذب ريقه	وأعزه وأذلني في حبه
أو ما أليطف وردة في خده	وأرقها واشد قسوة قلبه
كم من خمار دون خمرة ريقه	وعذاب قلب دون رائق عذبه
نادى بنفسج عارضيه تعمداً	يا عاشقين تمنعوا من قربه

(الكامل)

ومن موشحاته بما أنشدني أبو عبدالله محمد ، سبط الحكيم أبي محمد عبدالله ابن الحفيد أبي بكر بن زهر ، وكان والد هذا المذكور أبي عبدالله ، وهو أبو مروان احمد بن القاضي أبي عبدالله محمد بن أحمد ابن عبد الملك الباجي ، قد تزوج ببنت أبي محمد عبدالله بن الحفيد أبي بكر بن زهر ، ورزق منها أبا عبدالله محمد . وكان - أعني أبا مروان احمد - قد ملك اشيلية ، وبقيت في يده تسعة اشهر . ثم قتل ابن الاحمر غدرأ في سنة ثلاثين وستمائة ، وكان عمره اذ ذاك سبعة وثلاثين سنة فن ذلك قال وهي من اول قوله

زعمت انقاسي الصعدا ان افراح الهوى نكد
هام قلبي في معذبه وانا اشكو لمطلبه ان كتمت الحب مت به
واذا ما صحت واكبدا فرح الاعداء وانتقدوا
ايها الباكي على الطلل ومدير الراح بالامل انا من عينيك في شغل
فدع الدمع السفوح سدى وضرام الشوق تتقد
مقلة جادت بما ملكك عرفت ذل الهوى فبكت وشكت بما بها ورثت
وفؤادي هائم أبدا ما عليه للسلو يد
ان عيني لا اذنبها اتعبت قلبي واتعبها لنجوم بت ارقبها
رمت ان احصي لها عددا وهي لا يحصى لها عدد
وغزال يغلب الاسدا جئت لاستنجاز ما وعدا فانزوى عني وقال غدا

(١) اقام .

أترى يا قوم اين هو غدا
في اي مكان يسكن او يجد
(المديد)

وقال ايضاً :

شمس قارنت بدرا راح ونديم
ادر أكؤس الخمر عنبرية النثر ان الروض ذو بشر
وقد درع النهر هبوب النسيم
وسلت على الافق يد الغرب والشرق سيوفاً من البرق
وقد اضحك الزهرا بكاء الغيوم
الا ان لي مولى تحم فاستولى أما انه لولا
دمع يفضح السرا لكنت كتوم
أنى لي كتمان ودمعي طوفان شبت فيه نيران
فمن ابصر الجرا في لج يعوم
اذا لامني فيه من رأى تجنيه شدوت اغنبه
لعل له عذرا وانت تلوم

وقال ايضاً :

أيا الساقى اليك المشتكى قد دعوتك وان لم تسمع
ونديم همت في غرته وشربت الراح من راحته كلما استيقظ من سكرته
جذب الزق اليه واثكا وسقاني اربعاً في أربع
غصن بان مال من حيث استوى بات من يهواه من فرط الجوى
خفق الاحشاء موهون القوى
كلما فكر في البين بكى ما له يبكي لما لم يقع
ليس لي صبر ولا لي جلد يا لقومي عذلو واجتهدوا انكروا شكواي بما جدد
مثل حالي حقه ان يشتكي كمد اليأس وذل الطمع
ما لعيني عشيت بالنظر انكرت بعدك ضوء القمر واذا ما شئت فاسمع خبري
شقيت^(١) عيناى من طول البكا وبكى بعضي على بعضي معي
كبد حرى ودمع يكف يعرف الذنب ولا يعترف ايها المعرض عما اصف
قد نمتى حبك عندي وزكا لا يظن الحب^(٢) اني مدعي

وقال ايضاً :

يا صاحبي نداء مقتبط بصاحب
لله ما القاه من فقد الحبايب

(١) مكذا في الاصل والمشهور عشيت .

(٢) الحبيب .

قلب احاط به الجوى من كل جانب
 اي قلب هائم لا يستريح من اللواحي
 يا من أعانقه باحناء الضلوع وأقيم بدلاً من القلب الصديق
 أنا للغرام وأنت للحسن البديع
 وكلام اللائم شيء يمر مع الرياح
 أنحى على رشدي وأفقدني صلاحه ثمر ثنى الابصار عن نور الصباح
 يسقى بمختلطين من مسك وراح
 كالجباب العائم في صفحة الماء القراح
 من لي به بدرأ تجلى في الظلام علقت من وجناته بدر التام
 وعلقت من أعطافه لدن القوام
 كالقضيبي الناعم لم يستطع حمل الوشاح
 حملتني في الحب ما لا يستطيع شوقاً يراع لذكره من لا يراع
 بل أنت اظلم من له حكم مطاع
 (الكامل والرمل)

وقال أيضاً :

حي، الوجوه الملاحا وحي كحل العيون
 هل في الهوى من جناح وفي نديم وراح رام النصوح صلاحه
 وكيف أرجو صلاحاً بين الهوى والمجون
 يا غائباً لا يغيب أنت البعيد القريب كم تشتيك القلوب
 أنختهن جراحاً وأسأل سهام العيون
 أبكى العيون البواكي تذاكر أخت السهاك حتى حمام الراك
 بكى بشجو وفاحاً على فروع الفصوص
 ألقى إليها زماسه صب يداوي غرامه ولا يطيق الملامسه
 غدا بشوق وراحاً ما بين سي الظنون
 يا راحلاً لم يودع رحلت بالانس أجمع والمعجز يمطي وينع
 مروا واخفوا الراحاً سحراً وما ودعوني
 (المجتث)

وقال أيضاً :

هل ينفع الوجد او يفيد أم هل على من بكى جناح
 يا منية القلب غبت عني فالليل عندي بلا صباح

أفديه من معرض تولى
عذبني في هواه كلا
يا عين عيني فليس الا
ويفعل الشوق ما يريد
يا مخجل اليد لا تسلمي
زاد على بهجة النهار
لحظ له سطوة المقار
خداه كالورد في البهار^(١)
وذلك المسم البرود
أو مثل ما قلت ماء مزن
يا من له ابدع الصفات
غبت فلم يأت منك آت
لولا صبا تلم الجهات
يا أيها النازح البعيد
ان الصبا عنك اخبرتي
يا ساحرا فوق كل ساحر
وجه له كالصباح باهر
كالروض حفت به الازاهر
كالبدري في ليلة السعود
كالغصن اللدن في التثني
من لي بمخضوبة البنات
من هجرها مشية الزمان
فيها رثى عاذلي لثاني
عاشق ومسكين الله يريد
فدع يهجر أو يصلني

لا عين منه ولا أثر
لم يبق مني ولا يذر
صبر على الدمع والسهر
في كبد كلها جراح
عن جور الحاظك الملاح
من حسنه الدهر في ازدياد
يفعل في العقل ما اراد
يقطف باللحظ ام يكاد
حصاه بر وصرف راح
يسقي به يانع الاقاح
يا غصن يا دعص^(٢) يا قمر
فاستوحش السمع والبصر
لذاب قلبي من الفكر
جاءت بانباتك الرياح
ما اهتز روض الربى وفاح
ومن له حسنه أصف
أردية الحسن يلتحف
يقطف باللحظ ام قطف
اشرق للألوه^(٣) ولاح
تهز أعطافه الرياح
ممشوقة القد والدلال
ماض ومستقبل وحال
ثم ابثنى ضاحكاً وقال
وارض لمن يعشق الملاح
ليس على ساحر اقتراح

ابو محمد بن الحفيد ابي بكر بن زهر

هو ابو محمد عبد الله بن الحفيد ابي بكر محمد بن ابي مروان عبد الملك بن ابي العلام زهر بن ابي

(١) الجمال .

(٢) كتيب الرمل المجتمع .

(٣) ضوءه .

مروان عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر . كان جيد الفطرة ، حسن الرأي ، جميل الصورة ، مفرط الذكاء ، محمود الطريقة ، محباً للبس الفاخر . وكان كثير الاعتناء بصناعة الطب والنظر فيها ، والتحقيق لمعانيها . واشتغل على والده ووقفه على كثير من اسرار علم هذه الصناعة وعملها . وقرأ كتاب النبات لابي حنيفة الدينوري^(١) على أبيه واتقن معرفته . وكان الخليفة ابو عبد الله محمد الناصر بن المنصور أبي يعقوب يرى له كثيراً ومحترمه ، ويعرف مقدار علمه وبيتوته^(٢) .

حدثني القاضي ابو مروان الباجي قال : لما توجه ابو محمد عبد الله بن الحفيد الى الحضرة خرج منه فيما اشتراه لسفره ونفقته في الطريق نحو عشرة آلاف دينار . قال : ولما اجتمع بالخليفة الناصر بالمهدية لما فتحها الناصر خدمه على ما جرت به العادة وقال له : انني يا أمير المؤمنين بمحمد الله بكل خير من انعامكم واحسانكم علي وعلى آبائي ، وقد وصل الي مما كان بيد ابي من احسانكم ما يغنيني مدة حياتي واكثر ، وانما أتيت لآكون في الخدمة كما كان ابي ، وان اجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه بين يدي امير المؤمنين . فأكرمه الناصر اكراماً كثيراً ، وأطلق اليه من الاموال والنعم ما يفوق الوصف . وكان مجلسه اذا حضر قريباً منه في الموضع الذي كان يجلس فيه والده الحفيد ، فكانت يجلس الى جانب الخليفة الناصر الخطيب أبو عبد الله محمد بن الحسن بن ابي يوسف حجاج القاضي ، وكان يجلس تلاوه القاضي الشريف ابو عبد الله الحسيني ، وكان يجلس تلاوه ابو محمد عبد الله بن الحفيد ابو بكر بن زهر ، وكان يجلس الى جانبه ابو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي^(٣) صاحب المقدمة المشهورة في النحو المعروفة بالجزولية . وكان هذا في النحو يشتغل عليه ابو محمد عبد الله بن الحفيد ، ويجلس بين يديه ويتعلم منه .

وكان مولد أبي محمد عبد الله بن الحفيد أبي بكر في سنة سبع وسبعين وخمسمائة بمدينة اشيلية . وتوفي رحمه الله مسموماً في سنة اثنتين وستمئة في مدينة سلا^(٤) في الجهة المسماة برباط الفتح ودفن بها . وكان متوجهاً الى مراکش فاخترمه الاجل دونها ، ثم حمل من الموضع الذي دفن فيه الى اشيلية ، ودفن عند آباءه باشيلية خارج باب الفتح فكانت مدة حياته خمساً وعشرين سنة .

ومن أعجب ما حدثني القاضي أبو مروان الباجي عنه قال : كنت يوماً عنده واذا به قد قال لي انني رأيت البارحة في النوم أخي ، وكانت اخته قد ماتت قبله ، قال : وكاني قلت لها يا أخي بالله عرفيني كم يكون عمري ؟ فقالت لي : طابيتين ونصفاً والطابية هي خشبة للبناء معروفة في المغرب بهذا الاسم طولها عشرة اشبار فقلت لها : أنا اقول لك جد وأنت تجيبيني بالهزء ! فقالت : لا والله ما قلت لك الا جداً ، وانما أنت : ! فهمت . أليس الطابية عشرة اشبار والطابيتين ونصفاً خمسة وعشرون

(١) احمد بن داود بن حنيفة الدينوري من علماء اللغة وعالم في الحيوان والنبات توفي سنة ٢٨١ هـ أو ٣٩٠ هـ جرية .

(٢) نسبه .

(٣) ولد في جزولة - المغرب - وأخذ عن ابن بري وعلم في بجاية واسبانيا والجزائر « ن. د »

(٤) مرقاً على الاطلسي في المغرب شمالي الرباط عند مصب وادي ابو الرقاق .

يكون عمره خمساً وعشرين سنة . قال القاضي ابو مروان فلما قص علي هذه الرؤيا قلت له لا تتوهم من هذا فلعله من أضغاث الاحلام . قال : ولم تكمل تلك السنة الا وقد مات فكان عمره كما قيل له خمساً وعشرين سنة لا أزيد ولا أنقص ، وخلف ولدين كل منهما فاضل في نفسه كريم في جنسه . أحدهما يسمى أبا مروان عبد الملك ، والآخر أبا العلاء محمد ، والاصغر منهما وهو أبو العلاء معتن بصناعة الطب ، وله نظر جيد في كتب جالينوس . وكان مقامهما في اشبيلية

ابو جعفر بن هارون الترجالي

من اعيان اهل اشبيلية ، وكان محققاً للعلوم الحكيمية ، متقناً لها مكنياً بكتب ارسطوطاليس وغيره من الحكماء المتقدمين ؛ فاضلاً في صناعة الطب ، متميزاً فيها ، خبيراً باصولها وفروعها ؛ حسن المعالجة ، محمود الطريقة . وخدم لابي يعقوب والد المنصور . وكان من طلبة الفقيه أبي بكر بن العربي^(١) لازمه مدة واشتغل عليه بعلم الحديث . وكان أبو جعفر بن هارون يروي الحديث وهو شيخ أبي الوليد بن رشد في التعاليم والطب ، وأصله من ترقية من ثغور الاندلس . وهي السقي أصابها المنصور خالية ، وهرب أهلها وعمرها المسلمون . وكان ابو جعفر هارون أيضاً عالماً بصناعة الكحل ، وله آثار فاضلة في المداواة .

حدثني القاضي أبو مروان محمد بن أحمد بن عبد الملك اللخمي ، ثم الباجي : ان أخاه القاضي أبا عبدالله محمد بن أحمد لما كان صغيراً أصاب عينه عود ، واخترق السواد حتى انه يشس له من البرء فاستدعى أبوه ابا جعفر بن هارون ، وراه عين ولده وقال له : أنا أدفع لك ثلثمائة دينار وتعالجها . فقال والله ما حاجة الى هذا الذي ذكرته ، وانما ادأويه ويصلح ان شاء الله تعالى . وشرع في مداواته الى ان صلحت عينه وابصر بها ، واصاب ابن هارون خدر وضعف في اعضائه فالتزم داره باشبيلية وكان يطب الناس ، وتوفي باشبيلية .

ابو الوليد بن رشد

هو القاضي ابو الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد؛ مولده ومنشؤه بقرطبة مشهور بالفضل معتن بتحصيل العلوم ، أوحده في علم الفقه والخلاف ، واشتغل على الفقيه الحافظ أبي محمد بن رزق . وكان أيضاً متميزاً في علم الطب ، وهو جيد التصنيف حسن المعاني . وله في الطب كتاب الكليات ، وقد أجاد في تأليفه . وكان بينه وبين أبي مروان بن زهر مودة . ولما ألف كتابه هذا في الأمور الكلية قصد من ابن زهر أن يؤلف كتاباً في الامور الجزئية لتكون جملة كتابها ككتاب كامل في صناعة

(١) ولد في اشبيلية وتوفي في فاس « ١٠٧٦ - ١١٤٨ » محدث وقاضي القضاة في اشبيلية . « ن. ر. »

الطب . ولذلك يقول ابن رشد في آخر كتابه ما هذا نصه ، قال: فهذا هو القول في معالجة جميع أصناف الامراض بأوجز ما أمكننا وأبينه ، وقد بقي علينا من هذا الجزء القول في شفاء عرض عرض من الاعراض الداخلة على عضو عضو من الاعضاء . وهذا وإن لم يكن ضرورياً لانه منطوق بالقوة فيما سلف من الاقاويل الكلية ففيه تميم ما وارتياض ، لانا ننزل فيها الى علاجات الامراض بحسب عضو عضو ، وهي الطريقة التي سلكها أصحاب الكنائيش ، حتى نجمع في اقاويلنا هذه الى الاشياء الكلية الامور الجزئية . فان هذه الصناعة أحق صناعة ينزل فيها الى الامور الجزئية ما أمكن إلا انا تؤخر هذا الى وقت نكون فيه أشد فراغاً لينايتنا في هذا الوقت بما يهم من غير ذلك ، فمن وقع له هذا الكتاب دون هذا الجزء ، واحب أن ينظر بعد ذلك الى الكنائيش فأوفق الكنائيش له الكتاب الملقب بالتيسير الذي ألفه في زماننا هذا ابو مروان بن زهر وهذا الكتاب سألته أنا اياه وانتسخته فكان ذلك سبيلا الى خروجه ، وهو كما قلنا كتاب الاقاويل الجزئية التي قلت فيه ، شديدة المطابقة للأقاويل الكلية ، إلا انه مزج هنالك مع العلاج العلامات واعطاء الاسباب على عادة اصحاب الكنائيش ، ولا حاجة لمن يقرأ كتابنا هذا الى ذلك بل يكفيه من ذلك مجرد العلاج فقط . وبالجملة من تحصل له ما كتبناه من الاقاويل الكلية أمكنه أن يقف على الصواب والخطأ من مداواة أصحاب الكنائيش في تفسير العلاج والتركيب .

حدثني القاضي أبو مروان الباجي قال : كان القاضي أبو الوليد بن رشد حسن الرأي ذكياً رث البزة قوي النفس ، وكان قد اشتغل بالتعاليم وبالطب على أبي جعفر بن هارون ، ولازمه مدة وأخذ عنه كثيراً من العلوم الحكيمة . وكان ابن رشد قد قضى مدة في اسبيلية قبل قرطبة ، وكان مكيناً عند المنصور وجيهاً في دولته ، وكذلك أيضاً كان ولده الناصر يحترمه كثيراً قال : ولما كان المنصور بقرطبة وهو متوجه الى غزو ألفنس^(١) وذلك في عام احد وتسعين وخمسمائة استدعى أبا الوليد بن رشد ، فلما حضر عنده احترمه كثيراً ، وقربه اليه حتى تعدى به الموضع الذي كان يجلس فيه أبو محمد عبد الواحد بن الشيخ حفص الهنتاتي^(٢) صاحب عبد المؤمن ، وهو الثالث او الرابع من العشرة ، وكان هذا أبو محمد عبد الواحد قد صاهره المنصور وزوجه بابنته لعظم منزلته عنده ، ورزق عبيد الواحد منها ابناً اسمه علي ، وهو الآن صاحب افريقية فلما قرب المنصور ابن رشد وأجلسه الى جانبه حادثه ، ثم خرج من عنده وجماعة الطلبة ، وكثير من اصحابه ينتظرونه فهنؤوه بمنزلته عند المنصور واقباله عليه ، فقال والله ان هذا ليس بما يستوجب الهناء به فان أمير المؤمنين قد قربني دفعة إلى اكثر مما كنت أومله فيه ، او يصل رجائي اليه ، وكان جماعة من اعدائه قد شيعوا بان أمير المؤمنين قد أمر بقتله فلما خرج المأمر بعض خدمه ان يمضي الى بيته ، ويقول لهم ان يصنعوا له قطعاً وفراخ حمام مسلوقة الى متى يأتي اليهم ، وانما كان غرضه بذلك تطيب قلوبهم بعافيته .

(١) هو الفونس الثاني ملك البرتغال .

(٢) احد افراد اسرة من البربر يدعون الحفصيين وعيديم ابو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي القائد البربري ومن اوائل مريدي

« ن . ر »

ابن قومت وأحد نباط عبد المؤمن المخلصين .

ثم ان المنصور فيما بعد نقم على ابي الوليد بن رشد ، وامر بان يقيم في اليسانة وهي بلد قريب من قرطبة ، وكانت اولاً لليهود ، وان لا يخرج عنها . ونقم أيضاً على جماعة اخر من الفضلاء الاعيان ، وامر ان يكونوا في مواضع اخر واظهر انه فعل بهم ذلك بسبب ما يدّعي فيهم انهم مشغولون بالحكمة وعلوم الاوائل . وهؤلاء الجماعة هم : أبو الوليد بن رشد ، وأبو جعفر الذهبي ، والفقيه أبو عبد الله محمد بن ابراهيم قاضي بجاية ، وأبو الربيع الكفيف ، وأبو العباس الحافظ الشاعر القرابي . وبقوا مدة ثم ان جماعة من الاعيان باشبيلية شهدوا لابن رشد انه على غير ما نسب اليه ، فرضي بالمنصور عنه وعن سائر الجماعة ، وذلك في سنة خمس وتسعين وخمسمائة . وجعل أبا جعفر الذهبي مزواراً للطلبة ومزواراً للأطباء . وكان يصفه المنصور ويشكره ويقول : ان ابا جعفر الذهبي كالذهب البريز الذي لم يزد في السبك إلا جودة .

قال القاضي ابو مروان : ومما كان في قلب المنصور من ابن رشد انه كان مقى حضر مجلس المنصور ، وتكلم معه أو بحث عنده في شيء من العلم يخاطب المنصور بان يقول : تسمع يا اخي . وأيضاً فان ابن رشد كان قد صنف كتاباً في الحيوان ، وذكر فيه انواع الحيوان ، ولعت كل واحد منها . فلما ذكر الزرافة وصفها ثم قال : وقد رأيت الزرافة عند ملك البربر يعني المنصور ، فلما بلغ ذلك المنصور صعب عليه ، وكان احد الاسباب الموجبة في انه نقم على ابن رشد وأبعده . ويقال انه بما اعتذر به ابن رشد انه قال : انما قلت ملك البربر ، وانما تصحفت على القاريء فقال ملك البربر . وكانت وفاة القاضي ابي الوليد بن رشد رحمه الله في مراكش أول سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وذلك في اول دولة الناصر ، وكان ابن رشد قد عمر عمراً طويلاً ، وخلف ولداً طبيباً عالماً بالصناعة ، يقال له ابو محمد عبد الله . وخلف ايضاً اولاداً قد اشتغلوا بالفقه واستخدموا في قضاء الكور .

ومن كلام ابي الوليد بن رشد قال : من اشتغل بعلم التشريع ازداد ايماناً بالله .

ولابي الوليد بن رشد من الكتب : كتاب التحصيل جمع فيه اختلاف اهل العلم مع الصحابة والتابعين وتابعيهم ، ونصر مذاهبهم وبين مواضع الاحتمالات التي هي مثار الاختلاف . كتاب المقدمات في الفقه . كتاب نهاية المجتهد في الفقه . كتاب الكليات . شرح الأرجوزة المنسوبة الى الشيخ الرئيس ابن سينا في الطب . كتاب الحيوان . جوامع كتب ارسطوطاليس في الطبيعيات والالهيات . كتاب الضروري في المنطق . ملحق به تلخيص كتب ارسطوطاليس ، وقد لخصها تلخيصاً تاماً مستوفياً . تلخيص الالهيات لنيقولاوس . تلخيص كتاب ما بعد الطبيعة لارسطوطاليس . تلخيص كتاب الاخلاق لارسطوطاليس . تلخيص كتاب البرهان لارسطوطاليس . تلخيص كتاب السماع الطبيعى لارسطوطاليس . شرح كتاب السماء والعالم لارسطوطاليس . شرح كتاب النفس لارسطوطاليس . تلخيص كتاب الاسطقسات لجالينوس . تلخيص كتاب المزاج لجالينوس . تلخيص كتاب القوى الطبيعية لجالينوس . تلخيص كتاب العلل والاعراض لجالينوس ، تلخيص كتاب التعرف لجالينوس . تلخيص كتاب الحيات لجالينوس . تلخيص أول كتاب الأدوية المفردة لجالينوس . تلخيص النصف الثاني من كتاب حيلة البرء لجالينوس . كتاب تهافت التهافت يرد فيه على كتاب التهافت للغزالي . كتاب منهاج الأدلة في

علم الاصول . كتاب صغير سماه فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال . المسائل المهمة على كتاب البرهان لارسطوطاليس . شرح كتاب القياس لارسطوطاليس . مقالة في العقل . مقالة في القياس . كتاب في الفحص هل يمكن العقل الذي فينا ، وهو المسمى بالهيوالاني ان يعقل الصور المفارقة بآخره أو لا يمكن ذلك ، وهو المطلوب الذي كان ارسطوطاليس وعدنا بالفحص عنه في كتاب النفس . مقالة في ان ما يعتقد المشاؤون ، وما يعتقد المتكلمون من أهل ملتنا في كيفية وجود العالم متقارب في المعنى . مقالة في التعريف بجهة نظر أبي نصر في كتبه الموضوع في صناعة المنطق التي بأيدي الناس ، وبجهة نظر ارسطوطاليس فيها، ومقدار ما في كتاب كتاب من اجزاء الصناعة الموجودة في كتب ارسطوطاليس ، ومقدار ما زاد لاختلاف النظر يعني نظريها . مقالة في اتصال العقل المفارق بالانسان . مقالة في اتصال العقل بالانسان . مراجعات ومباحث بين أبي بكر بن الطفيل وبين ابن رشد في رسمه للدواء في كتابه الموسوم بالكلديات . كتاب في الفحص عن مسائل وقعت في العلم الاهلي في كتاب الشفاء لابن سينا . مسألة في الزمان . مقالة في فسخ شبهة من اعترض على الحكيم وبرهانه في وجود المادة الاولى ، وتبين ان برهان ارسطوطاليس هو الحق المبين . مقالة في الرد على أبي علي بن سينا في تقسيمه الموجودات الى ممكن على الاطلاق ، وممكن بذاته واجب بغيره . والى واجب بذاته . مقالة في المزاج . مسألة في نوائب الحمى . مقالة في حيات العفن . مسائل في الحكمة . مقالة في حركة الفلك . كتاب فيما خالف ابو النصر لارسطوطاليس في كتاب البرهان من ترتيبه وقوانين البراهين والحدود . مقالة في الترياق .

ابو محمد بن رشد

هو ابو محمد عبد الله بن ابي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ، فاضل في صناعة الطب عالم بها مشكور في افعالها ، وكان يفد الى الناصر ويطلبه .
ولاي محمد بن رشد من الكتب : مقالة في حيلة البره .

ابو الحجاج يوسف بن موراطير

من شرقي الاندلس ، وموراطير قرية قريبة من بلنسية . كان فاضلاً في صناعة الطب خبيراً بها، مزاولاً لاعمالها ، محمود الطريقة، حسن الرأي ، عالماً بالامور الشرعية ، وسمع الحديث وقرأ المدونة . وكان ادبياً شاعراً محباً للمجون كثير النادرة .

حدثني القاضي ابو مروان الباجي قال : كنا في تونس مع الناصر وكان في العسكر غلاء ، وقل وجود الشعير فعمل ابو الحجاج بن موراطير موشحاً في الناصر ، واتى في ضمنه تغيير بيت عمله الحفيد ابو بكر بن زهر في بعض موشحاته وذلك ان ابن زهر قال :

ما العيد في حلة وطاق وشم طيب وانما العيد في التلاقي مع الحبيب

فعمل ابن موراطير :

ما العيد في حلة وطبق من الحرير انما الغيد في التلاقي مع الشعير
فاطلق له الناصر شجرة امداد شعير كانت قيمتها في ذلك الوقت خمسين ديناراً . وكان أبو الحجاج
ابن موراطير قد خدم بصناعة الطب المنصور أبا يوسف يعقوب . ولما توفي المنصور خدم لولده الناصر ،
وهو ابو عبد الله محمد بن يعقوب ، ومن بعد الناصر أيضاً خدم لولده أبي يعقوب يوسف المستنصر بن
الناصر . وكان ابو الحجاج بن موراطير قد عمر عمراً طويلاً ، وكان حظياً عند المنصور ، مكيماً
عنده رفيع المنزلة . وكان يدخل مجلس الخاصة مع الاشياخ للذاكرة في العربية وغيرها ، ومات
بالنقرس في مراكش في دولة المستنصر .

ابو عبد الله بن يزيد

هو ابن أخت أبي الحجاج يوسف بن موراطير كان طبيباً فاضلاً واديباً شاعراً وشعره موصوف
بالجودة .

ابو مروان عبد الملك بن قبال

مولده ومنشؤه بقرناطة . وكان جيد النظر في الطب ، حسن العلاج ، وخدم بصناعة الطب المنصور ،
ثم خدم بعده لولده الناصر ، ومات في دولة الناصر في مراكش .

ابو اسحق ابراهيم الداني

كانت له عناية بالغة في صناعة الطب ، وأصله من بجاية (١) ، ونقل الى الحضرة ، وكان أمين البيمارستان
وطببيه بالحضرة ، وكذلك ولداه . والاكبر منها ، وهو ابو عبد الله محمد قتل في غزوة العقاب في
الأندلس مع الناصر ، وتوفي الداني في مراكش في دولة المستنصر بن الناصر .

ابو يحيى بن قاسم الاشبيلي

كان فاضلاً في صناعة الطب ، خبيراً بقوى الادوية المفردة والمركبة ، كثير العناية بها . وكان
صاحب خزانة الاشربة التي يأخذها الخليفة المنصور من عنده ، وكذلك كان والده في خدمة أبي يعقوب
والد المنصور . وتوفي أبو يحيى في مراكش في دولة المستنصر ، وكان له ولد فاجل موضعه في الخزانة
عوضاً عن ابيه .

ابو الحكم بن غلندو

مولده ومنشؤه باشبيلية ، وكان اديباً شاعراً حسن الشعر ، متميزاً في صناعة الطب محمود الطريقة .

(١) مدينة ساحلية بالجزائر .

وكان مفتحاً وخدم بصناعة الطب المنصور ، وكان مكيناً عنده وجيهاً في دولته . وكان المنصور في عام ثمانين وخمسة مئة لما ولي الخلافة ، وكان ابن غلندو صاحب كتب كثيرة ، ويكتب خطين اندلسيين وتوفي بمراكش ودفن بها .

ابو جعفر احمد بن حسان

هو الحاج ابو جعفر احمد بن حسان الغرناطي . مولده ومنشؤه بغرناطة . واشتغل بصناعة الطب ، واجاد في علمها وعملها ، وخدم المنصور بالطب . وحج ابو جعفر بن حسان مع ابي الحسين بن جبير^(١) الغرناطي ، الاديب الكاتب ، صاحب كتاب الرحلة وذكره معه في الرحلة . وتوفي ابو جعفر بن حسان بمدينة فاس .
ولابي جعفر بن حسان من الكتب : كتاب تدبير الصحة ألفه للمنصور .

أبو العلاء بن أبي جعفر أحمد بن حسان

من مدينة غرناطة ، واحد الاعيان بها والتميزين من أهلها . قوي الذكاء ، حسن الفطرة ، مشغل بالادب ، وعنده براعة وفضل ، وهو طبيب وكاتب . وخدم بصناعة الطب المستنصر ، وكان حظياً عنده . وهو من جملة الفضلاء في صناعة الطب باشبيلية وقد قطن بها .

أبو محمد الشذوني

مولده ومنشؤه باشبيلية وكان ذكياً فطناً ، وله معرفة جيدة بعلم الهيئة والحكمة . وكان قد اشتغل بصناعة الطب على أبي مروان عبد الملك بن زهر ، ولأزمه مدة وبأشر أعمالها . وكان مشهوراً بالعلم جيد العلاج . وخدم الناصر بالطب وتوفي باشبيلية في دولة المستنصر .

المصدوم

هو ابن الحسين بن اسدون ، شهر بالمصدوم ، وهو تلميذ ابي مروان عبد الملك بن زهر . وكان المصدوم ديناً كثير الخير معتنياً بصناعة الطب ، مشهوراً بها ، اديباً شاعراً . ومولده ومنشؤه باشبيلية . وكان مقيماً في البلد ويحضر عند المنصور ، ويطلبه في أوقات المداواة . وتوفي المصدوم في اشبيلية سنة ثمان وثمانين وخمسة مئة .

عبد العزيز بن مسامة الباجي

أصله من باجة الغرب ، كان من أعيان أهل الاندلس وأجلائها ، ويعرف بابن الحفيد . وكان فاضلاً

(١) رحالة عربي ولد في بلنسية « ١١٤٥ » وتوفي في الاسكندرية « ١٢١٧ » طوف البلاد ووصف رحلاته في كتاب يعرف برحلة ابن جبير « ن. ر »

في صناعة الطب ، متميزاً في الادب ، وله شعر جيد . وكان تلميذ المصدوم ، وخدم بالطب المستنصر .
وتوفي في دولته في مراكش .

أبو جعفر بن الغزال

مولده بكنجيرة من أعمال المرية ، وأتى الى الحفيد أبي بكر بن زهر ، ولازمه حق الملازمة ،
وقرأ عليه صناعة الطب وعلى غيره حتى اتقن الصناعة . وخدم المنصور بالطب وكان خبيراً بتركيب
الادوية ومعرفة مفرداتها . وكان المنصور يعتمد عليه في الادوية المركبة والمعاجين ويتناولها منه .
وكان المنصور قد أبطل الخمر ، وشدد بأن لا يأتي بشيء منه الى الحضرة ، أو يكون عند أحد . فلما
كان بعد ذلك بمدة ، قال المنصور لأبي جعفر بن الغزال أريد ان تجمع حوائج الترياق الكبير وتركبه
فامتثل أمره ، وجمع حوائجه وأعوزه الخمر الذي يعجن به أدوية الترياق ، وانهى ذلك الى المنصور
فقال له تطلبه من كل ناحية وانظر لعل يكون عند أحد منه ولو شيء يسير لنكل الترياق . فتطلبه
ابو جعفر من كل أحد ، ولم يجد شيئاً منه . فقال المنصور : والله ما كان قصدي بتركيب الترياق في
هذا الوقت الا لا اعتبر هل بقي من الخمر شيء عند أحد أم لا ، وتوفي ابو جعفر بن الغزال في
أيام الناصر .

أبو بكر بن القاضي أبي الحسن الزهري

هو أبو بكر بن الفقيه القاضي أبي الحسن الزهري القرشي قاضي اشبيلية مولده ومنشؤه باشبيلية .
وكان جواداً كريماً حسن الخلق شريف النفس ، قد اشتغل بالأدب وتميز في العلم . وكان أحد
الفضلاء في صناعة الطب والمتمين في أعمالها . وخدم بالطب للسيد أبي علي بن عبد المؤمن صاحب
اشبيلية . وكان يطيب الناس من دون اجرة ويكتب النسخ لهم ، وكان في مبدأ أمره محباً للشطرنج
كثير اللعب به ، وجاد لعبه في الشطرنج جداً حتى صار يوصف به .

وحدثني القاضي ابو مروان الباجي قال : سألت القاضي أبا بكر بن أبي الحسن الزهري عن سبب
تعلمه صناعة الطب فقال لي : انني كنت كثير اللعب بالشطرنج ، ولم يكد يوجد من يلعب مثلي به في
اشبيلية الا القليل ، فكانوا يقولون أبو بكر الزهري الشطرنجي ، فكان اذا بلغني ذلك أغتاظ منه
ويصعب علي . فقلت في نفسي لا بد ان اشتغل عن هذا بشيء غيره من العلم لانعت به ، ويزول عني
وصف الشطرنج ، وعلمت ان الفقه وسائر الأدب ، ولو اشتغلت به عمري كله ، لم يخلصني منه وصف
أنعت به ، فعدلت الى أبي مروان عبد الملك بن زهر واشتغلت عليه بصناعة الطب . وكنت أجلس
عنده ، وأكتب لمن جاء مستوصفاً من المرضى الرقاع ، واشتهرت بعد ذلك بالطب ، وزال عني ما
كنت أكره الوصف به .

وعاش أبو بكر بن أبي الحسن الزهري خمساً وثمانين سنة ، وتوفي في دولة المستنصر ،
ودفن باشبيلية .

أبو عبد الله الندرومي

هو أبو عبد الله محمد بن سحنون ، ويعرف بالندرومي منسوباً الى ندرومة^(١) من نظر مدينة تلمسان^(٢) ، وهو كومي أيضاً ينسب الى قبيله ، جليل القدر ، فاضل النفس ، محب للفضائل ، حاد الذهن ، مفرط الذكاء . ومولده بقرطبه في نحو سنة ثمانين وخمسمائة ، ونشأ بقرطبة ، ثم انتقل الى اشبيلية . وكان قد لحق القاضي أبا الوليد بن رشد واشتغل عليه بصناعة الطب ، واشتغل أيضاً على أبي الحجاج يوسف بن موراطير . والندرومي من جملة المتميزين في علم الأدب والعربية وسمع كثيراً من الحديث ، وخدم الناصر في آخر دولته بصناعة الطب ، وخدم بعده لولده المستنصر ، وأقام بأشبيلية ، وخدم بعد ذلك النجاء سالم بن هود ، ولاخيه أبي عبد الله بن هود صاحب الأندلس . ولابي عبد الله الندرومي من الكتب : اختصار كتاب المستصفي للغزالي .

أبو جعفر أحمد بن سابق

أصله من قرطبة ، وكان فاضلاً ذكياً جيد النظر ، حسن العلاج ، موصوفاً بالعلم . وكان من طلبة القاضي أبي الوليد بن رشد ، ومن جملة المشتغلين عليه بصناعة الطب . وخدم بالطب الناصر ، وتوفي في دولة المستنصر .

ابن الحلاء المرسي

من مرسية^(٣) وكان موصوفاً بجودة المعرفة بصناعة الطب ، وخدم المنصور لما أتى اليه خدمة وافد ، وتوفي ببلده .

أبو أسحق بن طملوس

من جزيرة شقر من أعمال بلنسية ، وهو من جملة الفضلاء في صناعة الطب ، وأحد المتعينين من اهلها ، وخدم الناصر بالطب وتوفي ببلده .

أبو جعفر الذهبي

هو ابو جعفر أحمد بن جريج ، كان فاضلاً عالماً بصناعة الطب ، جيد المعرفة لها ، حسن التأني في أعمالها . وخدم المنصور بالطب وكذلك ايضاً خدم بعده الناصر ولده . وكان يحضر مجلس المذاكرة في الأدب . وتوفي ابو جعفر الذهبي بتلمسان عند غزوة الناصر الى افريقية سنة ستائة .

(١) مدينة في الجزائر نشأت في مقاطعتها دولة الموحدين .

(٢) مدينة في الجزائر فيها تجارة الحبوب والفلين والمواشي اليوم .

(٣) مدينة في جنوبي اسبانيا احتلها المرابطون ثم الموحدون ثم رجعت الى الاسبان .

أبو العباس بن الرومية

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج النباقي المعروف بابن الرومية ، من أهل أشبيلية ومن أعيان علمائها وأكابر فضلائها . قد اتقن علم النبات ومعرفة أشخاص الادوية وقواها ومنافعها ، واختلاف أوصافها ، وتباين مواطنها . وله الذكر الشائع والسمة الحسنة ، كثير الخير ، موصوف بالديانة ، محقق للامور الطبية . قد شرف نفسه بالفضائل ، وسمع من علم الحديث شيئاً كثيراً عن ابن حزم^(١) وغيره . ووصل سنة ثلاث عشر وستائة الى ديار مصر ، وأقام بمصر والشام والعراق نحو سنتين ، وانتفع الناس به ، واسمع الحديث ، وعان نباتاً كثيراً في هذه البلاد مما لم ينبت بالمغرب ، وشاهد اشخاصها في منابها ونظرها في مواضعها . ولما وصل من المغرب الى الاسكندرية سمع به السلطان الملك العادل أبو بكر^(٢) بن أيوب رحمه الله ، وبلغه فضله وجودة معرفته بالنبات . وكان الملك العادل في ذلك الوقت بالقاهرة فاستدعاه من الاسكندرية ، وتلقاه واكرمه ورسم بأن يقرر له جامكية وجراية ، ويكون مقياً عنده فلم يفعل . وقال انما أثبت من بلدي لاحج ان شاء الله وارجع الى اهلي وبقي مقياً عنده مدة ، وجمع الترياق الكبير وركبه ، ثم توجه الى الحجاز . ولما حج عاد الى المغرب وأقام بأشبيلية ولابي العباس بن الرومية من الكتب : تفسير أسماء الادوية المفردة من كتاب ديسقوريدس . مقالة في تركيب الادوية .

أبو العباس الكنيناري

هو أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد ، من أهل أشبيلية ، عارف بصناعة الطب ، من فضلاء اهلهما والمتميزين من أربابها . قرأ الطب في اول امره على عبد العزيز بن مسلمة الباجي . ثم قرأ بعد ذلك على أبي الحجاج يوسف بن موراطير في مراکش واقام بأشبيلية . وخدم لابي النجم بن هود صاحب اشبيلية . وكان يطب ايضاً لاخيه أبي عبد الله بن هود .

ابن الاصم

هو (*) من اطباء المشهورين بأشبيلية ، وله خبرة في صناعة الطب ، وقوة نظر في الاستدلال على الامراض ومداواتها . وله حكايات مشهورة ، ونوادير كثيرة في معرفته بالقوارير واخباره

(١) علي بن حزم ولد في قرطبة « ٩٩٤ - ١٠٦٤ » فقيه عربي اندلسي وطبيب وشاعر وفيلسوف .
(٢) أبو بكر سيف الدين ولد في المنصورة ومات في القاهرة سجيناً وهو من اعظم الامراء الايوبيين حكم (١٢٢١ - ١٢٢٨)
وقاتله اخوه الصالح أيوب على الملك
(*) بياض بالاصل ،

عندما يراها يجمله حال المريض ، وما يشكوه وما كان قد تناوله من الاغذية . وحدثني ابو عبد الله المغربي قال : كنت يوماً عند ابن الاصم واذا بجماعة قد اقبلوا اليه ، ومعهم رجل على دابة ، وهو منكب عليها فلما وصلوا وجدنا ذلك الرجل وفي فمه حية قد دخل بعضها مع رأسها في حلقه ، وبقيتها ضاهرة ، وهي مربوطة بحيط قنب الى ذراع الرجل فقال : ما شأن هذا ؟ فقالوا له ان عادته ينام وفيه مفتوح ، وكان قد اكل لبناً ، فنام ، فلما جاءت هذه الحية لعقت فمه ، وداخل فمه وهو نائم . ولما احست بمن أتى خافت وانساب بعضها في حلقه ، وادركناها فربطناها بهذا الحيط لئلا تدخل في حلقه . فلما نظر الى ذلك الرجل وجده وهو في الموت من الخوف فقال له ما عليك ، كدتم تهلكون الرجل . ثم قطع الحيط فانسابت الحية في حلقه واستقرت في معدته ، فقال له : الآن تبرأ . وأمره ان لا يتحرك واخذ ادوية وعقاقير فاغلاها في ماء غلياً جيداً ، وجعل ذلك الماء في ابريق ، وسقاه الرجل وهو حار فشربه ، وصار يحس معدته حتى قال ماتت الحية . ثم سقاه ماء آخر مغلياً فيه حوائج ، وقال هذه تهريء الحية مع هضم المعدة . وصبر مقدار ساعتين وسقاه ماء قد اغلي فيه ادوية مقيئة فجاشت نفس الرجل وذرعه القيء فعصب عينيه وبقي يتقيأ في طشت فوجدنا فيه الحية وهي قطع ، وهو يأمره بكثرة القيء ، حتى تنظفت معدته ، وخرجت بقايا الحية فقال له : طب نفساً فقد تعافيت ، وذهب الرجل مطمئناً صحيحاً بعد ان كان في حالة الموت .

الباب الرابع عشر

طبقات الأطباء المشهورين من أطباء ديار مصر

بليطيان

كان طبيباً مشهوراً بديار مصر، نصرانياً عالماً بشريعة النصارى الملكية^(١). قال سعيد بن البطريق في كتاب «نظم الجواهر». لما كان في السنة الرابعة من خلافة المنصور من الخلفاء العباسيين صير بليطيان بطريركاً على الاسكندرية وكان طبيباً اقام ستاً واربعين سنة ومات. قال: ولما كان في أيام الرشيد هرون وولى الرشيد عبيد الله بن المهدي مصر، أهدى عبيد الله الى الرشيد جارية من اهل البيا من أسفل الأرض، وكانت حسنة جميلة، وكان الرشيد يحبها حباً شديداً فاعتلت علة عظيمة فعالجها الاطباء، فلم تلتفع بشيء. فقالوا له: ابعث الى عبيد الله عاملك بمصر ليوجه اليك واحداً من اطباء مصر فانهم ابصر بعلاج هذه الجارية من اطباء العراق. فبعث الرشيد الى عبيد الله بن المهدي يختار له من احذق اطباء مصر من يعالج الجارية فدعا عبيد الله بليطيان بطريرك الاسكندرية وكان حاذقاً بالطب فاعلمه بحب الرشيد الجارية وعلتها، وحمله الى الرشيد. وحمل بليطيان معه من كعك مصر الحشن والصير^(٢)، فلما دخل الى بغداد ودخل الى الجارية اطعمها الكعك والصير فرجعت الى طبيعها، وزالت عنها العلة فصار من ذلك الوقت يحمل من مصر الى خزانة السلطان الكعك الحشن والصير. ووهب الرشيد لبليطيان البطريرك مالا كثيراً، وكتب له منشوراً في كل كنيسة في يد اليعقوبية^(٣) بما اخذوها، وتغلبوا عليها ان ترد اليه فرجع بليطيان الى مصر واسترد من اليعقوبية كنائس كثيرة. وتوفي بليطيان في سنة ستة وثمانين ومائة للهجرة.

(١) هم المسيحيون الذين خضعوا للمجمع الخلقيدوني الذي انصار اليه الملك مريانوس. وهم في طاعة بطريرك انطاكية لغتهم الطقسية اليونانية والعربية.

(٢) السمك المالح.

(٣) طائفة من النصارى قالت بالطبيعة الواحدة يسمون اليوم السريان القديم او الارثوذكس تمييزاً عن السريان الكاثوليك.

ابراهيم بن عيسى

كان طبيباً فاضلاً معروفاً في زمانه متميزاً في اوانه ، صاحب يوحنا بن ماسويه ببغداد وقرأ عليه وأخذ عنه . وخدم بصناعة الطب الامير احمد بن طولون^(١) ، وتقدم عنده وسافر معه الى الديار المصرية ، واستمر في خدمته ولم يزل ابراهيم بن عيسى مقيماً في فسطاط مصر الى ان توفي ، وكانت وفاته في نحو سنة ستين ومائتين .

الحسن بن زيرك

كان طبيباً في مصر ايام احمد بن طولون يصحبه في الإقامة ، فاذا سافر صحبه سعيد بن توفيل . ولما توجه ابن طولون الى دمشق في شهور سنة تسع وستين ومائتين ، وامتد منها الى الثغور لاصلاحها ، ودخل انطاكية عانداً عنها اكثر من استعمال لبن الجواميس فأدركته هبضة لم ينجع فيها معانة سعيد ابن توفيل ، وعاد بها الى مصر وهو ساخط على سعيد بن توفيل . فلما دخل الفسطاط احضر الحسن ابن زيرك وشكا اليه سعيداً فسهل عليه ابن زيرك أمر علقته ، واعلمه انه يرجو له السلامة منها عن قرب . وخفت عنه علقته بالراحة والطمأنينة واجتماع الشمل ، وهدوء النفس ، وحسن القيام . وبر الحسن بن زيرك . وكان يسر التخليط مع الحرم فازدادت علقته ، ثم دعا بالاطباء فأرهبهم وخوفهم وكتممهم ما اسلفه من سوء التدبير والتخليط ، واشتهى على بعض حظاياهم سمكاً قريضاً فأحضرتة اياه سرّاً فما تمكن من معدته ، حتى تتابع الاسهال فأحضر الحسن بن زيرك وقال له : احسب الذي سقيتنيه اني يوم غير صواب . قال له الحسن بن زيرك يأمر الامير ايده الله باحضار جماعة اطباء الفسطاط داره في غداة كل يوم ، حتى يتفقوا على ما يأخذه كل غداة ، وما سقيتك الا أشياء قولى عجنها ثقتك ، وجيمها تنهض القوة الماسكة في معدتك وكبدك . فقال أحمد : والله لئن لم تنجحوا في تدبيركم لاضر بن أعناقكم فانما تجربون على العليل ، ولا يحصل منكم على شيء في الحقيقة . فخرج الحسن بن زيرك من بين يديه وهو يردد . وكان شيخاً كبيراً فحميت كبده من سوء فكره وخوفه ، وتشاغله عن المطعم والنوم فاعتراه اسهال سريع ، واستولى الغم عليه فخلط وكان يهذي بملء احمد بن طولون ، حتى مات في غد ذلك اليوم .

سعيد بن توفيل

كان طبيباً نصرانياً متميزاً في صناعة الطب ، وكان في خدمة احمد بن طولون من اطباء الخاص يصحبه في السفر والحضر ، وتغير عليه قبل موته . وسببه ان أحمد بن طولون ، كما تقدم ذكره ،

(١) مؤسس الدولة الطولونية لمصر واول ولاتها مع الشام الذين لم يكونوا تابعين للخلافة في بغداد الا اسماً . بنى الجوامع المعروفة باسمه في القاهرة . وهو اول من اجري تأمين مناجم النطرون .

كان قد خرج الى الشام ، وقصد الثغور لاصلاحها ، وعاد الى انطاكية فأدركته هبضة من ألبان الجواميس ، لانه أسرع فيها، واستكثر منها فالتمس طبيبه سعيداً فوجده قد خرج الى بيعة بانطاكية فتمكن غيظه عليه ، فلما حضر اغلظ له في التأخر عنه ، وأنف أن يشكو اليه ما وجده . ثم زاد الأمر عليه في الليلة الثانية فطلبه فجاء متنبذاً ، فقال له : لي من يومين عليل وأنت شارب نبيذ ؟ فقال : يا سيدي طلبتني أمس وأنا في بيعتي على ما جرت عادتي ، وحضرت فلم تخبرني بشيء ! قال : فما كان ينبغي أن تسأل عن حالي ؟ قال : ظنك يا مولاي سييء ، ولست أسأل أحداً من حاشيتك عن شيء من أمرك . قال : فما الصواب الساعة ؟ قال : لا تقرب شيئاً من الغذاء ، ولو قرمت ^(١) اليه الليلة وغداً . قال : أنا والله جائع ، وما أصبر . قال : هذا جوع كاذب لبرد المعدة . فلما كان في نصف الليل استدعى شيئاً يأكله فجيء بفراريج كردباج ^(٢) حارة ، وبزماورد ^(٣) من دجاج ، وجداء ^(٤) باردة فأكل منها فانقطع الاسهال عنه ، فخرج نسيم الخادم ، وسعيد في الدار فقال له أكل الأمير خروف كردباج فخف عنه القيام . قال سعيد : الله المستعان ضعفت قوته الدافعة بقهر الغذاء لها ، وستتحرك حركة منكورة فوالله ما وافى السحر حتى قام اكثر من عشرة مجالس، وخرج من انطاكية ، وعلته تزايد إلا أن في قوته احتمالاً لها . وطلب مصر وثقل عليه ركوب الدواب فعملت له عجلة كانت تجر بالرجال ، وطئت له ، فما وصل الفرما ^(٥) حتى شكا ازعاجها فركب، الما الى القسطنطينية ، وضرب له بالميدان قبة نزل فيها .

ولما حل ابن طولون بمصر ظهرت منه نبوة في حق سعيد الطبيب هذا ، وشكاه الى اسحق بن ابراهيم كاتبه وصاحبه فقال اسحق بن ابراهيم لسعيد يعاتبه : ويحك ، أنت حاذق في صناعتك وليس لك عيب إلا أنك مدل بها ، غير خاضع ان تحذمه فيها . والأمير ، وإن كان فصيح اللسان ، فهو أعجمي الطبع ، وليس يعرف أوضاع الطب فيدبر نفسه بها وينقاد لك . وقد أفسده عليك الاقبال فتلطف له ، وارفق به ، وواظب عليه ، وراع حاله . فقال سعيد : والله ما خدمتي له إلا خدمة الفار للسنور ، والسخلة للذئب ، وان قتلي لأحب إلي من صحبته . ومات أحمد بن طولون في علته هذه .

وقال نسيم خادم أحمد بن طولون : ان سعيد بن توفيل المتطبيب ، كان في خدمة الامير احمد بن طولون فطلبه يوماً فقبل له مضي يست رص ضيعة يشتريها فامسك حتى حضر . ثم قال له : يا سعيد اجمل ضيعتك التي تشتريها فتستغلها صحبتي ولا تغفلها ، واعلم أنك تسبقني الى الموت إن كنت موتي على فراشي ، فاني لا امكنك بالاستمتاع بشيء بعدي . قال نسيم : وكان سعيد بن توفيل آيساً من

(١) اشتقت واشتدت شهرتك اليه .

(٢) هكذا في الأصل والصحيح كردناج وهي معرب كردناك وهو شواء في سفود يقاب على النار لينضج ويؤكل .

(٣) او الزماورد طعام قبل هو الرقاق الملقوف باللحم ويسمى لقمة القاضي .

(٤) جمع جدي وهو الذكر من اولاد المزم ما كان دون ستة اشهر . (ن. د.)

(٥) الفرما : مدينة قديمة عند مدخل مصر شرقاً اصطدم فيها العرب بالروم عند هجومهم على مدينتها عمرو بن العاص .

الحياة لان احد بن طولون امتنع من مشاورته ولم يكن يحضر إلا ومعه من يستظهر عليه برأيه ، ويعتقد فيه انه فرط في أول أمره وابتداء العلة به حتى فات أمره .

وفي التاريخ ان سعيد بن توفيل كان له في أول ما صحب أحد شاكري^(١) قبيح الصورة ، كان ينفذ الكتان مع اب له واسمه هاشم ، وكان يجذب بقلعة سعيد ويمسكها له اذا دخل دار احد ابن طولون . وكان سعيد يستعمله في بعض الاوقات في سحق الادوية بداره اذا رجع معه ، وينفخ النار على المطبوخات . وكان لسعيد بن توفيل ابن حسن الصورة ، ذكي الروح ، حسن المعرفة بالطب فتقدم احد بن طولون الى سعيد اول ما صحبه ان يرئاد متطبياً يكون لحرمة ، ويكون مقياً بالحضرة في غيبته ، فقال له سعيد : لي ولد قد علمته وخرجته . قال : ارنيه فأحضره ، فرأى شاباً رائقاً ، حسن الاسباب كلها . فقال له احد بن طولون : ليس يصلح هذا لخدمة الحرم ، احتاج لمن حسن المعرفة قبيح الصورة ، فأشقى سعيد ان ينصب لهم غريباً فينبو عنه ، ويخالف عليه ، فأخذ هاشماً وألبسه دراعة^(٢) وخفين ونصبه للحرم . فذكر جريج ابن الطباخ المتطبيب قال : لقيت سعيد بن توفيل ومعه عمر بن صخر . فقال له عمر : ما الذي نصبت هاشماً له ؟ قال خدمة الحرم لان الامير طلب قبيح الخلقة . فقال له عمر : قد كان في ابناء الاطباء قبيح قبيح قد حسنت تربيته ، وطاب مغرسه يصلح لهذا ، ولكنك استرخصت الصنعة . والله يا ابا عثمان ان قويت يده ليرجعن الى دناءة منصبه ، وخساسة محتاده . فتضاجك سعيد بغرته من هذا الكلام . وتمكن هاشم من الحرم باصلاحه لهم ما يوافقهم من عمل ادوية الشحم والجل ، وما يحسن اللون ويفزر الشعر ، حتى قدمه النساء على سعيد . فلما جمع الاطباء على الغدو الى احد بن طولون في كل يوم عند اشتداد علته قالت «مائة الف» ام ابى المثنى : قد احضر جماعة من الاطباء ، ولم يحضر هاشم ، والله يا سيدي ما فيهم مثله ، فقال لها احضريني سرا حتى اشافه واسمع كلامه ، فادخلته اليه سرا وشجعت على كلامه . فلما مثل بين يديه نظر وجهه وقال أغثيل الامير حتى بلغ الى هذه الحالة ، لا احسن الله جزاء من كان يتولى امره . قال له احد بن طولون : فما الصواب يا مبارك ؟ قال : تتناول قبيحة فيها كذا وكذا ، وعدد قريباً من مائة عقار ، وهذه القمائع تمسك وقت اخذها وتمود بضر بعد ذلك لانها تتعب القوى . فتناولها احد ، وأمسك عن تناول ما عمله سعيد والاطباء . ولما امسكت حسن موقع ذلك عند احد وظن ان البرء قد تم له . ثم قال احد لهاشم : ان سعيداً قد حماني من شهر عن لقمة عصيدة^(٣) وأنا أشتيها . قال : يا سيدي ، أخطأ سعيد وهي مغذية ولها أثر جيد فيك . فتقدم احد بن طولون باصلاحها فجاء منها يجام واسع فاكل اكثره وطاب نفساً ببلوغ شهوته ونام ولحجت العصيدة فتوهم ان حاله زادت صلاحاً . وكل هذا يطوى عن سعيد بن توفيل . ولما حضر سعيد قال له : ما تقول في العصيدة ؟ قال هي ثقيلة على الاعضاء وتحتاج أعضاء الامير الى تخفيف عنها . قال له احد : دعني

(١) الاجير والمستخدم .

(٢) جبة مشقوقة المقدم .

(٣) دقيق يلت بالسمن ويطبخ .

من هذه الحرقه (١) قد أكلتها ونفعتني والحمد لله . وجيء بفأكهة من الشام فسأل احمد بن طولون سعيد بن توفيل عن السفرجل فقال : تمص منه على خلو المعدة والاحشاء فانه نافع . فلما خرج سعيد من عنده أكل أحمد بن طولون سفرجلا فوجد السفرجل المعصيدة فمصرها فتدافع الاسهال ، فدعا سعيداً فقال يا ابن الفاعلة ذكرت ان السفرجل نافع لي وقد عاد الي الاسهال ، فقام فنظر المادة ورجع اليه فقال : هذه المعصيدة التي حدثتها وذكرت اني غلطت في منعها فانها لم تزل مقيمة في الاحشاء لا تطيق تغييرها ولا هضمها لضعف قواها ، حتى عصرها السفرجل ، ولم أكن أطلقت لك أكله ، وانما أشرت بمصه . ثم سأله عن مقدار ما أكل منه فقال : سفرجلتين . فقال سعيد : أكلت السفرجل للشبع ولم تأكله للعلاج . فقال يا ابن الفاعلة جلست تناديني وأنت صحيح سوي ، وأنا عليل مدنف . ثم دعا بالسياط فضربه مائتي سوط وطاف به على جل ، ونودي عليه هذا جزاء من ائتمن فخاف ، ونهب الاولياء منزله ومات بعد يومين ، وذلك في سنة تسع وستين ومائتين بمصر . وقيل في سنة تسع وسبعين ومائتين ، وهي السنة التي مات ابن طولون في ذي قعدتها . والله اعلم

خلف الطولوني

هو أبو علي خلف الطولوني مولى امير المؤمنين ، كان مشغلاً بصناعة الطب ، وله معرفة جيدة في علم امراض العين ومداواتها .

ولخلف الطولوني من الكتب : كتاب النهاية والكفاية في تركيب العينين وخلقتها وعذجها وادويتها ، ونقلت من خطه في كتابه هذا ، وجملة الكتاب بخطه ، ان معاناته كانت لتأليف هذا الكتاب في سنة أربع وستين ومائتين ، وفراغه منه في سنة اثنتين وثلاثمائة .

نسطاس بن جريج

كان نصرانياً عالماً بصناعة الطب ، وكان في دولة الاخشيدي بن طنج (٢) . ولنسطاس بن جريج من الكتب : كنش . رسالة إلى يزيد بن رومان النصراني الاندلسي في البول .

اسحق بن ابراهيم بن نسطاس

هو أبو يعقوب ، اسحق بن ابراهيم بن نسطاس بن جريج ، نصراني فاضل في صناعة الطب . وكان في خدمة الحاكم بأمر الله (٣) ويعتمد عليه في الطب وتوفي اسحق بن ابراهيم بن نسطاس بالقاهرة في أيام الحاكم ، واستطب بعده أبا الحسن علي بن رضوان ، واستمر في خدمته وجعله رئيساً على سائر الاطباء .

(١) الكذب والاختلاق .

(٢) احد ملوك الاخشيديين الذين تولوا الحكم في مصر وسوريا واصلهم ايرانيون .

(٣) هو المنصور بن العزيز سادس الخلفاء الفاطميين (٩٨٥-١٠٢١) . اختفى فجأة فقيل انه قتل وقيل انه عمد الى الاختفاء ومن انصاره درزي داعي الباطنية .

البالسي

هو (*) كان طبيباً فاضلاً متميزاً في معرفة الادوية المفردة وافعالها . وله من الكتب : كتاب التكميل في الادوية المفردة ألفه لكافور الاخشيدي^(١) .

موسى بن العازار الاسرائيلي

مشهور بالتقدم والحدق في صناعة الطب ، وكان في خدمة المعز لدين الله ، وكان في خدمته ايضاً ابنه اسحق بن موسى المتطبب . وكان جليل القدر عند المعز ومتولياً أمره كله في حياة أبيه وتوفي اسحق بن موسى لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر سنة ثلاث وستين وثلاثمائة . واغتم المعز لموت اسحق لموضعه منه ولكفايته ، وجعل موضعه اخاه اسمعيل بن موسى وابنه يعقوب بن اسحق ، وكان ذلك في حياة أبيهم موسى وتوفي قبل وفاة اسحق بيوم اخ له مسلم اسمه عون الله بن موسى . ولموسى بن العازار من الكتب : الكتاب المعزي في الطب ، ألفه للمعز . مقالة في السعال . جواب مسألة سأله عنها أحد الباحثين عن حقائق العلوم الراغبين جني ثمارها ، كتاب الاقرباذين .

يوسف النصراني

كان طبيباً عارفاً بصناعة الطب فاضلاً في العلوم . وقال يحيى بن سعيد بن يحيى . في كتاب «تاريخ الذيل» : انه لما كان في السنة الخامسة من خلافة العزيز صير يوسف الطبيب بطريركاً على بيت المقدس . اقام في الرئاسة ثلاث سنين وثمانية أشهر ، ومات بمصر ودفن في كنيسة مار ثوادرس مع آباء آخر منطودلا القيسراني .

سعيد بن البطريق

من اهل فسطاط^(٢) مصر ، وكان طبيباً نصرانياً مشهوراً عارفاً بعلم صناعة الطب وعملها متقدماً في زمانه ، وكانت له دراية بعلوم النصارى ومذاهبهم ، ومولده في يوم الاحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين ومائتين للهجرة . ولما كان في اول سنة من خلافة القاهرة^(٣) بالله محمد بن احمد المعتض بالله ، صير سعيد بن البطريق بطريركاً على الاسكندرية ، وسمي أوثوشبوس ، وذلك لثان خلون من شهر صفر سنة احدى وعشرين وثلثمائة ولسعيد بن البطريق من العمر نحو ستين سنة . وبقي في الكرسي والرئاسة سبع سنين وستة أشهر . وكانت في أيامه شقاق عظيم وشر متصل بينه وبين

(*) بياض بالأصل .

(١) هو ابو المسك تولى الحكم سنة ٩٦٦ ولد في المهديّة - تونس - وهو رابع الخلفاء الفاطميين . بسط سيادته على مصر وسوريا والحجاز . وفي أيامه اسس القائد جوهر مدينة القاهرة (ن.د)

(٢) اول مدن المسلمين في مصر بناها عمرو بن العاص . كان موقعها بين القاهرة ومصر العتيقة وتسمى الآن امبابية .

(٣) الخليفة العباسي التاسع عشر اساء سياسة الرعية فاسر وهو بحالة السكر وسملت عيناه وسجن وعاش متسولاً .

شعبه . واعتل سعيد بن البطريق بمصر بالاسهال . وكان متميزاً في صناعة الطب فحسب
انها علة موته ، فصار الى كرسيه بالاسكندرية ، وأقام به أياماً عدة عليلاً ، ومات يوم
الاثنين سلخ^(١) رجب من سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة .

ولسعيد بن البطريق من الكتب: كتاب في الطب ، علم وعمل . كناثل . كتاب الجدل بين المخالف
والنصراني . كتاب نظم الجوهر ، ثلاث مقالات . كتبه الى أخيه عيسى بن البطريق المتطبب في
معرفة صوم النصارى وقطرم وتواريخهم وأعيادهم ، وتواريخ الخلفاء والملوك المتقدمين ؛ وذكر
البطارقة وأحوالهم ، ومدة حياتهم ومواقعهم ، وما جرى لهم في ولايتهم . وقد ذيل هذا الكتاب
نسيب لسعيد بن البطريق يقال له يحيى بن سعيد بن يحيى ، وسمى كتابه كتاب تاريخ الذيل .

عيسى بن البطريق

كان طبيباً نصرانياً عالماً بصناعة الطب علمها وعملها ، متميزاً في جزئيات المداواة والعلاج ،
مشكوراً فيها . وكان مقامه بمدينة مصر القديمة ، وكان هذا عيسى بن البطريق أخاً سعيد بن البطريق
المقدم ذكره ولم يزل عيسى بمدينة مصر طبيباً الى ان توفي بها .

أعين بن أعين

كان طبيباً متميزاً في الديار المصرية ، وله ذكر جميل وحسن معالجة . وكان في أيام العزيز بالله^(٢)
وتوفي أعين بن أعين في شهر ذي القعدة سنة خمس وثمانين وثلاثمائة .
وله من الكتب : كناش . كتاب في امراض العين ومداواتها .

التميمي

هو أبو عبد الله محمد بن سعيد التميمي . كان مقامه أولاً بالقدس^(٣) ونواحيها وله معرفة جيدة
بالنبات وماهياته والكلام فيه . وكان متميزاً أيضاً في أعمال صناعة الطب والاطلاع على دقائقها ؛ وله
خبرة فاضلة في تركيب المعاجين والأدوية المفردة ؛ واستقصى معرفة أدوية الترياق الكبير الفاروق
وتركيبه وركب منه شيئاً كثيراً على أتم ما يكون من حسن الصنعة . وانتقل الى الديار المصرية وأقام
بها الى أن توفي رحمه الله . وكان قد اجتمع في القدس بحكم فاضل راهب يقال له انبا زخريا بن
ثوبة . وكان هذا الراهب يتكلم في شيء من اجزاء العلوم الحكيمة والطب ، وكان مقيماً في القدس
في المائة الرابعة من الهجرة ، وكان له نظر في أمر تركيب الأدوية . ولما اجتمع به محمد التميمي لازمه

(١) آخره .

(٢) أبو منصور خامس خلفاء الفاطميين بمصر (٩٧٥-٩٩٦) بلغت الدولة اوج عزها في أيامه . وبنى الجوامع والقصور
والاوقية لكنه اعتمد على المساكر التركية فاغتصبوا منه السيادة .

(٣) عاصمة فلسطين دمرها الرومان وفتحها العرب وهي مقدمة عند الاديان السابرية الثلاثة (ن.د)

وأخذ عنه فوائد وجلا كثيرة مما يعرفه . وقد ذكر التميمي في كتابه مادة البقاء ، صفة سفوف الرجفان الحادث عن المرة السوداء المحترقة وذكر انه نقل ذلك عن انبا زخريا .

وقال صاحب جمال الدين بن القفطي القاضي الأكرم في كتاب « أخبار العلماء بأخبار الحكماء » : ان التميمي محمد بن أحمد بن سعيد كان جده سعيد طبيباً ، وصحب أحمد بن أبي يعقوب مولى ولد العباس ، وكان محمد من البيت المقدس ، وقرأ علم الطب به وبغيره من المدن التي ارتحل اليها ، واستفاد من هذا الشأن جزءاً متوقفاً ، وأحكم ما علمه منه غاية الاحكام . وكان له غرام وعناية تامة في تركيب الادوية ، وحسن اختيار في تأليفها ، وعنده غوص على أمور هذا النوع ، واستغراق في طلب غوامضه . وهو الذي أكمل الترياق الفاروق بما زاده فيه من المفردات ، وذلك باجماع الاطباء على انه الذي أكله . وله في الترياق عدة تصانيف ما بين كبير ومتوسط وصغير . وقد كان مختصاً بالحسن بن عبد الله بن طنج المستولي على مدينة الرملة ، وما انضاف اليها من البلاد الساحلية وكان مغرمًا به وبما يعالجه من المفردات والمركبات . وعمل له عدة معاجين والخالخ^(١) طبية ودخناً دافعة للوباء وسطر ذلك في أثناء مصنفاته . ثم ادرك الدولة العلوية^(٢) عند دخولها الى الديار المصرية وصحب الوزير يعقوب بن كلس^(٣) وزير المعز والعزیز وصنف له كتاباً كبيراً في عدة مجلدات سماه مادة البقاء باصلاح فساد الهواء ، والتحرز من ضرر الوباء وكل ذلك بالقاهرة المعزية . ولقي الأطباء بمصر وناظرهم واختلط باطباء الخاص القاديين من أهل المغرب في صحبة المعز عند قدومه والمقيمين بمصر من أهلها .

قال وحكى محمد التميمي خبراً عن ولده وهو ، قال : حدثني والدي رضي الله عنه انه سكر مرة سكرًا مفرطاً غلب فيه على عقله فسقط في بعض الخانات من موضع عال من أسفل الخان ، وهو لا يعقل فحمله صاحب الخان وخدمه حتى ادخله الى الحجرة التي كان ساكنها . فلما أصبح قام وهو يجد وجعاً ووهناً في مواضع من جسده ، ولا يعرف لذلك سبباً فركب وتصرف في بعض اموره الى ان تعالى النهار ثم رجع ، فقال لصاحب الخان : اني اجد في جسدي وجعاً وقوهناً شديداً لست أدري ما سببه ؟ فقال له صاحب الخان : ينبغي ان تحمد الله على سلامتك . قال : مم ذا ؟ قال : أو ما علمت ما نالك البارحة ؟ قال : لا . قال : فانك سقطت من أعلى الخان الى أسفل وانت سكران . قال : ومن اي موضع ؟ فأراه الموضع ، فلما رآه حدث به للوقت من الوجع والضربان ما لم يجد معه سبيلاً الى الصبر ، وأقبل يضح ويتأوه الى ان جاءوه بطبيب فقصده ، وشد على مفاصله المتوهنة جباًراً فأقام أياماً كثيرة الى ان برأ وذهب عنه الوجع .

اقول : وما يناسب هذه الحكاية ان بعض التجار كان في بعض أسفاره في مفارة ومعه رفقة له فنام في منزلة نزلها في الطريق ورفقته جلوس فخرجت حية من بعض النواحي ، وصادفت رجله

(١) مرام وأطلية .

(٢) الدولة الفاطمية .

(٣) يهودي من بغداد (٩٣٠ - ٩٩١) اشتهر بإدارته المالية . واصبح وزيراً للخليفة العزيز الفاطمي . واسلم وأصبح حجة في العلوم الاسلامية .

فنهشته فيها وذهبت ، وانتبه مرعوباً من الألم وبقي يمسك رجله ويتأوه منها . فقال له بعضهم : ما عليك ، انك مددت رجلك بسرعة ، وقد صادفت رجلك شوكة في هذا الموضع الذي يجعلك ، وأظهر له انه اخرج الشوكة ، وقال : ما بقي عليك بأس . وتساكن عنه الألم بعد ذلك ، ورحلوا فلما كان بعد عودهم بمدة وقد نزلوا في تلك المنزلة قال له صاحبه أتدري ذلك الوجع الذي عرض لك في هذا الموضع من اي شيء كان ؟ فقال : لا . قال ان حية ضربتك في رجلك ورأيناها وما أعلمناك . فعرض له للوقت ضربان قوي في رجله ، وسرى في بدنه الى ان قرب من قلبه وعرض له غشي ، ثم تزايد به الى ان مات . وكان السبب في ذلك ان الاوهام والاحداث النفسانية تؤثر في البدن أثراً قوياً فلما تحقق ان الآفة التي عرضت له كانت من نهشة الحية تأثر من ذلك وسرى ما كان في ذلك الموضع من بقايا السم في بدنه . ولما وصل الى قلبه أهلكه .

قال الصاحب جمال الدين : ولما كان التميمي ببلده البيت المقدس معانياً لصناعة الطب واحكام التركيبات ، صنف وركب ترياقاً سماه غلص النفوس وقال فيه : وهذا ترياق ألفتة بالقدس واحكمت تركيبه ، مختصر ، نافع الفعل ، دافع لضرر السمومات القاتلة المشروبة والمصبوبة في الابدان . بلسن ذوات السم من الافاعي والثعابين وانواع الحيات المهلكة السم ، والعقارب الجوارات وغيرها ، وذوات الاربع والاربعة^(١) رجلاً ، ومن لدغ الرتيلاء^(٢) والعظايا^(٣) بحرب ليس له مثل . ثم ساق مفرداته وصورة تركيبه في كتابه المسمى بمادة البقاء . ولما كان بمصر صنف جوارشن وركبه وسماه : مفتاح السرور من كل الموم ، ومفرج النفس ، ألفه لبعض اخوانه بمصر ، وذكر صورة تركيبه وأسماء مفرداته ، غير انه ركه بمصر وسماها الفسطاط ، اسمها الاول في زمن عمرو بن العاص عند افتتاحها ، وذلك مذكور في كتابه مادة البقاء وكان التميمي هذا موجوداً بمصر في سنة سبعين وثلثمائة .

وللتميمي من الكتب : رسالة الى ابنه علي بن محمد في صنعة الترياق الفاروق والتنبية على ما يغفل فيه من ادويته ، ونمت أشجاره الصحيحة وأوقات جمعها وكيفية عجنه ، وذكر منافعه وتجربته . كتاب آخر في الترياق ، وقد استوعب فيه تكميل أدويته وتحرير منافعه . كتاب مختصر في الترياق . كتاب في مادة البقاء باصلاح فساد الهواء والتحرر من ضرر الاوباء ، صنفه للوزير أبي الفرج يعقوب بن كلس بمصر . مقالة في ماهية الرمد وانواعه وأسبابه ، وعلاجه . كتاب الفاحص والاخبار

سهلان

هو أبو الحسن سهلان بن عثمان بن كيسان ، كان طبيباً نصرانياً من أهل مصر ينتحل رأي الفرقة الملكية، وخدم الخلفاء المصريين، وارتفع جاهه في الايام العزيزية، ولم يزل مرتفع الذكر محروس الجانب

(١) دويبة ذات قوائم كثيرة ومن اسمائها ام سبع وسبعين وحريش وعقربان ودخال الاذن .

(٢) من انواع العنكبوت .

(٣) كل دويبة صغيرة من الزحافات ذوات الاربع منها : سوام ، ابرص ، والمضارف اي الحرادين ، والضباب ، والسحالي . وفي الاصل ما يسمى عند عامة مصر بالسحلية وفي سواحل الشام بالسقاية (ن.ر).

مقتنياً للمال الجزيل الى ان توفي بمصر في أيام العزيز بالله ، في يوم السبت لخمس بقين من ذي الحجة سنة ثمانين وثلثائة وأخرج يوم الاحد بعد صلاة الظهر إلى كنيسة الروم بقصر الشمع : فاخذ يجنازته من داره على النحاسين على الجامع العتيق على المربعة الى حمام الفارو ، بين يديه خسون شمعة موقودة ، وعلى تابوته ثوب مثقل وخلف جنازته المطران أخو السيد ، وأبو الفتح منصور بن مقشّر طبيب الخاص ومشاة ، وسائر النصارى تبع لهم . ثم اخرج من الكنيسة بعد ان قسّ عليه بقية ليلتهم الى دير القصير فدفن هناك عند قبر أخيه كيسان بن عثمان بن كيسان ، ولم يعترض العزيز لتركته ، ولا ترك أحد يد يده اليها على كثرتها .

أبو الفتح منصور بن سهلان بن مقشّر

كان طبيباً نصرانياً مشهوراً ، وله دراية وخبرة بصناعة الطب ، وكان طبيب الحاكم بأمر الله ، ومن الخواص عنده ، وكان العزيز أيضاً يستطبه ويرى له ويحترمه . وكان متقدماً في الدولة ، وتوفي في أيام الحاكم واستطب الحاكم بعده اسحق بن ابراهيم بن نسطاس . ومات اسحق بن نسطاس أيضاً في أيام الحاكم بعد ذلك .

عمار بن علي الموصلّي

كان كحالا مشهوراً ، ومعالجا مذكوراً . له خبرة بمداواة أمراض العين ، ودربة بأعمال الحديد . وكان قد سافر الى مصر وأقام بها وكان في أيام الحاكم ولعمار بن علي من الكتب : كتاب المنتخب في علم العين وعلاها ومداواتها بالادوية والحديد ، ألفه للحاكم .

الحقير النافع

كان هذا من أهل مصر ، يهودي النحلة في زمن الحاكم . وكان طبيباً جراحياً ، حسن المعالجة . ومن ظريف أمره انه كان يرتزق بصناعة مداواة الجراح ، وهو في غاية الخمول واتفق ان عرض لرجل الحاكم عقر^(١) ازمّن ولم يبرأ . وكان ابن مقشّر طبيب الحاكم والحظي عنده ، وغيره من أطباء الخاص المشاركين له يتولون علاجه فلا يؤثر ذلك الاشرافي^(٢) العقر فاحضر له هذا اليهودي المذكور ، فلما رآه طرح عليه دواء يابساً فتشفه وشفاه في ثلاثة أيام فاطلق له الف دينار ، وخلع عليه ، ولقبه بالحقير النافع ؛ وجعله من اطباء الخاص .

أبو بشر طبيب العظيمة

كان في أيام الحاكم . مشهوراً في الدولة ، وبعد من الافاضل في صناعة الطب .

«١» جرح .

«٢» مكذبا في النسخ والصحيح الاشراف في .

ابن مقشر الطبيب

كان من الاطباء المشهورين والعلماء المذكورين . مكيناً في الدولة ، حظيا عند الحاكم ، وكان يعتمد عليه في صناعة الطب . وقال عبيد الله بن جبرئيل : ان ابن مقشر الطبيب كان في خدمة الحاكم ، وبلغ معه اعلى المنازل واسناها ، وكان له منه الصلات الكثيرة ، والمطايا العظيمة . قال : ولما مرض ابن مقشر الطبيب عاده الحاكم بنفسه ، ولما مات أطلق لخلفيه مالا وافرا .

علي بن سليمان

كان طبيباً فاضلاً متقناً للحكمة والعلوم الرياضية ، متميزاً في صناعة الطب ، اوحده في احكام النجوم . وكان في أيام العزيز بالله وولده الحاكم ولحق أيام الظاهر لاعزاز دين الله (١) ولد الحاكم . ولعلي بن سليمان من الكتب : اختصار كتاب الخلو في الطب . كتاب الامثلة والتجارب والاخبار والنكت والخواص الطبية المنتزعة من كتب ابقراط وجالينوس وغيرها . تذكرة له ورياضة ووجدت هذا الكتاب بخطه اربع مجلدات وقد ذكر فيه انه ابتداء بتأليفه في سنة احدى وتسعين وثلاثمائة بالقاهرة . كتاب التعاليق الفلسفية ووجدته أيضاً بخطه وهو يقول فيه انه ابتداء بتصنيفه بحلب في سنة احدى عشرة وأربعمائة . مقالة في ان قبول الجسم التجزؤ لا يقف ولا ينتهي الى ما لا يتجزأ . وتعيد شكوك تازم مقالة ارسطوطاليس في الابصار . وتعيد شكوك في كواكب الذنب .

ابن الهيثم

هو أبو علي محمد بن الحسن بن الهيثم أصله من البصرة (٢) ، ثم انتقل الى الديار المصرية وأقام بها الى آخر عمره . وكان فاضل النفس قوي الذكاء متقناً في العلوم . لم يماثله احد من أهل زمانه في العلم الرياضي ، ولا يقرب منه . وكان دائم الاشتغال ، كثير التصنيف ، وافر التزهد ، محباً للخير . وقد لخص كثيراً من كتب ارسطو طاليس وشرحها ، وكذلك لخص كثيراً من كتب جالينوس في الطب . وكان خبيراً باصول صناعة الطب وقوانينها وامورها الكلية إلا انه لم يباشر أعمالها ، ولم تكن له دربة بالداواة ، وتصانيفه كثيرة الافادة . وكان حسن الخط ، جيد المعرفة بالعربية .

وحدثني الشيخ علم الدين بن أبي القاسم بن عبد الغني بن مسافر الحنفي المهندس قال : كان ابن الهيثم في أول امره بالبصرة ونواحيها قد وزر ، وكانت نفسه تميل الى الفضائل والحكمة والنظر فيها ، ويشتهي ان يتجرد عن الشواغل التي تمنعه من النظر في العلم . فأظهر خبالاً في عقله وتغيراً في تصويره

«١» ابو الحسن علي الظاهر لاعزاز دين الله «٩٩٦ - ١٠٢٠» سابع الخلفاء الفاطميين .

«٢» مدينة عراقية مرفأ على شط العرب كانت مع الكوفة مهدياً للدروس اللغوية العربية وهي مسقط رأس حسن البصري والاشعري والحريزي .

وبقي كذلك مدة حتى مكن من تبطيل الخدمة ، وصرف من النظر الذي كان في يده . ثم انه سافر الى ديار مصر ، واقام بالقاهرة في الجامع الازهر بها . وكان يكتب في كل سنة اقليدس والمجسطي وبيعهما ، ويقتات من ذلك الثمن . ولم تزل هذه حاله الى ان توفي رحمه الله .

ووجدت صاحب جمال الدين أبا الحسن بن القفطي قد ذكر أيضاً عن ابن الهيثم ما هذا نصه ، قال : انه بلغ الحاكم صاحب مصر من العلويين ، وكان يميل الى الحكمة ، خبره وما هو عليه من الاتقان لهذا الشأن ، فتاقت نفسه الى رؤيته . ثم نقل له عنه انه قال : لو كنت بمصر لعملت في نيلها^(١) عملاً يحصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقص ، فقد بلغني انه ينحدر على موضع عال هو في طرف الاقليم المصري . فازداد الحاكم اليه شوقاً وسير اليه سرّاً جلة من المال ، وأرغبه في الحضور فسار نحو مصر ولما وصلها خرج الحاكم للقائه والتقيا بقرية على باب القاهرة المعزية تعرف بالخنديق ، وأمر بانزاله واكرامه واحترامه ، واقام ريثما استراح وطالبه بما وعد به من أمر النيل . فسار معه جماعة من الصناع المتولين للمهارة بأيديهم ليستعين بهم على هندسته التي خطرت له . ولما سار الى الاقليم بطوله ورأى آثار من تقدم من ساكنيه من الامم الخالية ، وهي على غاية من احكام الصنعة وجودة الهندسة ، وما اشتملت عليه من اشكال سماوية ومقالات هندسية وتصوير معجزة ، تحقق ان الذي يقصده ليس بممكن . فان من تقدمه ، في الصدور الخالية ، لم يغرب عنهم علم ما عمله . ولو امكن لفعلاه . فانكسرت همته ، ووقف خاطره ، ووصل الى الموضع المعروف بالجنادل ، قبلي مدينة اسوان ، وهو موضع مرتفع ينحدر منه ماء النيل ، فعائنه وباشره واختبره من جانبيه فوجد أمره لا يمشي على موافقة مراده ، وتحقق الخطأ والغلبة عما وعد به . وعاد خجلاً ومنخدلاً واعتذر بما قبل الحاكم ظاهره ووافقه عليه . ثم ان الحاكم ولاه بعض الدواوين فتولاه رغبة لا رغبة ، وتحقق الغلط في الولاية فان الحاكم كان كثير الاستحالة مريقاً للدماء بغير سبب او بأضعف سبب من خيال يتخيله . فأجال فكرته في امر يتخلص به فلم يجد طريقاً الى ذلك الا اظهار الجنون والجناب . فاعتمد ذلك وشاع ، فاحيط على موجوده له بيد الحاكم ونوابه وجعل يرسمه من يخدمه ويقوم بمصالحه ، وقيد وترك في موضع من منزله . ولم يزل على ذلك الى ان تحقق وفاة الحاكم ، وبعد ذلك يسير أظهر العقل وعاد الى ما كان عليه . وخرج عن داره واستوطن قبة على باب الجامع الازهر احد جوامع القاهرة . واقام بها متنسكاً متعزياً مقتنعاً . واعيد اليه ماله من تحت يد الحاكم ، واشتغل بالتصنيف والنسخ والاقادة . وكان له خط قاعدته في غاية الصحة ، كتب به الكثير من علوم الرياضة . قال : وذكر لي يوسف الفاسي الاسرائيلي الحكيم بحلب قال : سمعت ان ابن الهيثم كان ينسخ في مدة سنة ثلاثة كتب في ضمن اشتغاله ، وهي اقليدس والمتوسطات والمجسطي ويستكملها في مدة السنة فاذا شرع في نسخها جاءه من يعطيه فيها مائة وخمسين ديناراً مصرية ، وصار ذلك

(١) نهر يخرج من بحيرة فيكتوريا فيجتاز اوغندا والسودان وتنحدر مياهه ببحر الغزال فيسمى النيل الابيض ، ويمياه البحر الازرق فيسمى النيل الازرق ويحري في ارض النوبة ومصر فيخصبها بفيضانه ويصب في البحر المتوسط .

كالرسم الذي لا يحتاج فيه الى مواكسة^(١) ولا معاودة قول ، فيجعلها مؤونته لسنته . ولم يزل على ذلك الى أن مات بالقاهرة في حدود سنة ثلاثين وأربعمائة أو بعدها بقليل . والله أعلم .

أقول : ونقلت من خط ابن الهيثم في مقالة له فيما صنعه وصنغه من علوم الاوائل الى آخر سنة سبع عشرة وأربعمائة لهجرة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، الواقع في شهور سنة ثلاث وستين الهلالية من عمره ما هذا نصه ، قال : اني لم أزل منذ عهد الصبا مرتاباً في اعتقادات هذه الناس المختلفة وتمسك كل فرقة منهم بما تمتقده من الرأي ، فكنت متشككاً في جميعه ، موقناً بأن الحق واحد ، وان الاختلاف فيه انما هو من جهة السلوك اليه . فلما كملت لادراك الامور العقلية ، انقطعت الى طلب معدن الحق ، ووجهت رغبتى وحسنى الى ادراك ما به تتكشف تمويهات الظنون ، وتنقش غيابات المتشكك المفتون ، وبعثت عزيمتي الى تحصيل الرأي المقرب الى الله جل ثناؤه ، المؤدي الى رضاه الهادي لطاعته وتقواه ، فكنت كما قال جالينوس في المقالة السابعة من كتابه في حيلة البرء يخاطب تلميذه : لست أعلم كيف تهيا لي ، منذ صباي ، ان شئت قلت باتفاق عجيب ، وان شئت قلت بالهام من الله ، وان شئت قلت بالجنون ، أو كيف شئت ان تنسب ذلك ، اني ازدريت عوام الناس واستخففت بهم ، ولم التفت اليهم ، واشتيت ايثار الحق وطلب العلم ، واستقر عندي انه ليس ينال الناس من الدنيا أشياء أجود ولا أشد قربة الى الله من هذين الأمرين . قال محمد بن الحسن : فحضت لذلك في ضروب الآراء والاعتقادات ، وأنواع علوم الديانات ، فلم أحظ من شيء منها بطائل ، ولا عرفت منه للعق منهجاً ، ولا الى الرأي اليقيني مسلماً مجدداً . فرأيت انني لا أصل الى الحق إلا من آراء يكون عنصرها الامور الحسية، وصورتها الامور العقلية. فلم أجد ذلك إلا فيما قرره ارسطوطاليس من علوم المنطق والطبيعات والالهيات ، التي هي ذات الفلسفة وطبيعتها ، حين بدأ بتقرير الامور الكلاية والجزئية والعامة والخاصية ، ثم تلاه بتقرير الالفاظ المنطقية وتقسيمها الى اجناسها الاوائل ، ثم أتبعه بذكر المعاني التي تتركب مع الالفاظ فيكون منها الكلام المفهوم المعلوم ، ثم أفرد من ذلك الاخبار التي هي عنصر القياس ومادته فقسمها الى أقسامها ، وذكر فصولها وخواصها التي تميزها بعضها من بعض ، ويلزم منه صدقها وكذبها ، ويعرض معه اتفاقها واختلافها وتضادها وتناقضها . ثم ذكر بعد ذلك القياس فقسم مقدماته ، وشكل أشكاله ، ونوع تلك الاشكال ، وميز من الانواع ما لا يلزم دائماً نظاماً واحداً ، وأفرد ما يلزم أبداً نظاماً واحداً . ثم ذكر النتائج التي تلزم منها مع اقترانات عناصر الامور التي هي الواجب والممكن والممتنع ، وبين وجوه اكتساب مقدمات القياس الضرورية والاقناعية وما هو من جهة الأولى والأشبه والأكثر ، وما يلزم من جهة العادات والاصطلاحات وسائر الامور القياسية . وذكر صور القياس ، وفصل فصوله ، ولوع أنواعه ، ثم ختم ذلك بذكر طبيعة البرهان وشرح مواده ، وأوضح صوره ، وبين الشبه المغلطة فيه ، وكشف عن مستوره وخافيه . ثم تلا ذلك بالكلام في الصناعات الاربع الجدلية والمراثية والخطبية والشعرية فأوضح من ذلك ما

(١) غبن ومواضة في الثمن .

يكون سبباً مبرزاً لصناعة البرهان من هذه الصناعات الأربع ، وفصلاً فاصلاً لها من جنسها ؛ ثم أخذ بعد ذلك في شرح الامور الطبيعية . فبدأ في ذلك بكتابه في السماع الطبيعي فقرر فيه الامور المعلومة بالطبع التي لا تحتاج الى برهان ، انما يؤخذ من الاستقرار والقسمة والتحليل ، وبرهن على بطلان الاعتراضات فيها ، وكشف عن اغلاط من شك في شيء منها ، وكان مجمل كلامه في ذلك على ستة أمور : المبادئ الكونية والطبيعية ، والمكان ، والحلاء ، وما لا نهاية له ، والزمان ، والحركة ، والمحرك الأول . ثم أتبع ذلك بكتابه في الكون والفساد ، فأوضح فيه قبول العالم الارضي الكون والفساد . ثم تلاه بكتابه في الآثار والعلوية وهي التي تعرض في الجو كالسحاب ، والضباب ، والرياح ، والأمطار ، والرعد ، والبرق ، الصواعق ، وسائر ما يكون من أنواع ذلك . وذكر في آخره أمور المعدنيات وأسباب كونها . ثم أتبعه بكتابه في النبات والحيوان فذكر ضروب النبات والحيوان وطبائعها ، وفصولها ، وأنواعها وخواصها ، وأعراضها . ثم أتبع ذلك بكتابه في السماء والعالم فأبان عن طبيعة العالم وذاتيته ، واتصال القوة الالهية به . ثم والاه بكتابه في النفس فتكلم على رأيه في النفس ، ونقض آراء جميع من قال فيها قولاً يخالف قوله واعتقد في ذاتيتها اعتقاداً غير اعتقاده ، وقسمها الى : الغاذية ، والحاسة ، والعاقلة . وذكر أحوال الغاذية ، وشرح أمور الحواس ، وفصل أسباب العقل . فذكر من ذلك ما كشف كل مستور ، وأوضح عن كل خفي . ثم ختم جميع ذلك بكتابه فيما بعد الطبيعة ، وهو كتابه في الالهيات فيبين فيه ان الإله واحد ، وانه حكيم لا يجهل ، وقادر لا يعجز ، وجواد لا يبخل . فأحكم الاصول التي فيها يسلك الى الحق فيدرك طبيعته وجوهره ، وتوحيد ذاته وماهنته .

فلما تبينت ذلك أفرغت وسمي في طلب علوم الفلسفة وهي ثلاثة علوم : رياضية ، وطبيعية ، وإلهية . فتعلقت من هذه الامور الثلاثة بالاصول والمبادئ التي ملكت بها فروعها ، وتوقلت بأحكامها من حيث انخفاضها وعلوها . ثم اني رأيت طبيعة الانسان قابلة للفساد ، متهيئة الى الفناء والنفاذ . وانه مع حدة الشباب وعنفوان الحداثة ، تملك على فكرة طاعة التصور لهذه الاصول ، فاذا صار الى سن الشيخوخة وأوان الهرم قصرت طبيعته ، وعجزت قوته الناطقة مع إخلال آلتها ، وفسادها عن القيام بما كانت تقوم به من ذلك . فشرحت ولخصت واختصرت من هذه الاصول الثلاثة ما احاط فكري بتصوره ، ووقف تمييزي على تدبره . وصنفت من فروعها ما جرى مجرى الايضاح والافصاح عن غوامض هذه الامور الثلاثة الى وقت قولي هذا ، وهو ذو الحجة سنة سبع عشرة واربعمئة لهجرة النبي ، صلى الله عليه وسلم . وأنا ما مدت لي الحياة باذل جهدي ومستفرغ قوتي في مثل ذلك توخياً به اموراً ثلاثة ، أحدها افادة من يطلب الحق ويؤثره في خيالي وبعد وفاتي ، والآخر اني جعلت ذلك ارتياضاً لي بهذه الامور في اثبات ما تصوره وأتقنه فكري من تلك العلوم ، والثالث اني صيرته ذخيرة وعدة لزمان الشيخوخة وأوان الهرم . فكنت في ذلك كما قال جالينوس في المقالة السابعة من كتابه في حيلة البرء : انما قصدت وأقصد في وضع ما وضعته وأضعه من الكتب الى أحيد أمرين إما الى نفع رجل أفيداه اياه ، وإما ان أتعجل أنا في ذلك رياضة أروض بها نفسي في وقت وضعي اياه ، وأجعل

ذخيرة لوقت الشيخوخة .

قال محمد بن الحسن : وأنا أشرح ما صنعته في الاصول الثلاثة ليقف منه على موضع عنايتي بطلب الحق وحرصني على ادراكه ، وتعلم حقيقة ما ذكرته من عزوف نفسي عن بمائلة العوام الرعاع الاغبياء وسموها الى مشابهة أولياء الله الاخيار الاتقياء . فما صنعته في العلوم الرياضية خمسة وعشرون كتاباً : احدها : شرح أصول اقليدس في الهندسة والعدد وتلخيصه .

والثاني : كتاب جمعت فيه الاصول الهندسية والعديدية من كتاب اقليدس وابولونيوس ، ونوعت فيه الاصول وقسمتها ، وبرهنت عليها ببراهين نظمتمتها من الامور التعليمية والحسية والمنطقية ، حتى انتظم ذلك مع انتقاض توالي اقليدس وابولونيوس .

والثالث : شرح المسطوي وتلخيصه شرحاً وتلخيصاً برهانياً لم أخرج منه شيئاً الى الحساب الا اليسير . وان أخر الله في الاجل ، وأمكن الزمان من الفراغ ، استأنفت الشرح المستقصي لذلك الذي أخرجه به الى الامور العديدية والحسابية .

والرابع : الكتاب الجامع في أصول الحساب وهو كتاب استخرجت اصوله لجميع أنواع الحساب ، من أوضاع اقليدس في أصول الهندسة والعدد ، وجعلت السلوك في استخراج المسائل الحسابية يجهي التحليل الهندسي والتقدير العددي . وعدلت فيه عن أوضاع الجبرين وألفاظهم .

والخامس : كتاب لخصت فيه علم المناظر من كتابي اقليدس وبطلموس وتممته بمعاني المقالة الاولى المفقودة من كتاب بطليموس .

والسادس : كتاب في تحليل المسائل الهندسية .

والسابع : كتاب في تحليل المسائل العديدية بجهة الجبر والمقابلة مبرهنات .

والثامن : كتاب جمعت فيه القول على تحليل المسائل الهندسية والعديدية جميعاً . لكن القول على المسائل العديدية غير مبرهن بل هو موضوع على أصول الجبر والمقابلة .

والتاسع : كتاب في المساحة على جهة الاصول .

والعاشر : كتاب في حساب المعاملات .

والحادي عشر : مقالة في اجارات الحفور والابنية يجمع الاشكال الهندسية ، حتى بلغت في ذلك الى أشكال قطوع المخروط الثلاثة : المكافئ والزائد والناقص .

والثاني عشر : تلخيص مقالات ابولونيوس في قطوع المخروطات .

والثالث عشر : مقالة في الحساب الهندي .

والرابع عشر : مقالة في استخراج سمت القبلة في جميع المسكونة ، يجداول وضعتها ولم أورد البرهان على ذلك .

والخامس عشر : مقالة فيما تدعو اليه حاجة الامور الشرعية من الامور الهندسية ولا يستغنى عنه شيء سواه .

والسادس عشر : رسالة الى بعض الرؤساء في الحث على عمل الرصد النجمي .

والسابع عشر : كتاب في المدخل الى الامور الهندسية .

والثامن عشر : مقالة في انتزاع البرهان على ان القطع الزائد والخطان اللذان لا يلتقيانه يقتربان آ ولا يلتقيان .

والتاسع عشر : أجوبة سبع مسائل تعليمية سئلت عنها ببغداد فأجبت .

والعشرون : كتاب في التحليل والتركيب الهندسين على جهة التمثيل للمتعلمين ، وهو مجموع مسائل رياضية وعددية حللتها وركبتها .

والحادي والعشرون : كتاب في آلة الظل ، اختصرته ولخصته من كتاب ابراهيم بن سنان في ذلك .

والثاني والعشرون : مقالة في استخراج ما بين بلدين في البعد يحه الامور الهندسية .

والثالث والعشرون : مقالة في أصول المسائل العددية الصم وتحليلها .

والرابع والعشرون : مقالة في حل شك رداً على اقليدس في المقالة الخامسة من كتابه في اصول الرياضية .

والخامس والعشرون : رسالة في برهان الشكل الذي قدمه ارشميدس في قسمة الزاوية ثلاثة اقسام يبرهن عليه .

وبما صنعتها من العلوم الطبيعية والالهية ، اربعة وأربعون كتاباً :

أحدها : تلخيص مدخل فرفوربوس وكتب ارسطوطاليس الأربعة المنطقية .

والآخر : اختصار تلخيص مدخل فرفوربوس وكتب ارسطوطاليس السبعة المنطقية .

والثالث : رسالة في صناعة الشعر ممتزجة من اليوناني والعربي .

والرابع : تلخيص كتاب النفس لارسطوطاليس ، وان اخر الله في الاجل وامكن الزمان من

اغ والتشاغل بالعلم لخصت كتابه في السماع الطبيعي والسماء والعالم .

والخامس : مقالة في مشاكلة العالم الجزئي وهو الانسان للعالم الكلي .

والسادس : مقالتان في القياس وشبهه .

والسابع : مقالة في البرهان .

والثامن : مقالة في العالم من جهة مبدئه وطبيعته وكأله .

والتاسع : مقالة في المبادئ والموجودات .

والعاشر : مقالة في هيئة العالم .

والحادي عشر : كتاب في الرد على يحيى النحوي وما نقضه على ارسطوطاليس وغيره من أقوالهم في السماء والعالم .

والثاني عشر : رسالة الى بعض من نظر في هذا النقض فشك في معان منه في حل شكوكه ومعرفة ذلك من فهمه .

والثالث عشر : كتاب في الرد على أبي الحسن علي بن العباس بن فسا نجس نقضه آراء المنجمين .
والرابع عشر : جواب ما أجاب به ابو الحسن بن فسا نجس نقض من عارضه في كلامه على المنجمين .
والخامس عشر : مقالة في الفضل والفاضل .

والسادس عشر : مقالة في تشويق الانسان الى الموت بحسب كلام الاوائل .
والسابع عشر : رسالة اخرى في هذا المعنى بحسب كلام المحدثين .
والثامن عشر : رسالة في بطلان ما يراه المتكلمون من أن الله لم يزل غير فاعل ثم فعل .
والتاسع عشر : مقالة في خارج السماء لا فراغ ولا ملاء .

والعشرون : مقالة في الرد على أبي هاشم رئيس المعتزلة ما تكلم به على جوامع كتاب السماء والعالم لارسطوطاليس .

والحادي والعشرون : قول في تباین مذهبي الجبريين والمنجمين .
والثاني والعشرون : تلخيص المسائل الطبيعية لارسطوطاليس .
والثالث والعشرون : رسالة في تفضيل الاهواز على بغداد من جهة الامور الطبيعية .
والرابع والعشرون : رسالة الى كافة أهل العلم في معنى مشاغب شاغبه .
والخامس والعشرون : مقالة في ان جهة ادراك الحقائق جهة واحدة .
والسادس والعشرون : مقالة في ان البرهان معنى واحد وانما يستعمل صناعياً في الامور الهندسية، وكلامياً في الامور الطبيعية والالهية .

والسابع والعشرون : مقالة في طبيعتي الالم واللذة .
والثامن والعشرون : مقالة في طبائع اللذات الثلاث الحسية والنطقية والمعادلة .
والتاسع والعشرون : مقالة في اتفاق الحيوان الناطق على الصواب مع اختلافهم في المقاصد والاعراض .
والثلاثون : رسالة في ان برهان الخلف يصير برهان استقامة بمحدود وانحدرة .
والحادي والثلاثون : كتاب في تثبيت احكام النجوم بحجة البرهان .
والثاني والثلاثون : رسالة في الاعمار والآجال الكونية .
والثالث والثلاثون : رسالة في طبيعة العقل .
والرابع والثلاثون : كتاب في النقض على من رأى ان الادلة متكافئة .
والخامس والثلاثون : قول في اثبات عنصر الامتناع .
والسادس والثلاثون : نقض جواب مسألة سئل عنها بعض المعتزلة بالبصرة .

والسابع والثلاثون : كتاب في صناعة الكتابة على أوضاع الأوائل وأصولهم .

والثامن والثلاثون : عهد الى الكتاب .

والتاسع والثلاثون : مقالة في أن فاعل هذا العالم انما يعلم ذاته من جهة فعله .

والأربعون : جواب قول لبعض المنطقيين في معان خالف فيها من الامور الطبيعية .

والخادي والأربعون : رسالة في تلخيص جوهر النفس الكلية .

والثاني والأربعون : في تحقيق رأي ارسطوطاليس ان القوة المدبرة هي من بدن الانسان في

القلب منه .

والثالث والأربعون : رسالة في جواب مسألة سئل عنها ابن السمع البغدادي المنطقي فلم يجب

عنها جواباً مقنعاً .

والرابع والأربعون : كتاب في تقويم الصناعة الطبية ، نظمته من اجل وجوامع ما نظرت فيه من

كتب جالينوس وهو ثلاثون كتاباً : كتابه في البرهان ، كتابه في فرق الطب ، كتابه في الصناعة

الصغيرة ، كتابه في التشريح ، كتابه في القوى الطبيعية ، كتابه في منافع الاعضاء ، كتابه في آراء

ابقراط وافلاطن ، كتابه في المني ، كتابه في الصوت ، كتابه في العلل والاعراض ، كتابه في اصناف

الحميات ، كتابه في البحران ، كتابه في النبض الكبير ، كتابه في الاسطقسات على رأي أبقراط ،

كتاب في المزاج ، كتابه في قوى الادوية المفردة ، كتابه في قوى الادوية المركبة ، كتابه في مواضع

الاعضاء الآلية ، كتابه في حيلة البرء ، كتابه في حفظ الصحة ، كتابه في جودة الكيموس وردائه ،

كلامه في أمراض العين ، كتابه في ان قوى النفس تابعة لمزاج البدن ، كتابه في سوء المزاج المختلف ،

كتاب في أيام البحران ، كتابه في الكثرة ، كتابه في استعمال الفصد لشفاء الامراض ، كتابه في

الذبول ، كتابه في أفضل هيئات البدن ، جمع حنين بن اسحق من كلام جالينوس وكلام ابقراط

في الاغذية .

ثم شفعت جميع ما صنعت من علوم الاوائل برسالة بينت فيها ان جميع الامور الدنيوية والدينية

هي نتائج العلوم الفلسفية . وكانت هذه الرسالة هي المتممة لعدد أقوال في هذه العلوم بالقول السبعين ،

وذلك سوى رسائل ومصنفات عدة حصلت لي في أيدي جماعة من الناس بالبصرة والاهواز ضاعت

دسايرها ، وقطع الشغل بامور الدنيا وعوارض الاسفار عن نسخها ، وكثيراً ما يعرض ذلك للعلماء .

فقد اتفق مثله لجالينوس حتى ذكر ذلك في بعض كتبه فقال: وقد صنفت كتباً كثيرة دفعت دسايرها

الى جماعة من اخواني ، وقطعتني الشغل والسفر عن نسخها حتى خرجت الى الناس من جهتهم .

قال محمد بن الحسن : وان أطال الله لي في مدة الحياة وفسح في العمر صنفت وشرحت ، ولخصت

من هذه العلوم أشياء كثيرة تتردد في نفسي ويبحثني على اخراجها الى فكري ، والله

يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، ويبدع مقاليد كل شيء ، وهو المبدئ المعيد . وهذا

ما وجب ان اذكره في معنى ما صنعت واخترته من علوم الاوائل قصدت به مذاكرة الحكماء

الافاضل ، والعقلاء الامائل من الناس كالذي يقول :

رب ميت قد صار بالعلم حياً ومبقتى قد مات جهلاً وغيا
فاقتنوا العلم كي تنالوا خلوداً لا تعدوا البقاء في الجهل شياً
(الحقيف)

وهذان البيتان هما لابي القاسم بن الوزير أبي الحسن علي بن عيسى رضي الله عنهما ، وكان فيلسوفاً قاهلها ووصى بأن يكتبها على قبره لم اقصد به مخاطبة جميع الناس لا غير الافاضل منهم . وقلت في ذلك كما قال جالينوس في كتابه في النبض الكبير : ليس خطابي في هذا الكتاب لجميع الناس ، بل خطابي لرجل منهم يوازي ألوف رجال بل عشرات ألوف رجال ، إذ كان الحق ليس هو بأن يدركه الكثير من الناس ، لكن هو بأن يدركه الفهم الفاضل منهم ليعرفوا رتبتي في هذه العلوم ، ويتحققوا منزلتي من ايثار الحق جل وعلا من طلب القرية الى الله في ادراك العلوم والمعارف النفسية ، ويعلموا تحقيقي بفعل ما فرضته هذه العلوم علي من ملايسة الامور الدنيوية ، وكلية الخير ومجانبة كلية الشر فيها، فان ثمرة هذه العلوم هو علم الحق والعمل بالعدل في جميع الامور الدنيوية ؛ والعدل هو محض الخير الذي يفعله يفوزاً^(١) في العالم الارضي وينعم الآخرة السماوي ويعتاض عن صعوبة ما يلقاه بذلك مدة البقاء المنقطع في دار الدنيا ، دوام الحياة منعماً في الدار الاخرى . والى الله تعالى أرغب في توفيعي لما فزت اليه ، وأزلف لديه .

اقول : وكان تاريخ كتابة ابن الهيثم لهذه الرسالة في ذي الحجة سنة سبع عشرة وأربعمائة . وكان تلوها أيضاً بخطه ما هذا مثاله ، ما صنعه محمد بن الحسن بن الهيثم بعد ذلك الى سنخ جمادي الآخرة سنة تسع عشرة وأربعمائة . تلخيص السماع الطبيعى لارسطوطاليس . مقالة ل محمد بن الحسن في المكان والزمان على ما وجده ، يلزم رأي ارسطوطاليس فيها . رسالة الى أبي الفرج عبدالله بن الطبيب البغدادي المنطقي في عدة معارف من العلوم الطبيعية والالهية ، نقض محمد بن الحسن علي ابي بكر الرازي المتطبيب رأيه في الالهيات والنبؤات . مقالة له في ابطال رأي من يرى ان العظام مركبة من اجزاء كل جزء منها لا جزء له . مقالة له في عمل الرصد من دائرة افق بلد معلوم العرض . كتاب له في اثبات النبوات ، وايضاح قساد رأي الذين يعتقدون بطلانها ، وذكر الفرق بين النبي والمتنبي . مقالة ل محمد بن الحسن في ايضاح تقصير أبي علي الخياطي في نقضه بعض كتب ابن الراوندي ولزومه ما ألزمه اياه ابن الراوندي ، بحسب أصوله ، وايضاح الرأي الذي لا يلزم معه اعتراضات ابن الراوندي . رسالة له في تأثيرات اللحون الموسيقية في النفوس الحيوانية . مقالة في ان الدليل الذي يستدل به المتكلمون على حدوث العالم دليل فاسد ، والاستدلال على حدوث العالم بالبرهان الاضطرابي والقياس الحقيقي . مقالة له يرد فيها على المعتزلة رأيهم في حدوث صفات الله تبارك وتعالى . رسالة له في الرد على المعتزلة رأيهم في الوعيد . جواب له عن مسألة هندسية سئل عنها ببغداد في شهور سنة ثمان عشرة وأربعمائة .

(١) التمتع والاعياء .

مقالة ثانية لمحمد بن الحسن في ابانة الغلط من قضى ان الله لم يزل غير فاعل من فعل. مقالة في ابعاد الاجرام السماوية وأقدار اعظامها . تلخيص كتاب الآثار العلوية لارسطوطاليس . تلخيص كتاب ارسطوطاليس في الحيوان ، وبعد ذلك : مقالة في المرايا المحرقة مفردة عما ذكرته من ذلك في تلخيص كتابي اقليدس وبطلميوس في المناظر . كتاب في استخراج الجزء العملي من كتاب المجسطي . مقالة في جوهر البصر وكيفية وقوع الابصار به . مقالة في الرد على أبي الفرج عبدالله بن الطيب ، رأيه المخالف به لرأي جالينوس في القوى الطبيعية في بدن الانسان

اقول : وهذا آخر ما وجدته من ذلك بخط محمد بن الحسن بن الهيثم المصنف رحمه الله .

وهذا ايضا فهرست وجدته لكتب ابن الهيثم الى آخر سنة تسع وعشرين واربعمائة . مقالة في هيئة العالم . مقالة في شرح مصادرات كتاب اقليدس كتاب في المناظر ، سبع مقالات . مقالة في كيفية الارصاد . مقالة في الكواكب الحادثة في الجو . مقالة في ضوء القمر . مقالة في سمت القبلة بالحساب . مقالة في قوس قزح والهالة . مقالة فيما يعرض من الاختلاف في ارتفاعات الكواكب . مقالة في حساب المعاملات . مقالة في الرخامة الافقية ، مقالة في رؤية الكواكب . كتاب في بركار القطوع ، مقالتان . مقالة في مراكز الانتقال . مقالة في اصول المساحة . مقالة في مساحة الكرة . مقالة في مساحة الجسم المكافئ . مقالة في المرايا المحرقة بالدوائر . مقالة في المرايا المحرقة بالقطوع . مقالة مختصرة في الاشكال الهلالية . مقالة مستقصاة في الاشكال الهلالية . مقالة مختصرة في بركار الدوائر العظام . مقالة مشروحة في بركار الدوائر العظام . مقالة في السميت . مقالة في التنبيه على مواضع الغلط في كيفية الرصد . مقالة في أن الكرة أوسع الاشكال المجسمة التي احاطتها متساوية ، وان الدائرة أوسع الاشكال المسطحة التي احاطتها متساوية . مقالة في المناظر على طريقة بطلميوس . كتاب في تصحيح الاعمال النجومية ، مقالتان . مقالة في استخراج أربعة خطوط بين خطين . مقالة في تربيع الدائرة . مقالة في استخراج خط نصف النهار على غاية التحقيق . قول في جميع الاجزاء . مقالة في خواص القطع المكافئ . مقالة في خواص القطع الزائد . مقالة في نسب القسي الزمانية الى ارتفاعها . مقالة في كيفية الاظلال . مقالة في ان ما يرى من السماء هو اكثر من نصفها . مقالة في حل شكوك المقالة الاولى من كتاب المجسطي يشكك فيها بعض أهل العلم . مقالة في حل شك في بحسبات كتاب اقليدس . قول في قسمة المقدارين المختلفين المذكورين في الشكل الاول من المقالة العاشرة من كتاب اقليدس مسألة في اختلاف النظر . قول في استخراج مقدمة ضلع المسبع . قول في قسمة الخط الذي استعمله ارشيدس في كتاب الكرة والاسطوانة ، قول في استخراج خط نصف النهار بظل واحد . مقالة في عمل خمس في مربع . مقالة في المجرة ، مقالة في استخراج ضلع المكعب . مقالة في اضواء الكواكب . مقالة في الامر الذي في القمر . قول في مسألة عددية . مقالة في اعداد الوفق . مقالة في الكرة المتحركة على السطح . مقالة في التحليل والتركيب . مقالة في المعلومات . قول في حل شك في المقالة الثانية عشرة من كتاب اقليدس . مقالة في حل شكوك المقالة الاولى من كتاب اقليدس . مقالة في حساب الخطأين . قول في جواب مسألة في المساحة .

مقالة مختصرة في سمت القبلة . مقالة في الضوء . مقالة في حركة الالتفاف . مقالة في الرد على من خالفه في ماهية الهجرة . مقالة في حل شكوك حركة الالتفاف . مقالة في الشكوك على بطليموس . مقالة في الجزء الذي لا يتجزأ . مقالة في خطوط الساعات . مقالة في القرسطون . مقالة في المكان . قول في استخراج أعمدة الجبال . مقالة في علل الحساب الهندي . مقالة في أعمدة المثلثات . مقالة في خواص الدوائر . مقالة في شكل بني موسى . مقالة في عمل المسبع في الدائرة . مقالة في استخراج ارتفاع القطب على غابة التحقيق . مقالة في عمل النكاح . مقالة في الكرة المحرقة . قول في مسألة عديدة مجسمة . قول في مسألة هندسية . مقالة في صورة الكسوف . مقالة في أعظم الخطوط التي تقع في قطعة الدائرة . مقالة في حركة القمر . مقالة في مسائل التلاقي . مقالة في شرح الارثماتيقي على طريق التعليق . مقالة في شرح القانون على طريق التعليق . مقالة في شرح الرومنطقي على طريق التعليق . قول في قسمة المنحرف الكلي . مقالة في الاخلاق . مقالة في آداب الكتاب . كتاب في السياسة ، خمس مقالات . تعليق علقه اسحق بن يونس المتطبيب بمصر عن ابن الهيثم في كتاب ديوفنطس في مسائل الجبر . قول في استخراج مسألة عددية .

المبشر بن فاتك

هو الأمير محمود الدولة أبو الوفاء المبشر بن فاتك الأمري من أعيان امراء مصر وأفاضل علمائها . دائم الاشتغال ، محب للفضائل ، والاجتماع باهلها ومباحثتهم ، والانتفاع بما يقتبس من جهتهم وكان ممن اجتمع به منهم ، وأخذ عنه كثيراً من علوم الهيئة والعلوم الرياضية أبو محمد بن الحسن بن الهيثم . وكذلك أيضاً اجتمع بالشيخ ابي الحسين المعروف بابن الأمدى ، وأخذ عنه كثيراً من العلوم الحكيمة ، واشتغل أيضاً بصناعة الطب ، ولازم ابا الحسن علي بن رضوان الطبيب .

وللمبشر بن فاتك تصانيف جليلة في المنطق وغيره من اجزاء الحكمة ، وهي مشهورة فيما بين الحكماء . وكان كثير الكتابة . وقد وجدت بخطه كتباً كثيرة من تصانيف المتقدمين . وكان المبشر بن فاتك قد اقتنى كتباً كثيرة جداً . وكثير منها يوجد وقد تغيرت ألوان الورق الذي له بفرق أصابه .

وحدثني الشيخ سديد الدين المنطقي بمصر قال : كان الأمير ابن فاتك محباً لتحصيل العلوم ، وكانت له خزائن كتب ، فكان في أكثر أوقاته اذا نزل من الركوب لا يفارقها ، وليس له دأب إلا المطالعة والكتابة ، ويرى أن ذلك أهم ما عنده . وكانت له زوجة كبيرة القدر أيضاً من ارباب الدولة : فلما توفي ، رحمه الله ، نهضت هي وجوار معها الى خزائن كتبه ، وفي قلبها من الكتب ، وانه كانت يشتغل بها عنها . فجعلت تندبه ، وفي اثناء ذلك ترمي الكتب في بركة ماء كبيرة في وسط الدار هي وجوارها . ثم شملت الكتب بعد ذلك من الماء وقد غرق أكثرها . فهذا سبب ان كتب المبشر بن فاتك يوجد كثير منها وهو بهذه الحال .

أقول : وكان من جملة تلاميذ المبشر بن فاتك والاختين عنه أبو الخير سلامة بن مبارك ابن رحمت .

وللمبشر ابن فاتك من الكتب : كتاب الوصايا والامثال والموجز من محكم الاقوال . كتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم . كتاب البداية في المنطق . كتاب في الطب .

اسحق بن يونس

كان طبيباً عالماً بالصناعة الطبية ، عارفاً بالعلوم الحكيمة ، جيد الدربة ، حسن العلاج . قرأ الحكمة على ابن السمع ، وكان مقياً بمصر .

علي بن رضوان

هو أبو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر ، وكان مولده ومنشؤه بمصر ، وبها تعلم الطب . وقد ذكر علي بن رضوان في سيرته من كيفية تعلمه صناعة الطب وأحواله ما هذا نصه . قال : انه لما كان ينبغي لكل انسان أن يلتحل ألبق الصنائع به ، ووافقها له ، وكانت صناعة الطب تتأخم الفلسفة طاعة لله عز وجل ، وكانت دلالات النجوم في مولدي تدل على ان صناعتي الطب . وكان العيش عندي في الفضيلة ألد من كل عيش ، اخذت في تعلم صناعة الطب وأنا ابن خمس عشرة سنة ، والاجود ان أقتص اليك أمري كله : ولدت بأرض مصر في عرض ثلاثين درجة ، وطول خمس وخمسين درجة ، والطالع بزيج يحيى بن أبي منصور الحمل (هـ لو) وعاشرة الجدي (هـ كج) ومواضع الكواكب الشمس بالدلو (اه لب) والقمر بالمقرب (ح يه) وعرضه جنوب (ح يز) وزحل بالقوس (كط) والمشتري بالجدي (هـ كج) والمريخ بالدلو (كا) (مح) والزهرة بالقوس (كد) (ك) وعطارد بالدلو (يط) . وسهم السعادة بالجدي (د) (هـ) وجزء الاستقبال المتقدم بالسرطان (كب ي) ، والجوزهر بالقوس (يز) (يا) والذنب بالجوزاء (يز) (ما) . والنسر الواقع بالجدي (ا) (كب) والشعري العبور بالسرطان (يب) . فلما بلغت السنة السادسة أسلمت نفسي في التعليم ، ولما بلغت السنة العاشرة انتقلت الى المدينة العظمى واجهدت نفسي في التعلم . ولما أقمت أربع عشرة سنة أخذت في تعلم الطب والفلسفة ولم يكن لي مال انفق منه ، فلذلك عرض لي في التعلم صعوبة ومشقة . فكنت مرة أتكسب بصناعة القضاء بالنجوم ، ومرة بصناعة الطب ، ومرة بالتعليم . ولم أزل كذلك وأنا في غاية الاجتهاد في التعليم ، الى السنة الثانية والثلاثين ، فاني اشتهرت فيها بالطب وكفاني ما كنت أكسبه بالطب ، بل وكان يفضل عني الى وقتي هذا ، وهو آخر السنة التاسعة والخمسين . وكسبت مما فضل عن نفقتي أملاً كما في هذه المدينة ان كتب الله عليها السلامة وبلغني سن الشيخوخه كفاي في النفقة عليها .

وكننت منذ السنة الثانية والثلاثين الى يومي هذا أعمل تذكرة لي وأغيرها في كل سنة الى ان قررتها على هذا التقرير الذي أستقبل به السنة الستين من ذلك . أتصرف في كل يوم في صناعتي بمقدار ما ينبغي ،

ومن الرياضة التي تحفظ صحة البدن، وأغتذي بعد الاستراحة من الرياضة غذاء أقصد به حفظ الصحة، وأجتهد في حال تصرفي في التواضع والمداراة وغيث الملهوف، وكشف كربة المكروب، واسعاف المحتاج. وأجمل قصدي في كل ذلك الالتئاذ بالافعال، والانفعالات الجميلة. ولا بد ان يحصل مع ذلك، كسب ما ينفق فأنفق منه على صحة بدني، وعمارة منزلي نفقة لا تبلغ التبذير، ولا تنحط الى التقدير وتلازم الحال الوسطى بقدر ما يوجب التعقل في كل وقت. واتفق آلات منزلي فما يحتاج الى اصلاح اصلحته، وما يحتاج الى بدل بدله، وأعد في منزلي ما يحتاج اليه من الطعام والشراب والعسل والزيت والخطب، وما يحتاج اليه من الثياب، فما فضل بعد ذلك كله صرفته في وجوه الجميل والمنافع مثل اعطاء الاهل والاخوان والجيران، وعمارة المنزل. وما اجتمع من غلة أملاكي ادخرته لعمارتها ومرمتها، ولوقت الحاجة الى مثله. واذا هممت لتجديد امر مثل تجارة أو بناء أو غير ذلك فرضته مطلوباً، وحلته الى موضوعاته ولوازمها. فان وجدته من الممكن الاكثر بادرت اليه، وان وجدته من الممكن القليل اطرحتة.

وأتعرف ما يمكنني تعريفه من الامور المزمعة وآخذ له اهبتة. واجعل ثيابي مزينة بشعار الاخيار والنظافة وطيب الرائحة. وألزم الصمت وكف اللسان عن معائب الناس. واجتهد ان لا اتكلم إلا بما ينبغي. واثقوا الأيمان ومثالب الآراء، فاحذر العجب وحب الغلبة، واطرح الهم الحرصي، والاعتماد. وان ذهني أمر فادح أسلمت فيه الى الله تعالى، وقابلته بما يوجب التعقل من غير جن ولا تهور. ومن عاملته عاملته يداً بيد، لا أسف ولا أتسلف، إلا ان اضطر لذلك. وان طلب مني أحد سلفاً وهبت منه، ولم أرد منه عوضاً وما بقي من يومي بعد فراغي من رياضي صرفته في عبادة الله سبحانه بأن أتزده بالنظر في ملكوت السموات والارض، وتمجيد محكمها، وأتدبر مقالة ارسطاطاليس في التدبير، وآخذ نفسي بلزوم وصاياهما بالعدة والعشي، واتفق لي وقت خلوتي ما سلف في يومي من افعالي وانفعالاتي. فما كان خيراً أو جيلاً أو نافعاً سررت به، وما كان شراً أو قبيحاً أو ضاراً اغتمت به، ووافقت نفسي بان لا أعود الى مثله. قال: وأما الاشياء التي أتزده فيها فلأني فرضت نزهتي ذكر الله عز وجل وتمجيده بالنظر في ملكوت السماء والارض.

وكان قد كتب القدماء والعارفون في ذلك كتباً كثيرة رأيت ان اقتصر منها على ما أنصه من ذلك خمسة كتب من كتب الادب؛ وعشرة كتب من كتب الشرع؛ وكتب ابقراط وجالينوس في صناعة الطب وما جانسها مثل كتاب الحشائش لديسقوريدس، وكتب روفس، وأريباسيوس، وبولس وكتاب الحاوي للرازي؛ ومن كتب الفلاحة والصيدلة أربعة كتب؛ ومن كتب التعاليم الجسطي ومداخله، وما انتفع به فيه والمربعة لبطلميوس؛ ومن كتب العارفين كتب أفلاطن، وارسطوطاليس، والاسكندر، وثامطيوس، ومحمد الفارابي، وما أنتفع به فيها. وما سوى ذلك إما أبيعه بأي ثمن اتفق، وإما ان اخزنه في صناديق. وبيعه أجود من خزنه.

اقول: هذا جملة ما ذكره من سيرته. وكان مولده في ديار مصر بالجيزة^(١) ونشأ بمدينة مصر.

(١) مدينة في مصر بالقرب من الاهرام على انقاض منفيس.

وكان أبوه فراناً . ولم يزل ملازماً للاشتغال والنظر في العلم الى ان تميز وصار له الذكر الحسن والسمعة العظيمة ، وخدم الحاكم وجعله رئيساً على سائر المتطيين . وكانت دار ابن رضوان بمدينة مصر في قصر الشمع ، وهي الآن تعرف به ، وقد تهدمت ولم يتبين الا بقايا سيرة من آثارها . وحدث في الزمان الذي كان فيه ابن رضوان بديار مصر الغلاء العظيم . والجلاء الفادح الذي هلك به أكثر أهلها . ونقلت من خط المختار ابن الحسن بن بطلان ان الغلاء عرض بمصر في سنة خمس وأربعين وأربعمائة قال : ونقص الثيل في السنة التي تليها ، وتزايد الغلاء ، وقبعه وباء عظيم ، واشتد وعظم في سنة سبع وأربعين وأربعمائة . وحكي ان السلطان كفن من ماله ثمانين ألف نفس ، وانه فقد ثمانمائة قائد ، وحصل للسلطان من المواريث مال جزيل .

وحدثني أبو عبد الله محمد المالقي الناسخ : ان ابن رضوان تغير عقله في آخر عمره ، وكان السبب في ذلك انه في ذلك الغلاء ، كان قد أخذ يتيمة رباه ، وكبرت عنده فلما كان في بعض الأيام خلاها الموضع ، وكان قد ادخر اشياء نفيسة ، ومن الذهب نحو عشرين ألف دينار فأخذت الجميع وهربت . ولم يظفر منها على خبر ، ولا عرف أين توجهت فتغيرت احواله من حينئذ .

أقول : وكان ابن رضوان كثير الرد على من كان يعاصره من الاطباء وغيرهم ، وكذلك على كثير من تقدمه . وكانت عنده سفاهة في بحته ، وتشنيع على من يريد مناقشته . وأكثر ذلك يوجد عندما كان يرد على حنين بن اسحق ، وعلى أبي الفرج بن الطيب ، وكذلك ايضاً على أبي بكر محمد بن زكريا الرازي . ولم يكن لابن رضوان في صناعة الطب معلم ينسب اليه ، وله كتاب في ذلك يتضمن ان تحصيل الصناعة من الكتب أوفق من المعلمين . وقد رد عليه ابن بطلان هذا الرأي وغيره في كتاب مفرد ، وذكر فصلاً في العلل التي لاجلها صار المتعلم من افواه الرجال أفضل من المتعلم من الصحف اذا كان القول واحداً . وأورد عدة علل :

الأولى منها تجري هكذا : وصول المعاني من النسيب الى النسيب ، خلاف وصولها من غير النسيب الى النسيب . والنسيب الناطق أفهم للتعليم بالنطق وهو المعلم ، وغير النسيب له جماد وهو الكتاب ، وبُعد الجماد من الناطق مطيل لطريق الفهم ، وقرب الناطق من الناطق مقرب للفهم ، فالفهم من النسيب ، وهو المعلم اقرب وأسهل من غير النسيب ، وهو الكتاب .

والثانية ، هكذا : النفس العلامة علامة بالفعل ، وصورة الفعل عنها يقال له تعليم ، والتعليم والتعلم من المضاعف . وكلما هو للشيء بالطبع أخص به مما ليس له بالطبع . والنفس المتعلمة علامة بالقوة ، وقبول العلم فيها يقال له تعلم ، والمضاعفان معاً بالطبع . فالتعليم من المعلم أخص بالتعلم من الكتب .

والثالثة ، على هذه الصورة : المتعلم اذا استعجم عليه ما يفهمه المعلم من لفظ نقله الى لفظ آخر ، والكتاب لا ينقل من لفظ الى لفظ . فالفهم من المعلم أصلح للتعلم من الكتاب ، وكل ما هو بهذه الصفة فهو في اتصال العلم أصلح للتعلم .

والرابعة : العلم موضوعه اللفظ ، واللفظ على ثلاثة أضرب : قريب من العقل ، وهو الذي صاغه العقل مثلاً لما عده من المعاني ؛ ومتوسط ، ومتوسط ، وهو المتلفظ به بالصوت ، وهو مثال لما صاغه العقل ؛ وبعيد ، وهو المثبت في الكتب ، وهو مثال ما خرج باللفظ . فالكتاب مثال مثال مثال المعاني التي في العقل ، والمثال الاول لا يقوم مقام المثل لعوز المثل ، فما ظنك بمثال مثال مثال المثل . فالمثال الاول لما عند العقل اقرب في الفهم من مثال المثال ، والمثال الاول هو اللفظ ، والثاني هو الكتاب . واذا كان الامر على هذا فالفهم من لفظ المعلم اسهل وأقرب من لفظ الكتاب .

والخامسة : وصول اللفظ الدال على المعنى الى العقل يكون من جهة حاسة غريبة من اللفظ، وهي البصر، لان الحاسة النسبية للفظ هي السمع لانه تصويت، والشئ الواصل من النسيب، وهو اللفظ، اقرب من وصوله من الغريب ، وهو الكتابة . فالفهم من المعلم باللفظ أسهل من الكتاب بالخط . والسادسة هكذا : يوجد في الكتاب أشياء تصد عن العلم قد عذمت في تعليم المعلم، وهي التصحيف والعرض من اشتباه الحروف مع عدم اللفظ ، والغلط بزوغان البصر وقلة الخبرة بالاعراب ، او عدم وجوده مع الخبرة به ، أو فساد الموجود منه . واصطلاح الكتاب ما لا يقرأ وقراءة ما لا يكتب ، ونحو التعليم ونمط الكلام ومذهب صاحب الكتاب ، وسقم النسخ ورداءة النقل ، وادماج القاريء مواضع المقاطع ، وخلط مبادئ التعاليم ، وذكر ألفاظ مصطلح عليها في تلك الصناعة ، والفاظ يونانية لم يخرجها الناقل من اللغة كالثوروس وهذه كلها معوقة عن العلم . وقد استراح المتعلم عن تكلفها عند قراءته على المعلم. واذا كان الامر على هذا فالقراءة على العلماء أفضل وأجدي من قراءة الانسان لنفسه . وهو ما أردنا بيانه..

قال : وانا آتيك ببيان سابع أظنه مصدقاً عندك، وهو ما قاله المفسرون في الاعتياض عن السالبة البسيطة بالموجبة المدولة ، فانهم يجمعون على ان هذا الفصل لو لم يسمعه من ارسطوطاليس تلميذه : ثاؤفرسطس وأوديموس ، لما فهم قط من كتاب . وإذا كان الامر على هذا فالفهم من المعلم افضل من الفهم من الكتاب . وبحسب هذا يجب على كل محب للعلم ان لا يقطع بظن فرما خفي الصواب ، واذا خفي الصواب. علم الاشياء علماً ردياً، فنار عليه بحسب اعتقاده في الحق انه يحال شكوك يعسر حلها. وكانت وفاة علي بن رضوان ، رحمه الله، في سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة بمصر ، وذلك في خلافة المستنصر بالله ابي تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله الحاكم^(١)

ومن كلام علي بن رضوان قال : اذا كانت للانسان صناعة تراض بها اعضاؤه ، ويمدحه بها الناس، ويكسب بها كفايته في بعض يومه ، فأفضل ما ينبغي له في باقي يومه ان يصرفه في طاعة ربه . وافضل الطاعات النظر في الملكوت ، وتمجيد المالك لها سبحانه . ومن رزق ذلك فقد رزق خير الدنيا والآخرة ، وطوبى له وحسن مأب . ومن كلامه نقلته من خطه قال : الطبيب على رأي بقراط هو الذي اجتمعت فيه سبع خصال :

(١) الخليفة الفاطمي السابع (١٠٣٥ - ١٠٩٤)

الاولى : ان يكون تام الخلق ، صحيح الاعضاء ، حسن الذكاء ، جيد الروية ، عاقلاً ، ذكوراً ، خير الطبع .

الثانية : ان يكون حسن اللبس ، طيب الرائحة ، نظيف البدن والثوب .

الثالثة : ان يكون كئوباً لا سرار المرضي لا يبوح بشيء من أمراضهم .

الرابعة : ان تكون رغبته في ابراء المرضي اكثر من رغبته فيما يلتمسه من الاجرة ، ورغبته في علاج الفقراء أكثر من رغبته في علاج الاغنياء .

الخامسة : ان يكون حريصاً على التعلم والمبالغة في منافع الناس .

السادسة : ان يكون سليم القلب ، عفيف النظر ، صادق اللمحة ، لا يخطر بباليه شيء من أمور النساء والاموال التي شاهدها في منازل الاعلاء فضلاً عن ان يتعرض الى شيء منها .

السابعة : ان يكون مأموناً ثقة على الارواح والاموال ، لا يصف دواء قتالاً ولا يعلمه ، ولا دواء يسقط الاجنة ، يعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه .

وقال : المعلم لصناعة الطب هو الذي اجتمعت فيه الخصال بعد استكمالها صناعة الطب . والمتعلم هو الذي فراسته تدل على انه ذو طبع خير ، ونفس ذكية ، وان يكون حريصاً على التعليم ، ذكياً ، ذكوراً لما قد تعلمه .

وقال : البدن السليم من العيوب هو البدن الصحيح الذي كل واحد من اعضائه باق على فضيلته . اعني ان يكون يفعل فعله الخاص على ما ينبغي .

وقال : تعرف العيوب هو ان تنظر الى هيئة الاعضاء والسحنة والمزاج وملبس البشرة ، وتفقّد أفعال الاعضاء الباطنة والظاهرة ، مثل ان تنادي به من بعيد فتعتبر بذلك حال سمعه ، وان تعتبر بصره بنظر الاشياء البعيدة والقريبة ، ولسانه بجودة الكلام ، وقوته بشيل الثقل والمسك والضبط والمشى والمخاء ذلك ، مثل ان تنظر مشيه مقبلاً ومدبراً ؛ ويؤمر بالاستلقاء على ظهره بمدود اليدين قد نصب رجليه وصفهما ، وتعتبر بذلك حال احشائه ؛ وتتعرف حال مزاج قلبه بالنفض والاخلاق ، ومزاج كبده بالبول وحال الاخلاط ؛ وتعتبر عقله بان يسأل عن أشياء ، وفهمه وطاعته بان يؤمر بأشياء ، وأخلاقه الى ما تميل بان تعتبر كل واحد منها بما يحركه او يسكنه . وعلى هذا المثال أجز الحال في تفقد كل واحد من الاعضاء والاخلاق . أما فيما يمكن ظهوره للحس فلا تقنع فيه حتى تشاهده بالحس ، وأما فيما يتعرف بالاستدلال فاستدل عليه بالعلامات الخاصة . وأما فيما يتعرف بالمسألة فابحث عنه بالمسألة . حتى تعتبر كل واحد من العيوب فتعرف هل هو عيب حاضر أو كان أو متوقع ، أم الحال حال صحة وسلامة .

ومن كلامه قال : اذا دعيت الى مريض فاعطه ما لا يضره الى ان تعرف علته فتعالجها عند ذلك . ومعنى معرفة المرض هو ان تعرف من أي خلط حدث أولاً ، ثم تعرف بعد ذلك في أي عضو هو ، وعند ذلك تعالجه .

ولعلي بن رضوان من الكتب : شرح كتاب العرق لجالينوس ، وفرغ من شرحه له في يوم الخميس لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة . شرح كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس . شرح كتاب النبض الصغير لجالينوس . شرح كتاب جالينوس الى اغلوقن في التأني لشفاء الامراض . شرح المقالة الاولى في خمس مقالات . وشرح المقالة الثانية في مقالتين ، شرح كتاب الاسطقسات لجالينوس . شرح بعض كتاب المزاج لجالينوس ، ولم يشرح من الكتب الستة عشر لجالينوس سوى ما ذكرت . كتاب الاصول في الطب ، أربع مقالات . كناش ، رسالة في علاج الجذام . كتاب تتبع مسائل حنين ، مقالتان . كتاب النافع في كيفية تعليم صناعة الطب ، ثلاث مقالات . مقالة في ان جالينوس لم يغلط في أقاويله في اللبن على ما ظنه قوم . مقالة في دفع المضار عن الابدان بمصر . مقالة في سيرته . مقالة في الشعر وما يعمل منه ، ألفها لابي زكريا يهوذا بن سعادة الطبيب . جوابه لمسائل في لبن الاتن ، سأله اياها يهوذا بن سعادة . تعاليتي طيبة . تعاليتي نقلها في صيدلة الطب ، مقالة في مذهب ابقراط في تعليم الطب . كتاب في ان أفضل أحوال عبدالله بن الطبيب الحالي السوفسطائية ، وهو خمس مقالات . كتاب في أن الاشخاص كل واحد من الانواع المتناسلة أب أول ، منه تناسلت الاشخاص على مذهب الفلسفة . تفسير مقالة الحكيم فيثاغورس في الفضيلة . مقالة في الرد على افرائيم وابن زرعة في الاختلاف في الملل . انتراعات شروح جالينوس لكتب ابقراط . كتاب الانتصار لارسطوطاليس ، وهو كتاب التوسط بينه وبين خصومه المناقضين له في السماع الطبيعي ، تسع وثلاثين مقالة

تفسير ناموس الطب لأبقراط . تفسير وصية ابقراط المعروفة بترتيب الطب . كلام في الأدوية المسهلة . كتاب في عمل الاشربة والمعاجين ، تعليق من كتاب التيميمي في الاغذية والادوية . تعليق من كتاب فوسيدونيوس في اشربة لذيدة للاصحاء . فوائد علقها من كتاب فيلغريوس في الاشربة النافعة للذيدة في اوقات الامراض . مقالة في الباه مقالة في ان كل واحد من الاعضاء يفتدي من الخلط المشاكل له . مقالة في الطريق الى احصاء عدد الحميات . فصل من كلامه في القوى الطبيعية ، جواب مسائل في النبض وصل اليه السؤال عنها من الشام . رسالة في أجوبة مسائل سأل عنها الشيخ أبو الطيب أزهر بن النعمان في الاوزام . رسالة في علاج صبي اصابه المرض المسمى بداء الفيل وداء الاسد . نسخة الدستور الذي انفذه أبو العسكر الحسين بن معدان ملك مكران في حال علة الفالج في شقه الأيسر ، وجواب ابن رضوان له . فوائد علقها من كتاب حيلة البرء لجالينوس . فوائد علقها من كتاب تدبير الصحة لجالينوس . فوائد علقها من كتاب الادوية المفردة لجالينوس . فوائد علقها من كتاب الفصد لجالينوس . فوائد علقها من كتاب الادوية المفردة لجالينوس . فوائد علقها من كتاب الميامر لجالينوس . فوائد علقها من كتاب قاطاجانس لجالينوس . فوائد علقها في الاخلاط من كتب عدة لابقرراط وجالينوس .

كتاب في حل شكوك الرازي على كتب جالينوس ، سبع مقالات . مقالة في حفظ الصحة . مقالة في ادوار الحميات . مقالة في التنفس الشديد ، وهو ضيق النفس . رسالة كتب بها الى أبي زكريا يهوذا

ابن سعادة في النظام الذي استعمله جالينوس في تحليل الحد في كتابه المسمى الصناعة الصغيرة . مقالة في نقض مقالة ابن بطلان في الفرخ والفروج . مقالة في الفأر . مقالة فيما أورده ابن بطلان من التحيريات . مقالة في ان ما جهله يقين وحكمة ، وما علمه ابن بطلان غلط وسفسطة . مقالة في ان ابن بطلان لا يعلم كلام نفسه فضلاً عن كلام غيره . رسالة الى اطباء مصر والقاهرة في خبر ابن بطلان . قول له في جملة الرد عليه . كتاب في مسائل جرت بينه وبين ابن الهيثم في الهجرة والمكان . اخراجه لحواشي كامل الصناعة الطبية الموجود منه بعض الاولى . رسالة في أزمنا الامراض . مقالة في التطرق بالطب الى السعادة . مقالة في اسباب مدد حيات الاخلاط وقرائنها . جوابه عما شرح له من حال عليل به علة الفالج في شقه اليسر . مقالة في الاورام . كتاب في الادوية المفردة على حروف المعجم ، اثنتا عشرة مقالة الموجود منه الى بعض السادسة . مقالة في شرف الطب . رسالة في الكون والفساد . مقالة في سبيل السعادة وهي السيرة التي اختارها لنفسه . رسالة في بقاء النفس بعد الموت . مقالة في فضيلة الفلسفة . مقالة في بناء النفس على رأي افلاطون وارسطوطاليس . أجوبته لمسائل منطقية من كتاب القياس . مقالة في حل شكوك يحيى بن عدي المسماة بالمحرسات . مقالة في الحر . مقالة في بحث نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة والفلسفة . مقالة في ان في الوجود نقط وخطوط طبيعية . مقالة في حدث العالم . مقالة في التنبيه على حيل من ينتحل صناعة القضاء بالنجوم وتشرف أهلها . مقالة في خلط الضروري والوجودي . مقالة في اكتساب الحلال من المال . مقالة في الفرق بين الفاضل من الناس والسديد والعطب . مقالة في كل السياسة . رسالة في السعادة . مقالة في اعتذاره عما ناقض به المحدثين . مقالة في توحيد الفلاسفة وعبادتهم . كتاب في الرد على الرازي في العلم الالهي واثبات الرسل . كتاب المستعمل من المنطق في العلوم والصنائع ، ثلاث مقالات . رسالة صغرى في الهيولي ، صنفها لابي سليمان بن بابشاد . تذكراته المسماة بالكمال الكامل والسعادة القصوى غير كاملة . تعاليقه لفوائد كتب افلاطون المساجرة لهوية طبيعة الانسان . تعاليق فوائد مدخل فرفوروس . تهذيب كتاب الحابس في رياسة الثنا الموجود منه بعض لا كل . تعاليق في ان خط الاستواء بالطبع أظلم ليلاً ، وأن جوهره بالعرض أظلم ليلاً . كتاب فيما ينبغي ان يكون في حانوت الطبيب ، أربع مقالات . مقالة في هواء مصر . مقالة في مزاج السكر . مقالة في التنبيه على ما في كلام ابن بطلان من الهديان . رسالة في دفع مضار الحلوى بالحرور .

افرائيم بن الزفان

هو ابو كثير افرائيم بن الحسن بن اسحق بن ابراهيم بن يعقوب . اسرائيلي المذهب وهو من الاطباء المشهورين بديار مصر ، وخدم الخلفاء الذين كان في زمانهم وحصل من جهتهم من الاموال والنعم شيئاً كثيراً جداً . وكان قد قرأ صناعة الطب على أبي الحسن علي بن رضوان وهو من أجل تلامذته ، وكانت له همة عالية في تحصيل الكتب ، وفي استنساخها حتى كانت عنده خزائن كثيرة من الكتب

الطبية وغيرها . وكان أبداً عنده النسخ يكتبون ولهم ما يقوم بكفائتهم منه . ومن جملتهم محمد بن سعيد بن هشام الحجري، وهو المعروف بابن ملساقه ووجدت بخط هذا عدة كتب قد كتبها لأفرائيم، وعليها خط أفرائيم. وحدثني أبي أن رجلاً من العراق كان قد أتى إلى الديار المصرية ليشتري كتباً ويتوجه بها وأنه اجتمع مع أفرائيم، واتفق الحال فيما بينهما أن يباع أفرائيم من الكتب التي عنده عشرة آلاف مجلد، وكان ذلك في أيام ولاية الأفضل ابن أمير الجيوش، فلما سمع بذلك أراد أن تلك الكتب تبقى في المصرية، ولا تنتقل إلى موضع آخر فبعث إلى أفرائيم من عنده بمجمل المال الذي كان قد اتفق تثمينه بين أفرائيم والعراقي، ونقلت الكتب إلى خزانة الأفضل وكتب عليها ألقابه، ولهذا انني قد وجدت كتباً كثيرة من الكتب الطبية وغيرها عليها اسم أفرائيم، والقاب الأفضل أيضاً. وخلف أفرائيم من الكتب ما يزيد على عشرين ألف مجلد، ومن الأموال النعم شيئاً كثيراً جداً.

ولأفرائيم بن الزفان من الكتب: تعاليتي ومجريات جعلها على جهة الكناش، ووجدت هذا الكتاب بخطه، وقد استقصى فيه ذكر الأمراض ومداواتها، وقد ذكر في أوله ما هذا نصه قال: أقول وأنا أفرائيم انني جعلت هذا الكتاب تذكرة على طريق المجموع، لا على جهة التصنيف احتياطاً على من يعالج من السهو. كتاب التذكرة الطبية في مصلحة الأحوال البدنية، ألفها لنصير الدولة أبي علي الحسين بن أبي علي الحسن بن حمدان، لما أراد الانفصال عن مصر، والتوجه إلى ثغر الاسكندرية والبحيرة وتلك الأعمال. مقالة في التقرير القياسي على أن البلغم يكثر تولده في الصيف، والدم والمرار الاصفى في الشتاء.

سلامة بن رحمون

هو أبو الخير سلامة بن مبارك بن رحمون بن موسى، من أطباء مصر وفضلاتها، وكان يهودياً وله أعمال حسنة في صناعة الطب، وإطلاع على كتب جالينوس والبحث عن غوامضها. وكان قد قرأ صناعة الطب أفرائيم، واشتغل بها عليه مدة. وكان لابن رحمون أيضاً اشتغال جيد بالمنطق والعلوم الحكمية، وله تصانيف في ذلك، وكان شيخه الذي اشتغل عليه بهذا الفن الأمير أبو الوفاء محمود الدولة المبشر بن فاتك. ولما وصل أبو الصلت أمية بن عبد العزيز ابن أبي الصلت الاندلسي من المغرب إلى الديار المصرية اجتمع بسلامة بن رحمون وجرى بينهما مباحث ومشاعات. وقد ذكره ابن أبي الصلت في رسالته المصرية عندما ذكر من رآه من أطباء مصر قال، وأشبهه من رأيتهم منهم وأدخلهم في عدد الأطباء رجل من اليهود يدعى أبا الخير سلامة بن رحمون فإنه لقي أبا الوفاء المبشر بن فاتك، فأخذ عنه شيئاً من صناعة المنطق تخصص به وتميز عن أضرابه. وادرك أبا كثير بن الزفان تلميذ أبي الحسن بن رضوان فقرأ عليه بعض كتب جالينوس. ثم نصب نفسه لتدريس جميع كتب المنطق وجميع كتب الفلسفة الطبيعية والهيئة، وشرح بزمه وفسر ولخص ولم يكن هناك في تحصيله وتحقيقه واستقصائه عن لطيف العلم ودقيقه. بل كان يكثر كلامه فيفضل، ويسرع جوابه فيزل. ولقد سألته

أول لقائي له واجتماعي به عن مسائل استفتحت مباحثه بها بما يمكن ان يفهمها من لم يكن يمتد في العلم بآه ، ولم يكثر تبهره واتساعه ، فأجاب عنها بما أبان عن تقصيره ونطق بعجزه ، وأعرب عن سره تصوره وفهمه ، وكان مثله في عظم دواعيه وقصوره عن أيسر ما هو متعاطيه كقول الشاعر:

يشمر للبحر عن ساقه ويغمره الموج في الساحل
(المتقارب)

تمنيت مائتي فارس فردكم فارس واحد
(المتقارب)

قال أبو الصلت : وكان طيب من أهل انطاكية يسمى يجرس ، ويلقب بالفيلسوف على نحو ما قيل في الغرب أبو البيضاء ، وفي اللدغ سليم قد تفرغ للتولع بآبن رحون والازراء عليه ، وكان يزور فصولاً طبية وفلسفية ، يقررها في معارض ألفاظ القوم ، وهي محال لا معنى لها وفارغة لا فائدة فيها ، ثم انه ينفذها الى من يسأله عن معانيها ، ويستوضحه أغراضها . فيتكلم عليها ويشرحها بزعمه دون تيقظ ولا تحفظ ، بل باسترسال واستعجال وقلة اكتراث واهتبال ، فيوجد فيها عنه ما يضحك منه . وانشدت لجرس هذا فيه وهو أحسن ما سمعته في هجو طيب مشؤوم . وانا متهم له فيه :

ان ابا الخير على جهله يخف في كفته الفاضل
عليه المسكين من شؤمه في بحر هلك ماله ساحل
ثلاثة تدخل في دفعة طلعت والنمش والغاسل
(السريع)

ولبعضهم :

لاي الخير في العلا ج يد ما تقصر
كل من يستطبه بعد يومين يقبر
والذي غاب عنكم وشهداه اكثر
(الخفيف)

وله :

جنون أبي الخير الجنون بعينه وكل جنون عنده غاية العقل
خذوه فقلوه ، فشدو وثاقه فما عاقل من يستهين بمختل
وقد كان يؤذي الناس بالقول وحده فقد صار يؤذي الناس بالقول والفعل
(الطويل)

ولسلامة بن رحون من الكتب : كتاب نظام الموجودات ، مقالة في السبب الموجب لقلة المطر بمصر . مقالة في العلم الالهي . مقالة في خصب أبدان النساء بمصر عند قناهي الشباب .

مبارك بن سلامة بن رحون

هو مبارك بن أبي الخير سلامة بن مبارك بن رحون، مولده ومنشؤه بمصر، وكان أيضاً طبيباً فاضلاً؛
ولمبارك بن سلامة بن رحون من الكتب : مقالة في الجمة المسماة بالشفقة والخزفة مختصرة .

ابن العين زربي

هو الشيخ موفق الدين أبو نصر عدنان بن نصر بن منصور من أهل عين زربة ، وأقام ببغداد مدة،
واشتغل بصناعة الطب بالعلوم الحكمية ومهر فيها ، وخصوصاً في علم النجوم . ثم بعد ذلك انتقل من
بغداد الى الديار المصرية الى حين وفاته وخدم الخلفاء المصريين ، حظي في أيامهم ، وتميز في دولتهم
وكان من أجل المشايخ ، وأكثرهم علماً في صناعة الطب . وكانت له فراسة حسنة وانذارات صائبة
في معالجاته . وصنف بديار مصر كتباً كثيرة في صناعة الطب ، وفي المنطق وفي غير ذلك من العلوم.
وكانت له تلاميذ عدة يشتغلون عليه ، وكل منهم تميز وبرع في الصناعة . وكان ابن العين زربي في أول
أمره انما يتكسب بالتنجيم .

وحدثني أبي قال : حكى لي سبط الشيخ أبي نصر عدنان بن العين زربي : ان سبب اشتهار جده
في الديار المصرية ، واتصاله بالخلفاء انه ورد من بغداد رسول الى ديار مصر ، وكان يعرف ابن العين
زربي ببغداد وما هو عليه من الفضل والتحصيل والاتقان لكثير من العلوم ، فلما كان ماراً في بعض
الطرق بالقاهرة ، واذا به قد وجد ابن العين زربي جالساً وهو يتكسب بالتنجيم فعرفه وسلم عليه ،
وبقي متعجباً من كثرة تحصيله للعلوم ، وكونه متميزاً في علم صناعة الطب ، وهو على تلك الحال ،
وبقي في خاطره ذلك . فلما اجتمع بالوزير وتحدثا أجرى ذكر ابن العين زربي ، وما هو عليه من العلم
والفضل والتقدم في صناعة الطب وغيرها ، وكونهم لم يعرفوا قدره ولا انتهى اليهم أمره ، وان
الواجب في مثل هذا لا يهمل ، فاشتاق الوزير الى رؤيته ، والاجتماع بمشاهدته ، فاستحضر ، وسمع
كلامه فاعجب به ، واستحسن مما سمعه منه ، وتحقق فضله ومنزلته في العلم ، وأنهى أمره الى الخليفة
فاطلق له ما يليق بمثله ، ولم تزل أنعامهم تصل اليه ومواهبهم تتوالى عليه .

أقول : وكان ابن العين زربي خبيراً بالعربية ، جيد الدراية لها ، حسن الخط ، وقد رأيت كتباً
عدة في الطب وفي غيره بخطه ، هي في نهاية الحسن والجودة ولزوم الطريقة المنسوبة . وكان أيضاً
يشعر وله شعر جيد . وتوفي رحمه الله في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة بالقاهرة ، وذلك في دولة الظاهر
بأمر الله (١) .

ولابن العين زربي من الكتب : كتاب الكافي في الطب ، وصنفه في سنة عشر وخمسمائة بمصر وكل
في السادس والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وأربعين وخمسمائة . شرح كتاب الصناعة الصغيرة

(١) هو ابو منصور اسماعيل الظاهر بأمر الله (١١٤٩ - ١١٥٤) الخليفة الفاطمي الحادي عشر . (ن.ر)

الجالينوس . الرسالة المقتنعة في المنطق ألفها من كلام أبي نصر الفارابي والرئيس ابن سينا . مجربات في الطب على جهة الكناش جمعها ورتبها ظافر بن تميم بمصر بعد وفاة ابن العين زربي . رسالة في السياسة . رسالة في تعذر وجود الطبيب الفاضل ونفاق الجاهل . مقالة في الحصى وعلاجه .

بلمظفر ابن معرف

هو بلمظفر نصر بن محمود بن المعرف . كان ذكياً فطناً ، كثير الاجتهاد والعناية والحرص في العلوم الحكيمة ، وله نظر ايضاً في صناعة الطب والأدب ويشعر . وكان قد اشتغل على ابن العين زربي ولازمه مدة وقرأ عليه كثيراً من العلوم الحكيمة وغيرها . ورأيت خطه في آخر تفسير الاسكندر لكتاب الكون والفساد لارسطوطاليس ، وهو يقول انه قرأه عليه ، واتقن قراءته ، وتاريخ كتابته لذلك في شعبان سنة أربع وثلاثين وخمسمائة . وكان بلمظفر حسن الخط ، جيد العبارة . وكان مغرماً بصناعة الكيمياء ، والنظر فيها ، والاجتماع باهلها . وكتب بخطه من الكتب التي صنفت فيها شيئاً كثيراً جداً . وكذلك ايضاً كتب كثيراً من الكتب الطبية والحكيمة ، وكانت له همة عالية في تحصيل الكتب وقراءتها .

وحدثني الشيخ سديد الدين المنطقي عنه انه كان في داره مجلس كبير مشحون بالكتب على رفوف فيه ، وان بلمظفر لم يزل في معظم اوقاته في ذلك المجلس مشغلاً في الكتب وفي القراءة والنسخ .

أقول : ومن أعجب شيء منه انه كان قد ملك الوفاً كثيرة من الكتب في كل فن ، وان جميع كتبه لا يوجد شيء منها إلا وقد كتب على ظهره ملحاً ونوادر مما يتعلق بالعلم الذي قد صنف ذلك الكتاب فيه . وقد رأيت كتباً كثيرة من كتب الطب وغيرها من الكتب الحكيمة كانت لابي المظفر وعليها اسمه ، وما منها شيء إلا وعليه تعاليتي مستحسنة ، وفوائد متفرقة مما يجانس ذلك الكتاب .

ومن شعر بلمظفر بن معرف :

وقالوا الطبيعة مبدا الكيان	فيا ليت شعري ما هي الطبيعة ؟
أقادرة طبعت نفسها	على ذاك أم ليس بالمستطيعه ؟

(المتقارب)

وقال أيضاً :

وقالوا الطبيعة معلومنا	ونحن نبين ما حدها
ولم يعرفوا الآن ما قبلها	فكيف يرومون ما بعدها

(المتقارب)

ولبلمظفر بن معرف من الكتب : تعاليتي في الكيمياء . كتاب في علم النجوم . مختارات في الطب .

الشيخ السديد رئيس الطب

هو القاضي الأجل السديد أبو المنصور عبد الله بن الشيخ السديد أبي الحسن علي، وكان لقب القاضي أبي المنصور شرف الدين ، وانما غلب عليه لقب أبيه وعرف به وصار له علماً بأن يقال الشيخ السديد ، وكان عالماً بصناعة الطب خبيراً بأصولها وفروعها ، جيد المعالجة ، كثير الدربة ، حسن الاعمال باليد . وخدم الخلفاء المصريين وحظي في أيامهم ، ونال من جہتهم من الاموال الوافرة ، والنعم الجسيمة ، ما لم ينله غيره من سائر الاطباء الذين كانوا في زمانه ، ولا قريباً منه ، وكانت له عندهم المنزلة العليا والجاه الذي لا مزيد عليه . وعمر عمراً طويلاً . وكان من بيتوتة صناعة الطب . وكان أبوه ايضاً طبيباً للخلفاء المصريين مشهوراً في أيامهم .

حدثني القاضي نفيس الدين بن الزبير ، وكان قد لحق الشيخ السديد وقرأ عليه صناعة الطب ، قال : قال لي الشيخ السديد رئيس الطب : إن اول من مثلت بين يديه من الخلفاء وانعم علي الأمر بإحكام الله ^(١) ، وذلك ان ابي كان طبيباً في خدمته ، وكان مكيناً عنده ، رفيع المنزلة في أيامه . قال : وكنت صبياً في ذلك الوقت فكان ابي يهب لي في كل يوم دراهم ، واجلس عند باب الدار التي لنا ، واقصد جماعة في كل نهار ، حتى تمرنت وصارت لي دربة جيدة في الفصد ، وكنت قد شدوت شيئاً من صناعة الطب ، فذكرني ابي عند الأمر واخبره بما انا عليه وانني اعرف صناعة الفصد ، ولي دربة جيدة بها . فاستدعاني ، فتوجهت اليه وانا بجمالة جميلة من الملبوس الفاخر والمركوب الفاره المتحلي بمثل الطوق الذهب وغيره . وانني لما دخلت اليه القصر مشيت مع ابي حتى صرنا بين يديه فقبلت الارض وخدمته . فقال لي : اقصد هذا الاستاذ وكان واقفاً بين يديه . فقلت : السمع والطاعة . ثم جيء بطشت فضة وشدت عضده ، وكانت له عروق بيضاء الظهور ففصدته وربطت موضع الفصادة . فقال لي : احسنت وامر لي بانعام كثيرة وخلع فاخرة وصرت من ذلك الوقت متردداً الى القصر ، وملازماً للخدمة . واطلق لي من الجاري ما يقوم بكفايتي على افضل الاحوال التي اوصلها ، وتواترت علي من الهبات والاطلاقات الشيء الكثير .

وحدثني اسعد الدين عبدالعزيز بن أبي الحسن : ان الشيخ السديد حصل له في يوم واحد من الخلفاء في بعض معالجاته لاحدهم ثلاثون الف دينار . وقال لي القاضي نفيس الدين بن الزبير عنه انه لما طهر ولدني الحافظ لدين الله ^(٢) ، حصل له في ذلك الوقت من المال نحو خمسين الف دينار واكثر من ذلك ، سوى ما كان في المجلس من اواني الذهب والفضة فانها وهبت جميعها له وكانت له همة عالية وانعام عام .

حدثني الشيخ رضي الدين الرحي قال : لما وصل المهذب بن النقاش الى الشام من بغداد ، وكان

(١) ابو علي الأمر بإحكام الله (١١٠١ - ١١٣٠) وهو تاسع الخلفاء الفاطميين .

(٢) ابو الميمون (١١٣٠ - ١١٤٩) وهو عاشر الخلفاء الفاطميين .

فاضلاً في صناعة الطب ، أقام بدمشق مدة ، ولم يحصل له بها ما يقوم بكفافته ، وسمع بالديار المصرية وانعام الخلفاء فيها وكرمهم واحسانهم الى من يقصدهم ولا سيما من ارباب العلم والفضل وناقت نفسه الى السفر ، وتوجهت امانيه الى الديار المصرية . فلما وصلها أقام بها اياماً ، وكان قد سمع بالشيخ السديد طبيب الخلفاء ، وما هو عليه من الافضال وسعة الحال ، والاخلاق الجميلة والمروءة العزيزة . فمضى الى داره وسلم عليه ، وعرفه بصناعته ، وانه انما اتى قاصداً اليه ، ومفوضاً كل اموره لديه ومعتزفاً من بحر علمه ، ومعتزفاً بان مهما يصله من جهة الخلفاء فانها هو من بره ، ويكون معتداً له بذلك في سائر عمره . فتلقاه الشيخ السديد بما يليق بمثله واكرمه غاية الاكرام . ثم بعد ذلك قال له : وكم تؤثر ان يطلق لك من الجامكية إذا كنت مقيماً بالقاهرة ؟ فقال : يا مولانا يكفيني منها تراه وما تأمر به . فقال له : قل بالجملة . فقال : والله ان اطلق لي في كل شهر من الجاري عشرة دنانير مصرية فاني اراها خيراً كثيراً . فقال له : لا ، هذا القدر ما يقوم بكفائتك على ما ينبغي ! وانا اقول لو كيلى ان يوصلك في كل شهر خمسة عشر ديناراً مصرية وقاعة قريبة مني تسكنها ، وهي يجمع فرشها وطرحها ، وجارية حسناء تكون لك . ثم أخرج له بعد ذلك خلعة فاخرة البسه اياها وأمر الغلام ان يأتي له ببغلة من اجود دوابه فقدمها له ، ثم قال له : هذا الجاري يصلك في كل شهر وجميع ما تحتاج اليه من الكتب وغيرها فهو يأتيك على ما تختاره ، واريد منك اننا لا نخلو من الاجتماع والانس وانك لا تتناول الى شيء آخر من جهة الخلفاء ، ولا تتردد الى احد من ارباب الدولة . فقبل ذلك منه ، ولم يزل ابن النقاش مقيماً في القاهرة على هذه الحال ، الى ان رجع الى الشام ، وأقام بدمشق الى حين وفاته .

اقول : وكان الشيخ السديد قد قرأ صناعة الطب واشتغل على ابي نصر عدنان بن العين زربي . ولم يزل الشيخ السديد مبجلاً عند الخلفاء ، واحواله تنمى ، وحرمة عندهم تتزايد من حين الامر بأحكام الله الى آخر ايام العاضد^(١) بالله ، وذلك أنه كان وهو صبي مع ابيه في خدمة الامر بأحكام الله ، وهو أبو المنصور بن أبي القاسم أحمد المستعلي بالله بن المستنصر ، الى ان استشهد الامر في يوم الثلاثاء رابع ذي القعدة من سنة أربع وعشرين وخمسمائة بالجزيرة . وكانت مدة خلافته ثمانية وعشرين سنة وتسعة اشهر وايام . ثم بقي في خدمة الحافظ لدين الله ، وهو أبو الميمون عبد المجيد بن الامير أبي القاسم محمد بن الامام المستنصر بالله وبويع للحافظ يوم استشهد الامر ، ولم يزل في خدمة الحافظ الى ان انتقل في اليوم الخامس من جمادى الآخرة من سنة أربع وأربعين وخمسمائة . ثم خدم بعده للظافر بأمر الله وهو أبو منصور اسمعيل بن الحافظ لدين الله وبويع له في ليلة صباحها الخامس من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة عند انتقال والده ، ولم يزل في خدمته الى ان استشهد الظافر بأمر الله وذلك في التاسع والعشرين من المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة .

ثم بعد ذلك خدم الفائز بنصر الله ، وهو أبو القاسم عيسى بن الظافر بأمر الله ، وبويع له في الثلاثين من المحرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة ، ولم يزل في خدمته الى ان انتقل الفائز بنصر الله في

(١) آخر الخلفاء القاطمين .

سنة (*) وخمسائة ، ثم خدم بعده العاضد لدين الله وهو ابو محمد عبدالله بن المولى بن أبي الحجاج يوسف بن الامام الحافظ لدين الله ، ولم يزل في خدمة العاضد لدين الله الى ان انتقل في التاسع من المحرم سنة سبع وستين وخمسائة ، وهو آخر الخلفاء المصريين ، وخدمهم وقال في أيامهم من العطايا السنية والمثلن الواقعة خمس خلفاء: الأمر والحافظ والظافر والفائز والعاضد . ثم لما استبد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب^(١) بالملك في القاهرة ، واستولى على الدولة كان يفقد الشيخ السديد بالانعام الكثير ، والهبات المتواترة ، والجامكية السنية مدة مقامه بالقاهرة الى ان توجه الى الشام . وكان يستطبه ويعمل على وصفاته وما يشير به اكثر من بقية الاطباء ولم يزل الشيخ السديد رئيساً على سائر المتطبيين الى حين وفاته . وكان يسكن في القاهرة عند باب زويلة في دار قد اعتني بها وبولغ في تحسينها ، وجرت عليه في اواخر عمره محنة . وذلك ان داره قد احترقت وذهب له فيها من الاثاث والآلات والامتنعة شيء كثير جداً ، ولما تهدم بعضها من النار وقعت براني كبار وخوابي مملئة من الذهب المصري ، وتكسرت وتناثر فيها بعد الحريق. والهدم منها الذهب الى كل ناحية ، وشاهد الناس وبعضه قد انسبك من النار وكان مقدار ذلك الوفاً كثيرة جداً .

وحدثني القاضي نفيس الدين بن الزبير : ان الشيخ السديد كان قد رأى في منامه قبل ذلك بقليل ان داره التي هو ساكنها قد احترقت فاشتغل سره بذلك وعزم على الانتقال منها. ثم انه شرع في بناء دار قريبة منها ، وحث الصناع في بنائها ، وعند كمالها حيث لم يبق منها الا مجلس واحد وينتقل اليها احترقت داره التي كان ساكنها ، وذلك في السادس والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين وخمسائة ، والدار التي عمرها قريباً منها هي التي صارت بعده للصاحب صفي الدين بن شكر^(٢) وزير الملك العادل ابي بكر بن ايوب^(٣) ، وهي التي تعرف به الآن .

ونقلت من خط فخر الكتاب حسن بن علي ابن ابراهيم الجويني الكاتب في الشيخ السديد عند حريق داره وذهاب منفوساته يعزيه ، وكان صديقاً له وبينها أنس ومودة .

أيا من حق نعمته قديم على المرؤوس منا والرئيس
فكم عاف^(٤) أعدت له العوافي وكم عنا نضوت^(٥) لباس بوس
ويا من نفسه أعلى محلا من المنفوس يعدم والنفيس

(*) بياض بالاصل . واعتقد انها سنة اربع وخسين .

(١) هو صلاح الدين الايوبي (١١٣٨-١١٩١) ولد في تكريت وتوفي في دمشق . وهو مؤسس الدولة الايوبية- ٢ . هزم الافرنج في موقعة حطين وفتح بيت المقدس .

(٢) صفي الدين ابو محمد عبدالله بن شكر (١١٥٣-١٢٢٥) وزير الملك العادل . الشأ مدرسة مقابل داره . وكان داهية بالسياسة ، مكرماً لاهل العلم والصلاح .

(٣) احد سلاطين بني ايوب في مصر . ولد في المنصورة ومات سجيناً في القاهرة (١٢٤٨) وهو من اعظم الامراء الايوبيين .

(٤) هالك .

(٥) تزعت .

جرعت مرارة أحلى مذاقاً
فعاين ما عراك بنور تقوى
مصائبك بالذي اضحى ثواباً
عطاء الله يوم العرض يسمو
هموم الخلق في الدنيا شراب
تروم الروح في الدنيا بعقل
وكل حوادث الدنيا يسير

لمثلك من كيت (١) خندريس (٢)
خلائفك التي هي كالشموس
يريدك البشر في اليوم العبوس
مماثلة عن العرض الحسيس
يدور عليهم مثل الكؤوس
تري الارواح منها في حبوس
اذا بقيت حشاشات النفوس

(الوافر)

ونقلت أيضاً من خطه بما نظمه في مآثر القاضي السديد مجيزاً البيتين عملاً فيه وما .

ولكل عافية عفت وقت فإن
فاسلم ليسلم من تعلله فقد
عدت المريض فانت من أوقاتها
صحّت بك الدنيا على علاها

(الكامل)

فعمل هذه الابيات :

بك عرفت نفسي لذيذ حياتها
وردت حياض الموت فاستنقذتها
وأعدت فائتها بقدره قادر
فلذاك شكرك بعد شكر إلهها
لله نفسك ما أتم ضياءها
تقوى تقرّ الروح في أوطانها
كم مثل مهجتي اختلست من الردى
وغرمتها برأ وبرءاً بعدما
ونزعت عنها النزع وهو مدافع
ولكم بأذن الله عدت مودعاً
يا من غدت ألفاظه لتلاوة القرآن تهدي البرء من نفثاتها
يا أيها القاضي السديد ومن غدا
يا من بعين العلم منه قريحة
لله فكرك مدركاً ما اكتن في الاعضاء عنه من جميع جهاتها
يحمي طريق الروح من دعاره
سبحان منشرها عقيب مماتها
بمشيئة الله بعد وفاتها
يسترجع الاشياء بعد فواتها
في سائر الاوقات من أوقاتها
ألعلها تعام ام بركانها
ونهى تجير النفس من آفاتها
فرددت عنها وهي في سكراتها
قذفت بها الامراض في غراتها
لنسيم زوح الروح عن لهواتها
نفساً فعدت بها الى عاداتها
للملة البيضاء من حسناتها
تتصور الاشياء في مرآتها
فكأنه وال على طرقاتها

(١) من اسماء الحرة ما فيها من سواد وحرة .

(٢) الحر القديح المتقة . (ن . ر)

لله في هذا الانام لطائف
 ولكل عافية عفت وقت فان
 فاسلم ليسلم من تعاله فقد
 ونقلت ايضاً من خطه بما نظم فيه وقد عاجله من بعض الامراض العظيمة الخطر فكتب اليه :
 اوصل شكراً لست عنه بلاهي
 اعاد باذن الله روعي ولم اكد
 هو السيد القاضي السديد الذي به
 فلولا التناهي في البرايا لقلت ما
 تنير له المشكلات بصيرة
 زمام العوافي والسقام بكفه
 لك الله يا عبد الاله فكم زهت
 تجل عن الماء الزلال وجل ان
 خفيت عليهم انت من آياتها
 عدت المريض فانت من اوقاتها
 صحت بك الدنيا على علاها
 من بعض الامراض العظيمة الخطر فكتب اليه :
 سفيراً غدا بيني وبين الهي
 أعود الى هذا الوجود ولاهي
 أفاخر أرباب الملا وأباهي
 لآماده في المكرمات تناهي
 تربه خفايا الغائبات كما هي
 له أمر في الفرقين وناهي
 ببهجتك الدنيا ولست بزاهي
 يقاس هواء منعش بمياه
 (الطويل)

وتوفي الشيخ السديد رحمه الله بالقاهرة في سنة اثنتين وتسعين وخمسة .

ابن جميع

هو الشيخ الموفق شمس الرياسة أبو العشائر هبة الله بن زين بن حسن بن افرائيم بن يعقوب بن
 اسمعيل بن جميع الامرائيلي ، من الاطباء المشهورين ، والعلماء المذكورين ، والاكابر المتعنين . وكان
 متفناً في العلوم ، جيد المعرفة بها ، كثير الاجتهاد في صناعة الطب ، حسن المعالجة ، جيد التصنيف .
 وقرأ صناعة الطب على الشيخ الموفق أبي نصر عدنان بن العين زربي ولزمه مدة . وكان مولد
 ابن جميع ومنشؤه بفسطاط مصر . وخدم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وحظي في ايامه
 وكان رفيع المنزلة عنده ، عالي القدر ، نافذ الامر ، يعتمد عليه في صناعة الطب ، وركب له الترياق
 الكبير الفاروق . وكان لابن جميع مجلس عام للذين يشتغلون عليه بصناعة الطب ، وذكر انه كان
 كثير التحصيل في صناعة الطب ، متصرفاً في علمها ، فاضلاً في اعمالها

اقول : وما يؤيد ذلك ما نجده في مصنفاته ، فانها جيدة التأليف ، كثيرة الفوائد ، منتخبة
 العلاج . وكان له نظر في العربية ، وتحقيق الالفاظ اللغوية . وكان لا يقرأ إلا وكتاب الصحاح ^(١)
 للجوهري ^(٢) حاضر بين يديه ، ولا تمر كلمة لغة لم يعرفها حق المعرفة الا ويكشفها منه ، ويعتمد

(١) احد الكتب اللغوية مرتب على حروف الهجاء جمع فيه ٤٠ ألف كلمة .

(٢) هو أبو نصر اسمعيل بن حماد الجوهري الفارابي الامام في اللغة والادب ، واعتزته وسوسه فانتقل الى الجامع القديم
 بليساوور وصعد سطحه وقال : ايها الناس اني قد عملت في الدنيا شيئاً لم اسبق اليه فاسأعمل في الآخرة امراً لم اسبق اليه . وضم
 الى جنبيه مصراعي باب رشدهما بجبل وصعد مكاناً عالياً وزعم انه يطير فوق فمات .

على ما اورده الجوهري في ذلك . زكنت يوماً عند الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح ^(١) في داره بدمشق ، وكان ذلك في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب ^(٢) صاحب البلاد المصرية والشامية . والصاحب جمال الدين يومئذ وزيره في سائر البلاد ، وهو صاحب السيف والقلم ، وفي خدمته مائتا فارس ، وتجارتنا الحديث وتفضل وقال لي : ما سبقك الى تأليف كتابك في طبقات الاطباء أحد . ثم قال لي : وذكرت اصحابنا الاطباء المصريين ؟ فقلت له : نعم . فقال : وكأني بك قد اشرت الى ان ما في الاطباء المتقدمين منهم مثل ابن رضوان ، وفي المتأخرين مثل ابن جميع ، فقلت له : صحيح يا مولانا

وحدثني بعض المصريين ان ابن جميع كان يوماً جالساً في دكانه عند سوق القناديل بفسطاط مصر وقد مرت عليه جنازة فلما نظر اليها صاح بأهل الميت ، وذكر لهم ان صاحبهم لم يميت ، وانهم ان دفنوه فانما يدفنوه حياً . قال : فبقوا ناظرين اليه كالمتعجبين من قوله ، ولم يصدقوه فيما قال . ثم ان بعضهم قال لبعض : هذا الذي يقوله ما يضرنا اننا نمتحنه ، فان كان حقاً فهو الذي نريده ، وان لم يكن حقاً فما يتغير علينا شيء ؟ فاستدعوه اليهم وقالوا : بين الذي قد قلت لنا ، فأمرهم بالمسير إلى البيت ، وان ينزعوا عن الميت اكفانه ، وقال لهم : احموه الى الحمام ، ثم سكب عليه الماء الحار ، واحمى بدنه ونظله بنطولات ، وغطسه ، فرأوا فيه أدنى حس ، وتحرك حركة خفيفة . فقال : ابشروا بعافيته ! ثم تم علاجه الى ان أفاق وصلاح ، فكان ذلك مبدأ اشتهاره بحودة الصناعة والعلم ، وظهرت عنه كالمعجزة . ثم أنه سئل بعد ذلك من اين علمت ان ذلك الميت ، وهو محمول وعليه الاكفان ان فيه روحاً ؟ فقال : اني نظرت الى قدميه فوجدتهما قائمتين ، واقدام الذين قد ماتوا منبسطة ، فحدثت انه حي ، وكان حدسي صائباً اقول : وكان بمصر ابن المنجم المصري ، وكان شاعراً مشهوراً خبيث اللسان ، وله أهاجي كثيرة في ابن جميع ومن ذلك بما أنشدت له فيه .

لابن جميع في طبه حق	يسب طب المسيح من سببه
وليس يدري ما في الزجاجة من	بول مريض ولو تخض به
وأعجب الامر أخذه أبداً	أجرة قتل المريض من عصبه

(المنسرح)

وله ايضاً فيه :

دعوا ابن جميع وبهتانه	ودعوا في الطب والهندسة
فما هو الا رقيع ^(٣) أتى	وان حل في بلد أنحسه

(١) ابو الحسن يحيى بن مطروح ناظر الخزانة في مصر ووزير السلطان نجم الدين أيوب الملك الصالح في دمشق (١١٩٧ - ١٢٥٢) .

(٢) احد الملوك الايوبيين (١٢٠٧ - ١٢٤٩) بسط سلطانه على العراق واحتل دمشق واسترد فلسطين من ايدي الصليبيين . واقطع الممالك اقطاعات فحصر فعالقوه ونصره . (ن ر)

(٣) أحق .

ولكن كما تشرب الزجسه
(المتقارب)

وقد جعل الشرب من شأنه

وله ايضاً فيه :

وقلت أبوك جميع اليهودي
ولكن أباك جميع اليهود

كذبت وصحفت^(١) فيما ادعيت
وليس جميع اليهودي أباك

ونقلت من خط يوسف بن هبة الله بن مسلم قصيدة لنفسه، وهو يرثي بها الشيخ الموفق بن جميع وهي

وان تغذت منك الدموع فبالدم
فقدنا به فضل العلا والتكرم
وأفضلهم في مشكل القول مبهم
وأعلمهم بالغيب علم تفهم
ووجهاً كمثل الصبح عند التسم
وأنجد من أملت له لتألم
بنفس متى تقدم على الموت تقرر^(٢)
بهزة هندي وعزة لهضم^(٣)
فلا دافع للأمر المتحكم
وقد كان من اعيانه في التقدم
فسلم ما اعياء للتسلم
وعاد بعاد ثم جر يجرهم^(٤)
ذو الجهل ان الجهل منكم بما تم
فهل زعزعت ضعفاً نبات يلهم^(٥)
بارض فكان الليث فيها بمجثم
فكل أخير تابع المتقدم
ولا غاية البليان غير التهدم
حيارى بلا هاد حليف التيم
وقد كان أرمى للخطوب بأسهم

أعيني بما تحوي من الدمع فاسجمي^(٦)
فحق بان تذرفي على فقد سيد
وأفضل أهل مصر علماً وسؤدداً
وأهدام بالرأي والامر مبهم
وأرحبهم صدرأ وكفأ ومنزلاً
وأنجد من يمتنه لملة
ولو كان يفدى من حمام فديته
وبطش أسود كالاساود ترتمي
ولكن قضاء الله في الخلق نافذ
وما رد بقراطا عن الموت طبه
ولا حاد جالينوس عن حتف يومه
لا كسر كسرى ثم تابع قبعا^(٧)
فقل معلناً للشامتين بيومه
تمر سفهات الرياح عواصفاً
وما سرح السرح الضعيف حراكه
ألم يك ذا ورد النفوس بأسرها
فلا فرح الا ويعقبه الأسى
فقبعا لدهر ردنا بعد فقده
أما عجب اذ غاله الحنف رامياً

(١) صحف الكلمة : اخطأ في قراءتها او حرفها عن موضعها .

(٢) اسيلي وسحي كثيراً

(٣) أشد شهوتاً للقائه .

(٤) الحاد القاطع مع السيوف والأسنة .

(٥) لقب ملوك اليمن الاقدمين رقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم .

(٦) قبيلة عربية من العرب العاربة جاءت من اليمن ونزلت مكة وهلكت كما هلكت ثمود وعاد .

(٧) ميقات أهل اليمن ، وهو جبل على موحلتين من مكة . (ن.ر)

واهدى الى الداء الخفي بعلمه
وارفع بيتا في القليل مكارما
فيا أها المولى الموفق أينما
وما غال ذاك النطق أفصح مقول
وما أخذ الحس الذكي توقدا
لعمرك ما قلب الشجي كغيره
ولا كل من أجرى المدامع ثاكل
فلا تعدلوني ان بكيت تأسفا
ووالله ما وفيت واجب حقه
واني لافني مدة العمر والهـ
فويح المنايا ما درت كنه حادث
ثوى بين أحجار الثرى ولقد غدى
وطلق الحيا رائق البشر باسمـ
وقد كنت أهديه الثناء مبعجلا
فيا قبره الوضاح لم يدر ما حوى
سقاك من الوسمي^(١) كل سحابة
ولا زال منك الشر بأرج عرفه

اذا جال بين اللحم والعظم والدم
كما لاح بدر التم ما بين النجم
رأيناه من در الكلام المنظم
ينير دجوى ليل من الشك مظلم
وقد كان يهدي كل سار ميمم
ولا محرق الاحشاء كالتجشم
وأين جيل في الاسى من متمم
فقدر عظيم الحزن قدر المعظم
ولو ان جسمي كل عين بمزوم
تصرم أيامي ولم يتصرم
رمت سيداً يحيا به كل منعم
يضوع به النادي ذكي التنسم
وليس بفظ الخلق كالتجهم
فها أنا أهديه الرثا جهد معدم
ترابك من جود ومجد نخم
تحيل عليك العين ذات توسم
فيهديه أنفاس الصبا بمسلم

(الطويل)

ولابن جميع من الكتب : كتاب الارشاد لمصالح الانفس والاجساد أربع مقالات . كتاب التصريح
بالمكتون في تنقيح القانون . رسالة في طبع الاسكندرية وحال هوائها ومياهها ونحو ذلك من أحوالها
وأحوال أهلها . رسالة الى القاضي المكين أبي القاسم علي بن الحسين فيما يعتمده حيث لا يجد طبيبا .
مقالة في الليمون وشرابه ومنافعه . مقالة في الراوند ومنافعه . مقالة في الحديبة . مقالة في علاج
القولنج ، واسمها الرسالة السيفيه في الادوية الملوكية .

ابو البيان بن المدور

لقب بالسديد ، وكان يهوديا قراء عالما بصناعة الطب ، حسن المعرفة بأعمالها وله مجربات كثيرة ،
وآثار محمودة . وخدم الخلفاء المصريين في آخر دولتهم وبعد ذلك خدم الملك الناصر صلاح الدين ، وكان
يرى له ويعتمد على معالجته ، وله فيه حسن ظن ، وكانت له منه الجامعية الكثيرة والافتقار المتوفر . وعمر
الشيخ أبو البيان بن المدور وتعطل في آخر عمره من الكبر والضعف ، من كثرة الحركة والتردد الى الخدمة ،

(١) اول مطر الربيع .

فاطلق له الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله في كل شهر أربعة وعشرين ديناراً مصرية تصل اليه، ويكون ملازماً لبيته، ولا يكلف خدمة. وبقي على تلك الحال وجامعيته تصل اليه نحو عشرين سنة. وكان في مدة انقطاعه في بيته لا يخل بالاشتغال في صناعة الطب، ولا يخلو موضعه من التلاميذ والمشتغلين عليه والمستوصفين منه. وكان لا يمضي الى احد لمعالجته في تلك المدة الا من يميز عليه جداً. ولقد بلغني عنه من ذلك ان الامير ابن منقذ لما وصل من اليمن، وكان قد عرض له استسقاء بعث اليه لياكيه ويعالجه بالمعالجة فاعتذر اليه على قرب موضعه منه، ولم يمض اليه دون ان بعث اليه القاضي الفاضل وكيله ابن سناء الملك، وقصده في ذلك حتى مضى اليه ووصف له ما يعتمد عليه في المداواة. وعاش أبو البيان ابن المدور ثلاثاً وثمانين سنة، وتوفي في سنة ثمانين وخمسائة بالقاهرة. وكان من تلاميذه زين الحساب. ولاي البيان بن المدور من الكتب : مجرباته في الطب .

أبو الفضائل بن الناقد

لقبه المهذب . كان طبيباً مشهوراً ، وعالماً مذكوراً . له العلم الوافر ، والاعمال الحسنة ، والمداواة الفاضلة . وكان يهودياً مشتهراً بالطب والكحل ، إلا أن الكحل كان أغلب عليه . وكان كثير المعاش ، عظيم الاشتيام ، حتى ان الطلبة والمشتغلين عليه كانوا في أكثر اوقاته يقرؤون عليه ، وهو راكب وقت مسيره وافتقاده للمرضى . وتوفي سنة أربع وثمانين وخمسائة بالقاهرة ، وأسلم ولده أبو الفرج ، وكان طبيباً وكحالاً أيضاً .

وحدثني أبي قال : كان قد أتى الى أبي الفضائل بن الناقد صاحب له من اليهود ، ضعيف الحال ، وطلب منه ان يرفده بشيء فأجلسه عند داره وقال له : معاشي اليوم بختك ورزقك . وركب ودار على المرضى والذين يكحلهم ولما عاد أخرج عدة الكحل وفيها قراطيس كثيرة مصرورة ، وشرع يفتح واحدة واحدة منها فمنا ما فيها الدينار والاكثر ، ومنها ما فيها دراهم ناصرية ، وبعضها فيها دراهم سواد فاجتمع من ذلك ما يكون قيمته الجملة نحو ثلثمائة درهم سواد فأعطاها ذلك الرجل . ثم قال والله جميع هذه الكواغد ما أعرف الذي اعطاني الذهب أو الدراهم ، أو الكثير منها أو القليل بل كل من اعطاني شيئاً أجعله في عدة الكحل ، وهذا يدل على معاش زائد وقبول كثير .

ولاي الفضائل بن الناقد من الكتب : مجرباته في الطب .

الرئيس هبة الله

كان اسرانياً فاضلاً مشهوراً بالطب ، جيد الاعمال ، حسن المعالجة . وكان في آخر دولة الخلفاء المصريين ، وخدمهم بصناعة الطب، وكانت له منهم الجامكية الوافرة والصلات المتواليه . ثم انقرضت دولتهم وبقي بعدهم بعيش فيما أنعموا به عليه الى ان توفي ، وكانت وفاته في سنة خمسائة ونيّف وثمانين

الموفق بن شوعة

كان من أعيان العلماء وأفاضل الأطباء ، اسراييلي مشهور باتقان الصناعة وجودة المعرفة في علم الطب والكحل والجراح . كان دمثاً خفيف الروح كثير المجون ، وكان يشعر ويلعب بالقيثارة ، وخدم الملك الناصر صلاح الدين بالطب لما كان بمصر ، وعلت منزلته عنده . وكان بدمشق فقيه صوفي صاحب محمد بن يحيى وسكن خانقاه السمساطي كان يعرف بالخبوشاني ويلقب بالنجم ، وله معرفة بنجم الدين أيوب وبأخيه أسد الدين . وكان الخبوشاني ثقیل الروح ، قشفاً في العيش ، يابساً في الدين ، يأكل الدنيا بالناموس ؛ ولما صعد أسد الدين مصر تبعه ونزل بمسجد عند دار الوزارة يعرف اليوم بمسجد الخبوشاني ؛ وكان يثلب أهل القصر ويجعل تسليحه سبهم . وكان سلطاناً ، ومتى رأى ذمياً راكباً قصد قتله فكانوا يتحامونه . ولما كان في بعض الأيام رأى ابن شوعة وهو راكب فرماه بحجر أصاب عينه فقلعها ، وتوفي ابن شوعة بالقاهرة في سنة تسع وسبعين وخمسائة .

ومن شعر الموفق بن شوعة أنشدني القاضي نفيس الدين بن الزبير قال : أنشدني الموفق بن شوعة لنفسه ، فمن ذلك قال في النجم الخبوشاني لما قلع عنه :

لا تعجبوا من شعاع الشمس اذ حسرت
بل اعجبوا كيف أعمى مقلتي نظري
منه العيون وهذا الشأن مشهور
للنجم وهو ضئيل الشخص مستور
(البسيط)

وانشدني أيضاً قال : أنشدني المذكور لنفسه يهجو ابن جميع اليهودي .

يا أيها المدعي طباً وهندسة
ان كنت بالطب ذا علم فلم عجزت
تحتاج فيه طبيباً ذا معالجة
هذا ولا تشتفي منه فقل وأجب
ما هندسي له شكل تهيم به
مجسم اسطواني على اكر
...
أوضحت يا ابن جميع واضح الزور
قواك عن طب داء فيك مستور
يمضغ طوله شبران مطرور
عن ذا السؤال بتميز وتفكير
وليس ترغب فيه غير منشور
تألفت بين مخروط وتدوير
...
(البسيط)

وقال ايضاً

وروضة جادها صوب الربيع فقد
كان أصغرها الزاهي وأبيضها
جادت علينا بوشي لم تحكه يد
تبر وورق بكف الريح تنقده

(*) بياض بالأصل في الموضعين .

وباح نشر خزامها بما كتمت وناح قمرها شجواً بما يحيد
(البسيط)

ابو البركات بن القضاعي

لقبه الموفق ، وكان من جلة الاطباء المهرة والمتميزين في صناعة الطب . وكان مشكوراً في علمها ، مشهوراً بجودة المعرفة في علمها . وكان يعاني ايضاً صناعة الكحل والجراح ، ويعد من الافاضل فيها . وخدم بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين في الديار المصرية وتوفي ابو البركات بن القضاعي بالقاهرة في سنة ثمان وتسعين وخمسةائة .

ابو المعالي بن تمام

هو أبو المعالي تمام بن هبة الله بن تمام ، يهودي ، غزير العلم ، وافر المعرفة . وكان مشهوراً في الدولة ، موصوفاً بالفضل ، مشكوراً بالمعاجة . وكان مقيماً بفسطاط مصر . واسلم جماعة من أولاده . وكان ابو المعالي قد خدم بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وحظي في أيامه ؛ وخدم أيضاً بعد ذلك لاختيه الملك العادل أبي بكر بن أيوب^(١) . ولاي المعالي بن تمام من الكتب : تعاليت ومجربات في الطب .

الرئيس موسى

هو الرئيس أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي . يهودي ، عالم بسنن اليهود ، ويعد من أحبارهم وفضلائهم . وكان رئيساً عليهم في الديار المصرية . وهو أوحده زمانه في صناعة الطب . وفي أعمالها ، متفنن في العلوم ، وله معرفة جيدة بالفلسفة . وكان السلطان الملك الناصر صلاح الدين يرى له ويستطبه ، وكذلك ولده الملك الافضل علي . وقيل ان الرئيس موسى كان قد أسلم في المغرب وحفظ القرآن واشتغل بالفقه . ثم انه لما توجه الى الديار المصرية واقام بفسطاط مصر ارتد . وقال القاضي السعيد بن سناء الملك يمدح الرئيس موسى .

أرى طب جالينوس للجسم وحده
فلو انه طب الزمان بعلمه
ولو كان بدر التم من يستطبه
وطب أبي عمران للعقل والجسم
لابراه من داء الجهالة بالعلم
لتم له ما يدعيه من التم

(١) من الامراء الايوبيين وقد ورد ذكره فيما تقدم .

وداواه يوم الـتم من كلف به وأبرأه يوم السرار من السقم

(الطويل)

والرئيس موسى من الكتب : اختصار الكتب الستة عشر لجالينوس . مقالة في البواسير وعلاجها . مقالة في تدبير الصحة صنفها للملك الافضل علي بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب . مقالة في السموم والتحرز من الادوية القتالة . كتاب شرح العقار . كتاب كبير على مذهب اليهود .

ابراهيم بن الرئيس موسى

هو أبو المنى ابراهيم بن الرئيس موسى بن ميمون ، منشؤه بفسطاط مصر ، وكان طبيباً مشهوراً عالماً بصناعة الطب ، جيداً في اعمالها . وكان في خدمة الملك الكامل ^(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب ويتردد ايضاً الى البيمارستان الذي بالقاهرة من القصر ، ويعالج المرضى فيه . واجتمعت به سنة احدى وثلاثين او اثنتين وثلاثين وستائة بالقاهرة وكنت حينئذ أطب في البيمارستان بها فوجدته شيخاً طويلاً نحيف الجسم ، حسن العشرة ، لطيف الكلام ، متميزاً في الطب . وتوفي ابراهيم بن الرئيس موسى بمصر في سنة (*) وثلاثين وستائة .

ابو البركات بن شعيا

ولقبه الموفق شيخ مشهور ، كثير التجارب ، مشكور الاعمال في صناعة الطب . وكان يهودياً قراء عاش ستاً وثمانين سنة وتوفي بالقاهرة ، وخلف ولداً يقال له سعيد الدولة أبو الفخر ، وهو طبيب ايضاً ، ومقامه بالقاهرة

الاسعد المحلي

هو اسعد الدين يعقوب بن اسحق . يهودي من مدينة الحلة ^(٢) من اعمال ديار مصر ، متميز في الفضائل ، وله اشتغال بالحكمة ، واطلاع على دقائقها ، وهو من المشهورين في صناعة الطب ، والخيرين بالمداداة والعلاج . وأقام بالقاهرة ، وسافر في اول سنة ثمان وتسعين وخمسةائة الى دمشق . واقام بها مديدة ، وجرت بينه وبين بعض الافاضل من الاطباء بها مباحث كثيرة ونكد ، ورجع بعد ذلك الى الديار المصرية وتوفي بالقاهرة . ومن نوادره في حسن المداداة انه كان بعض اهلنا من النساء قد عرض لها مرض وتغير مزاج ، وتناول بها ولم ينجع فيها علاج فلما افتقدها قال لعمي ، وكان صديقه عندي اقراص قد ركبته لهذا المرض خاصة وهي تبرا بها ان شاء الله ، تكون تتناول في كل يوم بالغداة منها قرصاً مع شراب سكنجبين ، واعطاه الاقراص فلما تناولتها برأت .

(١) ابن الملك العادل (١١٨٠ - ١٢٣٨) وحكم سنة (١٢١٨) وعلى ايامه تم بناء القلعة في القاهرة .

(٢) اظن انها الحلة الكبرى وهي مدينة في مصر على دلتا النيل (ن. د)

وللاسعد الحلبي من الكتب : مقالة في قوانين طبية وهي ستة ابواب . كتاب المنزه في حل ما وقع من ادراك البصر في المرايا من الشبه . كتاب في مزاج دمشق ووصفها وتفاوتها من مصر ، وانها اصح واعدل ، وفي مسائل آخر في الطب واجوبتها وهو يحتوي على ثلاث مقالات . مسائل طبية واجوبتها سألتها لبعض الاطباء بدمشق ، وهو صدقة بن ميخا بن صدقة السامري .

الشيخ السديد بن أبي البيان

هو سديد الدين ابو الفضل داوود بن ابي البيان سليمان بن ابي الفرج اسراييل بن ابي الطيب سليمان ابن مبارك اسراييلي ، قراء ، مولده في سنة ست وخمسين وخمسمائة بالقاهرة . وكان شيخاً محققاً للصناعة الطبية ، متقناً لها ، متميزاً في علمها وعملها ، خبيراً بالادوية المفردة والمركبة . ولقد شاهدت منه حيث نعالج المرضى بالبيارستان الناصري بالقاهرة من حسن تأنيه لمعرفة الامراض وتحقيقها ، وذكر مداواتها ، والاطلاع على ما ذكره جالينوس فيها ما يعجز عن الوصف . وكان اقدر اهل زمانه من الاطباء على تركيب الادوية ومعرفة مقاديرها واوزانها على ما ينبغي ، حتى انه كان في اوقات يأتي اليه من المستوصفين من به امراض مختلفة او قليلة الحدوث ، فكان يملئ صفات أدوية مركبة بحسب ما يحتاج اليه ذلك المريض من الاقراص والسفوفات والاشربة أو غير ذلك في الوقت الحاضر ، وهي في نهاية الجودة وحسن التأليف . وكان شيخه في صناعة الطب الرئيس هبة الله بن جميع اليهودي . وقرأ أيضاً على ابي الفضائل بن الناقد . وكان الشيخ السديد بن أبي البيان قد خدم الملك المعادل ابا بكر ابن أيوب ووجدت لبعضهم فيه :

إذا اشكل الداء في باطن أتى ابن بيان له بالبيان
فان كنت ترغب في صحة فخذ لسقامك منه الامان

(المتقارب)

وعاش فوق الثمانين سنة ، وكان قد ضعف بصره في آخر عمره .

وللشيخ السديد بن أبي البيان من الكتب : كتاب الاقرايدين ، وهو اثنا عشر باباً قد أجاد في جمعه ، وبالغ في تأليفه واقتصر على الادوية المركبة المستعملة المتداولة في البيارستانات بمصر والشام والعراق وحوانيت الصيدالة ، وقرأته عليه وجمعت معه . تعاليق على كتاب الملل والاعراض لجالينوس .

جمال الدين بن أبي الحوافر

هو الشيخ الامام العالم أبو عمرو عثمان بن هبة الله بن أحمد بن عقيل القيسي ، ويعرف بابن أبي الحوافر . أفضل الاطباء ، وسيد العلماء ، وأوحد العصر ، وفريد الدهر . قد اتقن الصناعة الطبية ،

وتتميز في اقسامها العلمية والعملية . وله اشتغال جيد بعلم الادب وعناية فيه ، وله شعر كثير صحيح المباني ، بديع المعاني . وكان رحمه الله كثير المروءة ، غزير العربية ، معروفاً بالافضال ، موصوفاً بحسن الخلال ، قد غمر بإحسانه الخاص والعام ، وشملهم بكثرة الانعام . مولده ومنشؤه بدمشق . واشتغل بصناعة الطب على الامام مذهب الدين بن النقاش وعلى الشيخ رضي الدين الرحي . وخدم بصناعة الطب الملك العزيز^(١) عثمان بن الملك الناصر صلاح الدين ، واقام معه في الديار المصرية ، وولاه رئاسة الطب ولم يزل في خدمته ، وهو كثير الاحسان اليه والانعام عليه ، الى ان توفي الملك العزيز رحمه الله . وكانت وفاته ليلة الاحد العشرين من المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة بالقاهرة . وبقي هو مقيماً بالديار المصرية وقطن بها . ثم خدم بعد ذلك الملك الكامل^(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب ، وبقي معه سنين . وتوفي جمال الدين بن أبي الحوافر رحمه الله بالقاهرة .

وحدثني بعض أصدقائه قال : كان يوماً راكباً فرأى في بعض النواحي على مصطبة بيع حمص مسلوق ، وهو قاعد ، وقدامه كحال يهودي ، وهو واقف ، وبيده المكحلة والميل ، وهو يكحل ذلك البياح . فحين رآه على تلك الحال ساق بغلته نحوه وضربه بالمقرعة على رأسه ، وشتمه . وعندما مشى معه قال له اذا كنت أنت سفة في نفسك ، أما للصناعة حرمة ؟ كنت قعدت الى جانبه وكحلته ، ولا تبقى واقفاً بين يدي عامي بيع حمص ! .. فتأب ان يعود يفعل مثل ذلك الفعل وانصرف .

اقول : واشتغل على الشيخ جمال الدين بن أبي الحوافر جماعة ، وتميزوا في صناعة الطب ، وأفضل من اشتغل عليه منهم ، وكان أجل تلامذته وأعلمهم عمي الحكيم رشيد الدين علي بن خليفة رحمه الله

فتح الدين بن جمال الدين بن أبي الحوافر

كان مثل ابيه جمال الدين في العلم والفضل والنباهة . نزيه النفس ، صائب الحدس ، أعلم الناس بمعرفة الامراض ، وتحقيق الاسباب والاعراض . حسن العلاج والمداواة ، لطيف التدبير والمداواة . عالي الهمة ، كثير المروءة . فصيح اللسان ، كثير الاحسان . وخدم بصناعة الطب الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب ، وبعد الملك الصالح نجم الدين^(٣) أيوب ابن الملك الكامل محمد ، وتوفي رحمه الله في أيامه بالقاهرة .

شهاب الدين بن فتح الدين

هو سيد العلماء ورئيس الاطباء ؛ علامة زمانه ، وأوحد أوانه . قد جمع الفضائل ، وتميز على الاواخر والاولاء ؛ واتقن الصناعة الطبية علماً وعملاً ، وحررها تفصيلاً وجمالاً ؛ وهو علامة وقته في

(١) قول الحكم سنة (١١٩٣)

(٢) قول الحكم سنة (١٢١٨)

(٣) قول الحكم سنة (١٢٤٠)

حفظ الصحة ومراعاتها ، وإزالة الامراض وعلاجاتها . وقد اقتفى سيرة آباؤه ، وفاق نظرائه في همته وابائه .

ورث المكارم عن ابيه وجده كالرمح انبوباً على انبوب ومقامه في الديار المصرية ، وخدم بصناعة الطب الملك الظاهر ركن الدين بيبرس^(١) الملك الصالح صاحب الديار المصرية والشامية .

القاضي نفيس الدين بن الزبير

هو القاضي الحكيم نفيس الدين أبو القاسم هبة الله بن صدقة بن عبد الله الكولبي ، والكولم من بلاد الهند ، وهو ينسب من جهة امه الى ابن الزبير الشاعر المشهور الذي كان بالديار المصرية . وهو القائل :

يا ربع أين ترى الاحبة يمموا هل أنجدوا^(٢) من بعدنا أو أتهموا^(٣)

ومولد القاضي نفيس الدين في سنة خمس أو ست وخمسين وخمسمائة ، وقرأ صناعة الطب على ابن شوعة أولاً ، وقرأ بعد ذلك على الشيخ السديد رئيس الطب ، وتميز في صناعة الطب وحاول أعمالها ، واقتن أيضاً صناعة الكحل ، وعلم الجراح . وكثرت شهرته بصناعة الكحل ، وولاه الملك الكامل ابن الملك العادل رئاسة الطب بالديار المصرية ، ويكحل في البيمارستان الناصري الذي كان من جملة القصر للخلفاء المصريين . وتوفي القاضي نفيس الدين بن الزبير رحمه الله بالقاهرة في سنة ست وثلاثين وستائة ، وله أولاد مقيمون في القاهرة ، وهم من المشهورين بصناعة الكحل والمتميزين في علمها وعملها .

أفضل الدين الخونجي

هو الامام العالم ، الصدر الكامل ، سيد العلماء والحكماء ، أوجد زمانه ، وعلامة أوانه ، أفضل الدين أبو عبد الله محمد بن تامار الخونجي . قد تميز في العلوم الحكيمة ، واقتن الامور الشرعية . قوي الاشتغال كثير التحصيل ، اجتمعت به بالقاهرة في سنة اثنتين وثلاثين وستائة فوجدته الغاية القصوى في سائر العلوم . وقرأت عليه بعض الكليات من كتاب القانون للرئيس ابن سينا ، وكانت في بعض الاوقات يعرض له انشدها خاطر لكثرة انصباب ذهنه الى العلم ، وتوفر فكرته فيه . وفي آخر أمره تولى القضاء بمصر ، وصار قاضي القضاة بها وبأعمالها . وكانت وفاته رحمه الله بالقاهرة يوم الاربعاء

(١) رابع السلاطين من المماليك البحريين ملك (١٢٢٣-١٢٧٧) قهر المغول والافرنج في موقعة عين جالوت بسوريا . وحطم قوى الصليبيين في الساحل . وغزا جنوده بلاد النوبة والبربر .

(٢) نزول نجد ، وهي البلاد الجبلية الواقعة في شمالي الجزيرة العربية

(٣) نزول تهامة ، وهي البلاد الساحلية الغربية من جزيرة العرب (ن . ر)

خامس شهر رمضان سنة ست وأربعين وستائة ودفن بالقرافة . وقال الشيخ عز الدين محمد بن حسن الغنوي الضرير الاربلي يرثيه

قضى أفضل الدنيا فلم يبق فاضل	وماتت بموت الخونجي الفضائل
فيا أيها الخبر الذي جاء أخرة	فحل لنا ما لم تحل الاوائل
ومستنبط العلم الخفي بفكرة	بها اتضحت للسائلين المسائل
وفاتح باب المشكلات بها لنا	فلم يسم لولاه لها المتداول
وحبراً اذا قيس البحار بعلمه	غدا علمه بجرأ وتلك الجداول
فليت المنايا عنه طاشت سهامها	وكانت اصيبت من سواه المقاتل
أقدري بمن قد سار حامل نعشه	عداه أحبوه ومن هو حامل
ومات فريداً في الزمان واهله	وبحر علوم ماله الدهر ساحل
فان غيبوه في الثرى عن عيوننا	فما علمه عن طالب العلم زائل
وان أفلت شمس المعالي بموته	أفولا وان البدر في الترب فازل
وما كنت أدري ان للشمس في الثرى	قضينا بان البدر في اللحد حاصل
الى أن رأيناه وقد حل قبره	

(الطويل)

ولأفضل الدين الخونجي من الكتب : شرح ما قاله الرئيس ابن سينا في النبض . مقالة في الحذور والوروم . كتاب الجمل في علم المنطق . كتاب كشف الاسرار في علم المنطق . كتاب الموجز في المنطق . كتاب ادوار الحيات .

ابو سليمان داود بن ابي المنى بن ابي فانة

كان طبيباً نصرانياً بمصر في زمن الخلفاء ، وكان حظياً عندهم ، فاضلاً في الصناعة الطبية ، خبيراً بعلمها وعملها ، متميزاً في العلوم . وكان من أهل القدس ، ثم انتقل الى الديار المصرية . وكانت له معرفة بالغة بأحكام النجوم .

حدثني الحكيم رشيد الدين أبو حليقة بن الفارس بن أبي سليمان المذكور قال : سمعت الامير مجد الدين أخا الفقيه عيسى ، وهو يحدث السلطان الملك الكامل بشرمساح عند حضوره اليه ، بعد وفاة الملك العادل ، ونزول الفرنج على ثغر دمياط ^(١) من أحوال جدي أبي سليمان داود ما هذا نصه قال : كان الحكيم أبو سليمان في زمان الخلفاء ، وكان له خمسة اولاد ، فلما وصل الملك ماري الى الديار المصرية أعجبه طبه فطلبه من الخليفة بها ، ونقله هو وأولاده الخمسة الى البيت المقدس ، ونشأ

(١) مدينة في مصر على نهر النيل . حاصرها الصليبيون وفتحوها ثم ردم عنها الملك الكامل (ن.ر)

للملك ماري ولد مجذم فركب له الترياق الفاروقى بالبيت المقدس ، وترهب وترك ولده الأكبر وهو الحكيم المهذب أبو سعيد خليفته على منزله واخوته .

واتفق ان ملك الفرنج المذكور بالبيت المقدس أسر الفقيه عيسى ، ومرض فسيره الملك لمدائاته ، فلما وصل اليه وجده في الجب مثقلاً بالحديد فرجع الى الملك وقال له : ان هذا الرجل ذو نعمة ، ولو سقيته ماء الحياة وهو على هذا الحال لم ينتفع به . قال الملك : فما أفعل في امره ؟ قال : يطلقه الملك من الجب ويفك عنه حديدته ويكرمه فما يحتاج الى مداواة اكثر من هذا . فقال الملك : نخاف ان يهرب وقطيعته كثيرة . قال للملك : سلمه الي وضمانه علي . فقال له : تسلمه واذا جاءت قطيعته كان لك منها الف دينار . فمضى وشاله من الجب وفك حديدته ، وأخلى له موضعاً في داره اقام فيه ستة أشهر يجذمه فيها أتم خدمة . فلما جاءت قطيعته طلب الملك الحكيم أبا سعيد ليحضر له الفقيه المذكور فحضر وهو صحبته ، ووجد قطيعته في اكياس بين يديه فاعطاه منها الكيس الذي وعده به . فلما أخذه قال له : يا مولانا هذه الالف دينار قد صارت لي أتصرف فيها تصرف الملاك في املاكهم ؟ فقال له : نعم . فاعطاها للفقيه في المجلس وقال له : أنا أعرف ان هذه القطيعة ما جاءت إلا وقد تركت خلفك شيئاً وربما قد تدني لك شيئاً آخر فتقبل مني هذه الالف دينار اعانة نفقة الطريق . فقبلها الفقيه منه ، وسافر الى الملك الناصر .

واتفق ان الحكيم أبا سليمان داود المذكور ظهر له في احكام النجوم ان الملك الناصر يفتح البيت المقدس في اليوم الفلاني من الشهر الفلاني من السنة الفلانية ، وانه يدخل اليها من باب الرحمة ، فقال لاحد اولاده الخمسة وهو الفارس أبو الخير بن أبي سليمان داود المذكور ، وكان هذا الولد قد تربى مع الولد المجذم ملك البيت المقدس ، وعلمه الفروسية ، فلما توج الملك ، فرسه وخرج المذكور من بين اخوته الاربعة اطباء جندياً . وكان قول الحكيم أبي سليمان لولده هذا بان يمضي رسولا عنه الى الملك الناصر ، ويبشره بملك البيت المقدس في الوقت المذكور . فامثل مرسومه ومضى إلى الملك الناصر ، فاتفق وصوله اليه في غرة سنة ثمانين وخمسة ، والناس يهنؤنه بها وهم على قاميه ، فمضى الى الفقيه المذكور ففرح به غاية الفرح ، ودخل به الى الملك الناصر ، وأوصل اليه الرسالة عن أبيه ، ففرح بذلك فرحاً شديداً ، وانعم عليه بجائزة سنوية ، وأعطاه علماً أصفر ونشابة من رنكة . وقال له : متى يسر الله ما ذكرت اجعلوا هذا العلم الاصفر والنشابة فوق داركم فالخارطة التي أنتم فيها تسلم جميعها في خفارة داركم . فلما حضر الوقت صبح جميع ما قاله الحكيم المذكور فدخل الفقيه عيسى الى الدار التي كان مقيماً بها ليحفظها ، ولم يسلم من البيت المقدس من الاسر والقتل ووزن القطيعة سوى بيت هذا الحكيم المذكور . وضاعف لاولاده ما كان لهم عند الفرنج ، وكتب له كتاباً الى سائر ممالكه براً وبحراً بمساحتهم بجميع الحقوق اللازمة للنصارى ، فاعفوا منها الى الآن . وتوفي الحكيم ابو سليمان المذكور بعد ان استدعاه الملك الناصر اليه ، وقام له قائماً وقال له : أنت شيخ مبارك ، قد وصل بنا بشراك ، وتم جميع ما ذكرته فتمن علي . فقال له : اتمنى عليك حفظ أولادي . فأخذ الملك الناصر اولاده واعتنى بهم ، واعطاهم للملك العادل ، ووصاه بان يكرمهم ويكونوا من

الخواص عنده وعند أولاده ، وكان كذلك أقول : وكان فتح السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب للقدس في سابع وعشرين رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة

أبو سعيد بن أبي سليمان

هو الحكيم مهذب الدين أبو سعيد بن أبي سليمان بن أبي المنى بن أبي فانة . كان فاضلاً في صناعة الطب ، عالماً بها ، متميزاً في اعمالها ، متقدماً في الدولة . وقرأ علم الطب على أبيه وعلى غيره . وكان السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب قد جعله في خدمة ولده الملك المعظم ، واکرمه غاية الاكرام وأمر ان لا يدخل قلعة من قلاع إلا راكباً مع صحة جسمه . فكان يدخل في قلاعه الاربعة كذلك ، وهي قلعة الكرك ^(١) وقلعة جعبر ^(٢) وقلعة الرها ^(٣) وقلعة دمشق . وخدم أبو سعيد بن أبي سليمان الملك الناصر صلاح الدين والملك العادل أيضاً بالطب . وانتقل الى الديار المصرية ، واقام بها الى حين وفاته . وتوفي في سنة ثلاث عشرة وستائة ، ودفن بدير الخندق عند القاهرة

أبو شاكر بن أبي سليمان

هو الحكيم موفق الدين ابو شاكر بن ابي سليمان داود ، وكان متقناً لصناعة الطب متميزاً في علمها وعملها جيد العلاج مكيماً في الدولة وقرأ صناعة الطب على أخيه أبي سعيد بن أبي سليمان ، وتميز بعد ذلك واشتهر ذكره . وكان السلطان الملك العادل قد جعله في خدمة ولده الملك الكامل فبقي في خدمته ، وحظي عنده الحظوة العظيمة ، وتمكن عنده التمكن الكثير ، وقال في دولته حظاً عظيماً وكانت له منه اقطاعات ضياع وغيرها . ولم يزل ابدأ يفتقده بالهبات الوافرة ، والصلوات المتواترة . وكان أيضاً الملك العادل يعتمد عليه في المداواة ، ويصفه بحسن العلاج . وكان يدخل أيضاً في جميع قلاعه وهو راكب ، مثل قلعة الكرك وقلعة جعبر وقلعة الرها وقلعة دمشق ، ثم قلعة القاهرة ، مع صحة جسمه . ولقد بلغ من امره عند سکن الملك الكامل بقصر القاهرة المحروسة ان اسكنه عنده فيه . وكان الملك العادل ساكناً بدار الوزارة ، وانه ركب ذات يوم على بغلة النوبة التي له ، وخرج الى بين القصرين فركب فرساً آخر وسير بغلته التي كان راكباً عليها الى دار الحكيم المذكور بالقصر ، وأمر بركوبه عليها وخروجه من القصر راكباً ولم يزل راكباً بين القصرين الى ان وصل اليه فأخذ بيده وسأله يتحدث معه الى دار الوزارة ، وسائر الامراء يمضون بين يدي الملك الكامل . والمعصود ابن منقذ في أبي شاكر :

(١) قلعة في مدينة الكرك الاردنية . وكانت قاعدة المالك . وتشرف هذه القلعة على طريق الحج والتجارة .

(٢) قلعة قديمة سهاها العرب دوسره على الفرات بين رقة ودالس .

(٣) قلعة في مدينة الرها . والرها بلدة يطلق عليها أيضاً اسم اورفا . وهي كائنة بين النهرين في تركيا (ن. ر)

هذا الحكيم أبو شاعر
خليفة بقراط في عصرنا
كثير المحبين والشاكر
وثانيه في علمه الباهر
(المتقارب)

وتوفي أبو شاعر بن أبي سليمان في سنة ثلاث عشرة وستمائة ، ودفن بدير الخندق عند القاهرة

أبو نصر بن أبي سليمان

كان طبيباً عارفاً بصناعة الطب ، حسن المعالجة ، جيد العلاج . وتوفي بالكرك

أبو الفضل بن أبي سليمان

كان طبيباً مشكوراً في صناعة الطب ، عالماً بها ، متميزاً في المعالجة والمداواة . وكان اصغر اخوته وعمر من دونهم . كان مولده في سنة ستين وخمسائة ، ووفاته في سنة اربع واربعين وستمائة ، فدة حياته اربع وثمانون سنة لم يبلغها احد من اخوته وكان طبيباً للملك المعظم ^(١) ، مقيماً بالكرك . ثم خدم الملك الكامل بالديار المصرية وتوفي فيها

رشيد الدين أبو حليقة

هو الحكيم الاجل العالم رشيد الدين ابو الوحش بن الفارس ابى الخير بن ابى سليمان داود بن ابى المنى بن ابى فانة ، ويعرف بأبى حليقة . كان اواحد زمانه في صناعة الطب والعلوم الحكيمية ، متفنناً في العلوم والآداب ، حسن المعالجة ، لطيف المداواة ، رؤوفاً بالمرضى ، محباً لفعل الخير ، مواظباً للامور الشرعية التي هو عليها ، كثير العبادة . ولقد اجتمعت به مرات ، ورأيت من حسن معالجته وعشرته ، وكال مروءته ما يفوق الوصف . واشتغل بصناعة الطب في اول امره على عمه مذهب الدين ابى سعيد بدمشق ، واشتغل بعد ذلك بالديار المصرية ، وقرأ ايضاً على شيخنا مذهب الدين عبدالرحيم ابن علي رحمه الله ، ولم يزل دائم الاشتغال ، ملازماً للقراءة . ومولده بقلعة جعبر ، وذلك في سنة احدى وتسعين وخمسائة . وخرج منها الى الرها وربي بها مدة سبع او ثمان سنين . وكان والده يلبسه لباس الجندي مثل لباسه ، وكان ساكناً بدار يقال لها دار ابن الزعفراني عند باب شاع بالرها . وكانت هذه الدار ملاصقة لدار السلطان ، فاتفق ان الملك الكامل دخل فيها الحمام فأعطاه والده الفارس المذكور فاكهة وماء ورد . وأمره بحمله الى السلطان فجعله اليه فلما خرج من الحمام وقدمه اليه أخذه ودخل به الى الخزانة ، وفرغ تلك الاطباق الفاخرة وملأها له شقائق سنوية ، وسيرها مع غلامه لوالده وأخذ الملك الكامل بيده ، وكان عمره يومئذ نحو ثمان سنين ، ودخل الى الملك العادل . وعندما أبصره الملك العادل ، ولم يكن رآه قبلها قط ، قال للملك الكامل : يا محمد هذا ابن الفارس ؟ لأنه

(١) الايوبي (١١٨٠ - ١٢٢٨) تولى الحكم في دمشق واختلف مع اولاد صلاح الدين . (ن . ر)

أخذه بالشبه ، فقال : نعم . قال : هاته الي . فحمله الملك الكامل ، ووضع بين يديه فمسك بيده وتحدث معه حديثاً طويلاً . ثم التفت الى والده ، وقد كان قائماً في خدمته مع جملة القيام وقال له : ولدك هذا ولد ذكي لا تعلمه الجندية فالأجناد عندنا كثيرون ، وأنتم بيت مبارك ، وقد استبركنا بطبكم ، تسيره الى الحكيم أبي سعيد الى دمشق ليقرئه الطب . فامتثل والده الأمر وجهزه وسيره الى دمشق ، أقام فيها مدة سنة كاملة حفظ فيها كتاب الفصول لابن قراط ، وتقدمة المعرفة . ثم وصل الى القاهرة في سنة تسع وخمسة ، ولم يزل مقيماً بها . وخدم بصناعة الطب الملك الكامل ، وكان كثير الاحترام له ، حظياً عنده ، وله منه الاحسان الكثير ، والانعام المتصل ، وله خَبَزٌ^(١) بالديار المصرية . وهو الذي كان مقطوعاً باسم عمه موفق الدين أبي شاهر ، فانه لما توفي أبو شاهر جعل الملك الكامل هذا الخبز باسم رشيد الدين المذكور ، وهو نصف بلد يعرف بالعزيرية^(٢) والحربة^(٣) من اعمال الشرقية . ولم يزل في خدمة الملك الكامل الى ان توفي رحمه الله .

ثم خدم بعده ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب ، الى ان توفي الملك الصالح رحمه الله ، وخدم أيضاً ولد الملك الصالح بعد ذلك ، وهو الملك المعظم ترنشاه^(٤) . ولما قتل رحمه الله ، وذلك في يوم الاثنين سابع وعشرين المحرم سنة ثمان واربعين وستائة ، وجاءت دولة الترك واستولوا على البلاد واحتلوا على الممالك صار في خدمتهم واجروه على ما كان باسمه . ثم خدم منهم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الملك الصالح ، وبقي في خدمته على عادته المستمرة ، وقاعدته المستقرة وله منه الاحترام التام وجزيل الانعام والاکرام . وللحكيم رشيد الدين أبي حليقة نوادر في أعمال صناعة الطب ، وحكايات كثيرة تميز بها على غيره من جماعة الاطباء .

من ذلك انه مرضت دار من بعض الأدر السلطانية بالعباسية ، وكان من سيرته معه ان لا يشرك معه طبيباً في مداوئه وفي مداواة من يعز عليه من دوره وأولاده ، فباشر مداواة المريضة المذكورة أياماً قلائل ، ثم حصل له شغل ضروري ألجأه الى ترك المريضة ، ودخل القاهرة وأقام بها ثمانية عشر يوماً . ثم خرج الى العباسية فوجد المريضة قد تولى مداواتها الاطباء الذين في الخدمة . فلما حضر وبأمر معهم قالوا له : هذه المريضة تموت والمصلحة ان نعلم السلطان بذلك قبل ان يفاجئه أمرها بغتة . فقال لهم : ان هذه المريضة عندي ما هي في مرضة الموت ، وانها تعافى بمشيئة الله تعالى من هذه المرضة . فقال له أحدهم ، وهو أكبرهم سناً ، وكان الحكيم المذكور شاباً : لإنني أكبر منك ، وقد باشرت من المرضى اكثر منك فتوافقني على كتابة هذه الرقعة ؟ فلم يوافق . فقالت جماعة الحكماء لا بد لنا من المطالعة ، فقال لهم : إن كان لا بد لكم من هذه المطالعة فيكون باسمائكم من دوني . فكتب اليه الاطباء بموتها فسير اليهم رسولا ومعه نجار ليعمل لها تابوتاً تحمل فيه . ولما وصل الرسول

(١) المكان المطمئن المنخفض من الارض .

(٢) قرية في مصر ولا ادري ايها يريد فالعزيرية اسم لعدة قرى مصرية ولعلها الشرقية .

(٣) قرية بالقرب من شونة الزبيب في مصر في جوارها انقاض معبد اوزيريس .

(٤) اوطوران شاه ملك سنة ١٢٤٩ .

والنجار معه الى الباب ، والاطباء جلوس ، قال له الحكيم المذكور : ما هذا النجار ؟ قال : يعمل تابوتاً لمريضتكم . فقال له : تضعونها فيه وهي في الحياة ؟ فقال الرسول : لا ، لكن بعد موتها . قال له : ترجع بهذا النجار وتقول للسلطان عني خاصة انها في هذه المرضة لا تموت . فرجع وأخبره بذلك .

فلما كان الليل استدعاه السلطان بخادم وشمعة وورقة بخطه يقول فيها : ولد الفارس يحضر الينا ، لانه لم يكن بعد سمي أبا حليقة ، وانما سماه بذلك فيما بعد السلطان الملك الكامل . فانه كان في بعض الأيام جالساً مع الاطباء على الباب ، فقال السلطان للخادم في أول مرة اطلب الحكيم ، فقال له يا خوند أي الحكماء هو ؟ فقال له ابو حليقة . فاشتهر بين الناس بهذا الاسم من ذلك اليوم الى حيث غطى نعمته ونعت عمه الذي كانوا يعرفون به ببني شاكبر . فلما وصل اليه قال : أنت منعت عمل التابوت ؟ فقال : نعم . قال : بأي دليل ظهر لك هذا من دون الاطباء كلهم ؟ قال له : يا مولانا ، لمرفقي مزاجها وبأوقات مرضها على التحرير من دونهم ، وليس عليها بأس في هذه المرضة . فقال له : امض وطبها واجمل بالك لها . فطب المذكورة وعوفيت . ثم أخرجها السلطان وزوجها وولدت من زوجها اولاداً كثيرين .

ومن جملة ما تم ايضاً له انه حكم معرفة نبض الملك الكامل حتى انه في بعض الايام خرج اليه من خلف الستارة مع الأكر المرضى فرأى نبض الجميع ووصف لهم . فلما انتهى الى نبضه عرفه فقال هذا نبض مولانا السلطان ، وهو صحيح بحمد الله ، فتمعجب منه غاية العجب وزاد تمكنه عنده .

ومن حكاياته معه : انه أمره بعمل الترياق الفاروق فاشتغل بعمله مدة طويلة ، ساهراً عليه الليل حتى حقق كل واحد من مفرداته اسماً على مسمى بشهادة أئمة الصناعة ابقرات وجالينوس . وفي غضون ذلك حصل للسلطان نزلة على أسنانه فافصد بسببها وهو ببركة الفيل يتفرج بها ، فطلع الى القلعة وتولى مداواته الاسعد الطبيب بن أبي الحسن ، بسبب شغل المذكور بعمل الترياق . فعالجه الاسعد مدة والحال كلها مر اشتد ، فشكا ذلك للأسعد فقال له ما بقي قدامي إلا الفصد . فقال له : افصد مرة اخرى ، ولي عن الفصد ثلاثة أيام ، اطلبوا لي أبا حليقة . فحضر اليه وشكا له حاله ، وأعلمه ان ذلك الطبيب قد أشار عليه بالفصد واستشاره فيه أو في شرب دواء ، فقال : يا مولانا بدئك بحمد الله نقي ، والأمر أيسر من هذا كله . فقال له السلطان : ايش تقول لي أيسر ، وأنا في شدة عظيمة من هذا الألم لا أنام الليل ، ولا أقر النهار . فقال له : يتسوك مولانا من الترياق الذي حمله المملوك في البرنية الفضة الصغيرة ، وتري ، باذن الله ، العجب . وخرج الى الباب ، ولم يشعر إلا بورقة بخط السلطان قد خرجت اليه ، وهو يقول فيها يا حكيم ، استعملت ما ذكرته فزال جميع ما بي لوقته ، وكان ذلك بحضور الاسعد الطبيب الذي كان يعالجه أولاً . فقال له : ونحن ما نصلح لمداواة المملوك ، ولا يصلح لمداواتهم إلا انتم . ثم دخل الملك الكامل الى خزائنه ، وبعث اليه منها خلعاً سنية وذهباً متوفراً .

ومن حكاياته : انه لما طال عليه عمل الترياق الفاروق ، لتعذر حضور أدويته الصحيحة من الآفاق ،

عمل تزيافاً مختصراً توجد ادويته في كل مكان . ونوى انه لا يقصد به قرباً من ملك ، ولا طلب مال ولا جاهاً في الدنيا ، ولا يقصد به الا التقرب الى الله بنفع خلقه اجمعين ، والشفقة على سائر العالمين ، وبذلك للمرضى فكان يخلص به المفلوجين ، ويقوم به الأيدي المتقوسة لوقته وساعته بحيث كان ينشئ في العصب زيادة في الحرارة الغريزية ، وتقوية واذابة البلغم الذي فيه فيجد المريض الراحة به لوقته ، ويسكن وجع القولنج من بعد الاستفراغ ، لوقته . وانه مر على بواب الباب الذي بين السورين بالقاهرة المحروسة ، وهو رجل يعرف بعلي ، وهو ملقى على ظهره لا يقدر ان ينتصب من جنب الى جنب ، فشكا اليه حاله فأعطاه منه شربة ، وطلع القلعة وياشر المرضى وعاد في الساعة الثالثة من النهار ، فقام المفلوج يعدو في ركابه يدعو له . فقال له : اقم ، فقال : يا مولانا قد شبت قعوداً خليني أتملى بنفسي .

ومن حكاياته : ان الملك الكامل كان عنده مؤذن يعرف بأمين الدين جعفر ، حصل له حصاة سدت مجرى البول ، وقاسى من ذلك شدة أشرف فيها على الموت . فكتب الى الملك الكامل وأعلمه بحاله ، وطلب منه دستوراً يمشي الى بيته يتداوى ، فلما حضر الى بيته أحضر أطباء العصر ، فوصف كل منهم له ما وصف فلم ينجع . فاستدعى الحكيم أبا حليقة المذكور فأعطاه شربة من ذلك الترياق . فبمقدار ما وصلت الى معدته نفذت قوتها الى موضع الحصاة ففتتتها وخرجت من الراقية ، وهي مصبوغة بالدواء ، وخلص لوقته ، وخرج لخدمة سلطانه ، وأذن أذان الظهر . وكان السلطان يومئذ نحيماً على جيزة القاهرة ، فلما سمع صوته أمر باحضاره اليه ، فلما حضر قال له ما ورقتك ؟ بالامس وصلتنا ، وأنت تقول انك كنت على الموت فاخبرني أمرك . فقال : يا مولانا الامر كان كذلك ، لولا لحقي مملوك مولانا الحكيم أبو حليقة ، فأعطاني ترياقاً خلصت به للوقت والحال . واتفق ان في ذلك اليوم جلس انسان ليريق ماء فنهشته أفعى في ذكره فقتلته ، فلما سمع السلطان بخبره رق عليه لانه كان رؤوفاً بالخلق . ثم دخل الى قلعة القاهرة بات بها ، واصبح من باكر والحكيم المذكور قاعد في الخدمة عند زمام الدار على الباب . والسلطان قد خرج فوقف واستدعاه اليه ، وقال له : يا حكيم ايش هذا الترياق الذي عملته ؟ واشتهر نفعه للناس هذه الشهرة العظيمة ، ولم تعلمني به قط ؟ فقال : يا مولانا ، المملوك لا يعمل شيئاً الا لمولانا ، وما سبب تأخير اعلامه الا ليحجبه المملوك لانه هو الذي ألسأه فاذا صحت له تجربته ذكره لمولانا على ثقة منه ، واذ قد صح هذا لمولانا ، فقد حصل المقصود . فقال له : تمضي وتحضر لي كلما عندك منه . وترك خادماً قاعداً على الباب في انتظاره ، ورجع الى داره كأنه لم يطلع القلعة في تلك الليلة ، ولا خرج من الدار في تلك الساعة الا لهذا المهم خاصة . فمضى الحكيم المذكور الى داره فوجد عنده من ذلك الترياق شيئاً يسيراً ، لان الخلق كانت تمنيه بما تطلبه منه فمضى الى اصدقائه الذين كان أهدي لهم منه شيئاً ، وجمع منه مقدار أحد عشر درهماً ووعدهم بانه يعطيهم عوضاً عنه أضعافه ، فجعله في برنية فضة صغيرة وكتب عليه منافعه ومقدار الشربة منه وحملها الى الخادم المذكور القاعد في انتظاره فحملها الى السلطان ، ولم يزل حافظاً لها ، فلما آلمته أسنانه ذلك عليه فحصل له منه من الراحة ما ذكر .

ومن حكاياته معه : انه كان قد عرض لبعض جهاته مرض عجز عن مداواته ، فسيرت تلك الجهة تقول له أنا أعرف ان السلطان لو عرف ان في الديار المصرية طبيباً خيراً منك لما سلم نفسه واولاده اليك من دون كافة الاطباء ، فانت ما تؤتى في مداواتي من قلة معرفة بل من التهاون بأمرى بدليل أنك تمرض فتداوي نفسك في أيام يسيرة ، وكذلك يمرض أحد اولادك فتداويه في أيام يسيرة أيضاً ، وكذلك بقية الجهات التي عندنا ما منهم الا من تداويه وتنجع مداواتك بايسر سمي . فقال لها : ما كل الامراض تقبل المداواة ، ولو قبلت الامراض كلها المداواة لما مات أحد . فلم تسمع ذلك منه ، وقالت : أنا أعرف ان ما بقي في الديار المصرية طبيب ، وأنا أشير الى السلطان يستخدم لي اطباء من دمشق ، فاستخدم لها طبيبين نصرانيين فلما حضرا لمداواتها من دمشق اتفق سفر السلطان الى دمياط ، فاستؤذن من يمضي معه من الاطباء ومن يترك ، فقال الاطباء كلهم يبقون في خدمة تلك الجهة ، والحكيم فلان وحده يكون معي . فأما اولئك الاطباء فانهم عاجلونها بكل ما يقدرون عليه ، وتعبوا في مداواتها فلم ينجح فانبسط في ذلك عذر المذكور ، وأورد ما ذكر أبقرات في مقدمة المعرفة .

ثم انه لما سافر مع السلطان بقي في خدمته مدة شهر لم يتفق له ان يستدعيه ، وبعد ذلك بدمياط استدعاه ليلاً فحضر بين يديه فوجده محمواً ، ووجد به اعراضاً مختلفة يبين بعضها بعضاً فركب له مشروباً يوافق تلك الاعراض المختلفة ، وحمله اليه في السحر فلم تغب الشمس الا وقد زال جميع ما كان يشكوه ، فحسن ذلك عنده جداً . ولم يزل ملازماً لاستعمال ذلك التدبير الى ان وصل الى الاسكندرية ، واتفق اول يوم من صيام شهر رمضان ان الحكيم المذكور مرض بها ، فحضر اليه الاطباء الذين في الخدمة واستشاروه فيما يحملون الى السلطان يفطر عليه ، فقال لهم : عنده مشروب قد جربه وهو يثني عليه ويطلبه دائماً ، فما دام لا يشكو لكم شيئاً متجدداً يمنع من استعماله فاحلوه اليه ، وان تجدد لكم شيء فاستعملوا ما تقتضيه المصلحة الحاضرة .

فمضوا ولم يقبلوا منه قصداً منهم ان يحددوا تدبيراً من جهتهم ، فلما جددوا ذلك التدبير تغير عليه مزاجه ، فاستدعاهم واستدعى نسخة الحكيم المذكور ، وأخذ يحاqqهم^(١) عليها ، فكان من جملة ما فيها بزر هندبا، وقد حذفوه فقال لهم لماذا حذفتم هذا البزر وهو مقو للكبد منق للعروق، قاطع للعطش ؟ فقال احد الاطباء الذين حضروا : والله ما للمالك في حذفه ذنب ، إلا ان الاسعد بن أبي الحسن نقل في بزر الهندبا نقلاً شاذاً بأنه يضر بالطحال ، المملوك والله ما يعرفه ؛ وزعم ان بولانا طحالاً فوافق المالك على ذلك . فقال : والله يكذب ، انا ما بي وجع طحال . وامر باعادة بزر الهندبا الى مكانه . ثم حاققهم على منفعة دواء من مفردات ذلك المشروب التي حذفوها الى ان أعادوها واعاد استعماله دائماً ولم يزل منتفعاً به شاكراً له .

(١) حاققه في الامر : خاصه ورافعه وادعى انه اول بالحق

ومن حكاياته : انه طلب منه يوماً ان يركب له صلصاً^(١) يأكل به البخني في الاسفار ، واقترح عليه ان يكون مقوياً للعدة منها للشهوة ، وهو مع ذلك ملين للطبخ فركب له صلصاً هذه صفته : يؤخذ من المقدونس جزء ، ومن الریحان الترنجاني وقلوب الاترج الغضة المحلاة بالماء والملح اياماً ثم بالماء الحلو أخيراً ، من كل واحد نصف جزء يدق في جرن الفقاعي كل منهم بمفرده ، حتى يصير مثل المرهم . ثم يخلط الجميع في الجرن المذكور ويعصر عليه الليمون الاخضر المنتقى ، ويذر عليه من الملح الاندراي مقدار ما يطيبه . ثم يرفع في مسلات صغار تسع كل واحدة منها مقدار ما يقدم على المائدة لانها اذا نقصت تكرجت ، وتختم تلك الاواني بالزيت الطيب وترفع ، فلما استعمله السلطان حصلت له منه المقاصد المطلوبة ، واثنى عليه ثناء كثيراً . وكان مسافراً الى بلاد الروم ، فقال للحكيم المذكور : هذا الصلص يدوم مدة طويلة ؟ فقال له : لا . فقال : ما يقيم شهراً ؟ فقال له : نعم اذا عمل على هذه الصورة التي ذكرتها . فقال : تعمل لي منه راتباً في كل شهر ما يكفيني في مدة ذلك الشهر ، وتسيره لي في رأس كل هلال . فلم يزل الحكيم المذكور يحدد ذلك الصلص في كل شهر وسيره له الى دربندات الروم ، وهو يلزم استعماله في الطريق ويشني عليه ثناء كثيراً

ومن نوادره : انه جاءت اليه امرأة من الريف ، ومعها ولدها ، وهو شاب قد غلب عليه التحول والمرض ، فشكت اليه حال ولدها ، وانها قد أعيت فيه من المداواة ، وهو لا يزداد الا سقاماً ونحولاً . وكانت قد جاءت اليه بالغداة قبل ركوبه ، وكان الوقت بارداً . فنظر اليه واستقرأ حاله ، وجس نبضه . فبينما هو يحس نبضه قال لعلامه : ادخل ثاولني الفرجية^(٢) حتى اجعلها علي ، فتغير نبض ذلك الشاب عند قوله تغيراً كثيراً ، واختلف وزنه ، وتغير لونه أيضاً فحدس ان يكون عاشقاً . ثم جس نبضه بعد ذلك فلتساكن . وعندما خرج اللام اليه وقال له : هذه الفرجية ، جس نبضه فوجده أيضاً قد تغير ، فقال لوالدته ان ابنك هذا عاشق والتي يهاها اسمها فرجية ، فقالت اي والله يا مولاي هو يحب واحدة اسمها فرجية ، وقد عجزت مما أعذله فيها . وتعجبت من قوله لها غاية التعجب ، ومن اطلاعه على اسم المرأة من غير معرفة متقدمة له لذلك .

أقول : ومثل هذه الحكاية كانت قد عرضت لجالينوس لما عرف المرأة العاشقة ، وذلك انه كان قد استدعي الى امرأة جليلة القدر ، وكان المرض قد طال بها وحدس انها عاشقة . فتردد اليها . ولما كان يوماً وهو يحس نبضها وكانت الاجناد قد ركبوا في الميدان وهم يلعبون ، فحكى بعض الحاضرين ما كانوا فيه ، وان فلاناً تبينت له فروسية ولعب جيد ، وعندما سمعت باسم ذلك الرجل تغير نبضها واختلف . جسبه بعد ذلك فوجده قد تساكُن ، الى ان عاد الى حاله الاول . ثم ان جالينوس أشار لذلك الحاكي سرّاً ان يعيد قوله ، فلما أعاده ، وجس نبضها وجده أيضاً قد تغير ، فتحقق من حالها انها تعشق ذلك الرجل . وهذا يدل على وفور العلم ، وحسن النظر في تقدمه المعرفة .

(١) يتخذ من احرار البقول مطيب بالزيت والملح والخل . وهو بعينه معنى الصلصة .

(٢) ثوب مفرج من امام وربما فرج من خلف (ن. ر)

أقول : وجاعة أهل الحكيم رشيد الدين أبي حليقة أكثر شهرتهم في الديار المصرية والشام ببني شاعر ، لشهرة الحكيم أبي شاعر وسميته الثائرة ، فصار كل من له نسب إليه يعرفون ببني شاعر ، وإن لم يكونوا من أولاده . ولما اجتمعت بالحكيم رشيد الدين أبي حليقة وكان قد بلغه انني ذكرت الاطباء المشهورين من أهله ، ووصفت فضلهم وعلمهم فتشكر مني وتفضل فأنشدته بديها .

وكيف لا أشكر من فضلهم	قد سار في المشرق والمغرب
تشرق منهم في سماء العلا	نجوم سعد قط لم تغرب
قوم ترى أقدارهم في الورى	بالعلم تسمو رتبة الكوكب
كم صنفوا في الطب كتباً أتت	بكل معنى مبدع مغرب
وابن شكري في بني شاعر	ما زال في الابد والاقرب
خلدت مجداً دائماً فيهم	بحسن وصف وثنا طيب

(السريع)

وأما سبب الحلقة التي وضعت في اذن الرشيد ، واشتهر بها اسمه فان والده لم يعيش له ولد ذكر غيره ، فوصف له ووالدته حامل به ان يهيء له حلقة فضة ، قد تصدق بفضتها ، وفي الساعة التي يخرج فيها الى العالم يكون صائح مجهزاً يثقب اذنه ويضع الحلقة فيها . ففعل ذلك وأعطاه الله الحياة ، فعاهدته والدته ان لا يقلعها فبقيت . ثم تزوج هو وجاءه أولاد ذكور عدة ، ويموتون كما جرى الحال في أمره فتنبه الى عل الحلقة المذكورة فعملها لولده الكبير المعروف بمهذب الدين أبي سعيد ، لانه سماه باسم عم المذكور .

ومن شعر الحكيم رشيد الدين أبي حليقة وهو مما أنشدني لنفسه ، فمن ذلك قال بحضرة سيف الاسلام :

سمع الحبيب بوصله في ليلة	غفل الرقيب ونام عن جنباتها
في روضة لولا الزوال لشابهت	جنات عدن في جميع صفاتها
فالطير يطرب في الغصون بصوته	والراح تجلى في كؤوس سقاتها
ومجالس القمر المنير تنزهت	فيه الخواص باسمها وكُناتها

(الكامل)

وقال أيضاً :

احن الى ذكر التواصل يا سعد	حنين النياق العيس عن لها الورد
فسعدى على قلبي الذ من المنى	وقربي لها عند اللقاء هو القصد
حوت مبسماً كالدر اضحى منظماً	وثغراً كمثل الاقحوان به شهد
وفرعاً ^(١) كمثل الليل أوحظ عاشق	ووجهاً كضوء الصبح هذا لذا ضد

(١) كنى به عن الشعر .

أقول لها عند الوداع وبيننا
تري ، نلتقي بعد الفراق بمنزل
تمر الليالي ليلة بعد ليلة
ولكن خوف الصب ان طال هجركم
عشقت سيوف الهند من اجل انها
ولي في الرماح السمر سمر لانها
وفي الورد معنى شاهد فوق خدها
وفي من هواها ما جحدت وعبرت

حديث كشر المسك^(١) خالطه ند^(٢)
ويظفر مشتاق اضر به البعد
وذكركم باق يحده العمد
فيقضي ولا يمضي له منكم وعد
تشابهها في فعل الحاظها الهند
تشابهها قدأ فيا حبذا القد
نشاهده فيها اذا عدم الورد
به عبرتي يوماً وما نفع الجحد
(الطويل)

وقال ايضاً :

خليلي اني قد بقيت مسهداً
بجب فتاة ينجل البدر وجهها
ضلت بها وهي الهلال ملاحه
لها مبسم كالدر اضحى منظها

من الحب مأسور الفؤاد مقيدا
ولا سيما في ليل شعر اذا بدا
فوا عجباً منه أضل وما هدى
ونطق كمثل الدر أمسى مبدا
(الطويل)

وقال ايضاً لما كان بدمياط ، ومرض والده في القاهرة فجاءه كتابه بعافيته :

مطرت على سحائب النعماء
ولبست مذ أبصرت خطك نعمة

مذ زال ما تشكو من البلاء
فيها أقوم لشكرها بوفاء
(الكامل)

ولرشيد الدين أبي حليقة من الكتب : مقالة في حفظ الصحة . مقالة في ابن الملاذ الروحانية الذ
من الملاذ الجسمانية ، إذ الروحانية كالات وادراك الكمالات ، والجسمانية انما هي دفع آلام خاصة ،
وان زادت اوقعت في آلام اخر . كتاب في الادوية المفردة ، سماه المختار في الالف عقار . كتاب في
الامراض واسبابها وعلاماتها ومداواتها بالادوية المفردة والمركبة التي قد اظهرت التجربة نجاحها ، ولم
يداو بها مرضاً يؤدي الى السلامة الا . ونجحت ، التقطها من الكتب المصنفة في صناعة الطب من آدم
والى وقتنا هذا ونظم مثنتها ومتفرقها . مقالة في ضرورة الموت ، ولما ذكر من التحليل في هذه المقالة
ان الانسان لم يزل يتحلل من بدنه بالحرارة التي في داخله ، وبحرارة الهواء الذي من خارج ، كانت
نهايته الى الفناء بهذين السبين . ومثل بعد ذكرهما بهذا البيت

واحداهما قاتلي فكيف اذا استجمعا

(١) طيب يستخرج من دم دابه تدعى غزال المسك .
(٢) عود شجر يتبخر به .

وهذا البيت فما يكون موقعه بأولى مما هو في هذا الموضع ، فانه قد جاء موافقاً لما أورده
ومطابقاً للمعنى المقصود اليه

مذهب الدين ابو سعيد محمد أبي حليقة

أوحده العلماء وأكمل الحكماء . مولده في القاهرة في سنة عشرين وستمائة ، وسمي بمحمد لما اسلم في
أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الملكي الصالح وهو ، فقد منحه الله من العقل أكمله ، ومن الادب
أفضله ، ومن الذكاء أغزره ، ومن العلم أكثره ، قد اتقن الصناعة الطبية ، وعرف العلوم الحكيمة فلا
احد يدانيه فيما يعانيه ، ولا يصل الى الخلائق الجميلة التي اجتمعت فيه . لطيف الكلام ، جزيل
الانعام . احسانه الى الصديق والنسيب ، والبعيد والقريب . وصلني كتابه وهو في المعسكر المنصور
الظاهري في شهر شوال سنة سبع وستين وستمائة ، وهو يعرب عن فضل باهر ، وعلم وافر ، وفطنة
اصمعية ^(١) ، وشفقة ^(٢) أخزمية ، وتودد عظيم ، واحسان جسيم . ويقول فيه انه وجد بمصر
نسخة من هذا الكتاب الذي الفتة في طبقات الاطباء ، وقد اقتناها وصارت في جملة كتبه التي حواها
وبالغ في الوصف الذي يدل على كرم أخلاقه ، وطيب أعراقه . وكان في اول كتابه الواصل الي :
واني امرؤ أجبتكم لحاسن سمعت بها والاذن كالمين تعشق

فقلت على الوزن والروي وكتبت اليه الجواب :

أتاني كتاب وهو بالنقش موتق	وفيه المعاني وهي كالشمس تشرق
كتاب كريم اريحي بمجد	صبيح الحيا نوره يتألق
هو السيد المولى المذهب والذي	به قد زها في العلم غرب ومشرق
حكيم حوى كل العلوم بأسرها	وما عنه باب للمكارم يفلق
كريم لانواع المحامد جامع	ولكنه للمال جوداً مفرق
اذا ذكرت اوصافه في محافل	فمن طيبها نشر من السك يعبق
حوى قصبات السبق في طلب العلا	ومن رام تشبهاً به ليس يلحق
اذا قال ، بذ القائلين بلاغة ،	ويصمت قس عنده ، حين ينطق
ولو أن جالينوس كان لوقته	لقال : بهذا في التطبب يوثق
فما أحد يحكيه في حفظ صحة ،	ولا مثله في الجسم للداء يمدق ،
اذا قلت مدحاً في معالي محمد	فكل امرئ فيما أقول يصدق
ولو رمت أحصي ما حواه من العلا	عجزت ، ولو اني البليغ الفرزدق ^(٣)

(١) نسبة الى الاصمعي احد الائمة في اللغة والادب . ولد في البصرة (٧٤٠ - ٨٢٠) ولولاه للقدنا الكثير من دواوين
العرب واشعارهم .

(٢) الخلق والطبيعة والمادة .

(٣) لقب هام بن غالب الشاعر المشهور في العصر الاموي وخصوصاً في المهجاء الذي اشتد بينه وبين الاخطل من جهة وبين
جوير من جهة اخرى .

ولا غرو في -إينا حلقة اني
لوالدم عندي أياذ قديمة
وكل ففي العلياء سام وميا
وإني امرؤ احببتكم لحاسن
فلا برحوا في نعمة وسلامة
بصدق الولا في قبضة الرق موثق
فشكري لهم طول الزمان محقق
لمن قال لي اذ جد فيه التشوق :
سمعت بها والاذن كالعين نعشق .
مؤبدة ما دامت الدوح ثورق

ولم يزل مهذب الدين أبو سعيد محمد ملازماً للاشتغال ، محمود السيرة في الاقوال والافعال . وقرأ على أبيه الصناعة الطبية ، وحرر اقسامها الكلية والجزئية ، وحصل معانيها العلمية والعملية . وخدم السلطان الملك الظاهر بيبرس المكي الصالح بصناعة الطب ، وله منه غاية الاحترام وأوفر الانعام ، والمنزلة الجلية ، والعطايا الجزيلة . ولمهذب الدين المذكور اخوان احدهما موفق الدين أبو الخير ، متميز في صناعة الكحل ، غزير العلم والفضل ؛ وكان قد صنف للملك الصالح نجم الدين كتاباً في الكحل ، من قبل ان يصير له من العمر عشرون سنة . والاخ الآخر علم الدين أبو نصر ، وهو الاصغر ، مفرط الذكاء ، معدود من جملة العلماء ، متميز في صناعة الطب ، وافر العلم واللب .
ولمهذب الدين محمد بن أبي حلقة من الكتب : كتاب في الطب .

رشيد الدين ابو سعيد

هو الحكيم الاجل العالم ، أبو سعيد بن موفق الدين يعقوب بن نصارى القدس . وكان متميزاً في صناعة الطب ، خبيراً بعلمها وعملها ، حاد الذهن ، بليغ اللسان ، حسن اللفظ . واشتغل في العربية على شيخنا تقى الدين خزعل بن عسكر بن خليل . وكان هذا الشيخ في علم النحو أوحده زمانه . ثم اشتغل الحكيم رشيد الدين ابو سعيد بعد ذلك بعلم الطب على عمي الحكيم رشيد الدين علي بن خليفة ، لما كان في خدمة السلطان الملك المعظم ، وقرأ عليه ، ولم يكن في تلامذته مثله ، فانه لازمه حق الملازمة ، وكان لا يفارقه في سفره وحضره ، وأقام عنده بدمشق ، وهو دائم الاشتغال عليه ، الى ان اتقن حفظ جميع ما ينبغي ان يحفظ من الكتب التي هي مبادي لصناعة الطب . ثم قرأ عليه كثيراً من كتب جالينوس وغيرها ، وفهم ذلك فهماً لا مزيد عليه . واشتغل ايضاً على شيخنا الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي . ولما كان في سنة اثنتين وثلاثين وستائة ، قررت له جامكية في خدمة الملك الكامل ، وبقي في خدمته زماناً مقيماً بالقاهرة . ثم خدم بعد ذلك الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل وبقي في خدمته نحو تسع سنين .

وكان قد عرض للملك الصالح نجم الدين وهو بدمشق أكلة في فحذه ، وكان يعالجه الحكيم رشيد الدين أبو حلقة ولما طال الأمر بالملك الصالح استنحضر أبا سعيد وشكا حاله اليه ، وكان بين الحكيم رشيد الدين أبي حلقة وبين رشيد الدين أبي سعيد منافسة ومناقشة . وتكلم أبو سعيد في أن

معالجة أبي حليقة لم تكن على الصواب فنظر الملك الصالح إلى أبي حليقة نظر غضب فقام من بين يديه ، وقعد على باب دار السلطان ، وبقي أبو سعيد فيما هو فيه من المناوأة في المداواة . ثم في أثناء ذلك المجلس بعينه قدام السلطان عرض لابي سعيد فالج ، وبقي ملقى قدامه فامر السلطان بحمله إلى داره ، وبقي أربعة أيام بحاله تلك ومات . وكانت وفاته بدمشق في العشر الاخير من شهر رمضان سنة ست وأربعين وستائة . ثم ان الملك الصالح توجه إلى الديار المصرية ، وقوي مرضه ولم يزل به إلى ان توفي رحمه الله . وكانت وفاته في يوم الاثنين خامس عشر شعبان سنة سبع وأربعين وستائة ، بعد ان كان عظيم الشأن قوي السلطان . ولما أتاه الممات ، وحل به هاذم اللذات ، ذهب كأنه لم يكن . وكذلك يفعل بأهله الزمان كما قلت :

احذر زمانك ما استطعت فانه	دهر يحور على الكرام وان عدل
قد كان نجم الدين أيوب الذي	ملك البرية واستطال على الدول
في صحة بسموده حتى عشا	في جسمه داء فاعيته الحيل
وصفت له الدنيا وظن بانها	تبقى له أبداً ففاجأه الاجل
وعلى الحقيقة انه نجم علا	وكذا النجوم وبعد ذلك قد أقل

(الكامل)

ولرشيد الدين أبي سعيد من الكتب : كتاب عيون الطب ، صنفه للملك الصالح نجم الدين أيوب وهو من أجل كتاب صنف في صناعة الطب ، ويحتوي على علاجات مخرطة مختارة . تعاليق على كتاب الحاوي لابي بكر محمد بن زكريا الرازي في الطب .

اسعد الدين بن أبي الحسن

هو الحكيم الاوحد العالم أسعد الدين عبد العزيز بن أبي الحسن علي . من أفاضل العلماء ، واعيان الفضلاء ، حاد الذهن ، كثير الاعتناء بالعلم ، قد اتقن الصناعة الطبية ، وحصل العلوم الحكيمة . وكان أيضاً عالماً بامور الشرع مسموع القول . وكان قد اشتغل بصناعة الطب على أبي زكريا يحيى البياسي في ديار مصر ، وخدم الملك المسعود أقيس بن الملك الكامل ، واقام معه باليمن مدة وله منه الاحترام الكثير والاحسان الغزير . وكان قرر له منه في كل شهر مائة دينار مصرية ، ولم يزل في خدمته إلى ان توفي الملك المسعود رحمه الله . ثم أطلق له الملك الكامل إقطاعات يستغلها في كل سنة بالديار المصرية ، ورسم بانتظامه في سلك الخدمة . وكان مولد أسعد الدين بالديار المصرية في سنة سبعين وخمسةائة ، وكان أبوه طبيباً أيضاً بديار مصر . واشتغل الشيخ أسعد الدين بعلم الادب والشعر ، وله شعر جيد . واول اجتماعي به كان بدمشق في مستهل رجب سنة ثلاثين وستائة فوجدته شيخاً حسن الصورة مليح الشبهة ، تام القامة ، أسمر اللون ، حلو الكلام ، غزير المروءة . واجتمعت به أيضاً

بعد ذلك بمصر وأحسن الي واشتمل علي ، وكان صديقاً لابي من السنين الكثيرة . وكانت وفاة الاسعد المذكور بالقاهرة في سنة خمس وثلاثين وستائة .

ولاسعد الدين بن أبي الحسن من الكتب : كتاب نوادر الالباء في امتحان الاطباء ، صنفه للملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب .

ضياء الدين بن البيطار

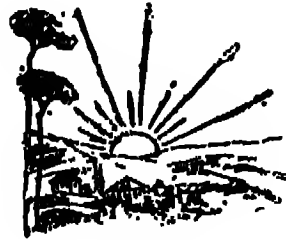
هو الحكيم الاجل العالم أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي النبائي ، ويعرف بابن البيطار . أوحده زمانه ، وعلامة وقته في معرفة النبات وتحقيقه واختياره ، ومواضع نباته ، ونعت أسمائه على اختلافها وتنوعها . سافر الى بلاد الاغارقة وأقصى بلاد الروم ، ولقي جماعة يعاونون هذا الفن ، وأخذ عنهم معرفة نبات كثير ، وعائنه في مواضعه ، واجتمع أيضاً في المغرب وغيره بكثير من الفضلاء في علم النبات ، وعائنه منابته ، وتحقيق ماهيته ، واتقن دراية كتاب ديسقوريدس اتقاناً بلغ فيه الى ان لا يكاد يوجد من يجاريه فيما هو فيه ، وذلك انني وجدت عنده من الذكاء والفتنة والدراية في النبات ، وفي نقل ما ذكره ديسقوريدس وجالينوس فيه ما يتعجب منه . واول اجتماعي به كان بدمشق في سنة ثلاث وثلاثين وستائة . ورأيت أيضاً من حسن عشرته ، وكال مروءته ، وطيب أعراقه ، وجودة اخلاقه ودرايته ، وكرم نفسه ، ما يفوق الوصف ويتعجب منه .

ولقد شاهدت معه في ظاهر دمشق كثيراً من النبات في مواضعه وقرأت عليه أيضاً تفسيره لاسماء ادوية كتاب ديسقوريدس فكنت اجد من غزارة علمه ودرايته وفهمه شيئاً كثيراً جداً . وكنت أحضر لدينا عدة من الكتب المؤلفة في الادوية المفردة مثل كتاب ديسقوريدس وجالينوس والغافقي وامثالها من الكتب الجليلة في هذا الفن ، فكان يذكر اولاً ما قاله ديسقوريدس في كتابه باللفظ اليوناني على ما قد صححه في بلاد الروم ، ثم يذكر جمل ما قاله ديسقوريدس من نعت وصفته واقواله ، ويذكر أيضاً ما قاله جالينوس فيه من نعت ومزاجه وأفعاله وما يتعلق بذلك ، ويذكر أيضاً جملاً من أقوال المتأخرين وما اختلفوا فيه ، ومواضع الغلط والاشتباه الذي وقع لبعضهم في نعت . فكنت أراجع تلك الكتب معه ، ولا أجده يغادر شيئاً مما فيها . واعجب من ذلك ايضاً انه كان ما يذكر دواء الاوبعين في اي مقالة هو من كتاب ديسقوريدس وجالينوس ، وفي اي عدد هو من جملة الادوية المذكورة في تلك المقالة .

وكان في خدمة الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب ، وكان يعتمد عليه في الادوية المفردة والحشائش ، وجعله في الديار المصرية رئيساً على سائر العشابين واصحاب البسطات . ولم يزل في خدمته الى ان توفي الملك الكامل رحمه الله بدمشق . وبعد ذلك توجه الى القاهرة فخدم الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل ، وكان حظياً عنده متقدماً في ايامه . وكانت وفاة ضياء الدين العشاب

رحمه الله بدمشق في شهر شعبان سنة ست واربعين وستائة فجأة .

ولضياء الدين بن البيطار من الكتب . كتاب الابانة والاعلام ، بما في المنهاج من الخلل والاوهام .
شرح أدوية كتاب ديسقوريدس . كتاب الجامع في الادوية المفردة ، وقد استقصى فيه ذكر الادوية
المفردة وأسمائها وتحريرها وقواها ومنافعها ، وبين الصحيح منها وما وقع الاشتباه فيه ، ولم يوجد في
الادوية المفردة كتاب أجل ولا أجود منه ، وصنفه للملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل .
كتاب المغني في الادوية المفردة ، وهو مرتب بحسب مداواة الاعضاء الآلة . كتاب الافعال الغريبة
والخواص العجيبة .



الباب الخامس عشر

طبقات الأطباء المشهورين من أطباء الشام

ابو نصر الفارابي

هو أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلخ بن طرخان، مدينته فاراب، وهي مدينة من بلاد الترك في أرض خراسان، وكان أبوه قائد جيش، وهو فارسي المنتسب. وكان ببغداد مدة ثم انتقل إلى الشام وأقام به إلى حين وفاته. وكان رحمه الله فيلسوفاً كاملاً وإماماً فاضلاً قد اتقن العلوم الحكيمة، وبرع في العلوم الرياضية، زكي النفس، قوي الذكاء، متجنباً عن الدنيا، مقتنعاً منها بما يقوم بأوده، يسير سيرة الفلاسفة المتقدمين. وكانت له قوة في صناعة الطب، وعلم بالأمور الكلية منها. ولم يباشر أعمالها، ولا حاول جزئياتها.

وحدثني سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي الآمدي أن الفارابي كان في أول أمره ناظوراً في بستان بدمشق وهو على ذلك دائم الاشتغال بالحكمة والنظر فيها، والتطلع إلى آراء المتقدمين وشرح معانيها. وكان ضعيف الحال حتى أنه كان في الليل يسهر للمطالعة والتصنيف، ويستضيء بالقنديل الذي للحارس. وبقي كذلك مدة. ثم أنه عظم شأنه وظهر فضله، واشتهرت تصانيفه وكثرت تلاميذه، وصار اواحد زمانه وعلامة وقته. واجتمع به الامير سيف الدولة^(١) أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي واكرمه اكراماً كثيراً، وعظمت منزلته عنده وكان له مؤثراً.

ونقلت من خط بعض المشايخ أن أبا نصر الفارابي سافر إلى مصر سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة، ورجع إلى دمشق، وتوفي بها في رجب سنة تسع وثلاثين وثلثمائة عند سيف الدولة علي بن حمدان في خلافة الرازي، وصلى عليه سيف الدولة في خمسة عشر رجلاً من خاصته. ويذكر أنه لم يكن يتناول

(١) صاحب حلب (٩١٦ - ٩٦٤) اشتهر بشجاعته وحمايته للعلماء منهم المتني وابو فراس والفارابي الفيلسوف. ورفع إليه ابو الفرج كتابه الاغانى.

من سيف الدولة من جملة ما ينعم به عليه سوى أربعة دراهم فضة في اليوم يخرجها فيما يحتاجه من ضروري عيشه . ولم يكن معنياً بهيئة ولا منزل ولا مكسب . ويذكر انه كان يتغذى بماء قلوب الحملان مع الخمر الريحاني فقط . ويذكر انه كان في أول امره قاضياً فلما شعر بالمعارف نبذ ذلك ، واقبل بكلية على تعلمها ، ولم يسكن الى نحو من امور الدنيا البتة . ويذكر انه كان يخرج الى الحراس بالليل من منزله يستضيء بمصابيحهم فيما يقرؤه . وكان في علم صناعة الموسيقى وعملها قد وصل الى غاياتها وأتقنها اتقاناً لا مزيد عليه . ويذكر انه صنع آلة غريبة يستمع منها الحاناً بديعة يحرك بها الانفعالات . ويذكر ان سبب قراءته الحكمة ان رجلاً اودع عنده جملة من كتب ارسطوطاليس ، فاتفق ان نظر فيها فوافقت منه قبولاً وتحرك الى قراءتها ولم يزل الى ان اتقن فهمها وأصار فيلسوفاً بالحقيقة .

ونقلت من كلام لابي نصر الفارابي في معنى اسم الفلسفة قال : اسم الفلسفة يوناني وهو دخيل في العربية ، وهو على مذهب لسانهم فيلسوفاً ومعناه ايشار الحكمة . وهو في لسانهم مركب من فيلا ومن سوفيا ، ففيلا الايشار وسوفيا الحكمة . والفيلسوف مشتق من الفلسفة ، وهو على مذهب لسانهم فيلسوفوس . فان هذا التغيير هو تغيير كثير من الاشتقاقات عندهم ، ومعناه المؤثر للحكمة . والمؤثر للحكمة عندهم هو الذي يجعل الوجدان^(١) من حياته وغرضه من عمره الحكمة . وحكى ابو نصر الفارابي في ظهور الفلسفة ما هذا نصه قال : ان أمر الفلسفة اشتهر في أيام ملوك اليونانيين ، وبعد وفاة ارسطوطاليس بالاسكندرية الى آخر أيام المرأة . وانه لما توفي بقي التعليم بحاله فيها الى ان ملك ثلاثة عشر ملكاً ، وتوالى في مدة ملكهم من معلمي الفلسفة اثنا عشر معلماً أحدهم المعروف باندرونيقوس . وكان آخر هؤلاء الملوك المرأة فغلبها أوغسطس الملك من أهل رومية ، وقتلها واستحوذ على الملك . فلما استقر له نظر في خزائن الكتب وصنعها ، فوجد فيها نسخاً لكتب ارسطوطاليس قد نسخت في أيامه وأيام ثاوفرسطس ، ووجد المعلمين والفلاسفة قد عملوا كتباً في المعاني التي عمل فيها ارسطو . فامر أن تنسخ تلك الكتب التي كانت نسخت في أيام ارسطو وتلاميذه ، وان يكون التعليم منها ، وان ينصرف عن الباقي . وحكم اندرونيقوس في تدبير ذلك ، وأمره ان ينسخ نسخاً يحملها معه الى رومية ونسخاً يبقونها في موضع التعليم بالاسكندرية ، وأمره ان يستخلف معلماً يقوم مقامه بالاسكندرية ويسير معه الى رومية . فصار التعليم في موضعين وجرى الامر على ذلك الى ان جاءت النصرانية فبطل التعليم من رومية ، وبقي بالاسكندرية الى ان نظر ملك النصرانية في ذلك ، واجتمعت الاساقفة وتشاوروا فيما يترك من هذا التعليم وما يبطل . فرأوا ان يعلم من كتب المنطق الى آخر الاشكال الوجودية ، ولا يعلم ما بعده ، لانهم رأوا ان في ذلك ضرراً على النصرانية ، وان فيما أطلقوا تعليمه ما يستعان به على نصرته دينهم فبقي الظاهر من التعليم هذا المقدار ، وما ينظر فيه من الباقي مستوراً الى ان كان الاسلام بعده بمدة طويلة فانتقل التعليم من الاسكندرية الى انطاكية ، وبقي بها زمناً طويلاً الى ان بقي معلم واحد فتعلم منه رجلاً وخرجوا ومعها الكتب ، فكان أحدهما من أهل حران والآخر من أهل مرو . فأما الذي من أهل مرو

(١) المراد والوجدان .

فتعلم منه رجلان أحدهما ابراهيم المروزي والآخر يوحنا بن حيلان . وتعلم من الحراني اسرائيل الاسقف وقويري وسار الى بغداد فتشاغل ابراهيم بالدين ، وأخذ قويري في التعليم واما يوحنا بن حيلان فانه تشاغل أيضاً بدينه وانحدر ابراهيم المروزي الى بغداد فأقام بها . وتعلم من المروزي متى ابن يوثان ، وكان الذي يتعلم في ذلك الوقت الى آخر الاشكال الوجودية .

وقال أبو نصر الفارابي عن نفسه انه تعلم من يوحنا بن حيلان الى آخر كتاب البرهان . وكان يسمى ما بعد الاشكال الوجودية الجزء الذي لا يقرأ الى ان قرئ ذلك ، وصار الرسم بعد ذلك حيث صار الامر الى معلمي المسلمين ان يقرأ من الاشكال الوجودية الى حيث قدر الانسان ان يقرأ . فقال أبو نصر انه قرأ الى آخر كتاب البرهان .

وحدثني عمي رشيد الدين أبو الحسن علي بن خليفة رحمه الله : ان الفارابي توفي عند سيف الدولة بن حمدان في رجب سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ، وكان أخذ الصناعة عن يوحنا بن حيلان ببغداد في ايام المقتدر ، وكان في زمانه أبو المبشر متى بن يوثان وكان أسن من أبي نصر ، وأبو نصر أحد ذهنا وأعذب كلاماً . وتعلم أبو المبشر متى من ابراهيم المروزي وتوفي أبو المبشر في خلافة الرازي فيما بين سنة ثلاث وعشرين الى سنة تسع وعشرين وثلثمائة . وكان يوحنا بن حيلان وابراهيم المروزي قد تعلموا جميعاً من رجل من اهل مرو .

وقال الشيخ أبو سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني ، في تعاليقه ان يحيى بن عدي أخبره ان متى قرأ ايساغوجي على انسان نصراني وقرأ قاطيفورياس بارمينيادس على انسان يسمى روبيل ، وقرأ كتاب القياس على أبي يحيى المروزي . (وقال) القاضي صاعد بن أحمد بن صاعد في كتاب التعريف بطبقات الامم: ان الفارابي اخذ صناعة المنطق عن يوحنا بن حيلان المتوفي بمدينة السلام في ايام المقتدر فبذ جميع أهل الاسلام فيها ، وأربى عليهم في التحقق بها . فشرح غامضها ، وكشف سرها ، وقرب تناولها ، وجمع ما يحتاج اليه منها في كتب صحيحة العبارة ، لطيفة الاشارة ، منبهة على ما أغفله الكندي وغيره من صناعة التحليل والنحاء التعاليم . ووضح القول فيها عن مواد المنطق الخمس ، وافاد وجوه الانتفاع بها ، وعرف طرق استعمالها ، وكيف تصرف صورة القياس في كل مادة منها . فجاءت كتبه في ذلك الغاية الكافية ، والنهائية الفاضلة . ثم له بعد هذا كتاب شريف في احصاء العلوم والتعريف بأغراضها لم يسبق اليه ، ولا ذهب احد مذهب فيه . لا يستغني طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به ، وتقديم النظر فيه . وله كتاب في اغراض فلسفة افلاطون ، وارسطوطاليس يشهد له بالبراعة في صناعة الفلسفة والتحقق بفنون الحكمة ، ودوا أكبر عون على تعلم طريق النظر ، وتعرف وجه الطلب اطلع فيه على اسرار العلوم وثمارها علماً علماً ، وبين كيف التدرج من بعضها الى بعض شيئاً شيئاً . ثم بدأ بفلسفة افلاطون فعرف بفرضه منها ، وسمى تأليفه فيها . ثم اتبع ذلك بفلسفة ارسطوطاليس فقدم له مقدمة جلية ، عرف فيها بتدرجه الى الفلسفة . ثم بدأ بوصف اغراضه في تأليفه المنطقية والطبيعية كتاباً كتاباً ، حتى انتهى به القول في النسخة الواصلة الينا الى اول العلم الالهي والاستدلال بالعلم الطبيعي عليه . ولا اعلم كتاباً اجدى على طالب الفلسفة منه فانه يعرف

بالمعاني المشتركة لجميع العلوم والمعاني المختصة بعلم منها . ولا سبيل الى فهم معاني قاطيعورياس وكيف هي الاوائل الموضوعة لجميع العلوم الا منه . ثم له بعد هذا في العلم الالهي وفي العلم المدني كتابان لا نظير لهما ، احدهما المعروف بالسياسة المدنية ، والآخر المعروف بالسيرة الفاضلة عرف فيها يجمل عظمة من العلم الالهي على مذهب ارسوطاليس في مبادئ الستة الروحانية ، وكيف يؤخذ عنها الجواهر الجسمانية على ما هي عليه من النظام واتصال الحكمة . وعرف فيها بمراتب الانسان وقواد النفسانية وفرق بين الوحي والفلسفة ، ووصف اصناف المدن الفاضلة وغير الفاضلة ، واحتياج المدينة الى السيرة الملكية والنواميس النبوية .

أقول : وفي التاريخ ان الفارابي كان يجتمع بأبي بكر بن السراج^(١) فيقرأ عليه صناعة النحو وابن السراج يقرأ عليه صناعة المنطق . وكان الفارابي ايضاً يشعر . وسئل ابو نصر : من اعلم انت ام ارسطو ؟ فقال : لو ادركته لكنت اكبر تلاميذه . ويذكر عنه انه قال : قرأت السماع لارسطو اربعين مرة ، وارى اني محتاج الى معاودته . وهذا دعاء لابي نصر الفارابي قال : اللهم اني اسألك يا واجب الوجود ، يا علة العلل ، قديماً لم يزل ، ان تعصمني من الزلل ، وان تجعل لي من الامل ما ترضاه لي من عمل . اللهم امنحني ما اجتمع من المناقب ، وارزقني في اموري حسن العواقب . نجح مقاصدي والمطالب ، يا إله المشارق والمغارب . رب الجوار الكنس السبع التي انبجست عن الكون انبجاس الأهر ، هنّ الفواعل عن مشيئته التي عمت فضائلها جميع الجوهر . اصبحت أرجو الخير منك وأمتري زحلاً ونفس عطارد والمشتري . اللهم البسني حلل البهاء ، وكرامات الانبياء ، وسعادة الاغنياء ، وعلوم الحكماء ، وخشوع الاتقياء . اللهم انقذني من عالم الشقاء والفناء واجعلني من اخوان الصفاء ، واصحاب الوفاء ، وسكان السماء ، مع الصديقين والشهداء . انت الله الاله الذي لا إله الا انت ، علة الاشياء ، ونور الارض والسماء . امنحني فيضاً من العقل الفعال ، يا ذا الجلال والافضال ، هذب نفسي بانوار الحكمة ، واوزعني شكر ما اوليتني من نعمة ، أرني الحق حقاً والهمني اتباعه ، والباطل باطلاً واحرمني اعتقاده واستماعه ، هذب نفسي من طينة الهوى انك انت العلة الاولى

يا علة الاشياء جمعا والذي	كانت به عن فيضه المتفجر
رب السموات الطباق ومركز	في وسطهن من الثرى والأبحر
اني دعوتك مستجيراً مذنباً	فاعفر خطيئة مذنب ومقصر
هذب بفيض منك رب الكل من	كدر الطبيعة والعناصر عنصري

(الكامل)

اللهم ، رب الاشخاص العلوية ، والاجرام الفلكية ، والارواح السماوية ، غلبت على عبدك الشهوة البشرية ، وحب الشهوات والدنيا الدنية . فاجعل عصمتك مجني من التخليط ، وتقواك حصني من

(١) من علماء وأئمة النحو المشهورين واليه انتهت الرئاسة في النحو بعد المبرد ، وكتابه الاصول الكبيرة المرجع عند اضطراب العمل . وجمع فيه اصول علم العربية .

التفريط ، انك بكل شيء محيط . اللهم انفذني من اسر الطبائع الاربع ، وانقلني الى جناتك الاوسع وجوارك الارفع . اللهم ، اجعل الكفاية سبباً لقطع مذموم العلائق التي بيني وبين الاجسام القرابية ، والهموم الكونية واجعل الحكمة سبباً لاتحاد نفسي بالعوالم الالهية ، والارواح السماوية . اللهم طهر بروح القدس الشريفة نفسي وأثر بالحكمة البالغة عقلي وحسي ، واجعل الملائكة بدلاً من عالم الطبيعة أنسي . اللهم ، ألهمني الهدى ، وثبت إيماني بالتقوى ، وبغض الى نفسي حب الدنيا . اللهم ، قوّ ذاتي على قهر الشهوات الفانية ، وألحق نفسي بمنازل النفوس الباقية ، واجعلها من جملة الجواهر الشريفة الغالية ، في جنات عالية . سبحانك اللهم سابق الموجودات التي تنطق بالسنة الحال والمقال ، إنك المعطي كل شيء منها ما هو مستحقه بالحكمة ، وجاعل الوجود لها بالقياس الى عدمها نعمة ورحمة . فالذوات منها والاعراض مستحقة بآلائك ، شاكرة فضائل نعمائك ، وان من شيء إلا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم . سبحانك اللهم وتعاليت ، انك الله الاحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً احد . اللهم ، انك قد سجنّت نفسي في سجن من العناصر الاربعة ، ووكلت بافتراسها سباعاً من الشهوات . اللهم ، جد لها بالمصمة ، وتعطف عليها بالرحمة التي هي بك أليق ، وبالكرم الفائض الذي هو منك أجد وأخلق ؛ وامنن عليها بالتوبة العائدة بها الى عالمها السماوي ؛ وعجل لها بالاوبة الى مقامها القدسي ؛ واطلع على ظلماتها شمساً من العقل الفعال ؛ وامط عنها ظلمات الجهل والضلال ، واجعل ما في قواها بالقوة كامناً بالفعل ؛ واخرجها من ظلمات الجهل الى نور الحكمة رضاء العقل . الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور . اللهم ، أر نفسي صور الغيوب الصالحة في منامها ، وبدلها من الاضغاث برويا الخيرات والبشرى الصادقة في احلامها ؛ وطهرها من الاوساخ التي تأثرت بها عن محسوساتها واوهامها ؛ وأمط عنها كدر الطبيعة ؛ وانزلها في عالم النفوس المنزلة الرفيعة . الله الذي هداني وكفاني وآواني .

ومن شعر ابي نصر الفارابي قال

لما رأيت الزمان نكسا	وليس في الصحبة انتفاع
كل رئيس به ملال	وكل رأس به صداع
لزمت بيتي وصنت عرضاً	به من العزة اقتناع
أثرّب مما اقتنيت راحا	لها على راحتي شعاع
لي من قواريرها ندامي	ومن قراقيرها سماع
واجتني من حديث قوم	قد أقفرت منهم البقاع

(البسيط)

وقال ايضاً :

اخني خل حَيِّز ذي باطل	وكن للحقائق في حيز
فما الدار دار خلود لنا	ولا المرء في الارض بالمعجز
وهل نحن الا خطوط وقعن	على كرة وقع مستوفز

ينافس هذا لهذا على أقل من الكلم الموجز
يحيط السموات اولى بعنا فكم ذا التزاحم في المركز
(المتقارب)

ولاي نصر الفارابي من الكتب: شرح كتاب المجسطي لبطليموس. شرح كتاب البرهان لارسطوطاليس،
شرح كتاب الخطابة لارسطوطاليس، شرح المقالة الثانية والثامنة من كتاب الجدل لارسطوطاليس .
شرح كتاب المغالطة لارسطوطاليس . شرح كتاب القياس لارسطوطاليس ، وهو الشرح الكبير. شرح
كتاب بارمينياد لارسطوطاليس على جهة التعليق. شرح كتاب المقولات لارسطوطاليس على جهة التعليق. كتاب
المختصر الكبير في المنطق. كتاب المختصر الصغير في المنطق على طريقة المتكلمين. كتاب المختصر الاوسط في
القياس. كتاب التوطئة في المنطق. شرح كتاب ايساغوجي لفرفوروس. املاء في معاني ايساغوجي. كتاب
القياس الصغير ، ووجد كتابه هذا مترجماً بخطه . احصاء القضايا والقياسات التي تستعمل على العموم
في جميع الصنائع القياسية . كتاب شروط القياس . كتاب البرهان . كتاب الجدل . كتاب المواضع
المنتزعة من المقالة الثامنة في الجدل . كتاب المواضع المغلطة . كتاب اكتساب المقدمات وهي
المساة بالمواضع وهي التحليل . كلام في المقدمات المختلطة من وجودي وضروري . كلام في الخلاء
صدر لكتاب الخطابة . شرح كتاب السماع الطبيعي لارسطوطاليس على جهة التعليق . شرح كتاب
السماء والعالم لارسطوطاليس على جهة التعليق . شرح كتاب الآثار العلوية لارسطوطاليس على جهة
التعليق . شرح مقالة الاسكندر الافروديسي في النفس على جهة التعليق . شرح صدر كتاب الاخلاق
لارسطوطاليس . كتاب في النواميس . كتاب احصاء العلوم وترتيبها . كتاب الفيلسفين لفلان
وارسطوطاليس مخروم الآخر . كتاب المدينة الفاضلة والمدينة الجاهلة والمدينة الفاسقة والمدينة المبدلة
والمدينة الضالة ، ابتداء بتأليف هذا الكتاب ببغداد ، وحمله الى الشام في آخر سنة ثلاثين وثلثمائة ،
وقمه بدمشق في سنة احدى وثلاثين وثلثمائة ، وحرره ثم نظر في النسخة بعد التحرير فأثبت فيها
الأبواب . ثم سأله بعض الناس ان يجعل له فصولا تدل على قسمة معانيه فعمل الفصول بمصر في سنة
سبع وثلاثين ، وهي ستة فصول . كتاب مبادي آراء المدينة الفاضلة . كتاب الالفاظ والحروف .
كتاب الموسيقى الكبير ، ألفه الوزير أبي جعفر محمد بن القاسم الكرخي . كتاب في احصاء الايقاع .
كلام له في النقلة مضافاً الى الايقاع . كلام في الموسيقى . مختصر فصول فلسفية منتزعة من كتب
الفلاسفة . كتاب المبادئ الانسانية. كتاب الرد على الرازي في العلم الالهي. كتاب الرد على جالينوس
فيما تأوله من كلام ارسطوطاليس على غير معناه . كتاب الرد على ابن الراوندي في ادب الجدل .
كتاب الرد على يحيى النحوي فيما رد به على ارسطوطاليس . كتاب الرد على الرازي في العلم الالهي .
كتاب الواحد والوحدة . كلام له في الحيز والمقدار . كتاب في العقل صغير . كتاب في العقل كبير .
كلام له في معنى اسم الفلسفة . كتاب الموجودات المتغيرة الموجود بالكلام الطبيعي . كتاب شرائط
البرهان . كلام له شرح المستعلق من مصادرة المقالة الاولى والخامسة من اقليدس . كلام في اتفاق آراء
أبقراط وأفلاطون . رسالة في التنبيه على اسباب السعادة . كلام في الجزء وما لا يتجزأ .

كلام في اسم الفلسفة وسبب ظهورها واسماء المبرزين فيها وعلى من قرأ منهم . كلام في الجن . كلام في الجوهر . كتاب في الفحص المدني . كتاب السياسات المدنية ويعرف بمبادئ الموجودات . كلام في الملة والفقه مدني ، كلام جمعه من اقاويل النبي صلى الله عليه وسلم يشير فيه الى صناعة المنطق . كتاب في الخطابة كبير ، عشرون مجلداً . رسالة في قواد الجيوش . كلام في المعاش والحروب . كتاب في التأثيرات العلوية . مقالة في الجهة التي يصح عليها القول بأحكام النجوم . كتاب في الفصول المنزعة للاجتماعات . كتاب في الحيل والنواميس . كلام له في الرؤيا . كتاب في صناعة الكتابة . شرح كتاب البرهان لارسطوطاليس على طريق التعليق ، املاه على ابراهيم بن عدي قلبيذ له بحلب . كلام له في العلم الالهي . شرح المواضع المستغلفة من كتاب قاطيغورياس لارسطوطاليس ويعرف بتعليقات الحواشي . كلام في اعضاء الحيوان . كتاب مختصر جميع الكتب المنطقية . كتاب المدخل الى المنطق .

كتاب التوسط بين ارسطوطاليس وجالينوس . كتاب غرض المقولات . كلام له في الشعر والقوافي . شرح كتاب العبارة لارسطوطاليس على جهة التعليق . تعاليتي على كتاب القياس . كتاب في القوة المتناهية وغير المتناهية . تعليق له في النجوم . كتاب في الاشياء التي يحتاج ان تعلم قبل الفلسفة . فصول له مما جمعه من كلام القدماء . كتاب في اغراض ارسطوطاليس في كل واحد من كتبه . كتاب المقاييس . مختصر كتاب الهدى . كتاب في اللغات . كتاب في الاجتماعات المدنية . كلام في ان حركة الفلك دائمة . كلام فيما يصلح ان يذم المؤدب . كلام في المعاليتي والجون وغير ذلك . كلام في لوازم الفلسفة . مقالة في وجوب صناعة الكيمياء والرد على مبطلتها . مقالة في اغراض ارسطوطاليس في كل مقالة من كتابه الموسوم بالحروف ، وهو تحقيق غرضه في كتاب ما بعد الطبيعة . كتاب في الدعاوي المنسوبة الى ارسطوطاليس في الفلسفة مجردة عن بياناتها وحججها . تعاليتي في الحكمة . كلام املاه على سائل سأل عن معنى ذات ومعنى جوهر ومعنى طبيعة . كتاب جوامع السياسة مختصر . كتاب بايرمينياس لارسطوطاليس . كتاب المدخل الى الهندسة الوهمية ، مختصراً . كتاب عيون المسائل على رأي ارسطوطاليس ، وهي مائة وستون مسألة . جوابات لمسائل سئل عنها وهي ثلاث وعشرون مسألة . كتاب اصناف الاشياء البسيطة التي تنقسم اليها القضايا في جميع الصنائع القياسية . جوامع كتاب النواميس لفلاطون . كلام من املائه وقد سئل عما قال ارسطوطاليس في الحار . تعليقات اناطوطيقا الاولى لارسطوطاليس ، كتاب شرائط اليقين . رسالة في ماهية النفس . كتاب السماع الطبيعي .

عيسى الرقي

كان طبيباً مشهوراً في أيامه ، عارفاً بالصناعة الطبية حق معرفتها . وله أعمال فاضلة ومعالجات بديعة ، وكان في خدمة سيف الدولة بن حمدان ومن جملة أطبائه . وقال عبيد الله بن جبرئيل ، حدثني

من اتق بقوله : ان سيف الدولة كان اذا أكل الطعام حضر على مائدته أربعة وعشرون طبيباً . قال : وكان فيهم من يأخذ رزقين لاجل تعاطيه علمين ، ومن يأخذ ثلاثة لتعاطيه ثلاثة علوم ، وكان من جلتهم عيسى الرقي المعروف بالتفليسي . وكان ملتح بالطريقة ، وله كتب في المذهب وغيرها . وكان ينقل من السرياني الى العربي ويأخذ أربعة أرزاق : رزقاً بسبب الطب ، ورزقاً بسبب النقل ، ورزقين بسبب علمين آخرين .

اليبرودي

هو أبو الفرج جورجس بن يوحنا بن سهل بن ابراهيم ، من النصارى اليعاقبة ، وكان فاضلاً في صناعة الطب عالماً باصولها وفروعها معدوداً من جملة الأكابر من اهلها والمتمرنين من أربابها ، دائم الاشتغال ، محباً للعلم ، مؤثراً للفضيلة .

حدثني شرف الدين بن عنين رحمه الله . ان اليبرودي كان لا يمل الاشتغال ولا يسأم منه . قال : وكان أبداً سائر اوقاته لا يوجد إلا معه كتاب ينظر فيه .

حدثني أحد النصارى بدمشق ، وهو السني البعلبكي الطبيب قال : كان مولد اليبرودي ومنشؤه في صدر عمره ببيروت^(١) ، وهي ضيعة كبيرة قريبة من صيدنايا^(٢) وبها نصارى كثير . وكان اليبرودي بها كسائر أهلها النصارى من معاناتهم الفلاحة وما يصنعه الفلاحون . وكان أيضاً يجمع الشيوخ^(٣) من نواحي دمشق القريبة من جهته ويحمله على دابة ويأتي به الى داخل دمشق يبيعه للذين يقدونه في الافران وغيرها . وانه لما كان في بعض المرات ، وقد عبر من باب توما^(٤) بدمشق ومعه حمل شيخ ، رأى شيخاً من المتطببين ، وهو يفصد انساناً قد عرض له رعا ف شديد من الناحية المسامطة للموضع الذي ينبعث منه الدم فوقف بنظر اليه ، ثم قال له : لم تقصد هذا ودمه يجري من أنفه باكثر مما يحتاج اليه بالفصد ؟ ففرقه ان ذلك انما يفعله لينقطع الدم الذي ينبعث من أنفه ، لكونه يحتدبه الى مسامطة الجهة التي ينبعث منها . فقال له : اذا كان الامر على ما تقول فانتا في مواضعنا قد اعتدنا انه متى كان نهر جار ، وأردنا ان نقطع الماء عنه فانتا نجعل له مسيلاً الى ناحية اخرى مسامطة له فينقطع من ذلك الموضع ويعود الى الموضع الآخر ، فأنت لم لا تفعل هكذا أيضاً وتقصده من الناحية الاخرى ؟ ففعل ذلك وانقطع الرعا ف عن الرجل . وان ذلك الطبيب لما رأى من اليبرودي حسن نظر فيما سأل عنه ، قال له : لو انك تشتغل بصناعة الطب جاء منك طبيب جيد . فقال اليبرودي الى قوله ، وتاقت نفسه الى العلم ، وبقي متردداً الى الشيخ في اوقات ، وهو يعرفه ويريه أشياء من المداواة .

(١) قرية في سوريا - قضاء النبك - وهي من قرى جبل قلمون .

(٢) قرية في شمالي دمشق شهيرة بدير السيدة .

(٣) نبت سبلي له رائحة طيبة وهو مر الطعم .

(٤) احد ابواب دمشق .

ثم انه ترك يبرود وما كان يعانيه ، وأقام بدمشق يتعلم صناعة الطب . ولما تبصر في أشياء منها ، وصارت له معرفة بالقوانين العلمية ، وحاول مداواة المرضى ، ورأى اختلاف الامراض وأسبابها وعلاماتها ، وتفنن معالجاتها ، وسأل عن هو إمام في وقته بمعرفة صناعة الطب والمعرفة بها جيداً . فذكروا له ان ببغداد أبا الفرج بن الطبيب كاتب الجائليق ، وانه فيلسوف متفنن ، وله خبرة وفضل في صناعة الطب وفي غيرها من الصنائع الحكيمة . فتأهب للسفر وأخذ سواراً كان لاهمه لنفقته . وتوجه الى بغداد وصار ينفق عليه ما يقوم بأوده ويشغل على ابن الطبيب الى ان مهر في صناعة الطب وصارت له مباحثات جيدة ، ودراية فاضلة في هذه الصناعة . واشتغل أيضاً بشيء من المنطق والعلوم الحكيمة . ثم عاد الى دمشق واقام بها .

ونقلت أيضاً قريباً من هذه الحكاية المتقدمة ، وان كانت الرواية بينها مختلفة ، عن شيخنا الحكيم مذهب الدين عبد الرحيم بن علي قال : حدثني موفق الدين أسعد بن الياس بن المطران قال : حدثني أبي قال : حدثني أبو الفرج بن الحديد قال : حدثني أبو الكرم الطبيب ، عن أبيه أبي الرجاء ، عن جده قال : كان بدمشق فاصد يقال له أبو الخير ، ولم يكن من المهرة ، فكان من امره ان فصد شاباً فوقعت الفصدة في الشريان فتحير وتبلد ، وطلب قطع الدم فلم يقدر على ذلك ، فاجتمع الناس عليه . وفي اثناء ذلك اطلع صبي عليه فقال : يا عماء افصده في اليد الاخرى ، فاستراح الى كلامه وفصده من يده الاخرى . فقال : شد الفصد الاول . فشده ووضع لازوقاً كان عنده عليه ، وشده فوقف جرية الدم . ثم مسك الفصدة الاخرى فوقف الدم وانقطع الجميع . ووجد الصبي يسوق دابة عليها حل شيخ فلتشبث به وقال : من أين لك ما أمرتني به ؟ قال : أنا ارى أبي في وقت سقي الكرم ، اذا انفتح شق من النهر ، وخرج الماء منه بمجة لا يقدر على امساكه دون أن يفتح فتحة آخر ، ينقص به الماء الاول الواصل الى ذلك الشق ، ثم يسده بعد ذلك . قال : فمنه الجرائحي من بيع الشيخ واقتطعه ، وعلمه الطب فكان منه اليرودي من مشاهير الاطباء الفضلاء .

اقول : وكانت لليبرودي مراسلات الى ابن رضوان بمصر والى غيره من الاطباء المصريين ، وله مسائل عدة اليهم طبية ومباحثات دقيقة . وكتب بخطه شيئاً كثيراً جداً من كتب الطب ، ولا سيما من كتب جالينوس وشروحها وجوامعها .

وحدثني أيضاً السني البعلبي : ان اليرودي عبر يوماً في سوق جيرون بدمشق ، فرأى انساناً وقد بايع على ان يأكل ارطالا من لحم فرس مسلوق بما يباع في الاسواق ، فلما رآه وقد امعن في أكله باكثر مما يحتمله قواه ، ثم شرب بعده فقاعاً كثيراً وماء بثلج واضطربت احواله تفرس فيه انه لا بد ان يغمى عليه ، وان يبقى في حالة يكون الموت أقرب اليه ان لم يتلاحق ، فتبعه الى المنزل الذي له واستشرف الى ماذا يؤول أمره . فلم يكن الا أيسر وقت ، وأهله يصيحون ويضجون بالبكاء ويزعمون انه قد مات فأتى اليهم وقال : انا ابرئه وما عليه بأس . ثم انه أخذه الى حمام قريب من ذلك الموضع وفتح فكبه كرهاً بشيء ، ثم سكب في حلقه ماء مغلياً وقد أضاف اليه ادوية مقيئة ، ولافي الغاية ، وقيأه برفق . ثم عاجله وتلطف في مداواته حتى أفاق وعاد الى صحته . فتعجب

الناس منه في ذلك الفعل وحسن تأتيه الى مداواة ذلك الرجل ، واشتهرت عنه هذه القضية ، وتميز بعدها .

اقول : وهذه الحكاية التي قصد اليرودي ان يتبع أحوال ذلك الرجل فيها ويشاهد ما يكون من أمره ان يكون عنده من ذلك معرفة بالاعراض التي تحدث له ، وان ينقذه أيضاً بما وقع فيه ان امكنه معالجته ومعالجته . ومثل ذلك أيضاً ما حكاه ابو جعفر أحمد بن محمد بن أبي الاشعث رحمه الله في كتاب الغاذي والمغتذي ، وذلك انه قال : ان انساناً رأيته يوماً وقد بايع ان يأكل جزراً قدره بحد ما ، فحضرت اكله لارى ما يكون من حاله ، لا رغبة مني لمجالسة من هذه حاله ، ولا لان لي بذلك عادة والله الحمد ؛ بل لارى ايراد الغذاء على المعدة قسراً الى ماذا يؤول هذا الفعل فرأيت ان ياكل من حائط ليرى من حوله ويضاحكهم ، حتى اذا مر على الاكثر بما كان بين يديه رأيت الجزر مضوغاً قد خرج من حلقه ملتفاً متجلبلاً متعجبناً بريقه ؛ وقد جحظت عيناه ، وانقطع حسه ، واحمر لونه ، ودرت وداجاه وعروق رأسه ، واريد وكمد وجهه ، وعرض له من التهوع أكثر مما عرض له من القذف ، حتى رمى من ذلك الذي أكله شيئاً كثيراً . فزكنت ^(١) ان انقطاع نفسه لدفع المعدة حجابها الى نحو الفم ومنعها اياه من الرجوع الى الانبساط للتنفس . وأما ما عرض للونه من الاحمرار ودرور وداجيه وعروقه فزكنت انه لاقبال الطبيعة نحو رأسه ، كما يعرض لمن شدت يده للفصد ان تقبل الطبيعة نحو الجهة التي استنهضت نحوها . وأما ما عرض بعد ذلك لوجهه من الاربداد والكودة فزكنت أيضاً انه لسوء مزاج قلبه ، وانه لو لم يخرج ما خرج ، ودافعت المعدة حجابها هذه المدافعة التي قد عاقته البتة عن التنفس ، عرض له الموت بالاختناق . كما قد رأينا ذلك في عدد كثير ماتوا بعقب القذف . وأما ما عرض له من التهوع اكثر مما عرض له من القذف فزكنت من ذلك ان التهوع لشدة اضطراب المعدة . قال ابن أبي الاشعث بعد ذلك ان الغذاء اذا حصل في المعدة وهو كثير الكمية تمددت تمداً يبسط سائر عضونها ، كما رأيت ذلك في سبع شريحته حياً بمحضرة الامير الفضنفر ، وقد استصغر بعض الحاضرين معدته فتقدمت بصب الماء في فيه ، فما زلنا نصب في حلقه دورقاً بعد آخر حتى عدنا من الدوارق عدداً كان مقدار ما حوت نحو أربعين رطلاً ماء ، فنظرت اذ ذاك الى الطبقة الداخلة ، وقد امتدت حتى صار لها سطح مستو ليس بدون استواء الخارج ، ثم شققناها فلما اجتمعت عند خروج الماء منها عاد عضون الداخلة والبواب يشهد الله في جميع ذلك لا يرسل نفسه

وحدثني الشيخ مهذب الدين عبد الرحيم بن علي قال : حدثني موفق الدين اسعد بن الياس بن المطران قال : حدثني أبي ، عن خالي أبي الفرج بن حيان قال : حدثني أبو الكرم الطبيب قال : حدثني أبي ، عن أبيه قال : كنت يوماً اسير الشيخ أبا الفرج اليرودي اذ اعترضه رجل فقال : يا سيدي كنت في صناعتك هذه في الحمام ، وحلقت رأسي وأجد الآن في وجهي كله انتفاخاً وحرارة عظيمة . قال : فنظرنا الى وجهه فوجدناه يربو ويلتفخ وتزيد حرته بغير توقف ولا تدريج . قال :

(١) فطنت .

فأمره ان يكشف رأسه ويلقي به الماء الجاري من قناة كانت بين يديه ، وكان الزمان اذ ذاك صميم الشتاء وغاية البرد ، ثم لم يزل واقفاً حتى بلغ ما اراد بما أمر به . ثم أمر الرجل بالانصراف وأشار عليه بالوقوف له ، وهو تلطيف التدبير واستعمال التقوع الحامض مبرداً ، وقطع الزفر . قال : فامتنع ان يحدث له شراً ما .

وقال الطرطوشي ^(١) في كتاب سراج الملوك : حدثني بعض الشاميين ان رجلاً خبازاً بينا هو يخبز في تنوره بمدينة دمشق اذ عبر عليه رجل يبيع المشمش فاشتري منه ، وجعل يأكله بالخبز الحار فلما فرغ سقط مغشياً عليه . فنظروا فاذا هو ميت فجعلوا يتربصون به ويحملون له الاطباء فيلتمسون دلائله ، ومواضع الحياة منه . فلم يجدوا ، فقصوا بموته . فغسل وكفن وصلي عليه ، وخرجوا به الى الجبانة . فبينما هم في الطريق على باب البلد ، فاستقبلهم رجل طيب يقال له البرودي ، وكان طبيباً ماهراً حاذقاً عارفاً بالطب فسمع الناس يلهمجون بتقصيته ، فاستخبرهم عن ذلك فقصوا عليه قصته فقال : حطوه حتى اراه . فحطوه ، فجعل يقلبه ، وينظر في امارات الحياة التي يعرفها . ثم فتح فيه وسقاه شيئاً ، أو قال حقنه فاندفع ما هنالك فسيل ، فاذا الرجل قد فتح عينيه وتكلم وعاد كما كان الى حانوته .

وتوفي البرودي بدمشق في سنة (*) وأربعمائة ، ودفن في كنيسة اليعاقبة بها عند باب توما . حدثني الشيخ مذهب الدين عبد الرحيم بن علي عن موفق الدين أسعد بن الياس ابن المطران قال : حدثني خالي ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عبد الله ابن رجا بن يعقوب ، قال : حدثني ابن الكتاني ، وهو اذ ذاك متصرف في اعمال السلطان يومئذ بدمشق ، قال : بلغني ان أبا الفرج جورجس بن يوحنا البرودي لما توفي ظهر في تركته ثلثمائة مقطع رومي بحوم لباب واحد وخسمائة قطعة فضة الطفها ثلثمائة درهم . قال موفق الدين بن المطران : وليس ذلك بكثير لان الشخص متى تحققت اعماله وصفت نيته ، وطلب الحق ، وعامل الصحيح ، واجتهد في معرفة صناعته كان حقاً على الله تعالى ان يرزقه . ومتى كان بالضد عاش فقيراً ومات يائساً . والبرودي من الكتب : مقالة في ان الفرخ أبرد من الفروج . نقض كلام ابن الموفقي في مسائل ترددت فيما بينهم في النبض .

جابر بن منصور السكري

من اهل موصل ، وكان مسلماً ديناً ، عالماً بصناعة الطب ، من اكبر المميزين فيها . وكان قد لحق احمد بن ابي الأشعث وقرأ عليه . ثم لازم محمد بن ثواب تلميذ ابن ابي الأشعث وقرأ عليه ، وذلك في

(١) ابن ابي رداقه ولد في طرطوش - الاندلس - وتوفي في الاسكندرية (١٠٥٩ - ١١٢٦) فقيه زار مكتبة المدينة .
واقام في دمشق .
(*) بياض بالاصل .

نحو سنة ستين وثلثمائة . واشتهر بصناعة الطب واعمالها ، وعمر وكان اكثر مقامه بمدينة الموصل ،
وانما ابنه ظافر انتقل الى الشام وأقام بها .

ظافر بن جابر السكري

هو أبو حكيم ظافر بن جابر بن منصور السكري ، كان مسلماً فاضلاً في الصناعة الطبية ، متقناً
للعلم الحكيمة ، متعلّياً بالفضائل وعلم الادب ، محباً للاشتغال والتضلع بالعلوم . وكان قد لقي أبا الفرج
ابن الطيب ببغداد ، واجتمع به ، واشتغل معه . وكان ظافر بن جابر قد عمر مثل ابيه ، وكان
موجوداً في سنة اثنتين وثمانين واربعمئة وهو موصل ، وانما انتقل من الموصل الى مدينة حلب ، وأقام
بحلب الى آخر عمره . ومن خلفه جماعة مشغولين بصناعة الطب ومقامهم بحلب .

ومن شعره :

ما زلت أعلم أولاً في اول حق علمت بانني لا علم لي
ومن العجائب ان اكون جاهلاً من حيث كوني انني لا اجهل
(الكامل)

ولظافر بن جابر من الكتب: مقالة في ان الحيوان يموت مع ان الغذاء يخلف عوض ما يتحلل منه .

موهوب بن الظافر

هو ابو الفضل موهوب بن ظافر بن جابر بن منصور السكري . كان فاضلاً ايضاً في صناعة الطب ،
مشهوراً متميزاً . وكان مقيماً بمدينة حلب .

ولموهوب بن ظافر من الكتب : اختصار كتاب المسائل لحنين بن اسحق .

جابر بن موهوب

هو جابر بن موهوب بن ظافر بن جابر بن منصور السكري ، كان ايضاً مشهوراً في صناعة
الطب خبيراً بها . وأقام بحلب .

أبو الحكم

هو الشيخ الأديب الحكم عبيدالله بن المظفر بن عبدالله الباهلي الاندلسي المربي . كان
فاضلاً في العلوم الحكيمة ، متقناً للصناعة الطبية ، متعيناً في الادب ، مشهوراً بالشعر . وكان حسن
النادرة ، كثير المداعبة ، محباً للهو والخلاعة . وكثير من شعره يوجد مراثي في اقوام كلوا في زمانه
أحياء ، وانما قصد بذلك اللعب والجون . وكان محباً للشراب مدمناً له ، ويعاني الخيال ، وكان اذا

طرب يخرج في الخيال ويغني له :

يا صياد النحلة جاك العمل
فهم اخراج من بكرة هات العسل
وكان يعرف الموسيقى ، ويلعب بالعود ، ويجلس على دكان في جيرون للطب . ومسكنه في دار
الحجارة بالبادين ، وله مدائح كثيرة في بني الصوفي الذين كانوا رؤساء دمشق ، والمتحكين فيها ،
وذلك في أيام مجير الدين ابق^(١) بن محمد بن يوري بن أتابك طغتكين . . وسافر أبو الحكم الى بغداد
والبصرة وعاد الى دمشق ، وأقام بها الى حين وفاته . وتوفي رحمه الله لساعتين خلتما من ليلة الاربعاء
سادس ذي القعدة سنة تسع وأربعين وخمسائة بدمشق . وقال أبو الفضل بن الملحي ، وكتب بها الى
ابي الحكم في اثناء كتاب كتبه اليه شاكرأ لفعله :

إذا ما جرى الله امرأ بفعاله
هو الفيلسوف الفرد والفاضل الذي
يدبر تدبير المسيح مريضه
فينتاشني من قبضة الدهر بعدما
وبؤاني من رأيه خير معقل
وما زال يهديني الى كل منهج
يضيء سنا أفكارها فكأنها
وقام بأمرى اذ تقاعد اسرتي
وأنقض ظهري ما تحامل ثقله
وضم ولم يئن لجسمي شفاهه
فأصبح سلمي الدهر بعد حروبه

فجازى الاخ البر الحكيم أبا الحكم
أقر له بالحكمة العرب والعجم
فلو راءه أبقرط زلت به القدم
ألم بأنواع من الضر والألم
فبرأ من ضري وأبرا من السقم
بأراء مفضال له سنّها الكرم
شموس جلا اشراقها حنّس الظلم
مقام أبي في كرمي او مقام أم
وكل بي طرفاً اذا نمت لم ينم
فلولاه قد أصبحت لحماً على وضم^(٢)
عليه سلام الله ما أوردى السلم^(٣)
(الطويل)

وكان ابو الحكم يهاجي جماعة من الشعراء الذين كانوا في وقته ويهاجونه ، وللمرقة ، وهو أبو
الندي حسان بن نمير الكلبي ، يهجو أبا الحكم :

لنا طبيب شاعر أشتر^(٤)
ما عاد في صبيحة يوم فتى
أراحنا من شخصه الله
الا وفي باقيه رثاه
(السريع)

وقال ايضاً فيه :

يا عين سحي بدمع ساكب ودم
على الحكيم الذي يكتنى أبا الحكم

(١) آخر من حكم دمشق من امرة بنو يوري . وكان افرادها يلقبون اتابك .
(٢) الخشب التي يقطع الجزار عليها اللحم .
(٣) شجر من المضاء يدبغ به .
(٤) من كان جفن عينه منقلباً او منشقاً او مسترخياً من اسفله . (ن.ر)

قد كان لا رحم الرحمن شيبته
 شيخا يرى الصلوات الخمس نافلة
 ولا سقى قبره من صيب الديم
 ويستحل دم الحجاج في الحرم
 (البسيط)

أقول : وصف العرقلة لابي الحكم في هجوه إياه بأنه اشترى العين له سبب ، وهو ان أبا الحكم خرج ليلة وهو سكران من دار زين الملك أبي طالب بن الخياط فوقع فانشج وجهه ، فلما أصبح زاره الناس يسألونه كيف وقع فكتب هذه الابيات ، وتركها عند رأسه فكان اذا سأله انسان يعطيه الابيات يقرؤها

وقعت على رأسي وطارت عمامتي
 وقت وأسراب الدماء بلحيتي
 وضاع شمشوكي وانبطحت على الارض
 ووجهي ، وبعض الشر أهون من بعض
 ولا حيلة للرء فيما به يقضي
 اذا لم يكن سكر الى مثل ذا يقضي
 (الطويل)

واخذ المرأة فرأى الجرح في وجهه غائراً تحت الجفن بعد وقعته فقال :

ترك النبيذ يوجنتي
 ووقعت منبطحاً على
 جرحاً ككس النعجة
 ووجهي وطارت عمتي
 وبقيت منهتكاً فلو
 لا الليل بانت سوءتي
 وعلمت أن جميع ذ
 لك من تمام اللذة
 من لي بلخرى مثل تلك ولو بجلت اللحية
 (الكامل)

ومن شعر أبي الحكم، وديوان شعره هو روايتي عن الشيخ شمس الدين أبي الفضل المطواع الكحال، عن الحكيم أمين الدين أبي زكريا يحيى البياسي ، عن أبي الجعد ، عن والده أبي الحكم المذكور ، قال يمدح الرئيس مؤيد الدين أبا الفوارس بن الصوفي :

رقت لما بي إذ رأت أوصابي
 ما ضر يا ذات اللما الممنوع لو
 من هائم في حبكم متقنع
 ان تسعفي بالقرب منك فأنما
 لا تنكري ان بان صبري بعدكم
 فالصبر في كل المواطن دائماً
 هيات ان يصفو الهوى لتيتم
 ما لي وللحدق المراض تذييني
 وشكت فقصر وجدها عما بي
 داويت حر جوى ببرد رضاب
 بمرار طيف أو برد جواب
 تحين نفساً آذنت بذهاب
 واعتادني ولهي لعظم مصابي
 مستحسن الا عن الاحباب
 لا بد من شهد هناك وصاب
 أترى لحيني وكلت بعداني

وكذا العيون النجل قدما لم تزل
 ما لي وحظي لا يني متباعداً
 لولا رجاء أبي الفوارس لم أزل
 دعني أخبر بعض ما قد حاز من
 فلقد غدا فرضاً مديح مؤيد الدين
 من قيس عيلان نمته هوازت
 والبيت من أبناء صعصة سما
 منهم ليبد والطفيل وعامر
 وبنو ربيعة ان نسبت وخالد
 ورث العلا منهم بنو الصوفي اذ
 وحوى المسيب ما به افتخروا كما
 في ذروة الشرف الرفيع سما به
 واحل أنديّة المكارم ناشأ
 ما مفعم لجب طمى آذيه
 بأعم سيباً من نوال بنانه
 لليث صولته على أعدائه
 وله الى أشياعه وعداته
 يا دولة عقبى الندى والجود في
 بشجاعها وجهالها وبغزها
 حسي بما نسبوا اليه وان غدت
 اكرم بهم عرباً اذ افتخر الورى
 شادوا العلا بندق وعز باذخ
 قوم ترى لذوي النفاق لديهم
 يا أيها المولى الذي نعمائهم
 اني لأعلم أن برك بي غدا
 وتيقنت نفسي هناك بأنني
 لا زلت ترقى في المكارم دائماً

وقال ايضاً يمدح الرئيس جمال الدولة أبا الفنائم أخا المدوح :

سواء علينا هجرها ووصالها
 وما برحت ليلي تجود بوعدها
 ويطمعنا ميعادها في دنوها
 اذا نكثت يوماً ورثت حبالها
 ويمنع منا بذلها ونوالها
 ولا وصل الا أن يزور خيالها

أما منك الا عذرة وتعلل
سقام يحسمي من جفونك اصله
فان تسعفي صبا يكن لك أجره
وما ذكرتك النفس الا تفرقت
وما برحت تعتادني زفرة اذا
ومن عبرات لا يني الدهر كلما
تصدى الكرى عن مقلتي فتثني
وكيف يؤاتي النوم أو يطرق الكرى
اذا قلت أنساها على نأي دارها
ودوية ترددي المطايا تنوفة
قطعت بقتلاء الذراعين عرمس^(٦)
تؤم بنا ربع المسلم حيث لا
ولولا جمال الملك ما جثتها ولا
الى اسيرة لا يحمل الناس قدرها
اذا اشكلت دماء فالرأي رأيها
او اضطربت نار الوغى بكلماتها
تري لهم بأسا يقصر دونه
بأيديهم خطية يزنيّة
وبيض تقصد الدارعين صوارم
وهم يطعمون الضيف من قع الذرى
فما لبني الصوفي في الناس مشبه
سما لهم مجد قديم ورفعة
بني جعفر في العرب خير قبيلة
تقابل فيهم من سليم ذوابة
أيا ابن علي حزت أرفع رقبة
بك الدولة الغراء تزهى على الورى
ولو أنها أمست سناء ورفعة

لطال علينا عذرهما واعتلاها
وقوة عشق نقص جسمي كإلها
بقربك يا من شف جسمي زياها^(١)
وعاودها من بعد هدي ضلها
طمعت لها بالبرء راث^(٢) اندماها
دعا للهوى داع أجاب انا لها
دموع على الحدين يهمي انسجأها^(٣)
جفونا بقاء المقلتين اكتحأها
تصور في عيني وقلبي مثالا
يحار القطا فيها اذا خب^(٤) آها^(٥)
أمون^(٧) قواها غير باد كلاها
يخيب لها سعي وينعم بالها
ترامت صحاريها بنا ورمالها
ويحمد بين العالمين فعالها
وان راب^(٨) خطب فالمقال مقالها
وطال عليهم حميها واشتعالها
أسود الثرى قدامها ونزالها
تساقى بأكواب المنايا نهالها^(٩)
رهاف جلا الاطباع منها صقالها
اذا نأوت نكباء ريح شمالها
ذوي البأس والايدي المهاب مصالها^(١٠)
شديد عراها لا يخاف المحلالها
سما في نزار^(١١) فخرها واختيالها
كما قابلت يمني اليدين شمالها
اذا رامها من رامها لا ينالها
وحق لها اذ أنت فيها جمالها
سما علينا كنت انت هلالها

- (١) الفراق . (٢) أبطل . (ن.د)
(٣) انصبأها . (٤) صار خداعاً خبيثاً . (٥) سراها .
(٦) الناقة الصلبة الشديدة . (٧) الناقة الوثيقة الخلق . (٨) أعيا .
(٩) جمع ناهل وناهلة وهم الذين يشربون اول الورود . (١٠) قتالها ومصاولتها .
(١١) ابو قبيلة وهو نزار بن معد من اجداده (ص) . (ن.د)

وعاد عليهم بعد ذاك وبأهلها
بنعماءك ان فاءت علي ظلالها
لأنك عم المكرمات وخالها
فينكر منها ضعفها واختلالها
يروق اذا شان القوافي انتحاليها
ولا مدحة الا اليك مآلها
(الطويل)

اذا ما ذور الشحنة أموك خيبوا
سأظفر من دهري بارغد عيشة
فما لذوي الحاجات عنك تأخر
فدونكها كالدرد لا مستعارة
ولكن نتاج الفكر عذراء حسنها
فلا نعمة الا ومنك نوالها

وقال يمدح عز الدولة أخا مؤيد الدين :

وقصر عتابك عن عتب
ولم يقض من طرفيه أرب^(١)
مرور الليالي بها والحقب
اذا ما استدار عليها الحب^(٢)
لذيد المقبل عذب الشنب
أ ذى الحمر من خده تجتلب ؟
وهذا الصفاء لبنت العنب ؟
وموت الهموم يحيا الطرب
كريماً ينفس عنه الكرب
رويدك ما الناس فخر العرب
أمنت به حادثات النوب
سوى ما تضمن طي الكتب
وذكر فلواه لم يغترب
وفخر بأباء صدق نجيب
ه فرضاً على نفسه قد وجب
فقد قايس الدر بالختلب^(٣)
حوى بعض ما حازه قد كذب
كن فخره طارف مكسب
وعد مآثرها وانتسب
وتعطيه منها أجل الرتب
وسيطاً بأكرم أم وأب

دعا بك داعي الهوى فاستجب
فما العيش ان غيض ماء الشباب
وبكر معتقة زانها
كان على كأسها لؤلؤاً
يطوف بها بابلي اللحاظ
يقول الذي راقه حسنها :
والا فمن أين ذا الاحرار
بنات الكروم حياة الكروم
فقل للذي هم أنه يرى
أكل امرئ يرجى سيده^(٤)
جواد اذا انت وفيتته
فقد شاع من ذكره في الانام
ثناء تأرج منه البلاد
عفاف وحلم الى سؤدد
وفضل وبشر وجود يرا
فن قاسه بفتى عصره
ومن قال ان امرأ غيره
وليس الذي فخره تالد
اذا ذكر الصيد من عامر
تفاخر قيس به خندفا
ولا سيما ان غدا فيهم

(١) الحاجة . (٢) التفائيع التي تملو الحمر والماء . (٣) عطاؤه . (٤) المزيف الخنداع . (ن.ر)

من الجعفرين في باذخ من العز تنحط عنه الشهب
وعبدك يرغب في خلعة ومثلك تشريفه يحتسب
ليرفع ذلك من قدره وان كان قارب فيما طلب
ويشحن خاطره كلما اشرب الى مدحك وانتدب
قلي كلما ظفرت راحتي يحود المظفر أوفى أرب
ففي كل دولة أنت عز لها تنال الاماني بأدنى سبب
لأنك من معشر من يرد حياض مكارمهم لم يحب
وأعراضهم ابداً لم تزل تصان وأموالهم تنتهب
هنيئاً لك العيد فانغم به ودم ما بدا كوكب واحتجب
وما العيد أنت اذا ما حضرت سواء علينا نأى أو قرب
وان غيب الغيم عنا الهلال فلسنا نبالي اذا لم تغب
فدونكها حرة تجتلى يناديك قائلها من كذب
أفأك بها إثر تهذيبها حكيم تنخلها وانتخب
ولا خير في حكمة لا ترى مطرزة بفنوت الادب

ومن مطبوع قصائده الارجوزة التي وسما بمرة البيت، يذكر فيها ما ينال الانسان اذا عمل دعوة
للتدما من المضرة والغرامة وهي هذه :

معة^(١) البيت على الانسان تطرا بلا شك من الاخوان
فاصنع الى قول اخي تجريب يأتك بالشرح على ترتيب
جميع ما يحدث في الدعوات وكل ما فيها من الآفات
فصاحب الدعوة والمسره لا بد ان يحتمل المضرة
أولها لا بد من ثقل يكرهه القوم وذو تطفل
صاحبها ان قدم الطعاما يحتاج ان يحتمل الملاما
لو انه يندس في حرمة لا بد ان يشرعوا في ذمه
يقول بعض عازيه ازار^(٢) وبعضهم حافت عليه النار
وآخر هذا قليل الملح يظهر أني فطن ذو نصح
ينهب ما بين يديه نهبا ويشرب الماء القراح العذبا
يرى له في ذلك انتفاعا وبعد ذلك يطلب النفعا^(٣)

(١) المساء والغرم والاذى (ن.د)

(٢) القابل وهي ما يطيب به الطعام .

(٣) الشراب يتخذ من الشعير ويصح اطلاقه اليوم على البيرة Bière

يلتمس النار بلا استحياء
قد نسلوا الحصر ولم يبالوا
الطيب المنتخب اللذيذ
وآخر ذا قافز معتل
يقول لا بد من التصفيق
ويمزج النبيذ باحتياط
ويقلب الماء ولا يكف
فاجتنبوا الماء ولا تعودوا
فغير مهجور ولا مسؤول
بروقه الريحان والخيار
أحسن ما دارت عليه الراح
وخوفهم من ضامن القيان
في الحال ان كنت تخاف العمار
تعيش ان تنعموا بالصباح
لا بد من فحم على كانون
يثبت في البسط لها آثار
منقطاً كشبه جلد الفهد
لكل غاد منهم ورائح
مراوحاً من بعد ماء الورد
يظهرها الخمر فتستبين
عجبا بها ويؤثر الاكثار
وليس فيهم من اليه يصني
قد غيب الادبار عنه حسه
تراؤساً . ويظهر الاعظاما
تعمداً كي تضحك الجماعة
لا يأخذ الدور ولا يروح
صاح ويحصى هفوات الخمر
اذا رأى شيئاً مليحاً لفه

بالثلج في الصيف وفي الشتاء
وان يعزم أثر ذا خلال^(١)
وبعد هذا يحضر النبيذ
فواحد يقول هذا خل
وثم من يسأل عن راووق
وعند هذا تحضر البواطى^(٢)
فواحد يقول هذا صرف
وآخر يقول ذا ممود
والنقل لا بد مع المشوم
فذا له في نقله اختيار
وذا يقول الورد والتفاح
وان خشيت حجة المغاني
عجل وقشقل^(٣) لهم الدينارا
وربما قد حان منهم شطحه
وان دعوت القوم في كانون
يطير منه ابدأ شرار
ويصبح البساط بعد الجده
فضلاً عن الكباب والشرائح
واعزل لهم عند انقضاء البرد
واللندامى ابدأ فنون
فمنهم من يورد الاخبار
منها جشعاً له بالمضغ
ويمسك الدور وينسى نفسه
ومنهم من يزن الكلاما
ومنهم من يظهر الوضاعة
ومنهم من مكره قبيح
وثم من يدخل وقت السكر
ومنهم من في يديه خفه

(١) ما تخلل به الاسنان .

(٢) جمع باطية وهي اثناء من الزجاج واسع الاعلى ضيق الاسفل .

(٣) لم اعثر على معنى هذه الكلمة في كلام معاجم اللغة العربية . (د.ن)

أَوْ طَاسَة التَّكْيِيبِ أَوْ قَنِينَة
سَلَّاسِلَ تَسِيلُ فَوْقَ الشَّمْعِ
وَإِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ حَيْثُ
إِذَا مَضَى الْقَوْمُ لِبَيْتِ الْمَاءِ
قَدْ قَرَصُوا نَهْدًا وَعَضُوا خِذَا
وَكَانَ مِنْ عَرَسِ الْفَتَى انْقِيَادُ
لَا سِيَا إِنْ رَاقَهُمْ بِحَسَنِهِ
وَيَطْمَعُ النَّدِيمُ وَالْجَلِيسُ
لَيْسَ بِصَخْرٍ جَامِدٍ وَلَا صَنْمٍ
فَقِيرٍ مَأْمُونٍ وَلَا مَعْدُورٍ
بَلَا أَكْثَرَاتٍ أَوْ يَحِيدُ اللَّقْمَا
لَأنَّهُ لَا يُؤْثِرُ الْمَدَامَا
فَلَيْسَ بِشَقَى فِيهِمْ سِوَاكَ
وَكَلَّمَا لَاحَ مِنْ الْأَوَانِي
رَمَوْهُ بِالزُّورِ وَالْبَهْتَانِ
وَرَبَّمَا نَمَتَ عَلَيْهِ مَحْنُهُ
لَا سِيَا إِنْ كَانَ لَيْلَ جُمُعَةٍ
فَلَيْسَ يَرْجَى لِلْفَتَى، صَلَاحُ
فَذَاكَ شَيْءٌ أَرَشَهُ (٢) قَلِيلُ
فَأنَّهُ يَقْرَبُ الْمُنِيهَ
وَالْقِيءَ فَوْقَ الْبَسْطِ فِي الْأَحْيَانِ
لِيُوصَلَ الشَّرْبَ مَعَ النَّدَامَا
إِذَا انْتَبَهَتْ وَقْتَ كُنْسِ الدَّارِ
وَخَلْفَهَا الصَّعْبَ إِذَا مَا قَامَتْ
بِكُلِّ مَا دَارَ لَهُ بِالْأَمْسِ
وَاقْتَصَدُوا الصُّبُوحَ ثُمَّ نَامُوا
إِذَا بَدَأَ الصَّبِيحُ لَهُمْ وَلاَحَا
فِي أَثَرِ الْجُرْدَقِ وَالرُّؤُوسِ

مَنْبِدَالًا لَكُمْ أَوْ سَكْنِينَةً
وَبَعْضُهُمْ مَوْكَلٌ بِقُلْعِ
يَوْمٍ إِنْ يَكْسُو بِهَا فَتِيلَهُ
وَلَا تَقُلْ فِي الْغَمَزِ وَالْإِيْمَاءِ
فَإِنْ لَقُوا جَارِيَةً أَوْ عَبْدًا
وَرَبَّمَا تَطَرَّقَ الْفَسَادُ
أَوْ اخْتَهَ أَوْ بَنَتْهُ أَوْ ابْنَهُ
وَعِنْدَهَا قَدْ تَسْمَحُ النَّفُوسُ
فَإِنَّمَا الْإِنْسَانُ مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ
وَإِنْ يَكُنْ فِيهِمْ أَبُو تَلُورٍ
يَأْكُلُ مَا يَلْقَاهُ أَكْلًا لَمَّا
لَا يَشْرَبُ الرَّاحَ مَعَ النَّدَامَى
وَإِنْ تَقَعُ عَرِيدَةٌ هُنَاكَ
تَتَكَسَّرُ الْأَقْدَاحُ وَالْقَنَانِي
وَإِنْ تَأْدَى الْأَمْرُ لِلْجِيرَانِ
ثُمَّ شَكُوهُ عَاجِلًا لِلشَّخْنَةِ (١)
وَيَرْبِجُ الْإِنْسَانُ سُوءَ السَّمْعَةِ
وَإِنْ فَشَتْ بَيْنَهُمْ جِرَاحُ
وَإِنْ تَرَدَّى بَيْنَهُمْ قَتِيلُ
وَشَرِيهٍ إِنْ كَانَ فِي عِلِّيَّةِ
وَلَا تَكُنْ تَنْسَى أَذَى النَّدْمَانِ
وَبَعْدَهُ يَلْتَمِسُ الطَّعَامَا
وَلَا الَّذِي يَلْقَى مِنَ النَّقَارِ (٣)
مِنْ رَبَّةِ الْبَيْتِ إِذَا مَا نَامَتْ
تَذْكُرُهُ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ
هَذَا إِذَا رَاحُوا فَإِنْ أَقَامُوا
فَكَيْفَ تَرْجُو بَعْدَ ذَا فَلَاحَا
لَوْحَ عَلَى الْقَوْمِ بِخَنْدَرِيْسَ

(١) الَّذِينَ يَقِيمُهُمُ السُّلْطَانُ لِلْمَحَافِظَةِ عَلَى الْأَمْنِ وَهُمْ الشَّرْطَةُ .
(٢) الدِّيَّةُ .
(٣) جَمْعُ نَقْرَةٍ وَهِيَ الرَّمْدَةُ الْمُسْتَدِيرَةُ فِي الْأَرْضِ .

وانتغن عن بعض اثار الدار
وان تضع بعض نعال حوم
فوص ان يحفظها الغلام
ولا تبال ويك بالخساره
ومن أراد منهم الرواحا
مستصحباً في يده قرابه
ولا تفكر في فراغ الزيت
فصاحب الدعوة في خسران
وصاحب الوقت بغير شرب
يدل ما يلزمه من غرم
وكان من ذا كله غنياً
معرفة ما مثلها معرفة
فالشرب عندي في بيوت الناس
وبعد هذا كله فالتوبة

ان صار رهناً في يد الحمار
فليس تخلو عاجلاً من لوم
لكي يقل منهم الملام
وأكثر السرج على المناره
فانه يستلب المصباحا
ملومة يرضي بها اصحابه
فكل هذا من خراب البيت
لا سيما إن لُزَّ^(١) بالميزان
أحق مخلوق بصقع الجرب
ان الفتى لا شك دقن سزم
لو كان شهماً فطناً ذكياً
تنحس من يُصلى بها في كرة
أحسن من هذا على القياس
أوفق ما دارت عليه النوبة
(الرجز)

وقال في البصرة سنة احدى وعشرين وخمسة :

أقول وقد أشرفت من نهر معقل
أيا حبذا ساحاتها ورسومها
فكم فيك من يوم لهوت وليلة
وان سمرت جنح الظلام نقابها

على البصرة الغراء حيث من مصر
وطيب ربها لا عرين من القطر
بمرجة الاعطاف طيبة النشر
رأيت لها وجهاً ينوب عن البدر
(الطويل)

وقال ايضاً :

ألا إن شرب الراح من أوكد الفرض
وكل امرئ أعطى الوضاعة حقها
ومها يكن بي دائماً من دعابة
وان على أشياء مما تربيني

على الورد والريحان والزرجس الغض
فذلك في عيش لذيد وفي خفض
فاني نقي الثوب والنفس والعرض
اذا صاحب زلت به قدم اغضي
(الطويل)

وقال ايضاً :

ما خير عيش يرتجيه امرؤ
حياته تقضي الى موته

(١) قرن . (ن د)

والرزق مضمون فان منفس

فات فلا تأس على فوته
(السريع)

وقال ايضاً :

رحلت فكدرت بالبعد ما
وكادت تصدع منا القلو

صفا بدنوك والاقتراب
ب بعدك لولا رجاء الاياب
(المتقارب)

وقال ايضاً :

ألا يا من لصب مستهام
وكيف يفيق محزون كئيب

معنى لا يفيق من الغرام
أضر يحسمه طول السقام
(الوافر)

وقال ايضاً :

ريح المحبين ليت لا خلقوا
ولا رجوا راحة ولا فرساً

ما برحوا في العذاب مذ عشقوا
إلا وسدت عليهم الطرق
(الملّسرح)

وقال ايضاً :

ترى درأً يحيط به عقيق
وما زان الخضاب لها بناناً

إذا أبدت ثناياها العذابا
ولكن كفها زان الخضابا
(الوافر)

وقال ايضاً :

قلت لها اذا عيرتني ضنى
لا تهزئي ان وهنت أعظمي

مع انحناء الظهر والارتعاش
حبك منها داخل في المشاش
(السريع)

وقال لغزاً في عبد الكريم

بمهجتي يا صاح أفدي الذي
صرت له ثلث اسمه طائماً
كأنما وجنته اذ بدت
هلال تم والثريا له

تيمني تفتير عيني
وهو بوصلي ضد ثلثيه
انجم خيلان بخديه
مقلوب ما يشبه صدغيه
(السريع)

وقال ايضاً لغزاً في اسم شفتد وهو لقب لابي المعالي السلمي الشاعر

غزال من بني الاصفر سباني طرفه الاحور

لقد فضله الله بحسن الدل والمنظر
بحق الشفع والوتر وما قد ضمنا كوثر
فهذا اسم قضى الرحمن أن يلفز أو يستر
(الهزج)

وقال يهجو الطبيب المفشكل اليهودي على سبيل المراثية :

ألا أعد عن ذكرى حبيب ومنزل	وعرّج على قبر الطبيب المفشكل
فيا رحمة الله استهني بقبره	وكوني عن الشيخ الوضيع بم عزل
ويا منكراً جود هديت قداله ^(١)	ببقعة واسقله سقل السججل ^(٢)
وكبكبه في قعر الجحيم بوجبة	كجلمود صخر حطه السيل من عل
فلا زال وكاف تزجيه ديمة	عليه بمنهل من السلاح مسبل
لقد حاز ذاك اللحد اخبت جيقة	وأوضع ميت بين ترب وجندل
ساسبل من بطني عليه مدامعي	وأورده من مائها شر منهل
لعل أبا عمرات حن لشخصه	وقال له أسرع إلي وعجل
فما ضم بطن الارض أنجس منها	وأندل من رهط الغوي السموأل

(الطويل)

وقال يهجو الاديب نصير الحلبي ايضاً على سبيل المراثية ، وكان نصير قد اشتغل بالكتابة وتعرض
للشعر والطب والنجوم

يا هذه قومي اندي	مات نصير الحلبي
يرحمه الله لقد	كان طويل الذنب
قد ضجت الاموات في	نكته في الترب
وودم لو عوضوا	منه بكلب أجرب
والقوم بين صارخ	ومعن في الهرب
ومنكر يقول ذا	أوضع ميت مر بي
ما ضم بطن الارض	بين شرقها والمغرب
اخبت منه طينة	في عجمها والعرب
يا قوم ما انجسه	نصبا على التعجب
أوصافه من فحشه	مسطورة في الكتب
وقوله لمنكر	أسرفت يا معذي

(١) ما بين الاذنين من مؤخر الرأس .

(٢) المرأة (ن.ر)

شيخ لأهل الادب
ولم ينطق والتطبيب
(الرجز)

نسيم على عارضي ذا الملك
فصار على وجه مرتبك
ودبح أفق السماء الحبك
(المتقارب)

خلاتق لؤم منه لا تفرح
بأقبح ما يهجي به المرء يمدح
(الطويل)

ولم يدع افكه وظله
قد أكلوا في الحجاز لثمه
(البسيط)

قد أوجعتني يدي ، مما أعابته
يحصي الحصى قبل أن تحصي مثالبه
(البسيط)

فلم يجد عندنا دواءه
كل امرئ يبتغي شفاه
(البسيط)

بيتا فان زاد شيئاً عاد مفلوجاً
ليهنهم ان غدا بالشمر بمزوجاً
مضنى ويطعمه في الحال فروجاً
(البسيط)

إذا خامر القلب تذكراها

أما علمت أنني
والنحو والحكمة

وقال يهجو ملك النحاة :

لقد هب من باذعنك الورك
وأقبل سيل على اثره
كما درج الماء مر الصبا

وقال يهجو أبا الوحش الشاعر :

إذا رمت ان أهجو أبا الوحش عاقبي
تجاوز حد الذم حتى كأنه

وقال يهجو أيضاً :

ان دام في غيه وحيش
سلقت آذانه بمنز

وقال أيضاً

لنا صديق جفا وازور جانبه
ان قيل لي صفه يوماً قلت ذاك فحق

وقال يهجو عليان المعروف بالمكاز الحلي :

شكا الينا المكاز داءه
لان داء البقاء أعيأ

وقال أيضاً :

إذا عنيت بمحموم نظمت له
فقل لقوم رأوا طيبي لهم فرجاً
يفرج لهم عن أحشاء ذي حرق

وقال في الشجاعة :

أرى الحرب تكسبني نجدة

تبين في الفرش آثارها
(المتقارب)

يروني فيما اعاني أوحدا
إلى في الطب كاعمار الجدا
(الرجز)

فإن أنا في النوم أبصرتها

وقال في قصيدته التي سماها ذات المناقب :
ومعشر قد جعلوني قدوة
تركتم أعمارهم إذ ركنوا

وقال أيضاً :

ليعذرني من ظن أني ذو جهل
به ركة يوماً أحلت على الهزل
(الطويل)

سأظهر في اصلاح شأني تغافلاً
واهزل منها قلت شعراً فإن بدت

وقال أيضاً :

فتعت جنبيه بعجاء من سلم
لقلت ابن آوى عيج في حندس الظلم
بليل ولم تحلل بربع أبي الحكم
(الطويل)

وطارق ليل أمّني بعد هجمة
فلو سمعت اذناك تحتي عواءه
وقلت له لولا شقاؤك لم تسر

وقال لما أدركته الوفاة في ذي القعدة سنة تسع وأربعين وخمسةائة :

وغيبوني عن الاهلين والوطن
أنا الذي نظر الاعمى فلم يرني
(البسيط)

يا لهف نفسي اذا ادرجت في الكفن
وقيل لا يبعدن من كان ينشدنا

ثم أنشد يوم الثلاثاء قبل وفاته وأمر ولده أبا المجد ان يروها بعد موته عنه .

فيا ليت شعري من يرثكم بعدي
أرد ولكن لا سبيل إلى الرد
لما كنت قد اسرعت سيراً إلى اللحد
وهل لزمان قد تسلف من رد
وغودرت في دماء موحشة وحدي
ولا يعرف المولى لدينا من العبد
وسركم موتي وأنسكم فقدي
رضيت به في الهزل بعدي وفي الجد
وعما قليل سوف أسكنه عندي
فليس لنا من رحمة الله من بد

ندمت على موتي وما كان من امري
واني لاختار الرجوع لو انني
ولو كنت أدري انني غير راجع
ألا هل من الموت المفرق من بد
مضى الاهل والاحباب عني وودعوا
لبعض على بعض لديكم مزية
لئن كنت قد أفرحتكم بمنيتي
فدقيوس تلميذي عليكم خليفتي
فها أنا قد وليته الامر فاعلموا
ولا تقنطوا من رحمة الله بمد ذا

ولابي الحكم من الكتب : ديوان شعره ، وسمي ديوانه هذا نهج الوضاعة .

أبو المجد بن أبي الحكم

هو أفضل الدولة أبو المجد محمد بن أبي الحكم ، عبيد الله بن المظفر بن عبد الله الباهلي . من الحكماء المشهورين ، والعلماء المذكورين ، والأفاضل في الصناعة الطبية ، والامائل في علم الهندسة والنجوم . وكان يعرف الموسيقى ، ويلعب بالعود ، ويمجد الغناء والايقاع والزمير وسائر الآلات ، وعمل أرغناً وبالغ في اتقانه . وكان اشتغاله على والده وعلى غيره بصناعة الطب ، وتميز في علمها وعملها ، وصار من الاكابر من أهلها . وكان في دولة السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي^(١) رحمه الله . وكان يرى له ويحترمه ، ويعرف مقدار علمه وفضله . ولما أنشأ الملك العادل نور الدين البيارستان الكبير جعل أمر الطب اليه فيه ، وأطلق له جامكية وجراية ، وكان يتردد اليه ويمالج المرضى فيه .

وحدثني شمس الدين أبو الفضل بن أبي الفرج الكحال المعروف بالمطواع ، رحمه الله ، انه شاهده في البيارستان ، وان أبا المجد بن أبي الحكم كان يدور على المرضى به ويتفقد أحوالهم ، ويعتبر امورهم وبين يديه المشارفون والقوام لخدمة المرضى . فكان جميع ما يكتبه لكل مريض من المداواة والتدبير لا يؤخر عنه ولا يتوانى في ذلك . قال : وكان بعد فراغه من ذلك وطلوعه الى القلعة واقتضاده المرضى من اعيان الدولة يأتي ويحلس في الايوان الكبير الذي للبيارستان وجميعه مفروش ، ويحضر الاشتغال . وكان نور الدين رحمه الله قد وقف على هذا البيارستان جملة كبيرة من الكتب الطبية ، وكانت في الخريستانين اللذين في صدر الايوان فكان جماعة من الاطباء والمشتغلين يأتون اليه ويقعدون بين يديه ، ثم تجري مباحث طبية ويقرىء التلاميذ ، ولا يزال معهم في اشتغال ومباحثة ، ونظر في الكتب مقدار ثلاث ساعات ، ثم يركب الى داره . وتوفي أبو المجد بن أبي الحكم بدمشق في سنة (*) وخمسمائة .

ابن البذوخ

هو أبو جعفر عمر بن علي بن البذوخ القلمي المغربي . كان فاضلاً خبيراً بمعرفة الادوية المفردة والمركبة ، وله حسن نظر في الاطلاع على الامراض ومداواتها . واقام بدمشق سنيناً كثيرة ، وكانت له دكان عطر بالبادين يحلس فيها ، ويمالج من يأتي اليه أو يستوصف منه . وكان يهيئ عنده ادوية كثيرة مركبة يصنعها من سائر المعاجين والاقراص والسفوفات وغير ذلك ، يبيع منها ويلتفع الناس بها . وكان معتنياً بالكتب الطبية والنظر فيها وتحقيق ما ذكره المتقدمون من صفة الامراض ومداواتها . وله حواش على كتاب القانون لابن سينا . وكان له ايضاً اعتناء بعلم الحديث ، ويشعر وله رجز كثير إلا ان اكثر شعره ضعيف منحل . وعمر عمرأ طويلاً ، وضعف عن الحركة

(١) أنابك حلب ودمشق (١١١٨ - ١١٧٤) . حارب الصليبيين واجلام عن البلاد السورية وفلسطين ، وتوفي في دمشق . (ن ر)
(*) يباح بالاصل .

حتى انه كان لم يأت الى دكانه إلا محمولا في محفة . وعمي في آخر عمره بماء نزل في عينه ، لانه كان كثير أ يغتذي باللبن ويقصد بذلك ترطيب بدنه . وتوفي بدمشق في سنة خمس أو ست وسبعين وخمسة

ومن شعر ابن البزوخ قال وهو من قصيدة كبيرة له في ذكر الموت والمعاد فمن مختارها :

يا رب سهل لي الخيرات افعلها	مع الانام بموجودي وامكاني
فالقبر باب الى دار البقاء ومن	للخير يغرس أثمار المنى جاني
وخير انيس الفتى تقوى بصاحبه	والخير يفعله مع كل انسان
يا ذا الجلالة والاكرام يا املي	اختم بخير وتوحيد وايمان
ان كان مولاي لا يرجوك ذو زلل	بل من أطاعك، من للمذنب الجاني؟
عشر الثمانين يا مولاي قد سلبت	أنوار عيني وسمعي ثم اسناني
لا استطيع قياما غير متمم	ما بين اثنين ، شكوائي لرحماني
وما بقي في لذيذ يستلذ به	لي لذبة غير تنصيت لقرآن
أو شرحه أو شروحات الحديث وما	يختص بالطب او تفكيه لقرآن
فالشيخ تميره يفضي الى هرم	ينذه او عى او داء ازمان
فموتته ستره اذ لا يحيص له	عن المات فكم يبقى لنقصان
نعوذ بالله من شر الحياة ومن	شر المات وشر الانس والجنان
ان الشيوخ كأشجار غدت حطبا	فليس يرجى لها توريق اغصان
لم يبق في الشيخ نفع غير تجربة	وحسن رأي صفا من طول أزمان
يا خالق الخلق يا من لا شريك له	قد جئت ضيفا لتقربني بفقران
مولاي مالي سوى التوحيد من عمل	فاختم به منعما يا خير منان

(البسيط)

وقال في مدح كتب جالينوس :

اكرم بكتب جالينوس قد جمعت	ما قال بقراط والماضون في القدم
كديسقوريدس علم الدواء له	مسلم عند اهل الطب في الامم
فالطب عن ذين مع بقراط منتشر	من بعدم كانتشار النور في الظلم
بطبهم تقتدي الافكار مشرقة	ترى ضياء الشفا في ظلمة السقم
لا تبغني في شفاء الداء غيرم	فان وجدانه في الطب كالعدم
لانهم كلوا ما اصلوه فما	يحتاج فيهم الى اتمام غيرم
الا الدواء فما تحصى منافعه	وعده كثرة في العرب والعجم
عد النجوم نبات الارض اجمها	من ذا يعد جميع الرمل والأكم
في كل يوم ترى في الارض معجزة	من التجارب والآيات والحكم

ولابن البدوخ من الكتب : شرح كتاب الفصول لابن قراط ، ارجوزة . شرح كتاب مقدمة المعرفة لابن قراط ارجوزة . كتاب ذخيرة الالباء . المفرد في التأليف عن الأشباه . حواش على كتاب القانون لابن سينا .

حكيم الزمان عبد المنعم الجليلاني

هو حكيم الزمان ابو الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن حسان الغساني الاندلسي الجليلاني . كان علامة زمانه في صناعة الطب والكحل وأعمالهما بارعاً في الادب وصناعة الشعر وعمل المديجات . أتى من الاندلس الى الشام . وأقام بدمشق الى حين وفاته ، وعمر عمراً طويلاً . وكانت له دكان في اللبادين لصناعة الطب . وكان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب يرى له ويحترمه . وله في صلاح الدين مدائح كثيرة ، وصنف له كتباً وكان له منه الاحسان الكثير والانعصام الوافر . وكان حكيم الزمان عبد المنعم يعاني ايضاً صناعة الكيمياء . وتوفي بدمشق في سنة ^(*) وستائة وخلف ولده عبد المؤمن بن عبد المنعم وكان كحلاً ويشعر ايضاً ويعمل مديجات . وخدم بصناعة الكحل الملك الأشرف أبا الفتح موسى بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب وتوفي بمدينة الرها في سنة ^(**) وعشرين وستائة .

ومن شعر حكيم الزمان عبد المنعم الجليلاني مما نقلته من خطه ، وهو ايضاً مما سمعته من ابي قال :
انشدني الحكيم عبد المؤمن المذكور ، فمن ذلك قال يمدح الملك الناصر صلاح الدين ابا المظفر يوسف بن ايوب ووجهها اليه من مدينة دمشق الى نجيمة المنصور بظاهر عكا ، وهو محاصر للفرنج المحاصرين لمدينة عكا ، فعرضت عليه في شهر صفر سنة سبع وثمانين وخمسةائة ، وهذه القصيدة تسمى التحفة الجوهريّة .

طلاباً لعز او غلاباً لضائم
ففض عنافاً دون قرع الصوارم
وأني انفساح بان لا عن مأزم
فترمي اليها عن قسي العزائم
ولا ارتاح ندب لم يصل بصوارم
وليس بميت هالك في مكارم
رجال ثوت آثارهم كالمعالم
وهزة نفس واتساع مراحم
برآة شخص ما اختفى في العوالم
الا انما التخصيص قسمة راحم

رفاهية الشهم اقتحام العظام
فلم يحظ بالعلياء من هاب صدمة
فأي اقضاح كان لا بعد مشكل
هي الهمة الثماء تلحظ غاية
فما انساح سرب لم يصل سبب العلا
فليس بمحي سالك في خسائس
وما الناس إلا راحلون وبينهم
بعزة بأس ، واطلاع بصيرة
حظوظ كمال اظهرت من عجائب
وما يستطيع المرء يختص نفسه

(*) و (**) يياض بالأجل في الموضعين .

وأعظم أهل الفضل من ساد بالقوى
تري ضمت الافلاك ملكاً كيوسف
فما مثل ملك ساسه في أحداث
أباني دار العدل في مارق الوغى
فديتك من معل لديك مبتن
فأنت الذي أيقظت حزب محمد
فحاربت للايمان لا لضغائن
أجذك لن ينفك يضرب هكذا
وفي حجرات النقع سيع صوارخ
ومقلعة أمراسها وشراعها
فكيف رست فيها خيامك اذ جرت
فلم يبق الا ملتقى بأسنة
فلا طنب الا توثب مقدم
فدارك والابطال ثارت حيالها
لأنك فيها اذ هفوا جالس على
وانك فيهم اذ سطوا خالس طلي
فأنت المليك الناصر الحق بمعنا
أتعشك الهيجاء أم أنت عاشق
شتاء وصيفاً لا تزال نراك في
فهجرت^(١) حتى قيل ليس بقائل
وأرجفت روما اذ خرقت فرجة
كددتهم^(٢) أعلى التلال كأنهم
وفيت لهم حتى احبوك ساطيا
فخانوا فعابوا فانتدوا فتلاوموا
وخص صلاح الدين بالنصر اذ اتى
فحطوا بأرجاء الهياكل صورة
يدين لها قس ويرقى بوصفها
يمجل للمرء الجزاء بفعله

ففساد بسبق الطبع اقوى الاعاظم
من الجبل اللاتي خلت في الاقدام
ولا مثل حرب هاجها في ملاحم
بمسرب آن من دماء الغواشم
وافديك من مبل لضحك هام
جهاداً وهم في غفلة المتناسوم
ورابطت للرضوان لا لمفانم
قبابك حيث اشتك سدم اللهازم
كأمواج لج للهضاب ملاطم
عنات وخفاق بصعدة دام
سفين كماء في بحار شياظم^(٣)
ولا يلق الا متقى بحيازيم
ولا وتد الا تجلد عارم
مقر سرور في مفر مآثم
سرير ثبات مطمئن القوائم
كبير نياح مرجعن^(٤) الشكائم
يرى دم شوك الحرب مهد النواعم
لها في وصال من حبيبين دائم
مساء وصبح كالاذان الملازم
وبيت حتى قيل ليس بنائم
فكانوا غشاء في سيول الهزائم
ضباب كدى فزت لأضباب حاطم
فهم ووفاء العهد قيد المحاصم
فقالوا خذلنا بارتكاب الجرائم
بقلب سليم راحماً للمسلم
لك اعتقدوها كاعتقاد الاقنام
ويكتبه يشفى به في التائم
فطوبى لصبار وبؤس لآثم

(١) طوال شداد .

(٢) ارجعن : مال واهتز .

(٣) سار في الهاجرة .

(٤) كده : طرده طرداً شديداً .

وقد نصد الحر الكرم جليسه
 اذا لج لوم من سفيه لراشد
 عجبت من الانسان يعجب وهو في
 يرى جوهر النفس الطليق فيزدهي
 ديون اضطرار تقتضي كل ساعة
 وكل فغرور بحب حياته
 وجعاع مال لا انتفاع له به
 يفيض وما أوعاه يرعاه مهدفاً
 ومن عرف الدنيا تيقن انها
 فله ساع في مناهج طاعة
 أفاتح بيت القدس سيفك مفتاح
 فحكمت في الضدين غير معارض
 فأطلقت تركا في ظهور سوابح
 غداة قدححت البيض في آل أصفر
 واذا درجوا كالرمل أعجز عدة
 وكانحل ملتفا كوارثه هوى
 كأن لهم في قل عكا مصادة
 فسرب كسير موبق في حفائر
 فكم ملك منهم أأها بكثرة
 يشقون من اسبان أثباج^(٢) زآخر
 فهاوا بنجدتي جاريات ووخذ^(٤)
 غسلت الطراز الاخضر الرقم منهم
 ولو انبت المرج النفوس لاينعت
 قلب كل يسقى بإشطان ذابل
 وأضلع فرسان نعال سوابك
 كذا فليصع جوهر القول متحف
 فتى ذهنه يرمي بشهب خواطر
 يهاب رقيق الشعر رقة طبعه

وتضعف بالايهام قوة حيازم
 توهم رشداً في سفاهة لائم
 نقائص أحوال قسيم السوائم
 ويذهل عن اعراض جسم لوازم
 فتتقرض الاعمار بين المغارم
 ويغريه بالادنى خفاء الخواتم
 كما مص مشروطا زجاج المهاجم
 لرشفة صاد أو لرشفة صادم
 مطية يقظان وطيفة حالم
 لإيلاف عدل أو لإتلاف ظالم
 لقفل الهدى مغلاق باب المآثم
 فاحكت في نفر الوغى المتخاصم
 وأغربت ثركا في بطون القشاعم
 فلم يبق زند منهم في معاصم
 الى قل عكا كالدي^(١) المتراكم
 من التل تخشى منهم كالمرادم
 يحاش لها أمراب وحش سوائم
 وسرب حسير مرهق في مقاحم
 فزادهم نقصاً زيادة عادم
 ومن رومة الكبرى فجاج^(٣) بخارم
 وذابوا بمجدي نخدم لك هاضم
 بصوت نجيع أحمر القطر ساجم
 بما ساح فيه عن حشا وغلاصم
 وعين طلى تجري بميزاب صارم
 وأرؤس أعيان غواشي البراجم
 به للمليك مثل يوسف عالم
 تشق دجون المغمضات العواتم
 كما هاب منه اليأس غلب الضراغم

(١) الجراد .

(٢) جمع ثيغ وهو الوسط أو معظمه . (٣) الطرق الواسعة بين جبلين أو في الجبل .

(٤) الرخذ ضرب من سيد الابل أو الخيل . (ن . ر)

كما انتحلت جدواه وطف الغمام
يظل بها أهل النهى في ولائم
مفلج ثمر مستنير المباسم
ولفظ كشدر التبر في عقد ناظم
وجل بصاحي الفكر عن نهج هائم
وينبت نوراً شائعاً في الاقالم
بتبع اعراب وكسرى أعاجم
مديح سواه كالجنباب المحارم
وتأيد آثار وتأيد عازم
يكافح عنها كل الب^(١) مقاوم
فليس سواه ناصر نصر عاصم
ويعطيك ما ترجو لحسن الخواتم
الى مجلس فيه منى كل قادم
مفيد الهدى مروى صدى كل حائتم
أقيم عمود المكرمات العظامم
(الطويل)

وينتحل الوصاف رونق نعته
وما زلت أجلو من حلاه عرائساً
بمنتظم التفضيل طلق كأنه
معان كعبر السحر في عقد ناظر
سما عن حضيض الشعر في اوج حكمة
ستلسى بذكره أقاويل من مضى
كما شاع هذا الامر في الخلق مزرباً
فقرضاً أرى مدحي له متجنباً
وليس اجتداء بل تحية شاكر
فيا خير قوام على خير ملة
تمسك بجبل الله معتصماً به
تمسك بمن أعطاك ما قد رجوته
بعثت بها والشوق يقدم ركبها
بعيد المدى ، عدن الجدا نار من عدا
سلام على ذاك المقام الذي به

وقال ايضاً :

فباح بما اخفاه من برحائه
فلا بد أن يومي اليه بدائه
وملتحف من دائه بردائه
فأعشى عيوناً أولعت بيهائه
حواه هواه لم يزل في حوائه
(الطويل)

أتاح له نجواه بعض شقائه
متى لحت عين العليل طيبه
وكم في الهوى من مكس برد وجده
سباه حبيب غاب في فيض حسنه
وليس له ثان يلاذ به فمن

وقال ايضاً :

وعن صون دمعي تستهل السحائب
ولا الرعد الا من انيني نادب
لدي ولا قلب عن الذكر غائب
وفي كل حال لي عليكم معائب
فما بعدكم غير الهوى لي صاحب
(الطويل)

على سوق شوقي تستقل الركائب
فما البرق الا من حنيني نابض
نأيم فلا صبر من القلب حاضر
ففي كل وقت لي اليكم تطلع
ويا ليت شعري بعدنا من صحبتكم

(ن. ر)

(١) الإلب : القوم تجمعهم عداوة واحدة اي عدو واحد .

وقال ايضاً :

ألقى بني الملك بالسؤال
أصوت نفسي بالابتذال
فخذ من جانب اعتدال
واهرب من الذل في المعالي
(البسيط)

بذلت وقتاً للطب كيلاً
فكان وجه الصواب لي ان
لا بد للجسم من قوام
واقرب من العز في اتضاع

وقال ايضاً

أحسن بما قد اقتناه
أنعم للجسم من سواه
يقوى قواه على هواه
(البسيط)

يا منكر المسح اذ رآه
اصبر له اربعين يمسي
لا يستقيم المريد حتى

وقال ايضاً

لمثل ذا فاتخذ ملاذا
أجائز أن يموت هذا
يمطش من ظنه رذاذا
وعز من بالقديم لاذا
(البسيط)

اقبل ذو دولة فقالوا
فقلت للحاضرين حولي
قالوا : نعم ، قلت : فهو ظل
قد ذل من لاذ بالفواني

وقال ايضاً :

عنه ولو كان عزيز النفر
الى امتهان النفس الا نفر
(السريع)

من لم يسئل عنك فلا تسألن
وكن فتى لم تدعه حاجة

وقال ايضاً :

واغن بالمطل فيه عن تزويج
فلتكن خطبة بلا تزويج
(الحقيف)

لا تصدق عليك عقد صداق
ومتى ما ذكرت يوم الخطب

وقال ايضاً :

وما لهم همة تسمو ولا ورع
فلم ظمئت وهم في الجاه قد كرعوا
وصنت نفسي فلم اخضع كما خضعوا
وقد يهان لفرط النخوة السبع
(البسيط)

قالوا : نرى نفراً عند الملوك سموا
وأنت ذو همة في الفضل عالية
فقلت باعوا نفوساً واشتروا غنائاً
قد يكرم الفرد اعجاباً بخسته

ولحكيم الزمان عبد المنعم الجلياني عدة من الكتب . فما قاله من منظوم الكلام ومطلقه عشرة دواوين : «الاول» ديوان الحكم ومبادئ الكلم يشتمل على الاشارة الى كل غامض المدرك من العلم ، والى كل صادق المنسك من العمل ، والى كل واضح المسلك من الفضيلة وهو نظم والثاني ديوان المشوقات الى الملا الاعلى وهو نظم . والثالث : ديوان أدب السلوك ، وهو كلام مطلق يشتمل على مشاريع كلمات الحكمة المبصرات . والرابع كتاب نواذر الوحي ، وهو يشتمل على كلام حكمة مطلق في غريب معان من القرآن العظيم ، ومن حديث الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم . والخامس كتاب تحرير النظر ، وهو يشتمل على كلمات حكمة مفردات في البسائط والمركبات والقوى والحركات . والسادس كتاب سر البلاغة وصنائع البديع في فصل الخطاب . والسابع ديوان المبشرات والقدسيات ، وهو نظم وتدبيج وكلام مطلق ، يشتمل على وصف الحروب والفتوح الجارية على يد صلاح الدين أبي المظفر يوسف بن أيوب فاتح مدينة البيت المقدس في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة . والثامن ديوان الغزل والتشبيب والموشحات والدوبيت ، وما يتصل به منظوماً . والتاسع ديوان تشبيهات وألفاظ ورموز وأحاجي وأوصاف وزجريات وأغراض شتى منظوماً . والعاشر ديوان ترسل ومحاطبات في معان كثيرة وأصناف من الخطب والصدور والادعية . وله ايضاً من الكتب : كتاب منادح المادح وروضة المآثر والمفاخر ، من خصائص الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب ألفه في سنة تسع وستين وخمسمائة . تعاليت في وصفات أدوية مركبة .

أبو الفضل بن أبي الوقار

هو الشيخ الأجل العالم أبو الفضل اسمعيل بن أبي الوقار ، أصله من المعرة ، وأقام بدمشق ، وسافر الى بغداد ، وقرأ على أفاضل الاطباء من اهلها ، واجتمع يجماعة من العلماء بها ، وأخذ عنهم . ثم عاد الى دمشق وكان متميزاً في صناعة الطب علمها وعملها ، كثير الخير ، محمود الطريقة ، حسن السيرة ، وافر الذكاء . وكان في خدمة السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ، ويعتمد عليه في صناعة الطب ، وكان لا يفارقه في السفر والحضر . وله الحظ الوافر والانعام الكثير . وتوفي الملك العادل نور الدين ، وهو في حلب ، في العشر الاول من شهر ربيع الاول سنة أربع وخمسين وخمسمائة .

مذهب الدين بن النقاش

هو الشيخ الامام العالم أبو الحسن علي بن أبي عبد الله عيسى بن هبة الله النقاش ، مولده ومنشؤه ببغداد . عالم بعلم العربية والأدب ، وكان يتكلم الفارسي . واشتغل بصناعة الطب على الأجل أمين الدولة هبة الله بن صاعد بن التلميد ، ولازمه مدة واشتغل بعلم الحديث . سمع ببغداد من أبي القاسم عمر بن الحصين ، وحدث عنه . سمع منه القاضي عمر بن القرشي وروى عنه حديثاً في معجمه . وكان أبو عبد الله عيسى بن هبة الله بن النقاش بزازاً أديباً . قال عماد الدين أبو عبد الله محمد بن حامد الاصبهاني الكاتب في كتاب الخريدة : أنشدني مذهب الدين أبو الحسن علي بن النقاش لوالده :
إذا وجد الشيخ في نفسه . نشاطاً فذلك موت خفي

ألست ترى ان ضوء السراج له لب قبل ان ينطفي
(المتقارب)

قال : وأنا لقيت أبا عبد الله بن النقاش ببغداد ، وتوفي رحمه الله في العشرين من جمادى الآخرة سنة اربع واربعين وخمسمائة بها بعد مسيري الى اصبهان قال : وقرأت بخط السمعاني أنشدني أبو عبد الله النقاش لنفسه :

رزقت يساراً فوافيت من قدرت به حين لم يرزق
وأملقت من بعده فاعتذرت اليه اعتذار أخ مملق
وان كان يشكر فيما مضى بهذا فسبغذر فيما بقي
(المتقارب)

قال ، قال ، وأنشدني لنفسه ايضاً من قطعة :

وكذا الرئيس فانه عندي كمجرى الروح يجري
أنكرت في دلف عليه تهتكاً من بعد ستر
كيف السلو وقد تملك مهجتي من غير أمري
قمر تراه اذا استمر كمثل أربعة وعشر
يرفو بنجلوين يسقم من سقامهما ويبري
واذا تبسم في دجا ليل شهدت له بفجر
وبورد وجنته وحسن عذاره قد قام عذري
(الكامل)

أقول : ولما وصل مذهب الدين بن النقاش الى دمشق بقي بها يطب ، وكان أوحده زمانه في صناعة الطب ، وله مجلس عام للمشتغلين عليه . ثم توجه الى الديار المصرية ، واقام بالقاهرة مدة . ثم رجع الى دمشق ، ولم يزل مقياً الى حين وفاته . وخدم بصناعة الطب الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكي ، وكان يعاني ايضاً كتابة الانشاء : وكتب كثيراً لنور الدين المراسلات والكتب الى سائر النواحي ، وكان مكيناً عنده . وخدم ايضاً في البيمارستان الكبير الذي أنشأه الملك العادل نور الدين بدمشق ، وبقي به سنين . وكتب الامير مؤيد الدولة أبو المظفر اسامة بن منقذ^(١) الى مذهب الدين ابن النقاش يستهدي دهن بلسان

ركبتي فخدم المذهب في العلم وفي كل حكمة وبيان
وهي تشكو اليه تأثير طول العمر في ضعفها وطول الزمان
فلها فاقة الى ما يقويها على مشيها من البلسان

(١) من فرسان العرب ولد في شيزر شمالي حماة وتوفي في دمشق (١٠٩٥ - ١١٨٨) وهو اديب ومؤلف .

(٢) أبو البلسان وهو شجر له زهر ابيض عطر الرائحة .

كل هذا علالة ما لمن جا ز الثمانين بالنهوض يدان
رغبة في الحياة من بعد طول العمر والموت غاية الانسان

(الحقيف)

فبعث اليه ما أراد من ذلك ، ولم يزل في خدمة نور الدين الى ان توفي رحمه الله . وكانت وفاة نور الدين في شوال سنة تسع وستين وخمسائة بدمشق . وخدم مذهب الدين بن النقاش أيضاً بصناعة الطب بعد ذلك للملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب . لما ملك دمشق . وحظي عنده . وكان مذهب الدين بن النقاش كثير الاحسان محباً للجميل يؤثر التخصص . ولم يتخذ امرأة ولا خلف ولداً ، وكانت وفاته رحمه الله بدمشق في يوم السبت ثاني عشر محرم سنة اربع وسبعين وخمسائة ودفن بها في جبل قاسيون (١) .

ابو زكريا يحيى البياسي

هو أمين الدين أبو زكريا يحيى بن اسماعيل الاندلسي البياسي من الفضلاء المشهورين والعلماء المذكورين ، قد اتقن الصناعة الطبية ، وتميز في العلوم الرياضية . وصل من المغرب الى ديار مصر ، واقام بالقاهرة مدة ، ثم توجه الى دمشق وقطن بها . وقرأ على مذهب الدين أبي الحسن علي بن عيسى ابن هبة الله المعروف بابن النقاش البغدادي ، ولازمه وكتب الستة عشر لجالينوس وقرأها عليه . وكتب بخطه كتباً كثيرة جداً في الطب وغيره . وكان يعرف النجارة ، وعمل لابن النقاش آلات كثيرة تتعلق بالهندسة . وكان أبو زكريا يحيى البياسي جيد اللعب بالعود ، وعمل الارغن أيضاً ، وحاول اللعب به ، وكان يقرأ عليه علم الموسيقى . وخدم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بصناعة الطب ، وبقي معه مدة في البيكار ثم استعفى من ذلك . وطلب المقام بدمشق فاطلق له الملك الناصر جامكية وبقي مقياً في دمشق وهو يتناولها الى ان توفي رحمه الله

سكرة الحلبي

كان شيخاً قصيراً من يهود مدينة حلب . وكانت له دربة بالعلاج ، وتصرف في المداواة . حدثني الشيخ صفى الدين خليل بن أبي الفضل بن منصور التنوخي الكاتب اللاذقي قسلاً : كان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بحلب ، وكانت له في القلعة بها حظية يميل اليها كثيراً ، ومرضت مرضاً صعباً . وتوجه الملك العادل الى دمشق وبقي قلبه عندها ، وكل وقت يسأل عنها فتطاول مرضها ، وكان يعالجها جماعة من افاضل الاطباء ، واحضر اليها الحكيم سكرة فوجدتها قليلة الاكل متغيرة المزاج ، لم تزل جنبها الى الارض ، فتردد اليها مع الجماعة . ثم استأذن الخادم في الحضور اليها وحده فأذنت له ، فقال لها : يا سقي أنا اعالجك بعلاج تبرئتي به في اسرع وقت ان شاء الله تعالى ، وما تحتاجني

(١) هو الجبل المطل على دمشق من الجهة الشمالية .

معه الى شيء آخر. فقالت : افعل. فقال : اشتبهى ان مها اسألك عنه تخبريني به ولا تخفني. فقالت : نعم . واخذ منها اماناً فقال : تعرفيني ما جنسك ؟ فقالت : علانية ^(١) . فقال : العلان في بلادهم نصارى ، فعرفني ايش كان اكثر اكلك في بلدك ؟ فقالت : لحم البقر . فقال : يا ستي ، وما كنت تشري من النبيذ الذي عندهم : فقالت : كذا كان. فقال : ابشري بالعافية . وراح الى بيته واشترى عجلاً وذبحه وطبخ منه ، وجاب معه في زبدية منه قطع لحم مضلوق ، وقد جعلها في لبن وثوم ، وفوقها رغيف خبز فأحضره بين يديها وقال : كلي . فالت نفسها اليه ، وصارت تجعل اللحم في اللبن والثوم وتأكل حتى شبعته . ثم بعد ذلك اخرج من كمة برنية صغيرة ، وقال : يا ستي هذا شراب ينفعك فتناوليه فشربته ، وطلبت النوم ، وغطيت بفرجية فرو سنجاب ، فعمقت عرقاً كثيراً واصبحت في عافية . وصار يجيب لها من ذلك الغذاء والشراب يومين آخرين ، فتكاملت عافيتها فانعمت عليه ، واعطته صينية مملوءة حلياً . فقال : اريد مع هذا ان تكتبي لي كتاباً الى السلطان وتعرفيه ما كنت فيه من المرض وانك تعافيت على يدي ، فوعده بذلك وكتبت الى السلطان تشكر منه ، وتقول له فيه انها كانت قد اشرفت على الموت وان فلاناً عاجلني وما وجدت العافية إلا على يديه ، وجميع الاطباء الذين كانوا عندي ما عرفوا مرضي . وطلبت منه ان يحسن اليه . فلما قرأ الكتاب استندعاه واحترمه ، وقال له : هم شاكرون من مداواتك. فقال : يا مولانا كانت من الهالكين ، وانما الله ، عز وجل ، جعل عافيتها على يدي لبقية أجل كان لها . فاستحسن قوله ، وقال : ايش تريد أعطيك . فقال : يا مولانا تطلق لي عشرة فدادين خمسة في قرية صمخ وخسة في قرية عندان . فقال : نطلقها لك بيعاً وشراء حتى تبقى مؤبدة لك. وكتب له بذلك وخلع عليه . وعاد الى حلب وكثرت أمواله بها . ولم يزل في نعمة طائلة بها وأولاده بعده .

عفيف بن سكرة

هو عفيف بن عبد القاهر سكرة يهودي من اهل حلب ، عارف بصناعة الطب ، مشهور بأعمالها وجودة النظر فيها . له أولاد وأهل اكثرهم مشغولون بصناعة الطب ، ومقامهم بمدينة حلب . ولعفيف بن سكرة من الكتب : مقالة في القولنج الفها للملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب ، وذلك في سنة اربع وثمانين وخمسةائة .

ابن الصلاح

هو الشيخ العالم نجم الدين ابو الفتوح أحمد بن محمد بن السري ، وكان يعرف بابن الصلاح فاضل في العلوم الحكمية جيد المعرفة بها مطلع على دقائقها وامرارها ، فصيح اللسان قوي العبارة ملبح التصنيف

(١) وتسمى أيضاً ألان ار الآسن وهي قبيلة فارسية تدين بالنصرانية وغلبيهم المنول فتفرقوا في آسيا الوسطى حتى الصين.

متميز في علم صناعة الطب ، وكان أعجيباً أصله من همدان ، وقطن ببغداد واستدعاه حسام الدين تمرناش^(١) بن الغازي بن ارتقى اليه واكرمه غاية الاكرام ، وبقي في صحبته مدة . ثم توجه ابن الصلاح الى دمشق . ولم يزل بها الى ان توفي ، وكانت وفاته رحمه الله بدمشق ليلة الاحد سنة نيف واربعين وخمسمائة ودفن في مقابر الصوفية عند نهر بانياس بظاهر دمشق

ونقلت من خط الشيخ الحكيم أمين الدين أبي زكريا يحيى بن اسمعيل البياسي رحمه الله قال : كان قد ورد الى دمشق الشيخ الامام العالم الفيلسوف أبو الفتوح بن الصلاح من بغداد ، ونزل عند الشيخ الحكيم أبي الفضل اسمعيل ابن أبو الوزار الطبيب . واراد ابن الصلاح ان يستعمل له تمشكا ببغداد ، وسأل عن صانع مجيد لعمل ذلك ، فدل على رجل يقال له سعدان الاسكاف . فاستعمل التمشك عنده ، ولما فرغ منه بعد مدة وجده ضيق الصدر زائد الطول رديء الصنعة ، فبقي في اكثر أوقاته يعيبه ، ويستقبح صنعته ، ويلوم الذي استعمله . وبلغ ذلك الشيخ أبا الحكم المغربي الطبيب ، فقال على لسان الفيلسوف هذه القصيدة على سبيل الجون ، وذكر فيها اشياء كثيرة من اصطلاحات المنطق والالفاظ الحكمية والهندسية وهي :

وامري عجيب شرحه يا أبا الفضل
وما قد لقيت في دمشق من الذل
على انني حوشيت في العلم من جهل
عليه زمان ليس بحمد في فعل
وهيات ان القاء في الحزن والسهل
فله ما قاسيت من ذلك النذل
تحوز بها شكر امرئ عالم مثلي
من الادم^(٢) المدبوغ بالعنص^(٣) والحل
على كل انسان يرى مذهب العقل
وسوفي شهرين بالدفح والمطل
وقلت ترى سعد ان انجز لي شغلي
بكعب غدا حتفاً على الكعب والرجل
أضيف الى نعل شبيه به فسل
ويعي ذوي الالباب والعقد والحل
ووجه الى القطب الجنوبي مستعلي
ولكن فساد شاع في الفرع والاصل
فجزء الى علو وجزء الى سفلى

مصابي مصاب تاه في وصفه عقلي
أبتك ما بي من اسى وصابية
قدمت اليها جاهلاً بامورها
وقد كان في رجلي تمشك فخاني
فقلت عسى ان يخلف الدهر مثله
ولاحقي نذل دهيت بقربه
فقلت له يا سعد جد لي بحاجة
بحقي عسى تستنخب اليوم قطعة
فقال على رأسي وحقك واجب
فناولته في الحال عشرين درهماً
فلا قضى الرحمن لي بنجازه
أتى بتمشك ضيق الصدر أحنف
وبشتيكه بشتيك سوء مقارب
بشكل على الاذهان يعسر حله
وكعب الى القطب الشمالي مائل
وما كان في هندامه لي صحة
موازة خطى جانبيه تخالفاً

(١) صاحب ماردن (١١٠٤ - ١١٥٢) وفي أيامه جرت الحروب الاهلية بين امراء المسلمين وانتهى الامر بانتصار الافرنج عليهم .
(٢) الحق الجلد .
(٣) ثمر شجر اللؤلؤ يتخذ منه الخبز .

وكم فيه من عيب وخزير مفتق
 بوصل ضروري وقد كان ممكناً
 وفيه اختلال من قياس مركب
 فلا شكله القطاع بما يليق ان
 ولا جنس ايساغوجه بين ولا
 فساد طرافى شكله عند كونه
 وقد كان فيه قوة لمرادنا
 فلو كان معدول الكمال احتملته
 فيما لك في ايجاب ما الصدق سلبه
 وما عازني فيه اختلال مقوله
 وأي القضايا لم يكن فيه كذبيها
 لقد أعوز البرهان منه شرائط
 اذا حط في شمس فمخروط باشه
 وطبطب في رجلي والصف ما انقضى
 فاذهلني حتى بقيت مغيباً
 وفي كل ذا قد بان نقف دماغه
 وأخرب بيت منه في الخلق ما ترى
 واوقلديس لو عاش أعيا الحلاله
 فحينئذ أقسمت بالله خالقي
 وسورة يس وطه ومريم
 لئن لم اجد في المزلقان ملاسة
 ولا قلت شعراً في دمشق ولا أرى
 دهيت به خلا ينقص عيشي
 وكم آلم الاسكاف قلبي بمطله
 وكان ازسطاليس يدهى بمعشر
 وبقرط قد لاقى أموراً كثيرة
 وقد كان جالينوس ان عض رجله

يعاف ومن قطع من الزيج^(١) والنمل
 لمزك ان يأتي التمشك بلا وصل
 فلا ينتج الشرطي منه ولا الحلي
 أصون به رجلي فلا كان من شكل
 يجد له نوع اذا جيء بالفصل
 فقل اي شيء عن مقابحه يسلي
 فأعوزنا منه الخروج الى الفعل
 ولكن سلبب الحس في الجزء والكل
 وعدل قضايا جاء من غير ذي عدل
 فجوهره والكم والكيف في خبل
 وأي قياس ليس فيه بمعتل
 فايحابه ثم الضروري والكلي
 للفتت يبيدي انحرافاً الى الظل
 فكيف به ان صرت في الطين والوحل
 ولم يبق لي سعدان يا صاح من عقل
 فاهون بشخص ناقص العقل مختل
 سريعاً وأولى بالهوان وبالأزل^(٢)
 عليه لان الشكل ممتنع الحل
 وهود^(٣) أخيه عاد^(٤) وشيث^(٥) وذو الكفل^(٦)
 وصاد وحم ولقمان والنمل^(٧)
 توائي كرامي لا جعلناه في حل
 اعاتب اسكافاً يجد ولا هزل
 فلا بارك الرحمن لي فيه من خل
 ولاقيت ما لاقاه موسى^(٨) من العجل
 يرومون منه ان يوافق في الهزل
 ولكنه لم يلق في امه مثلي
 تمشك يداوي العقر بالمرم النخلي

(١) اصل الزيج خيط البناء وفي علم الهيئة : الجدول الذي يستدل به على حركة الكواكب السيارة .

(٢) الضيق والشدة .

(٣) نبي ارسله الله لاهل عاد . (٤) قوم هود . (٥) ثالث ابناء آدم وحواء . (٦) من الانبياء ورد ذكره في القرآن .

(٧) كل هذه سور من القرآن الكريم .

(٨) نبي الله الكليم .

وما كان يصني في حفاء الى عدل
وضاع له نعل يروح بلا نعل
يقاسون ما لا ينبغي من ذوي الجهل
ندمت فازمعت الرجوع الى اهلي
هنالك اقوام كرام ذوو نبل
وذي رغبة في العلم اكتب ما اهلي
ومن لي بهذا وهو ممتنع ، من لي
فيا ليت أني ما حططت بها رحلي
أعائش منهم معشراً ليس من شكلي
وجاد على الارضين رائحة المحل
وأدمعها في الخد دائمة الهطل
وقد جاء في رجلي منحرف الشكل
فيا ليت أني قد بقيت بلا رجلي
فكيف احتراسي من أذيته قل لي
أخاف على جسمي من السقم والسل
علت يقيناً انه موجب قتلي
بنا منك فوق الرمل ما بك في الرمل
وجدت به ما لم يجد أحد قبلي
(الطويل)

وقسطا بن لوقا كان يحفى لاجل ذا
وكان أبو نصر اذا زار معشراً
وارباب هذا العلم ما فتثوا كذا
لذلك اني منذ حلت يجلت^(١)
ولو كنت في بغداد قام لنصري
وما كنت أخلو من ولي مساعد
فيا ليتني مستمجلاً طرت نحوها
ففي الشام قد لقيت ألف بلية
على أنني في جلق بين معشر
فاقسم ما نوء الثريا اذا ممي
ولا بكث الحنساء صخرا شقيقها
باغزر من دمعي اذا ما رأيت
وامرضني ما قد لقيت لاجله
فهذا وما عدت بعض خصاله
ومن عظم ما قاسيت من ضيق باسه
فيا لتمشك منذ تأملت شكله
وينشد من يأتيه نعي يخلق
فلا تمجبوا مها دهاني فاني

ولابن الصلاح من الكتب : مقالة في الشكل الرابع من اشكال القياس المحلى ، وهذا الشكل
المنسوب الى جالينوس . كتاب في الفوز الاصغر في الحكمة .

شهاب الدين السهروردي

هو الامام العالم الفاضل أبو حفص عمر بن^(*) . كان أروحداً في العلوم الحكيمة ، جامعاً للفنون
الفلسفية ، بارعاً في الاصول الفلكية ، مفرط الذكاء ، جيد الفطرة ، فصيح العبارة . لم يناظر احداً
الا بزه ، ولم يباحث محصلاً الا اربى عليه . وكان علمه أكثر من عقله . حدثني الشيخ سيد الدين
ابن عمر قال : كان شهاب الدين السهروردي قد اتى الى شيخنا فخر الدين المارديني ، وكان يتردد اليه

(١) اصل جلق موضع في جنوبي سوريا حشد فيه البيزنطيون جيوشهم قبل واقعة العرب. ثم اطلق على دمشق نفسها (ن.ر)
(*) بياض بالاصل .

في أوقات وبينها صداقة ، وكان الشيخ فخر الدين يقول لنا ما اذكى هذا الشاب وأفصحه ، ولم أجد احداً مثله في زمانى ، إلا أنى أخشى عليه لكثرة تهوره واهتباره ، وقلة تحفظه ان يكون ذلك سبباً لتلافه . قال : فلما فارقنا شهاب الدين السهروردي من الشرق ، وتوجه الى الشام أتى الى حلب وناظر بها الفقهاء ، ولم يحاره أحد فكثرت تشجيعهم عليه ، فاستحضره السلطان الملك الظاهر ^(١) غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب ، واستحضر الاكابر من المدرسين والفقهاء والمتكلمين لسمع ما يجري بينهم وبينه من المباحث والكلام . فتكلم معهم بكلام كثير بأن له فضل عظيم ، وعلم باهر ، وحسن موقعه عند الملك الظاهر وقربه ، وصار مكيناً ، عنده مختصاً به ، فازداد تشجيع أولئك عليه وعملوا محاضرة بكفره وسيروها الى دمشق الى الملك الناصر صلاح الدين . وقالوا : ان بقي هذا فانه يفسد اعتقاد الملك الظاهر ، وكذلك ان اطلق فانه يفسد أي ناحية كان بها من البلاد . وزادوا عليه أشياء كثيرة من ذلك فبعث صلاح الدين الى ولده الملك الظاهر بجلب كتاباً في حقه بخط القاضي الفاضل وهو يقول فيه : ان هذا الشهاب السهروردي لا بد من قتله ، ولا سبيل انه يطلق ولا يبقى بوجه من الوجوه . ولما بلغ شهاب الدين السهروردي ذلك ، وأيقن انه يقتل ، وليس جهة الى الافراج عنه اختار انه يترك في مكان مفرد ويمنع من الطعام والشراب الى ان يلقي الله تعالى ففعل به ذلك . وكان في أواخر سنة ست وثمانين وخمسمائة بقلمه حلب ، وكان عمره نحو ست وثلاثين سنة . قال الشيخ سديد الدين محمود بن عمر : ولما بلغ شيخنا فخر الدين المارديني قتله قال لنا: اليس كنت قلت لكم عنه هذا من قبل ، وكنت أخشى عليه منه .

أقول : ويحكى عن شهاب الدين السهروردي انه كان يعرف علم السيمياء وله نوادر شوهدت عنه من هذا الفن ومن ذلك حدثني الحكيم ابراهيم بن أبي الفضل بن صدقة انه اجتمع به وشاهد منه ظاهر باب الفرج ، وهم يتمشون الى ناحية الميدان الكبير ، ومعه جماعة من التلاميذ وغيرهم ، وجرى ذكر هذا الفن وبدائعه وما يعرف منه وهو يسمع . فمشى قليلاً ، وقال: ما أحسن دمشق وهذه المواضع . قال فظفرنا واذا من ناحية الشرق جواسق عالية متدانية بعضها الى بعض مبيضة ، وهي من أحسن ما يكون بناية وزخرفة ، وبها طاقات كبار فيها نساء ما يكون أحسن منهن قط ، واصوات مغان واشجار متعلقة بعضها مع بعض ، وأنهر جارية كبار ، ولم نكن نعرف ذلك من قبل ، فبقينا نتعجب من ذلك وتستحسنه الجماعة ، وانذهلوا لما رأوا . قال الحكيم : فبقينا كذلك ساعة ثم غاب عنا ، وعدنا الى رؤية ما كنا نعرفه من طول الزمان . قال لي : إلا ان عند رؤية تلك الحالة الاولى العجيبة بقيت أحسن في نفسي كأنني في سنة خفية ، ولم يكن ادراكي كالحالة التي أتتبعها مني .

وحدثني بعض فقهاء المعجم قال : كنا مع الشيخ شهاب الدين عند الغابون ^(٢) ، ونحن مسافرون عن دمشق فلقينا قطيع غنم مع تركماني ، فقلنا للشيخ : يا مولانا نريد من هذا الغنم رأساً نأكله ، فقال : معي عشرة دراهم خذوها واشتروا بها رأس غنم . وكان ثم تركماني فاشترينا منه رأساً بها ، فمشينا

(١) صاحب حلب (١١٦٧ - ١٢١٥) وهو ثاني اولاد صلاح الدين . حارب الصليبيين . (ن.د)

(٢) قرية من ضواحي دمشق رايها .

فلحقنا رفيق له وقال : ردوا الرأس وخذوا أصغر منه فان هذا ما عرف يبيعكم يسوى هذا الرأس البختية^(١) الذي معكم اكثر من الذي قبض منكم . وتناولنا نحن وإياه ، ولما عرف الشيخ ذلك قال لنا خذوا الرأس وامشوا ، وانا اقف معه وأرضيه ، فتقدمنا وبقي الشيخ يتحدث معه ويمنيه ، فلما أبعدها قليلاً تركه وتبعنا وبقي التركماني يمشي خلفه ويصيح به ، وهو لا يلتفت اليه ، ولما لم يكلمه لحقه بغيط وجذب يده اليسرى وقال : أين تروح وتخليني ؟ وإذا بيد الشيخ قد انخلت من عند كتفه ، وبقيت في يد التركماني ودمها يجري . فبهت التركماني ، وتحير في أمره ، ورمى اليد وخاف . فرجع الشيخ وأخذ تلك اليد بيده اليمنى ولحقنا . وبقي التركماني راجعاً وهو يتلفت الينا حتى غاب . ولما وصل الشيخ الينا رأينا في يده اليمنى منديله لا غير .

وحدثني صفى الدين خليل بن ابي الفضل الكاتب قال : حدثنا الشيخ ضياء الدين بن صقر رحمه الله ان في سنة خمسائة وتسعة وسبعين قدم الى حلب الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي ، ونزل في مدرسة الجلاوية ، وكان مدرستها يومئذ الشريف رئيس الحنفية افتخار الدين رحمه الله . فلما حضر شهاب الدين الدرس ، وبحث مع الفقهاء ، وكان لابس دلق^(٢) ، وهو مجرد بأبريق وعكاز وما كان احد يعرفه . فلما بحث وتميز بين الفقهاء ، وعلم افتخار الدين انه فاضل أخرج له ثوباً عتائباً وغلالة ولباساً وبقيار^(٣) ، وقال لولده : تروح الى هذا الفقير وتقول له : والذي يسلم عليك ويقول لك انت رجل فقيه ، وتحضر الدرس بين الفقهاء ، وقد سير لك شيئاً تكون تلبسه اذا حضرت . فلما وصل ولده الى الشيخ شهاب الدين وقال له ما أوصاه سككت ساعة وقال : يا ولدي حط هذا القماش ، وتفضل اقض لي حاجة . وأخرج له فص بلخش في قدر بيضة الدجاجة رماني ، ما ملك أحد مثله في قده ولونه ، وقال : تروح الى السوق تنادي على هذا الفص ومها جاب لا تطلق بيعه حتى تعرفني . فلما وصل به الى السوق عند العريف ، ونادى على الفص فاتته ثمنه الى مبلغ خمسة وعشرين الف درهم . فأخذه العريف وطلع الى الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين ، وهو يومئذ صاحب حلب وقال : هذا الفص قد جاب هذا الثمن ، فأعجب الملك الظاهر قده ولونه وحسنه قبله الى ثلاثين الف درهم . فقال العريف : حتى انزل الى ابن افتخار الدين واقول له . وأخذ الفص ونزل الى السوق واعطاه له ، وقال له : رح شاور والدك على هذا الثمن . واعتقد العريف ان الفص لافتخار الدين ، فلما جاء الى شهاب الدين السهروردي وعرفه بالذي جاب الفص صعب عليه ، وأخذ الفص وجعله على حجر وضربه بحجر آخر حتى قتته وقال لولد افتخار الدين : خذ يا ولدي هذه الثياب ورح الى والدك قبل يده عني وقل له : لو أردنا الملبوس ما غلبنا عنه . فراح الى افتخار الدين ، وعرفه صورة ما جرى فبقي حائراً في قضيته . واما الملك الظاهر فانه طاب العريف وقال ، أريد الفص . فقال : يا مولانا أخذه صاحبه ابن الشريف افتخار الدين مدرس الجلاوية . فركب السلطان ونزل الى المدرسة وقعد في الاوان ،

(١) الابل الحراسانية وهي طويلة الاعناق .

(٢) ثوب متسع الاكمام طويلها مفتوح فوق كتفيه بغير تفريج سايل على القدمين يلبسه القضاة في الدولة الايوبية .

(٣) اعتقد انه البقير وهو برد يشق فيلبس بلا كمين ولا جيب .

وطلب افتخار الدين اليه وقال : اريد الفص . فعرفه انه لشخص فقير نازل عنده . قال : فأفكر السلطان ثم قال : يا افتخار الدين ان صدق حدسي فهذا شهاب الدين السهروردي . ثم قام السلطان واجتمع بشهاب الدين وأخذه معه الى القلعة وصار له شأن عظيم . وبحث مع الفقهاء في سائر المذاهب ، وعجزهم واستطال على أهل حلب وصار يكلمهم كلام من هو أعلى قدراً منهم ، فتعصبوا عليه وأقتوا في دمه حتى قتل . وقيل ان الملك الظاهر سبر اليه من خنقه . قال : ثم ان الملك الظاهر بعد مدة نقم على الذين اقتوا في دمه ، وقبض على جماعة منهم واعتقلهم ، وأهانهم واخذ منهم اموالاً عظيمة .

حدثني سيد الدين محمود بن عمر المعروف بابن رقيقة قال : كان الشيخ شهاب الدين السهروردي رث البزة ، لا يلتفت الى ما يلبسه ، ولا له احتفال بامور الدنيا . قال : وكنت أنا ويايه يتمشى في جامع مياقارقين وهو لابس جبة قصيرة مضربة زرقاء ، وعلى رأسه فوطة مفتولة ، وفي رجليه زربول^(١) ، ورآني صديقي لي فأتى الى جانبي وقال : ما جئت تماشي الا هذا الخربند ؟ فقلت له : اسكت هذا سيد الوقت ، شهاب الدين السهروردي . فتعاضم قولي وتعجب ومضى .

وحدثني بعض أهل حلب قال : لما توفي شهاب الدين رحمه الله ، ودفن بظاهر مدينة حلب ، وجد مكتوباً على قبره ، والشعر القديم :

قد كان صاحب هذا القبر جوهرة مكنونة قد براها الله من شرف
فلم تكن تعرف الايام قيمته فردها غيرة منه الى الصدف
(البسيط)

ومن كلامه قال في دعاء : « اللهم يا قيام الوجود ، وفائض الجود ، ومنزل البركات ، ومنتهى الرغبات ، منور النور ، ومدير الامور ، وواهب حياة العالمين ، امددنا بنورك ، ووقفنا لمرضاتك ، والهمنا رشدك ، وطهرنا من رجس الظلمات ، وخلصنا من غسق الطبيعة الى مشاهدة انوارك ، ومعينة اضوائك ، ومجاورة مقربيك ، وموافقة سكان ملكوتك . واحشرنا مع الذين انعمت عليهم من الملائكة والصديقين والانبياء والمرسلين .

ومن شعر شهاب الدين السهروردي :

أبدأ تحن اليكم الارواح ووصالكم ريحانها والراح
وقلوب اهل وداكم تشناكم والى لذيتكم وصالكم تراح
وارحنا للعاشقين تكلفوا سائر المحبة والهوى فضاخ
بالسر ان باحوا تباح دماؤهم وكذا دماء البائعين تباح
واذا هم كتموا تحدث عنهم عند الوشاة المدمع السباح
ويبدت شواهد للسقام عليهم فيها لمشكل امرهم ايضاح

(١) الزربول كما في التاج : مايلبس في الرجل « مولد » والمعروف عند العامة انها الحذاء الضخم « معرب » .

للصب في خفض الجناح جناح^(١)
والى رضاكم طرفه طماح
فالهجر ليل والوصال صباح
رق الشراب ودارت الاقداح
وبخده الصهباء والتفاح
في أحسن الياقوت منه اقحاح
(الكامل)

خفض الجناح لكم وليس عليهم
فالى لقاكم نفسه مشتاقه
عودوا بنور الوصل من غسق الدجا
ومتنعوا فالوقت طاب لكم وقد
مترنحاً وهو الغزال الشارد
وبثغره الشهد الشهي وقد بدا

وقال ايضاً :

وتغنم الدنيا فليس تخلف
لا يمنعك عن هواك مفند
دنياك يوم واحد يتردد
ولتندمن اذا نهك الموعد
ومساجد خربت ، وعمر معبد
قدماً وكم صلوا لها وتعبدوا
(الطويل)

فز بالنعيم فان عمرك ينفد
واذا ظفرت بلذة فانقض لها
وصل الصبوح مع الغبوق فانما
وعدوك تشرب في الجنان مدامة
كم امة هلكت ، ودار عطلت ،
ولكم نبي قد أتى بشريعة

وقال ايضاً :

ولي عزم الرحيل عن الديار
فان الشهب أشرقها السواري
كأن الليل زين بالنهار
الى كم أجعل التنين جاري
وفوق الفرقدين رأيت داري
يذكرني بها قرب المزار
(الوافر)

أقول لجارتي والدمع جاري
فربني انت أسير ولا تنوحي
واني في الظلام رأيت ضوءاً
الى كم أجعل الحيات صحي
وكم أرضى الاقامة في فلاة
ويأتيني من الصنعاء برق

وقال عند وفاته وهو يجود بنفسه لما قتل :

فبكوني اذ رأوني حزناً
ليس ذا الميت والله انا
طرت عنه فتخلي رهنا
واري الله عياناً بهنا
لترون الحق حقاً بينا

قل لاصحاب رأوني ميتاً
لا تظنوني باني ميت
أنا عصفور وهذا قفصي
وأنا اليوم اناجي ملأ
فاخلعوا الانفس عن اجسادها

(١) الجناح : الاثم .

لا ترعكم سكرة الموت فما
عنصر الارواح فينا واحد
ما أرى نفسي إلا أنتم
فحق ما كان خيراً فلنا
فارحموني ترحوا أنفسكم
من رأيي فليقو نفسه
وعليكم من كلامي جملة
فسلام الله مدح وثنا
هي الا انتقال من هنا
وكهذا الاجسام جسم عينا
واعتقادي انكم انتم انا
ومتى ما كنت شراً فبنا
واعلموا أنكم في اثنا
انما الدنيا على قرن الفنا
(الرمل)

ولشهاب الدين السهروردي من الكتب : كتاب التلويحات اللوحية والعرشية . كتاب الالواح
العمادية ، ألفه للمعاد الدين أبي بكر بن قرا أرسلان بن داود بن ارتق صاحب خرت برت . كتاب
اللحمة . كتاب المقارمات وهو لواحق على كتاب التلويحات . كتاب هياكل النور . كتاب المعارج .
كتاب المطارحات . كتاب حكمة الاشراف

شمس الدين الخوي

هو الصدر الامام العالم الكامل قاضي القضاة شمس الدين ، حجة الاسلام ، سيد العلماء والحكام ،
أبو العباس أحمد بن الخليل بن سماعة بن جعفر بن عيسى من مدينة خوي^(١) كان أرواح زمانه في العلوم
الحكمية ، وعلامة وقته في الامور الشرعية . عارفاً باصول الطب وغيره من أجزاء الحكمة ، عاقلاً ،
كثير الحياء ، حسن الصورة ، كريم النفس ، محباً لفعل الخير . وكان رحمه الله ملازماً للصلاة والصيام وقراءة
القرآن . ولما ورد الى الشام في أيام السلطان الملك المعظم^(٢) عيسى بن الملك العادل استحضره ، وسمع
كلامه فوجده أفضل أهل زمانه في سائر العلوم . وكان الملك المعظم عالماً بالامور الشرعية والفقه
فحسن موقعه عنده ، واکرمه وأطلق له جامكية وجراية . وبقي معه في الصحبة . ثم جعله مقبلاً
بدمشق ، وله منه الذي له . وقرأ عليه جماعة من المشتغلين وانتفعوا به . وكنت أتردد اليه ، وقرأت
عليه التبصرة لابن سهلان . وكان حسن العبارة قوي البراعة ، فصيح اللسان بليغ البيان ، وافر
المروة ، كثير الفتوة . وكان شيخه الامام فخر الدين بن خطيب الري لحقه وقرأ عليه ، ثم ولاء الملك
المعظم القضاء وجعله قاضي القضاة بدمشق . وكان مع ذلك كثير التواضع لطيف الكلام ، يمضي الى
الجامع ماشياً للصلاة في أوقاتها . وله تصانيف لا مزيد عليها في الجودة . وكان ساكناً في المدرسة
العادية ويلقي بها الدرس للفقهاء . ولم يزل على هذه الحال الى ان توفي رحمه الله ، وهو في سن الشباب .

(١) بلد بإذربيجان .

(٢) (١١٨٠ - ١٢٢٨) قول الحكم بدمشق واختلف مع ابناء صلاح الدين ففرقت كلتهم ولم يقورا على الصليبيين .

(ن ر)

وكانت وفاته بحمي الدق^(١) بدمشق ، وذلك في سابع شهر شعبان سنة سبع وثلاثين وستائة .
ولشمس الدين الخوي من الكتب : تنمة تفسير القرآن لابن خطيب الري . كتاب في النحو .
كتاب في علم الأصول . كتاب يشتمل على رموز حكمية على ألقاب السلطان الملك المعظم ، صنفه
للملك المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب .

رفيع الدين الجيلي

هو القاضي الاجل ، الامام العالم ، رفيع الدين أبو حامد عبد العزيز بن عبد الواحد بن اسمعيل
ابن عبد الهادي الجيلي ، من اهل فيلمان شهر من الجيلان ، وكان من الاكابر المميزين في العلوم الحكمية ،
واصول الدين والفقه والعلم الطبي والطب . وكان مقبلاً بدمشق ، وهو فقيه في المدرسة العذراوية
داخل باب النصر . وله مجلس للمشتغلين عليه في انواع العلوم والطب . وقرأت عليه شيئاً من العلوم
الحكمية . وكان فصيح اللسان قوي الذكاء ، كثير الاشتغال والمطالعة . واستخدم قاضياً في مدينة
بعلبك ، وبقي بها مديدة . وكان صديقاً للصاحب أمين الدولة ، وبينهما عشرة . ولما تملك السلطان
الملك الصالح^(٢) عماد الدين اسمعيل دمشق ، وتوفي قاضي القضاة شمس الدين الخوي رحمه الله فأشار
الصاحب أمين الدولة ان يجعل موضعه ، فولاه السلطان ، وصار قاضي القضاة بدمشق ، وارتفعت
منزلته واثري ، وبقي كذلك مدة ، وكان كثير من الناس يتظلمون منه ، ويشكون سيرته . وبالجمله
فان الحال تأدى به الى ان قبض عليه ، وقتل رحمه الله في أيام الملك الصالح اسمعيل . وكان قد وقع
بين القاضي رفيع الدين وبين الوزير أمين الدولة قبضه تحت الحوطة مع رجال عوامله الى قريب
بعلبك في موضع فيه هوة عظيمة لا يعرف لها قعر ، يقال لها مغارة افقه^(٣) . وكانوا أمروهم بما يفعلونه
به فكتفوه ، ثم دفعوه في وسطها . وحدثنا بعض الذين كانوا معه انه لما دفع في تلك الهوة تحطم في
نزوله ، وكأنه تعلق في بعض جوانبها أسفل بشابه . قال : فبقينا نسمع أنينه نحو ثلاثة أيام ، وكلما
مر يضعف ويخفى حتى تحققنا موته ورجعنا عنه .

أقول : ومن عجب ما يحكى ان القاضي رفيع الدين وقف على نسخة من هذا الكتاب بحضوري ،
وما كنت ذكرته في تلك النسخة فطالع فيه ، ولما وقف على اخبار شهاب الدين السهروردي تأثر من
ذلك وقال لي : ذكرت هذا وغيره أفضل منه ما ذكرته ، وأشار الى نفسه . ثم قال : وايش كان
من حال شهاب الدين إلا انه قتل في آخر أمره ، وقدر الله عز وجل ان رفيع الدين قتل أيضاً مثله ،
فسبحان الله العظيم المدبر في خلقه بما يشاء . وكانت وفاة القاضي رفيع الدين في شهر ذي الحجة سنة
احدى واربعين وستائة . ولما كان رفيع الدين قد تولى القضاء بدمشق ، وصار قاضي القضاة ، وذلك

(١) الحمي التي تعرفها العامة بالسخونة الرقيقة .

(٢) اتابك حلب ودمشق احسن السياسة فأحبه الشعب واطاعه وتوفي سنة ١١٨٠ .

(٣) قرية في كسروان من لبنان ويتدفق من مغارتها نهر ابراهيم . (ن. ر)

سنة ثمان وثلاثين وستائة ، عملت فيه هذه القصيدة واهنته فيها :

مجد وسعد دائم وعلاء أبد الزمان ورفعة وسناء
 ببقاء مولانا رفيع الدين ذي الجود العميم ومن له النعماء
 قاضي القضاة أجل مولى لم يزل بعلاه يسمو العلم والعلماء
 متفرد بالمكرمات وانما كل الورى في بعضها شركاء
 لو رام كل بليغ قول انه يحصي علاه لقصر البلغاء
 كم من عداة شاهدين بفضلهم والفضل ما شهدت به الاعداء
 وله التصانيف التي قد أعربت عن كل ما قد أعجم القدماء
 وبه لجيل في البلاد مفاخر وكذا لهذا الجيل منه علاه
 يا سيداً فاق الانام حقيقة يجميل وصف ليس فيه خفاء
 قد كان عندي من فراقك والنوى ألم ومن رؤياك جاء شفاء
 وأتى الى قلبي السرور واشرقت شمس الجبور وزالت البرحاء
 وبدت تبشير الهناء بمنصب يملوه من نور الاله بهاء
 إحكام احكام وعدل شائع ملئت به وبفضلك الغبراء
 وتفرقت في الناس منك فواضل وتجمعت منهم لك الاهواء
 فلك السيادة والسعادة والعلا والفضل والافضال والآلاء
 والمشتري للحمد أنت وان تقل فصل الخطاب فانك الجوزاء
 ولئن خصصتك بالهناء فانه عم الانام بما وليت هناء
 لله كم أوليتني منناً على مر الزمان وما لها احصاء
 قاسم ودم في رغد عيش دائم ما غردت في أيكها الورقاء
 (الكامل)

ولرفيع الدين الجيلي من الكتب : شرح الاشارات والتنبيهات ، ألفه المظفر تقي الدين عمر ابن
 الملك الاجمدهرام شاه بن فرخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب . اختصار الكليات من كتاب القانون
 لابن سينا . كتاب جمع ما في الاسانيد من حديث النبي ﷺ

شمس الدين الخسروشاهي

هو السيد الصدر الكبير ، العالم شمس الدين عبيد الحميد بن عيسى الخسروشاهي . وخسروشاه
 ضيعة قريبة من تبريز^(١) . إمام العلماء ، سيد الحكماء ، قدوة الانام ، شرف الاسلام . قصد تميز في
 العلوم الحكيمية ، وحرر الاصول الطبية ، وأتقن العلوم الشرعية ولم يزل دائم الاشتغال ، جامعاً للفضل

(١) مدينة في بلاد ايران هي قاعدة إقليم آذربيجان اليوم .

والافضال . وكان شيخه الامام فخر الدين بن خطيب الري وهو من اجل تلامذته . ومن حيث وصل إلى الشام اتصل بخدمة السلطان الملك الناصر صلاح الدين داود^(١) بن الملك المعظم ، وأقام عنده بالكرك ، وهو عظيم المنزلة عنده وله منه الاحسان الكثير والانعام الغزير . ثم توجه شمس الدين بعد ذلك الى دمشق وأقام بها الى ان توفي رحمه الله . وكانت وفاته في شهر شوال سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة . ودفن بجبل قاسيون^(٢)

ولما وصل الى دمشق اجتمعت به فوجدته شيخاً حسن السمات ، مليح الكلام قوي الذكاء ، محصلاً للعلوم . ورأيت يوماً وقد أتى اليه بعض فقهاء المعجم بكتاب دقيق الخط ثمن البغدادي ، معتزلي التقطيع . فلما نظر فيه صار يقبله ويضعه على رأسه ، فسأله عن ذلك فقال : هذا خط شيخنا الامام فخر الدين الخطيب رحمه الله . فعظم عندي قدره لتعظيمه شيخه . ولما توفي شمس الدين الحسروشاخي رحمه الله ، قال الشيخ عز الدين محمد بن حسن الغنوي الضربير الأربلي يرثيه :

بموتك شمس الدين مات الفضائل	وأردى يبدر الفضل والبدر كامل
فتى عالم بالحق بالخير عامل	وما كل ذي علم من الناس عامل
فتى بذ كل القائلين بصمته	فكيف اذا وافيته وهو قائل
وكنا لحل المشكلات نعهده	اذا أعيت الحذاق منا المسائل
فربح الحجا من بعده اليوم قد خلا	وحيد المعالي من حل الفضل عاطل
أندري النسايا من رمت بسهامها	وأى فتى أودى وغال الغوائل
رمت اوحده الدنيا وبجر علومها	ومن قصرت في الفضل عنه الاوائل
ولو كان بالفضل الفنى يدفع الردى	لما غيبت عبد الحميد الجنادل
ولكن دفع الموت ما فيه حيلة	ولا في بقاء المرء يطمع آمل
فبعدك شمس الدين أعوز عالم	وأبدي الدعاوى في المحافل جاهل
	(الطويل)

وقال صاحب نجم الدين اللبودي يرثيه :

أيا ناعياً عبد الحميد نصبراً	عليّ فان العلم أدرج في كفن
مضى مفرداً في فضله وعلومه	وعدت فريد الهم والوجد والحزن
فيا عين سحي بالدموع لفقده	فما حسن صبري بعده اليوم بالحسن
تلقته اصناف الملائك بهجة	بمقدمه الاسنى على ذلك السنن
تقول له : أهلاً وسهلاً ومرحباً	بخير فتى وافى الى ذلك الوطن

(١) احد الملوك الايوبيين قضى حياته منافحاً عن حقوقه ضد خصومه من بني قومه واهل بيته . وكان شاعراً بليغاً . وتوفي بمرض الطاعون .

(٢) مدينة اردنية من الكلام عنها (ن . د)

الى معشر أضحى الوجود ذواتهم
وحسبك من ذات هي العين حقة
تبين ترى ذات الذوات بمصد
لك الله شمس الدين كم شدت معلماً
مصائبك شمس الدين تسلية لنا
فليس لهم إلف يعوق ولا سكن
فليس بها افك ولا عندها إحن
تعالى عن الاكوان والكون والزمن
من الحق أسنى ذا لسان له لسن
ومثلي من أضحى بمثلك يتمحن
(الطويل)

ولشمس الدين الخسروشاهي من الكتب: مختصر كتاب المذهب في الفقه على مذهب الامام الشافعي
لابي اسحق الشيرازي . مختصر كتاب الشفاء للرئيس ابن سينا . تتمة كتاب الآيات البينات لابن
خطيب الري، وكان وصل فيها في الشكل الثاني ، وهذه الآيات البينات غير النسخة الصغيرة المعروفة
التي هي عشرة أبواب .

سيف الدين الأمدى

هو الامام الصدر العالم الكامل سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي الأمدى،
أوحد الفضلاء ، وسيد العلماء . كان أذكى أهل زمانه ، وأكثرهم معرفة بالعلوم الحكيمية ، والمذاهب
الشرعية ، والمبادئ الطبية . هي الصورة ، فصيح الكلام ، جيد التصنيف . وكان قد خدم الملك
المنصور ناصر الدين أبا المعالي محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن ايوب صاحب حماة ،
وأقام بخدمته بمحابة سنين ، وله منه الجامعية السنية ، والانعام الكثير . وكان من أكبر الخواص
عنده ولم يزل في خدمته الى ان توفي الملك المنصور وذلك في سنة سبع عشرة وستائة . فتوجه الى
دمشق ، ولما دخلها انعم عليه الملك المعظم شرف الدين^(١) عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن ايوب
انعاماً واكرمه غاية الاكرام ، وولاه التدريس . وكان اذا نزل وجلس في المدرسة وألقى الدرس
والفقهاء عنده يتعجب الناس من حسن كلامه في المناظرة والبحث ، ولم يكن أحد يخاله في سائر
العلوم . وكان نادراً ان يقرىء أحداً شيئاً من العلوم الحكيمية . وكنت اجتمعت به واشتغلت عليه في
كتاب رموز الكنوز من تصنيفه ، وذلك لمودة أكيدة كانت بينه وبين أبي . وأول اجتماعي به
دخلت أنا وأبي اليه الى داره ، وكان ساكناً بدمشق في قاعة عند المدرسة العادلية ، فلما جلسنا عنده
بعد السلام ، وتفضل بحسن التودد والكلام نظر وقال بهذا اللفظ : ما رأيت ولداً اشبه بوالد منكما .
وأنشدني صاحب فخر القضاة بن بصاقة لنفسه وقد تشفع به العماد بن السماسي الى سيف الدين
الأمدى بأن يشتغل عليه :

يا سيداً جل الله الزمان به وأمله من جميع المعجم والعرب

(١) ولد في القاهرة (١١٨٢-١٢٢٧) وخلف أباه في ولاية الشام .

العبد يذكر مولاه بما سبقت
ومثل مولاي من جاءت مواهبه
فأصف من بجرك الفياض مورده
واجعل له نسباً يدلي اليك به
ولا تكله الى كتب تنبئ به
فالسيف اصدق انباء من الكتب

(البسيط)

اقول وقد جاء في هذا البيت احسن ما يكون من تضمين قول أبي تمام^(١) لاشتراك لفظة السيف ،
ولم يزل سيف الدين مقيماً بدمشق الى ان توفي رحمه الله . وكانت وفاته في رابع شهر صفر سنة
احدى وثلاثين وستائة .

ومن شعر سيف الدين الآمدي ، انشدني ولده جمال الدين محمد بما أنشده والده سيف الدين لنفسه :

فلا فضيلة إلا من فضائله
حاز الفخار بفضل العلم وارتفعت
فهو الوسيلة في الدنيا لطالبها
وهو الطريق الى الزلفى بأخراها

(البسيط)

ولسيف الدين الآمدي من الكتب : كتاب دقائق الحقائق . كتاب رموز الكنوز . كتاب
لباب الالباب . كتاب ابدار الافكار في الاصول . كتاب غاية المرام في علم الكلام . كتاب كشف
التمويهات في شرح التنبيهات ، ألفه للملك المنصور صاحب حماة ابن تقي الدين . كتاب غاية الامل في
علم الجدل . شرح كتاب شهاب الدين المعروف بالشريف المراغي في الجدل . كتاب منتهى السالك في
رتب المسالك . كتاب المبين في معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين . دليل متحد الائتلاف وجماد في
جميع مسائل الخلاف . كتاب الترجيحات في الخلاف . كتاب المؤاخذات في الخلاف . كتاب التعليقات
الصغيرة . كتاب التعليقات الكبيرة . عقيدة تسمى خلاصة الابرز . تذكرة الملك العزيز بن صلاح الدين
كتاب منتهى السؤل في علم الاصول . كتاب منائح القرائح .

موفق الدين بن المطران

هو الحكيم الامام العالم الفاضل موفق الدين أبو نصر أسعد بن أبي الفتح الياس بن جرجس المطران .
كان سيد الحكماء وأوحد العلماء ، وافر الآلاء ، جزيل النعماء ، أمير أهل زمانه في علم صناعة الطب
وعملها ، واكثرهم تحصيلاً لاصولها وجمعها . جيد المداواة لطيف المداواة ، عارفاً بالعلوم الحكمية ،
متعیناً في الفنون الادبية . وقرأ علم النحو واللغة والادب على الشيخ الامام تاج الدين ابي اليمین زيد بن

(١) حبيب بن اوس الطائي ، ولد في جامع ومنهم من يقول في جبل عامل و ولد هناك وتعلم في جبل عامل . وهو من
فطاحل شعراء العصر العباسي . (ن.د.)

الحسن الكندي ، وتميز في ذلك . وكان مولد موفق الدين بن المطران ومنشؤه بدمشق ، وكان أبوه ايضاً طبيباً متقدماً جوالاً في البلاد لطلب الفضيلة . وسافر الى بلاد الروم لاتقان الاصول التي يعتمد عليها في علم النصارى ومذاهبهم . ثم عدل بعد ذلك الى العراق واجتمع بأمين الدولة بن التليذ ، واشتغل عليه بصناعة الطب مدة ، وقرأ عليه كثيراً من الكتب الطبية ، وصار موسوماً بالطب . ثم انه عاد الى دمشق وبقي طبيباً بها الى حين وفاته .

وكان موفق الدين بن المطران حاد الذهن فصيح اللسان كثير الاشتغال . وله تصانيف تدل على فضله ونبله في صناعة الطب وفي غيرها من العلوم واشتغل بالطب على مذهب الدين بن النقاش . وكان ابن المطران جميل الصورة ، كثير التخصص محباً للبس الفاخر المثلث . وخدم بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وحظي في أيامه ، وكان رفيع المنزلة عنده عظيم الجاه . وكان يتحجب عنده ويقضي اشغال الناس ، وقال من جهة المال مبلغاً كثيراً . وكان صلاح الدين ، رحمه الله ، كريم النفس كثير العطاء لمن هو في خدمته ، ولمن يقصده من سائر الناس ، حتى انه مات ولم يوجد في خزانته من المال شيء ، وكان له حسن اعتقاد في ابن المطران لا يفارقه في سفر او حضر ، ولهذا انه غمره باحسانه ، وأترفه بامتثانه . وكان يغلب على ابن المطران الزهو بنفسه والتكبر حتى على الملوك . وكان صلاح الدين قد عرف ذلك منه ويحترمه ويبجله لما قد تحققه من علمه واسلم ابن المطران في أيام صلاح الدين .

وحدثني بعض من كان يعرف ابن المطران فيما يتعلق بعجبه وادلاله على صلاح الدين ، انه كان معه في بعض غزواته ، وكانت عادة صلاح الدين في وقت حروبه ان ينصب له خيمة حراء ، وكذلك دهليزها وشقتها . وان صلاح الدين كان يوماً راكباً واذا به قد نظر الى خيمة حراء اللون ، وكذلك شقتها ومستراحها فبقي متأملاً لها ، وسأل لمن هي ؟ فاخبر انها لابن المطران الطبيب . فقال : والله لقد عرفت ان هذا من حاقة ابن المطران ، وضحك ، ثم قال : ما بنا إلا يعبر احد من الرسل فيعتقد انها لأحد الملوك ، واذا كان لا بد فيغير مستراحها . وأمر به ان يرمى ولما رمي صعب ذلك على ابن المطران وبقي يومين لم يقرب الخدمة فاسترضاه السلطان ووهب له مالاً .

وحدثني ايضاً من ذلك انه كان في خدمة صلاح الدين طبيب يقال له ابو الفرج النصراني ، وبقي في خدمته مدة وله تردد الى دوره ، فقال يوماً للسلطان ان عنده بنات ، وهو يحتاج الى تجهيزهن ، وطلب منه ان يطلق له مايستعين به من ذلك فقال له صلاح الدين : اكتب في ورقة جميع ما تحتاج اليه في تجهيزهن ، وجيب الورقة . فمضى ابو الفرج ، وكتب في ورقة من المصاغ والقماش والآلات وغير ذلك ما يكون بنحو ثلاثين الف درهم . ولما قرأ صلاح الدين الورقة أمر الخزنदार بان يشتري لابي الفرج جميع ما تضمنته ، ولا يخل بشيء منه . ولما بلغ ذلك ابن المطران قصر في ملازمته الخدمة ، وتبين لصلاح الدين منه تغير في وجهه فعرف السبب . ثم امر الخزنदार بان يحضر جميع ما وصل الى ابي الفرج الطبيب بما اشتراه له ، ويحسب جملة ثمنه ، ومهما بلغ من المال يدفع الى ابن المطران مثله سواء ففعل ذلك .

وحدثني أبو الظاهر اسمعيل ، وكان يعرف ابن المطران ويأنس به ؛ ان العجب والتكبر الذي كان يغلب علي ابن المطران ، لم يكن على شيء منه في اوقات طلبه العلم . وقال : انه كان يراه في الاوقات التي يشتغل فيها بالنحو في الجامع يأتي اذا تفرغ من دار السلطان ، وهو في مركبة حافلة ، وحواليه جماعة كثيرة من المماليك الترك ، وغيرهم ، فاذا قرب من الجامع ترجل ، واخذ الكتاب الذي يشتغل فيه في يده أو تحت أبطه ، ولم يترك أحداً ما يصحبه ، ولا يزال ماشياً والكتاب معه الى حلقة الشيخ الذي يقرأ عليه فيسلم ويقعد بين الجماعة ، وهو بكيس^(١) ولطف إلى ان يفرغ من القراءة ويعود الى ما كان عليه .

وقال صاحب جمال الدين^(٢) القاضي الاكرم ابو الحسن علي بن يوسف بن ابراهيم القفطي : ان الحكيم موفق الدين أسعد بن المطران لما أسلم وكان نصرانياً ، حسن اسلامه ، وزوجه الملك الناصر صلاح الدين ، قدس الله روحه ، احدى حظايا داره واسمها جوزة . وكانت جوزة هذه جارية خوندخاتون بنت معين الدين وزوجة صلاح الدين ، وكانت مدبرة دارها والمتقدمة عندها من جوارها واعطتها الكثير من حليها وذخائرها ، ومولتها وخولتها فرتبت أموره وهذبت أحواله ، وحسنت زيه ، وجلت ظاهره وباطنه . وصار له ذكر سام في الدولة وحصلت له أموال جمة من امراء الدولة في حال مباشرته لهم في امراضهم . وتنافسوا في العطاء له ، وترقت حاله عند سلطانه الى أن كاد يكون وزيراً . وكان كثير الاشتغال على أهل هذه الصناعة الطبية والحكية ، يقدمهم ويتوسط في ارزاقهم . قال : ولقد أخبرني الفقيه اسمعيل بن صالح بن البناء القفطي ، خطيب عيذاب^(٣) قال : لما فتح السلطان الساحل ارتحلت عن عيذاب لزيارة البيت المقدس . فلما حصلت بالشام رأيت جبلاً مشجرة به براري عيذاب المصحرة فاشتقت الى المقام بالشام ، وتحملت في الرزق به ، فقصدت القاضل عبد الرحيم وسألته كتاباً الى السلطان في توليتي خطابة قلعة الكرك . فكتب لي كتاباً هو مذكور في ترسله ، وهو حسن التلطف . قال : فاحضرته الى دمشق والسلطان بها فارشدت في عرضه الى ابن المطران ، فقصدته في داره ودخلت عليه باذنه فرأيت حسن الخلقة والخلق ، لطيف الاستماع والجواب . ورأيت داره وهي على غاية من الحسن في العمارة والتجمل . ورأيت أفابيب بركنه التي يبرز منها الماء وهي ذهب على غاية ما يكون من حسن الصنعة . ورأيت له غلاماً يتحجب بين يديه اسمه عمر في غاية جمال الصورة . ثم رأيت من الفرش الطرح ، وشممت من الرائحة الطيبة ما هالني ، وسألته الحاجة التي قضدته فيها ، فأنعم بانجازها . وقال صاحب جمال الدين : ورأيت زوجته وابن عمر حاجبه ، وقد حضرا بعد سنة ستمائة الى حلب على رقة من الحال ، ونزلا في الكنف الملكي الظاهري ، سقى الله عهده ، واقيا به بصدقة قررت لها ، وماتت هي بعد مدة ولا اعلم بعدها لولد عمر خيراً

(١) الطريف والفتن والحسن الفهم .

(٢) ولد في قفط (١١٦٧ - ١٢٤٨) ووزر للملك العزيز . وجع كتباً كثيرة اوصى بها للناصر صاحب حلب له كتاب « اخبار العلماء باخبار الحكاء »

(ن.د)

(٣) مرقاً على البحر الاحمر الافريقي واقع في جنوبي مصر قرب الحدود السودانية تجاه جدة

وحدثني الشيخ موفق الدين بن البوري الكاتب النصراني قال : لما فتح الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب الكرك ، أتى الى دمشق الحكيم موفق الدين يعقوب بن سقلاب النصراني ، وهو شاب على رأسه كوفية وتخفيفة صغيرة ، وهو لابس جوخة ملوطة زرقاء ، زي اطباء الفرنج ، وقصد الحكيم موفق الدين بن المطران ، وصار يخدمه ويتردد اليه لعله ينفعه ، فقال له هذا الزي الذي انت عليه ما يمشي لك به حال في الطب في هذه الدولة بين المسلمين . وانما المصلحة ان تغير زيك ، وتلبس عادة الاطباء في بلادنا . ثم أخرج له جبة واسعة عنابية وبقياراً مكللاً وأمره أن يلبسها . ثم قال له ان ههنا أميراً كبيراً يقال له ميمون القصري وهو مريض ، وانا اتردد اليه وادأويه ، فتعال معي حتى تكون تعالجه . فلما راح معه قال للامير : هذا طبيب فاضل ، واني اعتمد عليه في صناعة الطب ، وأثق به فيكون يلزمك ويباشر أحوالك في كل وقت ، ويقم عندك الى ان تبرأ ان شاء الله تعالى . فامتثل قوله وصار الحكيم يعقوب ملازماً له ليلاً ونهاراً الى ان تعافى فأعطاه خمسمائة دينار . فلما قبضها حملها الى ابن المطران وقال له : يا مولانا هذا ما اعطاني ، وقد أحضرته الى مولانا ، فقال له : خذه فأنا ما قصدت الا نفعلك . فأخذه ودعا له .

وحدثني الحكيم عز الدين ابو اسحق ابراهيم بن محمد بن السويدي قال : كان ابن المطران جالساً على باب داره ، وقد اتاه شاب من أهل نعمة ، وعليه زي الجندي ، وأعطاه ورقة فيها اثنا عشر بيتاً من الشعر يمتدحه بها . فلما قرأها ابن المطران قال أنت شاعر ؟ فقال : لا ، ولكني من أهل البيوت ، وقد نزل الدهري ، وقد أثبت المولى وجعلت قيادي بيدك لتدبرني مها حسن فيه رأيك العالي . فدخل الى داره واستدعى الشاب ، وقدم له طعاماً فأكل وقال له : ايش تقول قد مرض عز الدين فرخشاه صاحب صرخد^(١) ، وهذا المرض يعتاده في كل حين فاني رأيت ان اسيرك اليه تعالجه فهو يحصل لك من جهته شيء جيد . قال له : يا مولاي ، من أين لي معرفة بصناعة الطب أو دربة ؟ فقال : ما عليك انا اكتب معك دستوراً تمشي عليه ، ولا تخرج عنه . فقال الشاب : السمع والطاعة ، فلما خرج الشاب لحقه الغلام ببقجة فيها عدة قطع فماش مخيط ، وفرس بسرّج ولجام فقال له : خذ هذا القماش البسه ، وهذا الفرس اركبه ، وتجهز الى صرخد . فقال له : يا سيدي . انه لم يكن لي مكان ابيت الفرس . فقال : اتركها عندنا ، وشد عليها بكرة النهار ، وسافر على خيرة الله تعالى . فلما كان بكرة النهار حضر الشاب الى باب دار ابن المطران فأعطاه كتاباً قد كتبه على يده الى عز الدين فرخشاه صاحب صرخد ، واعطاه تذكرة بما يعتمد به في مداواته ، واعطاه مائتي درهم ، وقال : اتركها عن بيتك نفقة . وسافر الشاب الى صرخد وداوى عز الدين فرخشاه بما أمره به فبرئ ، ودخل الحمام وخلع عليه خلعة مليحة من اجود ما يكون ، وأعطاه بغلة بسرّج وسرفسار ذهب ، والى دينار مصرية ، وقال : تخدمني ؟ فقال له : ما أقدر يا مولانا ، حتى اشاور شيخني الحكيم موفق الدين ، ابن المطران : فقال له عز الدين : ومن هو الحكيم موفق الدين ، ما هو الا غلام أخى لا سبيل الى

(١) بلد بالشام في جبال حوران .

خروجك من صرخد . وألحوا عليه في القول وشددوا ، فقال : اذا كان ولا بد فأنا أمضي الى منزلي وأجيء . فمضى الى منزله وأحضر الخلعة والذهب وما معها ، وقال هذا الذي اعطيتموني خذوه ، وانا فو الله ما أعرف صناعة الطب ، ولا ادري ما هي ، وانا انا جري لي مع الحكيم ابن المطران كذا وكذا . وقص عليه الواقعة كما وقعت . فقال له عز الدين : ما عليك ان لا تكون طبيباً ، انت ما تعرف تلعب بالنرد والشطرنج ؟ فقال : بلى . وكان الشاب لديه أدب وفضيلة . فقال له عز الدين : قد تركتك حاجي ، وجعلت لك اقطاعاً في السنة يعمل اثنين وعشرين ألف درهم . فقال : السمع والطاعة يا مولانا ، بل أسأل دستوراً الى دمشق ان اروح الى الحكيم موفق الدين واقبل يده وأشكره على ما فعل معي من الخير . فاعطي دستوراً ، واتى الى الحكيم موفق الدين وقبل يده ، وشكره شكراً كثيراً ، وأحضر الذي حصل بين يديه ، وقال له : قد حصل لي هذا فخذه . فرده عليه وقال له : انا ما قصدت إلا نفعلك ، خذه بارك الله لك فيه . وعرفه الشاب بما جرى له مع عز الدين وصورة الخدمة ، واستمر الشاب في خدمة عز الدين . وكان ذلك الاحسان من مروءة موفق الدين ابن المطران .

اقول : وكانت لموفق الدين بن المطران همة عالية في تحصيل الكتب ، حتى انه مات وفي خزانته من الكتب الطبية وغيرها ما يناهز عشرة آلاف مجلد خارجاً عما استنسخه . وكانت له عناية بالغة في استنساخ الكتب وتحريرها . وكان في خدمته ثلاثة نساخ يكتبون له ابدأ ولهم منه الجامكية والجرارية ، وكان من جللتهم جمال الدين المعروف بابن الجمالة ، وكان خطه منسوباً . وكتب ابن المطران ايضاً بخطه كتباً كثيرة ، وقد رأيت عدة منها ، وهي في نهاية حسن الخط والصحة والاعراب . وكان كثير المطالعة للكتب لا يفتقر من ذلك في اكثر اوقاته . وأكثر الكتب التي كانت عنده توجد ، وقد صححها واتقن تحريرها ، وعليها خطه بذلك . وبلغ من كثرة اعتنائه بالكتب وغوايته فيها انه جامع لكثير من الكتب الصغار والمقالات المتفرقة في الطب ، وهي في الاكثر يوجد جماعة منها في مجلد واحد استنسخ كلا منها بذاته في جزء صغير قطع نصف ثمن البغدادى بمسطرة واضحة ، وكتب بخطه ايضاً عدة منها واجتمع عنده من تلك الاجزاء الصغار مجلدات كثيرة جداً فكان ابدأ لا يفارق في كنه مجلداً يطالعه على باب دار السلطان أو أين توجه . وبعد وفاته بيعت جميع كتبه ، وذلك انه ما خلف ولداً .

وحدثني الحكيم عمران الاسرائيلي : انه لما حضر بيع كتب ابن المطران وجدتم وقد أخرجوا من هذه الاجزاء الصغار ألوفاً كثيرة اكثرها بخط ابن الجمالة . وان القاضي الفاضل بعث يستعرضها فبعثوا اليه بملء خزانة صغيرة منها وجدت كذلك فنظر فيها ، ثم ردها فبلغت في المناداة ثلاثة آلاف درهم واشترى الحكيم عمران اكثرها وقال لي : انه حصل الاتفاق مع الورثة في بيعها انهم اطلقوا مع كل جزء منها بدرهم فاشترى الاطباء منهم هذه الاجزاء الصغار على الثمن بالعدد .

أقول : وكان ابن المطران كثير المروءة كريم النفس ، ويهب لتلامذته الكتب ويحسن اليهم واذا جلس احد منهم لمعالجة المرضى يخلع عليه . ولم يزل معتنياً بأمره . وكان أجل تلامذته شيخنا مهذب

الدين بن عبد الرحيم بن علي رحمه الله . وكان كثير الملازمة له والاشتغال عليه وسافر معه مرات في غزوات صلاح الدين لما فتح الساحل .

وما حدثني شيخنا مذهب الدين عنه فيما يتعلق بمعالجته قال : كان أسد الدين شيركوه^(١) صاحب حمص قد طلب ابن المطران فتوجه اليه وكنت معه . فبينما نحن في بعض الطريق ، وإذا رجل مجذوم استقبله ، وقد قوي به المرض حتى تغيرت خلقته ، وتشوهت صورته . فاستوصف منه ما يتناوله وما يتداوى به ، فبقي كالمتبرم من رؤيته ، وقال له : كل لحوم الافاعي . فعاوده في المسألة فقال : كل لحوم الافاعي فانك تبرا . قال ومضينا الى حمص وعالج المريض الذي راح بسببه الى ان تماثل وصلاح ، ورجعنا فلما كنا في الطريق ، وإذا بشاب حسن الصورة ، كامل الصحة قد سلم علينا وقبل يده فلم نعرفه . وقال له : من أنت ؟ فعرفه بنفسه وأنه صاحب المرض الذي كان قد شكاه اليه ، وأنه لما استعمل ما وصفه له صلاح به من غير ان يحتاج معه الى دواء آخر ، فتعجبنا من ذلك في كمال برئه وودعنا وانصرف .

وحدثني ايضاً عنه انه كان معه في البيارستان الكبير الذي انشأه نور الدين ابن زنكي وهو يعالج المرضى المقيمين به فكان من جملتهم رجل به استسقاء زقي استحكم به فقصد الى بزله ، وكان في ذلك الوقت في البيارستان ابن حمدان الجرائحي ، وله يد طول في العلاج فجزموا على بزل المستسقي قال : فحضرنا وبزل الموضع على ما يجب ، فجرت مائبة صفراء وابن المطران يتفقد نبض المريض ، فلما رأى ان قوته لا تقي باخراج اكثر من ذلك ، أمر بشد الموضع ، وان يستلقي المريض ولا يغير الرباط أصلاً . ووجد المريض خفة وراحة كبيرة ، وكانت عنده زوجته فأوصاهما ابن المطران انها لا تمكنه من حل الرباط ، ولا تغيره بوجه من الوجوه الى ان يبصره في ثاني يوم . فلما انصرفنا وجاء الليل قال زوجها انني قد وجدت العافية وما بقي بي شيء ، وانما الاطباء قصدوا ان يطولوا بي فحلي الرباط حتى يخرج هذا الماء الذي قد بقي ، واقوم في شغلي فانكرت عليه قوله ، ولم تقبل منه ، فعاودها بالقول وكرر ذلك عليها مرات ، ولم يعلم ان بقية المائبة انما جعلوا اخراجها في وقت آخر مراعاة لحفظ قوته وشفقة عليه . فلما حلت الرباط وجرت المائبة باسرها خارت قوته وهلك

وحدثني ايضاً انه رأى في البيارستان مع ابن المطران رجلاً قد فلجت يده من أحد شقي البدن ورجله المخالفة لها من الشق الآخر فعالجه في اسرع وقت ودبره بالادوية الموضعية فصلاح

أقول : وكان لموفق الدين أسعد بن الياس بن المطران اخوان ايضاً قد اشتغلا بصناعة الطب : أحدهما هبة الله بن الياس ، والآخر * ابن الياس . وتوفي موفق الدين بن المطران في شهر ربيع الاول سنة سبع وثمانين وخمسائة بدمشق . ونقلت من خط البديع عبد الرزاق بن أحمد العامري

(١) هو عم صلاح الدين الايوبي . وكان قائداً تابعاً لنور الدين صاحب حلب ودمشق ثم أصبح وزيراً للخليفة العاضد الفاطمي .
(*) بياض بالاصل

الشاعر يمدح موفق الدين بن المطران بعد اسلامه، وذلك في ثالث شهر رمضان سنة خمس وثمانين وخمسمائة:

ينهى اليك وليس عنك بمنته
شوقاً أدل على الفؤاد فلم يقد
يدنو فيغدو فيك حلف تفكه
يهوى الذي تهوى ويعشق قلبه
تجنني ويعلم ما جنيت فيجتني
لعجبت من مفض على نار الفضا
فطن دهاه في حشاشته الهوى
ولقد نها ، ونهاه عنك ولم يزل
لو ساعد التوفيق لم يك لائذا
من لا يرى الاحسان في الاقوال ما
جم النهى ويداه أنهاء الندى
رؤياه للادواء حاسمة فكم
جد حوى جداً وجود محوز
ضاهى ابن مريم حكمة وسعادة
هو عصمة اللاجي فان هو لم يكن
نصر العفاة على الزمان ندى أبي
ذي المنصب العادي غير مدافع
الالمي^(٣) الاريجي^(٢) المرتجي
العالم الخبر^(٧) الذي حاز الغنى
واذا الخلائق أشبهت أمثالها
واذا الخواطر أصبحت مشدوهة
أغنى الانام عن الثناء فجازره
فلك من الاحسان حين وصلته
أضحى ثرى مغناه وهولي الغنى
هي نفثة المصدور اصدر ووردها

قلب على صاب^(١) الصباية مكرهي
بمدله الاغرام غير مدله
ولكم بعدت فبات لى تفكه
ما تشتهي فيصد عما يشتهي
عذراً يوجهه بوجه أبلى
ما زال مستنداً الى صبر يي
غرراً ولن يدهى سوى الفطن الدهي
يزداد غياً في هواك اذا نهى
بسوى الموفق ذي الحل الانبه
لم يتلها بفعال غير موه
للو قد ما عنها امرؤ بمننه
مشف شفاه بذلك الوجه البهي
حد يطرز حلة المجد الشهي
فعنا الاعز له عنو موله
الاده للمستجير فلاله
نصر أخي الجاه الوجيه فلاج^(٢)
والنطق في النادي ولما ينده
واللوزعي^(٥) الفيلسوف المدره^(٦)
وحوى الملاطفلا قلب^(٨) وما زهي
في الاكرمين فاله من مشبه
فضل الانام بخاطر لم يشده
بيدي جواد باللى متنبه
أغنى باعلى اوجه عن اوجه
عنه الاياب كما اليه توجهي
الحساد بين مقهر ومقهقه

- (١) مر
(٢) لاج الشيء : اداره فيه .
(٣) الذي المتوقد . (٤) الواسع الخلق .
(٥) الفصيح اللسان او الذي الحديد الفؤاد .
(٦) زعيم القوم المتكلم عنهم .
(٧) العالم الصالح . (٨) صار ليبياً اي عاقلاً .

ما اقرب الآمال من ذي الهمة الح
لولا رجاء البرء ما ارجأته
لكنها سرت ببدا برئه
وغدت مهنته بشهر صيامه
يا اسعد اصغ الى مدائح أفوه^(١)
راج حدهاء ولاءه فسرى على
وأراك للشكوى الممضة مشكيا
طال اشتكائي للانام ولا أرى
ولكم دهيت مع الوثوق ولست في
قد كنت في اهل الرسوم أقلمهم
فلما رأى السلطان نقصي بعدما
شره الفتى داء وخير طعامه
ومطاعم الاطباع تأسن^(٢) والغنى
لا تجبه الايام الا راغباً
آهلاً لا يامي ولولا سوء ما
ولكم أنوّه في الزمان وأهله
اذ لا يحرك اهل دهري للندي
ومن العناء معاتب لا يرعوي

سرى وابعدا من المترفه
من بعد ما سبقت عتاق الفره^(٣)
فسرت اليه وجسمه لم ينقه
بفصيح قول لم يكن يفقه^(٤)
بملاك فاق على البليغ الافوه^(٥)
عيسى الرجاء بكل مرت^(٦) مهمه
بضياء نور سريرة لم قعمه
من شكوت اليه غير مسفه
أمري بأول واثق يقظ دهى
حظاً واكثر في المديح الانزه
قد زدت في مدحسي له وتألهي
ما كان كافيه ولما يشره
في النفس لم يأسن ولم يتسنه^(٧)
واخو القناعة وادع لم يجبه
لاقيت من زمن لقل تأوهي
ببناء من لم يمس لي بمنوه
شعر الوليد^(٨) ولا غناء البندمي^(٩)
عن غيه ومعاقب لا ينتهي

ولموفق الدين بن المطران من الكتب: كتاب بستان الاطباء وروضة الالباء ، غرضه فيه ان يكون
جامعاً لكل ما يجده من ملح ونوادر وتعرفات مستحسنة بما طالعه او سمعه من الشيوخ او نسخه من
الكتب الطبية ، ولم يتم هذا الكتاب ؛ والذي وجدته منه بخط شيخنا الحكيم مذهب الدين جزآن :
الاول منها قد قرأه على ابن المطران وعليه خطه ؛ والجزء الثاني ذكر مذهب الدين فيه ان ابن المطران
وافاه الاجل قبل قراءته له عليه . المقالة الناصرية في حفظ الامور الصحية قصد فيها الايجاز والبلاغ ،
وقد رتبها احسن ترتيب وجعلها باسم السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ووجدت

(١) النشطة .

(٢) الفه: العبي .

(٣) متكلم . (٤) المنطيق الجيد الكلام

(٥) ارض مورت : لا نبات فيها .

(٦) تتغير .

(٧) سنه الطعام والشراب : تقير .

(٨) الوليد بن يزيد الخليفة الاموي وكان شاعراً مجيداً . وكان صاحب لهو ونجون .

(٩) احد المفتين العرب وينسب الى بنده وهي مجموعة جزائر في اندونيسيا . (ن. ر)

الاصل الاول من هذا الكتاب ، وهو بخط جمال الدين المعروف باسم الجمالة كاتب ابن المطران مترجماً .
المقالة النجمية في التدابير الصحية وكأنه كان صنفها لنجم الدين أيوب والد صلاح الدين ، فلما توفي ولم
يوصلها اليه جعلها باسم ولده . اختصار كتاب الانوار للكسدانيين اخراج أبي بكر أحمد بن علي بن
وحشية ، اختصره وفرغ منه في رجب سنة احدى وثمانين وخسمائة . لغز في الحكمة . كتاب على
مذهب دعوة الاطباء . كتاب الادوية المفردة ، لم يتم ، وكان قد قصد فيه ان يستوعب ذكر كل
دواء على غاية ما يمكنه . كتاب آداب طب الملوك . وحديثي نسيب له انه لما توفي كانت عنده
مسودات عدة لمصنفات طبية وغيرها وتعالق متفرقة فاخذ اخواته تلك المسودات وضاعت بينهن .
وقال لي انه رأى عند احدهن صندوقاً ارادت أن تبطنه وقد الصقت في باطنه جملة من هذه الاوراق
التي بخطه .

مذهب الدين بن الحاجب

كان طبيباً مشهوراً فاضلاً في الصناعة الطبية ، متقناً للعلوم الرياضية ، معتقاً بالادب ، متعنياً في
علم النحو . مولده بدمشق ، ونشأ بها ، واشتغل بصناعة الطب على مذهب الدين بن النقاش ولازمه
مدة . ولما كان شرف الدين الطوسي بمدينة الموصل ، وكان أوحد زمانه في الحكمة والعلوم الرياضية
وغيرها ، سافر ابن الحاجب والحكيم موفق الدين عبد العزيز اليه ليجتمعا به ، ويشغلا عليه فوجداه
قد توجه الى مدينة طوس فأقاما هنالك مدة ، ثم سافر ابن الحاجب الى اربل ، وكان بها فخر الدين
ابن الدهان المنجم فاجتمع به ، ولازمه وحل معه الزيج الذي كان قد صنعه ابن الدهان ، واتفق قراءته
عليه ونقله بخطه ، ورجع الى دمشق . وكان هذا ابن الدهان المنجم يعرف بابي شجاع ويلقب بالثعلب ،
وهو بغدادي أقام بالموصل عشرين سنة وتوجه الى دمشق فآكرمه صلاح الدين والفاضل وجماعة
الرؤساء واجرى له ثلاثين ديناراً كل شهر . وكان له دين وورع ونسك ، كثير الصيام يعتكف في
جامع دمشق اربعة اشهر وأكثر ، ولأجله عملت المقصورة التي بالكلاسة ، وله تصانيف كثيرة منها
الزيج المشهور الذي له ، وهو جيد صحيح ، ومنها المنبر في الفرائض ، وهو مشهور . كتاب في
غريب الحديث عشر مجلدات ، وكتاب في الخلاف مجدول على وضع تقويم الصحة ، وكان دائم الاشتغال
وله شعر كثير . وقصد الحج فلما رجع الى بغداد توفي بها ودفن عند قبر ابيه وأمه بعد غيبته أكثر
من اربعين سنة .

وكان مذهب الدين بن الحاجب كثير الاشتغال محباً للعلم قوي النظر في صناعة الهندسة ، وكان
قبل اشتهاره بصناعة الطب قد خدم في الساعات التي عند الجامع بدمشق . ثم تميز في صناعة الطب
وصار من جملة أعيانها ، وخدم بصناعة الطب في البيمارستان الكبير الذي أنشأه الملك العادل نور الدين
ابن زنكي . ثم خدم تقي الدين عمر صاحب حماة ، ولم يزل في خدمته بحماة الى ان توفي تقي الدين .
ثم عاد ابن الحاجب الى دمشق وتوجه الى الديار المصرية ، وخدم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن

أيوب بصناعة الطب ، وبقي في خدمته الى ان توفي صلاح الدين ، ثم توجه الى الملك المنصور صاحب حماة ابن تقي الدين ، واقام عنده نحو سنتين ، وتوفي بجماة بعملة الاستسقاء

الشريف الكحال

هو السيد برهان الدين أبو الفضل سليمان . أصله من مصر ، وانتقل الى الشام . شريف الاعراق ، لطيف الاخلاق ، حلو الشائل ، مجموع الفضائل . وكان عالماً بصناعة الكحل ، وافر المعرفة والفضل ، متقناً للعلوم الادبية ، بارعاً في فنون العربية ، متميزاً في النظم والنثر ، متقدماً في عمل الشعر . وخدم بصناعة الكحل السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب ، وكان له منه الجامكية السنية ، والمزلة العلية ، والانعام العام والتفضل التام . ولم يزل مستمراً في خدمته متقدماً في دولته الى ان توفي رحمه الله .

ومن ملح ما للقاضي الفاضل فيه على سبيل المجون ، وما أنشدني الشيخ الحافظ نجيب الدين أبو الفتح نصر الله بن عقيله الشيباني قال : أنشدني القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي لنفسه في الشريف الكحال

رجل توكل بي وكحلني فدهيت في عيني وفي عيني
(الكامل)

وقال ايضاً :

عاد بني العباس حتى انه سلب السواد من العيون بكحله

وكان قد اهدى الشريف أبو الفضل الكحال المذكور الى شرف الدين بن عنين خروفاً ، وهو يومئذ بالديار المصرية فلما وصل اليه وجده هزيراً ضعيفاً فكتب اليه يقول على سبيل المداعبة

أبو الفضل وابن الفضل انت وأهلك	فغير بديع ان يكون لك الفضل
أنتني أياديك التي لا اعدما	لكثرتها لا كفر نعمي ولا جهل
ولكنني انبيك عنها بطرفة	تروكك ما وافى لها قبلها مثل
أتاني خروف ما شككت بانه	حليف هوى قد شفه الهجر والمذل
إذا قام في شمس الظهيرة خلته	خيالا مري في ظلمة ما له ظل
فناشدته ما تشتهي قال قته ^(١)	وقاسمته ما شفه قال لي الاكل
فاحضرتها خضراء بجاجة الثرى	مسلة ما خص او راقها الفتل
فظل يراعيها بعين ضعيفة	ويلشدها والدمع في العين منهل
أنت وحياض الموت بيني وبينها	وجادت بوصل حين لا ينفع الرصل

(الطويل)

(١) واحدة القت وهو حب بري يأكله اهل البادية بعد دقه وطبخه .

ابو منصور النصراني

كان طبيباً مشهوراً عالمياً حسن المعالجة والمداواة وخدم بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين ابن أيوب وبقي سنين في خدمته.

ابو النجم النصراني

هو أبو النجم بن أبي غالب بن فهد بن منصور بن وهب بن قيس بن مالك . كان طبيباً مشهوراً في زمانه ، جيد المعرفة بصناعة الطب ، محمود الطريقة فيها ، مشكور المعالجة ، حسن العشرة ، محباً للخير . وكان يقرأ عليه علم الطب ، ويعد من جملة الفضلاء المتميزين في وقته . وحدثني ابو الفتح بن مهنا النصراني ان أبا النجم كان أبوه فلاحاً في قرية شفا من ارض حوران ^(١) ، وكان يعرف بالعبار . وكان ابنه أبو النجم هذا صبيّاً فآخذه بعض الاطباء بدمشق عنده . ولما كبر علمه صناعة الطب وعرفه أعمالها . وخدم أبو النجم بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب وحظي عنده ، وكان مكيناً في الدولة ، وبقي في خدمته مدة . وكان يتردد الى دوره ، ويعالجهم مع جملة الاطباء . وتوفي أبو النجم النصراني بدمشق في سنة تسع وتسعين وخمسمائة . وله ولد طبيب وهو امين الدولة ابو الفتح ابن ابي النجم . وله من الكتب : كتاب الموجز في الطب ، وهو يشتمل على علم وعمل .

ابو الفرج النصراني

كان طبيباً فاضلاً عالمياً بصناعة الطب ، جيد المعرفة بها ، حسن العلاج ، متميزاً في زمانه . وخدم بصناعة الطب الملك صلاح الدين يوسف بن ايوب . وكان يحترمه ويرى له . وخدم ايضاً الملك الافضل نور الدين علي بن صلاح الدين واقام عنده بسميساط ^(٢) وكذلك ايضاً اولاد ابي الفرج اشتغلوا بصناعة الطب ، وأقاموا بسميساط في خدمة اولاد الافضل .

فخرالدين بن الساعاتي

هو رضوان بن محمد بن علي بن رستم الخراساني الساعاتي . مولده ومنشؤه بدمشق . وكان أبوه محمد من خراسان وانتقل الى الشام واقام بدمشق الى ان توفي . وكان اوحداً في معرفة الساعات وعلم النجوم . وهو الذي عمل الساعات عند باب الجامع بدمشق ، صنعها في أيام الملك العادل نورالدين محمود ابن زنكي . وكان له منه الانعام الكثير ، والجامكية والجراية ملازمته الساعات . وبقي كذلك الى أن توفي رحمه الله ، وخلف ولدين احدهما بهاء الدين ابو الحسن علي بن الساعاتي الشاعر ، الذي هو

(١) الحجاز جنوبي دمشق في سوريا يحدها غرباً جبل الشيخ، وشرقاً حراث ارض اللجاة واورثل منطقة جبل العرب «الدروز» وقتلتهى جنوباً الى ضفاف بحيرة طبريا .
(٢) مدينة بالافاضل فتحها صلاح الدين الايوبي . (ن. د)

افضل أهل زمانه في الشعر ، ولا احد يماثله فيه ، وتوفي بالقاهرة ، وديوانه مشهور ومعروف. والآخر
فخر الدين رضوان بن الساعاتي الطبيب الكامل في الصناعة الطبية ، الفاضل في العلوم الادبية .

وقرأ فخر الدين صناعة الطب على الشيخ رضي الدين الرحي ، ولازمه مدة . وكان فطناً ذكياً
متقناً لما يعانیه ، حريصاً في العلم الذي يشتغل فيه . وقرأ أيضاً صناعة الطب على الشيخ فخر الدين
المارديني . ولما ورد الى دمشق ، كان فخر الدين بن الساعاتي جيد الكتابة يكتب خطاً منسوباً في
النهاية من الجودة ويشعر أيضاً . وله معرفة جيدة بصناعة المنطق والعلوم الحكيمة ، وكان اشتغاله بعلم
الادب على الشيخ تاج الدين الكندي بدمشق ، وخدم فخر الدين بن الساعاتي الملك الفائز ^(١) بن الملك
العادل أبي بكر بن ايوب وتوزر له . وخدم أيضاً الملك المعظم عيسى بن الملك العادل بصناعة الطب ،
وتوزر له . وكان ينادمه ويلعب بالعود ، وكان محباً لكلام الشيخ الرئيس ابن سينا في الطب مغرماً
به ، وتوفي رحمه الله بدمشق بعملة اليرقان ^(٢) .

ومن شعره :

يحسدني قومي على صنعتي	لأنني بينهم فارس
سهرت في ليلي واستنصوا	لن يستوي الدارس والناعس
(السريع)	

ولفخر الدين بن الساعاتي من الكتب : تكميل كتاب القولنج للرئيس ابن سينا . الحواشي على
كتاب القانون لابن سينا . كتاب المختارات في الاشعار وغيرها .

شمس الدين بن اللبودي

هو الحكيم الامام العالم الكبير شمس الدين ابو عبدالله محمد بن عبدان بن عبد الواحد بن اللبودي .
علامة وقته ، وأفضل أهل زمانه في العلوم الحكيمة وفي علم الطب . سافر من الشام الى بلاد المعجم ،
واشتغل هناك بالحكمة على نجيب الدين اسعد الهمداني . وقرأ صناعة الطب على رجل من اكابر العلماء
واعيانهم في بلاد المعجم . كان اخذ الصناعة عن تلميذ لابن سهلان عن السيد الايلقي محمد . وكان
لشمس الدين بن اللبودي همة عالية وفطرة سليمة وذكاء مفرط ، وحرص بالغ فتميز في العلوم واتقن
الحكمة وصناعة الطب ، وصار قويا في المناظرة ، جيداً في الجدل ، يعد من الائمة الذين يقتدى بهم ،
والمشايع الذين يرجع اليهم . وكان له مجلس للاشتغال عليه بصناعة الطب وغيرها. وخدم الملك الظاهر
غياث الدين ^(٣) غازي بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب ، وأقام عنده بجلب . وكان يعتمد
عليه في صناعة الطب ، ولم يزل في خدمته الى ان توفي الملك الظاهر رحمه الله ، وذلك في شهر جمادى
الآخرة سنة ثلاث عشرة وستائة . وبعد وفاته أتى الى دمشق ، وأقام بها يدرس صناعة الطب ،
ويطبخ في البيمارستان الكبير النوري الى ان توفي رحمه الله . وكانت وفاته بدمشق في رابع ذي القعدة

(١) تولى الملك بعد أبيه وهو من ملوك ايوبي مصر .

(٢) مرض معروف يصيب الانسان ويسبب اصفرار البدن . « ن. ر »

(٣) ثاني اولاد صلاح الدين . حارب الصليبيين

سنة احدى وعشرين وستمائة ، وله من العمر احدى وخمسون سنة . ومن كلام شمس الدين بن اللبودي :
« كل شيء اذا شرع في نقص مع اصراف الهمة اليه قناه عن قرب » .

ولشمس الدين بن اللبودي من الكتب : كتاب الرأي المعتبر في القضاء والقدر . شرح كتاب
الملخص لابن الخطيب . رسالة في جمع المفاصل . شرح كتاب المسائل لحنين بن اسحق .

الصاحب نجم الدين بن اللبودي

هو الحكيم السيد العالم الصاحب نجم الدين ابو زكريا يحيى بن الحكيم الامام شمس الدين محمد بن
عبدان بن عبدان بن عبد الواحد ، اوجد في الصناعة الطبية ، ندرة في العلوم الحكيمة ، مفرط
الذكاء ، فصيح اللفظ ، شديد الحرص في العلوم ، متفنن في الآداب . قد تميز في الحكمة على الاوائل ،
وفي البلاغة على سحبان^(١) وائل ، له النظم البديع ، والترسل البليغ فما يدانيه في شعره لبيد^(٢) ، ولا
في ترسله عبد الحميد^(٣)

ولما رأيت الناس دون محله تيقنت ان الدهر للناس ناقد

مولده بحلب سنة سبع وستمائة . ولما وصل أبوه الى دمشق كان معه وهو ضفي وكانت النجابة
تلبين فيه من الصغر وعلو الهمة . وقرأ على شيخنا الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي ، واشتغل
عليه بصناعة الطب ، واشتغل بعد ذلك وتميز في العلوم حتى صار أوجد زمانه وفريد أوانه . وخدم
الملك المنصور ابراهيم ابن^(٤) الملك المجاهد بن أسد الدين شيركوه بن شاذي صاحب حصص . وبقي في
خدمته بها . وكان يعتمد عليه في صناعة الطب ، ولم تزل أحواله تسمى عنده حتى استوزره وفوض
اليه امور دولته ، واعتمد عليه بكليته . وكان لا يفارقه في السفر والحضر . ولما توفي الملك المنصور ،
رحم الله ، وذلك في سنة ثلاث وأربعين وستمائة بعد كسره الخوارزمية^(٥) ، توجه الحكيم نجم الدين
الى الملك الصالح نجم الدين ايوب ابن الملك الكامل ، وهو بالديار المصرية فأكرمه غاية الاكرام ،
ووصله بميزيل الانعام ، وجعله ناظراً على الديوان بالاسكندرية . وله منه المنزلة العلية وجعل مقره
في كل شهر ثلاثة آلاف درهم وبقي على ذلك مدة . ثم توجه الى الشام وصار ناظراً على الديوان
بجميع الاعمال الشامية .

ومن ترسله كتب رقعة وقف الخادم على المشرفة الكريمة : « ادام الله نعمة المنعم بما أودعها من
النعم الجسام ، واقتضبه فيها من الاريجية التي اربى فيها على كل من تقدمه من الكرام ، وأبان فيها عما

(١) خطيب يغرب المثل بفصاحته توفي سنة ٦٧٤ .

(٢) شاعر جاهلي من اصحاب الملقات . عامري القبيلة . ادرك الاسلام فاسلم وانتقل الى الكوفة .

(٣) من اشهر الكتاب العرب . شامي الاصل . كتب للامويين وقتل بعد ان رمي بالزندقة بعد ثورة مسلم الخراساني .

(ن.د)

اشتهر بأسلوبه الترسلي

(٤) امير حصص من الامراء الايوبيين .

(ن.د)

(٥) هي الدولة التي ملكت في ايران بعد اقراض دولة سلجوق ايران

يقضي على الخادم بالاسترقاق ، وعلى الدولة خلدما الله بمزايا الاستحقاق . وكلما أشار المولى عليه فهو كما نص عليه ، لكنه يعلم بسعادته أن القرض تمر مر السحاب ، وإن الأمور المعينة في الاوقات المحدودة تحتاج الى تلافى الاسباب . وقد ضاق الوقت بحيث لا يحتمل التأخير ، والمولى يعلم أن المصلحة تقدم النظر في المهم على جميع أنواع التدبير . وما الخادم مع المولى في هذا المهم العظيم الا كسهم ، والمولى مدده . وسيف المولى جرده ، فالله الله في العجلة والبدار . وقد ظهرت مخايل السعادة والانتصار . والحذر الحذر من التأخير والاهمال فتتفوت والعياذ بالله الاوقات التي نرجو من الله فيها بلوغ الآمال ، والمرجو من كرم الله ان ينهض المملوك في خدمة مولانا السلطان بما يبيض وجه أمه ، ويكون ذلك على يد المولى وبقوله وعمله ان شاء الله تعالى .

ومن شعره وهو بما انشدني لنفسه فمن ذلك قال في الخليل عليه الصلاة والسلام ، وهو متوجه الى خدمته عند عودته من الديار المصرية ، وانشدها عند باب السرداب وهو قائم في ذي القعدة سنة احدى وستين وستائة .

هذي المهابة والجلال الهائل	بهرا فماذا ان يقول القائل
لو أن قسا ^(١) حاضراً متمثلاً	يوماً لديك حسبته هو بأقل ^(٢)
هل تقدر الفصحاء يوماً ان يروا	وبيانهم عن ذي الجلال يناضل
وبك اقتدى جل النبيين الاولى	ولديك اضحت حجة ودلائل
أظهرت ابراهيم اسباب الهدى	والخير والمعروف انت العامل
شيدت اركان الشريعة معلناً	ومقرراً ان الاله العاقل
ما زال بيتك مهبط الوحي الذي	لجلاله مقفر ربمك آهل
وبهرت في كل الامور بمعجز	ما ان يخالف فيه يوماً عاقل
وكفاك يوم الفخر أن محمداً	يوم التناسب في النجار مواصل
ما زلت تنقل للنبوة سرها	حتى غدا لمحمد هو حاصل
فعليكما صلوات رب لم يزل	يأتيكما منه ثنا وفواضل
وقد التجأت الى جنابك خاضعاً	متوسلاً وانا الفقير السائل
أرجوك تسأل لي لدى رب العلا	غفران ما قد كنت فيه ازاول
وأرى وقد غفرت لديه خطيبي	وبلغت مقصودي وما أنا آمل
ورجعت منقطعاً الى ابوابه	لا ألتقي عن غيره أنا سائل
ولقد سألت لكامل في جوده	يعطي بلا من ولا هو باخل
فحقيقة أني بلغت ارادتي	سما وأنت لما سألت الحامل
	(الكامل)

(١) قس بن ساعدة خطيب جاملي كان يؤمن بالتوحيد ويدعو العرب اليه . ويضرب المثل بحكمته وبلاغته وموعظته.

(٢) هو ابن عمرو بن وبيمة الأيادي . ضرب به المثل في العي والهامية في الجاملية . (ن.د.)

وقال ايضاً في الخليل عليه الصلاة والسلام عند عوده من الديار المصرية في شهر جمادى الآخرة سنة أربع وستين وستائة وانشدها عند باب السرداب .

ألا يا خليل الله قد جئت قاصداً
أؤدي حقوقاً واجبات لفضلكم
فأرشدت أقواماً بهديك اقتدوا
وأظهرت أعلام الشريعة معلناً
وأودعتها أسرار كل خفية
وأظهرت برهاناً غدا بك قاطعاً
وها أنا قد وافيت بابك سائلاً
بأن تسأل الله الكريم فانه
بأن يحمني من شر كل بلية
ولا يبلني من بعدها بمصيبة
ويفرج لي مما ابتليت بهمه
فاني اذا ما نابني خطب حادث
لتشفع لي عند الاله فأنثني
فأفرغ عن اشغال دنيا وأثنني
وتسأله ان يعف عني تكرماً
ومن كان مشفوعاً وانت شفيعه

الى بابك المقصود من كل موضع
منتّم بها قدماً على كل من يعي
فصاروا بذاك الهدي في خير مبيع
فأضحت برأى للأنام ومسمع
فكنت بما أودعته خير مودع
قطعت به من لم يكن قبل يقطع
بوقفة مسكين وذل تخضع
لأفضل مسؤول واكرم من دعي
ويصرف عن صرف الحوادث مجعي
ولا التقى خلا بأنه موجع
فقد بت مهموماً بقلب مصدع
جعلت الى متناك قصدي ومفرعي
بتبليغ آمالي وتحصيل مطمعي
الى امر اخراي بقلب موسع
وان أحظ من أنواره بتمتع
فلا بد في الجنات يحظى بمرتع

(الطويل)

ورأى الخليل عليه الصلاة والسلام فيما بين النائم واليقظان عقيب حال كانت اتفقت له يقول له :

لا تأسفن على خيل ولا مال
ما دامت ، النفس والعلياء سالمة
فانما المال أعراض مجدة
ولذة المال ان النفس تصرفه
وخير ما صرفت كفاك ما جمعت
فكم جمعت من الاموال مقتدراً
ولم تر قط محتاجاً الى أحد
وسوف يجزيك رب العرش عادته
وتلتقي كل سير بت ترقبه

ولا تبيتن مهموماً على حال
فانظر الى سائر الاشيا باهمال
معرضات لتضييع وابدال
فما تجدد من هم واشغال
في صون عرضك عن قيل وعن قال
وفرقتها يد الاقدار في الحال
ولم تزل أهل حاجات وآمال
على عوائد إحسان واجمال
كما مضى سالفاً في عصرك الحالي

(البسيط)

وقال ، ونظمه في القدس الشريف عند عوده من مصر في منتصف جمادى الاولى سنة ست وستين
وسنة

الا يا خليل الله عندي صباية
فأنت الذي سنت للناس مذهبا
وأوضحت في طرق النبوة منهجا
بما كنت مبديه من الحجج التي
وكانت بودي لو اثبتك زائرا
واقضي حقوقا واجبات لفضلكم
وانهي ما عندي من الوجد والاسى
وان الليالي قد رمتني بصرفها
وأنت الذي أرجوك في كل شدة
وتشفع لي عند الاله فأنتني
ولا سيما والمبد في شيمة الذي
وذلك خير الناس اعني محمدا
ومن كنتما ذخرا له ووسيلة
فلا عجباً ان راح وهو مسلم
وغير بديع ان يرى غير خائف
فيا صاحبي طرق النبوة والهدى
فعسبكما لي شافعان فاني

وشوق الى لقاءك زاد بها كربى
فكنت به الهادي الى السنن الرحب
فراح من الاشواق يعلو على الشهب
قوين فلا يدفعن بالقدرح والثلث
اعفر في مفناك خدي على الترب
غدت لكم بالفضل في افضل الكتب
وما بات من هم واصبح في قلبي
بما حط من شاني وقلل من غربي
لتكشف عني كل مستكره صعب
وقد فرج الرحمن ما بي من الخطب
به شرفت كل الاعاجم والعرب
ومن كان في الامراء في غاية القرب
وكنزاً عظيماً راح في السلم والحرب
من البأس والضراء والعتب والسلب
يبات قريراً آمن القلب والسرب
أقبلا عثاري شافعين الى ربي
لأعلم ان الله حينئذ حسي

(الطويل)

وقال ايضاً :

كلما خفت قد تنامى الرجاء
فدع الخوف والرجاء جميعا
ليس عما قضى الاله محيد
وتيقن ان الاله لطيف

ووثوقي بالله فيه اكتفاء
واضطرب راضيا فذاك الرضاء
فدع الهم فهو عندي عناء
ان أتى النعم أعقب السراء

(الخفيف)

وقال ايضاً :

اذا ضاق أمر فاصبر سوف ينجلي
ولا تسأل الايام دفع ملة

فكم حر نار أعقبت بسلام
فلست ترى أمرا حليف دوام

(الطويل)

وقال وكتبه الى الملك الناصر يوسف بن محمد :

ليهنك نيروز أذاك مبشرا
وان بقاء الملك مع غير أهله
أسوق اليك الملك طوعا فتلقه
وتدأب في تحصيل ما أنا قادر
وأقسم لو ساعدتني بعض مدة
بنيل الذي تهواه يوما وتطلب
عجيب وحالي منه عندك اعجب
ومن عند غيري في تقاضيه ترغب
عليه من الملك الذي راح يصعب
لأمسي الذي استعبدته وهو يقرب
(الطويل)

وقال ايضاً :

سارحل عنكم لا لكرهي لفضلكم
ولكنما رزقي قليل وحاسدي
تبدلت عن جاء جليل بذلة
وعاد قصارى منيتي في ذراكم
ولو كانت العلياء تأتي الى الحجى
على انه قد طال ما صرفت يدي
فصبراً على جور الليالي وحكمها
ومن عجب أني أرجي سواكم
واستخير الآفاق عن كل منعم
وأنت صلاح الدين أكرم ذا الوري
وأنت ملك الأرض طراً فما يرى
واني وأنا القن الذي ليس يدعي
علي ومن لي ان اقضي به عمري
كثير وقد طالت بنا نوب الدهر
وعن سعة في الرزق بالضيق والفقر
أساوي بمن لا يستعد بان يدري
علوت محل الشهب مع موضع البدر
صنوف الوري بالجود والنهي والامر
فما برحت لا تستمر على أمر
وأرحل عنكم أطلب البر بالبر
وأقطع بالتطواف مستصعب القفر
ومن جوده يزري بمندفق البحر
ملك سواكم في البسيطة من قدر
سواي حقوقي اللاء تقطع بالنصر
(الطويل)

وقال ايضاً :

لئن كان جسمي سار عنك مفارقاً
وان فؤادي من تنقلك خائف
فقلبي في اكفاف ربك ساكن
على ان قلبي من تنقله آمن
(الطويل)

وقال ايضاً :

أيا قمري أوحشتني وتركنتي
بودي لو أمسيت عندي حاضراً
حليف سهاد دائم الهم والفكر
وأمسي عديم العقل والسمع والبصر
(الطويل)

وقال :

يا مالك مهجتي ويا متلفها
 كم تسعفك النفس وكم تعسفها
 إن كنت أنا في الحب يعقوب هوى
 ها أنت على حسنها يوسفها
 (دوبيت)

وللصاحب نجم الدين بن البودي من الكتب : مختصر الكليات من كتاب القانون لابن سينا . مختصر كتاب المسائل لحنين ابن اسحق . مختصر كتاب الاشارات والتنبيهات لابن سينا . مختصر كتاب عيون الحكمة لابن سينا . مختصر كتاب الملخص لابن خطيب الري . مختصر كتاب المعاملين في الاصولين . مختصر كتاب اوقليدس . مختصر مصادر اوقليدس . كتاب اللمعات في الحكمة . كتاب آفاق الاشراف في الحكمة . كتاب المناهج القدسية في العلوم الحكيمة . كافية الحساب في علم الحساب . غاية الغايات في المحتاج اليه اوقليدس والمتوسطات . تدقيق المباحث الطبية ، في تحقيق المسائل الخلافية ، على طريق مسائل خلاف الفقهاء . مقاله في البرشعنا . كتاب ايضاح الرأي السخيف من كلام الموفق عبد اللطيف ، والى هذا الكتاب وله من العمر ثلاث عشرة سنة . غاية الاحكام في صناعة الاحكام . الرسالة السنية في شرح المقدمة المطرزية . الأنوار الساطعات في شرح الآيات البينات . كتاب نزهة الناظر في المثل السائر . الرسالة الكاملة في علم الجبر والمقابلة . الرسالة المنصورية في الاعداد الوقفية . الزاهي في اختصار الزيج المقرب المبني على الرصد الجرب .

زين الدين الحافظي

هو الصدر الامام العالم الامير زين الدين سليمان بن المؤيد علي بن خطيب عقرباء^(١)، اشتغل بصناعة الطب على شيخنا مذهب الدين عبد الرحيم بن علي رحمه الله فحصل عليها وعملها ، وأتقن فصولها وجلها ، وخدم بصناعة الطب الملك الحافظ نور الدين ارسلان شاه^(٢) بن أبي بكر بن أيوب ، وكان يومئذ صاحب قلعة جعبر^(٣) . وأقام في خدمته في قلعة جعبر ، وتميز عنده ، وأجزل رفته ، وخوله في دولته ، واشتمل عليه بكلية . وكان زين الدين يعاني الأدب والشعر والكتابة الحسنة . وكان ايضاً يعاني الجندية ، وداخل اولاد الملك الحافظ ، وصار حطباً عندهم مكيناً في دولتهم . ولما توفي الملك الحافظ ، وتسلم قلعة جعبر الملك الناصر يوسف^(٤) بن محمد بن غازي صاحب حلب وذلك ببراسلات كان فيها زين الدين الحافظي . وانتقل زين الدين الى حلب ، وصارت له يد عند الملك الناصر ، ومنزلة رفيعة . وتزوج زين الدين بابنة رئيس حلب ، واقتنى اموالاً كثيرة . ولما ملك الناصر يوسف

(١) كورة بدمشق .

(٢) قول الحكم بعد ابيه وحالف صلاح الدين .

(٣) قلعة قديمة اطلق عليها العرب اسم دوسرة بين الرقة وبالس على الفرات .

(٤) هو صلاح الدين ابو المظفر يوسف جمع كلمة امراء حلب وحص وبعلمك والشام وهزم الحوارزميين . قتله هولاكو بعد

ان اجتاحت بغداد وحلب . (ن . د)

ابن محمد دمشق وصل معه الى دمشق ، وصار مكيناً في دولته ، وجيهاً في ايامه ، معانياً للصناعة الطبية ، معيناً في الامر والجندية . ولذلك قلت فيه :

وما زال زين الدين في كل منصب له في سماء المجد اعلى المراتب
أمير حوى في العلم كل فضيلة وفاق الورى في رأيه والتجارب
اذا كان في طب فصدر مجالس وان كان في حرب فقلب الكتائب
ففي السلم كم احيا ولياً بطبه وفي الحرب كم أفنى العدا بالقواضب
(الطويل)

ولم يزل الملك الناصر بدمشق ، وهو عنده حتى جاءت رسل التتر من الشرق الى الملك الناصر وهم في طلب البلاد ، والتشرط عليه بما يحمله اليهم من الاموال وغيرها ، فبعث زين الدين الحافظي رسولا الى خاقان هولاكو^(١) ملك التتر ، وسائر ملوكهم ، فأحسنوا اليه الاحسان الكثير ، واستألوه حتى صار من جهتهم ومازجهم . وترددت في المراسلة مرات ، وأطمع التتر في البلاد ، وصار يهول على الملك الناصر امورهم ، ويعظم شأنهم ويفخم مملكتهم ، ويصف كثرة عساكرهم ، ويصغر شأن الملك الناصر ومن عنده من العساكر . وكان الملك الناصر مع ذلك جباناً متوقفاً عن الحرب . ولما جاءت التتر الى حلب ، وكان هولاكو قد نازلها بقوا عليها نحو شهر ، وملكوها وقتلوا اهلها وسبوا النساء والبصبيان ، ونهبوا الاموال ، وهدموا القلعة وغيرها ، هرب الملك الناصر يوسف من دمشق الى مصر وقصد ان يملكها ، فخرجت عساكر مصر وملكها يومئذ الملك المظفر سيف الدين قطز^(٢) ، فكسر الملك الحافظ ، وقررت تساكركه وزال ملكه . وملك التتر دمشق بالامان ، وجعلوا فيها نائباً من جهتهم . وصار زين الدين أيضاً بها وامرؤه ، وبقي معه جماعة أجناد حتى كانوا يدعونه الملك زين الدين . ولما وصل الملك المظفر قطز صاحب مصر ، ومعه عساكر الاسلام ، وكسر التتر في وادي كنعان الكسرة العظيمة المشهورة ، وقتل من التتر الخلق العظيم الذي لا يحصى ، انهزم نائب التتر ومن معه من دمشق وراح زين الدين الحافظي معهم خوفاً على نفسه من المسلمين ، وصارت بلاد الشام بحمد الله الى ما كانت عليه ، وملكها بعد الملك المظفر قطز رحمه الله السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس^(٣) وصار صاحب الديار المصرية والشام خلد الله ملكه .

أبو الفضل بن عبد الكريم المهندس

هو مؤيد الدين أبو الفضل محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن الحارثي ، مولده وملكه بدمشق . وكان يعرف بالمهندس لجودة معرفته بالهندسة وشهرته بها قبل ان يتحلى بمعرفة صناعة الطب . وكان

(١) فاتح مغولي ومؤسس دولة التتر احتل بغداد وإباحها لجنده واحرق مكاتبها .

(٢) سلطان مصر (١٢٥٩-١٢٦٠) من دولة المماليك البحرين . وغلب المغول والافرانج المتحالفين في موقعة عين جالوت

بسوريا قتله بيبرس وخلفه في الملك (ن.ر.)

(٣) رابع سلاطين المماليك البحرين (١٢٢٣-١٢٧٧) . حطم قوى الصليبيين وغزا قواده بلاد النوبة والبربر .

في اول امره نجاراً وينحت الحجارة أيضاً ، وكان تكسبه بصناعة النجارة ، وله يد طولى فيها ، والناس كثيراً ما يرغبون الى اعماله . واكثر أبواب البيارستان الكبير الذي أنشأه الملك العادل نورالدين ابن زنكي رحمه الله من نجارته وصنعتة أخبرني سديد الدين بن ربيعة عنه انه أخبره بذلك .

وحدثني شمس الدين بن المطواع الكحال عنه ، وكان صديقاً له ان اول اشتغاله بالعلم انه قصد الى ان يتعلم أوقليدس ليزداد في صناعة النجارة جودة ويطلع على دقائقها ويتصرف في أعمالها . قال : وكان في تلك الايام يعمل في مسجد خاتون الذي تحت المنيح غربي دمشق ، فكان في كل غداة لا يصل الى ذلك الموضع الا وقد حفظ شيئاً من أوقليدس ، ويحل ايضاً منه في طريقه ، وعند فراغه من العمل ، الى أن حل كتاب أوقليدس بأسره ، وفهمه فهماً جيداً وقوي فيه . ثم نظر ايضاً في كتاب المجسطي ، وشرع في قراءته وحله ، وانصرف بكليته الى صناعة الهندسة وعرف بها .

اقول : واشتغل ايضاً بصناعة النجوم وعمل الزيجات . وكان قد ورد الى دمشق ذلك الوقت الشرف الطوسي ، وكان فاضلاً في الهندسة والعلوم الرياضية ، ليس في زمانه مثله فاجتمع به ، وقرأ عليه ، وأخذ عنه شيئاً كثيراً من معارفه وقرأ ايضاً صناعة الطب على أبي المجد محمد بن أبي الحكم ولازمه حق الملازمة ونسخ بخطه كتباً كثيرة في العلوم الحكيمة ، وفي صناعة الطب . ووجدت بخطه الكتب الستة عشر لجالينوس ، وقد قرأها على أبي المجد محمد بن أبي الحكم ، وعليها خط ابن أبي الحكم له بالقراءة . وهو الذي أصلح الساعات التي للجامع بدمشق . وكان له على مراعاتها وتفقدتها جامكية مستمرة يأخذها . وكانت له ايضاً جامكية لطبه في البيارستان الكبير ، وبقي سنيناً كثيرة يطب في البيارستان الى حين وفاته . وكان فاضلاً في صناعة الطب ، جيد المباشرة لأعمالها ، محمود الطريقة . وكان قد سافر الى ديار مصر ، وسمع شيئاً من الحديث بالاسكندرية في سنة اثنتين أو ثلاث وسبعين وخمسة ، من رشيد الدين أبي التثاء حماد بن هبة الله بن حماد بن الفضيل الحراني ، ومن أبي طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن ابراهيم السلفي الاصفهاني . واشتغل ايضاً بالادب وعلم النحو ، وكان يشعر وله قطع جيدة . وتوفي رحمه الله في سنة تسع وتسعين وخمسة بدمشق بأسهال عرض له ، وعاش نحو السبعين سنة . ومن شعر أبي الفضل بن عبد الكريم المهندس نقلت من خطه في مقالته في رؤية الهلال ألفها للقاضي محيي الدين بن القاضي زكي الدين ويقول فيها بمدحه .

خصصت بالاب لما ان رأيتهم	دعوا بنعتك أشخاصاً من البشر
ضد النعوت تراءم ان بلوتهم	وقد يسمى بصيرا غير ذي بصر
والنعت ما لم تلك الافعال تعضد،	اسم على صورة خطت من الصور
وما الحقيق به لفظ يطابقه الم	نى كنجل القضاة الصيد من مضر
فالدين والملك والاسلام قاطبة	برأيه في أمان من يد الغير
كم سن سنة خير في ولايته	وقام لله فيها غير معتذر
يرجو بذاك نعيماً لا نقاد له	جوار ملك عزيز جل مقتدر

فأله يكلؤه من كل حادثة ما غردت هاتفات الوزق في الشجر
البسيط

ولابي الفضل بن عبد الكريم المهندس من الكتب : رسالة في معرفة رمز التقويم . مقالة في رؤية الهلال . اختصار كتاب الاغانى الكبير لابي الفرج الاصبهاني . وكتب من تصنيفه هذا نسخة بخطه في عشر مجلدات ، ووقفها بدمشق في الجامع مضافاً الى الكتب الموقوفة في مقصورة ابن عروة . كتاب في الحروب والسياسة . كتاب في الادوية المفردة ، على ترتيب حروف أيمجد .

موفق الدين عبد العزيز

هو الشيخ الامام العالم موفق الدين عبد العزيز بن عبد الجبار بن أبي محمد السلمي . كان كثير الخير محباً له مؤثراً للجميل ، عزيز المروءة ، وافر العربية ، شديد الشفقة على المرضى وخصوصاً لمن كان منهم ، ضعيف الحال يفتقدهم ويعالجهم ويوصل اليهم النفقة وما يحتاجونه من الادوية والاعذية . وكان كثير الدين ، طلق الوجه ، يحبه كل احد . وكان في اول امره في المدرسة فتميز في المدرسة الامينية بدمشق عند الجامع . واشتغل بعد ذلك على الياس بن المطران بصناعة الطب وأتقن معرفتها وحصل عليها وعلمها ، وصار من المتميزين من اربابها ، والمشايخ الذين يقتدى بهم فيها . وكان له مجلس عام للمستغنين عليه بالطب . وخدم بصناعة الطب في البيارستان الكبير الذي انشأه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي . ثم خدم بعد ذلك الملك العادل أبا بكر بن أيوب ، وبقي معه سنين ، وله منه الانعام الكثير ، والافضال الغزير ، والمنزلة العلية ، والجامكية السنية . ولم يزل في خدمته الى ان توفي موفق الدين عبد العزيز رحمه الله بدمشق بيلة القولنج . وذلك في يوم الجمعة العشرين من ذي القعدة سنة اربع وستائة ، ودفن بجبل قاسيون وعمره نحو الستين سنة ، ومولده في سنة خمسائة ونيّف وخمسين .

سعد الدين بن عبد العزيز

هو الحكيم الاجل الامام سعد الدين ابو اسحق ابراهيم بن عبد العزيز بن عبد الجبار بن ابي محمد السلمي . قد أشبه أباه في خلقه وخلقه ومعرفته وحذقه . كثير الدين ، شريف اليقين ، بارع في العلوم الفقهية ، ورع في الامور الدينية . ولما كان بدمشق كان يعتكف بالجامع شهر رمضان ، ولم يتكلم فيه . وهو الذي تولى عمارة المدرسة الحنبلية في سوق القمع بدمشق ، وذلك في أيام الملك الاشرف موسى^(١) بن الملك العادل . وكان الامام المستنصر بالله خليفة بغداد قد أمره بعمارتها . وكان الحكيم سعد الدين أواحد زمانه وعلامة اوانه في صناعة الطب ، قد أحكم كليات اصولها وأتقن جزئيات انواعها وفصولها . ولم يزل مواظباً على الاشتغال ملازماً له في كل الاحوال . مولده بدمشق في اوائل

(١) اعتقد انه الملك الاشرف مظفر الدين ابو الفتح موسى من ملوك الايوبيين (١١٨٢-١٢٣٧) وكان مقر حركه الرقة .

المحرم سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة. وخدم بصناعة الطب في البيمارستان الكبير الذي أنشأه الملك العادل نور الدين بن زنكي .

وبعد ذلك خدم الملك الأشرف أبا الفتح موسى بن أبي بكر بن أيوب وأقام معه في بلاد الشرق وله منه الاحسان الكثير ، والافضال الغزير ، والجامكية الوافرة ، والصلوات المتواترة . وكان حظياً عنده ، مكيناً في دولته . ولم يزل في خدمته الى أن أتى الملك الأشرف الى دمشق وتسلمها من ابن اخيه الملك الناصر داود ^(١) بن الملك المعظم . وذلك في شعبان سنة ست وعشرين وستمائة فأتى معه الى دمشق ، وبقي بها . ثم ولاء السلطان رئاسة الطب ، ولم يزل في خدمته الى ان توفي الملك الأشرف . وكانت وفاته رحمه الله بقلعة دمشق ، أول نهار يوم الخميس رابع المحرم سنة خمس وثلاثين وستمائة . ثم بعد ذلك لما ملك دمشق الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب في العشر الاول من جمادى الاولى سنة خمس وثلاثين وستمائة أمر باستخدامه ، وان يقرر له جميع ما كان باسمه من اخيه الملك الأشرف ، وبقي في خدمته مدة يسيرة ، وتوفي الملك الكامل رحمه الله ، وذلك في ليلة الخميس أول الليل ثاني وعشرين رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة . ولم يزل الحكيم سعد الدين مقيماً بدمشق ، وله مجلس عام للمشتغلين عليه بصناعة الطب الى ان توفي رحمه الله ، وكانت وفاته بدمشق في شهر جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وستمائة .

وللشريف البكري في الحكيم سعد الدين من ابيات

حكيم لطيف من لطافة وصفه يود المعافى السقم حتى يعود
(الطويل)

رضي الدين الرحي

هو الشيخ الحكيم الامام العالم رضي الدين ابو الحجاج يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحبي ، من الاكابر في صناعة الطب ، والمتعنين من أهلها ، وله القدم والاشتهار والذكر الشائع عند الخواص والعوام . ولم يزل مبعلاً عند الملوك وغيرهم ، كثيري الاحترام له . وكان كبير النفس ، عالي الهمة ، كثير التحقيق حسن السيرة ، محباً للخير وأهله ، شديد الاجتهاد في مداواة المرضى ، رؤوفاً بالخلق ، طاهر اللسان . ما عرف منه في سائر عمره انه آذى احداً ولا تكلم في عرض غيره بسوء . وكان والده من بلد الرجة ^(٢) ، وله أيضاً نظر في صناعة الطب ، إلا ان صناعة الكحل كانت اغلب عليه وعرف بها . وكان مولد الشيخ رضي الدين بجزيرة ابن عمر ، ونشأ بها واقام ايضاً بنصيبين ^(٣) وبالرجبة سنين . وسافر ايضاً الى بغداد والى غيرها . واشتغل بصناعة الطب وتمهر فيها . واجتمع ايضاً في ديار

(١) هو صلاح الدين الناصر داود ابن الملك المعظم الابري (١٢٠٦ - ١٢٥٨) قضى ايامه بالكفاح على حقوقه ضد اهل بيته ومات بالطاعون .

(٢) مدينة اسمها مالك التفلي على الفرات الاوسط في خلافة المأمون وهي اليوم اطلال وآثار وتعرف برجة مالك .

(٣) مدينة في ما بين النهرين على نهر جمجم اشتهرت قديماً بمدرستها السريانية . (ن ر)

مصر بالشيخ الموفق المعروف بابن جميع المصري ، وانتفع به . وكان وصوله مع ابيه الى دمشق في سنة خمس وخمسين وخمسةائة ، وكان في ذلك الوقت ملكها السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي . وأقام رضي الدين ووالده بدمشق سنين ، وتوفي والده بها ودفن بجبل قاسيون . وبقي رضي الدين قاطناً بدمشق ، وملازماً للدكان لمعالجة المرضى ونسخ بها كتباً كثيرة ، وبقي على تلك الحال مدة .

واشتغل على مذهب الدين بن النقاش الطبيب ولازمه فنوه بذكره وقدمه ، وتأدت به الحال الى أن اجتمع بالملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب فحسن موقعه عنده ، واطلق له في كل شهر ثلاثين ديناراً ، ويكون ملازماً للقلعة والبيارستان . فبقي كذلك مدة دولة صلاح الدين بامرها . وكان صلاح الدين قد طلبه للخدمة في السفر فلم يفعل ولما توفي صلاح الدين رحمه الله بدمشق ، وذلك في ليلة الاربعاء ثلث الليل الاول سابع وعشرين صفر سنة تسع وثمانين وخمسةائة ، وانتقل الملك عن اولاده الى أخيه الملك العادل أبي بكر بن أيوب واستولى على البلاد أمر بان يكون في خدمته في الصحبة فلم يجب الى ذلك ، وطلب أن يكون مقيماً بدمشق فاطلق له الملك العادل ما كان مقررأ باسمه في أيام صلاح الدين ، وان يبقى مستمراً على ما هو عليه . وبقي على ذلك ايضاً الى ان توفي الملك العادل ، وملك بعده الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل فأجرى له خمسة عشر ديناراً ، ويكون متردداً الى البيارستان فبقي متردداً اليه الى أن توفي رحمه الله .

واشتغل عليه بصناعة الطب خلق كثير ونبغ منهم جماعة عدة . وأقرأوا لغيرهم وصاروا من المشايخ المذكورين في صناعة الطب . ولو اعتبر أحد جمهور الاطباء بالشام لوجد اما ان يكون منهم من قد قرأ على الرحي ، أو من قرأ على من قرأ عليه . وكان من جملة من قد قرأ عليه ايضاً في أول امره الشيخ مذهب الدين عبد الرحيم بن علي قبل ملازمته لابن المطران .

وحدثني الشيخ رضي الدين يوماً قال : ان جميع من قرأ علي ولازمي فانهم سعدوا وانتفع الناس بهم ، وذكر لي اسماء كثيرين منهم قد تميزوا واشتهروا في صناعة الطب منهم من قد مات ، ومنهم من كان بعد في الحياة . وكان يرى انه لا يقرى أحدأ من أهل الذمة أصلاً صناعة الطب ، ولا لمن لا يحده أهلاً لها . وكان يعطي الصناعة حقها من الرأسة والتعظيم . وقال لي انه لم يقرى في سائر عمره من اهل الذمة سوى اثنين لا غير أحدهما الحكيم عمران الاسرائيلي ، والآخر ابراهيم بن خلف السامري بعد ان ثقلا عليه بكل طريق . وتشفعا عنده يجهات لا يمكنه ردهم . وكل منها نبغ وصار طبيباً فاضلاً . ولا شك ان من المشايخ من يكون للاشتغال عليه بركة وسعد كما يوجد ذلك في بعض الكتب المصنفة دون غيرها في علم علم . وكنت في سنة اثنتين وثلاث وعشرين وستائة قد قرأت عليه كتاباً في الطب ، ولا سيما فيما يتعلق بالجزء العملي من كلام ابي بكر محمد بن زكريا الرازي وغيره وانتفعت به .

وكان الشيخ رضي الدين محباً للتجارة مغرى بها . وكان يراعي مزاجه ويعتني بحفظ صحته . وقال صاحب جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف بن ابراهيم القفطي عن الحكيم الرحي : انه كان يلزم في

اموره قوانين حفظ الصحة الموجودة . قال : ولقد بلغني انه كان يقتني أجود الطباخات ، ويتقدم اليها بإحكام ما يغلب على ظنه الانتفاع باستعماله في نهاره ذلك بما باشره من نفسه ، وما غلب عليه من الاخلاط في يومه ، فاذا انجزته واعلمته بذلك طلب من يؤاكلة من مؤانسيه . فاذا حضر منهم من حضر استأذنته في احضار الطعام فيقول لها أخريه فان الشهوة لم تصدق بعد ، فتؤخره الى ان يستدعيه ، ويقول أعجلي فتأتيه به ويتناول منه . فقال له بعض اصحابه يوماً ما المراد بهذا ؟ فقال: الأكل مع الشهوة هو المندوب اليه لحفظ الصحة فان الاعضاء اذا احتاجت الى تعويض ما تحلل منها استدعت ذلك من المعدة فتستدعيه المعدة من خارج . فقال له : وبما ثمة هذا ؟ قال : ان يعيش الانسان العمر الطبيعي . فقال له : انك قد بلغت من السن ما لم يبق بينك وبين العمر الطبيعي إلا القليل ، فأني الحاجة الى هذا التكلف ؟ فقال له : لأبقى ذلك القليل فوق الأرض استنشقي الهواء وأجرع الماء ، ولا اكون تحتها بسوء التدبير . ولم يزل على حالته تلك الى ان اتاه اجله .

أقول : وما يناسب هذا المعنى المتقدم في انه لا ينبغي ان يؤكل الطعام إلا بشهوة صادقة للاكل ، انني كنت يوماً أقرأ عليه في شيء من كلام الرازي في ترتيب تناول الاغذية ، وقد ذكر الرازي ان الانسان ينبغي له ان يأكل في اليوم مرتين . وفي اليوم الثاني مرة واحدة . فقال لي : لا تسمع هذا ، والذي ينبغي ان تعتمد عليه أنك تأكل وقت تكون الشهوة للاكل صادقة في أي وقت كان ، سواء أكان مرتين في النهار أو مرة أو ليل أو نهار . فالأكل عند الشهوة الصادقة للاكل هو الذي ينفع ، واذا لم يكن كذلك فانه مضرة البدن . وصدق في قوله . وقد لزم في سائر أيامه أشياء لا يخل بها ، وذلك انه كان يحمل يوم السبت ابداً لخروجه الى البستان وراحته فيه ، ويتركه يوم بطالة عن الاشتغال . وكان لا يدخل الحمام الا في يوم الخميس ، وقد جعل ذلك له راتباً . وكان في يوم الجمعة يقصد من يريد رؤيته وزيارته من الاعيان والكبراء . وكان أبداً يتوخى أنه لا يصعد في سلم . واذا كان له مريض يفتقده ان لم يكن في موضع لا يصعد اليه اذا أتاه في سلم ، وإلا لم يقربه وكان يصف السلم بانه منشار العمر .

ومن أعجب ما حكى لابي من ذلك انه قال انني منذ اشتريت هذه القاعة التي انا ساكن فيها أكثر من خمس وعشرين سنة ما اعرف انني طلعت الى الحجرة التي فوقها ، إلا وقت استعرضت الدار واشتريتها . وما عدت طلعت الى الحجرة بعد ذلك الى يومي هذا .

ومن نوادره وحسن قصرقاته فيما يتعلق بصناعة الطب ، حدثني صاحب صفى الدين ابراهيم بن مرزوق وزير الملك الاشرف بن الملك العادل ، وقد حكى جلاً من مناقب الشيخ رضي الدين ، فمن ذلك قال: ان صاحب صفى الدين بن شكر ^(١) وزير الملك العادل أبي بكر بن أيوب كان أبداً يلزم

(١) ابو محمد عبدالله وزير الملك العادل (١١٥٣-١٢٢٥) انشأ مدرسة قبالة داره بالقاهرة وكرم العلماء . وكان داعية . وتوفي في القاهرة . (ن.د)

أكل لحم الدجاج ويعدل عن لحم الضأن في اكثر الاوقات ، فشكا اليه شحوباً كان قد غلب على لونه . وكان الاطباء يصفون له كثيراً من الاشربة وغيرها فلما شكا اليه هذا مضى لحظة ، وعاد ومعه قطعة من صدر دجاجة ، وقطعة حمراء من لحم ضأن . ثم قال له أنت تلازم أكل لحم الدجاج فلم يأت الدم المتولد منه مشرق الحمرة كما يأتي من لحم الضأن ، وانت ترى لون هذا اللحم من الضأن ومبايقتة في اللون لهذه القطعة من الدجاج فينبغي ان تترك أكل لحم الدجاج ، وتلازم اكل لحم الضأن فانك تصلح ، وما تحتاج معه الى علاج . قال : فقبل هذا الرأي منه وتناول ما أوصاه به ، واستمر على ذلك مدة فصلح لونه ، واعتدل مزاجه .

أقول : وهذا اقناع حسن أوجده لمن أراد علاجه ، وتدبير بليغ في حفظ صحته . وذلك ان الوزير كان عبل البدن ، تام البنية ، قوي التركيب ، جيد الاستمراء . فكانت اعضاؤه ترزأ^(١) من لحم الدجاج بدم لطيف وهي تحتاج الى غذاء أغلظ منه وامتن . فلما لازم أكل لحم الضأن صار يتولد له منه دم متين يقوم بكفاية ما تحتاج اليه اعضاؤه فصلح مزاجه وظهر لونه .

وكان مولد الشيخ رضي الدين الرحي في شهر جمادى الاولى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة بمجزرة ابن عمر ، وكان أول مرضه في يوم عيد الاضحى من سنة ثلاثين وستائة ، ووفاته رحمه الله بكرة يوم الاحد العاشر من المحرم سنة احدى وثلاثين وستائة بدمشق ، ودفن بجبل قاسيون . فعاش نحو المائة سنة ، ولم يتبين تغير شيء من سمعه ولا بصره . وانما كان في آخر عمره قد عرض له نسيان للاشياء القريبة العهد المتجددة ، وأما الاشياء البعيدة المدة التي كان يعرفها من زمان طويل فانه كان ذاكرة لها . وخلف ولدين الاكبر منها شرف الدين أبو الحسن علي ، والآخر جمال الدين عثمان . وحكى لي بعض أهله من لازمه في المرض انه عند موته جس نبض يده اليسرى بيده اليمنى ، وبقي كالتأمل المفكر في ذلك . ثم ضرب بيديه كفاً على كف لانه علم ان قوته قد سقطت . قال : وعدل زورقية^(٢) كانت على رأسه بيديه . واستبسل للموت ومات بعد ذلك .

ولرضي الدين الرحي من الكتب بتهذيب شرح ابن الطيب لكتاب الفصول لابن قراط . اختصار كتاب المسائل لحنين ، كان قد شرع في ذلك ولم يكمله

شرف الدين بن الرحي

هو الحكيم الامام العالم الفاضل علامة عصره وفريد دهره ، شرف الدين أبو الحسن علي بن يوسف ابن حيدرة بن الحسن الرحي . كان مولده بدمشق في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وكان قد سلك حذو أبيه ، واقتفى ما كان يقتفيه . وهو أشبه به خلقاً وخلقاً وطرائق . لم يزل متوفراً على قراءة

(١) تصاب .

(٢) نوع من لباس الرأس يشبه الطاقيّة .

الكتب وتحصيلها ، ونفسه تشرب الى طلب الفضائل وتفصيلها . وله تدقيق في الصناعة الطبية وتحقيق لمباحثها الكلية . والجزئية . وله في الطب كتب مؤلفة وحواش متفرقة . واشتغل بصناعة الطب على أبيه ، وقرأ أيضاً على الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي ، وحرر عليه كثيراً من العلوم ، ولا سيما من تصانيف الشيخ موفق الدين البغدادي . واشتغل أيضاً بالأدب على الشيخ علم الدين السخاوي وعلى غيره من العلماء . وقد اتقن علم الأدب اتقاناً لا مزيد عليه ، ولا يشاركه أحد فيه . وله فطرة جيدة في قول الشعر ، وأحب ما اليه التخلي مع نفسه ، والملازمة لقراءته ودرسه ، والاطلاع على آثار القدماء ، والانتفاع بمؤلفات الحكماء . وكان نزيه النفس ، عالي ، الهمة لم يؤثر التردد الى الملوك ولا الى ارباب الدولة . وخدم مدة في البيارستان الكبير الذي أنشأه الملك العادل نور الدين بن زنكي . ولما وقف شيخنا مذهب الدين عبد الرحيم بن علي رحمه الله الدار التي له بدمشق ، وجعلها مدرسة يدرس فيها صناعة الطب وينتفع المسلمون بقراءتهم فيها أوصى أن يكون مدرستها شرف الدين بن الرحبي لما قد تحققه من علمه وفهمه ، فتولى التدريس بها مدة ، وتوفي شرف الدين بن الرحبي بدمشق ودفن بجبل قاسيون . وكانت وفاته رحمه الله في الليلة التي صباحها يوم الجمعة حادي عشر المحرم سنة سبع وستين وستائة بعلّة ذات الجنب

وحدثني الحكيم بدر الدين بن قاضي بعلبك ، وشمس الدين الكتبي المعروف بالخواتمي قالاً : كان شرف الدين قبل ان يمرض ويموت بأشهر يقول للجماعة المترددين اليه ، والتلاميذ المشتغلين عليه : انه بعد قليل أموت وذلك يكون عند قران الكوكبين . ثم يقول لهم : قولوا للناس هذا حتى يعرفوا مقدار علمي في حياتي وعلمي بوقت موتي . وكان قوله موافقاً لما حكم به .

ومن شعر شرف الدين بن الرحبي وهو مما أنشدني لنفسه فمن ذلك قال :

سهاً المنيا في الوري ليس تمنع	فكل له يوماً وان عاش مصرع
وكلّ وان طال المدى سوف يلتهبي	الى قمر لحدّ في ثرى منه يودع
فقل للذي قد عاش بعد قرينه	الى مثلها عما قليل ستدفع
فكل ابن اثني سوف يفضي الى ردى	ويرفعه بعد الارائك شرّج ^(١)
ويدركه يوماً وان عاش برهة	قضاء تساوى فيه هم ^(٢) ومرضع
فلا يفرحن يوماً بطول حياته	لبيب فما في عيشة المرء مطمع
فما العيش الا مثل لحة بارق	وما الموت إلا مثل ما العين تهجع
وما الناس الا كالنبات فيابس	هشيم وغض إثر ما باد يطلع
فتباً لدنيا ما تزال تعلننا	افاريق كأس مرة ليس تقنع
سحاب أمانيتها جهام ^(٣) وبرقها	اذأ شيم برق خلب ^(٤) ليس يجمع

(١) السرير يرفع عليه الميت - الجنائزة . (٢) الشيخ الفاني .

(ن.ر.)

(٣) لا ماء فيها .

(٤) خادع .

تقر بتيها بالمني فتتوهم
فكم أهلكك في حبها من مقيم
تغنيه بالآمال في نيل وصلها
أضاع بها عمراً له غير راجع
فصار لها عبداً لجمع حطامها
ولو كان ذا عقل لاغنته بلغة
الى ان توافيه المنية وهو بالقنا
مصائبها عمت فليس بمفلت
ولا سابع في قعر بحر وطائر
ولا ذو امتناع في بروج مشيدة
اصارته من بعد الحياة بوهدة
تساوى بها من حل تحت صعيدها
فسيان ذو فقر بها وذو الغنى
ومن لم يخف عند النواذب حتفه
وذو جشع يسطو بناب وغلب
ومن ملك الآفاق بأساً وشدة
ولو كشف الاجداث معتبراً لهم
لشاهد احداً تسيل وأوجهاً
غدت تحت اطباق الثرى مكفهرة
فلم يعرف المولى من العبد فيهم
وأنى له علم بذلك بعدما
رأى ما يسوء الطرف منهم وطالما
رأى أعظماً لا تستطيع تماسكاً
مجردة من لحمها فهي عبرة
تحونها مر الليالي فأصبحت
الى أجنة^(٣) مسودة وجاجم
أزيلت عن الاعناق فهي نواكس
علاها ظلام الليل ولطالما
كأن لم يكن يوماً علا مفرقاً لها

الى قعر مهواة بها المرء يوضع
ولم يحظ منها بالمني فيمتع
وعن غيه في حبها ليس ينزع
ولم ينل الامر الذي يتوقع
ولم يهن فيها بالذي كان يجمع
من العيش في الدنيا ولم يك يجمع
عة فيها آمن لا يروع
شجاع ولا ذو ذلة ليس يدفع
يدوم في بوح الفضاء فينزع
لها في ذرى جو السماء ترفع
له من ثراها آخر الدهر مضجع
على قرب عهد بالمات وقبع
وذو لكن^(١) عند المقال ومصقع^(٢)
وذو جبن خوفاً من الموت يسرع
وكل بغاث ذلة ليس ينزع
ومن كان فيها بالضرورة يقنع
لينظر آثار البلى كيف تصنع
معفرة في الترب شوهاً تفرع
عبوساً وقد كانت من البشر تلح
ولا خاملاً من ثابه يترفع
تبين منهم ما له العين تدمع
رأى ما يسر الناظرين ويمتع
تهافت من اوصالها وتقطع
لذي فكرة فيما له يتوقع
أنابيب في اجوافها الريح تسمع
مطأطأة من ذلة ليس ترفع
على الترب من بعد الوسائد توضع
غدا نورها في خندس الليل يسطع
نفائس تيجان ودر مرصع

(١) عي وثقل في اللسان . (٢) البليغ .
(٣) الوجنة « على البديل » . (ن. ر.)

تباعد عنهم وحشة كل وامى
وقاطعهم من كان حال حياتهم
يبكيهم الاعداء من سوء حالهم
فقل للذي قد غره طول عمره
أفق وانظر الدنيا بعين بصيرة
فأين الملوك الصيد قدما ومن حوى
حواء ضريح من فضاء بسيطها
فم ملك أضحى به ذا مذلة
يقود على الخيل العتاق فوارسا
فأصبح من بعد التمتع في ثرى
بعيدا على قرب المزاي إياه
غريبا عن الاحباب والأهل ثاويا
تلح عليه السافيات بمنزل
رهينا به لا يملك الدهر رجعة
توسد فيه التراب من بعد ما اغتدى
كذلك حكم النابات فلن ترى

وعافهم الأهلون والناس اجمع
بوصلهم وجدا بهم ليس يطمع
ويرحمهم من كان ضدا ويحزع
وما قد حواه من زخارف تجدع
تجد كل ما فيها ودائع ترجع
من الارض ما كانت به الشمس تطلع
يقصر عن جثائه حين يذرع
وقد كان حيا للهبابة يتبع
يسد بها رحب الفيافي ويترع
توارى عظاما منه بهاء بلقع
فليس له حتى القيامة مرجع
بأقصى فلاة خرقة ليس يرفع
جديب وقد كانت به الارض تفرع
ولا يستطيعن الكلام فيسمع
زمانا على فرش من الخز يرفع
من الناس حيا شمله ليس يصدع

(الطويل)

وأنشدني ايضا لنفسه :

تساق بنو الدنيا الى الحتف عنوة
كأنهم الانعام في جهل بعضها

ولا يشمر الباقي بحالة من يمضي
بما تم من سفك الدماء على بعض

(الطويل)

وأنشدني ايضا لنفسه :

ليس يجدي ذكر الفق بعد موت
انما يدرك التألم واللذة

فاطرح ما يقوله السفهاء
حي لا صخرة صماء

(الخفيف)

وقال وأنشدني اياهما لما توفي الملك الكامل محمد بن ابي بكر بن ايوب بدمشق ، وذلك في سنة
خمس وثلاثين وستائة :

كم قال جهلا باني ان امت
وافاه مفضي الحمام ولم يرع

يزل النظام ويفسد الثقلان
حي ولم يحفل به اثنان

لم يلتطح في موته عزاز
فغدا لقي تحت التراب مجندلا

من ظن ان لا بد منه وانه
فلبسها ذهبت وساوس فكره
أنى وما فوق البسيطة فاسد
ذو عنية في عالم الاكوان
منه الى دعوى بغير بيان
إلا ويخلفه بدبل ثاني
- الكامل -

وقال وأنشدني اياها بعد وفاة أخيه الحكيم جمال الدين عثمان في سنة ثمان وخمسين وستائة

تبدلت لما أن وجدت سكينه
وقد تاهزت سني ثمانين حجة
ولا سيما الاخ الشقيق وان غدا
فخانتني الايام فيما رجوته
فصبراً على كيد الزمان لعله
وعزاً نفى شر الحسود المعاند
ومات من الاهلين كل مساعد
لدى نازل في الخطب ركبي وساعدي
ولما تزل تأتي بعكس المقاصد
يؤول الى الانصاف بعد التباعد
- الطويل -

وكان يخضب بالحناء فقلت له لو تركت اللحية بيضاء كان ألقى فأنشدي لنفسه بدءاً .

سارت مشيى بالخصاب لاني
فواريته كيلا ترى منه مقلتي
فغيبه ما يشنى عن العين موجب
وان كنت ذا علم بان ليس ملبسي
تيقنت أن الشيب بالموت منذر
صباح مساء ما به العيش يكدر
تناسى ما منه يخاف ويحذر
شباباً ولا رد المنية يقدر
- الطويل -

وقال وهو مما كتب به الى من دمشق وكنت يومئذ بصرخد عند مالكة الامير عز الدين
أبيك المعظمي^(١)

موفق الدين ماذا السهو منك على
أبعت نفسك بالنزر الحقير لقد
أقمت في بلد يزري بساكنه
ناء عن الخير ذي جذب فليس به
مضيقاً فيه عمراً ما له عوض
أتحسب العمر مردوداً تصومه
أم تحسب العمر ما ولت لذاته
إذا تولى شباب العمر في نقص
لو كان ما أنت فيه مكسباً لغنى
ما نلت من رتبة في العلم والادب
أرخصتها بعد طول الجد والدأب
لا يرتضيه لبيب من ذوي الرتب
سوى صخور وحر منه ملتهب
إذا تصرم وقت منه لم يؤب
هيات ان يرجع الماضي من الحقب
ينال بعد ذهاب العمر بالذهب
فما له في بقايا العمر من أرب
لما وفى بذهاب العمر في نصب

(١) سلطان دمشق (١٢١٨-١٢٢٧) عبد الطرق التجارية الواصلة دمشق ببلاد العرب والعراق (ن.ر)

والبعد عن كل ذي فضل وذو أدب
لجحتي الحسن في أثوابها القشب
فالعمر فيما سواها غير محاسب
وعد الى الله والذات والطرب
ما دمت حياً فان الموت في الطلب
ولا تبع طيب موجود بمرتقب
والدهر ذو غير فانعم به تصب
من يفند من عمري وذو رغب
حواه مع نصب من سوء مكاسب
فليس بالنأي عن مثواك من كتب
من سميت همة منه على الشهب
مذ غبت عنه لبعد منك مكتسب
يسد بالقنع من عري ومن سغب
ولا تصنع نحو قدم غير ذي حذب
عن واضح بيّن من أعجب العجب

(البسيط)

فكيف مع قلة الجاري وخسته
فعد إلى جنة الدنيا فقد برزت
ولا تقم بسواها مع حصول غنى
واقطع زمانك طيباً في محاسنها
وبادر العمر قبل الفوت مغتناً
وخذ عياناً اذا ما امكنت فرص
فالعمر منصرم والوقت مغتنم
فاعمل بقولي ولا تجنح الى أحد
يرى السعادة في نيل الحطام ولو
فاسد برك الفائت المقتضي في عمر
ولا تعش عيش ذي نقص وكن ابداً
واغنم حياة أب ما زال ذا حزن
فلمست تقدم مع رؤياه مكاسبها
فالرأي ما قلته فاعمل به عجلاً
فغفلة المرء مع علم ومعرفة

فقلت في جوابه وكتبت بها اليه :

أدنى مساعيه أعلى رتبة الادب
فادركت في المعالي أرفع الرتب
وفاق سحبان في شعر وفي خطب
شيء يماثلها من سائر الكتب
عن كل شبه كمثل السبعة الشهب
في سلك خط وخير اللفظ منتخب
من بحر علم لمولى في العلى دئب
من راحة حصلت إلا عن التعب
البعض منه وكل جد في الطلب
من يجتديه كفيث دائم الصيب
الي في سالف الايام والحقب
وشكر نعماء طول الدهر اجدر بي
للناس في الجذب أشواق الى السحب
على فؤاد بنار الشوق ملتهب

مولاي يا شرف الدين الذي بلغت
ومن سميت في سماء المجد همة
قد فاق بقراط في علم وفي حكم
له التصانيف في كل العلوم ولا
أقدارها قد علت في الناس وارتفعت
فيها المعاني التي كالدر قد نظمت
ولا عجيب الدر كانت مورده
قد نال راحة تحصيل العلوم وما
ورام مسعاه أقوام وما بلغوا
وكل علم وجود فهو منه الى
الله كم من أياد منه قد وصلت
اني لاشكرها ما دمت مجتهداً
عندي من البين أشواق اليك كما
تهمي دموعي اذا ما غن ذكركم

كأنما حل طرفي بعد بينكم
وكل عمر تقضى لي ببعدهم
ولو تكون لي الدنيا باجمعها
هو الذي لم يزل اشفاقه ابداً
وانني بعد ما جد الفراق بنا
وكيف يلتذ عيشاً من أتاح به
لم يعرفوا قدر ذي علم لجهلهم
أتيت من ضاع فضلي في فناء وهل
وان اقامت بأقوام على خطأ
فقد أقام سمي قبل في نفر
وهي الامور التي تأتي مقدرة
ومن بدائع نظم أنت قائله
اذا انقضى شباب المرء في نغص
يا حبذا طيب أيام لنا سلفت
وحبذا جنة الدنيا اذا برزت
وقد رأيت صواباً ما أمرت به
وليس ينكر شيئاً انت قائله
وان لي همة تسمو السالك^(١) وما
وسوف أقصد ارضاً قد نشأت بها
واجمل العزم في علم أحصله

متمم وأتى قلبي أبو لهب
عني فذلك عمر غير محتسب
في البعد ما كنت تختاراً فراق ابي
علي والبر من بعد ومن كثر
والبعد لم يصف لي عيش ولم يطب
هذا الزمان الى قوم من الحطب
وليس ذلك في الجهال بالعجب
غباوة العجم تدري فطنة العرب
مني وقد مر بعض العمر في نصب
بأرض نجلة يشكو حادث الثوب
وليس شيء من الدنيا بلا سبب
بيت به حكم من رأي ذي حدب
فما له في بقايا العمر من أرب
وطيب اوقاتها لو انها تؤب
لجحتلي الحسن في اوائها القشب
وما نصحت بلا شك ولا ريب
من النصيحة والآراء غير غي
الا الفضائل والعليةاء مطلبي
والقرب من كل ذي فضل وذو أدب
فالعلم في كل حال خير مكتسب
(البسيط)

وانشدني لنفسه

روحي بكم تنعم في اللذات
ما جال بخاطري فراقك لكم

اذ كنت مقوماً لها كالذاتي
الا وعجبت من بقاء الذات
(دوبيت)

وانشدني ايضاً لنفسه

اصبحت بكف نازح الود ملول
لو لم يك في الحسن كبدر التم

لا يعطفه مع لينه عذل عذول
ما كان له بحبة القلب نزول
(دوبيت)

(١) كوكب نير . وما مما كان احدهما يقال له السالك الراحل لأن امامه كوكباً صغيراً والآخر السالك الاعزل لعدم وجود شيء امامه . (ن . ر)

وانشدني ايضاً لنفسه

لم يسبق توحي بكم غير ذمبا ينصب لذا البكا من العين دما
ان كان يقتلني الهى حكما في حبك لم أجد لموتي الما
(دوبيت)

ولشرف الدين بن الرحي من الكتب : كتاب في خلق الانسان وهيئة اعضائه ومنفعتها ، لم يسبق الى مثله . حواش على كتاب القانون لابن سينا . حواش على شرح ابن ابي صادق لمسائل حنين

جمال الدين بن الرحي

هو الحكيم الاجل العالم الفاضل جمال الدين عثمان بن يوسف بن حيدرة الرحي . مولده وملتؤه بدمشق من اكابر الفضلاء وسادة العلماء ، اوجد زمانه وفريد اوانه . اشتغل بصناعة الطب على والده وعلى غيره ، واقتنفاً اتفاقاً لا مزيد عليه . وكان حسن المعالجة ، جيد المداواة . وخدم في البيارستان الكبير الذي أنشأه الملك العادل نور الدين بن زنكي رحمه الله لمعالجة المرضى ، وبقي به سنين . وكان يحب التجارة ويعانيتها ، ويسافر بها في بعض الاوقات الى مصر ، ويأتي من مصر بتجارة . ولما وصلت التمر الى الشام وذلك في سنة سبع وخمسين وستمائة توجه الحكيم جمال الدين بن الرحي الى مصر ، وأقام فيها ثم مرض وتوفي بالقاهرة ، وذلك في العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين وستمائة .

كمال الدين الحمصي

هو ابو منصور المظفر بن علي بن ناصر القرشي من الفضلاء المشهورين ، والعلماء المذكورين . وكان كثير الخير ، وافر المروءة ، كريم النفس محباً لاصطناع المعروف . واشتغل بصناعة الطب على الشيخ رضي الدين الرحي ، وعلى غيره وشرع في قراءة كتاب القانون على الحكيم القاضي بهاء الدين ابي الثناء محمود بن ابي الفضل منصور بن الحسن بن اسمعيل الطبري الحزومي ، لما أتى الى دمشق . وقرأ عليه منه الى علاج الاسهال الدماغي . ثم سافر الشيخ بهاء الدين الى بلد الروم في سنة ثمان وستمائة . وكان كمال الدين الحمصي قد اشتغل ايضاً بالأدب ، وقرأ على الشيخ تاج الدين الكندي . وكان محباً للتجارة وأكثر معيشته منها . وكانت له دكان في الخواصين بدمشق يجلس فيها ، ويكره التكسب بصناعة الطب . وانما كان الملوك واكثر الاعيان يطلبونه ويستطبونه لما ظهر من علمه ، وبأن من فضله . وطلبه الملك العادل ابو بكر بن ايوب وغيره ليعخدمهم ويبقى معهم في الصحبة فما فعل ، وبقي سنين يتردد الى البيارستان الكبير الذي أنشأه الملك العادل نور الدين بن زنكي ، ويعالج المرضى فيه احتساباً ، ثم ألزم بعد ذلك بأن قررت له فيه جامكية وجراية ، وبقي كذلك الى ان توفي رحمه الله . وكانت وفاته في يوم الثلاثاء تاسع شهر شعبان سنة اثنى عشرة وستمائة .

ولكمال الدين المحصي من الكتب : مقالة في الباه وهي مستقصاة في فنها . شرح بعض كتاب العلل والاعراض لجالينوس . الرسالة الكاملة في الادوية المسهلة . اختصار كتاب الحاوي للرازي لم يتم . مقالة في الاستسقاء . تعاليق على الكليات من كتاب القانون . تعاليق في الطب . تعاليق في البول ألفها في أول رجب سنة ثلاث وسبعمائة . اختصار كتاب المسائل لحنين بن اسحق وقد أجاد فيه .

موفق الدين عبد اللطيف البغدادي

هو الشيخ الامام الفاضل موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن أبي سعد ويعرف بابن اللباد . موصل في الاصل ببغداد المولد . كان مشهوراً بالعلوم ، متحلياً بالفضائل ، مليح العبارة ، كثير التصنيف . وكان متميزاً في النحو واللغة العربية ، عارفاً بعلم الكلام والطب . وكان قد اعتنى كثيراً بصناعة الطب لما كان بدمشق واشتهر بعلمها . وكان يتردد اليه جماعة من التلاميذ وغيرهم من اطباء القراءة عليه ؛ وكان والده قد اشغله بسماع الحديث في صباه من جماعة منهم ابو الفتح محمد بن عبد الباقي المعروف بابن البطي ، وأبو زرعة طاهر بن محمد القدسي ، وأبو القاسم يحيى بن ثابت الوكيل وغيرهم .

وكان يوسف والد الشيخ موفق الدين مشغلاً بعلم الحديث بارعاً في علوم القرآن والقراءات ، مجيداً في المذهب والخلاف والاصول . وكان متطرباً من العلوم العقلية . وكان سليمان عم الشيخ موفق الدين فقيهاً مجيداً . وكان الشيخ موفق الدين عبد اللطيف كثير الاشتغال لا يخلي وقتاً من أوقاته من النظر في الكتب والتصنيف والكتابة . والذي وجدته من خطه أشياء كثيرة من تصانيف القدماء . وكان صديقاً لجدي وبينهما صفة اكية بالديار المصرية لما كنا بها . وكان ابي وعمي يشتغلان عليه بعلم الادب . واشتغل عليه عمي ايضاً بكتب ارسطوطاليس . وكان الشيخ موفق الدين كثير العناية بها ، والفهم لمعانيها . وأتى الى دمشق من الديار المصرية ، واقام بها مدة وكثر انتفاع الناس بعلمه . ورأيت له ما كان مقيماً بدمشق في آخر مرة أتى اليها ، وهو شيخ نحيف الجسم ، ربيع القامة ، حسن الكلام ، جيد العبارة ؛ وكانت مسطرته أبلغ من لفظه . وكان رحمه الله ربما تجاوز في الكلام لكثرة ما يرى في نفسه . وكان يستنقص الفضلاء الذين في زمانه وكثيراً من المتقدمين . وكان وقوعه كثيراً جداً في علماء المعجم ومصنفاتهم ، وخصوصاً الشيخ الرئيس ابن سينا ونظرائه .

ونقلت من خطه في سيرته التي ألفها ما هذا مثاله قال : « اني ولدت بدار لجدي في درب الفالوذج في سنة سبع وخمسين وخمسائة وتربيت في حجر الشيخ أبي النجيب لا أعرف اللعب واللهو ، واكثر زماني مصروف في سماع الحديث ، وأخذت لي اجازات من شيوخ بغداد وخرسان والشام ومصر . وقال لي والدي يوماً قد سمعتك جميع عوالي بغداد وأحقتك في الرواية بالشيخ المسان . وكنت في أثناء ذلك اتعلم الخط ، وأتحفظ القرآن والفصيح ، والمقامات ، وديوان المتنبي ونحو ذلك ، ومختصراً

في الفقه ، ومختصراً في النحو . فلما ترعرعت حملي والدي الى كمال الدين عبد الرحمن الانباري^(١) ، وكان يومئذ شيخ بغداد ، وله بالدي صعبة قديمة أيام التفقه بالنظامية^(٢) . فقرأت عليه خطبة الفصيح فهدر كلاماً كثيراً متتابعاً لم افهم منه شيئاً ، لكن التلاميذ حوله يعجبون منه . ثم قال : أنا اجفو عن تعليم الصبيان احمله الى تلميذي الوجيه الواسطي يقرأ عليه فاذا توسطت حاله قرأ علي . وكان الوجيه عند بعض اولاد رئيس الرؤساء ، وكان رجلاً اعمى من أهل الثروة والمروءة . فأخذني بكفني يديه ، وجعل يعلمني من اول النهار الى آخره بوجوه كثيرة من التلطف ، فكنت أحضر حلقة بمسجد الظفرية ، ويجعل جميع الشروح لي ويخاطبني بها . وفي آخر الامر أقرأ درسي ويخصني بشرحه . ثم نخرج من المسجد فيذاكرني في الطريق ، فاذا بلغنا منزله اخرج الكتب التي يشتغل بها مع نفسه فاحفظ له واحفظ معه ثم يذهب الى الشيخ كمال الدين فيقرأ درسه ويشرح له ، وأنا اسمع . وتخرجت الى ان صرت أسبقه في الحفظ والفهم ، واصرف اكثر الليل في الحفظ والتكرار ، واقفنا على ذلك برهة ، كلما جاء حفطي كثر وجاد ، وفهمي قوي ، واستنار ، وذممي احتد واستقام ، وانا أألزم الشيخ وشيخ الشيخ . وأول ما ابتدأت حفظت للمع^(٣) في ثمانية أشهر ، اسمع كل يوم شرح اكثرها بما يقرؤه غيري ، وانقلب الى بيتي فاطالع شرح الثمانين ، وشرح الشريف عمر بن حمزة ، وشرح ابن برهان ، وكل ما اجد من شروحها . واشرحها لتلاميذ يختصون بي الى ان صرت اكتمل على كل باب كرايس ، ولا ينفذ ما عندي . ثم حفظت أدب الكاتب لابن قتيبة^(٤) حفظاً متقناً . اما النصف الاول ففي شهر . واما تقويم اللسان ففي اربعة عشر يوماً لانه كان اربعة عشر كراساً . ثم حفظت مشكل القرآن له وغريب القرآن له ، وكل ذلك في مدة يسيرة . ثم انتقلت الى الايضاح لأبي علي الفاسي^(٥) فحفظته في شهر كثيرة ، ولازمت مطالعة شروحه وتلبعته التبع التام حتى تبهرت فيه وجمعت ما قال الشراح . واما التكملة فحفظتها في ايام يسيرة كل يوم كراساً ، وطالعت الكتب المبسوطة والمختصرات وواظبت على المقتضب للبرد^(٦) ، وكتاب ابن درستويه^(٧) . وفي اثناء ذلك لا أغفل سماع الحديث والتفقه على شيخنا ابن فضالان بدار الذهب ، وهي مدرسة معلقة بناها فخر الدولة بن المطلب .

قال : « وللشيخ كمال الدين مائة تصنيف وثلاثون تصنيفاً ، اكثرها في النحو وبعضها في الفقه والاصولين وفي التصوف والزهد ، واتيت على اكثر تصانيفه سماعاً وقراءة وحفظاً . وشرع في تصنيفين

-
- (١) لغوي درس في بغداد ، في كتاب اسرار اللغة (١١١٩-١١٨١) .
 - (٢) المدرسة التي اسسها نظام الملك في بغداد وهو من وزراء السلجوقيين . (ن.ر)
 - (٣) كتاب في النحو لقيه عثمان بن جني الموصلية جمعه من ابي علي الفارسي .
 - (٤) ابن قتيبة الدينوري (٨٢٨-٨٨٩) ولد في الكوفة وعاش وعلم في بغداد وتولى القضاء في ديار بكر له « ادب الكاتب » و« عيون الاخبار » .
 - (٥) ولد في فاس من ام عربية وتوفي في بغداد (٩٠٠-٩٨٧) احد ائمة اللغة البصريين .
 - (٦) ابو العباس (٨٢٦-٨٩٨) لغوي من الائمة البصريين خصم ثعلب بمثل الكوفيين . علم في بغداد اهم كتبه « الكامل » .
 - (٧) عبدالله (٨٧١-٩٥٦) احد النحاة المشهورين تلمذ على ابن قتيبة والمبرد وثعلب ومن مؤلفاته « كتاب الكاتب » .

كبيرين أحدهما في اللغة والآخر في الفقه ولم يتفق له إتمامها وحفظت عليه طائفة من كتاب سيويوه^(١) وأكبت على المقتضب فاتقنته . وبعد وفاة الشيخ تجردت لكتاب سيويوه وأشرحه للسيرافي^(٢) . ثم قرأت على ابن عبيدة الكرخي كتباً كثيرة منها كتاب الاصول لابن السراج^(٣) ، والنسخة في وقف ابن الحشاش برابط المأمونية . وقرأت عليه الفرائض والعروض للخطيب التبريزي^(٤) ، وهو من خواص تلاميذ ابن الشجري^(٥) . وأما ابن الحشاش فسمعت بقراءته معاني الزجاج على الكاتبة شهدة بنت الابري ، وسمعت منه الحديث المسلسل وهو : الراحون يرحمهم الرحمن ؛ ارحوا من في الارض يرحمكم من في السماء .

وقال أيضاً موفق الدين البغدادي : « ان من مشايخه الذين انتفع بهم كما زعم ولد أمين الدولة بن التليذ . وبالغ في وصفه وكثر ، وهذا فلكثرة تعصبه للعراقيين ، والا فولد أمين الدولة لم يكن بهذه المثابة ولا قريباً منها . وقال : أنه ورد الى بغداد رجل مغربي جوال في زي التصوف له ابهة ولسن ، مقبول الصورة ، عليه مسحة الدين ، وهيئة السياحة ، يفعل لصورته من رآه قبل ان يخبره ، ويعرف بابن ثائي ، يزعم انه من اولاد المثلثة . خرج من المغرب لما استولى عليها عبد المؤمن . فلما استقر ببغداد اجتمع اليه جماعة من الاكابر والاعيان ، وحضره الرضي القزويني ، وشيخ الشيوخ ابن سكين . وكنت واحداً ممن حضره فاقرأني مقدمة حساب ، ومقدمة ابن بابشاد في النحو ، وكان له طريق في التعليم عجيب . ومن يحضره يظن انه متبحر وانما كان متطرفاً ، ولكنه امعن في كتب الكيمياء والطلسمات وما يجري مجراها ، واتى على كتب جابر^(٦) بأسرها ، وعلى كتب ابن وحشية^(٧) . وكان يجلب القلوب بصورته ومنطقه وإيمانه . فلأقلي شوقاً الى العلوم كلها ، واجتمع بالامام الناصر لدين الله واعجبه . ثم سافر واقبلت على الاشتغال ، وشمرت ذيل الجد والاجتهاد ، وهجرت النوم واللذات ، واكبت على كتب الغزالي^(٨) المقاصد ، والمعيار ، والميزان ، ومحك النظر . ثم انتقلت الى كتب ابن سينا صغارها وكبارها ، وحفظت كتاب النجاة ، وكتبت الشفاء وبحث فيه ، وحصلت كتاب التحصيل لبهمنيار تلميذ ابن سينا . وكتبت وحصلت كثيراً من كتب جابر بن حيان الصوفي وابن وحشية وباشرت عمل الصنعة الباطلة وتجارب الضلال الفارغة ، واقوى من اضلني ابن سينا بكتابته في الصنعة الذي تم به فلسفته التي لا تزداد بالتأمل الا نقصاً .

(١) اعلم المتقدمين والمتأخرين في النحو وهو امام مذهب البصريين ولد في البصرة وتوفي قرب شيراز (ن.د)

(٢) هو الحسن السيرافي (٩٠٣ - ٩٧٨) من علماء الفقه واللغة والفلسفة . وكان مفتي جامع الرصافة ببغداد .

(٣) هو ابو بكر محمد المعروف بابن السراج احد ائمة النحو المشهورين واليه انتهت الرئاسة بعد المبرد .

(٤) من العلماء المشهورين في فقه اللغة .

(٥) هو الشريف ابو السعادات هبة الله البغدادي ابن الشجري اوجد زمانه في النحو واللغة . وكان نقيب الطالبيين في الكرخ .

(٦) جابر بن حيان من علماء الكيمياء العرب عاش في الكوفة وهو اول من بحث بتحويل المعادن الى ذهب .

(٧) هو أحد النبطين وكان على جانب عظيم من العلم . وله المؤلفات العديدة في الكيمياء والعلوم الخفية ، عاش حوالي سنة ٨٠٠

(٨) ابو حامد محمد الغزالي (١٠٥٩ - ١١١١) من اعظم فلاسفة العرب . علم في النظامية ببغداد ثم انصرف الى

(ن.د)

الحياة الصوفية .

قال : « ولما كان في سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، حيث لم يبق ببغداد من يأخذ بقلمه ويملأ عينه ، ويحل ما يشكل عليّ ، دخلت الموصل فلم أجد فيها بغيثي ، لكن وجدت الكمال بن يونس ^(١) جيداً في الرياضيات والفقه متطرفاً من باقي اجزاء الحكمة ، قد استغرق عقله ووقته حب الكيمياء وعملها ، حتى صار يستخف بكل ما عداها . واجتمع إلي جماعة كثيرة ، وعُرضت علي مناصب فاخترت منها مدرسة ابن مهاجر المعلقة ودار الحديث التي تحتها . وأقيمت بالموصل سنة في اشتغال دائم متواصل ليلاً ونهاراً . وزعم أهل الموصل أنهم لم يروا من احد قبلي ما رأوا مني من سعة المحفوظ ، وسرعة وسكون الطائر ، وسمعت الناس يهرجون في حديث الشهاب السهروردي المتفلسف ، ويعتقدون انه قد فاق الاولين والآخرين ، وان تصانيفه فوق تصانيف القدماء فهمت لقصده ثم أدركني التوفيق فطلبت من ابن يونس شيئاً من تصانيفه ، وكان ايضاً معتقداً فيها فوقعت على التلويحات ، واللمحة ، والمعارج ، فصادفت فيها ما يدل على جهل أهل الزمان ، ووجدت لي تعاليت كثيرة لا أرتضيها هي خير من كلام هذا الأنوك ^(٢) . وفي اثناء كلامه ثبتت حروفاً مقطعة يومها امثاله انها أسرار الهية .

قال : « ولما دخلت دمشق وجدت فيها من اعيان بغداد والبلاد ممن جمعهم الاحسان الصلاحي ، جمعاً كثيراً ، منهم : جمال الدين عبداللطيف ^(٣) ولد الشيخ ابي النجيب ، وجماعة بقيت من بيت رئيس الرؤساء ، وابن طلحة الكاتب ^(٤) وبيت ابن جبير ^(٥) وابن العطار المقتول الوزير ، وابن هبيرة ^(٦) الوزير واجتمعت بالكندي البغدادي النحوي وجرى بيننا مباحثات ، وكان شيخاً بهياً ذكياً مثرياً ، له جانب من السلطان ، لكنه كان معجباً بنفسه مؤذياً لجليسه ، وجرت بيننا مباحثات فظهرني الله تعالى عليه في مسائل كثيرة . ثم اني أهملت جانبه فكان يتأذى باهمالي له أكثر مما يتأذى الناس منه . وعملت بدمشق تصانيف جمّة منها غريب الحديث الكبير ، جمعت فيه غريب أبي عبيد القاسم بن سلام ^(٧) وغريب ابن قتيبة وغريب الخطابي وكنت ابتدأت به في الموصل وعملت له مختصراً سمّيته المبرد ، وعملت كتاب الواضحة في اعراب الفاتحة نحو عشرين كراساً ، وكتاب الالف واللام ، وكتاب ربّ ، وكتاباً في الذات والصفات الذاتية الجارية على السنة المتكلمين . وقصدت بهذه المسألة الرد على الكندي ، ووجدت بدمشق الشيخ عبدالله بن نائلي نازلاً بالمأذنة الغربية ، وقد عكف عليه جماعة ومحزب الناس فيه حزبين له وعليه فكان الخطيب الدولي عليه ، وكان من الاعيان له منزلة وناموس . ثم خلط ابن نائلي على نفسه فأعان عدوه عليه ، بصرار يتكلم في الكيمياء والفلسفة ، وكثر التشنيع عليه . واجتمعت به فصار يسألني عن أعمال اعتقد انها خسيصة نزرة فيعظمها ويحتفل بها ويكتبها مني ،

(١) من اعلم علماء زمانه في الحساب والفقه . ولد في الموصل تعلم في نظامية بغداد وعلم في كمالية الموصل

(٢) الاحق .

(٣) المسمى ابن اللباد مشهور بعلم الكلام والفلسفة والطب والتنجيم .

(٤) الملقب بالرحال تعلم في نيسابور واقام في دمشق .

(٥) بيت خرج منه اربعة من وزراء العباسيين اولهم وزير المستظهر وآخرهم وزير القتفي .

(٦) عز الدين وزير المستنجد (ن.د)

(٧) الهروي ولد في هراة سنة ٧٧٠ ، لغوي فقيه من علماء الدين درس على الاصمعي وابن الاعرابي . «ن.د»

وكاشفته فلم اجده كما كان في نفسي ، فساء به ظني وبطريقه ، ثم باحثته في العلوم فوجدت عنده منها اطرافاً نزره فقلت له يوماً : لو صرفت زمانك الذي ضيعته في طلب الصنعة الى بعض العلوم الشرعية أو العقلية كنت اليوم فريد عصرك ، مخدوماً طول عمرك . وهذا هو الكيمياء لا ما تطلبه . ثم اعتبرت بحاله وانزجرت بسوء ماله ، والسعيد من وعظ بغيره . فأقلعت ولكن لا كل الافلاع . ثم انه توجه الى صلاح الدين بظاهر عكا يشكو اليه الدولعي ، وعاد مريضاً وحمل الى البيارستان فمات به . وأخذ كتبه المعتمد شحنة دمشق وكان متيماً بالصنعة . ثم اني توجهت الى زيارة القدس ، ثم الى صلاح الدين بظاهر عكا فاجتمعت ببهاء الدين بن شداد قاضي العسكر يومئذ ، وكان قد اتصل به شهرتي بالموصل فانبسط الي واقبل علي . وقال : نجتمع بعماد الدين الكاتب فقمنا اليه ، وخيمته الى خيمة بهاء الدين فوجدته يكتب كتاباً الى الديوان العزيز بقلم الثلث من غير مسودة . وقال هذا كتاب الى بلدكم ، وذاكرني في مسائل من علم الكلام ، وقال : قوموا بنا الى القاضي الفاضل فدخلنا عليه ، فرأيت شيخاً شبيهاً كله رأس وقلب ، وهو يكتب ويملي على اثنين ، ووجهه وشفتاه تلعب ألوان الحركات لقوة حرصه في إخراج الكلام ، وكأنه يكتب بحيلة أعضائه . وسألني القاضي الفاضل عن قوله سبحانه وتعالى : « حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها » اين جواب اذا . واين جواب لو في قوله تعالى : « ولو أن قرآننا سیرت به الجبال » وعن مسائل كثيرة ومع هذا فلا يقطع الكتابة والاملاء . وقال لي ترجع الى دمشق ، وتجري عليك الجرايات فقلت اريد مصر ، فقال السلطان مشغول القلب بأخذ الفرنج عكا وقتل المسلمين بها ، فقلت لا بد لي من مصر فكتب لي ورقة صغيرة الى وكيله بها .

فلما دخلت القاهرة جاني وكيله وهو ابن سناء الملك ، وكان شيخاً جليل القدر ، نافذ الامر ، فانزلني داراً قد ازيجحت علها ، وجاءني بدنانير وغلة . ثم مضى الى ارباب الدولة وقال : هذا ضيف القاضي الفاضل فدرت الهدايا والصلوات من كل جانب . وكان كل عشرة ايام او نحوها تصل تذكرة القاضي الفاضل الى ديوان مصر بمهمات الدولة وفيها فصل يؤكد الوصية في حقي . وأقيمت بمسجد الحانجب لؤلؤ^(١) رحمه الله اقرىء ، وكان قصدي في مصر ثلاثة أنفس ياسين السيميائي والرئيس موسى بن ميمون اليهودي وابو القاسم الشارعي ، وكلهم جاؤوني . أما ياسين فوجدته محالياً كذاباً ، مشعبذاً ، يشهد للشاقاني بالكيمياء ، ويشهد له الشاقاني بالكيمياء ، ويقول عنه انه يعمل اعمالاً يعجز موسى ابن عمران عنها . وانه يحضر الذهب المضروب متى شاء ، وبأي مقدار شاء ، وبأي سكة شاء . وانه يجعل ماء النيل خيمة ، ويجلس فيه واصحابه تحتها . وكان ضعيف الحال . وجاءني موسى فوجدته فاضلاً في الغاية قد غلب عليه حب الرياسة ، وخدمة ارباب الدنيا . وعمل كتاباً في الطب جمعه من الستة عشر لجالينوس ، ومن خمسة كتب أخرى ، وشرط ان لا يغير فيه حرفاً الا ان يكون واو عطف أو فاء وصل ، وانما ينقل فصولاً لا يختارها . وعمل كتاباً لليهود سماه كتاب الدلالة ، ولعن من يكتبه بغير القلم العبراني . ووقفت عليه فوجدته كتاب سوء يفسد أصول الشرائع والمقائد بما يظن انه يصلحها .

(١) هو امين مر رضوان السلجوقي واتبك ألب رسلان .

وكننت ذات يوم بالمسجد وعندي جمع كثير فدخل شيخ رث الثياب ، نذر الطلعة مقبول الصورة فهابه الجمع ورفعوه فوقهم ، وأخذت في اتمام كلامي ، فلما تصرم المجلس جاءني امام المسجد وقال : اتعرف هذا الشيخ ؟ هذا أبو القاسم الشارعي فاعتنقته وقلت اياك اطلب ، فاخذته الى منزلي واكلنا الطعام ، وتفاوضنا الحديث ، فوجدته كما تشتهي الانفس ، وتلد الاعين ، سيرته سيرة الحكماء العقلاء وكذا صورته . وقد رضي من الدنيا ببرز^(١) ، لا يتعلق منها بشيء يشغله عن طلب الفضيلة . ثم لازمني فوجدته قيا بكتب القدماء وكتب أبي نصر الفارابي ولم يكن لي اعتقاد في احد من هؤلاء لاني كنت اظن أن الحكمة كلها حازها ابن سينا وحشاها كتبه ، واذا تفاوضنا الحديث أغلبه بقوة الجدل وفضل اللسن ، ويغلبنني بقوة الحجة وظهور الحجة . وانا لا تلين قناتي لغمزه ، ولا احيد عن جادة الهوى والتعصب برمزه ، فصار يحضرني شيئاً بعند شيء من كتب ابي نصر والاسكندر ثامسطيوس يؤنس نقاري ، ويلين عريكة شماسي حتى عطفت عليه اقدم رجلا وأؤخر اخرى .

وشاع ان صلاح الدين هادن الفرنج وعاد الى القدس فقادتني الضرورة الى التوجه اليه ، فاخذت من كتب القدماء ما أمكنني وتوجهت الى القدس فرأيت ملكاً عظيماً يملأ العين روعة ، والقلوب محبة . قريباً بعيداً ، سهلاً محبباً ، وأصحابه يتشبهون به ، يتسابقون الى المعروف كما قال تعالى : « ونزعنا ما في صدورهم من غل » . وأول ليل حضرته وجدت مجلساً حفلاً بأهل العلم يتذاكرون في اصناف العلوم وهو يحسن الاستماع والمشاركة ويأخذ في كيفية بناء الاسوار وحفر الخنادق ويتفقه في ذلك ويأتي بكل معنى بديع . وكان مهتماً في بناء سور القدس وحفر خندقه ، يتولى ذلك بنفسه وينقل الحجارة على عاتقه ، ويتأسى به جميع الناس الفقراء والاغنياء ، والأقوياء والضعفاء ، حتى العباد الكاثب والقاضي الفاضل ؛ ويركب لذلك قبل طلوع الشمس الى وقت الظهر ، ويأتي داره ، ويمد الطعام ، ثم يستريح . ويركب العصر ويرجع في المساء ، ويصرف اكثر الليل في تدبير ما يعمل نهاراً . فكتب لي صلاح الدين بثلاثين ديناراً في كل شهر على ديوان الجامع وأطلق أولاده رواتب حتى تقرر لي في كل شهر مائة دينار .

ورجعت الى دمشق واكبيت على الاشتغال واقراء الناس بالجامع . وكلما أمعنت في كتب القدماء ازدادت فيها رغبة ، وفي كتب ابن سينا زهادة واطلعت على بطلان الكيمياء ، وعرفت حقيقة الحال في وضعها ، ومن وضعها وتكذب بها ، وما كان قصده في ذلك . وخلصت من ضلالين عظيمين موبقين . وتضاعف شكري لله سبحانه على ذلك ، فان اكثر الناس اتسا هلكوا بكتب ابن سينا وبالكيمياء .

ثم ان صلاح الدين دخل دمشق ، وخرج يودع الحاج ، ثم رجع فحمّ فقصده من لا خبرة عنده فخارت القوة ومات قبل الرابع عشر ووجد الناس عليه شبيهاً بما يجدونه على الانبياء . وما رأيت ملكاً حزن الناس بموته سواء لانه كان محبوباً يحبه البر والفاجر ، والمسلم والكافر . ثم تفرق أولاده

(١) القليل .

واصحابه ايادي سباً ، ومزقوا في البلاد كل ممزق ، واكثرهم توجه الى مصر لخصبها وسعة صدر ملكها واقمت بدمشق وملكها الملك الافضل وهو اكبر الأولاد في السن الى ان جاء الملك العزيز بمساكر مصر يحاصر أخاه بدمشق ، فلم ينل منه بغية . ثم تأخر الى مرج الصفر لقولنج عرض له فخرجت اليه بعد خلاصه منه فاذن لي في الرحيل معه ، واجرى علي من بيت المال كفايتي وزيادة . وأقمت مع الشيخ أبي القاسم يلزمني صباح مساء الى ان قضى نحبه . ولما اشتد مرضه ، وكان ذات الجنب عن نزلة من رأسه واشرت عليه بدواء فأنشد :

لا اذود الطير عن شجر قد بلوت المر من ثمره
- المديد -

ثم سألت عن أله فقال :

ما الجرح بميت ايلام
- الخفيف -

« وكان سيرتي في هذه المدة ، انني اقرىء الناس بالجامع الازهر^(١) من أول النهار الى نحو الساعة الرابعة . وسط النهار يأتي من يقرأ الطب وغيره ، وآخر النهار أرجع الى الجامع الازهر فيقرأ قوم آخرون . وفي الليل اشتغل مع نفسي . ولم أزل على ذلك الى ان توفي الملك العزيز ، وكان شاباً كريماً شجاعاً كثير الحياء لا يحسن قول لا . وكان مع حداثة سنه وشرح شبابه كامل العفة عن الاموال والفروج . »

أقول : ثم ان الشيخ موفق الدين أقام بالقاهرة بعد ذلك مدة ، وله الرتب والجرايات من اولاد الملك الناصر صلاح الدين ، وأتى الى مصر ذلك الغلاء العظيم والموتان^(٢) الذي لم يشاهد مثله . وألف الشيخ موفق الدين في ذلك كتاباً ذكر فيه اشياء شاهدها أو سمعها من عاينها تذهل العقل ، وسمى ذلك الكتاب « كتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعينة بارض مصر » . ثم لما ملك السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب الديار المصرية واكثر الشام والشرق، وفرقت أولاد اخيه الملك الناصر صلاح الدين ، وانتزع ملكهم توجه الشيخ موفق الدين الى القدس، وأقام بها مدة . وكان يتردد الى الجامع الاقصى^(٣) ويشتغل الناس عليه بكثير من العلوم ، وصنف هنالك كتباً كثيرة . ثم انه توجه الى دمشق ونزل بالمدرسة العزيزية بها ، وذلك في سنة اربع وستائة ، وشرح في التدريس والاشتغال ، وكان يأتيه خلق كثير يشتغلون عليه ويقرأون أصنافاً من العلوم . وتميز في صناعة الطب بدمشق ، صنف في هذا الفن كتباً كثيرة وعرف به . واما قبل ذلك فانما كانت شهرته بعلم النحو ، واقام بدمشق مدة وانتفع الناس به . ثم انه سافر الى حلب ، وقصد بلاد الروم

(١) مسجد وجامعة في القاهرة بناها القائد جوهر الصقلي سنة ٩٧٢ في اول عهد الفاطميين . واصبح مقامه عظيماً فيها بعد يقصده طلاب العلم من انحاء العالم الاسلامي.

(٢) موت يقع في الماشية .

(٣) من اعظم الاماكن المقدسة الاسلامية . وهو جامع كبير في القدس جنوبي مسجد القبة . (ن.د.)

وأقام بها سنين كثيرة ، وكان في خدمة الملك علاء الدين داود بن بهرام ^(١) صاحب ارزنجان . وكان مكيناً عنده ، عظيم المنزلة ، وله من الجامكية الوافرة ، والافتقادات الكثيرة ، وصنف باسمه عدة كتب . وكان هذا الملك عالي الهمة ، كثير الحياء ، كريم النفس . وقد اشتغل بشيء من العلوم ، ولم يزل في خدمته الى ان استولى على ملكه صاحب ارزن ^(٢) الروم ، وهو السلطان كيقيباد ^(٣) بن كيخسرو ابن قلعج أرسلان ، ثم قبض على صاحب ارزنجان ولم يظهر له خبر .

قال الشيخ موفق الدين عبد اللطيف : « ولما كان في سابع عشر ذي القعدة من سنة خمس وعشرين وستمائة ، توجهت الى ارزن الروم ، وفي حادي صفر من سنة ست وعشرين وستمائة ، رجعت الى ارزنجان من ارزن الروم ، وفي نصف ربيع الاول توجهت الى كمشاخ ^(٤) ، وفي جمادى الاولى توجهت منها الى دبركي ، وفي رجب توجهت منها الى ملطية ^(٥) ، وفي آخر رمضان توجهت الى حلب ، وصلينا صلاة عيد الفطر بالهنساء ، ودخلنا حلب يوم الجمعة تاسع شوال فوجدناها قد تضاعفت عمارتها وخيرها بحسن سيرة أتابك شهاب الدين واجتمع الناس على تحبته لمعدله في رعيته . »

أقول : واقام الشيخ موفق الدين بحلب والناس يشتغلون عليه ، وكثرت تصانيفه . وكان له من شهاب الدين طغريل الخادم أتابك حلب جار حسن ، وهو متنحل لتدريس صناعة الطب وغيرها ، ويتردد الى الجامع بحلب لسمع الحديث ويقرئ العربية . وكان دائم الاشتغال ، ملازماً للكتابة والتصانيف . ولما أقام بحلب قصدت اني اتوجه اليه واجتمع به فلم يتفق ذلك ، وكانت كتبه ابدأ تصل الينا ومراسلاته ، وبعث الي اشياء من تصانيفه من خطه (وهذه) نسخة كتاب كتبه اليه لما كان بحلب : « الملوك يواصل بدعائه وثنائه ، وشكره وانتمائه الى عبودية المجلس السامي المولوي ، السيني السندي ، الأجل الكبير ، العالمي الفاضلي ، موفق الدين ، سيد العلماء في الغابرين والحاضرين ، جامع العلوم المتفرقة في العالمين ، ولي امير المؤمنين . أوضح الله به سبل الهداية ، وأثار ببقائه طرق الدراية ، وحقق بمحققاته ألفاظه صحيح الولاية . ولا زالت سعادتة دائمة البقاء ، وسيادته سامية الارتقاء ، وتصانيفه في الآفاق قدوة العلماء ، وعمدة سائر الادباء والحكام . الملوك يحدد الخدمة ، ويهدي من السلام اطيبه ، ومن الشكر والثناء أعذبه ، وينهي ما يكابده من ألم التطلع الى مشاهدة انوار شمس المنيرة ، وما يعانيه من الارتياح الى ملاحظة شريف حضرته الاثيرة ، وما تزايد من القلق ، وتعاضم عند سماعه قرب المزار من الارق :

وأبرح ما يكون الشوق يوماً اذا دنت الديار من الديار

(الوافر)

(ولولا قفول الركاب العالي ، ووصول الجناب الموقفي الجلاي ، لسارع الملوك الى الوصول ،

(١) من ملوك الغزنويين ابن بهرام اعظم ملوكهم .

(٢) مدينة قديمه في ارمينيا وانقاضها اليوم في تركيا .

(٣) سلطان من سلاجقة آسيا الصغرى .

(٤) مدينة محصنة في الاناضول على شاطئ الفرات الايسر .

(٥) مدينة على الفرات في تركيا . (ن.د)

ولبادر المبادرة بالمثل ، ولجاء الى شريف خدمته ، وفاز بالنظر الى بهي طلغته . فبها سعادة من فاز بالنظر اليه ، وبها بشرى من مثل بين يديه ، وبها سرور من حظي بوجه اقباله عليه ، ومن ورد بحار فضله من غيرها ، واستضاء بشمس علمه فسرى في ضياء منيرها ، نسأل الله تعالى تقريب الاجتماع ، وتحصيل الجمع بين مسرتي الابصار والاسماع ، بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى .

ومن مراسلات الشيخ موفق الدين عبد اللطيف انه بعث الى أبي في أول كتاب ، وهو يقول فيه : « عندي ولد الولد أعز من الولد . وهذا موفق الدين ولد ولدي وأعز الناس عندي ، وما زالت النجابة تتبين لي فيه من الصغر » . ووصف وأثنى كثيراً ، وقال فيه : « ولو امكنتني ان آتي اليه بالقصد ليشغل علي لفعلت » . وبالجملة فانه كان قد عزم ان يأتي الى دمشق ويقم بها ، ثم خطر له انه قبل ذلك يحج ، ويجعل طريقه على بغداد . وان يقدم بها للخليفة المستنصر بالله اشياء من تصانيفه . ولما وصل بغداد مرض في اثناء ذلك ، وتوفي رحمه الله يوم الاحد ثاني عشر المحرم سنة تسع وعشرين وستائة ، ودفن بالوردية عند ابيه ، وذلك بعد ان خرج من بغداد وبقي غائباً عنها خمساً وأربعين سنة . ثم ان الله تعالى ساقه اليها وقضى منيته بها .

ومن كلام موفق الدين عبد اللطيف البغدادي ، بما نقلته من خطه قال :

« ينبغي ان تحاسب نفسك كل ليلة اذا آويت الى منامك ، وتظر ما اكتسبت في يومك من حسنة فلتشكر الله عليها ، وما اكتسبت من سيئة فلتستغفر الله منها وتقلع عنها . وترتب في نفسك بما تعمله في غدك من الحسنات » وتساءل الله الاعانة على ذلك .

وقال : أوصيك ان لا تأخذ العلوم من الكتب وان وثقت من نفسك بقوة الفهم . وعليك بالاستاذين في كل علم تطلب اكتسابه ، ولو كان الاستاذ ناقصاً فخذ عنه ما عنده حتى تجد أكمل منه . وعليك بتعظيمه وتوجيهه ، وان قدرت ان تقيده من دنياك فافعل ، وإلا فبلسانك وثنائك . واذا قرأت كتاباً فاحرص كل الحرص على ان تستظهره وتلك معناه وتوهم ان الكتاب قد عدم وانك مستغن عنه ، لا تحزن لفقده . واذا كنت مكباً على دراسة كتاب وتفهمه فاياك ان تشتغل بآخر معه ، ولصرف الزمان الذي تريد صرفه في غيره اليه . وإياك ان تشتغل بعلمين دفعة واحدة ، وواظب على العلم الواحد سنة او سنتين أو ما شاء الله . فاذا قضيت منه وطرك فانتقل الى علم آخر . ولا تظن انك اذا حصلت علماً فقد اكتفيت بل تحتاج الى مراعاته لينمو ولا ينقص ؛ ومراعاته تكون بالذاكرة ، والتفكير واشتغال المبتدئ باللفظ والتعلم ، ومباحثة الاقران . واشتغال العالم بالتعليم والتصنيف . واذا تصديت لتعليم علم أو للمناظرة فيه فلا تمزج به غيره من العلوم ، فان كل علم مكتف بنفسه مستغن عن غيره ، فان استعانتك في علم بعلم عجز عن استيفاء أقسامه كمن يستعين بلغة في لغة أخرى اذا علمها أو جهل بعضها .

قال : وينبغي للانسان ان يقرأ التواريخ ، وان يطلع على السير وتجارب الامم فيصير بذلك كأنه في عمره القصير قد أدرك الامم الخالية ، وعاصره وعاشره ، وعرف خيرهم وشرهم .

قال : وينبغي ان تكون سيرتك سيرة الصدر الاول ، فاقراً سيرة النبي ، عليه السلام ، وتببع أفعاله وأحواله ، واقتف آثاره ، وتشبه به ما امكنك ويقدر طاقتك . واذا وقفت على سيرته في مطعمه ومشربه وملبسه ، ومنامه ، ويقظته ، وعمره ، وتطبيه ، وتمتعه وتطبيه ، ومعاملته مع ربه ومع أزواجه وأصحابه وأعدائه ، وفعلت اليسير من ذلك فانت السعيد كل السعيد .

قال : وينبغي ان تكثر ايهامك لنفسك ولا تحسن الظن بها ، وتعرض خواطرك على العلماء وعلى تصانيفهم ، وتثبت ولا تعجل ولا تعجب فمع العجب العثار ، ومع الاستبداد الزلل . ومن لم يعرق جبينه الى ابواب العلماء لم يعرق في الفضيلة ، ومن لم ينجلوه لم يبجله الناس ، ومن لم ييكتوه لم يسد ، ومن لم يحتمل ألم التعلم لم يذق لذة العلم ، ومن لم يكدر لم يفلح . واذا خلوت من التعلم والتفكير فحرك لسانك بذكر الله وبتسابيحه ، وخاصة عند النوم ، فيلشربه لبك ، ويتعجن في خيالك ، وتكلم به في منامك . واذا حدث لك فرح وسرور ببعض أمور الدنيا فاذكر الموت وسرعة الزوال وأصناف المنفصات ؛ واذا أحزنك امر فاسترجع ، واذا اعترتك غفلة فاستغفر ، واجعل الموت نصب عينك ، والعلم والتقى زادك الى الآخرة . واذا أردت ان تعصي الله فاطلب مكاناً لا يراك فيه . واعلم ان الناس عيون الله على العبد يريهم خيره وان أخفاه ، وشره وان ستره ، فباطنه مكشوف لله ، والله يكشفه لعباده . فعليك ان تجعل باطنك خيراً من ظاهرك ، وسرك أصبح من علانيتك . ولا تتألم اذا عرضت عنك الدنيا فلو عرضت لك لشغلتك عن كسب الفضائل . وقلمسا يتعمق في العلم ذو الثروة ، إلا ان يكون شريف الهمة جداً أو ان يثري بعد تحصيل العلم . واني لا اقول ان الدنيا تعرض عن طالب العلم بل هو الذي يعرض عنها ، لان همته مصروقة الى العلم فلا يبقى له التفات الى الدنيا ، والدنيا انما تحصل بحرص وفكر في وجوها فاذا غفل عن اسبابها لم تأته وايضاً فان طالب العلم تشرف نفسه عن الصنائع الرذلة ، والمكاسب الدنية ، وعن اصناف التجارات ، وعن التذلل لارباب الدنيا والوقوف على أربابهم . ولبعض اخواني بيت شعر

من جد في طلب العلوم افاته شرف العلوم دناءة التحصيل
(الكامل)

« وجميع طرق مكاسب الدنيا تحتاج الى فراغ لها وحذق فيها ، وصرف الزمان اليها . والمشتغل بالعلم لا يسمعه شيء من ذلك ، وانما ينتظر ان تأتبه الدنيا بلا سبب ، وتطلبه من غير ان يطلبها طلب مثلها ، وهذا ظلم منه وعدوان . ولكن اذا تمكن الرجل في العلم وشربه به ، خطب من كل جهة وعرضت عليه المناصب ، وجاءته الدنيا صاغرة ، وأخذها وماء وجهه موفوراً ، وعرضه ودينه مصون . واعلم ان للعلم عقبة وعرفاً ينادي على صاحبه ، ونوراً وضياء يشرق عليه ويسدل عليه ، كتاجر المسك لا يخفى مكانه ، ولا تجهل بضاعته . وكمن يمشي بمشعل في ليل مدلم . والعالم مع هذا محبوب أينما كان وكيفما كان ، لا يجد الا من يميل اليه ، ويؤثر قربه ويأنس به ، ويرتاح بمدانته واعلم ان العلوم تغور ثم تغور في زمان بمنزلة النبات أو عيون المياه ، وتنتقل من قوم الى قوم ومن صقع الى صقع . »

ومن كلامه أيضاً نقلته من خطه قال : « اجعل كلامك في الغالب بصفات ان يكون وجيزاً فصيحاً في معنى مهم أو مستحسن فيه إلغاز تام ، وإيهام كثير أو قليل . ولا تجعله مهمل ككلام الجمهور ، بل ارفعه عنه ، ولا تباعده عليهم جداً . »

وقال : إياك والهدر ، والكلام فيما لا يعني ؛ وإياك والسكوت في محل الحاجة ، ورجوع النوبة اليك إما لاستخراج حق ، أو اجتلاب مودة ، أو تنبيه على فضيلة . وإياك والضحك مع كلامك ، وكثرة الكلام ، وتبذير الكلام . بل اجعل كلامك سرداً بسكون ، بحيث يستشعر منك ان وراءه أكثر منه ، وانه عن خيرة سابقة ، ونظر متقدم .

وقال : « إياك والغلظة في الخطاب ، والجفاء في المناظرة . فان ذلك يذهب بهجة الكلام ، ويسقط فائدته ، ويعدم حلاوته ، ويحلب الضغائن ، ويمحق المودات ، ويصير القائل مستثقالاً سكوتة وأشهى الى السامع من كلامه ، ويثير النفوس على معاندته ، ويبسط اللسان بمخاشنته واذهاب حرمة . »

وقال : « لا ترفع بحيث تستنقل ، ولا تنازل بحيث تستنخس وتستحقر . »

وقال : « اجعل كلامك كله جدلاً ، واجب من حيث تمقل لا من حيث تعناد وتألف .

وقال : « انتزع عن عادات الصبا ، وتجرد عن مالوفات الطبيعة ، واجعل كلامك لاهوتياً في الغالب لا ينفك من خبر أو قرآن أو قول حكيم أو بيت نادر أو مثل سائر .

وقال : « تجنب الوقعة في الناس وثلب الملوك ، والغلظة على المعاشر ، وكثرة الغضب . وتجاوز الحد فيه .

وقال : « استكثر من حفظ الاشعار الامثالية والنوادر الحكيمة والمعاني المستغربة .

ومن دعائه رحمه الله قال : « اللهم أعذنا من شמוש الطبيعة ، وجوح النفس الردية . واسلس لنا مقاد التوفيق ، وخذ بنا في سواء الطريق . يا هادي العمي ؛ يا مرشد الضلال ، يا محيي القلوب الميتة بالايام ، يا منير ظلمة الضلالة بنور الاقتان ؛ خذ بأيدينا من مهواة الملكة ، نجنا من ردة (١) الطبيعة ، طهرنا من درن الدنيا الدنية ، بالاخلاص لك والتقوى . انك مالك الآخرة والدنيا . وتسبيح أيضاً له قال : « سبحان من عم بحكمته الوجود ، واستحق بكل وجه أن يكون هو المعبود . ثلاث بنور جلالك الافاق ، وأشرقت شمس معرفتك على النفوس اشراقاً وأي اشراق . »

ولموفق الدين عبد اللطيف البغدادي من الكتب : كتاب غريب الحديث ، جمع فيه غريب أبي عبيد القاسم بن سلام ، وغريب ابن قتيبة ، وغريب الخطابي . كتاب المجرى من غريب الحديث . كتاب الواضحة في اعراب الفاتحة . كتاب الالف واللام . مسألة في قوله سبحانه اذا أخرج يده لم يكذبها . مسألة نحوية . مجموع مسائل نحوية وتعاليق . كتاب رب . شرح بانث سعاد . كتاب ذيل الفصح . الكلام في الذات والصفات الذاتية الجارية على السنة المتكلمين . شرح أوائل الفصل .

(١) الطين والوحل الشديد .

خمس مسائل نحوية . شرح مقدمة ابن بابشاذ وسماء بالبع الكاملية . شرح الخطب النباتية . شرح الحديث المتسلسل . شرح سبعين حديثاً ، شرح أربعين حديثاً طبية . كتاب الرد على ابن خطيب الري في تفسير سورة الاخلاص . كتاب كشف الظلامات عن قدامة ، شرح نقد الشعر لقدامة . احاديث مخرجة من الجمع بين الصحيحين . كتاب اللواء العزيز ، باسم الملك العزيز في الحديث . كتاب قوانين البلاغة ، عمله بحلب سنة خمس عشرة وستائة . حواش على كتاب الخصائص لابن جني . كتاب الانصاف ، بين ابن بري وابن الحشاش على المقامات للحريري ، وانتصار ابن بري للحريري . مسألة في قولهم أنت طالق في شهر قبل ما بعد قبلة رمضان . تفسير قوله عليه السلام : الراحون يرجمهم الرحمن . كتاب قبسة العجلان في النحو . اختصار كتاب الصناعتين للعسكري . اختصار كتاب العمدة لابن رشيقي .

مقالة في الوقف . كتاب الجلي في الحساب الهندي . اختصار كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري وكتاب آخر في فنه مثله . اختصار مادة البقاء للتيمي . كتاب الفصول وهو بلغة الحكيم سبع مقالات فرغ منه في شهر رمضان سنة ثمان وستائة . شرح كتاب الفصول لابقرط ، شرح كتاب مقدمة المعرفة لابقرط . اختصار وشرح جالينوس لكتب الامراض الحادة لابقرط . اختصار كتاب الحيوان لارسطوطاليس . تهذيب مسائل مابال لارسطوطاليس . كتاب آخر في فنه مثله . اختصار كتاب منافع الاعضاء لجالينوس . اختصار كتاب آراء ابقرط وأفلاطن ، اختصار كتاب الجنيين . اختصار كتاب الصوت . اختصار كتاب المني . اختصار كتاب آلات التنفس ، اختصار كتاب العضل . اختصار كتاب الحيوان للجاحظ . كتاب في آلات التنفس وافعالها ست مقالات مقالة في قسمة الحيات وما يقوم به كل واحد منها وكيفية تولدها . كتاب النخبة وهو خلاصة الامراض الحادة . اختصار كتاب الحيات للاسرائيلي . اختصار كتاب البول للاسرائيلي . اختصار كتاب النبض للاسرائيلي . كتاب اخبار مصر الكبير . كتاب اخبار مصر الصغير ، مقالتان ، وترجمة كتاب الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعينة بأرض مصر ، وفرغ من تأليفه في العاشر من شعبان سنة ثلاث وستائة بالبيت المقدس . كتاب تاريخ وهو يتضمن سيرته ألفه لولده شرف الدين يوسف . مقالة في العطش . مقالة في الماء . مقالة في احصاء مقاصد واضعي الكتب في كتبهم وما يتبع ذلك من المنافع والمضار . مقالة في معنى الجوهر والعرض . مقالة موجزة في النفس . مقالة في الحركات المتعاضة . مقالة في العادات . الكلمة في الربوبية .

مقالة تشتمل على أحد عشر باباً في حقيقة الدواء والغذاء ومعرفة طبقاتها وكيفية تركيبها . مقالة في البادى بصناعة الطب . مقالة في شفاء الضد بالضد . مقالة في ديابيبس والادوية النافعة منه . مقالة في الراوند حررها بحلب في جمادى الآخرة من سنة سبع عشرة وستائة ، وكان قد وضعها بمصر سنة خمس وتسعين وخمسمائة . مقالة في السقنقور . مقالة في الحنطة . مقالة في الشراب والكرم . مقالة في البحران ، صغيرة . رسالة الى مهندس فاضل عملي ، كتب بها من مدينة حلب . اختصار كتاب الادوية المفردة لابن واقد . اختصار كتاب الادوية المفردة لابن سحون . كتاب كبير في الادوية

المفردة . مختصر في الحيات . مقالة في المزاج . كتاب الكفاية في التشريح . كتاب الرد على ابن الخطيب في شرحه بعض كليات القانون ، وألف كتابه هذا لعمي رشيد الدين علي بن خليفة رحمه الله وأرسله إليه ، وكان تأليفه لذلك مجلب قبل توجهه إلى بلاد الروم . كتاب تعقب حواشي ابن جميع على القانون . مقالة يرد فيها على كتاب علي بن رضوان المصري في اختلاف جالينوس وأرسطوطاليس . مقالة في الحواس . مقالة في الكلمة والكلام . كتاب السبعة . كتاب تحفة الآمل . مقالة في الرد على اليهود والنصارى . مقالتان أيضاً في الرد على اليهود والنصارى . مقالة في ترتيب المصنفين . كتاب الحكمة العلانية ذكر فيه أشياء حسنة في العلم الإلهي وألف كتابه هذا لعلاء الدين داود بن بهرام صاحب أرزنجان . مقالة على جهة التوطئة في المنطق . حواش على كتاب البرهان للفارابي .

كتاب الترياق فصول منتزعة من كلام الحكماء حل شيء من شكوك الرازي على كتب جالينوس . كتاب المراقي إلى الغاية الإنسانية ، ثمان مقالات . مقالة في ميزان الأدوية المركبة من جهة الكليات . مقالة في موازنة الأدوية والأدواء من جهة الكيفيات . مقالة في تعقب أوزان الأدوية . مقالة أخرى في المعنى وكشف شبه وقعت لبعض العلماء . مقالة في المعنى في جواب ثلاث مسائل . مقالة سادسة مختصرة . مقالة تتعلق بموازين الأدوية الطبية في المركبات ، قول أيضاً في المعنى . مقالة في التنفس والصوت والكلام ، مقالة في اختصار كلام جالينوس في سياسة الصحة . انتزاعات من كتاب ديسقوريدس في صفات الحشائش . انتزاعات أخرى في منافعها . مقالة في تدبير الحرب كتبها لبعض ملوك زمانه في سنة ثلاث وعشرين وستمائة ، ووجدته أيضاً وقد ترجمها . مقالة في السياسة العملية . كتاب العمدة في أصول السياسة .

مقالة في جواب مسألة سئل عنها في ذبح الحيوان وقتله وهل ذلك سائع في الطبع وفي العقل كما هو سائع في الشرع . مقالتان في المدينة الفاضلة . مقالة في العلوم الضارة . رسالة في الممكن ، مقالتان . مقالة في الجنس والنوع أجاب بها في دمشق سؤال سائل في سنة أربع وستائة . الفصول الأربعة المنطقية . تهذيب كلام أفلاطون . حكم منشورة إيساغوجي مبسوط الواقعات . مقالة في النهاية والانهائية . كتاب تأريث الفطن في المنطق والطبيعي والإلهي . مقالة في كيفية استعمال المنطق ، وكتب بهذه المقالة إلى من بلاد الروم . مقالة في حد الطب . مقالة في البادئ بصناعة الطب . مقالة في أجزاء المنطق التسعة ، مجلد كبير . مقالة في القياس .

كتاب في القياس ، خمسون كراساً ، ثم أضيف إليه المدخل والمقولات والعبارة والبرهان فجاء مقداره أربع مجلدات . مقالة في جواب مسألة في التنبيه على سبل السعادة الطبيعية من السماع إلى آخر كتاب الحس والمحسوس ثلاث مجلدات . كتاب السماع الطبيعي ، مجلدان . كتاب آخر في الطبيعيات من السماع إلى كتاب النفس . كتاب العجيب . حواش على كتاب الثمانية المنطقية للفارابي . شرح الأشكال البرهانية من ثمانية أبي نصر . مقالة في ترتيب الشكل الرابع . مقالة في ترتيب ما يعتقده أبو علي بن سينا من وجود أقيسة شرطية تنتج نتائج شرطية . مقالة في القياسات المختلطات والصرف . باري مانباس مبسوط . مقالة في ترتيب المقاييس الشرطية التي يظنها ابن سينا . مقالة أخرى في المعنى أيضاً .

كتاب النصيحتين للأطباء والحكاماء . كتاب المحاكمة بين الحكيم والكيميائي . رسالة في المعادن وابطال الكيمياء . مقالة في الحواس . عهد الى الحكماء . اختصار كتاب الحيوان لابن ابي الاشعث . اختصار القولنج لابن ابي الاشعث . مقالة في السرسام . مقالة في العلة المراقية . مقالة في الرد على ابن الهيثم في المكان . مختصر فيما بعد الطبيعة . مقالة في النخل ، ألفها بمصر سنة تسع وتسعين وخمسةائة وببعضها بمدينة ارزنجان في رجب سنة خمس وعشرين وستائة . مقالة في اللغات وكيفية تولدها . مقالة في الشعر . مقالة في الاقيسة الوضعية . مقالة في القدر . مقالة في الملل . الكتاب الجامع الكبير في المنطق والعلم الطبيعي والعلم الالهي ، وهو زهاء عشر مجلدات التام تصنيفه في نحو نيف وعشرين سنة . كتاب المدهش في اخبار الحيوان المتوج بصفات نبينا عليه افضل الصلاة والسلام قال : ابتدأت بكتابة منه بدمشق سنة سبع وستائة وكل في اربعة اشهر بجلب سنة ثمان وعشرين وستائة وهو في مائة كراس . كتاب الثانية في المنطق وهو التصنيف الوسط .

ابو الحجاج يوسف الاسرائيلي

مغربي الاصل من مدينة فاس^(١) ، وأتى الى الديار المصرية، وكان فاضلاً في صناعة الطب والهندسة وعلم النجوم . واشتغل في مصر بالطب على الرئيس موسى بن ميمون القرطبي . وسافر يوسف بعد ذلك الى الشام ، وأقام بمدينة حلب وخدم الملك الظاهر غازي ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن ايوب ، وكان يعتمد عليه في الطب . وخدم ايضاً الامير فارس الدين ميمون القصري . ولم يزل أبو الحجاج يوسف مقيماً في حلب ، ويدرس صناعة الطب الى ان توفي بها .

ولاي الحجاج يوسف الاسرائيلي من الكتب : رسالة في ترتيب الاغذية اللطيفة والكثيفة في تناولها . شرح الفصول لابقراط .

عمران الاسرائيلي

هو الحكيم أرواح الدين عمران بن صدقة . مولده بدمشق في سنة احدى وستين وخمسةائة . وكان ابوه ايضاً طبيباً مشهوراً . واشتغل عمران على الشيخ رضي الدين الرحي بصناعة الطب ، وتميز في علمها وعملها ، وصار من اكبر المتعينين من اهلها، وحظي عند الملوك ، واعتمدوا عليه في المداواة والمعالجة، وقال من جتهتهم من الاموال الجسيمة والنعم ما يفوق الوصف. وحصل من الكتب الطبية وغيرها ما لا يكاد يوجد عند غيره ، ولم يخدم أحداً من الملوك في الصحبة ، ولا تقبذ معهم في سفر ، وانما كل منهم اذا عرض له مرض أو لمن يعز عليه طلبه . ولم يزل يعالجه ويطببه بالطف علاج واحسن تدبير ، الى ان يفرغ من مداواته . ولقد حرص به الملك العادل أبو بكر بن أيوب بان يستخدمه في

(١) احدى المدن السلطانية الاربع في المغرب وعاصمة الشمال اليوم والقديمة هي فاس البالي وأول من سكنها البربر وأهل الاتدلس اللاجنون من قرطبة وأقوام من القيروان وفيها كثير من الجوامع والمدارس الاثرية .

الصحبة فما فعل ، وكذلك غيره من الملوك .

وحدثني الامير صارم الدين التبيني رحمه الله : لانه لما كان بالكرك ، وبه صاحب الكرك يومئذ الملك الناصر داود بن الملك المعظم . وكان الملك الناصر قد توقع مزاجه ، واستدعى الحكيم عمران اليه من دمشق فاقام عنده مديدة وعالجه حتى صلح فخلع عليه ، ووهب له مالا كثيراً ، وقرر له جامكية في كل شهر ألفاً وخمسمائة درهم ناصرية ويكون في خدمته ، وان يسلف منها عن سنة ونصف سبعة وعشرين ألف درهم فما فعل .

اقول : وكان السلطان الملك العادل لم يزل يصله بالانعام الكثير ، وله منه الجامكية الوافرة والجراية ، وهو مقيم بدمشق ، ويتردد الى خدمة الدور السلطانية بالقلمة . وكذلك في ايام الملك المعظم ، وكان قد اطلق له أيضاً جامكية وجراية تصل اليه ، ويتردد الى البيارستان الكبير ، ويعالج المرضى به ، وكان به ايضاً في ذلك الوقت شيخنا مذهب الدين عبد الرحيم بن علي رحمه الله ، وكان يظهر من اجتماعها كل فضيله ، وينتهي للمرضى من المداواة كل خير ، وكنت في ذلك الوقت أتدرب معهم في اعمال الطب . ولقد رأيت من حسن تأتي الحكيم عمران في المعالجة وتحققه للأمراض ما يتعجب منه . ومن ذلك انه كان يوماً قد أتى البيارستان مفلوج والاطباء قد ألحوا عليه باستعمال المغالي وغيرها من صفاتهم ، فلما رآه وصف له في ذلك اليوم تدبيراً يستعمله ، ثم بعد ذلك أمر بفصده ، ولما فصد وعالجه صلح وبرأ برأ تماماً كذلك ايضاً رأيت له أشياء كثيرة من صفات مزاور وألوان كانت يصفها للمرضى على حسب ميل شهواتهم ، ولا يخرج عن مقتضى المداواة فينتفعون بها . وهذا باب عظيم في العلاج . ورأيت أيضاً وقد عالج أمراضاً كثيرة مزمنة كان اصحابها قد سئموا الحياة ، ويشس الاطباء من برئهم ، فبروا على يديه بأدوية غريبة يصفها ، ومعالجات بدعية عرفها . وقد ذكرت من ذلك جملاً في كتاب التجارب والفوائد وتوفي الحكيم عمران في مدينة حمص في شهر جمادى الاولى سنة سبع وثلاثين وستائة ، وقد استدعاه صاحبها لمداواته .

موفق الدين يعقوب بن سقلاب

نصراني ، كان أعلم أهل زمانه بكتب جالينوس ومعرفتها والتحقيق لمعانها ، والدراية لها . وكان من كثرة اجتهاده في صناعة الطب وشدة حرصه ومواظبته على القراءة والمطالعة لكتب جالينوس ، وجودة فطرته وقوة ذكائه ، ان جمهور كتب جالينوس وأقواله فيها كانت مستحضرة له في خاطره . فكان مهما تكلم به في صناعة الطب على تفاريق أقسامها ، وقفن مباحثها ، وكثرة جزئياتها ، انما ينقل ذلك عن جالينوس . ومهما سئل عنه في صناعة الطب من المسائل والمواضيع المستعصية وغيرها لا يجيب بشيء من ذلك إلا ان يقول : قال جالينوس ، ويورد فيه أشياء من نصوص كلام جالينوس ، حتى كان يتعجب منه في ذلك . وربما انه في بعض الاوقات كان يذكر شيئاً من كلام جالينوس ، ويقول : هذا ما ذكره جالينوس في كذا وكذا ورقة من المقالة الفلانية من كتاب جالينوس ، ويسميه

ويعني به النسخة التي عنده . وذلك لكثرة مطالعته إياها وأنسه بها . وبما شاهدته في ذلك من أمره انني كنت أقرأ عليه في أوائل اشتغالي بصناعة الطب ونحن في المعسكر المعظم - وكان أبي أيضاً في ذلك الوقت في خدمة الملك المعظم رحمه الله - شيئاً من كلام ابقراط حفظاً واستشراحاً . فكنت أرى من حسن تأثيه في الشرح ، وشدة استقصائه للعاني - بأحسن عبارة وأجزها وأتمها معنى - ما لا يحسر أحد على مثل ذلك ولا يقدر عليه . ثم يذكر خلاصة ما ذكره ، وحاصل ما قاله ، حتى لا يبقى في كلام بقرط موضع الا وقد شرحه شرحاً لا مزيد عليه في الجودة . ثم انه يورد نص ما قاله جالينوس في شرحه لذلك الفصل على التوالي الى آخر قوله . ولقد كنت اراجع شرح جالينوس في ذلك فأجده قد حكى جملة ما قاله جالينوس بأسره في ذلك المعنى ، وربما الفاظ كثيرة من الفاظ جالينوس يوردها بأعيانها من غير ان يزيد فيها ولا ينقص . وهذا شيء تقرب به في زمانه . وكان في اوقات كثيرة لما أقام بدمشق يجتمع هو والشيخ مذهب الدين عبد الرحيم بن علي في الموضع الذي يجلس فيه الاطباء عند دار السلطان ويتباحثان في اشياء من الطب . فكان الشيخ مذهب الدين اوضح عبارة ، وأقوى براعة ، واحسن بحثاً . وكان الحكيم يعقوب أكثر سكينه ، وأبين قولاً ، وأوسع نقلاً . لانه كان بمنزلة الترجمان المستحضر لما ذكره جالينوس في سائر كتبه من صناعة الطب . فاما معالجات الحكيم يعقوب فانها كانت في الغاية من الجودة والنجاح ، وذلك انه كان يتحقق معرفة المرض اولاً تحقيقاً لا مزيد عليه ، ثم يشرع في مداواته بالقوانين التي ذكرها جالينوس مع تصرفه هو فيما يستعمله في الوقت الحاضر .

وكان شديد البحث واستقراء الاعراض بحيث انه كان اذا افتقد مريضاً لا يزال يستقصي منه عرضاً عرضاً ، وما يشكوه مما يجده ، من مرضه حالاً حالاً الى ان لا يترك عرضاً يستدل به على تحقيق المرض الا ويعتبره ، فكانت أبداً معالجاته لا مزيد عليها في الجودة . وكان الملك المعظم يشكر منه هذه الحالة ويصفه ويقول : لو لم يكن في الحكيم يعقوب الا شدة استقصائه في تحقيق الامراض حتى يعالجها على الصواب ، ولا يشتبه عليه شيء من امرها . وكان الحكيم يعقوب أيضاً متقناً للسان الرومي خبيراً بلفظه ونقل معناه الى العربي ، وكان عنده بعض كتب جالينوس مكتوبة بالرومي مثل حيلة البرء والعلل والاعراض وغير ذلك . وكان أيضاً ملازماً لقراءتها والاشتغال بها ، وكان مولده بالقدس وأقام بها سنين كثيرة . ولزم بها رجلاً فاضلاً فيلسوفاً راهباً في دير السيق كان خبيراً بالعلم الطبيعي ، متقناً للهندسة وعلم الحساب ، قوياً في علم أحكام النجوم والاطلاع عليها . وكانت له أحكام صحيحة ، وانذارات عجيبة . وأخبرني الحكيم يعقوب عنه معرفته للحكمة وحسن فطرته وفطنته شيئاً كثيراً . واجتمع أيضاً الحكيم يعقوب في القدس بالشيخ ابي منصور النصراني الطبيب ، واشتغل عليه ، وبأمر معه أعمال صناعة الطب وانتفع به

وكان الحكيم يعقوب من أتم الناس عقلاً ، واسداهم رأياً ، وأكثرهم سكينه . ولما خدم الملك المعظم عيسى بن ابي بكر بن أيوب ، وصار معه في الصحبة كان حسن الاعتقاد فيه ، حتى انه كان يعتمد عليه في كثير من الآراء الطبية وغيرها فينتفع بها ويحمد عواقبها . وقصد الملك المعظم ان يولييه بعض

تدبير دولته والنظر في ذلك ، فما فعل ، واقتصر على مداومة صناعة الطب فقط . وكان قد عرض للحكيم يعقوب في رجله نقرس^(١) ، وكان يثور به في أوقات ، ويألم بسببه ، وتعرض عليه الحركة ، فكان الملك المعظم يستصعبه في أسفاره معه في محفة ويفتقده ، ويكرمه غاية الأكرام ، وله منه الجامكية السنية والاحسان الوافر . وقال له يوماً : يا حكيم لم لا تدأوي هذا المرض الذي في رجلك ؟ فقال : يا مولانا الخشب اذا سوس ما يبقى في اصلاحه حيلة . ولم يزل في خدمته الى ان توفي الملك المعظم . وكانت وفاته رحمه الله في الساعة الثالثة من نهار يوم الجمعة سلخ ذي القعدة سنة اربع وعشرين وستائة بدمشق ، وملك بعده ولده الملك الناصر داود فدخل اليه الحكيم يعقوب ، ودعا له وذكره بتقديم صحبته ، وسالف خدمته ، وانه قد وصل الى سن الشيخوخة والهرم والضعف والشده :

اتيتكم وجلابيب الصبا قشب^(٢) فكيف ارحل عنكم وهي اسمال^(٣)
لي حرمة الضيف والجار القديم ومن اناكم وكهول الحي اطفال
(البسيط)

وهذا الشعر لابن منقذ رحمه الله ، فاحسن اليه الملك الناصر احساناً كثيراً ، واطلق له مالا وكسوة ، وأمر بان جميع ما قد كان له مقررأ من الملك المعظم يستمر ، وان لا يكلف لخدمة . فبقي كذلك مديدة ، ثم توفي بدمشق في عيد الفصح^(٤) للنصارى ، وذلك في شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وستائة .

سديد الدين أبو منصور

هو الحكيم الاجل العالم ابو منصور ابن الحكيم موفق الدين يعقوب بن سقلاب ، من افاضل الاطباء وأعيان العلماء ، متميز في علم صناعة الطب وعملها ، متقن لفصولها وجلها . اشتغل على والده وعلى غيره بصناعة الطب ، وقرأ ايضاً بالكرك على الامام شمس الدين الخسروشاهي كثيراً من العلوم الحكيمة . وخدم الحكيم سديد الدين أبو منصور الملك الناصر صلاح الدين داود ابن الملك المعظم عيسى بن أبي بكر بن أيوب . واقام في صحبته بالكرك ، وكان مكيناً عنده معتمداً عليه في صناعة الطب . ثم أتى أبو منصور الى دمشق وتوفي بها .

رشيد الدين ابن الصوري

هو أبو المنصور بن أبي الفضل بن علي الصوري ، قد اشتمل على جل الصناعة الطبية ، واطلع على

(١) ورم ورجع في مفاصل الكعبين واصابع الرجلين وفي الاقدام اكثر .
(٢) جديدة نظيفة . (٣) خلقة بالية . (ن. ر)
(٤) وهو عيد قيامه السيد المسيح من الموت .

بحاسنها الجليلة والحفية . وكان أوحداً في معرفة الأدوية المفردة وماهياتها واختلاف أسمائها وصفاتها ، وتحقيق خواصها وتأثيراتها ، ومولده في سنة ثلاث وسبعين وخمسة مائة بمدينة صور ^(١) ونشأ بها . ثم انتقل عنها واشتغل بصناعة الطب على الشيخ موفق الدين عبد العزيز ، وقرأ أيضاً على الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي . وتميز في صناعة الطب ، وأقام بالقدس سنتين . وكان يطب في البيارستان الذي كان فيه . وصحب الشيخ أبا العباس الجبائي ، وكان شيخاً فاضلاً في الأدوية المفردة متفنناً في علوم آخر ، كثير الدين ، محباً للخير . فانتفع بصحبته له ، وتعلم منه أكثر مما يفهمه . واطلع رشيد الدين بن الصوري أيضاً على كثير من خواص الادوية المفردة حتى تميز على كثير من أربابها ، وأربى على سائر من حاولها واشتغل بها . هذا مع ما هو عليه من المروءة التي لا مزيد عليها . والعصبية التي لم يسبق إليها ، والمعارف المذكورة ، والشجاعة المشهورة . وكان قد خدم بصناعة الطب الملك العادل أبا بكر بن أيوب في سنة اثنتي عشرة وستائة لما كان الملك العادل متوجهاً الى الديار المصرية واستصعبه معه من القدس ، وبقي في خدمته الى ان توفي الملك العادل رحمه الله . ثم خدم بعده لولده الملك المعظم عيسى بن أبي بكر ، وكان مكيناً عنده وجيباً في أيامه . وشهد معه مصافات عدة مع الفرنج لما كانوا نازلوا ثغر دمياط ^(٢) ، ولم يزل في خدمته الى ان توفي المعظم رحمه الله ؛ وملك بعده ولده الملك الناصر داود بن الملك المعظم فأجراه على جامعيته ، ورأى له سابق خدمته ، وفوض اليه رئاسة الطب ، وبقي معه في الخدمة الى ان توجه الملك الناصر الى الكرك ، فأقام هو بدمشق ، وكان له مجلس للطب والجماعة يترددون اليه ، ويشغلون بالصناعة الطبية . وحرر ادوية الترياق الكبير ، وجمعها على ما ينبغي فظهر نفعه ، وعظمت فائدته . وكان قد صنع منه شيئاً كثيراً في أيام الملك المعظم . وتوفي رشيد الدين بن الصوري رحمه الله يوم الاحد اول شهر رجب سنة تسع وثلاثين وستائة بدمشق . وكان رشيد الدين ابن الصوري قد أهدى الي تأليفاً له يحتوي على فوائد ووصايا طبية فقلت وكتبت بها اليه في رسالة :

لعم رشيد الدين في كل مشهد	منار علا يأتته كل مهتدي
حكيم لديه المكرمات بأسرها	توارثها عن سيد بعد سيد
جوى الفضل عن آباءه وجدوده	فذاك قديم فيه غير مجد
تفرد في ذا العصر عن كل مشبه	بخير صفات حصرها لم يجد
أتلني وصاياه الحسان التي حوت	بنثر كلام كل فصل منضد
واهدي الى قلبي السرور ولم يزل	باحسانه يسدي لمثلي من يد
وجدت بها ما أرتجيه وأنني	بها أبدأ فيما أحاول مقتدي
ولا غرو من علم الرشيد وفضله	إذا كان بعد الله في العلم مرشدي

(الطويل)

(١) مدينة في لبنان الجنوبي من عواصم الفينيقيين قديماً . وكانت تقسم الى قسمين الجزيرة المحصنة ، وصور الساحلية .
(٢) مدينة في مصر على نهر النيل حاصرها الصليبيون وفتحوها ثم ردم الملك الكامل عنها وكبدتم خسائر فادحة (ن.د)

« أدام الله أيام الحكيم الاوحد الامجد ، العامل ، الفاضل الكامل ، الرئيس رشيد الدنيا والدين ، معتمد الملوك والسلطين ، خالصة امير المؤمنين ، بلغه في الدارين نهاية سؤله وأمانيه ، وكبت حسدته وأعاديته . ولا زالت الفضائل نخيمة بفنائته ، والفواضل صادرة منه الى اوليائه . والالسن مجتمعة على شكره وثنائه ، والصحة محفوظة بحسن مراعاته ، والامراض زائلة بتدبيره . ومعالجته . الملوك ينهي ما يجده من الاشواق الى خدمته ، والتأسف على الفاتت من مشاهدته . ووصلت المشرفة الكريمة التي وجد بها نهاية الامل ، ، والارشاد الى المطالب الطبية الجامعة للعلم والعمل . وقد جعلها الملوك اصلاً يعتمد عليه ، ودستوراً يرجع اليه . لا يخلها من فكره ، ولا يخل بما تتضمنه في سائر عمره . وليس للملوك ما يقابل به احسان مولانا الا الدعاء الصالح ، والثناء الذي يكتسب من محاسنه النشر العطر الفائح . وكيف لا اشكر وأثنى محاسن من لا اجد فضيلة إلا به ، ولا اثال راحة الا بسببه . فالحق يتقبل من الملوك صالح ادعيته ، ويمحزي مولانا كل خير على كمال مروءته ، ان شاء .

وانشدني مذهب الدين أبو نصر محمد بن محمد بن ابراهيم بن الخضر الحلبي لنفسه بمدح الحكيم رشيد الدين ابن الصوري ويشكره على احسان اسدائه اليه .

سرى طيفها والكاشحون ^(١) هجود ^(٢)	فبات قريباً والمزار بعيد
فيا عجباً من طيفها كيف زارني	ومن دونه بيد تهول وبيد
وكيف يزور الطيف طرف مسهد	لطيب الكرى عن ناظريه صدود
وفي قلبه نار من الوجد والاسى	لها بين أحناء الضلوع وقود
وقد أخلق السقم المبرح والضنا	لباس اضطرابي والغرام جديد
وثالله لا عاد الخيال وانما	تخيله الافكار لي فيعود
فيا لاثمي كف الملام ولا تزد	فما فوق وجدي والغرام مزيد
ولي كبد حرى وطرف مسهد	وقلب يحب الغانيات عبيد ^(٣)
الا في سبيل الحب من مات صبوة	ومن قتلته القيد فهو شهيد
ولم تر عيني مثل أسماء خلة	تضن بوصلي والخيال يحود
تجدد اشجاني بها وصباقي	معاهد أقوت باللوى وعهود
رعى الله بيضاً من ليال وصلتها	ببيض حان والمفارق سود
وبت وجنح الليل مرخ سدوله	اضم غصون البان وهي قدود
وأرشف راحاً روقتها مباسم	واقطف ورداً أنبتته خدود
الى ان تبدى الصبح غير مذمم	وزال ظلام الليل وهو حميد
وكيف أذم الصبح أو لا أوده	وان ريع مودود به وودود

(١) جمع كاشح وهو العدو الباطن المدارة . رقيق الذي يطوي كشحه - ما بين السرة ووسط الظهر - على المدارة .

(٢) ناثون .

(٣) الذي هده العشق

وكل صباح فيه للعين حظوة
هو العالم الصدر الحكيم ومن له
رئيس الاطباء ابن سينا وقبله
ولو ان جالينوس حياً بعصره
فقل لبني الصوري قد سدتهم الوري
وما حزنتم ارث العلا عن كلاله
فيا عالم الدنيا ويا علم الهدى
ويا من له ربيع من الفضل آمل
ودوح من الاحسان أثمر بالمني
ويا من به العاصي الجموح اطاعني
فعمقل عزي في حماه بمنع
ومن راشني^(١) معروفه واصطناعه
واحسن بي فعلاً فاحسنت قائلاً
فعند نداه حاتم الجود باخل
تصدى لكسب الحمد من كل وجهة
له ظل ذي فضل على كل لاجئ
وعرف^(٢) متى ما يبيده فاح عرفه^(٣)
تعبد كل الخلق بالجود فانشئت
فكم ماذج قد لاذ منه بمانح
فأسمى وللحسنى عليه دلائل
فكيف أخاف الحادثات وصرفها
ومن فضله لي ساعد ومساعد
واني لارجوان شككر حسدي
وما الصنع الا ما سيعقبه الغنى
اذا كان لي من فضله واصطناعه
وغير عجيب ان يكون بقصده
أقول لمن يرجو سواه من الوري
أتقصد أو شالاً^(٤) وتترك الجـ

بوجه رشيد الدين وهو سعيد
كلام يضاهي الدر وهو نضيد
حنين تلاميذ له وعبيد
لكان عليه يبتدي ويعيد
وما الناس الا سيد ومسود
كذلك آباء لكم وجدود
ويا من به للكرامات وجود
وقصر معال بالثناء مشيد
وظل على اللاجي اليه مديد
وذل لي الجبار وهو عنيد
حصين وعيشي في ذراه رغيد
وقام بامري والانام قمود
وجاد ففي مدحي علاه أجيد
وعندي لبيد في المديح بليد
والقوم عن كسب الثناء صدود
مفيء وعلم بالامور مفيد
وجود يد ما عز منه وجود
لاحسانه الاحرار وهي عبيد
فأنجح قصد عنده وقصيد
وأضحى وللنعمى عليه شهود
ورأي رشيد الدين في سديد
ومن جاهه لي عدة وعديد
على نيل ما أرجو به وأريد
ويكثر فيه غائظ وحسود
عتاد فعزي ما حيث عتيد
لمثلي الى نيل السعود سعود
رويدك ان النجج منك بعيد
تمد بها للكرامات مدود

(١) اغفاني .

(٢) الجود والمعرف .

(٣) الرائحة الطيبة .

(٤) واحده وشل وهو الماء القليل يتحلب من صخر .

ومن بأبي المنصور أصبح لائذاً
فيا كعبة الآمال ، يا ديمة الندى ،
ومن عبده يوم الساحة حاتم
أياديك عندي لا أقوم بشكرها
فلم يصف لي لولا أياديك مشرب
فجدي بقصدي بات دارك مقبل
فلا زلت بالعيد السعيد مهناً
فما لذوي الحاجات غيرك مقصد

فقد قارنته بالنجاح سمود
ويا من به روض الرجاء مجود
كما عند مدحي في علاه عبيد
فما فوق ما أولت يدك مزيد
ولا اخضر لي لولا انتجاعك عود
ونجمي بتردادي اليك سعيد
تهنيك من بعد الوفود وفود
ولا لبني الآمال عنك عبيد

(الطويل)

ولرشيد الدين الصوري من الكتب : كتاب الادوية المفردة ، وهذا الكتاب بدأ بعمله في أيام الملك المعظم ، وجعله باسمه واستقصى فيه ذكر الادوية المفردة ، وذكر ايضاً ادوية اطلع على معرفتها ومنافعها لم يذكرها المتقدمون . وكان يستصحب مصوراً ، ومعه الاصباغ والليق على إختلافها وتنوعها فكان يتوجه رشيد الدين بن الصوري الى المواضع التي بها النبات ، مثل جبل لبنان وغيره من المواضع التي قد اختص كل منها بشيء من النبات فيشاهد النبات ويحققه ، ويريه للمصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه واغصانه وأصوله ، ويصور بحسبها ويجهتد في محاكاتها ، ثم انه سلك ايضاً في تصوير النبات مسلكاً مفيداً ، وذلك انه كان يرى النبات للمصور في ابان نباته وطرأوته فيصوره ، ثم يريه اياه ايضاً وقت كماله وظهور بزره فيصوره نلو ذلك ، ثم يريه اياه ايضاً في وقت ذواه ويبيسه ، فيصوره . فيكون الدواء الواحد يشاهده الناظر اليه في الكتاب ، وهو على أنحاء ما يمكن ان يراه في الارض فيكون تحقيقه له أتم ، ومعرفته له أبين . الرد على كتاب التاج للغاري في الادوية المفردة . تعاليت له وفرائد ووصايا طبية كتب بها الي .

سديد الدين بن رقيقة

هو ابو الثناء محمود بن عمر بن محمد بن ابراهيم بن شجاع الشيباني الحانوي ويعرف بان رقيقة ذو النفس الفاضلة والمروءة الكاملة . وقد جمع من صناعة الطب ما تفرق من أقوال المتقدمين ، وتميز على سائر نظرائه واضرا به من الحكماء والمتطببين ، هذا مع ما هو عليه من الفطرة الفائقة ، والالفاظ الرائقة ، والنظم البليغ ، والشعر البديع وكثيراً ما له من الابيات الامثالية ، والفقر الحكيمة . واما الرجز فأنني ما رأيت في وقته من الاطباء أحداً أسرع عملاً له منه ، حتى انه كان يأخذ اي كتاب شاء من الكتب الطبية وينظمه رجزاً في أسرع وقت مع استيفائه للمعاني ومراعاته لحسن اللفظ . ولازم الشيخ فخر الدين محمد بن عبد السلام المارديني وصحبه كثيراً واشتغل عليه بصناعة الطب وبغيرها من العلوم الحكيمة . وكان لسديد الدين بن رقيقة ايضاً معرفة بصناعة الكحل

والجراح ، وحاول كثيراً من اعمال الحديد في مداواة امراض العين . وقدح ايضاً الماء النازل في العين الجماعة ، وأنجب قدحه وأبصروا ، وكان المقدح الذي يعانيه مجوفاً وله عطفة ليتمكن في وقت القدح من امتصاص الماء ، ويكون العلاج به أبلغ .

وكان قد اشتغل ايضاً بعلم النجوم ، ونظر في حيل بني موسى ، وعمل منها أشياء مستطرفة . وكان فاضلاً في النحو واللغة . وله ايضاً أخ فاضل يقال له معين الدين ، أوجد زمانه في العربية وهي فنه وله شعر كثير . وسمع سديد الدين بن رقيقة ايضاً شيئاً من الحديث ، ومن ذلك حدثني سديد الدين محمود بن عمر بن محمد الطبيب الحانوي سماعاً من لفظه قال : حدثني الامام الفاضل فخر الدين محمد بن عبد السلام المقدسي ، ثم المارديني ، قال : حدثنا الشيخ أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد الخضر الجواليقي ، قال : اخبرنا ابو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي ، قال : حدثنا أبو القاسم علي بن عبيد الله الرقي ، قال : حدثني الرئيس أبو الحسن علي بن أحمد البقي ، قال : حدثني أبو بكر محمد عبد الله الشافعي ، قال : حدثنا القاضي أبو اسحق اسمعيل بن اسحق ، قال : حدثنا اسمعيل بن أبي أويس ، عن هشام بن عروة ، عن ابيه ، عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : اتيناك يا رسول الله ولم يبق لنا جل ينط (١) ، ولا صبي يصطبج . ثم انشده :

أتيناك والعدراء تدمى لثاتها	وقد شغلت أم الصبي عن الطفل
وألقى بكفيه الفتى لاستكانة	من الجوع هوناً ما يمر وما يحلى
ولا شيء مما يأكل الناس عندها	سوى العلهز (٢) العامي والحنظل (٣) الفصل (٤)
وليس لنا الا اليك فرارنا	واين فرار الناس الا الى الرسل

(الطويل)

قال الرقي : العلهز الور يعالج بدم الحلم ، والحلم القراد اذا كبر ويؤكل في الجذب ويروى والعنقر بضم القاف وفتحها وهو أصل البردي فهذان صحيحان .

ويروى العنقر وهو تصحيف مردود . فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى رقي المنبر فحمد الله واثنى عليه ، ثم رفع نحو السماء يديه ثم قال : « اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً (٥) مريئاً (٦) مريئاً (٧) ، سحاً (٨) سجالاً (٩) ، غدقاً (١٠) طبقاً (١١) ، ديماً (١٢) عاجلاً غير راث (١٣) نافعاً غير ضار ، تنبت به الزرع

(١) يصوت ويمن .

(٢) نبات ببلاد بني سليم له اصل كأصل البردي .

(٣) نبات يمتد على الارض كالبطيخ وثمره يشبه ثمر البطيخ الا انه اصفر منه يضرب المثل بمرارته .

(٤) المسترذل الرديء (ن ر)

(٥) المطر العام .

(٦) طيباً نافعاً .

(٧) خصيباً .

(٨) سيلاً غزيراً . (٩) منصباً .

(١٠) كثير القطر ينطوي وجه الارض . (١١) مطر يدرم في سكون بلا رعد ولا برق .

(١٢) كثيراً . (١٣) بطيء .

ونملأ به الضرع ، ونحیی به الارض بعد موتها . « فوالله ما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الى نحره حتى التقت السماء بأرواقها ، وجاءه أهل البطانة يضحجون يا رسول الله الغرق الغرق ، فأروماً بطرفه الى السماء وضحك حتى بدت نواجذه ، ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة حتى احدث بها كلاً كليل ثم قال : لله دُرُ أي طالب لو كان حياً قرت عيناه . من ينشدنا قوله فقال علي عليه السلام يا رسول الله لعلك أردت .

وابيض يستسقي الغمام بوجهه	ثمال يتامى عصمة للارامل
تطوف به الهلاك من آل هاشم	فهم عنده في نعمة وفواضل
كذبتم وبيت الله رب محمد	ولما نقاتل دونه وتناضل
ولا نسلمه حتى نصرع حوله	ونذهل عن ابنائنا والحلائل

(الطويل)

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل . ثم قام رجل من كنانة فأنشده :

لك الحمد والحمد ممن شكر	سقيناً بوجه النبي المطر
دعا الله خالقه دعوة	اليه وأشخص منه البصر
فما كان الا كما ساعة	وأسرع حتى رأينا الذور
دفاق العزالي ^(١) ، وجم البعاق ^(٢)	أغاث به الله علنيا مضر
فكان كما قال عمه	أبو طالب ذا رواء غرر
به يسر الله صوب الغمام	فهذا العيان لذاك الاثر
فمن يشكر الله يلقي المزيد	ومن يكفر الله يلقي الغير

(المقارب)

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اجلس ان يك شاعراً أحسن فقد أحسنت . »

وأخبرني سديد الدين بن ربيعة ان مولده في سنة اربع وستين وخمسة مائة بمدينة حيني ونشأ بها . ولما كان فخر الدين المارديني بمدينة حيني ، وصاحبها نور الدين بن جمال الدين بن أرتق كان قد عرض لنور الدين مرض في عينيه فداواه الشيخ فخر الدين مدة أيام . ثم عزم على السفر وأشار على نور الدين بن أرتق بأن يداويه سديد الدين بن ربيعة فعالجه سريعاً ، وبرأ برءاً تاماً واطلق له جامة وجراية في صناعة الطب . وقال لي سديد الدين ان عمره يومئذ كان دون العشرين سنة . واستمر في خدمته . ثم خدم بعد ذلك الملك المنصور محمد صاحب حماء ابن تقي الدين عمر وبقي معه مدة

ثم سافر الى خلاط^(٣) وكان صاحبها في ذلك الوقت الملك الاوحد نجم الدين أيوب بن الملك العادل

(١) واحدها العزلاء وهي مصب الماء من القرية ونحوها .

(٢) سحاب يسقط مطره بشدة . (ن.د.)

(٣) مدينة إرمينيا .

ابي بكر بن أيوب . وخدم صلاح الدين بن ياغيسان ^(١) وكان هذا صلاح الدين قد تزوج الملك الاوحد ابن الملك العادل باخته ، وكان سديد الدين بن رقيقة يتردد الى خدمتها أيضاً ، وكانت كثيرة الاحسان اليه . واقام بمخلاط مدة الى ان توفي الملك الاوحد في ملازكره ^(٢) بعة ذات الجنب ، وذلك في يوم السبت ثامن عشر ربيع الاول سنة تسع وستائة . وكان يعالجه هو وصدقة السامري . وخدم أيضاً بعد ذلك الملك الاشرف أبا الفتح موسى ابن الملك العادل ، وأقام بميفارقين سنين كثيرة . ولما كان في ثالث جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين وستائة ، وصل سديد الدين بن رقيقة الى دمشق الى السلطان الملك الاشرف فأكرمه واحترمه . وأمر بأن يتردد الى الدور السلطانية بالقلعة ، وان يواظب أيضاً معالجة المرضى بالبيارستان الكبير الذي أنشأه الملك العادل نور الدين بن زنكي ، وأطلق له جامكية وجراية

وكان لي ايضاً في ذلك الوقت مقرر جامكية وجراية لمعالجة المرضى في هذا البيارستان ، وتصاحبنا مدة فوجدت من كمال مروءته ، وشرف أرومته ، وغزارة علمه ، وحسن تأتبه في معرفة الامراض ومداراتها ، ما يفوق الرصف . ولم يزل بدمشق وهو يشتغل بصناعة الطب الى ان توفي رحمه الله في سنة خمس وثلاثين وستائة ، وكنت انا قد انتقلت الى صرخد في خدمة صاحبها الامير عز الدين المعظمي في شهر ربيع الاول سنة أربع وثلاثين وستائة .

ومن شعر سديد الدين بن رقيقة ، وهو بما أنشدني لنفسه فن ذلك قال :

يا ملبسي بالنطق ثوب كرامة	ومكملي جواد ^(٣) به ومقومي
خذني اذا اجلي تنامي وانقضى	عمري على خط اليك مقوم
واكشف بلطفك يا الهي غمتي	واجل الصدا عن نفس عبدك وارحم
فعساي من بعد المهانة أكلتسي	حلل المهابة في المحل الاكرم
وأبوء بالفردوس بعد اقامتي	في منزل بادي السجاجة مظلم
فقد اجتويت ثوابي فيه ومن تكن	دار الغرور له محلاً يسأم
دار يغادر بؤسها وشقاءها	من حلها وكأنه لم ينعم
ويديل صافي عيشه وحياته	كدرأ فلا تجنح اليها تسلم
فبك المعاذ إلهنا من شرها	وبك الملاذ من الغواية فاعصم
وعليك متكلي وعفوك لم يزل	قصدي فوا خسراه ان لم ترحم
يا نفس جدي وادأبي وتمسكي	بعرى الهدى وعرى الموانع فافصمي
لا تهملني يا نفس ذاتك ان في	نسيانها نسيان ربك فاعلمي

(١) كان والده ياغيسان من الامراء السلجوقيين حكم انطاكية من قبل ملكشاه .

(٢) مدينة في ارمينيا شمالي بحيرة وان .

(٣) هكذا في الاصل واطن انها جودا به .

وعليك بالتفكير في آلائه^(١)
وتيممي نهج الهداية انه
لا ترتضي الدنيا الدنية موطننا
وتعاني ما لا رأيت عين ولا
وتشاهدي ما ليس يدرك كنهه
قدس يحل بان يحل جنبه
وهو المزه ان يكون مركبا
وتجاوري الابرار في مستوطن
يا أيها المغرور شبت ولم تعد
لا تحسب الشيب فيك لعله
لكن شبابك كان شيطانا ومن
لا تقرر الشيب المنير رواؤه
فالشيب اشراق الحجي وضياؤه
واعكف على تمجيد موجدك الذي
فبذكره تشفى النفوس من الجوى
اكرم بنفس قتي رأى سبل الهوى
ذاك الذي يختار يوم معاده
يا جابر العظم الكسير وغافر
مالي اليك وسيلة وذريعة
فاقبل بمنك توبتي عن حوبتي^(٢)
حمداً لك اللهم ينمى ما جلا
وعلى نبيك ذي السناء وآله
المذهبي سغب^(٣) اليقيم ومؤثري
وعلى صحابته الذين بنصره

لتبوتني جناته وتعمي
منج وعن لقم الضلالة أحجمي
تعلي على رتب السواري الانجم
اذن وعت فاليه جدي تقبني
بالفكر أو بتوم المتوم
يا نفس إلا كل شهم أيهم^(٤)
من رابع أو ثالث أو توأم
لا دائر أبداً ولا متهدم
عالمجت به ولم تتندم
عرضت ولا لتكرج في البلغم
يك مardاً بالشهب حقا يرجم
بظلام أعراض الشيبية تظلم
فأهن هواك أو ان شيبك تكرم
غمر الوجود الجود منه وعظم
فعليه ان آثرت برك صم
تهوى فمال الى الصراط الاقوم
ملكا سجييس^(٥) الدهر لم يتصرم
الجرم الكبير لكل عبد مجرم
أنجو بها الا اعتقاد المسلم
فعسى سعادة أوبقي لم احرم
وضع الصباح سواد ليل أسحم
السادة الامناء صل وسلم
العاني الاسير بزادهم والمعدم
قاموا ونار الكفر ذات تضرم
(الكامل)

وأنشدني ايضا لنفسه :

اراك عن المحل الرحب ساهي

وعنه بمضمحل الاصل لاهي

(١) واحدها الي وألر ، وهي النعم .

(٢) الرجل الجريء الذي لا يستطيع دفعه .

(٣) سجييس الدهر : اي آخره .

(٤) الاثم .

(٥) الجوع .

وكم بالضيق الواهي تباهي
وتشهم الزواجر والنواهي
به تفجأك اصناف الدواهي
وتفنى أنت والدنيا كما هي
عدو بين الشجناء داهي
وعيشك فيه عيش غير زاهي
وحسب أخبي النهى بالشيب ناهي
مقامك فيه ليس له تناهي
وكم هذا الجنوح الى الملاهي
أخا مال وبت عريض جاه
بعمد ثرائه والأيد^(٢) واهي
يصاب له شبيه أو مضاهي
صغيراً عند غفران الاله
(الوافر)

فكم بالسجن ويحك أنت زاه
وتنح من به يفريك ودأ
ألم تعلم بانك كل يوم
تحمل قواك جزءاً بعد جزء
وتحسبها صديقا وهي أردى
همومك فيه لا تنفك تترى
أما يكفيك زجر الشيب زجراً
فعد عنه الى رحب فسيح
فحتام التغافل والتعامي
فلا تغتر ان اصبحت فيه
فكم من أيد^(١) أضحى فأمسى
وكان يقول من سفه بأن لا
فتب فجميع ما تأتبه يلقى

وأنشدني ايضاً لنفسه :

الى العالم الاعلى رويدك يا نفسي
المهالك من جنس الطبيعة والحس
أمنت وفزت بالخلص من الحبس
غطاءك وانضي ما عليك من اللبس
مجاورة الاطهار في حضرة القدس
فتبقي سجيس الدهر في الشك واللبس^(٣)
به قامت الافلاك والعرش والكرسي
به اعتضت بالذعر الطويل عن الانس
منزهة بالعلم عن وصمة الوكس^(٤)
لاخراك ما ينجيك من ظلمة الرسم
كمن باع رأس المال بالشمس البخس
اليه والا دمت في العالم المنسي
مجاورة أهل الدناءة والرجس

أقول لنفسي حين أبدت تشوقاً
محالا ترومين النجاة وانت في
ودونك بحر إن تعديت لجه
فان رمت وصلانحو سنخك فاكشفي
ولا تقبلي نحو الكثيف فتحرمي
ولا تتركي ما يأمر الله ضلة
ولا تهمل يانفس ذاتك واكثري
ولا تغفل عن ذكرك الاول الذي
وصلت على كره الى الهيكمل الذي
وما كان هذا الوصل الا لترجمي
فعن أمم يقضي ايابك فاعلمي
فان تتركي نهج الهدى كنت في غد
فعودي الى باريك يا نفس ترتقي
حليفة هم دائم وكآبة

(١) القوي . (٢) القوة .

(٣) الشبهة والاشكال وعدم الوضوح .

(٤) النقصان او الحسارة .

مبدلة بعد التمتع بالتعس
ومحشورة في زمرة الصم والحرس
أشد وضوحاً من سنا البدر والشمس
(الطويل)

وأنشدني أيضاً لنفسه :

لا يغررك من زمانك بشره
فالبشر منه لا محالة حائل
فقطوبه طبع وليس تطبعاً
والطبع باق والتطبع زائل
(الكامل)

وأنشدني أيضاً لنفسه :

لست من يطلب التكسب بالسخف ولو كنت مت عرباً وجوعاً
ولو اني ملكك ملكاً سليماً
ن لما اخترت عن وقاري رجوعاً
(الخفيف)

وقال اقتداء بقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام « انظر الى ما قال ولا تنظر الى من قال » :

لا تكن ناظراً إلى قائل القو
ل بل انظر اليه ماذا يقول
وخذ القول حين تلقيه معقو
لا ولو قاله غي جهول
فنباح الكلاب مع خسة فيها
على منزل الكريم دليل
وكذاك النصار معدنه الأر
ض ولكنه الخطير الجليل
(الخفيف)

وأنشدني أيضاً لنفسه :

توقّ صعبة أبناء الزمان ولا
تأمن الى أحد منهم ولا تثق
فليس يسلم منهم من تصاحبه
طبعاً من المكر والتمويه والملق
(البسيط)

وأنشدني أيضاً لنفسه :

أرى كل ذي ظلم اذا كان عاجزاً
يعف ويبيدي ظلمه حين يقدر
ومن نال من دنياه ما كان زائداً
على قدره أخلاقه تتنكر
وكل امرئ تلفيه للشر مؤثراً
فلا بد ان يلقي الذي كان يؤثر
(الكامل)

وأنشدني أيضاً لنفسه :

لا رأيت ذوي الفضائل والحجا
لا ينفقون وكل قدم^(١) ينفق

(١) الاحق الغليظ الدم او العبي عن الكلام في رخاوة وقلة فهم .

رباً يحود بما أروم ويرزق
سفرأ بأنواع الفضائل ينطق
عما حوى روض نضير مونق
(الكامل)

ألزمت نفسي اليأس علماً ان لي
ولزمت بقي واتخذت مسامري
لي منه اني جثته متصفحاً

وأنشدني ايضاً لنفسه :

ولا نهاني عن نهج النهى عديمي
أعطى المهيمن من مال ومن نعم
والمال ان ادمن الاتفاق لم يدم
والعلم يحرس أهليه من النقم
(البسيط)

ما ضر خلقي اقلالي ولا شيمي
وكيف والعلم حظي وهو أنفس ما
العلم بالفعل يزكو دائماً أبداً
فالمال صاحبه الايام يحرسه

وأنشدني ايضاً لنفسه :

وقد خالفتهم اذ ذاك شخصا
وهم يبنغون لي ضرا ونقصا
فقد حاولت شيئاً ليس يحصى
(الوافر)

خلقت مشاركا في النوع قوما
اريد كآلهم والنفع جهدي
اذا عددت ما فيهم عيوباً

وأنشدني ايضاً لنفسه :

ودأ وأضر ضد ذاك بطبعه
فالمعضو يحسم داؤه في قطعه
(الكامل)

لا تصحبني فتى اراك تكلفاً
واهجر اخاك اذا تنكر وده

وأنشدني ايضاً لنفسه :

فلا ترفعن الطرف جهداً نحوه
عليه وان جاريته كنت كفوه
رأيت سواء مدحه لي وهجوه
(الطويل)

إذا جاهل ناواك يوماً بمحفل
فانك ان سالمته كنت عالياً
فكم جاهل رام التقاصي يحمله

وقال ايضاً :

كالشري^(١) تبدو غضة أوراقه
والمحتوي البشع الكريه مذاقه

ان العدر وان بسدا لك ضاحكاً
وهو الزعاف لمن تعمد أخذه

(١) الخنظل .

والبعد عنه حقيقة تزياته
(الكامل)

واعلم بان الضد سم قربه

وانشدني ايضاً لنفسه :

فلا تعطشه يفتك الثمر
بماء السخا لا بماء المطر
رأيناه مفسدة للشجر
(المتقارب)

اذا كنت غارس غرساً جميلاً
وداوم على سقيه ما استطعت
ولا تتبعه بنّ فقد

وانشدني ايضاً لنفسه :

يحدي المكاره ان ضنوا وان جادوا
عراك من فيه اسماء والنجاد
فالاحرار عند انحراف الدهر انجاد
ولا يهولنك اغوار والنجاد
(البسيط)

جانب طباعاً بني الدنيا فقريهم
فالناس يندر فيهم من اذا عرض
ولا تن ان حاك الدهر جدك
واطو الفلا طالباً نيل العلى أبداً

وانشدني ايضاً لنفسه :

وغماً منها لا يستفيق
سواه وانه لبه الخلق
(الوافر)

وان اشد أهل الارض حزناً
كريم حل موضعه المولى

وانشدني ايضاً لنفسه :

على معاودة الاحاح في الطلب
حسن الجزاء لمولى العرف عن كذب
عذبا وتنبت مثل الشري والرطب
(البسيط)

وضع العوارف عند النذل يتبعه
ويحمل الفاضل الطبع الكريم على
فالناس كالارض تسقى وهي واحدة

وانشدني ايضاً لنفسه :

وازجر نفسي طابعاً لا تطبعها
ولست كمن ان ضاق ذرعاً تضرعاً
تأخرت باعاً ان دنا القوم اصبعاً
تعرضت للاعراض عنها ترفعاً
فمن غيره أرجو وأخشى وأجزعاً
ولا الحول يدينه اذا ما تجزعاً

واني امرؤ بالطبع النقي مطامعي
وعندي غنى نفس وفضل قناعة
وان مد نحو الزاد قوم أكفهم
ومذ كانت الدنيا لدي دنينة
وذاك لعلمي انما الله رازق
فلا الضعف يقصي الرزق ان كان دانياً

وكن شاعراً بالأنف ان كنت مدقماً
من العلم لا مال حواه وجمعاً
وان فاتك القسيان أصغ لتسمعا
فتدراً عن ورد النجاة وتدفعاً
(الطويل)

فلا تبطن ان نلت من دهرك الغنى
فقدر الفتى ما حازه وافاده
فكن عالماً في الناس أو متعلماً
ولا تك للاقسام ما اسطعت رابعاً

وقال ايضاً :

فما حرصه يغنيه في طلب الرزق
فاخلاده نحو الدنا غاية الحمق
يؤوساً فان اليأس من كرم الخلق
لديه اذا ما رام مسألة الخلق

اذا كان رزق المرء عن قدر أتى
كذا موته ان كان ضربة لازب
فان شئت ان تحيا كريماً فكن فتى
فيأس الكريم الطبع حلو مذاقه

وقال ايضاً :

الا لتكمل منك النفس فانتبه
الى رعاية ما الانسان أنت به
ومطعم النفس فيها غير منته
فمنهج الحق باد غير مثله
(البسيط)

ارى وجودك هذا لم يكن عبثاً
فاعدل عن الجسم لا تقبل عليه ومل
فؤيس النفس عن أهوائها يقط
فاسلك سبيل الهدى محمد مغبته

وأنشدني أيضاً لنفسه :

كن محسناً طبعاً الى من بدل الحسنى مساءه
واشفع باسداء الجليل صباحه ابدأ مساءه
فلعله ان ينثني ويحول عن حال الاساءه
فالحر يذكر من اخيه الخير لا ما منه ساءه
فلكم مسيء رده الاحسان عن ورد الرداءه
فصفا وفاء الى الوفا ء وصير الحسنى رداءه
فاذا منيت بمائن^(١) في الود لم يحسن أداءه
فاصدقه علك ابن تزيل بصدق ودك عنه داءه
(الكامل المرفل)

وأنشدني أيضاً لنفسه :

كن بجلاً فيما تقول ولا تقل قولاً يهجنه بذأ وفساد

(١) كاذب ، غير صادق الود .

فجماعة الحكماء قبلك دأهم
كان الجميل من المقال فسادوا
(الكامل)

وانشدني ايضاً لنفسه :

وما صاحب السلطان الا كراكب
فان عاد منه سالم الجسم ناجياً
بلجة بحر فهو يستشعر الفرق
فما نفسه فيه يفارقها الفرق
(الطويل)

وانشدني ايضاً لنفسه :

يا ناظراً فيما قصدت لجمعه
علماً بأن المرء لو بلغ المدى
اعذر فان أخا الفضيلة يعذر
في العمر لاقى الموت وهو مقصر
(الكامل)

وانشدني ايضاً لنفسه بما كتبه على كأس في وسطه طائر على قبة مخرمة ، اذا قلب في الكاس ماء
دار دوراناً سريعاً ، وصفر صغيراً قوياً . ومن إذا وقف بازائه الطائر حكم عليه بالشرب فاذا شربه
وترك فيه شيئاً من الشراب صفر الطائر ، وكذلك لو شربه في مائة مرة فمتى شرب جميع ما فيه ولم
يبق فيه درهم واحد فان صفيره ينقطع .

انا طائر في هيئة الزرزور^(١)
فاشرب على نغمي سلاف مدامة
صفراء تلمع في الكؤوس كأنها
واذا تجلف من شرابك درهماً
مستحسن التكوين والتصوير
صرفاً تشير حنادس الديجور
نار الكلم بدت بأعلى الطور
في الكلس نمّ به عليك صفيري
(الكامل)

وانشدني أيضاً لنفسه وصية طبية :

توق الامتلاء وعد عنه
واكثار الجماع فان فيه
ولا تشرب عقيب الاكل ماء
ولا عند الخوى^(٢) والجوع حتى
وتخذ منه القليل ففيه نفع
وهضمك فاصلحه فهو أصل
وادخال الطعام على الطعام
لمن والاه داعية السقام
فتسلم من مضرات عظام
تلهن^(٣) باليسير من الادم
لذي العطش المبرح والاورام
وأسهل بالابارج^(٤) كل عام

(١) طائر اكبر من المصفر منه نوع لونه اسود وآخر اسود منقط بياض .

(٢) خلاء البطن .

(٣) تعلق باللهفة وهي ما يأكل الانسان قبل الغداء .

(٤) الابارج «وقيل» من الادوية المسهلة .

وفصد العرق نكب عنه الا
ولا تتحركن عقيب أكل
لثلا ينزل الكيلوس فجاً
ولا تدم السكون فان منه
وقلل ما استطعت الماء بعد الرياضة واجتنب شرب المدام
وعدل مزج كأسك فهي تبقي الحرارة فيك دائمة الضرام
وخل السكر واهجره ملياً فان السكر من فعل الطغام
واحسن صون نفسك عن هواها تفز بالخلد في دار السلام
(الوافر)

وانشدني ايضاً لنفسه :

غرض الطب يا أخا اللب عرفاً
قيل حالاتها وما توجب الحاً
لتدوم الابدان موجودة
وتزال الامراض ان امكن الحاً
ن مبادي ابداننا والأصول
لات فيها وما لها من دليل
الصحة منا وذاك بالتعديل
ل وذا بالافراغ والتبديل
(الخفيف)

وانشدني أيضاً لنفسه

ان الغذاء وان كان الصديق لما
فهو العدو لها أيضاً لان به
هو المدبر أعني قوة الوصب (١)
زيادة الضد أعني عنصر الوصب (٢)
(البسيط)

وانشدني ايضاً لنفسه

علل الصحة حقاً ستة
فاذا عدلتها في اربع
وهي ايضاً علل للمرض
كان ذا التعديل أنهى للغرض
(الرمل)

وانشدني ايضاً لنفسه

اذا ما اشتهى ذو علة بعض ما به
فلا تمنعنه ما اشتهاه فربما
وكان كما قد قيل في مثل ما جرى
شفاء من الداء الذي جسمه حلاً
تراه وشيكاً عقدة الداء قد حلاً
من السعد أن يلقي هوى صادف العقلا
(الطويل)

(١) ما بين السبابة والختصر .

(٢) المرض والوجع والألم الشديد .

وأنشدني أيضاً لنفسه

واهيف القد قاني الخد تيمني
لو حل في القلب ثان غيره وثني
ولو جنيت جنى ما كان غارسه
ولو وحق هواه زار في حلمي
ألفى ودادي ومغناه القواد فهل
وفي بچار الاسى الفاني ألقاني
عنه هواي ثنيت الثاني الثاني
فيه هواه لكنت الجاني الجاني
خياله موهناً ألقاني الفاني
لي من مجير وقد ألقاني الفاني
(البسيط)

وأنشدني أيضاً لنفسه

وميهف ساجي اللواظ أوردنا
تخذ العذار مفاضة تحميه من
لو كان أوردني برود رضابه
ان ماس اودى بالقضيب تأوداً
ما شمت شامة خده الا سطا
او رمت من حبيه يوما سلوة
عشاقه بدلاله ورد الردى
عين الحب ولحظ مقلته ردا
لم يصبح السقم المبرح لي ردا
او لاح ازرى بالهلل اذا بدا
يمهد من مقلتيه وعريدا
الا وقال طلبت مسألة البدا
(الكامل)

وقال ايضاً :

ايها الشادن الذي طاب هتكي
علة الجفن فيك علة سقمي
وافترضني بعد الصيانة فيكا
وشفائي ارتشاف خرة فيكا

وأنشدني ايضاً لنفسه يمدح صلاح الدين محمد بن باغيسان :

ومدل ساجي الجفون ميهف
وأحلها فيه فاصبح ربهيا
من جفنه سيف الصلاح محمد
جمع الملاح ذو الجلال لديه
وأمال أفئدة الانام إليه
باد ومن جفني سحب يديه
(الكامل)

وأنشدني ايضاً لنفسه يهنئ الصاحب جلال الدين ابا الفتح محمد بن بباته ببناء داره :

يا ايها الصاحب الصدر الكبير جلا
بنيت داراً على الجوزاء مشرفة
دامت محل سرور لا يحول ولا
شرفت أصلاً واخلاقاً وشنشنة
ل الدين ابن الكرام السادة الشرفا
كما قديما بنيت المجد والشرفا
زالت رؤوس أعاديكم لها شرفا
فلست بمن باصل وحده شرفا
(البسيط)

وأنشدني ايضاً لنفسه ، وقد كتبها لي شيخه فخر الدين محمد بن عبد السلام المارديني

يا سائقاً نحو ميا فارقين أنخ
وما اعانيه من وجد ومن كد
الى الذي فاق ابناء الزمان نهى
وقل : محب لكم قد شفه مرض
صل^(١) الطبيعة لا ينفك يلذعه
شطر الحياة مضى والنفس ناقصة
فأنت أولى بتهذيبي وتبصري
وما يخلص نفسي من موانعها الوصول
مشكاة ذهني قد امست زجاجتها
وروّ مصباحها من زيت علمك كي
حبس الطبيعة قد طال الثواء به
فاحلل حباثل اشراك الشواغل عن
لعل نفسي انت ترقى مهذبة
وتفتدي في نعيم لا انتهاء له

بها الركاب وبلغ بعض اشواق
ولوعة وصبابات وايراق
ومحتدأ وثنام طيب اعراق
وما سواك له من دائه راق
فاصرف نكايته عنه بترياق
فكن مكلها في شطرها الباقي
بما يهذب أوصافي وأخلاق
عند التفاف الساق بالساق
صديئة فاجلها بالواحد الواق
تعود بعد انطفاء ذات اشراق
فها أنا متوخ منك اطلاق
جيدي وجد لي من رقي باعقائي
عند الفراق اذا ما قيل من راق
ولا فنى في جوار الواحد الباقي
(البسيط)

وأنشدني ايضاً لنفسه يرثي ولدأ له :

بني لقد غادرت بين جوائحي
واغريت بالأجفان بعد رقادها
فلست ابالي حين بنت بمن ثوى
وقال اناس يصغر الحزن كلما
وكنت صبوراً عند كل ملة
كملت فوافتك المنون وهكذا

لفقدك ناراً حرّها يتسمر
سهاداً فلن تنفك بعدك تسمر
ولم أر من اخشى عليك واحذر
تمادى وحزني الدهر ينمى ويكبر
تلم فخذ أرديت عز التصبر
يوافى الحسوف البدر ابان يسدر
(الطويل)

وأنشدني ايضاً لنفسه في غرض :

تقربت بالاطرام بالشعر مدة
وأبدعت آلات النجوم وغيرها
وحدثت اخبار النبي وما أتى
وعاملتكم بالصدق فيما أقوله
فلم اكتسب شيئاً سوى البؤس والعنا
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا

اليكم وبالتنجيم والنحو والطب
واعربت عما اعتاص من لغة العرب
به الحكماء القدم قبلي في الكتب
ولم آل جهداً في النصيحة والحب
وانفاق عمري بشئ ذلك من كسب
الا ان بعد الدار خير من القرب

(١) اقمى .

الا ان بعد الدار ليس بضائر اذا كان من تغشاه ليس بنذي لب
وأنشدني أيضاً لنفسه :

قيل لي لم هجوت نجل فلان الكلب بل لم أوغلت فيه المئاقب
وأولو الفضل لا يرون هجاء قط إلا لذي حجبى ومناقب
قلت اني سخطت يوماً على شعري فقابلته به كلمعاقب
(الحفيف)

وأنشدني أيضاً لنفسه :

قالوا خليق بالطبيب بان يرى بالطبع يعدم رونقاً وجمالاً
صدقوا ولكن لا الى حد به يؤذي المريض ويفزع الاطفالاً
(الكامل)

وقال أيضاً :

أيا فاعلاً خل التطيب واثد فكم تقتل المرضى المساكين بالجهل
فتركيب اجسام الانام مؤجل فلم لا لكلك الله تعجل بالحل
كانك يا هذا خلقت موكلأ على رجع أرواح الانام الى الاصل
بهرت الوبا اذ قتلك الناس دائماً وذلك في الاحيان يحدث في فصل
كفى الوصب المسكين شخصك قاتلاً اذا عدته قبل التعرض للفعل
(الطويل)

ولسيد الدين بن رقيقة من الكتب ؛ كتاب لطف السائل وتحف المسائل ، وهذا الكتاب قد
نظم فيه مسائل حنين . كليات القانون لابن سينا رجزاً ، ومعاني آخر ضرورية يحتاج اليها في صناعة
الطب ، وشرح هذا الكتاب ، وله أيضاً عليه حواش مفيدة . كتاب موضحة الاشتباه في ادوية الباه
كتاب الفريدة الشاهية ، والقصيدة الباهية ، وهذه القصيدة صنعها بيمافارقين في سنة خمس عشرة
وستائة للملك الاشرف ، شاه أرمن ، موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، وذكر لي انه نظمها
في يومين وهي (*) بيت ، وصنع لها أيضاً شرحاً مستقصى بليغاً في معناه . كتاب قانون الحكماء
وقردوس الندماء . كتاب الغرض المطلوب في تدبير المأكول والمشروب . مقالة مسائل واجوبتها في
الحميات . ارجوزة في الفصد .

صدقة السامري

هو صدقة بن منجا بن صدقة السامري ، من الاكابر في صناعة الطب ، والمتميزين من اهلها ،
والأمائل من أربابها . كان كثير الاشتغال محباً للنظر والبحث ، وافر العلم ، جيد الفهم ، قوياً في

(*) يياض بالأصل .

الفلسفة ، حسن الدراية لها ، متقناً لغوامضها . وكان يدرس صناعة الطب ، وينظم متوسطاً ، وربما ضمنه ملحقاً من الحكمة ، وأكثر ما كان يقوله دوبيت . وله تصانيف في الحكمة وفي الطب . وخدم الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، وبقي معه سنين كثيرة في الشرق الى ان توفي في الخدمة . وكان الملك الأشرف يحترمه غاية الاحترام ويكرمه كل الاكرام ، ويعتمد عليه في صناعة الطب ، وله منه الجامكية الوافرة والصلوات المتواترة . وتوفي صدقة بمدينة حران^(١) في سنة نيف وعشرين وستائة ، وخلف مالا جزيلا ، ولم يكن له ولد .

ومن كلامه مما نقلته من خطه قال : « الصوم منع البدن من الغذاء ، وكف الحواس عن الخطاء ، والجوارح عن الآثام . وهو كف الجميع عما يلهي عن ذكر الله .

وقال : « اعلم أن جميع الطاعات ترى إلا الصوم لا يراه إلا الله فانه عمل في الباطن بالصبر المجرد . وللصوم ثلاث درجات : صوم العموم ، وهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة ؛ وصوم الخصوص ، وهو كف السمع والبصر واللسان وسائر الجوارح عن الآثام ؛ وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنياوية ، وكفه عما سوى الله تعالى .

وقال : « ما كان من الرطوبات الخارجة من الباطن ليس مستحيلا ، وليس له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط . وأما ما له مقر وهو مستحيل فهو نجس ، كالبول والروث» .

وقال : « اعلم ان الوزير مشتق اسمه من حمل الوزر عن خدمه ، وحمل الوزر لا يكون إلا بسلامة من الوزير في خلقته وخلائقه . أما في خلقته فان يكون تام الصورة ، حسن الهيئة ، متناسب الاعضاء ، صحيح الحواس ؛ وأما في خلائقه فهو ان يكون بعيد الهممة ، سامي الرأي ، ذكي الذهن ، جيد الحدس ، صادق الفراسة ، رحب الصدر ، كامل المروءة ، عارفاً بموارد الامور ومصادرها . فاذا كان كذلك كان افضل عدد المملكة لانه يصون الملك عن التبذل ، ويرفعه عن الدناءة ، ويغوص له على الفرصة . ومنزلته منزلة الآلة التي يتوصل بها الى نيل البغية ، ومنزلة السور الذي يحرز المدينة من دخول الآفة ، ومنزلة الجارح الذي يصيد لطعمة صاحبه . وليس كل أحد يصلح لهذه المنزلة يصلح لكل سلطان ما لم يكن معروفاً بالاخلاص لمن خدمه ، والمحبة لمن استخضه ، والايثار لمن قربه .

وقال : « صبر العفيف ظريف » .

ومن شعره قال :

سلوه لم صديني تيباً ولم هجرا	وأورث الجفن بعد الرقدة السهرا
وقد جفائي بلا ذنب ولا سبب	وقد وفيت بميثاقي فلم غدرا
يا للرجال قفوا واستشرحوا خبري	مني ففيري لم يصدقكم خبرا
إن كنت ذلاً قسا عزاً علي وإن	دانيت به بان أو آنتسته نفرا

(١) مدينة قديمة في ما بين النهرين . قاعدة بلاد مضر .

هذا هو الموت عندي كيف عندكم
هيات ان يستوي^(١) ادي ومن صدرا
(البسيط)

وقال ايضاً :

يا وارثاً عن أب وجد
وضامناً رد كل روح
اقسم لو كان طب دهرأ
فضيلة الطب ، اسداد
همت عن الجسم بالبعاد
لعاد كوناً بلا فساد
(الكامل)

وقال ايضاً :

فاذا قرأت كلامه قدرته
لو كان شاهده معد خاطباً
لاقر كل طائمين بانه
رب العلوم اذا أجال قداحه
ذو فطنة في المشكلات وخاطر
فاذا تفكر عالم في كتبه
أضحت وجوه الحق في صفحاتها
ودلالة تجلو بطالع بشرها
سجبان أو يوفي على سحبان
أو ذو الفصاحة من بني قحطان
أولام بفصاحة وبيان
لم يختلف في فوزهن اثنان
أمضى وأنفذ من شبابة^(١) سنان^(٢)
ينفي التقى وشرائط الايمان
ترمي اليه بواضح البرهان
عز القرائع من ذري الازهان
(الكامل)

ووجدت بخطه أيضاً في الحاشية هذا البيت وهو متكرر القافية :

من حجة ضمن الوفاء بنصرها
نص القياس وواضح البرهان
وكانه كتبه عوضاً عن البيت الذي أوله أضحت وجوه
وقال يهجو :

درى ومولاته وسيده
والسيد فوق الاثنين منحمل
والعبد محمول ذي وحامل ذا
ذاك قياس جاءت نتيجته
حدود شكل القياس مجموعه
والست تحت الاثنين موضوعه
لحرمة بينهن مرفوعه
قرينة في دمشق مطبوعه
(المنسرح)

وقال ايضاً :

يا ابن قسم اصبحت تلتحل النحو ودعواك فيه منحوله

(١) الحد من كل شيء .

(٢) نصل الرمح .

مرفوعة الساق وهي مفعوله
مسائل قد آتتك مجهوله
بنقطة الخصيتين مشكوله .
(المنسرح)

امك ما بالها ؟ فقل وأجب
فاعلمها الاير وهو منتصب
والعين عطل وعين عصعصها

وقال ايضاً :

ما مثله في الامم الخاليه
مع قصره يتطلع الساريه
لانه منفرج الزاويه
(السريع)

شيخ لنا من عظمه داهيه
مهندس في طول ايامه
مثلث بدعه قائم

وقال ايضاً :

العالم في عظم معاليك يسير
فينا وتفق بالندى كل أسير
(دوبيت)

يا شمس علا بأبرج السعد تسير
ما زلت كذا ملكك بالعدل تسير

وقال ايضاً :

اسمع نكتنا وخلي مع رائي
في جبهتها كواكب الجوزاء
(الدوبيت)

يا سائلي عن صفات منها دائي
في ريقتها سلافة الصهباء

وقال ايضاً :

الا وجرت من أدمعي فيض عيون
أعرضن عني فزدن ما بي جنون
(الدوبيت)

ما لاح لناظري من العين عيون
غزلان نقا بين أراك وغصون

وقال ايضاً :

كم يقتلني ويحسب القلب سلاه
قبلت جبينه وعينه وفاه
(الدوبيت)

بالله عليكما الما وسلاه
قد اوعد بالوفا فان خان وفاه

وقال ايضاً :

ثم افتخرت بلطفها الروحاني
رقت وصفت خلائق الانسان
(الدوبيت)

الراح بدت بريحها الريحاني
لما سطعت بثورها النوراني

وقال ايضاً :

فالراح قوام جوهر الارواح

انفي نكد الزمان بالاقداح

فما يفلح من يظل يوماً صاحي
أو 'يسمع من زخارف النصاح
(الدوبيت)

وقال ايضاً :

أطفئ نكد العيش بماء وشراب
فاذهب كما ترى خيال وسراب
واغم زمن اللذة بين الاتراب
فالجسم مصيره كما كان تراب
(الدوبيت)

وقال ايضاً :

الراح هي الروح فواصل يا صاح
صفراء بلطفها تناني الاتراح
لولا شبك يصيدها في الاقداح
طارت فرحاً الى محل الارواح

ولصدقة السامري من الكتب: شرح التوراة. كتاب النفس . تعاليق في الطب ذكر فيها الامراض
وعلاماتها . شرح كتاب الفصول لابن قراط لم يتم . مقالة في أسامي الادوية المفردة . مقالة أجاب فيها
عن مسائل طبية سأله عنها الاسعد المحلي اليهودي . مقالة في التوحيد وسمها كتاب الكنز في الفوز .
كتاب الاعتقاد .

مذهب الدين يوسف بن أبي سعيد

هو الشيخ الامام العالم صاحب الوزير مذهب الدين يوسف بن أبي سعيد بن خلف السامري .
قد اتقن الصناعة الطبية ، وتميز في العلوم الحكيمة ، واشتغل بعلم الأدب ، وبلغ في الفضائل أعلى الرتب .
وكان كثير الاحسان ، غزير الامتنان ، فاضل النفس ، صائب الحس . وقرأ صناعة الطب على الحكيم ابراهيم
السامري المعروف بشمس الحكماء . وكان هذا شمس الحكماء في خدمة الملك الناصر صلاح الدين يوسف . وقرأ ايضاً على
الشيخ اسمعيل بن أبي الوزار الطيب . وقرأ على مذهب الدين بن النقاش . وقرأ الادب على تاج الدين
النكدي أبي اليمن . وتميز في صناعة الطب ، واشتهر بحسن العلاج والمداواة

ومن حسن معالجاته انه كانت ست الشام أخت الملك العادل أبي بكر بن ايوب قد عرض لها
دوسنطاريا كبدية وترمي كل يوم دماً كثيراً . والاطباء يعالجونها بالادوية المشهورة لهذا المرض من
الاشربة وغيرها . فلما حضرها وجس نبضها قال للجماعة يا قوم ما دامت القوة قوية ، أعطوها الكافور
ليصلح كيفية هذا الخلط الحاد الذي فعل هذا الفعل ، وامر باحضار كافور قيصوري وسقاها مع
حليب بزر بقله محمصة ، وشراب رمان وصندل^(١) فتقاصر عنها الدم وحرارة الكبد التي كانت ،
وسقاها ايضاً منه ثاني يوم فقل أكثر ، ولاطفها بعد ذلك الى ان تكامل برؤها وصلحت . وحدثني
بعض جماعة صاحب بن شكر وزير الملك العادل قال : كان قد عرض للصاحب ألم في ظهره عن برد

(١) شجر هندي طيب الرائحة يشبه شجر اللوز وله حب اخضر في غنايقه .

فأتى اليه الاطباء فوصف بعضهم مع اصلاح الاغذية بغلي يسير جندبيدستر^(١) مع زيت ويدهن به . وقال آخر : دهن بابونج ومصطكى . فقال ، المصلحة أن يكون عوض هذه الاشياء شيء ينفع مع طيب رائحة ، فاعجب صاحب قوله . وأمر مذهب الدين يوسف باحضار غالية^(٢) ودهن بان، فحل ذلك على النار ، ودهن به الموضع فانتفع به . وخدم مذهب الدين يوسف بصناعة الطب لعزالدين فرخشاه ابن شاهان شاه بن ايوب ، ولما توفي عزالدين فرخشاه رحمه الله ، وذلك في جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين وخمسة ، خدم بعده لولده الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه بن عزالدين فرخشاه بصناعة الطب ، واقام عنده ببلبك ، وحظي في ايامه ، وقال من جهته من الاموال والنعم شيئا كثيراً . وكان يستشيريه في أموره ويعتمد عليه في أحواله . وكان الشيخ مذهب الدين حسن الرأي وافر العلم جيد الفطرة . فكان يستصوب آراءه ويشكر مقاصده . ثم استوزره واشتغل بالوزارة وارتفع امره ، وارتقت منزلته عنده حتى صار هو المدير لجميع الدولة والاحوال بأسرها لا تعدل عن أمره ونهيه . ولذلك قال فيه الشيخ شهاب الدين فتیان -

الملك الامجد الذي شهدت له جميع الملوك بالفضل
أصبح في السامري معتقداً ما اعتقد السامري في المعجل
(المسرح)

انشدني هذين البيتين شمس الدين محمد بن شهاب الدين فتیان قال : أنشد فيها والذي لنفسه . أقول : ولم تزل أحوال الشيخ مذهب الدين على سلتها وعلو منزلته على كيانها ، حتى كثرت الشكاوي من أهله وأقاربه السمرة ، فانه كان قد جاءه الى بلبك جماعة منهم من دمشق ، واستخدمهم في جميع الجهات ، وكثر منهم العسف وأكل الاموال والفساد . وكان له الجاه العريض بالوزير مذهب الدين السامري فلا يقدر احد ان يقاومهم بالجملة . فان الملك الامجد لما تحقق ان الاموال قد اكلوها وكثر فسادهم ، ولامته الملوك في تسليم دولته للسمرة قبض على المذهب السامري ، وعلى جميع السمرة المستخدمين واستقصى منهم أموالاً عظيمة . وبقي الوزير معتقلاً عنده مدة الى ان لم يبق له شيء يعتد به . ثم أطلقه وجاء الى دمشق ورأيت في داره . ولما جاء من بلبك وكنت مع أبي لنسلم عليه فوجدته شيخاً حسناً فصيح الكلام لطيف المعاني . ومات بعد ذلك وكانت وفاته يوم الخميس مستهل صفر سنة أربع وعشرين وستائة بدمشق .

ومن شعر مذهب الدين يوسف :

ان ساء في الدهر يوماً فانه سر دهر
وان دهاني ببال فقد تعوضت اجرا
الله أغنى وأقنى والحمد لله شكرا
(البسيط)

(١) مئانة حيوان بحري بري يكون في الانهار يسمى القندر .
(٢) اخلاط من الطيب .

ولم يذب الدين يوسف بن أبي سعيد من الكتب : شرح التوراة .

الصاحب امين الدولة

هو الصاحب الوزير العالم العامل ، الرئيس الكامل ، افضل الوزراء ، سيد الحكماء ، امام العلماء ، امين الدولة أبو الحسن بن غزال بن ابي سعيد . كان سامرياً واسلم ، ولقب بكمال الدين . وكان مهذب الدين السامري عمه . وكان امين الدولة هذا له الذكاء الذي لا مزبد عليه ، والعلم الذي لا يصل اليه ، والانعام العام ، والاحسان التام ، والهمم العالية ، والآلاء المتواليه . وقد بلغ من الصناعة غاياتها ، وانتهى الى نهاياتها ، واشتمل على محصولها ، وأتقن معرفة اصولها وقصولها . حتى قل عنه المائل وقصر عن ادراك معاليه كل فاضل وكامل . كان أولاً عند الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه ابن عز الدين فرخشاه بن أيوب ، معتمداً عليه في الصناعة الطبية واعمالها ، مفوضاً اليه امور دولته واحوالها . ولم يزل عنده الى ان توفي الملك الامجد رحمه الله ، وذلك في داره بدمشق آخر نهار يوم الثلاثاء حادي عشر شهر شوال سنة ثمان وعشرين وستائة

وبعد ذلك استقل بالوزارة الملك الصالح^(١) عماد الدين أبي الفداء اسماعيل ابن الملك العادل ابي بكر بن أيوب ، فساس الدولة أحسن السياسة ، وبلغ في تدبير المملكة نهاية الرياسة ، وثبت قواعد الملك وأيدها ورفع مباني المعالي وشيدها ، وجدد معالم العلم والعلماء ، وأوجد من الفضل ما لم يكن لاحد من القدماء . ولم يزل في خدمة الملك الصالح ، وهو عالي القدر نافذ الامر ، مطاع الكلمة كثير العظمة الى ان ملك دمشق الملك الصالح نجم الدين^(٢) أيوب ابن الملك الكامل ، وجعل نائبه بها الامير معين الدين بن شيخ الشيوخ . وكان لما ملك دمشق أعطى الملك الصالح اسماعيل بعلبك ونقل اليها ثقله وأهله ، وذلك في سنة ثلاث واربعين وستائة . وكان امين الدولة في مدة وزارته يحب جمع المال وحصل لصاحبه الملك الصالح اسماعيل أموالاً عظيمة جداً من أهل دمشق وقبض على كثير من املاكهم .

وكان موافقه في ذلك قاضي القضاة بدمشق وهو رفيع الدين الجليل والنواب . ولما بلغ نائب السلطنة بدمشق ، وهو الامير معين الدين بن شيخ الشيوخ والوزير جمال الدين بن مطروح^(٣) بدمشق واكابر الدولة ما وصل الى امين الدولة من الاموال قصدوا ان يقبضوا عليه ، ويستصفوا امواله فعملوا له مكيدة . وهي انهم استحضروه وعظموه ، وقاموا له لما أتى . ولما استقر في المجلس قالوا له : ان اردت ان تقيم بدمشق فابق كما أنت ، وان اردت ان تتوجه الى صاحبك ببعلبك فافعل . فقال : لا والله اروح الى غدومي واكون عنده . ثم انه خرج وجمع أمواله وذخائره

(١) ملك دمشق ١٢٣٧ - ١٢٣٨ واختلف مع الامراء مواطنيه وحالف الافرنج عليهم وقتل في القاهرة .

(٢) صد هجمات التتر في ما بين النهرين وبسط حكمه على العراق واحتل دمشق سنة ١٢٣٨ واسترد القدس من ايدي

الصليبيين . (ن . د)

(٣) ناظر الخزانة في مصر ووزير في دمشق .

وحواصله وجميع ما يملكه حتى الاثاث وحصر دوره وجمع الجميع على عدة بغال ، وتوجه قاصداً الى بعلبك .

ولما صار ظاهر دمشق قبض عليه واخذ جميع ما كان معه ، واحتيط على املاكه واعتقل . وكان ذلك يوم الجمعة ثاني شهر رجب سنة ثلاث واربعين وستائة . ثم سير الى الديار المصرية تحت الحوطة ، واودع السجن في قلعة القاهرة مع جماعة آخر من اصحاب الملك الصالح اسمعيل . ولما كان بعد ذلك بزمان وتوفي الملك الصالح نجم الدين ايوب بمصر في سنة سبع واربعين وستائة ، وجاء الملك الناصر يوسف بن محمد من حلب وملك دمشق ، وذلك في يوم الاحد ثامن شهر ربيع الآخر سنة ثمان واربعين وستائة صار معه الملك الصالح اسمعيل وملوك الشام ، وتوجه الى مصر ليأخذها فخرجت عساكر مصر ، وكان ملك مصر يومئذ الملك المعز عز الدين أيبك^(١) التركاني ، كان قد تملك بعد وفاة استاذ الملك الصالح نجم الدين ايوب ، والتقوا فكانت اول الكسرة على عسكر مصر . ثم عادوا وكسروا عسكر الشام ، وقبض على الملك الصالح اسمعيل وجماعة كثيرة من الملوك والامراء وحبسوا جميعهم في مصر ، ثم اطلق بعضهم فيما بعد . واما الملك الصالح اسمعيل فكان آخر العهد به وقيل انه خنق بوتر

حدثني الامير سيف الدين المشد علي بن عمر رحمه الله قال : لما سمع الوزير أمين الدولة في قلعة القاهرة بان ملوك الشام قد كسروا عسكر مصر ، ووصل الخبر اليهم بذلك من بلبس^(٢) . قال أمين الدولة لصاحب الأمر في القلعة : دعنا نخرج في القلعة حتى تطلع الملوك ، وتبصر أيش تعمل معك من الخير فاطمعتة نفسه ، واخرجهم وكانوا في ذلك الموضع في الحبس ثلاثة من اصحاب الملك الصالح اسمعيل وزيره أمين الدولة ، واستاذ داره ناصر الدين بن يغمور . وامير كردي يقال له سيف الدين ، فقال الكردي لهم : يا قوم لا تستعجلوا مواضعكم ، فان كان الامر صحيحاً فمسير استاذنا يخرجنا ويعيدنا الى ما كنا عليه ويحسن الينا ونخلف . وان كان الامر غير صحيح فنكون في موضعنا لم نخرج منه فهو أسلم لنا فلم يقبلوا منه ، وخرج الوزير وناصر الدين بن يغمور وبسطوا مواضع في القلعة وأمروا ونهوا . ولما صح الخبر بعكس ما أملوه أمر عز الدين التركاني لما طلع القلعة بقتل ناصر الدين بن يغمور ققتل ، وأمر بشنق الوزير فشنقوه . وحكى لي من رآه لما شنق وانه كان عليه قندورة عنابي خضراء ، وسرموزة في رجله ، ولم ينظر مشنوقاً في رجله سرموزة سواه . واما رفيقهم الكردي فأطلقه وخلع عليه وأعطاه خيراً .

أقول وأعجب ما أتى من الأحكام النجومية فيما يتعلق بهذا المعنى ما حكاه الامير ناصر الدين زكري المعروف بان علمية وكان من جماعة الملك الصالح نجم الدين ايوب قال : لما حبس صاحب أمين الدولة أرسل الى منجم في مصر له خبرة باللغة في علم النجوم واصابات لا تكاد تخرم في احكامها ،

(١) السلطان المملوكي سلطان دمشق (١٢١٨ - ١٢٢٧) انشأ عدة مدارس وخانات (ن. ر)

(٢) بلدة شمالي القاهرة كانت مركزاً حربياً في أيام الصليبيين والايوبيين ، وفيها توفي الخليفة العزيز الفاطمي .

وسأله ما يكون من حاله وهل يخلص من الحبس قال : فلما وصلت الرسالة اليه اخذ ارتفاع الشمس للوقت ، وحقق درجة الطالع والبيوت الاثني عشر ومركز الكواكب ، ورسم ذلك كله في تحت الحساب وحكم بمقتضاه فقال : يخلص هذا من الحبس ويخرج منه وهو فرحان مسرور ، وتلاحظه السعادة ان يبقى له امر مطاع في الدولة بمصر . ويمتثل أمره ونهيه جماعة من الخلق . فلما وصل اليه الجواب بذلك فرح به . وعندما وصله مجيء الملوك وان النصر لهم خرج وايقن ان يبقى وزيراً بمصر ، وتم له ما ذكره المنجم من الخروج من الحبس والفرح والامر والنهي وصار له أمر مطاع في ذلك اليوم . ولم يعلم امين الدولة ما يجري عليه بعد ذلك . وان الله عز وجل قد أنفذ ما جعله عليه مقدوراً وكان ذلك في الكتاب مسطوراً .

وكان للصاحب امين الدولة نفس فاضلة وهمة عالية في جمع الكتب وتحصيلها ، واقتنى كتباً كثيرة فاخرة في سائر العلوم ، وكانت النساخ أبدأ يكتبون له حتى انه اراد مرة نسخة من تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر^(١) وهو بالخط الدقيق ثمانون مجلداً . فقال هذا الكتاب ، الزمن يقصر ان يكتبه ناسخ واحد ففرقه على عشرة نساخ ، كل واحد منهم ثمان مجلدات فكتبوه في نحو سنتين وصار الكتاب بكماله عنده وهذا من علو همته . ولما كان رحمه الله بدمشق ، وهو في دست وزارته في أيام الملك الصالح اسمعيل . وكان ابي صديقه وبينهما مودة فقال له يوماً سيد الدين بلغني ان ابنك قد صنف كتاباً في طبقات الاطباء ما سبق اليه ، وجماعة الاطباء الذين يأتون الي شاكركن منه . وهذا الكتاب جليل القدر ، وقد اجتمع عندي في خزائني اكثر من عشرين الف مجلد ما فيها شيء من هذا الفن . واشتهي منك ان تبعث اليه يكتب لي نسخة من هذا الكتاب . وكنت يومئذ بصرخد عند مالكا الامير عز الدين ايبك المعظمي فامتثل أمره . ولما وصلني كتاب ابي اتيت الى دمشق واستصحبت معي مسودات من الكتاب واستدعيت الشريف النساخ وهو شمس الدين محمد الحسيني ، وكان كثيراً ينسخ لنا ، وخطه منسوب في نهاية الجودة . وهو فاضل في العربية فأخليت له موضعاً عندنا . وكتب الكتاب في مدة يسيرة في تقطيع ربع البغدادي اربعة اجزاء . ولما تجلدت عملت قصيدة مديح في صاحب امين الدولة ، وبعثت بالجميع اليه مع قاضي القضاة بدمشق رفيع الدين الجيلي . وهو من جملة المشايخ الذين اشتغلت عليهم فاني قرأت عليه شيئاً من كتاب الاشارات والتنبيهات لابن سينا ، وكان بيني وبينه أنس كثير ، ولما وقف أمين الدولة على ذلك اعجبه غاية الاعجاب ، وفرح به كثيراً وارسل الي مع القاضي المال الجزيل والخلع الفاخرة وتشكر وقال : اشتهي منك ان كلما تصنفه من الكتب تعرفني به . وهذه نسخة القصيدة التي قلتها فيه ، وذلك في اوائل سنة ثلاث واربعين وستائة .

فؤادي في محبتهم أسير وأنتى سار ركبهم يسير
يحن الى العذيب^(٢) وساكنيه حينئذ قد تضمنه سفير

(١) علي بن الحسن ولد في دمشق (١١٠٥ - ١١٧٦) وعلم في كبريات مدن الشرق الف تاريخ دمشق في ٨٠ مجلداً فقد اكثرها . (ن.د.)
(٢) موضع فيه ماء .

بها من طيب نشرهم عبر
بطيف من خيالهم يزور
يحور على الحب ولا يجير
بوافر هجره أبدا هجير
فما هذي القطيعة والنفور
وطلعة وجهه بدر منير
يميد وفي لواظله فتور
وفي خدي من دمعي غدير
علي وانني فيه صبور
وسري لا يمازجه سرور
امين الدولة المولى الوزير
تم كما همى الجون^(١) المطير
تأثر تحت أخمصه الاثير
ودون محله الشعري العبور
به في الخلق تعبدل الامور
وفي العزمات للعادي^(٢) مبير^(٣)
وكم من اول فاق الاخير
ويقصر عنه في رأي قصير
لصالحها المدائن والثغور
له الافضال والفضل الغزير
تبين في الوجود له نشور
وقد كادت مناهلها تغور
بشرح منك عاد له ظهور
يحمده اليك مرووسا يصير
وما لك فيها أبدا نظير
على اسمك لا تغيره الدهور
ومولانا بذاك هو الخير
كما تهدي الى هجر^(٤) الثمور

ويهوى نسمة هبت سحيرا
واني قانع بعد التداني
ومعسول اللى مر التجني
تصدى للصدود ففي فؤادي
وقد وصلت جفوني فيه سهدي
كان قوامه غصن رطيب
يرى نشوان من خمر التصابي
ففي وجناته للحسن روض
وكم زمن أراه قد تعدى
وحالي مع بنيه غير حال
وان أشكو الزمان فان ذخري
كريم اريحي ذو أياد
تسامى في سماء المجد حتى
وهل شعر يعبر عن علاه
له أمر وعدل مستمر
ففي الازمان للعافي^(٥) مبر
لقد فاق الاوائل في المعالي
يطول العالمين بكل علم
وقد صلحت به الدنيا ودانت
أيا من عم انعاما ويا من
لقد احييت ميت العلم حتى
وأوردت الانام بحار جود
وكم في الطب من معنى خفي
وقد قاس الرئيس اليك يوما
وهل يحكيك في لفظ وفضل
وقد أرسلت تأليفا ليبقى
فريد ما سبقت اليه قدما
ولكن في علومك فهو يهدي

(١) الاسود . ومنا كنى بها عن السحاب الاسود الداكن .

(٢) كل طالب فضل او رزق . (٣) المعتدي او المتجاوز الطور او المختلس .

(٤) مهلك . (ن . ر)

(٥) بلد بالبحرين اشتهرت بمجودة تمرها وهي المقصودة بالثل « كجالب التمر الى هجر » . (ن.ر)

وحاشا أن أبكار المعالي إذا زفت الى المولى تبور
وان تك زلة أبديت فيه فعن امثالها أنت الغفور
(الوافر)

ونقلت من خط الشيخ موفق الدين هبة الله ابي القاسم بن عبد الوهاب بن محمد بن علي الكاتب المعروف بابن النحاس ، من أبيات كتبها الى صاحب امين الدولة يطلب منه خطا وعده به الملك الامجد ، وذلك في سنة سبع وعشرين وستائة .

وعدت بالخط فارسل ما وعدت به يا من له نعم تترى بلا من
من يفعل الخير يحزن كل مكرمة ويشترى مدحا تتلى بلا ثمن
خطا يزيدك حظا كلما صدحت ورقاء في شجروما على فنن

(البسيط)

وأنشدني شرف الدين اسمعيل بن عبدالله بن عمر الكاتب المعروف بابن قاضي اليمن لنفسه قصيدة كتبها الى صاحب امين الدولة من جملتها :

نالي من زماني التغيير ومحا صفو لذتي التكدير
كان عيشي يظل حلوا وقد عا د يحور الزمان وهو مرير
ونأى من أحب لم يلو عطفاً فبقلي للهجر منه هجير
ورجوت الشفاء من داء سقم شفني فهو في حشاي سعيم
قال لي قائل وقد اعضل الدا وعزا الدوا وعاز المشير
كيف تشكو الآلام أو يعضل الدا على الجسم والطبيب الوزير
اقصد صاحب الوزير ولا تخش فاحسانه عيم غزير
واذا الداء خيف منه تلافيا ليس يشفي الا الحكيم البصير
سيد صاحب أريب حكيم عالم ماجد وزير كبير
منقذ منصف لطيف رؤوف محسن مؤثر كريم أثير

(الخفيف)

ومن شعر صاحب أمين الدولة قال ، وكتب به في كتاب الى برهان الدين وزير الامير عز الدين المعظمي تعزية لبرهان الدين في ولده الخطيب شرف الدين عمر .

قولا لهذا السيد الماجد قول حزين مثله فاقد
لا بد من فقد ومن فاقد هيهات ما في الناس من خالد
كن المعزي لا المعزى به ان كان لا بد من الواحد

(السريع)

وللصاحب أمين الدولة من الكتب : كتاب النهج الواضح في الطب ، وهو من أجل كتاب صنف في الصناعة الطبية ، وأجمع لقوانينها الكلية والجزئية ، وهو ينقسم الى كتب خمسة : (الكتاب الاول) في ذكر الامور الطبيعية والحالات الثلاث للابدان وأجناس الامراض ، وعلائم الامزجة المعتدلة والطبيعية والصحية للاعضاء الرئيسية وما يقرب منها ، ولامور غيرها شديدة النفع يصلح ان تذكر في هذا الموضع ، ويتبعها بالنبض والبول والبراز والبحران (الكتاب الثاني) في الادوية المفردة وقواها (الكتاب الثالث) في الادوية المركبة ومنافعها (الكتاب الرابع) في تدبير الاصحاء وعلاج الامراض الظاهرة وأسبابها وعلائمها ، وما يحتاج اليه من عمل اليد فيها وفي اكثر المواضع ويذكر فيه ايضاً تدبير الزينة وتدبير السموم (الكتاب الخامس) في ذكر الامراض الباطنة وأسبابها وعلائمها وعلاجها وما يحتاج اليه من عمل اليد .

مذهب الدين عبد الرحيم بن علي

هو شيخنا الامام الصدر الكبير ، العالم الفاضل مذهب الدين أبو محمد عبد الرحيم بن علي بن حامد ويعرف بالدخوار . وكان رحمه الله أوحده عصره ، وفريد دهره ، وعلامة زمانه . واليه انتهت رئاسة صناعة الطب ومعرفتها على ما ينبغي ، وتحقيق كلياتها وجزئياتها . ولم يكن في اجتهاده من يجاريه ، ولا في علمه من يائله . أتعب نفسه في الاشتغال ، وكد خاطره في تحصيل العلم حتى فاق أهل زمانه ، في صناعة الطب ، وحظي عند الملوك ، ونال من جتهتهم من المال والجاه ما لم ينله غيره من الاطباء الى ان توفي . وكان مولده ومشؤه بدمشق ، وكان ابوه علي بن حامد كحالاً مشهوراً ، وكذلك كان اخوه وهو حامد بن علي كحالاً . وكان الحكيم مذهب الدين ايضاً في مبدأ امره يكحل ، وهو مع ذلك مواظب على الاشتغال والنسخ . وكان خطه منسوباً . وكتب كتباً كثيرة بخطه ، وقد رأيت منها نحو مائة مجلد أو اكثر في الطب وغيره . واشتغل بالعربية على الشيخ تاج الدين الكندي أبي اليمن ، ولم يزل مجتهداً في تحصيل العلوم وملازمة القراءة والحفظ حتى في اوقات خدمته وهو في سن الكهولة . وكان في اول اشتغاله بصناعة الطب قد قرأ شيئاً من المكي على الشيخ رضي الدين الرحي رحمه الله . ثم بعد ذلك لازم موفق الدين بن المطران وتلمذ له ، واشتغل عليه بصناعة الطب . ولم يزل ملازماً له في أسفاره وحضره الى ان تميز ومهر . واشتغل بعد ذلك ايضاً على فخر الدين المارديني لما ورد الى دمشق في سنة تسع وسبعين وخمسمائة بشيء من القانون لابن سينا . وكان فخر الدين المارديني كثير الدراية لهذا الكتاب والتحقيق لمعانيه وخدم الحكيم مذهب الدين الملك العادل أبا بكر بن أيوب بصناعة الطب ، وكان السبب في ذلك أنه في اول امره كان يعاني صناعة الكحل ويحاول اعمالها ، وخدم بها في البيارستان الكبير الذي انشأه ووقفه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي . ثم بعد ذلك لما اشتغل على ابن المطران ، ووسم بصناعة الطب ، اطلق له الصاحب صفي الدين بن شكر وزير الملك العادل ابي بكر بن أيوب جامكية على الطب وخدم بها ، وهو مع ذلك يشتغل ويتزايد في العلم والعمل ، ولا

يُجَلُّ بِخْدَمَةِ الصَّاحِبِ صَفِيِّ الدِّينِ بْنِ شَكْرٍ وَالتَّرَدُّدِ إِلَيْهِ . وَعَرَفَ الصَّاحِبُ مَنْزِلَتَهُ فِي صِنَاعَةِ الطَّبِّ وَعِلْمِهِ وَفَضْلِهِ . وَلَمَّا كَانَ فِي شَهْرِ شَوَّالٍ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسِتِّائَةٍ كَانَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ قَدْ قَالَ لِلصَّاحِبِ بْنِ شَكْرٍ : نَزِيدُ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْحَكِيمِ مُوَفَّقُ الدِّينِ عَبْدِ الْعَزِيزِ حَكِيمٌ آخَرٌ ، بِرِسْمِ خِدْمَةِ الْعَسْكَرِ وَالتَّرَدُّدِ إِلَيْهِمْ فِي أَمْرَاضِهِمْ ، فَإِنَّ الْحَكِيمَ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَا يَلْحَقُ لَذَلِكَ ، فَاِمْتَثِلْ أَمْرَهُ وَقَالَ : هَهُنَا حَكِيمٌ فَاضِلٌ فِي صِنَاعَةِ الطَّبِّ يُقَالُ لَهُ الْمَهْذَبُ الدُّخْوَارُ يَصْلَحُ أَنْ يَكُونَ فِي خِدْمَةِ مَوْلَانَا . فَأَمَرَهُ بِاسْتِخْدَامِهِ .

وَلَمَّا حَضَرَ مَهْذَبُ الدِّينِ عِنْدَ الصَّاحِبِ قَالَ لَهُ : أَنِي شَكَرْتُكَ لِلسُّلْطَانِ وَهَذِهِ ثَلَاثُونَ دِينَاراً فَاصْرِفْ لَكَ فِي كُلِّ شَهْرٍ وَتَكُونُ فِي الْخِدْمَةِ . فَقَالَ : يَا مَوْلَانَا الْحَكِيمُ مُوَفَّقُ الدِّينِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِائَةُ دِينَارٍ وَرَوَاتِبٌ مِثْلُهَا ، وَأَنَا أَعْرِفُ مَنْزِلَتِي فِي الْعِلْمِ وَمَا أَخْدُمُ بِدُونِ مَقْرَرِهِ . وَانْقَضَ عَنْ الصَّاحِبِ وَلَمْ يَقْبَلْ . ثُمَّ أَنَّ الْجَمَاعَةَ ذَمَّتْ مَهْذَبَ الدِّينِ عَلَى امْتِنَاعِهِ ، وَمَا بَقِيَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَعَاوِدَ الصَّاحِبَ لِيَخْدُمَ ، وَكَانَ مَقْرَرُهُ فِي الْبِيَارِ سِتَانِ شَيْءٍ يَسِيرٌ . وَاتَّفَقَ الْمُقَدُّورُ أَنْ بَعْدَ ذَلِكَ الْحَدِيثِ بِنَحْوِ شَهْرٍ ، وَكَانَ يَعَاوِدُ الْمُوَفَّقَ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَوْلُنَجْ صَعْبٌ فَعَرَضَ لَهُ وَتَزَايَدَ بِهِ وَمَاتَ مِنْهُ . وَلَمَّا بَلَغَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ مَوْتَهُ قَالَ لِلصَّاحِبِ : كُنْتُ قَدْ شَكَرْتُ لَنَا حَكِيمًا يُقَالُ لَهُ الْمَهْذَبُ نَزَلَهُ عَلَى مَقَرِّ الْمُوَفَّقِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَتَنَزَّلَ عَلَى جَمِيعِ مَقَرَّرِهِ ، وَاسْتَمَرَ فِي خِدْمَةِ الْمَلِكِ الْعَادِلِ مِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ . ثُمَّ لَمْ تَزَلْ تَسْمُو مَنْزِلَتُهُ عِنْدَهُ ، وَتَقَرَّبَ أَحْوَالُهُ ، حَتَّى صَارَ جَلِيلِيَّةً وَأُنَيْسَةً وَصَاحِبَ مَشُورَةٍ .

وظَهَرَ أَيْضًا مِنْهُ فِي أَوَّلِ خِدْمَتِهِ لَهُ نَوَادِرُ فِي تَقْدِيمَةِ الْمَعْرِفَةِ ، أَكْدَتْ حَسْنَ ظَنِّهِ بِهِ وَاعْتِمَادَهُ عَلَيْهِ . وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ الْعَادِلَ كَانَ قَدْ مَرَضَ وَلاَزَمَهُ أَعْيَانُ الْأَطْبَاءِ ، فَأَشَارَ الْحَكِيمُ مَهْذَبُ الدِّينِ عَلَيْهِ بِالْفَصْدِ فَلَمْ يَسْتَصِوبْ ذَلِكَ الْأَطْبَاءُ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ ، فَقَالَ وَاللَّهِ لَمْ نَخْرُجْ لَهُ دَمًا إِلَّا خَرَجَ الدَّمُ بِغَيْرِ اخْتِيَارِنَا . وَلَمْ يُوَافِقُوهُ فِي قَوْلِهِ فَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيْسَرِ وَقْتُ الْإِلَاسِ وَالسُّلْطَانُ قَدْ رَعَفَ رِعَافًا كَثِيرًا وَصَلَحَ فَعَرَفَ أَنَّ مَا فِي الْجَمَاعَةِ مِثْلُهُ . وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا عَلَى بَابِ دَارِ السُّلْطَانِ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَطْبَاءِ الدُّورِ فَخَرَجَ خَادِمٌ وَمَعَهُ قَارُورَةٌ جَارِيَةٌ يَسْتَوْصِفُ لَهَا مِنْ شَيْءٍ يُؤْلِمُهَا ، فَلَمَّا رَأَاهَا الْأَطْبَاءُ وَصَفَوْهَا لَهَا مَا حَضَرَهُمْ ، وَعِنْدَمَا عَايَنَهَا الْحَكِيمُ مَهْذَبُ الدِّينِ قَالَ : إِنَّ هَذَا الْأَلَمَ الَّذِي تَشْكُوهُ لَمْ يَوْجِبْ هَذَا الصَّبْغَ الَّذِي لِلْقَارُورَةِ . يَوْشَكَ أَنَّهُ يَكُونُ الصَّبْغُ مِنْ حَنَاءٍ قَدْ اخْتَضَبْتَ بِهِ ، فَاعْلَمْهُ الْخَادِمُ بِذَلِكَ وَتَعَجَّبَ مِنْهُ ، وَخَبَرَ الْمَلِكَ الْعَادِلَ فَتَزِيدَ حَسْنَ اعْتِقَادِهِ فِيهِ .

وَمِنْ مُحَاسِنِ مَا فَعَلَهُ الشَّيْخُ مَهْذَبُ الدِّينِ مِنْ كَيْلِ مَرُوءَتِهِ وَوَافِرِ عَصَبِيَّتِهِ ، حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : كَانَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ قَدْ غَضِبَ عَلَى قَاضِي الْقَضَاةِ مَحْيِيِّ الدِّينِ بْنِ زَكِيِّ الدِّينِ بِدَمَشْقٍ لِأَمْرِ نَقَمٍ عَلَيْهِ بِهِ ، وَأَمَرَ بِاعْتِقَالِهِ فِي الْقَلْعَةِ ، وَرَسَمَ عَلَيْهِ أَنْ يَزْنَ لِلسُّلْطَانِ عَشْرَةَ أَلْفٍ دِينَارٍ مِصْرِيَّةٍ وَشَدَّدَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ ، وَبَقِيَ فِي الْحَبْسِ وَالْمِطَالَبَةِ عَلَيْهِ كُلِّ وَقْتٍ فَوْزْنَ الْبَعْضِ وَعَجَزَ عَنْ وَزْنِ بَقِيَّةِ الْمَالِ . وَعَظَّمَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ عَلَيْهِ الْأَمْرَ وَقَالَ : لَا بَدَّ أَنْ يَزْنَ بَقِيَّةَ الْمَالِ وَالْأَعْذِبَتِهِ . فَتَحَيَّرَ الْقَاضِي وَأَبْلَغَ جَمِيعَ مَوْجُودِهِ وَآثَاتِ بَيْتِهِ حَتَّى الْكُتُبَ الَّتِي لَهُ ، وَتَوَسَّلَ إِلَى السُّلْطَانِ وَتَشَفَّعَ بِكَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَالْخَوَاصِّ وَالْإِكْبَارِ ، مِثْلَ الشَّمِيسِ اسْتَاذِ الدَّارِ وَشَمْسِ الْخَوَاصِّ صَوَابٍ وَالْوَزِيرِ وَغَيْرِهِمْ أَنْ يَسَامَحَهُ بِالْبَعْضِ ، أَوْ يَسْقُطَ عَلَيْهِ فَمَا

فعل السلطان ، وحل القاضي ما عطيماً على ذلك حتى قل أكله ونومه ، وكاد يهلك فافتقده الحكيم مذهب الدين ، وكان بينهما صداقة قديمة ، وشكا اليه حاله ، وسأله للمساعدة بحسب ما يقدر عليه ففكر مذهب الدين وقال : انا ادبر لك أمراً وأرجو أن يكون فيه نفع لك ان شاء الله تعالى وفارقه .

وكانت سرية الملك العادل أم الملك الصالح اسمعيل بن الملك العادل متغيرة المزاج في تلك الايام . وكانت تركية الجنس وعندها عقل ودين وصلاح ولها معروف كثير وصدقات . فلما حضر الحكيم مذهب الدين عندها وزمام الدور أوجدها مذهب الدين حال القاضي وضرره وانه مظلوم وقد الزمه السلطان بشيء لا يقدر عليه ، وطلب منها شفاعته لعل السلطان ينظر اليه بعين الرحمة ويساعده ببعض أو يقسط عليه ، وساعده الزمام في ذلك فقالت : والله كيف لي بالخير للقاضي وان اقول للسلطان عنه . ولكن ما يمكن هذا فان السلطان يقول لي ايش الموجب انك تتكلمي في القاضي ، ومن اين تعرفيه ولو كان هو في المثل حكيم يتردد اليها ، او تاجر يشتري لنا القماش كان فيه توجه للكلام والشفاعة ، وهذا لما يمكن أتكلم فيه . فقال لها الحكيم يا سقي انت لك ولد ومالك غيره وتطلبي له السعادة والبقاء ، وتلقي من الله كل خير بشيء تقدرني تفعل به ، وما تقولي للسلطان شفاعته اصلاً . فقالت ايش هو ؟ فقال وقت يكون السلطان وانتم نيام توجديه انك أبصرت مناماً في ان القاضي مظلوم . وعرفها ما تقول ، هذا يمكن .

ولما تكاملت عافيتها ، وكان الملك العادل نائماً عندها وهي الى جانبه انتبهت في أواخر الليل ، وأظهرت انها مرعوبة وأمسكت فؤادها وبقيت ترتعد وتبكي ، فانتبه السلطان وقال : مالك ؟ وكان يجبه كثيراً فلم تجبه بما بها . فأمر باحضار شراب تفاح وسقماها ورش على وجهها ماء ورد . وقال : أما تخبريني ايش جرى عليك وايش عرض لك ؟ فقالت : يا خوند منام عظيم هالتي ، وكدت اموت منه . وهو انني رأيت كأن القيامة قد قامت ، وخلق عظيم ، وكان في موضع به نيران كثيرة تشعل وناس يقولون هذا للملك العادل لكونه ظلم القاضي . ثم قالت : هل فعلت قط بالقاضي شيئاً ؟ فما شك في قولها وانزعج ، ثم قام لوقته وطلب الخدام وقال : امضوا الى القاضي وطيبوا قلبه وسلموا عليه عني ، وقولوا له يحملني في حل بما تم عليه وان جميع ما وزنه يعاد اليه ، وما اطالبه بشيء فراحوا اليه وفرح القاضي غاية الفرح بقولهم ، ودعا للسلطان وجعله في حل . ولما أصبح أمر له بخلعة كاملة زينة واعاده الى القضاء ، وأمر بالمال الذي وزنه ان يحمل اليه من الخزنة . وان جميع ما باعه من الكتب وغيرها تسترجع من المشترين لها ويعطوا الثمن الذي وزنه . وحصل للقاضي الفرج باهون سمي وألطف تدبير .

قال : ولما كان الملك العادل بالشرق ، وذلك في سنة عشر وستائة مرض مرضاً صعباً وتولى علاجه الحكيم مذهب الدين إلى ان برىء مما كان به فحصل له منه في تلك المرضة نحو سبعة آلاف دينار مصرية ، وبعث اليه ايضاً اولاده الملك العادل وسائر ملوك الشرق وغيرهم الذهب والخلع والبغلات باطواق الذهب وغير ذلك . وكذلك توجه الملك العادل الى الديار المصرية في سنة اثني عشرة وستائة واقام بالقاهرة ، أتى في ذلك الوقت وباء عظيم الى ان هلك اكثر الخلق . وكان قد مرض الملك

الكامل ابن الملك العادل ، ومرض كثير من خواصه ، وهو صاحب الديار المصرية فعامله بالطف علاج الى ان برىء . وحصل له ايضاً من الذهب والخلع والعطايا السنينة شيء كثير . وكان مبلغ ما وصل اليه من الذهب نحو اثني عشر الف دينار واربع عشرة بغلة باطواق ذهب ، والخلع الكثيرة من الثياب الاطلس وغيرها .

أقول : وولاه السلطان الكبير في ذلك الوقت رئاسة اطباء ديار مصر بأسرها واطباء الشام ، وكنت في ذلك الوقت مع ابي وهو في خدمة الملك العادل ففوض اليه النظر في أمر الكحالين واعتبارهم ، وان من يصلح منهم لمعالجة أمراض العين ويرتضيه يكتب له خطأ بما يعرفه منه ففعل ذلك . ولما كان في سنة اربعة عشرة وستمائة وسمع الملك العادل بتحريك الفرنج في الساحل أتى الى الشام ، واقام بمرج الصفر ثم حصل له وهو في أثناء ذلك مرض وهو بمنزله بخانقين^(١) . وتوفي رحمه الله بها في الساعة الثانية من يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستمائة . ولما استقر ملك الملك المعظم بالشام استخدم جماعة عدة ممن كانوا في خدمة ابيه الملك العادل ، وانتظم في خدمته منهم من الحكماء الحكيم رشيد الدين بن الصوري وآبي . واما الحكيم مهذب الدين فانه اطلق له جامكية وجراية ، ورسم انه يقيم بدمشق ، وان يسترد الى البيارستان الكبير الذي انشأه الملك العادل نور الدين بن زنكي ويعالج المرضى به .

ولما اقام الشيخ مهذب الدين بدمشق شرع في تدريس صناعة الطب ، واجتمع اليه خلق كثير من اعيان الاطباء وغيرهم يقرأون عليه ، واقمت انا بدمشق لاجل القراءة عليه . واما اولاً فكنت اشتغل عليه في المعسكر لما كان ابي والحكيم مهذب الدين في خدمة السلطان الكبير فبقيت اتردد اليه مع الجماعة ، وشرعت في قراءة كتب جالينوس ، وكان خبيراً بكل ما يقرأ عليه من كتب جالينوس وغيرها . وكانت كتب جالينوس تعجبه جداً . واذا سمع شيئاً من كلام جالينوس في ذكر الامراض ومداواتها والاصول الطبية يقول هذا هو الطب . وكان طلق اللسان حسن التأدية للمعاني جيد البحث لازمته ايضاً في وقت معالجته للمرضى بالبيارستان فتدربت معه في ذلك وباشرت أعمال صناعة الطب . وكان في ذلك الوقت ايضاً معه في البيارستان لمعالجة المرضى الحكيم عمران وهو من اعيان الاطباء واكابرهم في المداواة والتصرف في انواع العلاج فتضاعفت الفوائد المقتبسة من اجتماعها ، وبما كان يجري بينها من الكلام في الامراض ومداواتها وبما كانا يصفاه للمرضى .

وكان الحكيم مهذب الدين يظهر من ملح صناعة الطب ومن غرائب المداواة والتقصي في المعالجة والاقدام بصفات الادوية التي تبرىء في أسرع وقت ما يفوق به أهل زمانه ، ويحصل من تأثيرها شيء كأنه سحر . ومن ذلك انني رأيت يوماً وقد أتى محموم بحمى محرقة وقواريره في غاية الحدة فاعتبر قوته ، ثم أمر بأن يترك له في قدح بزور من الكافور مقداراً صالحاً عينه لهم في الدستور ،

(١) بلدة في العراق في الطريق بين بغداد وخراسان على نهر خلوان تشاي . وعندها حدثت وقعة بين العرب والفرس

وان يشربه ولا يتناول شيئاً غيره ، فلما أتينا من الغد وجدنا ذلك المريض والحمل قد انحطت عنه ، وقارورته ليس فيها شيء من الحدة . ومثل هذا أيضاً انه وصف في قاعة المرور لمن به المرض المسمى مانيا ، وهو الجنون السبعي ، ان يضاف الى ماء الشعير في وقت اسقائه اياه مقدار متوفر من الافيون ، فصلاح ذلك الرجل وزال ما به من تلك الحال . ورأيت يوماً في قاعة المحمومين وقد وقفنا عند مريض ، وجست الاطباء نبضه فقالوا عنده ضعف ليعطى مرقّة الفروج للتقوية فنظر اليه ، وقال : ان كلامه ونظر عينيه يقتضي الضعف . ثم جس نبض يده اليمنى وجس الاخرى وقال : جسوا نبض يده اليسرى . فوجدناه قوياً . فقال : انظروا نبض يده اليمنى وكيف هو من قريب كوعه قد انفرد العرق الضارب شعبتين ، فواحدة بقيت التي تجس والاخرى طلعت في أعلى الزند وامتدت الى ناحية الاصابع . فوجدناه حقاً . ثم قال : ان من الناس ، وهو نادر ، من يكون النبض فيه هكذا ، ويشبه على كثير من الاطباء ويعتقدون ان النبض ضعيف ، وانما يكون جسم لتلك الشبهة التي هي نصف العرق فيعتقدون ان النبض ضعيف . وكان في ذلك الوقت ايضاً في البيمارستان الشيخ رضي الدين الرحي ، وهو من اكبر الاطباء سناً واعظمهم قدراً واشهرهم ذكراً ، فكان يجلس على دكة ويكتب لمن يأتي الى البيمارستان ، ويستوصف منه للمرضى اوراقاً يعتمدون عليها وبأخذون بها من البيمارستان الاثرية والادوية التي يصفها . فكنت بعد ما يفرغ الحكيم مذهب الدين والحكيم عمران من معالجة المرضى المقيمين بالبيمارستان ، وانا معهم ، اجلس مع الشيخ رضي الدين الرحي فاعان كيفية استدلاله على الامراض ، وجملة ما يصفه للمرضى وما يكتب لهم ، وأبحث معه في كثير من الامراض ومداواتها . ولم يجتمع في البيمارستان منذ بني والي ما بعده من الزمان من مشايخ الاطباء كما اجتمع فيه في ذلك الوقت من هؤلاء المشايخ الثلاثة وبقوا كذلك مدة .

ثم انقضت تلك السنون وأهلها فكانها وكأنهم أحلام

وكان الشيخ مذهب الدين رحمه الله اذا تفرغ من البيمارستان ، واقتصد المرضى من اعيان الدولة واكابرها وغيرهم ، يأتي الى داره ثم يشرع في القراءة والدرس والمطالعة . ولا بد له مع ذلك من نسخ . فإذا فرغ منه اذن للجماعة فيدخلون اليه ويأتي قوم بعد قوم من الاطباء والمشتغلين . وكان يقرأ كل واحد منهم درسه ، ويبحث معه فيه ، ويفهم اياه بقدر طاقته ، ويبحث في ذلك مع المتميزين منهم ان كان الموضوع يحتاج الى فضل بحث ، او فيه اشكال يحتاج الى تحرير . وكان لا يقرئ أحداً إلا وبيده نسخة من ذلك الكتاب يقرأه ذلك التلميذ ، ينظر فيه ويقابل به ، فان كان في نسخة الذي يقرأ غلط أمره باصلاحه . وكانت نسخ الشيخ مذهب الدين التي تقرأ عليه في غاية الصحة ، وكانت اكثرها بخطه ، وكان أبداً لا يفارقه الى جانبه مع ما يحتاج اليه من الكتب الطبية ومن كتب اللغة كتاب الصحاح للجوهري ، والمجلد لابن فارس^(١) وكتاب النبات لابي حنيفة الدينوري . فكان اذا فرغت الجماعة من القراءة يعود هو الى نفسه فيأكل شيئاً ثم يشرع بقية نهاره في الحفظ والدرس

(١) احمد بن فارس لغوي ونحوي على طريقة الكوفيين ولد في جهة كبرسف رجباً بآبان وهما قريتان من رستاق الزهراء وتوفي في الري (١٠٠٤) اشهر كتبه « الجمل في اللغة » (ن. ر)

والمطالعة يسهر أكثر ليله في الاشتغال .

وكان أيضاً في ذلك الزمان يجتمع بالشيخ سيف الدين علي بن أبي علي الآمدي ، وكان يعرفه قديماً فلزمه في الاشتغال عليه بالعلوم الحكمية ، وحفظ شيئاً من كتبه ، وحصل معظم مصنفاته ليستقل بها مثل كتاب دقائق الحقائق ، وكتاب رموز الكنوز ، وكتاب كشف التعميمات في شرح التنبيهات وكتاب أبقار الأفكار ، وغير ذلك من مصنفات سيف الدين . ثم بعد ذلك أيضاً نظر في علم الهيئة والنجوم ، واشتغل بها على أبي الفضل الاسرائيلي المنجم ، واقتنى من آلات النحاس التي يحتاج إليها في هذا الفن ، ما لم يكن عند غيره ومن الكتب شيئاً كثيراً جداً . وسمعه يحكي ان عنده ست عشرة رسالة غريبة من الاضطراب لجماعة من المصنفين . وفي أثناء ذلك طلبه الملك الاشرف أبو الفتح موسى ابن الملك العادل وهو بالشرق فتوجه اليه ، وذلك في شهر ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وستائة . وقال لي انه خرج منه في هذه السفرة لما عزم على الحركة من شراء بغلات وخيم وآلات لا بد منها للسفر عشرون الف درهم . ولما وصل ذلك الى الملك الاشرف أكرمه وأحسن اليه ، وأطلق له اقطاعاً في الشرق يغل له في كل سنة ألف وخمسمائة دينار فبقي معه مدة ، ثم عرض له ثقل في لسانه واسترخاء فبقي لا يسترسل في الكلام ووصل الى دمشق لما ملكها الملك الاشرف في سنة ست وعشرين وستائة ، وهو معه فولاه رئاسة الطب . وبقي كذلك مديدة ، وجعل له مجلساً لتدريس صناعة الطب . ثم زاد به ثقل لسانه حتى بقي اذا حاول الكلام لا يفهم ذلك منه إلا بعسر . وكانت الجماعة تبحث قدامه فاذا استعصى معنى يجيب عنه بأيسر لفظ يدل على كثير من المعنى . وفي أوقات يعسر عليه الكلام فيكتبه في لوح وتنتظر الجماعة . ثم اجتهد في مداواة نفسه ، واستفرغ بدنه بعدة أدوية مسهلة ، وكان يتناول كثيراً من الادوية والمعاجين الحارة ويغذي بمثلها فعرضت له حمى وتزايدت به حتى ضعفت قوته وتوالت عليه امراض كثيرة . ولما جاء الأجل بطل العمل .

واذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تيممة لا تنفع

وكانت وفاته رحمه الله في الليلة التي صبيحتها يوم الاثنين خامس عشر صفر سنة ثمان وعشرين وستائة ودفن بجبل قاسيون ولم يخلف ولداً .

ولما كان في سنة اثنتين وعشرين وستائة ، وذلك قبل سفر الشيخ مهذب الدين عبد الرحيم بن علي عند الملك الاشرف وخدمته له ، وقف داره وهي بدمشق عند الصاغة العتيقة شرقي سوق المناخلين ، وجعلها مدرسة يدرس فيها من بعده صناعة الطب ، ووقف لها ضياعاً وعدة اماكن يستغل ما ينصرف في مصالحها ، وفي جامكية المدرس وجامكية المشتغلين بها . ووصى ان يكون المدرس فيها الحكيم شرف الدين علي بن الرحي وابتدأ بالصلاة في هذه المدرسة يوم الجمعة صلاة العصر ثامن ربيع الاول سنة ثمان وعشرين وستائة .

ولما كان يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الآخر سنة ثمان وعشرين وستائة حضر الحكيم سعد الدين ابراهيم بن الحكيم موفق الدين عبد العزيز ، والقاضي شمس الدين الخوثي والقاضي جمال الدين

الخرستاني ، والقاضي عزيز الدين السنجاري وجماعة من الفقهاء والحكام . وشرع الحكيم شرف الدين ابن الرحي في التدريس بها في صناعة الطب واستمر على ذلك ، وبقي سنين عدة . ثم صار المدرس فيما بعد الحكيم بدر الدين المظفر بن قاضي بعلبك . وذلك انه لما ملك دمشق الملك الجواد مظفرالدين يونس بن شمس الدين ممدود ابن الملك العادل ، كتب للحكيم بدر الدين ابن قاضي بعلبك منشوراً برياسته على سائر الحكماء في صناعة الطب ، وان يكون مدرساً للطب في مدرسة الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي . وتولى ذلك في يوم الاربعاء رابع صفر سنة سبع وثلاثين وستائة .

وأنشدني مهذب الدين أبو نصر محمد بن محمد بن ابراهيم بن الخضر الحلبي ، قال : أنشدني الشيخ الاديب شهاب الدين فتيان بن علي الشاغوري لنفسه بمدح الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي

انعم ولد بأقدار تواتيكاً حتى تنال بها أقصى امانيكاً
مهذب الدين يا عبد الرحيم لقد شأوت يا ابن علي من يباريكاً
فازت قداحك (١) في حفظ الدروس بأيام سلفن وما خابت لياليكاً
ما زلت تسمى لكسب الحمد مجتهداً حتى بلغت الأماني من مساعيكاً
أنت امرؤ أودعت ألفاظه حكماً أملت دقيق المعاني من معانيكاً
حتى ربيت بحجر العلم متخذاً لك التواضع لبساً في تعاليكاً
فللمعاني ابتسام في خلائك الحسن مثل ابتسام الحمد في فيكاً
يا من له قلم كم مد من لقم في الفضل سبحان باريه وباريكاً
لك الثناء جيلاً حيث كنت فما خلق عن المجد والعليا يثنيكاً
متى نادى المجيد المدح في مدح يبدأ أقصى المدى الذي فيكاً
يا جامعاً حسباً عدا الى ادب جم عدمت امرءاً في الجود بحكيكاً
عندي اليك صبايات يؤكدها حسن الوفاء بمعروف يوافيكاً
ولي اليك اشتياق لا يفارقني يا ليت لي سبباً للوصول مسلوكاً
ولو تهيأ لي المسمى اليك لما فارقت بابك بواباً أفاجيكاً
لكني في يدي شيخوخة وضنا قد غادر الجسم منهوباً ومنهوكاً
كم همة لك قد أوفت على الفلك الاعلى بأخصها كيوان (٢) معروكا
وددت أن علياً والرشيد معاً عاشا وقد رأيا ما الله يوليكا
كلاهما كان في سر وفي علن لك الحب فما ينفك بطريكاً
عش وابق وارفل طوال الدهر في خلع الملوك واخلع قلوباً من اعاديكاً
ولا تزل أبداً في باب دارك للرسل ازحام الى السلطان تدعوكا
ونلت بالعادل الميمون طائره قصوى بالمنى منجماً فيه تدوايكاً

(١) واحدا قدح وهو سهم الميسر .

(٢) زحل . (ن. ر)

فهو الذي ثل عرش الشرك اذ دمهم
معود النصر والفتح القريب فسل
ستهزم الملك الانكور وثبتته
دع حمل هم دمشق الله كالها
هل الرئيس ابن سينا وهو يطرب
وهل مقالات جالينوس صادرة
فنعم حدث ملوك أنت أفلح من
كم قلت لابن خروف دع هجاءك من
حتى هوى. بحضض قد تبوأه
وعشت أنت غنياً بالهبات ومن
دمشق جنة عدن للمقيم بها
شوت كل ابن خروف نار سعدك اذ
فكم أسير سقام من جوامعه
نزهت عن هفوات يستفز بها
ولم تضع صلوات ما برحت لها
ولم تكن راغباً في شرب صافية

أمسى وأضحى بسيف الدين مسفوكا
به الملوك فكل عنه ينيكا
وفي كلاء سنان الرمح مشكوكا
بما تخوفه والله كاليكا
بالقانون وافاك بالبشرى يغنيكا
عما تقول فتأويها فتاويكا
منهم بناديه في الجلى يناديكا
تنمى سعادته يا أنوكا النوكا
الى القيامة ما ينفك مدكوكا
عاداك مات شديد الفقر صعلوكا
فلا نأت عن مغانيها مغانيكا
دعا به نحسه يوماً ليهجوكا
جعلته بعد ضيق الأسر مفكوكا
سواك من اللخنا يبغي المماليك
حماً بخير تحيات تحييك
صحت فأصبح منها العقل موعوكا

(البسيط)

أقول وكان هذا ابن خروف الذي ذكره شهاب الدين فتیان مغربياً شاعراً ، وكان كثير الهجاء
للحكيم مذهب الدين ، وكان آخرة ابن خروف انه توجه الى حلب ، ومدح صاحبها الملك الظاهر
غازي بن صلاح الدين ، وانشده المديح : ولما فرغ تأخر القهقري الى خلف ، وكان ثم بئر فوق
فيها ومات .

ومن شعر مذهب الدين عبد الرحيم بن علي ، قال وكتب به الى عمي الحكيم رشيد الدين علي بن
خليفة في مرضه مرضها .

يا من أومله لكل ملة وأخاف ان حدثت له أعراض
حوشيت من مرض تعاد لاجله وبقيت ما بقيت لنا أعراض
انا نعدك جوهراً في عصرنا وسواك ان عدوا فهم أعراض

(الكامل)

ولمذهب الدين عبد الرحيم بن علي من الكتب : اختصار كتاب الحاوي في الطب للرازي . اختصار
كتاب الاغانى الكبير لابي الفرج الاصفهاني . مقالة في الاستفراغ الفها بدمشق في شهر ربيع الاول
سنة اثنتين وعشرين وسبائة . كتاب الجنينة في الطب . تعاليق ومسائل في الطب وشكوك طبية ورد

أجوبتها له . كتاب الرد على شرح ابن صادق لمسائل حنين . مقالة يرد فيها على رسالة ابي الحجاج يوسف الاسرائيلي في ترتيب الاغذية اللطيفة والكثيفة في تناولها .

عمي رشيد الدين علي بن خليفة

هو أبو الحسن علي بن خليفة بن يونس بن أبي القاسم بن خليفة ، من الخزر^(١) من ولد سعد بن عبادة^(٢) . مولده بجلب في سنة تسع وسبعين وخمسمائة . وكان مولد أبي قبله في سنة خمس وسبعين وخمسمائة بالقاهرة المعزية، ونشأ أيضاً بالقاهرة واشتغلا بها وذلك ان جدي رحمه الله كانت له همة عالية ومحبة للفضائل واهلها، وله نظر في العلوم، ويعرف بان ابي اصبيعة ، وكان قد توجه الى الديار المصرية عندما فتحها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب. وكان في خدمته وخدمة أولاده، وكان من جملة معارف جدي واصدقائه من دمشق جمال الدين أبي الحوافر الطبيب، وشهاب الدين ابو الحجاج يوسف الكحل وذلك ان مولد جدي كان بدمشق، ونشأ بها وأقام سنين كثيرة . فلما اجتمع بجمال الدين بن ابي الحوافر بمصر وبأبي الحجاج يوسف، وكان قد ترعرع أبي وعمي، وقصد الى تعليمها صناعة الطب لمعرفة بشرها، وكثرة احتياج الناس اليها ، وان صاحبها الملتزم لما يجب من حقوقها يكون مبعجلاً حظياً في الدنيا ، وله الدرجة العليا في الآخرة . وترك أبي وعمي يلزمان دينك الشيخين ويغتنمها . فلزم أبي أبا الحجاج يوسف واشتغل بصناعة الكحل، وبأمر معه أعمالها . وكان أبو الحجاج يكحل في البيمارستان بالقاهرة غير الموضع الذي صار حينئذ بالقاهرة بيارستانا ، وهو من جملة القصر . وكان البيمارستان في ذلك الوقت في السقطين أسفل القاهرة ، وكان جدي يسكن الى جانبه ، فبقي أبي ملازماً لأبي الحجاج يوسف ومتعلماً منه الى ان أتقن صناعته ، وقرأ ايضاً على غيره من أعيان المشايخ الاطباء في ذلك الوقت بمصر مثل الرئيس موسى القرطبي صاحب التصانيف المشهورة ومن هو في طبقة . ولازم عمي لجمال الدين بن أبي الحوافر واشتغل عليه بصناعة الطب .

واول اشتغال عمي بالعلم انه كان عند تقي المعلم ، وهو أبو التقي صالح بن أحمد ابراهيم بن الحسن ابن سليمان العرشي المقدسي . وكان هذا تقي يعرف علوماً كثيرة، وكانت له سيرة حسنة في التعلم في الكتب ، وسياسة مشهورة عنه لم يكن أحد يقدر عليها إلا هو. ولما اتقن عمي رحمه الله حفظ القرآن عند تقي وعلم الحساب ، وشرع في تعلم صناعة الطب والنظر فيه لازم جمال الدين بن أبي الحوافر، وكان في ذلك الوقت رئيس الاطباء بالديار المصرية ، وصاحبها الملك العزيز عثمان بن عبد الملك الناصر صلاح الدين . وقرأ عليه شيئاً من كتب جالينوس الستة عشر ، وحفظ منها الكتب الاولى في أسرع وقت .

(١) قبيلة يمنية اقترن اسمها دائماً مع قبيلة اخرى هي الاروس وهما من اصل واحد . وهاجرت بعد تدهم سد مأرب من سيل العرم من الجنوب الى المدينة وانتشرت حتى خيبر وتبء وانصرت مع الاروس النبي (ص) على قريش واعتنقت الاسلام . وكانوا ينطقون الجيم الحرساء فرحلوا الى مصر ونشروا فيها نطقهم .

(٢) صحابي خزرجي ضد جرح النبي بعد وقعة أحد توفي في حوران سنة ٦٣٦ . (ن. د)

ثم باحث الاطباء ولازم مشاهدة المرضى بالبيارستان ، ومعرفة امراضهم ، وما يصف الاطباء لهم ، وكان فيه جماعة من أعيان الاطباء . ثم قرأ في اثناء ذلك علم صناعة الكحل ، وباشر أعمالها عند القاضي نفيس الدين الزبير ، وكان المتولي للكحل في ذلك الوقت في البيارستان . وكذلك أيضاً باشر معه في البيارستان اعمال الجراح . وكان الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي يومئذ في القاهرة ، وكان صديقاً لجدي وبينهما مودة أكيدة فاشتغل عني عليه بشيء من العربية والحكمة . وكان يبحث معه في كتب ارسطوطاليس ويناقشه في المواضع المشكلة منها وكان يجتمع أيضاً بسديد الدين ، وهو علامة في العلوم الحكيمة ، ويشغل عليه .

وكان أيضاً قبل ذلك قد اشتغل بعلم النجوم على أبي محمد بن الجعدي . وكان هذا الشيخ فاضلاً في علم النجوم متميزاً في أحكامه ، وكان لحق الخلفاء المصريين ، ويعد من الخواص عندهم . وكانت أبوه من أعيان الامراء في دولتهم . وأما صناعة الموسيقى فكان قد أخذها عن ابن الديجور المصري ، وعن صفى الدين أبي علي بن التبان . ثم بعد ذلك أيضاً اجتمع بأعيان المصنفين في هذا الفن مثل البهاء المصلح الكبير وشهاب الدين النقجوني وشجاع الدين بن الحصن البغدادي ومن هو في طبقتهم وأخذ عنهم كثيراً من تصانيف العرب والعجم . ولم يكن لعمي دأب في سائر أوقاته من صغره إلا النظر في العلوم والاشتغال ، وتكميل نفسه بالفضائل . ولما عاد جدي الى الشام وانتقل إليها ، وذلك في سنة سبع وتسعين وخمسة ، وكان لعمي في ذلك الوقت من العمر نحو العشرين سنة ، شرع عمي في معالجة المرضى والتزيد في صناعة الطب . وكان في دمشق الشيخ رضي الدين يوسف بن حيدرة الرحيبي ، وكان كثير الصداقة لجدي من السنين الكثيرة ، وسمع بعمي ولما شاهده ورأى تحصيله فرح به ، وبقي عمي يحضر مجلسه ويقرأ عليه ، ويبحث معه في صناعة الطب . وباشر المرضى في البيارستان الذي انشأه الملك العادل نور الدين بن زنكي وكان فيه من الاطباء موفق الدين بن الصرف ، والشيخ مهذب الدين عبد الرحيم بن علي .

واشتغل أيضاً بالحكمة في ذلك الوقت على موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادي ، لانه كان أيضاً قد عاد الى الشام ، وكان بدمشق أيضاً جماعة من أهل الأدب ومعرفة العربية : مثل زين الدين بن معطي فلازمه واشتغل عليه ، ومثل تاج الدين بن حسن الكندي أبي اليمن ، وكان صديقاً لجدي ، وبينهما مودة سائلة من عند عز الدين فرخشاه . فلازمه عمي أيضاً واشتغل عليه بالعربية ، وأتقن عمي هذه العلوم بأسرها ، وصار شيخاً يقتدى به في صناعة الطب ، ويشغل عليه بها . وله من العمر دون الخمس وعشرين سنة . وكان أيضاً يشعر ويترسل ، وكان يتكلم بالفارسية ويعرف تصاريف لغة الفرس وينظم شعراً بالفارسي . وكان أيضاً يتكلم بالتركي . ولما كان في يوم الجمعة خامس عشر شهر رمضان سنة خمس وستائة ، استدعاه السلطان الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب وسمع كلامه ، وحسن موقعه عنده وأنعم عليه ، وأمر أن ينتظم في خدمته فاتفقت تعاويق من حركات السلطان .

وبعد ذلك بأيام سمع به صاحب بعلبك ، وهو الملك الامجد مجد الدين بهرام شاه بن عز الدين

فرخشاہ بن شاہان شاہ بن آیوب ، فبعث الیہ يستدعيه ويستدعي جدي لانه كان يعرفه من عهد أبيه . فلما وصلا اليه تلقاهما وأحسن اليهما غاية الاحسان ، وأطلق لهما الجامكية . والجراية والرتب . وحسن موقع عمي عنده جداً حتى كان لا يفارقه في اكثر اوقاته ، ولما رأى علمه بالحساب ، وجودة تصرفه فيه ، طلب منه يريه شيئاً من الحساب فامثل أمره ، وعرفه جملة منه ، وألف له كتاباً في الحساب يحتوي على اربع مقالات . وكان للملك الامجد رحمه الله نظر في الفضائل ، ورغبة في أهلها ، وينظم شعراً جيداً وله ديوان مشهور .

ولما كان في سنة تسع وستائة مرضت عيني خادم يقال له سليطة للسلطان الملك العادل أبي بكر ابن آیوب وهو يعزه كثيراً ، وتفاقم المرض في عيني حتى هلكت ويش منها . ورآه المشايخ من الأطباء والكحالين ، وكل عجز عن مداواته ، وأجمعوا انه قد عمي ، وان المداواة لم يبق لها فيه تأثير أصلاً . ولما رآه أبي وتأمل عيني قال : أنا أدأوي عيني هذا ويبرأ بها ان شاء الله تعالى . وشرع في مداواته وفي علاجه ، وعيناه في كل وقت تصلح حتى كملت عافيته وبرأ برأ تاماً ، وركب وعاد الى ما كان عليه أولاً حتى كان يتعجب منه . وظهرت منه في مداواته معجزة لم يسبق اليها فأحسن الملك العادل ظنه به كثيراً ، واکرمه غاية الاكرام من الخلع وغيرها . وكان له قبل ذلك أيضاً تردد الى الدور السلطانية بالقلعة بدمشق وداوى بها جماعة كانت في أعينهم أمراض صعبة فصلحوا في اسرع وقت .

وعرف بذلك أيضاً الملك العادل وقال : مثل هذا يجب أن يكون معي في السفر والحضر ، وطلبه للخدمة فسأل أن يعفى ، وان يكون مقيماً بدمشق فلم يجبه الى ذلك ، واطلق له جامكية وجراية ، واستقرت خدمته له في خامس عشر ذي الحجة سنة تسع وستائة . وكان حظياً عنده وعند جميع أولاده الملوك ويعتمدون عليه في المداواة وله منهم الاحسان الكثير والافتقار التام . ولم يزل في الخدمة الى ان توفي الملك العادل رحمه الله وملك دمشق بعده الملك المعظم فامر ان يستمر في خدمته ، وكان له فيه أيضاً من حسن الاعتقاد والرأي مثل أبيه وأكثر وخدم الملك المعظم لاستقبال صفر سنة ست عشرة وستائة ، ولم يزل في خدمته الى ان توفي الملك المعظم رحمه الله .

ورسم الملك الناصر داود ابن الملك المعظم بان يستمر في خدمته ، وان يجري له ما كان مقرراً في أيام والده . فبقي معه الى ان اتفق توجه الملك الناصر الى الكرك ، فاقام أبي بدمشق وصار يتردد الى القلعة لخدمة الدور السلطانية لكل من ملك دمشق من اولاد الملك العادل وغيرهم ، وكلهم يرون له ويعتمدون عليه في المداواة ، وله الجامكية والجراية والانعام الكثير . ويتردد أيضاً الى بیمارستان نور الدين الكبير وله الجامكية والجراية . والناس يقصدونه من كل ناحية لما يجيدون في مداواته من سرعة البرء ، وان امراضاً كثيرة مما تكون مداواتها بالحديد يبرئها بذلك على اجود ما يمكن ومنها ما يعالجها بالادوية ويبرئها بها ويستغني أصحابها عن الحديد . وهذا المعنى قد مدحه جالينوس في كتابه في محنة الطبيب الفاضل وقال : « رأيت طبيباً يبرئ بالادوية الادواء التي يبرئها المعالجون بالحديد بالقطع فعد ذلك على ان له علماً ودربة وحذقاً . قال : « واحمد أيضاً من رأيت يبرئ بالادوية وحدها

من أدواء العين ما يعالجه غيره بالقطع ، مثل الظفرة^(١) والجرب^(٢) والبرد والماء والغلظ والشعر وزيادة اللحم الذي في المآقي ونقصانه . واحد ايضاً من رأيت حل من العين مادة محتقنة فيها بسرعة ، أو رد الطبقة التي يقال لها العنابية بعد أن تنأت نتوءاً كثيراً الى موضعها حتى لطئت^(٣) ، أو ظهر منه غير ذلك مما هو شبيه في علاج العين بغير حديد . هذا نص جالينوس . وقد رأيت كثيراً من ذلك وأمثاله قد تأتى لابي في المداواة وكثيراً ايضاً من أمراض العين التي قد يئس من برئها قد صلحت بمداواته . كما قال فيه بعض من عالجه وبرأ على يديه وهو شمس العرب البغدادي .

لسديد الدين في الطب يد	لم تزل تنقذ طرفاً من قذى
كم جلست عن مقلة من ظلمة	وأماطت عن جفون من أذى
لا يعاني طب عين في الوري	قط الا حاذق كان كذا
يا مسيح الوقت كم من اكه ^(٤)	بك أضحي مبصراً ذاك وذا
فبآرائك للداء دوا	وبألفاظك للروح غذا
لك عندي من لو انني	شاكر أسرها يا حبذا

(الرملة)

وشمس العرب هو ابو محمد عبد العزيز بن النفيس بن هبة الله بن وهبان السلمي . ولم يزل أبي متردداً إلى الخدمة بقلعة دمشق وإلى البيمارستان الكبير النوري الى ان توفي رحمه الله . وكانت وفاته في ليلة الخميس الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وستائة . ودفن ظاهر باب الفريديس في طريق جبل قاسيون ، وذلك في أيام الملك الناصر يوسف بن محمد صاحب دمشق . ولما كان عمي عند الملك الامجد ، وأتى الى بعلبك الملك المعظم لنجدة الملك الامجد عند عداوته الاسبتار ، واجتمعوا كان عمي يجتمع معهم . ولم يكن في زمانه من يعرف الموسيقى واللعب بالعود مثله ، ولا اطيب صوتاً منه . حتى انه شوهد من تأثر الانفس عند سماعه مثل ما يحكى عن أبي نصر الفارابي ، فكثير اعجاب الملك المعظم به جداً ، وبعد ذلك أخذه اليه واستمر في خدمته من أول جمادى سنة عشر وستائة ، وأطلق له الجاهلية والجراية . ولم يزل يواصله بالافتقار والانعام ، ولا يفارقه في أكثر أوقاته . وكان يعتمد عليه في صناعة الطب . وكذلك كان الملك الكامل محمد والملك الاشرف يعتمدان عليه . واذا حضر أحدهما عند أخيه الملك المعظم لا يزال عندهما . وكان له منها الانعام الكثير .

وأعرف مرة قد حضر الملك الكامل عند أخيه الملك المعظم ، وكان عمي معهما ، وكانوا في مجلس الانس فاعطى الملك الكامل له في تلك الليلة خلعة كاملة ، وخمسمائة دينار مصرية . ولما كان الملك

(١) دام في العين يتجللها منه غاشية كالظفر على بياض العين الى سوادها (٢) كالصدا يعلو باطن الجفن وربما ألبسه كله او ركب بعضه (ن.ر) .
(٣) لصقت .
(٤) اعى .

المعظم بدمشق ندبه أن يتولى كتابة الجيش ، واكد عليه في ذلك ، فلم يسمعه إلا امتثال امره ، وقعد في الديوان وحضر عنده الجماعة والنواب ، وشرع في الكتابة أياماً . ثم رأى ان اوقاته تمر بأسرها في الكتابة والحساب ، ولم يبق له وقت لنفسه ، ولاشتغاله في العلوم العقلية وغيرها ، فطلب من السلطان ان يعفيه من ذلك . وتشفع اليه بجماعة من خواصه حتى أقاله .

ولما كان في سنة احدى عشرة وستمائة حج الملك المعظم ، وحج عمي معه . ولم يزل في خدمته الى ان اتفقت لوبة عينا في نصف شعبان سنة اربع عشرة وستمائة ، وتقدمت الفرنج وتحالف الطريق بين السلطان الكبير الملك العادل وولده المعظم ، فضى عمي صحبة الملك العادل نحو دمشق ، ومضى الملك المعظم نحو نابلس . ثم خرج عمي من دمشق صحبة الملك الناصر داود ابن الملك المعظم ، ولما وصلوا عجلون^(١) أمر برجوع ولده فرجعوا . وبعد ذلك مرض عمي مرضاً وطال الى آخر السنة المذكورة فرأى ان الحركة تضربه ؛ وهو بالطبع يميل إلى الانفراد والاشتغال بالكتب . واستدعاه الملك العادل ابو بكر بن أيوب لما سمع بتحصيله وسيرته ، وذلك في الخامس من المحرم سنة خمس عشرة وستمائة وولاه طب البيارستانين بدمشق اللذين وقفها الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ، فكان يتردد اليها والى القلعة . وقرر له جامكية وجراية ، واطلقت له ايضاً ست الشام أخت الملك العادل جامكية في الطب ، وكان يتردد الى دارها

ولما أقام بدمشق وجعل له مجلساً عاماً لتدريس صناعة الطب، واشتغل عليه جماعة ، وكلهم تميزوا في الطب . وكان يجتمع في ذلك الوقت مع علم الدين قيصر بن أبي القاسم بن عبد الغني ، وهو علامة وقته في العلوم الرياضية فقرأ عليه علم الهيئة ، واتقنها في اسرع وقت . ولقد كان علم الدين يوماً عنده ، وهو يريه أشكالاً في علم الهيئة وقال له وانا أسمع : والله يا رشيد الدين هذا الذي قد علمته في نحو شهر دأب غيرك في خمس سنين حتى يعلمه . واجتمع أيضاً عمي في دمشق بالسيد الامام العالم شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه ، والبسه خرقة التصوف ، وذلك في العشرين من شهر رمضان سنة خمس عشرة وستمائة . وهذه نسخة ما كتبه له معها :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أنعم به المولى السيد الاجل ، الامام العالم ، شيخ الشيوخ ، صدر الدين ، حجة الاسلام ، علم الموحدين ، أبو الحسن محمد ابن الامام السيد الاجل العالم ، شيخ الشيوخ عماد الدين أبي حفص عمر بن ابي الحسن بن محمد بن حمويه ، أدام الله تأييده ، من الباس خرقة التصوف على مريده علي بن خليفة بن يونس الخزرجي الدمشقي وفقه الله على الطاعات . البسه وأخبره انه أخذها عن والده المذكور رحمه الله ، وان والده أخذها عن ابيه شيخ الاسلام معين الدين ابي عبدالله محمد بن حمويه

رحمه الله ، وانه اخذها عن الخضر ^(١) عليه السلام . واخضر عن رسول الله ﷺ . واخذها جده ايضاً عن الشيخ ابي علي الفارندي الطوسي ، واخذها المذكور عن شيخ وقته ابي القاسم الكركاني واخذها ابو القاسم عن الاستاذ الامام ابي عثمان المغربي . واخذها ابو عثمان عن شيخ الحرم ابي عمرو الزجاجي ، واخذها المذكور عن سيد الطائفة الجنيد ^(٢) بن محمد ، واخذها الجنيد عن خاله مري السقطي ^(٣) ، عن معرف الكرخي ^(٤) ، عن علي ^(٥) بن موسى الرضا عليه السلام ، وصحبه وتأدب به ، وخدمه . واخذ علي عن أبيه موسى ^(٦) بن جعفر الكاظم ، عن أبيه جعفر ^(٧) بن محمد الصادق ، عن أبيه محمد ^(٨) بن علي الباقر ، عن أبيه علي بن الحسين زين العابدين ^(٩) ، عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام . واخذها علي كرم الله وجهه عن سيد المرسلين وامام المتقين نبينا محمد عليه افضل الصلاة والتسليم . واخذ معروف ايضاً عن داود الطائي ، عن حبيب العجمي عن سيد التابعين الحسن البصري ^(١٠) عن علي عليه السلام ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان لباسه الخرقة أعاد الله عليه من بركاتها ، وعلى جميع من تشرف بها في العشرين من شهر رمضان سنة خمس عشرة وستائة بدمشق المحروسة .

وبين الاسطر بخط المولى صدر الدين شيخ الشيوخ ما هذا مثاله : « ألبست الخرقة للمذكور وفقه الله تعالى » . وكتب ابن جويه ابو الحسن بن عمر بن ابي الحسن بن محمد في شهر رمضان سنة خمس عشرة وستائة ، حامداً لربه ومصلياً على رسوله ، ومستغفراً من ذنوبه . ولما كان في سنة ست عشرة وستائة ، وصل الى عمي كتاب من الملك الصالح اسماعيل ابن الملك العادل بخطه ، وهو يطلب منه ان يتوجه اليه الى مدينة بصرى ^(١١) ليعالج والدته ، ومرضى آخر عنده ويعود . وكان قد عرض في بصرى وباء عظيم فتوجه اليه وعالج والدته ، فصلحت في مدة يسيرة ، وانعموا عليه بالذهب والخلع . وعرضت لعمي حمى حادة فعاد الى دمشق ، ولم يزل المرض يتزايد به ، وأعيان الاطباء

(١) احد الانبياء الذي ارشد موسى . وقد حظي عند الصوفيين بمركز ممتاز ويطلق عليه النصارى اسم القديس جرجس او هو النبي ايليا .

(٢) زاهد بغدادي عرف بشيخ الطائفة الجندية وطاوس العلماء توفي سنة ٩١٠ . « ن . ر »

(٣) صوفي معلم جنيد . قال بخلق احرف القرآن . وان الحبين يفوقون في النعم أتباع موسى وعيسى ومحمد . توفي في بغداد سنة ٨٧٠ .

(٤) ناسك متصوف مشهور في بغداد وقبره في بغداد مزار العامة . وتوفي سنة ٨١٥ . وهو استاذ السقطي .

(٥) الامام الثامن عند الشيعة الاثني عشرية (٧٦٥ - ٨١٨) قبره في مشهد - خراسان .

(٦) الامام السابع دفن في مقبرة قريش الكبرى قرب بغداد سنة ٧٧٩ فسميت بالكاظمية تيمناً باسمه .

(٧) ابو عبدالله الامام جعفر الصادق سادس الائمة المصومين . توفي بالمدينة ودفن بالبقيع . وكان من علماء الكيمياء .

(٨) خامس الائمة الاثني عشر كنيته ابو جعفر واقبه الباقر وذلك لانه بقر العلم بقرأ توفي سنة ٧٣٦ .

(٩) رابع الائمة وابن الامام الشهيد بقية سيوف الامويين توفي سنة ٧١٠ .

(١٠) ولد في المدينة وتوفي فيها (٦٤٢ - ٧٢٨) واستقر في البصرة . وكان ورعاً تقياً متقشفاً له اثره العميق في الحركة الدينية في الاسلام .

(١١) بلدة مجوران تدل آثارها العظيمة على ما كان لها من مجد في قديم الزمان . وهي اول مدينة فتحها العرب في بلاد الشام على يد خالد بن الوليد .

ومشايتهم يلزامونه ويعالجونه الى ان انقضت مدة حياته . وكانت وفاته رحمه الله في الساعة الثانية من يوم الاثنين سابع عشر شعبان سنة ست عشرة وسمائة ، وله من العمر ثمان وثلاثون سنة ، ودفن عند ابيه واخيه في ظاهر باب الفراديس .

ومن كلامه في الحكمة ، مما سمعته منه ، رحمه الله ، فمن ذلك « وصية اول النهار » قال : قد أقبل هذا النهار وانت فيه مهياً لكل فعل ، فاختر لنفسك أفضلها لتوصلك الى افضل الرتب ، وعليك بالخير فانه يقربك من الله ويحببك الى الناس . واياك والشر فانه يبعدك عن الله ويبغضك الى الناس . وافعل ما تحاسب نفسك عليه عند انقضاء هذا النهار . والحذر من ان يغلب شرك على خيرك . وليس الفاضل من بقي على حالة الطبيعة مع عدم المؤذيات بل الفاضل من بقي عليها مع وجود المؤذيات . والانتقاع عن الناس اكبر مانع للادى . واقبل وصايا الانبياء ، واقتد بافعال الحكماء . وعليك بالصدق فان الكذب يصغر الانسان عند نفسه فضلاً عن غيره . واحلم تشكر ، وتفضل فان الحقد يعجل الهم ، ويوقع في العداوات والشرور ، وكذلك الحسد . وتجنب الاشرار تكفّ الأذى ، وابتعد عن أرباب الدنيا تكفّ الاشرار . واقنع من دنياك بما تدفع به ضرورة بدنك . واعلم ان نهارك هذا قطعة تذهب من حياتك ، فانفقها فيما يعود عليك نفعه . واذا اندفعت ضرورة بدنك اقض باقي نهارك في مصلحة نفسك ، وافعل بالناس ما تشتهي ان يفعلوه بك . واياك والغضب والمبادرة الى الانتقام من الم غضب او الانفصال عنه ، فانه ربما أوقع في الندم . وعليك بالصبر فانه رأس كل حكمة .

وصية اول الليل

قد انقضى نهارك بما فيه ، وأقبل عليك هذا الليل . وليس لك فيه فعل بدني ضروري ، فاعطف على مصلحة نفسك بالاشتغال في العلم ، والفكر في الاطلاع على الحقائق . ومهما استطعت اليقظة في ذلك فافعل . فاذا أردت النوم فاجعل في نفسك ملازمة ما انت فيه لتكون رؤياك من هذا الجنس ، وافعل ما تحاسب نفسك عليه عند الصباح . واحرص ان تكون في غدك أفضل من يومك المنقضي . واياك ان تجذبك الطباع الى الفكر فيما عاينته في نهارك من احوال أرباب الدنيا فتضيع وقتك ، وتفتح لك أبواب الخداع والحيل والمكر في تحصيل امور الدنيا ، وتظلم نفسك ، وتفسد حالك ، وتبعد عن الحقائق ، وتكتسب الاخلاق المذمومة ، ويعسر تخلصك منها . لكن اعلم ان هذه اعراض زائلة لا فائدة فيها ، وان ضرورات الانسان قليلة جداً ؛ وفكر فيما يعود على نفسك نفعه . وتهيأ للقاء الله فان علمك بموتك متى يكون ، مستوراً عنك ، وما جاؤوك في ان يأتي يوم آخر عليك أقوى من وهمك أن تموت في هذه الليلة ، فودع بالثبات على ما تنتفع به بعد المفارقة . والسلام .

وقال : « احترم المشايخ ولو سكتوا عن جواب سؤالك ، فلعل ذلك لبعد العهد وكلال القوى ، أو لانك سألت عما لا يعنيك ، أو معرفتهم بعجز فهمك عن الجواب . واعلم ان فوائدهم منهم اكثر من ذلك .

وقال : « اشتغل بكلام المشهورين الجامعة اولاً ، فاذا حصلت الصناعة ، فاشتغل بالكتب الجزئية من

كلام كل قائل عارياً عن محبة أو بغضة ، ثم زنه بالقياس ، وامتنحه ان امكن بالتجربة ، وحيث اقبل الصحيح . وان اشكل فاشرك غيرك فيه ، فان لكل ذهن خاصية بمعان دون معان .

وقال : « اذا اقدمك الافاضل تقدم ، والا تأخرت .

وقال : « اطلب الحق دائماً تحفظ بالعلم لنفسك ، وبالمحبة من الناس .

وقال : طابق أعمالك الجزئية ما في ذهنك من القانون الكلي يتيقن علمك ، وتجاوز تجربتك ، وتناكد تقدمه معرفتك ، وتكثر منافعك من الناس .

وقال : « اشتغل من الكلام بما قصد قائله التعليم ، فاذا حصلت الصناعة فاكدها بالاشتغال بكلام محي الحق مبطل الباطل ، فاذا تبرهن علمك وتيقن بحيث لا تقدح فيه الشكوك ، لا يضرك حيث في بعض اوقاتك مطالعة كتب المتشككين والجدليين . فان قصدهم اظهار قوتهم فيما يدعونه ، سواء كانوا يعلمونه علماً يقيناً أم لا ، وسواء كان ما يدعونه حقاً أم باطلاً .

وقال : اذا تطببت فاتق الله ، واجتهد ان تعمل بحسب ما تعلمه علماً يقيناً ، فان لم تجد فاجتهد أن تقرب منه .

وقال : اذا وصلت الى رتبة المعلمين فلا تمتع مستحقاً وهو العاقل الذكي الخير الحكيم النفس ، وامنع من سواه .

وقال : « اذا رأيت ادوية كثيرة لمرض واحد فاختر اوفقها في حال حال .

وقال : « الامراض لها اعمار ، والعلاج يحتاج الى مساعدة الاقدار . واكثر صناعة الطب حدس وتخمين ، وقلم يقع فيه اليقين . وجزأها القياس والتجربة ، لا السفسطة وحس الغلبة ؛ ونتيجتها حفظ الصحة اذا كانت موجودة ، وردھا اذا كانت مفقودة ؛ وفيها يتبين سلامة الفطر ، ودقة الفكر ؛ ويتميز الفاعل عن الجاهل ، والمجد في الطلب عن المتكاسل ، والعمل بمقتضى القياس والتجربة ، عن الحتمال على اقتناء المال وعلو المرتبة .

وقال : « ان بالعلم من الطول وعسر الحصول ، ولو سلك فيه الايجاز والبيان جهد الامكان ، مع طول الاعمار ودقة الافكار ، وتعاون البشر وسلامة الفطر ، ما يعجز الناظر ويذبذب خاطر .

وقال : « انظر الى افعال الطبيعة اذا لم يعقها عائق ، واقتد بها في افعالك .

وقال : « ما أحسن الصبر لولا ان النفقة عليه من العمر .

وقال : « كلما انتظر الشيء استبعد زمانه ، واستقل مقداره .

وقال : « الخير منتظر ، فالظن فيه قليل .

وقال : « الظلم في الطباع ، وانما يترك خوف معاد ، أو خوف سيف .

وقال : « لا تتم مصلحة إلا بمفاسد .

وقال : القاصدون مصالحهم اكثر من المشفقين على مخلوقات الله تعالى بأضعاف مضاعفة .

وقال : « ان شئت المقام بين الناس مظلوماً فاحترز منهم ، أو غير مظلوم فاظلمهم . واما الحال الوسطى فلا تطمع بها . »

وقال : « الانقطاع أفضل اوقات الحياة » وقال : « الانقطاع افضل السير » وقال : « الانقطاع نتيجة الحكمة » .

وقال : الاردباء يطلبون مع من يفنون نهارهم في الحديث واللاهو والبطالة ، وانهم متى خلوا بأنفسهم تألموا بما يجدونه في انفسهم من الرداءة ، والاخير على خلاف ذلك لانهم يأنسون بأنفسهم .

وقال : اصل كل بلية الرغبة في الدنيا . وقال : طالما يلبث الناس عن مصالحهم لتشبههم بالدنيا ففأقتهم . وقال : عجيبي لمن لا يعلم متى يموت ويعتقد سعادة وشقاء على أي حال كانت : كيف يركن الى الدنيا ويهمل المهم من أمره . وقال : ما اكثر الملتبذين بالآمال من غير الشروع في بلوغها .

وقال : الآمال أحلام اليقظان . وقال : لكل وقت أشغال كثيرة فليفعل فيه أهمها . وقال : كيف حال من يهمل مهماته في اوقاتها مؤملاً ان ستأتي اوقات اخرى لها مدافعاً من كل وقت الى غيره ، الى ان يموت مؤملاً . وقال : ما دمت في حال تقدر على تدبير جسدك ورياضة نفسك ، بحسب استعدادهما ، غير مقتر ولا مسرف فلا تنتقل الى غيره . فان لك محركاً لو رمت السكون لما أمكنك . وكم من منتقل الى حال خالها أفضل ألفها أخس . وقال : لا تعاد السعيد ففقد السعيد الشقي . وقال : ان القى كل من عدوين همته على الآخر فاسعدهما جداً يقهر عدوه . ولذلك أمر باجماع المهم عند طلب الامور العظيمة لتقوم مقام الهمة الواحدة المعانة بالتأييد السماوي . وقال : احرص على اتخاذ الناس اخواناً ، واياك وسهام المهم فانها صائبة . وقال : احذروا أذية العلماء فانهم آل الله . وقال : ما ظلم ذو علم حقيقي الا كشف الله ظلامته ونصره ، وخذل ظالمه قريباً .

وقال : ان لله أحبباً يحرسهم بعينه التي لا تنام هم العلماء . وقال : العلماء هم السعداء على الحقيقة . وقال : سعداء الدنيا على اصطلاح الجمهور ، ما لم تصدر عنهم الخيرات فهم الاشرار . وقال : قد ينطق انسان في وقت ما بالحكمة ، فاذا طلب من نفسه ذلك في وقت آخر لم يجده . وقال من صاحب الجهال على جهالاتهم ، وجذبه حب الدنيا الى الحضور في مجالسهم فنسأله شرهم فليسلم نفسه . وقال : أصلح الميزان ثم زن به . وقال : اذا صرت ذا عقل هيولاني صرت انساناً بالفعل بقول مطلق . وقال : ثق بملك اذا لم يقدح فيه الاعتراض . وقال : نعم الرأي الواحد . وقال نعم الرأي المتناسب . وقال : العمل في الرأي بحسب غاية تصدر به ، لا بحسب المصلحة المطلقة . وقال : نعم الرأي الحادث بين المستشير الصادق ، والمستشار الامين العاقل .

وقال : لا تثق إلا بمتقدي في شيء ما يرجوه ، ويخافه متيقن انه لا حق إلا اعتقاده . فأما الشاك فيا يعتقده ، او من لا يعتقد شيئاً البتة فلا تثق به ، ولا تتخذ صاحباً . وذلك المعتقد المتيقن اعتقاده ان كان غير اهل ملتك فاحذره ايضاً لانه يعتقد فيك الكفر بمتقده فيتخذك عدواً فيفعل بك فعل الاعداء . وقال : ثق بالدين من اهل دينك . وقال : تيقن ان صحة

الاعتقاد سبب للامزمة الأعمال الدينية وملازمة الأعمال الدينية قد تكون دليلاً على تيقن صحة الاعتقاد ؛ وقد يفعلها فاعلها تابعاً لغيره ، غير عالم بشيء آخر ؛ وقد يفعلها تقيّة ، وعلامتها اذا كانت تابعة لتيقن صحة الاعتقاد ظهور الآثار الالهية عليها ، وعدل سائر سيرة فاعلها من نفسه من جميع المخلوقات .

وقال : الحرية نعم العيش . وقال : القناعة باب الحرية . وقال : من قدر على العيش الكفاف بحسب ضروراته ، ثم ملك نفسه لغير رغبة في فضول العيش فهو أحقّ الحقاء . وقال : ما اقل ضرورات الانسان لو انصف نفسه . وقال . اجتنب الالف بأهل الدنيا فانهم يشغلونك ان وجدتهم ، ويحزنونك ان فقدتهم . وقال : اصحب عند ضجرك من تبعك صحبته بما كنت فيه . وقال : فقد الخليل مؤذن بالرحيل . وقال : الحكيم ان اسأت اليه او توهم انك اسأت اليه وان لم تسء ، فقد تنفع عنده بالتوصل ان كنت بريئاً وبالاعتذار ان كنت مسيئاً . فاما الحقوق فمتى اشعرت بأنه توهم منك اساءة ، عدم نفع أو مخالفة أمر ، فاحذره فانه لا يزال في خاطره التدبير في اذيتك .

وقال : الاصدقاء كنفس واحدة في اجساد متفرقة . وقال : الطبيب مدبر لبدن الانسان من حيث هو مقارن لنفسه ، لا من حيث هو بدن انسان بالقول المطلق . وهذا التركيب من اشرف التراكيب فيلبي ان يكون معانيه من اشرف الناس . وقال : المال مغناطيس أنفس الجلاء ، والعلم مغناطيس أنفس العقلاء . وقال : رأيت الجلاء يعظمون أرباب الاموال ، مع تيقنهم انهم لا ينيلونهم منه شيئاً إلا ثمن متاع ، أو اجرة صناعة ، كما ينالونه من الفقراء . وقال : خير العلماء من ناسب علمه عقله . وقال : اذا امكن الانقطاع عن الناس بأقل المقنعات فهو أفضل الاحوال . وقال : اذا كنت تشفق على مالك فلا تنفق شيئاً منه إلا في المهم ، فاحرى ان تفعل ذلك في عرك . وقال : الحكمة الاقتداء بالله تعالى . وقال : انما يطلع الانسان على عيوب نفسه من اطلاعه على عيوب الناس . وقال : اذا لزمت نفسك الخلق الجليل فكأنك اكرمتها غاية الكرامة ، وذلك انك اذا لم تغضب مثلاً والناس كلهم يغضبون فأنت أفضل الناس من هذا الوجه . وقال : بقدر ما لكل ذات من الكمال لها من اللذة ؛ بقدر ما في كل ذات من النقص فيها من الالم . وقال : اكثر من مطالعة سير الحكماء واقتد منها بما يمكن الاقتداء به في زمانك . وقال : قو نفسك على جسدك . وقال : أصلح كيفية الغذاء واقتصاد في كميته . وقال : اكتف من غذاء الجسم بما يحفظ قواه ، واياك والزيادة فيها واستكثر من غذاء النفس . وقال : غذاء النفس بالعلوم على التدريج فابتدىء بالسهل القليل وتدرج ، فانها تشتاق حين تقوى ، وتعتاد الى الصعب الكثير ، فاذا صار لها ملكة سهل عليها كل شيء . قال : المعدة القوية تهضم جميع ما يرد اليها من أنواع الاغذية ؛ والنفس الفاضلة تقبل جميع ما يرد عليها من العلوم . وقال : ما لم تطق التوحد فأنت مضطر الى مصاحبة الناس . وقال : صاحب الناس بما يرضيهم ، ولا تطرح جانب الله تعالى .

وقال : كتب بعضهم الى شيخه يشكو تعذر اموره فكتب اليه : إنك لن تنجو مما تكره حتى تصبر عن كثير مما تحب ؛ ولن تنال ما تحب حتى تصبر على كثير مما تكره . والسلام . وقال : اشكر المحسن ومن لا يسيء ، واعذر الناس فيما يظهر منهم ولا تلهم ، فلكل من الموجودات طبع خاص . وقال ، استحسن للناس ما تستحسنه لنفسك ، واستقبح لنفسك ما تستقبحه

لهم . وقال : لا تخل فعلاً من أفعالك من تقوى الله تعالى . وقال : اطع الله محققاً يطعمك الناس . وقال : لا شيء انجبع في الامور من الهمة الصادقة . وقال : خذ من كل شيء ما يوصلك الى الغاية التي وضع من اجلها . وقال : كل ما يحصل بالعرض فلا تثق به .

وقال : اخضع للناس وخاصة العلماء والمشايخ ، ولا تزدرد أحداً ، فطالما كتم العالم علمه ليتخير له من يودعه اياه كما يتخير الفلاح الارض . وقال : اشتغل من كل علم بكلام أربابه الأول . وقال : استكثر من العناية بالكتب الالهية المنزل فيها كل حكمة . وقال : أكثر من صحبة المشايخ فاما ان تستفيد من علمهم واما من سيرتهم . وقال : اذا تأملت حركات الفضلاء وسكناتهم وجدت فيها حكماً جمة . وقال : رأيت الهم عند اكثر الناس ما يحتلبون به المال . وقال : ما اكثر ما يسمع الناس الوصايا النبوية والحكمية ، ولا يستعملون منها الا ما يحتلبون به المال . وقال : ما اشد ركون الناس الى اللذات الجسدية .

وقال : لا تخل وقتك الحاضر من الفكر في الآتي . وقال : من لم يفكر في الآتي أتى قبل ان يستعد له . وقال : القناعة سبب كل خير وفضيلة . وقال : وبالقناعة يتوصل الى كل مطلوب . وقال : القانع مساعد على بلوغ مآربه . وقال : اقصد من الكمال الانساني الغاية القصوى ، فان لم يكن في قوتك الوصول اليها فانك تصل الى ما في قوتك ان تصل اليه ، واذا قصدت الكمال التالي لكالك آمل اذا وصلته ان تقصد ما يليه ، فربما ركنت الى الراحة وقنعت بدون ما تستحقه . وقال : احرص على ان لا تخل بشيء من العبادات البدنية فانها نعم المعين الموصل الى العبادات النفسانية . وقال : كفى بالوحدة شرفاً ان الله تعالى واحد . وقال : كلما تمحضت الوحدة كانت أشرف ، لان وحدة الله تعالى لا يشوبها كثرة من وجه أصلاً . وقال : اعتصم بالله تعالى ، وتوكل عليه ، وثق به محققاً ، يحرسك ويكفيك كل مؤونة ، ولا يخيب لك ظناً . وقال : اجعل الملة عضدك ، وأهلها اخوانك ، ولا تركن الى الدول ، فان الملل هي الباقية . وقال : عود نفسك الخير علماً وعملاً تلق الخير من الله تعالى ، ومن الناس عاجلاً وآجلاً . وقال : لا تطمع بالانقطاع ما دام لك ادنى طمع . وقال : لو وقف الضعيف عند قدره لأمن كثيراً من الاخطار . وقال : ليت شعري بما أعتذر اذا علمت ولم أعمل ، أرجو عفو الله تعالى .

ومن شعره وهو مما سمعته من لفظه رحمه الله فمن ذلك قال :

يا صاحبي سلا الهوى وذرائي	ماذا تريد من مشوق عاني
لا تسألاه عن الفراق وطعمه	ان الفراق هو المات الثاني
نادى الحداة دنا الرحيل فودعوا	ففعجبت في قلبي وفي خلاني
وسرت ركائبهم وقد غسق الدجى	فاضاء من سار في الاظمان
ما كنت أعلم ان بعدك قاتلي	حتى فعلت وغرني سلواني
وبكيت وجداً بعد ذاك فلم اجد	أني وقد صار اللقاء أماني

(الكامل)

وقال في صفة مجلس :

سقياً ليوم تم السرور بنا
والدهر ولت عنا حوادثه
بمجلس كامل المحاسن لو
فكاهة بيننا وفاكهة
بين ندامى مثل الشموس لهم
حديثهم لا يمل سماعه
اخوان صدق صفت ضمائرهم
أهل سماح ما ان يزال لهم
نشد أغزالنا ونلغزها
في يوم دجن^(٢) تهمي سحائبه
وعند منقل تلالاً في
تجاهه شادن وفي يده
كانه اذ غدا يقبله
ظلت كؤوس المدام طاردة
نسر ما بيننا الحديث ولا
فما ترانا عين لذي بصر
واطيب العيش ما نكتمه
يا يومنا هل نراك ثانية

فيه وكأس الشمول تجمعنا
ونحن في لذة ونيل منى
به يحل الجنيد لاقتنا
وكأس راح وراحة وغنا
علم وفضل ورفعنا وسنا
لطيبه العين تحسد الاذنا
أولو عفاف لا يضمرون خنا^(١)
صنع له في الانام طيب ثنا
باسم غزال أضحى يغالنا
كانها كف رب منزلنا
أرجائه النار فهي تدفئنا
طير كصب لديه ذاب ضنا
في النار قلبي الذي قد ارتبنا
لهم حيث السرور عكرنا
نبديه خوف الوشاة تسمعنا
الا عيون الحباب ترمقنا
خوفاً وان كان سرنا علنا
بعبك أم تعود لنا

(المنسرح)

وقال أيضاً :

يا صاح ضاع نسكي
وكيف يسلم ديني
بكل اهيف لدن
يرنو بصارم لحظ
كأن في فيه خمرأ
جدلان يضحك تيهأ
ولا يرق اذا ما
وزادني زور واش
ما راقب الله ما

منذ صرت في بعبك
بعد افتتاني وهتك
القوام للبدر يحكي
ماسل الا لفتكي
شيت بشهد ومسك
اذا رأني ابكي
خضعت عند التشكي
وشى اليه بافك
سعى اليه يهلكي

(١) الفسق والفجور (٢) مظلم .

مالكي وهو ملكي
(البسيط)

فصار في مذهب الحب

وقال ايضاً

سر الحب بدمعه اعلان
أرأيت يا صاحبي فتى تذلل له الاسود تذلة الغزلان ؟
عشق ولكن الهوى سلطان
ورجاؤنا قد أمة الهجران
يا من جميع فعاله احسان
طلق الهيا قلبه ولهان
(الكامل)

وقال ايضاً :

أفدي رشيق القيد ليس له
وسنان ، ما لطفون عاشقه
وكان ريفته معتقة
لكنه أضحى يعارضني
فلأصبرن على ملالته
في الحسن والاحسان من ند
من رائد التسديد ، من بد
مشمولة بالماء والند
بالهجر والاعراض والصد
فعمسى عليه تصبري يجدي
(الكامل)

وقال ايضاً :

قد رق لي ورق الحى في لعل
ناحت مرأى من حنين قلبها
ودعتهم ثم رجعت عادماً
وقلت يا روجي بيني فلقد
بالنوح في الدوح ففاضت أدمعي
ونجت نوح ناكل مفجع
قلبي وهم يا خيبة المودع
بالوا وإن لم يرجعوا لا ترجمي
(الرجز)

وقال ايضاً :

اسفت وما يجدي التأسف والوجد
وسار بمن أهوى الركاب وادمعي
حرمت للذيد العيش بعد فراقه
ونجت على نجد وقد اقفرت لنجد
تفيض وقالوا مت فهذا هو الفقد
وبالرغم مني ان يطول به المهدي
(الطويل)

وقال ايضاً :

أنبخل بالتحية والسلام
فديتك لم وأنت أبو الكرام

اتى رمضان فاقمل فيه خيراً
ولا تشهر حسام اللحظ فيه
أما تحشى من الرحمن يا من
لتضحى فيه مقبول الصيام
ولا تهز به رمح القوام
يحل القتل في الشهر الحرام
(الوافر)

وقال لغزاً في أبو الكرام

يا سائلي عن لعيني حلا
ذو تسعة تعد لها شاء في
وثامن الاحرف كالرابع
والسابع التاسع في خمسة
وعشر ثمانية اذا كان في
هذا اسم من أهوى فان كنت ذا
فكر فقد جثتك بالمشكل
أعدادها فافهم ولا تغفل
المعروف والرابع كلاول
وعشرة السادس فاطهره لي
خامسه كالثالث الافضل
معرفة فاخبر ولا تمطل
(السريع)

وقال لغزاً في أبو الكرام

يا سائلي عن حبيب لا اسميه
مركب الاسم من ستين قد ضربت
وتحسن سابعه ضعف لسادسه
وثالث الاسم في هاء كخامسه
هذا اسم سُؤلي فلا تفصح باحرفه
خوف الرقيب ولكني أعيه
في نصف سدس لها فافهم معانيه
وعشر سادسه مال لثانيه
والرابع الاول المعروف يحكيه
اني فديتك مها عشت اخفيه
(البسيط)

وقال ايضاً لغزاً فيه :

فديت من نصف اسمه جذر قاف
وسادس الاحرف في نصفه
وضعف ثاني الاسم في خمسة
والسابع الثلاث والثالث
والرابع الاول يا سيدي
وهو على قسمين احداهما
هذا اسم من أهوى فهل عاشق
وخسه لام وياه وكاف
وربعه مثل الثمان الظراف
كنصف انها قياساً كفاف
والخمس والرمز كاف
هذا الذي أورث جفني الرعاف
أقصده منه وقسم مضاف
أوتي على مثل افتتاحي عفاف
(السريع)

وقال لغزاً في أنثى :

يا سائلي عن الاقمار تحكيه
مهلاً فاني طول الدهر أخفيه

مركب الاسم من تاء ومن ألف
وأول الاسم عشر الياء فاصغ لما
وسدس ثالثه نصف لثانيه
أقول واكتبه اني لا اسميه
(البسيط).

وقال :

حرم بعد القوم آرابه
ودع من يهواه ثم انثنى
قال له صاحبه هكذا
صب غدا يندب ما صابه
يعالج الموت واسبابه
جزاء من فارق احبابه
(السريع)

وقال ايضاً :

سيرتي كالمرآة يبصر منها
فيسر الجميل حسن يوافي
فيديم الجميل رؤيته فيها
وكذا لا يلم بي من بني الدنيا
شبه ذو الجمال والقبح حقاً
ويسوء القبيح قبح يلقي
وينأى عنها القبيح الاشقى
سوى الأكرمين طبعاً وخلقا
(الخفيف)

وقال ايضاً :

ثلاثون عاماً من حياتي مضت وما
تعمدني الايام عمداً وانني
تقربت من حظي بكل فضيلة
الا ان يأس النفس أوفق للفتى
يثبت ولا نولت بعض مطالبتي
صبور على البلوى منيع الجوانب
وفضل فجازاني بضيق المذاهب
واطيب من نجوى الاماني الكواذب
(الطويل)

وقال ايضاً :

هي الدنيا فلا تغتر منها
بشيء انه عرض يزول
(الوافر)

ولعمري رشيد الدين علي بن خليفة من الكتب : كتاب الموجز المفيد في علم الحساب ، اربع مقالات ، ألفه للملك الامجد صاحب بعلبك ، وذلك في شهر صفر سنة ثمان وبسمائة ، وهم في الخيم بالطور . كتاب في الطب ، ألفه للملك المؤيد نجم الدين مسعود بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وقد استقصى فيه ذكر الامور الكلية من صناعة الطب ، ومعرفة الامراض وأسبابها ومداواتها . كتاب طب السوق ، ألفه لبعض تلامذته وهو يشتمل على ذكر الامراض التي تحدث كثيراً ومداواتها بالاشياء السهلة الوجود التي قد اشتهر التداوي بها . مقالة في نسبة النبض وموازنته الى الحركات الموسيقارية . مقالة في السبب الذي له خلقت الجبال ، ألفها للملك الامجد . كتاب الاسطقسات . تعاليق ومجربات في الطب .

بدر الدين ابن قاضي بعلبك

هو الحكيم الاجل العالم الكامل بدر الدين المظفر ابن القاضي الامام مجد الدين عبد الرحمن بن ابراهيم . كان والده قاضياً بعلبك ، ونشأ هو بدمشق ، واشتغل بها في صناعة الطب . وقد جمع الله فيه من العلم الغزير والذكاء المفرط والمروءة الكثيرة ما تعجز اللسان عن وصفه . قرأ صناعة الطب على شيخنا الحكيم مذهب الدين عبد الرحيم بن علي رحمه الله ، واتقنها في أسرع الأوقات . وبلغ في الجزء العلمي والعملي منها الى الغايات ، وله همة عالية في الاشتغال ، ونفس جامعة لحاسن الخلال . ووجدت له في اوقات اشتغاله بن الاجتهاد ما ليس لغيره من المشتغلين ، ولا يقدر عليه سواه أحد من المتطببين كان لا يخلي وقتاً من التزديد في العلم والعناية في المطالعة والفهم . وحفظ كثيراً من الكتب الطبية والمصنفات الحكيمة . ومما شاهدته من علو مته وجودة قريحته : ان الشيخ مذهب الدين عبدالرحيم بن علي كان قد صنف مقالة في الاستفراغ ، وقرأها عليه كل واحد من تلامذته . وأما هو فانه شرع في حفظها ، وقرأها عليه من خاطره غائباً من أولها الى آخرها . فاعجب الشيخ مذهب الدين ذلك منه . وكان ملازماً له مواظباً على القراءة والدرس .

ولما خدم الشيخ مذهب الدين الاشرف موسى ابن الملك العادل ، وكان في بلاد الشرق ، وسافر الحكيم مذهب الدين الى خدمته وذلك في سنة اثنتين وعشرين وستائة ، توجه الحكيم بدر الدين مع الشيخ مذهب الدين ، ولم يقطع الاشتغال عليه . ثم خدم الحكيم بدر الدين بالركة في البيارستان الذي بها ، وصنف مقالة حسنة في مزاج الرقة وأحوال أهويتها ، وما يغلب عليها . واقام بها سنين ، واشتغل بها في الحكمة على زين الدين الاعشى رحمه الله . وكان اماماً في العلوم الحكيمة . ثم أتى بدر الدين الى دمشق . ولما تملك الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين مودود ابن الملك العادل دمشق وذلك في سنة خمس وثلاثين وستائة استخدمه وكان حظياً عنده مكيناً في دولته معتمداً عليه في صناعة الطب ، وولاه الرياسة على جميع الاطباء والكحالين والجراحيين . وكتب له منشوراً بذلك في شهر صفر سنة سبع وثلاثين وستائة ، فجدد من محاسن الطب ما درس وأعاد من الفضائل ما دثر ، وذلك انه لم يزل محباً لفعل الخيرات ، مفكراً في المصالح في سائر الاوقات .

ومما وجدته قد صنعه من الآثار الحسنة التي تبقى مدى الايام ، وثال بها من المثوبة أوفر الاقسام انه لم يزل مجتهداً حتى اشترى دوراً كثيرة ملاصقة للبيارستان الكبير الذي انشأه ووقفه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله . وتعب في ذلك تعباً كثيراً واجتهد بنفسه وماله حتى أضاف هذه الدور المشتراة اليه وجعلها من جلته ، وكبر بها قاعات كانت صغيرة للمرضى ، وبنائها أحسن البناء ، وشيدها ، وجعل الماء فيها جارياً . فتكلل بها البيارستان واحسن في فعله ذلك غاية الاحسان . ولم يزل يدرس صناعة الطب . وخدم أيضاً الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل ، لمداواة الأدر السعيدة بقلعة دمشق ، ومن يلوذ بها والتردد الى البيارستان ومعالجة المرضى فيه . وكتب له منشوراً برياسته أيضاً على جميع الاطباء ، وذلك في سنة خمس وأربعين وستائة .

وخدم أيضاً لمن أتى بعده من الملوك الذين ملكوا دمشق ، وله منهم الجاري المستمر ، والراتب المستقر ، والمنزلة العلية والفواضل السنية . وهو ملازم التردد الى القلعة والبيارستان ، ودائم التزايد في العلم في سائر الازمان . وبما وجدته من علو همته وشرف أرومته ، انه تجرد لعلم الفقه فسكن بيتاً في المدرسة القليجية التي وقفها الامير سيف الدين علي بن قليج رحمه الله ، وهي مجاورة لدار الحكيم بدر الدين فقرأ الكتب الفقهية ، والفنون الادبية ، وحفظ القرآن حفظاً لا مزيد عليه ، وعرف التفسير والقراءات حتى صار فيها هو المشار اليه . واشتغل بذلك على الشيخ الامام شهاب الدين أبي شامة رحمه الله . وليس للحكيم بدر الدين دأب إلا العبادة والدين والنفع لسائر المسلمين . ولم يزل يبلغني تفضله وبصلي انعامه وتفضله . وكان وصل الي من تصنيفه كتاب مفرح النفس ، فكتبت اليه في رسالة : « وقف المملوك على ما أودعه مولانا الحكيم الامام العالم بدر الدين ايد الله سعادته ، وادام سيادته ، في كتابه المعجز ولفظه الموجز الموسوم بمفرح النفس ، الموجد للسرور والانس ، الذي أربى به على القدماء ، وعجز سائر الاطباء والحكام ، وتقلب الادوية القلبية منه فرقا ، وصار الرئيس مرئوساً في هذا المرتقى . ولا غرو صدور مثله عن مولانا وهو شيخ الاوان وعلامة الزمان . فالله يجعل حياته مقرونا بها السعادة ، ويملاً الآفاق من تصانيفه لتكثر منها الافادة .

وكتبت في هذه الرسالة اليه هذه الابيات ونظمتها بدايها

تكاد لنور بدر الدين تحفى طلعة الشمس	
حكيم فاضل حبر شريف الخيم ^(١) والنفس	
وأدرى الناس في طب وعلم النبض والحبس	
خبير بالتداوي عن يقين ليس عن حدس	
فمن بقراط والشيخ من اليونان والفرس	
فكم أوجد من برء وكم أنقذ من عكس	
سما في الرأي عن قيس وفي الالفاظ عن قس	
وقد أهدى الى قلبي كتاب مفرح النفس	
كتاب حل تأييد به في عالم القدس	
تجلى نور معناه لنا في ظلمة النفس	
وما احسن زهر الخط في روض من الطرس	
بدت أبكار افكار فكان الطرف في عرس	
وما أكثر لي فيه من الراحة والانس	
وقد قابلت ما يحويه بالتقبيل والدرس	

(١) الطبيعة والسجية .

فاجني منه اثماراً حلت من طيب الغرس
(الهزج)

ومما كتبتة اليه أيضاً في كتاب
مولاي بدر الدين يا من له
ومن علا في المجد حتى لقد
ومن اذا قال فمن لفظه
شوقي الى لقياك قد زاد عن
لم تخل عن فكري ومالي بما
فضائل تتلى واحسان
قصر عن علياه كيوان
يسحب ذيل العبي سحبان
حد وصدق الود برهان
أنعمت طول الدهر نسيان
(السريع)

أدام الله أيام المجلس السامي ، الاجلي المولوي ، الحكيمي العالمي ، الفاضلي الصدري ، الكبير
المخدومي ، علامة عصره ، وفريد دهره ، بدر الدنيا والدين ، عمدة الملوك والملاطين ، خالصة أمير
المؤمنين ، حرس الله معاليه ، وبلغه في الدارين نهاية أمانيه ، وكبت حسدته وأعاديه . ولا زالت السعادة
خيمة بفنائيه ، والالسن مجتمعة على شكره وثنائه ، الملوك ينهي ان عنده من تزايد الاشواق الى
الخدمة ما لو ان له فصاحة الشيخ الرئيس مع طول عبارة الفاضل جالينوس ، لقصر عن ذكر بعض ما
يحيده من برج الاشواق ، ومكابدة ما يشكوه من ألم الفراق . وهو يبتهل الى الله تعالى في تسهيل الاجتماع
السار ، وتيسير اللقاء على الاختيار والايثار . ولما اتصل بملوك ما صار إلى المولى من رياسته على سائر
الاطباء ، وما خصهم الله تعالى بذلك من النعمة ، وأسبغ عليهم من جزيل الآلاء ، وجد نهاية الفرح
والسرور ، وغاية ما يتوخاه من الجبور ، وتحقق ان الله تعالى قد نظر الى الجماعة بعين رعايته ،
وشملهم بحسن عنايته ؛ وان هذه الصناعة قد علا مقدارها ، وارتفع منارها ، وصار لها الفخر الاكبر
والفضل الاكثر ، والسعد الاسمى ، والمجد الاسنى ؛ وقد شرف وقتها به على سائر الاوقات ، وصارت
حال العلم حينئذ على خلاف ما ذكره ابن الخطيب في الكليات . قلله الحمد على ما اولى من نعمه الشاملة ،
ومننه الكاملة . والمولى هو من جعلت أمور هذه الصناعة لديه ، وفوضت رئاسة أهلها وأربابها اليه .

ولم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها
« فان شواهد المجد لم تزل توجد من شمائله ، وأعلام السؤدد تدل على فضائله وفواضله . فانه تعالى
يؤيده فيما أولاه ، ويسعده في آخرته وأولاه ، ان شاء الله تعالى .

ومما قلته : أيضاً ، وكتبت به اليه في سنة خمس وأربعين وستائة :

كتبت ولي شوق يزيد عن الحصر
ونار أسى للبعد بين جوانحي
وعندي حنين لا يزال الى الذي
هو الصدر بدر الدين أفضل ما جد
وفرط ارتياح مستمر مع الدهر
لها لهب أذكى وقوداً من الجبر
له من عندي تردد في فكري
ومن هو في أوج العلى أوحده العصر

حكيم حوى ما قال بقراط سالفاً
 ويعلم للشيخ الرئيس مباحثاً
 اذا قال بذ القائلين ولفظه
 وان طَبَّ ذا سقم وأسعف مقترأ
 كثير الحيا ، طلق الحيا ، اذا همت
 بعيد المدى داني الندى وافر الجدى^(١)
 وما مثل بدر الدين في العلم والحجى
 فيا أيها المولى الذي مكرماته
 لقد زاد بي شوق اليك وانني
 واني على بعد الديار وقربها
 ويبلغني من والدي عنك أنما
 رعيت لنا عهداً قديماً عرفته
 ومثلك من بولي جيلاً لصاحب
 ومالي إلا بث شكر أقوله
 وأثني على عليك في كل محفل
 وقد جاء شعري مادحاً لك شاكراً
 فلا زلت في سعد مقيم ونعمة

وما قال جالينوس من بعده يدري
 اذا ما تلاها أورد اللفظ كالدر
 هو السحر لكن للحلال من السحر
 أتى الفضل والافضل بالبر والبر
 سحائب جود منه أغنت عن القطر^(٢)
 اذا ما بدا كان الهدى من سنا البدر
 وما قد حواه من خلائقه الزهر
 يراها ذوو الآمال من افضل الذخر
 لشط التداني واجد عادم الصبر
 كثير ولاء لا يزال مدى العمر
 تجود بها جلست عن العد والحصر
 وحسن وفاء العهد من شم الحر
 اذا كان في اوقاته نافذ الامر
 وحسن دعاء في السريرة والجهر
 وأتلو آي الحمد بالنظم والنثر
 لانك أهل للمدائح والشكر
 وعمر مديد سالماً عالي القدر
 (الطويل)

« المملوك يقبل اليد المولوية الحكيمية ، الاجلية العالمية ، الفاضلية الرئيسية ، الصدرية الاوحدية
 البدرية ، ادام الله لها التأييد والنعماء ، وضاعف من منائحها على أوليائها الآلاء ، وكسبت بسدوام
 سعوها الحسدة والأعداء. ولا زالت في نعم متوالية ، وعوارف داغمة وغير زائلة ، ما تتابعتم الايام في السنين ،
 وتلازمت حركة القلب والشرابين. ويواظب لمولانا بحسن الدعاء الذي ما زال عرف أنفاسه متضوعاً ، والثناء
 الذي ما انفك أصله الثابت متفرعاً متنوعاً. ويواصل بالمحامد التي ما برح نشرها في مجالس المجد والشكر
 نافحاً متأرجحاً ، والمدائح التي ما فتىء وجه محاسنها ابداً متبرجاً متبلجاً ، وينهي ما عنده من كثرة
 الاشواق والاتواق التي تستوعبها العبارة ولا تسعها الاوراق. غير انه يعول على احاطة علم مولانا بصدق
 محبته وولائه ، واعتداده بجزيل أياديه وآلائه . وان كتاب والد المملوك ورد اليه ببشارة ملأت قلبه
 سروراً ، ونفسه حبوراً بنظر مولانا في سائر الاطباء ورياسته ، واشتاله عليهم بحسن رعايته وعنايته ،
 ووصف من انعام مولانا عليه واحسانه اليه ، ما المعهود من احسانه ، والمشهور من تفضله وامتنانه .
 ومولانا فهو أعلم بطرق الكرم ، وأدرى بأن المعارف في أهل النهى ذمم . فالله يجعل مولانا ابداً

(١) المطر .

(٢) العطاء والنفع .

فاعلاً للخيرات ، بالغاً في المعالي أرفع الدرجات ، دائم السعادة موقى من الآفات .

وهذا دعاء لو سكت كفيته لاني سألت الله فيك وقد فعل

(الطويل)

« ومولانا فتتجمل به المناصب العالية ، وتتشرف بحسن نظره المراتب السامية ، فانه قد سما بفضلله وافضاله ، على كل من عرف الفضل واشتهر ، وتميز على ابناء زمانه بمحاسن الآداب وميامن الاثر . وهذا هنا عام لسائر الاطباء ، وجملة الاولياء والاحباء .

وتقاسم الناس المسرة بينهم قسماً فكان أجلهم حظاً أنا

« المملوك يحدد تقبيل اليد المولوية للنعم ، ويستعرض الخواص والخدم .

ولبدر الدين ابن قاضي بعلبك من الكتب : مقالة في مزاج الرقة ، وهي بليغة في المعنى الذي صنفت فيه . كتاب مفرج النفس استقصى فيه ذكر الادوية والاشياء القلبية على اختلافها وتنوعها ، وهو مفيد جداً في فنه ، وصنفه للامير سيف الدين المشد أبي الحسن علي بن عمر بن قزل رحمه الله . كتاب الملح في الطب ، ذكر فيه أشياء حسنة ، وفوائد كثيرة من كتب جالينوس وغيرها .

شمس الدين محمد الكلي

هو الحكيم الاجل الاوحد العالم أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ابي الحسن . كان والده اندلسياً من اهل المغرب ، واتى الى دمشق واقام بها الى ان توفي رحمه الله . ونشأ الحكيم شمس الدين محمد بدمشق ، وقرأ صناعة الطب على شيخنا الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي رحمه الله ، ولازمه حق الملازمة ، وأتقن عليه حفظ ما ينبغي أن يحفظ من الكتب الاوائل التي يحفظها المشتغلون في الطب . وبالغ الحكيم شمس الدين في ذلك حتى حفظ أيضاً الكتاب الاول من القانون ، وهو الكليات جميعها ، حفظاً متقناً لا مزيد عليه ، واستقصى فهم معانيه . ولذلك قيل له الكلي . وقرأ ايضاً كثيراً من الكتب العلمية ، وبأشر أعمال الصناعة الطبية . وهو جيد الفهم ، غزير العلم ، لا يخلي وقتاً من الاشتغال ، ولا يخل بالعلم في حال من الاحوال ، حسن المحاضرة ، مليح المحاوره . وخدم بصناعة الطب الملك الاشرف موسى ابن الملك العادل بدمشق ، ولم يزل في خدمته الى ان توفي الملك الاشرف رحمه الله . ثم خدم بعد ذلك في البيارستان الكبير الذي انشأه الملك العادل نور الدين بن زنكي رحمه الله ، وبقي مدة وهو يتردد اليه ويعالج المرضى فيه .

موفق الدين عبد السلام

لقد جمع الصناعة الطبية ، والعلوم الحكيمة ، والاخلاق الحميدة والآراء السديدة والفضائل التامة

والفواضل العامة. اصله من بلد حماة^(١) واقام بدمشق واشتغل على شيخنا الحكيم مذهب الدين عبدالرحيم ابن علي وعلى غيره . وتميز في صناعة الطب . ثم سافر الى حلب وتزيد في العلم ، وخدم الملك الناصر يوسف بن محمد بن غازي صاحب حلب ، واقام عنده ، ولم يزل في خدمته الى ان تملك الملك الناصر يوسف بن محمد دمشق فأتى في صحبته ، وكان معتمداً عليه ، كثير الاحسان اليه .

وقلت هذه القصيدة أتشوق فيها الى دمشق واصفها وامدحه بها

لعل زمانا قد تقضى يخلق	يعود وتدنو الدار بعد التفرق
وان تسمح الايام من بعد جورها	بعدل واني بالاحبة نلتقي
فكم لي الى اطلالها من تشوف ^(٢)	وكم لي الى سكانها من تشوق
ترنجني الذكرى اليه تشوقا	كما رنحت صرف المدام المعتق
ومن عجب نار اشتياق باضلمي	لها لب من دمعي الماترقق
لقد طال عهدي بالديار واهلها	وكم من صروف البين قلبي قد لقي
ولو كانت للمرء اختيار وقدرة	لقد كان من كل الحوادث يتقي
ولكنها الاقدار تحكم في الوري	وتقضي بأمر كنهه ^(٣) لم يحقق
دمشق هي القصوى لمن كان قصده	يرى كل حسن في البلاد ويلتقي
فصفها اذا ما كنت بالعقل حاكما	فوصف سواها من قبيل التحقير
وما مثلها في سائر الارض جنة	فدع شعب بؤان ^(٤) وذكر الخورنق ^(٥)
بها الحور والولدان تبدو طوالعا	شموسا واقاراً باحسن رونق
وانهارها ما بين ماء مسلسل	من الريح او ماء من الدفق مطلق
واشجارها من كل جنس مقسم	وأثمارها من كل نوع منمق
وللطير من فوق الغصون تجاوب	فما اسجع الورقاء من فوق مورق
ولو لم تغن الطير من فوق عودها	لما كان للامواه وقع مصفق
وراح تريح النفس من ألم الجوى	وتبعد همّ المستهام المؤرق
اذا مزجت في الكاس يبدو شعاعها	كمثل شعاع البارق المتألق
ويا حبذا بالواديين حدائق	لها رونق من ماها المتدفق
فكم من مياه حسنها عند روضة	وكم من رياض حسنها عند جوسق ^(٦)

(١) مدينة بسوريا على نهر العاصي وهي من المدن القديمة احتلها الحثيون ثم الاشوريون . وكان اسمها على عهد السلوقيين إبيفانيا . وهي مشهورة بنواعيرها .

(٢) تطلع .

(٣) جوهر الشيء واصله وقدره وحقيقته وغايته .

(٤) دج خصيب بفارس وهو احد جنات الدنيا الأربع .

(٥) موضع في العراق قرب النجف عمر فيه نهران اللخمي قصرأ عظيماً ذكره رتغنى به الشعراء .

(٦) القصر . (ن . ر)

وبسط رياض نبتها من بنفسج^(١)
 يمر نسيم الريح في جنباتها
 فمن كان يرجو للسلامة ملجأ
 حكيم عليم فاضل متفضل
 وما أحد في كل خطر علة
 فضائله في كل علم وحكمة
 يفرق جمع المال في مستحقه
 وما زال يهدي القاصدين لفضله
 ففي حبسة للخير اكرم منعم
 وللعشق في الدنيا دواع كثيرة
 له في قلوب العالمين محبة
 ومن شخصه للعين احسن منظر
 وللجود يلقى باعه غير قاصر
 كثير الحيا دلت مخايل نفسه
 فدام سعيد الجدا ما هبت الصبا
 ونيلوفر^(٢) في وسط ماء مروق
 لطيفاً كجس النبض من مترق
 يحده لدى عبد السلام الموفق
 الى ذروة العلياء والمجد مرتقي
 بادرب منه في العلاج وأحذق
 وافضاله في كل غرب ومشرق
 ويجمع أشنات العلا المتفرق
 بنور علوم بالبلاغة مشرق
 وفي لطفه بالخلق أفضل مشفق
 ومن يقصد العلياء بالغرم يعشقي
 حلت وجلت عن رتبة المتعلق
 ومن لفظه للسمع أعذب منطق
 وللحلم يلقى صدره غير ضيق
 على طيب اصل في المكارم معرق
 وما دام تفريد الحمام المطوق
 (الطويل)

ولما قصد التردد الى دمشق وسمع بذلك أهلها ، توجه الحكيم موفق الدين الى مصر ، واقام بها مدة . ثم خدم بعد ذلك الملك المنصور صاحب حماة ، واقام عنده بحماة ، وله منه الاحسان الكثير ، والفضل الغزير ، والآلاء الجزيلة ، والمنزلة الجليلة .

موفق الدين المنفاخ

هو الحكيم العالم الاوحد أبو الفضل اسعد بن حلوان ، أصله من المازة^(٣) ، واشتغل بصناعة الطب وتمهر فيها وتميز في أعمالها . وخدم الملك الاشرف موسى بن أبي بكر بن أيوب في الشرق وبقي في خدمته سنين وانفصل عنه . وكانت وفاته في حماة سنة اثنتين وأربعين وستائة .

نجم الدين بن المنفاخ

هو الحكيم الاجل العالم الفاضل أبو العباس أحمد بن ابي الفضل اسعد بن حلوان ، ويعرف بابن العالمة لان امه كانت عالمة دمشق ، وتعرف ببنت دمين اللوز . ونجم الدين مولده بدمشق في سنة ثلاث

(١) نبات زهره ممنجوني اللون طيب الرائحة .

(٢) نوع من النباتات ينبت في المياه الراكدة ، له اصل كالجزر وساقه املس يطول بنسبة عمق الماء حتى اذا بلغ سطح الماء اوراق واخضر ، وتسميه العامة نوفر وبنوفر .

(٣) قرية من ضواحي دمشق . (ن . د)

وتسعين وخمسةائة. وكان اسمر اللون نحيف البدن حاد الذهن مفرط الذكاء فصيح اللسان كثير البراعة، لا يحاريه احد في البحث ولا يلحقه في الجدل، واشتغل على شيخنا الحكيم مهذب الدين عبد الرحيم بن علي بصناعة الطب حتى اتقنها. وكان متميزاً في العلوم الحكيمة، قوياً في علم المنطق، مليح التصنيف، جيد التأليف. وكان فضلاً في العلوم الادبية، وبتروسل ويشعر. وله معرفة بالعود، حسن الخط. وخدم بصناعة الطب الملك المسعود صاحب آمد، وحظي عنده واستوزره. ثم بعد ذلك نقم عليه واخذ جميع موجوده، واتى الى دمشق واقام بها. واشتغل عليه جماعة بصناعة الطب، وكان متميزاً في الدولة وكتب اليه صاحب جمال الدين بن مطروح في جواب كتاب منه.

الله در انامل شرفت وسمت فاهدت أنجماً زهرا
وكتابة لو انها على الملكين ما ادعيا اذن سحرا
لم أقر سطرأ من بلاغتها الا رأيت الآية الكبرى
فأعجب لنجم في فضائله أنسى الانام الشمس والبدر
(الكامل)

وكان نجم الدين رحمه الله لحدة مزاجه قليل الاحتمال والمدارة، وكان جماعة يحسدونه لفضله ويقصدونه بالاذية وانشدني يوماً متمثلاً :

وكنتم سمعت ان الجن عند استراق السمع ترجم بالنجوم
فلما ان علوت وصرت لنجماً رميت بكل شيطان رجم
(الوافر)

وفي آخر عمره خدم الملك الاشراف ابن الملك المنصور صاحب حصص^(١) بتل^(٢) باشر، وأقام عنده مدينة يسيرة. وتوفي رحمه الله في ثالث عشر ذي القعدة سنة اثنتين وخمسين وستائة. وحكى لي اخوه لامه القاضي شهاب الدين بن العالمة انه توفي مسموماً.

ولنجم الدين بن النفاخ من الكتب : كتاب التدقيق في الجمع والتفريق، ذكر فيه الامراض وما تشابه فيه، والفرقة بين كل واحد منها وبين الآخر مما تشابه في اكثر الامر. كتاب هتك الاستار في تمويه الدخوار تعاليتي ما حصل له من التجارب وغيرها. وشرح احاديث نبوية تتعلق بالطب. كتاب المهملات في كتاب الكلبيات. كتاب المدخل الى الطب. كتاب العلل والاعراض. كتاب الاشارات المرشدة في الادوية المفردة.

(١) مدينة في سوريا على نهر العاصي اهم آثارها جامع خالد بن الوليد.

(٢) قلعة بالقرب من عيلتاب في شمالي سوريا على نهر ساجور. لعبت دوراً هاماً في الحروب الصليبية.

عز الدين بن السويدي

هو الحكيم الاجل الاوحد العالم أبو اسحق ابراهيم بن محمد ، من ولد سعد بن معاذ^(١) من الاوس مولده في سنة ستائة بدمشق ، ونشأ بها وهو علامة أوانه ، وأوحد زمانه . مجموع الفضائل ، كثير الفواضل ، كريم الابوة عزيز الفتوة ، وافر السخاء حافظ الاخاء ، واشتغل بصناعة الطب حتى اتقنها اتقاناً لا مزيد عليه . ولم يصل احد من اربابها الى ما وصل اليه . قد حصل كلياتها ، واشتمل على جزئياتها . واجتمع مع افاضل الاطباء ، ولازم اكابر الحكماء ، واخذ ما عندهم من الفوائد الطبية ، والاسرار الحكيمية . مثل شيخنا الحكيم مذهب الدين عبد الرحيم بن علي وغيره . وقرأ ايضاً في علم الادب حتى بلغ فيه أعلى الرتب . وأتقن العربية وبرع في العلوم الادبية . وشعره فهو الذي عجز عنه كل شاعر ، وقصرت عنه الاوائل والاواخر ، لما قد حواه من الالفاظ الفصيحة ، والمعاني الصحيحة ، والتجنيس الصنيع ، والتطبيق البديع . فهو الجامع لاجناس العلوم ، الحاوي لانواع المنثور والمنظوم . وهو اسرع الناس بديهية في قول الشعر ، وأحسنهم انشاداً . ولقد رأيت منه في أوقات ينشد شعراً على البديهة في معان مختلفة لا يقدر عليها أحد سواه ، ولا يختص بهذا الفن إلا اياه .

وكان ابوه رحمه الله تاجراً من السويداء^(٢) بمجوران ، حسن الاخلاق طيب الاعراق لطيف المقال جميل الافعال . وكان صديقاً لابي وبينهما مودة أكيدة وصحبة حميدة . وكنت أنا وعز الدين أيضاً في المكتب عند الشيخ ابي بكر الصقلي رحمه الله ، فلمودة بيننا من القدم باقية على طول الزمان ، نامة في كل حين واوان . والحكيم عز الدين من أجل الاطباء قدراً ، وأفضلهم ذكراً . واعرف مداواة ، وألطف مداواة ، وانجح علاجاً ، واوضح منهجاً . ولم يزل طبيباً في البيارستان النوري يحصل به للمرضى نهاية الاغراض في ازالة الامراض ، وأفضل المنحة في اجتلاب الصحة .

وخدم ايضاً في البيارستان بباب البريد ، وتردد الى قلعة دمشق ، وكان مدرس الدخوارية^(٣) . وكان له جامكية في هذه الاربع جهات . وكتب عز الدين بخطه كتباً كثيرة جداً في الطب وغيره فمنها خط منسوب لطريقة ابن البواب ، ومنها خط يشابه مولد الكوفي ، وكل واحد من خطيه فهو أبهى من الانجم الزواهر ، وازهى من فاخر الجواهر ، وأحسن من الرياض المونقة ، وأنور من الشمس المشرقة . وحكى لي انه كتب ثلاث نسخ من كتاب القانون لابن سينا . ولما كان في سنة اثنتين وثلاثين وستائة ، وصل الى دمشق تاجر من بلاد المعجم ، ومعه نسخة من شرح ابن أبي صادق لكتاب منافع الاعضاء لجالينوس ، وهي صحيحة معقولة من خط المصنف ، ولم يكن قبل ذلك منها نسخة في الشام فحملها أبي فكتب اليه عز الدين بن السويدي قصيدة مديحاً فيها على خاطري منها يقول :

(١) صحابي من الانصار حمل اللواء في موقعة بدر . وضمد جرح النبي في أحد . حكم بقتل اسرى خيبر وسي لسائهم واقتسام اموالهم لانهم نكثوا بالعهد (ن.د)

(٢) بلدة بمجوران من جبل الدروز فيها خلوة « عين زمان » .

(٣) هي المدرسة التي وقفها في بيته مهذب الدين عبد الرحيم بن علي الدخوار .

وامن فانت أخو المكارم والعلی
واعارة الكتب الغربية لم تزل
بكتاب شرح منافع الاعضاء
من عادة العلماء والفضلاء
(الكامل)

فبعث اليه الكتاب وهو في جزئين فنقل منه نسخة في الغاية من حسن الخط وجودة النقط والضبط.
ومن شعره وهو مما انشدني لنفسه . فمن ذلك قال فيما يعانيه ويعنيه من كلفة الخضاب بالكتم^(١).

لو ان تغير لون شبي
لما وفى لي بما تلاقي
بعيد ما فات من شباي
روحي من كلفة الخضاب
(البسيط)

وأنشدني لما ألقت هذا الكتاب في تأريخ المتطبيين المعروف بكتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء.

موفق الدين بلغت المنى
حملت في التاريخ من قد مضى
ونلت أعلى الرتب الفاخرة
فان غدت أعظمه فآخرة
في هذه الدنيا وفي الآخرة
فخصك الله باحسانه
(السريع)

وقال لغزاً في علي

ما اسم اذا رخمته^(٢) كان ما
ولا يرى ترخمه فاضل
رخمته جذراً لباقيه
للفضل والنقص الذي فيه
(السريع)

وقال ايضاً :

ومدام حرمتها الصيام
واقاموا الحدود فيها بلا حسد
قد توالى علي في رمضان
فدامت ندامة الندمان
وتغالوا العلوج فيها بزعم
ثم قالوا المطبوخ حل فافنو
ها طبيخاً بلاعج النيران
فغدت مهجة بلا جثمان
(الخفيف)

وقال ايضاً :

وناسك باطنه فائك
منزله أخرج من صدره
يا ويح من يصغي الى مينه
وخلقه أضيق من عينه
(السريع)

(١) لبت يخضب به الشعر ويصنع منه مداد الكتابة .

(٢) قطع ذنبه وهنا حذف آخره كما هي الحال في ترخم المنادى ، مثل قولك يا فاطم في يا فاطمة . (ن.د.)

ولعز الدين بن السويدي من الكتب: كتاب الباهر في الجواهر . كتاب التذكرة الهادية والنخيرة
الكافية في الطب

عماد الدين الدنيسري

هو الحكيم العالم الاديب الاريب عماد الدين أبو عبدالله محمد بن القاضي الخطيب تقي الدين عباس
ابن أحمد بن عبيد الربيعي، ذو النفس الفاضلة ، والمروءة الكاملة ، والاريجية التامة ، والعارف العامة ،
والذكاء الوافر ، والعلم الباهر . مولده بمدينة دنيسر^(١) في سنة خمس وستائة . ونشأ بها واشتغل
بصناعة الطب اشتغالا برع به فيها وحصل جل معانيها ، وحفظ الصحة حاصلة واستردها زائلة .
واول اجتماعي به كانت بدمشق في شهر ذي القعدة سنة سبع وستين وستائة ، فوجدت له نفساً
حاتمية ، وشنشنة أخزمية ، وخلقا ألطف من النسيم ، ولفظاً أحلى من مزاج التسنيم . وسمعني من
نظمه الشعر البديع معناه ، البعيد مرماه ، الذي قد جمع أجناس التجنيس ، وطبقات التطبيق
النفيس ، والالفاظ القصيحة ، والمعاني الصحيحة . فهو في علم الطب قد تميز على الاوائل والاواخر ،
وفي الادب قد عجز كل ناظم ونائر . هذا مع ما انه في علم الفقه على مذهب الامام الشافعي سيد
زمانه واوحد أوانه . وسافر من دنيسر الى الديار المصرية ثم رجع الى الشام واقام بدمشق ، وخدم
الأدر الناصرية اليوسفية بقلعة دمشق . ثم خدم في البيارستان الكبير النوري بدمشق .

ومن شعره وهو مما أنشدني لنفسه فمن ذلك قال

بالله يا قارئاً شعري وسامعه
واستر بفضلك ما تلقاه من زلي
أسبل عليه رداء الحكم والكرم
فان علمي قد أترى من العدم
(البسيط)

وقال ايضاً :

نعم فليقل من شاء عني فاني
وعذبني بالصد منه وكلما
كلفت بذاك الحال والمقلة الكحلا
تجنني فما أشباه عندي وما أحلى
وحرمت نومي بعد ما صد معرضاً
غزال غزا قلبي بعامل قده
حلفت بذاك الوجه لا أسمع العذلا
فلا تعذلوني في هواه فاني
(الطويل)

وقال ايضاً :

عذارك^(١) الخضر يا منيقي
لما بدا في الخد ثم استدار

(١) جانب اللحية اي الشعر .

أقام عذري عند أهل الهوى
وكان في ذلك لنا آية

وصح ما قيل عن الاعتذار
اذ جمع الليلُ معاً والنهار
(السريع)

وقال ايضاً :

غزال له بين الجوانح والحشا
فلا تطمع العذال مني بسلوة
ففي كبدي من فرط وجدي ولوعتي

مقيل وفي قلبي مكان وامكان
وان رمت سلوانا فاني نخوان
وفي الجفن نيران علي وطوفان
(الطويل)

وقال ايضاً :

عشقت بدمراً مليحاً
مثل الغزال ولكن
بعثت من نار وجدي
وقلت أنت حبيبي
ولي عليك شهود
جسمي يذوب وجفني

عليه بالحسن هاله
تغار منه الغزاله
مني اليه رساله
ومالكي لا محاله
معروفة بالعداله
دموعه هطاله

(البسيط)

وقال من ابیات :

اسكنتك القلب المليء من الوفا
وقطعت عن كل الاثام مطامعي

وجعلت في سودائه مغناكا
وهجرتهم لما عرفت هواكا
(الكامل)

وقال ايضاً :

نعم عند قلبي من لواظته شغل
ومهما سمعتم من قديم صباية
أجيراننا بالله مهلاً فأنني
عزيز على خديته نبت عذاره
ومن شائلي في هواه فأنني

فكفوا فلا عتب يفيد ولا عدل^(١)
فذاك حديث صح عندي به النقل
أسير لما جاءت به الحدق النجل
شغلت به عن كل ما كان لي شغل
حلفت به عن حبه قط لا أسلو
(الطويل)

وقال أيضاً :

يا سادة رحلوا عني ووافقهم

صبرني وما بعثوا لي عنهم خبرا

(١) اللامة .

لا تسألوا ما جرى لي يوم بينكم
وارحمنا لكئيب قل ناصره
قد بات مما به من طول هجر كم
والورق فوق غصون البان تسعده
فهل تجودون يوماً بالوصال له
فذكركم في صميم القلب مسكنه
وكل من لاه فيكم يقول له

بل اسألوا عن مصون كيف جرى
يقضي غراماً وما قضى بكم وطرا
طول الليالي بكم يستعذب السهرا
بنوحها ونسيم الروض حين نرى
وان تمنعتموا جودوا بطيف كرى
وغيركم في صميم القلب ما خطرا
وقد رأى حسنكم قم كرر النظرا
(البسيط)

(وقال ايضاً من ابيات)

حلفت له لا حلت عن واهي به
اذا باعني منه الوصال بمهجتي

وقلبي على ما قد حلفت له حلف
شريت وها قلبي أقدمه سلف
(الطويل)

(قال ايضاً)

كفوا من اللوم في محبته
بيني وبين المساو مرحلة

قد سئمت من ملامك نفسي
لكنها من مراحل الشمس
(المفروق)

(وقال ايضاً)

اما الحديث فعنهم ما اجله
قل للعدول أطلت لست بسمع
لا أنتهي من خب من أحبته
ظلي تلباً بالجمال على الوري
قد حل في قلبي وكل جوانحي
وحياة ناظره وعامل قده
هب انني متجنن في حبه

والموت من جور الهوى ما أعدله
بين السلو وبين قلبي مرحلة
ما دام قلبي والهوى في منزله
يا ليت شعري صدغه من أرسله
فدمي له في حبه من حله
روحي بعارض خده متمله
فعداره في خده من سلسله
(الكامل)

وقال ايضاً :

قصف على بان الحمى والابرق^(١)
فجفوني بدمع قد أقسمت
ودموعي كلما كفكفتها

فمسي تذهب مني حرق
أنها لا تلتقي أو نلتقي
م قد أقسمت لا ترتقي

(١) الأرض الغليظة فيها حجارة ورمل وطين.

هـب يحفاكم قد شقي
وبقي لي بعد كلي رمقي
ليتة لما هجرتم لا بقي
(الرملي)

يا عريب الحى رقا وارحوا
قد فني كلي في حبكم
والذي أبى هواكم والجفا

وقال ايضاً من ابيات :

وما نفع السؤال فلم تجور
اليك من الصبابة يستجير
وليل الوصل أطوله قصير
(الوافر)

سألتك ان تجير تلتهم
وحرمت الوصال على كتيب
فيوم الهجر أقصره طويل

وقال ايضاً :

ونادى على الراح داعي الفرح
ولكن عقيب ركوع القدح
(المتقارب)

إذا رفع العود تكبيره
رأيت سجودي لها دائماً

وقال في ملبح يلقب بالجمال :

رشاً فانت بحسنه مقتول
سيف الجمال يحفنه مسلول
(الكامل)

قالوا عشقت من الانام جميعهم
فأجبتهم لا تعجبوا بما جرى

وقال ايضاً في ملبح تعرض للوصل بعد ذهاب ملاحظته :

نادى بك التيه لا تعطف على احد
تركتني وأخذت الروح من جسدي
وانت تعجز عن ابعاده بيد
أخنى عليك الذي أخنى على لبد^(١)

لما سألتك اشفاقاً على كبدي
ورحت ترح في ثوب الجمال وقد
حتى اذا الدهر أدنى منك حادثة
بعثت تطلب وصلي كي أعود وقد

وقال :

وهمت بالمسال^(٢) من قده
ابصرت بدرالتم في سعده
يخرج لحظي في خده
(السريع)

كلفت بالمعسول من ريقه
بدر إذا ابصرته مقبلاً
يخرج قلبي لحظه مثل ما

ومنها :

والقلب موقوف على صده

قلت لعدالي على حبه

(١) آخر نسور لقمان بن عاد .

(٢) رمح عسال : يتر لنا .

من يده في الما الى زنده
يعرف حر الماء من برده
(السريع)

وقال ايضاً :

ان فاض ماء جفوني قلت من فكري عليه أو غاض دمعي قلت من ناري
وكلما رمت ان اسلو هواه ارى النار في جبه اولى من العار
(البسيط)

وقال ايضاً :

ولقد سألت وصاله فاجابني
في نون حاجبه وعين جفونه
عنه الجمال اشارة عن قائل
مع ميم مبسمه جواب السائل
(الكامل)

وقال ايضاً :

في صاد مقلته إذا حققتها
عذر لمن قد ضل فيه مولها
مع نون حاجبه وميم المبسم
فعلام يعذل فيه من لم يفهم
(الكامل)

وقال لغزاً في عثمان :

سألت جميع الناس ظناً بانني
عن اسم مسماه تناهى جماله
واحرقه لا شك خمسة احرف
إذا زال عنه الخمس والخمس واحد
ارى فيهم من يعرف الحق والصدقا
ومن هجره قلبي واعراضه يشقى
وكل صحيح الذهن يعرفه حقاً
تبقى ثمان وهي أعجب ما يبقى
(الطويل)

وقال من قصيدة مدح بها الملك السعيد غازي ابن الملك المنصور صاحب ماردن :

مؤيد الرأي مقدم كتائبه
ويركب الجد يوم الحرب معتقلاً
فيشكل الاسد يوم الروع صارمه
ملء البسيطة من سهل ومن جبل
بعد الصوافن بالعسالة الذبل
والشكل بالبيض بعد النقط بالاسل
(البسيط)

وقال مخمساً هذه الأبيات :

وحق هواك وجدي لا يحول
وقلبي والفؤاد غدا يقول
وما لهواك من قلبي نصول
عذولي. راح في قيل وقال
وجسمي قد اضر به النحول
ارى الايام صبغتها تحول
وما انا عن محبتكم بسالي

وكيف يمر هجركم ببالي وحب لا تغيّره الليالي
 محال ان يغيّره العذول
 فلما كانت بالهجران فتكبي وطرفي والفؤاد لذاك يبكي
 وقد جد الرخيل بغير شك اتت ودموعها في الحنن تحكي
 قلاندها وقد جعلت تقول
 فقلت لها رويدك بالرعايا ففسي قلبي لبعدهم بلايا
 فقالت والتمني منها منايا غداة غد تزم^(١) بنا المطايا
 فهل لك من وداع يا خليل
 معذبتني تقول بلا بلال اذا ازف الرحيل وحال حالي
 واصبح ريمنا بالبين خالي فقلت لها وعيشك لا ابالي
 أقام الحبي أم جد الرحيل
 غداً بالهجر منك يذوب قلبي ولا يجد الشفاء بغير قرب
 ولي امل يزول بذاك كربي اذا كانت بنات الكرم شربي
 ونقلي وجهك الحسن الجميل
 متى عوضت عن سهر الليالي بقرب منك مع حسن الوصال
 وعانيت الجمال على الكمال أمنت بذاك حادثة الليالي
 وهان علي ما قال العذول

(الوافر)

وقال في مليح صنمته رفاء

عسى بجلو حديث منك ترفيه^(٢) قطعت قلبي بر الهجر يا املي
 وفي خالفني للعذل ترفيهي فقد عصيت عذولا بات يمدلني

وقال في مليح اسمه عيسى :

كأس الردى في الجفن والاحداق يا من هوى الاسم المسيح وقد حوى
 يحبي وانت تميمت بالاشواق خالفت عيسى في الفعال وقد غدا
 (الكامل)

وقال دوبيت :

ها حسنك زائل ووجدني باقي يا من نقض العهد مع الميثاق
 أن كنت عذرت فالوفا علمني ان كنت عذرت فالوفا علمني

(١) زم المطية : خطمها وعلق عليها الزمام .
 (٢) تصلحه وتخيطة .

وقال ايضاً :

مولاي الى متى على الصب تجور
يحطى بك غيري والهوى في كبدي
يا غادر كم كذا صدود ونفور
لا صبر لمن يحب ان كان غيور

وقال ايضاً :

في القلب من الغرام نار تقدر
يا من سلب الرقاد عن عاشقه
والله وان هجرت زال الجلد
صلني فسواك ما بقى لي احد

وقال ايضاً :

الامر بأن اموت في الحب اليك
والله وقلبي قال لو امكنه
ان رمت تلافى ما انا بين يديك
سعيًا لسمي مني على الرأس اليك

وقال ايضاً :

مولاي وحق من قضى لي بهواك
ان كان تلاف مهجتي فيه رضاك
ما أسعد يوماً فيه والله أراك
أثقل كبدي فالكل والله فداك

ولعماد الدين الدنيسري من الكتب : المقالة المرشدة في درج الادوية المفردة . كتاب نظم الترتبات
الفاروق : كتاب في الماروديوطوس . كتاب في مقدمة المعرفة لابقراط . أرجوزة . كتاب ديوان شعر .

موفق الدين يعقوب السامري

هو الحكيم الأجل الأوحد العالم رئيس زمانه وعلامة أوانه ، ابو يوسف يعقوب بن غنائم . مولده
ومنشؤ : بدمشق . بارع في الصناعة الطبية ، جامع للعلوم الحكيمة ، قد أتقن صناعة الطب علماً وعملاً ،
واحتوى على جملتها تفصيلاً وجلاً . محمود المداواة مشكور المداواة ، متعين عند الاعيان متميز في
سائر الأزمان ، مؤيد في اجتلاب الصحة وحفظها في الابدان . واشتغل عليه جماعة من المتطبيين ،
وانتفع به كثير من المتطلبين . وله التصانيف التي هي فصحة العبارة ، صحيحة الاشارة ، قوية المباني ،
بليغة الماني .

ولموفق الدين يعقوب السامري من الكتب : شرح الكليات من كتاب القانون لابن سينا ، وقد جمع
فيه ما قاله ابن خطيب الري في شرحه للكليات ، وكذلك ما قاله القطب المصري في شرحه لها ،
وما قاله غيرهما ، وحرره في اقوالهم من المباحثات ، وقد اجاد في تأليفه ، وبالع في تصنيفه . حل
شكوك نجم الدين بن المنفاح على الكليات . كتاب المدخل الى علم المنطق والطبيعي والالهي .
توفي في شهر رمضان سنة احدى وثمانين وستائة .

ابو الفرج بن القف

هو الحكيم الاجل العالم أمين الدولة ابو الفرج ابن الشيخ الاوحد العالم موفق الدين بن اسحق بن القف
من نصارى الكرك . مولده بالكرك في يوم السبت ثالث عشر ذي القعدة سنة ثلاثين وستائة . كان

والده موفق الدين صديقاً لي مستمراً في تأكيد مودته ، حافظاً لهاطول ايامه ومدته ؛ تستحلي نفائس مجالسته ، وتستحلي عرائس مؤانسته ؛ ألمعي اوانه واصمعي زمانه ، جيد الحفظ للاشعار ، علامة في نقل التواريخ والاختبار ، متميز في علم العربية ، فاضل في الفنون الادبية . قد اشتمل في الكتابة على أصولها وفروعها ، وبلغ الغاية من بعيدها وبديعها . وله الخط المنسوب الذي هو نزهة الابصار ، ولا يلحقه كاتب في سائر الاقطار والامصار . كان في ايام الملك الناصر يوسف بن محمد كاتباً بصرخند عاملاً في ديوان البر . وكان ولده هذا ابو الفرج تتبين فيه النجابة من صغره ، كما تحققت في كبره ، حسن السميت كثير الصمت ، وافر الذكاء محباً لسيرة العلماء فقصد ابوه تعليمه الطب فسألني ذلك فلأزمني حتى حفظ الكتب الاولة المتداول حفظها في صناعة الطب كمسائل حنين والفصول لابقراط ، وتقدمة المعرفة له ، وعرف شرح معانيها ، وفهم قواعد مبانيها . وقرأ علي بعد ذلك في العلاج من كتب ابي بكر محمد بن زكريا الرازي . ما عرف به اقسام الاسقام ، وجسيم العلل في الاجسام ، وتحقق معالجة المعالجة ومعاينة المداواة . وعرفته أصول ذلك وفصوله ، وفهمته غوامضه ومحصله . ثم انتقل ابوه الى دمشق المحروسة ، وخدم بها في الديوان السامي ، وسار ولده معه ولازم جماعة من الفضلاء . فقرأ في العلوم الحكمية والاجزاء الفلسفية على الشيخ شمس الدين عبد الحميد الخسروشاهي وعلى عز الدين الحسن الغنوي الضرير . وقرأ ايضاً في صناعة الطب على الحكيم نجم الدين بن المنفاخ ، وعلى موفق الدين يعقوب السامري . وقرأ ايضاً كتاب اوقليدس على الشيخ مؤيد الدين المرضي ، وفهم هذا الكتاب فهماً فتح به مقفل اقواله ، وحل مشكل اشكاله . وخدم ابو الفرج بن القف بصناعة الطب في قلعة عجلون واقام بها عدة سنين . ثم عاد الى دمشق وخدم في قلعتها المحروسة لمعالجة المرضى ، وهو محمود في افعاله مشكور في سائر احواله . وله من الكتب كتاب الشافي في الطب . شرح الكليات من كتاب القانون لابن سينا ست مجلدات . شرح الفصول كتابين ، مقالة في حفظ الصحة . كتاب العبدية في صناعة الجراح عشرين مقالة علم وعمل يذكر فيه جميع ما يحتاج اليه الجراحني بحيث لا يحتاج الى غيره . كتاب جامع الغرض مجلد واحد . حواش على ثالث القانون لم يوجد . شرح الاشارات مسودة ولم يتم . المباحث المغربية ولم تتم . توفي في جمادى الاولى سنة خمس وثمانين وستائة والله أعلم بما

* * *

فہارس الکتاب

فهرست المواضيع

الباب الاول

- ١١ كيفية وجود صناعة الطب واول حدوثها

الباب الثاني

- ٢٩ طبقات الاطباء الذين ظهرت لهم أجزاء من صناعة الطب وكانوا المبتدئين بها
رجع الكلام الى ذكر اسقليبوس - من الآداب والحكم التي لأسقليبوس - أيلق

الباب الثالث

- ٣٩ طبقات الاطباء اليونانيين الذين هم من نسل اسقليبوس
غورس ، مينس ، برمانوس ، أفلاطن الطبيب ، اسقليبوس الثاني

الباب الرابع

- ٤٣ طبقات الاطباء اليونانيين الذين أذاع أبقرات فيهم صناعة الطب
أبقرات ، قسم أبقرات ، ناموس الطب لأبقرات ، وصية أبقرات ، بندقليس ، فيثاغورس ،
كلمات حكيمة ، سقرات ، من آداب سقرات ، أفلاطون ، مواعظ أفلاطون ، كتب أفلاطون ،
أرسطوطاليس ، وصية أرسطوطاليس ، مقالة أرسطوطاليس ، آداب أرسطوطاليس ، كتب
ارسطوطاليس ، ثاوفرسطس ، الاسكندر الافروديسيي الدمشقي

الباب الخامس

- ١٠٩ طبقات الاطباء الذين كانوا منذ زمان جالينوس وقريباً منه
جالينوس ، مسكن جالينوس ، صفة تجويد الماء ، صفة جالينوس وأخلاقه ، الاطباء
المشهورون بعد وفاة جالينوس

الباب السادس

طبقات الاطباء الاسكندرانيين ومن كان في أزمنتهم من الاطباء النصارى وغيرهم
كتب يحيى النحوي

الباب السابع

طبقات الأطباء الذين كانوا في أول ظهور الاسلام من أطباء العرب وغيرهم
كلام الحارث مع كسرى ، النصر بن الحرث بن كـلمة الثقفي ، ابن أبي رمنة التميمي ،
عبد الملك بن أيجر الكتاني ، ابن أثال ، ابو الحكم ، حكم الدمشقي ، عيسى بن حكم الدمشقي
تياذوق ، زينب طيبة بني أود

الباب الثامن

طبقات الاطباء السريانيين الذين كانوا في ابتداء ظهور دولة بني العباس
جورجيوس بن جبرائيل ، بختيشوع بن جورجس ، جبرائيل بن بختيشوع بن جورجس ،
بختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع ، جبرائيل بن عبدالله ، عبيد الله بن جبرائيل ، خصيب ،
عيسى المعروف بأبي قريش ، الللاج ، عبدالله الطيفوري ، زكريا بن الطيفوري ، اسرائيل
ابن زكريا الطيفوري ، يزيد بن زيد ، عبدوس بن زيد ، سهل الكوسج ، سابور بن سهل ،
اسرائيل بن سهل ، موسى بن اسرائيل الكوفي ، ماسرجويه متطبب البصرة ، سلمويه بن بنان
متطبب المعتصم ، ابراهيم بن فزارون ، ايوب المعروف بالابرش ، ابراهيم بن ايوب الابرش ،
جبرائيل كحال المأمون ، ماسويه ابو يوحنا ، يوحنا بن ماسويه ، عيسى بن ماسه ، حنين
بن اسحق ، اسحق بن حنين ، حبش الاعسم ، يوحنا بن بختيشوع ، بختيشوع بن يوحنا ،
عيسى بن علي ، عيسى بن يحيى بن ابراهيم ، الحلاجي ، ابن مهار بنخت ، ابن ماهان ، الساحر

الباب التاسع

طبقات الاطباء النقلة الذين نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان اليوناني الى اللسان
العربي وذكر الذين نقلوا لهم .

٢٧٩

جورجس ، حنين بن اسحق ، حبش الاعسم ، عيسى بن يحيى بن ابراهيم ، قسطا بن لوقا
البعلبي ، ايوب المعروف بالابرش ، ماسرجيس ، عيسى بن ماسرجيس ، شهدي الكرخي ،
ابن شهدي الكرخي ، الحجاج بن مطر ، زروبان مالحوس الناعمي الحصي ، هلال بن ابي هلال
الحصي ، فثيون الترجمان ، أبو نصر بن ناري بن ايوب ، سيل المطران ، اصطفن بن باسيل ،

موسى بن خالد الترجمان ، اسطاث ، حيرون بن رابطة ، تدرس السنقل ، سرجس الراسي ،
أيوب الرهاوي ، يوسف الناقل ، ابراهيم بن الصلت ، ثابت الناقل ، ، أبو يوسف الكاتب ،
يوحنا بن بختيشوع ، البطريق ، يحيى بن البطريق ، قيسا الرهاوي ، منصور بن باناس ، عبد
يشوع بن بهريز ، أبو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي ، ابو اسحق ابراهيم بن بكس ، أبو
الحسن علي بن ابراهيم بن بكس ، شيرشوع بن قطرب محمد بن موسى المنجم ، علي بن يحيى
المعروف بابن المنجم ، ثادرس الأسقف ، محمد بن موسى بن عبد الملك ، عيسى بن يوسف
الكاتب الحاسب ، علي المعروف بالغيوم ، احمد بن محمد المعروف بابن المدير الكاتب ،
ابراهيم بن محمد بن مدسى الكاتب ، عبدالله بن اسحق ، محمد بن عبد الملك الزيات .

الباب العاشر

٢٨٥

مطبقات الأطباء العراقيين واطباء الجزيرة وديار بكر

يعقوب بن اسحق الكندي ، أحمد بن الطيب السرخسي ، أبو الحسن ثابت بن قرة الحراني ،
أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة ، ابو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة ، أبو اسحق
ابراهيم بن سنان بن ثابت بن قرة ، أبو اسحق ابراهيم بن زهرون الحراني ، ابو الحسن الحراني ،
ابن وصيف الصابي ، غالب طبيب المعتضد ، أبو عثمان سعيد بن غالب ، عبدوس ، صاعد
بن بشر بن عبدوس ، ديلم ، داود بن ديلم ، ابو عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي ، الرقي ،
قويري ، ابن كرنيب ، ابو يحيى المروزي ، متى بن يونا ، يحيى بن عدي ، ابو علي بن
زرعة ، موسى بن سيار ، علي بن العباس الجوسي ، عيسى طبيب القاهر ، دانيال المتطبب ،
اسحق بن شليطا ، ابو الحسين عمر بن الدحلي ، فنون المتطبب ، ابو الحسين بن كشكرايا ،
أبو يعقوب الاهوازي ، نطيف القس الرومي ، أبو سعيد اليامي ، أبو الفرج بن ابي سعيد
اليامي ، أبو الفرج يحيى بن سعيد بن يحيى ، أبو الفرج بن الطيب ، ابن بطلان ، الفضل بن
جرير التكريتي ، ابو نصر يحيى بن جرير التكريتي ، ابن دينار ، ابراهيم بن بكس ، علي بن
ابراهيم بن بكس ، قسطا بن لوقا البعلبكي ، مسكويه احمد بن ابي الاشعث ، محمد بن ثواب
الموصل ، احمد بن محمد البلدي ، ابن قوسين علي بن عيسى ، ابن الشبل البغدادي ، ابن بختويه
أبو العلاء صاعد بن الحسن ، زاهد العلماء ، المقبلي النيلي ، اسحق بن علي الرهاوي ، سعيد بن
هبة الله ، ابن جزلة ، ابو الخطاب ، ابن الواسطي ، ابو طاهر بن البرخشي ، ابن صفية ، أمين الدولة
ابن التلميد ، ابو الفرج يحيى بن التلميد ، أوحدا الزمان أبو البركات هبة الله بن علي ملكا ، البديع الاطرلابي ،
ابو القاسم هبة الله بن الفضل ، العنتري ، ابو الغنائم هبة الله بن علي بن الحسين بن اتردي ،
علي بن هبة الله بن اتردي ، سعيد بن اتردي ، أبو علي الحسن بن علي بن اتردي ، جمال
الدين علي بن اتردي ، فخر الدين المارديني ، ابو نصر بن المسيحي ، ابو الفرج ، ابو الحسين
صاعد بن هبة الله بن المؤمل ، ابن المارستانية ، ابن سدير ، مهذب الدين بن هبل ، شمس
الدين بن هبل ، كمال الدين بن يونس .

الباب الحادي عشر

٤١٣

طبقات الاطباء الذين ظهروا في بلاد العجم

تيادورس ، برزويه ، ابن الطبري ، ابن ربن الطبري ، أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ، أبو الحسن أحمد بن محمد الطبري ، أبو سليمان السجستاني ، أبو الخير الحسن بن موار ، أبو الفرج بن هندو ، الحسن الفسوي ، أبو منصور الحسن بن نوح القمري ، أبو سهل المسيحي ، الشيخ الرئيس ابن سينا ، الأيلاقي ، أبو الريحان البيروني ، ابن مندويه الاصفهاني ، ابن أبي صادق ، طاهر بن ابراهيم السجري ، ابن خطيب الري ، القطب المصري ، السموأل ، بدر الدين محمد بن بهرام بن محمد القلانسي السمرقندي ، نجيب الدين أبو حامد محمد بن علي بن عمر السمرقندي ، الشريف شرف الدين اسمعيل

الباب الثاني عشر

٤٧٣

طبقات الاطباء الذين كانوا من الهند

كنكه الهندي ، صنجل ، شاناق ، جودر ، منكه الهندي ، صالح بن بهلة الهندي .

الباب الثالث عشر

٤٧٨

طبقات الاطباء الذين ظهروا في بلاد المغرب وأقاموا بها

اسحق بن عمران ، اسحق بن سليمان ، ابن الجزائر ، ابن السمينة ، أبو القاسم مسلمة بن أحمد ، ابن السمع ابن الصغار ، أبو الحسن علي بن سليمان الزهراوي ، الكرماني ، ابن خلدون ، أبو جعفر أحمد بن خميس بن عامر بن دميح ، حمد بن أبان ، جواد الطبيب النصراني ، خالد بن يزيد بن رومان النصراني ، ابن ملوكة النصراني ، عمران بن أبي عمرو ، محمد بن فتح طملون ، الحراني ، أحمد عمر ابنايونس بن أحمد الحراني ، اسحق الطبيب ، يحيى بن اسحق ، سليمان أبو بكر بن تاج ، ابن أم البنين ، سعيد بن عبد ربه ، اصبح بن يحيى ، محمد بن تليح ، أبو الوليد بن الكتاني ، أبو عبدالله بن الكتاني ، أحمد بن حكيم بن حفصون ، أبو بكر أحمد بن جابر ، أبو عبدالله الملك الثقفي ، هرون بن موسى الاشبوني ، محمد بن عبدون الجبلي العذري ، عبد الرحمن بن اسحق ابن الهيثم ، ابن جلجل ، ابو العرب يوسف بن محمد ، ابن البغونش ، ابن وافد ، الرميلى ، ابن الذهبي ، ابن الناش ، أبو جعفر بن خميس الطليطلي - أبو الحسن عبد الرحمن بن خلف بن عساكر الدارمي ، ابن الخياط ، منجم بن القوال ، مروان بن جناح ، اسحق بن قسطار ، حسداي بن اسحق ، ابو الفضل حسداي بن يوسف بن حسداي ، أبو جعفر يوسف بن أحمد بن حسداي ، ابن سمجون ، البكري ، النافقي ، الشريف محمد بن محمد الحسيني ، خلف بن عباس الزهراوي ، ابن بكلارش ، أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن ابي الصلت ، ابن باجة ، ابو مروان

ابن زهر ، أبو العلاء بن زهر ، أبو مروان بن أبي العلاء بن زهر ، الحفيد أبو بكر بن زهر ، أبو محمد بن الحفيد أبي بكر بن زهر ، أبو جعفر بن هارون الترجالي ، أبو الوليد بن رشد ، أبو محمد ابن رشد ، أبو الحجاج يوسف بن موراطير ، أبو عبدالله بن يزيد ، أبو مروان عبد الملك بن قبلان ، أبو اسحق ابراهيم الداني ، أبو يحيى بن قاسم الاشبيلي ، أبو الحكم بن غلندو ، أبو جعفر احمد بن حسان ، أبو العلاء بن أبي جعفر أحمد بن حسان ، أبو محمد الشذوني ، المصدم ، عبد العزيز بن مسلمة الباجي ، أبو جعفر بن الغزال ، أبو بكر بن القاضي أبي الحسن الزهري ، أبو عبدالله النديم ، أبو جعفر احمد بن سابق ، ابن الحلاء المرسى ، أبو اسحق بن طموس ، أبو جعفر الذهبي أبو العباس بن الرومية ، أبو العباس الكنيناري ، ابن الاصم .

الباب الرابع عشر

٥٤٠

طبقات الاطباء المشهورين من اطباء ديار مصر

بليطيان ، ابراهيم بن عيسى ، الحسن بن زيرك ، سعيد بن توفيل ، خلف الطولوني ، نسطاس بن جريج ، اسحق بن ابراهيم بن نسطاس ، الباسي ، موسى بن العازار الاسرائيلي ، يوسف النصراني ، سعيد بن البطريق ، عيسى بن البطريق ، أعين بن أعين ، التميمي ، سهلان ، أبو الفتح منصور بن سهلان بن مقشر ، عمار بن علي الموصل ، الحقيير النافع ، أبو بشر طبيب العظمية ، ابن مقشر الطبيب ، علي بن سليمان ، ابن الهيثم ، المبشر بن فاذك ، اسحق بن يونس ، علي بن رضوان ، افرائيم ابن الزفان ، سلامة بن رحون ، مبارك بن سلامة بن رحون ، ابن العين زربي ، بلظفر بن معرف ، الشيخ السديد رئيس الطب ، ابن جميع ، أبو البيان ابن المدور ، أبو الفضائل بن الناقد ، الرئيس هبة الله ، الموفق بن شوعة ، أبو البركات بن القضاعي ، أبو المعالي بن تمام ، الرئيس موسى ، ابراهيم بن الرئيس موسى ، أبو البركات بن شعيا ، الاسعد المحلي ، الشيخ السديد بن أبي البيان ، جمال الدين بن أبي الحوافر ، فتح الدين بن جمال الدين بن أبي الحوافر ، شهاب الدين بن فتح الدين ، القاضي نفيس الدين بن الزبير ، أفضل الدين الخونجي ، أبو سليمان داود بن أبي المنى بن أبي فانة ، أبو سعيد بن أبي سليمان ، أبو شاعر ابن أبي سليمان ، أبو نصر بن أبي سليمان ، أبو الفضل بن أبي سليمان ، رشيد الدين أبو حليقة ، مهذب الدين أبو سعيد محمد أبي حليقة ، رشيد الدين أبو سعيد ، اسعد الدين بن أبي الحسن ، ضياء الدين بن البيطار .

الباب الخامس عشر

٦٠٣

طبقات الاطباء المشهورين من اطباء الشام

أبو نصر الفارابي ، عيسى الرقي ، اليبودي ، جابر بن منصور السكري ، ظافر بن جابر

السكرى، موهوب بن الظافر ، جابر بن موهوب ، أبو الحكم ، أبو المجد بن أبي الحكم ، ابن
 البذوخ ، حكم الزمان، عبد المنعم الجلياني، أبو الفضل بن أبي الوقار، مذهب الدين بن النقاش،
 أبو زكريا يحيى البياسي ، سكرة الحلبي ، عفيف بن سكرة ، ابن الصلاح ، شهاب الدين ،
 السهروردي ، شمس الدين الخوي ، رفيع الدين الجيلي ، شمس الدين الخسروشاهي ، سيف الدين
 الآمدي ، موفق الدين بن المطران، مذهب الدين بن الحاجب، الشريف الكحال ، أبو منصور
 النصراني ، أبو النجم النصراني ، أبو الفرج النصراني ، فخر الدين بن الساعاتي ، شمس الدين
 ابن اللبودين ، صاحب نجم الدين بن اللبودين ، زين الدين الحافظي ، أبو الفضل بن
 عبد الكريم المهندس ، موفق الدين عبد العزيز ، سعد الدين بن عبد العزيز ، رضي الدين
 الرحي ، شرف الدين بن الرحي ، جمال الدين بن الرحي ، كمال الدين الحمصي ، موفق الدين
 عبد اللطيف البغدادي، أبو الحجاج يوسف الاسرائيلي، عمران الاسرائيلي ، موفق الدين يعقوب
 ابن سقلاب ، سديد الدين أبو منصور ، رشيد الدين بن الصوري ، سديد الدين بن رقيقة ،
 صدقة السامري مذهب الدين يوسف بن أبي سعيد ، صاحب أمين الدولة ، مذهب الدين
 عبد الرحيم بن علي ، عمي رشيد الدين علي بن خليفة ، بدر الدين ابن قاضي بعلبك ، شمس
 الدين محمد الكلبي ، موفق الدين عبد السلام ، عز الدين بن السويدي ، عماد الدين الدنيسري ،
 موفق الدين يعقوب السامري ، أبو الفرج بن القف .

فهرست الاعلام والامكنة

- ١ —
- ابراهيم بن أيوب : ٢٤١
 ابراهيم بن الصلت : ٢٨٢
 ابراهيم بن فزارون : ٢٤٠
 ابراهيم الحصري : ٢٠٣
 ابقراط : ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ٢٠ ، ٢٧ ،
 ٣٢ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ،
 ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ،
 ٥٩ ، ٨٥ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٥ ، ١٣٣ ،
 ١٣٥ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ،
 ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٨ ، ١٧٩ ، ٢٤٥ ، ٢٦٦ ،
 ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٢٩٨ ،
 ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٧١ ، ٤١٦ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ،
 ٤٢٩ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٧٢ ، ٤٧٩
 ابن أبي أصيبعة : ٣ ، ٥ ، ٦
 ابن أصفغن : ٤٦١
 ابن بختويه : ١٢٤ ، ٢٨٨ ، ٣٤٠
 ابن جليجل : ٣٨ ، ٤٨ ، ٧٩ ، ١٠٧ ، ١٢١ ،
 ١٦١ ، ١٦٦ ، ١٧١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٦ ، ٢٦٢ ،
 ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٨٦ ، ٣١١ ، ٣٢٩ ، ٤١٦ ،
 ٤٧٨ ، ٤٨١ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٩٠ ،
 ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥
 ابن أبي رمقه التميمي : ١٧٠
 ابن الدايه : ٤٧٥
 ابن أثال : ١٧١ ، ١٧٢
- ابن عباس : ١٧ ، ١٧٤
 ابن عدي : ١٨
 ابن جزلة : ٣٤٣
 ابن سلام : ٢٥٤
 ابن المهدي جبرائيل : ١١٨ ، ١٢٠
 ابن النديم البغدادي : ٩١ ، ٢٦٠ ، ٢٨٦ ،
 ٢٨٧ ، ٣٢٩ ، ٤١٤
 ابن باجه : ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧
 ابن وصف الصابي : ٣١١
 ابن قوسين : ٣٣٣
 ابن صهار بنجت : ٢٧٨
 ابن الشبل البغدادي : ٣٣٣
 ابن مهان : ٢٧٨
 ابن بطلان : ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٣٩١
 ابن سينا : ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٩١ ، ٤٠٣ ،
 ٤٠٣ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ،
 ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٥٠ ،
 ٤٥٤ ، ٤٥٧ ، ٤٥٩ ، ٤٦١ ، ٤٧١ ، ٤٧٢
 ابن شهدي الكرخي : ٢٨٠
 ابن دينار : ٣٢٩
 ابن الراوندي : ٢٩٢
 ابن رضوان : ٣٢٥ ، ٣٢٦
 ابن الهيثم : ٥٥٠
 ابن البذوخ : ٦٢٨
 ابن كرنيب : ٣١٧

- أبو سعيد بن قرة : ٣٠٤ ، ٣٠٠
أبو سليمان المنطقي : ١٨ ، ٢٩ ، ٩١ ، ١٥٢ ،
٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩٢
أبو الحسن ثابت الحراني : ٢٩٥ ، ٣٠٤
أبو العلاء المعري : ١٣٠ ، ٣٢٧
أبو اسحاق بن قرة : ٣٠٧
أبو الفرج الاصبهاني : ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٨١ ، ٢٠١
أبو الوفاء : ١٨ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٤٩ ، ٦٣ ، ٧٠ ،
٧٥ ، ٧٦ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٨
١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ٣١٨
أبو القاسم صاعد : ٦١ ، ٧٠ ، ٢٨٧ ، ٤١٦ ،
٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤
أبو الفرج ابن القف : ٧٦٧
أبو نصر بن ايوب : ٢٨١
أبو معشر : ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٢٨٦ ، ٤١٤ ،
٤٧٣
أبو نواس : ٢٠٠ ، ٢٣٣
أبو الهندي البصري : ٦١
أبو يوسف الكاتب : ٢٨٢
أبو يعقوب الأهوازي : ٣٢٢
أبو سعيد الياامي : ٣٢٢ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧
أبو سعد الياامي : ٤٥٧
أبو الفرج الياامي : ٣٢٣
أبو الفرج بن يحيى : ٣٢٣
أبو الفرج ابن الطيب : ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ،
٣٢٧ ، ٤٥٨
أبو نصر التكريتي : ٣٢٨ ، ٣٩٩
أبو الخطاب : ٣٤٣
أبو طاهر البرخشي : ٣٤٤ ، ٣٤٥
أبو نصر المسيحي : ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥
أبو الفرج صاعد : ٤٠٥
أبو جعفر بن دميح : ٤٨٥
أبو زرعة : ٣١٨ ، ٣١٩
أبو عبد ربه : ٤٩٠
أبو الواسطي : ٣٤٣
أبو صفية : ٣٤٧
أبو الحفيد بن زهر : ٥٢٨ ، ٥٢٩
أبو زهر : ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩
أبو المارستاني : ٤٠٧
أبو سدير : ٤٠٧
أبو ربن الطبري : ٤١٤
أبو العميد : ٤٢٠ ، ٤٤٣
أبو قارن الرازي : ٤١٨
أبو حمدون : ٤١٧ ، ٤١٨
أبو خاقان : ٤١٩
أبو خطيب الرقي : ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٥ ،
٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢
أبو السمع : ٤٨٣
أبو خلدون : ٥٨٣ ، ٤٨٥
أبو الصفار : ٤٨٣ ، ٤٨٥
أبو مندويه : ٤٥٩ ، ٤٦٠
أبو الجزار : ٤٨٠ ، ٤٨١
أبو معشر : ٥٥٠
أبو اسحاق ابراهيم : ١١٨ ، ٣٠٤
أبو بكر : ١٦١
أبو الفضل بن حوية : ٤٦١
أبو جابر : ١٣ ، ١٤
أبو الحسن المختار : ١٥١
أبو الحكم : ١٧٥
أبو الخير بن الخمار : ١٥٧ ، ١٥٨ ، ٤١٦ ،
٤٢٠ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠
أبو زيد الانصاري : ١٦١
أبو الفرج بن هندو : ١٥٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٥
أبو سفيان : ١٦٧ ، ١٦٩

- ابو علي التنوخي : ٤١٧
 ابو الخطاب بن ابي طالب : ٤٢٨
 ابو طالب العلوي : ٤٥١
 ابو بكر البرقي : ٤٣٩ ، ٤٥٧
 ابو محمد المهدي : ٤٧٩ ، ٤٨٠
 ابو الفضل بن عبد الكريم المهندس : ٦٦٩
 أحمد بن ابي الأشعث : ٣٣١ ، ٣٣٢
 احمد بن طولون : ٢٤٩
 احمد البلدي : ٣٣٢
 أذربيجان : ٤٧٢
 الأزهرى : ٤٤٣
 اشبيلية : ٤٨٥
 اصفهان : ٤٤٢ ، ٤٤٤ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨
 أيلامي : ٤٥٩
 اسحق بن عمران : ٤٧٢ ، ٤٧٩
 الإسرائيلي : ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢
 اصبح بن يحيى : ٤٩١
 أثينيا : ٨٠ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ١٢٣
 أخطيفون : ٤٠
 آدم : ١٨ ، ٣٢ ، ٢٧٤
 إخوان الصفاء : ٤٨٥
 أرمينية : ١١٨
 أرسطو : ٣٠ ، ٤٠ ، ٦١ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٤ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٨ ، ١٥٣ ، ٢٥٣ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٧٤ ، ٢٨٩ ، ٢٩٥ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٥٥ ، ٤٢٠ ، ٤٢٣ ، ٤٤١ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٥٣٣ ، ٥٣٢
 أسطاش : ٢٨١
 اسطفن بن باسيل : ٢٨١ ، ٤٩٣
 الأفشين : ٢٢٤ ، ٢٢٥
 اسرائيل بن سهل : ٢٣٠
 أروودوتس : ٢٥ ، ٣٥
 أديباسيوس : ٢٠
 اسرائيل بن زكريا الطيفوري : ٢٢٥
 اسفقلس : ٤٠
 افلاطون : ٣٠ ، ٢١ ، ٤٠ ، ٦١ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٢٣ ، ٢٨٩ ، ٣٠٠ ، ٣٥٥ ، ٤٢٣
 اسقليوس : ٨ ، ١٢ ، ١٣ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٦ ، ٨٠ ، ٨٦ ، ١١٠ ، ١١٥
 اسكندرية : ٨ ، ١٢٦ ، ١٣٥ ، ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٧١ ، ٢٦٢ ، ٢٧٥
 اسكندر : ١٨ ، ٨٠ ، ٨٨ ، ١٠١ ، ١٠٥
 ١١١ ، ١١٢ ، ١١٥
 اسطورس : ٤٠
 اسحق بن حنين : ٨١ ، ٨٦ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ٢٣٤ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٩ ، ٤١٦
 آغامنون : ٣٣
 آغانيس : ٤٠
 أفيداروس : ٢٠
 اغوستوس : ١١٢
 اقريطوش : ١٢ ، ٢٦
 اسماعيل بن توبخت : ١١٩
 اسكندر الدمشقي : ١٠٦
 اسحق الرهاوي : ١٩١ ، ٢٠٧ ، ٢١٥

ايطالية : ٦٥
أيلق : ٣٨
أيوب الأبرش : ٢٤٠ ، ٢٨٠
أيوب ما : ١٤٧
أيوب الرهاوي : ٢٨١
أوبية : ٥
ايوليوس : ٢٩

— ب —

بابك : ٢٢٤
بابك : ١٢ ، ٣١ ، ٣٢
بارميناس : ٤٢٢
بختيشوع : ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٨٦ ، ١٨٧ ،
١٨٨ ، ١٩١
بختيشوع بن جبرائيل : ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ،
٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ،
٢١٨ ، ٢٤٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ،
بختيشوع بن يوحنا : ٢٧٧
بدر : ١٦٩ ، ١٧٠
باجي : ٥٢٩
بحرين : ٢٨٥
بخاري : ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩
برامكة : ٢٠٠
برمنيدوس : ٤٠ ، ٨٥ ، ١٤٧
بصرة : ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ،
٤٣٥
بطرس (الرسول) : ١١٢
بطليموس : ٨٦ ، ٩٤ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ٢٨٩ ،
٢٩١ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٤٤٤ ، ٤٥٩ ، ٤٨٣ ،
٤٨٨
بعلبك : ١١٣
بديع الاسطرلابي : ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ،
٣٨٧

٢٢٥ ، ٢٣٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ٣٤٢ ،
اقليدوس : ٢٧٥ ، ٢٨٠ ، ٢٩٠ ، ٢٩٩ ،
٣٣٠ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٥ ، ٤٨٣ ، ٤٩٢ ،
اسماعيلية : ٤٣٧
أسيوط : ١٢٣
أشتر : ١٧٤
اسحق بن شليطا : ٣٢١
افلوطرخس : ٤٢٥
ألنيوس : ٤٢٩
ألمانيا : ٦
امين الدولة : ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ،
٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ،
٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٨ ، ٣٨١ ، ٣٨٧ ، ٤٠٥ ،
أعين بن أعين : ٥٤٦
اسحق بن يونس : ٥٦١
افرائيم بن الزمان : ٥٦٧
اماسيس : ٦٤
امينوس : ٤٠
أناكسيانديروس : ٦٤
أنبار : ١١٨ ، ١٩٦ ، ٣١٣
أندروماخس : ٢١ ، ٢٣
انطاكية : ١١٣ ، ١٥٣ ، ١٧١ ، ٣٢٣
انقرة : ٢٤٦
انطيمخس : ٤٠
أندلس : ١١٧ ، ١٩٠ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ،
٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٩٩ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥١٣ ،
أمين : ١٨٩ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٦ ،
أهواز : ١٩٣ ، ١٩٤ ، ٣١٩
أوميروس : ١٠٥ ، ١٦٧ ، ٢٥٨
ايراقليدوس : ٤٣
ايراقلس : ٤٠ ، ٤٣ ، ٥٩
ايراقليطوس : ٨٠

- بالسي : ٥٤٥
 باسيل المطران : ٢٨١
 باغونش : ٤٩٥
 بطريق : ٢٨٢
 بقاع : ٤٦٠
 بغداد : ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢٦٢ ، ٢٧٤ ، ٢٨٦ ، ٢٩٣ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٤٣ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٣٧٤ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٩٩ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤١٤ ، ٣١٥ ، ٤١٧ ، ٤٢٤ ، ٤٢٧ ، ٤٥٤ ، ٤٥٨ ، ٤٧١ ، ٥٧٢ ، ٤٧٨
 بكر : ٩ ، ٢٨٥ ، ٣٢٧ ، ٤٧١
 بندهي : ٤٦٨
 برزوية : ٤١٣
 بلخ : ٤١٦ ، ٤٣٧
 بلخي : ٤١٦ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦
 بندقليس : ٦١ ، ٦٢
 بغداددي : ٤٧١
 بكري : ٥٠٠
 بويهية : ٤٣٥
 برقليس : ٤٢٥
 بهاء الدين بن عضد الدولة : ٤٣٥
 بولس (الرسول) : ١١٠ - ١١٢
 بيهقي : ١١٠
 بهاء الدين بن نغاده : ٢٥
 بيت لحم : ١١٢
 بيرون : ٤٥٩
 بيروني : ٢٠٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩
 بنو امية : ١٦٧ ، ١٧٩ ، ٢٣٢ ، ٢٧٤
 بنو طالب : ٢٣٢
 بنو العباس : ٨ ، ١٨٣ ، ٢٣٢ ، ٤٧٦
 بنو هاشم : ٢٢١ ، ٢٣١ ، ٢٧٤ ، ٢٨٦ ، ٣٠١ ، ٣٠٢
 بدر الدين بن قاضي بلعبك : ٧٥١
 - ت -
 تدرس السنقل : ٢٨١
 تنوخي (القاضي) : ٤١٧ ، ٤١٨
 تستر : ٤٣٥
 تاج الملك : ٤٤١ ، ٤٤٢
 تاج الدين الأرموي : ٤٧٠
 تثار : ٤٥٤ ، ٤٦٦ ، ٤٧٢
 ترجالي : ٥٣٠
 تونس : ٥٣٣
 تورا : ١١١
 تياذوق : ١٨٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢
 تبادروس : ٤٦٣
 تيممي : (ابو عبدالله سعيد) : ٥٤٦ ، ٥٤٧
 - ث -
 ثابت بن سنان : ٢٠٦ ، ٢٤١ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٧
 ثابت الناقل : ٢٨٢
 ثابت الحراني : ٣٣ ، ٢٨٠ ، ٣٠٠
 ثوفرسطس : ١٠٦
 ثاوذوسيس : ٢٩٢
 ثقيف : ١٦٦ ، ٢٣٣
 ثعالي : ٤٣٠
 - ج -
 جالينوس : ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٤

جعفر البرمكي : ١٨٨ ، ١٩٦ ، ٤٧٦
 جاري : ٤٧٣
 جمال الدين بن اثرده : ٤٠٠
 جوجزاني : ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٥٧
 جندي سابور : ١٨٧ ، ١٨٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠١
 ٢٣٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٥٧
 جنكيزخان : ٤٦٦
 جواد النصرائي : ٤٨٥
 جودر : ٤٧٤
 جذولي : ٥٢٩
 جرجس : ٢٧٩
 جورجوس بن جبرائيل بن عبيدالله بن بختيشوع :
 ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٩٨
 جورجوس : ٤٠
 جوهرى : ١٦١
 جبائى : ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٥٧

- ح -

حيثش الأعسم : ١٥ ، ٢٧١ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩
 الحجاج : ١٧٩ ، ١٨٠ ، ٢٣٠ ، ٢٣٣
 الحجاج بن مطر : ٢٨٠
 الحرث بن كلدة الثقفي : ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٥
 ١٦٧ ، ١٦٦
 حسام الدولة : ٢١٣
 الحسن بن سهل : ١٨٩
 الحسن بن علي : ١٧٤
 الحسن الطوسي : ١٩٢
 حلب : ١٢٣ ، ٣٢١ ، ٤٠٣ ، ٤٧٢
 حفصون : ٤٩٢
 الحلجى : ٢٧٨
 حران : ٢٩٥
 حكم الدمشقي : ١٧٦

٣٥ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٥
 ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٨٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧
 ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦
 ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٣
 ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩
 ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨
 ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧
 ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٤
 ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٧٩ ، ٢٠١
 ٢١٥ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٠ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩
 ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٧٠
 ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٩٥
 ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٣١
 ٣٣٢ ، ٣٤٢ ، ٣٧١ ، ٤٧٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦
 ٤٢٠ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨
 ٤٣٦ ، ٤٦١ ، ٤٧٩ ، ٤٩٧ ، ٥٣٠ ، ٥٣٢
 جاحظ : ٢٥٣ ، ٤٢٢

جبر : ٤٧٣

جبرائيل بن بختيشوع : ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩
 ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥
 ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٤٢
 ٢٤٧ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٤١٦
 ٤٧٥ ، ٤٧٦
 جبرائيل بن عبيدالله بن بختيشوع : ٢٠٩
 ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤
 جبرائيل كحال المأمون : ٢٤١ ، ٢٤٢
 جزيرة : ٩ ، ١٤٦ ، ٢٨٥ ، ٣٢٧ ، ٣٩٧
 جعدة بنت الأشعث ، ١٧٤
 جرجان : ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤٣ ، ٤٥٧
 جرجاني ، ٢٩٦
 جرجاني (ابو سهل) : ٤٠٢ ، ٤٣٦ ، ٤٥٧
 ٤٧١

خصيب : ٢١٤ ، ٢١٥
 خسرو شاه : ٢١٢ ، ٢١٣
 الخوارزمي : ٤٨٣
 الخليل بن أحمد : ٢٥٧ ، ٢٦٢
 الجياط : ٤٩٧
 خوارزمشاه بن مأمون : ٤٢٩ ، ٤٣٧ ، ٤٦٢
 ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٧٢
 خوارزم : ٤٥٩ ، ٤٦٦ ، ٤٧٢
 خالد بن رومان النصراني : ٤٨٥
 خلف الزهراوي : ٥٠١

— ٥ —

دارا : ١٨ ، ٤٧ ، ٨٠ ، ١١١ ، ١١٨
 داود النبي : ٦١
 داود بن سراييون : ٢٤١ ، ٢٤٥
 دانيال : ٣٣٠
 دجلة : ٣٠٢
 الداني : ٥٣٤
 دمشق : ٥ ، ١٤٦ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٦
 ١٧٨ ، ٢١٣ ، ٢٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٤٠٢
 ٤٧٠
 داود بن ديلم : ٣١٥
 ديلم : ٢١٥
 الديتوري : ٥٢٩
 الديلمي : ٤٤٣
 ديوجانيس : ١٢٩
 ديسقوريدس : ٢٦ ، ٣٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ١٢٩
 ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥
 ديموقريطس : ٣٥

— ٥ —

الذهبي : ٤٩٧ ، ٥٣٢

حسين بن خرمين : ٤٦٢
 حضرموت : ٢٨٥
 الحسني : ٥٠١
 حوران : ٥
 حي بن يقظان : ٤٤١ ، ٤٥٧
 حنين بن اسحق : ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٩ ، ٥٨
 ٥٩ ، ٦٠ ، ٨١ ، ٩٠ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧
 ١٣١ ، ١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦
 ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ٢٠١ ، ٢٣٠ ، ٢٥٧
 ٢٠٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣
 ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠
 ٢٧١ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠
 ٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٢٩٤ ، ٣١٦ ، ٣٢٥ ، ٣٤١
 ٤٠٦ ، ٤٢٤ ، ٤٢٩ ، ٤٦١ ، ٤٩٣ ، ٥١٤

الحسن بن أتردي : ٢٠٠
 حسداي بن اسحق : ٤٩٨
 الحسن بن بابا : ٤٢٠
 الحفيد بن زهر : ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤
 ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٣
 حسداي الاسرائيلي : ٤٧٥ ، ٤٩٤
 الحراني : ٤٨٦ ، ٤٨٧
 حبرون بن رابطة : ٢٨٠
 الحيرة : ٢٥٨ ، ٢٥٧ ، ١٩١
 الحسيني : ٤٥٧
 حمدين بن أبان : ٤٨٥
 حقيير النافع : ٥٤٩
 حكيم الزمان عبدالمنعم الجليلاني : ٦٣٠
 - خ -

خالد بن المهاجر : ١٧٢
 خراسان : ١٩٧ ، ٢٣١ ، ٣٠١ ، ٣٢٤ ، ٤١٦
 ٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٢٣ ، ٤٣٦ ، ٤٣٩ ، ٤٤٣
 خرويسيس : ٣٩

الرميلي : ٤٩٦ ، ٤٩٧

— ج —

الزبير بن العوام : ١٧٣

زاهد العلماء : ٣٤١ ، ٤١٤

زرادشت : ١٨

زيادة التميمي : ٤٧٨ ، ٤٧٩

زروبا الحمصي : ٢٨٠

زيج البتاني : ٤٨٣

زكريا بن الطيفوري : ٢٢٤ ، ٢٤٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٢

الزهرابي : ٤٨٣ ، ٤٨٤

زين الدين الحافظي : ٦٦٨

زوس : ٣٥

زينب الأودبة : ١٨١

زينون : ٦٠

— س —

سابور : ٤٤٢ ، ٤٥٧

سابور بن سهل : ٢٣٠

سلامة بن رحون : ٥٧٠

ساوثاوس : ٤٠

ساعاتي فخر الدين : ٦٦١

سيسن المناني : ٤٢٢

السمرقندي :

سرجس : ١٤٥ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ٢٥٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢

سر من رأى : ٢٣٥ ، ٢٥٠ ، ٢٥٥

سريان ص : ٨ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٦٤ ، ١٤٥ ، ١٤٧

٢٠١ ، ١٨٦ ، ١٨٤ ، ١٨٣ ، ١٥٨ ، ٢٣٢

٢٣٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٧٦

٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠٤

٣١٧ ، ٣١٨ ، ٤٢٤ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٩

— ر —

الرازي : ٢٤ ، ١٢٩ ، ١٥٩ ، ٢٣٢ ، ٤١٤ ، ٤١٥

٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١

٤٢٤ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٦ ، ٤٦١ ، ٤٧٣

٥١٦ ، ٤٧٣

الراضي : ٢٧٧ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥

ابن الطبري : ٤١٤

راوس : ٤٠

ربيع : ٣٢٧

الريدة : ٢١٦

الربيع : ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦

الرشد : ١١٨ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩١

١٩٢ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢١٧

٢١٨ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦

٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢

٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨

٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤

٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠

٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦

٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢

٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨

٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤

٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠

٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦

٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢

٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨

٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤

٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠

٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦

٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢

٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨

٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤

٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠

٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦

٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢

٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨

٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤

٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠

سولون : ٣٠	السرخسي : ٢٦٣ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٤٢٣ ، ٤٧٠
سورانس : ٤٠	السموأل : ٤٧١
سيقلس : ٤٠	سعد بن أبي وقاص : ١٦١
سيقليا : ٦٥ - ٨٠ - ٨٧ - ٩٠ - ١٢٤	سمجون : ٥٠٠
سيف الدولة : ٣٢٢	سعيد بن هبة الله : ٣٤٣ ، ٣٤٢
سهلان : ٥٤٨	سعيد بن يعقوب الدمشقي : ٢٨٢
سعد الدين بن عبد العزيز : ٦٧١	سعيد بن البطريق : ٥٤٥
سكرة الحلبي : ٦٣٧	سعيد بن أتردي : ٣٩٩
سهروردي : ٦٤١	السندي : ٤٨١
سيف الدين الامدي : ٦٥٠	سقراط : ٤٨ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣
سديد الدين أبو منصور : ٦٩٩	٧٤ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٥ -
سديد الدين بن ربيعة : ٧٠٣	١٢٩ - ٢٩٢ - ٢٩٤ - ٢٩٩
- ش -	سقراطون : ٣٩
الشام ٦ ، ٩ ، ٣٣ ، ١٤٦ ، ١٧٢ ، ٢٣١	السملي : ٤٥٨ - ٤٥٩
٣٥٤ - ٣٢٦ ، ٢٥٢	سقوريدس : ٤٠
شهيد بن الحسين ، ٤١٦	سقيروس : ٤٠
شرف الدين بن رجة : ٦٧٥	سلمويه : ١٧٨
شرف الزمان المابر سامي : ٤٧٢	سلمويه بن بنان : ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧
الشافعي : ٤٧٠	٢٣٨ - ٢٣٩
شرف الدين بن عنين : ٤٦٣	سليمان بن دارد : ١٧ - ٣٩ - ٦٢
شريف الكحال : ٦٦٠	سليمان بن مهران الكوفي : ١٧١
شمس الدين بن هبل : ٤١٠	سليمان بن تاج : ٤٨٩
شمس الدين محمد الكلي : ٧٥٥	سعيد بن عبد ربه : ٤٨٩ - ٤٩٠
شمس الدين بن خطيب الري : ٤٦٦	سمرقند : ٤٦٦
شمس الدين بن اللبودي : ٦٦٢	سرقسطه : ٤٨٤ - ٤٨٥ - ٤٩١ - ٤٩٨ -
شيرزيل بن ركن الدولة : ٤٦٠	٤٩٩
شمس الدين الخسروشاهي : ٤٣٥	سمرياس : ٤٠
شمس الدولة : ٤٤٠ ، ٤٤١	السند : ٢٤٠
شمس الدين الوتار : ٤٦٢ ، ٤٦٣	سهل الكوسج : ٢٢٨ - ٢٥١
الشعبي : ١٧٠	السودان : ٢٤١
شاناق : ٤٧٤ ، ٤٧٥	سورندوس : ٤٠
	سيبويه : ٢٦٢

— ط —

الطائف : ١٦١
طاهر بن الحسين : ٢٥٦
الطبري : ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٩٢ ، ٣٢٧ ، ٣١٢
طبرستان : ٣٧٧ ، ٤١٩ ، ٤٢٧
طارم : ٤٤١
طبران : ٤٤٢
طاهر السجري : ٤٦١
طغرلبك : ٤٧٢
طليطلة : ٤٨٥
طحاوون : ٤٨٦
طوس : ٢٥٨ ، ٤٣٩
الطوسي : ٢٢٢ ، ٢٢٣
طورسينا : ١٢
طيبويه : ١٥٨
طياومس : ٤٢٥

— ع —

عبد الله بن طاهر : ١٧٦
عبد الله بن زهر : ٢١
عبرانيون : ٣١
عبد الله بن جبرائيل : ١١١ - ١١٢ - ١١٥
١١٧ - ١٥٢ - ٢١٤ - ٢٦١ - ٣٠٨ - ٣٠٩
٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٤١٥ - ٤١٦
٤٢٠ - ٤٣٦
عبد الله الطيفوري : ٢٢٠ - ٢٢٢ - ٢٢٣
٢٢٤ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٧٣
عزالدين : ٥
عبد الملك بن أيجر الكتاني : ١٧١
العراق : ٩ - ١٨ - ١٧٨ - ٢٥٤ - ٢٥٧
٢٥٩ - ٢٨٥ - ٣١١ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٨٠
٤١٤ - ٤٧٥ - ٥١٨

الشيرزاي : ٤٤٠ ، ٤٥٧

شهاب الدولة : ٤٥٩

الشذوني : ٥٣٥

شمس الدين الخسروشاهي : ٦٤٩

شيرشوع بن قطرب : ٢٨٣

شهدي الكرخي : ٢٨٠

شيت : ١٨ ،

شيدر الحراني : ١١٧

شيراز : ٢١١ ، ٤٤٣

— ص —

صائبه : ١٧ ، ٩٦ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥

الصاحب بن عباد : ٢١١ ، ٢١٢

صرخد هـ

الصرخدي : ٤١١

صاعد بن عبدوس : ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ،

٣٢٤ ، ٣٢٧

صاعد بن هبة الله (ابو الحسين) : ٤٠٦

صفين : ١٧٢

الصايي : ٤٤٣

الصاحب الطالقاني : ٤٤٣

صاحب امين الدولة : ٧١٣

الصوفي : ٤٤٥

صنجل : ٤٧٣

صكه : ٤٧٣

صالح بن بهلة : ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧

الصنهاجي : ٤٨٣

صدقة السامري : ٧١٧

صور : ٦٣

الصوفي : ٦

— ض —

ضياء الدين بن خطيب الري : ٤٦٦

- العرب : ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ٣١ ، ٤٩ ،
 ٥٨ ، ٩٢ ، ١٤٩ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ،
 ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٠١ ، ٢١٦ ،
 ٢٣٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٩ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ،
 ٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨ ،
 ٣٠٠ ، ٣١٧ ، ٤١٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ،
 ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦٦ ، ٤٧٥ ،
 عروة بن الزبير : ١٧٢ ، ١٧٣ ،
 عبدوس بن زيد : ٢٢٨ ،
 عمر بن الخطاب : ١٦١ ،
 عمر بن عبد العزيز : ١٧١ ، ١٧٢ ، ٢٣٢ ،
 عمرو بن العاص : ١٥٢ ،
 عبد الرحمن بن خالد بن الوليد : ١٧٢ ، ١٧٤ ،
 عباد بن عباس : ٤٥٩ ،
 عبد الملك بن مروان : ١٧٥ ، ١٧٩ ، ٢٢٦ ،
 عبد يشوع بن يهريز : ٢٨٢ ،
 عضد الدولة : ٢١١ ،
 العنبري : ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٩ ،
 العلوية : ١٩٤ ، ١٩٥ ،
 عبدالله بن المقفع : ٤١٣ ،
 علي بن أبي طالب : ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ،
 ١٧٢ ، ٤٥٤ ،
 عبدالله بن رشد : ٥٣٣ ،
 عمر بن عبدالله الدحلي : ٣٢١ ،
 علاء الدولة : ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٤ ،
 العكبري : ٤٠٧ ،
 علاء الملك : ٤٦٦ ،
 علي بن أبي طالب القيرواني : ٢٠ ،
 علي بن رضوان : ٢٠ ، ٤٤ ، ١٥٤ ، ٢٦٦ ،
 ٤٢٨ ، ٤٨٠ ، ٥٦١ ،
 علي بن سليمان : ٥٥ ،
 عبد الرحمن بن الهيثم : ٤٩٣ ،
 العباسة بنت المهدي : ٤٧٧ ،
 عز الدين بن السويدي : ٧٥٩ ،
 عمورية : ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،
 عمر بن حفص بن برقوق : ٤٩٠ ،
 عبدوس : ٣١٢ ، ٣١٣ ،
 عماد الدين الدينوري : ٧٦١ ،
 العادل بن ايوب : ٤١٠ ،
 عيسى الرقي : ٦٠٩ ،
 عيسى بن البطريق : ٥٤٦ ،
 عيسى بن مامرجيس : ٢٨٠ ،
 عبد الملك بن زهر : ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ،
 ٥٢٩ ،
 عيسى بن علي : ٢٧٧ ،
 عبد الرحمن الداخل : ٤٨٩ ،
 عوانة بن الحكم : ١٧٤ ،
 عيسى ابو قريش : ٢١٦ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ،
 ٢٢٠ ، ٢١٨ ،
 عيسى بن شهلا : ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ،
 عيسى بن ماسة : ١٩١ ، ٢٠٧ ، ٢١٥ ، ٢٢٥ ،
 ٢٣٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٥٧ ،
 عيسى بن يحيى : ١٤٧ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ،
 عيسى الدمشقي : ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ،
 علي بن دؤاد : ٤٢٧ ،
 عماد بن علي الموصلي : ٥٤٩ ،
 عمران الامرائيلي : ٦٩٦ ،
 - غ -
 غالس : ٥٩ ،
 غزنة : ٤٥٩ ،
 الغافقي : ٥٠٠ ،
 غازي الأيوبي : ٤٠٣ ،
 الغوري : ٤٦٣ ،
 غسان بن عباد : ٢٤٠ ،

القاهر : ٥
 القاهر : ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٢٠
 القاسم بن سلام البغدادي : ١٧٣
 قریش : ١٦٧ ، ١٦٩
 قزوين : ٢٣٨
 القاسم بن عبدالله : ٢٢٩ ، ٢٧٤ ، ٢٩٤ ، ٣١٢
 قسطنطينية : ١١٣ ، ١١٧ ، ١٣٥ ، ٢٤٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٣٢٨ ، ٤٩٣
 قسطا بن لوقا البعلبي : ٢٨٠ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠
 قطرطس : ٤٠
 قوام الدين المهني : ٤٧٢
 القفطي : ٤٠٥ ، ٤٧١ ، ٤٨٢
 القطب المصري : ٤٦٢ ، ٤٧١
 قاطيفورياس : ٤٢٢ ، ٤٢٩ ، ٤٤٠ ، ٤٥٨
 ققط : ٤٨٢
 القنائي : ٤٢٧
 القيروان : ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨١ ، ٤٩٠
 القويري : ٣١٦
 القمري : ٤٣٥ ، ٤٣٦
 قرطبة : ٤٨٢ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٧٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٣
 قلغموس : ٤٠
 قنيدس : ١٢ ، ٤٤
 قبضا الرهاوي : ٢٨٢
 قو : ١٢ ، ٢٠ ، ٤٤
 قيصر : ٣١

— ك —

كثير عزة : ١٧٤
 الكرخ : ٢٨٠ ، ٤٠٣ ، ٤٤٤
 كرك : ٢٦
 الكرمانى : ٤٤٣ ، ٤٤٤

الغزالي : ٤٧٠ ، ٥٣٢
 غرناطة : ٤٨٣
 الغرناطي : ٥٣٥
 غورس : ٣٩ ، ٤٠

— ف —

الفارابي : ٩٢ ، ٣١٨ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤
 فارس : ١٢ ، ١٨ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ٤٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٦١ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ٢١١ ، ٢٣٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٧٩ ، ٣٢٤ ، ٤١٣ ، ٤٢٤ ، ٤٣٥ ، ٤٥٨ ، ٤٦٦ ، ٤٧٠ ، ٤٧٢
 الفتح بن خاقان : ٢٢٥ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣
 قتيون : ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٦ ، ٢٤١ ، ٢٨٠
 فخر الدين المارديني : ٤٠٢ ، ٤٠٣
 فنون : ٣٢١
 الفضل بن جرير التكريتي : ٣٢٨
 الفضل بن الربيع : ١٨٩ ، ١٩٩ ، ٢٤٨ ، ٢٤٢
 القسطاط : ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨
 القوال : ٤٩٨
 فلسطين : ١٤٦ ، ٢٣٨ ، ٤٧٧
 فردجان : ٥٧
 الفسوي : ٣٥
 فسا : ٤٣٥
 الفارسي : ٥٧
 فولس : ٤٠
 فيتاغورس : ٣٢ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٥٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٨٠ ، ٢٩٤

فيليبس : ٨٨

— ق —

القادسية : ٢٣٦ ، ٢٥٧

٢١٣ ، ٢٣٢ ، ٢٤١ ، ٢٤٩ ، ٢٨٦ ، ٣٢٦ ،
 ٤٣٧ ، ٤٥٤ ، ٤٧١ ، ٤٧٧ ، ٥١٤ ،
 مضر : ٢٢٤ ، ٢٣٧ ،
 مغرب : ٦ ، ٩ ، ١١٨ ، ٣٢٧ ، ٤٧٠ ،
 ٤٧١ ، ٤٧٨ ، ٤٨٠ ،
 محمد بن سلام : ٢١٥ ،
 محمد الزيات : ٢٠١ ، ٢٨٤ ،
 محمد بن عبد الله العلوي : ٣٠٠ ،
 المأمون : ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ،
 ٢٠١ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٤١ ،
 ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ،
 ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٨٠ ، ٢٨٦ ، ٤٧٤ ،
 المتوكل : ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ،
 ٢٠٧ ، ٢٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ،
 ٢٥٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٦ ، ٢٨٦ ،
 المسعودي : ٨٦ ، ٩٠ ، ١١١ ، ١٢٤ ، ٢٢٧ ،
 مريم : ٢٦٦ ،
 ماسر جويه : ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ،
 مسيسانديس : ٤٠ ،
 ماسويه أبو يوحنا : ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ،
 المسيح : ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١١٧ ،
 ١٥١ ، ١٧٧ ، ١٨٦ ، ٢١٣ ، ٢٥٩ ، ٢٦٤ ،
 ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ،
 مسلمة بن احمد : ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٩٧ ،
 المستنصر : ٢٦٣ ، ٣٢١ ،
 منصور بن باناس : ٢٨٢ ،
 معاوية : ١٦١ ، ١٧١ ، ١٠٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ،
 ١٧٥ ،
 محمد بن موسى المنجم : ٢٨٣ ،
 المعتز : ٢٠٦ ، ٢٤١ ،
 المعتصم : ٢٢٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،
 ٢٣٩ ، ٢٤٦ ، ٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٨٦ ،
 ٣٨٢

كنكه الهندي : ٤٧٣ ،
 كسرى انوشروان : ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ،
 الكشي : ٤٦٢ ،
 كمال الدين بن يونس : ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ،
 كمال الدين البغدادي : ٤١٥ ،
 كركانج : ٤٣٨ ، ٤٥٨ ،
 كوفكنبد : ٤٤٢ ، ٤٤٥ ،
 كمال الدين بن ميكائيل : ٤٧٠ ،
 الكرماني : ٤٨٢ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ،
 كلدان : ١٢ ، ١٨ ، ٣٢ ، ٦٤ ، ٢٦٠ ،
 كمال الدين : ٥ ، ٨ ،
 الكتاني : ٤٩١ ،
 الكوفة : ٢٣١ ،

— ل —

اللجلاج : ٢١٩ ، ٢٣٨ ،
 اللخمي : ٤٩٦ ، ٥٣٠ ،

— م —

المازني : ٢١٤ ،
 ماسيرجيس : ٢٨٠ ،
 ماغينس : ٣٩ ،
 مانيوس : ٤٠ ،
 مجوس : ١٨ ، ٣٠ ، ٩٦ ،
 مالسطس : ٤٠ ،
 ماهالس : ٤٠ ،
 المدينة : ١٦ ،
 مثنيناوس : ٤٠ ،
 مرقس : ٤٠ ،
 مروان بن الحكم : ١٧٤ ،
 مصر : ٦ ، ٩ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٨ ، ٣١ ، ٣٣ ،
 ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٨٠ ، ١١٨ ، ١٤٦ ، ١٥١ ،

- محمد بن الجهم : ٢٩٢
منكه الهندي : ٤٧٥
المقتدر : ٢١٠ ، ٢٧٧ ، ٢٧٤ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٢٩ ، ٤٢٤
المتضد : ٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٥
مكه : ١٦١ ، ١٦٧ ، ١٩٢ ، ٢١٩
المكتفي : ٢٧٨
المعتمد : ٢٧٧ ، ٣١٥
المستكفي : ٣٠٤
النصور : ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٧٩ ، ٤١٣
الطبيع : ٣٠٤ ، ٣٢١
موسى بن خالد ، ٢٨١
المرتضى : ٣١٤ ، ٣٢٧
منف : ٣١
موسى بن اسرائيل الكوفي : ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢
موسى بن عازار الاسرائيلي : ٥٤٥
موسى النبي : ٣٨ ، ١١٠ ، ١١٧ ، ٢٦٦
موسى الهادي : ١٨٦ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٣٣٢
موفق الدين بن المطران : ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ١١٧ ، ٣٧٥
متى بن يونان : ٣١٧
المهدي : ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٣١
٢٣٢ ، ٢٨٥
مهيأ : ٣٢٧
مهراريس : ٣٩
الموصل : ٢١٣ ، ٣٢٧ ، ٤٧١
موطيمس : ٤٠
مولر : ٦
- موسى بن سيار : ٣١٩
ميتس : ٤٠
ميخائيل بن ماسويه : ٢٥٥ ، ٢٥٦
مسكويه : ٣٣٠
محمد بن كواب الموصل : ٣٣٢
المقبلي : ٣٤١
المقتدي : ٣٤٢ ، ٣٤٣
المستظهر : ٣٤٢ ، ٣٤٣
المؤيد : ٤٠٦
مذهب الدين بن هبل : ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩
مبشر بن فالك : ٥١٠
المظفر : ٤٥٤
مراغة : ٤٦٢
مرقد : ٤٦٢
مؤيد الدين : ٤٧٢
محمد بن تمليح : ٤٩١
مراكش : ٥١٩
محمد بن رشد : ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢
مذهب الدين بن الحاجب : ٦٥٩
مذهب الدين عبد الرحمن بن علي : ٧٢٨
مذهب الدين بن ابي حليقة : ٥٩٨
مذهب الدين بن النقاش : ٦٣٥
مذهب الدين يوسف بن ابي سعيد : ٦٣٥
موفق الدين يعقوب بن متلاب : ٦٩٧
موفق الدين عبد السلام : ٧٥٥
موفق الدين عبد العزيز : ٦٧١
موفق الدين يعقوب السامري : ٧٦٧
- ن —
نبط : ١٨
نجم الدين الكرندي : ٢٦
نزار : ٢٢٤

هرمس : ١٢ ، ١٨ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٢٦ ،
٣٠٤ ، ٥٨
هراة : ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ،
٤٦٦ ، ٤٧٥
هلال الحمصي : ٢٨
هروسيس : ٣٠
هرون الأشبوني : ٤٩٢
هبة الله بن علي ملكا : ٣٧٥ ، ٣٨٦ ،
هبة الله بن الفضل : ٣٨٠ ، ٣٨٢ ، ٣٨٦ ، ٣٨٩
هبة الله بن أتردي : ٣٩٩
الهند : ٥ ، ٩ ، ١٢ ، ٣١ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ،
٤١٣ ، ٤٢٤ ، ٤٣٧ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ،
٤٨٣ ، ٤٨٤
مدائن : ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٤ ،
٤٤٥ ، ٤٥٧
الهمداني : ٤٥٨
هيامس : ٣٨
هشام بن هشام : ٤٨٥
الهنداني : ٥٣١

— و —

الواثق : ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٣٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩
الواقدي : ١٧٤
الواسطي : ٣٨٣ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧
الوراق : ٤١٦

— ي —

يبرودي : ٦١٠
يبلوس : ٢٣
يحيى بن جعفر : ١٨٧ ، ١٩٢ ، ٢٠٠
يحيى بن عدي : ١٠٦ ، ٣١٧ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩
يحيى النحوي : ٢٣ ، ٣٩ ، ٤١ ، ١٠٩ ، ٥٦

الناصر : ٤٠٣ ، ٤٠٥
نجم الدين الأسفزازي : ٤٦٥
نصرانيه : ٣٠ ، ٩٦ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٥١ ،
١٥٢ ، ١٥٨ ، ١٧١ ، ١٧٥ ، ١٨٥ ، ١٩٩ ،
٢١٤ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ،
٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٩٦ ، ٣٢٣ ،
٣٢٥ ، ٣٥٣ ، ٣٧١ ، ٤٠٦ ، ٤١٣ ، ٤٢٩ ،
٤٣٦
النصر النقي : ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٠
نصير الدولة : ٢١٤
النحوي : ٤٧١
النباش : ٤٩٧
نظيف القس الرومي : ٣٢٢
نجم الدين أبو الفتح : ٤٧٢
النائلي : ٤٣٧ ، ٤٣٨
النيسابوري : ٤٥٨ ، ٤٦١
نوح بن منصور : ٤٣٧ ، ٤٣٨
نسا : ٤٣٩
نيسابو : ٤١٨ ، ٤٦٤ ، ٤٧١
النعمان (القاضي) : ٤٨١
نيرون : ١١٢ ، ١١٣
الناشي : ٤٨٣ ، ٤٨٤
النيل : ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٣٢٦
النيلي : ٣٤١
نمرود : ٣٢
نصراني : (بولس) ٥٤٥
نصراني : (أبو الفرج) ٦٦١
نصراني : (أبو النجم) ٦٦١
نجم الدين بن المنفاح : ٧٥٧
هرقلس : ٦٢

— ه —

٤١٤ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٨
 يوحنا بن ماسويه : ١٩٢ ، ٢١٥ ، ٢٢٩ ،
 ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ،
 ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ،
 ٢٥٥ . ٢٥٧ ، ٢٥٩
 يوقال : ١٨
 يوسف بن الداية : ١١٧
 يوثان : ٥ ، ٦ ، ٨ ، ١٢ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٥ ،
 ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ،
 ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٩ ، ٧١ ، ٨١ ، ٩١ ،
 ٩٢ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٧ ، ١٢٤ ، ١٤١ ،
 ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٩ ، ١٦٧ ، ١٨٣ ، ٢٤١ ،
 ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٦ ،
 ٢٧٩ ، ٣٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٣٥ ، ٤٩٣
 يوحنا بن سراييون : ١٥٨
 يوحنا بن بختيشوع : ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٢

١١٠ ، ١١٥ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣
 يزيد : ١٧٢ ، ١٧٥
 يزيد بن يزيد : ٢٢٦
 يحيى بن البطريق : ٢٨٢
 يحيى بن يحيى : ٤٨٢
 يعقوب بن اسحق الكندي : ٢٨٥ ، ٢٨٦ ،
 ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٣ ، ٢٩٨
 يحيى بن التلميد : ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣
 يحيى بن اسحق : ٤٨٨ ، ٤٨٩
 يوسف بن محمد : ٤٩٦
 اليمن : ١٦١ ، ٣٢٧
 يوسف بن موراطير : ٥٣٣
 يوسف الناقل : ٢٨١
 يوسف القس (الساھر) : ٢٧١
 اليهود : ١٧ ، ٩٦ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ،
 ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢٣٢ ، ٣٠١ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦



UYŪN AL ANBĀ
FI
TABAQAT AL ATIBBĀ
BY
IBN ABI USAYBĪĀ
DAR MAKTABAT AL-HAYAT
Beyrouth